

النبي موسى
وآخر أيام تل العمارنة

د. سيد القمني

مقدمة

الطبعة الأولى

هذا العمل الذى بين يديك الآن هو خلاصة جهد استمر عشر سنوات أو يزيد، بدأ العمل فيه عام ١٩٨٧ وتوقف أكثر من مرة، لكن مجموع تلك الوقفات لم يزد بحال عن مدة سنتين، أنجزت خلالها كتاب حروب دولة الرسول وكتاب إسرائيل وكتاب رب الزمان، ولم يستغرق أى من هذه الأعمال سوى بضعة شهور كنت أعود بعدها إلى موسى مرة أخرى، بعد أن تتراكم مادة علمية جديدة تدفعنا إلى البدء من البداية مرة أخرى. مرات كانت تصل بنا الفروض إلى طرق مغلقة فنعود نضع فرضاً جديداً لنلهث وراء ما يدعمه شهوراً لنكتشف مرة أخرى أننا دخلنا متاهة، فنعود نضع علامات على الطريق المحتمل لكن لنكتشف خللاً جديداً. وفى كل مرة كان رجال علم التاريخ وراء تلك المشقة التى كادت تصبح مكابدة لا تنتهى، وما أكثر تناقضات أهل التاريخ التى تصل أحياناً إلى حد التضارب الكامل إزاء الموضوع الواحد. ومن ثم يصبح من الرعونة بمكان إقامة أى بناء علمى على أسس تاريخية دون فحص دقيق ومراجعة تامة لتلك الأسس وضبطها ضبطاً كاملا، وإلا وصل الباحث إلى نتائج شديدة الضلال والبطلان، لأن أسس التاريخ نفسه كعلم وهى مادته، يختلف بشأنها أصحاب هذا العلم بحيث لا يمكنك القطع فى أى لحظة مع علم التاريخ، أن ما تقرأه حقيقة أم بناء افتراضى؟ وما هى مساحة الصدق التاريخى فيه وما هى المساحة التى سمح المؤرخ بها لنفسه بالتدخل فى الوقائع وإعادة بنائها تصوريا؟ ناهيك عن بعض المؤرخين ذوى الأسماء الكبيرة ــ كما سنرى فى بحثنا ــ قد قاموا بتفسير النص التاريخى على هوى البناء الذى يريدون، بل وصل ببعضهم حد التساهل ــ وهى كلمة سهلة ــ إلى حد أنه لم يجد بأسا فى إبدال لفظة بلفظة أخرى فى النص التاريخى الأصلى.

أضرب لك مثلا بسيطا للتوضيح، رأى أحد المؤرخين بحساباته أن الاسرائيليين كانوا موجودين فى مصر زمن رعمسيس الثانى، ووجد نصاً من زمن رمسيس الثانى يتحدث عن العابيرو الذين ينقلون الأحجار لبناء " معبد الشمس الذى توجهت إليه عناية شمس البلاد رمسيس الثانى"، هنا وببساطة يقوم السيد المؤرخ بترجمة العابيرو إلى (الإسرائيليين) رغم أن الخلاف حول من هم العابيرو؟ وهل هم العبريين؟ بل وهل العبريين هم فعلا بنى إسرائيل؟ مشاكل لم تحل بعد وتتضارب بشأنها مدارس المؤرخين شتى.

ومع ذلك وضع الرجل نظرية فى خروج الإسرائيليين من مصر على مثل تلك الفروض المختلف عليها.

مثال آخر : يختلف أصحاب علم المصريات الكبار حول تعيين موضع مدينة كبرى أنشأها الفرعون عاشق المعمار رعمسيس الثانى باسمه (رعمسيس)، وتعود أهمية هذه المدينة لكونها المدينة التى ذكرتها التوراة كمدينة للاضطهاد الإسرائيلى فى مصر عندما تم تسخيرهم فى بنائها. وكلما تم العثور فى حفائر مصرية على أثر باسم رعمسيس الثانى قام أصحابه يهللون: لقد وجدنا مدينة رعمسيس المفقودة؟! الكارثة

تبدأ عندما تحاول أن تعتمد مصادر التاريخ لبحثك فى ميدانك الجديد، فمن الطبيعى أن يعرف قارئ كتاب النبى موسى أين تم استعباد الإسرائيليين بمصر. هنا يقف عالم عظيم مثل (السير آلن هنرى جاردنر) ليقول لك: إن مدينة رعمسيس هى الفرما الآن على البحر المتوسط شرقى بور سعيد الحالية، ليردف عالم حجة فى المصريات هو (بيير مونتييه) ليقول لك : إن مدينة رعمسيس هى (صان الحجر) الآن جنوبى بحيرة المنزلة، لكن ليقف عالم المصريات (محمود حمزة) معلنا كشفه لآثار كبرى لرعمسيس الثانى فى مدينة قنتير قرب فاقوس بالشرقية، وأن هنا تقع مدينة رعمسيس، ويذهب رابع إلى تل رطابة بوادى طميلات وخامس إلى مدينة المسخوطة وسادس إلى صفط الحنة وسابع...

هذا بشأن مدينة واحدة فقط إسمها رعمسيس (؟!) وأين تقع؟ فهل بعد ذلك يصر باحث ليس فقط على العثور على مدينة رعمسيس، بل وعلى تحديد مواضع المدن التى ذكرتها التوراة مجاورة لها؟ نعم لقد أصررنا وأظننا نجحنا لكن بعد إعادة قراءة شاملة لتاريخ مصر فى علاقاتها بجيرانها، **أعادت تنظيم التاريخ مرة أخرى وفق نظرية جديدة** هى التى يقوم عليها هذا العمل جميعه، واعتبرناها تأسيسا ننطلق منه لبحث موضوع النبى موسى على أرض تاريخية أقرب إلى السلامة ولحظة وصلنا إلى أسس نظريتنا لم نفعل بعد ذلك شيئاً سوى سحب طرف الخيط الذى أصبح مستقيماً سهلاً بعد أن كان شرنقة من الخيوط المتشابكة، وقد استغرق التأسيس الجزء الثانى بكامله من هذا البحث وهو فقط (تأسيس).

وكان هذا التأسيس بهدف إعادة ترتيب للمادة التاريخية المتضاربة وإعادة صياغتها من جديد وفق كشوف جديدة تماما.

لذلك اعتبر من جانبى شخصياً أن التأسيس هو المعبر الصادق والحقيقى على مدى ما بذل فى هذا الكتاب من جهد.

والنموذج الصارخ بصدد تضارب علم التاريخ أنك ستجد بشأن الهكسوس الذين احتلوا مصر القديمة فى نهاية الدولة الوسطى رأيين أبداً لايلتقيا فهناك فريق يأتى بهم من جزيرة العرب (السعودية الحالية واليمن)، وفريق آخر يأتى بهم من البرارى والسهوب الآسيوية الوسطى. وهو ما يعنى مفارقة كبرى لأن سكان جزيرة العرب ساميين وسكان برارى آسيا عند قزوين وأرارات من الجنس الهندو آرى وهو أيضاً ما يعنى أنه لم يتم حتى الآن الاتفاق حول جنس الهكسوس. والمشكلة تظهر عندما تريد تحقيق حدث يتعلق ببنى إسرائيل زمن الهكسوس، هنا لن تتمكن من بناء بحثى سليم إلا بعد تحديد هوية العنصر الهكسوسى لما بين الشعبين الهكسوسى والإسرائيلى من وشائج اتصال كان أول من أشار إليها المؤرخ الكلاسيكى يوسيفيوس فلافيوس.

أو أن تبحث عن موقع دولة كبيرة كانت على علاقة وثيقة بمصر القديمة زمن الأحداث التى سنتناولها هى **بلاد ميتانى**، فتكتشف أنه قد تم وضع هذه الدولة فى المساحة الواقعة بين الفرات والخابور بأعالى الفرات

شمالى الشام وشرقى تركيا (افتراضا)، لكن لتكتشف أن هذا المكان كانت تشغله فى ذات الفترة الزمنية دولة الآشوريين؟! وتعود تدقق فتكتشف أن ذلك الموضع الجغرافى الذى تم تحديده لبلاد ميتانى ليس فيه أية أدلـــة قاطعة أو حتى مقبولة لوضع تلك الدولة هناك!! نعم إلى هذا الحد يصل التساهل بعلماء التاريخ القديم.

أو نبحث وراء العنصر الأرامى الذى قطن برارى الشام وبواديه شرقي مصر، لكن لتكتشف أنه كـــان عنصراً أصيلا فى البلاد التى أطلق عليها المصريون القدماء " بلاد بونت أرض الإله المقدسة "، وبينما انتهى المؤرخون إلى وضع بلاد بونت على الساحل الإفريقى الشرقى عند الصومال، تجد إشارات ونصوص أخرى هامة وكثيرة لا يمكن تفسيرها بوضع بلاد بونت عند الصومال، وإلا نكون قد أهملنا دلائل وإشارات أخـــرى تذهب بنا إلى مواضع جغرافية مخالفة تماماً لما استقر عليه رأى المؤرخين.

وهى المشكلة التى عشنا معها فترة عندما كنا نبحث وراء العنصرين الهكسوسى والإسرائيلى، لننتهـــى إلى رؤية جديدة ومخالفة تماما تدخل فى باب الكشوف الكبرى، وهى الرؤية التى أصبحت العمود الأساســـى لعملنا هذا، حيث أمكننا العثور على أطراف خيوط مبعثرة التأمت جميعاً فى موطن واحد تجمعت فيه عناصر التاريخ والجغرافيا معا.

أو نقرأ فى نصوص الرافدين عن بلاد باسم (موصرى) ونبحث وراء علماء التاريخ فيقولون لك إنهـــا إما تقع فى أعالى الرافدين في الموضع نفسه الذى تم تحديده لبلاد ميتانى(؟!!). أو فى منطقة العقبة وشـــرقى سيناء، هكذا!! ولك أن تختار أو تحتار بين موقعين متباعدين تماما لبلاد (موصرى).

أو أن تبحث وراء جنس أطلقت عليه التوراة الجنس الكوشى / أى الزنجى، والمعلوم أن موطنه أفريقيا السوداء، لكن التوراة تحدثنا عن كوشيين يهاجمون فلسطين من الجنوب زمـــن المملكـــة اليهوذيـــة، فيضـــع المؤرخون تفسيراتهم فيما لايزيد عن سطرين عند كل منهم، البعض يرفض روايات التـــوراة تمامـــاً بهـــذا الخصوص، فكيف يهاجم الأفارقة الزنوج فلسطين طوال الوقت كما لو كانوا جيرانهم؟. بعض آخر فسر ذلك بأن المقصود هم المصريون لأنهم من أبناء حام حسب شجرة الأنساب التوراتية، ومن أبناء حام كان كـــوش، لكن يبقى السؤال البسيط الساذج:إن التوراة طوال الوقت تتحدث عن المصريين باسمهم، فلماذا أســـمتهم هنـــا باسم الكوشيين؟! فلا يقنع فريق ثالث بهذه النتائج ويرى أن المقصود بالكوشيين هم المصريين فعلا لكن فـــى زمن حكم الأسرة السوداء الكوشية فى الأسر الأخيرة لمصر القديمة، وهنا يبرز فريق رابـــع ليقـــول: لـــيس المقصود بالكوشيين فى التوراة دائما هو العنصر الزنجى، لأنه ربما كان يشير إلى العنصر الكشى أو الكاس الذى احتل بلاد الرافدين قادما من السهوب الآرية الشمالية، فى ذات الزمن الذى احتل فيه الهكسوس مصـــر. ومرة أخرى لك أن تختار، ومع كل اختيار لا يمكنك أن تتأكد من سلامة مقدماتك لتمضى فى اســـتنباطاتك وأنت مطمئن. وكل هذه الحالات التى نشير إليها كانت عاملا مشتركا فى موضوع الإســـرائيليين وعلاقـــتهم بمصر، وهنا لابد أن ينال موضوعك حجما من التضارب، وتصل بك النتائج إلى درجة من التناقض تتناسب

مع اختياراتك من مجموع المتناقضات التاريخية، ويبقى لديك سؤال لم يجبك عليه أهل التـــاريخ: وعلـــى أى الأسس يتم الاختيار. وفى هذه الحال يطرح السؤال نفسه: وهل بذلك نبنى علما؟

ثم إليك ما هو أنكى وأشد فى مثال فصيح واضح حول موعد خروج بنى إسرائيل من مصر، وحتى لا نطيل عليك هنا سنضرب لك مثالا برأى مدرسة واحدة فقط هى التى سادت واستقرت نهائياً فى زعم علمـــاء التاريخ حول مسألة الخروج، وهى المدرسة التى تعتمد على ذكر كلمة إسرائيل فى لوح مرنبتاح ابن رمسيس الثانى لأول مرة وربما لآخر مرة فى التاريخ المصرى، ليقولوا إن الإسرائيليين قد سيموا السخرة والعـــذاب زمن رمسيس الثانى وخرجوا من مصر زمن ولده مرنبتاح الذى حكم حوالي ١٢٢٤ ــ ١٢١٤ ق.م خـــلال الأسرة التاسعة عشرة.

المشكلة تظهر عندما نبدأ فى رصد وجود الإسرائيليين فى فلسطين، ولما كانت التوراة تطلـــق علـــيهم أحيانا اسم العبريين، فإن التضارب يبدأ صارخا عندما يعرضون لنا محتويات مكتبة تل العمارنـــة عاصـــمة الفرعون إخناتون، وأغلبها كان رسائل قادمة من ولاة مصر على أراضى الإمبراطورية المصرية فى الشام، والتى دونت صرخات استغاثة من هؤلاء الولاة بالفرعون لحماية أراضى مصر فى بلاد الشام مـــن هجـــوم شعب جاء اسمه على مختلف التنغيمات (العابيرو، الخـــابيرو، الهبـــرو، الأبيـــرى . . إلـــخ)، فـــإذا كـــان الإسرائيليون هم العبيرو (العبريين)، وأنهم خرجوا من مصر زمن مرنبتـــاح ١٢٢٤ – ١٢١٤ ق.م، فكيـــف كانوا يهاجمون حدود فلسطين لغزوها قبل خروجهم من مصر، بعد أن حددت رسائل العمارنة تـــاريخ ذلـــك الهجوم العبرى على فلسطيـــن بـــزمـــن أمنحتـــب الثـــالـــث ١٤٠٥ – ١٣٦٧ ق.م وولـــده إخنـــاتـــون ١٣٦٧ – ١٣٥٠ ق.م؟ أى كيف كانوا يهاجمون حدود فلسطين فى زمن آمنحتـــب الثالـــث وقبـــل أن يخـــرجوا من مصر زمن مرنتباح ١٤٢٤ – ١٢١٤ ق.م؟ أى قبل الموعد المقـــرر تاريخيـــا لخروجهم بحوالى **١٧٠ عاماً** بالتمام والكمال؟

ونحن نعلم أن القائد الإسرائيلى للخروج بعد موسى المعروف باسم يشوع، أول ما هاجم فى فلســـطين (غربى الأردن) هاجم مدينة أريحا ودمرها تدميراً شاملاً، لكن البحث الأركيولوجى قد أثبت أن أريحا قـــد تـــم تدميرها فعلا، لكن قبل الزمن المحدد للخروج بما يزيد على **١٥٠ عـــاما ؟!**

لحل الإشكال لجأ المؤرخون بكل رصانة إلى استبعاد أن يكون العابيرو هم العبريين التوارتيين، إنمـــا هو اسم مشابه حملته فئات من شذاذ البدو وقطاع الطرق، ولا يجب ربط تلك الإشارات التاريخية عن العبيرو بمسألة بنى إسرائيل والخروج.

نموذج آخر وما أكثرها النماذج فى علم التاريخ، نوضحه بالقول أننا لو حتى أخـــذنا بـــرأى مـــدارس أخرى توارت بعد ظهور واستتباب الأمر لنظرية الخروج زمن مرنبتاح: سنجدها تضع الخروج فى مســـاحة

تتأرجح بين ثلاثة قرون كاملة تبدأ بزمن الفـــرعونة حتشبسوت ١٤٩٠ – ١٤٦٨ ق.م حتى زمن مرنبتاح ١٢٢٤ – ١٢١٤ ق.م.

ومشكلة أخرى تظهر عندما تبدأ فى علاج علاقة الإسرائيليين بالفلسطينيين، فعلم التاريخ الرصين يؤكد لنا أن شعباً جديداً باسم البلست أو البلستى جاء بسفنه البحرية المسلحة من الجزر اليونانية يهاجم مصر زمن رمسيس الثالث ١١٨٢ – ١١٥١ ق.م، لكننا نجد هذا الشعب فى ذات الزمن يقيم علـــى ســواحل فلســطين. والحل ببساطة عند أهل التاريخ أنه بعد أن هزمهم رمسيس الثالث سمح لهم بالإقامة على سواحل كنعان ومن ثم أعطوها اسمهم فأصبحت فلسطين؟! هكذا بكل يسر وسهولة تم حل المشكلة!!، لكن الصارخ فى المسألة أن الإسرائيليين – حسب الكتاب المقدس – عندما خرجوا من مصر كان الفلسطينيون مســتقرون فـــى ممالـــك كبرى، وهذا قبل أن يصلوها زمن رمسيس الثالث؟! بحسبان الخروج قد تم زمن مرنبتاح ابن رمسيس الثانى أو ربما قبله في مدارس أخرى؟

والأكثر إدهاشاً أن نجد التوراة نفسها تأتى بالقبيلة العبرية فى تاريخها القديم من (أور الكدانيين) قبـــل دخول مصر والخروج منها بزمان إلى أرض كنعان كقبيلة هامشية غريبة على البلاد، وتصف التوراة هـــذه البلاد بأنها **أرض الفلســـطينيين** قبل وصول الفلسطين إليها زمن رمسيس الثالث بحوالى خمسة قرون كاملـــة حسبما يقرر أهل التاريخ؟!

المصيبة هنا **أن كل هذه المتضاربات الصارخة التى ضربناها مثلا كانت خلال الفترة الزمنيـــة وفـــى المساحة الجغرافية التى يعالجها كتابنا هذا.** ومن هنا كان لابد من إعادة قراءة ذلك الرتل المختل مرة أخرى قراءة تضبط أحداثه وفق منهج علمى صارم ودقيق، وإذا وجد القارئ بعض التضارب أحيانـــاً فـــى المـــادة التاريخية، فله أن يستميح لنا العذر ، وأننا حملنا عنه عبء إعادة الترتيب والضبط، ويبقى كتابنا هذا شـــاهداً على مدى تساهل أهل التاريخ، ومدى قيمة ما يتم تدريسه فى جامعاتنا بل وفى جامعات العالم دون الشـــعور بأى خلل.

هذا ما كان عن المصدر الأول لهذا العمل، أما المصدر الثانى والذى لا يقل أهميـــة وخطـــورة فهـــو الكتاب المقدس BIBEL العهد القديم، المصطلح على تسميته بالتوراة (تجاوزاً) لأن التوراة لا تشـــكل فيـــه غير الأسفار الخمسة الأولى فقط. وسنستخدم الكلمات الثلاث على التبادل العهد القديم / التـــوراة / الكتـــاب المقدس / فى هذا العمل، للدلالة على ذلك العمل الضخم، وهو إضافة إلى كونه كان كتابا مقدسا لدين بعينـــه، فـــإنه أيضـــاً عمــــل أدبى رائـــع لأساليب تعبير ذلك الزمان، إضافة إلى – وهنا الأهم – **أنه كتـــاب فى التاريخ فى المقام الأول**، وكتابنا هذا يثبت لك مدى صدق هذا التقرير (ان العهد القديم كتاب فى التاريخ). بل أن هذا الكتاب عندما تعاملنا معه ألقى أضواء على مناطق كانت شديدة الظلمة فى تاريخ المنطقة القـــديم، وملأ فراغات وثقوب فى علم التاريخ، لكن المشكلة أنك عند التعامل مع هذا المصدر ستواجه متاعب أخـــرى ومن نوع آخر. فليس هناك أولا إجماع على قيمة التوراة كوثيقة تاريخية، لما شابها على أيدى المحررين من

نزوات ومبالغات وحشو وإضافات وأساطير تغشت كل أسفارها، بحيث أصبح علينا أن نثبت مـــدى الصـــدق ومدى الباطل ومواضعهما فى التوراة عند المعالجة، كى نطمئن إلى ما بقى بأيدينا من هذا المـــأثور الهائـــل. فالوثيقة التوراتية تحمل بصمات تاريخ يمتد بزمن كتابتها الذى استغرق حوالى ١٥٠٠ سنة متصلة، تعرضت أثناءها للمعالجة وإعادة التحرير عدة مرات من محررين أغلبهم مجهول، لكنها من جانب آخر كانـــت حقـــلاً رائعاً وثرياً لإعمال المنهج العلمى للخروج منها بما يمكن تسميته حقائق تاريخية.

لذلك مهدنا لعملنا بالجزء الأول المعنون بـــ (تمهيد تاريخى) بعرض أهم أدوات وأساليب التعامل مـــع هذا المأثور بحيث يمكنا بعد العرض النقدى تقديم شهاداته كشهادات تاريخية ونحـــن أكثـــر اطمئنانـــا لتلـــك الشهادات. لكن ضمن ذلك المأثور تقع مجموعة من الأساطير احتاجت منـــا تضـــفير تفســـيرها ودلالاتهـــا والغرض من دسها وسط السرد التاريخى ضمن مجموع العمل، ومحاولة فهم ما حدث بعيـــداً عـــن منطـــق الأسطورة والمعجزة. فحاولنا العثور على إجابات واضحة لمسألة العصا الثعبانية، وفلـــق البحـــر، والعليقـــة المشتعلة بنار لا تحرق. هذا إضافة إلى أسئلة أخرى تأسيسية حاولنا الإجابة عليها وهى: لماذا يتمسك اليهود بلحظتين تاريخيتين أساسيتين كلتاهما تتعلق بمصر تحديداً: لحظة العهد مع الله بالختـــان، والختـــان شـــرعة مصرية أساسا. ولحظة عبور البحر من مصر إلى سيناء. وهو ما يجرنا إلى مناقشة كل لحظة تمـــاس فـــى علاقة الشعب الإسرائيلى بمصر منذ نزول إبراهيم إليها ومن بعده يوسف والأســـباط حتـــى مـــيلاد موســـى وخروجهم منها حسبما وردنا من روايات التوراة. أما الأهم فهو أين العرب من كل تلك الأحداث؟

أما (موسى) فهو المبحث الأول والغرض النهائى ويشكل البحث وراءه الجزء الثالث والجزء الرابع فى هذا العمل. لكن ما يجب هنا التأكيد عليه وإعلانه واضحاً أنه رغم وجود بعض أوجه الشبه فى تفاصيل قصة موسى بين التوراة والقرآن، فإن أوجه الخلاف بدورها كبيرة، سواء فى الرؤية العامة لمفهـــوم الألوهيـــة أو النبوة، مع خلافات أساسية حول بعض التفاصيل والدقائق. وهو ما يجعل من موسى التوراتى شخصاً آخـــر يختلف اختلافاً بيناً وحاداً عن موسى القرآنى، ومن هنا نقول بل ونعلن أن بحثنا هذا يتناول شـــخص النبـــى موسى كما ورد بالتوراة وبقية العهد القديم فقط، **ولا علاقة لبحثنا بشخص النبى الجليل موسى الكليم عليـــه أفضل الصلوات وأزكى السلام، لا من بعيد ولا من قريب**، وإذا وجد القارئ متنـــاثرات نـــادرة عـــن النبـــى موسى: كما هو فى الإسلام، فإن ذلك قد جاء على سبيل الاستضاءة ليس إلا، ولا يعنى أننـــا نتحـــدث عـــن موسى كما هو فى الإسلام.

مدخل

ولعل هذا التنويه جدير بذكاء قارئنا الذى لا ريب يعلم ما تعرضنا له مؤخراً من إرهاب فكرى ومصادرة لكتابنا رب الزمان، والذى صحبته رحلة قاسية بين أروقة المباحث المصرية ونيابة أمن الدولة والمحكمة والقضاء ورهاب قفص الإتهام واحتمالات الاعتقال أو القتل. ورغم أن العقبى كانت لنا بعد معركة فكرية أصررنا فيها على عدم التراجع عن كلمة قلناها لا بالتصريح ولا بالتلميح ولا بالتأويل، فإن المناخ السائد فى مصر الآن الذى يشبه من جوانب كثيرة (طالبان الأفغانية) يفرض علينا ذلك التنويه وهذا التنبيه الواضح الفصيح. وأكرر لا علاقة البتة بين دراستنا هنا حول موسى التوراتى، وبين النبى موسى كما جاء فى الإسلام، بل قصدنا بالعمد قصداً قصر الدراسة على موسى التوراتى، بفرض أنه كان شخصاً حقيقياً تاريخياً وليس مجرد أسطورة، **لنرى إلى أين يمكن أن يصل بنا البحث حسب معطيات التوراة وعلوم التاريخ**.

ومن الجدير بالذكر أنه أثناء بحثنا فى النبى موسى قد اكتشفنا الإجابة على بعض التساؤلات التى سبق وطرحناها فى كتابنا (النبى إبراهيم والتاريخ المجهول)، وكنا قد طرحنا بعض الحلول العجلى فى كتاب النبى إبراهيم، ثبت لنا الآن أنا كنا فيها مخطئين، خاصة ما تعلق منها بتفسير التواجد الثقافى المصرى القديم فى جزيرة العرب. وهو ما ألجأنا فى كتاب النبى إبراهيم إلى افتراض هجرة مصرية إلى جزيرة العرب تركت هذه المؤثرات، لكنا الآن نذهب مذهباً آخر فى تفسير ذلك ستفصح عنه صفحات هذا الكتاب.

وقد عمدنا إلى تقسيم هذا العمل إلى في طبعته الأولى إلى أربع وحدات، تم إدماج الجزء الرابع في الجزء الأول في هذه الطبعة التي بين يديك ليصبح ثلاث وحدات هي كالتالي:

١) تمهيد تاريخي مع إعادة ترتيب جغرافيا الخروج

٢) إعادة ترتيب أحداث التاريخ

٣) آخر أيام تل العمارنة

وفي الوحدة الأولى حاولنا الإجابة على استفسارات مفترضة حول عدة موضوعات بحاجة إلى ايضاح أولي مثل طبيعة الإله التوراتي ومدى اتفاقه مع أو اختلافه عن مفهوم الإلوهية عند الشعوب الأخرى فى زمانه. وكان طبيعياً أن نعرج على الوعاء القدسى للمفاهيم التوراتية أقصد الكتاب المقدس، وبالتحديد العهد القديم منه، فعرضنا أقسام العهد القديم كما هى بكتابها ومصادر ذلك الكتاب حسبما انتهت إليه المدارس البحثية. ولم يفتنا أن نحاول تتبع الطرق التى استخدمت فى تدوين تلك الوثيقة الشديدة الأهمية، وبأى لغة كتبت، مع البحث عن مساحات الصدق التاريخى فى العهد القديم وماوراه من أحداث، بالمطابقة مع الكشوف التاريخية والأركيولوجية.

ثم كان لابد من تعريف واضح بالقبيلة صاحبة التوراة والمعروفة بالقبلية الإسرائيلية، مع إطلالة سريعة على الفترة التى تواجد الإسرائيليون فيها بمصر وخروجهم منها، بحسبانها النقطة المفصلية فى تاريخ القبائل الإسرائيلية.

وعند هذه النقطة المركزية وقفنا هنيهة نستمع إلى أهم النظريات المطروحة فى مسألة دخول بنى إسرائيل مصر ثم خروجهم منها، وموعده الزمني وخطوات رحلة الخروج عبر مواضع جغرافية ذكرتها التوراة، لم تعد اليوم مواضع دقيقة لتغير أسماء المواضع الجغرافية عبر الزمن بل وتغير الجغرافيا نفسها مما أدى إلى خلف كبير بين الباحثين حول خط سير الخروج، وهو الأمر الذي استدعنا طرح رؤية جديدة تدقيقية حول مواضع خط سير الخروج الإسرائيلي من مصر، وبتحديد مواضع إقامة الإسرائيليين قي مصر ومواضع خط الخروج نختتم الوحدة الأولى من هذا العمل..

أما الوحدة الثانية، والتى نزعم أنها العمود الفقرى للعمل جميعه فهى ما اعتدنا عمله فى أعمالنا السابقة تحت عنوان (تأسيس) بديلاً عن المقدمة، لكن **التأسيس هنا يعادل فى حجمه وفى كيفه بقية الكتاب جميعا**. حيث نظننا قد تمكنا فى هذا التأسيس من اكتشاف طرف الخيط فى شرنقة معقدة من الألغاز التاريخية

غير المحلولة أو التى سبق حل بعضها بحلول متعجلة ومتسرعة أدت إلى تراكمات من الأخطاء تحولت بمرور الوقت إلى لون من الحقائق الثابتة، خاصة عند المؤرخين التقليديين. وعندما نشرنا الفصول الأربعة الأولى من هذا التأسيس ثارت زوبعة حادة تزّعَم الطرف المقابل أو المعارض فيها أحد أساتذة التاريخ دون أن ينتظر قراءة بقية العمل كاملا.

على أية حال نحن لانزعم إلا المحاولة، ولا يذهب بنا الظن حد تصور أننا قد وضعنا النظرية النهائية التامة الصدق، فلا شك أننا بقدر ما سيجد قارئنا من جهد بين تلال وطرق كالمتاهات من المادة العلمية الهائلة فى كمها وفى كيفها وفى تناقضاتها، **بقدر ما سيجد من أخطاء ارتكبناها**، لكن كل ما نرجوه أن تكون الهنات أقل وزناً من المحاولات الناجحة.

وقد عمدنا فى هذا التأسيس إلى أسلوب جديد إلى حد ما قياسا على أعمالنا السابقة، بحيث تركنا مساحة أوسع للقارئ ليشاركنا التقاط مكامن الأخطاء بين شراك معقدة، وليشاركنا أيضاً متعة البحث والاستقصاء، ومتعة الفرح بالكشف العلمى، إذا جاز لنا وصف ما وصلنا إليه بالكشف.

وعلى هذا الذى أسميته كشفاً أعدت قراءة علاقة القبيلة الإسرائيلية بمصر على كافة الأصعدة والمستويات الممكنة، ثم علاقتها ببقية شعوب المنطقة، مع إعادة قراءة قِصّتى دخول بنى إسرائيل مصر وخروجهم منها، لتفضى بنا تلك القراءة إلى نتائج قدر جدتها بقدر خطورتها، وقد ضفرنا تلك القراءة مع ما وصلنا إليه فى التأسيس وذلك فى الوحدة الثالثة (النبى موسى وآخر أيام تل العمارنة)، التى ركزت همها البحثى فى اكتشاف الحقائق الغائبة وراء النصوص المعلنة فى علاقة الفرعون اخناتون بشخصيتين أخريين هما: موسى نبى اليهودية وأوديب الملك اليونانى صاحب الملحمة المشهورة فى المسرح اليونانى.

ولأننا تعرضنا بطول الوحدات الثلاث إلى تفاصيل صغيرة حاولنا معها ضبط بعض التفاصيل الدقيقة، كالكشف عن اسم فرعون يوسف وزمنه، واسم فرعون موسى وزمنه، فكان لابد من استكمال سلسلة الحلول الصغيرة لتستكمل تضفير المشهد الأكبر للوحة الأساسية لكتابنا، ونقصد النظرية التى وضعناها فى التأسيس لقراءة الموسوية والإخناتونية على أرض تاريخية أقرب إلى الصحة والسلامة.

ولأن الكتاب بين يديك وفيه تفاصيل بها كفاية وغنى عن أى مقدمات تفصيلية، فسنكتفى هنا بمحاولة التقديم تلك لنترك القارئ أمام العمل مباشرة، لكننا نستميح قارئنا عفواً ونحن نكرر: " نرجو أن نكون قد ارتكبنا أقل قدر ممكن من الأخطاء وأكبر قدر ممكن من الكشوف، وهى الكشوف التى أزعم أنى – أبداً – لم أكن مسبوقاً إليها " .

الجزء الأول

تمهيد تاريخي

التوراة: شعبها وكتابها وربها

الإله التوراتى

قيضت مجموعة من ظروف التاريخ الدينى ذكراً عظيماً واستمراراً مدهشاً - عبر المأثور الدينى - لواحدة من القبائل الهامشية القديمة هى القبيلة الإسرائيلية، التى جاءت إلى منطقتنا من مكان بعيد لم يزل تحديده بشكل دقيق مثار خلاف بين الباحثين والمؤرخين، رغم أن تلك القبيلة فى حقيقة أمرها لم تكن بهذا الذكر العظيم فى مراجع التاريخ كعلم.

وقد دانت هذه القبيلة بدين يعرف باسم الديانة اليهودية التى تنسب إما للسبط يهوذاً أحد الأسباط الإثنى عشر أبناء يعقوب فى أساطير الآباء البطاركة الأولين، وهو الرأى المرجح، وإما لرب اليهودية المعروف فى التوراة باسم يهوه أو جاهوفاه أو ياه أو إهيه أو يهيه على مختلف التنغيمات. وهو الذى - حسبما تقول التوراة - قد ظهر لموسى فى تجلٍ سحرى على هيئة لهيب مضئ ينبعث من شجرة لاتحترق باللهيب.

ورغم ارتفاع شأن يهوه فى أُفق الديانة اليهودية فى طورها المتأخر فإنه لم يكن كذلك فى البدء أبداً، لأن عقائد القبيلة أو القبائل المنعوتة باسم إسرائيل حسبما وصلتنا فى كتابها المقدس (العهد القديم) تتضمن رواسب لأشكال بدائية من عبادات الحيوانات كالسوائم النافعة مثل: الثور والخروف أو الضارية الصحراوية كالذئب والضبع، إلى عبادة قوى الطبيعة كالشمس والقمر والمطر والأنهار والبراكين، إضافة إلى عبادة الأسلاف الغوابر.

كذلك عبد هؤلاء أرباب المنطقة وخاصة آلهة الخصب الكنعانية (البعول: جمع بعل أى سيد أو رب). وقد تميز من بين تلك البعول البعل الرافدى (تموز)، والبعل الكنعانى (بعل مولك / أى السيد الملك)، والبعل الفينيقى (أدونيس) واسمه بحذف التصريف الإسمى فى آخر الكلمة (يس) هو (أدون) أى السيدأو الرب أيضاً.

وأيضاً عبدوا كبير الأرباب السامية وشيخها ورئيس مجمعها (إيل) الذى تنتسب إليه أسماء شهيرة مثل (عزرا ــ إيل، وميكا ــ إيل ، وجبرا ــ إيل ، وإسماع ــ إيل . . إلخ) وهو الذى اشتق منه اسم الجلالة (إيلاه) أو (إله) الذى أصبح فى العربية: ألله.

كما عبدوا ربات الزرع والخضرة مثل (عشتروت) الرافدية و(عشيرة) الفينيقية و(عناة) الكنعانية، وكلهن زوجات لأرباب الخصب البعول، وكان الثور عادة هو الرمز الأعظم تجليا والمشترك الواضح بين تلك البعول لما يتميز به من فحولة جنسية تقارن بخصب الطبيعة وعطائها.

كذلك عبدوا عبادات مصرية واضحة مثل اليواريس الحية المصرية حامية الملكية والتاج، ومراكب الشمس التى تحمل رب الشمس رع فى جولته السماوية من الشرق إلى الغرب.

ونماذج لهذه العبادات نقرأ بالعهد القديم " فقال لهم هارون: انزعوا أقراط الذهب التى فى آذان نسائكم وبنيكم وبناتكم وائتونى بها . . فأخذ ذلك من أيديهم وصوره بالإزميل وصنعه **عجلا مسبوكا**، فقالوا: **هذه آلهتك** يا إسرائيل التى أخرجتك من أرض مصر / خروج ٣٢ / ١ - ٤ " .

وفى سفر العدد (٢٥ / ١ - ٣) نجدهم يعبدون بعل فغور فى بلاد مديان، وفى سفر القضاة (٢ / ١١ - ٧) يعبدون مع البعل الأنثى السماوية المخصبة عشتروت ربة الجنس والخصب. وقد عبد أعظم ملوكهم طراً (شلما) المعروف باسم (سليمان) عدداً من الآلهة " فذهب سليمان وراء عشتورت إلهة الصيدونيين وملكولم رجس العمونيين .. وبنى سليمان مرتفعة لكموش رجس الموآبيين على الجبل الذى تجاه أورشليم ولمولك، رجس بنى عمون / ملوك أول ١١ / ١ - ٨ ".

وبعد موت سليمان سار الملك يربعام على ذلك الدرب " وعمل عجلىّ ذهب وقال لهم: هو ذا آلهتك ياإسرائيل الذين أصعدوك من أرض مصر / ملوك أول ١٢ / ٢٨ ". ويحيطنا سفر (ملوك ثانى ١٨ / ١٤) أن الحية نحشان (أى الحنش) ظلت تعبد منذ صنعها لهم موسى فى سيناء وحتى زمن الملك يوشيا. وذات السفر يؤكد أنهم قد عبدوا رع رب الشمس المصرى لأنهم كانوا يسجدون لمركبه السماوى (عبادة مراكب الشمس).

ويحدثنا سفر (ملوك ثانى) عن الملك حزقياً بن أحاز الذى كان متعصبا لعبادة يهوه، وكيف أنه " هو أزال المرتفعات وكسر التماثيل وقطع السوارى وسحق **حية النحاس التى عملها موسى** لأن بنى إسرائيل كانوا إلى تلك الأيام يوقدون لها [أى يقربون لها القرابين / المؤلف] ملوك ثانى ١٨ / ٤ ".

وقد عبد البطاركة الأوائل من إبراهيم إلى إسحق إلى يعقوب حتى زمن موسى، الإله السامى المعروف بكبير الآلهة (إيل)، لكن إلى جواره كانت عبادة الأصنام شيئا اعتياديا معلوما بالتوراة. فهذه راحيل زوجة يعقوب تسرق أصنام أبيها المنزلية اعتزازاً بها، عندما غادرت موطنها حاران إلى فلسطين بصحبة زوجها يعقوب (تكوين ٣١ / ٣٤). وقد بقيت هذه الآلهة مع غيرها فى بيت يعقوب على ما يفهم من الأصحاح (٣٥ / ١ ، ٢) من سفر التكوين. كذلك نجد ذات الأصنام المنزلية موجودة بشكل اعتيادى فى بيت الملك (داود بن يس) بعد قرون طويلة باسم الترافيم، وهو ما يوضحه لنا سفر صموئيل أول ١٩ / ١٢ ، ١٣. بل يبدو أن الرب يهوه نفسه وهو فى عزه عند مطلع القرن السادس قبل الميلاد لم يكن متفردا، فهناك جالية يهودية عاشت فى ألفنتين عند أسوان بمصر وحافظت على مأثور **اختفى فى التوراة ولم يذكر، فكانت تعبد إلى جوار يهوه زوجته عناة يهوه**، ومعلوم أن اسم عناة كان لربة الخصب الكنعانية، وهو اسم زوجات البعول بشكل اعتيادى(١) .

والإله يهوه نفسه فى التوراه وبلسانه هو لم يّدع لحظة أنه رب البشر أجمعين بمفرده، بل كان نقيض ذلك تماما، فهو يعترف ببساطة بوجود آلهة أخرى أبدى غيرته منها، ووجد أن من حقه على الشعب الذى اختاره أن يميزه عن هذه الآلهة ويعبده دونها، لذلك كانت الوصية الأولى بين الوصايا العشر " لايكن لك آلهة أخرى أمامى / خروج ٢٠ / ٣ ". لذلك – ومثل جميع القبائل – أجلّت القبيلة الإسرائيلية ربها يهوه، وعبرت التوراة عن انزعاجها من عبادة الإسرائيليين لآلهة أخرى لقبائل أخرى، فالمزمور ٨٦ / ٨ ينادى مؤكداً: " لا مثل لك بين الآلهة يارب "، ويقول المزمور ١٣٥ / ٥ : " عرفت أن الرب عظيم وربنا **فوق جميع الآلهه** ". أما أمر يهوه لموسى وأتباعه فكان: " لا سجد لإله آخر لأن الرب اسمه غيور، غيور هو / خروج ٣٤ / ١٤ ".

وكان الشرك بمعنى عبادة آلهة عديدة واضحاً فى أفق تلك العقيدة منذ بدئها حتى نهاية تدوين الكتاب المقدس اليهودى، ففى أسفاره الأولى المبكرة نجده يقول صراحة: " آباؤكم . . **عبدوا آلهة أخرى** / يشوع ٢٤ / ٢ "، والآباء هم البطاركة من إبراهيم حتى موسى.

ولم يقتصر ذلك على زمن إيل والبطاركة الأوائل، بل يبدو أنه كان سمة زمن يهوه منذ موسى، فترنيمة الخروج تتساءل: " من مثلك **بين الآلهة** يارب؟ خروج ١٥ / ١١" و " الآن علمت أن **يهوه أعظم من جميع الآلهة** / خروج ١٨ / ١١ "، وحتى الأزمنة المتأخرة المفترض أن يهوه قد تفرد فيها بالعبادة وحده نسمع النبى إرميا ينادى شعبه صارخا فيه: " بعدد مدنك صارت آلهتك يايهوذا / إرميا ١١ / ١٣".

وخلال ذلك السير التطورى الطويل كان كهنة يهوه وأنبيائه يكافحون طوال الوقت العبادات الغريبة الأخرى، وحاولوا – خاصة فى الأسفار الأخيرة ــ تمييز يهوه بحسبانه ربا عالميا. ومع التطور أمكن لهم إدماج جميع الرموز المعبودة فى رب واحد هو يهوه، الذى صار ربا واحداً لكن تتجلى فيه قدرات آلهة أخرى قديمة، فهو رب البرق والرعد والأعاصير مثل (بعل)، وهو الذى ينزل السخط والعذاب والجوع والجفاف مثل (سيت) المصرى، وهو رب الرحمة رغم ذلك مثل (أوزيريس) المصرى، وهو أيضا رب البراكين والزلازل المدمرة (تيفون)، وهو الذى قتل الحية الشريرة المعروفة فى مصر باسم (أبو فيس) عدو رع الشمس، والمعروفة فى بلاد الشام باسم (لوياثان الحية متعددة الرؤوس). ومثلما كان رع وأتباعه ينتصرون على أبو فيس كل يوم لتعود الشمس ساطعة فى اليوم التالى، وكما كان البعل الكنعانى ينتصر على لوياثان، فإن ذات المهمة قد نسبت إلى يهوه، فنجد وصفا مرعبا للوياثان فى الكتاب اليهودى المقدس يقول: " من يفتح مصراعى فمه، دائرة أسنانه مرعبة، عطاسه يبعث نوراً وعيناه كهدب الصبح .. من فيه تخرج مصابيح، شرار نار يتطاير منه، من منخريه يخرج دخان كأنه من قدر منفوخ أو من مرجل، نفسه يشعل حجراً . . / أيوب ٤١ / ١٤ ــــ ٢٠ ". وهذا التنين الثعبانى قد قتله يهوه فى

---

(١) فراس السواح: آرام دمشق وإسرائيل فى التاريخ والتاريخ التوراتى، دار علاء الدين، دمشق، ١٩٩٥، ص ١٨٤ ، ١٨٥.

النص " أنت شققت البحر بقوتك، كسرت رؤوس التنانين على المياه، أنت رضضت رؤوس **لوياثان** / المزمور ٧٤".

وهو الأمر الذى سجلته لنا ألواح أو غاريت المكتشفة على الساحل السورى / رأس شمرا الآن قبل التوراة بأزمان فنقرأ فى ملحمة البعل " فى ذلك الوقت ستقتل **لوياثان** الحية الهاربة وتضع نهاية للحية الملتوية شالياط ذات الرؤوس السبع " [١].

وقد كررت هذا النص التوراة فى قولها نصيا " فى ذلك اليوم يعاقب الرب بسيفه القاسى العظيم الشديد **لوياثان** الحية الملتوية / إشعيا ٢٧ / ١ ".

وأدمجت جميع الآلهة ووظائفها فى شخص يهوه، بعضها كان يمثل الخير، وبعضها الآخر يمثل الشر، ومثّل يهوه الاثنين " أنت **فجرت عينا وسيلا** ، أنت **أيبست أنهاراً دائمة** الجريان، لك النهار ولك الليل أيضاً / المزمور ٧٤".

لذلك – وبالضرورة – احتسب أن الخير والشر ينبعان كلاهما من يهوه الواحد بذات الدرجة دون تناقض. لكن ذلك أدى إلى مشكلة مستعصية ظلت بعد ذلك أرقا دائما للأنبياء والكهنة.

وتتمثل المشكلة فى أن الديانة اليهودية على غير المعتاد فى جميع الديانات، اختار فيها الرب شعبه إسرائيل من دون الناس ليتأله عليه وينقذه من ظلم المصريين، بينما المعتاد أن تختار الشعوب آلهتها. أى أنه خص تلك القبيلة دون العالمين بذاته وعبادته وفضلها على العالمين، ومع ذلك فإن هذا الرب الذى جمع صفات آلهة الخير مع آلهة الشر، لم يكن ينزل الشر فقط بالآخرين الأغيار غير اليهود، بل باليهود أنفسهم بشكل يكاد يكون أكثر من الآخرين، لقد كانت مهمته بعد دمج الآلهة فى شخصه إنزال الشرور بالأعداء فما باله ينزل نقمته على شعبه الذى اختاره واصطفاه وفضله على العالمين؟ وتفاقمت المشكلة بعد انقسام مملكة سليمان وظهور قوى جبارة أخرى فى الشرق كالآشوريين والبابليين إضافة إلى المصريين، وهم من جعلوا المملكتين الإسرائيليتين كرة يتقاذفونها فيما بينهم، إضافة إلى سنوات القحط والمجاعة المتواترة، ناهيك عن أولئك اليهود الذين أخذوا بالإثراء على حساب إخوانهم الآخرين بجشع لا يرحم، وهنا ظهرت المفارقة ما بين الإيمان بإله حليف للشعب ظهر أصلاً لإنقاذ هذا الشعب وحمايته، وبين مابات يعانيه من آلام وخطوب لا شك أن الذى ينزلها يهوه نفسه بعد عمليات الإدماج الألوهى، فكيف يجوز احتساب هؤلاء شعباً مختاراً أم كان مختاراً للعذاب؟

لقد كان ضرورياً من أجل توحيد يهوه الجمع بين السمتين القومية والشمولية، ليصبح يهوه كلى الجبروت وتشمل سلطته الشعوب جميعاً، لكن إسرائيل شعبه المختار والمحبوب فكيف يمكن تفسير ما لحق بهم من هزائم من الوثنيين؟

إن هذا التناقض كان قد ساقه من قبل الفيلسوف اليونانى أبيقور ٢١٨ – ٣٤١ ق.م حين تساءل: {إذا كان الإله كلى الجبروت وكلى الخير فلماذا يوجد الشر فى العالم؟ إما أن الإله يريد القضاء على الشر ولا يستطيع، وفى هذه الحالة يكون عاجزاً ولا يستحق صفته الكلية، وإما أنه يستطيع ولا يريد وفى هذه الحال يكون شريراً وشيطاناً يتلذذ بتعذيب عباده، وإما أنه لايستطيع ولا يريد وهذا أمر لايتناسب مع إله، وإما أنه يريد ويستطيع ويبقى السؤال: فمن أين الشر إذن؟} [٢]

أما المشكلة الثانية التى اعترضت طريق اليهودية وترتبط بالمشكلة الأولى تماماً، فهى غياب فكرة البعث والحساب ثم المصير الأبدى إلى ثواب أو عقاب دائمين، عن أفق التفكير الإسرائيلى، مثلهم فى ذلك مثل بقية محيطهم من الشعوب السامية، يعتقدون أن المصير بعد الموت هو الهبوط إلى مملكة تقع تحت الأرض هى مملكة شيول المظلمة دوما المخيفة، حيث يعيش الموتى على شكل هوام شبحية، وضعها أسوأ من الحياة ومن العدم. الكل فيها سواء، الصالح مثل الطالح.

---

(١) فراس السواح: مغامرة العقل الأولى، دار الكلمة، بيروت، ١٩٨٠، ص ١٠٩.

(٢) Epicurea, ED. H. usener Lipsial, ١٨٨٧, Lactantius, Deira Dei, ١٣-١٩.

وبينما عالجت جارتهم الكبرى مصر هذه المشكلة مبكراً فقررت وجود عالم آخر بعد بعث جسدى فيه ثواب وعقاب عن العمل فى الحياة الدنيا، حتى يمكن الاعتراف بعدل الإله، ويأخذ الشرير عقابه وينال الخيِّر ثوابه، فإن الديانة الإسرائيلية ظلت منذ فجرها وحتى القرن الثانى قبل الميلاد تعتقد أن الثواب والعقاب دنيويان. فالصالح من عباد يهوه ينال حياة أطول وخيراً مادياً (وهو بالطبع الكلام المنطقى)، بعكس الشرير المنحرف دينياً يموت مبكراً بقرار إلهى ولا ينال خيراً فى دنياه، فيضربه يهوه بالأمراض والسقم والفقر والخيبة ثم يموت حزيناً كميداً. اليهودية كانت تثق فى يهوه وترفض وهم العزاء الأخروى زمناً طويلاً. لكن يهوه أبداً لم يأبه، الوثنيون أعزاء كرام بين العالمين، والإسرائيليون يكابدون، وبين اليهود أنفسهم يعيش الشرير وأصحاب المال عيشة رغداً ويتمتعون بالصحة والعافية، بينما يموت المؤمن بيهوه المخلص له فقيراً مريضاً بعد أن ذهبت تضرعاته هباء. وهو الأمر الذى أدى إلى نزعات شك وإلحاد بدأت تنتشر بين هؤلاء نجدها واضحة فى أسفار مثل سفر الجامعة وسفر أيوب بالكتاب المقدس ذاته.

ونتيجة انتشار الموجة الإلحادية قام الأنبياء يحاولون تبرير يهوه وتبرئته بإلقاء اللوم فى كل محنة على الشعب الإسرائيلى لأن بعضه ولو كان أفراداً قلائل لم يستقيموا فى عبادة الرب وخانوه مع آلهة أخرى أو شعوب أخرى. وتتالت الخطوب تأخذ بعضها برقاب بعض حتى العصر الهللينستى الذى أطلق عليه عصر الآلام، عشية مجيئ القرن الأول الميلادى بقرنين، فقامت اليهودية تأخذ بالعقيدة الأخروية المصرية كأبرز تبرير للإله حيث سيمكن تحقيق العدل وتعديل الموازين لكن فيما بعد، عندما يأتى (يوم يهوه)، وينال المخلصون ثوابا أبديا ويذهب الآخرون إلى العار الأبدى. وبذلك يتحقق ليهوه ما كان ناقصاً وهو العدل الذى لم يحدث فى دنيانا الفانية ولا مرة واحدة.

هنا يجب ألا نغفل أن هذا التطور الجديد وإن حدث فى فلسطين، فإن فلسطين إبان ذلك كانت تموج بالأفكار المصرية، كما كانت تموج بها مختلف بقاع المتوسط الشرقى. ومن هناك، وعبر الديانة اليهودية قدِّر للعقيدة الأخروية لتبرير الإله أن تجد طريقها إلى المأثور السامى، فتصبح من بعد ركنا ركينا فى ديانات شرقى المتوسط الكبرى، حتى أنها أدت إلى تطور الديانة اليهودية إلى ما يعرف بالديانة المسيحية، ثم جاءت بعد ذلك كأحد الأسس الإيمانية فى قانون الإيمان الإسلامى: أن تؤمن بالله وملائكته ورسله وكتبه **واليوم الآخر** والقدر خيره وشره.

لكن هذا المأثور المصرى القديم جداً لم تتقبله اليهودية إلا متأخراً جداً، وهى تلفظ آخر بقاياها مع آخر أنبيائها، لينتظر اليهود بعد ذلك وحتى اليوم (يوم يهوه) الذى يسودون فيه الدنيا. وبينما تدفع العقيدة الأخروية بالدماء إلى شرايين اليهودية يبدأ الصراع بين القديم التقليدى الرافض للبدعة المصرية، وبين الجديد الذى وجدها ضرورة استمرار حتمية، لينتصر الجديد، فيأخذ العقيدة برمتها مع ربها (أوزيريس) الإله الطيب رب النور والخصب والخير، الذى يموت شهيداً من أجل رعاياه ويقوم فى اليوم الثالث لموته فى قيامة مجيدة، ليمنح من يؤمن بموته وقيامته حياة خالدة فى عالمه الآتى. وتنادى الأناجيل هاوية عالم الموتى التحت أرضى تقول: أين شوكتك ياموت أين غلبتك ياهاويه؟ الموتى الآن يقومون، يصعدون ولا ينزلون، ويستبدل أوزيريس بيسوع الإسرائيلى وتظهر فى أفق الدنيا ديانة جديدة هى اليسوعية أو المسيحية أو النصرانية نسبة إلى الناصرة حيث ولد المسيح. تنتصر على القديم ويتجدد القديم بجديد كان قديما مصريا، ويقوى أمرها ويستتب عندما تعتنقها الإمبراطورية الرومانية ديناً رسمياً تفرضه على رعاياها فرضا.

لكن كى تتم تبرئة الإله نهائيا مما يحدث لعبيده الخُلَّص من نوازل، كان لابد من العثور على مصدر للشر، وهنا تعود الإنسانية إلى فجر قديم عندما كانت العقائد القديمة تقول بإلهين للخير والشر، أوزيريس وسيت فى مصر، وبعل وموت فى كنعان، وأهورمزدا وإهريمان فى إيران. ووقع اختيار التيار الإسرائيلى الجديد (المسيحية) على شخصية عابرة وردت بالتوراة باعتبارها من بنى الله. وبنو الله فى التوراة عنصر هجين ناتج عن زواج الله ببنات الناس، وذلك الابن هو الذى يحمل اسما عبريا ترجمته: الغريم أو الواشى، واسمه (شاطان) وتكتب فى العربية (شيطان).

وكان يتوجب على شاطان أحيانا (فى الأسفار المتأخرة من العهد القديم)، أن يقوم بتجريب الناس فى إيمانهم بتكليف من يهوه، فيضرب المخلصين مثل أيوب العبد الصالح بالمرض والفقر بعد صحة وغنى، اختباراً لإيمانه، والواضح أنها كانت إحدى محاولات تبرير وتبرئة الإله باعتبار ما يحدث من نوازل هو ابتلاء من الله واختبار لأحبائه.

وكان أول ظهور لهذا الابن المتميز (شاطان) فى سفر أيوب أبرز المحبين لله وأبرز المصابين من الله. وجاء التبرير في هذا السفر فى حكاية هى الأولى من نوعها حينذاك، وتقول الحكاية: " وكان ذات يوم أنه جاء بنو الله ليمثلوا أمام الرب، وجاء الشيطان أيضاً فى وسطهم [فى الأصل العبرى المازورى شاطان]، فقال الرب للشيطان: من أين جئت؟ فأجاب الشيطان الرب وقال: من الجولان فى الأرض والتمشى فيها، فقال الرب للشيطان: هل جعلت قلبك على عبدى أيوب لأنه ليس فى الأرض مثله، رجل كامل ومستقيم يتقى الله ويحيد عن الشر، فأجاب الشيطان الرب وقال: هل مجانا يتقى أيوب الله؟ أليس أنك سبحت حوله وحول بيته وحول كل ماله من كل ناحية، وباركت أعمال يديه فانتشرت مواشيه فى الأرض. ولكن ابسط يدك الآن ومس كل ماله، فإنه فى وجهك يجدف عليك، فقال الرب للشيطان: هوذا كل ماله فى يدك .. ثم خرج الشيطان من أمام وجه الرب / أيوب ١ / ٦ – ١٢". وذهب شاطان وضرب أيوب بالمرض والفقر.

وهكذا وجد الاتجاه الجديد بغيته فى التراث الإسرائيلى نموذجا للإله الشرير القديم، ومن ثم أصبحت كل الشرور فى المسيحية الناهضة تنسب إلى واحد من أبناء يهوه هو الشيطان الواشى أو الغريم. وفى الإسلام وجد له مكاناً وركنا ركينا، **وتحولت الواشى إلى الوسواس الذى يوشوش أو يوسوس للناس** ويشككهم فيما يعتقدون، أما المسيحية فقد وجدت خلاصها وخلاص البشر فى تنزيه الله عن الشر لأنه فقط رب محبة أما الشر فهو من شاطان أو الشيطان الملعون إبليس.

وقبل أن نصل إلى هذه المرحلة نجد العهد القديم عبر المحررين الذين دونوه، وهم غالباً من الكهنة والأنبياء المتعددين، يحاولون دوما تجريم الابتعاد عن طريق يهوه، ويعدون ذلك انحرافا عن صحيح العقيدة وخيانة للرب تستحق عقابه الشديد، لكن يهوه أبداً لم يحتج يوما على رب البطاركة الأوائل، رب سفر التكوين المعروف باسم إيل، بل حاول التخفى وراءه والإيعاز أنه كان هو ذات إيل ونفسه.

لقد كان إيل هو رب زمن البطاركة الأوائل من إبراهيم حتى موسى، لكن موسى الذى عاش مع الإسرائيليين فى مصر، وتكررت زيارته إلى سيناء، خرج على شعبه بإله جديد هو يهوه، زعم أنه قد التقاه فى سيناء، فى هيئة شجرة ضوئية. لكن يهوه رغم حربه الضروس ضد الآلهة الأخرى، لم يكن بإمكانه أن يتنكر لرب البطاركة، ومن ثم كانت كذبته على موسى:

هكذا تقول لبنى إسرائيل: يهوه إله آبائكم، إله إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب، أرسلنى إليكم، هذا اسمى إلى الأبد

خروج ٣ / ١٥

أنا ظهرت لإبراهيم وإسحق بأنى الإله القادر على كل شيء، وأما باسمى يهوه فلم أعرف عندهم.

خروج ٦ / ٢ ، ٣

والصفة " الإله القادر على كل شئ " و " الله العلى مالك السماوات والأرض"، كانت صفات معلومة للرب السامى الكنعانى (إيل)، وكان ملك أو رشليم الكنعانى (ملكى صادق) أو الملك صادق، كاهنا لهذا الإله، وسبق له أن بارك إبراهيم الوافد الغريب ضيفاً على بلاد كنعان، وقد باركه باعتباره ممثلا لإيل ونائبا عنه وكاهنا له، وقال له: " مبارك إبرام من الله العلى مالك السماوات والأرض / تكوين ١٤ / ٨ ".

وهنا يصح التساؤل من الباحثين المدققين، إذا كان حقا يهوه إلها معروفا فى فلسطين قبل الخروج من مصر، وأنه كان ذات عين إيل، فلماذا سميت المدينة المقدسة (بيت إيل) ولم تسمى (بيت يهوه)؟ ثم لماذا يتخذ سفر التكوين من إيل إلها، بينما تتحدث بقية الأسفار عن يهوه دون أى اعتبار أو وزن للإله إيل؟ هذا مع ملاحظة أن أول ظهور لهذا الإله كان فى لقائه بموسى فى سيناء وليس فى فلسطين. لابد إذن أن هناك تغيراً جوهرياً قد حدث، وأن سفر التكوين تحديداً كان منتوجا لثقافة قديمة فى فلسطين قبل مجئ إبراهيم وآله إليها من أورالكلدانيين. وعليه تكون بقية الأسفار نتاج ثقافة أخرى لشعب يعبد يهوه ولا يعرف إيل، وأنه قد تم ضم السفر الفلسطينى القديم للتوراة لإثبات علاقة نسب بالدم بين أتباع الإلهين، إله شعب فلسطين (إيل)، وإله شعب جديد (يهوه) جاء مع الخروج من مصر بدين جديد إلى فلسطين [1].

ويدعم أصحاب هذا الرأى مذهبهم **بانقطاع التاريخ التوراتى عند البطرك يوسف، وتوقف هذا التاريخ تماما لمدة أربع قرون قضاها هؤلاء فى مصر** حسب زعمهم، فلماذا سمح محررو التوراة بهذه

---

[1] يوسف سامى اليوسف: تاريخ فلسطين عبر العصور، الأهالى، دمشق، ١٩٨٩، ص٥٣ ، ٥٤ .

القفزة فى عرض تاريخهم؟ الإجابة لا شك أنهم عبدوا آلهة مصرية وهو ما جاء فى سفر يشوع " انزعوا **الآلهة** التى عبدها آباؤكم فى عبر النهر **وفى مصر** /يشوع / ٢٦ "، وأن هذه الآلهة يقف **على رأسها الإله يهوه الذى قابله موسى فى مديان فى سيناء المصرية**. والمعنى هو أن سلالة البطاركة دخلت مصر مع ربها إيل لكن لتعيش هناك أربعة قرون، وفجأة يخرج قوم من مصر إلى فلسطين بثقافة جديدة ورب جديد مع موسى ويزعمون أنهم أخلاف أولئك البطاركة الأسلاف، لكن الواضح أن هذه كانت ثقافة وتلك كانت أخرى جديدة تماماً. **مما يشكك فى هوية الجماعة الخارجة من مصر ومدى انتسابها لهؤلاء البطاركة**.

ويؤكد هذا المذهب ووجهة النظر تلك هو أنه بعد مجئ الخارجين من مصر إلى فلسطين، نجد خلافا جذريا بين الشعب يكاد يقسمه إلى عنصرين بشريين متمايزين، **قسم يحمل اسم يهوذا**. وقد قرر هؤلاء اليهوذيون استيطان جنوب فلسطين على الحدود السينائية واتخذوا من أورشليم عاصمة لهم، **والآخر يحمل اسم إسرائيل** استقر فى المناطق الشمالية من فلسطين واتخذ من مدينة السامرة عاصمه له.

وعندما قامت مملكة إسرائيل الموحدة زمن شاؤول ثم داود فسليمان، انقسمت فورموت سليمان إلى إسرائيل شمالاً ويهوذا جنوبا. ويبدأ سفر صموئيل الثانى بالتمييز بين إسرائيل (وتحوى اسم إيل فى تركيبها) وبين يهوذا المنتسبة إلى (يهوه)، وهو التميز الذى يستمر ويتضح ويتأكد عبر الأسفار اللاحقة. وبعد أن كان المحرر يستعمل تعبير "كل إسرائيل" للدلالة على القبائل المنتسبة للأسباط الإثنى عشر بما فيها يهوذا، فإنه يبدأ فى سفر صموئيل الثانى بالحديث عن إسرائيل ويهوذا، حيث تبدو يهوذا مستثناه من مصطلح (كل إسرائيل) الذى أصبح يستخدم للدلالة على القبائل الشمالية.

وتلخص موسوعة تاريخ العالم علاقة هذا الشعب بالإله يهوه فتقول: "أصبح يهوه إلهاً لإسرائيل عن طريق موسى بعد التخلص من الأسر المصرى، وكان يهوه فى الأصل إلها لجبل مقدس (سيناء أو جوريب)، ثم قاد يهوه – باعتباره إلها قوميا – الاسرائيليين إلى كنعان. وبعد أن أخذ صفات البعول واستولى على معابدها أصبح إله كنعان بجانب كونه إله إسرائيل، وبإعلانه إلها دوليا للعدل مهد عاموس ٧٥٠ ق.م الطريق للاعتراف بأن يهوه هو الإله الواحد فى الوجود فى إشعيا ٤٠ / ٥٥ حوالى ٥٥٠ ق.م. وبالجمع بين هذا اللاهوت النبوى وطقوس العبادة فى المعابد التى اقترحها حزقيال فى ذلك الوقت نتج دين جديد هو اليهودية ".

وعلينا أن نلاحظ أن عائلة الملك داود التى تعود إلى سبط لاوى أوليفى الذى كان منه موسى. هى التى حكمت فى دولة يهوذا الجنوبية كأسرة واحدة لملوك يهوذا، بينما كانت إسرائيل الشمالية قد تناوبت على عرشها تسع أسر خلال اكثر من مائتى عام بقليل. ورغم أن المملكتين قد عبدتا يهوه بعد سيادته الأولى على مملكة (كل إسرائيل)، فإن عبادة يهوه كانت فى يهوذا أقوى منها فى إسرائيل بشكل واضح. وقد اتهمت التوراة الدولة الشمالية إسرائيل بعبادة الآلهة الغريبة ولحقت هذه التهمة جميع ملوكها وأدانت نشاطهم الدينى، لكنها لم تتهم من ملوك يهوذا هذه التهمة سوى ثمانية ملوك، لكن كان فيها ملوك آخر مخلصين ليهوه، فبفضل الملوك اليهوذيين آسا و ويهو شافاط ويهورام وحزقيا ويوشيا تجددت اليهودية وانتعشت رويداً حتى انتصرت على الديانات الأخرى.

ومع ما تعرضت له تلك القبائل من مفارقات تاريخية قاسية انغلقت على نفسها فى حالة نرجسة قبلية، تماهت فيها الجماعة مع الرب يهوه وعبدت يهوه أوعبدت نفسها لافرق، وقدمت نفسها للعالم كأفضل الأمم، ودينها كأشرف الأديان، وتحولت الجماعة المندمجة بربها إلى بطل قومى، نقل الإحباط من داخل الجماعة إلى خارجها المعادى المخالف، لتحافظ على انسجامها وعلى وحدتها الداخلية، وهو الأمر الذى يتكرر دوما مع الجماعات التى تتعرض لخطر الضياع من صفحة التاريخ. **وهو ذات ما يحدث الآن فى بلادنا الإسلامية**.

أقسام العهد القديم :

العهد القديم (الكتاب اليهودى المقدس) هو مجموعة كتب وليس كتاباً واحداً، يطلق عليها الأسفار جمع سفر أو كتاب، وتسمى فى مجموعها التوراة، وهى تسمية مجازية تطلق على كل الكتاب لأن التوراة تقتصر على الكتب الخمس الأولى، من مجموع كتب يشملها هذا الكتاب يصل عددها إلى تسع وثلاثين سفراً. وقد اتفق على تقسيم هذه الكتب إلى أربعة أقسام هى على الترتيب:

القسم الأول :

ويعرف باسم التوارة أو كتب موسى الخمسة أو البنتاتك Pentateque، والكلمة توراة مأخوذة من الكلمة المصرية القديمة توروت أى شريعة، لكنها فى العبرية استخدمت بدلالة تعنى التعليم، ونطقها العبرى (تورة)

من الفعل (رأى – رءه بالعبرية) على وزن أفعل، وتعنى حرفياً الترئية أو الرُقية. وتشمل التوراة خمسة كتب أو أسفار هى:

- **التكوين Cenesis** ويحكى تاريخ العالم من لحظة البدء بخلق الرب للسماوات والأرض ثم آدم ونسله، ثم تسير التوراة مع ذلك النسل فى عمليات غربلة واستبعاد حتى تستبقى شعب التوراة فى المصفاة، وذلك عندما تصل إلى أولاد يعقوب المعروف باسم إسرائيل. وهم اثنى عشر ولداً أو سبطاً، والكلمة سبط مأخوذة من الكلمة المصرية القديمة (سبيت) أى إقليم أو فرع، ومعنى الأسباط الفروع التى انقسم إليها بيت يعقوب. ونسبة للكلمة يطلق على الحبار ذى الأيدى أو الفروع المتعددة (سُبيط) أى متعدد الأرجل أو الأفرع، ونطلق على عرجون النخل (سُباطة) .. إلخ.

  وينتهى سفر التكوين باستقرار فروع يعقوب أو الأسباط فى مصر ضيوفاً عليها إبّان مجاعة حلّت بالمنطقة بكاملها لكن مصر كانت بمأمن منها. ويرجح بعض نقاد التوارة أن يكون قد تم تأليف كتاب التكوين أو جمعه من المأثور القديم لفلسطين والمنطقة حوالى القرن التاسع قبل الميلاد، أى بعد موت موسى بحوالى خمسة قرون كاملة.

  ويظهر محررو التوراة فى كتاب التكوين بحسبانهم جامعى تراث أكثر من كونهم مؤرخين لواقع حقيقى. وفى التكوين تم حشد قصص عديدة مختلفة المنشأ والأصل إلى جوار بعضها مع ربطها ربطاً غير محكم بتاريخ إسرائيل، مما ابقى على استقلال شبه واضح لكل قصة على حدة، مع تناقض بين الأحداث يسمح للباحث أن يفرز ويصنف. ويظهر أن المحررين كانوا يعون هذا التناقض فيما يدونون من أحداث، لكنهم ابقوا عليها من باب التقديس، وربما برغبة تسجيل أكبر حشد من التنويعات التى مرت بها القصة الواحدة، مع مهمة أساسية أخذها المحررون على عاتقهم وهى تنظيم تلك التركة من الأساطير والأحداث والتقاليد والحكى الفولكلورى، فى سياق من شأنه أن يخلق لإسرائيل تاريخاً كشعب موحد من البداية. فكان هاجس الأصول – فيما يقول فراس السواح – يسيطر طول الوقت على مجموع أسفار التوراة الخمسة، ثم تعداه إلى بقية الأسفار المعروفة بالأسفار التاريخية.

- **الخروج Exodus** ويتعرض هذا الكتاب للأحداث التى مرت بها القبيلة الإسرائيلية فى مصر فى سطور لا تفصح عن أحداث يفترض أنها استمرت ثلاثين سنة وأربعمائة، بصمت مريب لا يلتئم وأسلوب هذا القسم الذى يميل للإطناب والتفصيل والتكرار إلى حد الإملال. وتركز بقية السفر على أحداث الأيام الأخيرة للخروج من مصر، لإبراز قدرات يهوه السحرية وضرباته للمصريين ضربات مدمرة، انتهت بخروج الإسرائيليين من مصر تحت قيادة موسى أحد أحفاد سبط لاوى أوليفى شقيق يوسف والأسباط، فى رحلة هروب أو خروج كبرى تتم حكايتها هنا بتدقيق وتفصيل شديدين. تشير إلى جغرافيا شرقى دلتا مصر وسيناء بمزيد من التدقيق لأسماء مواضع الحل والترحال للخارجين عبر سيناء نحو فلسطين. ويحوى هذا السفر بعض أحكام الشريعة اليهودية فى العبادات والمعاملات والعقوبات. ويرجح الباحثون أن يكون قد تم تأليفه زمن تأليف كتاب التكوين.

- **التثنية Deuteronomy** وقد شغل هذا السفر بأحكام الشريعة اليهودية فى الحرب والسياسة والاقتصاد والعبادات والمعاملات والعقوبات. وسمى تثنية لأنه ثنى أو أعاد ذكر التعاليم المفترض أن موسى تلقاها من ربه إبان رحلة الخروج عبر سيناء. لكن نقاد التوراة لهم رأى آخر فهم يجمعون على أن هذا السفر لم يتم تأليفه إطلاقاً قبل أواخر القرن السابع قبل الميلاد، أى بعد زمن موسى بحوالى سبعة قرون كاملة، وبعد مملكة سليمان بثلاثة قرون، وأن ذلك قد تم إبان وجود اليهود فى المنفى البابلى على الرافدين.

- **اللاويون أو الليفيون Leviticus** نسبة إلى ليفى Levi أحد الأسباط. ويشير إلى نسل ليفى هذا. وهم من اختارهم موسى من عائلته الليفية ليكونوا كهانا ليهوه حفظا لمسؤولية العلاقة بالله داخل أسرته، وقد شغل هذا السفر فى معظمه بشئون العبادة وطقوسها خاصة ما تعلق منها بطريقة تقديم الأضاحى والقرابين إلى الإله.

- **العدد Nambers** وهو خامس أسفار التوراة وآخرها، وقد اهتم بإحصائيات عديدة عن إسرائيل كعدد القبائل وعدد أفراد الجيش وكم الأموال وأى شأن كان يمكن أن يخضع لعملية الإحصاء لذلك سمى العدد أو الإحصاء.

القسم الثانى :

- ويعرف بالأسفار التاريخية وعددها اثنى عشر كتابا قامت بعرض تاريخ إسرائيل منذ دخولهم أرض فلسطين قادمين من مصر . . ويشمل أسفار:
- **يشوع Josue** ويشوع هو ربيب موسى وخليفته على قيادة بنى إسرائيل إلى فلسطين بعد موت موسى.
- **القضاة Juges** وهم الذين تولوا أمور الحكم على بنى إسرائيل بشكل قبلى حيث كان الحاكم هو من يقضى بين الناس بشكل مباشر فى اجتماعات دورية تعقد لهذا السبب.
- **راعوث** Ruth وهو اسم جدة الملك داود من جهة أبيه، ويحكى قصة لا علاقة لها بالسياق التاريخى.
- **صموئيل الأول وصموئيل الثانى** (كتابان): وصموئيل هو آخر قضاة إسرائيل قبل التحول عن نظام حكم القضاة القبلى إلى الحكم الملكى وقيام المملكة.
- **أعمال الملوك أول وثانى** (كتابان): ويحكى تاريخ ملوك القبائل الإسرائيلية بدءاً من أول ملوكهم المؤسس شاؤول مرورا بداود وولده سليمان، ثم انقسام المملكة إلى يهوذا فى الجنوب وإسرائيل فى الشمال، وسيرة ملوك المملكتين فى علاقتهما بالرب وبالدول المجاورة.
- **أخبار الأيام أول وثانى** (كتابان) : ويعرضان على الترتيب شجرة النسب من آدم إلى يعقوب، ويكرران ما سبق عرضه فى سفر التكوين، ثم يكرر عرض تاريخ الملك داود وولده سليمان ثم يعرض لتاريخ اليهود السياسى بعد سليمان.
- **عزرا Esdras** وينسب هذا الكتاب إلى نبى إسرائيلى باسم عزرا، عاد على رأس اليهود المنفيين فى بابل إلى فلسطين حوالى القرن الخامس قبل الميلاد، وإليه تنسب محاولة تجديد الديانة وإيقاد جذوة القومية الإسرائيلية، وقد أشرف على تجديد الهيكل، وإليه تنسب كثير من كتب العهد القديم فى رأى نقاد التوراة. وقد بلغ عزرا منزلة عظيمة عند بنى إسرائيل، ويخبرنا القرآن أن الإسرائيليين قد قدسوه حتى قالوا: عزير ابن الله. رغم أننا لم نجد – فى العقائد اليهودية ذاتها – ما يشير إلى ذلك.
- **نحميا Nehemie** : وهو أحد وجهاء بنى إسرائيل، تمكن مع عزرا من إقناع الملك الفارسى بعد فتح الفرس لبابل بالسماح للإسرائيليين بالعودة إلى فلسطين وبناء الهيكل من جديد.
- **إستير Esther** وهو سفر صغير يشتمل على تسعة أبواب أو إصحاحات، ويروى قصة الإسرائيلية الجميلة إستير التى تمكنت من إغواء أخشويريش ملك الفرس فتزوجها، وتمكنت بوجودها فى البلاط من إحباط مؤامرات وزيره الكبير هامان ضد بنى جلدتها. ثم دبرت مع عمها الكاهن مردخاى مكيدة قضت على هامان وأتباعه، حتى سمح لهم الملك الفارسى بالولوغ فى دم هامان وفريقه كيف شاءوا، وقام الإسرائيليون بذبح الآلاف من قوم هامان ونسائهم وأطفالهم، وحتى اليوم يحتفل اليهود بذكرى تلك المذبحة فى عيد البوريم أو عيد استير فى مارس من كل عام.

القسم الثالث:

ويعرف بمجموعة كتب الأناشيد أو الأسفار الشعرية، ويشتمل على أسفار فى صيغ أناشيد وتراتيل ومواعظ دينية مصاغة شعراً، ويشمل خمسة كتب أو أسفار هى على الترتيب:

- **أيوب Job**
- **المزامير Bsaumes**

- سفر أمثال سليمان **Bruverbes**
- سفر الجامعة **Ecciesiastes** وينسب بدوره لسليمان.
- نشيد الإنشاد **Cantique des cantigues** وهو بدوره ينسب إلى سليمان ويسمى نشيد الإنشاد الذى لسليمان.

القسم الرابع :

وهو مجموعة أسفار النبييم أو الأنبياء ويحوى سبعة وعشرين كتابا تعرض لتاريخ أنبياء إسرائيل بعد موسى، وهى على الترتيب:

- إشعيا **Esaie**
- إرميا **Jeremie**
- مراثى إرميا
- حزقيال **Ezechiel**
- دانيال **Daniel**
- هوشع **Osaie**
- يوئيل **Joi**
- عاموس **Amos**
- عوبيديا **Abdias**
- يونس **Jonas**
- ميخا **Michee**
- ناحوم **Nahum**
- حبقوق **Habakuk**
- صفنيا **Sophonie**
- حجى **Ajjee**
- زكريا **Zacharie**
- ملاخى **Malachie**

ويرجح علماء مدارس نقد التوراة أن معظم تلك الكتب النبوية قد تم تأليفها إبان النصف الأخير من القرن التاسع قبل الميلاد، بينما يعود بعضها إلى أوائل القرن السادس قبل الميلاد ويمكن نسبة بقيتها إلى القرن الرابع قبل الميلاد، وحتى القرن الثانى قبل الميلاد.

وهكذا تشكل العهد القديم على مدى ١٥٠٠ عاما، ويحكى لتاريخ امتد أكثر من ألفى سنة قبل الميلاد، تعرض أثناءها للمعالجة والتحرير عدة مرات من محررين أغلبهم مجهول. ومع مرور الزمن والتغيرات التى لحقت ديانة إسرائيل وأخذت توطد سيادة يهوه بشكل واضح، أتاح ذلك الفرصة لأنصار يهوه وكهنته استخدام المأثور التاريخى لقبائل اسرائيل وغيرها من شعوب المنطقة، من أجل خدمة وتأكيد عبادة يهوه. ومن ثم تعرضت نصوص المقدس التوراتى لتحويرات كانت تتناسب مع روح المذهب الدينى المنتصر، لكن هؤلاء – ولحسن حظ الباحثين اليوم – كانوا أتقياء إلى حد عدم الاجتراء على تصحيح النصوص القديمة أو جعلها ملائمة، وعادة ما كانوا يكتفون بحشر مقدمات وخواتيم ضمن نص السرد الأصلى للحوادث التاريخية، وأحياناً كانوا يضيفون على السرد الفعلى وقائع لم تكن موجودة فى النص الأصلى. وهو مايلقى على الباحث اليوم

مزيداً من المشقة فى غربلة الأصيل مما لحقه من إضافات خاصة أن المحـــرر عـــادة مـــا كـــان يســـتقى موضوعاته من الفلكلور السائد أو كان يخترعها اختراعا. ثم تواجه الباحث مشاكل أخرى لها أسبابها القديمة، فمثلاً كان المحررون لا يتركون فواصل بين مداخلات مؤلفين عدة بقصد توفير الورق الثمين، وهو ما جعل النساخ المتأخرين ينسبون مداخلات نبى إلى نبى آخر، وأثناء ذلك لم يكن يرى المحرر أى تحرج من حشـــر مقاطع تناسب وجهة نظره مع مداخلة نبى قديم عاش فى زمن سابق.

ولسوف نشرك القارئ معنا فى معرفة أكثر بهذا الكتاب فى فصول قادمة وكيف يمكن قراءة هذا التـــل المختل، والخروج من الأخيولة الأدبية بالأحداث التاريخية، وكشف المستوى التاريخى الكـــامن وراء الســـرد الأسطورى، خاصة إذا علمنا **أن التوراة هى أحد المفاتيح الهامة لفهم خط سير التاريخ الدينى ثم السياسى فى منطقة الشرق القديم**. وإبّان ذلك علينا مراعاة أننا نتعامل مع نصوص تنتمى لضروب أدبيـــة مختلفـــة، وتحوى قوانين ومشاهد طقسية وخرافات وأساطير وقصص وتاريخ ينتمى لفئات اجتماعية متباينة، مضافا إلى كل ذلك تعليقات المحرر ونزواته.

مصادر العهد القديم

أما على مستوى الدرس العلمى النقدى للكتاب المقدس فقد حدث تقسيم آخر يعتمد المصادر الأساســـية لخطوط سير الوثائق المقدسة، وقد انتهى التطور الأخير لمدرسة يوليوس فلهاوزن الألمانية ١٨٤٤ – ١٩١٨ إلى الكشف عن أربعة وثائق مختلفة عن بعضها وشديدة التباين يتكون منها العديد القديم. هى على الترتيب:

أولاً : المصدر اليهوى Jahwist

ويرمز له اختصاراً بالرمز (**J**) . وقد أخذت التسمية من اسم الإله يهوه Jahowa، لأنه الاسم الإلهى الغالب على الاستعمال فى هذا المصدر، ويرجع زمن تأليفه إلى حـــوالى عـــام ٨٥٠ ق . م. فـــى المملكـــة الجنوبية يهوذا. وقد ركز هذا المصدر على الوعد الذى أعطاه الله للبطاركة من إبراهيم إلى موسى. والتركيز على هذا المصدر لون من إضفاء الشرعية التاريخية والدينية على الإئتلاف الذى أنشأه داود فـــى فلســـطين لدولته، بوضعه هو وأسلافه فى خضم تاريخ أقدم، لجعل مملكة داود عهداً مع الرب يمتد شرعاً إلـــى عهـــد الرب إبراهيم وإسحق ويعقوب وموسى. ويمنح وحدة القبائل المعروفة بالأسباط وجوداً تاريخياً قديماً. بقصـــد وضع أساس قومى تاريخى متين للدولة التى وحدت القبائل، حتى يصعد بتاريخ تلك القومية التاريخية عبـــر سلسلة الأنساب إلى آدم زمن الخلق الأول.

ثانيا : المصدر الإلوهيمى Elohist

ويرمز لهذا المصدر اختصاراً بالرمز (**E**) نسبة إلى الاسم الإلهى الغالب فى ذلك المصدر وهو (إيل EL) أى الإله، وإللوهيم أى الآلهة. ويرجع زمن تأليفه إلى حوالى ٧٧٠ ق.م فى المملكة الشمالية إســـرائيل التى تحوى فى اسمها الشق (إيل / اسم الإله). وبعد ذلك تم إدماج المصدرين: اليهوى (**J**) والإلوهيمى (E) فى مجموعة واحدة يرمز لها بالرمز (**E J**) وذلك حوالى عام ٦٥٠ ق.م . وقد عنـــى هـــذا المصـــدر باستكمال النقص الحادث فى المصدرين اليهوى والكهنوتى، وسيرد الحديث عن المصدر الكهنوتى.

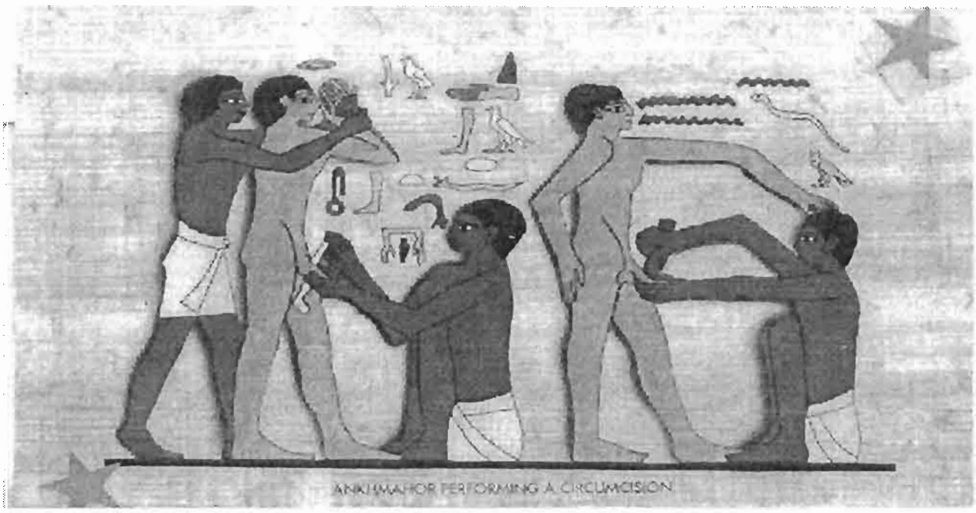
ثالثا : مصدر التثنية Deuternomy

ويرمز له اختصاراً بالرمز (**D**) ويعنى بالإغريقية القانون الثانى، وهو مصدر منفصل تماما عن بقية المصادر ويتمثل فى الكتاب أو السفر الذى يحمل اسم التثنية أو تثنية الاشتراع، وقد تم تأليفه خـــلال القـــرن السابع قبل الميلاد فى أورشليم عاصمة المملكة الجنوبية يهوذا. وتزعم الرواية الملحقة به أنه كان مخفياً منـــذ زمن موسى فى فجوة بجدران الهيكل السليمانى، وأنه تم الكشف عنه أثناء عمليات ترميم المعبد عـــام ٦٢٢ ق.م . أثناء حكم الملك اليهوذى الورع يوشيا Josias (انظر ملوك ثـــانى ٢٢ / ٣ – ١٠ و ٢٢ / ٣ – ٢٥)، حيث عثر المرممون فى وجود حلقيا شيخ الأحبار أو كبير الكهنة على كتاب الشريعة وأحضره للملك. وقـــد ترك الحدث أثره الشديد على الملك الورع فقام يحرم كل الطقوس الوثنية ويمنع كل العبادات عدا عبادة يهوه، وقصر العبادة على معبد أورشليم وحده دون بقية معابد الآلهة الأخرى. لكن الملاحظة الواضحة هو تعـــرض

ذلك المصدر لكثير من الحشو والإضافات من عناصر ثقافية لا علاقة لها بالبيئة البدوية الصحراوية، والمفترض أنها البيئة التى عاشها الخارجون من مصر إلى سيناء حتى نهاية زمن القضاة، لكن قراءة هذا المصدر تبين بجلاء أن المحررين كانوا ينتمون إلى ثقافة دولة متماسكة يحكمها ملك. ويعنى هذا السفر بالشريعة وبوضع شرائع الحرب والأوامر الإلهية المباشرة لأتباعه.

رابعا : المصدر الكهنوتى Driestly

ويرمز لهذا المصدر اختصارا بالحرف (**P**) وهو تجميع كهنوتى يرجع إلى القرن الخامس قبل الميلاد، ويركز على شعائر العبادة والطقوس، ويعود إلى التركيز على العهد بين الله وبين نوح ثم إبراهيم ثم موسى ثم داود. ويقوم جوهره على وجوب إخلاص الشعب اليهودى للعهد حتى يستحق الخلاص ويتم الوفاء بالعهد من قبل الله إذا أخلص الشعب ووفى لربه، وذلك بالتزام عباده بالشريعة بدقة، وشريطة أن يتمسكوا بلحظتين تاريخيتين جوهريتين فى تاريخهم: الأولى هى لحظة العهد القديم بين الله وبينهم ممثلين فى جدهم إبراهيم، وهو الوعد الذى منحهم الله بموجبه أرض فلسطين مقابل أن يختتن جميع الذكور فى قضبانهم. ومعلوم أن أرض فلسطين إبان ذلك كانت خاضعة للحكم المصرى، **وكان المصريون هم الشعب الذى ابتدع الختان منذ العصر الحجرى الأول**، فى وقت كان فيه المصريون هم السادة فى فلسطين زمن الإمبراطورية، وكانوا مختتنين، ويبدو أن ذلك الأمر قد أمسى راسخا حتى وجد الإسرائيليون أنفسهم بحاجة للختان كدلالة على السيادة فى الأرض، والسيادة امتلاك وحكم كالمصريين. ويؤكد هذا المعنى اللحظة الثانية فى تاريخهم التى يجب أن يتمسكوا بها تماما وهى لحظة خروجهم من مصر، لحظة المعجزة الكبرى وانشقاق البحر، **تأكيداً على مصر والانتماء إليها بأى شكل**، لذلك فإن العزف على معجزة فلق البحر والخروج من مصر، يكاد يكون ترنيمة أساسية متكررة دائمة يومية لدى اليهودى الورع، وتتكرر فى كل كتابات كتب العهد القديم المقدس بلا استثناء.


ANKHMAHOR PERFORMING A CIRCUMCISION

ويرجع زمن ذلك المصدر إلى عهد (عزرا)، وقد تم إدماج هذا المصدر مع المصدرين اليهوى والإلوهيمى حوالى نهاية القرن الخامس قبل الميلاد.

وقد انتهت المدرسة الألمانية إلى أنه قد تم تجميع المصادر الأربعة فى كتاب واحد هو كتاب العهد القديم حوالى عام ٢٠٠ ق.م ، أما الأسفار المتأخرة غير الموجودة فى النسخة العربية، مثل سفر المكابيين الأول والثانى فقد تم تحريرها خلال القرن الأول قبل الميلاد، ووردت فى النسخة اليونانية المعروفة بالسبعينية نسبة إلى سبعين حبراً قاموا بجمعها وكتابتها فى الإسكندرية المصرية.

وقد قامت مدرسة فلهاوزن بعمل شديد الجرأة عندما قررت عكس الترتيب التقليدى لأسفار التوراة، بناء على ما وصلت إليه من نتائج النقد والمقارنة والتحليل، بحيث أصبح الترتيب يعاد على النحو التالى:

١- أسفار الأنبياء

٢- الأسفار التاريخية العهد القديم من الكتاب المقدس

٣- أسفار موسى الخمسة + سفر يشوع = التوراة

ثم أضيفت إليها الأسفار بعد ذلك بترتيب منهجى حسب مادتها المشتركة وموضوعها، وليس حسب الترتيب الزمنى لتأليفها.

طرق تدوين العهد القديم

من كتاب اليهود المقدس ذاته يمكن للباحث العثور على الطرق والأدوات والوسائل التى استخدمها محررو التوراة لتدوين مؤلفاتهم، فنحن مثلاً نجد فى سفر (إرميا ٣٦ / ٢) حديثاً عن التدوين على أدراج. والدرج هو اللفيفة وجمعها لفائف، وتتم الكتابة عليها من اليمين إلى الشمال، وقد أكد لنا هذا سفر حزقيال (٢ / ٩ و ٣ / ١) وسفر زكريا (٥ / ١ ، ٢) وسفر المزامير (٤٠ / ٨) وهى أسفار تشرح طريقة الكتابة، وقد استخدمت للكتابة على الأدراج أداتين: الأولى يذكرها المزمور (٤٥ / ٢) وهى قلم الإردواز، والثانية هى الأحبار أى السوائل الملونة ألواناً كثيفة ثابتة، وقد ذكر لنا ذلك كتاب إرميا (٣٦ / ١٨).

وعلى حد ما نعلمه تاريخياً فإن **الأدراج اختراع مصرى بحت** ولايمارى فى ذلك أحد، وكانت تصنع من البردى، وإلى جوارها كانت الكتابة على الرق (الجلود)، وقد ظلت تلك المخطوطات على هيئة اللفائف / الأدراج حتى القرن الثالث قبل الميلاد، حيث بدأت تأخذ شكل الكتب مع الاستمرار فى العمل بنظام اللفائف. ولم يزل حتى اليوم يعمل بنظام اللفيفة أو الدرج فى الأشكال الطقسية التى تمارس فى المعابد اليهودية من باب تحنيط التاريخ، ونجد ذلك مستعملاً خاصة مع أسفار التوراة الخمسة مع سفر استير نظراً لمناسبته الخاصة.

لكن ما يبدو للمدقق فى قراءة التوراة أن هناك أسلوبا فى التدوين قد اتبع قبل القلم والحبر والدرج، هو النقش على الحجر الصلب، لكن أبداً لم نعثر على نموذج توراتى منه حتى الآن، **وهو الأسلوب المعروف فى مصر بالمسلات**، حيث كان يتم تدوين الحدث المطلوب حفظه على مسلة من الحجر الصلد بالنقش بالإزميل، وفى التوراة نجد أول شخصية توراتية تكتب باستخدام هذا الأسلوب، هو النبى موسى، وتم اسخدام هذا اللون من الكتابة فى كتابة ألواح الشريعة منقوشة على الحجر فى كتابين أو لوحين كبيرين أو بالأحرى مسلتين.

وتزعم التوراة أن الله هو من كتبها بنفسه وبإصبعه ثم سلمها لموسى. وقد وردت قصة كتابة الشريعة متناثرة فى التوراة، وقد جمعناها ورتبناها من جديد لتنطق بالآتى:

- وقال الرب لموسى : إصعد إلى الجبل وكن هناك، فأعطيك **لوحى الحجارة** والشريعة والوصية التى كتبتها لتعليمهم . . ودخل موسى فى وسط السحاب وصعد إلى الجبل، وكان موسى فى الجبل أربعين نهاراً وأربعين ليلة / خروج ٢٤ / ١٢ ، ١٣ ، ١٨.
- ثم أعطى موسى عند فراغه من الكلام معه فى جبل سيناء، **لوحَى شريعة مكتوبين بإصبع الله.** / خروج ٣١ / ١٨ .
- فانصرف موسى ونزل من الجبل ولوحا الشهادة فى يده، **لوحان مكتوبان** على جانبيهما، من هنا وهناك كانا مكتوبين، **واللوحان هما صنعة الله**، والكتابة كتابة الله منقوشة على اللوحين . . وكان عند اقترابه من المحلة أنه ابصر العجل والرقص، فحمى غضب موسى وطرح اللوحين من يديه وكسرهما أسفل الجبل / خروج ٣٢ / ١٥ ، ١٦ ، ١٩.
- ثم قال الرب لموسى : إنحت لك **لوحين حجر** كالأولين. وبكر موسى فى الصباح وصعد إلى جبل سيناء كما امره الرب وأخذ من يديه لوحى الحجر / خروج ٣٤ / ١ ، ٤.
- وقد جاء فى الأثر الإسلامى فى حديث للنبى محمد (ص): إن الله تعالى خلق آدم بيده وخلق جنة عدن بيده **وكتب** التوراه **بيده** [(١)]. كذلك جاء فى الآيات القرآنية: **وكتبنا** له فى **الألواح** من كل شيء موعظة / ١٤٤ / الأعراف.

هذا إضافة إلى أن ذات الأسلوب المصرى قد اتبع مرة أخرى بعد ذلك، وذلك فى كتابة أسفار الشريعة بيد اليهود بأمر من موسى، وبذات الطريقة، وهو مايتضح فى قوله لهم:

يوم تعبرون الأردن إلى الأرض التى يعطيك الرب إلهك، تقيم لنفسك **حجارة كبيرة** تشيدها بالشيد، وتكتب عليها جميع كلمات هذا الناموس، **نقشا** جيداً ، تثنية ٢٧ / ٢ ، ٤ / ٨.

اللغة التى دون بها العهد القديم

على غلاف الكتاب المقدس نجد لافته تنبه وتقول: " الكتاب المقدس: أى كتب العهد القديم، والعهد الجديد (الجديد هو الأناجيل)، وقد ترجم من اللغات الأصلية وهى : اللغة العبرانية ، واللغة الكلدانية واللغة اليونانية ".

أولا **العبرانية هى اللغة الكنعانية مكتوبة بالخط الأرامى المربع**، ويعترف الكتاب اليهودى المقدس صراحة بذلك فى سفر إشعيا ١٩ / ١٨ بأن العبرية هى **شفة كنعان**. وهناك لغات أخرى استخدمت فى الكتابة لم تشر إليها اللافتة المذكورة، فنحن نعلم الآن أن بعض الأجزاء قد كتبت بالأرامية، وأخرى كتبت بالخط المربع (هو خط آشورى أصلاً) بعد السبى البابلى، ومعلوم أن عزرا صاحب معظم أجزاء العهد القديم قد استخدم تلك اللغة فى تدوين كتبه أو اسفاره.

لكن بعض الترتيب المنهجى والمنطقى لابد أن يؤدى إلى افتراض سليم هو أن أول ألوان الكتابة الذى استخدمه محررو التوراة وأول لغة **كانت هى المصرية**، فنحن نجد جميع البطاركة قبل النزول إلى مصر لا يعرفون الكتابة، ويقيمون الأدلة على العهود والمواثيق بين الناس ليس بأوراق أو نقوش، بل بقسم مثل القسم الذى أقسمه إبراهيم وأبيمالك عند بئر سبع، وحيث تم ذبح سبع نعاج علامة أو وثيقة للعهد أطلق بموجبها الإسم على المدينة (بئر سبع). كذلك عهد يعقوب مع خاله لابان الأرامى الذى تم بعمل رجمة أحجار تشهد بالعهد وبنوده. **ثم فجأة تظهر الكتابة عند هؤلاء بالنقش على الحجر مع خروجهم من مصر** تحت قيادة موسى المعروف فى الكتاب المقدس أنه عاش فى قصر الفرعون، و " **تعلم بكل حكمة المصريين** " على حد تعبير الكتاب المقدس. بل ربما يجب أن نذهب بالفرض بعيداً فنقول أن اللغة المزعوم أن موسى قد خاطب بها ربه فى سيناء، **يجب أن تكون اللغة المصرية** تحديداً، فهى لغة موسى فى بلاط الفراعين، علما أن موسى لم تطأ قدمه أرض فلسطين صاحبة شفة كنعان (العبرية)، ومات وهو بعيد عن تلك الأرض. ناهيك عن كون

---

(١) الشهر ستانى: الملل والنحل، تحقيق محمد سيد كيلانى، نشر مصطفى البابى الحلبى، القاهرة، ١٩٦١، ج١، ص ٢١١.

كلمة توراة نفسها كما قلنا مصرية قح فهى Torah فى العبرية أى التعاليم من المصرية Toroth أى الشريعة.

ترجمات العهد القديم :

من المعروف أن ترجمة هذا الأثر الهائل إلى العربية عن لغته الأصلية وهى النسخة المتداولة الآن، قد تمت فيما هو محقق عام ١٨٦٥م. أما الترجمة الإنجليزية فقد تمت فى عهد الملك جيمس عام ١٦١١م، وكلا الترجمتين قد تمت عن الأصل العبرى المعروف بالنص المازورى المدون فى القرن العاشر الميلادى، عن مجموعة نسخ مجهولة الآن ومجهول تاريخها أيضاً. لكن ذلك لا يعنى أن نصا عبريا أو نصوصا لم تكن موجودة قبل ذلك، وإنما كل ما يعنيه هو أن هذه الأصول قد فقدت. والنسخة المازورية الأقدم الموجودة الآن تعود إلى عام ٨٩٥ ميلادية، وتم الكشف عنها **فى كنيزة المعبد اليهودى فى القاهرة.**

وكان النص المازورى فى النسخ السابقة للقرن العاشر الميلادى، غير مصحوب بالإشارات والحركات والنقاط فوق الحروف فكانت جميعاً ساكنة الكتابة، وعند تدوين الأصل البعيد للنص المازورى تم اقتباس حركات النظام البابلى فى الكتابة، واستخدم فى تحريك أحرف النسخة المازورية.

وهناك نص آخر دون باللغة اليونانية القديمة ويعرف باسم النص السبعينى، وقد تمت كتابته حوالى سنة ٢٨٣ ق.م على يد اثنين وسبعين فقيها يهوديا، بأمرٍ من ملك مصر آنذاك بطلميوس فلادفيوس وتزيد عن النسخة المازورية بأربعة عشر كتاباً أو سفراً جديداً، وهى أسفار غير موجودة بالطبع فى النسخة العربية لأنها مأخوذة عن المازورية. وتلك الأسفار هى:

- **سفر طوبيا Tobie** وهو وصف لسيرة أسير إسرائيلى فى الأسر الآشورى بمدينة نينوى فى القرن السابع قبل الميلاد.
- **سفر الحكمة سليمان Salomon** ويشمل أمثلة حكمية وعظات ضد الوثنية.
- **أسفار المكابيين Maccabees** وعددها أربعة، تتحدث عن المكابيين الذين تمكنوا من الاستقلال بفلسطين وحكمها حكما وطنياً زمن السلوقيين فى القرن الثانى قبل الميلاد، وقد جاء اسمهم من الشعار الذى كانوا يتنادون به عند القتال وهو (مى كا مو خابجييم يهوفا) أى (من مثلك بين الآلهة يايهوه)، فأخذ من كل كلمة حرف (م كا ب ى) شكلت الأسم (مكابى).
- **سفر يهوديت Judith:** ويروى قصة أرملة يهودية غنية وتقية ساعدت اليهود فى الانتصار على الآشوريين فى إحدى المعارك.
- **سفر الكهنوت**، ويدعى أيضاً: سفر الحكمة ليسوع بن سيراخ، وهو مجموعة أمثال على غرار سفر أمثال سليمان.
- **سفر تسبيحة الفتية الثلاثة**، وهى تسابيح يُقال أن أصدقاء دانيال الثلاثة كانوا يرنموها وهم ملقون فى أتون مشتعل بالنار، فكانت عليهم برداً وسلاما، وقد **نسبت تلك الحادثة فى الإسلام للنبى إبراهيم** وهو مالم تقل به التوراة.
- **سفر سوزان Suzane** أو سوسنة العفيفة، وهى قصة تمجيد من النبى دانيال لقاض دحض وشاية ضد سوسنة العفيفة.

هذا إضافة إلى ثلاثة أسفار منسوبة لعزرا، وإصحاحات تمت زيادتها على الأصل المازورى فى أسفار إستير ودانيال. والمعلوم أن الكنيسة لم تتخل عن النص اليونانى اللسبعينى إلى النص العبرى المازورى، إلا بعد القرن العاشر الميلادى، حيث أصبح النص المازورى هو النسخة المعتمدة للعهد القديم. ورغم ذلك ما زالت الكنيسة الأرثوذكسية اليونانية والكنيسة الروسية وكنائس شرق أوروبا، تستعمل النص السبعينى اليونانى.

مساحة الصدق التاريخى فى العهد القديم

لا يخلو كتاب أو سفر من أسفار العهد القديم من خرافات وأساطير واضحة ملتبسة بأحداث وقعت بالفعل، مع تدخل دائم من المحرر التوراتى لتفسير الأحداث وربطها بإرادة يهوه ومشيئته، والقاسم المشترك دوما هو الأيديولوجيا الدينية التى ترجع كل شئ وتفسر كل شئ بما يخدم قضية شعب الله المختار، حتى لو تم تزييف بعض الحقائق التاريخية لصالح الهدف القومى. إضافة إلى شغف شديد من المحررين بالمبالغات الأسطورية التى تكسر قواعد الطبيعة وخط سيرها لصالح الشعب المختار، بل نجد تلك الأساطير والمبالغات قد أصبحت فى اليهودية ومن بعدها **فى المسيحية و تراث الإسلام** موضوع تصديق وإيمان باعتبارها حقائق حدثت بلا شك.

ونظراً لحجم الكتاب وما حواه من تأريخ وعقائد وأساطير وسير بشر وملوك مندمجة جميعاً فى صياغة كان همها الدائم والأول هو يهوه وشعبه، فقد تعددت مدارس نقد التوراه وتتالت كشوفها، بحيث أصبح بالإمكان نخلٍ وغربلة هذا المأثور الهائل لاستخلاص حقائق الأحداث التاريخية التى يمكن أن تكون محلاً للبحث ومعيناً للباحثين، فهناك نصوص يمكنها أن تحمل اسم الوثيقة التاريخية، وبإمكانها أن تملأ لنا فراغاً فى بعض مناطق التاريخ كعلم، والتى فقدنا وثائقها التاريخية الأصلية.

والمشكلة التى تواجه الباحث أنه حتى النص الذى يمكن احتسابه نصاً تاريخياً بالعهد القديم، ويتحدث عن واقعة تاريخية بعينها، قد دخله حشو وإضافات وحذف وتفسير خرج به من فضاء التاريخية إلى الهوام فى الأسطورية. وبقيت من الحقائق ظلال باهتة تحتاج من الباحث إلى مشقة عظيمة فى تدقيق مصداقيتها التاريخية.

والمعلوم – مثلاً – أن العهد القديم يحوى روايات تثبت معرفة مدهشة من المحرر التوراتى لتآريخ قديمة بائدة، كانت مخفية عنا ولم نعلم بأمرها إلا بعد كشف مناطقها الآثارية وفك رموز لغاتها، وهى أمور حديثة جداً قياساً على ما سبق وساقه العهد القديم. وذلك مثل معرفة ذلك الأثر التوراتى بأسماء مدن مصرية قديمة أهال عليها الزمن النسيان، ولم نكتشفها ونتعرف على أسمائها إلا حديثاً بعد فك رموز اللغة الهيروغليفية، كأسماء مدن مثل نوف / منف، ورعمسيس / رمسيس، وتحفنيس / تفنه أو دفنه، وأون / عين شمس . . إلخ، وكأسماء فراعنة مثل شيشق / شيشنق، ونخاو، كذلك اسم فوطى فارع كاهن مدينة أون : بادى بارع، وإله الشمس رع، ومركبات فرعون، ومراكب الشمس.

هذا إضافة إلى معرفة دقيقة بأحوال مصر القديمة وعقائدها مع طقوس كطرق دفن الموتى والتحنيط ومواعيد الدفن، كذلك الأساليب المعمارية فى البناء والكتابة والتوابيت، وكلها امور لم نعلم دقائقها إلا بعد فك رموز الهيروغليفية وما كشفت عنه الحفائر الحديثة. هذا ناهيك عن أسماء المواضع الجغرافية – مثلاً – فى رحلة الخروج من شرقى الدلتا المصرية عبر سيناء وحتى فلسطين، وهى مواضع تحتمل ثقة شديدة فيها لأن لا علاقة لها بأية أهداف أيديولوجية ولا أساطير قومية، لأنها كانت مجرد مواضع جغرافية معلومة للجميع أوانها، حفظت لنا التوراة أسماءها وإحداثيات بعضها الجغرافية قبل أن تتغير مسمياتها الآن.

ورغم ذلك فإن أبرز وأهم النتائج الأولى التى خرجت بها مدارس نقد التوراة، أن نسبة الكتب الخمسة الأولى لموسى وأنه صاحبها أو كاتبها بوحى من الله، قد أصبحت نسبة باطلة تماماً ولا ظل لها من حقيقة، وبسبيل ذلك تم تقديم عدد من الأمثلة الشاهدة إليك بعضاً منها:

- هناك عبارات تتعلق بموسى لا يمكن أن تكون قد صدرت عنه وذلك مثل "وأما الرجل موسى فكان حليماً جداً أكثر من جميع الناس الذين على وجه الأرض / عدد ١٢ / ٣" فهنا كاتب أو محرر يتحدث عن موسى وليس موسى من يتحدث عن نفسه.
- هناك خبر خاص بموت موسى يقول: " فمات هناك موسى عبد الله فى أرض موآب حسب قول الله، ودفنه فى الجواء فى أرض موآب / تثنية ٣٤ / ٥ ". ومن المستحيل بالطبع أن يكتب موسى عن نفسه قصة موته بعد أن مات . بل ويحدد فى القصة الموضع الذى دفن فيه.
- نحن نعلم أن موسى قد مات ولم تطأ قدماه أرض فلسطين، ومع ذلك تجد فى التوراة المنسوبة إليه أسماء مواضع جغرافية موجودة فى عمق فلسطين، هذا إضافة إلى أن أكثر أسماء تلك المواضع لم تكن قد وضعت بعد زمن موسى، بل تمت تسميتها بعد ظروف ومستجدات حدثت بعد موت موسى بقرون. وذلك مثل ورود اسم مدينة دان فى التكوين ١٤ / ١٤ والتثنية ٣٤ / ١، ومجموعة قرى يائير فى العدد ٣٢ / ٤١ والتثنية ٣ / ٤، وهى القرى التى لم تظهر أصلاً إلى الوجود إلا فى عصر القضاة (انظر قضاة ١٠ / ١٤).

- ونجد فى سفر التكوين عبارات تتحدث عن موسى وزمنه وتقول أن ذلك قد حدث " قبل أن يملك ملك من بنى إسرائيل / تكوين ٣٦ / ٣١ والعدد ٢٤ / ٧" وهى جملة لا يكتبها إلا شخص عاصر العهد الملكى وعرف بقيام المملكة، وهى بذلك لا يمكن أن تكون قد كتبت قبل العهد الملكى لإسرائيل.
- ونجد أيضاً تعبيراً متواتراً هو (حتى اليوم) يلحق بحكايات بعض الأحداث، كالقول أنه تمت تسمية مدينة كذا زمن كذا وظل هذا اسمها (حتى اليوم) أى حتى لحظة التدوين. وبالتدقيق تكتشف أن كل الأحداث والتسميات التى لحقها هذا التعبير قد تمت بعد موسى بقرون، والأمثلة على ذلك كثيرة وحاشدة، ونموذجا لها إرجع إلى (تكوين ٣٥ / ٢٠ و ٤٧ / ٢٦ و ٤٨ / ١٥، وخروج ١٠ / ٦، وعدد ٢٢ / ٣٠، وتثنية ٢ / ٢٢ و ١٠ / ٨ و ١١ / ٤).
- وهناك تعبير بالتوراة يقول: " ولم يظهر نبى مثل موسى / تثنية ٣٤ / ١٠" وهو ما يعنى معرفة المحرر بظهور أنبياء من بعد موسى، علماً أن الأنبياء لم يبدأ تواجدهم الفعلى إلا بعد عهد صموئيل ومع قيام المملكة.
- أما أهم ما ينفى نسبة التوراة لموسى فهو أنها أبداً لم تكن موضوعاً واحداً متكاملاً دفعة واحدة، ويؤكد ذلك التكرار فى قصة الخلق الذي يشير إلى اختلاف المحررين وهو تكرار يحوى اختلافات جوهرية تشير إلى أكثر من محرر لم يلتقوا معاً ليصفوا ما بينهم من خلافات.

فالعهد القديم مجموعة جمة من التآليف التى اشترك فى وضعها محررون كثيرون اختلفوا فيما بينهم، وهذه المجموعة من التآليف تعنى بمسائل دينية ودنيوية وسياسية وأدبية وتاريخية، وقد أبدت الكنيسة الكاثوليكية تفهما لما انتهت إليه مدارس نقد الكتاب المقدس، وسجلت اعترافها بذلك فى مقدمة الطبعة الكاثوليكية للكتاب المقدس الصادرة فى عام ١٩٦٠ فى نص يقول: " ما من عالم كاثوليكى فى عصرنا يعتقد أن موسى ذاته قد كتب كل التوراة منذ قصة الخليقة، أو أنه أشرف على وضع النص، لأن ذلك النص قد كتبه عديدون بعده، لذلك يجب القول: إن ازدياداً تدريجياً قد حدث، وسببته مناسبات العصور التالية، الاجتماعية والدينية ".

ولهذا كله، ولأن العهد القديم سيستخدم فى هذا العمل كوثيقة تاريخية أساسية مثلها مثل بقية وثائق علم التاريخ، وحتى يعرف القارئ كيف يسلك معنا دروب هذا المأثور مع التقليل ما أمكن من الوقوع فى أخطاء يسببها أسلوب كتابة هذا المأثور الذى علمناه الآن، فإننا سنقدم درساً تمهيديا فى كيفية قراءة العهد القديم مرتبطاً بأحداث التاريخ، من باب ضبط هذا التاريخ المقدس على ما وصلنا من علوم التاريخ.

(كل إسرائيل)

أو

مملكة إسرائيل الموحدة

يزعم الكتاب المقدس (العهد القديم) أن إبراهيم أرومة العبريين قد جاء إلى أرض كنعــان / فلســطين، قادما من موطن أطلقت عليه مرة (أور الكلدانيين) ومرة (بلاد حاران) [(1)]، ليسكن جنــوبى أرض فلســطين (النقب) التى أطلقت عليه المأثورات اليهودية الكلاسيكية (أرض الأحبار) أى أرض الأجداد الآباء البطاركــة الأوائل إبراهيم وإسحق ويعقوب والأسباط.

ويحكى المقدس التوراتى أنه قد حلّت ببلاد كنعان سنوات عجاف "وجوع شديد فــى الأرض" وكعــادة البدو على حدود مصر، لجأ إبراهيم مع زوجته سارة إلى وادى النيل المصرى درءاً للموت جوعاً، وحصــل من ملكها على خير جزيل وثروة عظيمة بعد أن زَوّج الفرعون سارة زوجته، بعد أن زعــم أنهــا شــقيقته وليست زوجته. وعاد مرة أخرى إلى أرض الأحبار.

ومرة أخرى تعود كَرّة الجفاف والجوع لتعم المنطقة بأسرها زمن الأسباط، لكن مصر تنجو من الجوع بحكمة يوسفية، حيث تمكن ذلك البدوى المتجول بعد أن بيع عبداً فى مصر أن يصل إلى أعلــى المناصــب بدهاء إسرائيلى متميز، وأن يفيض بحكمته على مصر وشعبها بتخزين الحبوب للأعوام العجــاف، وتنجــو مصر وتفيئ بخيرها على روادها من جيران جوعى.

لكن الظروف فى مصر تتغير فجأة بالكلية، ويأتى طاقم قيادى جديد إلى سدة الحكــم، ويتنكر الســادة الجدد للأفضال الإسرائيلية ويستعبدون بنى إسرائيل فى أعمال المعمار والإنشاء بقسوة.

وبعد مرور **٤٣٠ عاماً** فيما تزعم التوراة العبرية المازوريــة أو **٢١٥ عامــا** كمــا تــزعم التــوراة السبعونية، خرجت سلالة الأسباط من مصر تحت قيادة شخصية جبارة هى شخصية موسى أول أنبياء بنــى إسرائيل، بعد أن دمر الرب يهوه مصر تماماً وتركها خرابا، وعبر الخارجون البحر المنشق بمعجزة العصــا الثعبانية إلى برارى سيناء فى طريقهم إلى فلسطين مرة أخرى.

ويقضى الخارجون سنتين ارتحالا حتى يحلّوا فى مدينة فى أقصى شرقى سيناء على حدود النقب باسم (قادش برنيع) أو (قادش عين مشفاط)، ويقضوا هناك ثمان وثلاثيــن عاما حتى تمكنوا من غزو فلسطين من شرقها عبر نهر الأردن عند أريحا شمالى البحر الميت. وبذلك يكون قد انقضى منذ خروجهم من مصر إلى غزو أريحا حوالى أربعين عاما. تعرف اصطلاحاً باسم سنوات التيه.

---

(١) للمزيد أنظر كتابنا: النبي إبراهيم والتاريخ المجهول.

ويعيش الخارجون على هامش الحياة الكنعانية فى فلسطين تحت حكم القضاة القبلى، حيث كان القاضى هو شيخ القبيلة، ويزعم المقدس أن زمن القضاة قد استمر حوالى أربعة قرون أخرى حتى قامت للإسرائيليين أول مملكة فى فلسطين، تلك التى أسسها شاؤول بعد أن اختاره للعرش الكاهن القاضى صموئيل، بضغط من أفراد الشعب الذين طالبوا بالتحول عن نظام القضاة البدوى إلى النظام الملكى المركزى أو كما قالوا لصموئيل فى التوارة " اجعل لنا ملكا يقضى لنا كسائر الشعوب / صموئيل أول ٨ / ٥ ". ليحكم شاؤول على إسرائيل جميعاً أو على إسرائيل ويهوذا معا.

ويظهر شاب وسيم طموح باسم داود يتمكن بعصابة من شذاذ الآفاق وبمجموعة من الحيل السياسية والمؤامرات المدروسة، يتمكن من إنهاء حكم أسرة شاؤول ويقفز على العرش وبعدها يصبح داود هو المؤسس الحقيقى لدولة إسرائيل الموحدة. بعد أن تم تفسير تلك الأحداث السياسية وفق رؤى دينية حيث ستفسر الملكية بعد ذلك باحتسابها عهداً بين يهوه وبين داود وسلالته وأولاده يمتد إلى العهد القديم مع البطاركة الأوائل.

وتوطدت سلطة داود المركزية، ثم من بعده سلطة ولده سليمان الذى تمكن من تحجيم دور الكهنة ونفوذ الأنبياء الكثر، حتى أن داود بدأ يعين الكهنة بنفسه (انظر صموئيل الثانى ٨ / ١٧ و ٢٠ / ٢٥ ، ٢٦) ويؤدى بنفسه الوظائف الكهنوتية ليجمع بيديه السلطة الزمنية والسلطة الدينية فى ديكتاتورية متكاملة. رغم أن تقديم المحرقات أو الذبائح أو القرابين للإله كانت قاصرة على الكهنة اللاويين بأوامر الرب يهوه فى شرائع موسى، وكان العقاب صارماً لمن يفعل ذلك من غير اللاويين وينتهى بالموت. وهو السيناريو الذى تم بموجبه تصفية بيت شاؤول لأنه أقدم بنفسه على كسر احتكار الكهنة وتقديم القرابين بنفسه. لكن لأن للقوة منطقها فقد تمكن داود من أن يجمع السلطتين فى يده دون أن يخشى أحداً ولا حتى الرب يهوه نفسه، " وأصعد محرقات أمام يهوه وذبائح سلامة، ولما انتهى داود من إصعاد المحرقات وذبائح السلامة بارك الشعب باسم يهوه رب الجنود / صموئيل الثانى ٦ / ١٧ ، ١٨".

وعندما جاء ولده سليمان جازف أكثر حتى أنه عندما اختلف مع الكاهن الأكبر أبيثار " طرد . . أبيثار عن أن يكون كاهناً ليهوه " أى أنه استبعد الكاهن الأكبر ليهوه والذى كان زمن داود كاهناً أولاً لتابوت العهد فى معبد يهوه المركزى، لكن كتابع لداود الملك (انظر ملوك أول ٢ / ٢٦ ، ٢٧). وهو ما دفع بالكهنة إلى صياغة مؤامرة كبرى ضد سليمان تزعمها النبى أخيا الشيلونى (أى أخيا الذى من قرية شيلوه)، بمشاركة أحد المقربين من الملك ويدعى يربعام، ويدين المحرر التوراتى يربعام وكيف تجرأ ورفع يده على الملك (ملوك أول ٢٦/١١)، وتتضح المؤامرة من النص القائل:

وكان فى ذلك الزمان لما خرج يربعام من أورشليم أنه لاقاه أخيا الشيلونى النبى فى الطريق، وهو لابس رداءً جديداً وهما وحدهما فى الحقل. فقبض أخيا على الرداء الجديد الذى عليه ومزقه اثنتى عشرة قطعة،

وقال ليربعام خذ لنفسك عشر قطع، لأنه هكذا قال الرب إله إسرائيل: **ها أنذا أفرق المملكة من يد سليمان وأعطيك عشرة أسباط، ويكون له سبط واحد.**

ملوك أول ١١ / ٣٠ – ٣٣

والنص هنا يصبح واضحاً عندما نعلم أن يربعام هذا قد قام بثورة ضد رحبعام بن سليمان بعد موت سليمان، واستقل بعشرة أسباط **عرفت فى التاريخ باسم الأسباط الإسرائيلية**، وأقام مملكة شمالية عرفت باسم إسرائيل، وترك الجنوبية لرحبعام بن سليمان وهى التى **عرفت بمملكة يهوذا / الجنوبية**، وتفككت دولة إسرائيل المتحدة أو كل إسرائيل إلى دولتين غالباً ما كانتا بعد ذلك متعاديتين.

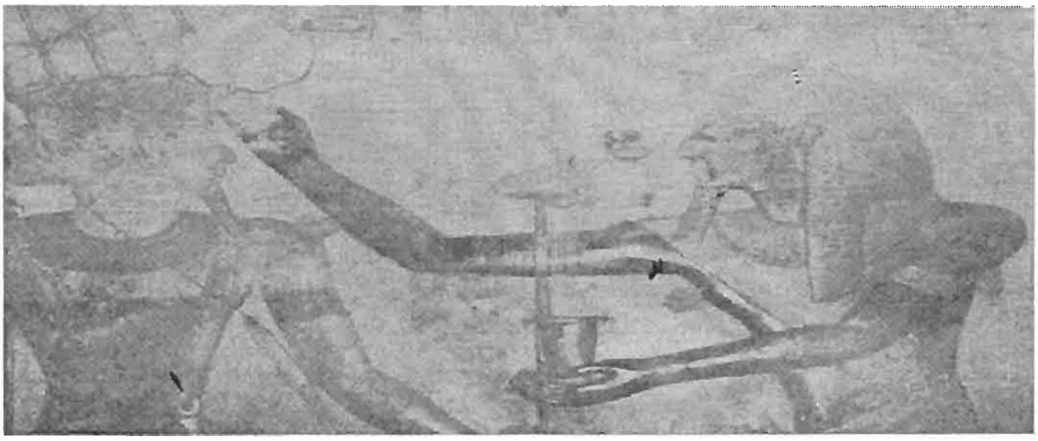
ولما كانت تلك مصيبة كبرى قد حلت بالمملكة وكان يجب الاعتراف بها، ولما كان يهوه ربا محبا لشعبه يرجو له الخير، ولأن ما حدث لابد كان قد حدث بإرادة يهوه، ولأن ما حدث كان شراً مستطيراً، لذلك لجأ المحرر التوراتى لتبرئه يهوه وإلقاء اللوم على شعبه، ولو سألنا يهوه لماذا فرقت مملكتك وشعبك؟ فإنه يرد ويقول:

لأنهم تركونى وسجدوا لعشتروت آلهة الصيدونيين ولكموش إله الموآبيين، ولملكولم إله بنى عمون.

ملوك أول ١١ / ٣٣.

وعلينا هنا أن نلاحظ أمراً له أهميته وهو أن أمهات ملوك بنى إسرائيل كن غير إسرائيليات، فداود يعود إلى جدة **موآبية** باسم راعوث، وأبشالوم ابن داود من أم **جشورية** اسمها معكة، وسليمان ابن بتشبع **الحيثية**، ورحبعام ابن سليمان من أم **عمونية** (انظر صموئيل الثانى ٣ / ٢ وملوك أول ١٤ / ٢١).

وملحوظة ثانية مهمة وهى أن الإسرائيليين عندما قرروا إنشاء مملكة والتحول إلى المركزية، لم يكن لديهم مراسم تتويج معلومة، ومن هنا **أخذوا مراسم التتويج عن مصر القديمة، وهو دهن المسحة أو المسح بالزيت**، ومن هذه المراسيم ظهرت أهم الأفكار الإسرائيلية، لأن منشأ كلمة (شيحا) العبرية يعود إلى طقس المسح بالزيت المقدس تتويجاً للملك على العرش، أو رسم منصب الكاهن الأكبر. وتمثل الطقس التتويجى بصب الزيت أو مسحه على رأس الممسوح أو جبهته، وبعد ذلك يتحول إلى شخص مقدس لا يُمّسْ، آمراً ناهيا باسم الإله (أنظر صموئيل الأول ٢٦ / ١٠)، **وبعد مسح الملك يصبح مسيحا** (؟!).



المسحة المصرية المقدسة بالدهن أو الزيت المقدس
شكل (٢)

وحتى تقوم الدولة المركزية وتتوحد مجموع القبائل المتناثرة أرجع المحرر التوراتى ذلك التوحد إلـــى الزمن القديم، فاخترع قرابات دم بين الآباء البطاركة الأوائل أسلاف تلك القبائل، وألقى بوحدة إسرائيل فـــى مرآة التاريخ القديم إلى وحدة عنصر ودم قرابية تأسيسية، رغم أننا سنعلم من هذا البحث أنهم **كانوا قبائل**

ضمن مجموعات قبلية عديدة لا ترتبط برابطة الدم قدر ما ارتبطت بروابط المصالح المشتركة.

ورغم أن سيرة داود بالكتاب المقدس تشير إلى شخص نفعى داهية يضحى بأى كم من الدماء لتحقيـــق مآربه، ويعقد التحالفات حتى مع أعداء شعبه، وكثيراً ما أظهر ورعا زائفا بينما كان يسعى لتحقيق مصـــالح دنيوية بحتة. فإن المحرر اللاهوتى اللاحق رفع داود إلى موضع المختار من يهوه شخصيا، ووضـــعه فـــى مصاف القديسين، **لأن يهوه قد غفر له كل خطاياه وآثامه**، والسبب أنه كان شديد الملاحـــة عظـــيم الســـمت جميل الطلعة وفنان أيضـــاً ينشد المزامير على آلات الطرب، " وكان أشقراً مع حـــلاوة العينـــين وحســـن المنظر . . يحسن الضرب بالعود / صموئيل أول ١٦ / ١٢ ، ١٧".

وبشأن داود يقول (روجية جارودى) فى كتابه الذى كتبه بعد إشهار إســـلامه وترجمـــه لـــه الداعيـــة الإسلامى عبد الصبور شاهين:

حينئذ بدأ الصعود الرهيب لداود الذى جعل من إسرائيل قوة سياسية. كان داود فى بداية أمره حامـــل ســـلاح لشاول (صموئيل أول ١٦ / ٢١) ثم ابعده شاول لأنه كان يغار من انتصاراته ضد الفلسطينيين (٢٨ / ٨) بل حاول قتله (١٨ / ١١ و ١٩ / ١٠)، فهرب داود فى جبال الضفة الغربية لنهر الأردن حيث كـــون **عصـــابة** مسلحة قوية للغزو (٢٥ / ١٣) كما كان يفعل الخابيرو قـــديما، **وعمـــل داود مـــع مرتزقتـــه فـــى خدمـــة الفلسطينيين** الذين كانوا فى حرب عنيفة ضد إسرائيل . . ولم يكن الأمر فى هذه الغارات أمر تحريم أو إبادة

مقدسة أمر بها يهوه الرب كما كانت الحال على عهد يشوع، إنما كانت مجرد **عمليات سطو مسلح دنيوية محضة وسياسية**، قامت بها المملكة التى سوف يشيدها داود، لا مع الفرق المجندة من الأسباط، بل مع جنده المحترفين من كل جنس . . ولما كان داود قد تزوج من ميكال ابنة شاول فقد كان صهراً للملك القديم (١٨ / ٢٢ – ٢٧)، وهو ما جعله خليفته الشرعى ، عند ذلك تدخل الفلسطينيون للمرة الأخيرة فهزمهم داود، لا بواسطة جيش الأسباط بل بالمرتزقة المحاربة. داود ورجاله (صموئيل الثانى ٥ / ١٢). (١)

ويزعم المقدس أن داود تمكن فى سنوات قلائل من إقامة دولة كبرى أخضعت بلاد جيرانها مثل آدوم وموآب وعمون، بل وأجبر الأراميين فى دمشق على دفع الجزية، وأخذ أورشليم من اليبوسيين واتخذها عاصمة لملكه. وجعل ليهوه مقراً واضحاً بنقل التابوت المتجول الذى ينام فيه يهوه، لينقله من حالة البداوة المرتحلة إلى حالة الاستقرار المدنى، وأعطى أورشليم قدسية لتصبح رمزاً لوحدة إسرائيل. رغم أن هذه القدسية كان يحوزها قبل ذلك جبل حوريب المقدس بسيناء، حيث كان يتجلى الرب المدمدم المزمجر العاصف النارى، وحيث صنع التابوت، وحيث التقى موسى بربه، وحيث تلقى موسى ألواح الشريعة، وحيث كان هناك مقر الإله وعلامات قوته **فى سيناء المصرية**.

وقد تزامن تشكيل المملكة الإسرائيلية الموحدة فى فلسطين مع فجر القرن العاشر قبل الميلاد ومع بداية تمركز الأراميين فى ممالك ببلاد الشام. ورغم أن البحوث الأركيولوجية لم تفدنا إطلاقا بمثل هذا التوسع للدولة، فهو مما يوعز بشدة أن حكاية إخضاع داود للشعوب الأخرى لم تكن سوى مبالغات من المحرر التوراتى، صاغها فى حبكة ملحمية. حيث لا دليل تاريخى ولا آثارى يؤكدها أو حتى يشير إليها مجرد إشارة، لا فى نصوص آثار فلسطين ذاتها، ولا فى أى أثر من آثار حضارات المحيط بالمنطقة جميعاً.

لكن ذلك لا يعنى شطب القصة برمتها وعدم اعتماد تاريخيتها، لأن أول تقاطع بين التوراة وبين التاريخ كعلم نجده فى حديث التوراة عن ملك حكم فى دمشق باسم (بن حدد بن طبريمون الأرامى) وهو ما جاء فى النص:

وأخذ آسا (ملك يهوذا المملكة الجنوبية) جميع الفضة والذهب الباقية فى خزائن بيت الرب وبيت الملك، ودفعها ليد عبيده وأرسلهم الملك آسا إلى **بنهدد بن طبريمون بن حزيون ملك أرام الساكن فى دمشق** قائلاً: إن بينى وبينك وبين أبى وأبيك عهداً. هو ذا قد أرسلت لك هدية من فضة وذهب، فقال انقض عهدك مع بعثا ملك إسرائيل فيصعد عنى. فسمع بنهدد للملك آسا وأرسل رؤساء الجيوش التى له على مدن إسرائيل،

(١) جارودى: فلسطين أرض الرسالات الإلهية، ترجمة د. عبد الصبور شاهين، دار التراث، القاهرة، د.ت،ص ١٢٠ ، [لاحظ أن ذلك النسق الشرعى فى وراثة العرش نسق مصرى بحت، فكانت شرعية الملك للحكم بزواجه من ابنة الملك السابق فهى صاحبة العرش / المؤلف] .

وضرب عيون ودان وآبل بيت معكة وكل كنروت مع كل أرض نفتالى.

ملوك أول ١٥ / ١٨ - ٢٠

وفى التاريخ كعلم تعطينا الوثائق اسم ملك أرامى هو (بن حدد الأول) وقد عثر قرب مدينة حلب على نصب بازلتى نذره هذا الملك باسمه **(بن حدد بن حزيون بن طبريمون)** ملك أرام دمشق للإله ملقارت، ويرجع تاريخ النصب إلى حوالى عام ٨٦٠ ق.م.

وعليه نقش يقول: " النصب الذى أقامه بن حدد بن طبريمون بن حزيون ملك أرام لسيده ملكارت الذى نذر له فسمع قوله ". ويحفظ هذا النصب الآن بمتحف حلب بسوريا[٢] والمنطق التاريخى أيضاً يجب أن يفترض وجود معارك تنافسية حول المصالح والسيادات بين دولتين تنشآن فى زمن واحد حيث يعود تاريخ نصب بن حدد إلى السنوات الأخيرة من حكم آسا، **ويصدق هنا المحرر التوراتى** ويثبت أن التوراة ليس كتابا للتلاوة الدينية والعظة الحكمية فقط، إنما هو أيضاً **مصدر تاريخى هام ووثيقة عالية القيمة**. رغم ما يشوبها طوال الوقت من تدخلات المحرر بما لديه من أوهام وأخيله وعواطف، وطموحات قادته إلى تمجيد ملوك إسرائيل تمجيداً عظيماً، يتناقض مع معلومات أخرى بذات المواضع بالكتاب المقدس تشير إلى ضعف شديد ووهن كان سمة لتلك المملكة وملوكها. كذلك لا يعرف علم التاريخ عظيما باسم داود فتح ممالك وهزم شعوبا ولا ملكا كونيا وحكيما حاز شهرة فلكية باسم سليمان. وكثيرا ما حير هذا الأمر العلماء والباحثين فلا آثار مصر ولا العراق ولا تركيا ولا الشام ولا فلسطين ذاتها تنطق ببنت شفة فى هذا الأمر. بينما تقرر رواية سفرى صموئيل الأول والثانى وسفر الملوك الأول أن داود قد أقام إمبراطورية تمتد من النيل إلى الفرات، وعليها قامت أحلام إسرائيلية كبرى فى قرننا هذا تطلب عودة الإمبراطورية الكبرى بحسبانها أمراً ربانيا وقراراً إلهياً. وتقول رواية هذه الأسفار أن تلك الإمبراطورية الكبرى قد ورثها سليمان عن أبيه داود بعد موته.، لكن رغم الهوس الأركيولوجى فى دولة إسرائيل اليوم والذى دفع إلى نبش الأرض فى كل موضع محتمل للعثور على ما يؤيد هذه الرواية، فإن كل ذلك لم يفض إلى العثور على أى أثر مباشر أو حتى غير مباشر يشير إلى إمبراطورية داود وولده سليمان.

وكل ما يمكن قوله – بفرض وجود شخص اسمه داود – أنه ربما كان واحداً **من الملوك الصغار** تمكن من رئاسة تحالف القبائل الإسرائيلية التى كانت تسكن فلسطين آنذاك، وفقط فى مناطق الهضاب، لأن المسح الأثرى لم يكشف أى وجود لبنى إسرائيل لا على الساحل الفلسطينى ولا شمالى فلسطين عند الجليل ولا فى

(٢) فراس السواح: الحدث التوراتى، سبق ذكره ..، ص ٢٨٢ .

صحراء النقب جنوباً، فقط ربما امتد هذا التواجد بالمواقع الجبلية الوسطى الممتدة من دان (تل القاضى الآن شمالاً) حتى بئر سبع جنوباً.

وقد تمكن أحمد عثمان بحق من اكتشاف مميز – إن كان هو صاحب الكشف حقاً وغير مستقى من مصدر سابق له لأن كتابه يخلو من ذكر المصادر – حيث قام بعقد مقارنات انتهى منها إلى أن محررى العهد القديم فى بابل إبان القرن السادس قبل الميلاد، قد علموا بقصة الفرعون الفاتح العظيم تحتمس الثالث التى كانت تتواتر حتى ذلك الزمن بحسبانه بطلاً تاريخياً كبيراً، وأنه أقام إمبراطورية كبرى تمتد من النيل إلى الفرات. ولازالت قصة فتوحاته كأكبر فتوحات تمت فى العالم القديم حتى زمانه مدونة على جدران معبد الأقصر، ويرى عثمان أن الإسرائيليين قد بهرتهم تلك البطولات والأمجاد، ولما كانوا طوال الوقت يعلنون ارتباطهم الوثيق بمصر، فلم يجدوا بأسا فى **استعارة تلك القصة البطولية من المأثور المصرى وإدخالها كما هى دون تعديلات واسعة فى وسط قصتهم الرئيسية عن داود.**

والمتابع للقصة بالعهد القديم يجد أن داود كان معه جيشاً مكوناً فقط من ٦٠٠ مسلح من رجال العصابات المرتزقة، وأنه دخل بهم معارك مع بنى جلدته الإسرائيليين ومع الفلسطينيين. ثم فجأة تجد تفاصيل معركة كبرى، وتتحول العصابة المأجورة إلى جيش منظم يخوض معارك عظمى عند قلاع محصنة متعددة فى بلاد الشام. ويرى عثمان أن سفر صموئيل الثانى تحديداً يحتوى على إصحاحين هما رقم ٨ ورقم ١٠ **مقتبسان بالكامل من قصة حروب تحتمس الثالث الفاتح الأعظم.** كذلك يرى أن الإصحاح الخامس يحوى جزءاً آخرِ من القصة المصرية وهو المتعلق باستيلاء داود على مدينة القدس التى كانت ترديداً لدخول تحتمس الثالث المظفر أورشليم [٣].

ولو حذفنا من قصة داود المستعار المصرى لاقتصرت على صراع داود مع شاول ثم مع ابنه ثم مع شبع بكرى من قبيلة بنيامين، وكان صراعاً على العرش وليس أكثر من ذلك، فكان داود بهذا الرأى مشغولاً طوال الوقت بخلافات العائلة والثوار الذين ثاروا عليه.

هذا ناهيك عن كون ظروف بنى إسرائيل حسبما وردتنا بالعهد القديم تتناقض تناقضاً شديداً مع مسألة الإمبراطورية والتوسع والفتوحات، فهم يظهرون فى حالة دائمة من الدفاع عن وجودهم إزاء الفلسطينيين. وهى حالة تتناقض مع استعارات كتلك التى تقول أن داود ضرب حدد عزر وذهب يرد سلطته عند نهر الفرات، بينما **لا نجد قبل كورش الفارسى أى ذكر لأى ملك من ملوك العالم القديم تمكن من مد حدود بين النيل والفرات سوى تحتمس الثالث** [٤]

---

(٣) أحمد عثمان: تاريخ اليهود، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٤، ج١، ص ١٣٦ ، ١٣٧.

(٤) نفسه: ج١ ، ص١٤٣ ، ١٤٤ .

ويرى أحمد عثمان أن محررى التوراة قد اختاروا قصة تحتمس الثالث لنسبتها إلى داود لأسباب أهمها: أولا أن تحتمس الثالث كان أول من أقام إمبراطورية تشمل العالم القديم المعروف فى زمانه، وثانيا أن اسمه (تحوت – موسى) يتطابق فى شقه الأول (تحوت) مع اسم (داود)، وفى رأينا يجب نطق (تحوت) المصرى (ضحوت) أو (ضحوض) وهو الأقرب، ويتطابق مع اسم (داود) تماماً والحاء تسقط بالتخفيف والإهمال. وسنقدم فى الفصول المقبلة الكثير عن هذا الإله. وثالثاً أن تحتمس الثالث هو الفرعون الذى دخل إبراهيم فى زمنه إلى مصر وهو الذى تزوج من سارة [٥]، **وهنا نختلف مع عثمان ونتباعد تماماً عن بقية ما يقول حتى النهاية.**

ونترك عثمان يستمر فى سرد رؤيته لنعود إلى بدايته حيث يجد ثلاثة إصحاحات خارج سياق الرواية، وضمنها ما ورد فى الإصحاح الخامس عن استيلاء داود على أورشليم ويقول هذا الإصحاح: " ذهب الملك ورجاله إلى أورشليم سكان الأرض . . وأخذ داود حصن صهيون . . هى مدينة داود "، وعاش داود فى الحصن وزاد من تدعيمه. وبدلاً من القتال المستمر بينه وبين الفلسطينيين نجد فجاة قصة حروب عظيمة خاضها داود ضد تحالف أعظم من ملوك كنعان وبلاد الشام، ويقوم داود هنا بدور البطل المغوار المهاجم الذى يغزو كل الممالك الواقعة بين النيل والفرات. وتقول النصوص المقحمة على حكاية داود الأصلية أن مركز اللقاء الحربى قد حدث عند مدينة ربة (بالعربية: الرباط / المؤلف) وكانت عاصمة بلاد عمون الواقعة شرقى نهر الأردن، ويحتمل أنها عمان الأردن الحالية. وتحكى القصة أن ملك هذه المدينة توقع مهاجمة داود له فقام بجمع ملوك دويلات بلاد فلسطين والشام تحت قيادة هدد أوحدد عزر ملك واحدة من الممالك الأرامية، وتجمعت جيوش الأحلاف عند ربة بنى عمون وقسمت نفسها قسمين واحد داخل أسوار المدينة والآخر خارج المدينة على الأرض المكشوفة بالجوار منها. وفعل داود ذات الأمر فقسم جيشه قسمين، وعند الالتحام العسكرى هربت جيوش التحالف المتجمعة في الأرض المكشوفة وأسرعت مع ملوكها بدخول المدينة المحصنة، وأغلقو الأبواب، مما اضطر داود لفرض الحصار عليها وترك جيوشه تحاصر المدينة وعاد إلى أورشليم ينتظر استسلامها. وبالفعل تمكنت جيوشه من فتح مدينة ربة" فجمع داود داود كل الشعب وذهب إلى ربة وحاربها وأخذ تاج ملكها عن رأسه ووزنه وزنة من الذهب مع حجر كريم، وكان على رأس داود، وأخرج غنيمة المدينة كثيرة جداً / صموئيل ثانى / ١٢ / ٢٩،٣٠ " [٦].

ورغم الهزيمة التى منى بها التحالف نجد حدد عزر ملك صوبة الأرامية موجوداً وينظم التمرد ضد داود مما يشير إلى وجوب استنتاج أنه هرب بجلده من الهزيمة عند ربة عمون. لكن داود يتمكن مرة أخرى من هزيمته عندما سار إلى شمال سورية حين ذهب " ليرد سلطته عند نهر الفرات ". ونصب داود تذكاراً

---

(٥) نفسه: ج١ ص ١٤٤ ، ١٤٥ .

(٦) نفسه: ج١، ص ١٤٩.

(أقام لوحة) عند نهر الفرات يخلد بها انتصاراته الكبرى. وبعد هذا النصر المؤزر استسلمت لداود كل ممالك التحالف السورى الكنعانى وأصبحوا من أتباعه " ولما رأى جميع الملوك عبيد هدد عزر أنهم انكسروا أمام إسرائيل صالحوا إسرائيل واستعبدوا لهم ". ومن ثم قام داود ينشر حامياته العسكرية في سورية وكنعان ليضمن سيطرته عليها ولضمان تدفق الجزية في مواعيدها. (٧)

ويرى عثمان أن كل ذلك السرد البطولى لا علاقة له بداود الإسرائيلى بل بتحتمس/ تحوت المصرى، ويحكى: " وكان الملك أحمس قد بدأ حكم الأسرة ١٨ فى مصر عام ١٥٧٥ ق.م عندما طرد ملوك **الهكسوس الكنعانيين** من مصر [مسألة أن الهكسوس كنعانيين بهذا القطع نخالف فيها عثمان كما سيظهر من السير فى بحثنا هذا / المؤلف] . . وجاء آمنحتب الأول فخرج إلى كنعان وجنوب سورية في مطاردة لفلول الهكسوس . . ولم يكن لآمنحتب الأول ولد فزوج ابنته إلى القائد العسكرى تحتمس [الأول / المؤلف]. وتمكن هذا الملك ـــ مع أن حكمه لم يتجاوز ١٨ سنة ـــ من الوصول بجيشه إلى جنوب الأناضول عبر الفرات، وهناك أقام لوحة سجل عليها أخبار انتصاراته . . وكان لتحتمس ابن من زوجة أخرى غير زوجته الملكية أراد أن يخلفه على العرش، فزوجه حتشبسوت ابنته الوريثة، لكن تحتمس الثانى [أى هذا الابن / المؤلف] لم يكن مقاتلاً مثل أبيه فهو لم يقم بأى معركة حربية طوال عقدين من الزمان جلس فيهما على عرش مصر. وواجه تحتمس الثانى المشكلة التى واجهها الأب من قبل، فهو لم ينجب ابنا من الوريثة حتشبسوت وكان له ابن وحيد من محظية اسمها إيزيس اراد أن يجعله وليا للعهد، ومع أن حتشبسوت أنجبت له بنتاً إلا أنها لم توافق على زواجها من ابن المحظية، فحرمته من حق خلافة أبيه عن هذا الطريق [كان حق العرش في مصر القديمة لمن يتزوج الأميرة الوريثة / المؤلف].

وبسبب عدم وجود ولى عهد شرعى في البلاد، قام الكهنة في يوم احتفال العيد بحمل تمثال آمون في تابوت، وطافوا به حول قاعة الأعمدة الكبيرة بالكرنك. وتحرك التابوت وجاء عند ابن الملك ـــ وكان مازال طفلا لا يتجاوز الخامسة من عمره. وقد التحق بالمعبد للدراسة ـــ وقاده الكهنة وأوقفوه عند قدس الأقداس في المكان المخصص للملوك، وكان ذلك تعبيراً عن أنه أصبح ابنا لآمون بالتبنى، فصار له الحق بالتالى في خلافة ابيه في العرش، من دون حاجة إلى الزواج من الوريثة. وخلف الطفل أباه على العرش باسم نفرو رع تحتمس الثالث. ومع ذلك وبسبب صغر سنه أصبحت حتشبسوت زوجة أبيه وصيه عليه، وسرعان ما أعلنت نفسها ملكة إلى جانبه. وطوال حياة حتشبسوت التى استمرت ٢٢ عاما بعد وفاة زوجها، ظل تحتمس الثالث بعيداً عن السلطة.

. . وعندما تولى تحتمس الثالث الحكم بعد أبيه كان مر حوالى أربعين عاماً خلال حكم أبيه وزوجة أبيه لم يشن الجيش المصرى أى حملات عسكرية. وكان ملك قادش الواقعة في منتصف الطريق بين دمشق

---

(٧) نفسه: ج١ ، ص ١٥٠.

وحمص في شمالى سورية قد تزعم تحالفا من ملوك سورية وكنعان في حركة تمرد على السلطة المصرية " (٨)

ويقف عثمان يرصد مقارنا فيرى القصتين تتفقان على مواجهة الملك لتحالف من ملوك كنعان وأرام بقيادة ملك أرامى عند مدينة محصنة، وفي كلا القصتين نجد جيوش التحالف مقسمة إلى قسمين أحدهما داخل المدينة والآخر خارجها وكذلك فعل الملك فقسم جيشه قسمين، وفي كلا القصتين تهزم جيوش الملك المتحالفين الذين يهرعون إلى داخل أسوار المدينة، وأن الملك بطل القصة في القصتين قد حاصر المدينة وأقام في مدينة أخرى ثم ذهب ليتسلم المدينة بعد استسلامها، وفي كلتا القصتين نجد ملك التحالف المهزوم يهرب ويعود إلى مملكته ويجمع شتات المتحالفين المتمردين مرة أخرى لكن ليسير إليهم بطل القصة ويهزمهم ثم يسترجع سلطته عند الفرات، ويقيم على الفرات نصبا تذكاريا، ويعلن كل الملوك ولاءهم ويدفعوا الجزية، ويقيم الملك البطل حاميات في كل مكان إعلانا عن نفوذه أينما كانت. (٩)

وبعدها يعرج عثمان على القصة الأصلية حيث دونت هناك في جنوب الوادي المصري على جدران معبد الأقصر بعاصمة الإمبراطورية الكبرى ليحكى لنا:

" وخرج تحتمس الثالث بجيشه من مدينة زارو الحربية عند القنطرة شرق وسار في طريق حورس بشمال سيناء متجها إلى كنعان، ووصل الملك إلى مدينة غزة وكانت ما تزال خاضعة للنفوذ المصرى، وهناك احتفل بعيد جلوسه الثالث والعشرين، وكانت المعلومات التى وصلت القيادة المصرية تفيد بأن ملك قادش جمع عدداً كبيراً من ملوك سورية وكنعان عند مدينة مَجِّدو بوسط كنعان، وكانت أكبر مدينة محصنة. فسار تحتمس الثالث بجيشه على سلسلة جبلية وعرة محاذية للبحر، وكانت هناك ثلاث طرق تؤدى لهذه المدينة، طريق ينتهى غربى مجدو والثانى يؤدى إلى جنوبها الشرقى بينما الثالث كان طريقا أشد وعورة **مع ضيق شديد،** لكن تحتمس الثالث قرر ركوب الصعب فسلك الطريق الثالث رغم خطورته لأنه الطريق الذى كان لابد سيستبعد الأعداء مجيئة منه، وكانوا قد قسموا جيوشهم قسمين، واحد داخل المدينة والآخر خارجها يقف عند نهاية الطريق الممهد ينتظرون مجيئه.

واختبأ تحتمس الثالث يومين في الجبال حتى يسمح لجيشه **بعبور المضيق،** وقسم جيشه إلى وحدتين. كان هو نفسه على رأسهما فوق عربته الحربية المطهمة بالذهب، وخرج عليهم من عند المضيق مباغتا ليجدوه في القلب من صفوفهم. وكان لظهور المصريين المفاجئ أثره فارتبك جيش الأحلاف وأخذوا يولون الأدبار تاركين الخيول والعجلات والسلاح، فانهمك أفراد الجيش المصرى في الغنيمة دون متابعة العدو واحتلال المدينة، مما أعطى الفرصة للأحلاف للتحصن داخل أسوار مجدو إغلاق أبوابها. واضطر تحتمس

---

(٨) نفسه: ج١ ، ص ١٥٠ ، ١٥٢ ، ١٥٣.

(٩) نفسه: ج١ ، ص ١٥٥ .

الثالث إلى فرض الحصار على المدينة، بينما تمكن ملك قادش الزعيم من الهرب. وذهب تحتمس الثالث ينتظرتسليم مجدو في مدينة أخرى فتحت له أبوابها دون قتال. وبعد سبعة أشهر سلمت مجدو وخرج أمراء التحالف يحملون الهدايا لتحتمس طالبين السلام، وسلموا كل أسلحتهم ومركباتهم، وعند حضور تحتمس لاستلام المدينة وقف أمامه ٣٥٠ ملك يعلنون خضوعهم لسلطان مصر.

وعاد الفرعون المنتصر إلى عاصمته المصرية في طيبة، بينما كان ملك قادش يعيد تجميع الأحلاف مرة أخرى، فخرج إليه تحتمس الثالث بعد سبع سنوات، ليستعيد نفوذه الذى سبق وأقامه جده عند نهر الفرات، وسقطت قادش وعبر تحتمس الثالث الفرات، **وأقام بجوار نصب جده التذكارى نصباً جديداً يسجل أخبار انتصاراته،** وبذلك يكون تحتمس الثاث هو الشخص الذى تنطبق عليه عبارة العهد القديم جملة وتفصيلا وكلمة كلمة وهى التى تقول عن داود أنه " ذهب ليرد سلطته عند الفرات . . **ونصب تذكاراً هناك** " [١٠]

ولا يبقى سوى اختلافات طفيفة بين القصة التوارتية وبين القصة المصرية، وهى ما يبرره عثمان بقوله: " أما استخدام كتبة العهد القديم لأسماء أخرى مثل ربة بدلاً من مجدو، وصوبه بدلاً من قادش، فهذا شئ متوقع منهم لمحاولة إخفاء الأصل الحقيقى للقصة، فمدينة ربة هى عمان الحالية عاصمة الأردن ولم تكن سوى قرية صغيرة غير محصنة في عصر داود، **أما صوبة فلم يتم العثور على موقع بهذا الاسم فى أى من المصادر التاريخية القديمة،** ومجدو (تل المتسلم حاليا حسبما يرى بعض الباحثين) التى كانت أهم المدن الحربية في كنعان موجودة داخل الإمبراطورية التى يقول سفر أخبار الملوك الأول أن داود أو رثها لسليمان، وجاءت نتيجة الحفريات الحديثة لتتكر كل ما نسبه كتبة العهد القديم من انتصارات مزعومة، ومع أنه تم العثور على ما يؤكد دمار المدن التى تقول القصة بدمارها على يد داود، **إلا أن تاريخ هذا الدمار ثبت أنه يرجع إلى عصر تحتمس الثالث فى النصف الأول من القرن ١٥ ق.م وليس فى عصر داود بعد ذلك بخمسة قرون** ". [١١]

ولنا هنا ملحوظة وهى أن المعلومات التى خالفت بها التوراة القصة المصرية ربما لم تكن مخالفة لو نظرنا إليها من وجهة نظر أخرى ستأتى فى حينها فى ثنايا عملنا هذا، **حيث سنفترض لمملكة صوبة مكانا تقع فيه، ووفق هذا الفرض سنكتشف أن مجدو كانت تقع فى الجوار منها، وأن قادش فى النصوص المصرية كانت تقع فى الجوار من صوبة فى النصوص التوراتية.**

ويتابع عثمان مقارناته فيقرأ بالعهد القديم أن داود بعدما صار ملكا على كل إسرائيل (يهوذا وإسرائيل) قام بالاستيلاء على مدينة أورشليم " ذهب الملك ورجاله إلى أورشليم إلى اليبوسيين سكان الأرض وأخذ داود حصن صهيون وهى مدينة داود ". وتعبير الملك ورجاله لا يشير إلى جيوش جرارة

(١٠)نفسه: ج١ ، ص ١٥٣ : ١٥٥.

(١١)نفسه: ج١ ، ص ١٥٦ ، ١٥٧.

تفتح البلاد وتهزم الملوك إنما يشير إلى عصابة تتكون بحد أقصى من ٦٠٠ مقاتل. وقد اعتمد داود خطة ذكية لدخول مدينة أورشليم المحصنة، فقد كانت المدينة تقوم على هضبة مرتفعة، وكانت تحصل على المياه من نبع في أسفل الوادى بأسفل المدينة عبر ممر محفور تحت أسوار المدينة يصل إلى عين الماء، وكان يمكن الحصول على الماء أثناء الحصار بهذا الشكل دون أن يخرجوا من المدينة المرتفعة. وكان داود يعرف هذا الأمر فأعلن أنه سيكافئ الرجل الذى يمكنه أن يتسلق البئر إلى داخل المدينة ويفتح أبوابها بتعيينه رئيساً على رجاله، وهكذا تمكن داود من الاستيلاء على أورشليم، لكن عثمان يعقب بأنه قد " **عجز الأثريون عن العثور على بقايا تدعم هذه الرواية** " [١٢]، لكن فى واقع الأمر أن عثمان لا يعرف أنه قد تم العثور على ذلك الموقع جميعه وبتفاصيله الدقيقة مع الأثر الأركيولوجى المدون الذى يحكى قصة حفر النفق بين المدينة العالية وبين مصدر المياه البعيد المنخفض.

معروف أن أورشليم التى كانت تعرف بمدينة اليبوسيين نسبة إلى قبيلة يبوس التى سكنتها واتخذتها مدينة منيعة وقلعة حصينة، كانت تقع بكاملها إلى الجنوب من أورشليم الحالية على سلسلة تلال القدس الشرقية، **وقد تطابقت جغرافية المدينة وطبوغرافيتها المكتشفة مع عرض العهد القديم بشأنها**. فقد بنيت المدينة على الجزء الجنوبى من السلسلة الشرقية وبنى الهيكل على الجزء الأوسط منها أما الجزء الشمالى فلم يكن ضمن المدينة القديمة ويقع حاليا ضمن مدينة القدس. وتحيط بأورشليم التلال من جوانب ثلاثة كما هو واقع وكما هو وارد فى (مزامير ١٢٥ / ٢)، فإلى الشمال الشرقى يقع جبل المشهد أو جبل المشارف ويسمى أيضاً جبل سكوبس. وإلى الشرق يقع جبل الزيتون وفى الجنوب جبل المكبر.

وأما الوديان فيقع وادى قدرون شرق أورشليم بين المدينة وبين جبل الزيتون، وكان يسمى وادى يهو شافاط أيضا (يوئيل ٣ / ١٢) ويسميه العرب وادى الست مريم. وفى الغرب بين سلسلة التلال الشرقية والغربية يقطع المسافة وادى تيبريون ويسميه العرب اليوم (الوادى) فقط، وإلى الغرب من التلال الغربية يقع وادى هنوم الذى يسميه العرب الآن وادى الربابة.

وقد أثبتت التنقيبات أن المدينة تعود إلى مطلع الألف الثالث قبل الميلاد زمن عصر البرونز الأول، ويبدو أنها كانت مدينة صغيرة بدون أسوار. ومع مطلع الألف الثانى قبل الميلاد تظهر دلالات انقطاع حضارى وسكنى يبدو أنه قد حدث إبان الموجة الهكسوسية التى احتلت مصر حوالى ذلك الزمان. ومع مطلع عصر البرونز الوسيط يلاحظ انتعاشاً جديداً وتظهر المدينة اليبوسية التى تم العثور على سورها وتزمين بنائه بحوالى **عام ١٨٠٠ ق.م، وهى الفترة التى ظهر فيها لأول مرة اسم أورشليم فى نصوص مصر** [١٣].

---

(١٢) نفسه: ج١ ، ص ١٦١.

(١٣) KathLeen Kenyon, Digging up Jerusalem, Ernest Ben, London, ١٩٧٤, pp ٧٦ -٨٣.

وكان موضع المدينة محاصراً بنبع جيحون فى وادى قدرون وكان المصدر الرئيسى لمياه الشرب، ومن ثم تم بناء السور قرب النبع لحمايته أثناء الحصار، لكنه من جانب آخر بنى بحيث لا يهبط نحو الوادى فيكشف المدينة والمدافعين عنها، ومن هنا **تم حفر نفق تحت الأرض بين المدينة والنبع يمر أسفل السور وتم الكشف عنه،** وهو القناة المذكورة فى الرواية التوراتية والتى نفذ منها القائد يوآب ومجموعته لاقتحام المدينة بطلب الملك داود، كما فى سفر صموئيل الثانى ٥ / ٨ وأخبار أيام أول ١١ / ٦ ، ٧.

ومن أهم أعمال الملك اليهوذى حزقيا الباقية للآن هو سحبه مياه نبع جيحون إلى قناة تمر تحت مدينة أورشليم حتى وادى تبريون لتصب فى بركة سلوام فى موقع محصن، لمنع الآشوريين من السيطرة على مصدر المياه الوحيد الذى يغذى المياه، " وحزقيا هذا سد مخرج مياه جيحون الأعلى وأجراها تحت الأرض إلى الجهة الغربية من مدينة داود وأفلح حزقيا فى كل عمله / أخبار أيام ثانى ٣٢ : ٣ ، ٤ ، ٣٠ ". ولم تزل بركة سلوام موجودة وتعرف اليوم باسم بركة سلوان، ويعرف نبع جيحون باسم نبع العذراء، وقد اكتشف المنقب وارن Warren القناة فى ١٨٦٧م. ونظفها المنقب باركر Parker فى ١٩١١م وتابع العمل بها بعثة الأركيولوجية كاثلين كينيون ١٩٦١ ــ ١٩٦٧، ويتطابق مجرى القناة المكتشفة الآن مع وصف سفر أخبار الأيام الثانى (١٤).

وقد تم العثور على نقش حجرى يصف اللحظة الأولى لا نتهاء حفر القناة اليبوسية تحت المدينة وكيف التقى فريقى الحفر القادم كل منهما من الاتجاه المعاكس، ويقول النقش: " بينما النحاتون يرفعون فأس الحفر كل تجاه رفيقة، وبينما بقى ثلاثة أذرع للنحت، سُمع صوت رجل ينادى أخاه لأنه وجد ثقبا فى الصخر من ناحية اليمين، وفى يوم انتقابة ضرب النحاتون رجل أمام رجل وفأس على فأس، وسالت المياة من النبع إلى البركة مسافة مائتين وألف ذراع ومائة ذراع، وكانت قمة الجبل فوق رأس النحاتين " (١٥).

ولأن أحمد عثمان فيما يبدو لم يتابع تلك الكشوف فقد أنكر قصة أولئك الجنود الذين دخلوا المدينة عبر النفق والقناة واحتسب أورشليم هى المدينة التى استراح فيها الملك الفاتح داود أو تحتمس سبعة أشهر، كانت هى مدة حصار ربة كما فى قصة داود أو حصار مجدو كما فى قصة تحتمس، وأنها كانت مدينة صديقة للفاتح فتحت له أبوابها دون قتال ورحبت به لذلك أطلق عليها منذ ذلك الحين اسم مدينة السلام أو أورشليم (١٦).

---

(١٤) فراس السواح: الحدث التوراتى والشرق الأدنى القديم، دار علاء الدين، دمشق، ط٢ ، ١٩٩٣،ص ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٥٠ ، ١٥١.

(١٥) إسرائيل ولفنستون: تاريخ اللغات السامية، دار القلم، بيروت ، ١٩٨٠ ، ص ٨٣ .

(١٦) أحمد عثمان: تاريخ اليهود ، سبق ذكره ، ج١ ، ص ١٦٢، ١٦٣.

هذا رغم أنه كان بإمكان عثمان المتابعة وافتراض أن قصة دخول المدينة عبر النبع والقناة قد حـدثت بأمر من تحتمس الثالث، وليس داود، خاصة وأن أورشليم لم تكتسب اسمها زمن تحتمس الثالث كما يـذهب عثمان إنما أبعد من ذلك بكثير، وقد سبقت إشارتنا إلى أن أول ظهور لهذا الاسم كان فى النصوص المصرية حوالى ١٨٠٠ ق.م، **أى قبل زمن تحتمس الثالث بحوالى أربعة قرون كاملة،** ورغم ذلك يصر عثمان ويتابع القول إن " هذه المدينة التى انفردت بإعلان السلام مع الملك المصرى فى تلك المعركة أصبح السلام جـزءاً من اسمها منذ ذلك التاريخ، فهى صارت معروفة على أنها مدينة السلام أو أورشليم . . والمدينة التى يسميها العرب قدس أو بيت المقدس لم تعرف فى أى من المصادر القديمة باسم أورشليم إلا بعـد عصـر تحـتمس الثالث " [١٧].

ويرى عثمان أن تحتمس الثالث لم يذكر فى قائمة المدن الكنعانية التى أخضعها مدينة باسم أورشـليم، لذلك افترض أنها تلك التى جاءت فى نصوصه باسم قادش الذى هو اسم القدس الحالية، هذا **بينما سـنفترض نحن لقادش افتراضا آخر سيأتى فى حينه.**

وكما قدم عثمان قراءته الجديدة لأهم السجلات المقدسة حول المؤسس الحقيقى لدولة إسرائيل الموحـدة أو كل إسرائيل المعروف باسم داود، وأبان عن ميل شديد من المحرر التوراتى إلى نسبة الأعمال العظيمـة لبنى إسرائيل كما حدث مع تحتمس الثالث و داود، فإنه يعرج على مبالغات المحرر التوراتى بشـأن مملكـة سليمان الأسطورية ليكشف لنا انها لم تكن سوى تسجيل لصدى أيام حكم الفرعون المصرى آمنحتب الثالـث، هارون رشيد العالم القديم. لكنه يقول لنا هذه المرة أن هناك مصادر أساسية لتلك المقارنة ثم لا يذكرها لنا، فهو يؤكد أنه قد " **لاحظ كثير من المؤرخين** الشبه الشديد بين قصة سليمان كما وردت فـى سـفر الملـوك الأول، وتفاصيل حياة آمنحتب الثالث تاسع ملوك الأسرة ١٨ المصرية والذى حكم لمدة ٣٩ عاما عند بدايـة القرن الرابع عشر قبل الميلاد " [١٨].

وعن هؤلاء المؤرخين الذين (لاحظوا) يأخذ عثمان ثم يحكى. " كان آمنحتب الثالـث يسـيطر علـى معظم أرجاء العالم المعروف فى زمانه . . وعندما توفى والده تحتمس الرابع كانت الأمور استقرت للملـك الصغير الذى تولى الحكم وهو لم يتجاوز الثانية عشرة من عمره . . وعمد آمنحتب الثالث إلى الزواج مـن أميرات ممالك الإمبراطورية، وتبادل الهدايا مع الملوك خصوصا الذهب الذى كانت مصر تحصل عليه بكثرة من مناجم أفريقيا . . وفى العام العاشر لحكمه **تزوج آمنحتب الأميرة جيلوخيبة ابنة شورتانا ملـك ميتـانى بشمال ما بين النهرين،** وجاءت العروس إلى مصر فى موكب كبير ومعها ٣١٧ امـرأة مـن الوصـيفات للانضمام إلى حريم الملك ".

---

(١٧) نفسه: ج١ ، ص ١٦٣ .

(١٨) نفسه: ج١ ، ص ١٧٢ .

" .. وعاد آمنحتب فتزوج أميرة أخرى من ميتانى وأميرتين من بابل وأميرة من سوريا إلى جانب زوجاته المصريات " [١٩].

ثم يتابع " عندما جلس آمنحتب الثالث عل عرش مصر كان الثراء قد وصل درجة لم يصل إليها من قبل ولا وصل إليها فى أى عصر لاحق، واستطاع الملك الذى ساد السلام فى عصره أن يستخدم هذا الثراء فى البناء سواء فى مصر أو فى بلاد سورية وكنعان، فشيد المعابد والقصور والمدن المحصنة، وكان لوجود عدد كبير من أسرى الحروب فى ذلك الزمان أثر فعال " [٢٠]

ثم يعقد المقارنات مع قصة العهد القديم التى تتحدث عن ثروة سليمان التى كانت تأتيه من الممالك الخاضعة له " وكان وزن الذهب الذى أتى سليمان فى سنة واحدة ستمائة وستين وزنة ذهب ". وكانت فترة حكم سليمان فترة سلام فلم يقم بأى حروب طوال سنى حكمه الأربعين، لذلك استعمل تلك الثروات فى المعمار والإنشاء كبناء قصر الملك وبناء المعبد والهيكل ، استخدم فيه جيشاً من البنائين جمعه من بين الشعوب التى خضعت له، كما امتلأ قصره بالغيد الحسان من زوجات وجوارى وصل عددهم إلى ما يربو على الألف امرأة، ويلاحظ عثمان أن **كل النسوة لم يكن بينهن واحدة فقط من بنى إسرائيل؟!** [٢١].

ثم يقول : " وبينما لم يتم العثور على أية بقايا لكل هذه الإنشاءات ترجع إلى القرن العاشر ق.م الذى عاش فيه سليمان، **نجد الأدلة كلها تؤكد أن هذه الأعمال نفسها تمت من أربعة قرون قبل ذلك فى عهد آمنحتب الثالث** . . والبعثة الأمريكية التى قامت بالكشف عن القصر الذى بناه آمنحتب الثالث غرب الأقصر أكدت أنه كان مكونا من البيوت نفسها التى ورد ذكرها فى قصة سليمان، ومازال خشب الأرز اللبنانى قائما هناك " [٢٢] . . وإن هذه الإمبراطورية الإسرائيلية الوهمية اختفت تماما كالسراب فى قصص العهد القديم نفسه **بمجرد أن وارى التراب جثة سليمان، فلا قصور ولا حصون ولا جيش جرار ولا سفن تجوب البحر إلى أوفير ولا خشب من صور ولا جزية من أرام سورية أو من موآب وآدوم فى الجنوب**. وعادت القصة إلى الصورة الأصلية لقبائل بنى إسرائيل المنتشرة على سفوح الهضاب الفلسطينية فى حالة مستمرة من الدفاع عن النفس أمام قوى كانت دائما أكبر منها بكثير ". [٢٣]

والمعلوم أنه بعد موت سليمان انقسمت المملكة إلى يهوذا فى الجنوب وإسرائيل فى الشمال، بينما قام الفرعون شيشنق المصرى بمهاجمة مملكة يهوذا، ولم تسجل نصوصه شيئاً عن مملكة قوية فى فلسطين ولم

---

(١٩) نفسه: ج١ ، ص ١٧٢ ، ١٧٣ .

(٢٠) نفسه: ج١ ، ص ١٧٢ .

(٢١) نفسه: ج١ ، ص ١٦٩ ، ١٧٠ .

(٢٢) نفسه: ج١ ، ص ١٧٤ .

(٢٣) نفسه: ج١ ، ص ١٧٧ .

يذكر شخصا باسم سليمان ولا بالإشارة، بينما كان العهد القديم يشير إلى مملكة وصل نفوذها إلى الفرات وطبقت شهرة ملكها سليمان الآفاق، ومن ثم يعقب فراس السواح بالقول: " فإما أن التاريخ قد أحبك مؤامرة صمت مقصودة، وإما أن هذه المملكة الموحدة لم يقم لها قائمة إلا فى خيال المحرر التوراتى، . . فلم يتم العثور على بنية واحدة من بناها. وعلم الآثار كما تقول السيدة كينون لا يستطيع تقديم أية فكرة عن مدينة العصر الذهبى وثرائها وقصور سليمان التى بناها له ولزوجاته " (٢٤).

ثم يعقب: " وفى قصة زواج الملك سليمان من ابنة الفرعون يقع المحرر فى تناقض يظهر الطابع الخيالى لنفوذ سليمان الداخلى والخارجى . . فقد صعد فرعون مصر المجهول الاسم على فلسطين وأخذ مدينة جازر، وهذه لا تبعد عن أورشليم أكثر من بضع عشرات من الكيلو مترات، وهكذا نعرف مدى **النفوذ الفعلى للملك سليمان الذى وصلت سلطته إلى الفرات وكان عاجزاً عن ضم مدينة كنعانية** قوية لا تبعد إلا رمية حجر من عاصمته " (٢٥).

ثم يتساءل السواح: " وإذا كانت سلطة داود قد وصلت الفرات فلماذا لم يصطدم بالآشوريين؟ ولماذا خلا الخبر التوراتى من أى ذكر لهم ولتواجدهم فى عبر النهر؟ ولماذا لم يرد ذكر لداود فى الوثائق الأرامية التى اكتشفت فى عواصم ومدن ممالك أرام عبر النهر؟ . . هذا المحرر لم يكن يقصد إلى تقديم نص تاريخى موثق عن حروب داود بل إلى تزيين سيرة هذا الملك الملحمى بأخبار حروب جمعها من الذاكرة القبلية للمنطقة " (٢٦).

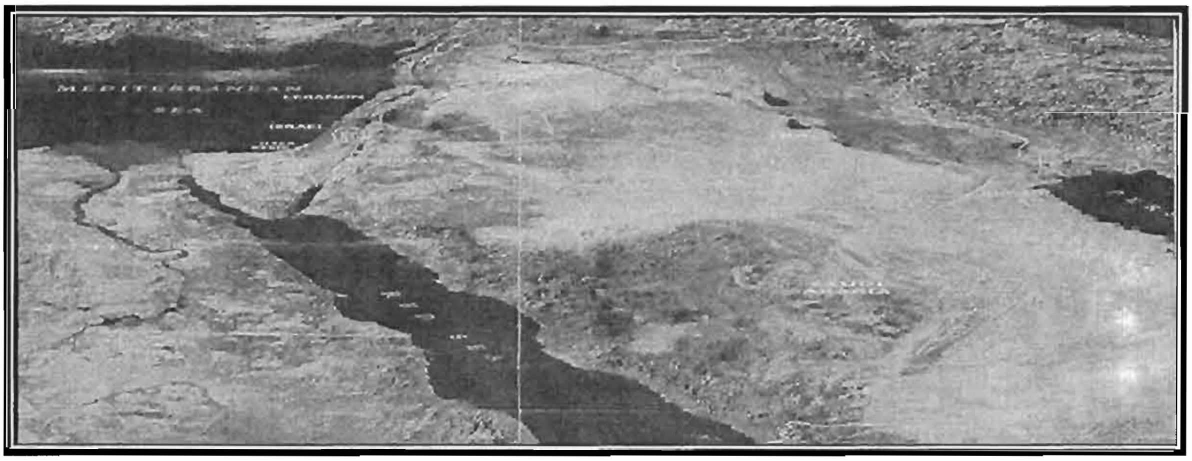
أما (زياد منى) فيقول بشأن ما جاء عن سليمان ومُلكه وحكمته فى العهد القديم: " إن المحرر اتخذ موقفاً منحازاً لسليمان بن داود ولا يمل من كيل المديح له، لكن المتابعة الدقيقة لعهد سليمان التوراة تبين أنه **كان أبعد ما يكون عن الحكمة،** فولعه غير العادى بالنساء جعله يستحق صفة **زير نساء من الطراز الأول،** أما ضعف مقاومته لكافة أنواع البذخ والترف ومتع الحياة الدنيا فجعله أبعد ما يكون عن الحكمة وأقرب للولد العاق الذى أضاع الثروة التى قضى الأب عمره فى جمعها . . فالتوراة تسجل فى سفر ملوك أول ٩ / ١٠ – ١٣ بصريح العبارة أن سليمان اضطر للتنازل عن بعض أقاليم مملكته وإجراء تعديلات حدودية لرد بعض الديون التى استحقت عليه من قبل بعض الممالك المجاورة. كما أن اهتمامه وبطانته ببذخ الحياة هى التى أدت بلا شك إلى تراخى جيشه التى عُبر عنه بفقدان بعض أقاليم مملكة داود / سفر ملوك أول ١٤ / ١١ – ٢٢. فأية حكمة هذه التى تؤدى إلى انهيار المملكة فور موت ملكها. إن تقسيم مملكة داود إلى إسرائيل ويهوذا بعد وفاة سليمان كانت النتيجة الحتمية لسياسة الأخير **التى يمكن نعتها بأى صفة باستثناء الحكمة،** أما

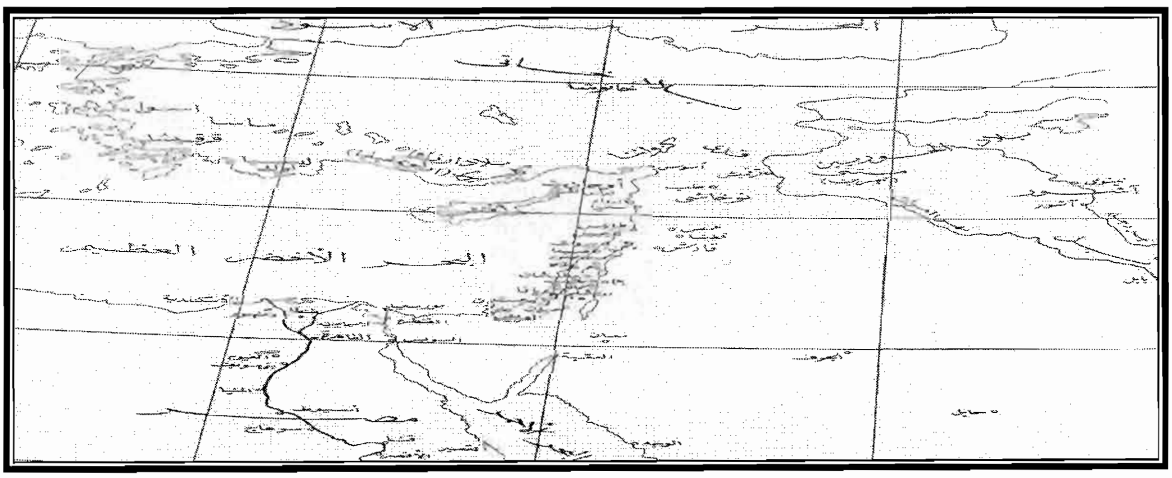
(٢٤) فراس السواح: أرام دمشق : سبق ذكره . . ، ص ١٤٩ ، ١٥٠.

(٢٥) نفسه: ص ١٤٧ .

(٢٦) نفسه: ص ١٣٢ .

الأحاديث التوراتية المطولة عن إنجازات عهده فلا يمكن أخذها جديا لأنها تـدخل ضـمن التـراث الأدبـي الشعرى العام، هذا عدا أنها لا تنقل لنا أى عمل مادى محدد، وفيما يتعلق بمسألة الهيكل فمـن الضـرورى الإشارة إلى **أن علماء التوراة - كثيراً فى الخفية وقليلاً علنا - لا يقبلون الإدعاء بأن سليمان التوراة قـام ببناء أى معبد،** بل أنهم مقتنعون بأن الهيكل لم يكن أكثر من قاعة أو غرفة فى القصر الملكى . . إن سياسة سليمان التى قامت على استعباد الشعوب الأخرى المقيمة بالمملكة واستثنائها من المشاركة فى السلطة شكلت القاعدة الوحيدة لموقف المحرر الإيجابى تجاهه . . وهذا هو منبع مديح الكهنة لسليمان وعهـده . . كمـا أن سليمان على عكس أبيه داود شارك المحرر الكهنوتى فى وجهة نظره القائمة علـى حصـر إسـرائيل فـى مجموعة معينة، وعمل على تطبيق ذلك نصا وروحا " [٢٧].





خريطة رقم (٢) خريطة لمواقع الأحداث القديمة حسبما رأى المؤرخون

(٢٧) زياد منى: بنو إسرائيل: جغرافية الجذور ، الأهالى ، دمشق ، ١٩٩٥ ، ص ١١٨ ، ١١٩.

التاريخ النبوى

أبداً لم يحتسب اليهود ولا كتابهم المقدس أن البطاركة الأوائل (إبراهيم وإسحق ويعقوب والأسباط) أنبياء، بقدر ما كانوا أسلافا لهم قدسيتهم لاتصالهم المباشر بالآلهة. وكان أول من وصف بصفة نبى - فى التوراة - هو موسى سليل سبط (ليفى) أو (لاوى) الذى قاد حملة الخروج من مصر عبر سيناء باتجاه فلسطين.

وبعد موسى تواتر ظهور الأنبياء بكثافة خاصة بعد انقسام مملكة سليمان، وظهروا بمظهر القدرة على تلقى وحى الرب المعروف فى المقدس باسم (روح الرب). وهى القدرة المزعوم أنها منحتهم استطاعة التنبؤ بأحداث المستقبل وقدرة قراءة المغيبات.

واصطلاح (نبييم) هو جمع كلمة (نابى) أو (نبى) العبرية من (نبا) أى خرج وارتفع وظهر أو خالف القطيع، لكنها - نتيجة كثرة الأنبياء وسلوكهم - اتخذت دلالة الهذيان والخبال، فبعضهم كان هاذيا مخبولا وبعضهم كان صادقا فى تمنياته التنبوئية، وبعضهم كان صاحب طموحات دنيوية محض يريد تحقيقها عبر هذا الهذيان النبوى، وبعضهم كان قاسيا يقرع أسماع شعبه بالقول الغليظ ويتوعده بعقوبات عظيمة، أو بهجوم الشعوب الأجنبية عليهم. تلك الشعوب التى تحولت لدى الأنبياء إلى أداة وعصاة عقاب وتأديب يستخدمها يهوه لتأديب شعبه المختار. وعادة ما كان هؤلاء يختتمون نبوءاتهم بعزاء انه إذا سار الشعب الإسرائيلى فى طريق يهوه وتاب عن خطاياه، فإن يهوه سيظهر حبه لشعبه المختار من جديد. أما البعض الآخر فقد وجد فى امتهان النبوة مصدراً للربح الوفير دون جهد يذكر، لذلك تتحفظ الأسفار المتأخرة ويحتاط المحررون إزاء الأنبياء، كما جاء فى سفر حزقيال:

فإذا ضل النبى وتكلم كلاما، فأنا الرب قد أضللت ذلك النبى، وسأمد يدى عليه وأبيده من وسط شعبى إسرائيل.

حزقيال ١٤ / ٩

وكانت كثرة الأنبياء لا تتناسب مع عدد سكان البلاد، وهو مما يؤخذ من قول سفر الملوك عن عدد الأنبياء زمن ملك واحد " فجمع ملك إسرائيل الأنبياء نحو أربعمائة / ملوك أول ٢٢ / ٦ " .

وكان بإمكان هؤلاء الأنبياء إشعال الحروب وخلع الملوك وتنصيب من يريدون، وكانوا من رجال الدين غير النظاميين واشبه بالدراويش اليوم، فلم يخضعوا لهيكل من الهياكل بل يزعمون تلقى الوحى مباشرة من يهوه الذى تتملك روحه النبى فينطق بلسانه.

وعادة ما نجد بعضهم فى صف الشعب يدافعون عن قضاياه ضد المؤسسة الدينية الرسمية وكهانها المسيسين، وقد ظهر سلطانهم ونما منذ القرن العاشر قبل الميلاد، ولم يأت منتصف القرن التاسع قبل الميلاد حتى أصبحوا أهم عناصر الجماعة الإسرائيلية، بل وربما قام بعضهم أحيانا باتصالات مع الدول المعادية لتقويض نظام وسلطان الداخل المرفوض.

ويقول (تيودور روبنسون): إنه كانت " تعتورهم حالة نفسانية غريبة نسميها نحن الوجد تشبه أعراضها أعراض الغيبوبة أو الصرع، ويزعمون أن مرجع ذلك إلى أن الشخص قد حل فيه إله . . والعجيب أنها كانت حالة معدية قد تنتقل من شخص لآخر. وقد نزع الأنبياء والواجدون إلى التجمع وتأليف الفرق وتعلموا كيف يبتعثون هذه الحالة الخاصة بهم برياضات شتى كالرقص أو اصطناع الموسيقى أو تناول العقاقير"[١] .

وسلك بعضهم سلوكا نافراً غريبا من باب المخالفة الواضحة كالزواج من الدواعر والزانيات العلنيات، أما جميعهم فكانوا يثيرون الدهشة بالسير عراة تماماً كما ولدتهم أمهاتهم رمزاً للتخلى عن الدنيا الفانية. ولا

---

[١] تيودور روبنسون: إسرائيل فى ضوء التاريخ، ترجمة عبد الحميد يونس، المجلد الثانى من تاريخ العالم، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د.ت، ص ١١٥، ١١٦ .

يفوتنا هنا التأكيد أنه كان فى فلسطين أنبياء آخرون من أهل البلاد من أتباع الإله الزراعى بعـل، وقـد ذاع صيت نبى موآب المدعو بلعام بن بعور الذى ورد ذكره بالعهد القديم كمناصر للإسرائيليين ضد شعبه، ممـا يشير إلى مكافأة كبرى من إسرائيل لذلك النبى الخائن لملته وشعبه، نـاهيك عن كون تلـك الكثـرة جعلـت أنبياء إسرائيل عادة يكذبون بعضهم بعضا.

وكان لسلوك الأنبياء ما جعلهم أحياناً فى نظر الطبقات المحترمة والراقية مصدر نفور واحتقار، وهـو ما عبر عنه (م. ريجسكى) بقوله: " إن الذين كانوا يصبحون أنبياء . بالإضافة إلى سلوكهم الغريـب **أثنـاء الشغل** عندما يهتاجون بسبب الموسيقى الوحشية لآلاتهم الموسيقية، فيصلون إلى حالة النشوة ويخلعون ثيابهم ويصرخون ويقفزون ويكيلـون الضربات لأنفسهم، كان يستدعى لدى الناس موقفـا فيـه بعـض الازدراء تجاههم، ولم يكن نادراً أن يصبحوا مادة للسخرية، فسكان جبعة جيران شاول (جميع الذين عرفوه منذ أمـس وما قبله) حين رأوه (يتنبأ مع الأنبياء) راحوا يسألون بدهشة: (أشاول أيضاً من الأنبياء . . ومن هو أبوهم؟)، ولم يكن معنى ذلك أبدا: كيف يتواجد رجل دنيوى وسط أناس ورعين كهؤلاء، بل على العكس مـن ذلـك: كيف وجد ابن شخص محترم مثل يس، شاب من عائلة جيدة، فى مجتمع ردئ كهذا؟ لقد كان البعض يعتبـر الأنبياء أناس مجانين ويتخذ منهم الموقف المطابق لذلك: (لماذا جاء هذا المجنون إليـك ؟ ملـوك ثـانى ٩ / ١١)" [1].

هذا كلام (ريجسكى) فى كتابه (أنبياء التوراة والنبؤات التوراتية) وهو الذى سنعتمده جميعا الآن فـى قراءة أخرى لتاريخ إسرائيل عبر أسفار الأنبياء التى تم تدوينها فى العهد القديم، كدرس يمكن معـه معرفـة كيفية الخروج من حبائل وشراك الظروف التى مر بها تحرير العهد القديم، لقراءته كوثيقة تاريخيـة يمكـن الاطمئنان إلى المعلومة الواردة فيها دون الوقوع فى أخطاء كبرى. ومن ثم فلن نراعـى. الترتيـب الحـالى لأسفار هذا الكتاب، بل **سنراعى ترتيب الأحداث نفسها.**

ومن أهم الأنبياء كان عاموس أول من أخذ على عاتقة مهمة تبرئة يهوه من نقض عهده مع إسـرائيل. وقد عاش فى السنوات الأخيرة لحكم الملك الإسرائيلى يربعام بن يـوآش الذى حكم من ٧٨٣ إلى ٧٩٣ قبل الميلاد، وكان عاموس من قرية تقوع الواقعة جنوبى بيت لحم فى مملكة يهوذا الجنوبية.

ينظر عاموس حوله فيجد الأغنياء يمرحون فى بذخ وترف وذهب وخمر، وكان بإمكانهم تقديم القرابين ليهوه ليرضى، بينما الفقراء فى ضنك شديد ولا يملكون حق القربان لتقديمه ليهوه لينظر إليهم وإلى مشاكلهم، ومن هنا يقف عاموس يعلن وحى يهوه إذ يقول:

بغضت، كرهت أعيادكم، ولست ألتذ باعتكافاتكم، إنى إذا قدمتم لى محرقاتكم لا أرتضى، وذبائح السلامة من مسمناتكم لا ألتفت إليها، إبعد عنى ضجة أغانيك، ونغمة ربابك لا أسمع

عاموس ٥ / ٢١ - ٢٣

لقد بدأ الحس بالفوارق الاجتماعية يتضح ويعلو زمن عاموس الذى أعلن أن يهوه لـم يعـد يرضـى بالثيران السمينة والعزف فى معبده، أنه يريد الآن العدل. والآن كيف سيتدخل يهوه؟ كان عاموس لـم يـزل يؤمن بفكرة **الجزاء الجماعى** ومسؤولية الكل عن خطأ البعض ومن هنا أعلن يهوه بلسان عاموس.

قد أتت النهاية على شعبى، لا أعود أصفح بعد

عاموس ٨ / ٢

إن أثرياء الشعب المختار لم يكتفوا بظلم الفقراء من بنى إسرائيل، بل ذهبوا يسجدون للعجول فى بيت إيل وفى الجلجال وفى بئر سبع، ولهذا قرر يهوه عقاب شعبه على خطاياه وجرائمه، وباسـم الإلـه انهـال عاموس بالوعيد على من تخيلوا أنه بإمكانهم رشوة يهوه بالقرابين لكسب رضى الكهنة الكسالى المتخمـين. ولذلك كان عاموس أول نبى يعلن أن سبب غضب يهوه الآتى هو **خطايا أصحاب الثـروة** والجـاه، ولـذلك

[1] م. ريجسكى: أنبياء التوراة والنبوءات التوراتية، ترجمة د. آحو يوسف، دار الينابيع، دمشق، ١٩٩٣، ص ٤٣ (سنعتمد فى هذا الفصل جميعا تقريباً على هذا الكتاب، ويجدر بالتنوية تحيـة الترجمة المتميزة وتحقيق النصوص على التوراة العربية / للدكتور آحو يوسف)

سيعاقب الشعب جميعه، لكن الأغنياء سيحظون بنقمة أعظم في (يوم يهوه). وكان عاموس أول من قال بفكرة (يوم يهوه) الذي يحمل دلالة حساب الإسرائيليين على ما قدمت أيديهم

ويل للذين يشتهون يوم يهوه، لماذا لكم يوم يهوه؟ هو ظلام لا نور

عاموس ٥ / ١٨

لكن أبداً لم يصل عاموس ولا بقية الأنبياء من بعد بفكرة العدل الاجتماعي إلى نهايتها المنطقية، بالدعوة إلى مقاومة الاستغلال والظلم، لسبب بسيط في كل الأديان، وهو **أن تلك الدعوة تتناقض جوهريا مع صلب المشيئة الإلهية التي توزع الأرزاق بمعرفتها.** فقط كان عاموس غاضبا من الظلم الواقع على الفقراء من أولئك الذين يصورهم

المضطجعون على أسرّة من العاج، والمتمددين على فرشهم، والآكلين خرافا من الغنم وعجولا من وسط الصيرة. الهاذرين مع صوت الرباب، المخترعين لأنفسهم آلات الغناء **كداود**، الشاربين من كؤوس الخمر والذين يدهنون بأفضل الأدهان.

عاموس ٦ / ٤ – ٦

لذلك قام عاموس يتوعد شعب إسرائيل بالسبي والأسر على يد أمة قوية، لكنه كان يطمئن المخلصين أنهم سيعودون بيد يهوه من الأسر إلى فلسطين، لبناء المدن الخاوية " ولن يُقلعوا من بعد من أرضهم التي أعطيتهم، قال يهوه إلهك / عاموس ٩ / ٨ – ١٥".

كان عاموس مشغولا بالظلم الاجتماعي أكثر من انشغاله بتحقير الآلهة الأخرى للشعوب، فقد ثبت **أن الشعوب الأخرى قوية بما فيه الكفاية للدلالة على قوة آلهتها؛** لذلك ظلت فكرة التعددية قائمة لديه مع تفضيل يهوه عن بقية الآلهة، فهو مثلاً يعبر عن سر هزيمة شعب موآب على يد الملك الإسرائيلي عمرى، بأن شعب موآب انصرف عن ربه البعل كموش وأهمل وصاياه " لأن كموش غضب على شعبه "؟!

واتخذ عاموس من ذلك مثلاً لما سيحدث مع الإسرائيليين الذين اغضبوا يهوه، فقام يتنبأ بسبيهم ودمار بلادهم. لكن عاموس – مع بعض الغموض – يضع أحيانا مصائر الشعوب الأخرى بيد يهوه، **في رؤية بدائية لعالمية الرب.** فموآب هزمت لأن ربها كموش غضب عليها، ولأن يهوه شارك أيضاً في عقاب موآب لأنهم عندما هزموا بلاد آدوم " أحرقوا عظام ملك آدوم / عاموس ٢ / ١ ". وبذلك فإن عقاب يهوه سينال الشر في أي موطن حتى لو كان هذا الموطن لشعب وثني، أو لشر ارتكبه شعب وثني في حق عب وثني آخر. كما عاقب موآب لحرقها ملك آدوم!!

وبالفعل تتحقق نبوءات عاموس، ويهبط الآشوريون بجيوشهم على مملكة إسرائيل، ويسبون أهلها وبخاصة الطبقة المترفة منهم واحتل سرجون الثاني الآشوري إسرائيل بعد أن نهبها لكننا بقدر من التدقيق في مصادر التاريخ نكتشف **أن عاموس لم يكن بحاجة لوحي يهوه لكي يدرك أن الخطر الآشوري قد بات على أبواب السامرة،** خاصة بعد اتجاه جيوش تجلات بلاسر الثالث الآشوري جنوبا، وتهجيره أينما حل وفتح للنخبة من البلاد المفتوحة إلى آشور.

فماذا تقول لنا وثائق علم التاريخ حول نبوءات عاموس؟

من نصوص شلمناصر الثالث الآشوري نقرأ متون الفتوحات التي تؤكد أنه قد تلقى الجزية من صور وصيدون ومن ياهو بن عمرى الذي دون اسمه هكذا Hu - um - ri - i - la - u - amar . وبالعهد القديم نعلم أن هناك ملكاً إسرائيليا حكم في السامرة، بعد أن قضى على بيت سلفه آخاب بن عمرى، لكن بعد أن اكتسبت المملكة الشمالية إسرائيل اسم مملكة عمرى في نصوص الرافدين، فقيل في نص شلمناصر الثالث (ياهو بن عمرى). وكان يا هو معاصراً لحزائيل ملك دمشق، واتخذ كلاً منهما خطا مخالفا للآخر في التعامل مع الخطر الآشوري القادم، فبينما أعلن حزائيل تمرده واستعداده بتجييش مواطنيه، لجأ ياهو إلى الدبلوماسية بإرسال الجزية وفروض الطاعة والولاء التي وجدت صداها في نص منقوش بالمتحف البريطاني يمثل رجلاً يقدم فروض الطاعة والولاء للملك شلمناصر الثالث، وتحت الرسم كتابة تقول: " جزية ياهو بن عمرى تلقيت منه فضة وذهبا " وكذا وكذا (تعداد لأصناف الجزية وأنواعها).

وفى سفر ملوك ثانى رواية تقول:

فى أيام **فقح** ملك إسرائيل جاء **تغلث فلاسر** ملك آشور وأخذ عيون وآبل معكة وينوم وقادش وحاصور وجلعاد والجليل وأرض نفتالى وسباهم إلى آشور، وفتن **هوشع** بن أيله على فقح بن رمليا وضربه فقتله وملك عوضا عنه

ملوك ثانى ١٥ / ٢٩ ، ٣٠

وهى الرواية التى تتقاطع مباشرة مع النص الآشورى:

أما مناحيم فقد هبطت عليه كما العاصفة الثلجية ففر وحيداً، ثم عاد فانحنى عند قدمى فأعدته إلى مكانه وفرضت عليه جزية (تعداد أصناف الجزية) وسقت الكثير من بيت عمرى (يقصد مملكة إسرائيل) وممتلكاتهم إلى آشور ثم انقلبوا بعد ذلك على ملكهم **فقح** pa - qa - ha فأحللت بدلا عنه **هوشع** Au - si ملكا عليهم وتلقيت منه جزية (تعداد أصناف الجزية)

وفى عهد هوشع تحل النكبة الأخيرة بمملكة إسرائيل فبعد تجلات بلاسر الثالث يأتى ابنه شلمناصر الخامس ٧٢٦ – ٧٢٢ ق.م الذى يعزو إليه محررو التوراة فتح السامرة وإجلاء سكان السامرة أسرى إلى آشور، بينما تتحدث نصوص خليفته سرجون الثانى ٧٢١ – ٧٠٥ ق.م عن قيامه بفتح السامرة، ويبدو أن سرجون الثانى كان قائداً للعمليات العسكرية فى فلسطين، وهو من أكمل خطط شلمناصر الخامس وعزاها جميعا لنفسه، فنحن نقرأ فى نص مبكر لسرجون الثانى يقول

سرجون ملك آشور فاتح السامرة Sa – mir - i - a وكل بيت عمرى (إسرائيل) Bet - Ha - um - ri - a الذى غنم اشدود وشيتوخى وأمسك اليامانى فى البحر كالسمك، الذى قضى على .... إلخ [1]

لقد قرأ عاموس خريطة الأحداث والمقدمات وأيقن بالنتائج فقدمها كنبوءات، وكان فى زمنه نبى آخر يتنبأ وربما استمر يعيش بعده لفترة قليلة، وكان هذا المتنبى هو المعروف بالنبى هوشع والمحتمل أنه كان يتنبأ بين عامى ٧٥٠ و ٧٣٤ ق.م ، لكن بينما كان عاموس يعيش فى المملكة الجنوبية يهوذا، كان هوشع يعيش فى المملكة الشمالية إسرائيل.

ويبدو أن هوشع كان يعانى من مشاكل عائلية قاسية **فزوجته تخونه مع كل من يدفع، وسيرتها على كل لسان، فأحال ذلك جميعه إلى إرادة يهوه الذى أمره بالزواج من امرأة زنى**

قال يهوه لهوشع اذهب خذ لنفسك امرأة زنى وأولاد زنى لأن الأرض زنت زنى تاركة يهوه، فذهب وأخذ جومر بنت دبلايم فحبلت وولدت له ابنا فقال له يهوه ادع اسمه يزرعيل، لأنى بعد قليل أعاقب بيت ياهو على دم يزرعيل وأبيد مملكة بيت إسرائيل.

ثم تلد الزوجة الخائنة مرة أخرى ولدا وبنتا، ومن جديد يأمر يهوه بمنحهما اسمين، أسمى البنت لورحامة " لأنى لأعود أرحم بيت إسرائيل "، والابن لوعمى أى ليس شعبى " لانكم لستم شعبى وأنا لا أكون لكم / هوشع ١ / ٢ – ٩ ".

هوشع وجد نفسه مع امرأة زانية وأبناء زنى فتماهى بأسرته مع بيت إسرائيل جميعاً، وبينما كانت الجيوش الآشورية تتدفق على الممالك الشمالية لإسرائيل، كان سكان إسرائيل يتوقعون استمرار سير الهجوم جنوبا واكتساح الجيش الآشورى للسامرة، وكان السبب فى رأى هوشع هو أن إسرائيل خانت ربها يهوه وعبدت آلهة أخرى مثل زوجته جومر تماماً، لهذا تلقى هوشع أمر يهوه

اذهب أحبب امرأة حبيّة صاحب وزانية كمحبة يهوه لبنى إسرائيل وهم ملتفتون إلى آلهة أخرى .. فاشتريتها لنفسى بخمسة عشر شاقل فضة. وقلت لها تقعدين أياما كثيرة لا تزنى ولا تكونى لرجل وأنا كذلك لك، لأن بنى إسرائيل سيقعدون أياماً كثيرة بلا ملك وبلا رئيس وبلا ذبيحة وبلا تماثيل وبلا أفود وترافيم

هوشع ٣ / ١ – ٤

ويتنبأ هوشع ليهوذا بالسقوط مع إسرائيل تحت النير الآشورى

---

(1) فراس السواح: الحدث التوراتى، سبق ذكره . .، ص ١٠١، ١٠٨ .

فيتعثر إسرائيل وإفرايم فى إثمهما، ويتعثر يهوذا أيضاً معهما

هوشع ٥ / ٥

وكما تنبأ عاموس لإسرائيل تنبأ هوشع بأن يوم العقاب قد أمسى على الأبواب ولم تعد لدى يهوه أى شفقة على خيانة إسرائيل، وسيتصرف مع إسرائيل تصرف الزوج مع الزوجة الخائنة، ويلوم يهوه زوجته الزانية إسرائيل على لسان الزوج المكلوم فيقول:

قالت : أذهب وراء محبيِّ الذين يعطونى خبزى ومائى وصوفى وكتانى وزيتى وأشربتى

وبالنسبة ليهوه وإسرائيل كان محبوا إسرائيل آلهة أخرى على رأسهم رب الخصب بعل

وهى لم تعرف أنى أنا أعطيتها القمح والمسطار والزيت كثّرت لها فضة وذهبا، جعلوه لبعل

ومن ثم كان الجزاء

أعاقبها على أيام بعليم (جمع بعل / المؤلف) التى كانت تبخر لهم وتتزين بخزائمها وحليها وتذهب إلى محبيها وتنسانى أنا، يقول يهوه

والآن لتعلم الزوجة الخائنة أنها

ليست امرأتى وأنا لست رجلها

هوشع ٢ / ٢ – ١٣

ثم يبدأ فى تقريع إسرائيل لتعبّدها للعجلين اللذين يمثلان يهوه، ويقول

زنخ عجلك ياسامرة . . صنعة الصانع وليس هو إلها، إن عجل السامرة يصبح كسرا، صنعوا لأنفسهم من فضتهم وذهبهم أصناما لكى ينقرضوا

هوشع ٨ / ٤ – ٦

ثم يربط هوشع بين عبادة الآلهة الغربية وبين الانحدار الأخلاقى للناس ففى كل مكان

حتى الكهنة كانوا ضمن هؤلاء الفجرة، أما الأثرياء فكانوا يمرضون من " سورة الخمر " والكبار " كلهم حامون كالتنور وأكلوا قضاتهم ".

ومثل عاموس وقف هوشع يتنبأ لإسرائيل، لكنه لم يتبين الموقف بوضوح لأن الأخبار التى وصلته كانت تحمل إمكان التناقض فى التنبؤ، فالمملكة الشمالية إسرائيل كانت ترسل الجزية لدولتين قويتين، لمصر ولآشور، **وحاول هوشع المفاضلة بين الخطرين فتوقع وقوع إسرائيل فى الأسر المصرى**

الآن يذكر إثمهم ويعاقب خطيئتهم، إنهم إلى **مصر** يرجعون

هوشع ١٣ / ٨

لكنه فى موضع آخر يتوقع الهجوم من **كلا الدولتين** القويتين

يرجع إفرايم إلى **مصر** ويأكلون النجس فى **آشور**

هوشع ٩١ / ٣

لكن عندما وضحت الأمور **وأصبحت آشور على الأبواب** يصلح شأن نبوءته فيقول :

لا يرجع إلى مصر بل آشور

هوشع ١١ / ٥

ثم يصاب **بالبلبلة التامة** فيقول

فيكونون تائهين بين الأمم

هوشع ٩ / ١٧

لكن الملك الآشورى لا يهاجم يهوذا مع إسرائيل حسب نبوءة هوشع إذ تفادت يهوذا البطش الآشورى بدفع جزية كبرى للعاهل الآشورى فبقيت قائمة بعد سقوط مملكة إسرائيل، لذلك علينا أن نعتبر المقطعان (١

/ ٧) و (١ / ١٠ – ١١) فى سفره إضافة من محرر يهوذى لاحق، حيث يتم قطع النبوءة حول إسرائيل بوعود من يهوه بإنقاذ مملكة يهوذا

وأما بيت يهوذا فأرحمهم وأخلصهم بيهوه إلههم ولا أخلصهم بقوس وبسيف وبحرب وبخيل وبفرسان

هوشع ١ / ٧

بينما كانت نبوءات هوشع الأصلية تشفق فى النهاية على مملكتى إسرائيل ويهوذا لأن يهوه الزوج الغيور سيصالح زوجته الخائنة (الشعب الإسرائيلى) ويلاطفها وستفهم الخائنة أن سلوكها كان مشينا وستندم، وكراهية فى بعل واسمه يقول الرب:

ويكون فى ذلك اليوم يقول يهوه إنك تدعيننى رجلى ولا تدعيننى بعد بعلى، وأنزع أسماء البعليم من فمها فلا تذكر أيضاً اسمها

هوشع ٢ / ١٦

وسوف يحل الغفران على الخائنة أى على شعب إسرائيل وسوف يعود الأسرى من مصر وآشور (رغم أنهم لم يسبوا إلى مصر) وبعدها تقوم مملكة السلام والخير، ويؤكد يهوه

وأقطع لهم عهداً فى ذلك اليوم مع حيوان البرية وطيور السماء ودبابات الأرض وأكسر القوس والسيف والحرب من الأرض، وأجعلهم يضطجعون آمنين.

هوشع ٢ / ١٨.

ثم نأتى إلى سفر إشعيا الذى يحتوى على ست وستين إصحاحا، لكن الرؤية الناقدة لهذا الكتاب النبوى يمكنها أن تستبعد نصف هذا العدد أو أقل قليلاً بحسبانه لا يعود أبداً لإشعيا الذى عاش آخر القرن الثامن وأول القرن السابع قبل الميلاد. وإلى الإصحاحات الأصلية أضيفت نصوص أخرى ليست لإشعيا خلال عدة قرون، من قبل محررى النبوءات اللاحقين، لما كان يتمتع به إشعيا من شعبية فى المملكة الجنوبية يهوذا، وذلك لإضافة الهيبة إلى نصوصهم بإضافتها لإصحاحات كتاب إشعيا.

وفى الإصحاحين الثالث عشر والرابع عشر نجد حديثاً عن تدمير الأمبراطورية الآشورية (١٤ / ٢٥)، وعن مملكة بابل بحسبانها بهاء الممالك وزينة وفخر الكلدانيين، وعن العاهل البابلى الجبار الذى يطوى الشعوب تحته طياً بالقوة المسلحة (١٤ / ٤ ، ٩٦)، وكيف جعل العالم كقفر وهدم مدنه ولم يطلق أسراه إلى بيوتهم (١٤ / ١٧).

وإزاء قوة بابل الطالعة التى تمكنت من هزيمة الآشوريين كان لابد أن يرتعب شعب الله المختار خوف الاحتلال وخشية السبى، فإن يهوه يؤكد بلسان إشعيا " ها أنذا أهيج عليهم الماديين . . وتصير بابل كتقليب الله سدوم وعمورة، لا تعمر إلى الأبد ولا تسكن إلى دور فدور / إشعيا ١٣ / ٥ ، ١٧ / ٢٠ ".

ومرة أخرى يعطف يهوه على يهوذا وإسرائيل فيجعلهم يتسلطون على من ظلمهم (١٤ / ١ ، ٢).

وهذا الكلام إطلاقاً لا يمكن نسبته لإشعيا وزمنه فى آخر القرن الثامن ق.م. لأسباب شديدة الوضوح، حيث فى زمن إشعيا فى القرن الثامن ق.م كان الحديث عن هذه الأحداث سيبدو غير مفهوم بالمرة، **فيهوه يهدد بابل بالويل والثبور ويصفها بأنها زينة الممالك، بينما بابل فى زمن إشعيا كانت فاقدة لاستقلالها مثل يهوذا وتتبع الإمبراطورية الآشورية.**

وحتى لو قلنا مع المؤمنين أن تلك نبوءة، وكى تكون النبوءة صادقة، كان لا بد أن يتنبأ إشعيا أولا بأن بابل ستثور على آشور وتنتصر عليها ثم تتوسع وتهاجم يهوذا وتسبى سكانها، لكن النبوءة لم تتطرق لذلك كله، فقط يتحدث إشعيا عن عودة المسبيين كأنه كان أمراً معلوما لجميع ناس زمنه، ومن ثم **لا يصح احتساب الإصحاحين ١٣ و ١٤ من عمل إشعيا بل يجب القول أنه قد تم تحريرهما بعد قيام بابل بتدمير الإمبراطورية الآشورية**، وبعدما بلغت بابل جبروتاً كبيراً فى عهد نبوخذ نصر الثانى، وبعدما قام نبوخذ نصر بحملته على يهوذا وأسرها إلى بابل، أى يجب أن يكون تحرير هذين الإصحاحين قد تم بعد عام ٥٨٦ ق.م.

ثم نقف مع تلك المفترض أنها نبوءة، أو دُست على سفر إشعيا لتظهره بمظهر النبوءة عما سيحدث فى قابل الأيام، لندهش من قولها أن بابل العظيمة ستسقط فريسة الاحتلال الميدى، بينما الذى حدث فعلاً بعد ذلك هو سقوط بابل فريسة الاحتلال الفارسى زمن قورش ٥٣٩ ق.م وليس الميدى، وهذا يعنى أن مؤلف النص **لم يكن يعرف بعد عن الانقلاب الذى حصل فى إيران وكيف سقط الميديون أنفسهم فى إيران تحت سلطة الفرس حوالى عام ٥٤٩ ق.م**

إن ذلك يؤكد أن نبوءة الإصحاحين ١٣ و ١٤ قد تمت كتابتها بين عامى ٥٨٦ و٥٤٩ ق.م ومن ثم **لا يمكن أن تعودا إلى أشعيا الذى مات قبل ذلك بزمن بعيد.**

وضمن التحرير المنسوب لإشعيا تصورات لما كان يأمل المحرر فى حدوثه قريباً وهو سقوط بابل فريسة للاحتلال من شعب آخر وعودة اليهوذيين المسبيين إلى أورشليم وسيادة يهوذا على ظالميها. ومؤلف الإصحاح ٢١ يشير ليهوذا مسحوقة، لكنه يتنبأ بأن البابليين الذين سحقوا يهوذا لهم أعداء، وهؤلاء الأعداء يتقدمون لسحق بابل، ويشجعهم المؤلف باسم الإله " اصعدى ياعيلام، حاصرى يامادى / إشعيا ٢١ / ٢ "، وهذا يعنى أن العيلاميين والميديين الذين يعيشون فى إيران سيقومون باحتلال بابل، ويفرح صاحب النبوءة ويطرب هاتفا " سقطت سقطت بابل، وجميع تماثيل آلهتها المنحوتة كسرها إلى الأرض ". والطريف أن مطابقة ذلك على خط سير أحداث التاريخ يجعل ما يقوله المتنبىء هنا غير حقيقى بالمرة، فالذين احتلوا بابل هم الفرس الذين سيطروا على كل إيران، وخرج ملكهم قورش بجيوشه واحتل بابل، لكنه **أبداً لم يهدم المعابد ولم يكسر تماثيل الآلهة، بل أظهر احترامه لها**، وهذا يعنى أن المؤلف لم يعرف كل هذا وكان يتنبأ قبل وقوع بابل بين ٥٤٩ و ٥٣٨ ق.م بل ونجد ضمن الإضافات حشراً من زمن أكثر تأخر مثل النبوءة " ويكون فى ذلك اليوم أن يهوه يعيد يده ثانية ليقتنى بقية شعبه التى بقيت من آشور ومن مصر ومن فتروس ومن كوش ومن عيلام ومن شنعار ومن حماه ومن جزائر البحر لإشعيا ١١/١١، ١٢" **لأن هذا الانتشار الواسع لليهود لم يحدث إلا بعد حملة الاسكندر الأكبر فى نهاية القرن الرابع الميلادى.**

وبالعودة إلى بدء نبوءات اشعيا يمكن القول أنه فى سنة موت الملك اليهوذى عزيا عام ٧٤٢ ق.م قرر اليهوذى (اشعيا بن آموص) أن يكون نبيا وهو يرى خطر هجوم الأعداء قريبا. وكان اشعيا رجلا من العلية على صلة بالكهنة وبالنخبة وبالبلاط وبالملك، إضافة إلى ثقافته الرفيعة وإحاطته بالتقاليد الدينية وبالتاريخ.

وفى عام ٧٤٤ أى قبل أن يتنبأ اشعيا بسنتين حدث انقلاب فى بلاط آشور وجاء الملك تجلات بلاسر الثالث المشهور بفتوحاته، وكى يتقيه الملك الإسرائيلى مناحيم أرسل له جزية كبيرة وأصبح تابعاً لآشور (ملوك ثانى ١٥ / ٢)، واقتطع تجلات بلاسر بعض أراضى إسرائيل وهجّر سكانها إلى نينوى على الفرات.

وإزاء هذه القوة الكبرى الطامعة شرع ملوك الدول الصغيرة فى بلاد الشام بعقد التحالفات للتصدى لهذا الغازى وقد اشتركت مصر فى هذه التحالفات، بل وتحالف اللدودان إسرائيل ودمشق. وأرسل الملك الدمشقى رصين للملك اليهوذى أحاز لينضم للتحالف فرفض، فشنت دمشق وإسرائيل الحرب على أحاز اليهوذى مما أضطره إلى طلب مساعدة الآشوريين فى رسالة ذليلة مهينة تقول " أنا عبدك وابنك، إصعد وخلصنى من يد ملك أرام ومن يد ملك إسرائيل القائمين علىَّ / ملوك ثانى ١٦ / ٧ ".

وهنا يبدأ دور إشعيا وتبدأ نبوته ونبوءاته بتحريض ملك يهوذا ضد ملك إسرائيل وأنه لايجدر بملك يهوذا أن يخشى إسرائيل الشمالية لأن يهوه قد قرر مصير مملكة إسرائيل الشمالية " تخلى الأرض التى أنت خاش مليكها / إشعيا ٧ / ١٦ . . وأنه فى خلال خمسة وستين سنة سوف تتكسر إفرايم / إسرائيل حتى لا يكون شعبا / ٧ / ٩٨ ". ثم اقترح إشعيا على أحاز أن يطلب من الرب يهوه علامة على ذلك (آية) فرفض أحاز، لكن يهوه يتطوع بنفسه ويعطى الآية، وهو أنه لو كان ثمة طفل رضيع فإن نبوءات اشعيا ستحدث قبل أن يتمكن هذا الطفل من تمييز الخير من الشر.

يعطيكم السيد نفسه آيه، ها العذراء تحبل وتلد ابنا وتدعو اسمه عمانوئيل (معنى عمانوئيل: الله معنا). زبداً وعسلاً يأكل، ومتى عرف أن يرفض الشر ويختار الخير، لأنه قبل أن يعرف الصبى أن يرفض الشر ويختار الخير تخلى الأرض التى أنت خاش من مليكها

وعندما رأى إشعيا خوف الملك اليهوذى قام يوحى له أن ملك دمشق وملك إسرائيل سيطردان من بلديهما قريباً جداً قبل أن يميز هذا الطفل الصغير. ولم ينتظر الآية بل قام يصنعها بالزواج من نبية أنجبت

الطفل، لكنه أطلق عليه اسماً جديداً هو دمهير شلال حاش/ ومعناه: (رأى الذى يعجل الغنيمة ويسرع النهب). وقبل أن يعـــرف هذا الصبى نداءه للأب والأم سيسبى ملك آشـــور دمشق والسامرة (٨ /٢ – ٤). والمعلوم لدى العارفين بالتوراة أن تعبير (العذراء) فى النص السالف قد ورد فى الترجمة السبعينية وقد تمت ترجمـــة اللفظة العبرية (علما) فيها بمعنى العذراء، بينما كانت فى الأصل هى (بارتيتوس) التى منها (بروســـتيتيوت) أى الداعرة وليس العذراء. وقد وقفت المسيحية بعد ذلك أمام هذا النص لتراه **نبوءة بمجئ المسيح**. رغم أن اشعيا لم يفكر فى هذا إطلاقا وهو يطلق نبوءاته، فقط كان يتنبأ بسقوط مملكتى دمشق وإسرائيل خلال ثـــلاث أو أربع سنوات قبل أن يبدأ طفله فى التمييز. وسقطت دمشق أمام آشور بعد عامين فقط، وسقطت إســـرائيل ليس بعد ٦٥ عاما بل قبل ذلك بكثير، بعد نبوءات إشعيا بإثنى عشر عاما فقط عندما احتلها سرجون الثـــانى الآشورى وسبى سكانها إلى نينوى، **لقد كان الغزو متوقعاً بين لحظة وأخرى، ووضعه إشعيا بحسبانه نبوءة ووحيا إلهيا.**

وعندما كانت إسرائيل تسقط أمام الجيوش الآشورية، هاجم الفلسطينيون والآدوميـــون يهوذا واحتلـــوا بعض مدنها (أيوب ٢٨ / ١٧ – ١٩) ومن هنا لجأ ملكها أحاز إلى ملك آشور، بل وأدخل إلى يهوذا عبـــادة الآلهة الآشورية رشوة لسرجون العاهل الآشورى، مما جعل ديانة يهوه فى خطر، وترأس صـــفوف أنصـــار يهوه النبى اشعيا، الذى قام يحاول إيجاد تبرير لما يحدث لشعب يهوه. وانتهى إلى نتيجة هى أن آشور بكـــل جبروتها ليست سوى أداة فى يد يهوه ينفذ بها إرادته لتأديب شعبه المختار وتفسخه الأخلاقى خاصـــة لـــدى النخبة العليا فى المجتمع اليهودى، ولأن شعبه المختار دوما يحب عبادة الآلهة الغريبة والوثنية.

وإذا كان هوشع قد تصور يهوه فى صورة الزوج الغيور الذى من حقه تأديب زوجته الزانيـــة، فـــإن إشعيا تصوره فى هيئة ملك حاكم يحق له شرعاً تأديب المتمردين، لكن كما أن الملك لا يسمح بإبـــادة شـــعبه فكذلك يفعل يهوه ليبقى من الشعب من يتعبد له ويمجد اسمه على الأرض.

كان إشعيا يتوقع احتلال آشور ليهوذا وعند ذلك سيغضب يهوه على آشور التى هى أداتـــه التنفيذيـــة، وستظهر بعد ذلك بقية اليهود ليعيشوا فى مملكة سلام ورخاء. كما رأى فى استعانة أحاز اليهوذى بالآشوريين شكا فى يهوه الذى يجب الاعتماد عليه وحده، وعبر إشعيا للملك أحاز عن غضبه من الاستعانة بآشور ضـــد دمشق وإسرائيل، لأن المتوقع لدى أى عارف بالآشوريين أنهم لن يحفظوا عهدهم وأنهم بمجـــرد احـــتلالهم لدمشق وإسرائيل سيتجهون من فورهم جنوباً نحو يهوذا، وهو بالفعل ما حدث بعد ستة عشر عاما عندما مات أحاز وانتقل العرش إلى ابنه حزقيا.

وبمجرد تتويج حزقيا قام اشعيا بتدوين قصيدة مديح عصماء فى الملك الجديد أملا فى اجتذابه لتحقيـــق مخططاته، وبالفعل تم تقريب إشعيا من البلاط وأصبح شديد التأثير فيه حتى أصبح الملك حزقيـــا مناصـــرا غيوراً ليهوه، وقام يلاحق العبادات الأخرى بعنف، وفتح معبد أورشليم الذى أغلق أيام أبيه أحـــاز وانتصـــر حزب يهوه على بقية الآلهة.

وفى المملكة الشمالية إسرائيل تحمس الملك هوشع وتوقف عن دفع الجزية لآشور وعقـــد حلفـــا مـــع مصر. وهنا اجتاحت آشور السامرة بأمر سرجون الثانى عام ٧٢٣ ق.م . وانتهت إسرائيل من الوجود. أمـــا فى الجنوب فى يهوذا فقد أعلن إشعيا الموقف المطلوب وهو أنه على حزقيا ملك يهوذا عدم الاشـــتراك فـــى الصراع ضد اشور وعدم الدخول فى أية أحلاف ويجب ألا تطلب العون سوى من يهوه فقط.

وأملا فى مساعدة مصر قامت مجموعة الدول الصغيرة فى بر الشام بعقد الأحلاف، لكن حتى لا يفعل ملك يهوذا فعلهم خلع إشعيا ملابسه ومشى فى البلاد عاريا ثلاث سنين يعلن أن عريه آية ضد مصر التـــى يعتمدون عليها، لأن ملك آشور سوف يغزو مصر ويعريها كما يسير هو عاريا. (اشعيا ٢٠ / ٢ – ٦).

وفى ربيع ٧١١ ق.م كانت جيوش آشور قد ابتلعت الأحلاف السورية وتجنبت يهـــوذا هـــذا المصـــير مؤقتا. وفى ٧٠٥ ق.م مات سرجون الثانى ومرة أخرى حاولت دول سوريا وفلسطين خلع النير الآشـــورى بمحالفة مصر، وتوجهوا ليهوذا لتحالفهم، ومن جديد وقف اشعيا ضد هذا التحالف، لكن الملك حزقيا رفـــض نصيحة إشعيا وأرسل لمصر بعثة للتحالف ضد آشور بينما أخذ إشعيا يندد بهذا التحالف.

وفى ٧٠١ ق.م . اجتاح سنحاريب خليفة سرجون سوريا جميعاً، وحطمها بينما كانت يهوذا قد حصلت من مصر على دعم عسكرى كاف جعلها تصمد أمام الحصار الآشورى. وأرسل ســـنحاريب كبيـــر جنـــده

ربشاقى إلى أورشليم مع كبار الضباط يحملون رسالة لأورشليم، ووقفوا خارج أسوارها يحدثون المتحصنين بالداخل وعلى الأسوار، ينادونهم بصوت عال لإسماع سكان يهوذا، يتساءلون ساخرين من اعتمادهم على مصر " على هذه القصبة المرضوضة، على مصر التى إذا توكأ عليها أحد دخلت فى كفه وثقبتها، هكذا فرعون ملك مصر لجميع المتوكلين عليه / ملوك ثانى ١٨ / ١٩ - ٥١ ".

ثم يلعب الوفد الآشورى بالعواطف الدينية لشعب يهوذا وينادى مؤكداً أن الملك الآشورى جاء يحتل يهوذا بأمر من يهوه نفسه:

" والآن هل بدون يهوه صعدت على هذه الأرض لأخربها؟ **يهوه قال لى اصعد إلى هذه الأرض وأخربها** ". وخشى حكام يهوذا استماع شعب يهوذا لهذا الكلام المقنع فطلبوا من الوفد الأشورى محادثتهم بالآرامية " كلم عبيدك بالآرامى لأننا نفهمه ولا تكلمنا باليهودى في مسامع الشعب الذى على السور "، لكن وفد سنحاريب استمر يحرض قائلا: " هل إلى سيدك وإليك أرسلنى سيدى لأتكلم بهذا الكلام؟ أليس إلى الرجال الجالسين على السور ليأكلوا عذرتهم ويشربوا بولهم معكم ".

ثم قام ربشاقى ينادى بصوت عظيم على شعب يهوذا يحرضهم على الثورة ضد ملكهم حزقيا " اسمعوا كلام الملك العظيم ملك آشور . . لا يخدعكم حزقيا . . أعقدوا صلحا معى واخرجوا إلىّ . . حتى آتى وآخذكم إلى أرض مثل أرضكم، فسكتوا ولم يجيبوه بكلمة لأن أمر الملك كان قائلا: لا تجيبوه ". ومع الهلع أرسل الملك حزقيا يستدعى النبى إشعيا بحثا عن مخرج وخلاص. ولم يكن بيد أشعيا سوى رفع الروح المعنوية لشعبه والصمود مدة أطول أمام الحصار حتى يحدث أى طارئ يمكن نسبته إلى يهوه وتدخله، وطمأن الناس معلنا نبوءة جديدة " كطيورمرفة هكذا يحامى يهوه رب الجنود عن أورشليم . ويسقط آشور بسيف غير رجل وسيف غير إنسان / اشعيا ٣١ / ٤، ٨ ".

ثم نجد في كتاب اشعيا خطاب من اشعيا موجها لوفد من الملك اليهوذى حزقيا يقول: " هكذا تقولون لسيدكم: هكذا يقول يهوه: بسبب الكلام الذى سمعته الذى جدف علىّ به غلمان ملك آشور. ها أنذا أجعل فيه روحا فيسمع خبراً ويرجع إلى أرضه وأسقطه بالسيف في أرضه، . . لا يدخل هذه المدينة ولا يرمى هناك سهما .. وفى الطريق الذى جاء فيه يرجع / اشعيا ٣٧ / ٦،٧ و ٣٣ / ٣٤ ".

والمعنى أن يهوه سيجعل سنحاريب يسمع خبراً من بلاده يعود على إثره إلى بلاطه حيث يقتل هناك بالسيف، وهذا الكلام أمام العين الفاحصة لا يمكن أن يكون قد صدر من إشعيا، إنما هو إضافة متأخرة، لأن سنحاريب عاد فعلاً إلى آشور ورفع الحصار عن أورشليم وسقط ضحية انقلاب في البلاط إذ قتل بيد ابنه أسرحدون. **ويبدو أن مصر لم تكن بريئة من هذه الأحداث، لكن كل تلك الأحداث لم تتم وتحدث إلا بعد عشرين عاماً من الحوار الذى دار عند أسوار أورشليم أى في عام ٦٨١ ق.م وبالطبع لم يكن بوسع إشعيا أن يعرف ذلك. وبالطبع لم يكن يهوه هو الذى يقف وراء ما يحدث إنما كانت مصر** التى كانت تحكمها فى هذا الوقت أسرة كوشية في دولة واحدة تجمع مصر والسودان الشمالى، وهو ما ير د في فلته بسفر ملوك ثانى تقول أن سنحاريب قد سمع " عن ترهاقة ملك كوش قولا: قد خرج ليحاربك ١٩ / ٨،٩ ". وكان ترهاقة قد خرج بالفعل لكن سنحاريب كان قد قرر عدم الاشتباك وفضل رفع الحصار عن أورشليم والانسحاب إلى آشور، وشجعه على ذلك سر آخر لم يعلنه لنا سفر اشعيا ليجعل الفعل كله ليهوه، وهو أن ملك يهوذا أرسل لسنحاريب يقول: " قد أخطأت إرجع عنى ومهما جعلت علىّ حملته "، فطلب سنحاريب جزية تعويضية باهظة، اضطر معها الملك اليهوذى إلى إفراغ خزينة الدولة والمعبد، بل وقلع الكسوة الذهبية عن أبواب معبد يهوه وأعمدته. أما العهد القديم فكان يروى في موضع آخر أن حزقيا استلم رسالة تهديد من سنحاريب ونشرها أمام يهوه ليقرأها بنفسه، فأرسل الإله ملاكا من عنده " فخرج ملاك يهوه وضرب من جيش آشور مئة وخمسين ألفا، فلما بكروا صباحا إذا هم جميعاً جثث ميتة، فانصرف سنحاريب ملك آشور وذهب راجعا وأقام في نينوى ".

ولحسن الحظ أن سنحاريب قد ترك نصوصا واضحة حول هذا الأمر تؤكد أن اشتباكا قد حدث فعلا مع جيوش مصر وآشور في يهوذا، والنتائج تشير إلى هزيمة الآشوريين وتراجعهم، لكن الملك الآشورى فضل أن يبدى أنه قد انتصر وأن الجزية التى أخذها من حزقيا هى أسلاب ومغانم المعركة المظفرة. ويحكى أن مدينة عقرون الفلسطينية كانت ضمن الحلفاء الذين تجمعوا لصد آشور، وأن الشعب فيها قبض على ملكها (بادى) لأنه عقد عهداً مع آشور وخان الحلف، وسلموه إلى ملك يهوذا حزقيا الذى تحالف مع مصر بدوره،

فرمى بادى ملك عقرون في السجن " رماه في السجن وعامله معاملة الأعداء، ثم خاف فدعا لمساعدته قوات ملك مصر وأثيوبيا التى لا تعد، فجاءوا لمساعدته، وفي سهل تقوع انتظمت صفوفهم ضدى وشحذوا أسلحتهم، وبعد استخارة نبوءة الإله آشور مولاى هاجمتهم وهزمتهم " (٢)

والواقع يؤكد عكس ذلك فالحصار رفع عن أورشليم، وعاد سنحاريب إلى بلاده فقط بجزية الفداء التى دفعها حزقيا رعبا وخوفا.

ويسترسل مرسوم الملك سنحاريب يحكي ما حدث: " أما حزقيا اليهودى الذى أبى الخضوع لي فقد ألقيت الحصار على ٤٦ من مدنه الحصينة وقلاعه المسورة وعدد لا يحصى من القرى حولها وأخذتها . . أما حزقيا نفسه فقد صار حبيسا في قصره الملكى فى أورشليم كعصفور في قفص . . لقد غمره الخوف من رهبة جلالتى، والقوات التى أتى بها إلى أورشليم لمعاونته قد احتلت صفوفها إلى جوارى وتركته، فأرسل إليّ في نينوى عاصمة ملكى ثلاثين وزنة من الذهب و ٨٠٠ وزنة من الفضة وأحجاراً كريمة وكميات من الأثمد وقطع الصخر الأحمر ومقاعد وكراسى مزينة بالعاج وجلود الفيلة وخشب الأبنوس وصناديق خشبية وكل أنواع النفائس كما أرسل إليَّ بناته ومحظياته وموسيقييه من بنات وشبان " (٣)

وقد ساعد في انسحاب جيوش سنحاريب تفشى وباء الطاعون في جيشه مما اجبره على الانسحاب، وأتاح الفرصة لإشعياء للقول بتدخل يهوه في الأمر، وهو الأمر الذى ظهر لشعب يهوذا كمعجزة سماوية فعلا، لكن بعد أن فقدت يهوذا قسما من أرضها ومن سكانها مع اعتراف من حزقيا بالتبعية لآشور.

كان إشعيا قبل المحاولة الفاشلة للغزو الآشورى يتنبأ بأن يهوه سينتقم من الآشوريين، ومن وجهاء يهوذا وأثريائها الذين كانوا يضطهدون بقية شعب يهوذا، وجاء الغزو الآشورى ثم انسحب، **لكن يهوه لم ينتقم من الأغنياء ولم يقم العدل** في أرضه من أجل شعبه المختار.

كان حديث النبوءات عن أسر في آشور وأن هناك بقية من الشعب سترجع إلى فلسطين، ومن ثم تحول تعبير " البقية التى ترجع " والذين سوف يأكلون خيرات الأرض في " مملكة السلام والحق " إلى فكرة ومفهوم عن بعث بنى إسرائيل مرة أخرى على يد الملك حزقيا، لكن الواقع كان نقيض التوقعات. ورغم انسحاب الجيش الآشورى فإن خطره لم يزل قائماً، واستمر وجهاء بنى إسرائيل في تجاوزاتهم وقسرهم للفقراء، وهنا قام اشعيا يؤجل زمن مملكة الحق والبقية التى ترجع إلى زمن غير محدد. وكما ينبت الفرع من ساق البلوطة المقطوعة سوف تنبت إسرائيل جديدة ولكن " فى آخر الأيام / اشعيا ٢ / ٢ " والكلمة (آخر) في اليونانية هى (إسخاتا) التى أدت لمفهوم (الإسخاتولوجي) أى آخر الأيام حيث يوم يهوه الذى وضع اصطلاحه من قبل النبى عاموس. وهذا اليوم سيكون آخر يوم للعالم القديم وبداية انبعاث إسرائيل وفق مثل أعلى عند الأسلاف البطاركة، سيكون الانبعاث كما كان عند الأسلاف، ويصور اشعيا اللوحة الاسخاتولوجية بقوله:

ويكون في آخر الأيام أن جبل بيت يهوه يكون ثابتا في رأس الجبال ويرتفع فوق التلال ويجرى إليه كل الأمم، وتسير شعوب كثيرة ويقولون هلم نصعد إلى جبل يهوه، إلى بيت إله يعقوب فيعلمنا من طرقه ونسلك في سبله . . فيقضى بين الأمم وينصف لشعوب كثيرين فيطبعون سيوفهم سككا (أى محاريث) ورماحهم مناجل، لا ترفع أمة على أمة سيفا ولا يتعلمون الحرب فيما بعد

إشعيا ٢ / ٢ – ٤

وسيتكفل بإقامة مملكة السلام والحق شخص يختاره يهوه كما اختار موسى، **سيكون هو ممسوحه أو مسيحه أو رسوله**، وهذا المسيح سينقذ شعب الله. المشكلة أننا لا نعلم متى ظهرت فكرة المسيح المنقذ بالتدقيق فربما تعود لنبى جاء بعد اشعيا وأضيف كلامه إلى كتاب إشعيا، ومن الشروط التى يجب أن تنطبق على هذا المسيح أو النبى الآتى **أنه من الدم الملكى، سليل سليمان وداود بن يس** " قضيب من جذع يس " وهذا الذى تجرى في عروقه الدماء الملكية " يحل عليه روح يهوه روح الحكمة والمشورة والقوة وروح المعرفة ومخافة يهوه ". وسيكون حاكم بالحق على كل الأرض " يقضى بالعدل للمساكين ويحكم بالإنصاف لبائسى الأرض ويضرب الأرض بقضيب فمه ويميت المنافق بنفخة شفتيه "، وستختفى كل الشرور من على

---

(٢) نفسه: ١١٤ .

(٣) نفسه: ١١٥ .

الأرض، حتى بين الوحوش الضارية، " فيسكن الذئب مع الخروف ويربض النمر مع الجدى والعجل والشبل المسمن معا وصبى صغير يسوقها، والبقرة والدب ترعيان، تربض أولادهما معا، والأسد كالبقر يأكل تبنا ويلعب الرضيع على سرب الصل (الثعبان) ويمد الفطيم يده على جحر الافعوان لا يسوؤن ولا يفسدون في كل جبل قدسى الآن الأرض تمتلئ من معرفة يهوه كما تغطى المياه البحر/ اشعيا " ١١ / ١ – ٩ ".

وفي ذات الزمن الذى كان فيه اشعيا يرسل نبوءاته كان في يهوذا نبى آخر يرسل تبشيره ونبوءاته هو النبى (ميخا) الذى كان يعيش في القرية الريفية (مورشه) بعكس إشعيا ابن المدينة العاصمة، وكان يرى العاصمة أورشليم مركزاً لكل الشرور (ميخا ١ / ٥ و ٣ / ١٠)، لذلك تنبأ لأورشليم بالدمار التام بعكس اشعيا الذى تنبأ لها أنها ستبقى " مدينة العدل القرية الآمنة / إشعيا ١ / ٢٦ "، ويكرر ميخا تقريبا نفس أقوال عاموس وهوشع وإشعيا حول الظلم الاجتماعى والدعوة إلى التطهر والتوبة النصوح كى يحدث الصلح مع يهوه، لكنه أعطى صورة دقيقة وفظيعة للأثرياء في يهوذا

يأكلون لحم شعبى ويكشطون جلدهم عنهم ويهشمون عظامهم، ويشققون كما في القدر وكاللحم في وسط المقلى

ميخا ٣ / ٣

يشتهون الحقول ويغتصبونها، والبيوت ويأخذونها، ويظلمون الرجل وبيته والإنسان وميراثه

ميخا ٢ / ٢

ثم يرسم صورة لمصدر ذلك الظلم في فساد النظام والحكومة وانتشار الرشوة والنهب في كل مكان

الرئيس طالب والقاضى بالهدية، والكبير متكلم يهوى نفسه

ميخا ٣ / ١١

ورغم إصلاحات حزقيا ومطاردته للعبادات الأجنبية، فإن الشعب كان لا يزال يتعبد للتماثيل والأنصاب **والسوارى المقدسة (المسلات على الطريقة الفرعونية)** (ميخا ١٢/٥ – ١٤)، لهذا كان ميخا بعكس إشعيا شديد التشاؤم لأن يهوه سينزل على أورشليم عاصمة يهوذا والسامرة عاصمة إسرائيل غضبه فيتحولان إلى كومات من الأنقاض (ميخا ٣٦/١ و ١٢/٦ – ١٦). ولن يقبل القرابين والذبائح حتى لو كانت أولادهم " هل يسر يهوه بألوف الكباش، بربوات أنهار زيت / ميخا ٦/٦ ، ٧ " لقد أمسى يهوه يطلب أمراً آخر هو " أن تصنع الحق وتحب الرحمة وتسلك متواضعا مع إلهك / ميخا ٨/٦ ". ولأن ميخا كان مشدوها مما يحدث من فساد في بيوت الأثرياء وأهل الحكم والسلطان، فإنه **وجد الفساد أكثر مما يمكن إصلاحه، لذلك فالكارثة قادمة لاشك فيها** بعد أن حكم يهوه على شعبه قائلا:
أسلمك للخراب، وسكانها للصغير

ميخا ٦ / ١٦

لكن كتاب ميخا يحوى نقيضا تاما لهذا ذو طابع إسخاتولوجى بتعزية تتحدث عن نهوض شعب الله مرة أخرى لأن الله لن يسمح بفناء شعبه تماما:
والآن قد اجتمعت عليك أمم كثيرة، الذين يقولون لتتدنس ولتتفرس عيوننا في صهيون، وهم لا يعرفون أفكار يهوه ولا يفهمون قصده؟

إن ميخا يؤكد أن هؤلاء الأجانب الذين يرسلون جيوشهم على شعب الرب لا يعلمون أن يهوه يدفعهم لذلك، بعد أن دبر لهم مكيدة كبرى وشرك عظيم
إنه جمعهم كحزم إلى البيدر
وهنا سيسمع شعب الرب أمر يهوذا وينفذ. قومى ودوسى يابنت صهيون ... فتسحقين شعوبا كثيرين وأحرّم غنيمتهم ليهوه وثروتهم لسيد كل الأرض

ميخا ١١/٤ – ١٣

وهناك إضافات واضحة لكتاب ميخا أضيفت بعده بزمان، كالتنبؤ بأن بنت صهيون أى أورشليم سوف تسبى بسكانها إلى بابل، لكن يهوه سينقذها، رغم **أن عدو شعب الله زمن ميخا كان آشور وليس بابل**. مما يؤكد أن تلك إضافة حدثت لمحرر عاش زمن الأسر، لأنه يتحدث عن إعادة بناء سور جديد لأورشليم يبنيه

العائدون من أسر بابل، بعد أن سبق ودمره البابليون. ويؤكد هذا الفرض أننا نجد في سفر اشعيا وميخا نصين متطابقين تماما مبنى ومعنى يتحدث عن مكان إسرائيل المقبل في آخر الأيام، وهو النص الذى يقول
ويكون في آخر الأيام أن جبل بيت يهوه يكون ثابتا في رأس الجبال ويرتفع فوق التلال، تجرى إليه الشعوب وتسير أمم كثيرة ويقولون: هلم نصعد إلى جبل يهوه وإلى بيت يعقوب فيعلمنا من طرقه ونسلك في سبله، لأنه من صهيون تخرج الشريعة ومن أورشليم كلمة يهوه، فيقضى بين شعوب كثيرين، ينصف لأمم قوية بعيدة فيطبعون سيوفهم سككا ورماحهم مناجل، ولا ترفع أمة على أمة سيفاولا يتعلمون الحرب فيما بعد.
ميخا ٤ /١ – ٣
إشعيا ٢ / ٢ – ٤

وهو ما يعنى أن محرر تلك الإضافات فى السفرين كان واحداً، وأنه قد تمت إضافتها مع أخبار السبى البابلى زمن السبى البابلى أو بالأحرى بعده، بعدما أعاد قورش المسبيين وسمح لهم ببناء الهيكل والمدينة والسور مرة أخرى. ويبدو أن هذا المحرر قد أراد التخفيف من اللهجة القاسية القاتمة فى نبوءات أشعيا وميخا حول المصير الأسود للشعب المختار.

ثم يتنبأ هذا المحرر المتأخر عبر كتاب ميخا قائلاً:

أما أنت **يابيت لحم** إفراته، وأنت صغيرة أن تكونى بين ألوف يهوذا، فمنك يخرج الذى يكون متسلطا على إسرائيل ومخارجه منذ القديم منذ أيام الأزل، لذلك يسلمهم إليّ حينما تكون قد ولدت والده، ثم ترجع بقية إخوته إلى بنى إسرائيل . . ويثبتون لأنه الآن يتعظم إلى أقاصى الأرض . . ويكون هذا سلاما

ميخا ٥ / ٢ – ٥

وقد **رأت الديانة المسيحية فى هذا المقطع نبوءة بمقدم السيد المسيح الذى ولد فى بيت لحم، بينما الأمر ببساطة كان تنبوءا بمجئ ملك من نسل داود، وداود كان مولوداً فى بيت لحم** (صموئيل أول ١٧ / ١٢)، ولأن الفكرة الاسخاتولوجية عن المسيح لم تظهر قبل القرن الثالث ق.م، فلاشك **أن محرر هذا الجزء عاش بعد بداية هذا القرن.**

ويموت الملك الصالح حزقيا ملك يهوذا ويخلفه ابنه منسى فى ٦٤٢ – ٦٨٧، بينما كان أسر حدون قد اضحى ملكا على آشور ثم تبعه آشور بانيبال ٦٥٥ – ٦٧١. وكان ملوك يهوذا يتصرفون كتابعين لملك آشور، وأدخل العبادة الآشورية لجند السماء (عبادة الأجرام السماوية) إلى هيكل أورشليم والمعابد الأخرى.

وعلى مستوى علم التاريخ كانت وثائق أسرحادون تعدد أتباعه من ملوك ومنهم " منسى Me - na - si - i ملك يهوذا Ia - u - di "[٤] ومنسى هو ابن حزقيا اليهوذى ملك أورشليم الذى دون عنه المقدس التوراتى أنه

عمل الشر فى عينى يهوه . . وعاد فبنى المرتفعات التى أبادها حزقيا أبوه . . وسجد لكل جند السماء وعبدها فى دارى بيت يهوه

ملوك ثانى ٢١ / ٢ – ٥

بل وعاد منسى إلى عبادات كنعانية قديمة كانت تشرع التقرب من الإله بذبح الأبناء الذكور البكر على مذبح الإله وحرقه على محرقته استرحاما، لكن منسى كان يذبح ويتقرب بالبشر ليهوه، وهو ما يشعرنا بفظاعة إحساسه بدنو نهايته على يد الآشوريين حتى أنه أقدم على هذا القربان الرهيب بتقديم ابنه شخصيا للنار.

ولا شك **أن منسى كان يفعل ذلك من باب استرضاء الآلهة الأخرى الأجنبية التى ربما كانت أقوى من يهوه بدليل قوة جيوشها ودولتها** . . وفجأة يأتى ملك آشور ويأسر منسى، ويغفل المحرر الأسباب حتى تقف فقط عند عصيان منسى الدينى، لكن التاريخ هنا يفصح عن السبب الحقيقى وهو تمرد وعصيان منسى بعد اتفاق تم بين دول بلاد الشام على العصيان الجماعى لآشور زمن ملكها أسرحادون، مما دفع أسرحادون

(٤) نفسه: ١١٧ .

إلى تجريد حملات جيوشه على تلك البلاد وإعادتها إلى الطاعة، وأنه جـاء بملـوك دويـلات تلـك الـبلاد واستخدمهم خدما فى قصره ومنهم

بعلو ملك صور **ومنسى ملك يهوذا** وكوش جبرى ملك إيدوم وموصورى ملك موآب وسلبيل ملـك **غـزة وميتينى** ملك أشقلون(٥)

وهو ماردد العهد القديم صداه إذ يحكى

ولكن منسى أضل يهوذا وسكان أورشليم ليعملوا أشر من الأمم الذين طردهم الرب من أمام بنـى إسـرائيل، وكلم الرب منسى وشعبه فلم يصغوا، فجلب عليهم رؤساء الجند الذين لملك آشور، فأخذوا منسـى بخزامـة وقيدوه بسلاسل وذهبوا به إلى بابل

أخبار أيام ثانى ٣٣ / ٩ – ١٢

ولم تتمكن مصر هذه المرة من نجدة حليفتها الصغيرة، لأن مصر نفسها كانت زمـن اسرحادون قـد وقعت فريسة الغزو الآشورى الذى اجتاحها حتى بلاد النوبة، لكن لتكتب آشور بذلك بداية قصـة نهايتهـا، فكانت دوما بحاجة لتكثيف جيوشا فى مصر إزاء ثورة لم تنقطع أو تهدأ فى مسـاحات شاسـعة مـن أرض يعرف دروبها الثوار وحدهم، مما أعطى الفرصة لثورة أخرى على آشور فى بلادها ذاتها، لقد كانت ثـورة بابل الصاعدة.

ترك الملك منسى ولده آمون على العرش، ولم يمض على حكمه عامين حتى قام يوشيا ابنه بـانقلاب سريع ضده استولى معه على العرش حوالى ٦٤٠ ق.م (ملوك ثـانى ٢١ / ٢٠ – ٢٤)، وخـلال العقـدين التاليين زمن وملك يوشيا أحرز يهوه وكهنته انتصارات واضحة ضد العبادات الغريبة، وظهر خلالهما ثلاثة أنبياء دخلوا التوراة وسجلت كتبهم فيها وهم صفنيا وناحوم وإرميا.

وخلال ذات الفترة كانت مصر قد خلعت نير الآشوريين عن كاهلها وبـدأت تسـتعيد قوتهـا، وكـان الانتصار المصرى قد استنزف فى ثورته قوى آشور، وفى عام ٦٢٦ انتفضت بابل أيضا ضد آشـور لتقـيم دولة الكلدانيين القوية، بينما كان الميديون من سكان إيران يحتلون المقاطعات الشرقية لآشور، ويعقدون حلفا مع بابل الجديدة من أجل إسقاط العاصمة الآشورية نينوى. وفى هذه الظروف جاءت نبوءات الأنبياء الثلاثـة صفنيا ونـاحوم ثم إرميا.

وقد وصلنا من كتاب صفنيا ثلاثة إصحاحات فقط خلاصتها: أن يهوه يهدد يهوذا وأورشليم عاصـمتها بالعقاب لخطايا شعب يهوذا، مما يشير إلى أن تلك النبوءة قد وضعت قبل إصلاحات يوشيا لصالح يهوه. لأنه بعد تلك الإصلاحات نجد نبوءات أخرى لصفنيا تهدد وتتوعد بدمار دول المحيط وبخاصة العاصمة الآشورية نينوى التى كان من السهل ومن قراءة الأحداث التنبؤ بسقوطها الوشيك.

ومعاصراً لصفنيا كان ناحوم الذى ركز نبوءاته على نينوى فكتابه يبدأ بعنوان يقـول: " وحـى علـى نينوى، سفر رؤيا ناحوم الألقوشى / ناحوم ١ / ١ " و(ألقوش) مدينة صغيرة من مدن يهوذا يعنى أنه كـان من مواطنى المملكة اليهوذية. بالطبع لم يقل ناحوم أن نينوى باتت مهددة من تلك الشعوب المحيطة بها، ولا أنها زمنه قد بدأت تتلقى أولى ضربات الحلف الميدى البابلى، لأن الأمر كله لابد أن يعود إلى يهـوه الـذى سينتقم لشعبه من آشور، فقد وجه يهوه غضبه ضد نينوى لأنه منها " خرج المفتكر على يهوه شرا " وبالطبع يقصد سنحاريب ملك آشور. وأعلن يهوه على لسان ناحوم حكمه على آشور " لايزرع من اسمك فيما بعـد / ناحوم ١/ ١٤" لقد جاء انتقام يهوه على يد الحلف الميدى البابلى وهو ينادى نينوى التى أوشكت على السقوط " تتفتح لأعدائك أبواب أرضك / ناحوم ٣ / ٥ ".

لكن فرحة ناحوم الشامتة لم تستمر طويلا لأن بابل الناهضة كانت فى طريقها للاستيلاء على ميـراث آشور فى المنطقة الشرق أوسطية، بعد أن دمرت آشور فى ٦١٤ ق.م وتقاسم الحلفاء ممتلكاتها.

ورغم أن سفر ملوك ثانى يؤكد إخلاص الملك يوشيا وغيرته الشديدة على يهوه، وأنـه طـارد كـل العبادات الأخرى وقام بمذابح هائلة ضد أتباعها وكهنتها، وأنه " .. لم يكن قبله ملك مثله، قد رجع إلى يهـوه

---

(٥) نفسه: ١١٨ .

بكل قلبه وكل نفسه وكل قوته حسب شريعة موسى، وبعده لم يقم مثله / ملوك ثانى ٢٣ "، فإن يهـوه أبـدى نكرانا للجميل، فبينما مات منسى الكافر على سريره هانئا، فإن يوشيا المخلص ليهوه قد مات إبان معركته مع الفرعون نخاو عندما فضل يوشيا اعتراض جيوش مصر الخارجة لإيقاف الزحف البابلى على المنطقة.

ومعلوم أن أسفار موسى لم تظهر إلا زمن يوشيا هذا حيث قيل أنه قد عثر عليها خبيئة بالمعبد، وهـى التى عرفت باسم كتاب أو سفر التثنية. والقوانين والأحكام فى هذا الكتاب أبداً لا تتفق مع زمن موسى لأنهـا تتحدث عن شعب يعيش حياة حضرية ويشتغل بالزراعة وليس شعبا بدويا تائها، شعب يملك مـدنا ونظامـا سياسيا وسلطة ملكية وإدارة مدنية (تثنية ١٦ / ١٨) ولديه مجمعه الكهنوتى الهرمى.

وفى سفر التثنية سقطة تؤكد أن هذا السفر قد تم جمعه أو إعادة تدوينه من أوراق قديمة زمن يوشـيا، حيث يقول فى موضع منه " فى عبر الأردن فى أرض موآب ابتدأ موسى يشرح هذه الشريعة قائلا / تثنية ١ / ٥ "، والتعبير فى عبر الأردن أى فى الجانب الغربى من نهر الأردن، وهذا يشير إلى **أن الكاتب ولـيس موسى هو من كان يعيش فى عبر الأردن**، بينما نعلم أن موسى مات ولم يعبر هذا النهر إلى غربه أبداً.

هذا ناهيك عن أسلوبه ومفرداته التى لا تمت بصلة إلى زمن موسى إنما هى بحق لغة متطـورة مـن مميزات القرن السابع قبل الميلاد بل ويجب افتراض أن أنبياء مثل صفنيا وناحوم بل وإرميا كـانوا ضـمن جامعى ذلك القديم أو مؤلفى سفر الشريعة / التثنية.

وفى ذات الزمن ما بين ٦٥٠ و ٦٤٠ تقريبا ولد نبى آخر هو النبى الشهير إرميا، سليل أسرة الكـاهن أبيثار الذى كان رأس كهنة أورشليم زمن داود وسليمان، وكان فيما يبدو ميسوراً متقفا قارئا للمقدس لأنه ينقل فى كتابه نقلا حرفيا نبوءات سبق وقرأناها عند عاموس وهوشع وإشعيا. ويبدأ كتابه بمدخل تصديرى يقول: " كلام إرميا بن حلقيا من الكهنة الذين فى عناثوث فى أرض بنيامين، الذى كانت كلمة الرب إليه فى أيام يوشيا بن آمون ملك يهوذا / إرميا ١ / ١،٢ "

ثم يميز إرميا نفسه **وكيف أصبح نبيا قبل أن يولد وكيف اختاره يهوه واصطفاه وهيأه للنبوة، وكيف أنه مرسل إلى شعوب العالمين وهى نغمة جديدة ستؤثر فى نبى آخر بعيد فيما بعد ذلك بأزمان وفى مكـان بعيد**، يقول إرميا.

فكانت كلمة الرب إلىّ قائلا: **قبلما صورتك فى البطن عرفتك، وقبلما خرجت من الرحم قدستك، جعلتك نبيـا للشعوب**، فقلت آه ياسيدى الرب إنى لا أعرف أن أتكلم **لأنى ولد**. فقال الرب لى: لا تقل إنى ولد لأنك إلـى كل من أرسلك إليه تذهب وتتكلم بكل ما آمرك به. لا تخف من وجوههم لأنى أنا معك لأنقذك، يقول الرب. ومد الرب يده **ولمس فمى وقال الرب لى: هاقد جعلت كلامى فى فمك**، انظر: قد وكلتك هـذا اليـوم علـى الشعوب وعلى الممالك لتقلع وتهدم وتهلك وتنقض وتبنى وتغرس.

إرميا ١ / ٤ – ١٠

وهكذا كان **من تكلم صبيا هو إرميـا**، وكان إرميا مشاركا فى الرعاية التمهيدية لسفر الشريعة / التثنية الذى كان آنذاك قيد الإعداد، وقام يهاجم العبادات الوثنية ويطالب بعدم السجود سوى ليهوه إبّان كان فى قريته عناثوث المنسوبة لربة الخصب الكنعانية (عنات / عناث) حتى أن أهل قريته تأمروا عليه لقتله (إرميا ١١ / ٢١) مما اضطره إلى الهرب إلى أورشليم. وبقى إرميا حيا خلال زمن يوشيا ثم ابنه يهو آحاز ثم يهو يـاقيم ويهو ياكين وصدقيا. ورأى بعينيه ما أسسه ليهوه زمن الملك يوشيا ينهار زمن أخلافه الذين عادوا للعبـادات المتعددة والآلهة الغريبة، لذلك لم يكل إرميا من التنديد بشعبه لغدره بيهوه وزناه مع الآلهة الغريبة التـى تـم ترميمها من جديد، خاصة عبادات البعل وربة السماء إيزيس المصرية وعشتار البابلية، وكان يهـوه يغلـى غيظاً وكمداً وغيرة على لسان إرميا إذ يقول له:

أما ترى ماذا يعملون فى مدن يهوذا وفى شوارع أورشليم؟ الأبناء يلتقطون حطبا والآبـاء يوقـدون النـار والنساء يعجّن العجين، ليصنعن كعكا لملكة السماوات . . لكى يغيظونى

إرميا ٧ / ١٧ ، ١٨

بعدد مدنك صارت آلهتك يا يهوذا وبعدد شوارع أورشليم وضعتم مذابح للخزى مذابح للتبخير للبعل

إرميا ١١ / ١٣

كان غضب يهوذا قد تفجر على الجميع أغنياء وفقراء، لكن الأغنياء كانوا أكثر مكراً ومعصية:

مثل قفص ملآن طيوراً هكذا بيوتهم ملآنة مكراً، من أجل ذلك عظموا واستغنوا، سمنوا، لمعوا، أيضا تجاوزوا فى أمور الشر . . أفلأجل هذه لا أعاقب؟ يقول الرب، أوَلا تنتقم نفسى من أمة كهذه؟!

إرميا - / ٢٧ - ٢٩

أتسرفون وتقتلون وتزنون وتحلفون كذبا وتبخرون للبعل وتسيرون وراء آلهة أخرى لم تعرفوها، ثم تأتون وتقفون أمامى فى هذا البيت الذى دعى باسمى عليه وتقولون أنقذنا؟!

إرميا ٧ / ٩ ، ١٠

محرقاتكم غير مقبولة وذبائحكم لا تلذ لى

إرميا ٦ / ٢٠

ثم يستدير إرميا يكيل الطعن لزملائه الأنبياء فكل الشر يأتى منهم بتعاونهم مع الكهنة فهم

يفسقون ويسلكون بالكذب ويشددون ايادى فاعلي الشر حتى لا يرجعوا الواحد عن شره ... هكذا قال يهوه رب الجنود: لا تسمعوا لكلام الأنبياء الذين يتنبأون لكم فإنهم يجعلونكم باطلا . . يتكلمون برؤيا قلبهم لا عن فم يهوه . . ويقولون لكل من يسير في عناد قلبه لا يأتى عليكم شر وقد سمعت ما قالته الأنبياء الذين تنبأوا باسمى بالكذب . . عار أبدى وخزى أبدى

إرميا ٢٣ / ١٤ - ٤٠

وبالطبع **كان بقية الأنبياء يقولون عن إرميا ذات الأقوال ويرمونه بذات الاتهامات، لكنه كان يعتبر نفسه الصادق وهم الكذبه**، وبقى حوالى ثلاثين عاما يطلق نبوءاته ويغامر بحياته ويعرض نفسه لأكثر من مؤامرة، حتى قال أنه قد أصبح " إنسان خصام وإنسان نزاع مع كل الأرض ١٥ / ١٠ ". وقد انعكست معاناته تلك فى رغبة دفينة فى الثأر والانتقام من الجميع، فينادى يهوه بكل رغباته الدموية:

لا تصفح عن إثمهم . . سلم بنيهم للجوع وادفعهم ليد السيف، فتصير نساؤهم ثكالى وأرامل، ويصير رجالهم قتلى الموت، وشبانهم مضروبى السيف فى الحرب.

إرميا ١٨ / ١٨ - ٢٣

ويردد إرميا **ما سيردده بعد ذلك نبى فى مكان بعيد وزمن أبعد منطقا** يتناول عبادة الأصنام التى لا تستحق السجود

لأنها شجرة يقطعونها من الوعر، صنعة يدى نجار بالقدوم، بالفضة والذهب يزينونها، وبالمسامير والمطارق يشدونها فلا تتحرك، هي كاللعين فى مقثاة فلا تتكلم، تحمل حملا لأنها لا تمشى، لا تخافونها لأنها لا تغير ولا فيها أن تصنع خيراً . . الآلهة التى لم تصنع السماوات والأرض تبيد من هذه الأرض ومن تحت هذه السماوات

أما يهوه فهو الإله الحقيقى لأنه هو :

صانع الأرض بقوته، مؤسس المسكونة بحكمته، بفهمه بسط السماوات . . مصور الجميع وإسرائيل قضيب ميراثه . .

وهو أيضاً إله عالمى

لا مثل لك يارب، عظيم أنت وعظيم اسمك فى الجبروت، من لا يخافك **يا ملك الشعوب** لأنه بك يليق، لأنه فى جميع حكماء الشعوب وفى كل ممالكهم ليس مثلك.

إرميا / ١٠

وتزداد الضغوط النفسية على إرميا وهو يجد نفسه يصرخ ولا مجيب، يكرهونه ويدبرون لاغتياله مرة ويسبّونه مرة، فينادى شعب يهوذا الضال الذى خان آلهته بعقاب قادم، فسيمنع يهوه المطر ويموت الناس جوعا، ثم يرسل جحافل شعب غريب عليهم فيقتلونهم ويسبونهم إلى بلاد غريبة، لكن يهوه سيرأف بهم فى النهاية إذا تابوا وندموا عما فعلوه من شر (إرميا ٥ /١٥ – ١٩ و ٦/١٨ – ١٠ و ١٠/٣٣ – ١٢)

ومع ذلك فإن إرميا لم يكن فيما يبدو قد وصل إلى التوحيد المجرد، كل ما فى الأمر أنه يريد يهوه وحده سيداً، أما طقوس عبادته فكانت هى ذات طقوس الآلهة الأخرى، ولم يبد عدواً لتقريب الضحايا والتبخير لربه، لأنه يرى مستقبل يهوذا التائبة يوم يقوم الكهنة اللاويون بإصعاد المحرقات والتقدمات وتهيئة الذبائح ليهوه (ارميا ٣٣ / ١٨). فلم يكن ليهوه أية مطاليب أخرى سوى ذات المطاليب التى تطلبها الآلهة الأخرى.

ويبدو أن مواقف إرميا السياسية كانت وراء ملاحقته واضطهاده، فكما علمنا انفصلت بابل عن آشور بعد موت (آشور بانى بعل) عام ٦٢٦ ق.م وخلال العقدين التاليين كانت بابل والميديين قد حطموا الإمبراطورية الآشورية تماماً. وبدأت تطلعات بابل لميراث الإمبراطورية، وكانت لمصر زمن الفرعون (نخاو) ذات الطموحات، وهو ما دفعها لمساعدة حاميات آشور فى شمالى سوريا أملا فى الاستيلاء عليها، لكن نبوخذ نصرا الكلدانى أنزل بها الهزيمة فى قرقميش، فتراجع نخاو بجيوشه لتجميع قواه ومتابعة الصراع ضد بابل. وهو ما شجع يهوذا على إيقاف دفع الجزية لآشور المتهالكة وكانت يهوذا تابعة فى الوقت نفسه لمصر. ويبدو أن يهو آحاز بن يوشيا أزعج الفرعون فعزله وأخذه أسيراً إلى مصر حيث مات هناك، ونصب الفرعون نخاو بدلاً منه يهو ياقيم شقيقه ملكا على يهوذا. وفى كل ممالك بلاد الشام كان يجرى النزاع بين اتجاهين في السياسة الخارجية، اتجاه يميل نحو مصر والآخر نحو بابل، فكان فى بلاط الملك يهو ياقيم حزب قوى موال لمصر، وحزب آخر موال لبابل قوى شأنه بعد هزيمة الفرعون نخاو، وكان إرميا من هذا الحزب الأخير الذى يرى أن الخلاص من الدمار والانقراض الشامل هو الخضوع لبابل باستسلام كامل دون مقاومة. **لأن الهزيمة العسكرية أمام مصر قد تعنى مجرد تبعية سلمية، أما الهزيمة العسكرية أمام بابل فكانت تعنى الدمار الشامل**. ومن هنا لم يكن إرميا مواليا لحزب بابل حبا فيها بل رعبا منها وإشفاقا مما قد يحدث ليهوذا لو حالفت مصر وهزمت مصر أمام بابل ثانية، فمعنى ذلك الإبادة الشاملة لشعب الرب من قبل البابليين. هذا بينما كان فريق ثالث يعتقد أن يهوه لن يسمح لهؤلاء أو أولئك من وثنيين بالسيطرة على شعبه، لكن إرميا كان على يقين من اجتياح بابل لبلاده، لكن يهوه فى النهاية لن يسمح بفناء شعبه " وأيضاً فى تلك الأيام يقول يهوه لا أفنيكم ١٨/٥ ". ومثل هوشع وإشعيا يتنبأ إرميا ببعث جديد لشعب إسرائيل من البقية التائبة أو الراجعة لكن فى مستقبل غير محدد بشكل دقيق. لكن قبل ذلك ستدمر أورشليم تماماً " يكون هذا البيت وتكون هذه المدينة خربة بلا ساكن "، وكان رد فعل الناس على إرميا غضباً شديداً " وكل الشعب أمسكوه قائلين تموت موتا ٨/٢٦ " لكن البعض الآخر انقذ إرميا من غضبة الناس، فى ذات الوقت الذى لقى فيه النبى أوريا بن شمعيا – الذى كان يردد ذات كلام إرميا – حتفه، " أتوا به إلى الملك يهوياقيم فضربه بالسيف وطرح جثته فى قبور بنى الشعب ٣٢/٢٦ ".

وبالفعل السحرى المتبع بكسر الجرار الفخارية رمزاً على كسر أصحابها وفنائهم، تجرأ إرميا أمام شيوخ الكهنة والشعب فى وادى بن هنوم وكسر هناك إناء فخاريا وهو يقول كلمة يهوه " هكذا أكسر هذا الشعب وهذه المدينة كما يكسر وعاء الفخارى "، وكان ذلك مجلبة للنحس فى اعتقاد الناس، لذلك أمر فشحور كاهن معبد أورشليم بضرب إرميا ومنعه من دخول المعبد (١/١٩ – ١١ و ٢/٢٠).

ويبدو أن ملك يهوذا (يهو ياقيم) قد اضطر فى النهاية إلى إعلان خضوعه لبابل، لأنه قام أولا بقطع اتصالاته مع مصر، ثم ارسل جزية إلى نبوخذ نصر، ثم عاد بعد ثلاث سنوات يتردد محاولا العودة إلى مصر التى فقدت ثقتها به، وحتى يؤكد عودته توقف عن دفع الجزية لبابل، فأمر نبوخذ نصر اتباعه الموآبيين والآراميين والعمونيين بتأديبه فهاجموا بلاده. ومات يهوياقيم عام ٥٩٨ تاركا العرش لا بنه يهوياكين، فى الوقت الذى وصلت فيه جيوش بابل وضربت الحصار على أورشليم واستسلم يهوياكين ٥٩٧ ق.م، وسبى نبوخذ نصر الملك اليهوذى وبلاطه وكهنته وجيشه إلى بابل، وترك سكان الريف وأقام عليهم صدقيا الابن الثالث ليوشيا ملكا منوبا من قبله على يهوذا.

وإلى الأسرى فى بابل أرسل إرميا رسالة باسم يهوه ينصحهم بالخضوع التام للملك البابلى ولا يعولوا على عودة سريعة لأورشليم لأنه " هكذا قال يهوه، إنى عند تمام سبعين سنة لبابل أتعهدكم وأقيم لكم كلامى الصالح بردكم إلى هذا الموضع / إرميا ٢٩/١٠". **إذن فلا عودة من الأسر البابلى قبل سبعين عاما**. هكذا كانت نبوءة رميا.

وتتالى الأحداث وتجتمع كلمة الشعوب الواقعة تحت النير البابلى موآب وآدوم وعمون وصور وصيدا بتحريض من مصر، وأرسلوا سفراءهم إلى صدقيا ملك يهوذا لينضم للحلف. وما أن رأى إرميا السفراء حتى نادى:

هكذا قال يهوه رب الجنود إله إسرائيل . . أنا صنعت الأرض والإنسان والحيوان الذى على وجه الأرض . . وأعطيتها لمن حسن فى عينى، والآن قد دفعت كل هذه الأراضى ليد **نبوخذ نصر ملك بابل عبدى** . . ويكون أن الأمة التى لا تخدم نبوخذ نصر ملك بابل . . إنى أعاقب تلك الأمة بالسيف والجوع والوباء – يقول يهوه – حتى أفنيها بيده . . والأمة التى تدخل عنقها تحت نير ملك بابل وتخدمه، أجعلها تستقر فى أرضها – يقول يهوه – وتعملها وتسكن بها.

إرميا ٢٧ / ٤ – ١١

لكن الحزب المعادى لبابل قدم نبيه حنانيا يقول باسم يهوه

هكذا قال يهوه . هكذا اكسر نير نبوخذ نصر ملك بابل **فى سنتين من الزمان**

إرميا ٢٨ / ١٠ – ١١

وبينما تضرب جيوش بابل الحصار الثانى على أورشليم **كان حنانيا يعلم أن جيوش مصر قد خرجت لمعونة يهوذا** وحلفائها بقيادة الفرعون إبريس، ورفع نبوخذ نصر حصاره عن أورشليم محركا جيشه باتجاه مصر فانتعشت آمال يهوذا فى الخلاص، بينما تم القبض على إرميا فى يهوذا بحسبانه جاسوسا لبابل وأودع السجن، لكنه كان يصر على أن يهوه قد أمر بتسليم أورشليم لبابل " هذه المدينة ستدفع دفعا ليد جيش ملك بابل فيأخذها / إرميا ٣٨ / ٢،٣ ". مما دفع جنود يهوذا لمطالبة الملك بقتل إرميا الذى يضعف روح المقاومة عند الناس.

ليقتل هذا الرجل لأنه بذلك يضعف أيادى رجال الحرب الباقين فى هذه المدينة . . هذا الرجل لا يطلب السلام لهذا الشعب بل الشر

إرميا ٣٨ / ٤

وهزم البابليون جيش الفرعون إبريس الذى عاد إلى مصر، وفى عام ٥٨٦ ق.م اخترقت جيوش بابل أورشليم وتم تهديمها بشكل شبه كامل، فقد أمر نبوخذ نصر بهدم أسوارها، وحرق معبد يهوه، وقتل الملك صدقيا، وسبى الصناع والحرفيين وغيرهم إلى بابل وترك فقراء يهوذا فقط يفلحون الأرض. كما أمر **بإكرام إرميا** وتخييره بين البقاء فى يهوذا أو السفر إلى بابل ففضل البقاء فى يهوذا، **ومن هناك تم اختطافه إلى مصر** هو وتابعه الذى كان يلازمه باروك، ورغم أن **إرميا كان قد تنبأ بأن مصر ستلاقى مصير يهوذا على يد البابليين فإن نبوءته لم تتحقق**، وفى مصر مات واختفى ذكر إرميا من التاريخ. كذلك أخطأ إرميا فى تحديد مدة أسر اليهوذيين ببابل سبعين عاما، لأنه حتى أولئك الذين ذهبوا إلى السبى الأول **لم يلبثوا أكثر من ٥٨ عاما**، منذ الحصار الأول ٥٩٧ ق.م وحتى ٥٣٩ ق.م على وجه التدقيق.

والنظرة الفاحصة لكتاب إرميا ستكشف أن هناك إصحاحات قد أضيفت إلى هذا الكتاب ليست لإرميا بأية حال وهما الإصحاحين ٥١ و ٥٢ تكرر حرفيا ذات الإضافات التى حشيت بكتاب إشعيا، وتتحدث حول هجوم الميديين على بابل (إرميا ٥١ / ١١). ودمار بابل التى ستتحول إلى كومة من الأنقاض، وهو ذات ما رددته إصحاحات إشعيا ١٣ و ١٤، بينما نجد الإصحاح ٥٢ فى إرميا يردد ما جاء فى الإصحاح ٢٥ من كتاب ملوك ثانى، بل ويشهد على ذلك إن تلك الإصحاحات قد أضيفت بعد ما ورد من إشارة ختامية فى الإصحاح ٥١ " إلى هنا كلام إرميا "، والمرجح **أن كاتبها كان رفيقه باروك الذى أراد إصلاح وتهذيب شأن خيانة إرميا الواضحة وعمالته لبابل.**

ولم تعمر المملكة البابلية الكلدانية طويلاً، فقد ظهرت قوة جديدة فى إيران هى قوة الفرس الذين اخضعوا الميديين هناك، وتمكن قورش الفارسى من توحيد إيران جميعا تحت سلطانه، وفى ٥٣٩ ق.م. كان قد فتح بابل. لكنه **أبداً لم يحقق نبوءات إشعيا وإرميا، فلا هو هدم معابدها ولا دمر تماثيل آلهتها ولاتركها كومة أنقاض، بل أبدى نحوها شديد الاحترام**، وكانت حكمته دليلاً لأخلافه الذين تمكنوا من إقامة إمبراطورية كبرى طوت شرقى المتوسط تحت جناحيها حتى وادى النيل، لكن إرميا رغم موته شريداً غريبا فى مصر فإنه لم يعدم من يشاطره آراءه من بعد، ذلك كان (حزقيال) المنحدر من نسل الكهنة الصدوقيين المقدسين، والذى ذهب إلى بابل أسيراً فى صباه عام ٥٩٧ ق.م، وبعد أن أمضى خمس سنوات فى الأسر قرر أن يكون نبيا. أما كيف كان ذلك؟ فقد ظهر له يهوه ونشر أمامه كتاب " وهو مكتوب من داخل ومن قفاه وكتب فيه مراث ونحيب وويل ". ثم أمر يهوه حزقيال أن يأكل ذلك الكتاب، وعند ذلك أصبح حزقيال نبيا (حزقيال ٣/١ –١٤) يتحدث بلسان يهوه عن مستقبل شعبه المختار.

لم تكن هناك مصائب باقية أكثر مما حدث لشعب الرب، لكن حزقيال كان يرى مصائب أكثر وأخطاراً أعظم هى الخطر المحيق بديانة يهوه. وكان حزقيال شاهداً على الخيانة التى قام بها شعب يهوذا لربه يهوه بعبادة آلهة أخرى (حزقيال /٨) .

ونجد عنده إشارات إلى **عبادة بشر حيوانات بمعبد أورشليم تشير إلى آلهة مصرية واضحة** (حزقيال ١٠/١ و ٦/٤٣)، وكانت تلك الآلهة ذات الرؤوس الحيوانية إضافة لشبيهها فى بابل كما فى الثيران المجنحة (قيراب) أو (كروبيم) قد أصبحت فيما بعد أساساً لظهور ما يعرف بالملائكة فى أفق الديانة اليهودية، ويروى حزقيال كيف كان الكروبيم (الثيران المجنحة) تنقل يهوه من بابل إلى أورشليم إلى أى مكان آخر.

ويرتد حزقيال عن النقلة التقدمية التى أسسها إرميا بعالمية يهوه الذى كان يرعى الأراميين والكوشيين والفلسطينيين، **يعود حزقيال إلى يهوه العنصرى الذى يقف فقط إلى جوار شعبه المختار**، وأنه سينتقم من الشعوب المحيطة بيهوذا من عمون إلى موآب إلى آدوم إلى الفلسطينيين، لأنهم نجسوا معبد الإله بدخولهم إليه، وتشفوا فى هلاك يهوذا على يد نبوخذ نصر (حزقيال ٢٥/٣).

ويرتد حزقيال إلى طلب يهوه للقرابين والذبائح وليس للتقوى (حزقيال ٤١ / ٢٢)، ويعد يهوه حزقيال بأنه فى مملكة إسرائيل التى سوف تبعث، سيعمل الكهنة " على المذبح محرقاتكم وذبائحكم السلامية فأرضى عنكم / حزقيال ٢٧/٣٤ "، والسبب الواضح **أن حزقيال كان كاهنا من سلالة الكهنة**، وكان يشغله وضع الكهنة المميز. لكن كان يشغله أيضاً طمأنة شعبه على مستقبله وهو أسير فى بابل، فالله قد قال له:

فبددتهم فى الأمم فنذروا فى الأراضى . . أنا يهوه . . وآخذكم من بين الأمم وأجمعكم من جميع الأراضى وآتى بكم إلى أرضكم .. وأجعلكم تسلكون فى فرائضى وتحفظون أحكامى وتعملون بها

حزقيال / ٣٦

لكن السؤال كان: هل يستحق شعب الرب كل هذا العقاب العظيم؟ وإذا هلكت يهوذا فذلك معناه انتهاء عبادة يهوه، ثم لماذا هذا العقاب للجميع بينما يوجد بالشعب عباد مخلصين ليهوه؟ ولماذا يعانى الأبرياء مع الخاطئين المذنبين فى حق يهوه بعبادة آلهة أجنبية؟ كانت إجابته ذات إجابة هوشع فإسرائيل الشمالية ويهوذا الجنوبية كانتا مثل امرأتى زنى خانتا زوجهما الشرعى يهوه مع عشاق آشوريين ومصريين وبابليين. لكن الزانية ستتوب ويعدها يهوه بالغفران (حزقيال ١٦ /٥٢ – ٦٠).

ولتبرير عدل يهوه إزاء عباده المخلصين الذين يعانون مع الخونة وربما أكثر معاناة من خونة يهوه، فإن حزقيال يكرر تفسيرات إرميا، ثم يضيف إضافات جديدة تماماً **متأثرة بالعقائد المصرية الأخروية:**

فإذا رجع الشرير عن جميع خطاياه التى فعلها وحفظ كل فرائضى .. **فحياة يحيا ولا يموت**. كل معاصيه التى فعلها لا تذكر عليه.. وإذا رجع البار عن بره وعمل إثما وفعل مثل كل الرجاسات التى يفعلها أفيحيا؟ كل بره الذى عمله لا يذكر فى خيانته .. **يموت.**

حزقيال ١٨ / ١ – ٢٤

ومن ثم يفتح حزقيال أبوابا جديدة للأمل والتوبة، ضمن مدرسة الكهنة ذوى الامتيازات، وحرصا على هذه الامتيازات قاموا يقدمون وحيا منسوبا لموسى يعرف باسم القانون الكهنوتى، يعكس مصالحهم

وتطلعاتهم. أدرجوه تعشيقا هنا وهناك فى التوراة الخماسية، فى مناطق متفرقة منها، حتى تجد فى التوراة القديمة المنسوبة لموسى فصولا كاملة مكرسة لوظائف الكهنة وطقوسهم وقرابينهم، لأن إسرائيل المقبلة يجب أن تكون تحت سلطان الكهنة.

ومن هنا نجد ثمانية إصحاحات كاملة من كتاب حزقيال من ٤٠ إلى ٤٨ عبارة عن مشروع كامل لبناء يوتوبيا إسرائيل المقبلة **تحت سلطان الكهنة**. ويقدم حزقيال تصوراته من خلال أقصوصة يقول فيها أن يهوه أخذه وطار به إلى المستقبل كى يشاهد إسرائيل الآتية الباقية، ودور المعبد الضرورى للكهنة وسيادتهم فى المملكة المقبلة، ويضع ضمن تلك التصورات كيف سيكون الكهنة فى أعلى درجات السلم الاجتماعى، وهناك سوف يعلمون الشعب

التمييز بين النجس والطاهر، وفى الخصام هم يقفون للحكم يحكمون حسب أحكامهم ويحفظون شرائعى وفرائضى، فى كل مواسمى يقدسون سبوتى

حزقيال ٤٤ / ٢٣ ، ٢٤

ومعنى ذلك أن الكهنة سيحوزون أيضاً السلطة القضائية بينما تقوم السلطة المدنية بدور هامشى تماماً، ويبدأ الحديث عن رئيس ستكون مهمته تقريب الضحايا ليهوه ورعاية المعبد وممارسة الشعائر الدينية، لهذا سيجمع الإتاوة من الشعب لصالح المعبد وكهنته. من هنا **كانت الطقوس عند حزقيال أهم كثيراً من الواجبات الأخلاقية .**

ولم يعش حزقيال حتى يرى **معظم نبوءاته وهى تطيش** خاصة تلك النبوءات المحددة الواضحة المباشرة، ففى بداية نبوءاته فى بابل **تنبأ بمحاكمة الملك اليهوذى صدقيا فى بابل (٢٠/١٧) وهو مالم يحدث، وتنبأ بدخول نبوخذ نصر صور (إصحاحات ٢٦ و ٢٧) وهو مالم يحدث أيضا.**

وفى بابل كان أنبياء آخرون يتنبأون بمستقبل شعب الرب لم تصلنا أسماؤهم لأنه تم إدخالها فى كتب أنبياء أكثر شهرة، منها تلك التى نسبت زورا إلى النبى إشعيا ابتداء من الإصحاح ٤٠ وحتى نهاية كتاب إشعيا، واصطلحت مدارس نقد التوراة على تسميتها بِكِتابَىّ إشعيا الثانى وإشعيا الثالث كاصطلاحات فقط مجازية لا علاقة لها بإشعيا صاحب الكتاب. **لأنها أبداً لم تدون بأحداثها زمن إشعيا إنما بعد ذلك، زمن الأسر البابلى وفى الأسر البابلى،** وبعض تلك الإضافات تعود إلى زمن أكثر تأخراً من زمن الأسر البابلى.

يعلن النبى المجهول المتسلل إلى كتاب إشعيا إعلانا إلهيا هو أن يهوه قد قنع بما أنزله على يهوذا من عقوبات استحقتها، وأن آثامها قد تمت مجازاتها وأنها قد قضت فترة عقوبتها وآن أوان تصالحها مع ربها بعد أن انتهى من توقيع الجزاء المناسب الذى ارتاحت له نفسه المكلومة من شعبه المختار.

عزوا عزوا شعبى، يقول إلهكم، طّيبوا قلب أورشليم ونادوا بأن جهادها قد كمل، أن إثمها قد عُفى عنه، أنها قد قبلت من يد يهوه ضعفين عن كل خطاياها.

اشعيا ٤٠ /١ – ٢

وكان كورش يكتسح إيران يوحدها ثم يخرج بجيوشه ليخضع المدن اليونانية فى آسيا الصغرى، وتتتالى الأنباء عن التهيؤ الفارسى لاكتساح بابل، وهنا يقوم إشعيا المزيف يتنبأ بانتصار قورش الفارسى على بابل (إشعيا ٢٥/٤١ و ١١/٤٦) ويعلن النبى المجهول أن يهوه قد وقع اختياره على قورش ليكون هو ممسوحه المسيح

هكذا يقول يهوه **لمسيحه قورش** الذى أمسكت بيمينه لأدوس أمامه أمما وأحقاء ملوك أَحُلُّ لأفتح أمامه المصراعين والأبواب لا تغلق .. لأجل عبدى يعقوب وإسرائيل مختارى دعوتك باسمك، **لقبتك وأنت لست تعرفنى**

إشعيا ٤ / ١ – ٤

وفى إضافات إشعيا الثانى تجد كلمات وصفات أبداً ليس لها مثل فى بقية إشعيا الأصلى، ثم كلمات لم تعرفها لغة العهد القديم إلا بعد البقاء فى الأسر البابلى مدة سمحت بنحت ألفاظ جديدة واصطلاحات جديدة، ودلالات جديدة لألفاظ قديمة. ويعلن اشعيا الثانى عن قورش الفارسى.

هو يبنى مدينتى .. ويطلق سبيى لا بثمن ولا بهدية

اشعيا ٤٥ / ١٣

ثم ينقل بالحرف من كتاب ملوك ثانى (١٣/١٨ – ١٩) ويدونه فى اشعيا (٣٩/٣٦)، ناهيك عن كون الإصحاحات من ٣٦ إلى ٣٩ **تتحدث عن النبى إشعيا بضمير الغائب، أما نبوءته بدخول قورش بابل فهو أمر كان يستطيع أى شخص أن يتنبأ به،** لذلك قام يكتبه وينسبه إلى النبى إشعيا.

ولما أفرج قورش عن المسبيين بعد سقوط بابل، لم يتحمس اليهوذيون الأسرى للعودة من رفاهية بابل وخيرات الفرات، بل لقد رأى بعضهم **أن رب بابل مردوك أقوى كثيراً من يهوه الذى يملك على مقاطعة فقيرة وشعب جاهل ومتخلف.** إضافة إلى أنهم هناك تزاوجوا من الرافديات وتاجروا وأثروا بل وأصبحوا يحملون أسماء بابلية ويسلكون بعادات البابليين، ولم يجد إشعيا الثانى آذانا صاغية لدعوته بالعودة وإقامة الهيكل والمدينة المقدسة، فقام ينادى بقول يهوه المكلوم:
هوذا من أجل آثامكم قد بعتم، ومن أجل ذنوبكم طلقت أمكم، لماذا جئت وليس إنسان؟ ناديت وليس مجيب؟ هل قصرت يدى عن الفداء وهل ليس فيَّ قدرة للإنقاذ.

إشعيا ١/٥٠ ، ٢

ويؤكد إشعيا الثانى لشعبه أن بابل سوف تذهب إلى السبى كما ذهبت يهوذا بل أن آلهة بابل نفسها سيتم الإطاحة بها ويحملونها معهم إلى سبيهم، لأنها مجرد أصنام تعجز عن حماية أتباعها بعكس يهوه المنقذ، فيقول عن بعل / بيل والرب نبو البابلى
قد جثا بيل، انحنى نبو، صارت تماثيلها على الحيوانات والبهائم .. قد انحنت، جثت معاً، لم تقدر أن تُنَجى. أنت تنجى الحمل وهى نفسها قد مضت فى السبى

إشعيا ١،٢/٤٦

لا يعلم الحاملون خشب صنمهم والمصلون لإله لا يخلّص

إشعيا ٤٥ / ٢٠

أليس أنا يهوه ولا إله آخر غيرى وبعدى لا يكون؟

إشعيا ٤٣ / ١٠

وأنا الأول وأنا الآخر ولا إله غيرى

إشعيا ٤٤ / ٦

لقد سجل إشعيا الثانى مجده بدءاً من تلك اللحظة عندما جعل من يهوه ربا واحداً مطلقا عالميا دون منافس. ثم ينتقل فى تبرئه يهوه مما حدث لشعبه نقلة أخرى، **فيهوه لم يعاقب شعبه لأنه أسوأ من الشعوب الأخرى بل لأنه الأفضل،** الشعوب الأخرى تضرب فى ظلمات الوثنية أما الشعب المختار فقد استضاء عقله وطريقه بشريعة يهوه، لأنه المختار ليكون " نوراً للأمم / إشعيا ٤٢ / ٦ ". والجهل راحة والمعرفة عذاب وهذا شأن أقوياء الروح ودورهم فى التاريخ، أن يتحملوا جهل الآخرين وذنوبهم على عاتقهم ويتعذبون بسببهم، إن الشعوب الجاهلة تزدرى شعب الرب وتشمت فيه وتعذبه (إشعيا٢٣/٥١). لكن كل هذا هو الثمن النبيل المدفوع سلفا للمجد الآتى، لأن شعب الرب عندما يصل إلى ختام أداء رسالته سوف يصبح أعظم العالمين بقرار يهوى، وستعلم الشعوب الأخرى أن شعب الرب قد تعذب من أجل خلاصها، وأطاعت إسرائيل ربها بعبودية ووفاء. **وتبدأ كلمة العبودية لله تظهر فى أفق العقيدة اليهودية لتطلق على أحباره وأنبيائه** (عباد الله جمع عبد الله)، لتؤثر بعد ذلك فى الصيغ النبوية التى **سنسمع لها صدى فى الزمن الآن تردد أن النبى ليس سوى عبداً لله مبلغا ونذيراً،** يقول إشعيا الثانى

أما أنت يا إسرائيل عبدى، يا يعقوب الذى اخترته .. الذى .. دعوته وقلت له أنت عبدى، اخترتك ولم أرفضك ..لأنى إلهك

إشعيا ٤١ / ٨ – ١٠

اذكر هذه يا يعقوب، يا إسرائيل فإنك أنت عبدى، قد جبلتك عبداً لى أنت ياإسرائيل، لاتنس متى قد محوت كغيم ذنوبك، وكسحابة طاياك، ارجع إلىّ لأنى قد فديتك (يقصد الرجوع من بابل إلى أورشليم دون التأويل)

إشعيا ٤٤ / ٢١ ، ٢٢

ثم يعلن للجهلاء من شعوب المحيط

هذا الشعب جبلته لنفسي يُحدّث بتسبيحي

٤٣ / ٢١

هـــوذا عبـدى يعقـل، يتعالى ويرتقى ويتسامى جدا

٥٢ / ١٣

ويبدو أن **إشعيا الثانى ذلك المجهول كان يعيش حياة شديدة القسوة**، تلقـى بظلهـا الغـامض علـى الإصـحاح ٥٣ الـذى يصـور حيـاة قـديس معـذب يقـول عنـه يهـوه " عبدى البار / إشعيا ٥٣ / ١١ "، وأن هذا العبد المحب ليهوه كان محتقراً بين الناس وانصرف عنه الجميع لشكهم فى أنه يتلقى عقابا من الله على آثامة، رغم أن هذا القديس المعذب فى الواقع:

أحزاننا حملها وأوجاعنا تحملها ونحن حسبناه مضروبا من الله ومذلولاً وهو مجروح لأجل معاصينا، مسحوق لأجل آثامنا، تأديب سلامنا عليه وبحبره يشفينا

إشعيا ٥٣ / ٤ ، ٥

والسبب أن

يهوه وضع عليه إثمنا جميعا

إشعيا ٥٣ / ٦

(وغنى عن الذكر أن المسيحية بعد ذلك وجدت فى ذلك نبوءة بمسيحها المعذب من أجل البشرية).

وفى هذا الإصحاح نجد حديثاً عن سجن القديس المعذب ومحاكمته وربما إعدامه (بغموض) فهى تقول " قُطع من أرض الأحياء "، لكن النبى وهو ينتظر الإعدام أعلن قوله أنه قد:

جعل نفسه ذبيحة إثم، يرى نسلا تطول أيامه، ومسرة بيد يهوه تنجح

إشعيا ٥٣ / ١٥

ويعضده يهوه ويعلن

لذلك أقسم له بين الأعزاء ومع العظماء، يقسم غنيمة من أجـل أنه سكب للموت نفسه، وأحصى مع إثمه، وهو حمـل خطيـة كثيرين وشفع فى المذنبين.

إشعيا ٥٣ / ١٢

وفى المستقبل الآتى مع النجار يسوع بن مريم نجده قد وجد لديه فى عذابات قديسنا المجهول نظريـة كاملة عن **المعذب الذى جاء يحمل خطية البشر**، وليس من الضرورى أن يكون العذاب على ذنب بقـانون النار لا تحرق مؤمنا، فربما يكون العذاب خاصا بالمتقين بقانون المؤمن مُصاب. ويمكن أن يتعـذب البـرئ التقى بعلم الله وإرادته ليفسح المجال للخاطئين كى يتوبوا، وتلك الفكرة وإن كانت فلسفة غامضة غير منطقية أو مقبولة عقلا، فإنها كذلك لأنها من أسرار يهوه غير المفهومة، أسراره المحجوبة على أفهام البشر، ويشرح يهوه فلسفته الجديدة:

لأن أفكارى ليست أفكارهم، ولاطُرقكم طُرقى، يقول يهوه، لأنه

كما علت السماوات عن الأرض، هكذا علت طرقى وأفكارى
عن أفكاركم.

إشعيا ٥٥ / ٨ ، ٩

وهكذا تمت صياغة فكرة الرسالة الفدائية لإسرائيل من أجل البشرية، لأنه عبد يهوه وبشيره ونذيره الذى يجب عليه أن يتحمل ويحمل شريعة الرب إلى " الجزائر .. والأمم .. البعيدة / إشعيا / ٤٩ / ١ ". وهكذا سجل هذا القديس لأول مرة فتحا مبينا فى تاريخ اليهودية التى لم تعد تقتصر على شعب بنى إسرائيل، لأن شعب بنى إسرائيل لفضله وأصالته قد تم اختياره ليحمل الرسالة ويتحمل العذاب إلى الشعوب الأخرى بالدعوة لمجد يهوه.

ومن أجل مجد يهوه لم يلتفت إشعيا المجهول إلى أن قورش كان من غير بنى إسرائيل بالدم والعنصر، ولم يهتم بكونه كان وثنيا تماما حتى مماته، فهو أول المهديين الذين تم هداهم لخدمة يهوه، وأن يهوه بنفسه هو من مسحه مسيحا لأنه كان رسول يهوه المنتظر من زمن طويل، الذى سينفذ إرادة يهوه. ويرسم إشعيا المجهول صورة فصيحة لدمار بابل القريب، وأن يهوه سيسير أمام قورش ليفتح له أبواب سور بابل

أنا أسير أمامك والهضاب أُمهد أكسر مصراعى النحاس،
ومغاليق الحديد أقصف /

إشعيا ٤٥ / ٢

(وقد ذهب البعض أن فتح بابل قد تم عبر اتفاقات سرية مسبقة بين اليهوذيين المسبيين وبين قورش، وكان اليهوذيون فى بابل يعيشون كمواطنين داخل المدينة)

وبينما يذهب شعب بابل إلى المنفى حسب تلك النبوءة، فإن شعب إسرائيل سيعود إلى وطنه ويصبح صاحب مجد عظيم، وأن كأس الألم ستشربه شفاة الذين عذبوا شعب الرب (٥١ / ٢٢ ، ٢٣) والظالمون سيأكلون أجسادهم ويشربون دمهم كالخمر (٢٦/٤٦).

وسوف تأتى كل الشعوب بجزيتها وكنوزها إلى دولة شعب الرب (١٤/٤٥)، وسيلحق بالوثنيين الخزى والعار، لكن بعضهم سيؤمن بيهوه ويأتون إليه يقولون :

فيك وُحد الله وليس آخر إله

إشعيا ١٤ / ٤٥

وستقوم أورشليم عاصمة كبرى مقدسة يناديها النبى:

أخرجوا من بابل، اهربوا من أرض الكلدانيين بصوت الترنم
أخبروا، نادوا بهذا

اشعيا ٤٨ / ٢٠

ولكن الشعب المقدس يتمسك بالإقامة في بابل ولا يرغب فى العودة، مما كان مبرراً مصلحيا لعدم تصديقهم نبوءات الأنبياء عن الغد الذهبى فى أورشليم.

المهم أن قورش بعد فتح بابل سنة ٥٣٨ ق.م بقليل، أعلن مرسومه بعودة اليهوذيين إلى يهوذا، وقد ورد فى كتاب عزرا

فى السنة الأولى لكورش ملك فارس، عند تمام كلام يهوه بفم إرميا، نبّه يهوه روح كورِش مِلك فارس، فأطلق نداء فى كل مملكته وبالكتابة أيضاً قائلاً: هكذا قال كورش ملك فارس: جميع ممالك الأرض دفعها لى يهوه إله السماء، وهو أوصانى أن أبنى له بيتا فى أورشليم التى فى يهوذا. من منكم من كل شعبة ليكن إلهه معه ويصعد إلى أورشليم التى فى يهوذا، فيبنى بيت يهوه إله إسرائيل، **هو الله الذى فى**

> **أورشليم**. وكل من بقى فى أحد الأماكن حيث هو مُتغـــرب،
> فلينجده أهل مكانه بفضة وبذهب وبهائم، مع التبرع لبيـــت
> يهوه الذى فى أورشليم
>
> عزرا الأول ١ / ١ – ٤

لقد حل النبى المشكلة، **الفقراء يعودون، أما الذين ارتبطوا بمصالح اقتصادية فـــى بـــلاد الكلـــدانيين البابلية، فإنه يمكنهم البقاء لكن عليهم التبرع والتمويل لإعادة بناء الهيكل** الذى سبق وهدمه نبوخذ نصـــر، بناء البيت، وبناء مدينة أورشليم وسورها المهـــدوم. أى أنه على من يرغب فـــى البقاء أن يتقـــدم بمعونـــة سنوية لمعبد كهنة أورشليم.

وبينما نبى التوراة المجهول يتحدث عن قورش باعتباره المسيح المختار لدمار بابل، كان كهنة الإلـــه البابلى مردوك يسجلون بأوامر قورش، أن الإله مردوك رب بابل قد استدعى قورش لفتحهـــا، وذلـــك فـــى المرسوم القائل على لسان مردوك، أنه

> بعد أن نظر فى كل البلدان ومحصها بحثا عن ملك تقى، يكون
> من قلبه، فليأخذ بيده. نادى الملك كورش .. باســـمه، وناشـــده
> السيطرة على الكون .. وأمره بالسير إلى مدينته هـــو (مدينـــة
> مردوك) بابل، ودون معركة أو قتال سمح له بدخول بابل. (٦)

لقد كان قورش يرعى مصالحه السياسية عبر إيمان المتدينين، فهو يفتح بابل ويحترم آلهتها ويوقرهـــا بعكس كل نبوءات التوراة، ويقول أنه جاء ليأخذ بابل بناء على طلب كبير أربابها، كذلك فعل مع بقية آلهـــة الدول المفتوحة، كذلك فعل مع يهوه، ويقول فى مرسوم آخر.

> حين دخلت بابل، أخذت برعاية شئون بابل الداخلية ومقدساتها
> .. ففرح **مردوك** المليك العظيم لأعمالى المباركة، وباركنى انا
> كورش الملك الذى يجله (٧)

وتمكن قورش من اجتذاب كهنة ديانات البلاد المفتوحة إلى جانبه، وهم من جانبهم ضـــمنوا لـــه ولاء رعاياهم بما لديهم من أوامر إلهية يوحى بها، ولم تفكر بابل فى الانتفاض عليه لافى عهده ولا فى عهد ولده قمبيز. وهو قد سمح لليهوذيين بالعودة إلى أورشليم ليس لأنه تلقى أوامر يهوه بذلك، ولكن لأنه كـــان يهـــئ نفسه للاستيلاء على مصر، وكان يشغله أن يكون الملك الملاصق لبوابة مصر من أتباعه هو وأتباعـــه، أن يكون شعب الحدود المصرية وفيا لفارس. بل ودفع قورش جزءاً من مصاريف بناء الهيكل، لأنه كان يريـــد إخلاص الكهنوت اليهوذى، مع تبعية كاملة، فهى عودة لكنها تحت ظل السلطان الفارســـى الكامـــل، بـــل أن قورش قد عين عليها واليا فارسيا من قبله، مع حاكم يهوذى محلى هو **زربابـــل** الذى اختاره الكهنة بحســـبانه **سليل البيت اليهوذى الملكى، سليل داود وسليمان.**

لكن عند العودة لم تعد سوى قلة من اليهوذيين الذين ضاقت بهم سبل الرزق فى بابل، بعد أن شكوا فى وعود يهوه **لأن أقواله كذبت أكثر من مرة**، فهو أكثر من مرة أكد أنه سيفنى البابليين وبابل، لكن مـــا حـــدث كان بالعكس تماما، بل ازدهرت بابل أكثر، وأضيفت إليها معابد جديدة، وإلى تجاراتهـــا زيـــادات هائلـــة، وتحولت إلى كبرى عواصم الدولة الفارسية نفسها.

وعاد البعض، ودفع البعض، وقام العائدون يبنون وينتظرون كل ليلة إطلالة المجد اليهوى بالخير على شعبه المخلص، لكن لتجتاح الأرض موجة جفاف نادرة المثال، وتصاب المزروعات بالدمار، حتى الأشـــجار المثمـــــــــــــــــرة ضـــــــــــــــــربتها الآفـــــــــــــــــات (حجى ٥/١ – ١١ و ١٩/١٥)، ثم جاء الجراد يكتسح فى هجوم متكرر، مع مشاكل أخرى نتجت عن كـــون القائمين فى يهوذا من فلاحين لم يتم سبيهم، كانوا قد استولوا على اراضى المسببين، ويـــرفضوا الآن إعادتها ممـــا خلـــق مشـــاكل كبــــــرى بينهم بين الكهنة.

---

(٦) ريجسكى: أنبياء التوراة .. سبق ذكره، ص ٢٠١.

(٧) نفسه: ص ٢٠٢ .

وامتد تشييد معبد يهوه المتواضع جداً حوالى عشرين سنة كاملة، كانت فيها أورشليم تعانى ويلات الجوع، وعاش الناس فى حطام أطلال لم تبن منذ الغزو البابلى، ليبزغ فى التاريخ نجم نبى مجهول جديد، لم يجد أمامه سوى سفر إشعيا فدس فيه لفائفه الجديدة، واصطلح على تسميته إشعيا الثالث. وكان حديثه يقع زمن بناء الهيكل والدعوة إلى بناء سور أورشليم (إشعيا ٦٠ / ١٠ ـــ ١٣)، وسط النزاع بين الأتقياء وبين الكفار. **والكفار عند إشعيا الثالث ليسوا الشعوب الوثنية ولكن هم اليهوذيين أنفسهم الذين قد أصبحوا نصف وثنيين**، يقدموا القرابين ليهوه فى أورشليم، ثم يذهبوا ويرتبوا موائد الإلهين جاد ومنسى (إشعيا ٦٥/١١) ويأكلون الخنزير المحرم (١٧/٦٦). **وظهر مفهوم الكافر فى أفق التاريخ** ليعيد إلى يهوه غضبه ويقول إن يهوه قبل أن يعيد بناء أورشليم **سيبيد أولاً الكافرين، وبعدها سيكون لإسرائيل أمجاداً عظمى وتبنى كأزهى البلاد** (إشعيا ٤/٦١) إن الأزمة عندما استحكمت ذهب الحلم الغاضب إلى تكفير بنى الملة، **وهو ما يردد صداه اليوم فى بلاد المسلمين**. وبينما يعود عزراً عما كان قد أسسه أشعيا الثانى من عالمية يهوه ودعوته للتبشير وفتح دينه للآخرين، يعود عزراً إلى عنصرية الشعب المختار بالدم والعنصر وحده، لأنهم عندما عادوا من الأسر فوجئوا بمن بقى منهم هناك وقد تزوجوا من نساء الشعوب المختلفة وعبدوا آلهتها، وهو ما يسجله كتاب عزراً فى تقرير يقول:

> لم ينفصل شعب إسرائيل والكهنة واللاويين من شعوب الأرض من رجاساتهم، من الكنعانيين والحيثيين والفرزيين واليبوسيين والعمونيين والموآبيين والمصريين والأموريين، لأنهم اتخذوا من بناتهم لأنفسهم ولبنيهم، واختلط الزرع المقدس بشعوب الأرض، **وكانت يد الرؤساء والولاة فى هذه الخيانة أولاً.**

وهنا نلمح فى زمن إشعيا الثالث ومواصفاته ما يمكنها من تحديد زمنه وقت أو أيام كان كهنوت أورشليم لم يبلغ سطوته كاملة، ووقت كان يلح فقط على فروض العبادة، ونستمع إليه يعضد إشعيا الثانى ويؤكد فتح باب اليهودية للشعوب الأخرى، حتى يجد حلاً لمشكلة الزواج الكثيف من الأجانب، وحتى يجعل أبناء تلك الزيجات يهوداً، وهنا يقول يهوه لأبناء الشعوب الأخرى.

> فلا يتكلم ابن الغريب الذى يقترن بيهوه ليخدموه، وليحبوا اسم يهوه، ليكونوا له عبيداً، كل الذين يحفظون السبت لئلا ينجسوه ويتمسكون بعهدى، آتى بهم إلى جبل قدسى وأفرحهم فى بيت صلاتى، وتكون ذبائحهم ومحروقاتهم مقبولة على مذبحى، لأن بيتى بيت الصلاة يدعى لكل الشعوب.
>
> إشعيا ٥٦ / ٣ ـ ٢٨

وأنبياء الشعوب الأخرى المؤمنون بيهوه سيعيشون فى مملكة إسرائيل المزدهرة (إشعيا ٦١ / ٥)، لكن خدمة معبد يهوه تظل من اختصاص اليهوذيين فقط. ويدفع إشعيا الثالث بيهوه نحو تطور أرقى حين يؤكد يهوه – مع الصعوبة القائمة فى بناء المعبد – أنه ليس بحاجة ماسة لمعبد، والسبب

> هكذا قال يهوه : السماوات كرسىّ، والأرض موطئ قدمى. أين البيت الذى تبنون لى؟
>
> إشعيا ٦٦ / ١

(وفى الإسلام أصبحت الأرض كلها معبداً طهوراً)، وهكذا تدل مداخلات إشعيا الثالث على أنه لم يكن كاهنا منتفعا من المعبد، لأن هناك آخر كان ينتفع لأنه كان كاهنا لذلك كان يقول كلاماً آخر، ويؤكد على وجوب استكمال المعبد لأن يهوه يحتاج إلى السكن فى الأرض :

> هكذا قال يهوه رب الجنود قائلاً: هذا الشعب قال إن الوقت لم يبلغ وقت بناء البيت !! هل الوقت لكم أن تسكنوا فى بيوتكم المغشاة، وهذا البيت خراب؟؟
>
> حجى ١ / ٤٢

ووجد حجى فى تباطؤ شعبه عن البناء حجة تبرر ما نزل بهم من كوارث جديدة، فيهوه يقول لحجى:

لأجل بيتى الذى هو خراب، وأنتم راكضون كل إنسان إلى بيته، لذلك منعت السماوات من فوقكم الندى، ومنعت الأرض غلتها، ودعوت بالحر على الأرض وعلى الجبال وعلى الحنطة وعلى المسطار وعلى الزيت، وعلى ما تنبته الأرض، وعلى الناس، وعلى البهائم.

حجى ١ / ٩٦ - ١١٠

اصعدوا إلى الجبل وأتوا بخشب وابنوا البيت فأرضى عليه وأتمجد. قال يهوه

حجى ١ / ٨

واستغرقت عملية البناء خمس سنوات أخرى، وكان المعبد الثانى أكثر تواضعا من البيت الأول المتواضع أصلاً بجوار المنشآت المعمارية لدول الجوار، وينظر حجى إلى البيت الجديد حزيناً قائلاً بمرارة:

من الباقى فيكم الذى رأى هذا البيت فى **مجده الأول**، وكيف تنظرونه الآن؟ أما هو فى عينيكم كلاشيء.

حجى ٢ / ٣

ويعلن يهوه على لسان حجى أنه سيبنى البيت مع البنائين، محفزاً لهم مبشراً أن (زربابل) سليل بيت داود وسليمان الملكى سيكون بداية البُشرى لقيام دولة اليهود الكبرى، ولقبه بلقب (مُشتهى الأمم)، يقول يهوه:

تشددوا يا جميع شعب الأرض يقول يهوه، واعملوا فإنى معكم .. لا تخافوا لأنه هكذا قال يهوه رب الجنود، هى مرة بعد قليل فأزلزل السماوات والأرض والبحر واليابسة وأزلزل كل الأمم، ويأتى مشتهى كل الأمم فأملأ كل هذا البيت مجداً

حجى ٢ / ٤ - ٧

وإلى زربابل بن شلتائيل من يسرى فى عروقه الدم الملكى السليمانى يتوجه يهوه بالقول عبر حجى:

كلم زربابل والى يهوذا قائلاً: إنى أزلزل السماوات والأرض، وأقلب كرسى الممالك وأبيد قوة ممالك الأمم، وأقلب المركبات والراكبين فيها، وينحط الخيل وراكبوها كل منها بسيف أخيه. فى ذلك اليوم يقول يهوه رب الجنود: آخذك يازربابل عبدى بن شلتائيل يقول يهوه، وأجعلك **كخاتم** لأنى قد اخترتك. يقول يهوه رب الجنود

حجى ٢ / ٢١ - ٢٣

كان حجى كما هو واضح يشير إلى اضطرابات شديدة فى الأمم المحيطة بمؤامرات يدبرها يهوه لأجل عيون شعبه، وهو ما يلتقى فعلاً مع مجموعة أحداث كانت تجرى حينذاك، فقد قتل قورش فى حملة على آسيا الوسطى وتحطم جزء كبير من جيشه، وانتقل العرش إلى ولده قمبيز الذى حاول تعويض تلك الهزيمة بفتح جديد، فدفع بجيوشه نحو مصر وتمكن من احتلالها. ولكن ليقوم الميديون فى فارس بمؤامرات عاد بموجها قمبيز من مصر لكنه مات فى الطريق. وتمكن الكاهن الميدى جوماتا من الوصول بثورته إلى البلاط الفارسى وتم تنصيب (برديا) ملكا، ثم قام انقلاب آخر بالبلاط الفارسى انتهى بقتل (برديا) وتمكن أحد المتآمرين الميديين من الاستيلاء على عرش فارس، وهو من عرفه التاريخ باسم دار يوش. ونتيجة هذه الخلخلة فى قوة الإمبراطورية قامت عدة ثورات فى البلاد المفتوحة، فى بابل وفارس وميديا وعيلام وآسيا الوسطى ومصر، لكن دار يوش كان رجلا حديديا تمكن من قمع تلك الثورات جميعا وتوطيد ملكه عند نهاية عام ٥١٩ ق.م. ومن جانبه احتسب حجى تلك الاضطرابات بداية النهاية للجميع حول يهوذا، لأنه لما كانت يهوذا لا تملك مقومات القوة لترفع رأسها وسط هذه القوى الكبرى، **فإن يهوه رأى تدمير تلك القوى الكبرى**

سلفا لأجل مجد شعبه. وأنه قد أعد زربابل ليكون ملكا للملكة الرسولية الآتية. لكن نبوءة حجي ذهبت مذهب نبوءات زملائه السابقين، فقد صمدت الإمبراطورية الفارسية، بل وبلغت زمن دار يوش الأول اقتداراً لم يسبق له مثيل، لكن إلى هذا الزمن تعود نبوءات نبى آخر من الأنبياء الكهنة فى معبد أورشليم هو النبى زكريا الذى كان يرى مثل حجي أن الأحداث العاصفة التى جرت خلال السنتين الأولتين من حكم دار يوش دلالة أكيدة على اقتراب اليوم الأخير يوم يهوه، وحلول المملكة اليهوذية الرسولية الجديدة. لكن زكريا تفاجئه الأحداث واستقرار الأمور لدار يوش تماما.

ويصوغ زكريا نبوءاته فى شكل دراما تخيلية تصور الأمم فى هيئة وحوش قوية ذات قرون، ولأول مرة لا يتكلم يهوه بنفسه، **فتظهر فكرة الملاك حامل الوحى للرسل فى أفق التاريخ الدينى**، ويتساءل ملاك الوحى: متى سينزل يهوه رحمته بيهوذا التى ما برح يغضب عليها؟ ويتراءى لزكريا فيما يشبه الحلم أوالبقظة أربعة قرون، ويشرح له الملاك حامل الوحى أن تلك القرون الوحشية هى التى دمرت يهوذا، زوجان منهما مصر وبابل بالطبع وقد تم تحطيم هذين القرنين على يد دار يوش، ثم قام ينادى اليهوذيين المستوطنين فى بابل للهرب والعودة لأورشليم لأن أورشليم على أول سلم الوعد والمجد لأن ربها يناديها " ترنمى وافرحى يابنت صهيون، لأنى ها أنذا آتى وأسكن فى وسطك " وكى يحدث ذلك كان لابد من التطهير الرمزى، فيظهر يهوشع كاهن أورشليم الأول (رمزيا) بثياب قذرة، فيأمر الملاك **برفع وزره الذى أنقض ظهره** ويأمر: " انزعوا عنه الثياب القذرة " استعدادا لمجيء سليل بيت داود الملكى، الغصن من شجرة سليمان

انظر يا يهوشع الكاهن العظيم .. لأنى ها أنذا آتى **بعبدى الغصن** .. وأن الإله سوف يزيل إثم تلك الأرض فى يوم واحد

زكريا / ٣

أما الأمر الواقعى فى تلك الصورة فيوعز بأن يهوشع الكاهن قد لطخ نفسه بتصرفات غير لائقة، مما دفع زكريا الكاهن لشرح ذلك باعتباره آية للناس وضرب مثل، وأن الله لا يرضى الهجوم على خدامه الكهنة، لكن من هو " **غصن جذع داود** "؟ هو الذى كان باقيا من سلسال داود: (زربابل).

هكذا كلمة يهوه إلى زربابل قائلاً: لا بالقدرة ولا بالقوة بل بروحى .. إن يدى زربابل قد أسستا هذا البيت فيداه تتممانه

زكريا / ٤

لكن زكريا كان كاهنا وتشغله سيادة الكهنوت على المُلك المدنى، لذلك قام بصناعة الذهب المرسل من يهود بابل تاجا ملكيا، وكى تتدعم سلطة الكهنوت ألبسه للكاهن يهوشع وليس زربابل، مما دفع زربابل إلى الغضب ومغادرة أورشليم والعودة إلى بابل. وقد سعد الكهنة بخروج هذا المنافس بعد أن استثمر اسمه كثيراً، وتوقيا لأى نزعات تمردية أو انفصالية قد يسعى لها. ويبدو أن زربابل قد ذهب إلى بابل يطلب دعم اليهوذيين المقيمين هناك، لكن ليختفى بعد ذلك ذكره تماما، **ويختفى النسل الملكى ولا يظهر إلا بعد ذلك خلال القرن الأول الميلادى عندما جاء يسوع الناصرى ليعلن أنه البذرة الباقية من فرع داود وغصن سليمان وأن فى عروقه يسرى الدم الملكى.**

وفى النصف الثانى من القرن الرابع قبل الميلاد كان هناك نبى آخر يطلق نبوءاته مؤكداً على اقتراب يوم يسود شعب يهوه بقدوم يوم يهوه، ذلك كان عوبيديا الذى قام يؤلف نبوءاته فى الأيام الأخيرة للأسر البابلى، ووقف يتذكر ضعف شعب إسرائيل، وكيف قامت الشعوب المجاورة بنهب يهوذا : موآب وعمون وبالذات: آدوم ليرى الآن آدوم تلقى ذات العقاب حيث قام أعراب الجزيرة بمهاجمتها ونهب أرضها، كان هذا دليلاً على أن يهوه لم ينس شعبه فعاقب آدوم، كما كان دليلاً على اقتراب يوم يهوه الذى سيحاكم فيه كل الشعوب التى آذت شعبه الذليل. ويعطى **العلامات المنبئة بقدوم هذا اليوم**

دمار ونار وأعمدة دخان، تتحول الشمس إلى ظلمة والقمر إلى دم قبل أن يجئ يوم يهوه المخوف .. لكن فى جبل صهيون وفى أورشليم تكون نجاة .. وتعلمون إنى أنا وسط إسرائيل وإنى أنا يهوه إلهكم وليس غيرى

عوبيديا ٢/٣٠ - ٣٢ و ٢٧ - ٢٩

في تلك الأيام وفي ذلك الوقت عندما أرد سبى يهوذا وأورشليم، أجمع كل الأمم وأنزلهم إلى وادى يهو شافاط وأحاكمهم هناك، على شعبى وميراثى إسرائيل الذين بددوهم بين الأمم .. مصر تصير خرابا وآدوم تصير قفراً خربا من أجل ظلمهم لبنى يهوذا، الذين سفكوا دماء بريئة فى أرضهم

عوبيديا ٣ / ١ ، ٢ ، ١٩

وعند ذلك ستصبح يهوذا جنة الله فى الأرض :

ويكون فى ذلك اليوم أن الجبال تقطر عصيراً والتلال تفيض لبنا، وجميع ينابيع يهوذا تفيض ماء، ومن بيت يهوه يخرج ينبوع ويسقى وادى السنط

عوبيديا ٣ / ١٨

كان عوبيديا يحاول تعزية العائدين من الأسر زمن جفاف وقحط لم يحدث مثله من قبل، بينما كان زميله يوئيل يؤكد أن هذا القحط والجراد المتتالى الدورى علامة على اقتراب يوم يهوه، وفى أفق التاريخ يسجل الدين اليهودى قفزة نوعية على يد يوئيل عندما يرى أن ذلك اليوم سيكون يوم الدينونة العظمى لكن ليس لشعب الرب، بل للشعوب الوثنية، لأن شعب يهوذا لن يحتاج محاكمة فقد دفع سلفا كل ديونه وتطهر من آثامه بما لقيه من عذابات وتشريد. وستنسكب روح يهوه على شعبه المختار ويصبحوا جميعا أنبياء مطهرين. ومع كتاب عوبيديا الصغير ظهر كتاب ملاخى النبى، إبان كانت يهوذا مقاطعة هزيلة ضمن الإمبراطورية الفارسية، وبعد إقصاء زربابل والتحكم الكامل لكهنة يهوه فى بلاد يهوذا، حيث لا نرى إطلاقا أية سلطة مدنية (ملاخى ٢ / ٢٧)، وتحول الأنبياء عن الثورة للشعب الفقير إلى سند أيديولوجى للكهنة. وحاول أن يجيب على سؤال الشعب للرب " أحببتكم قال يهوه وقلتم بم أحببتنا؟ "، بأنه على الأقل لم تتعرض يهوذا لهجوم العربان الذى قضى تقريبا على آدوم، لذلك على يهوذا أن تشكر الله. أنها لم تدمر مثل آدوم لذلك عليها ألا تتذمر على ربها، ثم أن يهوه ليس مغمض العينين، فشعب يهوذا لايقرب قرابينه ليهوه فى معبده إلا من مواشيه المريضة ونباته المعطوب ؟!!

وإن قربتم الأعرج والسقيم أفليس ذلك شراً؟ قربه لواليك أفيرضى عليك؟

ملاخى ١ / ١٢

ثم أن شعب الرب قد فقد خوفه من يهوه

أقوالكم اشتدت علىّ قال يهوه، وقلتم ماذا قلنا عليك؟ قلتم عبادة الله باطلة، وما المنفعة من أننا حفظنا شعائره، ولأننا نحن مطوبون المستكبرين وأيضاً فاعلوا الشر يبنون، جربوا الله ونجوا.

ملاخى ٣ / ١٣-١٥

لقد أتعبتم يهوه بكلامكم وقلتم بم أتعبناه؟ بقولكم كل من يفعل الشر فهو صالح فى عينى يهوه وهو يسر بهم، أو أين إله العدل؟

ملاخى ٢ / ١٧

أيسلب الإنسان الله؟ فإنكم سلبتمونى فقلتم بم سلبناك؟ فى العشور والتقدمة. لقد لعنتم لعنا وإياى أنتم سالبون هذه الأمة

كلها. هاتوا **جميع العشور إلى الخزنة ليكون فى بيتى طعام، وجربونى بهذا**

ملاخى ٣ / ٨ – ١٢

أما السبب عند ملاخى فى بداية انتشار الإلحاد والكفر بيهوه فهو محاولة الانفتاح على الشعوب الأخرى لهدايتها لدين يهوه، وبالزيجات المختلطة مع الوثنيين

غدر يهوذا وعمل الرجس فى إسرائيل وفى أورشليم لأن يهوذا قد نجس قدس يهوه وتزوج بنت إله غريب

ملاخى ١١ / ٢

وكالأنبياء السابقين يتنبأ مؤلف كتاب ملاخى باقتراب يوم يهوه الذى لن تكون عليه أية علامات كما قال عوبيديا، بالعكس سيأتى يوم يهوه فجأة وبغتة، وحينها سيرسل ملاكا من عنده يطهر يهوذا بالنار " ويصفيهم كالذهب والفضة " وبعد ذلك سيأتى يهوه ليحكم بنفسه، وعندئذ يستعير ملاخى صورة **رب الشمس رع المصرى بأجنحته** مناديا " لكم أيها المتقون اسمى، تشرق **شمس** البر والشفاء فى **أجنحتها** / ملاخى ٤ / ٢ "، وعند ذلك ستخدم كل الشعوب يهوه رعبا منه وخوفا.

وبينما عزراً ومؤيديه ينشرون سفر الشريعة الذى تم تأليفه فى بابل وينسبونه إلى موسى، ويطلبون تطهير البلاد من الرجس الذى أفقدهم رعاية يهوه، يطلبون طرد وتطليق الزوجات الأجنبيات، ويشكلون لجان الفرز والفسخ فى وقت لم يعد يحتمل مثل تلك الإجراءات، بعد أن جرب شعب الرب العلاقات مع الشعوب الأخرى والعيش معها والكسب من تجاراتها ونعيم أربابها واختلط بالأجانب. ناهيك عن كون يهوه ظل طوال الوقت ينعى على شعبه وينعب ولا يقدم له سوى الدمار والشتات، كان أصحاب الاتجاهات الجديدة المتمدنة المتأثرة بالآخرين يتجرأون على إعلان آرائهم بوضوح، وتمكن بعضهم من التسلل إلى المقدس ليدونوا كتبهم بداخله، ومن هذه الكتب المحتجة كان كتابا راعوث ويونان.

وقد زعم مؤلف الكتاب أن القاضى صموئيل هو من ألف كتاب راعوث فى الزمن السالف البعيد، بينما لغة الكتاب لغة شديدة الحداثة سواء من حيث التعابير أوالأفكار التى تنتسب إلى زمن إصلاحات عزرا ونحميا وربما بعد ذلك، فلا يمكن لباحث مدقق أن ينسب سفر راعوث إلى ما قبل ذلك.

ويلقى المؤلف المجهول المحتج الذى لاشك كان متزوجا محبا لزوجة غير يهوذية بقصته داخل العهد القديم، لكن ليقوم شخص آخر من الكهنة بإلقائها فى رحم الزمان الغابر بادئاً بالقول أن ذلك قد " حدث فى أيام حكم القضاة " قبل حتى قيام مملكة شاؤول وداود وسليمان.

يحكى كتاب راعوث حكاية مؤثرة عن عائلة اضطرت لمغادرة بيت لحم بيهوذا نتيجة الجوع والقحط إلى بلاد موآب، وهناك مات رب العائلة وترك أرملته نعمى وولدين، فتزوج الولدان امرأتين موآبيتين، كان اسم إحداهما (راعوث)، وبعد فترة مات الولدان، وسمعت الأرملة نعمى أن الخير قد عاد إلى يهوذا فقررت العودة إليها سعيا إلى اللحاق بأحد أقاربها الموسرين فى يهوذا وكان يدعى (بوعز). لكن (راعوث) لم تترك حماتها نعمى إخلاصا لها ولزوجها المتوفى وتركت بلادها موآب وسافرت مع حماتها العجوز إلى يهوذا، إلى بيت لحم، وأوعزت نعمى إلى راعوث بإغواء قريبها الثرى بوعز.

ومعلوم أن هناك تقليد يهودى قدسى يلزم زواج الأخ بزوجة أخيه الميت لينجب ولداً يحمل اسم أخيه الميت فلا ينقطع ذكره، وكان هدف الأرملة العجوز إحياء اسم ابنها فأوعزت لكنتها بإغواء بوعز للزواج منها لينجب طفلا يحمل اسم زوجها السابق الميت ابن نعمى. وبالفعل تزوجت راعوث من بوعز وأنجبت ولدها عوبيد منسوبا إلى زوجها السابق الميت. ثم ينتهى كتاب راعوث بتقرير يقول أن راعوث هذه الموآبية هى التى أنجبت سلسالا انتهى إلى داود الذى أصبح ملكا على إسرائيل، لأن " عوبيد ولد يس ويس ولد داود". وهكذا جعل المؤلف امرأة موآبية جدة لملك إسرائيل ليعلن رأيه للجنة الفرز أنه ليس ضروريا أن تكون النساء الأجنبيات شريرات وضد يهوه، بل أنه من الممكن أن يكن تقيات ويلتزمن بتقاليد يهوذا وأوامر يهوه بل وينجبن ليهوذا ملوكا عظاما. وكان ذلك رداً على شريعة موسى المزعومة فى كتاب نحميا " إن عمونيا وموآبيا لا يدخل فى جماعة الله إلى الأبد / نحميا ١٣ / ١ ".

أما كتاب الاحتجاج الثانى فيعود إلى بطله يونان بن أمتاى، وتم إلقائه فى مرآة الأيام الخوالى زمن الملوك يهو آحاز ويهو آش ويربعام الثانى، أى تمت إعادته إلى نهاية القرن التاسع وبداية القرن الثامن من قبل الميلاد. ويبدأ سفر يونان بالعبارة " وصار قول يهوه إلى يونان بن أمتاى قائلا: قم اذهب إلى نينوى المدينة العظيمة وناد عليها لأنه قد صعد شرهم أمامى ". وكان على يونان أن ينفذ أمراً يهويا بأن يذهب لأهل نينوى يعلن لهم أن يهوه قد قرر تدمير مدينتهم بعد أربعين يوما.

وخاف يونان وهرب من تنفيذ أوامر يهوه فذهب إلى يافا وركب سفينة متجهة إلى ترشيش بأسبانيا هربا " من وجه يهوه "، فيغضب يهوه ويرسل على البحر أعاصيره، ويلقى البحارة بيونان مصدر البلوى فى البحر فيهدأ البحر. " أما يهوه فأعد حوتا عظيما ليبتلع يونان، فكان يونان فى جوف الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال. فصلى يونان إلى يهوه إلهه من جوف الحوت وأمر يهوه الحوت فقذف يونان إلى اليابسة / يونان ١ / ١٧ ، ٢ / ١ ، ١٠ "، وهو النبى الذى جاء ذكره فى الإسلام باسم يونس مُصرفا بالتصريف اليونانى.

وعرف يونان أنه لا مهرب له فذهب وأعلن أهل نينوى بقرار يهوه تدميرها بعد أربعين يوما، فآمن أهل نينوى وصاموا لله وهجروا الإثم، وأمر ملك نينوى شعبه بالتطهر خشية يهوه.

> فلما رأى الله أعمالهم، أنهم رجعوا عن طريقهم الرديئة، ندم
> الله على الشر الذى تكلم أن يصنعه بهم فلم يصنعه.
>
> يونان /٣

وشعر يونان بالمهانة والخذلان بعد أن ظهر إنذاره كاذبا، وتجرأ على تعنيف يهوه لأنه سيبدو فى نظر الناس نبيا دجالا، حتى أنه تمنى الموت وقال ليهوه: " خذ نفسى منى لأن موتى خير من حياتى، فقال يهوه: هل اغتظت بالصواب؟ ".

وبالطبع لا يمكن نسبة سفر يونان للتأريخ الذى وضعته له التوراة لأن لغته متأخرة، ويحوى كثيراً من الكلمات الأرامية المحدثة التى دخلت العبرية زمن السيطرة الفارسية.

والواضح أن المؤلف المجهول كان يحمل كتابه رسالة إلى أتباع يهوه المتعصبين مثل عزرا ونحميا، **وأن يهوه بإمكانه أن يكون رحيما لا غضوبا حتى مع الشعوب الوثنية**، ويقدم ليهوه صورة جديدة تماما بحيث يظهر رباً للخير رحوما صبوراً شفوقا حتى على نينوى عاصمة الوثنية والتجبر، لقد كتب المؤلف المجهول كتابه ليتحدى به كهنة أورشليم والأنبياء المتعصبين المنغلقين.

أما أكثر الكتب تحديا حتى ليهوه نفسه، ويموج بالنزوع الإلحادى الصريح فهو كتاب أو سفر أيوب. والكتاب من حيث اللغة والأفكار يعود إلى مرحلة ما بعد الأسر وأبداً ليس قبل القرن الخامس قبل الميلاد.

والكتاب بعد تشذيبه على يد الكهنة يحكى أن الواشى / شاطان / الشيطان أرشد يهوه إلى فكرة هى أن إيمان عبده أيوب وتقواه إنما لكى يزداد ثراء وصحة ونعمة، فهو إيمان غير خال من الغرض، وهنا يسمح يهوه للشيطان بتجربة عبده الوفى بامتحانات قاسية لإيمانه، فينزل الشيطان بالعبد التقى مصائب هائلة فيخسر ثروته ويموت أبناؤه ويصاب هو بالقرح فى جسده. لكن الكهنة الذين تدخلوا فى النص أكدوا أن أيوب كان طوال الوقت راضيا وأوجز موقفه بالقول " يهوه أعطى ويهوه أخذ فليكن اسم يهوه مباركا/أيوب١/١٢".

لكن ذلك لم يطغ على النغمة الساخطة الواضحة لعدم عدالة يهوه مع أيوب الذى لم يذنب، ويرى أيوب كل الشعب يتعذب والظلم سائد ويهوه يسمح بذلك. وهنا يأخذ أصدقاء أيوب دور المدافع عن الله فى مشهد درامى، بينما يأخذ أيوب دور الناقد المهاجم فى نقاش فلسفى، اتهم فيه أيوب مجادلية بأنهم " ملفقى الكذب " و " أطباء باطلين "، فالإله يميت الطيب التقى كما يميت الشرير (٢٢/٩) بل ويؤازر الأشرار ويحيطهم برعايته (٣٠/٢١) والكافر يعيش حياة طويلة ثريا مطمئنا ويترك ذرية كثيرة (وكان ذلك من علامات رضى يهوه).

وعلى لسان أيوب يقول هؤلاء الأشرار المنعمين " من هو القديم حتى نعبده وماذا ننتفع إذا التمسناه؟ أيوب ٢١ / ١٥ " هذا بينما الأتقياء يعانون الذل والجوع ويموتون على يد الأشرار " من الوجع الناس يئنون ونفس الجرحى تستغيث **والله لا ينتبه إلى الظلم** / أيوب ١٢/٢٤ "، ولا يوافق أيوب على أن يهوه سينتقم من أبناء الشرير " الله يخزن إثمة لبنيه؟! ليجاز نفسه / أيوب ١٩/٢١ – ٢١ ".

هكذا نلحظ أن **كاتب سفر أيوب لم يكن يعلم بظهور العقيدة الأخروية** فى أفق الديانة اليهودية، ولم يكن موضوع الحياة الآخرة والثواب والعقاب قد ظهر بعد، بل أن أصدقائه الذين أخذوا دور الدفاع عن يهوه لم يخطر ذلك ببالهم، فهم جميعا يعتقدون أن الموت هو نهاية كل شئ، نهاية السعادة ونهاية الأحزان " أما الرجل فيموت ويبلى الانسان، يسلم الروح، فأين هو الإنسان؟ يضطجع ولا يقوم، لا يستيقظون حتى لا تبقى السماوات، ولا ينتبهون من نومهم ١٤ / ١٠ ، ١٢ ".

وتتعالى النغمة فإذا كان الله هو القدير وهو المقدر لكل شيء، فهو إذن مصدر كل الأفعال، لأنه " عنده العز والفهم، له المضل والمضل / أيوب ١٦/٢ " **ويعلم سلفا ما سيحدث، ويعلم نتيجة امتحانه لعباده فلماذا يمتحنهم بالبلاء؟**

وينتهى الكتاب الحقيقى لأيوب بكلمات صارمة تؤكد أن أيوب كان محقا " فكف الرجال الثلاثة عن مجاوبة أيوب لكونه كان بارا فى عينى نفسه / أيوب ٣٢ / ١ ". لكن لتبدأ مداخلات أخرى من شخص تقليدى يستكمل السفر لصالح يهوه، فيقول إن يهوه جاء بنفسه ليؤازر المدافعين الثلاثة ويلقى خطبة طويلة ضد إلحاد أيوب (الإصحاحات من ٣٨ إلى ٤١)، وأنه ليس بحاجة لتبرير سلوكه مع عباده ولا يحق لعبد الاعتراض (أيوب ٣٩ / ٣٢)، وهنا يعترف أيوب بهزيمة منطقه أمام منطق الإله ويعلن توبته، وينتهي الكتاب بأن أيوب بعد رجوعه إلى الله وندمه عن فلسفته الهرطقية كافأ أيوب بعودة ثروته وولادة أبناء جدد له وأنه أمد فى عمره حتى عاش ١٤٠ سنة (الإصحاح ٤٢)، **وهكذا انتصرت قوة يهوه الغشوم على منطق وحق أيوب.**

وهكذا ثم تشذيب كتاب أيوب فى الأعداد (٨/٢٧ – ١٠ و ٢٣/١٣) على يد أيوب مُزيف، ليعلن أن الشرير ينتظره عقاب شديد من الله رغم كل إدانة أيوب الحقيقى طوال الكتاب لربه **الذى لا يميز ولا يقدر،** وهو ما يوضح أيضاً أن العددين (١٦/٢١ و ٢٢/٢١) إضافات لا حقة، بحيث تم تقديم شكوك أيوب فى عدالة يهوه كضعف مؤقت اعترى أيوب المعذب لكنه تجاوز ذلك بالتوبة فغفر له يهوه.

وهناك كتاب آخر لا يقل تنديداً بيهوه ونقداً مريراً للعقيدة اليهودية هو كتاب الجامعة، والجامعة لقب عبرى فى الأصل (كولهيت) أى المبشر أو الداعية، وقد نعت بهذا النعت سليمان بن داود، وبذلك تمت نسبة الكتاب إلى سليمان فى الزمن الماضى البعيد وهكذا أمكن لمؤلف الكتاب الاجتراء بنسبة كلامه إلى أشهر ملوك إسرائيل القديمة طراً. لكن التحليل النقدى للكتاب يثبت أنه يقع ضمن آخر أدبيات العهد القديم، ولم يكتب على الإطلاق قبل القرن الثالث قبل الميلاد، وأفكاره تكاد تتطابق مع أفكار كتاب أيوب، حتى أنه يكرر نفس المقاطع حرفيا (الجامعة ٥ / ١٤ وأيوب ١ / ٢١، والجامعة ٣/٦ –٥ وأيوب ٣ / ١١ – ١٣ .. إلخ). ويعلن المؤلف موقفه صريحا يقول:

> يوجد باطل يجرى على الأرض، إن يوجد صديقون يصيبهم مثل عمل الأشرار، ويوجد أشرار يصيبهم مثل عمل الصديقين، فقلت **أن هذا أيضاً باطل**
>
> جامعة ٨ /١٤
>
> وقد يكون بار يبيد فى بره، وقد يكون شرير يطول فى شره
> جامعة ٧ / ١٥

وأن شر الموت يطال الجميع الصالح والطالح، بل ويصف موقف يهوه بإماتة الجميع بحيث يكون الموت نهاية الطيب والخبيث، بأنه موقف من أشر ما يعمله أحد تحت الشمس

> حادثة واحدة للصّديق وللشرير، للصالح وللطاهر والنجس، للذابح وللذى لا يذبح، كالصالح الخاطئ، الحالف كالذى يخاف الحلف، **هذا أشر كل ما عمل تحت الشمس !!**
>
> جامعة ٩ / ٢ ، ٣

وكل شئ عنده باطل حتى يهوه وديانته ويردد مراراً أن الكل " باطل الأباطيل ". وإذا كان ذلك كذلك فلماذا السعى فى الحياة ولماذا اقتناء ثروات بعدها موت، وما الحكمة إذن فى خلق الناس؟ ولماذا الحكمة أصلاً

في كثرة الحكمة كثرة الغم، والذى يزيد علما يزيد حزنا

جامعة ١ / ١٨

والفكرة الساذجة بأن الميت الطيب يترك ذكرى طيبة فكرة مضحكة
لأنه ليس ذكر للحكيم ولا للجاهل إلى الأبد، كما منذ زمان
كذلك الأيام الآتية، الكل ينسى

جامعة ١٦/٢

لذلك

الكلب الحي خير من الأسد الميت، لأن الأحياء يعلمون أنهم
سيموتون، أما الموتى فلا يعلمون شيئاً وليس لهم أجر بعد لأن
ذكرهم نسى

جامعة ٤/٩ ، ٥

ويسخر ملحد كتاب الجامعة من نداء " إخشى الله / ٥ / ٧ "، لأن الله لا يقدر الورع والتقوى، ويتبع ذلك بسخرية مرة مناديا " لاتكن باراً كثيراً ولا تكن حكيماً بزيادة "، ثم يعلن عدم احترامه للصلوات والنذور (جامعة ٥ / ١ ، ٢) لأن الله فى السماوات ونحن فى الأرض والله فيما يبدو يترفع عن الاهتمام بمتابعة سلوك كل منا (جامعة ١/٤ و ٢٤/٩).

لكن داخل هذا الكتاب، وبين سطوره التى ينز منها التشكيك والإلحاد الحزين الناقم، تتدخل يد أخرى مجهولة بدورها لتضع تأكيدات مخالفة تماما لسياق النصوص وهدفها، فنجدها تقول " سيكون خيراً للأتقياء ولا يكون خير للشرير / جامعة ٨ / ١٢ ، ١٣". ويظهر تأخر هذا التدخل إلى ما بعد ظهور فكرة الدينونة والحساب مأخوذة عن مصر، فالجامعة الذى يؤكد طول الوقت على عدم العدل بالموت للجميع يقول فجأة بقلم المحرر التالى أنه " سيجلب الإله جميع الناس إلى **الدينونة** / جامعة ٢/١١ ".

ومن ثم كشف كتاب أيوب وكتاب الجامعة مأزق الديانة اليهودية بعد الأسر الذى ظل يصر على مجازاة الإنسان فى حياته حسب أفعاله، **وباتت الضرورة ماسه للاستسلام للعقيدة المصرية فى البعث والحساب ثم الجزاء بثواب أو عقاب**، وقد برز ذلك متجليا عند نبى آخر مشهور هو النبى دانيال، الذى له علاقة مجهولة بمدينة الإسكندرية التى كانت تموج بالفلسفة المصرية واليونانية، حتى نرى اليوم بالاسكندرية شارعا هاما يحمل حتى اليوم اسم شارع النبى دانيال، **فهل كان صاحب كتاب دانيال مصريا من الأصل؟** المهم أن الكتاب قد اضطلع بمهمة كبرى بمحاولته الإجابة على سؤال الأتقياء التعساء: هل من العدل أن تظل تضحياتهم بلا ثواب؟ لقد رأى دانيال أو المؤلف أيا كان اسمه الحقيقى أنه بالإمكان الحصول على المكافأة من بعد الموت، وبدأ يشرق فى سماء اليهودية تعليم جديد حول قيامة الموتى والثواب الأبدى.

وعند دراستنا لكتاب دانيال سنكتشف أن دانيال **شغل مناصب هامة فى بلاط ملوك وثنيين (؟! من ؟)** لكنه حافظ على عبادة يهوه وتقواه، كما ارتكب دانيال أخطاء فادحة تدلل على جهله بتاريخ قومه إن كان منهم، ورغم ذلك اجترأ الكهنة على نسبة دانيال إلى الشعب اليهوذى، ثم نسبته هو وكتابه إلى القرن السادس قبل الميلاد، وأنه كان يعيش فى الأسر البابلى، رغم ما يفصح به الكتاب عن كونه قد كتب فى القرن الثانى قبل الميلاد، وليس قبل ذلك.

يحكى دانيال المزعوم عن أحداث جرت فى الماضى وأحداث ستجرى فى المستقبل لإثبات نبوته، لكنه **يكشف عن جهل وخلط فيما وصله من معلومات**، فأى شخص عاش فى القرن السادس كان يعلم أن نبوخذ نصر الكلدانى البابلى قد احتل يهوذا بعد موت ملكها يهوياقيم سنة ٥٩٧ ق.م وسبى يهوياكين بن يهوياقيم (ملوك ثانى ٢٤ / ٦ ، ١٢) لكن مؤلفنا هنا يرتكب خطأ فاضحا فيؤكد أن نبوخذ نصر قد احتل أورشليم وسبى الملك يهوياقيم وليس ولده يهوياكين (دانيال ١/١)، ثم يذكر اثنين من ملوك بابل هما نبوخذ نصر وولده بيلشاصر آخر ملوك بابل (دانيال ٥/٢ ، ١١)، الذى حكم بعده دار يوش المادى (دانيال ٣١/٥)، لكن بيلشاصر أبداً لم يكن ولداً لنبوخذ نصر، كما أن الذى حكم تاريخيا بعد نبوخذ نصر أويل مردوك وتشهد بذلك سفر (ملوك ثانى ٢٧/٢٥ – ٢٣ وإرميا ٥٢ /٣)، ثم حكم بعده ملكان وكان الثانى هو نابونيد ولم يكن من

يكن من الأسرة المالكة بل مغتصب للعرش، ونابونيد أنجب فى النهاية بيلشاصر لكنه لم يعل كرسى العرش قط، لأن مملكته سقطت على يد كورش الفارسى.

ويقول دانيال إنه بعد موت بيلشاصر احتل مملكته دار يوش (دانيال ٥ / ٣٠) وهو عنده " ابن احشويروش من نسل الماديين / دانيال ٩ /١ "، لكن الألواح المسمارية تشهد أن قورش الفارسى وليس دار يوش الميدى هو من احتل بابل سنة ٥٣٩ ق.م. ولو كان يقصد دار يوشا فارسيا فقد وجد بالفعل، لكنه كان دار يوش الأول ابن ويشتا سب، لكنه لم يحكم إلا بعد قمبيز بن قورش.

لذلك نجد من الصعوبة بمكان تصور أن دانيال عاش فى القرن السادس. خاصة أن رواية دانيال للأحداث تصبح أكثر انضباطا مع حوادث التاريخ بشكل تدريجى، **كلما اقتربت روايته من القرن الثانى قبل الميلاد** فى عصر أنطيوخس، ذلك العصر الذى يحتاج إطلالة سريعة عليه حتى نفهم كتاب دانيال. وقبل ذلك نعود إلى زمن داريوش الأول، عندما دفع جيوشه نحو المدن اليونانية الغنية بتركيا حيث هُزم هناك فى معركة مارثون عام ٤٩٠ ق.م. مما دفعه إلى تعويض ذلك بفتح زينة زمانها مصر، وكان سقوط مصر العظيمة إشارة خطر كبرى لليونان وبدأت حقبة من الحروب بين فارس واليونان امتدت حوالى خمسين عاما، وفى النصف الثانى من القرن الرابع ق.م انتقل المقدونيون بعد توحيد بلاد اليونان من الدفاع إلى الهجوم.

وفى ٣٣٠ قتل داريوش الثالث إبان هربه من الجيوش اليونانية التى احتلت بلاده نفسها بقيادة الاسكندر الأكبر المقدونى، الذى أقام أكبر إمبراطورية فى العالم حتى زمنه، فملك من البحر الأيونى حتى حوض نهر السند، ومن ليبيا حتى بحر قزوين. وما كان بالإمكان السيطرة على هذه الأصقاع الشاسعة، لذلك وبموت الاسكندر عام ٣٢٣ تفجرت الإمبراطورية شظايا مثلت كل شظية دولة مستقلة، ووضع قادة الاسكندر كل منهم يده على واحدة منها وأعلن نفسه ملكا عليها. بطلميوس على مصر، وسلوقس على بلاد الشام وأنتيجونس على اليونان، وكانت ضمن أملاكه فى البداية من سوريا حتى الهند. **ومرة أخرى وجدت يهوذا نفسها بين جارين جبارين مصر البطلمية وسوريا السلوقية، اللذان كانا دائما الشقاق على الثمرة الفلسطينية.**

فى البداية وقعت فلسطين وفينيقيا وسوريا الجنوبية تحت السيطرة البطلمية المصرية، لكن الملك السلوقى انطيوخس الثالث تمكن فى أوائل القرن الثانى قبل الميلاد من انتزاع تلك المناطق لسوريا، وبعد موته ورث سلطاتها ابنه أنطيوخس الرابع أبيفان (١٧٥ - ١٦٤ ق.م).

وفى عهد أنطيوخس أبيفان قامت يهوذا بثورة ضد الاحتلال اليونانى وضد السلطات اليهوذية المدنية والكهنوتية من ذوى العلية الذين حالفوا اليونان المحتلين، وذلك فى عام ١٦٧ تحت قيادة الإخوة (حشمون) الذين برز منهم القائد يهوذا مكابى أى المطرقة، وتمكن يهوذا المكابى من طرد المحتلين وحصلت على الاستقلال ورضيت بحكم الكهنة الحشمونيين.

وكانت حملة الإسكندر فاتحة حقبة تاريخية تسمى بالهللينستية فى العالم القديم، وانتشر تأثيرها اليونانى فى أشكال المجتمع والاقتصاد والعبادات والعادات والتقاليد يجترف البلاد المستعمرة من اليونان بما فيها يهوذا، وكان تأثير الثقافة اليونانية أعلى على الطبقة الأعلى.

ووصل التأثر إلى حد أن مينيلاوس الكاهن الأول ليهوه فى أورشليم، تبرع بالأوانى الذهبية المقدسة لإقامة ألعاب مقدسة للإله هرقل، وفرض أنطيوخس عبادة زيوس اليونانى،واستبدل مذبح يهوه بتمثال لزيوس فى ١٦٨ ق.م، ومنع تقريب القرابين ليهوه وعاقب الملتزمين بالسبت والأعياد والختان. وتعر ض المتقون للتعذيب والموت، فهرب اليهود الغاضبون إلى الصحراء وتجمعوا فى فصائل بقيادة يهوذا المكابى الذى رفع السلاح للنضال، بينما كان هناك فريق آخر يحمل اسم الحاشيدى أى الورعين يرون أن الثورة المسلحة غير مجدية لأن يهوه سيأتى بذاته لتحرير شعبه، **وكانت تلك بداية فكرة مجئ الإله من السماء، التى تجلت فى العقيدة المسيحية من بعد.** المهم أن المكابى استقل بيهوذا ولو فترة عن الاحتلال اليونانى.

وفى هذا الزمن يلمح دانيال فى المقطع (١١/٤٠ - ٤٣) ملك الشمال الوقح المستكبر - على حد وصفه له - أنطيوخس الرابع يتجه جنوبا، فيتنبأ بأنه سوف ينهب كنوز البلاد ويحتل مصر، ولكن التاريخ كان له رأى آخر إذ لم يحقق لدانيال نبوءته.

كما تنبأ دانيال لملك الشمال هذا أنه سيموت بين البحور وبين جبل بهاء القدس أى جبل صهيون (دانيال ٤٥/١١)، ومرة أخرى يرى التاريخ رأيا آخر إذ يموت أنطيوخس الرابع فى طريق عودته من إيران عام ١٦٤ ق.م.

إذن فكتاب دانيال لم يُكتب فى القرن السادس فى الأسر البابلى، إنما فى فلسطين فى القرن الثانى قبل الميلاد، **وبالتحديد ليس قبل عام ١٦٨ ق.م،** لأن ذلك هو العام الذى نصب فيه تمثال زيوس فى معبد أورشليم. لكن المرجح أن دانيال انتهى من كتابته قبل عام ١٦٤ ق.م والسبب أن المؤلف أيا كان اسمه، دانيال أو غيره، لم يكن يعلم بموت أنطيوخس الرابع بعيداً عن فلسطين فطاشت نبوءته، ومما يؤكد ذلك أن كتاب دانيال لم ترد بشأنه أية إشارات بالكتاب المقدس أو غيره خلال القرون الأربعة السابقة على القرن الثانى قبل الميلاد، بل كان مجهولاً لمحررى تلك الفترة تماما.

وتبريراً لذلك احتاط المؤلف الأريب فقال إن دانيال بعد تدوين كتابه أمره يهوه أن يخفيه إلى زمن تم تحديده بأنه " وقت النهاية "، وأن زمن ظهور هذا الكتاب – أى القرن الثانى قبل الميلاد – سيكون بشارة ودليلا على أن نهاية زمن الآلام قد اقتربت.

ويكشف التحليل اللغوى لكتاب دانيال أنه قد كتب باللغتين العبرية والأرامية من الإصحاح ٤/٢ وحتى الإصحاح ٧، وهى سمة القرن الثانى قبل الميلاد وليس قبل ذلك. كذلك هناك أسماء يونانية واضحة لجميع الآلات الموسيقية مثل بيسانطرين وكاتروس وسيمفونيا، إضافة إلى أنه قد أورد طقوسا وأفكاراً يهودية هى فقط من سمات اليهودية المتأخرة، كالصلاة فى ساعات محددة ثلاث مرات فى اليوم، والتوجه إلى قبلة هى أورشليم (١٠/٦) وطقوس تناول الطعام (٨/١).

إن كتاب دانيال وفق هذا التحليل يكون قد كتب بالضبط ما بين عامى ١٦٨ و ١٦٤ ق.م إبان الاضطهاد الدينى الذى أمر به أنطيوخس أبيفان، ومن هنا قسم دانيال المؤمنين إلى صنفين أو إلى فريقين: المتقين الصامدين ضد الاضطهاد، و " الفاهمون من الشعب ٣٣/١١ " وهم الأرقى، ويبشر الفاهمين أنه حين تأتى القيامة للأموات فإن " الفاهمين يضيئون كضياء الجلد كالكواكب إلى أبد الدهور / دانيال ٣/١٢ ".

ويبدو أن هؤلاء الفاهمين فى نظره كانوا حزب الحاشيدى، ويدعم ذلك أن مؤلف كتاب دانيال انتظر تدخل يهوه ولم يشارك فى ثورة المكابيين، ولم يبق وقت كثير لصمود المضطهدين المحافظين على دينهم رغم التعذيب، فمن لحظة إزالة المذبح وإقامة التمثال الرجس لزيوس مكانه لم يبق سوى وقت قصير

> من وقت إزالة المحرقة الدائمة وإقامة رجس المخرب **ألف ومائتان وتسعون يوما. طوبى لمن ينتظر ويبلغ إلى الألف والثلاث مئة والخمسة والثلاثين يوما**
>
> دانيال ١١/١٢ – ١٢

وليس مفهوما وضع ميعادين مختلفين لمجئ الخلاص، لكن يبدو أنها إضافة تمديدية للزمن من كاتب آخر بعد انتهاء الموعد الذى حدده دانيال ولم يأت يوم الخلاص.

ولأول مرة يظهر اسم الملاك حامل الوحى، فهو جبريل الذى جاء يقول لدانيال أنه من لحظة الأمر بتجديد أورشليم وبنائها إلى ظهور مسيح يهوه الآتى سبعة أسابيع واثنين وستون إسبوعا (دانيال /٩)، وهنا لا يفوت اللاهوت المسيحى بعد ذلك هذه الفرصة، ويقترح أن دانيال كان يتنبأ بذلك بمقدم يسوع بأزمنة رمزية يجب تأويل فهمها. بينما كان دانيال يتابع شارحاً أن خطأ إرميا فى تحديد سنوات السبى بسبعين سنة بدلاً من ٤٩ سنة ليس خطأ، لأنه حسب سبعين سنة حتى مجئ المخلص ملك إسرائيل ونسل داود الذى سيمسح بالزيت المقدس مسيحا ملكا.

بالحسبة الرقمية العبرية ٤٩ سنة أسر تساوى سبع أسابيع من السنوات ٧ × ٧ = ٤٩ وهكذا كان إرميا يعنى بالسنوات (أسابيع السنوات) أى أن الحسبة هى ٤٩ سنة، هى المدة التى حددها يهوه حتى يُكفر شعب الرب بالآلام عن آثامه ويخرج طاهراً ومستقلاً عن حكم الوثنيين.

وعليه أولا يجب بدء العد من لحظة الأسر تسعا وأربعين عاما لنجده زمن زربابل آخر نسل داود المعروفين فى زمنه، **لقد كان دانيال يقصد المسيح زربابل وليس المسيح يسوع.**

وقد علمنا أنه قد تم تنصيب زيوس بدلاً من يهوه فى معبد أورشليم فى ١٥ يناير ١٦٨ ق.م، وهو ما يصوره لنا سفر ملوك ثانى قائلاً: " فاشتد انفجار الشر وعظم على الجماهير وامتلأ الهيكل عهراً وقصوفا، وأخذ الأمم يفسقون بالمأبونين ويضاجعون النساء فى الدور المقدسة، ويدخلون إليها ما لا يحل، وكان المذبح مغطى بالمحارم التى نهت الشريعة عنها ٣/٦ – ٥ ". ويوم تنصيب زيوس بحسابات دانيال يوافق عام ١٧١ ق.م .

وبهروب زربابل إلى بابل نظر دانيال إلى الكاهن عونيا الثالث ورأى فيه المسيح الجديد، وهو ما دفع إلى الوشاية به من البعض وهلك، وهو ما يصوره فى (٩ / ٢٧) عن المسيح الشهيد ومداخلة إرميا الخاطئة حول السنوات السبعين دفعت دانيال لمحاولة التبرير إذن، فقام يقول أن ٤٩ عاما فى الأسر كانت الأسبوع الأول من الأسابيع السبعين، وموعد مملكة يهوه ومسح الملك القدوس، **وذهب اللاهوت المسيحى بعد ذلك وراء سحر الأرقام المغلوطة ليؤكد أن مقدم يسوع تم التنبؤ به سلفا قبل خمسة قرون من حدوثه عند دانيال.**

أما القسم السردى فيشرح ما وقع من عقوبات على شعب الرب.

وفى هذا الوقت جرت احتمالات كثيرة منها أن مصر قد تتمكن من استجماع قواها لتحطيم عدوها وربما تتدخل روما الناهضة الناشطة فى المنطقة، وربما تحدث متغيرات عنيفة فى المملكة السلوقية بسوريا، ومن ثم كان المطلوب من الشعب المختار أن يصبر ويطيل أمد الصمود أمام اضطهاد انطيوخس أبيفان، رغم أنه لم تحدث أيه مطاردات للعقيدة اليهودية فى بابل حيث يزعم المؤلف أنه قد تم تأليف الكتاب هناك.

ولكن حتى يلتقى ما يحكى دانيال، مع مرسوم أبيفان بعبادة زيوس والملك أنطيوخس أبيفان نفسه، فقد قام دانيال بتأليف مرسومين نسب أحدهما إلى نبوخذ نصر (الإصحاح الثالث) والآخر إلى دار يوش الأول (الإصحاح السادس)، بينما الحقيقة تؤكد أنه لم يوجد فى التاريخ إطلاقا مثل هذين المرسومين المخترعين. وأن ما تتجلى به صورة هذين الإصحاحين من تصفيات وحشية للمؤمنين لم تحدث قط قبل حكم أنطيوخس أبيفان، ولم ير دانيال بأسا فى سرد بعض التفاصيل الملحمية كإلقاء دانيال وأصدقائه الثلاثة فى النار ومع ذلك رفضوا السجود للصنم، ثم كيف ألقى دانيال إلى حفرة ملأى بالأسود الجائعة.

وكى يعطى مؤلف هذا الكتاب مصداقية فقد لجأ إلى كتابى عزرا ونحميا حيث قوائم أسماء كاملة لمن عادوا من الأسر البابلى وانتقى منها اسم (دانيال) الوارد فى عزرا ٢/٨.

وإذا كان اليهود قد أطلقوا على أنطيوخس أبيفان لقب المجنون، فقد عمد دانيال إلى سرد روايات وأساطير تثبت أن نبوخذ نصر كان هو المجنون حتى يكون زمنه زمن تأليف الكتاب، أما الحادث فى القرن الثانى قبل الميلاد أن اليونان أنفسهم قد قاموا يسجعونه على وزن ابيفان لقب يبيمان أى المجنون سخرية من هذا الملك " الإله الجديد " .

لكن ما يحسب لدانيال المزعوم أنه أول من أدخل فكرة واضحة عن قيامة الموتى وحسابهم ثم ثوابهم الأبدى، لكن لم يوصلها إلى آخرها فلن يقوم الجميع بل البعض

> كثيرون من الراقدين فى تراب الأرض يستيقظون، هؤلاء
> إلى الحياة الأبدية وهؤلاء إلى العار، للازدراء الأبدى
>
> دانيال ٢/١٢

وهكذا وجد الحل الأمثل لتبرئة يهوه الذى سيعطى كل ذى حق حقه عند حلول ذلك اليوم لكن يجب ألا نتصور أن دانيال فعل فعل المصريين بتمامه فتصور مملكة القديسين الخالدة خارج الأرض، لأنها عند دانيال يجب أن تحدث على الأرض وبشكل واقعى فى قيامة جسدية، وأن كل هذا سيحدث لقيام مملكة شعب الرب فى أرض فلسطين لا فى جنة سماوية أو تحت أرضية. ولم تبلغ هذه الفكرة تطورها الآتى إلا مع أسفار الأبوكريفا غير المعتمدة فى الكنيسة الأرثوذكسية، ثم بعد ذلك مع مجيئ الدعوة المسيحية، ليستقيم عودها وتكتمل صورتها بعد المسيحية بستة قرون فى بلاد العرب مع ظهور العقيدة الإسلامية. حيث أمكن تبرئة الإله نهائيا مما يحدث من كوارث لعباده المخلصين.

مصر والتوراة

علاقة القبيلة الإسرائيلية ببلاد مصر علاقة وطيدة تلمسها بطول الكتاب المقدس / العهد القديم وعرضه، هناك مصر دوما وباستمرار. ويحكى المقدس التوراتى أن أول علاقة للقبيلة العبرية بمصر قد حدثت فى زمن أول البطاركة وأبيهم، ذلك الذى عرفه التاريخ باسم أبى الكثرة أو أبى الرهام أو إبراهيم. كناية عن وصف الكتاب المقدس لنسله الآتى بأنه كرمال الصحراء ومياه البحر، رغم أنه لم ينجب إلا بعد أن بلغ من عمره عتيا.

ولنبدأ الحكاية التوراتية من البداية . .

يأتى البطرك إبراهيم إلى فلسطين غريبا من بلاد بعيدة، يقول المقدس مرة أنها أور الكلدانيين، ومرة أنها بلاد حاران داخل الحدود التركية الآن شمالى بلاد الشام الأقصى، وقد انتهينا فى كتابنا النبى إبراهيم والتاريخ المجهول إلى قدومه من منطقة أرمينيا الحالية، وأن وصف التوراة لسلف القبيلة الإسرائيلية بأنه كان أراميا " أراميا تائها كان أبى "كان يعنى بلاد أرمينيا الحالية تحديداً.

وعند وصول إبراهيم إلى فلسطين كان يعيش إلى جوار أهلها الكنعانيين أقواما أخرى، منهم الفلسطينيين القادمين من جزر البحر المتوسط، والحيثيين القادمين من تركيا، مع عدد آخر من العروق البشرية دونتها التوراة بتكرار مفصل.

ومن البداية تظهر مصر فى تاريخ التوراة فتحكى التوراة أنه قد حدثت فى فلسطين مواسم من الجفاف دفعت بإبراهيم لنزول مصر هربا من المجاعة. والغريب أن إبراهيم فى تلك الرحلة يتمكن من الاقتراب من القصر الملكى المصرى عن طريق ملاحة زوجته سارة وجمالها، ثم يخرج من مصر بأموال جزيلة أهداها له الفرعون، **لكن المقدس لا يعلمنا بمن كان هذا الفرعون ولا باسمه ولا فى أى مدينة كان يعيش، ولا السر وراء اهتمامه بهذا الراعى البسيط سوى حكاية سارة غير المقبولة.**

ويعود إبراهيم إلى فلسطين ثريا موسراً، يعيش جنوبها ينتقل بين مدائن الجنوب أو النقب، يعيش حياة البداوة فى الخيام مع سوائمه التى ترعى وتتحرك ويتحرك معها وراء الكلأ.

وينجب إبراهيم من سريته المصرية هاجر ولده إسماعيل، لكن السياسة الأيديولوجية التأسيسية للكتاب المقدس تستبعد إسماعيل من التركة المقدسة، لأن إبراهيم قد أنجب ولداً حراً من زوجته سارة هو إسحق. وينجب إسحق: عيسو ويعقوب، ومرة أخرى تتم التصفية والغربلة فيستبعد عيسو السلف البعيد للشعب الآدومى ليبقى يعقوب وحده فى المصفاة، ويحمل يعقوب اسم إسرائيل فى شبابه، وينجب اثنى عشر ولداً أو سبطاً. ومع الأسباط يعود ذكر مصر مرة أخرى، فقد حنق الأسباط المكرمين على أخيهم الحلوم الصغير يوسف، لما تميز به عند أبيه يعقوب من حظوة، ومن هنا يتآمرون على الصغير المليح ويلقونه فى بئر جاف، فتلتقطه قافلة تجار وتبيعه فى مصر. وفى مصر يشتريه (فوطى فار) رئيس الجند أو " .. رئيس الشرط "،

وهـو اسـم مصرى قـح(بـادى بـارع) أى (من يعطيه رع)، و(رع) هو رب الشـمس المصـرى ورب الدولة.

ويرتفع شأن يوسف فى مصر زمن مجاعة نجت منها مصر بالحكمة اليوسفية، ويرتقى سدة الـوزراة العظمى آنذاك وهى وزارة الخزانة أو المالية، وكان تولية شئون مصر الاقتصادية مدعاة لدخول متغيـرات جوهرية على أنظمة مصر الاقتصادية، ومن ثم الاجتماعية. فبعد أن كان الناس يعيشـون أحـراراً يملكـون أرضهم ويتعبدون لمن شاءوا بين مئات الآلهة، ليس لملكهم عليهم سوى سلطان مركزية الدولة ومصـالحها، يقول المقدس:

> اشترى يوسف كل أرض مصر لفرعون، إذ باع المصريون كل واحد حقله، لأن الجوع اشتد عليهم، فصارت الأرض لفرعون . . فقال يوسف للشعب: إنى اشتريتكم اليوم وأرضكم لفرعون، فقالوا أحييتنا ليتنا نجد نعمة فى عينى سـيدى، فنكـون عبيـداً لفرعون، فجعلها يوسف فرضا على أرض مصـر إلـى هـذا اليوم.

تكوين ٢٠/٢٨ - ٢٦

ويستدعى يوسف أهله ليقيموا معه فى مصر " وسكن إسرائيل فى أرض مصـر فـى أرض جاسـان وتملكوا فيها وأثمروا وكثروا جداً / تكوين ٢٧/٤٧ ".

> وهذه أسماء بنى إسرائيل الذين جاءوا إلى مصر، مع يعقـوب جاء كل إنسان وبيته. رأوبين وشمعون ولاوى ويهوذا ويساكر وزبولون وبنيامين ودان ونفتالى وأشير. وكانت جميع نفـوس الخارجين من صلب يعقوب سبعين نفسا، ولكن يوسف كان فى مصر، ومات يوسف وكل إخوته وجميع ذلك الجيل وأما بنـو إسرائيل فأثمروا وتوالدوا ونموا وكثروا كثيراً جـداً، امـتلأت الأرض منهم. **ثم قام ملك جديد على مصر لـم يكـن يعـرف يوسف** فقال لشعبه: هوذا بنو إسرائيل شعب **أكثر وأعظم منـا**، هلم نحتال لهم لئلا ينموا فيكون إذا حدثت حرب أنهم ينضمون إلى أعدائنا ويحاربوننا ويصعدون من الأرض. فجعلوا علـيهم رؤساء تسخير لكى يذلوهم بأثقالهم، فبنـوا لفرعـون مـدينتى مخازن: فيثوم ورعمسيس

خروج ١ / ١١

وكثيراً ما أثار دهشه الباحثين تعبير التوارة أن السبعين شخصا الذين دخلوا مصر قد صاروا أكثر عدداً من المصريين أنفسهم، ويعطى سفر التكوين صورة هائلة لعدد هؤلاء عندما خرجوا من مصر تحت قيادة موسى " فارتحل بنو إسرائيل من رعمسيس إلى سكوت نحو ستمائة ألف ماش من الرجال عدا الأولاد / خروج ٣٧/١٢ ". وبحسبة بسيطة تضع الأولاد والنساء فى التعداد سنجد الخارجين لايقلون بحال عن المليونين من البشر، هذا ناهيك عن زيادة أخرى على هذا الرقم، لأنه " **صعد معهم لفيف كثير أيضاً** "، ولا نعلم من هم هؤلاء اللفيف(سيأتي الحديث عنهم في موضعه من هذا الكتاب)، لكنهم على أية حال كانوا زيادة عددية أخرى.

ويطرح السؤال نفسه: كم قضى هؤلاء من الزمن فى مصر حتى يبلغوا هذا العدد الهائل، وتأتينا الإجابة " وأما إقامة بنى إسرائيل التى أقاموها فى مصر فكانت أربعمائة وثلاثين سنة / خروج ١٢ / ٤٠ " لكن الأغرب والأكثر تناقضا فى هذه الرواية أن الإسرائيليين منذ دخولهم أسباطا زمن شقيقهم يوسف إلى زمن خروجهم لم يستغرقوا سوى أربعة أجيال فقط. حيث تروى التوراة إن لاوى شقيق يوسف أنجب قهات، وأن قهات قد أنجب عمران، وأن عمران قد أنجب موسى الذى خرج بهم من مصر (خروج ١٤/٦ - ٢٠) **فقط، وهكذا ؟! أربعة أجيال عاشت أربعة قرون وثلث القرن، بل وأنجب هؤلاء الأربعة الملايين من البشر !!** لكن فى موضع آخر نجد المقدس يحيطنا علما أن فترة إقامتهم فى مصر لم تتجاوز حياة جيل واحد، وهو لم يصرح بذلك لكنه ما يفهم مما سجله، ففى سنوات يوسف الأخيرة يشهد يوسف ولادة أولاد أحفاده " وأولاد ماكير بن منسى [ابن يوسف] أيضاً ولدوا على ركبتى يوسف / تكوين ٢٣/٥٠" ثم نرى أولاد ماكير أبناء حفيد يوسف (لأن ماكير بن منسى بن يوسف) يخرجون مع موسى من مصر إلى فلسطين (يشوع ٣/١٣ و ١/١٧)، وهو ما يعنى أن المدة الفاصلة بين دخول مصر والخروج منها لم تتجاوز المئة عام، لأن الذين ولدوا فى مصر فى حياة يوسف هم من خرجوا من مصر مع موسى وهم من دخلوا فلسطين مع يشوع خليفة موسى.

وما أكثر المدهشات بالكتاب المقدس لكن أكثرها إدهاشا ما تعلق منها بقصة موسى الذى قاد بنى إسرائيل فى رحلة خروج كبرى عبر سيناء إلى فلسطين، فقد هرب هؤلاء من تسخير وعبودية مصر **ومعهم مواشى وأغنام كثيرة** (خروج ٣٨/١٢)، الأمر الذى يتناقض والأوضاع المعلومة للعبيد.

والفرعون حسب التوراة قد خشى من الكثرة العددية للمستعبدين لديه فى بناء مدينتيه الكبيرتين فيثوم أو بالمصرية بى توم أى مقر الإله آتوم، ورعمسيس / مدينة رمسيس، لذلك أمر الفرعون بقتل من يولد لبنى إسرائيل من الذكور " كل ابن يولد تطرحونه فى النهر، لكن كل بنت تستحيونها / خروج ٢٢/١ ". وفى هذا الظرف العصيب ...

> ذهب رجل من بيت لاوى وأخذ بنت لاوى، فحبلت المرأة
> وولدت ابنا، ولما رأته أنه حسن خبأته ثلاثة أشهر، ولما لم
> يمكنها أن تخبئه بعد، أخذت له سفطا من البردى وطلته

بالحمر والزفت، ووضعت الولد فيه ووضعته بين الحلفاء على حافة النهر، ووقفت أخته من بعيد لتعرف ماذا يُفعل به؟ فنزلت ابنة فرعون إلى النهر لتغتسل، وكانت جواريها ماشيات على جانب النهر، فرأت السفط بين الحلفاء فأرسلت أمتها وأخذته. ولما فتحته رأت الولد وإذا هو صبى يبكى فرقت له وقالت: هذا من أولاد العبرانيين، فقالت اخته لابنة فرعون هل أذهب وأدعو لك امرأة مرضعة من العبرانيات لترضع لك الولد، فقالت لها ابنة فرعون :اذهبى فذهبت الفتاة ودعت أم الولد، فقالت لها ابنة فرعون: اذهبى بهذا الولد وارضعيه لى وأنا أعطيك أجرتك، فأخذت المرأة الولد وأرضعته ولما كبر الولد جاءت به إلى ابنة الفرعون فصار لها ابنا، **ودعت اسمه موسى وقالت: إنى انتشلته من الماء.**

خروج ٢ / ١ - ١٠

لكن موسى حسب رواية التوراة بعدما يفع واجتاز مرحلة الصبى إلى الرجولة لم ينس أصله رغم أنه قد أصبح أحد نبلاء البلاط، فقتل مصريا انتصاراً لإسرائيلي، فطلبه القصاص القانونى، فهرب من مصر إلى مكان تصفه التوراة بأنه " أرض **مديان** / خروج ٢ / ١٥"، ويبدو أنها كانت أرضا صحراوية لأن موسى عندما ذهب هناك " جلس عند البئر / خروج ٢ / ١٥ ". ويبدو أنها كانت قرب مخرج مصر حيث لا تفاصيل بالتوراة عن رحلة طويلة لموسى حتى مديان.

والتقى موسى ببعض غيد مديان عند البئر فاستقى لهن بشهامة، فذهبن وأخبرن أبيهن " فقلن **رجل مصرى** أنقذنا من أيدى الرعاة وأنه استقى لنا / خروج ٢ / ١٩"، ولحسن حظ موسى كان أبوهن كبيراً من وجهاء مديان، فهو (رعوئيل) أو (يثرون) سيد وكبير كهنة مديان. وتنتهى أحداث هذا الجزء بالحدث السعيد ويتزوج موسى من صفورة بنت يثرون وينجب منها ولدين هما جرشوم وألعازر.

واشتغل موسى برعى غنم حميه يثرون، وبينما هو مع أغنامه عند سفوح الجبل المقدس الجبل المعروف بجبل الله أو جبل حوريب " **جبل الله حوريب** / خروج ٣/١ "، رأى ظاهرة عجيبة، نبات مضىء؟ نبات يبدو مشتعلا بالنار لكنه لا يحترق؟ واقترب موسى المشدوه بالمشهد لكن ليكتشف أن ذلك الضوء ضوءاً إلهيا مصحوبا بصوت يناديه " لا تقترب إلى ههنا، **إخلع حذاءك من رجليك، لأن الموضع الذى أنت واقف عليه أرض مقدسه** / خروج ٣ / ٥ ".

ويتعارف الاثنان، ويقدم هذا الإله نفسه لموسى هكذا: " أنا إله أبيك، إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب . . رأيت مذلة شعبى الذى فى مصر . . فنزلت لأنقذهم من أيدى المصريين وأصعدهم من تلك الأرض إلى أرض جيدة وواسعة / خروج ٣ / ٦ - ٨ ".

ويبدو **أن موسى كان يجهل اسم (إيل) رب البطاركة** الأوائل المفترض أنهم أسلافه، لذلك سأل الإله عن إسمه وصدق إجابته فوراً فى حوار سأل فيه موسى ربه " فإذا قالوا لى ما اسمه فماذا أقول لهم؟ فقال الله لموسى: أهيه الذى **أهيه** . . **يهوه** إله آبائكم . . هذا اسمى إلى الأبد / خروج ٣ / ١٣ – ١٥ ".

وكانت خطة يهوه هى إخراج بنى إسرائيل من مصر إلى فلسطين بترتيبات إلهية مدعومة بالمعجزات، فأعطى موسى آيات سحرية كالعصا الثعبانية وإضاءة يده إذا أدخلها فى جيبه أو (عبّه) بتعبير التوراة. وكانت الخطة هى إيهام الفرعون أن الإسرائيليين بحاجة إلى إقامة احتفال دينى خاص بهم يذبحون فيه حيوانا مقدسا عند المصريين، لذلك فهم بحاجة إلى الابتعاد عن مساكن المصريين " نمضى ثلاثة أيام فى البرية ونذبح للرب إلهنا / خروج ٣ / ٥ "، وبعد ابتعاد مسيرة ثلاثة أيام فى الصحراء يكونوا قد أصبحوا بعيدين بمسافة كافية، ويمكنهم الاستمرار فى الهرب وهم آمنون من اللحوق بهم. لكن كان عليهم أيضاً بأمر يهوه أن يستعيروا حُلّى المصريين الذهبية زينة للعيد، ثم يفروا بها، أو كما أمر يهوه موسى قائلاً: " وأُعطى نعمة لهذا الشعب فى عيون المصريين، فيكون حينما تمضون لا تمضون فارغين، بل تطلب كل امرأة من جارتها ومن نزيلة بيتها أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثيابا، وتضعونها على بنيكم وبناتكم **فتسلبون المصريين** / خروج ٣ / ٢١ ، ٢٢". لكن موسى كانت لديه حجة أخرى جعلته متردداً فى تنفيذ أوامر يهوه وهو أنه **ثقيل الفم واللسان**، فجعل له يهوه من أخيه هارون ناطقا بما يريد ومبلغاً.

" وقال الرب لموسى فى مديان: اذهب ارجع إلى مصر لأنه **قد مات جميع القوم الذين كانوا يطلبون نفسك** / خروج ٤ / ١٩ "، وبموت الفرعون، الذى كان يطلب القصاص من موسى لقتله المصرى، بات موسى آمنا فى العودة إلى مصر. وذهب موسى وهارون فور العودة إلى قصر الفرعون يطلبون منه الارتحال بالمستعبدين فى أعمال المعمار إلى البوادى الشرقية ليذبحوا لإلههم، فرفض الفرعون. لكن يهوه أعلن لشعبه " أنا الرب، وأنا أخرجكم من تحت أثقال المصريين وانقذكم من عبوديتهم، وأخلصكم **بذراع ممدودة** وبأحكام عظيمة وأتخذكم لى شعبا وأكون لكم إلها / خروج ٦ / ٦ ، ٧ ". وهكذا **اختار يهوه شعبا خاصا له ليتأله عليه، وحمل هذا الشعب من يومها لقب (الشعب المختار).**

ويبدأ يهوه ألاعيبه ليثبت **أنه أشد سحراً من السحرة المصريين**، وأنه أقوى من فرعون الذى كان أقوى ملوك العالم، وكان الانتصار عليه انتصاراً عالميا بل كونيا، مع تركيز غضب يهوه على عصب الحياة والاقتصاد والزراعة المصرى. فيقوم بضرب نهر النيل ليتحول إلى دم، ليضطر المصريون إلى الحياة كالبدو الرعاة بحفر الآبار للشرب كى لا يموتوا عطشا (خروج ٧ / ١٩ – ٢٤) وينشر الضفادع فى بلاد النيل (خروج ٨ / ٥ ، ٦) ثم البعوض (خروج ٨ / ١٦) ثم الذباب (خروج ٨ / ٢٠ – ٢٤) ثم ينشر الوباء بين البشر والسوائم (خروج ٩ / ٣ – ٦) مع دمامل وبثور (خروج ٩ / ٨ – ١٠). ثم يسلط ظواهر الطبيعة الرديئة على الوادى الغنى ليفقره، كالبرد الثلجى والنار والرعود (خروج ٩ / ٢٢ – ٢٦)، ويلحق بها الجراد ليقضى على البقية الباقية من خيرها (خروج ١٠/١٢– ١٥)، ثم ينزل بالبلاد جميعها ظلام دامس وقت النهار

(خروج ١٠/٢١- ٢٣)، حتى تأتى ضربة يهوه العاشرة وهى قتل الصبية المصريين من الأبكار وكذلك أبكار السوائم أيضاً:

> وقال موسى: هكذا يقول الرب: إنى نحو منتصف الليل أخرج فى وسط مصر فيموت كل بكر فى أرض مصر، من بكر الفرعون الجالس على كرسيه إلى بكر الجارية التى خلف الرحا؛ وكل بكر بهيمة، ويكون صراخ عظيم فى كل أرض مصر
>
> خروج ١١ / ٤ - ٦

وإبان ذلك جميعه، تُصرّ دراما الفزع والرعب التوراتى على تأكيد أن المصريين وحدهم هم من عانى تلك الضربات، بينما كان الإسرائيليون يسكنون أرض جاسان فى مصر، ولم تصبهم ولا أرض جاسان التى سكنوها أيا من شرور يهوه الكونية تلك. لكن يبدو أن المحرر التوراتى لم ينتبه وهو يؤكد تلك العناية والرعاية من يهوه لشعبه المختار، أنه قد جعل من جاسان حيث يقيم شعبه، مقراً للبلاط الملكى الذى استحق كل هذا الدمار والغضب اليهوى، والذى لاشك لم يلحقه بدوره هذا الدمار لوجوده فى مقاطعة جاسان التى لم تصب بأى أذى، ولكن ذلك لم يكن شاغلا للمحرر، فهو متأكد من وجود جاسان بعيداً عن الضربات هو ما أصر المحرر على تأكيده مع كل ضربة يهوية، انظره يقول مثلاً:

> أنا أرسل عليك وعلى عبيدك وعلى شعبك وعلى بيوتك الذبان، فتمتلئ بيوت المصريين ذبانا وأيضاً الأرض التى هم عليها. **ولكن أميز فى ذلك اليوم أرض جاسان حيث شعبى مقيم حتى لا يكون هناك ذبان.**
>
> خروج ٨ / ٢١ ، ٢٢
>
> فماتت جميع مواشى المصريين **وأما مواشى بنى إسرائيل فلم يمُت منها واحد.**
>
> خروج ٩ / ٦
>
> فأعطى الرب رعوداً وبرداً وجرت نار على الأرض . . **إلا أرض جاسان حيث كان بنو إسرائيل، فلم يكن فيها برد**
>
> خروج ٩ / ٢٣ ، ٢٦
>
> ثم قال الرب لموسى مد يدك نحو السماء ليكون ظلام على أرض مصر . . **لكن جميع بنى إسرائيل كان لهم نور فى**

مساكنهم

خروج ١٠ / ٢١ ، ٢٣

ثم يختتم يهوه وعصاته تلك المغامرات المدمرة واللذات الشاذة بإغراق المصريين جميعا مع فرعـونهم وجيوشهم فى لجج البحر المفلوق بالعصا السحرية الثعبانية (خروج١٤).

لكن وسط كل هذا الصخب الأسطورى والضجيج السحرى يضع المحـرر شروحات جغرافية بينيـة لحظ سير الخروج، تلتقى إلى حد مدهش مع أوضاع الجغرافيا فى شرقى الدلتا المصرية المتصل بالصحارى السينائية. فهناك كان بداية طريق حورس الحربى الكبير المؤدى إلى فلسـطين، والمسـمى أيضـا طريـق فلسطين، لكن يهوه ينحرف بشعبه عن هذا الطريق الأسهل لتحاشى قتال متوقع ويأمر أتباعه بالاتجـاه نحـو بحر باسم بحرسوف. ومن مدينة باسم (سكوت) – وردت بالوثائق المصرية القديمة أيضاً – يتحركون نحـو بادية باسم إيثام فى طرف الصحراء، ومن هناك ينزلون على بحر سوف بين ثلاث إحداثيات جغرافية هـى: مجدل وبعل صفون وفم الحيروث. وعند نقطة فم الحيروث تفلق العصا الحيّة البحر ليعبر الإسرائيليون بينما يغرق الفرعون وجنده (خروج ١٣).

والغريب أن الخارجين لم يكتفوا باصطحاب أنعامهم الوافرة، بل حملوا معهم من مصـر ذهبـا هائـل الوفرة، لم يجد له المحرر التوراتى سوى تكرار تفسير يقول: " وفعـل بنو إسرائيل بحسب قـول موسـى، طلبوا من المصريين أمتعة فضة وأمتعة ذهباً وثيابا، وأعطى الرب نعمة للشعب فى عيون المصريين حتـى أعاروهم، فسلبوا المصريين، فارتحل بنو إسرائيل من رعمسيس / خروج ١٢ / ٣٥ – ٣٧ ".

وهكذا يخرج بنو إسرائيل من مصر تحت قيادة موسى فى خط سير جغرافى شديد التدقيق (بـالتوراة) يتجهون معه نحو جبل الله حوريب المقدس فى عمق سيناء، ويستغرق رحيلهم سنتين كاملتين حتى يحطوا فى قادش فى أقصى شرقى سيناء، ليعيشوا هناك ثمـان وثلاثين عاما كاملة، ومن قادش تبـدأ رحلـة غـزوهم لفلسطين بعبور الأردن من شرقية عند جبل نبو إلى غربية عند أريحا.

نظريات الخروج

نظرية أن الإسرائيليين هم الهكسوس :

تعد أقدم نظرية طرحت بشأن خروج بنى إسرائيل من مصر، تلك التى تربط بينهم وبين الهكسوس الذين ورد ذكرهم فى الوثائق المصرية القديمة كمحتلين أجانب للبلاد، وتعتبرهم مع بنى إسرائيل شيئاً واحداً، وكان صاحبها هو المؤرخ اليهودى (فلافيوس يوسفيوس / ٣٧ - ١٠٠م)، الذى حصل على تكريم الإمبراطور الرومانى (فيسبيان)، وقام بتأليف كتب ثلاثة، هى على الترتيب: (العاديات اليهودية)، ويتناول فيه تاريخ بنى إسرائيل، ثم (الحروب اليهودية)، ويعالج فيه ثورات القبائل الإسرائيلية بفلسطين ضد الحكم الرومانى، أما الثالث ــ وهو الأهم لموضوعنا ــ فهو الكتاب الذى وضع فيه نظريته، حول خروج بنى إسرائيل من مصر، وهو الكتاب المعروف بعنوان (ضد آبيون). وقد أَلَّفه رداً على (آبيون النحوى السكندرى) المصرى، الذى كان يبغض الجنس الإسرائيلى ويُكّن للإسرائيليين كراهية شديدة ومقتا عظيما، ودَّوَنَ عنهم رواية تقول: إنهم كانوا نوعا من الأجناس القذرة الدنسة بين بنى البشر، وأنهم عاشوا فى مصر عبيداً دون أن يتعلموا من أهلها قواعد النظافة والتطهر، فأصابتهم علل القذارة، مثل البرص والقراع وما يشوب الجلد من قرح، فلما خشى المصريون تفشى الوباء بينهم، **طردوهم من بلادهم**، وقادهم فى رحلة خروجهم من مصر إلى فلسطين عبر سيناء، ذلك الشخص المدعو (موسى).

وقد رد (يوسفيوس) على (آبيون النحوى) فى كتابه: (الرد على آبيون)، ليؤكد أن هؤلاء الأنجاس الدنسين لم يكونوا سوى الهكسوس، الذين دخلوا مصر بلد آبيون غزاة فاتحين، حكموها كملوك ولم يعيشوا فيها كعبيد، ولم يكونوا أنجاسا ولا ملاعين. وقد دعم (يوسفيوس) رده هذا بكلام المؤرخ المصرى (مانيتون السمنودى)، وكان (مانيتو) كاهنا مصريا، عاش زمن الملك (بطلميوس الثانى) ملك مصر، الذى حكم حوالى ٢٨٣ - ٢٤٦ ق.م، ودون تاريخ بلاده باللغة اليونانية بتكليف من ذلك الملك، ليقدم للإغريق صورة عن تاريخ مصر.

وقد تمكن (مانيتو) بجهد وحذق، وبمعرفته بلغة بلاده وباللغة الإغريقية، أن يتابع بمهارة نقوش مصر القديمة ومدوناتها الحجرية والبردية، التى كانت قائمة حتى زمانه، وأن يجمع منها تاريخا متكاملا لوطنه. هذا إضافة إلى سبع كتب أخرى، جاءنا منها فقط بعض أسمائها، ومنها (تون فيزيكون أبيتومه) وخصصه للاهوت المصرى والقصص الدينى فى التكوين والخلق، وكتاب (فى صنع بخور المعابد)، وكتاب فى التقويم المصرى والتقسيم الزمنى بعنوان (كتاب الشعرى اليمانية سيتوس)، إلا أن الكتاب الذى حاز الشهرة، ونقل عنه المؤرخ اليهودى (يوسفيوس)، ويعد عمله الرئيس، هو كتاب تاريخ مصر (إيجبته ياكا)، وهو مصنف فى مجلدات ثلاثة، يغطى المجلد الأول منها تاريخ الأسرات المصرية الحاكمة الأولى، من الملك (مينا) موحد القطرين

حتى الأسرة الحادية عشرة، ويتناول المجلد الثانى المساحة الزمنية الممتدة ما بين الأسرة الحادية عشرة وبين الأسرة العشرين، ثم يتابع معالجة بقية الأسرات فى المجلد الثالث، الذى ينتهى عند حكم آخر ملك مصرى وطنى، وهو الذى أسماه (نيكتا نيبوس).

وقد ألف (مانيتو) كتابه (إيجبته ياكا) باللغة اليونانية، لكن لسوء الحظ لم تصلنا منه أية نسخة، سوى تلك الشذرات التى نقلها عنه (يوسفيوس) فى كتابه (الرد على آبيون)، إضافة إلى ما نقله آخرون مثل (يوليوس الأفريقى / أفريكانوس / ت ٢٢٠ م)، و (سنكلوس / ت ٨٠٠م) فى كتابه (تاريخ العالم من الخليقة حتى دقلديانوس).

ومن الجدير بالتنويه هنا، أن خبر نجاسة الجنس الإسرائيلى وإصابته بأوبئة عدم النظافة، لم يكن بدعا من (آبيون) المصرى، حيث نجد بعد ذلك حوالى عام ٩٠٠م، ترجمة عربية لكتاب قديم ألّفه كاهن كنسى هو (هروشيوش) باسم (تاريخ العالم)، بتكليف من القديس المسيحى (أوغسطين) شخصيا، يقول فيه (هروشيوش) نقلاً عن مؤرخ قديم باسم (قرناليس):

> قال قرناليس: اتفقت دواوين أصحاب الأمر، على أنه أصابت القبط [المقصود هنا المصريين / المؤلف] جوائح أفسدت أبدانهم، وشوهت أجسامهم، وأن ملكهم بخوريم Boccorim رأى أن يعالج ذلك، **بنفى من ظهرت عليه الجائحة**، فتجمعت من المنفيين جماعات، كان على رأسهم رجلاً يدعى موسى، حضهم على أن يتخلوا عن الاستنصار بالأوثان، ويتبرأوا من عبادتها، ويفوضوا أمرهم لرب السماء لينصرهم ويشفيهم من دائهم (١).

والواضح فى تأريخ (هروشيوش)، أنه لا يرى الإسرائيليين جنسا يتميز بذاته، قدر مايحتسبهم **صنفا من المصريين**، أصابهم وباء معدى، فنفاهم أهلوهم خارج البلاد، تحسبا من انتشار المرض بين بقية المصريين.

وفى رده على (آبيون)، يؤكد لنا (يوسفيوس) أنه سينقل عن (مانيتو) المصرى بكل أمانه، حتى أنه سينقل ذات الكلمات بالحرف، وهو بصدد ذلك يروى الرواية التالية:

> **توتيمايوس**؛ فى عهده، لسبب لا أعرفه، حلت بنا ضربة الإله، وفجأة، تقدم فى ثقة بالنصر، غزاة من إقليم الشرق، من جنس غامض، إلى أرضنا،

(١) أورسيوس: تاريخ العالم، الترجمة العربية التى تمت فى منتصف القرن الرابع الهجرى، تحقيق وتقديم د. عبد الرحمن بدوى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ١٩٨٢، ص١٠٣ .

واستطاعوا بالقوة أن يتملكوها بسهولة، دون أن يضربوا ضربة واحدة.

ولما تغلبوا على حكام الأرض، أحرقوا مدننا بغير رحمة، وقوضوا أرض معابد الآلهة، وعاملوا المواطنين بعدوان قاس، فذبحوا بعضهم، وساقوا زوجات آخرين وأطفالهم إلى العبودية، وأخيراً عينوا واحداً منهم ملكاً يدعى **سالا تيس**، وكان مقره ممفيس، ففرض الضرائب على مصر العليا والسفلى، وكان يخلف وراءه حاميات فى الأماكن الهامة.

وفى المقاطعة السيتورية، وجد مدينة ذات موقع طيب، **تقع على الضفة الشرقية من الفرع البوباستى للنيل**، وكانت تسمى **أفاريس** ، تبعا للتراث الدينى المصرى، فأعاد بناء هذا المكان، وحصنه بأسوار ضخمة، ومات سالاتيس بعد أن حكم تسعة عشر عاما.

وخلفه ملك آخر يدعى **بنون**، حكم أربعة وأربعين عاما، تلاه بعدها **أباخنان** الذى حكم ستة وثلاثين عاما وسبعة شهور، ثم **أبوفيس** الذى حكم واحد وستين عاما، ومن بعده **ياناس** مدى خمسين سنة وشهراً واحداً، وأخيراً جاء **أسيس** الذى حكم تسعة وأربعين عاما وشهرين.

وهؤلاء الملوك الستة، هم أول من حكم منهم، وكانوا يعملون جاهدين أكثر فأكثر لاستئصال العنصر المصرى، وكان جنسهم عادة يسمى الهكسوس، أى الملوك الرعاة، لأن هيك فى اللغة المقدسة: ملك، وسوس فى اللغة الدارجة: راعى. (٢)

---

(٢) جاردنر مصر الفراعنة: ترجمة د. نجيب ميخائيل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط٢، ١٩٨٧، ص ١٧٨ .

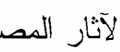
هذا؛ وقد نقل (يوليوس الأفريقى) بدوره عن (مانيتو)، أسماء لستة حكام من الهكسوس، قال: إنهم حكام الأسرة الخامسة عشر، وأضاف أنهم فينيقيون، وإن أوردهم بنطق مختلف قليلاً عما أورده (يوسفيوس)، وبالمقارنة يصبحون كالتالى:

الأول : عند يوسفيوس ـ سيتلاتيس Sutchlatis 

وقد حكم تسعة عشر عاما، ويبدو أن تلك الأسماء القديمة كانت غير واضحة تماماً أو دقيقة لزمن هؤلاء المؤرخين لذلك أسماه يوليوس الإفريقى سيتيس وأعطاه ذات المدة الزمنية للحكم، وكما هو واضح فالاسم هو (الستى) نسبة إلى الإله سيت المصرى رب الصحارى (Sutch / set) ونظراً لوجود أسماء هكسوسية أخرى فى الآثار المصرية تكتشف على التتابع، فقد تمت مطابقة واحد من هؤلاء جاء ذكره فى قائمة منف. وتمت قراءة اسمه (شارك) أو (شالك) أو (شليك)، بالملك سيتلاتيس أو سيتيس، ويحتمل أنه هو ذات الاسم الوارد بالآثار المصرية (مى إيب رع شيشتى). [٣]

الثانى : دونه يوسفيوس بالنطق بنون Benon 

ويرجح المؤرخون أنه الذى ورد فى بردية تورين بلفظ بنيم، ويحتمل أيضاً أنه هو من جاء اسمه على بعض الآثار مكتوبا (سكا)، وبالنظر إلى الكلمة الهيروغليفية لاسمه وتتضمن رجلاً يحمل محراثا، ولأن الكلمة (سكا) فى العربية تعنى سلاح المحراث، فربما كان يعنى الحارث، كما سنرى فى داخل هذا البحث أن (سكا) هى (إسحق)، وهو اسم سامى معلوم. وقد وردت سكا فى الآثار هكذا:  وقد ذكره يوليوس الإفريقى أيضاً باسم بنون وبذات مدة الحكم .

الثالث : كتبه يوسفيوس: أبا خنان أو أبخناس Ibikhnas، وربما كانت تعنى أبا الغنم من (خنم) المصرية فنحن نجد إلها مصريا قديما باسم (خروف) ويرسم خروفاً ويكتب (خنوم) هو الذى كان يشكل البشر من صلصال كالفخار فى العقائد المصرية القديمة، ويرجح المصرولوجيون، أن يكون هو الوارد فى الآثار المصرية باسم (نب خبش رع ) والمعروف بلقب (أبوفيس الأول )، وأعطاه يوسفيوس مدة حكم تصل إلى ست وثلاثين عاما، وأطلق عليه يوليوس الإفريقى اسم (بخنان) مع مدة حكم مضاعفة فقد حكم مدة واحد وستين عاما.

والمعلوم أن (أبو فيس) هو الاسم المصرى للحية الثعبانية الأفعى الضخمة (الإفعوان) وهو فى الأساطير المصرية إله شرير يقوم الإله رع بقتله وينطق اختصاراً أبيبى، وهو المقابل المصرى لذات الأفعى فى المأثورات السامية التى وردت باسم لوياثان، وقد وجدت مدونة فى آثار مدينة أوغاريث على الساحل السورى، وقد تكفل بقتلها الإله بعل، كما وردت فى التوراة وتكفل بقتلها رب التوراة يهوه.

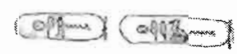
---

(٣)Hayes. W.C, Egypt of from the death of Ammene mes II, p. ١٩- ٢٠,

الرابـــع : عند يوسفيوس يحمل اللقب مباشرة أبوفيس Ibuphis وهو أبو فيس الثانى / أبيبى، وقد أعطـــاه يوسفيوس مـــدة حكـــم واحـــد وســـتين عامـــا، ومـــن المحتمـــل أن يكـــون هـــو عـــاقنن رع أى الحمار الشجاع(٤)، وسنعرف فيما بعد أن الهكسوس قد عبدوا الرب الشيطانى ســـيت، وأنـــه ضمن تمثلاته التجلى فى هيئة الحمار الأحمر اللون، ومن هنا أطلق عليه يوليوس الإفريقى اســـم (ستان) وجعل مدة حكمه خمسين عاما، ومن جانبنا نرى أن (ستان) هى (شيطان) كمـــا ســـنرى داخل هذا العمل. 

الخامس : عند يوسفيوس هو: يان – س Jaynas ويحتمل أنه المذكور فى الآثار باسم خيان Khayan وقد حكم عند يوسفيوس خمسين عاما، وقد تأكد أنه الذى حمل اللقب المصرى (سازوســـر إن رع) / ابن رع، بعد أن عثر السير آرثر إيفانز سنة ١٩٠١م بقصر كونسوس فى كريت علـــى غطـــاء مرمرى يحمل الاسم (سازوسر إن رع) مع (خيان) فى خرطوش واحد (٥). كذلك عثر على ذات الأسماء على صدر أبى هول صغير جيء به من بغداد (٦).

وفى المأثور التاريخى العربى حديث عن ملك حكم مصر باسم (الريان) وهو ما يلتقى مـــع الاسم (إيان) أو (يان – س)، وكان الريان فى المأثور العربى من ملوك العـــرب الـــذين حكمـــوا مصر باسم العمالقة وهوأمر سنتعرض له فيما بعد بالتفصيل.

وهكـــــذا فـــــإن خيـــــان أو يـــــان بالتأكيـــــد كـــــان هـــــو سازوســـــر إن رع  إلا أن يوليوس الإفريقى أطلق عليه اسم أرخليس وأعطاه مدة حكـــم تصل إلى تسعة وأربعين عاما.

السادس : يكتبه يوسفيوس أسيس، وأعطاه مدة حكم واحد ستين عاما، وربما كان هو المذكور فـــى الآثـــار باسم (عاوسر رع)، وهو اسم مصرى انتقل إلى الساميين فى المسميات (عـــازر) و (عـــزرا) و (عُزير)، ناهيك عن كون اسمه (أسيس) هو (عزيز)، وقد دونت الآثار المصرية اسمه عاوسررع هكذا  لكنّا نعلم من يوليوس الإفريقى أنه قد حمل اللقب أبو فيس ويصـــبح بذلك أبوفيس الثالث، وقد أعطاه يوليوس ذات مدة الحكم، ويعتبر آخر حكام الهكســـوس الســـتة، ويحتمل أنه الوارد بلقب خمودى أو حمودى فى بردية تورين(٧).

ويمكن تلخيص ذلك فى الجدول التالى :

---

(٤) ســـــليم حســـــن: مصـــــر القديمـــــة، الهيئـــــة المصـــــرية العامـــــة للكتـــــاب، القـــــاهرة، ١٩٩٢، ج٤، ص ٨٥ ، ٦٢ ، ٨٢.

(٥)Efans. A, The palace of Minos at Konassos, ١٩٢١, p ٤١٩.

(٦) Save. St, J.E.A, ٣٧, p ٦٣-٢١٧.

(٧)Hayes, Egypt froom ..., p ٢٤

م	اسم الملك عند يوسفيوس	مدة حكمه	اسم الملك عند يوليوس	مدة حكمه	الاسم الفرعونى	تخريج الاسم / للمؤلف
١	سالاتيس = (شالاد)	١٩	سايتيس = (سيت)	١٩	مى إيب رع شيشى، ربما هو شليك = أو شارك	الستـــــى
٢	بنون = (بيبون)	٤٤	بنـــــــون	٤٤	بنيـــــــــم ســـــــكا	سكا = إسحق = الحـــــــارث
٣	أباخنان = (أبو فيس الأول)	٣٦	بخنـــــــان	٦١	نب خبش رع أبو فيس	أبو الغنم
٤	أبو فيس الثانى	٦١	ستـــــــان	٥٠	ابيبى أبو فيس عاقنن رع	الشيطـــــــان
٥	يان ـــــ س	٥٠	أرخليـــس	٤٩	خيان = سازوسر إن رع	الريـــــان
٦	أسيس = (أبو فيس الثالث)	٦١	أبـــو فيـــس	٦١	عاوسر رع = خمودى	عزيز = حمودى

لكن المربك فى الأمر هو وجود أسماء أخرى فى الآثار للهكسوس غير تلك التى تمت مطابقتهـــا مـــع لائحة الملوك الستة لمانيتو، وتلك الأسماء يحمل بعضها لقب (حقا خاسوت) أى الهكسوس بالنطق المصرى، منهم واحد باسم سمقن وآخر باسم **عنات** هر. وأسماء أخرى تحمل لقب (الإله الطيب) وردت على جعـــارين وهم حوالى ثمانية ينتهى اسم كل منهم باسم إله الشمس المصرى رع. ومجموعة أخرى تحمل لقـــب (ابـــن الشمس) مثل ابن الشمس **يعقوب** هر وابن الشمس **عامو** وابن الشمس قار. ولا حل سوى القـــول أن هـــؤلاء جميعاً شيوخ قبائل، (والتوراة تشير لشيوخ القبائل باعتبارهم ملوكا)، وأنهم كانوا من الشيوخ البـــارزين فـــى الطاقم الهكسوسى المتميز، فحازوا مكانة تركت بموجبها أثرها فيما وصلنا من آثار: وهو الأمر الذى انتهـــى إليه جاردنر فى تفسير هذا اللغز وأوضحه (محمد بيومى مهران) فى قوله عن الأسماء الهكسوسية الواردة فى بردية تورين بقوله: " إن الحصر الإحصائى للبردية **يضم ملوكا كثيرين كانوا موجودين معا فى وقت واحد.**

ومن المحتمل أنهم كانوا فى أنحاء متباعدة من البلاد، وينظر إليهم كمجرد **رؤساء لقبائل آسيوية مختلفة وعديدة** متجمعين تحت لواء ملك الهكسوس الكبير " . [٨]

المهم أن (يوسفيوس) يتابع روايته عن الهكسوس، نقلا عن (مانيتو)، فيقول: إن الحال قد استمر كذلك حتى قام الفرعون المصرى (تثموزيس) Tethmosis بالتمرد عليهم، وطردهم من بلاده فى حرب هائلة [٩]، حيث لم يكن حكام الهكسوس قد تمكنوا من القضاء على الحكم المصرى الوطنى، المتحصن طوال الوقت فى طيبة جنوبى مصر. أولئك الذين خاضوا حربا طويلة ضد الهكسوس، وبعد أن استمر الاحتلال خمسمائة عام وإحدى عشرة سنة، تمكن (تثموزيس) من طرد المحتلين، فانسحبوا إلى سوريا (يقصد بسوريا كل بلاد الشام / المؤلف) حيث أسسوا هناك المدينة المعروفة باسم أورشليم [١٠].

ولما كان (مانيتو) قد زعم أن البعض اعتبر الهكسوس عربا، وان البعض الآخر رآهم فينيقيين، فقد رأى (يوسفيوس) من جانبه أن خروجهم من مصر إلى يهوذا تحديداً وتأسيسهم أورشليم بالذات، وصفتهم كعرب (بدو ساميين)، وكفينيقيين، شواهد قاطعة على أنهم كانوا من بنى إسرائيل، وأنهم دخلوا مصر ملوكا ولم يدخلوها عبيداً أبداً.

ويستمر (يوسفيوس) ناقلا عن (مانيتو): " أن الهكسوس تركوا منهم بقايا لم يستطيعوا الفرار، فوقعوا أسرى بيد المصريين، حيث سيموا العذاب الطويل، وفرضت عليهم السخرة انتقاما منهم، "وبعد أن قضى أولئك الذين أرسلوا للعمل فى المحاجر، زمنا طويلاً فى تلك الحالة البائسة، طلبوا من الملك أن يخصص لهم مدينة أفاريس Avaris – وكانت قد خوت على عروشها بعد أن تركها الرعاة الهكسوس – لتكون لهم مسكنا ووقاء. فاستجاب للرغبة وحققها لهم، والواقع أن هذه المدينة كانت مدينة الإله Typho تيفون / ست، وفقا للديانة القديمة. ولكن لما دخلوها وجدوا المكان صالحا لإشعال الثورة، فأقاموا على أنفسهم من بين كهنة هليوبوليس (أون / عين شمس) حاكما عليهم، وأعطوه العهد أن يطيعوه فى كل شئ. وكان أول ما فعله أن سن لهم هذه الشريعة، التى بموجبها حرم عليهم أن يعبدوا آلهة المصريين، وأن يمسكوا عن عبادة أى حيوان من تلك الحيوانات المقدسة التى يعظمها المصريون أيما تعظيم، بل أمرهم أن يقتلوها ويدمروها جميعاً، كذلك نهاهم أن ينضموا إلى أحد غير رابطتهم.

وبعد أن وضع أمثال هذه الشرائع – والكثير من غيرها – المعادية فى أغلبها لعادات المصريين، أمرهم أن يستخدموا ما يملكون من سواعد كثيرة لبناء سور حول المدينة، وأن يعدوا أنفسهم لقتال الملك **أمينوفيس** Amenophis **آمنحتب** Amenhotep، أما هو نفسه فقد أنشأ صداقات **مع الكهنة الآخرين، ومن كانوا قد أفسدوهم**، وأرسل السفراء إلى الرعاة / الهكسوس، الذين كان تثموزيس Tethmosis قد طردهم

(٨) محمد بيومى مهران: دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى القديم، حركات التحرير فى مصر القديمة، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٦ ، ص ١٤٢ ، ١٤٣ .

(٩) لويس عوض: مقدمة فى فقه اللغة العربية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، ١٩٨٠، ص ١٤ .

(١٠) غطاس الخشبة: رحلة بنى إسرائيل إلى مصر الفرعونية والخروج، دار الهلال، القاهرة، ١٩٩٠، ص ١٤٣ .

من البلاد إلى أورشليم. وعن طريق السفراء أبلغهم بأحواله وبأحوال أولئك الآخرين الذين عوملوا بكل تلك الشناعة، وطلب إليهم أن تجتمع كلمتهم على أن يخفوا لمساعدته فى حربه ضد مصر، كذلك وعدهم بأنه سيبادر إلى إعادتهم إلى مدينتهم ودولتهم القديمة أفاريس، وبأنه **سيمون جموعهم بالغذاء الوفير**، وبأنه **سيحميهم** ويقاتل من أجلهم كلما دعت الحاجة إلى ذلك، **وأن فى ميسورة أن يخضع البلاد لسلطانهم.**

وقد اغتبط هؤلاء الرعاة بهذه الرسالة أيما اغتباط، وخفوا جميعا على وجه السرعة، وكان عددهم ٢٠٠,٠٠٠ رجل، وبلغوا أفاريس فى وقت قصير، ولما بلغ أمينوفيس ملك مصر نبأ غزوهم، اضطرب اضطرابا عظيما، وتذكر ما كان قد أخبره به آمنحتب بن بابيس (آمنحتب بن حابو / المؤلف)، وبدأ يجمع حشود المصريين ويتشاور مع قادتهم، وأرسل فى طلب **الحيوانات المقدسة** ليأتوا بها إليه، ولا سيما الحيوانات التى كانت معبودات رئيسية فى معابدهم، وأصدر أمراً خاصا وواضحا للكهنة، أن يخفوا أوثان آلهتهم بعناية تامة، كذلك **أرسل ولده سيتوس** Sethos **وكان يسمى أيضا رمسيس** Ramses **من أبيه رهامبيس** Rhempes **إلى صديق من أصدقائه، وكان الغلام لا يزال فى الخامسة من عمره.**

وبعد هذا سار مع بقية المصريين، وكانوا ٣٠٠,٠٠٠ رجل من أعند المقاتلين، لمواجهة العدو، الذى التقى بهم فى المعركة، غير أنه لم يشترك فى المعركة مع رجاله، **فقد كان يعتقد أن الحرب عمل ضد الآلهة،** ولذا عاد أدراجه ووصل إلى منف Memphis، حيث أخذ آبيس (العجل المعبود) وغيره من الحيوانات المقدسة التى كان قد طلب إحضارها له. وسار لفوره إلى أثيوبيا Ethiopia ومعه كل جيشه وحشود المصريين، فقد كان ملك أثيوبيا تحت ولايته، فاستقبله ورعى كل من كان معه من الحشود، بينما قدمت تلك البلاد كل الغذاء الكافى لرجاله. كذلك خصص مدنا وقرى لهذا المنفى الذى كتب له أن يكون فى بدايته، **خلال تلك السنوات الثلاث عشرة التى قضى بها القدر**، كذلك كرس معسكر الجيش الأثيوبى، ليتولى حراسة الملك أمينوفيس عند حدود مصر.

هذه كانت حال الأمور فى أثيوبيا، أما **شعب أورشليم** فعندما نزلوا مع **المصريين الفاسدين**، عاملوا الرجال بوحشية بالغة، جعلت كل من رأى قهرهم للبلاد المذكورة، وما ارتكبوه من فظائع بشعة، يستنكر فظائعهم أشد الاستنكار. فهم لم يكتفوا بإحراق المدن والقرى، بل استمرءوا خطيئة تدنيس الأحرام وتحطيم الأوثان، وأشعلوا النيران فى التماثيل المقدسة، واستخدموها فى شى الحيوانات المقدسة، وأرغموا الكهنة والأنبياء على أن يكونوا الجلادين الذين يذبحون تلك الحيوانات. كذلك قيل أن الكاهن الذى وضع سياستهم وشرائعهم، كان بالمولد من هليوبوليس، وكان اسمه **أوزرسيف Osarsiph** (المأخوذ من اسم إله هليوبوليس أوزيريس Osiris).

وبعد هذا عاد أمينوفيس من أثيوبيا بجيش عظيم، وكذلك ابنه **رهامبيس** بجيش آخر، واشتركا معا فى قتال الرعاة والناس الفاسدين، وهزموهم وفتكوا بعدد عظيم منهم، وطاردوهم حتى سوريا " [١١]

---

(١١) لويس عوض: مقدمة .. سبق ذكره، ص ١٤ ، ١٥ .

وهنا وجد (يوسفيوس) الدليل الأقوى فى مجموعة أحداث تتشابه فى بعضها مع قصة التوراة عن الخروج، أما الأقوى والحاسم فى الأمر، فهو (أوزرسيف) الذى رأى فيه (يوسفيوس) شخص موسى نفسه. ومن ثم انتشرت تلك القصة عن (يوسفيوس) فى العالمين: الإغريقى والرومانى، وظلت زمنا طويلاً يمتد قرونا، التفسير شبه التاريخى، شبه الموثق، لقصة الخروج، المؤسسة على المزج بين الهكسوس وبين بنى إسرائيل ومن **ثم كان ذلك كافيا لتفسير عدم ذكر المصريين فى نصوصهم لبنى إسرائيل، ودخولهم أو خروجهم من مصر، لأن مصر قد عرفتهم بالفعل، وعرفت أنهم دخلوها وأنهم خرجوا منها، ولكن باسم (الهكسوس).**

وهنا يضيف (يوسفيوس) إلى تلك الرواية خبراً غريباً يجب أخذه بحذر، وذلك فى كتابه (العاديات اليهودية)، نوجزه فى قوله: عندما كان موسى فى مصر حدثت حرب بين مصر وأثيوبيا، واشترك موسى فى المعركة كضابط بالجيش المصرى، ووصل الأثيوبيون حتى تخوم منف، لكن موسى ببراعته حاربهم مع رجاله ودمرهم حتى عادوا ديارهم، وحاصر مدينتهم، وهناك من على الأسوار رأته بنت ملك أثيوبيا فدخل حبه إلى قلبها فأرسلت تخطبه لنفسها، وهنا ساومها موسى على الحب مقابل استسلام مدينتها.

ثم يؤكد يوسفيوس رغبة الآلهة المصرية فى التحالف بين المصريين والإسرائيليين بقوله: " فلما وصل الغزاة الأثيوبيون إلى أبواب منف لجأ المصريون لاستشارة الآلهة طلبا للنبوءة واستلهام الوحى، وإذا النصيحة تأتى من الإله: أن اتخذوا من اليهودى حليفا " [١٢]. وهى الرواية التى قصد منها الالتقاء بما ورد فى التوراة حول زواج موسى من امرأة كوشية / زنجية سوداء " وتكلمت مريم وهارون على موسى بسبب المرأة الكوشية التى اتخذها، لأنه كان قد **اتخذ امرأة كوشية**، فقالا: هل كلم الرب موسى وحده، ألم يكلمنا نحن أيضاً / عدد ١٢ / ١ ، ٢ ".

لقد حاول يوسفيوس أن يجد تعليلا لزواج موسى من سوداء زنجية كوشية فى سيناء، فقال بحرب بين مصر وأثيوبيا التى تقع جنوبى مصر انتهت بزواجة من بنت ملك كوش، وهو ما يتناقض تناقضا صارخا مع بقية روايته التى تتحدث عن صداقة أمنوفيس / آمنحتب لملك أثيوبيا ولجوئه إلى بلاده إبان حربه مع الغزوة الهكسوسية الثانية التى تحالفت مع الثائر الكاهن أوزرسيف.

والواضح أن المحرر قد استخدم كلمة أثيوبيا مرتين للدلالة على العنصر الأسود وليس على المكان، لأننا سنرى فى هذا البحث أن أثيوبيا التى لجأ إليها الفرعون جنوبى مصر أمر، وأثيوبيا التى كانت فى حالة عداء مع الفرعون آنذاك أمراً آخر وموضعاً آخر، موضع ضم عدداً من الأجناس من بينها الزنج / الكوشيين، ناهيك عن كوننا نعلم أن موسى تزوج صفورة بنت يثرون أو رعوئيل كاهن مديان بسيناء، **ولا شك لدينا أنها هى التى وصفت بكونها سوداء كوشية.**

---

(١٢) عبد المحسن الخشاب: تاريخ اليهود القديم فى مصر، مكتبة مدبولى، القاهرة، ١٩٨٩، ص ٣٠، ٣١.

وهكذا يمكن تفصيل المكونات الرئيسية لنظرية ما نيتون حسب رواية يوسفيوس فى عناصر هامة أبرزها:

- أن فرعون مصر زمن غزو الهكسوس لمصر كان باسم (توثيما يوس) وهو ما يغطى لنا صمت الوثائق المصرية عن الحديث بشأن اسم الفرعون المصرى زمن غزو الهكسوس.
- أن الهكسوس كانوا هم ذات عين الإسرائيليين وأنهم ربما كانوا عربا أو فينيقيين.
- أنهم أقاموا عاصمة عسكرية فى مدينة باسم أفاريس / أواريس / حواريس / هواره / حاوعره بالمصرية القديمة.
- أنهم عبدوا هناك الإله المصرى رب الصحارى وسيد الشر (سيت) بالنطق المصرى، أو (سوتخ) أو (سوتتش) بالنطق الهكسوسى، وهو من أطلق عليه اليونان اسم تيفون رب الأوبئة والدمار.
- أن فرعون باسم (تثموزيس) كما نقل يوسفيوس أو (آموس) كما كتبه يوليوس الإفريقى قد حاربهم وطردهم من مصر، فانسحبوا منها إلى فلسطين، وأقاموا فى إقليم يهوذا الجنوبى، وأسسوا هناك مدينة أورشليم.
- بقى من الهكسوس فى مصر أسرى بعدد غفير، واستخدمهم المصريون فى الأعمال الشاقة، وفى زمن أمنوفيس / آمنحتب التمسوا فيه بعض الرحمة فطلبوا منه أن يمنحهم لسكناهم مدينة الهكسوس القديمة أفاريس، فمنحهم المدينة ليسكنوها، وهناك لحق بهم كاهن مصرى من كهنة عين شمس يدعى أوزرسيف، الذى ربما كان هوموسى ذاته، وقد استولى على قيادة أمرهم ووضع لهم شرائع جديدة تخالف كل شرائع المصريين.
- أن هناك **غزوة هكسوسية ثانية** حدثت زمن الملك المصرى آمنحتب / آمنوفيس، جاءت متحالفة مع ثورة أسرى أفاريس وزعيمها أوزرسيف، **وعادة لا يأخذ المؤرخون المحدثون قصة الغزوة الهكسوسية الثانية التى أشار إليها يوسفيوس نقلا عن مانيتون مأخذ الجد أو حتى الاعتبار.**
- أن فرعون مصر آنذاك آمنوفيس / آمنحتب، كان له ولد، والغريب أن الرواية هنا شديدة الالتباس والغموض فهذا الولد مرة اسمه **سيتوس**، ومرة أخرى **رمسيس**، ومرة ثالثة **رهامبيس.**
- **أن هذا الولد الملكى قد استبعد من مصر وهو طفل صغير** حرصا على حياته عند أصدقاء أوفياء للملك، وكان عمره حينذاك لم يتجاوز بعد الخمس سنوات.
- أنه كان فى حواريس مع بقايا الهكسوس الأسرى **عنصر مصرى منفى بدوره** لأسباب غير معلومه، ووجود هؤلاء فى مدينة العبيد الأسرى مع زعيمهم أوزرسيف لم يزل لغزا محيراً غير محلول.

- أن الرعاة قد هُزموا للمرة الثانية، وتم طرد الحملة الهكسوسية الثانية إلـــى فلســطين أمـــام دفاعـــات الجيوش المصرية التى قادها آمنوفيس وولده ذو الاسماء الثلاثة، بعد أن يفع ونضج وأصـــبح قائـــدا عسكريا مظفراً، والمفترض أنه آنئذ كان يبلغ من العمر ثمانية عشر عاما حيث استبعد وله من العمر خمس سنوات، وعاد بعد ثلاثة عشر عاما ليحارب مع أبيه ضد الغزاة.

زمن الغزو الهكسوسي لمصر

من المعلوم أن الوثائق المكتشفة فى تاريخ مصر القديمة لم تمدنا حتى الآن بتحديـــد دقيق لزمن غزو الهكسوس مصر ولا من هم الهكسوس ولا جنسهم. ويقول لنا (محمد بيومى مهران): " ولقد اختلف المؤرخون القدامى منهم والمحدثون فى تقدير مدة حكم الهكسوس فى مصر، **فهناك من وصل بها إلى أكثر من تسعة قرون، بينما نزل بها آخرون إلى قرن واحد** ". (١٣)

وكل ما نعلمه عن محاولات المصرولوجيين تزمين وقت غزو الهكسوس لمصر، أنها قد اتفقت علـــى مجيء الهكسوس بعد سقوط الأسرة الثانية عشرة آخر أسر الدولة الوسطى حـــوالى عـــام ١٧٨٨ ق.م. وأن الاحتلال قد استغرق خمس أسر حاكمة هى: ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، حتى مجئ فراعنة التحرير مـــن الأسرة السابعة عشر وأشهرهم (أحمس) مؤسس الأسرة الثامنة عشر، حوالى عـــام ١٥٧٥ ق.م – ١٥٥٠ ق م، والتى تعد الأسرة الأولى فى سلسلة أسر الدولة الحديثة (الإمبراطورية).

ولما كان سقوط الأسرة الثانية عشرة، قد حدث حوالى ١٧٨٨ ق.م، فقد اعتبر ذلك هو التاريخ المرجح للغزو الهكسوسى لمصر، وبذلك يكون مجموع سنوات حكم الهكسوس لمصر، إضـــافة للأســـر المصـــرية الحاكمة التى لم تقع تحت النير الهكسوسى، أو التى ظلت تحكم تحت سيطرتهم، لاتتجـــاوز ٢٣٨ ســـنة، وإن كان التقدير الدقيق فى ترجيح المصرولوجى (جاردنر)، لا يتجاوز **٢١٥ سنة** (١٤)

وتشمل هذه المدة خمس أسر كاملة، وهو التقدير الذى يخالف بشدة الزمن الذى رصده (مانيتو) لـــذات المدة، وقدره بحوالى ١٧٧٠ سنة، منها ٥١١ سنة للحكم الهكسوسى، و ١٢٥٩ سنة لأسر مصرية، تقع جميعاً بين نهاية الأسرة الثانية عشرة، وبداية الأسرة الثامنة عشر.

والمشكل فى الأمر هنا، أن المؤرخين – أنفسهم – الذين رصدوا زمنا قدره ٢٣٨ سنة لمجموع الأسر الخمس، يعترفون بعسر قبول ذلك، حيث الزمن قصير جداً بالنسبة لعدد الأسر، ولما لم يجـــدوا حـــلا لهـــذه المشكلة، نظراً لاعتمادهم فى ذلك التقدير على معطيات آثارية، ومتشابكات ومتزامنات لا تسمح بغيـــر ٢٣٨ سنة للأسر الخمس، فقد لجأوا لحل المعضل، بما ذهبت إليه – كمثال موجز – موسوعة تاريخ العالم، مستندة إلى (مانيتو) مرة أخرى، بالقول أن مصر انقسمت أقاليم فى ذلك الزمان، **وتعاصرت الأســـر المختلفـــة فـــى الحكم على تلك الأقاليم**، فحكمت الأسرة المصرية الثالثة عشر فى طيبة متحصنة هناك بعيداً عن يد الـــبطش

(١٣) بيومى مهران: دراسات .. سبق ذكره ، ص ١٣٧ .

(١٤) جاردنر: مصر الفراعنة .. سبق ذكره ، ص ١٨١.

الهكسوسى، وفى ذات الوقت تعاصرت معها أسرة مصرية حكمت فى سخا بوسط الدلتا كانت خاضعة تماماً للهكسوس، هى الأسرة الرابعة عشر، أما الأسرتين الخامسة عشر والسادسة عشر فكانت أسر هكسوسية خالصة، حكمت خلال ذات الزمن والمدة المرصودة، ثم قامت الأسرة السابعة عشر فى طيبة، بعد أسرتها الثالثة عشر، وهى الأسرة التى قاد ملوكها الأماجد، حملات التحرير ضد الهكسوس، وبطرد الهكسوس على يد أحمس أحد رجال تلك الأسرة العسكريين، تأسست معه، وبداية به، الأسرة الثامنة عشر، أولى أسرات الدولة المصرية الحديثة، دولة الإمبراطورية.

أما (جاردنر) فوضع حلاً فريداً لمشكلة الحجم الزمنى الضئيل لمجموع الأسر التى أخبرنا التاريخ بها، فافترض بداية أن هناك امتداداً للدولة الوسطى، خلال أسرتين مصريتين حكمتا لمدة ١٠٧ سنة، هما الأسرة الثالثة عشر الضعيفة، والأسرة الرابعة عشر التى استغرقها حكم الفرعون القوى (نفرحوتب) الذى حاول ترميم ضعف الأسرة السابقة، وبنهاية (نفرحوتب) جاءت غزوة الهكسوس التى شكلت الأسرة الخامسة عشر، التى دام حكمها فى رأى (جاردنر) مالا يزيد عن ١٠٨ سنة، وحكم خلالها الملوك الستة الذين أشار إليهم (مانيتو)، لكن (جاردنر) اعتبر (مانيتو) مضللا فى قوله: إنهم أول الملوك الهكسوس الأقوياء، حيث اعتبرهم (جاردنر) هم كل من حكم مصر من ملوك الهكسوس، وقد استند (جاردنر) فى ذلك إلى ما جاء فى بردية تورين، التى ذكرت ست ملوك هكسوس حكموا مصر لمدة ١٠٨ سنوات.

ثم قام (جاردنر) بإلغاء أسرتين هما السادسة عشر والسابعة عشر دفعة واحدة، واعتبر ذلك خطأ من (مانيتو) [١٥]، ومن ثم أعاد ترتيب الأوضاع كالآتى :

الأسرة	١٣، ١٤	أسر مصرية صميمة
الأسرة	١٥	أسرة هكسوسية
الأسرة	١٦، ١٧	غير موجودة أصلا

وعليه لن يكون هناك سوى ثلاث أسر فقط وليس خمس تقع فى الفترة ما بين سقوط الدولة الوسطى، وبين قيام الدولة الحديثة. وقد عمد (جاردنر) وهو بسبيل إثبات خطأ (مانيتو) إلى مقارنة تاريخية، بتأريخ عالم رصين هو (إدوارد ماير) الذى انتهى بعد دراسته للتأريخ بحسب النجم سايروس/ الشعرى اليمانية حيث جرى تزمين المصريين لتأريخهم بحسابات ظهوره واختفائه، وقال (ماير) أن أبعد نقطة يمكن الوصول إليها فى تزمين بداية أول أسرة مصرية حاكمة، لا تبعد عن عام ٣٢٠٠ ق.م.

ومن المعلوم أن هناك ثلاثة جداول أخرى للملوك تم اكتشافها وترجمتها، تحصر ملوك مصر عبر الأسرات الحاكمة، وهى: جدول أبيدوس المنقوش على جدران المعبد الكبير بالعرابة المدفونة، وجدول سقارة الذى عثر عليه (وبدى جونيرى) عام ١٨٦١م، فى مقبرة رئيس عمال منف، وجدول الكرنك المنقوش بمعبد طيبة. وقد اشتركت الجداول الثلاثة فى الاتفاق على عدم تسجيل عدد من الملوك، اعتبرهم المصريون غير

(١٥) الموضع نفسه .

شرعيين، وهو ما جرى على ملوك الهكسوس من الأسرة الخامسة عشر حتى السابعة عشـــر، **كمـــا لـــوحظ استبعاد الجداول الثلاثة لملوك أسرة العمارنة بدورها، والتى تمثل (آمنحتـــب الرابـــع) المعـــروف باســـم (إخناتون) وخلفائه المباشرين من أعضاء أسرته.** (١٦)

وقد علل المصرولوجيون ذلك بمروق إخناتون الدينى، بحيث اعتبرت فترة حكمه لا تقل سوءاً وكراهية عن فترة حكم الهكسوس، لكن السؤال هنا الذى يقف بلا إجابة: إذا كان ذلك جائزاً بحق (إخنـــاتون) نفســـه، فكيف يجوز بحق أخلافه الذين عادوا إلى عبادة آمون، وانتقلوا من (أخت آتون) بالعمارنة إلى (طيبة) مـــرة أخرى الفراعنة سمنخ كارع وتوت عنخ آمون وآى؟ إن المسألة بحاجة إلى تفسير أكثر إقناعا من ذلك. المهم أن سقوط أسرة العمارنة من تلك الجداول، أدى بالمؤرخين قبل اكتشاف تل العمارنة ومعرفة تلك الأسرة، إلى الوقوع فى أخطاء شديدة، **حيث كانت هناك فجوة تاريخية هامة غير معلومة لديهم بالمرة.**

وعملاً بقاعدة إهمال المصريين تدوين ملوكاً بعينهم، مع سنى حكمهم، نجد جدولى الكرنك وأبيدوس – كمثال – لا يوردان إطلاقا أى ذكر لحكام الأسر ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، رغم أن جدول الكرنك ذكر ملوكـــا مـــن الأسرة الحادية عشرة لا يستحقون ذكراً، وسجل أسلاف الملك (أحمس) فى الأسرة ١٧ وهم غيـــر مهمـــين بالمرة، كذلك سجل جدول أبيدوس ملوكا لاقيمة لهم إطلاقا من حكام الأسرة الثامنة عشر، وإذا أخذنا بقاعدة الإهمال فى التدوين، لأن الملوك فى تلك الحال غير شرعيين أو أجانب، فينبغى فى تلك الحال اعتبار حكـــام الأسر ١٣ ، ١٤ ، ١٥ حكاما غير شرعيين ويستنتج أنهم لابد كانوا هكسوسا.

وهكذا كانت الخدعة المبيتة فى التاريخ المصرى، والتى تأكدت لنا فى محاولة الفهـــم: لمـــاذا اعتبـــر (مانيتو) أن (رهامبيس) الذى يجب ـــ بمطابقة الأسماء ـــ أن يكون (حورمحب) آخر ملوك الأسرة الثامنـــة عشر وأول ملوك الأسرة التاسعة عشر وجاء بعد انتهاء حكم أسرة العمارنة، يجب أن يكون (رهامبيس) هذا ابنا مباشراً للفرعون (آمنحتب)؟ والإجابة هى أن الفرعون السابق مباشرة لحور محب، بعـــد حـــذف ملـــوك العمارنة الذين لم تدوتهم جداول الملوك المصرية المذكورة هو (آمنحتب الثالث)، ومن ثم احتسب (مانيتو) أن (رهامبيس) أو (حور محب) ابنا لـــ (آمنحتب الثالث).

المهم أن ذلك كله يشير إلى قدر كبير من الصدق التاريخى فى تاريخ (مانيتو)، لكنه لا يعنى من جانب آخر التسليم بكل تاريخه، لوقوعه فى خلط كبير أحيانا، لبعد الشقة الزمنية بينه وبين زمن الأحداث التى أرخ لها، لكن حتى ذلك الخلط كان يحمل خيوطا من حقائق وأحداث، لكنها التبست عليه فتبدل فيها الأبطال كمـــا تبدلت المواضع، وهو ما سنلمسه مع السير فى خطوات بحثنا هذا.

وعليه فقد وضع (مانيتو) لحكم الهكسوس زمنا يصل إلى ٥١١ سنة، وهو رقم مبالغ فيه بعض الشـــئ، هذا بينما وضع مصرولوجى مثل (جاردنر) زمنا يقع ما بين ٢١٥ سنة و ١٠٨ سنوات اعتماداً على برديـــة تورين، وهو بالمقابل زمن هزيل تماماً بالنسبة لضخامة الحدث وما احتواه من أمور جسام، وعليه **فلامنـــاص**

---

(١٦) جاردنر: مصر الفراعنة .. سبق ذكره ، ص ٦٨.

من محاولة تحديد مدة زمنية تتأرجح بين المدتين المرصودتين، وهو الأمر الذى لا يفصل بشأنه إلا تحديد زمن الفرعون الذى حدث الغزو إبان اعتلائه العرش، والذى ذكر (مانيتو) باسم (توثيمـايوس)، أو بحـذف التصريف الاسمى اليونانى (توتيماوى)، وهو مالم يجد المصرولوجيون بشأنه أى أثر حتى الآن. ثـم تحديد زمن فرعون التحرير الذى ذكره (يوسفيوس) نقلا عن مانيتو بالقراءة (تثموزيس)، بينمـا قـرأه (يوليـوس الأفريقى) بالرسم (آمّوس)، وقرأه يوسابيوس نقلا أيضاً عن (مانيتو) باسم (آموزس)، واتفقت أراءهم جميعا، أنه حكم فى طيبة خمسا وعشرين عاما.

ومن الجدير بالذكر الإشارة لاتجاه هام، يرى الهكسوس قد كونوا إمبراطورية كبرى، مسـتندين إلـى العثور على اسم الملك الهكسوسى (خيان) والمحتمل أنه ابا خنان / أبا الغنم (حنا) الهكسوسى الثالث منقوشـا على عدد من الجعول، وعلى غطاء مرمرى عثر عليه (إيفانز) فى كونسوس بكريت، و (خيان) هـو الاسـم الذى يلتقى مع (يان) أو (ياناس) فى جدول (مانيتو)، ووجدت له آثار فى سوريا وفلسـطين وبغـداد، وبـين الآثار كان تمثال لأبى هول صغير فى بغداد عليه النقش: " خيان الإله الطيب سوسرن رع "[١٧]. والمهم أن هذه الآثار الهكسوسية المتناثرة فى مساحة واسعة، ما بين الأناضول شمالاً ومصر جنوبا، والعـراق شـرقا وكريت غربا، أدت إلى استنتاج **أن الهكسوس قد أقاموا إمبراطورية كبرى تشمل كل تلك المنطقـة**، وهـو الرأى الذى لا يلقى قبولاً واسعاً بين المهتمين، و هناك أعلام مثل (جاردنر) يرفضون قبول تلـك النظريـة تماما. [١٨]

وتأتينا أول النصوص المصرية حول حرب التحرير، فى نص (قصة الملك أبو فيس وسقننرع)، والتى تحكى لنا بداية المقاومة الوطنية، فى عهد ملك من ملوك الأسرة السابعة عشر، المتحصنة فى طيبة جنـوبى البلاد، ويدعى سقنن رعتاعا  وكان معاصراً لملك هكسوسى يدعى (أبو فيس) ، يؤكد (سليم حسن) أنه الوارد فى الآثار باسم (عاقننرع)، وكان يحكم من مقر عاصمته العسكرية (أفاريس) أو (أواريس) أو (حواريس) شمال البلاد.

وبمطابقته مع اللوحة السداسية لملوك الهكسوس يكون ترتيبه الرابع بينهم، ويكون هو أبوفيس الثالـث حيث سبقه إلى حمل لقب أبو فيس اثنان من الملوك الهكسوس.

وتلك القصة التى تروى ذلك الصراع من أجل طرد الغزاة، دونت بعد عصرها بزمان، فى عهد الملك (مرنبتاح بن رمسيس الثانى) فى الأسرة التاسعة عشر، ويبدو عليها أنها كانت تمرينا مدرسـيا وصـلنا بـه أخطاء عديدة نتيجة جهل التلميذ الذى نقلها عن أصل لا نعرفه الآن، وبها تكرار لـبعض الجمـل وبعـض الأحداث، وغموض فى نواح كثيرة، نشأ عن تهشم بعض أجزائها، وتقول الفقرة الأولى منها:

حدث أن أرض مصر كانت فى جائحة شنعاء، ولم يكن

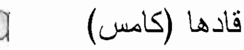
---

(١٧) سليم حسن: مصر القديمة . . سبق ذكره، ج٤، ص ٩١ ، ٩٢.

(١٨) جاردنر: مصر الفراعنة .. سبق ذكره، ص ١٨٠ ، ١٨١ .

للبلاد حاكم يعد ملكاً فى هذا الوقت. وقد حدث أن الفرعون سقنن رع كان حاكما على المدينة الجنوبية، لكن **الجائحة الشنعاء كانت فى بلد العامو**. وكان الأمير أبو فيس فى أواريس، وكانت كل البلاد خاضعة له، **وكذلك كل حاصلاتها بأكملها**، كذلك كل طيبات تميراً (مصر). وقد اتخذ الملك أبو فيس الإله ستخ ربا له ولم يعبد أى إله آخر فى البلاد سوى ستخ، وقد بنى معبداً ليكون حصناً خالداً بجانب قصر أبو فيس. وقد كان يستيقظ كل يوم ليقرب الذبائح اليومية للإله ستخ، وكان موظفو جلالته يحملون الأكاليل من الزهر، كما كان يُفعل تماماً فى معبد رع حر أختى [١٩].

ويتوالى سرد القصة فتروى أن حاكم الهكسوس أراد التحرش بملك المملكة الجنوبية (طيبة / الأقصر)، فأرسل له زاعما أن أفراس النهر الموجودة فى بحيرات طيبة تصدر فى الليل ضجيجاً يمنعه من النوم ويقلق راحته. وللأسف فإن ما تلى ذلك من أحداث ينقطع عنا بسبب التشوه الذى لحق بالوثيقة، وكل ما أمكن استنتاجه أن حربا قد بدأت بين الطرفين، وأن الملك المصرى الوطنى سقننرع قد وقع صريعا، وهو ما تم استنتاجه من فحص مومياء الملك التى تقلصت تقلصا شديداً، وهو ما يشير إلى آلام فظيعة عانى منها سقننرع وهو فى سكرات موته. وظهر بالمومياء جروح غائرة فى الرأس والعنق من المرجح أنها ضربات بُلط، ولم يكن الملك قد تجاوز عامة الثلاثين بعد حسب تقديرات الأطباء الذين فحصوا المومياء. [٢٠]

ويستنتج (محمد بيومى مهران) من ذلك نتيجة يلخصها فى قوله: " إن سقنن رع قد قُتل فى ساحة الوغى .. وأن المصريين تمكنوا من حمل الجثمان وتحنيطه، وذلك دليل على سيطرة الجيش المصرى على أرض المعركة " [٢١]. وفى عام ١٩٥٤ اكتشف الأركيولوجيست المصرى (محمد حماد) بالأقصر لوحة كبيرة تروى بإفاضة الجهود الحربية التى قادها (كامس)  يفة سقننرع ضد ملك الهكسوس أبو فيس أو (أبوبى) الذى حمل هذه المرة لقبه المصرى (عا أو سر رع أبوبى)، وهو الكشف الذى دّعم شبيها له سبق أن كشفت عنه حفائر (اللورد كارنارفون) بحوالى خمسين عاما، وكان لوحة هيراطيقية تروى مراحل الصراع الأولى، وكانت بدورها نسخة نقلها كاتبها عن نص تاريخى أصيل أقيم بالمعبد، وهو التعدد الذى يشير لأصالة الرواية التى تروى :

السنة الثالثة، حور الظاهر على عرشه، وصاحب

---

(١٩) سليم حسن: مصر القديمة .. سبق ذكره، ج٤، ص ١١٦.

(٢٠) جاردنر: مصر الفراعنة .. سبق ذكره، ص ١٨٥ .

(٢١) بيومى مهران: دراسات، سبق ذكره، ص ١٠٢ .

الإلهتين، حور الذهبى، الذى يجعل الأرضين مسرورتين، ملك الوجه القبلى والوجه البحرى، واز خبر رع ابن الشمس، **كامس**، مُعْطَى الحياة مثل رع أبد الآبدين، محبوب آمون رع سيد الكرنك، الملك القوى فى ربوع طيبة، كامس معطى الحياة مخلداً، كان ملكا محسنا وقد جعله رع ملكا حقيقيا، وسلمه القوة بالحق المبين، وقد تكلم جلالته إلى مجلس كبار الدولة الذين كانوا فى حاشيته قائلاً: إلى أى مدى أدرك كنه قوتى هذه؟ عندما أرى حاكما جالسا فى أواريس وآخر فى بلاد كوش، وأنا أجلس مشتركاً مع رجل من **العامو** وزنجى، وكل رجل منهما مسئول عن جزئه من مصر هذه، **وذلك الذى يقاسمنى الأرض لن أجعله يمر فى ماء مصر حتى منف**، تأمل إنه يسيطر على الأشمونيين، ولا يرتاح رجل لصيرورته عبداً **للستيو**، إنى سأصارعه وأبقر بطنه، وإن رغبتى هى تحرير مصر والقضاء على الآسيويين . . وعندئذ قال عظماء مجلسه: تأمل ، لقد تقدم الآسيويين حتى وصلوا القوصية، وقد أخرجوا ألسنتهم لنا حتى آخرها، إننا فى طمأنينة نملك نصيبنا من مصر وألفنتين، والقوم يحرثون لنا أحسن أرضهم، وما شيتنا ترعى فى مستنقعات الدلتا البردى، والشعير يدرس لخنازيرنا، ومواشينا لم تغتصب . بسبب ذلك، **وهو . . ويستولى على أرض العامو، ونحن نمتلك مصر**، ولكن كل من يأتى إلى أرض ليناهضنا سنناهضه . .

وكانوا قد أغضبوا قلب جلالته (بقولهم هذا): أما عن مجلسكم هذا . . فإن هؤلاء العامو الذين . . تأملوا إنى **سأحارب العامو**، وإن النصر سيأتى، وإذا .. بالبكاء، فإن الأرض قاطبة سترحب بى، بوصفى الحاكم القوى داخل طيبة، كامس حامى مصر.

ولقد أقلعت منحدراً فى النيل بوصفى محاربا، لأهزم

العامو بأمر آمون صادق النصيحة، وقد كـــان جيشـــى شجاعا يسير أمامى كأنه عاصفة من نار، وكان جنـــود المازوى فى مقدمة معاقلنا، ليتجسســوا علـــى مواقـــع **الستيو**، وليد مروا مواقعهم شـــرقا وغربـــا، ومعهـــم طعامهم وأدمهم، وقد كان جيشى المكتظ بالمؤن فى كل مكان.

وقد أرسلت جيشاً من المازوى، فـــى حـــين أنـــى قـــد أمضيت يومى .. لأحبس .. تيتى بـــن بيـــوبى داخـــل نفروسى، وكنت لا أريد السماح له بالهرب، ثم جعلـــت **العامو الذين اعتدوا على مصر** يولون الأدبار، وقد كان مثله كمثل رجل ... قوة العامو، وأمضيت الليـــل فـــى سفينتى وقلبى فرح، وعندما أضاء النهـــار انقضضـــت عليه كالصقر، وعندما جاء وقت تعطير الفم كنت قـــد هزمته وخربت أسواره، ذبحت قومه وجعلت زوجتـــه تنزل إلى شاطئ النهر. وكان رجال جيشـــى كالأســـود عندما ينقضون على الفريسة، ومعهم العبيد والقطعـــان والأدم والشهد، فقســموا غنـــائمهم وقلـــوبهم فرحـــة، وكان إقليم نفروسى على وشك الســـقوط، ولـــم يكـــن بالأمر العظيم أن تحبس زوجة ... وكان برشاق غيـــر موجود عندما وصلت، وهربت خيولهم مـــن الـــداخل والحامية [٢٢] .

وهنا يتهشم النص الهيراطيقى، فنكمله بما جاء فى لوحه الأقصر التى تقول على لسان (كامس) وهـــو ينادى عدوه (أبوب / أبوفيس) الذى لا شك كان فى عاصمة الهكسوس (حواريس):

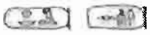
إن قلبك معطل أيها الآسيوى الوضيع، الذى اعتـــاد أن يقول: أنا سيد، وليس لى هناك ند مـــن خمـــون وبـــى حتحور حتى **أفاريس** [٢٣] .

---

(٢٢) نشره جاردنر، وجن، فى جرنال الأركيولوجيا المصرية
J.E.A, III, P ٩٥ .
انظر كذلك لافى

(٢٣) جاردنر : مصر الفراعنة .. سبق ذكره، ص ١٩٠.

A.S. Voll XXX V, P II

ويبدو أن كامس لم يتمكن من تحرير أفاريس/ حواريس، فتتحدث خاتمة اللوح عن عودة كامس منتصراً إلى عاصمته حيث جن الناس به فرحا، ومع ذلك لم يكن هو القاهر النهائى للهكسوس، حيث ادخر هذا العمل المجيد لخليفته وشقيقة أحمس  الذى يلتقى باسمه مع آموس عند يوليوس الإفريقى، ومع آموزس عند يوسابيوس، ومع بعض التحريف عند يوسفيوس : تثموزيس، وهو الفرعون الذى مجدته الأجيال اللاحقة باعتباره محرر مصر من الهكسوس ومؤسس الأسرة الثامنة عشرة الماجدة.

وقد علمنا بأمر أحمس وانتصاراته من مقبرة فى الكاب فى أقصى جنوبى مصر، تخص واحداً من ضباط جيشه يحمل ذات اسم الفرعون (أحمس بن أبانا) الذى حكى فى نقوش مقبرته كيف أبحر مع سيده الملك أحمس شمالا لمهاجمة الآسيويين (العامور / الستيو) ليتابعوا حصار قلعة الهكسوس فى حواريس، وكيف انسحب العامو عبر سيناء حتى شاروهين جنوبى غربى فلسطين، وهناك استمر أحمس يحاصرهم لمدة ثلاث سنوات على التوالى، إلى أن استسلموا مرة أخرى وتم إجلاءهم عن المنطقة نهائيا. [٢٤] وإن كان خبر إجلاءهم عن جنوبى فلسطين من وجهة نظرنا محل شك كبير، ويبدو أنهم ظلوا هناك، وفى مناطق متفرقة بشبه جزيرة سيناء يتمتعون ببعض قوتهم، التى كانت تحتاج من الفراعين إلى تجريد الحملات بين حقبة وأخرى لتأديبهم. ومما يدل أيضاً على وجودهم القوى ما جاء فى تاريخ تحتمس الثالث بعد قرن من تلك الأحداث، حيث وجد (زيته) فى مقدمة تاريخ تحتمس الثالث إشارة لوجود هكسوس فى قلعة شاروهين نفسها، وقد ترجم زيته تلك الفقرة كالآتى:

> السنة الثانية والعشرون، الشهر الرابع من فصل الشتاء، اليوم الخامس والعشرون، مر جلالته بقلعة ثارو فى أول قلعة مظفرة، ليطرد الذين هاجموا حدود مصر بشجاعة ونصر وقوة وفوز.
>
> وقد مرت مدة طويلة من السنين كان فيها الآسيويون يحكمون البلاد اغتصابا، والكل يخدمون أمام ... وقد أتفق فى أزمان أخرى أن الحامية التى كانت هناك كانت فى مدينة شاروهين، **وهم الآن من يرذ إلى نهاية الأرض فى استعداد للثورة على جلالته** [٢٥].

الواضح خلال التاريخ أن سيناء ظلت مرتعا للبدو الخارجين على السلطان المصرى المركزى طوال الوقت، وأنهم كانوا من القوة بحيث جعلوا من سيناء شبه مملكة لهم أو مجموعة ممالك وكثيراً ما دون التاريخ اعتداءهم على حدود الدلتا الشرقية، كما يشهد بذلك النص السالف، وكان الفراعين دوما بحاجة إلى تقوية

(٢٤) نفسه: ص ١٩١ .

(٢٥) سليم حسن: مصر القديمة .. سبق ذكره، ج٤، ص ١٤٨ ، ١٤٩.

حدود مصر الشرقية لهذه الأسباب تحديداًحتى أقاموا أثراً مشهوراً في تاريخ مصر القديمة هو (سور الأميـــر الذي يصد الأسيويين) على حدود الدلتا الشرقية مع سيناء[٢٦].

وأحيانا كان تمردهم يصل إلى درجة الهجوم على المدن المصرية العامرة شرقى الدلتا كما حدث فـــى عهد الملك ستى الأول، فى السنة الأولى من حكمه ١٣٠٢ ق.م عندما هاجموا مدينة بى توم أو فيثـــوم ممـــا اضطره إلى تجريد حملة تأديب كبرى [٢٧]. وعند حملته على الشام اصطدم مرة أخرى عند رفح بجماعـــات الشاسو [٢٨] أو بدو سيناء، ولم يتمكن من دخول فلسطين إلا بعد أن أحرز نصراً شديداً عليهم.

المهم أنه إذا كانت الوثائق قد أفادت باسم فرعون التحرير (أحمس) فإنها لم تفـــدنا حتـــى الآن باســـم فرعون مصر وقت الغزو، باستثناء ما ورد عند مانيتو عن فرعون باسم (توثيمايوس) أو (توثيمـــايو) بعـــد حذف التصريف الإسمى اليونانى. وقد لجأ المتأولون المتعجلون إلى تصحيفه بالقراءة إلى (تحتمس)، لكن ذلك لم يحل الإشكال، فلدينا بين الفراعين أكثر من تحتمس، ومانيتو لم يحدد لنا من هو الـــ (تحتمس) المقصـــود بين الفراعين؟ ثم أن ما يفصل فى الأمر، أن الملوك التحامسة لم يحكم أحدهم قط قبل الأسرة الثامنة عشـــر، أى أنهم حكموا بعد طرد الهكسوس من مصر، وأولهم (تحتمس الأول)، الملك الثالث فى ترتيب ملوك الأسرة الثامنة عشر، بعد أحمس وآمنحتب الأول.

إلا أن الباحث (غطاس الخشبة) نبهنى إلى أمر هام بالفعل، حيث أنه تابع قراءة جداول بردية تـــورين للملوك، المرفقة بكتاب (جاردنر): مصر الفراعنة، وطابق اسم (توتيماوى) مع الاسم المذكور فـــى العمـــود السادس تحت رقم ٢٤ [٢٩]. إلا أن الأرجح بالفعل أن يكون هو الفرعون الذى ورد بذات البردية فى العمود رقم ٧ تحت رقم ٥، باسم (سعنخ رع أن سوا دج / تو)، الذى حكم ثلاث سنوات وشهرين، وهو الاسم الذى ينقح إلى اسم مشهور دون سبب واضح لتلك الشهرة، هو (سخم رع سوا دج / توى)، واشتهر باســـم (ســـبك حتب الثالث)  ولا سبيل لتفسير تلك الشهرة إلا بحدث كبيـــر مثـــل حـــدث غـــزو الهكسوس.

ولما كان حرف (ت) ينطق – فى تلك الحال – (دج)، مع تعطيش الجيم، كما فى نطق اســـم مدينـــة (أبيدوس) بذات الطريقة (آبدجو) بدلا من (أبيدو) المعتادة، فإنه يمكننا أن نطق اسم الفرعون نطقا يوافق زمن مانيتو بتخفيف (دج) إلى (ت) ، ليقرأ: (سخم رع / سوا / **ت** / **تو وى**)، وهو الاســـم الـــذى يحـــوى كـــل المكونات الفونيطيقية للاسم الذى أورده مانيتو (توتيماوى) ويقع ترتيبه فى سلسلة الملوك – بعد سقوط الأسرة الثانية عشرة – الثامن والعشرين، وهو بذلك أحد ملوك الأسرة الثالثة عشر، التى حدث الغزو إبانها بالفعـــل،

---

(٢٦) برستد: فجر الضمير، مكتبة الأسرة، ص ٢١٧،٢١٨.

(٢٧) غطاس الخشبة: رحلة .. سبق ذكره ، ص ١٣٧ .

(٢٨) سامى سعيد: الرعامسة الثلاثة الأوائل، دار الشئون الثقافية، بغداد ، ١٩٨٨ ، ص ٢٢ .

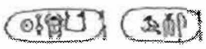
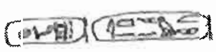
(٢٩) غطاس الخشبة: رحلة .. سبق ذكره، ص ١٣٧ .

وهو ما يعنى وجود أسرة بهذا الرقم فعلاً فى طيبة، ولا يصح أن نذهب مع من ينصحون بإلغائهـا، لصـالح عمليات التزمين السالف الإشارة إليها.

والمطالع لقائمة سنى الملوك الذين حكموا بعد الأسرة الثانية عشرة، سيلحظ فوراً أن هذا العـدد مـن الملوك قد حكم مدداً قصيرة جداً، حيث أن الملك منهم لم يحكم أكثر من شهور، وبعضهم لم يحكم سوى أيام، وأطول مدة حكمها ملك من بينهم لا تتجاوز سنواتها أصابع اليد الواحدة، كما فى حالة (توتيماوى / سبك حتب الثالث)، وحالة أخرى وحيدة نادرة استمر فيها أحدهم ثلاث وعشرين سنة، وهو الأمر الذى يشير إلى قصـر عمر قياسى للأسرة الثالثة عشر، وصراع هائل على السلطة، أدى إلى تفكك نظام الدولة وانهيار البلاد، إلى الحد الذى سمح بدخول الهكسوس إليها. لكن فى ضوء تضارب التزمين لا يمكن بحال أن ندقق بشكل قـاطع الزمن الذى دخل فيه الهكسوس مصر، على الأقل فى هذه المرحلة من البحث، وإن كان العلماء قـد حـددوه بعام ١٧٨٨ ق.م أو نحو ذلك، وهو العام الذى حددوه لسقوط الأسرة الثانية عشرة.

أما الدليل الأوفى على صدق (مانيتو) فهو إشارته لاتخاذ الهكسوس عاصمة فى شمالى مصـر باسـم (أواريس / أفاريس / حواريس) واتخاذهم إلها رئيسيا باسم (تيفون)، وهى امور لا جدال بشأن صحتها، حيث حدثتنا الوثائق المصرية المكتشفة عن مدينة الهكسوس باسم (حواريس)، وقد وردت باسمها هذا عدة مـرات فى وثائق التحرير، وطبقا لما نقله (يوسفيوس) عن (مانيتو)، فإن حواريس كانت تقـع فـى مقاطعـة باسـم (المقاطعة السترويه)، وتبعاً لما بين أيدينا الآ ن من تصنيف لمقاطعات مصر، لم نعثـر علـى مقاطعةبهـذا الاسم.

وقد ظلت نظرية (مانيتو) – التى أخذ بها المؤخون القدامى، مسيطرة وسائدة، إلى مايزيد عن سبعة عشر قرنا على التوالى، والتى تؤكد – بتفسير (يوسفيوس) – أن بنى إسرائيل، هم ذات عين الهكسوس، وأن طردهم قد تم على يد فرعون باسم (أحمس)، وأن بعضهم بقى أسيراً فى مصر، ثم اشعلوا نار ثـورة ضـد فرعون باسم (آمنحتب)، ومن علوم المصريات، وحسب جدول الملوك، نعلم أن هناك أربعة ملـوك حكمـوا بهذا الاسم خلال الأسرة الثامنة عشر المصرية، أولى أسر الدولة الحديثة، دولة الإمبراطورية، وقد تم ترتيب ملوك تلك الأسرة وفق قوائم الملوك القديمة (أبيدوس ، الكرنك، بردية ليدن .. إلخ)، مع الاستعانة بالكشـوف الحديثة فى علوم المصريات لآثار مصر، لملء الفراغات التى أسقطتها تلك الجداول، بحيث جاءت كالتالى:

اسم الفرعون	بالهيروغليفية	التاريخ الافتراضى لسنى حكمه ق.م
أحمـــــــس		١٥٥٠ - ١٥٧٥
آمنحتب الأول		١٥٢٨ – ١٥٥٠
تحتمس الأول		١٥١٠ – ١٥٢٨
تحتمس الثانى		١٤٩٠ – ١٥١٠
حـــاتشبسوت		١٤٦٨ - ١٤٩٠ بينهما فترة حكم مشترك
تحتمس الثالث		١٤٣٦ - ١٤٩٠
آمنحتب الثانى		١٤١٣ - ١٤٣٦
تحتمس الرابع		١٤٠٥ - ١٤١٣
آمنحتب الثالث		١٣٦٧ - ١٤٠٥
آمنحتب الرابع/ خناتون	أسرة العمارنة ساقطة من الجداول المصرية القديمة	١٣٥٠ - ١٣٦٧
سمنخ كارع		١٣٤٧ - ١٣٥٠
توت عنخ آمون		١٣٣٩ - ١٣٤٧
آى		١٣٣٥ - ١٣٣٩
حور محب		١٣٠٨ – ١٣٣٥

لكن علوم المصريات الحديثة، رغم أخذها – بعد تأكدها – بما ذكره (مانيتو) عن أحمس كفرعون للتحريـــر، فإنها لم تطمئن إزاء المعطيات الآثارية المكتشفة إلى فكرة أن الأسرى الإسرائيليين قد خرجوا بعد ذلك زمـــن فرعون باسم (آمنحتب)، ومن هنا طرحت عدة نظريات تحاول تزمين خروج بنى إسرائيل من مصـــر، وإذا أخذنا عينات منها على الترتيب الزمنى، سنجد منهم من ذهب إلى خروجهم زمن الفرعونـــة (حتشبســـوت)، ومنهم من أرجأ ذلك لزمن شريكها فى العرش وخليفتها الفاتح المظفر (تحتمس الثالث)، بينما ذهب آخـــرون إلى تأخير ذلك الزمن إلى أيام (آمنحتب الثالث) أو (الرابع / إخناتون)، باعتبار ما ذكره (مانيتو) عن صفات الفرعون المحب للسلم واسمه أمنوفيس، واحتسابه هو فرعون التسخير والاستعباد. وأن الخروج تم فى عهـــد ابنه (رهامبيس) أو (رمسيس) كما قال (مانيتو) والذى سيتأرجح ما بين كونه إخناتون (آمنحتب الرابع) وبين

كونه (حور محب)، لكن ذلك الفرض جاء قبل أن تلقى علوم المصريات الأركيولوجية الضوء على كثير من المجهول، واكتشفت أنه لا (رمسيس) ولا (حور محب) كانا أبداً أبناء لآمنحتب، بل أنهما قد أتيا بعد ذلك بفترة، وفى أسرة أخرى هى الأسرة التاسعة عشرة. ثم أخيراً تأتى آخر النظريات وأكثرها شيوعا ورسوخا الآن، وهى التى تقول باستعبادهم زمن الفرعون (رمسيس الثانى / ١٢٩٠ - ١٢٢٤ ق.م)، أشهر ملوك الأسرة التاسعة عشر وأجلهم شأنا، وخروجهم زمن ولده (مرنبتاح / ١٢٢٤ - ١٢١٤ ق.م).

نظرية الخروج زمن (حتشبسوت) :

وهى القائلة بخروج بنى إسرائيل من مصر زمن الفرعونة (حتشبسوت) و (تحتمس الثالث) الذى شاركها فى الحكم فترة من الوقت، ثم أزاحها عن العرش وانفرد به، وقاد جيوش مصر ليقيم أكبر إمبراطوريات ذلك الزمان، ويمثل تلك النظرية أصدق تمثيل الأستاذ (جارستانج) عضو بعثة مارستن Marston التابعة لجامعة ليفربول، للتنقيب فى فلسطين. وقد ملأ (جارستانج) الدنيا صخبا وضجيجا بما زعمه عن كشف آركيو لوجى حاسم فى الأمر جميعه، حيث عثر على جعران فى مقابر أريحا الملكية، عليه إشارات فسرها كأدلة قاطعة، تثبت أن (موسى) قد أنجبته الفرعونة (حتشبسوت) عام ١٥٢٧ ق.م بالتحقيق، عندما كانت أميرة، وقبل أن تتربع على عرش مصر، أى خلال حكم الفرعون (تحتمس الأول) أو (تحتمس الثانى). وأن (موسى) قد تربى فى بلاطها وبين حاشيتها بعد ذلك، ثم فر من مصر عندما نجح الانقلاب الذى قام به (تحتمس الثالث)، ثم عاد ليقود الخروج أثناء حكم (تحتمس الثالث) عام ١٤٤٧ ق.م. وأن بنى إسرائيل وصلوا أريحا وفتحوا فلسطين بعد سبعة وأربعين عاما من خروجهم من مصر، أى عام ١٤٠٠ ق.م على وجه التحديد.

وكما ظهرت ضجة (جارستانج) فجأة، خفتت فجأة، وانتهى (جارستانج) إلى الصمت التام، ولم يعد أحد يتحدث عن جعرانه الأعجوبة، ويبدو أن المصرولوجيين لم يقتنعوا تماما بتأويلاته لنقوش جعران أريحا، ربما لسقوطه فى أخطاء هامة تبرر ذلك الخفوت، فالتلاشى لكشف بهذه الخطورة.

وممن ذهبوا إلى تزمين الخروج بأيام حكم الفرعونة (حتشبسوت) الباحث (هانزجيدك H.Jedic) الذى أكد هذا المعنى، وحاول إيجاد تبرير معقول للقناعة بغرق الفرعونة وجيوشها، رغم عدم وجود أى وثيقة تاريخية فى كل مدونات حوض المتوسط، تشير إلى غرق أى جيش أو أى فرعون. فأرجع الأمر إلى انفجار بركان جزيرة تيرا Tira المعروفة الآن بجزيرة سانتورين Santorin، الواقعة شمالى جزيرة كريت بحوالى سبعين كيلو متراً، حيث زعم أنه قد تصادف خروج الإسرائيليين عقب الإنفجار، ولحظة وصولهم إلى بحيرة المنزلة لكى يسلكوا الطريق الساحلى إلى أرض كنعان، وفى اللحظة التى كانت فيها جيوش (حتشبسوت) تدخل المنطقة، و (موسى) وأتباعه على ربوة عالية بعد مرورهم من جنوبى البحيرة، وصلت موجه المد الهائلة التى سببها البركان، فأدى إلى غرق المصريين. و (جيدك) بذلك يفترض أن بحر سوف الذى عبره

الإسرائيليون، لم يكن بحراً بالمعنى المفهوم، بل موضعا بساحل بحيرة المنزلة الجنوبى شمال الدلتا، ويكـون المد الذى أغرق المصريين قادما من البحر الأبيض المتوسط.

ويبدو لنا أن من ذهبوا إلى تزمين الخروج بعهد الفرعونة (حتشبسوت)، قد ازدادت قناعتهم بمذهبهم، استناداً إلى النقوش التى خطت زمن حتشبسوت بحـروف هجائية عبرية فى صورة بدائية، عند موضع جبل الشريعة (سانت كاثرين وموسى بسيناء)، وورد فيها أكثر من مرة الاسم (مَنّشه Manassah)، الذى دفع إلى الظن بأنه اسم (موسى) نفسه، هذا مع الاعتقاد الراسخ أن جبل سانت كاترين بسيناء، كان هو الجبل الـذى توجه إليه الخارجون من مصر، إلا أنه لوجه الحق، أن حل رموز تلك النقوش غير محقق، إضـافة إلـى أن الصفات التى وردت فى تلك المخربشات عن المدعو (منشه) تخالف إلى حد بعيد ما ورد بشأن (موسى) فـى التوراة، فمنشة هذا كان عاملا مصريا فى المحاجر هناك، يعبد آلهة مصرية كثيرة، وكان فيما يبدو مقربا فى زمن سابق من الفرعونة حتشبسوت. (٣٠)

وربما انبنت قناعة (جارستانج) و (هانزجيدك) على ذلك النص المصرى عن (حتشبسوت)، والـذى وجد منقوشا على واجهة أحد معابدها، فى منطقة اسطبل عنتـر بمصر القديمة وهو معبد إقليمى، أطلق عليه اليونان اسم (سبيوس أرتميدس) ويحمل علامات شديدة الـدلالة يمكن تـأويلها مـع قصة الخروج، وهو نص مدهش بالفعل، يقول:

> إصغ إلىّ؛ إن جميع الناس من البدو هم على ترحالهم، وإنى لـم آخـذ فـى اعتبارى أعمالهم الشاذة، ولم تشغل خاطرى، فإنى لم أنس أن أشيد **وأصلح ما قد دمروه وأتلفوه** من قبل، وكان من بينهم حشود تقوم بهدم ما سبق تشييده، **كـانوا يحكمون** بغير مشورة رع، ولم يحدث أن تم التصرف طبقا للأمر الإلهى، حتـى عصر جلالتى.

وحكم جلالتى الآن ثابت بقوة رع، لأنه قد سبقت النبوءة بمولدى، بأنى سأكون من الملـوك القـادرين المنتصرين، ولذلك جئت كالحية النارية الملتهبة ضد أعدائى، **ولما سمحت لأولئك الـذين أغضـبوا الآلهـة بالخروج، فكأن الأرض ابتعلت آثار أقدامهم**، وهذه إرادة أبى الآلهة، التى رتبت ذلك فـى حينـه، وهـم لا يوافقون على إلحاق الضرر بمن جاء بـإرادة الإله آمـون، وإنـى أتمتع بقـوة احتمال حين تسـطع عليـه أشعة الشمس النورانية، **فوجود جلالتى ولقبي شرعى وقانونى**، والإله حورس الصقر هـو الـذى يحمينـى بجناحيه، وينشر اسمى الملكى إلى أبد الآبدين (٣١).

(٣٠) روبنسون: إسرائيل فى ضوء .. سبق ذكره، ص ١٠٧ .

(٣١) الخشبة: رحلة .. سبق ذكره ، ص ١٩٣ ، ١٩٤.

الواضح لدينا هنا أن (حتشبسوت) تريد تأكيد شرعية ملكها بإرادة الإله (آمون) وهناك نصوص عديدة حاولت فيها تأكيد تلك الشرعية، مع دليل آخر يدعم ذلك الشك، حيث اصطنعت قصة تقول: أنها ابنة مباشرة للإله آمون بالجماع الجسدي مع والدتها وهو الأمر الذي تكرر مع أكثر من فرعون، وهو مايقول بشأنه (عبد العزيز صالح): " وعادة ما ازداد تمسح هؤلاء بالدين وكرامات آمون، كلما أحس أحدهم بشبهة يمكن أن تمس شرعية ولايته للعرش، حيث يسارع إلى تأكيد بنوته المباشرة له، نتيجة تقمصه روح أبيه حين أنجبه، وعبرت عن هذه الادعاءات أربع روايات للفراعنة: **حتشبسوت**، وتحتمس الثالث، وتحتمس الرابع، **وآمنحوتب الثالث**" [٣٢].

ويشير كل من (دريتون) و (فانديه) إلى: " إن فكرة تدخل الإله تدخلاً مباشراً فى إنسال الملك الجالس على العرش، كانت شائعة فى الأسرة الثامنة عشر، إذ تمثل النقوش فى معبد الدير البحرى عن حتشبسوت، ومعبد الأقصر عن آمنحتب الثالث، مراحل الاقتران الإلهى..أى اجتماع آمون مع الملكة الوالدة، بعد أن يتخذ مظهر الملك الوالد"[٣٣].

أما الجزء الخاص بالبدو فى ذلك النص، فقد جاء عرضا لإثبات اقتدارها وسلطانها، ولم يكن مقصوداً لذاته، ويبدو لنا لونا من الادعاءات الكثيرة المتكررة فى حوليات الفراعنة غير الشرعيين أو الضعاف. فيدعى أحدهم أنه أسقط حضارة دولة معادية قبل زمنه بمئات السنين، أو يزعم انه بأنى المعبد الفلانى وليس له، أو يكتفى بمحو اسم الفرعون صاحب الأثر العظيم ويضع عليه اسمه، وهى أمور معتادة ومعلومه مع دارس التاريخ المصرى القديم. والنص هنا يتحدث عن بدو كانوا يحكمون مصر لا عن عبيد بمصر، إنه إشارة للهكسوس الحكام وليس للإسرائيليين المستعبدين ، مما يشير إلى أنها أرادت أن تنسب لنفسها تحرير مصر من الهكسوس الذين حكموا مصر بالنص، وهدموا معابد الآلهة **وحكموا** بغير مشورة الإله رع، النص هنا لا يمكن تفسيره إطلاقا بأنه يتحدث عن بنى إسرائيل، فلا التوراة ادعت انهم حكموا مصر، ولا مصر دونت ذلك، النص يتحدث إذن عن الهكسوس تحديداً فى فخر لفرعونة مشكوك فى شرعية حكمها.

أما الجملة " ولما سمحت لأولئك الذين أغضبوا الآلهة بالخروج، فكأن الأرض ابتلعت أقدامهم "، فيبدو أنها تشير إلى اغتصابها عمل الفرعون (أحمس) الذى سمح للهكسوس بالخروج من حواريس بعد حصار طويل ومفاوضات ليتجهوا إلى شاروهين، أما الباحث (غطاس الخشبة) فيبدو أنه لم يلتفت إلى مسألة حكمهم لمصر وهدمهم لمعابدها، ووقف فقط عند تلك الجملة، ليستنتج أنهم بنى إسرائيل.

وقد رتب الباحث نتائج عمله وأجملها فى قوله: " إن الهكسوس طردوا من قلعة (حواريس) سنة ١٥٦٨ ق.م، فى السنة الخامسة لحكم (أحمس الأول)، وظل يطاردهم حتى دخلوا فلسطين، وأن (موسى النبى) ولد

(٣٢) عبد العزيز صالح:الشرق الأدنى القديم، الهيئة العامة للمطابع الأميرية، ج١، القاهرة، ١٩٦٧، ص ١٩٩ .

(٣٣) إتيين دريتون، وجاك فانديه: مصر، ترجمة عباس بيومى، مكتبة النهضة المصرية، د.ت، ص ٩٢، انظر أيضا: جيمس هنرى برستد: كتاب تاريخ مصر منذ أقد العصور إلى الفتح الفارسى، ترجمة د. حسن كمال، وزارة المعارف المصرية، ط١، القاهرة، ١٩٢٩، ص ١٧٩.

سنة ١٥٤٨ ق.م، فى أول حكم الملك (آمنحتب الأول)، وانتشل من السفط تحت رقابة أختـه مـريم بنـت عمران، وأن خروج بنى إسرائيل كان فى نهاية حكم (حتشبسوت) عام ١٤٦٨ ق.م بقيادة موسى، حيث كـان له من العمر ثمانون عاما، والأشبه إن صح هذا، أنها ماتت غرقا عندما لاحقتهم مع الجيش في أطراف بحيرة المنزلة، أو أنها حُمت بسبب ذلك، ودفنها تحتمس الثالث سراً، لاغتصابها الملك منه، ويبين من ذلك أن تاريخ طرد الهكسوس من مصر سنة ١٥٦٨ ق.م، كان سابقا لخروج بنى إسرائيل من مصر سنة ١٤٦٨ ق.م بمائة سنة، الذين كانت متاعبهم قد بدأت فى مصر منذ ذلك الحين، عقب طرد الهكسوس" (٣٤).

والواضح أن (الخشبة) قد حاول باجتهاد أن يوفق فى بحثه، بين رواية التـوراة وبين رؤيته وتزميناته هو الاجتهادية لوقائع التاريخ، وفى ذلك لا مثلبه عليه، لأننا لا نملك مصدراً آخر يتعلق بتفاصـيل الخـروج الإسرائيلى سوى التوراة، ولا مناص من أخذه كمصدر أساسى، عند بحث أى شأن مـن شـئون الخـروج الإسرائيلى من مصر.

إلا أن تحديد زمن الخروج الإسرائيلى من مصر، بزمن الفرعونة حتشبسوت، سيتضارب تمامـاً مـع تقارير التوراة التى اعتمدها هو نفسه واعتمدها غيره، كما نعتمدها نحن، حيث قررت التوراة أن الإسرائيليين قد عاشوا فى مصر ٤٣٠ عاما، وحيث أن الأستاذ الباحث قرر بحساباته أنهم دخلوا فى عهد الملك الهكسوسى الثالث، الذى ذكره (مانيتو) باسم (أبخنان)، فإنه بحسبة بسيطة، سنجدهم قد دخلوا مصر بعد ٦٣ عامـا مـن غزو الهكسوس، ولما كان غزو الهكسوس لمصر قد تم حوالى ١٧٨٨ ق.م، فإن ذلك سـيعنى دخـول بنـى إسرائيل مصر حوالى ١٧٢٥ ق.م، ولما كان باحثنا يقول بخروج بنى إسرائيل زمن (حتشبسوت) التى توفيت عام ١٤٨٠ ق.م، فمعنى ذلك أن الإسرائيليين لم يقضوا فى مصر أكثر من ٢٤٥ عاما.

ثم أننا لو احتسبنا النص المعتمد صادقا تماما فهو يشير لحكام غزاة وليس لعبيد إسرائيليين، مما يعنـى أن مستنده الأساسى لا يعطـى التفسير الذى يذهب إليه هو نفسه. وإن كان ذلك لا يقلل من جهده المحمود.

نظرية الخروج زمن الفرعون تحتمس الثالث :

وممن اقتربوا بتزمين الخروج من زمن الفرعونة (حتشبسوت)، من ذهب إلى أن الخروج قد حـدث زمن الفرعون (تحتمس الثالث) شريكها فى الحكم، وخليفتها المباشـر، وقد قـال بهذا الـرأى عـدد مـن الباحثين نأخذ منهـم نمـوذجـا الـدكتور (أحمد سوسة). فى كتاب واسع الانتشار بين قراء العربية، معنون باسم (العرب واليهود فى التاريخ)، وفيه قام سوسه بمزج النظرية التى أسسها (جارستانج) بآرائه الخاصـة، التى توصل إليها بشأن جنس هؤلاء الخارجين من مصر، وهو ما يستحق المعالجة، فقـط بسـبب الانتشـار الواسع للكتاب المذكور وليس لأى سبب علمى، وحيث اعتمد (سوسة) على تأسيس يعتمـد اسـم الفرعـون المذكور عند (مانيتو) كفرعون للخروج، وقرأه (يوسفيوس) بالاسم (تثمـوزيس)، ليصـحفه (سوسـه) إلـى

(٣٤) الخشبة: رحلة .. سبق ذكره ، ص ١٦١ ، ١٦٢ .

(تحتمس) وليس (أحمس)، مهملا قراءة (يوسابيوس) و قراءة (يوليوس الأفريقى)، اللتـان كانـا بإمكانهمـا تصويب ذلك التصحيف مقدما، فهو عندهما (آموزيس) أو (آموس) أى (أحمس).

يقول الدكتور (سوسة): إن جماعة يعقوب / بنى إسرائيل، قد دخلت مصر فى القرن السابع عشر قبـل الميلاد، لحوقا بالهكسوس الذين كانوا يحكمون مصر آنذاك، وأن تلك الجماعة عاشت هناك حـوالى خمسـة قرون، آخذاً بذلك بتقدير (مانيتو) حول زمن وجود الهكسوس فى مصر، وبزيادة من سبعين إلى مئة عام عن تقدير التوراة لمدة بقاء بنى إسرائيل فى مصر. ودليله على دخلوهم زمن الهكسوس، ما عثر عليه من آثـار الهكسوس فى مصر، من اسماء ذكرها هى: (يوسف إيل) أو (يعقوب إيل) [٣٥].

وقد أخطأ الرجل بداية فى ذكر الأسماء، فما تم العثور عليه تدقيقا هو الاسم (يعقوب هر)، وقد ترجمها المؤرخ (فيليب حتى): " ليحم هور إله الجبل "، واعتبرها إشارة قاطعة ليعقوب، المعروف فى التاريخ الدينى باسم إسرائيل. [٣٦] بينما نرى من جانبنا أن صدق الترجمة هى (ربوة يعقوب)، وليس (ليحم هور إله الجبل). ومعلوم فعلا أن المفردة (هور) تعنى فى العبرية (الجبل)، لكن التوراة كانت تشير إلى العشيرة أو القبيلـة أو النسل بكلمة (ربوة)، التى تشبه عدد النسل بتراكم الرمال ليصنع ربوة كالجبل. وتتكرر هـذه المعـانى فـى التوراة، كما فى القول: " وأجعل نسلك كتراب الأرض / تكوين ١٦/١٣، وباركوا رفقة وقالوا لها: أنت أختنا، صيرى ألوف ربوات، وليرث نسلك باب مبغضيه/تكوين ٦٠/٢٤ ". ومن ثم فالمقصود بيعقوب هور هو جبل يعقوب أو ربوة يعقوب أى قبيلة يعقوب أو نسل يعقوب. المهم أن (سوسة) يستمر متابعاً فيقول: إن النتيجـة الحتمية، لبقاء سبعين شخصا مع نسلهم فى مصر مدة خمسة قرون متصلة، أن ينصـهروا بالكامـل ثقافيـا وعرقيا فى الشعب المصرى. وهو قول مقبول تماما وبالفعل، ويستند قبوله لدينا إلى مالاحظناه من إشـارات فى (مانيتو) وفى (التوراة)، عن لفيف مع الخارجين، ليسوا من الإسرائيليين، وهو ما وجدناه عند (مانتيو) فى حديثه عمن أثاروا الشغب فى حواريس ووصفهم بـ (المصريين الفاسدين)، وهو لا شك مأثور قديم معلـوم ظل يتواتر حتى وصل (مانيتو). وهو المأثور الذى كان يعلم أن هؤلاء كانوا مصريين، لكنهم فاسدين، وهـو الوصف الذى كان المصرى القديم يطلقه على **المارقين بالمعنى الدينى، أو على الخونة بالمعنى الوطنى**، أما التوراة فقد وجدناها تقول لحظة الخروج من مصر:

> فارتحل بنو إسرائيل من رعمسيس إلى سـكوت نحـو
> ستمائة ألف ماش من الرجال، عـدا الأولاد، وصـعد
> معهم **لفيف كثير** أيضاً / خروج ١٢ / ٣٧،٣٨.

---

(٣٥) أحمد سوسة: العرب واليهود فى التاريخ، العربى للإعلان والطباعة والنشر، دمشق، ط٢ ، د.ت، ص ٢٧ .

(٣٦) اليوسف: سبق ذكره ...، ص ٣٨.

وإذا كان النص هنا لم يوضح جنس هذا اللفيف، فإن البحث وراء الأمر فى الكتاب المقدس يكشف لنا عن جنس هذا اللفيف، فى حديث لموسى أمام شعبه فى قادش وهو مالم يذكره سوسة، حيث وقف يخطب فيهم ويردد على مسامعهم وصايا الرب، ومن بين تلك الوصايا الوصية التى تقول:

لا تكره مصريا لأنك كنت نزيلا فى أرضه، والأولاد
الذين يولدون لهم فى الجيل الثالث، يدخلون منهم فى
جماعة الرب / تثنية ٢٣/٧.

هو ما يعني وجود مصريين بين الخارجين ثم يقول (سوسة): إنه قد بقى بعد تحرير مصر من الهكسوس شراذم أسرى لا يمكن تصنيفهم جنسيا، كما لا يمكن القول أن هؤلاء الباقين هم تحديداً بنى إسرائيل فقط، ويرى (سوسة) أن هؤلاء قد أخذوا بديانة التوحيد الآتونية التى تدعو إلى عبادة إله واحد باسم (آتون)، والتى دعى إليها الفرعون (آمنحتب الرابع / إخناتون). وقد أدى سقوط (إخناتون) وانهيار ديانته إلى اضطهاد تلك الجماعة، فحاصرهم (تثموزيس) كما قال (مانيتو) فى مدينتهم (حواريس)، وقد احتسب (سوسة) أن (تثموزيس) هو (تحتمس الثالث ١٥٠١ – ١٤٤٧ ق.م) الفاتح المصرى المظفر، وهنا أول سقطاته الشديدة، وخبطه، وسوء تقديره. لأنه بمقارنة بسيطة مدققة فى قوائم الملوك المصرية ، كان يمكنه أن يعلم أن (تحتمس الثالث) سابق لإخناتون بحوالى ثمانين عاما، وليس بعده، وأن هناك ثلاثة فراعنة تقع مدة حكمهم فى المرحلة الفاصلة بين تحتمس الثالث وبين إخناتون هم على الترتيب: (آمنحتب الثانى ١٤٣٦ – ١٤١٣)، و(تحتمس الرابع ١٤١٣ – ١٤٠٥) و(آمنحتب الثالث١٤٠٥ – ١٣٦٧).

ويستمر (سوسة) فى عرض نظريته، فيقول: إنه لما فشل (تحتمس الثالث) فى التغلب على هؤلاء المتحصنين فى حواريس، هذا رغم ما نعلمه عن (تحتمس الثالث) كصاحب أعظم وأنجح حملات عسكرية فى الشرق القديم، على وجه الإطلاق، ووصلت حملاته إلى سبع عشرة حملة، وصل بها إلى عمق الأراضى التركية والأرمينية الحالية. المهم أن (تحتمس الثالث) لما فشل فى ذلك الحصار – فيما يرى سوسة – لجأ إلى مصالحتهم، على أن يخرجوا مع ممتلكاتهم وأنعامهم من مصر.

ثم يؤكد لنا الدكتور (سوسة) أن هذا الخروج كان حملة مصرية بحت على فلسطين، والقول بمصريتهم يدعمه اقتباسه مما ذهب إليه (غوستاف لوبون)، حول وجود عدد كبير من العبيد المصريين الفارين من سادتهم، إضافة إلى بقايا الهكسوس الذين أخذوا بعقيدة التوحيد الآتونية مع هؤلاء المصريين، والجميع عند (سوسة) كانوا يتكلمون المصرية القديمة. ويرى أن (موسى) نفسه – كما ذهب كثيرون – مصرى مائة بالمائة، وهو ما سبق وأكده (مانيتو) عن (أوزرسيف)، وبدليل قول بنات كاهن مديان لإبيهن، بعد أن سقى لهن موسى الغنم: " فقلن **رجل مصرى** أنقذنا من أيدى الرعاة، وأنه استقى لنا أيضاً وسقى الغنم / خروج ١٩/٢ ".

ثم يستند (سوسة) إلى أكثر التآريخ عمومية وفضفاضة، فيعمد لتأكيد مصـــرية موســـى، مـــن تـــاريخ الحضارة لول ديورانت، حيث يقول: إن (موسى) كان اسما مصريا، وانه اختصار للاســـم (أحمـــوس)، وأن (موسى) المصرى هذا ذهب إلى العبيد المصريين وبقايا الهكسوس الموجودين بمدينـــة (حـــواريس)، وقـــام بتعليمهم قـــــواعد النظافة المتبعة عنـــــد الكهنة المصريين، بـــاعتباره كان كاهنا مصريا كما أفاد (مانيتو). وذلك لاتقاء شر وباء البرص الذى تفشى بينهم، وكان (موسى) من أتباع (إخناتون) ومن المخـــالفين للوثنيـــة المصرية، وقد قال (مانيتو): إن (أوزرسيف) كان كاهنا مصريا خالف ديانة المصريين، وفى المأثور الـــدينى أن ابنة فرعون أقامت عليه اساتذة من الكهنة المصريين، ليفقهوه فى علوم المصريين، هذا إضافة إلى ما جاء عند العلامة (ويج) [٣٧]، لينتهى إلى أن (موسى) لا علاقة له بإله اليهود (يهوه)، إنما كان موسى مـــن أتبـــاع (إخناتون) وإلهه (آتون)، وأن نسبة (يهوه) لموسى لون من التزوير التوراتى. كذلك استند (سوسة) إلى آراء (سيجموند فرويد) بهذا الشأن، والتى سنفصلها بعد قليل، وأهم ما فيها أن تلك الفرقة الفارة من مصـــر، قـــد أخذت بعادة الختان، وهى عادة مصرية قح، أخذتها عنهم الشعوب الأخرى، ولم يكن تقرير التوراة لتلك العادة على بنى إسرائيل من بعد، إلا **لأن الخارجين كانوا مصريين** بالأساس، كما أخذ بملاحظة فرويد للّقب الإلهى التوراتى (آدون)، ومطابقته لاسم إله التوحيد الإخناتونى (آتون).

وإعمالاً لكل تلك المقدمات، ينتهى (سوسة) **إلى أن الخروج كان مصريا خالصا**، وأنه كان حملة كـــأى حملة مصرية معتادة على فلسطين، وكل الفارق بين تلك الحملات جميعا، وتلك الحملة بالذات، هو أن حملـــة (موسى) كانت منشقة على الدولة الفرعونية الأم، ولا تتمتع بالتنظيم العسكرى المألوف، ولا بإسناد الدولـــة، كما لم تكن ضمن أهدافها مصلحة الدولة المصرية، إنما كان فراراً من اضطهاد المجتمع المصرى الوثنى.

وعليـــه، فـــإن **جماعـــة الخـــارجين كانـــت غريبـــة علـــى أرض كنعـــان، مصـــرية، لا صلة لها ببنى إسرائيل الذين اختلطوا بالهكسوس عند دخولهم مصر، وذابت بذرتهم وضاعت تماما مـــع طرد الهكسوس من مصر، فقامت التوراة مع هذا الضياع بتنسيب الجماعة المختلطة الخارجة من مصـــر، إلى جماعة بنى إسرائيل ويعقوب.**

ومن هنا يستمر (سوسة) فى سرد تصوره للأحداث، فيقول: إن الخارجين بقوا فى سيناء أربعين سنة، هى المعروفة تقليدياً بسنوات التيه، لكنه عند (سوسة) لم يكن تيها، بل انتظاراً وترقبا مقصوداً داخـــل ســـيناء وهو كلام معقول. لكنه يحدد لذلك أسباب كان أهمها أنه لم تكن لديهم آنذاك القوة الكافية لطرد سكان فلسطين والحلول محلهم، ثم يزيـــد فى إيراد الأسباب فيقع فى مجموعة أخطاء، من قبيل أنهـــم بســـيناء أمنـــوا شـــر الآشوريين. ولو أجرى مراجعة تاريخية بسيطة لعلم أن الآشوريين كانوا واقعـــين آنـــذاك تحـــت الاحـــتلال الكاسى. والسبب الآخر أنهم بسيناء كانوا بمأمن من الآراميين، رغم أن الآراميين آنذاك لم يبلغوا بعـــد قـــوة تمكنهم من المغامرة. إضافة إلى حكمة أخرى هى أن أرض كنعان كانت حينذاك ساحة لمعارك بين رمسيس

---

(٣٧) Weech, Civilization of Near East, pp ٨٤-٨٨ .

الثانى والحيثيين، والخطأ هنا فادح حقا، فهناك فارق عظيم بين زمن (تحتمس الثالث ١٤٩٠ – ١٤٣٦ ق.م) وبين زمن (رمسيس الثانى ١٢٩٠ – ١٢٢٤ ق.م) يتجاوز تلك الأربعين عاما المفترضة للتيه، بمئتى عام إضافية، أى أن الفارق بين الزمنين كان ٢٤٠ عاما كاملة؛ هكذا !؟ . . .

المهم أنه يقول بتجنب (موسى) التوغل فى فلسطين تلك السنين الأربعين (لم يحاول بالطبع إجراء أى حسابات ليعلم أن ماذهب إليه جعل سنوات التيه ٢٤٠ سنة)، وبعدها تمكن الخارجون من الدخول إليها بقيادة (يشوع) بعد موت موسى، بالعبور من شرقى الأردن إلى غربة فى عمق فلسطين. وقد تم ذلك دون مشاكل، لأن مصر كانت عاجزة عن التدخل فى شئون فلسطين، ومد يد العون لملوك كنعان، وهو بدوره خطأ هائل وتناقض عظيم، فلو أخذنا أخطائه بحسبانها صادقة، واحتسبنا الخروج قد حدث زمن (تحتمس الثالث)، وأن التيه قد حدث زمن (رمسيس الثانى)، فإنه فى كلا العهدين كانت مصر فى أوج اقتدارها وعزتها [٣٨].

نظرية الخروج زمن خلو العرش بعد سقوط إخناتون :

ويمثل هذه النظرية العالم النفسى الأشهر (سيجموند فرويد)، وهى تأخذ ثقلها العلمى، ليس من وثائق التاريخ، بقدر ما تأخذه من تطبيق (فرويد) للتحليل النفسى على القبيلة الإسرائيلية الخارجة من مصر، ومحاولته حل بعض الغوامض فى تاريخهم بمنهجه الفريد والممتع. وهو يسلم برواية التوراة عن الدخول إلى مصر والخروج منها، ولا يناقش التفاصيل إلا فيما لا يبدو متسقا مع المنطق، لذلك فإن نظريته هى محاولة للتفسير أكثر منها محاولة لبحث علمى تاريخى جغرافى مقارن، لكنه توصل أثناءها إلى بعض الفروض لتحديد زمن الخروج وما حدث فى شبه جزيرة سيناء فى سنوات التيه، وأثر ذلك على تطور المفاهيم الدينية لبنى إسرائيل.

وقد لاحظ (فرويد) أن قصة إلقاء (موسى) فى اليم، قصة متواترة فى مأثورات الحضارات القديمة بالمنطقة، وفى أساطير الرافدين وبلاد اليونان القديمة وغيرها، حول أبطال الأساطير. ومن هنا رصد لنا أهم العلامات البارزة التى تشكل العناصر الأساسية، لقصة إلقاء البطل الأسطورى فى اليم، أو استبعاده عن بيت أبيه وأهله بأى أسلوب آخر، ليربى بين قوم غرباء. ليلفت نظرنا إلى أن الأسطورة التقليدية تقول بعدة عناصر، أولها استبعاد البطل وهو طفل، وثانيها إنقاذ البطل الطفل المستبعد، بواسطة الرعاة أو أناس بسطاء عموما أو حتى حيوانات، فترضعه أنثى الحيوان المنقذ أو المرأة البسيطة، وحين يشب عن الطوق يعثر على أهله بعد مغامرات عديدة، وعادة ما تقول الأسطورة النمطية بانتقام الشاب اليافع من أبيه الذى فرط فيه، وبعدها يحظى بالشهرة والمجد.

لكن المشكلة فى قصة النبى (موسى)، هو أنها تختلف عن الأسطورة النمطية، إلى حد السير بعكس الاتجاه التقليدى للأسطورة، **فالأسرة التى تتخلص منه وضيعة جداً وليست أسرة نبيلة**، فموسى سليل لاويين

---

(٣٨) أحمد سوسة: العرب واليهود .. سبق ذكره، ص ٢٣٤ : ٢٩٨ .

ضمن بنى إسرائيل المستعبدين بمصر، **وتنقذه أسرة من البيت الملكى** المصرى وتقوم الأميرة على رعايته، وهو عكس للأسطورة التقليدية التى تقول بإنقاذ الطفل المستبعد من بيت نبيل على أيدى أسرة وضيعة ليشب ويصلب فى البرارى والغابات. وقد كان إختلاف أسطورة موسى عن الأسطورة النمطية التقليدية، مثيراً دائماً لدهشة الباحثين فى الميثولوجى. والمفترض فى تفسير الأسطورة أن تكون الأسرة النبيلة التى ولد بها الطفل هى الواقعية، والأسرة الوضيعة هى الوهمية التى اصطنعتها الأسطورة، لتجعل نجاة البطل ميلاداً غير عادى أو مألوف، ليكتسب البطولة أو الملوكية أو القدسية. أى أن الأسطورة النمطية تحوى أسرتين: الحقيقية فيها هى الأسرة النبيلة أو الملكية أما الأسرة الوضيعة فهى الأسرة الخيالية المتوهمة، لكن حتى هنا نجد قصة (موسى) تقلب الوضع فتقول أنه ولد بأسرة وضيعة، ونما ونشأ فى أسرة نبيلة. لذلك وحسب قواعد الأسطورة النمطية لم يجد (فرويد) مفراً من احتساب الأسرة التى تخلصت من الطفل (الأسرة الإسرائيلية) هى الأسرة الوهمية، بينما كانت الأسرة الحقيقية هى التى ربته فى البيت الملكى، ومن ثم لابد أن يكون (موسى) مصريا بالفعل، جنسا ونشأة وتربية وثقافة، من أصل مصرى نبيل. لكن حتى تحقق الأسطورة التوراتية أغراضها التى صيغت من أجلها، تجعل هذا المصرى يهوديا [٣٩].

وقد لاحظ (فرويد) أدلة هامة على صدق نظريته فى مصرية (موسى)، حيث قال: إن هذا المصرى الذى وهب اليهود دينهم الجديد، قد أسس بينهم عادة الختان، والمعلوم أنها عادة مصرية صميمة، كان أول من ابتدعها فى الشرق هم المصريون [٤٠]، وكان الشعب المصرى فريداً بها بين الشعوب. أما الأكثر دلالة فهو أن الديانة اليهودية، كانت تجهل العالم الآخر والحياة بعد الموت، بالرغم من التلازم بين عقيدة التوحيد وعقيدة العالم الآخر الخالد، وهو الأمر الذى قاد (فرويد) إلى أن ذلك النفى للبعث فى ديانة توحيدية يجب أن تأخذ بالعقيدة الأخروية يعطينا إشارات لكشف الأمر، فالمصريون يؤمنون طوال تاريخهم تماما بالعقيدة الأخروية، ولكن يوجد زمن قصير جداً ومحدد فى مصر نفى الآخرة ورفض الاعتقاد بالعالم الآخر ويجب أن يكون هو زمن الخروج حيث ترك تأثيره بنفى الآخرة عند الإسرائيليين الخارجين، وهو ما يحدد لنا زمن الخروج. ونحن نعلم **أن الفرعون الذى نفى الآخرة من عقيدته، ولا يوجد غيره فعل ذلك، هو (آمنحتب الرابع / إخناتون / ١٣٦٧ –١٣٥٠ ق.م)**، الذى دعى لعبادة إله واحد هو (آتون)، وألغى كل العبادات الأخرى، وأغلق بالقهر معابد الآلهة المتعددة. وفى نضاله ضد الخرافات الوثنية كان لابد أن يصطدم بأعمق العقائد فى نفوس المصريين، التى يمثلها الإله (أوزيريس / أوزير) إله الموتى والعالم الآخر وقاضى الحساب أمام الموازين، وفى سبيل التوحيد **ضحى (إخناتون) بأوزير وبعالمه الآخر**، ورفض الفكرة حتى لا تستدعى إلها يشارك (آتون) وحدانيته.

ويبقى لغز المفارقة بين أسطورة استبعاد موسى طفلا وبين استبعاد الطفل البطل فى الأسطورة النمطية، وهو الأمر الذى وجد (فرويد) حله فى وضع (موسى) زمن (إخناتون)، وإنه كان بينهما صلة من

---

(٣٩) سيجموند فرويد: موسى والتوحيد، ترجمة جورج طرابيشى، دار الكشاف، بيروت ط٤، ١٩٨٢، ص ١٢ : ١٧ .

(٤٠) نفسه: ص ٣٥ .

نوع ما. حيث **ربما كان موسى أحد أعضاء الأسرة الملكية الحاكمة فى تل العمارنة** مدينة إخناتون، وربما كان عظيم الطموح قوى التصميم. وبحكم مركزه السيادى، كان يحلم بقيادة تلك الإمبراطورية المصرية الواسعة، التى تسيطر على معظم الشرق الأوسط القديم، ومن ثم قام يؤيد الديانة التى دعا إليها سيده الملك بشدة، واعتنقها بتفان. لكن بموت إخناتون وارتداد مصر إلى آلهتها التقليدية، كان على ذلك النبيل الملكى (موسى) أن يتنازل عن أحد أمرين عزيزين عليه: فإما أن يتنازل عن عقيدته ليأمن شر كهنة آمون ويعيش أميراً فى القصر بعد الارتداد، وبذلك لن يحقق شيئاً بسبب تاريخه وعلاقته بالفرعون إخناتون، والتى لا شك ستكون لعنة دائمة تجعله يعيش فى القصر – إن عاش فيه – مراقبا منبوذاً. وإما أن يرفض مصر المرتدة عن عقيدة التوحيد ويتمسك هو بالعقيدة وبحلمه القيادى معها، ومن ثم يرى فرويد أن الأمير المصرى موسى اتخذ قراره التاريخى، فأضاع وطنه وتمسك بآماله وطموحاته، بالتخطيط لتأسيس إمبراطورية جديدة، يعطيها ديانة آتون التى رفضتها مصر. كان يريد أن يقف ببطولة نادرة فى وجه القدر، باحثا عن تعويض عما أصابه بانهيار ديانة التوحيد فى مصر.

وربما كان (موسى) آنذاك حاكما أميريا للإقليم الحدودى الذى ذكرته التوراة باسم (جاسان) كمسكن لبني إسرائيل وقت سقوط إخناتون، حيث استقرت بعض القبائل السامية منذ أيام الهكسوس، وهناك قرر من هو شعبه الذى سيعطيه عقيدته وطموحاته، لقد اختار أولئك العبيد.

وهكذا قاد (موسى) عبيد جاسان خارجاً بهم من مصر، فى فترة خلو العرش بعد موت (إخناتون)، حيث لم تكن هناك سلطة مركزية لتضع العصى بين عجلاته. وهو ما يعنى رفض (فرويد) لقصة مطاردة المصريين للخارجين، التى ذكرتها التوراة، لذلك لابد أن يكون الخروج قد حدث بين عامى ١٣٥٨ و ١٣٥٠ ق.م، فى الفترة الواقعة بين نهاية (إخناتون) وبين اعتلاء (حورمحب) العرش وتوطيده سلطان الدولة، ولم يكن أمام هؤلاء الخارجين هدفا ممكنا سوى فلسطين، حيث العشائر السامية، التى تمت بصلات قرابة جنسية للبدو الخارجين من مصر [٤١].

أما أبلغ دليل على مصرية (موسى) هو إشارة التوراة لثقل لسانه، مما اضطره للاستعانة بهارون، **الذى تزعم الأسطورة أنه كان أخيه**، وهو ما يعنى أن (موسى) كان يتكلم لغة غير أولئك البدو الساميين، الذين كانوا يقطنون (جاسان) تحت إمرته كحاكم إقليمى، ومن ثم كان اتصاله بهم بحاجة إلى مترجم، وهو ما يعنى **أن (موسى) كان مصريا لا يعرف اللغة العبرية.**

وكان (فرويد) يعلم الخلاف الخطر فى أطروحته، بين (موسى) الذى يقدمه لنا كمصرى مهيب، يهب بدو (جاسان) ديانة صارمة قوية، تحرم تماما جميع طقوس السحر والشعوذة. وبين (موسى) التوراتى، الذى يجعل من تمثال الثعبان إلها للشفاء، لكنه ذاته هو التفسير للتناقض بين الإله (آتون) السمح الراقى الرءوف،

---

(٤١) نفسه: ص ٣٥ : ٣٩ .

وبين (يهوه) إله التوراة الذى يسكن جبلا كالشياطين، قاسيا، ناريا، لا يرحم [٤٢]. ومن ثـم يجـب علينـا أن **نفترض مرحلة كان فيها المصرى (موسى) بكل جلاله مستمراً حتى اختفى بالموت، ثم تستأنف التـوراة قصتها بموسى آخر وهمى يمد حياة (موسى) المصرى الأصلى، وتنسب إليه كل الخرافات التوراتية وقسوة البدو وربهم الشيطانى.**

وقد استند (فرويد) فى ذلك إلى استنتاجات (سيللين) فى كتابه (موسى وأهميته فى تاريخ بنى إسـرائيل اليهودى)، وأهمها أن سفر (يشوع) ينبئ عن نهاية مفجعة لموسى، أثناء تمرد قام به الشعب البدوى العنيـد المشاكس، وأن الدين الذى أسسه تم هجره والنكوص عنه فوراً [٤٣]. (وهو الأمر الذى حدث لإخنـاتون مـن قبل)، ومن ثم يتمسك (فرويد) بكشف (سيللين): **أن ديانة (موسى) المصرى تم هجرها بعد اغتياله**، ثم انضم الخارجون من مصر، إلى قبائل أخرى نسيبة فى قادش بسيناء، **حيث اعتنـق الخـارجون ديانـة أقـاربهم القوادش، ديانة (يهوه).** وهناك تم الانصهار والامتزاج بين الشعبين، الذى أنتج شعب إسرائيل، ويـرى أن ذلك قد تم بتأثير أنسباء (موسى) المديانيين القاطنين في تلك المنطقة، وبعد فترة، عندما استشعروا بأنفسهم قوة كافية، شرعوا فى غزو فلسطين.

وهذا إنما يعنى **أن (موسى) الحقيقى الخارج من مصر، سليل الملوكية والنبالة، لم يسمع قط باسـم (يهوه) ولم يصل قادش، بل قتل قبل ذلك التحول**، أما (موسى) الثانى الخيالى الذى يعبد (يهوه) ويجهل كـل شئ عن (آتون) ، فهو الاختراع التوراتى الذى التبس بعقائد (مديان)، ونسب لشخص (موسى) الـذى تمـت نسبته لبنى إسرائيل، **وهنا تظهر الأسرة الوهمية الخيالية فى الأسطورة لأول مرة، أما فى الأصل فلم تكـن هناك أبـداً أسرة إسرائيلية نبت فيها موسى** كما تقول الأسطورة.

لكن ذلك الخلاف الأصلى بين عنصرين متحدين، أحدهما عاش فى مصر، وتأثر بها، والثانى كان فى بداوة واضحة، أدى إلى انفصال العنصرين، عندما انقسمت مملكة سليمان بموته إلى مملكتين: إسرائيل فـى الشمال، ويهوذا فى الجنوب، وجغرافيا، لأن الجنوب هو الملاصق لمصر، فإن فرويد يقول: "نؤكد **أن مـن بقى مقيما فى البلاد كان موجوداً فى الشمال، وأن من رجع من مصر استقر فى الجنوب**" [٤٤]

أى أن هناك أسباط لم يدخلوا مصر إطلاقا كانوا يسكنون شمالى فلسطين وظلوا هنـاك طـوال تلـك الأحداث، وأسباط دخلوا مصر وخرجوا منها وهم الذين عاشوا جنوبى فلسطين، وزمن الملـك سـليمان ثـم توحيد أسباط الجنوب وأسباط الشمال فى مملكة واحدة أطلقت عليها التوراة " كل إسرائيل "، لكنهم ما لبثـوا بموت سليمان أن انقسموا مرة أخرى عندما عاد الشمال لينشق عن الجنوب فى مملكة عرفت باسـم مملكـة إسرائيل، بينما حمل الجنوب اسم مملكة يهوذا.

---

(٤٢) نفسه: ص ٤٨ .

(٤٣) نفسه: ص ٤٩.

(٤٤) نفسه: ص ٥٠ .

ولأن شخصا مثل ذلك النبيل المصرى، كان لابد أن ترافقه حاشية فقد رأى (فرويد) أن تلك الحاشية كانت مصرية، والتى لاشك كان أفرادها **أشد المخلصين لديانة (آتون)، وهى من شكلت بعد ذلك من عرفتهم التوراة باسم (اللاويين)**، الذين جعلهم (موسى) كهنة ديانته، واستمروا فى عملهم بعد مقتله، لذلك **فإن اللاويين لم يكونوا من بنى إسرائيل، بل كانوا حاشية مصرية لمصرى عظيم**. وبمرور الزمن لن نجد أسماء مصرية فى التوراة إلا بين اللاويين، وقد ظل هؤلاء على وفائهم لذكرى قائدهم، وحافظوا على ميراثه، لكنهم مع الاندماج فى البدو الآخرين بالتمازج الذى حدث، كانوا أقلية فاعلة، لأنهم كانوا الأكثر علما وتحضراً. **وقد صمم هؤلاء المصريون على التمسك بمصر، فظلوا يركزون على قصة الخروج من مصر للتذكير بالأصل المصرى، كما ظلوا يتمسكون بشخص (موسى) وبعادة الختان المصرية**، بينما على الجانب الآخر كان الباقون يخترعون (موسى) المديانى القادشى، لكنهم لم يتمكنوا من التخلى عن عادة الختان، لكن حتى ينزعوا عنها أصلها المصرى، قاموا ينسبونها للآباء الأوائل من زمن البطرك إبراهيم.

وهناك علامات يسوقها (فرويد) تشير إلى تلك الأحداث الافتراضية، **فالكتاب المقدس يميل باستمرار لنفى أن (يهوه) كان إلها أجنبيا**، وهو أمر غريب، فهل كان ثمة شك فى ذلك؟ إن (يهوه) يدون مزاعمه بالتوراة، ويؤكد أنه كان إله البطاركة القدامى (إبراهيم)، و(إسحق) و (يعقوب)، رغم المعلوم أنهم كانوا يعبدون إلها باسم (إيل).

ثم علامة أخرى تتمثل فى أمر عجيب إلى حد بعيد، فالشعوب جميعا تختار آلهتها، **لكن إله التوراة هو الوحيد الذى يختار شعبا بعينه ليتأله عليه**، إن تلك الواقعة الفريدة فى التاريخ الدينى، تشير إلى ما حدث، **فموسى قد اختار هؤلاء ومنحهم ديانته وجعلهم بذلك شعبه، وهو ما يفسر الاصطلاح المتواتر (الشعب المختار)؟**

مع علامات أخرى تشير إلى ما حدث، **فقصة ردة الشعب وعبادته العجل الذهبى، توضح خلافا حاداً أدى إلى قتل (موسى) وارتداد الشعب عن ديانة (آتون)، كما نجد فى حادثة تحطيم (موسى) لألواح الشريعة رمزاً آخر لنهاية ديانته**، وليس كما فسرتها التوراة بسذاجة شديدة، فقالت: إن (موسى) كسر الألواح نتيجة لغضبه (خروج / ٣٢) [٤٥].

وجاء وقت ندم فيه أولئك الهمج على قتل قائدهم، وسعوا إلى نسيان جريمتهم، ولاشك أن ذلك تم أثناء اجتماع (قادش)، الذى عقد بين كافة الأطراف، ولا جدال أنه تم حوالى عام ١٢١٥ ق.م حسبما يرى فرويد. [٤٦] وفى تسوية (قادش) تحزب اللاويون لسيدهم القتيل، وفى العصور التالية انصهر اللاويون المصريون فى الشعب، ولأنهم الكهنة، فقد حافظوا على المدون القديم المقدس، ونقحوه فى الاتجاه المناسب بمرور الزمن، على أيدى مجموعة أنبياء عادوا للتبشير بالموسوية المصرية التوحيدية القديمة [٤٧].

---

(٤٥) نفسه: ص ٥٠ : ٦٥ .

(٤٦) نفسه: ص ٦٦ ، ٦٧ .

(٤٧) نفسه: ص ٧٠ .

ويفترض (فرويد) أن (موسى) زمن (اخناتون) كان يحمل اسما من الأسماء المركبة، وتحمل فى شقها الثانى اللفظ (موسى)، وليكن افتراضا (تحوت موسى = تحتمس) لكنه كان بعكس قريبة الملك إخناتون العكوف الخيالى رجلا ذا عزم. ولعل عزمه هذا هو الذى جعله يفرض شرائع أشد صرامة من إخناتون، وهو الأمر الذى لم يتحمله البدو الهمج، مما أدى إلى ثورتهم عليه بعد ذلك وقتلوه فى سيناء [٤٨]. ثم انصهروا بعد ذلك فى قبائل أخرى نسيبة كانت تقطن سيناء، وفى قادش اعتنقوا – بتأثير المديانيين – ديانة **إلـه البـراكين (يهوه)** [٤٩] وإن كان (فرويد) يبدى شكاً شديداً فى أن يكون اسم (إسرائيل) خاصا بأى من تلك القبائل، بقدر ما كان اسما لشعب من الشعوب التى اندمجوا فيها بعد دخولهم إلى فلسطين [٥٠].

والمسألة السيكولوجية فى كل تلك الأحداث الافتراضية التى قدمها (فرويد)، دون أن تستند إلى وقائع تاريخية مدروسة دراسة ضافية، هى تلك التى يلخصها فى عقدة (أوديب) التى يقتل الابن فيها أبيه، وهنا يقول: " نظراً لأنه لم يعد هناك مجال ليحتل الحقد المميت على الأب مكانه فى إطار الدين الموسوى، فقد كان رد الفعل الجامح الوحيد، الذى يمكن أن يعلن عن نفسه، هو الشعور بالذنب، الذى ما ونى الأنبياء يغذونه ويؤججون جذوته، والذى سرعان ما امسى جزءاً لا يتجزأ من النظام الدينى، كان له ايضا دافع سطحى.. فقد مر الشعب بأوقات عصيبة، ولم تأخذ الآمال التى كان قد علقها على الله طريقها السريع إلى التنفيذ، وبات من الصعب على الشعب أن يثابر على إيمانه بأنه الشعب المختار، وحتى لا يتخلى عن هذه السعادة، كان لابد أن يأتى شعور بالذنب، ووعى بالخطيئة التى اقترفت، لتبرئة ساحة الإله فى الوقت المناسب، وبالفعل إن الرب لم يعاقب الشعب، إلا لأنه انتهك حرمة شريعته " [٥١] أن الشعب قد عوقب لأنه قتل أبيه موسى وهجر ديانته، لذلك كانت العودة إلى المأثور المصرى – مع الشعور بالذنب – بعد ذلك بقرون، مما صنع من عقيدة هذا الشعب نموذجاً للتوحيد.

والمشكلة الكبرى فى نظرية (فرويد) هنا، أنها بالكامل مجرد فروض وتصورات، لم يحاول أن يعثر لها على أى سند وثائقى حقيقى، أو يجمع لها من القرائن الموضوعية ما يدعمها، رغم أنها تتسم بروح القبول والاتساق، بحيث لا يصح استبعادها كلية ، بل أننا نرى أنه لو أنهك (فرويد) نفسه بالبحث فى الجانب التاريخى، لقدم لنا دعماً فريداً لنظريته، لكنه كان لابد سيقوم ببعض التعديلات فيها، وهو الأمر الذى سيشغل جزءاً من بحثنا هذا.

نظريات الخروج زمن مرنبتاح بن رمسيس الثانى:

تعد نظرية الخروج؛ التى تقول: إن اضطهاد الإسرائيليين فى مصر، قد حدث زمن الفرعون عاشق المعمار (رعمسيس الثانى)، وأنه هو من استعبدهم فى أعماله الإنشائية الواسعة، وأن الخروج قد حدث زمن

(٤٨) نفسه: ص ٨٥ ، ٨٦ .
(٤٩) نفسه: ص ٨٦ ، ٨٧ .
(٥٠) نفسه: ص ٨٧ .
(٥١) نفسه ص ١٨٥ .

ولده (مرنبتاح)، من أشهر النظريات القائمة اليوم، وأحوزها للثقة بين المصرولوجيين، كـذلك بـين علمـاء التوراتيات، وقد اتفقت معظم الآراء اليوم حولها، وسلم بها كبراؤهم أمثال: (ألبرايت) و (نافيل) و (بترى) و (سايس) و (بروغش) و (بييرمونتييه) . . إلخ.

وفى تسليم (نافيل) يقول : " إنى لا أزال مسلما بوجهة النظر التى أدلى بها ليبسيوس عـن موضـوع خروج بنى إسرائيل، وهى التى يقتفيها معظم الأثريين : **أن مضطهد اليهود هو رعمسيس الثانى**، الذى كان حكمه الطويل، بداية انحلال الإمبراطورية المصرية، **وأن الفرعون الذى ينسب إليه خروج بنى إسـرائيل، هو مرنبتاح** " [٥٢] .

أما (سايس) فيقول: " إن الآثار المصرية تحصر هذه الحادثة، فى حكم الفرعـون مرنبتـاح، بورقـة أنستاسى السادسة، وتشمل خطابا من كاتب الملك مرنبتاح جاء فيه:

> **إن بعض بدو إيتام**، قـد سـمح لهـم علـى حسـب التعليمـات التى لديه، أن يجتازوا حصن إقليم **سكوت**، ليتاح لهم رعى ماشيتهم بالقرب من بلدة **بتـوم**، فـى ضياع الفرعون العظيم"[٥٣]

(يجدر هنا التنويه أن الكلمة [إيتام] فى تلك الترجمة، هى فى الأصل **آدوم**، وأن الكلمة [بدو] هـى فى النص الأصلى شاسو فهى فى الأصل: إن بعض **شاسو آدوم**).

ولما كان هذا الخطاب مؤرخا بالسنة الثامنة من حكم (مرنبتاح)، فإن الأمر يعنـى أن هـؤلاء البـدو كانوا خارج حدود مصر حينذاك، و (سايس) يراهم عين الإسرائيليين، ومن ثم يفترض أنهم خرجوا من مصر قبل هذا التاريخ، وعادوا يتطفلون القوت مرة أخرى [٥٤]. أما (أولبرايت) فيجزم بحـدوث الخـروج زمـن (رعمسيس الثانى) نفسه، فيقول: إن لوح (مرنبتاح) المسمى بلوح إسرائيل، مؤرخ بعام ١٢٢٩ ق.م، ويقـول فيه مرنبتاح أنه ضرب إسرائيل، فيعنى ذلك أنهم خرجوا قبل تدوين اللوح، ومن ثم يحدد لخروج الإسرائيليين من مصر عام ١٢٩٠ ق.م، واحتلوا فلسطين عام ١٢٦٠ ق.م.

وهكذا، يظل لوح (مرنبتاح) فيصلا وقاسما مشتركا بين المصرولوجيين، فى تحديـد زمـن خـروج الإسرائيليين من مصر، ويميل أغلبهم إلى أن الحدث قد وقع فى النصف الثانى من القرن الثالث عشـر قبـل الميلاد، ولما كان (رعمسيس الثانى) فرعونا قويا مقتدراً، بلغت مصر فى زمنه شأواً بعيداً فى قوتهـا، فـإن مسألة الخروج فى زمانه لابد سيشوبها شك كبير، خاصة مع إفادة الكتاب المقدس التى ربطت بمصر، والتى تقول: " وحدث فى تلك الأيام أن ملك مصر مات / خروج ٣/ " ومن ثم كان الاستنتاج أن (موسى) عاد إلى

---

(٥٢) Navil, Archelolgy of the old Testament, ١٩١٣, p ٩٣ .

(٥٣) سليم: حسن مصر القديمة .. سبق ذكره، ج ٧ ، ص ١٠٩ .

(٥٤) الموضع نفسه .

مصر من مهربه المديانى، بعد موت (رعمسيس الثانى)، الذى يجب أن يكون فى تلك الحـال هـو فرعـون الاضطهاد، ولما كانت مصر قد تعرضت فى عهد ولده (مرنبتاح) لعدة هجمات متتابعة، جـاءت متزامنـة، فهاجمها الليبيون (التحنو) من الغرب، وهاجمتها شعوب البحر من الشمال والشرق، فإن انتصارات مرنبتـاح استنزفت قوى مصر، لم تستطع معه استعادة عافيتها إلا بعد ذلك بزمان، وأثناء فترة الضعف تلـك تحديـداً، استغل بنو إسرائيل الفرصة وانتزعوا حريتهم من العبودية، وهربوا خارج البلاد.

رأى (دى بوا – إيميه) :

حتى الزمن الذى أخرج فيه (دى بوا إيميه) نظريته، ضمن كتاب (وصـف مصـر)، كانـت نظريـة (يوسفيوس) ومعاصريه هى النظرية السائدة فى الأوساط العلمية والكهنوتية، وهى النظرية التـى تقـول: إن الإسرائيليين هم ذات الهكسوس. ومن ثم قام (دى بوا إيميه) بتفسير بعض الغوامض، وإضافة بعض المسائل الجوهرية، حيث اعتبر **الهكسوس والإسرائيليين فصيلين مختلفين، وإن كانا من أصل عرقى واحد، وربمـا تجمعهما ثقافة مشتركة، لكن الإسرائيليين وصلوا مصر متأخرين عن الهكسوس حيث لحقوا بهم، وعاشوا فى كنفهم.**

وبداية وقف (دى بوا إيميه) مع الإشارات المتكررة لدى المؤرخين، عن إصابة الإسـرائيليين – فـى مصر – بوباء مرض جلدى تفشى بينهم، وأن ذلك المرض كان سبب طردهم من مصر منعا لانتشاره بـين المصريين. ليقول إن انتشار وباء البرص أو الجذام، كان عادة ما ينتشر بين البدو لجهلهم بمبـادئ النظافـة والتطهر مع ندرة الماء، وطول عشرتهم للحيوان، مع جهلهم بفروض النظافة التى جعلتها الديانة المصـرية واحدة من طقوس الإيمان الملزم للعباد. ومن ثم أطلق المصريون على مرض البرص (مرض الرعاة)، كمـا أطلقوا على الرعاة أنفسهم لقـب (الأنجـاس)، وكـانـوا يشيـرون لغـزاة بلادهم مـن الهكسـوس بلقب المجذومين والأنجاس.

وقد **لحظنا من جانبنا** فى روايات التوراة، نصوصا وحكايات تشير لانتشار مرض جلدى بالفعل بـين الإسرائيليين، والمدقق فى تلك الروايات سيجد مبرراً قويا لانتشار تلك الفكرة فى كتب المـؤرخين القـدامى، وأول تلك الإشارات توضح لنا مدى تقزز المصريين من ذلك الجنس ونفورهم الشديد منه، وهو ما نجده فـى قصة (يوسف) عندما جاءه أخوته إلى مصر، يمتارون الحنطة زمن المجاعة، فقام بإعداد وليمة ضيافة لهـم، ويشرح النص ذلك الموقف بقوله:

> وقال: قدموا طعاما، فقدموا له وحده، ولهـم وحـدهم، وللمصريين الآكلين عنده وحـدهم، لأن المصـريين لا يقدرون أن يأكلوا طعاما مع العبرانيين، **لأنه رجس عند المصريين** / تكوين ٤٣ / ٣١ ، ٣٢.

وعندما عاد إخوة يوسف إلى مصر مع أبيهم ليستقروا فيها مع يوسف، نبههم يوسف إلى أمر هام يجب أن يضعوه باعتبارهم، وذلك فى قوله لهم:

فيكون إذا دعاكم فرعون وقال: ما صناعتكم؟ أن تقولوا: عبيدك **أهل مواش**، منذ صبانا وإلى الآن، نحن وآباؤنا جميعاً، لكى تسكنوا فى أرض **جاسان**، لأن كل راعى غنم **رجس** للمصريين / تكوين ٤٦/٣٢ ، ٣٣.

ومع المزيد من التدقيق، يمكنك أن تجد إشارات واضحة، فى مناطق متقطعة من التوراة، تشير إلى وباء المرض الجلدى، البرص المصحوب بالقرح وبياض الجلد وظهور نتوءات فيه وبثور، وهو ما تظهره التوراة بداية كما لو كان معجزة خاصة بموسى فى النص

ثم قال له الرب أيضاً: أدخل يدك فى عبك، فأدخل يده فى عبه ثم أخرجها، وإذا يده **برصاء** مثل الثلج / خروج ٦/٤.

وأحيانا كان يظهر الوباء كما لو كان عقابا من رب إسرائيل على آثام بعينها، وهو ما نجده فى رواية تقول:

وتكلمت مريم وهرون على موسى بسبب المرأة الكوشية التى اتخذها، لأنه كان قد اتخذ امرأة كوشية .. فحمى غضب الرب عليها ومضى، فلما ارتفعت السحابة على الخيمة، **إذا مريم برصاء كالثلج**، فالتفت هارون إلى مريم، وإذا هى برصاء /عدد ١٢/١،٦ .

بينما هناك نصوص أخرى تحدثنا عن الأمر كوباء متفشى بين الإسرائيليين، فبعد ابتلاع الأرض لقورح (قارون إسلاميا) وجماعته، تقول التوراة:

فتذمر كل جماعة بنى إسرائيل فى الغد على موسى وهارون قائلين: أنتما قتلتما شعب الرب .. فكلم الرب موسى قائلا: إطلعا من وسط هذه الجماعة فإنى أفنيهم بلحظة، فخرا على وجههما ثم قال موسى لهارون: خذ المجمرة واجعل فيها ناراً على المذبح وضع بخوراً، واذهب بها مسرعا إلى الجماعة، وكفر بها عنهم، لأن السخط قد خرج من قبل الرب، **قد ابتدأ الوباء**، فأخذ

هارون كما قال موسى، وركض إلى وسط الجماعة، **وإذا الوباء قد ابتداء فى الشعب**، فوضع البخور وكفر عن الشعب، ووقف بين الموتى والأحياء فامتنع الوباء، **فكان الذين ماتوا بالوباء أربعة عشر ألفا وسبعمائة /** عدد ١٦/ ٤١ : ٤٩.

وهناك نص آخر يحدثنا عن حرب بين الإسرائيليين وبين أنسبائهم المديانيين، وخالف فيها الإسرائيليون تعاليم الحرب التى تأمر بالإبادة التامة والشاملة للعدو، حتى الحيوان والنبات والأطفال والنساء، باصطلاح (حرم) أى (إبادة تامة)، ولما خالف بنو إسرائيل ذلك واهتموا بسبى الغنائم بدلا من حرقها، غضب عليهم الرب وضربهم بالوباء مرة أخرى، وهو ما يقول نصه:

وكلم الرب موسى قائلاً: انتقم نقمة لبنى إسرائيل من المديانيين .. فتجندوا على مديان كما أمر الرب، وقتلوا كل ذكر .. وسبى بنو إسرائيل نساء مديان وأطفالهم، ونهبوا جميع بهائمهم، وجميع مواشيهم، وكل أملاكهم، وأحرقوا جميع مدنهم بمساكنهم وجميع حصونهم بالنار .. فسخط موسى على وكلاء الجيش .. وقال موسى: **هل أبقيتم كل أنثى حية؟ . . خيانة للرب .. فكان الوباء فى جماعة الرب، فالآن اقتلوا كل ذكر من الأطفال وكل امرأة** / عدد ٣١ /١، ٧ – ١٧".

أما تهديدات الرب لشعبه باستمرار، لردعه عن العصيان، فكانت:

- يلصق بك الرب **الوباء** حتى يبيدك: تثنية ٢٨ /١٢.
- يضربك الرب **بقرحة مصر**، وبالبواسير، **والجرب والحكة**، حتى لا تستطيع الشفاء / تثنية ٣٧/٢٨.
- يضربك الرب **بقرح خبيث** على الركبتين وعلى الساقين، حتى لا تستطيع الشفاء، من أسفل قدميك إلى قمة رأسك / تثنية / ٣٥/٢٨ .

وفى مواضع أخرى نجد الوباء الجلدى إصابة جماعية، لاعلاقة لها بغضب يهوه أو رضاه، فيغص سفر اللاويين بدءاً من الإصحاح الثالث عشر، بالتعليمات التى يجب اتباعها مع المصابين بأمراض الجلد، والتى تصنف ضمن البرص، ومن أمثلتها فقط وليس حصراً:

> إذا كان إنسان فى جلد جسده ناتئ أو قوباء أو لمعة، تصير فى جلد جسده ضربة **برص** . . فى الضربة شعر قد أبيض ومنظر الضربة أعمق من جلد جسده، فهى ضربة برص، فمتى رآه الكاهن يحكم بنجاسته .. إنها برص / لاويين ١٣/٢ ، ٣ .

ويظل السفر يحدد الأعراض وأساليب عزل المرضى، ومعاملة البيوت والخيام المنكوبة، بعرض واف تفصيلى يثير التقزز، حتى نهاية الإصحاح الخامس عشر من سفر اللاويين، بطول ثلاثة إصحاحات كاملة. رغم وعد الرب لشعبه إن آمن به وخرج مع موسى من مصر وأطاعة، وعداً يظهر فى قول الرب: " وأزيل **المرض** من بينكم / خروج ٢٣/٢٥ ".

ومثل هذا السرد الطويل، يبرر قول (آبيون) النحو السكندرى، أنهم **طردوا من مصر طرداً، ولم يهربوا، ولم تطاردهم جيوش مصر، وذلك خشية تفشى الوباء** فى البلاد، وهو ما وجدناه فى التوراة يصادق على قول آبيون تصديقاً واضحاً لا التباس فيه يقول: " فقال الرب لموسى : الآن تنظر ما أنا فاعله بفرعون، فإنه بيد قوية **يطلقهم، وبيد قوية يطردهم من أرضه** / خروج ٦/١".

ونعود إلى (دى بوا إيميه):

يستند (دى بوا إيميه) إلى الروايات المنقولة عن (مانيتو) فيقول: إنه بعد غزو الهكسوس لمصر، واحتلالهم لمنف، لاذ ملوك مصر الشرعيين بصعيد مصر، وكونوا هناك دولة مستقلة، ثم قام أحدهم وهو ما ينقل اسمه عن القدماء فى صيغة (أليسفرا جموتوفيس)، بتجريد جيوشه على منف بمساعدة الآثيوبيين والمصريين الثائرين، وأحرز انتصارات هائلة على الهكسوس العرب؟!، واضطرهم إلى التقهقر شمالاً حتى تحصنوا فى مدينة حواريس.

ونظن أن (أليسفرا جموتوفيس) هذا ليس سوى (كامس)، من (جامس) أو (جوميس)، وهو المعروف فى المدونات كأول ملك مظفر حارب الهكسوس، وسجل عليهم انتصارات، ويؤيد ذلك أن الرواية التى بين أيدينا هنا تقول: إن أخيه هو الفرعون الذى ذكره يوسفيوس باسم تثموزيس، والذى ذكره يوسابيوس ويوليوس الأفريقي باسم (أحمس)، حيث كشفت علوم المصريات بعد ذلك، أن أحمس كان ابنا لكامس هذا مع الإشارة إلى كونه الفرعون الذى حاصر حواريس، ولما طال الحصار وافق على خروجهم مع أملاكهم إلى بلاد الشام، ولما خرج هؤلاء من مصر، تحاشوا عبور بادية الشام خشية بأس

الآشوريين، فدخلوا فلسطين من جنوبها، واستقروا فى جبال اليهودية (يهوذا)، حيث أسسوا هناك مدينة أورشليم.

أما الإسرائيليون فقد واصلوا البقاء فى مصر، وجرت عليهم أقدار المهزومين وانسحبت عليهم كراهية المصريين للرعاة المحتلين، وأخذ المصريون يشيرون إليهم بالأنجاس والمجذومين. لكنهم **عاشوا فى مصر** يتمتعون على تخومها الشرقية بقدر من الحرية، **حتى عصر الملك (آمنحتب)**، والد الملك الشهير (سيزوستريس)، ودفع كهان مصر ملكهم (آمنحتب) إلى التقرب للآلهة، باضطهاد الرعاة فجمعهم ودفع بهم إلى الأعمال المعمارية الشاقة.

وبعد فترة، دفعت بعض المخاوف الأسطورية والمتطيرة الملك (آمنحتب)، ليسمح لهؤلاء المستعبدين بالانسحاب إلى أرض جاسان، وهناك اختاروا لهم رئيسا مصريا، كان من كهنة هليوبوليس يدعى (أوزرسيف). **وكان قد نفى معهم مع عدد من الكهنة المصريين، ومصريين آخرين، بسبب معتقداتهم الدينية المخالفة لعقائد البلاد، كما تبعهم عدد آخر من المصريين الفارين من الاضطهاد**،أو يخشون وقوع اضطهادات جديدة، لاعتناقهم ذات العقائد المخالفة، وقد أعطى (أوزرسيف) لهذه الألوف من المصريين المنشقين، وللرعاة الإسرائيليين، **ديانة خاصة، كانت بالضرورة خليطا من ديانتى الشعبين**، ثم أمرهم (أوزرسيف) بألا يتزوجوا إلا من داخل جماعتهم الجديدة، لكى يحول دون أى انحراف أو تصالح مع المصريين، كما أباح لأتباعه أكل الحيوانات التى كانت مقدسة عند المصريين، كما أمرهم بتدمير ما يستطيعون من آلهة مصر.

وكانت النتيجة حنقا شديداً من المصريين، والرد بقهر أشد، كان لابد معه أن يبحث هؤلاء لأنفسهم عن موطن جديد، ويذهب (دى بوا إيميه) إلى أنه **فى تلك الفترة نشأت مستعمرات جديدة فى بلاد اليونان، وأن مؤسسيها كانوا فريقا من هؤلاء الهاربين من مصر**، وأن (موسى) قد ولد فى عهد (آمنحتب) هذا، وأن أول الاضطهادات تمت فى عهد هذا الفرعون.

وكان للخوف من فرعون، والرغبة فى الانتقام، **دافعا لأوزرسيف ليطلب من هكسوس أورشليم اللحوق به ليزحفوا معا لفتح مصر**، فاستجابوا له وحملوا على مصر، " ولم يكن ثمة ضرب من ضروب القسوة لم يرتكبوه كما يقول مانيتون، ولم يكتفوا بإحراق المدن والكفور وتحطيم صور الآلهة، إنما قتلوا حتى الحيوانات المقدسة، وأرغموا الكهنة المصريين والعرافين أن يكونوا هم ذابحيها، ثم اطلقوهم بعد ذلك عراة كما ولدتهم أمهاتهم".

وانسحب (آمنحتب) إلى ماوراء الشلالات جنوبا، وثبت هناك مدعوما من الأثيوبيين، لمدة ثلاثة عشر عاما يناوئ الرعاة، وفى النهاية تمكن من الهجوم وهزيمة (أوزرسيف) ومطاردته مع رجاله حتى سوريا.

ولاجدال عند (دى بوا إيميه) أن (أوزرسيف) هذا هو ذاته (موسى)، لكنه يفترض أن جبـال اليهوديـة بفلسطين، كان قد تم احتلالها من قبائل أخرى أثناء تواجد الجميع فى حملتهم على مصـر، وذلـك لتفسـير الحروب التى خاضها الإسرائيليون الخارجون مـن مصر لدخول فلسطين.

لكن مرة أخرى يقع عدد كبير من الرعاة فى الأسر المصرى، بعد أن هـزمهم (آمنحتـب)، لتفـرض عليهم أقسى درجات العبودية، وكان أكثرهم من القبائل الإسرائيلية، وقد ظلوا كذلك حتـى عهـد الفرعـون الشهير (سيزوستريس) ومن جانبنا (المؤلف) نوضح أن اسم (سيزوستريس) كعلم على فرعـون مصـرى مشهور، نجهل أول من أطلقه من اليونانيين على فرعون مصرى، إعجابا بشخصه وبأعماله وبزمانه. لكـن اليونانيين من بعده، أكدوا أن المقصود بهذا الاسم فرعونا قويا حاز شهرة عظيمة، لجأوا إلى بلاده، وعملـوا مرتزقة فى جيشه، لثراء مصر فى زمانه ويميل الباحثون اليوم إلى احتسابه الفرعون (رعمسـيس الثـانى)، أعظم فراعنة الأسرة التاسعة عشر، وصاحب أعظم وأكثف الأعمال الإنشائية، وصاحب بطولات عسـكرية كبرى، حدثت إبان صراعه مع دول الشرق القديم. ويذهب الباحثون إلى أن لقب (سيزوستريس) ربما كـان ناتجا عن أحد الألقاب الكثيرة لرعمسيس الثانى، ومنها (مرى آمن أوسر ماعـة رع)، و (سـنب أن رع) و (ميامونرع ميسو) الذى ميزه عن بقية الرعامسة فقيل عنه (رعمسيس **ميامون**)، و (**سيزو أزيس**). ثم هنـاك لقب آخر هو (سماره تبن رع) ومعناه القوى الذى اختاره (رع) [٥٥]، ومن هذا اللقب اطلـق علـى مدينتـه المشهورة بشمال الدلتا اسم مدينة (سمارة)، إضافة إلى الاسم (بى رعمسه) أو (رعمسـيس) . ومـن ألقابـه الأخرى (**سيسى رع**)، لذلك أطلق على ذات المدينة اسم (سمارة سيسى) أى القوية التى لرعمسيس.

وقد اهتم (هيرودت) فى تاريخه بالفرعون (سيزوستريس) المظنون عنـد المـؤرخين المحـدثين أنـه رعمسيس الثانى، وركز على الأعمدة التى كان يقيمها تسجيلا لا نتصاراته فى البلاد المفتوحـة، وكان ينقش عليها اسمه ووطنه وكيف أخضع ذلك المكان لسطوته، وهى الأعمدة التى يسميها المصرولوجيون: أنصـاب النصر، وأحجار الحدود، لتبين إلى أى مدى وصلت حدود الملك.

ويشير (هيرودت) إلى أن فتوحاته وصلت أقصى جنوب البحر الارتيرى (الأحمر) جنوبا، ثـم يعقـب بالقول: " ومع أن أغلب الأعمدة التى أقامها ملك مصر سيزوستريس فى الأقطار اختفت، ولم يبق منها شـئ بعد، إلا أنى لحظت بنفسى أن بعضها مازال موجوداً بفلسطين السورية، وعليها النقوش التى تحدثت عنها ". [٥٦] وتلك الأعمدة لابد أن تذكرنا بوصف القرآن الكريم لفرعون موسى بأنه " فرعون ذى الأوتاد ".

ولأن (سيزوستريس) عرفه اليونان بشدة البأس، فقد رأى (دى بوا إيميه)[٥٧] أنه من الصعب أن ننسب إلى عهده الكوارث التى لحقت بمصر فى حديث التوراة، ومن هنـا يرى أن تلك الأحـداث التـى انتهـت

---

(٥٥) سامى سعيد: الرعامسة .. سبق ذكره، ص ٢٤ ، ٢٥ .

(٥٦) هيـرودت يتحدث عـن مصر: تـرجمة د. محمد صقـر خفاجى، تهميشات د. أحمد بدوى، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٧ ، ص ٢١٧ : ٢٢٢ .

(٥٧) دى بو إيميه: كتاب الحملة الفرنسية وصف مصر، دراسات دى بوا إيميه حول البحر الأحمر والخروج.

بالخروج، يجب نسبتها لعهد ولده الذى أسماه (هيرودت) باسم (فيـرون)، وأطلـق عليـه (ديـودور) اسـم (سيزوستريس الثانى)، ولا شك عند (دى بوا إيميه) أن (فيرون) لم يرث فضائل أبيه ومواهبه، حيث يصوره التاريخ أميراً ضعيفاً متطيراً يؤمن بالخرافات، مع ما حدث فى عهده من فيضان النيل إلى حد التدمير، مع ما صحب ذلك من عواصف وأعاصير وسيول، مما أقنعه بأن ذلك غضب إلهى، وهو ما أدى به إلـى إطـلاق الأسرى من مصر.

وبالمراجعة وراء (دى بوا إيميه) رجعنا إلى (هيروت)، فوجدنا (فيرون) عنده مذكورا باسم (فيروس)، ولا بأس فهما واحد بحذف الـ (ن) وإضافة التصريف الإسمى اليونانى المعتاد، لكن المثير فى المسـألة أن (فيرون) هنا ستنطق أيضاً نطقا مصريا وعبرانيا صحيحا باللفظ (فرعون)، ويبدو أنه يعود بدوره إلى أحـد الألقاب المصرية الخاصة بهذا الفرعون، وأنه اسم خاص تماما بفرد بعينه، وهو مايبـدو لنـا الأصـل فـى انسحاب اللقب على بقية حكام مصر (الفراعنة)، لكن إذا كان هذا الفرض صحيحا، فإنه كان هناك فرعونـاً واحداً باسم (فرعون)، وأنه يبدأ من لحظة تاريخية أولى كانت مع بنى إسرائيل زمن الخروج، ويعاضد ذلـك تماما الفهم الدينى المتواتر عن الفرعون زمن موسى، كما لو كان لمصر طوال تاريخها فرعون واحـد هـو ذاك الذى غرق فى بحر سوف. والأمر بهذا الشكل يستدعى إعادة النظر فـى التخـريج القائـل أن كلمـة (فرعون) مأخوذة من كلمة (برعو) المصرية القديمة، والتى تعنى السور العظيم، أو ربما يعود الأمر للسببين معا.

ومن ثم، فقد احتسب (دى بوا إيميه) أن (سيزوستريس) المظنون الآن أنه (رعمسـيس الثـانى) ابنـا للفرعون (آمنحتب) سيراً مع (مانيتو)، لكن المهم أنه رتب الأمر بحيث كشف عن نظريـة الخـروج زمـن (مرنبتاح) الذى هو عنده (فيرون)، قبل فك رموز الهيروغليفية، ومعرفة كشوف أركيولوجية أدت إليها. وأهم تلك الكشوف ذلك اللوح الذى تركه لنا (مرنبتاح ابن رعمسيس الثانى)، وذكر فيه للمـرة الأولـى والوحيـدة واليتيمة اسم إسرائيل، فى تاريخ مصر طولا وعرضا، وقد جاء الاسم فى ذلك اللوح ضمن انتصاراته علـى عدد من الشعوب. واللوح لون من اللوحات التذكارية، مصنوع من الجرانيـت الأسود، ويعـرف الآن فـى المتحف المصرى بلوح إسرائيل، وكان قد أقيم أصلا فى معبده الجنائزى، ثم نقل إلى المتحف المصرى حيث يحفظ الآن. كما أقيم له مثيلاً فى الكرنك وجدت منه قطعة هناك، أما الفقرة التى تعنى موضوعنا هنا فى ذلك اللوح، فهى تلك التى تقول:

يقول الرؤساء وهم منطرحون أرضا:

السـلام

ولم يعد واحد من بين قبائل البدو (التسعة أقواس) يرفع رأسه

والتحنو قد خربت

وبلاد خاتى أصبحت مسالمة

وكنعان أُسرت مع كل خبيث

وأُزيلت عسقلان

وجازر قبض عليها

وينو عام أصبحت لا شئ

وإسرائيل خربت وليس لها بذر

وخارو أصبحت أرملة لمصر (٥٨)

وتبعاً لهذا اللوح، بعد الكشف عنه، أعاد الباحثون النظر فى كل ما انتهوا إليه قبلا، وتم رفض فكرة أن بنى إسرائيل هم الهكسوس، حيث تم طرد الهكسوس من مصر زمن أحمس حوالى ١٥٧٥ ــ ١٥٥٠ق.م ، وهو آخر زمن الأسرة السابعة عشر وبداية الأسرة الثامنة عشر، وهو تاريخ يسبق زمن (مرنبتاخ) ١٢٢٥ ــ ١٢١٥ق.م، بما يزيد على ثلاثة قرون كاملة، ومن ثم ذهب بعض الباحثين إلى القول: إن بنى إسرائيل هم بقايا أسرى هكسوس تخلفوا فى مصر طوال تلك السنين، حتى خرجوا زمن (مرنبتاح). وبعضهم ذهب بحدث الدخول مذاهب شتى، لكن الأغلبية اتجهوا إلى القول: إن (رعمسيس الثانى) كان هو فرعون الاضطهاد، وأن ابنه (مرنبتاح) هو فرعون الخروج.

ويبدو أن (مانيتو) هو الواضع الحقيقى لأصول تلك النظرية، حيث قال: إن ثورة أسرى مدينة حواريس بقيادة الكاهن المصرى (أوزرسيف)، قد حدثت زمن الملك (آمنحتب)، الذى طاردهم مع ولده الذى حمل عند (مانيتو) أسماء ثلاثة متضاربة هى: (رهامبيس / سيتوس / رمسيس)، فى قول غامض وملتبس يقول: إن ابن (آمنحتب) كان اسمه: (سيتوس)، وكان يسمى أيضاً (رمسيس) من أبيه (رهامبيس).

وقد أتضح لنا أن (مانيتو) كان معذوراً تماما فى ذلك اللبس، فالرجل قد اعتمد على المدونات المصرية القديمة، التى كانت موجودة حتى زمانه، وقد علمنا مما بقى من قوائم ملكية، إسقاطها جميعاً لفترة أسرة العمارنة، وهى فترة حكم الملك (آمنحتب الرابع / إخناتون) وأتباعه الثلاثة المباشرين. وعدم ذكرهم أو الإشارة إليهم، وعندما تم الكشف عنهم بعد ذلك، سواء فى حفائر تل العمارنة، أو فى مقبرة توت عنخ آمون، كان الأمر كشفا مدويا، أعيد بموجبه إعادة ترتيب قوائم الملوك، وإدخال أسرة العمارنة فى دائرة الضوء لأول مرة، ليتم إدراجها مباشرة بعد حكم الملك (آمنحتب الثالث) .

ومعلوم أن الباحثين قد برروا إسقاط المدونات المصرية لأسرة العمارنة، بالهرطقة الدينية التى قادها (إخناتون) وهاجم بموجبها كل آلهة البلاد، وطاردها لصالح عقيدته فى إلهه الأوحد (آتون)، مع تعصبه الشديد

---

(٥٨) سليم حسن: الأدب المصرى القديم أو أدب الفراعنة: مطبوعات كتاب اليوم، القاهرة ، ١٥ ديسمبر ١٩٩٠ ، ج٢، ص ٢٢٩ .

ومطاردته للآلهة الأخرى مع فرض عقيدته بالقهر. ومن ثم اعتبره المصريون مارقا دنسا هو وأسرته لا يصح ذكرهم، ووصمة عار يجب تناسيها ومحوها تماما من ذاكرة التاريخ، بالضبط كما فعلوا مع فترة الاحتلال الهكسوسى التى اسقطت تماما ولم تدخل فى المدون التاريخى المصرى القديم. وظلت دوما فجوة نحاول ملأها بالنتف التى يمكن العثور عليها، من آثار الهكسوس أنفسهم، أو من أصحاب التواريخ القديمة مثل (مانيتو)، أو من بردية تشكل حالة خاصة مثل بردية تورين. ومن ثم أُسقطت من قوائم مصر أسرة العمارنة كاملة، فكانت القوائم الملكية تقفز مباشرة من زمن (آمنحتب الثالث) منهية به الأسرة الثامنة عشر، إلى (حور محب) مؤسس الأسرة التاسعة عشر، الذى قضى تماما على بقايا عبادة (آتون) الهرطقية.

ولما كان اسم (حور محب) باللسان اليونانى هو (رهامبيس) فقد سجلها (مانيتو) كذلك، معتبراً إياه ابنا لآمنحتب، وأبا لمشاهير الأسرة التاسعة عشر (رعمسيس الأول، ستى الأول، رعمسيس الثانى، مرنبتاح . . إلخ).

وعليه فلا جدال أن **(آمنحتب) المقصود عند (مانيتو) هو (آمنحتب الثالث) قطعاً وتحديداً**، ولم يكن أمام (مانيتو) سوى احتساب (رهامبيس / حورمحب) و(رمسيس الأول) و (ستيوس / ستى الأول) و (رمسيس ، رعمسيس الثانى) ابناء مباشرين للملك (آمنحتب الثالث)، أو أسماء متعددة لابن واحد لذلك الفرعون، لكنه أبدى حيرته لنا فى قوله أن (سيتوس) هو (رمسيس) من أبيه (رهامبيس)، بحيث بدا متشككا ما بين وجوب نسبة (رعمسيس) إلى (آمنحتب الثالث) آخر الأسرة الثامنة عشر، وبين وجوب نسبته إلى (حور محب) مؤسس الأسرة التاسعة عشر.

ومن بعد، وبمرور الوقت، تدعمت نظرية (مانيتو) لكن المؤرخين استبعدوا معركة (آمنحتب الثالث) مع ثورة عبيد حواريس التى قادها (أوزرسيف)، ووقفوا مع من بقى منهم أسرى زمن (رعمسيس) المفترض عند (مانيتو) ولداً لآمنحتب الثالث، ليعتبروه فرعون الاضطهاد، ويحددوا ولده (مرنبتاح) فرعونا للخروج. ومن المفيد هنا بشأن اللبس الحادث عند (مانيتو) أن نذكر باللوحة التى شاهدناها بالكرنك للفرعون (آمنحتب الثالث) وإلى جواره ابنه طفلا، دون اسمه (حور محب)؟!

فقد لاحظنا إبان زيارتنا للكرنك، انه قد صورت على الواجهة الخارجية الجنوبية بقاعة الأعمدة بالصرح البحرى، رحلة لمركب الإله (آمون) ومعه الملك (آمنحتب الثالث) واقفا داخل المركب مرتين، وبصحبته شخص تمت إزالة صورته لكن عملية الإزالة تركت الأثر السابق واضحا، ولا شك أن الصورة كانت تمثل ابن (آمنحتب الثالث)، ومحل الصورة تم تدوين اسم (حور محب). ولما كنت أعلم أن ابن (آمنحتب الثالث) هو (آمنحتب الرابع / إخناتون)، بالقطع واليقين. ومن ثم فلا جدال أن لوحة مثل تلك، كانت كفيلة بإقناع (مانيتو) أن (رهامبيس، حورمحب)، ابنا مباشراً لآمنحتب الثالث، دون أن يضع بحسبانه – بالطبع – الخدعة المتمثلة فى إهدار المصريين لأسرة العمارنة بكاملها، والتى تشمل الفراعنة: (إخناتون) و (سمنخ كارع) و (توت عنخ آمون) و (آى).

ولأن رواية مانيتو تقول بفتنة شخص اسمه أوزرسيف زمن فرعون باسم أمنوفيس / آمنحتب فقد قام (دى بوا إيميه) بمزج ما وصله من تأريخ الكلاسيك القدماء برواية التوراة ليضع سيناريو للأحداث مصدقا بالتوراة، وأن موسى قد ولد بين الإسرائيليين المستعبدين فى مصر، وألقت به أمه فى اليم زمن الفرعون آمنحتب ليجرفه التيار إلى قصر الفرعون، فتنقذه ابنة الفرعون وتحسن إليه وتتبناه وتأمر بتعليمه كل حكمة المصريين وعلومهم. فنشأ موسى نشأة مصرية كاملة، لكن يبدو أن تلك التى تبنته قد ماتت ففقد الحماية، ثم فى لحظة غضب قتل مصريا فطارده القصاص القانونى المصرى، فهرب إلى عرب مديان بسيناء عند خليج العقبة. وهناك عند جبل حوريب المقدس جبل الإله حسب نص التوراة، واصل التأمل ليضع خطة كبرى لمشروع عظيم، وعندما علم بموت الفرعون آمنحتب قرر العودة إلى مصر، وذهب يدعو بنى جلدته المستعبدين هناك للهروب من تلك العبودية إلى آفاق الحرية. وبسبيل ذلك ابتدع للفرعون قصة مختلقة وهى أنه مع شعبه لديهم مناسبة مقدسة سنوية، يذبحون فيها حيواناً مقدسا لدى المصريين، لذلك يحتاجون إلى مغادرة المدينة إلى الصحراء لمدة ثلاثة أيام يقيمون فيها احتفاليتهم ثم يعودون، بينما كان موسى يضمر الهروب بشعبه. كان يريد مجرد الخروج الآمن من المطاردة بتلك الحجة، وأن الأيام الثلاثة كفيلة بقطع مسافة تجعل اللحاق بهم صعبا عندما يكتشف المصريون الخدعة. لكن الفرعون (فيرون ابن سيزوستريس) رفض ذلك، فى الوقت الذى تصادف فيه حدوث بعض الكوارث الطبيعية فى مصر، فتطيّر الفرعون شراً وتصوره غضبا إلهيا بسبب عدم إطلاقه الإسرائيليين فدعا موسى وهارون وأعطاهما تصريحا بالخروج [٥٩]، أو بحسب النص التوراتى :

فدعا (أى فيرون ابن سيزوستريس/ ولاحظ أن آمنحتب هنا اسمه سيزوستريس كما سبق واستنتجنا) " فدعا موسى وهارون ليلا وقال: قوموا **اخرجوا** من بين شعبى أنتما وبنى إسرائيل جميعا، اذهبوا واعبدوا الرب كما تكلمتم، خذوا غنمكم أيضاً وبقركم كما تكلمتم واذهبوا / خروج ١٢ / ٣١ ، ٣٢ ".

ومن (رعمسيس) مدينة الاستعباد قادهم موسى فى رحلة طويلة نحو فلسطين عبر البوادى السينائية الكبرى، وكانت أول محطة استراحة بعد الخروج من رعمسيس باتجاه فلسطين تلك تذكرها التوراة باسم (سكوت)، أو بنص التوراة :

> فاتحل بنو إسرائيل **من رعمسيس إلى سكوت** نحو ستمائة
> ألف ماش من الرجال عدا الأولاد، وصعد معهم لفيف كثير
> أيضاً، **مع غنم وبقر ومواشى وافرة جداً.**
>
> خروج ١٢ / ٣٧ ، ٣٨

وبعد ذلك ارتحلوا عبر عدة محطات حتى لحظة العبور الإعجازى من البحر فيما ترويه التوراة قائلة:

---

(٥٩) دى بوا إيميه: الدراسة السادسة والسابعة من كتاب وصف مصر ترجمة زهير الشايب، مكتبة الخانجى، القاهرة، ١٩٨٤ ، ج٣، ص ٣٢٧ : ٣٦٧ .

وارتحلوا من **سكوت** ونزلوا فى طرف البرية .. وكلم الرب موسى قائلا: كلم بنى إسرائيل **أن يرجعوا وينزلوا أمام فم الحيروث بين مجدل والبحر أمام بعل صفون** .. ومد موسى يده على البحر فأجرى الرب البحر بريح شرقية شديدة كل الليل، وجعل الرب البحر يابسة، وانشق الماء، فدخل بنو إسرائيل وسط البحر .. وتبعهم المصريون فقال الرب لموسى/ مد يدك على البحر ليرجع الماء على المصريين .. فدفع الرب المصريين فى وسط البحر .. **ثم ارتحل موسى بإسرائيل من بحر سوف وخرجوا إلى برية شور**

خروج ٢/١٣ و١٢/١٤، ١،٢٢، ٢٦، ٢٧ و ١٥ / ٢٢

ويرى دى بوا إيميه أن أرض جاسان بمدينتيها فيثوم ورعمسيس تقع فى النهاية الشرقية لوادى طميلات الممتد من الدلتا نحو الشرق حتى بحيرة التمساح ثم البحيرات المرة. وأن المدينة التى خرجوا منها تقع قرب السبع أبيار على رأس بحيرة التمساح فى موقع تل المسخوطة الحالى، وأنهم ساروا من هناك عدة محطات حتى عبروا البحر من عند منطقة تقع إلى الجنوب من المسخوطة بجوار مدينة السويس الآن على رأس خليج السويس الذى كان يعرف بالخليج العربى حتى زمن دى بوا إيميه. ويرسم لنا سيناريو الأحداث فيقول أن الركب كان متجها فى البداية نحو الطريق المباشر إلى فلسطين، وهو الطريق الذى نعلم اليوم أنه كان باسم طريق حورس الحربى، لكنه خشى المرور بهذا الطريق فيقترب من فلسطين ويتعرض لهجوم مباشر من سكانها، لذلك سار برجاله جنوباً ليخفى – أيضاً – عن المصريين نيتهم فى الهرب وليوهمهم أنه يبحث فى الصحارى عن مكان بعيد للاحتفال الدينى، فقام يقودهم بالتفافة طويلة نحو بلاد أنسبائه سكان مديان بشرقى سيناء.

ويضع دى بوا إيميه تصوراً لجغرافية المنطقة زمن الخروج، فيرى أن الخليج العربى / السويس الآن، كان يمتد زمن الخروج ليلتحم بالبحيرات المرة وبحيرة التمساح حيث السبع أبيار، مدللا على ذلك بعدد وافر من القرائن المفترضة، وأهمها ما جاء فى عرضه التالى:

"يقع الطرف الشمالى للبحر الأحمر (يقصد خليج السويس) على بعد ستة أو سبعة آلاف متر إلى الشمال من مدينة السويس. وفيما وراء ذلك ثمة حوض ينتهى بعد حوالى ستين ألف متر إلى الشمال من هذه المدينة، ويبلغ أقصى اتساع لهذا الحوض ١٢ : ١٥ ألف متر، ويضيق كثيراً عند الجنوب .. هذا الحوض .. يدل على أن البحر كان يغمره فيما مضى فهناك يعثر المرء على طبقات الملح البحرى، تتخذ فى بعض المناطق شكل القباب .. وعلى عمق أربعة أو خمسة أمتار مياها نتعرف فيها على نفس مذاق مياه البحر. وفى مناطق أخرى نجد الأرض موحلة، ونعثر هنا وهناك على مستنقعات من مياه مالحة .. والأرض فى

هذا الحوض تغطيها القواقع وتنخفض عن سطح البحر إلى حد كبير (بالحاشية: يبلغ الفرق فى أماكن عديـــدة من ١٢ : ١٥ **متراً**). وعلى الرغم من ذلك لا يفصلها عن البحر سوى كتلة من الرمال يبلغ عرضـــها مـــن أربعة إلى خمسة آلاف متر .. ونلمح فوق التلال المحيطة به (أى بالحوض) خطا يتكون من مخلفات نباتات بحرية تشبه تمام الشبه ذلك الأثر الذى تتركه البحار فوق الشواطئ. لكن ما يلفت النظر بشكل كبير هـــو أن هذا الخط يوجد على نفس مستوى المد العالى للخليج العربى [٦٠] .. بوضوح نحن هنا بصـــدد أرض كانـــت تغطيها فيما مضى مياه البحر .. وأن ترعة القدماء تلك التى يتحدث عنها هيرودت وبليني واسترابون .. إلخ [يقصد القناة المعروفة باسم قناة سيزوستريـــس التى كانت تصل النيل بخليج السويس/ المؤلف] كانت تنتهـــى عند الطرف الشمالى للحوض الذى انتهيت لتوى من تحديده [٦١] [أى أن ترعة سيزوستريس كانت لا تصـــل لقمة خليج السويس الحالى عند مدينة السويس / القلزم قديما / المؤلف]. إنما كانت تأتى بماء النيل من شرقى الدلتا لتصل حتى تل المسخوطة قُرب الإسماعيلية الآن، حيث كانت نهاية رأس خلـــيج الســـويس / الخلـــيج العربى فى ذلك الزمان قبل أن ينسحب بالتدريج جنوبا عبر السنوات ليتوقف عند السويس الآن.

وكى يزيد دى بوا إيميه فى تدعيم نظريته العبقرية، يعمد إلى ما جاء عند بلينى بالفصـــل ٢٧ مـــن الكتاب السادس إذ يقول عن القناة التى نهض بإتمامها سيزوستروبس لتربط النيل بالخليج العربى على البحر الأحمر كانت تبلغ حوالى ٦٢ ميل / ٩٣ كم، وفى تاريخ هيرودت الكتاب الثانى الفصل ٥٨ أن هـــذه القنـــاة كانت تتفرع من الفرع البوبابسطى للنيل جنوب بوباسطه بقليل (بوباسطة من أحياء الزقازيق الآن)، وذلك فى المنطقة التى يصنع فهيا ذلك الفرع كوعا يتجه نحو الشرق متفرعاً من فرع دمياط الحالى، لكنا لو قسنا الآن المسافة من هذه النقطة حتى رأس خليج السويس الحالى سنجدها ١٣٥ كم وليس ٩٣، بينما المسافة مـــا بـــين بوبسطة عبر وادى طميلات حتى مدينة السبع أبيار على بحيرة التمساح تساوى ٩٠ كم كما ذكر بلينى [٦٢] .

وفى الجزء الشرقى من وادى طميلات نجد أنقاضا عظيمة تخلفت عن الأزمان الفرعونية عند موقـــع **بلدة أبو كيشيد، [وهى الآن أبو خشب أو الخشبى أو تل المسخوطة إلى الشرق من أبى صوير بثلاثة كيلـــو مترات** / المؤلف]. ويعتقد دى بوا إيميه أن رعمسيس أوبيتوم التى ذكرتها التورة المازورية هى **هيروبوليس** التى ذكرتها التوراة السبعونية، هى ذاتها مدينة المسخوطة الحالية التى لاشك عنده كانت تقع عند رأس الخليج العربى / السويس عندما كان يملأ حوض البحيرات الحالى زيتصل بالبحيرات المرة وبحيرة التمســـاح فـــى خليج واحد، وأن تلك القمة هى بحيرة التمساح الآن مع قرينة أخرى يضيفها لرصيده وهو أن اليونان كـــانوا يطلقون على البحر الأحمر اسم البحر الأرتيرى، وعلى خليج الســـويس الخلـــيج العربـــى مـــرة، **والخلـــيج الهيروبوليتى مرة نسبة إلى هيروبوليس**[٦٣] .

---

(٦٠) لاحظ أن خليج السويس ظل يحمل اسم الخليج العربى حتى زمن الحملة الفرنسية.

(٦١) دى بوا إيميه: الحدود القديمة للبحر الأحمر، الدراسة الأولى من وصف مصـــر، ص ١٣٧ ، ١٣٨ .

(٦٢) نفسه: ص ١٤٠ .

(٦٣) نفسه: ص ١٤٢ .

ويتأرجح دى بوا إيميه حول كون هيروبوليس كانت هى رعمسيس أو بيتوم، ويذكرنا أن المؤرخين والجغرافيين الكلاسيكيين ذكروا مدينة باسم Patumos وهى لاشك عند دى بوا إيميه هى بيتوم هى هيروبوليس هى المسخوطة، حيث ذكر هيرودت أن القناة التى كانت تحمل مياه النيل للخليج العربى كانت تقع عليها مدينة باسم باتوموس.

ولمزيد من التدقيق يقول دى بوا إيميه "ولقد قمنا بتنقيبات عديدة فى حوض القلزم [يقصد المساحة الممتدة من خليج السويس الآن حتى بحيرة التمساح شمالا]، دون أن نعثر على أقل شقفة طمى، فى حين وجدنا هذا الطمى فى شكل طبقات أفقية فى وادى السبع أبيار " (٦٤) . وإذا كان موطن القلزم الممتد من السويس حتى البحيرات المرة ليس به سوى آثار مياه البحر المالح، وأن وادى السبع أبيار / طميلات يمتلئ بطمى النيل، فمعنى ذلك أن خليج السويس كان يمتد حتى بحيرة التمساح، وأن قناة سيزوستريس كانت لاتصل إلى السويس الحالية إنما إلى المسخوطة هيروبوليس التى قد تكون هي بيثوم أو رمسيس التوراتيتان عند بحيرة التمساح الحالية.

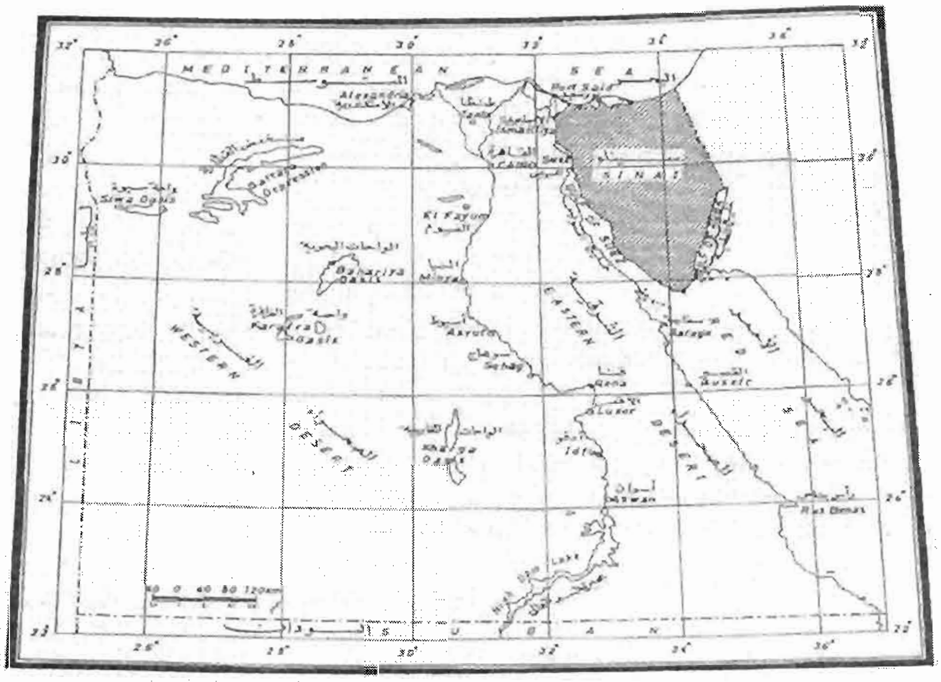
ويؤكد ذلك رفيقه من علماء الحملة الفرنسية المسيوى دى فيليه Divilliers الذى أكدت دراساته أن الماء كان يصل حتى وقت قريب منحدراً من النيل بشكل طبيعى زمن الفيضان حتى يصل ألسنة كراش عند بحيرة التمساح وعند البلاح إلى الشمال منها (٦٥) .

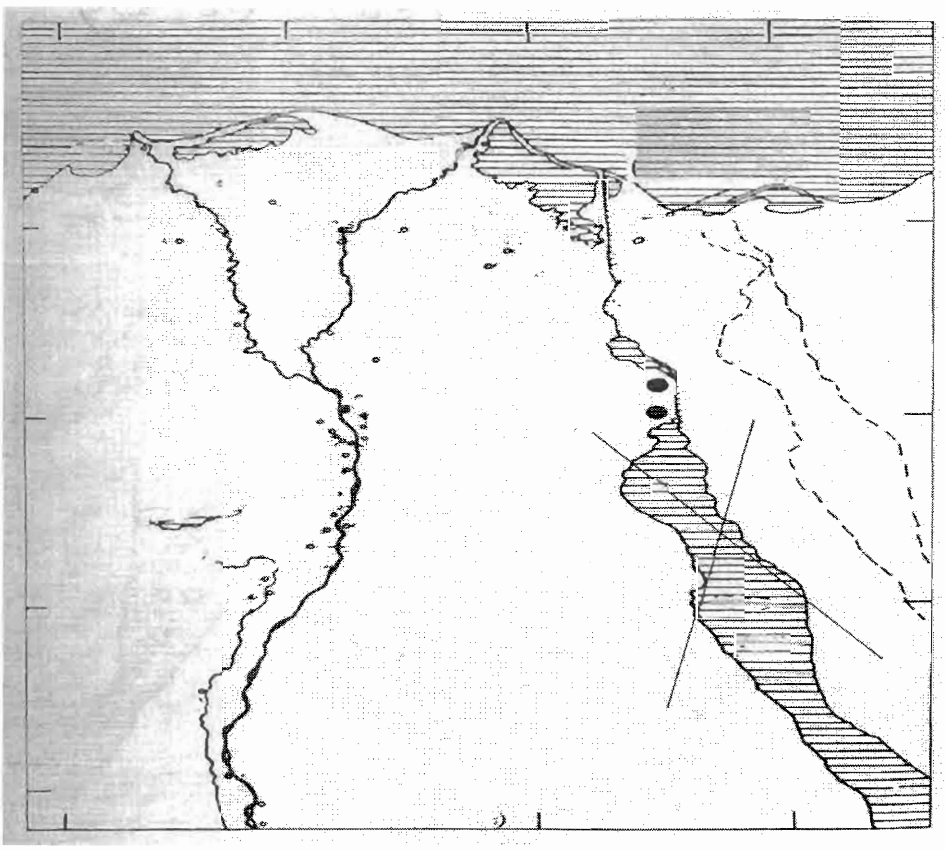
ولاحظ دى بو إيميه أن مد البحر الأحمر فى الخليج العربى يعلو فى منسوبه عن منسوب مياه النيل التى كانت تصل هناك كما جمع من معلومات (٦٦)، لهذا رجع إلى بلينى يستعيد نصه الذى يشرح الجغرافيا قادما من عند خليج العقبة متجها نحو مصر قائلاً:

> بعد خليج إيلانيتيك AELANITIQUE [أى خليج إيلات / العقبة الآن / المؤلف] نجد خليجاً آخر يطلق عليه العرب اسم إيوانت EAANT هناك توجد مدينة الأبطال [يقصد هيروبوليس / المؤلف]، كما توجد هناك .. مدينة قمبيز [كبريت حاليا] التى كان ينقل إليها مرضى الجيش. تأتى بعد ذلك أمة العمالقة Tyres ثم ميناء دانيون Daneon التى أُريد أن تبدأ منها حتى الدلتا ترعة ملاحية يبلغ طولها ٦٢ ألف قدم هى المسافة بين النيل والبحر الأحمر. وكان أول من فكر فى هذا المشروع سيزوستريس ملك مصر ثم داريوس ملك الفرس وبعد ذلك بطلميوس الثانى الذى أمر بحفر ترعة تصل إلى البحيرات المرة يبلغ عرضها ١٠٠ قدم وعمقها ٣٠ قدم فى حين يبلغ طولها ٣٧٥٠٠ قدم، لكن بطلميوس لم يتم

(٦٤) نفسه الدراسة الثانية، ص ١٦١ .
(٦٥) نفسه: ص ١٦١ : ١٦٣ .
(٦٦) نفسه: ص ١٦٩ .

مشروعه، خشية غرق المنطقــة، **إذ وجد أن مستوى البحر الأحمر يعلو بمقدار ثلاثة أذرع عن مستوى سطح أرض مصر.**





وإن كان ثمة تفسيرات مخالفة عند الآخرين، حيث يرى هؤلاء أن بطلميوس قد خشى أن يتلف البحر مياه النهر إذا صب الأول مياهه فى النيل وهى المياه الوحيدة القابلة للشرب . . . وتؤدى هذه الطرق المختلفة إلى مدينة أرسينويه والتى أطلق عليها اسم أخته، وهذا الحاكم هو أول من أخضع Troglodiytiques أى **سكان الكهوف**[٦٧] (سيأتي حديث طويل يفسر لنا حكاية سكان الكهوف في موضعه من هذا الكتاب) .

ويلخص دى بوا إيميه تلك النتائج التأسيسية فى قوله:

> أما عن مدينة هيروبوليس ولعلها هى نفسها مدينة أفاريس (حواريس عاصمة الهكسوس بمصر / المؤلف)، فإننى مُصّر على أن أضعها فى نفس المكان الذى تشغله اليوم أبو كيشيد (المسخوطة) .

ثم يعقب فى الحاشية قائلاً :

> أوضحت فى مذكراتى عن الحدود القديمة للبحر الأحمر رأى البعض ممن يرجحون أن تكون هيروبوليس هى التى تشير إليها التوراة باسم بيثوم Pithom ، والراجح أن المدينة التى أسماها العبرانيون باسم بيتوم كانت هى تلك التى أطلق عليها الإغريق اسم باتوموس Patoumos وأطلق عليها الرومان اسم توم Thoum .. وهذه الاعتبارات المختلفة تفسر بطريقة بالغة اليسر لماذا كانت تلتمس هيروبوليس فى روايات الأقدمين على الدوام فى المنطقة التى كان ينتهى إليها الخليج العربى باتجاه مصر (يقصد عند السويس الآن / المؤلف) [٦٨] .

ويسير دى بوا إيميه مع الخارجين، حيث يتجهون شمالا بعد تجاوز رأس الخليج العربى القديم عند بحيرة التمساح، حيث أول محطة ذكرتها التوراة باسم (سكوت)، وسكوت عنده هى الكلمة العبرية سيخوت أى المخيمات أو العشش. ومن هناك يعود موسى خشية الحرب مع الفلسطينين فيتجه برجاله جنوبا بحذاء الشاطئ الغربى للخليج العربى حيث يستريحون فى محطة إيتام ويرى أنها حاليا بير السويس. ومن بير السويس يرتدون غربا حيث كانت تمتد مياه الخليج نحو المنطقة التى أسمتها التوراة فم الحيروث. ويرى أنها تبعد عن

---

(٦٧) نفسه: ص ١٧٣ ، ١٧٤ .

(٦٨) نفسه: ص ١٧٩ ، ١٨٢ .

بير السويس غربا بثلاثة فراسخ وأنها حصن عجرود الحالى بجبل عجرود، ويطابق فم الحيروث أو بالعبرية (هـ حيروث) وبين (ع – جروت) أو (عجرود) ليراهما موضعا واحداً.

ويرسم لنا دى بوا إيميه جغرافية منطقة العجرود بدقة العالم الحصيف، فيرى هناك كتلة رمال جنوب شرقى العجرود، يسعى وراءها فيجدها تتصل بشكل متقطع بخليج السويس، مع وجود خواص عند تلك التقطعات يشير إلى وجود ماء قديم كثيف، ثم أنها منخفضة عن مستوى الماء بالخليج، وهنا يرى أنها كانت بحيرة تقع فى طرف لسان الخليج من شماله الغربى.

ولما كان موسى قد تربى بحكمة المصريين وعلومهم، فلاشك أنه كان يعرف ممكنات العبور من هذه النقطة سيراً على الأقدام إلى الضفة الأخرى. وكان المد يأتى فيغطى البحيرة فيصلها بالخليج، ثم ينحسر فتصبح بحيرة منفصلة عن الخليج. ووقت وصول الفرعون وجيشه كان المد يغطى البحيرة مما جعل الجيش المصرى ينشد الراحة بعد المطاردة المجهدة وهو يجد الخارجين أمامه مرتعبين محاصرين وراءهم البحر وأمامهم الجيش. ولم يخطر ببالهم أى خشية لافتلات الخارجين، بينما كان موسى يستفيد من دوامات الرمال والغبار والضباب ليبدأ التحرك مستغلاً أول ساعات الجذر فيتبعه خائضاً برجاله فى البحيرة الجافة، وعندما لاحظ المصريون متأخرين، مؤخرة الإسرائيليين وهى تنسحب نحو الشرق، كان المد التالى قد بدأ فى العودة. ووسط حماس المطاردة دخل المصريون فى المد بسرعة يريدون مسابقة ارتفاعة بالوصول إلى الشاطئ وراء الإسرائيليين، مما قلل من إمكانية بلوغ الشاطئ فى الوقت المناسب وأدى لتراجع الجيش وغرق بعضه وانفلات الخارجين. ويطابق دى بوا إيميه نظريته المتماسكة بقول التوراة: "فدخل بنوإسرائيل فى وسط البحر على اليابسة، والماء سور لهم عن يمينهم وعن يسارهم / خروج ١٤ / ٢٢". ويراها مجازاً تمت صياغته فى رواية إعجازية تعبر عن حالة جغرافية طبيعية لاعلاقة لها بالمعجزات، فقد عبروا عند مخاضه جانبها بحيرة وجانبها الآخر خليج السويس / العربى وقت الجذر فكانوا يبدون محصورين فى مساحة ضيقة كما لو كانوا بين بحرين أو داخل بحر مغلوق.

لكن علينا أن نلاحظ أن نيبور Niebuhr الرحالة، ولوكلير Leclerc قد سبقا دى بوا إيميه إلى تحديد رأس خليج السويس بالتحديد موقعا للعبور.

المهم يستكمل دى بوا إيميه مشهديه الخروج، ويعرج على بعض الظواهر الإعجازية ليجد لها تفسيراً عقليا مقبولا، ومنها ما جاء فى رواية التوراة يقول:

> وكان الرب يسير أمامهم نهاراً فى عمود سحاب ليهديهم فى الطريق، وليلاً فى عمود نار ليضيئ لهم، لكى يمشوا نهاراً وليلاً .
>
> خروج ١٣ / ٢١

وقدم تفسيره بأنه لابد كان هناك بركان يقع فى جبل الله حوريب المقدس بسيناء (كاترين وموسى الآن). وقرأ هذا التفسير على المجمع العلمى الفرنسى الذى انعقد بالقاهرة فى ١٦ من برمبير من العام التاسع للحملة الفرنسية، ودلل على وجهة نظره بما يستخدمه البحارة الآن فى مدينة الطور بالخليج العربى من أحجار لحفظ التوازن، وأن هذه الأحجار بركانية، ولاشك مجلوبة من الجبل المقدس. لكن الرجل تراجع عن هذا الرأى بعد التقرير الذى قدمه عالمان آخران بالحملة، قاما بدراسة جبلى كاترين وموسى هما السيدان كوتل Coutelle وروزيير Roziere وأكدا أنه لا وجود هناك لأى أحجار بركانية وأن الجبال هناك جميعا جرانيتية تماما.

وأسقط فى يد عالمنا الجليل لكنه كان يصر على العقلنة، فقام يقدم للآية تفسيراً جديداً بعد سقوط نظرية البركان، فقال إن هذا الإله السحابى النارى ليس سوى الشعلة النارية الضخمة التى يحملها البدو إبان سيرهم جماعات فى الصحارى ليلا ونهاراً حتى لا يفقد المرتحلون بعضهم، بدليل أن التوراة تؤكد أن دليلهم فى الصحراء كان شخصا يعرف دروب المنطقة ومن أهلها هو حباب المديانى شقيق صفورة زوجة موسى نظير جعل من المال جعله له موسى، والآية تقول: "وقال موسى لحوباب ابن رعوئيل المديانى حمو موسى : إننا راحلون إلى المكان الذى قال الرب أعطيكم إياه ، اذهب معنا فنحن نحسن إليك .. بنفس الإحسان الذى يحسن الرب إلينا نحسن نحن إليك / عدد ١٠ / ٢٩ : ٣٢ ". ولو كان الرب هو الذى يسير أمامهم فما حاجته لرشوه نسيبه ليدله على الطريق فى دروب البوادى السينائية؟

ويعرج دى بوا إيميه على قصة المن والسلوى ويفسر بقوله: إن السلوى هو طائر السمان الذى يتساقط بكثرة فى سيناء نتيجة لإنهاك فى رحلته الفصلية. وقد حدثنا ديودور الصقلى عن مصريين منفيين فى عهد اكتيزانيس فى صحراء برزخ السويس كانوا يغتذون من الطيور المهاجرة التى يسهل اصطيادها بعد سقوطها مجهدة. أما المن فما برح يجمع من شجر وفير فى المناطق المحيطة بجبل سيناء. أما النار التى كانت تزحف على خيام الإسرائيليين فى ذلك الجبل وتحرقهم فكان ممكنا تفسيرها بالبركان الذى نفاه السيدان كوتل وروزيير، لكن نتيجة بحثهما دفعت دى بوا إيميه لتفسير آخر قال فيه أن تلك النار كانت ناراً انفجارية مصنعة هى التى عرفها اليونان بعد ذلك باسم النار اليونانية، وبالتأكيد عرفها المصريون قبلهم كأسلوب حربى متطور، ولا شك أن موسى تعلمها من وجوده بالقصر حين كان يتعلم كل حكمة المصريين.

وتبقى من تلك الخوارق الأصوات الهائلة التى كانت تصدر من الجبل المقدس التى لن تكون بركانا بل أصوات رعد ملأت الإسرائيليين البدائيين رعبا وهم يعيشون طفولة عقلية اسمها الإيمان. (٦٩)

رأي هنرى بروجش

(٦٩) نفسه: الدراسة ٦ ، ٧ ، بالجزء الثالث، ص ٣٢٧ : ٣٦٧ .

يعد هنرى بروجش Henirich Brugsch من أبرز المصرولوجيين الذين أولوا اهتماما خاصا لمسألة علاقة الإسرائيليين بمصر. وهو من أنصار المدرسة التى توقت الاستعباد بزمن رمسيس الثانى والخروج بزمن ولده مرنبتاح. وقد قدم بروجش ما وصل إليه من محاولات تدقيق لموضع مدينة الاستعباد رعمسيس ونقطة عبور البحر وما هو هذا البحر؟ فى شكل محاضرة ألقاها بحفل المدارس المجانية بالقاهرة عام ١٨٧٩ م. قدم فيها نتائج بحوثه فى نقوش وبرديات مصر القديمة وفى التوراة، ورسم فيها تصوره لخريطة الخروج.

يشرح بروجش أن مدينة رعمسيس كانت فى المصرية القديمة (بى رعمسيس) و (فيثوم) هى (بى آتوم) أى بيت آتوم ومدينته. ثم يعمد إلى إيراد موجز سريع لقصيدة ألقاها شاعر مصرى قديم أمام جلالة الفرعون فى حفل افتتاح مدينة رعمسيس. ومن جانبنا قمنا بمقارنة ذلك الموجز مع الأصول فاكتشفنا أن بروجش قدم مزيجا مختصراً من برديات ثلاث، ورأينا من جانبنا العودة للنصوص الثلاثة الأصلية، بادئين بالقصيدة الأولى المعروفة بالقصيدة الصغرى فى مديح رعمسيس :

يابنرع محبوب آمون

أنت السفينة الرئيسية

والعصا التى تهشم

والسيف الذى يذبح الشعوب الأجنبية

وحربة اليد.

إنه نزل من السماء وولد فى عين شمس

وكتب له النصر فى كل أرض

ما كان أجمل يوم حضورك

وما كان أجمل صوتك عندما تكلمت

حينما بنيت مدينة رعمسيس محبوب آمون

فهى بداية كل أرض أجنبية ونهاية مصر

هى المدينة ذات الشرفات الجميلة

والقاعات التى تخطف الأبصار

باللازورد والزمرد

والمكان الذى تستعرض فيه فرسانك

وتجند رجالك

وحيث ترسو سفينتك حينما يحضرون لك الجزية

الثناء عليك حينما يأتى عبيدك المختارين من بدو آسيا

وهم رجال وجوههم كاسرة

وأصابعهم محرقة

يتقدمون حينما يرون الأمير واقفا ومقاتلا

لاقدرة للجبال على الوقوف أمامه

وهى تخاف بطشه

يا بنرع محبوب آمون

ستبقى ما بقيت الأبدية

وستبقى الأبدية ما بقيت

وستمكث على عرش والدك رع حور أختى (٧٠)

والبردية الثانية ليست قصيدة، إنما تقرير فى شكل رسالة مرسلة من كاتب من كتاب البلاط هو (بينبس) إلى رئيس قلم كُتاب القصر (آمنموبى) يقول له فيها:

أن الكاتب بينبس

يرحب بسيده الكاتب آمنموبى

فى حياة وفلاح وصحة

وقد حُرر هذا ليكون سيدى على علم به

ترحيب ثان بسيدى

لقد وصلت إلى **مدينة بيت رعمسيس** محبوب آمون

ووجدتها فى غاية الإزدهار

هى عرش جميل منقطع النظير على طراز طيبة

وإن رع هو الذى أسسها بنفسه

فهى مقام تلذ فيه الحياة

---

(٧٠) سليم حسن: الأدب المصري القديم، كتاب أخبار اليوم، مؤسسة الأخبار، القاهرة .. ، ج٢، ص ٢١٧ ، ٢١٨ .

حقولها مملوءة بكل ما طاب

ولديها مؤن وذخيرة كل يوم

بركها تزخر بالسمك

وبحيراتها بالطيور

حقولها يانعة بالبقل

وشواطئها محملة بالبلح

ومخازنها مفعمة بالشعير والقمح

فيها الثوم والكرات للطعام

وخس الــ (ثقب) جنينة

وفيها الرمان والتفاح والزيتون والتين من البساتين

وخمر كنكمة اللذيذ الذى يفوق الشهد حلاوة

وفيها **سمك وز الأحمر من قناة** (ثقب)

وسمك بتن **من بحيرة** (ثقب)

وسيهور تنتج الملح

ويستخرج من **بحيرة هر** النطرون

وسفنها تروح وتجيئ إلى الميناء

وفيها المؤن والذخيرة كل يوم

وينشرح الإنسان بالمقام فيها

ولا أحد يقول: ليت كذا

والصغير فيها مثل العظيم

تعال، وتعالى تحتفل بأعيادها السماوية

وأوائل فصولها السنوية

إن مستنقعات زوف تنتج لها البردى

وسيهور تمدها باليراع،

وغرائس العنب تأتى إليها من البساتين

وتيجان الأزهار من الكروم

وتجلب إليها الطيور من الماء البارد

والبحر فيه سمك بج وسمك أد

والمستنقعات تهدى إليها (تقب)

وشباب عظيمة الانتصارات يلبسون حلل العيد كل يوم

ورؤوسهم مضمخة بزيت زكى الرائحة

فى الشعر المرجل حديثا

ويقفون بجوار أبوابهم وأيديهم مثقلة بالزهور

وبالنبات الأخضر من **بيت حتحور**

وبالكتان من **بحيرة حر** ،

فى اليوم الذى يدخل فيه رعمسيس

هو منتو فى كلتا الأرضيين صبيحة عيد كيهك

وعندئذ يدلى كل إنسان بملتمسه

ونسيم عظيمة الانتصارات حلو

وشرابها تبى مثل الفاكهة شاو

وشرابها خيو طعمه كطعم الفاكهة إنو

فهو يفوق الشهد حلاوة

وجعه كدى **ترد من الميناء** (بلاد كدى بالشام / المؤلف)

والنبيذ والكروم والروائح العطرة

يؤتى بها من مياه سيجبين

وتيجان الأزهار من (تقب) جنينة

أما مغنيات عظيمة الانتصارات ذوات الصوت العذب

فقد تعلمن الغناء فى منف

اسكن هناك سعيداً وامشى مرحا ولا تغادرها

ياوسر مارع المختار من آمون

يامنتو فى الأرض

يا رعمسيس محبوب آمون

أنت أيها الإله (٧١)

ثم نأتى إلى النص الثالث وهو قصيدة فى مديح رعمسيس تعرف بالقصيدة الكبرى، لنستمع إلى الشاعر يقول:

لقد بنى جلالته لنفسه **قلعة** تسمى :

عظيمة الانتصارات.

وهى **واقعة بين فلسطين ومصر**

وهى ملأى بالذخيرة والأرزاق

وهى مثل أرمنت وخلودها كخلود منف

فالشمس تشرق فى أفقها وتغرب فيها

وجميع الناس يهجرون مدنهم ويسكنون فى ربوعها

حيها الغربى معبد آمون

والجنوبى معبد الإله سوتخ

والإلهة عشتار فى شرقها

والإله بوتو فى الجهة الشمالية منها

والحصن الذى فى وسطها مثل أفق السماء

ورعمسيس محبوب آمون إله

ومنتو فى الأرضين رسول

وشمس الأمراء وزير له وفرح لمصر

ومحبوب آتوم محافظ تذهب الدنيا إلى سكنه

ورئيس بلاد الخيتا الأعظم يكتب إلى ملك بلاد كدى:

---

(٧١) نفسه: ج١، ص ٣٨٤ ، ٣٨٥ .

تجهز لنسرع إلى مصر حتى يمكننا القول: إرادة الإله تنفذ

وحتى يمكننا أن نتكلم كلاماً جميلاً أمام رعمسيس

إنه يعطى نفس الحياة من يريد

وكل بلد يحيا حسب رغبته

وبلاد الخيتا تعيش حسب إرادته فقط

وإذا لم يتسلم الإله (يقصد رمسيس / المؤلف) قربانه منها

فإنها لا ترى مطر السماء

وذلك فى استطاعة وسر مارع

الثور الذى يحب الشجاعة

الإله الطيب مثل منتو المظفر

الذى ولد من رع

طفل ثور هليوبوليس

الذى يقف فى ساحة القتال ويحارب بشجاعة

مثل الواحد القوى فى سفينة السماء حاكم الأبدية

وهو الذى كان ملكا وهو فى البيضة

مثل جلالة الإله حور

وقد استولى على الأرض بانتصاره

وأخضع الأرض بخططه

والشعوب التسعة وطأها بأقدامه

وكل الشعوب الأجنبية تساق بهداياها

وجميع الممالك تسعى إليه على الطريق الوحيد

ليس له خصم

وأمراء البلاد الأجنبية لاقوة لهم

يصيحون كالماعز الوحشية ذعراً منه

إنه يدخل بينهم كابن نوت

وعلى ذلك

يسقطون أمامه خوفا من نفسه النارى

اللوبيون يتساقطون لذبحه إياهم

والناس يسقطون بنصل سيفه

وقد منح قوته إلى الأبد

وإرادته تحيط بالجبال

آه يارعمسيس محبوب آمون رب القوة

يامن يحمى جنوده

أنت ياابن آمون أيها الجسور

أيها الثور القوى الذى يثنى المتحالفين ضده

ويقف ثابتا على عربته الحربية مثل رب طيبة

قوته تقهر كل الممالك الأجنبية

ويخترق الأراضى باحثا عن مهاجميه

ونداؤه الحربى للموقعة يؤثر فى قلوب من يخافون وجهه

هو الحاكم الطيب اليقظ الممتاز النصيحة

هو الذى **يضع اسمه فى كل الأراضى**

بوصفه الفرد الشجاع

نعم ياملك الأرضين وربهما مثل جلالة الإله حور

إن أمراء الأرض قد أصبحوا فى وجل منك

. . . . .

. . . . .

وجنود الشردانا الذين حملتهم إلى بلادك بقوتك

يأسرون لك رجال الصحارى

ما أجمل ذهابك إلى طيبة

وعربتك الحربية مثقلة بالأيدى

ورؤساء القبائل يمشون أمامك مكبلين

وستقودهم إلى والدك المبجل **آمون ثور أمه**

ياقصر سيسى الذى تكرر فيه الأعياد

يا عرش تنن إنك تضئ مثل (تقب)

كآتوم

كمصباح والدك رع (٧٢) .

هذه نصوص البرديات الثلاث التى دمجها بروجش موجزة، ليأخذ عناصرها الأساسية لبحثه، وأهمها أن مدينة رعمسيس **كانت ميناء عظيما على بحـــر**، وكانت مقر عليه القوم وضيافة الملوك الأجانب، ومليئـــة بالخيرات، **وتقع بين مصر وفلسطين** وهـــو ما يعنى وقوعها على أطراف الدلتا الشرقية، **وأنها تتصل بقناة تمدها بالمياه العذبة**، وفى محيطها مجموعة بحيرات ومستنقعات.

ويتطابق وصف التوراة للمدينة بحسبانها ميناء يقع على بحر سوف مع النصوص المصـــرية التـــى أكدت من جانبها أنها كانت ميناء دوليا، وهى النتائج التى وصل لها المؤرخـــون مـــن دراســـة النصـــوص المصرية التى تتعلق برمسيس وتم إيجازها فى القـــول: "من خلال وصف مدينة بر رمسيس يمكنا أن نستنتج أن تلك العاصمة كانت تقع على أحد فروع النيل وأن **ثغرها كان يستقبل أسطول البلاد التجارى والحربـــى**، يرسو فيه ويبحر منه عند قيامه بالغزوات الحربية أو البعثات التجارية" (٧٣)

ويرى بروجش أن بناء مدينة بهذه المواصفات لا شك قد احتاج إلى عمالة ضخمة، وهـــو مـــا يـــراه بروجش شرحا يوافق ما ذكرته التوراة عن استعباد بنى إسرائيل فى بناء مدينتى فيثوم ورعمسيس.

ثم ينتقل بروجش إلى نتائج حفائر المصرولوجيست ماربيت فى خرائب مدينة صـــان الحجـــر، فـــى أقصى شمال شرقى الدلتا قرب بحيرة المنزلة، حيث عثر ماربيت على تمثالين للملك رعمسيس الثانى عليهما نقوش تؤكد أنه قد بنى مدينة باسمه، ويرى أن تلك المدينة هى صان الحجر، وأنهـــا هـــى المعروفـــة لـــدى اليونانيين باسم تانيس.

وقد حظيت صان الحجر بعدة حفائر على يد المصرولوجيست الشهير بيير مونتييه، ومن بعده على يد البعثة الفرنسية برئاسة جان بويوت من معهد آثار جامعة باريس. وقد تمكن مونتييه من اكتشـــاف مجموعـــة

(٧٢) نفسه: ج٢ ، ص ٢١٥ : ٢١٧ .

(٧٣) كامل: ١٠١ .

مقابر مشيدة فى صان الحجر من أحجار الجرانيت. كما تم التعرف على مقبرتين ملكيتين للملك بشنس الأول والملك شيشنق من الأسرة الليبية التى حكمت مصر، وهى الأسرة الثانية والعشرين .

ويرى بروجش أن صان الحجر هى تانيس هى مدينة صوعن المذكـورة بالتوراة، ثم يلجأ إلى نقش على جدار هيكل الكرنك عن مدينة رعمسيس يرجع إلى زمن ستى الأول أبو رعمسيس الثانى، حيث يمكـن رؤية جانبى المدينة مرفوعتين على شاطئ ومتصلتان بقنطرة، مع رسوم توضيحية زيادة فى الشرح، حيـث نرى على جهة من القنطرة تمساح ونباتات نيلية نهرية ليعرفنا الفنان أن المدينة تقع على أحد فروع النيـل، وعلى الجهة الأخرى رسم الفنان أسماكاً بحرية ليعلمنا أنها تقع من الجانب الآخر على بحـر مـالح ويـرى بروغش أن تلك المدينة قد اكتسبت أهميتها الخاصة لوقوعها على طرف بداية الطريـق الكبيـر الموصـل لفلسطين. ويقول إنه بجوار هذا الطريق كانت توجد بئر ذكرها الرومان باسم مجدولان، ويراه بروغش هـو مجدل المذكور بالتوراة عند موقع الخروج من البحر "أمام فم الحيروث بين **مجدل** والبحر أمام بعل صفون / خروج١٤/".

ويعتقد بروجش جازما أن مدينة رعمسيس هى صوعن هى صان الحجر هى تانيس الشـهيرة فـى التاريخ، وأنها كانت عاصمة مديرية من مديريات شرقى الدلتا أو عاصمتها جميعا، وأن اليونان أطلقوا عليها اسم (تراموس تانيسيس). ويرى أن جغرافيتها تجعل جزءاً كبيراً منها يقع على الشاطئ الشرقى لفرع نيلـى، وغربها يقع على بحيرة المنزلة، بينما تتماس حدودها الجنوبية مع إقليم آخر من مديريات شرقى الـدلتا هـو المعروف باسم (توكو) أو (توكوت)، وهو الذى أشارت إليه التوراة باسم (سكوت)، وأن المؤرخين اليونـان أسموا هذا الإقليم باسم (سيتوزيدس)، ويؤكد أن الآثار المكتشفة أسمت هذا الإقليم باسم بى توم وهو المـذكور فى التوراة باسم فيثوم.

ثم يدعم نظريته برسالة محررة على بردية بمتحف ليدن من كاتب حكومـى يدعى كويسرا / كويس رع إلى رئيسه بيكوبتاح زمن رمسيس الثانى يقول فيها محررها كويسرا :

> وقد أطعت الأمر الذى أصدره سيدى فأعطيـت قمحـا
> للعسكر **والإسرائيليين** الذين ينقلون الأحجار إلى حصن
> رمسيس العظيم، تحت ملاحظة إفمان رئيس الضـباط،
> وأعطيتهم القمح كل شهر طبقا للأمر الصادر إلىّ .

ومن هنا، وإزاء هذا النص الخطير الحاسم، يستنتج بروجش أن عاصمتى الإقليمـين: إقلـيم صـان الحجر وعاصمته رعمسيس أو تانيس، وإقليم سكوت وعاصمته بى توم أو فيثوم، كانا يتصلان ببعضهما عند جنوبى بحيرة المنزلة، وأن هناك أقيمـت حصون ظل بعضها موجوداً حتى بعد مرور عشرة قرون إلى زمن اليونان بمصر، حيث نسب المؤرخون اليونان بناء حصن مجدولان للفرعون الشهير سيزوستريس الذى يرى بروغش أنه رمسيس الثانى تحديداً. وقد تأكد من وجود ذلك الحصن (مجدل) من وثيقة تعود لزمن مرنبتـاح

ابن رمسيس الثانى وكان يحمل اسم حصن مرنبتاح، والرسالة محررة على بردية بالمتحف البريطانى ويقول نصها:

> كن مسرور الخاطر ياسيدى، فإن **قبائل بدو آدوم** قد مروا بحرية تامة من **حصن الفرعون مرنبتاح** الذى فى **إقليم سوكوت** بالقرب من برك **مدينة بيثوم** التابعة للملك مرنبتاح الموجودة فى أرض سوكوت. وقد صرف لهم ولدوا بهم الزاد، الذى هو أرزاق فرعون شمس العالم .

ويعود بروجش إلى اسم المقاطعة التى سكنها الإسرائيليون بمصر وجاءت باسم جاسان فى التوراة محاولا العثور عليه على خريطة الدلتا الحالية، فيقول إنه الإقليم الذى أطلق عليه اليونان اسم الإقليم العربى ويسمى اليوم الصهرجية (بحثنا من جانبنا فلم نجد أية صهرجية، لكن ربما كان بروجش يقصد صهرجت الكبرى وصهرجت الصغرى إلى الجنوب من الموضع الذى يتحدث عنه وليس عند صان / المؤلف). وكانت عاصمة هذا الإقليم تلك المدينة التى أسماها اليونان (فاقوسة) وهى الآن صفط الحنة بجوار الزقازيق وبسطة. وقد تم العثور على آثار فى صفط الحنة تشير إلى أنها كانت فى إقليم ترجم اسمه (جوسيم)، ويرى أن المؤرخين قد خلطوا بين اسم (جوسيم) أو فاقوسة الموجودة فى صهرجت وبين اسم مدينة رعمسيس التى هى عنده صان الحجر. أما جوسيم فقد صارت فاقوسة بعد ذلك بإضافة حرف (فا) أو (با) أو (بى) المصرية المعتادة لأسماء البلدان مثل (بى رعمسيس) ومثل (بى) التى أضيفت إلى توم فأصبحت (فيثوم)، وعليه أصبحت جوسيم (فاجوسيم) التى نطقت (فاقوسه) التى هى جاسان التوراتية .

ويرى بروغش أن القوم الذين ذكرتهم المدونات المصرية باسم الخالو وكانوا يستقرون هناك، هم بعض الساميين الفينيقيين الذين سكنوا جاسان كجالية أجنبية، وأنهم وراء إطلاق التسميات السامية على مواضع تلك المناطق المصرية، لأن مجدل كلمة عبرية تعنى حصن أو قلعة، وسكوت كلمة عبرية تعنى المخيم أو العشش أو المظلات، وصان هى التى كتبتها التوراة صوعن.

ويسير بروجش مع الخارجين من رعمسيس، فيتبع الطريق الفرعونى الكبير (طريق حورس الحربى)، وأنه قد خرج معهم لفيف كثير حسب التوراة هم عنده الفينيقيين / الخالوا، وأنهم استراحوا فى أول محطة هى سكوت فى إقليم بى توم، ومن هناك اتجهوا شرقا نحو صحراء أسمتها التوراة إيتام، لكنهم عادوا لتجنب الطريق الكبير المعروف، ليس لأنهم كانوا يخشون حربا كما قالت التوراة، إنما لأن موسى كان يعلم بمعاهدة السلام التاريخية التى ربطت مصر بمملكة الحيثيين زمن رمسيس الثانى، والتى تنص على إعادة الرعايا الهاربين من أحد المملكتين إلى الأخرى، ومن جانبنا رأينا إيراد ذلك البند من بنود الاتفاقية.

المعروف أن حربا طاحنة قد جرت بين مصر وتركيا، قادها رمسيس الثانى ضد حاتوشيليش الثالث ملك خيتا (بلاد الحيثيين) لوقف اعتدائه على أملاك مصر فى آسيا، وكان ذلك فى السنة الحادية والعشرين من حكم رمسيس الثانى. وانتهت المعارك بمعاهدة سلام هى الأولى من نوعها، دونت بنودها على لوح فضى وضع عند قدمى الإله رع وتم العثور عليه بمصر، بينما حمل الوفد الحيثى النسخة المدونة بالحيثية على لوح فضى وتم وضعها عند قدمى إله العاصفة الحيثى تيشوب، وقد عُثر عليها بدورها.

وتقول فقرة بالمعاهدة فى نصها الحيثى

> هذه كلمات رعمسيس الثانى ملك أرض مصر العظيم قاهر جميع البلدان، ابن منمورا (اسم العرش لأبيه ستى الأول) الملك العظيم، ملك مصر القاهر .. قالها إلى حاتوشيليش الملك العظيم، ملك بلاد الحيثيين الشجاع ابن مورشيليش الملك العظيم ملك بلاد حاتى .. بالنسبة لنا فإننا إخوة والسلام بيننا قد عقد وسيكون خيراً من الأخوة

أما البند الذى يقصده (بروجش) فقد جاء مدونا بالوثيقة المصرية يقول :

> إذا هرب نبيل من بلاد الحيثيين وجاء إلى رعمسيس العظيم إلى بلاد مصر كى يدخل فى خدماته، سواء كان رجلاً
> أم مدينة، فإن ملك مصر سيلقى القبض عليهم ويرجعهم إلى ملك الحيثيين. وإذا هرب نبيل من رعمسيس ملك أرض مصر وأتى إلى بلاد الحيثيين فإن حاتوشيليش ملك بلاد الحيثيين سيلقى القبض عليه، ويرجعه إلى رعمسيس الملك العظيم ملك مصر، أخيه [٧٤].

وعليه فإن بروجش يرى أن موسى كان على علم ببنود تبادل المارقين الواردة بتلك المعاهدة الدولية، لذلك فضل سلوك السبل غير المطروقة فى سيناء، فعاد برجاله إلى مجدولان، ويرى أنها كانت تقع بين (الفرما / بيلوز) وبين سيله قرب القنطرة، أما بحر سوف الذى عبروه فلابد أن يكون سهل الطينة جنوبى خليج الطينة وشرقى بحيرة المنزلة، فتبعهم المصريون لكن ليغرقهم مد البحيرة العالى.

---

(٧٤) سامى سعيد: الرعامسة الثلاثة الأوائل، دار الشئون الثقافية، بغداد، ١٩٨٨، .. ص ٥٦ ، ٥٩ .

ويستشهد بروجش على صدق نظريته بخطورة المد فى تلك المنطقة ومفاجآته الكارثية لأكثر من مرة معلومة بالتاريخ، منها المرة التى ذكرها سترابون عندما ساح فى مصر خلال القرن الأول قبل الميلاد، وقال فيها:

> وقد حدث فى مدة إقـامتى بالإسـكندرية مـد وجـذر عظيمين فى مدينة بى لوز قرب جبل كاسيوس، فأغرق الماء تلك الجبال حتى صار الجبل كأنه جزيرة، وكانت السفن تجرى على الطريق المجاور الذى كان يمتد إلى فلسـطين حيـث غطاه الماء .

ويستشهد بشهادة أخرى من ديودور الصقلى فى معرض حديثه عن حملة ارتكزكثيس ملـك الفـرس على مصر، عندما وقع فى شراك تلك المنطقة الجهنمية مع رجاله، عندما وصل زحفه إلـى البركـة التـى تجاور سهل الطينة حيث منطقة المهالك، وهناك فقد جانبا كبيراً من جيشه فى هذا المكان بالتحديد. (٧٥)

رأي بيير مونتييه :

ومن بين النظريات الهامة التى اهتمت بحدث الخروج الإسرائيلى وعلاقـة التوراة بمصـر القديمـة نظرية المصرولوجيست بيير مونتييه التى طرحها فى كتابه مصر والتوراة، وتعد بـدورها مـن النظريـات المشهورة والمعتبرة بين الباحثين ولم تزل صامدة حتى الآن، ونوجز لها هنا ملخصا سريعاً يبدأ مع دخـول يعقوب وأبنائه إلى مصر زمن ولاية يوسف الخزانة المصرية، حسب رواية التوراة، وأنهـم سـكنوا أرض جاسان التى يجب أن تتموضع شرقى الدلتا لاعتبارات ساقها مونتييه، أبرزها **أن يوسف حسب التـوراة قـد عاش فى عاصمة البلاد قرب الفرعون**. وأن يوسف عندما علم بوصول أبيه حدود مصر أسرع فركب عربته العسكرية وتوجه للقاء أهله، ثم عاد ليخبر الفرعون. وأن ذلك حسب التوراة السبعونية **قـد اسـتغرق يومـاً واحداً**.ثم نعلم أن يوسف استسمح الفرعون لإسكان أهله بأرض جاسان ومن المحال أن تكون جاسان فى طيبة جنوبا أو حتى فى منف لأن الراكب منها إلى حدود الدلتا الشرقية يحتاج أياما للوصول وليس يوما واحداً.

هذا بالإضافة إلى إفادات ماسبيرو عن المواصلات فى مصر القديمة التى كانت تعتمد على الإبحـار فى النيل وقنواته العديدة، لذلك كان لابد أن تستخدم العجلات فى مناطق تسمح بها على الأطراف بعيداً عـن الأنهار والقنوات، وهو شرقى الدلتا حيث الصحارى الممتدة المتصلة بسيناء، وعليه لابد أن تقع جاسان هناك .

(٧٥) اقتبسها غطاس عبد الملك الخشبةفي: رحلة بني إسرائيل إلى مصر الفرعونية والخـروج دار الهـلال، القـاهرة، ١٩٩٠ ..ص ٢٢٨ : ٢٤٨ .

ويرى مونتييه أن جاسان كانت المقاطعة الهكسوسية التى كانت تقـع فيهـا عاصـمتهم المصـرية حواريس، ولا يشك مونتييه أنها هى مدينة صان الحجر الحالية. ويؤكد لمونتييه أن يعقـوب وأولاده دخلـوا مصر زمن الهكسوس، أنها كانت الفترة الزمنية الوحيدة التى تسمح بذلك حيث كانت عاصمة الهكسوس تقـع شمال البلاد المصرية قرب الحدود السينائية، ولأن عاصمة مصر قد عادت بعد التحرير إلى مقرهـا القـديم العريق فى طيبة (الأقصر) بأقصى الجنوب.

ثم يسير مونتييه مع الخارجين ليدقق موقع العبور البحرى الإعجازى ويعقلنه، فيراهم ينطلقون مـن حواريس أو رعمسيس اللتين هما عنده مدينة واحدة هى حاليا صان الحجر، ليسيروا بمحاذاة شاطئ بحيـرة المنزلة يريدون الطريق الحربى الكبير المعروف بطريق حورس، لكنهم يخشـون الاصـطدام بالتحصـينات المصرية القوية على الحدود وهو الذى أطلقت عليه التوراة خطأ "خشية حرب مع الفلسطينيين" لأن فلسطين كانت بعيدة تماما، وهو ما اضطر موسى ورجاله إلى تغيير خط سيرهم من الاتجاه شرقا إلى الاتجاه جنوبا.

وللعثور على النقطة المفصلية وهى عبور البحر يقف مع المحطة التى ذكرتها التـوراة باسـم بعـل صافون، حيث عبروا عند إحداثيات حددتها التوراة بأنها " أمام فم الحيروث بين مجدل والبحـر أمـام **بعـل صفون**". فيرى أن (بعل صافون) كانت فيما يبدو معبداً للإله الكنعانى الذى يحمل ذلك الاسم، وتعنـى (رب الشمال). ويعلمنا أن اليونان كانوا يدمجون **بين بعل صفون وبين الرب اليونانى زيوس كاسيوس**، وقد لاحظ أن اليونان قد أطلقوا اسم زيوس كاسيوس فى زمنهم بأرض مصر على منطقة الكسـارون الحاليـة بجـوار الفرما / بى لوز على شاطئ البحر المتوسط بسيناء، وبذلك تكون هذه النقطة هى بعـل صـافون المـذكور بالتوراة وأن المعبد لاشك كان يقوم هناك، على الشريط الساحلى الممتد أقصى شمال سيناء.

ويصر مونتييه على متابعة التوراة ويصدق قصة غرق أكبر جيش فى العالم آنـذاك إبـان مطـاردة الخارجين، ويجد لها تبريرات جغرافية حيث تقع بحيرة البردويل / سيربونيس على الشاطئ السـينائى علـى البحر المتوسط فى بقعة منخفضة عن سطـح البحر بعدة أمتار، وعادة ما تجف مياهها ويمكن عبورها دون خطر، لكن ذلك لم يمنع أحيانا من مفاجآت مهلكة للعابرين نتيجة الهبوب المفاجئ وغير المتوقـع لعواصـف شمالية قادمة من البحر المتوسط، وعادة ما ذكر المؤرخون أحداثا مأساوية حدثت للعـابرين علـى الشـريط الضيق بين البحر والبحيرة، أو خلال البحيرة إبان جفافها.

ويرسم مونتييه صورة تأملية للحدث الأكبرفنشاهد معه الإسرائيليين يسيرون فى طابور طويل علـى الشريط الضيق بين البحر والبحيرة متجهين إلى الطرف الآخر نحو العريش، فى الوقت الـذى بـدأت فيـه مطاردة الجيش المصرى للإسرائيليين، وفضل المصريون عبور البحيرة إبان جفافها ليقطعوا الطريق علـى الخارجين، لكنهم ما أن وصلوا وسط وعمق هذا الدن الهائل حتى هبت الأعاصير العاتية قادمة من المتوسـط بأمـواج هائلة ملأت البحيرة الفارغة وأغرقت من فيها. وكان عرض البحيرة حوالى عشرين كيلـو متـرا

وطولها سبعين كيلوا متراً مما لم يعط الفرصة لمن فى وسطها بالوصول إلى أحد شواطئها فلاقى المصريون جميعاً حتفهم. (٧٦)

ويذهب مونتييه مع النظرية التى تقول بالاستعباد زمن رمسيس الثانى والخروج زمن مرنبتاح. وإزاء إشكالية وجوب وجود بركان فى طريق الخروج يفسر أحداث سيناء، مع عدم وجود أثر لأية براكين بسيناء حسب تقرير علما الحملة الفرنسية كوتل وروزيير، ومع إصرار مونتييه على تفسير الأحداث التى روتها التوراة بضرورة وجود بركان، فقد ذهب بالخارجين بعد خروجهم من مضيق الشريط الساحلى شمال البردويل نحو العقبة داخل الأراضى الشمالية للسعودية الآن، ليتمكن من العثور على بركان حيث كانت المنطقة هناك بركانية بالفعل حتى زمن قريب.

رأي على شافعى

وتعد هذه النظرية من النظريات المحترمة الجديرة بالاهتمام وبالاعتبار فى محاولة رسم سيناريو لخط سير الخروج من رعمسيس إلى سيناء بعبور البحر الإعجازى، مع عقلنة ذلك العبور بعيداً عن أسطورة العصا الثعبانية. ومبدئيا يأخذ شافعى بدوره بنظرية الخروج زمن مرنبتاح، ثم يسلم بكشوف محمود حمزة فى حفائر مدينة قنتير الواقعة شمالى فاقوس، ويعتبر قنتير هى رعمسيس بشكل قاطع.

ويستند إلى ما وصل إليه جوتييه حول مدينة رعمسيس باعتبارها كانت المقر الصيفى لملوك الأسرتين التاسعة عشرة والعشرين، تحاشيا لرده بأن مقر الملك كان طيبة فى الجنوب. ويروى لنا قصة عن راهبة تدعى (إيثيريا) تركت لنا حكاية أدائها لفريضة الحج بالأماكن المقدسة، وأن رحلتها بدأت من جاليا نربونيس Gallia Narbunis ودونت خط سيرها حوالى عام ٥٣٣ / ٥٤٠ ميلادية، وهى مودعة الآن فى مكتبة أرزو. ومن خط سير تلك الرحلة يحاول شافعى أن يتعرف على مواقع الإسرائيليين بمصر ومن أين خرجوا؟

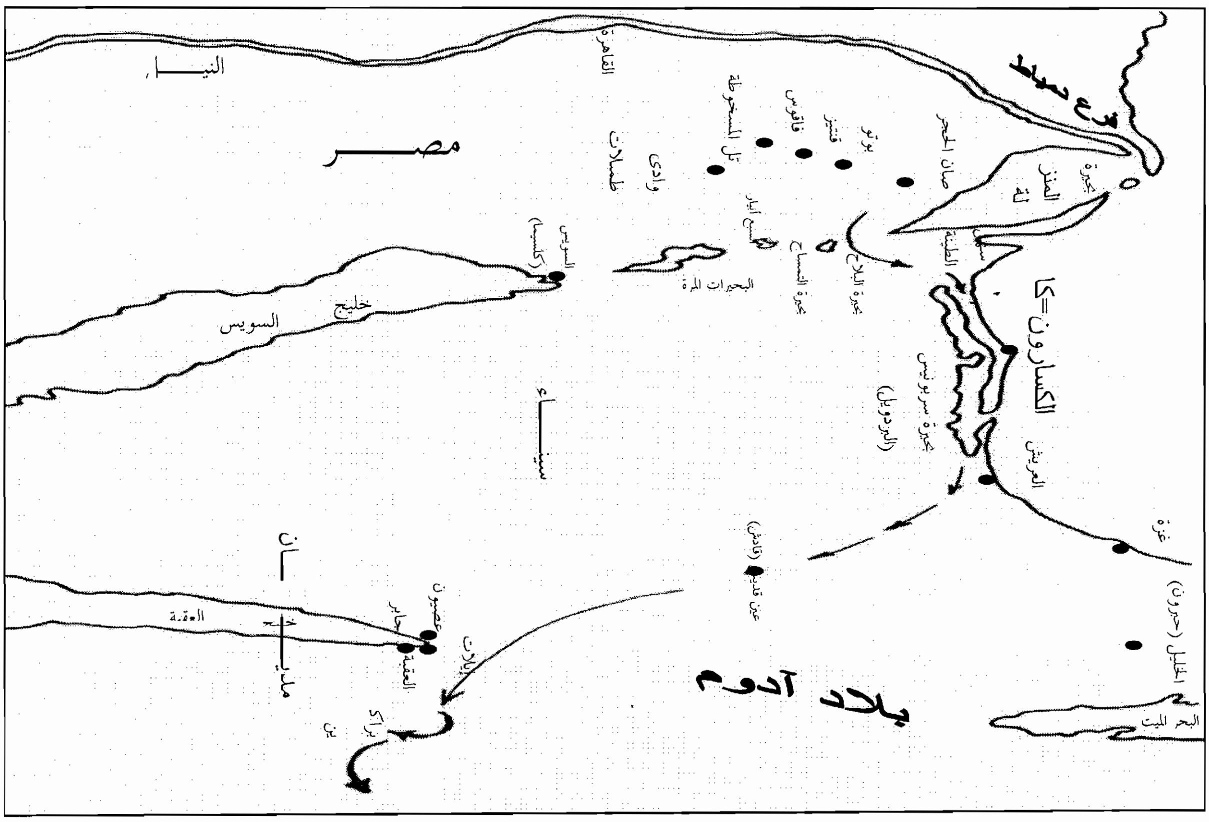
تقول الراهبة إيثيريا إن بلدة **رعمسيس تقع على مبعدة أربعة أميال من مدينة كانت تعرف فى زمنها باسم أرابيا**. ويرجع شافعى إلى المصور الجغرافى الذى وضعه الأمير عمر طوسون نقلا عن وصف جورج القبرصى الذى عاش فى القرن السابع الميلادى، فيكتشف أن رعمسيس كما جاءت فى قائمة المقاطعات المحفوظة بأكسفورد هى فاقوسة، لكنه لا يرى فاقوسة هى صفط الحنة كما هو متفق عليه لدى المؤرخين الكلاسيك، بل هي فاقوس الآن جنوبى قنتير بحوالى عشرة كيلو مترات، وهى ما تطابق الاسم فاقوسة تماما. وعلى نفس البعد من فاقوس توجد آثار تل الضبعة ومعبد أمنمحات الأول على يمين ويسار ترعة الديدمون، ويرى أن تلك الخرائب هى امتداد للخرائب الشاسعة التى حدثتنا عنها الراهبة إيثيريا فى قصة حجها.

---

(٧٦) كاسيدوفسكى (زينون): الواقع والأسطورة في التوراة ترجمة حسان ميخائيل، أبجدية للنشر، دمشق،١٩٩٠ .. ص ٨٠ ، ١١٥ ، ١١٦ .

تقول إيثيريا إنها عبرت **من بلدة أرابيا إلى مدينة رعمسيس لمسافة أربعــة أميال** خلال حقول حتى وصلت رعمسيس وكانت بدورها حقول دون أية مبان، لكن المنطقة كانت مفروشة بأحجــار وآثــار مبــان متهدمة، فقط شاهدت أثراً كان باقيا حتى زمانها لتمثالين ضخمين ربما كان لأحد الفراعين، لكن الناس كانوا يزعمون زمن إيثريا من سكان المنطقة أنهما للأخوين موسى وهارون، مما يعبر عن ذكريات قديمة تواترت حتى وصلتهم، وتؤكد صلة الإسرائيليين بهذه المنطقة من مصر، وعليه فلابد ــ عند شــافعى ــ أن تكــون رعمسيس هى قنتير التى كشف آثارها محمود حمزة.

ومع رحلة الخروج يسير شافعى باحثا عن موضع يمكن أن يكون هو اســتراحة المحطــة الأولــى للخارجين المذكور فى التوراة باسم (سكوت)، فيبحث فى المناطق المجــاورة لقنتيــر ويــرى أن الموضــع المناسب لمدينة سكوت هو الصالحية الحالية التى تبعد حوالى عشرين كيلو مترا إلى الشرق من قنتير. وهــى مسافة مناسبة للرحلة تستوجب الراحة بعدها. لكن معنى ذلك أن يعبر الخارجون عدداً من قنوات النيل بــين قنتير والصالحية وهو مالم تذكره التوراة، ولتبرير ذلك يقول إن وقت خروجهم كان النيل فى أدنى منسوب له حيث تتحول كثير من القنوات إلى حياض جافة، ومن ثم لم يكن هناك داع لكى تذكر التوراة عبور منــاطق جافة. ومن جانب آخر عمد شافعى إلى الصالحية بحسبانها سكوت المذكورة بالتوراة اعتمــاداً علــى ورقــة أنستاسى التى تعود إلى الأسرة التاسعــة عشر وتصف سكوت بأنها متاخمة للحدود ويسكنها أجانب وبها قلعة باسم (ختم) سكوت يحتمل أنها مجدل التوراة، بينما كان الرعامسة يسكنون على بعد خمسة وعشــرين كيلــو متراً شمال غربى سكوت / الصالحية بمدينة قنتير / رعمسيس .



الخريطة رقم (٥)
خط الخروج حسب مونتييه



الخريطة رقم (٦)
خط الخروج حسب بيير مونتييه من الشريط اليابس الضيق شمالي بحيرة البردويل / صورة بالأقمار الصناعية للشريط اليابس والبحيرة

ومع شافعى نسير على خط السير بحذاء الشاطئ الأيمن لفرع النيل الشرقى، لنجده يعتمد وثيقة أخرى من أوراق أنستاسى، وهى وثيقة تتحدث عن مطاردة عبيد هاربين تقول الوثيقة:

> وبعد، فقد أُرسلت من بلاط القصر الملكى وراء هذين العبدين، فى اليوم التاسع عشر من الشهر الثالث من فصل الصيف وقت المساء. ولما وصلت حصن سكوت فى اليوم العشرين من الشهر الثالث، علمت أن أخبار الجنوب تقول: فرا ذاهبين .. اليوم .. من الشهر الثالث من فصل الصيف. ولما وصلت القلعة أُخبرت أن السائس قد حضر من الصحراء وأعلن أنهما تخطيا الحدود شمالى حصن **مجدول** سيتى.

ولما لم يكن هناك قصوراً ملكية – برأى شافعى – فى هذه المنطقة سوى فى قنتير، فإن سكوت يجب ألا تبعد سوى مسيرة يوم و احد حسب الوثيقة المذكورة (من اليوم التاسع عشر إلى اليوم العشرين من الشهر الثالث) عن قنتير باتجاه سيناء .

أما الطريق الذى سلكوه على وجه التدقيق، فهو الممتد وراء دفنة (تل دفنه الآن) ثم الفرما (بى لوز)، وكان هناك فرع نيلى يأخذ ماءه من عند دفنه ليصل إلى تل أبو سيفا، ويفترض شافعى أن هذا التل هو محل القلعة التى حدثتنا عنها النصوص المصرية كثيراً وحددت مكانها أقصى الحدود الشرقية للدلتا، وأسمتها سيلة أو ثارو أو زالو أو شور .. وفى هذه الحال يجب أن تقع مجدل شرقى سيله على أول الطريق نحو فلسطين. وكان فرع النيل الذى ينتهى إلى سيله / أبو سيفا هو ما ذكرته النصوص المصـرية باسم مـاء حـور أو بالمصرية القديمة سى حور، أما الفرع الأصلى الذى يتفرع منه سى حور فكان يسمى ماء رع أو سى رع .

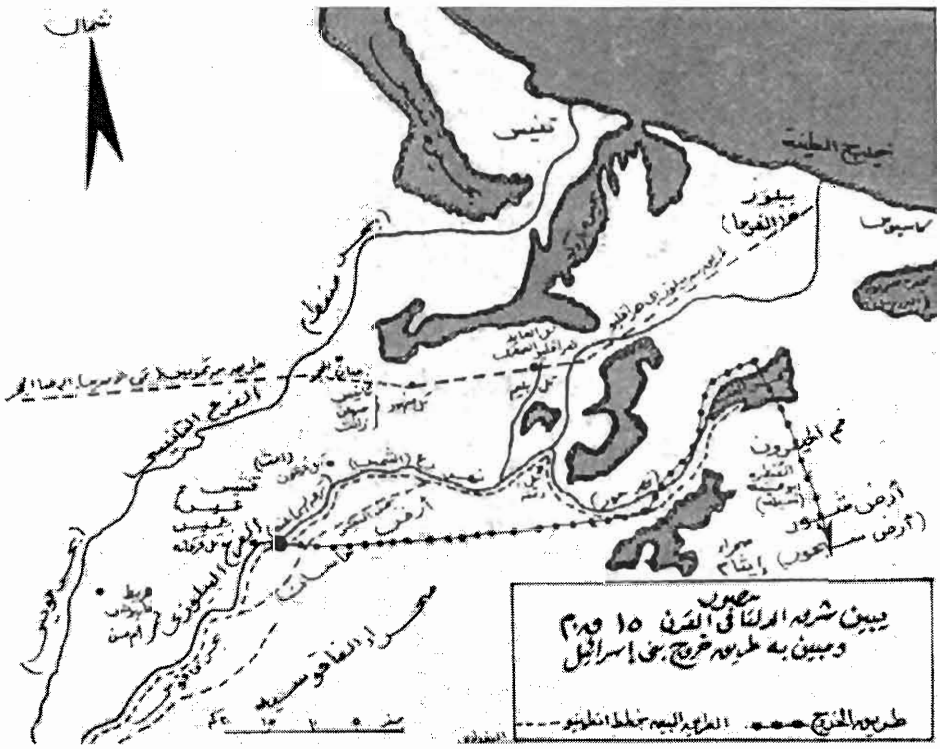
ولتفسير العبور من عند (فم الحيروث) يقول على شافعى: إن حور كان الإله المحلى لمدينة سـيلة / ثارو / أبو سيفا الواقعة بين بحيرة البلاح وبحيرة المنزلة، وكان الملح يستخرج من جنـوب شـرقى بحيـرة المنزلة حيث كان يصب الفرع النيل دون منفذ على البحر فملح الماء فى هذه المنطقة، وهذا هو الملح الـذى كان يتحدث عنه الكاتب بينبس فى تقريره لسيده آمنموبى – وهو الموضع الذى رسمه علـى شـافعى علـى خريطته مع التعقيب: "يمكن ملؤه بالماء إذا احتاج الأمر". وهو المكان أو المصب لمـاء حـور وتترجمـه اليونانية (فم حور)، وهو بالضبط يساوى فم الحيروث المذكور بالتوراة كموضع لعبور البحر الإعجازى.

والبحر الذى عبروه ذكرته التوراة باسم بحر سوف، وكلمة سوف كلمة عبرية تعنى البـوص وهـو نبات لا ينمو إلا بالماء الضحل ومصبات الترع والمصارف العذبة فى ماء مالح، وقد ذكر الكاتب بينـبس أن رعمسيس كانت تأخذ حاجتها من البوص من ماء حور الذى لابد أن يكون هو بحيرة ماء حـور، وأن تلـك المنطقة بالتحديد هى بحر سوف.

ويبحث عن موقع مجدل، ويستند إلى وثيقة مذكرات أنتونين التى وضعته فى مكان ما بين سـيرابيوم عند رأس البحيرات المرة وبين الفرما / بيلوز، وإلى المصرولوجيست بترى الذى احتسب تل الحير الحـالى جنوبى الفرما هو مجدل التوراة، كما أن العرب قد بنوا فى تل الحير قلعة لا شك أنها كانت تجديـداً لمجـدل التوراتية .

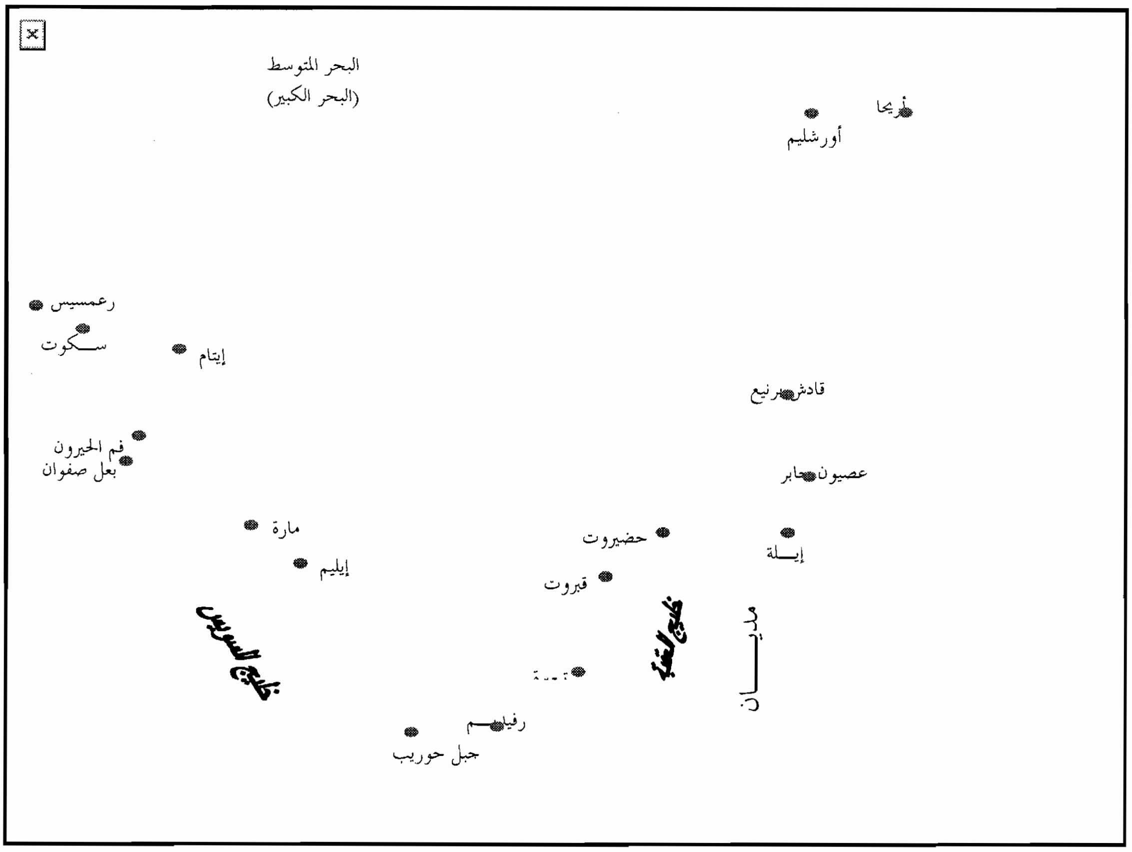
ويبقى موضع بعل صافون المقابل لموقع العبور من فم الحيروث على شاطئ بحر سوف، فيسـتعين على شافعى بما كتبه الأثرى نويل جيرون عن ورقتين اكتشفتا فى سقارة عـام ١٩٤٠، واحـدة ديموطيقيـة والأخرى فينيقية. وأكدت إشارات الورقة الديموطيقية أنها معاصرة للفينيقية، وأنهما كتبتـا خـلال القـرن الخامس قبل الميلاد. ومضمون الورقة الديموطيقية تضرعات من شخص للإله "بعل صـافون وكـل آلهـة دافنى" أى تل دفنه، مما يعنى أن بعل صافون كان الإله الرئيسى فى تل دفنه، وقد عقب جيرون بـالقول: إذا قبلنا اعتبار مجدل هى تل الحير، فإن بعل صافون يجب أن يكون هو إله هذه المنطقة الرئيسى.

ويخلص على شافعى إلى وضع خريطة لتفاصيل مواضع الخروج، فموسى يجد نفسه هو وأتباعه فى مأزق شديد الوعورة، فبحيرة البوص عن يمينه (بحر سوف) وحصن مجدل أمامه بالحامية المصرية القوية تسد عليه الطريق إلى فلسطين، بينما تحصره من اليسار مستنقعات نهاية الفرع البيلوزى للنيل، وخلفه الفرعون على رأس الجيش المصرى. وفى هذه اللحظة الحاسمة تقول التوراة إن الله أرسل ريحا شرقية قوية جففت بحر سوف. ويقول شافعى إن تلك الظاهرة تتكرر هناك حتى الآن، حيث لم يزل منسوب ماء بحيرتى المنزلة والبرلس وهما من البحيرات الكبرى يتأثر تماما بالرياح، حتى أن الماء يغطى الطريق من بلطيم حتى برج البرلس عندما تهب الرياح الغربية، بينما يجف تماما عندما تهب الرياح الشرقية. لكن الذى لاريب فيه عند شافعى أنه لم يغرق أحد لا الفرعون ولا جنوده، لأنه لا يمكن تصور الغرق فى ماء ضحضاح لا يزيد ارتفاعه مهما ارتفع عن قدمين. (٧٧)



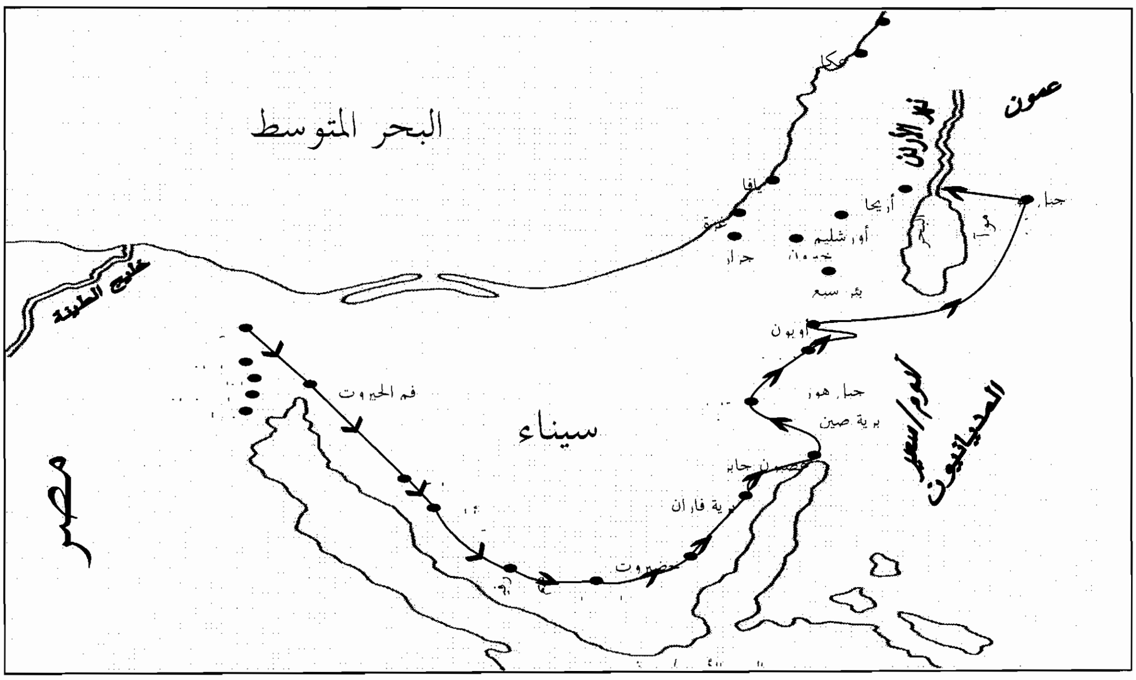
الخريطة رقم (٧)
الخروج عند على شافعى

(٧٧) Balltin,de la Societe royale de geographie d'Egypte, Tom xx١, ٣٣١, ff,
Historical notes on the pelusiac branch, The Red Sea Conal and the Reteeif The Exodus
انظر أيضاً سليم حسن: مصر القديمة .. سبق ذكره، ج٧، ص ١١٧ .

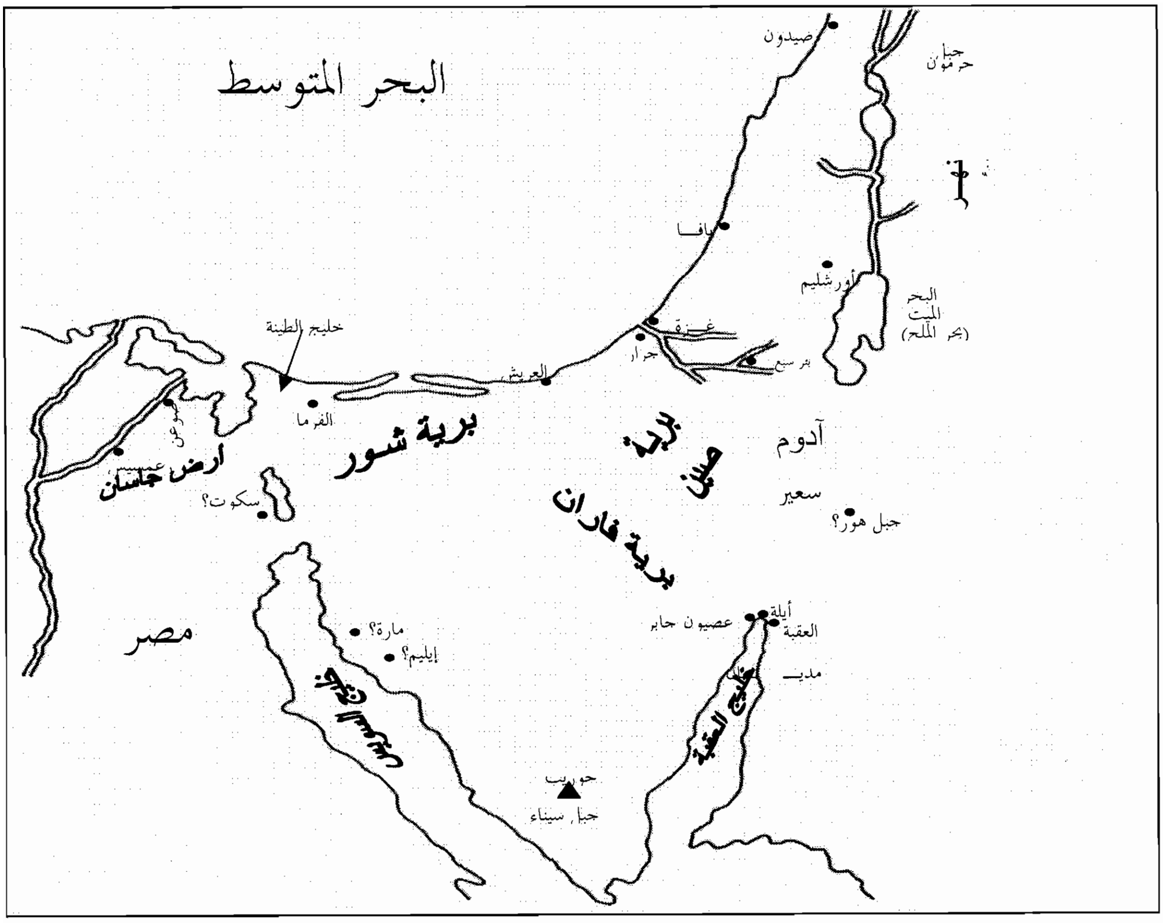


الخريطة رقم (٨)

خريطة اعتباطية للخروج توزعها الكنيسة الأرثوذكسية المصرية



الخريطة رقم (٩)



خريطة رقم (١٠)

واعتباط آخر مرفق بالكتاب المقدسأعاد المؤلف رسمه، وعلامات الاستفهام بالخريطة دلالة شك وليست من عندنا وإنما وضعت بأصل الخريطة

الجزء الثاني

إعادة ترتيب أحداث التاريخ

لغز بلاد بونت

يتكررذكر بلاد (**بونت**)  أو(أرض الإله) فى النصوص المصرية القديمة بشكل متواتر، كما فى نصوص أمنمحات الأول مؤسس الأسرة الثانية عشرة بالدولة الوسطى الذى حكم حوالى ٢٠٠٠ – ١٩٧٠ ق.م حيث يذكر أنه أرسل ثلاثة آلاف جندى برئاسة القائد (حنو)، لإحضار المر (البخور) من بلاد بونت، وإحضار **الأحجار** من هناك [١] .

وقد تكرر ذلك فى عهد (امنمحات الثانى ١٩٣٨ – ١٩٠٣ ق.م) حيث أكدت لوحة نصر تخصه " أن جلالة الفرعون قد قام بتوطيد سلطانه، فى أرض الإله فى بونت [٢] "، كما وصلت إلينا قصائد غزلية مصرية قديمة، منها قصيدة رائعة فى ست مقاطع، تتضمن مجموعة من بلاغيات التشبيه الجمالية، تليق بمفاهيم الجمال فى ذلك الزمان، **حيث نجد الحبيب يشبه حبيبته بجواد الفرعون، الذى تم اختياره من بين ألف حصان أصيل، كما يشبهها بالطيور المهاجرة إلى مصر، قادمة من بلاد (بونت).** [٣] لذلك سجل الفرعون المقاتل (رمسيس الثالث) الذى حكم حوالى ١١٨٢ – ١١٥١ ق.م، خلال الأسرة العشرين، أنه قد أرسل سفنه فى حملة **بحرية وبرية** إلى أرض الإله، المعروفة لدى المصريين باسم بلاد (بونت) لإحضار المر لمحرقات الإله [٤] .

أما أشهر الرحلات المصرية إلى بلاد (بونت / أرض الإلــه)، على الأطلاق، فقد كانت حملة الجيوش المصرية السلمية إلى (بونت) زمن الفرعونة (حتشبسوت) التى حكمت حوالى ١٤٩٠ – ١٤٦٨ ق.م خلال الأسرة الثامنة عشرة من الدولة الحديثة، المعروفة بدولة الإمبراطورية. وهى الرحلة التى سجلت تفاصيلها على جدران معبد روعة الروائع، المقام بالدير البحرى بالأقصر، والذى أمرت الفرعونة ببنائه خصيصاً، لتسجل عليه تقريرين بأهم حدثين فى حياة الفرعونة: وكان الحدث الأول هو اصطفاء الإله (آمون) رب الدولة المركزية المصرية لها، لتكون حاكما مطلقا للبلاد، أما الحدث الثانى فكان رحلتها السلمية إلى أرض الإله، بلاد (بونت) .

وقد تم تدوين أمر تلك الرحلة الكبرى بكثير من التفاصيل الدقيقة، مما سمح للمؤرخين بوضع مجموعة فروض لتحديد أين تقع بلاد (بونت)؟ فى ضوء تلك التفصيلات، ومع ذلك، فقد جاءت هذه الفروض شديدة التباعد عميقة التنافر. فهناك من افترض أنها تقع فى قارة أفريقيا، استنادا إلى ما جاء ذكره مكتوبا أو مرسوما بالنقش عن منتجات بلاد (بونت) خاصة الحيوانات التى تشى بأفريقية واضحة. ولما كانت الرحلة قد

(١) آلن جاردنر: مصر الفراعنة، سبق ذكره . .، ص ١٤٥ .

(٢) نفسه: ص ١٥٩ .

(٣) سامى سعيد الأحمد: الرعامسة، سبق ذكره.

(٤) نفسه: ص ١٦١ .

خرجت من العاصمة طيبة / مدينة الأقصر، واتجهت إلى قفط شمالا منها مباشرة، ومنها أخذت طريقها بريا عبر الصحراء الشرقية حتى ميناء القصير على ساحل البحر الأحمر، ومن هناك انطلقت السفن إلى بلاد (بونت)، فقد ذهب الفرض إلى أن الرحلة قد أبحرت فى البحر الأحمر جنوبا إلى بلاد الصومال أو ربما أثيوبيا، وهو ما سنرى نموذجه عند المصرولوجيست جاردنر وآخرين.

وقد ارتسم هذا الفريق الخطوط الرئيسية التى وضعها المصرولوجست (ماريت / Mariette)، صاحب الفضل الأول فى كشف لوحات بونت على جدران معبد روعة الروائع بالدير البحرى عام ١٨٧٧م، حيث أكد (ماريت) أن الرسوم جميعا تشير إلى أن بلاد بونت تقع على الساحل الإفريقى الشرقى شمالى الصومال، وقد اعتمد فى ذلك على تحليل نقوش رحلة حتشبسوت، من حيث شكل المساكن، وصفات الملكة التى تشير ملامحها إلى عنصرها الأفريقى، وتحليها بخلاخيل المعدن أسفل السيقان وهى عادة إفريقية مستمرة حتى الآن، إضافة إلى علامة لا تجعل بونت خارج إفريقيا على الإطلاق، وهى وجود حيوان الزراف ضمن منتجات بونت، والزراف حيوان أفريقى قح، مع أشجار البخور وهى أشجار تنمو على ساحل الصومال حتى الآن [٥].

ورغم تركز معظم الفروض على الساحل الإفريقى الشرقى، فقد أعمق بعضها داخل القارة، مثل (هيرتسوج / Herzog) الذى أكد وقوع بونت فى المنطقة الحدودية الواقعة بين السودان والحبشة الآن، وبين النيلين الأزرق والأبيض، وأن رحلة حتشبسوت وصلت هناك بالإبحار فى النيل وليس بالإبحار فى البحر الأحمر[٦] . وقد رد عليه (كيتشن Kitchen) مؤكداً أن بونت هى المنطقة الممتدة من بور سودان حتى شمالى أريتريا على الساحل الصومالى [٧] وحول ذات الجهات ذهب (كرال / Krall) الذى وضع بونت فى المنطقة الممتدة من سواكن وحتى مصوع، باعتبارها مناطق منتجة للصمغ العربى، وهو ماكان يستخدم كبخور مثل المر [٨]، وضمن هذا الفريق يأتى عبد المنعم عبد الحليم الذى يرى أن بونت بلا جدال هى الساحل الصومالى تحديداً [٩].

ولم يزل الخلاف قائما حول النخيل المرسوم فى لوحات حتشبسوت هل كان نخيل أشجار الدوم كما ذهب هيرتسوج وكتشن، أم هو نخيل البلح كما يعتقد (عبد المنعم عبد الحليم)؟.

---

(٥)ariette. A, Deir el Bahri, Leipzig, ١٩٧٧ p. ٨٢-٦٣ .

(٦)Herzog, PUNT in Abhand Lungen des Deutschen Archiologischen in Stitutes Kairo ٦, ١٩٦٨ p. ٢٩ .

(٧) Kitchen, Punt and How to out there in Orientalia ٤٠, ١٩٧١, P. ١٨٨ .

(٨) Krall, studien zur Gesehichte des Alten Aegyptien IV “Das Land punit wien, ١٨٩٠” .

(٩) عبد المنعم عبد الحليم: محاولة لتحديد موقع بونت، مطبوعات جمعية الآثار بالإسكندرية، دراسات أثرية وتاريخية، العدد الخامس، ١٩٧٤ ، ص ١٨، ١٩ ، ٢٠ ، ٢٩ .

وقد أضاف لرصيد الذاهبين ببلاد بونت إلى الصومال، أن التقرير المصرى صور لنا أربعين نوعا من الأسماك والكائنات البحرية بينها خمس سمكات واضح أنها نهرية وليست بحرية، وهو ما يشير إلى أن الميناء البونتى الذى رست فيه سفن حتشبسوت، كان يقع عند مصب نهر صغير، وفى الصومال لدينا نهر الفيل المعروف الآن باسم نهر جلوين. (١٠)

واتجهت فرضيات أخرى إلى أن أرض الإله/ بونت كانت تقع على الساحل الغربى لجزيرة العرب فى منطقة جبال عسير، كما نجد عند (الصليبى) و (زياد منى)، مع اتجاهات أخرى نزعت إلى الفانتازى كالقول أن تلك الرحلة كانت نحو الأمريكتين، وأن المصريين هم من اكتشف أمريكا قبل الجميع، وأنها هى التى دونت فى مدونات مصر القديمة باسم بلاد بونت. وبسبيل ذلك تم إجراء مقارنات لبعض المفردات المصرية بلغات الهنود الحمر وموروث حضارات المايا والأنكا.(١١)

هذا بينما افترض آخرون أن بلاد بونت المذكورة فى الوثائق المصرية هى ذات بلاد (أوفير) التى جاء ذكرها بالكتاب المقدس. وكانت محلا لبعثات مشابهة أرسلها الملك الإسرائيلى سليمان بن داود أشهر ملوك إسرائيل الموحدة. إلا أن (أوفير) نفسها وجدت فى تحديد موضعها تضاربا فى الفروض أشد اتساعا من التضارب حول موضع بلاد بونت. ولم تزل حتى اليوم بلداً مجهولا بدورها.

ولحل الإشكال تم اللجوء إلى حل وسطى أو تلفيقى يلخص الأمر فى إنهاء يائس للإشكال يقول: إن المصريين قد استخدموا اسم بونت بمعنيين: الأول معنى عاما يشير إلى أى موقع جغرافى يزرع اللبان / المر، ومعنى خاصا قصدوا به سواحل إفريقيا من الصومال جنوبا وحتى السودان شمالا.

ورغم أن حل لغز بلاد بونت يمكن أن يؤدى إلى حلول تسلسلية لمجموعة من المتشابكات التاريخية الملغزة، كما يمكن أن يفصح عن تدقيقات هامة لتحديد ملامح العالم القديم، مع فرز واضح للأجناس والهجرات، فقد ظلت جميع الفروض ناقصة التمام والإقناع، وظلت أرض الإله بونت لغزاً يبحث عن حل.

وعلى متون صروح معبد روعة الروائع بالدير البحرى، نقش الفنان المصرى القديم صوراً وكتابات جدارية تصف أهم حدثين فى حياة الفرعونة حتشبسوت. الحدث الأول هو قصة ميلادها الإلهى من أبيها الإله آمون نفسه، إضافة إلى الحدث الثانى والأهم تاريخيا، وهو مجموعة جداريات بونت التى تصف رحلتها إلى أرض الإله.

وتصور اللوحات الرائعة طريق الرحلة البرى من قفط حتى القصير، مع رسوم للسفن البحرية الضخمة المجهزة بصفوف المجاديف أدواراً، وخلفها تظهر لوحة بلاد بونت فى هيئة **تلال** كثيرة جميلة تزينها النباتات. ثم نشاهد ثلاثة أجناس من البشر بخلاف المصريين، يحددهم لنا (عبد المنعم عبد الحليم) فيقول: " إن

(١٠) Neville. E, Le comnerce de L'Ancienne Egypte avec Les Nations voisnne, Geneve, ١٩١١, P ٦٧

(١١) انظر: محمد نجيب البهبيتى: المعلقة العربية الأولى أو عند جذور التاريخ، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب فى ١٩٨١ . مجلدان

سكانها خليط من عدة سلالات: أ- السلالة التى تنتمى إليها **الطبقة الحاكمة أى البونتيين أنفسهم ويشـــبهون المصريين**. ب- السلالة **الزنجيـــة**. ج - سلالة ثالثة لعلها المسماة **إرم** وهى قريبة الشبه بالبونتيين "[١٢]. هذا إضافة إلى تصوير اللوحة لمجموعة متنوعة من الحيوانات منها القردة، مع صور واضحة لجلـــود فهـــود أو نمور وكثير من الأشجار والنباتات التى تشبه إلى حد بعيد نباتات الساحل اليمنى.

وقد عادت البعثة بكثير من تلك الأشجار بجذورها، وهو ما يعنى أن هناك أشجاراً بعينها قد اســـتجلبت من بلاد بونت لتستزرع فى أرض مصر، مع كميات من خشب الأبنوس والعاج، إضافة إلى معادن تتضـــح فيها الفضة ومعدن آخر ربما كان ذهبا، مع أحجار كريمة. ويحيطنا (فليكوفسكى) علما أن الفنان المصـــرى وهو ينقش بإزميله اسم بونت فى مواضع متعددة، لم يضع فوق الاسم تلك العلامة الهيروغليفية التـــى كـــان المصريون القدماء يضعونها فوق أسماء البلاد الأجنبية[١٣]. مما أوعز بشدة إلى أن المصريين القدماء كـــانوا يرون أن هناك رباط من نوع ما بين بلاد بونت وبين مصر. وأنها ربما كانت تابعة لمصر أو أن المصريين كانوا يعتقدون أنها جزء من مصر، ناهيك عن تقديسها بحسبانها أرض الإله. لكن النصوص المصرية لم تسم لنا هذا الإله أو تقدم لـــه أى تعـــريف ولا مرة واحدة.

وفى الجزء الأسفل من جداريات بونت في معبد روعة الروائع، يمكنك أن تشاهد مرسى بحريا رسمت تحته الأسماك فى المياه للتوضيح، وعلى يمين المرسى يقف الملك البونتى الـــذى دون بالاســـم (بـــارح) أو (فارح) أو (فرح) أو (باروخ) مع اللقب (**عظيم عظماء إرم**). أما الملكة فكانت ضخمة الجثة ورسمها الفنـــان بواقعية شديدة، أراد بها أن يبرز ما يكتب باعتباره تقريراً تسجيليا.

ويصف لنا المصرولوجست الأشهر (السير آلن هنرى جاردنر) معبد روعة الروائع بقوله: " إن المعبد الجنازى لحتشبسوت فى الدير البحرى، يقع داخل نصف دائرة من القمم العالية، وهو يدين بكثير من وحيـــه إلى أثر منتوحتب الأول الأكثر بساطة والواقع على الخط نفسه جنوبا. ولم يبق سوى آثار الممر الصاعد فى رفق إلى الأسوار التى يؤدى مدخلها إلى بهو واسع يرى فيه الزائر فى مواجهته رواقا بالأعمدة فـــوق رواق بالأعمدة. لكنها تصعد من المنحدر الرئيسى إلى المستوى العلوى. ويكشف صف من أعمدة الحجر الجيـــرى بشمال البهو عن جمال المبنى قبل أن يحوله الزمن والتدمير البشرى إلى حالته الراهنة. ومع ذلك فليس فـــى مصر اليوم عمارة فى مثل هذا السمو يمكن رؤيتها .. أما الرواق التالى إلى أعلى ففيه منظر أكثر تشـــويقا، فعلى الجانب الجنوبى منه مُثلت الرحلة إلى بونت فى السنة التاسعة لحكم حتشبسوت كما مُثل على الجانـــب الشمالى حمل أم الملكة بها عن طريق معجزة ثم ولادتها. وتصور المجموعة السابقة من الصور سفن الملكة حتشبسوت وهى تبدو فى هذه المرحلة كملك تصل إلى هدفها عند باب المندب ". [ملاحظة للمؤلف : ليس فى اللوحات أية إشارات أو كتابات توعز إلى باب المندب، وكانت تلك إضافة من جاردنر لاعتقاده أن الرحلة قد

---

(١٢) عبد المنعم عبد الحليم: موجز رسالتيه للماجستير والدكتوراة، جامعة الإسكندرية، ص ١٧ .

(١٣) فليكوفسكى: عصور فى فوضى ، ترجمة رفعت السيد ، دار سينا، القاهرة، ١٩٩٥ ، ص ١٤٢.

اتجهت جنوبا عبر البحر الأحمر إلى الصومال التى يعتقدها جاردنر ذات بلاد بونت]. ويتابع جاردنر وصفه: " ثم يتقدم رئيس ملتح وزوجته المشوهة تشويها فظيعاً، وهناك عدد من الرؤساء أقل أهمية يخرون على وجوههم أمام شعار الملكة يتحدثون، إنهم يلتمسون السلام من جلالتها بقولهم: المجد لك يا فرعون مصر، أيتها الشمس الملكية التى تضيء كقرص الشمس. ويعيش الأهلون وسط أشجار النخيل وفى أكواخ ذات قباب مستديرة، يمكن الوصول إلى أبوابها عن طريق سلالم. وقد أقام الرسول المصرى خيمته فى ناحية قريبة، ثم قدم الهدايا من الجعة والنبيذ واللحوم والفواكه كأمر حتشبسوت، لكن الواضح أن جيوشها أفادت أكثر من عملية التبادل، فهناك صوراً متقنة لكل الأشياء الثمينة التى حملت من هناك إلى السفن. ومن بين هذه المنتجات أشجار المر والأبنوس ثم العاج والذهب والقرود وجلود الفهود، ويُرى الأسطول فى الصف العلوى من اللوحة وهو يبدأ طريق العودة إلى الوطن، **وقد تجاهل الرسام أمر الانتقال من الصحراء إلى النيل** " (١٤).

والواضح تماما أن حتشبسوت كانت ترى فى تلك الرحلة أهم إنجازاتها على الإطلاق، وهو الأمر الذى تشى به ببساطة ووضوح روايتها المدونة، ناهيك عن تكريسها كل هذا البناء الهائل لتسجل عليه ذلك التقرير عن بعثة بونت. كما تتضح الأهمية فى أن الفرعونة قد أولت عظيم اهتمامها إلى الجانب المعرفى العلمى فأرفقت برحلتها خبراء يقومون بدور الصحفيين الذين كتبوا بالفعل ريبورتاجا مصوراً علميا دقيقا رائعا. وصفوا فيه أرض الإله وصفا طبيعياً وبيئيا، وراعوا الجغرافية البشرية لبيان الأجناس التى تسكن تلك البلاد، كما أولوا عنايتهم لبيان عادات وتقاليد أهلها، مع دراسة علمية ممتعة لمختلف أنواع الأسماك والحيوانات البحرية. إضافة إلى مسح تفصيلى لمنتجات بلاد بونت من أخشاب ثمينة وجلد الفهد وسبائك الذهب والفضة، مع أحمال البخور والعطور والتوابل، والأعشاب التى ربما كانت للكيمياء العلاجية. ولم ينس التقرير أن يوضح أهمية أشجار بلاد بونت، التى دفعت البعثة المصرية إلى الإتيان بها بجذورها إلى مصر، مما يعنى أنها أشجاراً لا تنمو فى مصر، وأنها نوع خاص ببلاد بونت. حتى التفاصيل الصغيرة لم تفت عين الصحفى المدققة، مثل إحضار البعثة لكحل العيون (الأثمد)، مع تصوير واضح لأنواع الحيوانات المستجلبة من هناك. فترى كلابا أشبه بالكلاب السلوقى الموجودة اليوم، مع القردة التى تعلقت بصوارى السفن لتضيف إلى اللوحة بهجة تستدعى الابتسامة، مع الزراف وتنويعات أخرى قصد بها أن يكون التقرير مشوقاً إلى جانب كونه مستوفياً.

وقد سجلت الموسوعة الأثرية العالمية، تحت مادة (بونت) الآتى:

> PUNT : بلاد تقع جنوبى بلاد مصر، كان الوصول إليها عن طريق البحر الأحمر .. وقد صور **الناس يعيشون فى بيوت تشبه خلايا النحل،**

---

(١٤) جاردنر: سبق ذكره، ص ٢٠٨ ، ٢٠٩.

وصورت الملكة التى كانت تحكمهم بدينة جداً. ومن
بونت كان يأتى الذهب والبخور، ومختلــف أنــواع
السلع لأغراض دينية، **وموقع بونت غيــر مؤكــد**،
لكن حسبما يتضح من منتجاتها، لابد أنها كانت تقع
فى مكان ما بالقرب من الصومال

أما (حتشبسوت) نفسها فقد سجلت :

لقد منحتهم الذهب

فتلقيت منهم **الذهب الأخضر**

من **بلاد الآمو** ..

وأشجار يانعة من المر بأعداد كبيرة

من عجائب أرض بونت

ولم يحدث ذلك من قبل فى عهد أى إله

منذ خلق العالم

لقد أحضرت إحدى وثلاثين شجرة

من خشب البخور

لم يعرف لها مثيلاً منذ فجر الخليقة (١٥)

وهنا ملاحظة لا تفوت مدقق، نضعها فى الاعتبار حتى يأتى حين معالجتهــا، وتتمثل فى السؤال: مــا معنى أن تهدى الملكة ذهبا لتتلقى ذهبا، فى رحلة قصد منها تبادل منتجات مصر مع منتجات بونت؟ فهل كان ذهب بونت يختلف عن ذهب مصر؟ يبدو ذلك، لأن النص قد ميز ذهب (بونت) بأنه **ذهب أخضر**، فماذا كانت تعنى بالذهب الأخضر؟ أما الملحوظة الثانية التى ننبه إلى وجوب تذكرها، فهى القول: إن هذا الذهب من **بلاد الآمو**، والآمو أو العامو هى الكلمة التى استخدمها المصريون القدماء، للدلالة على **بــدو آســيا الســاميين** عموما، وعلى **الهكسوس** – خصوصا – الذين سبق واحتلوا بلادهم فى نهاية الدولة الوسطى وقــد طــردوا منها زمن أحمس مؤسس الأسرة الثامنة عشر، وحكم حوالى ١٥٧٥ – ١٥٥٠ ق.م، أى قبل زمن حتشبسوت بحوالى ستين عاما أو تزيد قليلاً.

ولا يصح أن نتغافل عن عبارتها "منذ فجر الخليقة" وتكرارها، وهو ما يؤكد على أهمية تلــك الرحلــة للملكة ولتقديرها الأمور. أما الغريب حقا فكان مسألة تجاهل الفنان لطريق العودة من البحر الأحمــر. مــن

---

(١٥) فليكوفسكى: عصور فى فوضى .. سبق ذكره ، ص ١٤٨، ١٤٩ .

ميناء القصير حتى قفط على النيل شمالى الأقصر، فى رحلة عودة برية عبر الصحراء الشرقية الممتدة ما بين البحر الأحمر وبين النيل، فعاد بالسفن فوراً من (بونت) إلى الأقصر عبر النيل دون المرور بالطريق البرى. رغم انه فصلّ ذلك بوضوح فى رحلة الذهاب، فهل تجاهل الفنان الدقيق الدؤوب الفاحص المدقق الطريق البرى؟ أم أنه كان لم يزل يقدم لنا تقريراً دقيقاً وعلمياً وحقيقياً؟ وإذا كان ذلك كذلك فإن لغز (بونت) يكون قد ازداد تعقيداً، **فكيف وصلت السفن إلى طيبة دون المرور بالطريق البرى من البحر الأحمر إلى الوادى؟**

ونظراً لأن التحف التى جلبتها (حتشبسوت) من بلاد (بونت) تتشابه إلى حد بعيد مع التحف التى ذكرها الكتاب المقدس، والتى أحضرتها بعثة الملك الإسرائيلى (سليمان) إلى بلاد باسم (أوفير)، فقد ذهب الباحثون إلى احتساب (بونت) هى ذات بلا د (أوفير) المجهولة وتحت مادة (أوفير) بموسوعة تاريخ العالم نقرأ تلك الفقرة الموجزة.

> أوفير – OPHIR : موقع أوفير التوراتية التى كان الملك سليمان يحصل منها على سفن محملة بالذهب والأحجار الكريمة – سفر ملوك أول ١٠ : ١١ **موضع اختلاف كبير دون الوصول إلى حل مقبول**. والتخمينات تمتد من الساحل العربى حتى سيلان أو ساحل مالا بار

هذا بينما سجل (زينون كاسيدوفسكى) اشكالية (بونت / اوفير) فى قوله:
" لا يزال الباحثون حتى الآن يختلفون .. بعضهم يقول: إن أوفير التوراتية هى الهند، وبعضهم الآخر يعتقد أنها الجزيرة العربية، وفريق ثالث يؤكد إنها مدغشقر، أما المستشرق الأمريكى أولبرايت فيعتقد أنها الصومال. بينما يلفت فريق آخر من العلماء الانتباه إلى اللوحات الجدارية التى اكتشفت فى معابد طيبة، حيث وجدوا هناك رسما **لملكة سوداء** من بلاد تدعى (بونت). ويفيد النص المثبت أسفل اللوحة: إن السفن المصرية كانت تحمل من تلك البلاد الذهب والفضة والأخشاب السوداء والحمراء وجلد النمر والسعادين (القردة) الحية والعبيد السود، وقد أدى ذلك إلى نشوء افتراض مؤداه: إن بونت هى أوفير التوراتية[١٦].

إلا أن المشكلة الحقيقية والمستعصية أمام كل تلك الفروض، هى تكرار القول فى النصوص المصرية: " **حينما أوجه وجهى إلى مشرق الشمس، فإنى أولى وجهى إلى بلاد بونت** " [١٧]،وهو ما دفع باحثين آخرين إلى افتراض مواضع أخرى لبلاد بونت تتفق وهذه الإشارة، وذلك مثل د. عاطف عوض الذي افترض لبلاد بونت بلاد الساحل العماني الحالي، حتى أن سلطنة عمان رأت في نظريته أمراً يستحق الاحتفاء به. فتم

---

(١٦) زينون كاسيدوفسكى: الواقع والأسطورة فى التوراة ، ترجمة حسان ميخائيل، أبجدية للنشر، دمشق ، ١٩٩٠ ، ص ٤٢٩ ، ٤٣٠ .

(١٧) فليكوفسكى: عصور .. سبق ذكره ، ص ٣٥ .

تحديد زمن افتراضي لوصول سفن الفرعونة إلى عمان، وأقيم بهذه المناسبة احتفال كرنفالي شعبي تمثيلـــي، يصور وصول البعثة المصرية إلى بلاد عمان. هذا بينما ذهب د. رمضان عبده علي إلى وقوع بونـــت فـــي بلاد اليمن. وقد اعتبرت صحيفة الأهرام القاهرية ذلك كشفاً جديداً يستحق التسجيل والإعلان (وهو ما فضلنا نقله من الصحيفة بالتصوير (كما في الشكل رقم ٣). وإن تكرار الإشارة إلى وقوع بونت جهة مشرق الشمس بالنسبة لمصر أمر لا يجعل بونت تقع ابداً جنوبى مصر، فهى بهذا المعنى **يجب أن تقع فى منطقة ما شمالى بلاد الحجاز الحالية، أو فى سيناء، أوشرقى سيناء**، وهو الأمر الذى يؤكده تقرير مسئول حكـــومى اســـمه (خنوم حتب)، عاش خلال الأسرة السادسة الفرعونية، يقول: إنه قد زار بيبلوس [جبيل الآن جنوبى بيـــروت بلبنان] وبونت، إحدى عشر مرة، وذلك بصحبة سيدة (خوى) مرة، وبصحبة سيده (تتى) مرة أخرى [١٨] وهو الأمر الذى ما كان ممكناً حدوثه فى حياة فرد واحد فى ذلك الزمان، لو كانت بونت هى الصومال أو اليمن أو الهند، ناهيك عما يوحى به التقرير، أن زيارة بيبلوس وبونت كانت تتم فى رحلة واحدة، **مما يعنـــى وجـــوب وقوع بونت على الطريق ما بين مصر وبين بيبلوس بلبنان**، وهكذا تكتمل دائرة الالتباس ويســـتغلق اللغـــز تماما، إلى حد عدم إمكان تصور واضح يحل مشكلة موقع بلاد بونت.

(١٨) K. Sethe, U.R.K, pp ١٤٠-١٤١
أنظر أيضاً
Breasted, Ancient Records, VOL, Sec ٨٩٢.



بلاد «بونت» ليست فى الصومال !

عبد المعطي احمد

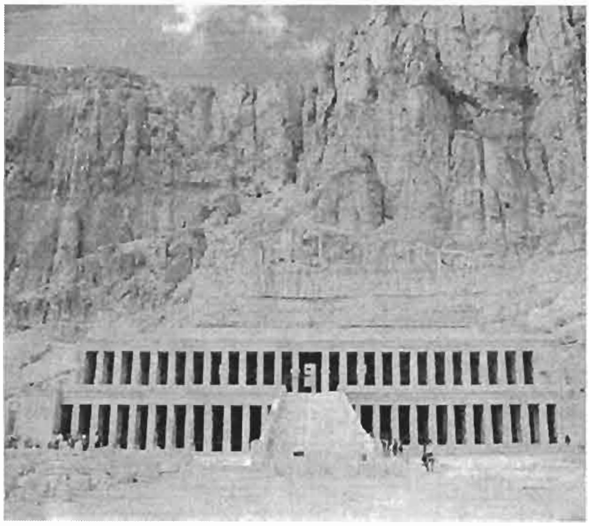
شكل رقم (٣)
الأهرام ٢٧/٢/١٩٩٧م.



شكل رقم (٤)



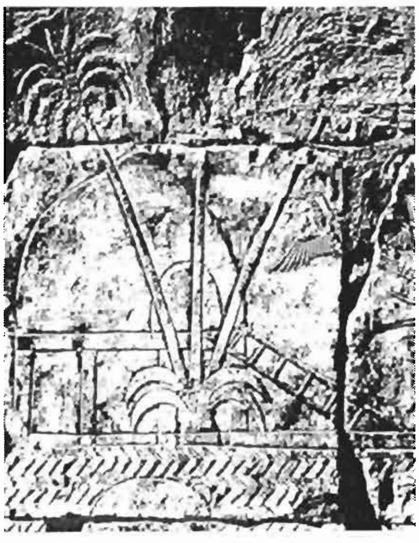
شكل رقم (٦)
ملك ه ملكة بلاد به نت فه، له حات حتشبسه ت



شكل رقم (٥)



شكل رقم (٧)
حاملوا الهدايا من أهل بونت (شعب إرم)



مساكن بلاد بونت كما صورتها لوحات حتشبسوت
شكل رقم (٨)

ولغز بلاد الحور

والألغاز غير المحلولة فى التاريخ كثيرة وحاشدة، ونموذجا لتلك الألغاز (لغز بلاد الحور)، وبلاد الحور تلك التى يخبرنا علم التاريخ أنه قد قامت فيها دولة باسم الدولة الحورية، عاصرت زمن الأسرة الثامنة عشرة الفرعونية، وجاء اسم هذه الدولة فى نصوص مصر تحت اسم (دولة ميتان) أو (ميتانى). وأنه فى ميتانى قد سكن الشعب الحورى، وكانت لتلك الدولة تسمية أخرى ترد فى النصوص على التبادل مع تسمية ميتانى هى (نهارين). ولنطالع معا ماسجلته موسوعة تاريخ العالم عن بلاد ميتانى تحت مادة ميتانى :

" أعالى ما بين النهرين: ميتانى : .. ربما كان موطن الحوريين فى **بلاد النايرى،** وهو الاسم الذى أطلقه الآشوريون على الإقليم الواقع إلى الشمال والشرق من بحيرة فان. تحرك الحوريون من هناك جنوبا فى أوائل القرن السابع عشر ق.م. إلى شرق آشور وغربها وأسسوا عدداً من الإمارات اتحدت بعد ذلك تحت حكم ملوك ميتانى. امتدت مملكة ميتانى من قرقميش على الفرات حتى قرب نهر دجلة الأعلى، مشتملة على وديان البلخ والخابور ومقاطعة نصيبين، وفى شرقى دجلة تشتمل أيضاً على منطقة (أرابخا / كركوك الحالية) التى كانت قبل ذلك مملكة حورية منفصلة. **وليس من المعروف** إذا كانت قد شملت إربيل أيضاً .. **انتشر الحوريون كذلك فى أجزاء من آسيا الصغرى وسورية وفلسطين** دون أن ينظموا ممالك دائمة. **ثبت وجودهم حوالى منتصف الألف الثانى فى بوغاز كوى عاصمة الحيثيين – الأناضول – وفى رأس شمرا** (أوغاريت على الساحل السورى قرب اللاذقية). **وفى أورشليم وطناخ، وفى بلاد آدم – الحور –. وربما اشتملت جموع من الهكسوس على فئات من الحوريين** ".

موقع بلاد الحوريين إذن غير مؤكد " **ربما** كان موطن الحوريين فى بلاد النايرى .. إلى الشمال والشرق من بحيرة فان "، " **وليس من المعروف** " إن كان قد شمل مساحات بعينها من الأراضى، لكن دلائل وجودهم تتناثر فى " أجزاء من آسيا الصغرى وسورية وفلسطين " .. وفي بوغاز كوى وفى رأس شمرا .. وفى أورشليم .. وفى بلاد آدم "، وقد وصفت الموسوعة بلاد (آدم) تحديداً بأنها بلاد (الحور)، ثم " **ربما اشتملت جموع من الهكسوس على فئات من الحوريين** ". إذن ليس هناك شعب فى المنطقة أثبت وجوده على تلك المساحة الواسعة، وفى الوقت ذاته ليس من المؤكد بل وليس من المعروف عنه أشياء كثيرة، و (**ربما**) التى تتكرر لتؤكد عجزاً واضحا عن تحديد موطن واضح لدولة واضحة اسمها دولة (الحوريين) الميتانية؛ وهو الموقف من بلاد (بونت) وبلاد (أوفير). ويضيف المؤرخ العراقى (طه باقر)، متحدثاً عن بلاد (ميتانى) باسمها الذى يرد معها على التبادل: **بلاد (نهارين)،** فيقول: " من الدويلات الأرامية آرام النهرين،

ويعنى اسم هذه الدولة: **آرام ما بين النهرين، أى الفرات والخابور**، وورد ذكرها فى المصادر المسمارية باسم **نهارينا**، ويبدو أنها **اختفت من الوجود فى حدود القرن التاسع ق.م**، عندما قضى الآشوريون على جميع الدويلات الأرامية تقريبا فى تلك المنطقة "[١]، ويؤكد لنا ذلك المؤرخ الرصين، أن فى تلك المنطقة **الأرامية** عاش ذلك الشعب المعروف بالشعب الحورى، وذلك استناداً إلى نص الملك الآشورى (شلمناصر الأول) الذى حكم فى العصر الآشورى الوسيط حوالى ١٢٧٤ – ١٢٤٥ ق.م، والنص يتحدث عن حملات ذلك الملك العسكرية إلى بلاد (أرمينيا) وأرارات فى أقصى شمال العراق، داخل حدود أرمينيا الحالية شرقى تركيا، وأنه فى طريقه إلى هناك قد غزا موطن الحوريين، الذى لابد أن يقع فى تلك الحال فى طريقه إلى **أرمينيا**، ما بين النهرين الأعلى، وأنه قد ورد ذكر إحدى القبائل الأرامية الكبرى هناك باسم **أحلامو أو أخلامو ومعناها الأحلاف**" [٢]

أما المصرولوجست (جاردنر)، فيؤكد ذات المذهب، فيقول: إن الحوريين قد جاءوا إلى منطقتنا قادمين من عند إقليم **بحر قزوين**، وأنهم هم الذين مهدوا الطريق للحيثيين، الذين وفدوا بعدهم إلى منطقتنا قادمين من الأناضول فى نهاية عام ١٦٠٠ ق.م. وأن سقوط دولة الحوريين (ميتان) كان على يد الملك الحيثى (شوبيللوليوماش) والمعلوم أن دولة ذلك الملك، قد قامت فى تركيا الحالية [٣].

ويذهب الأركيولوجست (جارستانج) ذات المذهب، بحثا عن الموطن الأصلى للحوريين، فيؤكد أنهم قدموا إلى منطقتنا **من أرمينيا** كموطن أول لهجرتهم، وأنهم قد انحدروا من هناك إلى الفرات الأعلى بينه وبين الخابور، ليؤسسوا **مملكة ميتانى، التى ورد ذكرها فى نصوص مصر والرافدين، وهى مملكة آرية**، ولا تنتمى فى رأيه إلى مجموعة الشعوب السامية المتاخمة لها، وأن تلك المملكة قد سقطت فريسة للغزو الحيثى، عندما تخلت مصر عن مساعدتها، زمن الفرعون (آمنحتب الرابع / اخناتون) لتنتهى دولة (ميتانى) من التاريخ، وإلى الأبد. [٤]

وقد خرج (جاردنر) من قراءته لوثائق مصر القديمة، بأن **(ميتانى) منذ بداية ظهورها كدولة، قد وقعت تحت الهيمنة المصرية**، حيث ترافق ظهورها مع خروج مصر خارج حدودها، وتأسيسها للإمبراطورية المصرية، وحيث أرادت مصر بتلك الهيمنة إيقاف زحف الحيثيين الذين بدأوا يهاجمون بلاد الشام الواقعة تحت النفوذ المصرى، وذلك بغرض تأمين الحدود الشمالية للولايات المصرية فى الشام. لكن الحيثيين تمكنوا زمن الفرعون (اخناتون) من القضاء على الدولة الميتانية، وتوسيع حدودهم جنوبا فى بلاد

---

(١) طه باقر: الوجيز فى تاريخ حضارة وادى الرافدين، دار الشئون الثقافية العامة بوزارة الثقافة والإعلام، بغداد فى ١٩٨٦ ، ص ٤٩٥ .

(٢) نفسه: ص ٤٩٠ .

(٣) جاردنر: سبق ذكره ..، ١٧٩ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ .

(٤) جار ستانج: سبق ذكره ..، ص ٢٤ : ٢٦ .

الشام، على حساب الإمبراطورية المصرية، التى بدأت تخسر بعض نفوذها هناك، نتيجة لانغماس الفرعون (اخناتون) فى فلسفته الدينية، وإهماله للشئون العسكرية والسياسة الخارجية [٥] .

ونعود لموسوعة تاريخ العالم نتابع سردها الرصين والموضوعى، الذى يسوق المعلومة غير المؤكدة فى صيغة الاحتمال والظن، لنستمع إليها وهى تقول: " **تُعرف اللغة الحورية معرفة غير تامة** من خطاب دوشراتا ملك الميتانيين، إلى أمنحتب الثالث الملك المصرى والد إخناتون ومن بضع نصوص من مكتبة بوغازكوى (عاصمة الحيثيين شمالى الأناضول) **ومن بضع كلمات** ذكرت هنا وهناك على اللوحات المسمارية التى **وجدت فى نوزى** وبالقرب من كركوك. **وربما** كانت هذه اللغة قريبة من اللغة الفانية والعيلامية، غير أنه **لايمكن إدماجها فى أية فصيلة لغوية معروفة،** أما صلات الجنس الحورى بأجناس أخرى **فهى غير معروفة**. والأسرات الملكية والأمراء الميتانيون **من أصل هند وآرى** إذ كانوا يحلفون بآلهة هندوآرية مثل أندرا وميترا وفارونا وناستيا، وكان أعظم عمل للحوريين، أو على الأصح لقادتهم من الهندوآريين، **هو إدخال العربة ذات العجلتين التى تجرها الخيل،** إلى مصر وغرب آسيا، حيث أصبحت معروفة، وربما كانت النحوت الغائرة المعروفة بالحيثية، التى اكتشفت فى شمال سوريا: قرقميش، سنجرلى، تل أحمر، وفى أعالى ما بين النهرين: تل حلف، والتى يرجع تاريخها من منتصف الألف الثانى إلى القرن التاسع ق.م، **ربما كانت هذه النحوت حورية** فى أسلوبها إن لم تكن فى أصلها، كما يتضح من مقارنتها بالأختام الحورية، أما أهم آلهة الحوريين فهى: تيشوب إله الزوابع، **وهبات إلهة الشمس** ، ولا يعرف عن آلهة أخرى عديدة سوى أسماؤها ". وتتابع الموسوعة القول: إن عاصمة مملكة ميتانى قد حملت اسم (واشوكانى) وأنه فى زمن الملك الميتانى أرتاتاما حوالى ١٤٤٠ ق.م زمن الفرعونة حتشبسوت سادت علاقات ودية مع مصر، وأنه قد ازدادت عرى الصداقة مع مصر زمن الملك الميتانى التالى (شورتانا) حوالى ١٤٣٠ ق.م، حيث تزوج الفرعون المصرى (آمنحتب الثالث) ابنة (شورتانا) وكانت تحمل اسم (جيلوخيبا). لكن لتتحول العلاقات إلى حالة عداء واضحة زمن الملك الميتانى (توعى)، ثم يخلفه (دوشراتا) ليعيد التحالف مع (آمنحتب الثالث) ملك مصر، ولا يطول الأمر حتى يلهو (اخناتون) ابن (آمنحتب الثالث) بفلسفته الدينية، ويترك حليفته (ميتانى) تسقط فريسة الغزو الآشورى، زمن (شلمناصر الأول) حوالى ١٢٧٥ ق.م، ليزيلها تماما من على صفحات التاريخ.

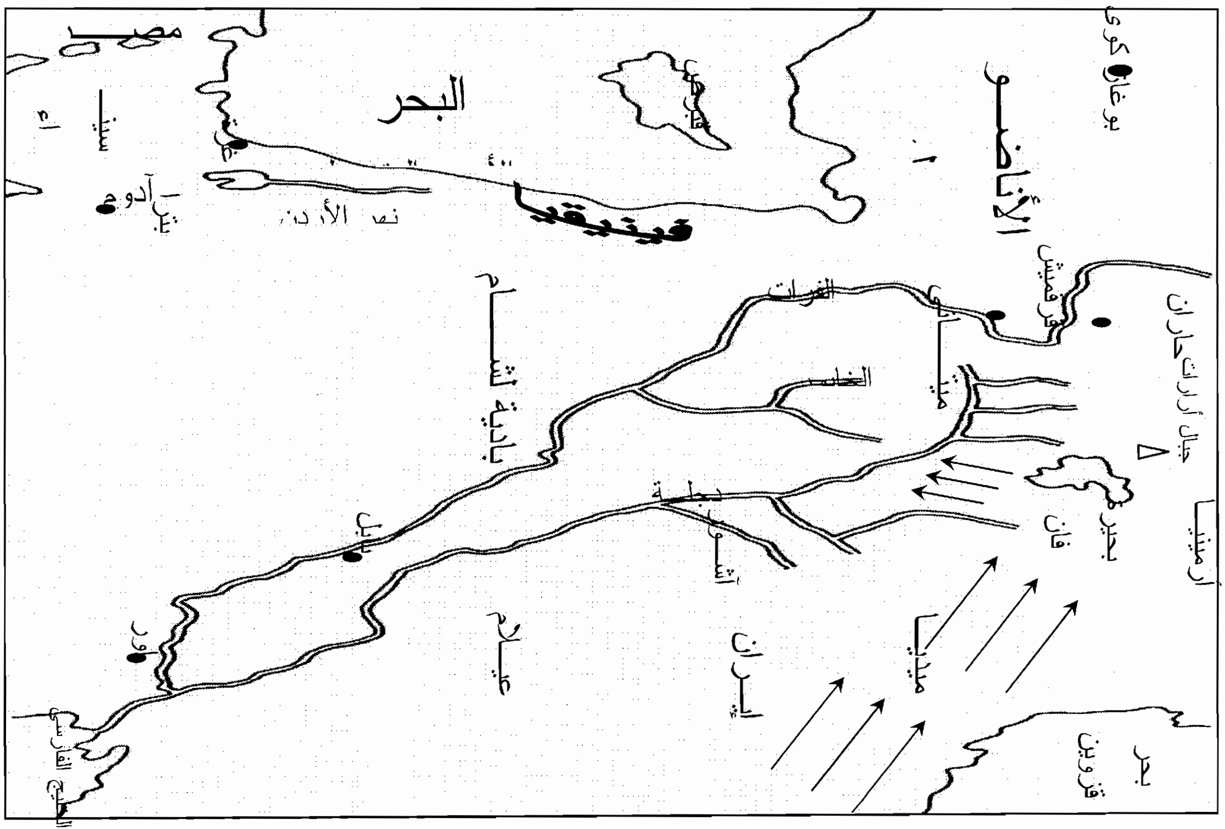
أى هذه التزمينات لسقوط دولة (ميتانى / نهارين) نصدق؟!! هل سقطت على يد **الآشوريين فى القرن التاسع ٩٠٠ق.م** قبل الميلاد كما أفادنا طه باقر المؤرخ المعروف والمعتبر بين طبقات المؤرخين المحدثين؟ أم أنها سقطت على يد الآشوريين بالفعل لكن زمن شلمناصر الأول الأشورى حوالى **١٢٧٥ق.م.** كما قررت موسوعة تاريخ العالم؟ أم أنها لم تسقط على يد الآشوريين بل على يد سكان تركيا القدماء المعروفين **بالحيثيين** زمن الفرعون المصرى إخناتون، أي حوالي ١٣٤٠ق.م فيما يؤكده المؤرخ الشهير جارستانج؟ أو

---

(٥) جاردنر: سبق ذكره ..، ص ٢٥٨ ، ٢٥٩ .

بالتحديد على يد الملك الحيثى شوبيللو ليوماش حوالي ١٣٩٠ق.م فيما يصر عليه جاردنر المؤرخ عالى الذكر؟! وهكذا لدينا (٩٠٠ق.م و١٢٧٥ق.م و١٣٤٠ق.م و١٣٩٠ق.م)؟!! وهذا فقط ما وقع أمامنا.

وحتى الآن نجد كل ما جاءنا عن ميتانى، جاء مدونا فى عدد من السجلات، ولم يعثر على تلك السجلات أبداً فى الموقع الذى حدده المؤرخون لها بين الفرات والخابور فى الفرات الأعالى. وكل معلوماتنا عن ميتانى قد جاءت من تلك السجلات التى عثر عليها فى مصر أو آشور أو أوغاريت أو العاصمة الحيثية بشمال تركيا، دونما أثر أركيولوجى حقيقى فى موطنها الذى تم التواضع عليه، ذلك الموطن الدولة الذى تم تحديده فى ضوء السجلات غير الميتانية، وفق فروض معقدة تم فيها تتبع خط سير الحملات المصرية نحو ميتانى، وعبوراً على أية مواضع؟ مع دراسة الإشارات التى وردت فى الرسائل الميتانية إلى فراعنة مصر، ولم يعثر أبداً على الخطابات المماثلة فى موقع أعالى النهرين. مع دراسات مطولة معقدة انتهت إلى فرض يضع تلك المملكة فى الرافدين الأعلى، مع حيرة غير خافية حول ذلك الانتشار والتشظى الواسع للشعب الحورى بطول المنطقة وعرضها فى الأناضول وفى جميع بوادى الشام وفى داخل فلسطين وأما الأشد أهمية فهو التواجد الذى أشار إليه الجميع، وأهمله الجميع، **فى بلاد باسم آدم حملت أيضاً اسم بلاد الحور**، وهو الأمر الذى نراه أمراً.



خريطة رقم (٢٢) الموضع المفترض لبلاد ميتانى بأعالى الرافدين

بلاد آدم وبلاد آدوم ؟

(اللغة الكارية) وردت إليها إشارات عدة فى المصادر القديمة، وربما كانت أقدم تلك الإشارات إشارة (سترابون) المؤرخ الكلاسيكى اليونانى إلى اللغة الكارية بوصفها لغة لمن يسميهم (سكان الكهوف) كذلك وردت إشارات بالكتاب المقدس إلى قوم يسكنون الكهوف، لكن على مستوى التاريخ كعلم، ظلت **اللغة الكارية لغة مجهولة لشعب مجهول يسكن كهوفا مجهولة فى بلاد مجهولة.**

ومع علوم التاريخ الحديثة التى فكت رموز كثير من اللغات القديمة، يعود الحديث عن اللغة الكارية إلى الظهور، بعد أن تم إسقاطها من حسابات البحث العلمى منذ زمن بعيد. فقد بدأت نصوص الحضارات القديمة تفصح عن إشارات إلى اللغة الكارية، فنجد النصوص الأكادية تحدثنا عن لغة باسم (اللغة الخورية) التى يتحدث بها شعب يعيش فى بلاد تحمل اسم أصحاب تلك اللغة، ووردت تلك البلاد باسم (بلاد الخور). كذلك وردت إشارات متكررة فى النصوص المصرية القديمة إلى لغة باسم (لغة خارو). وعند فك رموز الهيروغليفية الحيثية بتركيا القديمة، وجدت إشارات عديدة إلى اللغة الحورية، بل وتم العثور على ألواح مكتوبة بتلك اللغة، وهو الكشف الذى ترافق مع اكتشاف سجلات تل العمارنة بمصر. لنجد بالعمارنة رسالة تتكون من ستمائة سطر مكتوبة بتلك اللغة، موجهة من ملك باسم (دوشراتا) يحكم فى بلاد باسم (ميتانى)، والرسالة موجهة إلى الفرعون آمنحتب الثالث. وهو الأمر الذى أدى إلى إلقاء اللغتين أو بالأحرى اللغة الواحدة (الحورية / الخورية) فى رحم اللغة الكارية، إذ سنكتشف بعد قليل أنها جميعاً ليست سوى لغة واحدة. والربط بينها وبين البلاد التى ذكرت فى تلك الرسائل باسم بلاد ميتانى، واعتبر سكان تلك البلاد هم أصحاب تلك اللغة. ومرة أخرى **يعود الاعتبار إلى كلام استرابون والكتاب المقدس حول اللغة الكارية لغة سكان الكهوف**. ذلك الكلام الذى جاء فى شكل ومضات سريعة تشير إلى شعب يسكن الكهوف ويتكلم الكارية، واحتسب لوقت طويل من خيالات سترابون ومبالغات المحرر التوراتى.

وبمرور الوقت تزايد الكشف عن تواجد تلك اللغة وانتشارها، فى ألواح عثر عليها فى تل تعنك وفى وادى جرزيل بفلسطين. ثم كانت المفاجأة. وهو أن تلك اللغة لم تكن مجرد لغة بدائية مجهولة لشعب مجهول. حيث تم العثور على الأقل على مدينة واحدة من مدن شرقى المتوسط كان أهلها خليطاً من عدة أجناس، ويتحدثون عدة لغات بينها اللغة الحورية، بل وضح أنهم كانوا يستخدمونها فى المكاتبات الرسمية، وكانت تلك المدينة هى (أوغاريت) على الساحل السورى قرب اللاذقية وتحمل الآن اسم (تل شمرا). ثم كان من بين الإشارات التى وردت فى أوغاريت على ساحل المتوسط الشرقي وتل العمارنة بمصر إشارة أخرى تقول إن البلاد التى سكنها الشعب الحورى الذى تكلم اللغة الحورية كانت تعرف باسم بلاد (آدم)، والتى أطلقت عليها نصوص تل العمارنة اسم بلاد (ميتانى) وأيضاً (نهارين).

ووفق الإشارات التى وردت إلى بلاد ميتانى فى نصوص أكاد ومصر وبلاد الحيثيين، وتفسير تلك الإشارات لدى المؤرخين، فقد انتهى هؤلاء إلى وجوب وقوعها بين الفرات والخابور بالفرات الأعلى. ورغم

ذلك فإنه أبداً لم يعثر هناك حتـــى الآن على دلائل واضحة تشير إلى دولة بـــذلك الاســـم (بـــلاد ميتـــانى) أو (بلاد آدم). ليست هناك أية كهوف سكنية تشير إلى أصحابها. فقط عثرنا على مخلفات مدينة تدعى (نوزى) ربما كانت بعض سجلاتها باللغة الحورية أو على التدقيق كما ذكرت موسوعة تاريخ العالم (بضع كلمات). وتلك الكلمات البضع أبداً لم تتحدث عن نفسها باعتبار أن اللغة المدونة بها هى لغة نوزى، كما لم تفصح لنـــا عن اسم شعبها أو دولتها أو هويتها.

وهكذا تم وضع اللغة الحورية وشعبها الحورى (شعب آدم الميتانى ساكن الكهوف) فى ملـــف صـــغير يؤكد أن بلاد الميتانى تقع أعالى الفرات، وربما كانوا هم احتمالا أولئك الذين حملوا اسم بلاد آدم الحوريـــة وتكلموا اللغة الحورية، لكن الملف وضع مرة أخرى بين عدد من الملفات المسجلة تحت عنوان (غير مؤكـــد وأقرب للمجهول).

وهنا نمسك من كل ذلك الشتات بطرف خيط يتمثل فى واحد من الأسماء المتعددة لذلك الشعب، الاســـم الذى فضل أن يطلقه على نفسه، (شعب آدم)، الذى ورد له مثيل بالكتاب المقدس لكن باسم (آدوم). وسنحاول الآن تحديد موقع (آدوم التوراتى) الجغرافى للتأكد من مدى التقائه من عدمه مع شعب آدم الحورى الميتـــانى (التاريخى). وهذا التحديد سيعتمد بالضرورة على ما جاء بالكتاب المقدس عن الشعب الذى سكن بـــلاد آدوم، إضافة إلى ما يمكن أن نعثر عليه فى نصوص المنطقة إن وجدنا. ثم علينا محاولة التأكد والتـــيقن إن كـــان شعب (آدوم) التوراتى فعلا هو المذكور فى المدونات التاريخية باســـم (آدم / الحور / الميتانى / نهـــارين)، وفى حال الوصول إلى إجابة سنحاول تقديم القرائن والأدلة الممكنة.

يمكن التعرف على موضع بلاد (آدوم) التى جاء ذكرها بالكتاب المقدس من عدة مواضع ومتكررات بهذا الكتاب، أبرزها النص الذى يحدثنا عن حدود دولة إسرائيل جغرافيا، وكيف تتماس حدودها الجنوبية مع دولة تجاورها من جنوبها. ويصف موقع تلك الدولة بقوله :

> تخم **آدوم**(*) : برية صين نحو الجنوب، أقصى التـــيمن
> .. أقصى بحر الملح من اللسان المتوجه نحو الجنوب.
>
> يشوع ١٥ / ١ – ٣

وهو ما يعنى أن الحدود الجنوبية للدولة اليهوذية – حسب سياق النص الذى ورد به الاقتباس – كانت على خط حدودى واحد مع بلاد تسمى آدوم، وأن على تلك التخوم / الحدود تقع برية باسم بريـــة (صـــين). ومن جانبنا جهدنا بحثا على تلك الحدود فى خريطة المنطقة الحالية حتى وجدنا برية تحمل اليوم اسم بريـــة (تسين) دون تغيير لسانى يذكـــر عن برية (صين)، وتقع فى ذات الموضع الذى حددته التوراة لبرية صين. ثم أن هذه التخوم تقع عند أقصى بحر الملح جنوبا، و (بحر الملح) هو الاسم التوراتى للبحـــر الميـــت، وأن تخوم / حدود آدوم هذه تبدأ عندما ينتهى لسان البحر الميت الممتد جنوبا.

(*) كلمة تخم تعنى حدود.

وتقول التوراة: إن سكان تلك المنطقة سموا آدوميين، لأسباب صاغتها التوراة على طريقتها، وأهم تلك الأسباب: أن جد الآدوميين البعيد كان يدعى آدوم، وأن آدوم هذا كان شقيقا توأما ليعقوب بن إسحق بن إبراهيم المعروف باسم إسرائيل. لقد كان المحرر التوراتى يعلم أن هناك **لونا من القرابة القبلية بين سكان بلاد آدوم وبين الشعب الإسرائيلى،** فجعل الآباء الأسطوريين للشعبين أشقاء بل وتوائم.

ومع استمرار القراءة نفهم أن آدوم لم يكن الاسم الأصلى الأصيل لجد الآدوميين، لأنه كان يحمل إسما أولا هو (عيسو)، ثم بعد زمن وبعد أن كبر وأصبح شابا يافعا اكتسب اسم (آدوم). ومرة أخرى تشرح لنا التوراة على طريقتها: لماذا حمل عيسو عندما يفع شابا اسم (آدوم)؟ لتفسر لنا صفة أخرى لهذا الشعب الآدومى تضيف لمعلوماتنا عنه مزيداً من الرصيد. وفى هذا التفسير يقدم لنا الكتاب المقدس قصة تتضمن معلومة كان يعرفها المحرر التوراتى عن يقين، تحكى أن عيسو كان ذات يوم جائعا، فلجأ لأخيه التوأم يعقوب ليطعمه وكان يعقوب قد طبخ عدسا، ويقول النص فى ذلك:

> فقال عيسو ليعقوب : أطعمنى **من هذا الأحمر** لأنى قد أعييت. **لذلك دعى اسمه آدوم** .. فباع بكوريته ليعقوب، فأعطى يعقوب عيسو خبزاً وطبيخ **عدس** .
>
> تكوين ٢٥ / ٣٠ - ٣٤

النص يقول: إن عيسو عندما أكل العدس **الأحمر** حمل بعدها اسم آدوم. فماذا يعنى هذا الكلام الساذج؟ يمكنا أن نجد مزيداً من التوضيح فى نص آخر يحكى لنا قصة ميلاد السلفين الأسطوريين للشعبين الإسرائيلى والآدومى، حيث يقول:

> إن رفقه زوجة إسحق حبلت .. فلما أكملت أيامها لتلد إذا فى بطنها توأمان. فخرج الأول **أحمر** كله كفروة شعر فدعوا اسمه عيسو. وبعد ذلك خرج أخوه ويده قابضة بعقب عيسو. فدعى اسمه يعقوب.
>
> تكوين ٢٥/٢٤ - ٢٦

مرة أخرى تفسر لنا القصة ذلك الأمر الذى كان يعرفه المحرر التوراتى، وهو أن الشعب الآدومى كان **شعبا أحمر**. كما هى عادة التوراة فى وضع معان لأسماء الأعلام، مثل بنيامين أى ابن اليمين، ويعقوب سمى كذلك لأنه كان يمسك بعقب أخيه التوأم عيسو، كذلك سمى عيسو بهذا اسم لأن اسم **عيسو يعنى الأحمر**، واسمه الثانى **آدوم يعنى أيضا الأحمر**. وكان الترميز إلى اللون الأحمر فى الاسم عيسو " فروة شعر "، والترميز إلى اللون الأحمر فى الاسم آدوم: " طبيخ عدس ". أما معنى كلمة (آدوم) فى اللغتين العبرية والعربية فهو الصخر أو التراب **الأحمر**. والمقصود هو **اللون الأشقر الضارب إلى حمرة، أو الأحمر**

الضارب إلى غبرة. وهو الأمر الذى يرجح استنتاجات المؤرخين أن الشعب الميتانى – حسب موسوعة تاريخ العالم – **من الجنس الهندوآرى.** وعادة ما يحمل هذا الجنس صفة الشقرة الضاربة إلى حمـرة. وهـذا أول القطر فى محاولة التيقن من تطابق القصة التاريخية عن شعب آدوم الحورى الميتانى التاريخى مع الشـعب الذى ذكره الكتاب المقدس باسم شعب آدوم.

ومع محاولة البحث عن تطابق، نحاول أيضاً تدقيق الموقع الجغرافى. لبلاد آدوم التى سكنها الشـعب الحورى صاحب اللغة الحورية الكارية نمسك بتلابيب (آدم) التى رأيناها ذات (آدوم) لنطالع خريطة المكـان الذى حدثنا عنه الكتاب المقدس جنوبى البحر الميت. فنجده امتداداً طوليا على الجهتين الأصـليتين الشـمال والجنوب يسير مع امتـداد **جبال الشراة أو السراة** التى تطلق عليها التوراة اسم جبال **سعير** التى يوازيها من الغرب واد عظيم يمتد بنفس الطول يسمى **وادى عربة.**

لكن المصادر التاريخية وصفت شعب (آدم / التاريخى) بأنه شعب **حورى** فهل نجد أية إشارة بالكتـاب المقدس تشير إلى أن شعب (آدوم / التوراتى) بدوره كان يحمل تلك الصفة (حورى)؟ هنا تقفز بـين أيـدينا نصوص واضحة ونحن نقلب دفتى المقدس تقول:

> وفى سعير سكن قبلا **الحوريون** ، فطردهم بنو عيسـو
> وأبادوهم من قدامهم وسكنوا مكانهم.

تثنية ٢/١٢

ها قد بدأت الأمور تتجلى بين أيدينا ولدينا الآن قرينة جديدة تتمثل فى أن شعب (آدم) المزعـوم أنـه سكن أعالى الفرات كان يحمل الصفة (حورى)، وهى ذات الصفة التى أكد المقدس على أنها كانـت صـفة شعب (آدوم) **الواقع على امتداد جبال السراة / سعير ووادى عربة جنوبى البحر الميت.**

لكن النص هنا حاول القول أن (آدوم) أُناس و (الحور) أُناس أُخر، لكن الحدث حدث فى ذات المكـان حيث أباد الآدوميون (بنو عيسو) الحوريين واستوطنوا بلادهم. ونظن أن ذلك يعود إلى سبب تأسيسى، فلمـا كان الحوريون أشقاء للإسرائيليين، وكان معلوما أنهم هندوآريين وليسوا ساميين، وحتى لا تلحق الهندوآريـة بإسرائيل، فقد تمت الصياغة بهذا الشكل، لكنها لم تلحق باستنتاجنا أى خلل، فنحن لازلنا فى ذات المكان الذى حددته التوراة. وما يشغلنا الآن هو أن ذلك الموضع كان سكنا لشعب الحور الذى نعتقد الآن أنه ذات شـعب آدوم (وهو ماسنقدم عليه قرائن كافية)، شعب آدوم الذى سكن جبال عسير / السـراة **ووادى عربـة، ذلـك الوادى الذى كان سببا فى إطلاق اسم العرب أولاً على سكان آدوم وسيناء وبعض بوادى الشـام القريبـة، ولم يتم تعميم اسم عرب على سكان المحيط الأوسع إلا بعد ذلك بزمن طويل،** فظل العرب هم سكان عرابـة / عربة ومحيطها فى النصوص الرافدية التى بدأت ذكرهم حوالى ق ٨ ق.م أو قبلـه بقليـل، حتـى زمـن

المؤرخين الكلاسيك قبل القرن الميلادى الأول الذين أخذوا يتحدثون عن عرب جزيرة العرب المعروفة الآن. وهو أمر سيأتى تفصيل بيانه فى مكانه من هذا العمل.

ونعود نمسك بأول القرائن الدالة والشاهدة (آدم = آدوم = بلاد الحور) نحاول العثور على مزيد من التحديد الدقيق خاصة الجغرافى، وليس فى أيدينا عن البلاد الذى ذكرها علم التاريخ باسم (آدم) سوى شذرات يسيرة تماما إضافة إلى ما ورد عنها بالكتاب المقدس، وأن نصا بالمقدس أو نصان كما أوردنا لا يؤكدان شيئاً ولا ينفيان شيئاً إزاء قضية كبرى كتلك التى بين أيدينا . نحاول فيها تحديد موضع مخالف تماماً لما تعارف عليه رجال التاريخ كموطن ومستقر للشعب الحورى الميتانى فى منطقة المتوسط الشرقى الذى أسكنوه أعالى الفرات، دونما دلائل وبينات حاسمة واضحة كافية مؤكدة. أو حتى شبه مؤكدة.

وعليه نعود للوثيقة التاريخية الكبرى المتاحة، الكتاب المقدس، ننقب فيها بحثا عن مزيد من التأكيد على أن بلاد (آدم) التاريخية فى موقع (بلاد آدوم) التوراتية، وأن ذلك الموقع يتموضع فى المساحة الواقعة بطول وادى عربة شرقى سيناء. ونقرأ قصة عن يعقوب بن إسحق الذى سبق وذهب في رحلة طويلة إلى الشمال السورى، ثم عاد يريد دخول فلسطين مع أنعامه وعبيده، بالعبور من جنوبى البحر الميت. لكن هذا العبور كان يعنى اختراق منطقة شعب أخيه عيسو / آدوم. وهنا نجد يعقوب يضطر إلى دفع رسوم عبور عالية ليتمكن من العبور عبر آدوم إلى النقب جنوبى فلسطين. وهو ما نفهمه من النص:

> وأرسل يعقوب رسلا قدامه إلى عيسو أخيه إلى **أرض سعير بلاد آدوم** .. وأخذ مما بيده هدية لعيسو أخيه. مئتى عنزة وعشرين تيسا ومئتى نعجة وعشرين كبشا وثلاثين ناقة مرضعة وأولادها.
>
> تكوين ٣/٣٢ ، ١٣ ، ١٤

ومثل تلك الهدية أو ضريبة العبور تعنى أنه كان مع يعقوب مثلها عشر مرات على الأقل، لو افترضنا أنه دفع العشر ضريبة العبور المتوافق عليها فى الزمن القديم. وهو ما يفسر لنا عدم تمكنه من عبور نهر الأردن مباشرة إلى فلسطين، واضطراره للدوران من جنوب البحر الميت بما معه من سوائم لأن عددها سيصل على الأقل إلى ألفى عنزة ومئتى تيس وألفى نعجة ومئتى كبش وثلاثمائة ناقة وأولادها، وعبوره بذلك كله على بلاد آدوم. التى وضح موضعها الجغرافى هنا كحاجز كبير يفصل شرقى المنطقة فى البوادى شمالى جزيرة العرب عن غربيها شبه جزيرة سيناء بحيث لم يكن بإمكان يعقوب أن يجد أى منفذ للعبور، مما يعنى أن سيطرة آدوم قد امتدت من جنوبى البحر الميت حتى خليج العقبة، لتغلق المنطقة تماما على أى عبور، وأن تلك البلاد كانت قبائل أو عصابات تقطع الطريق أو دولة قوية مقتدرة تأخذ رسومها ممن يعبرون أرضها، أو تستولى على ممتلكاتهم.

وهكذا كان المحرر التوراتى يعرف بصلة قوية بين القبائل الآدومية والقبائل الإسرائيلية، وكان يعلم بالتحديد وبالقطع وباليقين الموضع الدقيق لبلاد آدوم ومساحة سيطرتها. وأن آدوم قد سكنوا جبال سراة سعير

ووادى عربة جميعا " **فسكن عيسو فى جبل سعير وعيسو هــو آدوم** / تكوين ٨/٣٦ ". أما بلاد سعير نفسها فقد اكتسبت اسمها حسب التخريج التوراتى من اسم ساكنيها الأوئل " **بنو سعير الحورى** / تكوين ٢٠/٣٦ ".

لازلنا ندعم موقعنا الجغرافى لبلاد (آدم الحورية التاريخية) فى بلاد (آدوم الحورية التوراتية) لمزيــد من اليقين. ونعمد إلى الكتاب المقدس لنؤكد أن محررى التوراة كانوا يعلمون يقينا معلومة معروفــة لــديهم بشكل واضح تماما لا تقبل الالتباس، يعودون إليها كل مرة دون خطأ واحد. مما يشير إلى أنهم **بين الأساطير والترميزات كان لديهم طوال الوقت خريطة واضحة تتأكد دوما**. ونموذجا لذلك حكاية جاءت ضــمن حكايــا التوراة عن خروج بنى إسرائيل من مصر عبوراً على سيناء، فى عدد هائل من البشر تحــت قيــادة النبــى موسى. وتقول الرواية أن النبى موسى بعد أن وصل مع أتباعه حدود فلسطين الجنوبية كــان بالإمكــان أن يتعرض من سكانها لرد فعل عسكرى قوى، ففضل مفاجأتها بعبور الأردن من شرقيه إلى غربيــه والهبــوط الصاعق على أريحا. لكن ذلك كان يعنى أولا عبور وادى عربة وجبال سعير كــى يصــبح فــى الموضــع المطلوب حسب خطته. وبالفعل تم العبور وفق التخطيط المُعد له. ولم يخبرنا المقدس إن كان موسى قد دفــع رسوم عبور أم لا، لكن الصورة التى تحكيها التوراة تصور ذلك العبور تسلل هادئ ساكن مرتعــب رافقتــه أوامر إلهية بعدم التحرش أبداً بسكان بلاد آدوم، وهو ما جاء فى شكل أوامر من يهوه إلى نبيه موسى قائلاً :

> أوص الشعب قائلاً: أنتم الآن مارون بتحكم **إخوتكم بنى عيسو الساكنين فى سعير** فيخافون مــنكم فــاحترزوا جداً. لا تهجموا عليهم لأنى لا أعطــيكم أرضــهم ولا وطأة قدم. لأنى لعيسو أعطيت جبل ســعير ميراثــا .. فعبرنا عــن إخواننا **بنى عيسو الساكنين فــى ســعير على طريق العربة** [أى وادى عربة / المؤلف] وعلى أيلة [حاليا ميناء إيلات / المؤلف] وعلــى عصــيون جابر [فى الجوار منه / المؤلف]. ثم تحولنا ومررنــا فى طريق برية موآب.
>
> تثنية ٢/٨٠١

مرة أخرى يسجل المحرر التوراتى بشديد الدقة ذكرياته عن بلاد آدوم فهى بلاد عيسو الســاكنين فــى سعير، وأن بلادهم تقع فى جبال سعير ووادى عربة، ومن موانيها المشهورة ميناء أيلة، وكلهــا تقــع فــى المساحة الواقعة بين البحر الميت وخليج العقبة. ويؤكد هذه الموضعة الجغرافية أن النص يقول إنــه بعبــور وادى عربة وجبل سعير يعبرون إلى طريق برية موآب. وموآب دولة تاريخية معلومة تقع إلى الشرق مــن

البحر الميت فى قسمه الجنوبى. أى تلاصق بلاد آدوم المفترضة فى هذا الموضع مــن الشــرق. والشــمال الشرقى. وهو الأمر الذى يفيد بمدى **وضوح الجغرافيا عند المحرر التوراتى.**

والآن هل نجد فى وثائق التاريخ كعلم ما يؤيد ما ذهبنا إليه؟ وهل ثمة إشــارة إلــى بــلاد (آدم) كمــا نقصدها نحن (آدوم سعير) فى وثائق التاريخ؟ وهل نجد فى هذه الوثائــق أية إفادات تدعم الموقع الجغرافــى الذى حددته التوراة لبلاد آدوم؟

نظن أننا عثرنا على أول تلك الإشارات وأننا أول من عثر عليها فى أكثر من وثيقة حقيقيــة، أولهــا ملحمة (كارت ملك صيدون). وتروى تلك الملحمة قصة حملة عسكرية كبرى يقوم بها كارت (ملــك صــيداً على الساحل اللبنانى) على بلاد حددت الملحمة موقعها إلى **الجنوب من بلاد صيداً** وليس إلى الشمال منها بين الفرات والخابور وكان هدف الحملة بلداً يحمل اسم (**آدوم الكبــرى**) (1). وهو الاصطلاح الذى لا يشير لآدوم كمجرد دولة جنوبية، إنما دولة تستحق أن توصف بأنها كبرى.

وتحكى الملحمة بالأسلوب الرمزى الغنائى الملحمى قصة تحرك جيوش عظيمــة من صيدا تحت قيادة ملكها الذى حمل اسم كارت، ليتزوج ابنة ملك آدوم، فيما يبدو أنه كان فرضا لاتحاد بالقوة، حيث كان الزواج هو عقد الوحدة والأحلاف بين الأسر الملكية. ولا يفوتنا التنبيه إلى أن اسم (كارت) نفسه يلتقــى مــع اللغــة (الكارية)، ومع اسم مدينة أوغاريت التى عثر فيها على تلك الملحمة فهى (أو كــارت)، وورد اســمها فــى سجلات العمارنة (أوكات). فالاسم كارت يعنى إذن الكارى أو الحورى.

ومع البحث نمسك بوثيقة أخرى تؤكد صدق ما نفترضه هنا، فنقرأ عن حملة قام بها الفرعون (رمسيس الثالث) اتجهت إلى بلاد يسكنها شعب يسمى بالسعيريين، وجاء النص على لسان الفرعون وهو يقول:

لقد قضيت على **الســعيريين** مــن قبائــل
شاسو. (2)

ونحن نعلم أن السعيريين تعنى سكان جبال سعير، لكن النص هنا لايحدد لنا مكانــا، فقــط يقــول: " السعيريين من قبائل شاسو ". والكلمة شاسو كانت تعبيراً مصريا شائعاً يشير إلى بدو شبه جزيرة سيناء مــع اصطلاحات أخرى مثل (عامو) و (ستيو) التى تطلق على الآسيويين عموما وعلى الهكسوس خصوصا.

لكن ألم يكن المصريون القدماء يعلموا ما عرفناه فى بحثنا هنا، وهو أن شاسو (سعير) هم الآدوميون؟ وإذا كانوا قد عرفوا ذلك فهل يمكنا أن نجد نصا مصرياً قديماً يفيد ذلك؟ نعم هناك نص آخر جاء فى تقريــر رسمى لموظف من عهد الفرعون مرنبتاح  من الأسرة التاسعة عشرة، حــوالى ١٢٢٤ - ١٢١٤ ق.م يقول فيه:

(١) أنيس فريحة: ملاحم وأساطير من الأدب السامى، دار النهار، بيروت، ط٢، ١٩٧٩ ، ص ٨٩.

(٢) جاردنر: مصر الفراعنة .. سبق ذكره، ص ٣١٧، انظر أيضاً: سامى سعيد : الرعامسة .. سبق ذكره، ص ١٦٠ .

انتهينا من السماح لقبائل **الشاسو الآدومية** بتخطى قلعة
مرنبتاح التى فى زيكو، ليظلوا هم وقطعانهم أحياء
بفضل إحسان فرعون.(٣)

هكذا وصف النص قبائل الشاسو بأنهم من الآدوميين والنص الأسبق يتحدث عن الشاسو بوصفهم من جبال سعير، وهكذا أصبح لدينا قرائن كافية على رؤيتنا التى تموضع مركز دولة (آدم) الحورية الرئيسى فى بلاد آدوم فى وادى عربة وسراة سعير، لأنها هى فقط التى تحمل اسم سعير وليس أى مكان آخر. ولكننا نطمح إلى المزيد من القرائن التى يمكن أن ترقى بفرضنا من مستوى الفرض المحتمل إلى مستوى النظرية التى تحمل أدلة كافية على صدقها.

وبسبيل ذلك نتذكر النص التوراتى السالف إيراده ويحدثنا عن ميناء باسم عصيون جابر يقع إلى الجوار من ميناء يدعى إيله، وأن كلا المينائين يقع فى بلاد آدوم حيث عبر موسى برجاله. وأن ما يؤكد لنا أن كلا من الميناءين كان يقع على خليج العقبة، وأن إيلات الحالية هى بالفعل ميناء أيلة القديم وليس مجرد تطابق بين أسماء متشابهة، وأن عصيون جابر ربما كانت ميناء يقع بجوار العقبة الحالية. هو أن محررى التوراة كانوا يطلقون على البحر الأحمر اسم بحر سوف. والشديد الدلالة هنا هو أن محررى التوراة رغم اختلافهم مشربا وزمنا بتعدد الأسفار، فإن **الجغرافيا كانت واضحة لديهم لأنها معالم مستقرة وثابته**. وليس هناك أية حاجة واضحة للعّب بها لصالح أسطورة الشعب المختار كما هو دأب الكتاب المقدس. فيقول لنا سفر ملوك أول: " وعمل الملك سليمان سفنا **فى عصيون جابر التى بجانب أيلة فى أرض آدوم** / ملوك أول ٩/٢٦ ". والنص هنا يشير إلى اتساع ملك سليمان ــ حقيقة أو مبالغة من المحرر التوراتي ــ على حساب دولة آدوم، حتى أنه اتخذ من الميناء الأدومى عصيون جابر ميناء له على البحر الأحمر.

وللمزيد نبحث عن أسماء مواضع وردت فى التاريخ ضمن بلاد آدم، وعن أسماء مواضع وردت فى الكتاب المقدس تقع ضمن بلاد آدوم، لنحاول مطابقتها معا ومع واقع الجغرافيا. لذلك نسير مع الأسفار شوطا بعيداً، إلى ما بعد قيام مملكة إسرائيل الموحدة زمن شاول وداود وسليمان، وانقسامها بموت سليمان إلى إسرائيل فى الشمال ويهوذا فى الجنوب، لنستمع إلى حديث عن حرب وقعت بين المملكة الجنوبية يهوذا زمن ملكها المعروف باسم أمصيا، وبين مملكة آدوم، يقول ذلك الحديث: " هو [أى أمصيا / المؤلف] قتل من **آدوم** فى وادى الملح عشرة آلاف وأخذ **سالع** بالحرب / ملوك ثانى ١٤/٧ ". والمعنى أن الملك الإسرائيلي أمصيا احتل بلاد آدوم بمجازر واستولى على عاصمتها سالع.و(سالع) كلمة عبرية كنعانية تعنى (الصخرة)، وظلت سالع تعرف بهذا الاسم حتى زمن اليونان الذين أطلقوا عليها اسما جديداً، لكنه يحمل ذات المعنى الذى كان يحمله اسم سالع، فأسموها (بترا) أى الصخرة واستمر ذلك الاسم بعد ذلك زمن الرومان وحتى الأزمنة الحديثة والمعاصرة فهى لم تزل تحمل اسم البتراء، ثم نعلم أنه فى زمن الرومان كانت بترا هى عاصمة

---

(٣) جاردنر: مصر الفراعنة .. سبق ذكره ، ص ٣٠٢ .

البلاد الواقعة بين البحر الميت وخليج العقبة. وهكذا تكون سالع التى ذكرتها التوراة تقع فى الموقع ذاته. وهو ما يؤكد لنا طول الوقت أين تقع بلاد آدوم التى افترضنا أنها بلاد آدم الحورية (ميتانى) التاريخية، التى موضعها المؤرخون بالفرات الأعلى بين الفرات والخابور.

ويستمر بحثنا على دأبه لتأكيد موقع بلاد آدوم بين العقبة والبحر الميت، فنجد سفر أشعيا يقول: " وحى من جهة **دومه** صرخ إلىّ صارخ **من سعير** / اشعيا ٢١/١١ ". وعندما كانت التوراة تغضب على شعب لأنه عادى شعب الرب، فإنها كانت تستنزل عليه اللعنات المرتجاة فى قابل الأيام. وهو ما حدث فى مراحل متأخرة من التاريخ الإسرائيلى حيث قلّبَت الأيام العلاقات وتحولت القرابات والود إلى معارك دموية، ويبدو أن بلاد آدوم كانت صلبة فى صراعها مع الإسرائيليين إلى الحد الذى دفع أشعيا ليجأر بنبوءاته تستنزل الدمار الإلهى على آدوم:

هوذا على آدوم ينزل وعلى شعب حرمته للدينونة ..
للرب **ذبيحة فى بُصره، وذبحا عظيما فى أرض آدوم،**
وتتحول **أنهارها** زفتا وترابها كبريتا، وتصير أرضها
زفتا مشتعلا ليلا ونهاراً لا تنطفئ

اشعيا ٣٤/٥ - ١٠

كما هو واضح إشعيا الأريب يلحظ الأرض البركانية فى المنطقة فيتنبأ بأن فناء آدوم سيكون بالزفت المشتعل والكبريت. وطوال الوقت نجد آدوم بلاداً لا تقع عند الفرات الأعلى، فالنص يذكر من مدن آدوم مدينة باسم (بُصره)، وليس فى أعالى الرافدين أى (بُصرة)، لكننا نجد حتى الآن بُصرى شمالى البتراء فى سراة سعير. ثم لا يفوت المدقق أن نص اشعيا يشير إلى أن بلاد آدوم كان بها حتى زمنه **أنهاراً تسقيها**، تلك التى يتنبأ أن مياهها ستتحول إلى كبريت.

ومثل النص السالف نجد نصا آخر يقول بلسان الرب فى نبوءة النبى الإسرائيلى حزقيال :

وأمد يدى على **آدوم** وأقطع منها الإنسان والحيوان
وأصيرها خرابا **من التيمن إلى ددان** .. وأجعل نقمتى
فى آدوم بيد شعبى إسرائيل.

حزقيال ٢٥ / ١٣ ، ١٤

ويضيف النص هنا إلى معلوماتنا الجغرافية كي نرسم خريطة واضحة لبلاد آدوم، فيقول أن من مـدن بلاد آدوم إضافة إلى (بُصرى) مدينتين أُخريين هما (التيمن) و (ددان) وتقع (التيمن) فى شرقى جبال سـعير شمالى جزيرة العرب كذلك (ددان) هو الاسم الثابت تاريخيا لبلدة العلا الحالية شمالى السعودية، ممـا يشـير **إلى توسع جغرافى نحو الشرق يتبع دولة آدوم قد يصل بنا إلى تيماء وجنوبا فى شمالى الجزيـرة حتـى مدينة العلا**، وجميعها كما نرى لا تقع فى الرافدين الأعلى، فليس هناك أى موضع باسم (التـيمن) ولا باسـم (ددان).

وفى الروايات التاريخية نلمس صلات وطيدة بين مصر وبين بلاد آدم الحورية، فنسمع مـن علـم التاريخ عن زيجات تمت بين البلاط المصرى وبلاط بلاد آدم الميتانى. وهى ذات الصلات التى نلمسها فـى روايات الكتاب المقدس عن علاقة آدوم بمصر، وذلك فى رواية يرويها محرر الكتاب المقدس حول الصراع الذى دار بين ملك الدولة الإسرائيلية الموحدة سليمان وبين جيرانه الآدوميين، فيروى لنا أن الملك داود ومن بعده سليمان قاما بحروب احتلا بها بلاد آدوم، فهرب رجال القصر الآدومى الحاكم بولى العهد الصغير إلـى مصر، وكان اسمه (هداد) أو (حداد). ويقول النص :

> إن هدد هرب هو ورجال آدوميون من عبيد أبيه معـه ليأتوا إلى مصر. وكان هدد غلاما صغيرا. **وقاموا من مديان وأتوا إلى فاران. وأخذوا معهم رجالا من فاران إلى مصر** إلى فرعون مصر، فأعطاه بيتا وعـين لـه طعاما وأعطاه أرضا. فوجد هدد نعمـة فـى عينـى فرعون جداً وزوجه أخت امرأته. أخت تحفنيس الملكة. فولدت له أخت تحفنيس جنوبث ابنه، وفطمته تحفنـيس فى وسط بيت فرعون. وكان جنوبث فى بيت فرعـون بين بنى فرعون.
>
> ملوك أول ١١/١٤ – ٢٥

وتلك الرواية تشى بأكثر من سر، فهناك صلة حارة بين ملوك آدوم وبين الفراعنة، وهى الصلة الحارة التى حدثتنا عنها وثائق تل العمارنة مع الميتانيين فى بلاد آدم الحورى. لكن الملحوظة الهامة هى أن التقليـد المصرى كان يسمح للمصرى بالزواج من أجنبية **لكنه لم يكن يحق للمصرية إطلاقا أن تتزوج مـن غيـر مصـرى**، فما بالنا والنص هنا يقول أن المصرية التى تزوجت الأجنبى الآدومى كانت أميرة من البيت المالك بمالها من قداسة دينية وقانونية. إنه أمر لا يجب أن يمر بسرعة نضيفه إلى رصيدنا نحو الكشف المـأمول، حيث **لم يصلنا من علم التاريخ فى الوثائق المصرية أن هناك أميرة مصرية تزوجت إجنبيا سوى فى حالة ميتانى فقط وهو ما تؤكد التوراة أنه حدث مع آدوم**. أفلا يعنى ذلك أن ميتانى هى ذات عين آدوم؟

وربما حدث مرة أخرى فى حالة زواج سليمان من بنت الفرعون الذى لم تذكر التوراة اسـمه وربمـا كان شيشنق لأن شيشنق هجم على دولة سليمان بعد موته مباشرة، على أن نقبل رواية التـوراة عـن هـذا الزواج بتحوط وتحرز وربما بشك عظيم فقد تكون كاذبة تماما. أو ربما نصدقها إذا نظرنا إلى زمن شيشـنق كبداية لانحطاط القوة المصرية الصلفة، ناهيك عن كون هذا الزمن زمن حكم الشناشقة لم يكن زمـن حكـم مصرى لأن الشناشقة وشيشنق هذا **لم يكونوا مصريين بل ليبيين،** لأن شيشنق الأول هو مؤسس لأسرة ليبية حكمت عرش مصر، ومن هنا يمكن أن نفهم عدم حرصهم على التقاليد المصرية المقدسة.

ونعاود البحث وراء وثائق التاريخ نبحث عما يؤيدنا، فنجد نصا يمكن أن يعطينا دليلاً جديداً هو نـص آمنحتب الثانى  ١٤٣٦-١٤١٣ق.م يسوقه لنا جاردنر مع تعقيباته قائلاً: " نفهم من النص أن الفرعون المصرى كان فى مجلس شراب فانطلق لسانه بالاحتقار لأعدائه الأجانب بمن فيهم **العجوز رباح وقوم نخسى** الذين لا جدوى منهم .. وأنه بعد أن عاد جلالته من رتنو العليا، وبعد أن قهر أولئك الذين لم يستشعر حبهم له، وبعد أن مد حدود مصر فى حملة النصر الأولى له، عاد جلالته فرح القلب إلى أبيـه آمـون. ووضعهم مقلوبين على مقدم سفينة جلالته التى كان اسمها: عا خبرع مثبت الأرضين، وقد علق ستة مـن هـؤلاء الأعداء على واجهة سور طيبة، أما السابع فقد أرسل بسفينة إلى النوبة وهناك علق على جدار سور نبتة ليكـون عبرة. ونخسى لا تبعد كثيراً عن **قادش** على نهر الأورنت، وهى الحملة نفسها التى جاء ذكرها على تمثـال لأمنمحات عثر عليه فى مدامود يشير فيه انه شهد جرأة وإقدام مولاه حيث غزا ثلاثين مدينة فى ناحية تخسى .. ونلتقى بفقرة تصف تدمير مكان يدعى **شمس آدوم** لا يبعد أكثر من مسيرة يوم عن قطنا. وهـى مدينـة هامة على بعد أحد عشر ميلا إلى شمال شرقى حمص " (٤).

وحتى يمكن فهم النص، فإن بلاد رتنو العليا اصطلاح مصرى يشير إلى بلاد سوريا ولبنان الحاليـة، بينما كان يعبر عن فلسطين ومحيطها الجنوبى باسم رتنو السفلى. **ويبدو لنا** أن الاسم (رتنـو) مـن (ردن) ومنه الكلمة (أردن). وهكذا يكون هناك أردن أعلى يقصد به نهر العاصى الذى يحمل اسم (أورنت) ويلتقـى تماما مع كلمة (أردن) بظاهرة القلب، ويكون هناك رتنو سفلى يقصد به نهر الأردن الحالى ومحيطه.

وحول قراءة أسماء الأعلام فى اللغات القديمة يبدى الباحثون قلقهم " من صعوبات البحث فى التـاريخ القديم عموما، إذ أن كتابة الأسماء القديمة .. لا تخضع لأية قواعد متعارف عليها، فإذا أخذنا أسماء باللغـات التى لها قرابة عائلية مع اللغة العربية مثل: الأوغاريتية والآرامية والعبرية والأكادية وغيرها. نجد اختلافـا فى تهجئة أسماء العلم قد يؤدى إلى فوضى فى هوية الأسماء الشخصية وأسماء الأماكن " (٥)

ونعود إلى قصة حملة آمنحتب الثانى الذى اضطر عند عودته من بلاد رتنو إلى تدمير موضع باسـم **(شمس آدوم)**. وليس فى المناطق الشمالية أى آدوم، وليس هناك موضعا باسم شمس آدوم. فقط لـدينا آدوم

---

(٤) نفسه: ص ٢٢٢ ، ٢٢٥ .

(٥) حسنى حداد و د. سليم مجاعص : بعل هداد، دار أمواج ، بيروت ، ١٩٩٣ ، المقدمة ، ص/ط .

التى نتحدث عنها الواقعة فى البلاد الصخرية فى محيط جبال سراة ووادى عربة. ومن هنا يجب استبعاد ملاحظة جاردنر التوضيحية التى ليست بالنص المصرى والتى تقول: إن شمس آدوم تبعد عن قطنا / حمص مسيرة يوم. ويجب فى ظل ما جمعناه حتى الآن أن نفهم أن حملة آمنحتب الثانى عند عودتها إلى مصر، هبطت إلى بلاد سعير الحورى فى حملة تأديبية اضطر معها إلى تدمير شمس آدوم أو عاصمة آدوم. ويدعمنا فى ذلك التفسير أنه قد ترافق في النص مع اسم شمس آدوم اسم لموضع آخر باسم قادش، فبماذا تفيدنا قادش هنا؟

إن الدارس للجغرافيا القديمة للمنطقة سيكتشف أنه كان هناك أكثر من (قادش)، فالكلمة تعنى الحرم والمقدس والقدس والقديس (قديش بالعبرية)، فهناك واحدة من تلك القوادش فى الشمال السورى على نهر العاصى، ثم هناك أخرى فى الجليل الفلسطينى تعرف فى التوراة باسم قادش نفتالى، ثم لدينا أهم القوادش قادش أورشليم التى استقر اسمها فى العربية (القدس). ثم نعلم من التوراة بوجود قادش أخرى تقع فى سيناء وجنوبى فلسطين وردت مُعرفة مرتين: مرة باسم (قادش برنيع)، ومرة أخرى باسم (قادش عين مشفاط)، وورد ذكر قادش سيناء هذه أكثر من مرة فى قصة البطرك إبراهيم، وفى قصة الخروج الإسرائيلى من مصر، حيث كانت محطة كبرى للخارجين من مصر عند آخر حدود سيناء الشرقية. وقد استقروا فيها ثمان وثلاثين عاما بعد رحيل فى سيناء استمر سنتين، وهو ما جعل رحلة التيه تستغرق أربعين عاما.

ووفق الإحداثيات المعطاة لنا بالتوراة حول قادش سيناء، فإنها لابد أن تكون قد قامت على الحدود الغربية لبلاد آدوم الجنوبية لبلاد فلسطين، الشرقية لشبه جزيرة سيناء، ونظنها هى بالتحديد المقصودة فى نص آمنحتب الثانى بالترافق مع شمس آدوم.

وللتبسيط السريع نقتطع بعض الإحداثيات التى أعطانا إياها الكتاب المقدس وتتعلق **بالموضع (قادش) لتأكيد ارتباطها بشمس آدوم وبلاد آدوم فيما نزعم.**

فى قصة ميلاد إسماعيل بن إبراهيم يتم طرده هو وأمه هاجر فيذهبا ليستوطنا فى بادية تحمل اسم " برية فاران / تكوين ٢١/٢١ ". وفى موضع آخر بالتوراة نجد قادش سيناء تقع فى محيط بريتين، الأولى باسم " برية فاران / عدد ٢٦/٣ " والثانية باسم " برية صين / عدد ١/٢٠ ". وبالبحث علمنا أن برية فاران هى برية (باران) الحالية التى تقع على حدود سيناء الشرقية، وتتاخم من الغرب بلاد آدوم الحورية. وإلى الشمال من (باران) عند لسان البحر الميت الجنوبى غربا، نجد برية باسم برية (تسين) وهى ما يطابق (صين) التوراتية. وقد أكد الإصحاح العشرون من سفر العدد **أن قادش كانت تقع فى طرف تخوم آدوم الغربية** وبذلك تقع جنوبى فلسطين ويؤكد ذلك بشكل آخر سفر يشوع ضمن المدن الواقعة على الحدود الجنوبية لفلسطين:

وكانت المدن القصوى التى لسبط يهوذا إلى تخم **آدوم** جنوبا: قبصئيل وعيدر وياجور **وقينة** وديمونة وعدعدة **وقادش** وحاصور ويثنان .

يشوع ٢/١٥ ، ٣

وفى تحديده لأرض يهوذا بفلسطين، أوضح الكتاب المقدس أن حدودها الجنوبية " جانب الجنوب يمينا من تامارا إلى مياه مريبوت **قادش النهر** إلى البحر الكبير / حزقيال ٤٧ " (٦) . بل إن المسافة بين قادش النهر هذه وبين جبال سعير بآدوم قد تم تحديدها فى قول المقدس: " أحد عشر يوما من حوريب على طريق **جبل سعير إلى قادش برنيع** / تثنية ١/١ ، ٢ ".

وإعمالاً لهذه المعطيات الإحداثية تم تحديد قادش سيناء عند (ترامبول) بموضع **عين قديس** الآن شرقى سيناء، وكان معنى أن يسكنها عدد هائل من البشر الخارجين من مصر تحت قيادة موسى لمدة ثمان وثلاثين سنة، أنها كانت عامرة ومؤهلة طبيعيا بكميات من المياه لإيواء هذا العدد من البشر. وتتكرر إشارة الكتاب المقدس هنا إلى أنهار بالمنطقة فهى "**قادش النهر/حزقيال٤٧**"

وهكذا نرى أن قادش سيناء هى المقصودة فى حملة آمنحتب الثانى حيث يقول بعد تدميره شمس آدوم أنه **عاد** إلى قادش فقدموا له الولاء، وعاد إلى مصر بعدد كبير من الأسرى يصل إلى ١٥٠٧٠ من النجاسو (٧). ولا نعرف الآن – ومؤقتا – ماذا تعنى كلمة النجاسو. مع ملحوظة لها أهميتها وردت فى نص الجملة وإن كانت غير مقروءة بوضوح تشير إلى (العابيرو) وهى الكلمة التى كانت تفسر كلما وردت بأنها تعنى العبرانيين (٨) .

وفوق كل ما سلف فإنك تلمس فى قراءتك للمقدس التوراتى إشارات واضحة إلى أن شعب آدوم لم يكن شعبا عاديا فى المنطقة، بل كان شعبا من الكبار الأذكياء الحكماء، وهى صفات تشير إلى كيان هام بالمنطقة يردد عنه الكتاب المقدس الذكريات بلسان الرب الإسرائيلى مهدداً:

ألا أبيد فى ذلك اليوم ــ يقول الرب ــ **الحكماء** من آدوم **والفهم** من جبل عيسو؟ فيرتاع أبطالك **ياتيمان** لكى ينقرض كل واحد من جبل عيسو بالقتل، من أجل ظلمك لأخيك يعقوب، يغشاك الخزى وتنقرض للأبد.

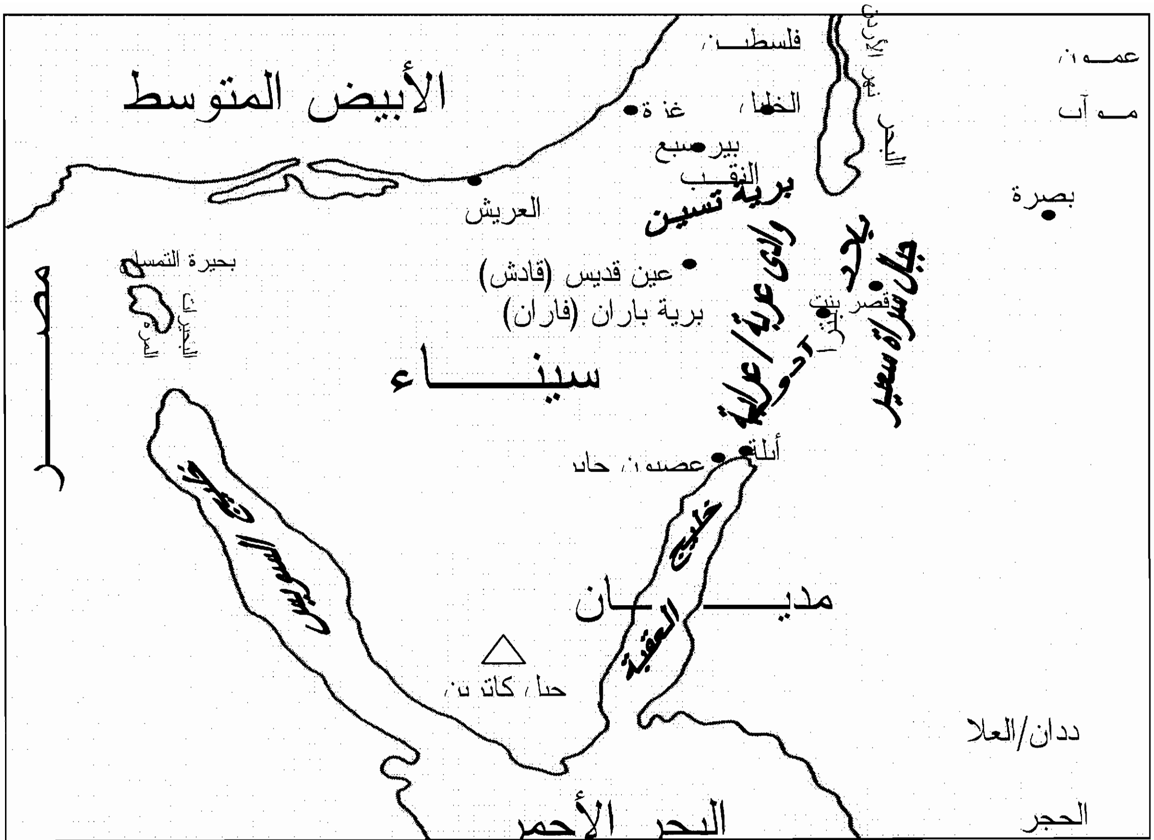
(عوبيديا ١/٨ – ١٠)

---

(٦) يقصد بالبحر الكبير البحر الأبيض المتوسط .

(٧) جاردنر: مصر الفراعنة .. سبق ذكره ، ص ٢٢٤ ، ٢٢٥ .

(٨) نفسه: ص ٢٢٨ .



الخريطة رقم (٢٣) خريطة تبين موقع بلاد آدوم

سالع / البتراء / . . . . ونظرية جديدة

كانت مدينة البتراء، الواقعة تقريبا فى منتصف المسافة ما بين البحر الميت وبين خليج العقبة، آخر عاصمة لآخر دولة كبرى قامت فى تلك البلاد، تلك الدولة التى عرفت باسم دولة الأنباط. وجاءنا ذكر البتراء مع الشعب الذى عاش فى تلك المنطقة زمن الإمبراطورية الرومانية باسم شعب الأنباط. وهى مدينة لا مثيل لها ولا شبيه فى العالم أجمع، وتقع على بعد ستين ميلا شمالى العقبة ، على تقاطع خط طول ٣٥,٢٦ شرقا مع خط عرض ٣٠,٢٠ شمالاً، إلى الغرب مباشرة من معان، وهى معان التاريخية التى كانت محطة ترانزيت كبرى باسم (معان مصران) أى معان المصرية، وترتفع البتراء بحوالى ٢٧٠٠ قدم عن سطح البحر، وتحيط بها سلسلتان من المرتفعات يفصل بينهما مقدار ميل.

وتقع مدينة البتراء وسط مجموعة جبال هضبية، بعضها أقماع صخرية هائلة، يغلب على صخرها **اللون الأحمر**، الموشى بكل ألوان قوس قزح، مع الدرجات اللونية الانتقالية بين الألوان الفصيحة.

وتبعد البتراء عن عمان العاصمة الأردنية بحوالى ٢٦٢ كم إلى الجنوب منها، وتحدها من الشمال قرية وادى موسى ذات الينابيع الشهيرة بمياهها المعدنية المتميزة، والتى كانت لا شك أشد تدفقا من الآن فى القرون البعيدة الخوالى. وإلى الغرب من (البتراء)، وعلى الحدود مع شبه جزيرة سيناء، يقع وادى عربة بجماله الجليل، وفيه يقع الجبل المعروف باسم هارون، والذى يقول الكتاب المقدس أن اسمه كان أيضاً (جبل موسير)، وتزعم أنه حمل اسم (هارون) لأن هارون مات ودفن فيه، لكن رواية المقدس ذاته تقول: إنه كان يحمل اسم جبل هارون **قبل أن يعرفه هارون شقيق موسى.** أما إلى جنوبى البتراء، فيقع وادى صبرة وجبل تمناع الذى تكتبه التوراة **جبل (تمنه)، حيث توجد هناك بقايا مناجم النحاس وأفران قديمة لتصنيعه،** وقد سيقت بشأن تلك المناجم والأفران فروض كثيرة، لتحديد زمن إقامتها هناك فنسبها البعض إلى المصريين، وهناك من نسبها إلى الملك الإسرائيلى سليمان. أما شمال البتراء فهو الامتداد الطبيعى لوادى موسى والبيضا.

وعند زيارتك للبتراء ستكتشف أنك أمام **موقع من أشد المواقع المحصنة تحصينا طبيعياً فى العالم،** فى جبالها تتناثر **الكهوف** التى تكشف كل يوم عن آثار تركها لنا أهلوها. لكن ما يعلمه التاريخ الآن عنها بثقة لا يبعد أكثر من القرن الثالث قبل الميلاد، حيث قامت فى تلك البوادى مع اتصالها ببادية الشام، دولة كبرى وسعت حدودها جنوبا، حتى بلغت وادى القرى، وشمالا حتى دمشق، وغربا حتى السويس بمصر. ووصلت إلى مجدها القصى فى القرن الأول الميلادى، فأصبحت فى زمنها دولة تجارية كبرى فى العالم آنذاك، وساعدها مركزها الاستراتيجى جغرافيا على الإمساك بعنان تجارة العالم حينها، **فما كان ممكنا أن تمر تجارة عبر أى خط من خطوط الجهات الأصلية للعالم القديم، دون المرور على دولة الأنباط.** وقد أمسى واضحاً أن توسع تلك الدولة حتى دمشق شمالا، كان القصد منه الإحاطة بمساحة الخطوط التجارية جميعاً بين الشرق

والغرب والشمال والجنوب، فتحكمت تماما فى طرق التجارة، ووقفت تضغط بمكوسها وجباتهــا الجمركيــة الباهظة على عصب حياة الدول المحيطة بها جميعاً، فاكتسبت عداءها جميعا.

وكانت منتجات العالم القديم من بخور وعطور ومواد طبية ومنسوجات وحرائر، تجد طريقهــا اولاً – عند العبور – إلى مخازن مدينة البتراء، ومن ثم وجدت روما أن دولة الأنباط قد توسعت على حسابها أكثر مما ينبغى، وحققت ثراء فاحشا قد يغريها بمزيد من الأطماع التوسعية. فدخلت البتراء صراعا مريــراً مــع روما الإمبراطورية، ووقفت نداً شديد المراس لها. ولم يجد الرومان من سبيل سوى خطة طويلــة الــنفس، بدأت بإيجاد طرق أخرى فرعية بديلة لطرق التجارة التى تمر ببلاد الأنباط لضربها اقتصاديا. وما إن بــدأت بوادر الضعف تظهر على دولة التجار، حتى حان وقت الضربة القاضية، فوجهت رومــا نحوهــا حملتهــا الكبرى، لتحتلها عام ١٠٦ ميلادية، وتحولها إلى ولاية رومانية تابعة، ثم عاملتها بإهمال شــديد نكايــة فــى مقاومتها السالفة. ولم يأت القرن السابع الميلادى، حتــى كان آخر ضوء خافت للبتراء يضــيع باهتــا فــى الألوان البارزة لأفق التاريخ، وضاعت معالمها من ذاكرة الإنسانية تماما، وظلت فى عزلتها الصخرية، حتى أعاد اكتشافها وتذكير العالم بها، الرحالة السويسرى (بوركها ردت).

وإلى الشمال الغربى من عاصمة الأنباط تقع برية (باران) [التى نراها تلك المذكورة فى الكتاب المقدس باسم (فاران)]، وهى البرية التى تقول الأسطورة: إن هاجر محظية إبراهيم قد أخذت إليها ولدها إسماعيل بعد ما طردها سيدها إبراهيم هى وولدها بأوامر من زوجته سارة، بدوافع الغيرة والصراع على الميراث، حسبما جاء بالمقدس التوراتى. ونعلم من سلسال النسب التوراتى أن (إسماعيل) نشأ وربى يافعا فى برية (بــاران / فاران)، **وتزوج من العماليق، مما يعنى أن العماليق كانوا من سكان تلك المواضــع**، وأنجــب أولاداً كــان أشهرهم ذلك الذى حمل فى التوراة الاسم (نبايوت)، وهو بلا شك ذلك الذى ذكره التأريخ الإســلامى باســم (نابت) ابن إسماعيل. وهنا لابد أن تبرق فى الذهن علاقة نابت الذى سكن غربى البتراء فى فاران، والشعب الذى جاءنا ذكره قاطنا للمنطقة ذاتها، باسم **(الأنباط) جمع (نابط) أو(نابــت)**، بــالبلاد التــى أطلــق عليهــا المصريون اسم **(بنط) أو بنت.**

وكى تدخل **مدينة الصخر،** فعليك فى حال قدومك من الشمال، أن تمر عبر **ممر طبيعى شديد الضيق،** ينتهى بك مباشرة إلى قلب العاصمة، يطلق عليه سكان المنطقة الآن اسم (السيق)، ويبدو أن الاســم تلــوين لهجوى على كلمة الشق، فهو بالفعل شق – يثير الرهبة العظيمة – فى جبل هائل، ويبلغ عرض السيق فــى أغلب المناطق مترين، ويتسع فى بعضها إلى عشرة أمتار تقريبا، أما بعض مناطقه فربما لا يمكنك أن تدور فيها بحصانك.

ويعتمد الأهلون هناك الآن فى معاشهم على السياحة، وأهمها تأجير الخيول للسائحين لعبــور الســيق، وهو العبور الذى يستغرق حوالى نصف ساعة رهابية، بين حائطين جبليين عظيمين يكادا ينطبقــا، ويكــادا يخفيان ضوء النهار فى ذلك الشق الأخدودى الذى ترتفع حوائطه الجبلية حوالى مائة متر أو يزيــد حســب تقديراتى الشخصية.

وبعبور السيق تخرج إلى ضوء النهار الفسيح الفصيح مرة أخرى، لتجد فى مواجهتك مباشرة ذلك الأثر الهائل الذى يخطف بصرك وعقلك وقلبك معا، ذلك الجمال المتفرد الذى يطلق عليه أهالى المنطقة اسم الخزنة أو **خزنة فرعون**، وهو حفر عظيم ونحت هائل فى صخور الجبل المواجه لمخرج السيق. يشهد لبُناته بالعظمة القادرة، ويعد من بين أروع آثار الدنيا، وأعجب فنون النحت فى تاريخ العالم، فى صخر ملون يقع فى النفس موقع الجليل، لا تملك معه النفس من الرهبة سوى أن تسرى برجفتها فى الجسد تواضعاً أمامه.

وعند دخولك الخزنة ستجد نفسك فى غرفة كبرى، مساحتها حوالى أربعون قدما مربعا، غير مزخرفة، تفضى بالداخل إلى غرف كثيرة صغيرة، منها غرفتان كثيفتا الزخرف. وعندما يهدأ روعك وتبدأ فى متابعة دليلك، ستذهب معه إلى مدرج المسرح الكبير، الذى نحت بدوره فى الصخر نحتا، كل شئ هنا منحوت فى الصخر، حتى مقاعد المتفرجين الأربعة آلاف قد حفرت على هيئة مدرجات فى الصخر، مكونة من ثلاثة وثلاثون صفا من المقاعد المنحوتة، كذلك ضريح الجرة، وهو حفر عميق فى الصخر صنع من المكان قاعة شبه مربعة، يبلغ طول الضلع فيها حوالى عشرين متراً. ولا تملك سوى الانبهار بكم العروق الملونة فى الصخر والحجر، الأبيض والأسود والأحمر والأخضر، وما بينهما من درجات لونية، أحجار ليست ككل الأحجار، فهى إعجاز فنى، لكنه من فنون الطبيعة البكر.

وبعد المسرح بمسافة قصيرة تصل إلى وادى بترا، وكله معالم آثارية نحتت على الجانبين. فعلى يمينك جدار الخبتة الكثيف، وعلى يسارك سلسلة جبل العطوف، وهناك ممر رملى يستدير حول العطوف متجها نحو الغرب، حتى يصل إلى بداية الشارع المسقوف. وهناك منحدران: الأول يستمر قدما حتى يصل إلى مسافة أبعد نحو الشمال الشرقى، حيث يوقفك فى مواجهة **قصر (بنت)** أو قصر (البنت)، كما يسميه السكان الآن هناك، وكان فيما يبدو قصر الحكم ومركز الإدارة، أو أن تختار المنحدر الثانى عن يمينك، فيصل بك إلى ما يسمى القبور الملكية. وعند الاقتراب من الشارع المسقوف لابد أنك ستصاب بدهشة بالغة، عندما تجد **بقايا نافورة عامة كبرى، تقع عند ملتقى وادى موسى بوادى متاهة، وهو الأمر الذى يشير إلى وفرة عظيمة فى الماء فى ذلك الزمان.**

وبالعودة إلى الطريق الرئيسى الذى ينفتح على الجبال المحيطة بالمدينة، ستجد مساحة واسعة كانت فيما يبدو سوق المدينة فى عصور ازدهارها، وينتهى ميدان السوق بشارع تم تمهيده بالصخر وتزيينه بقوس نصر، وعلى يساره يقع **قصر (بنت)** الذى يرتفع سامقاً عشرين متراً أو يزيد، أما الأكثر دلالة فهو أن أهل المنطقة يطلقون عليه تبادليا مع اسمه (قصر البنت) اسما آخر هو (قصر الفرعون) ثم اسما ثالثا هو (قصر بنت فرعون). لكن الصيغة المتواترة عند سكان المنطقة هى فقط (قصر البنت).

وإضافة إلى ظاهرة النحت تترافق ظاهرة إقامة المبانى عالية فوق أعمدة منحوتة من الصخر، ونموذجا لها قصر البنت هذا، كذلك المبنى المسمى بالدير، وعدد آخر من **البيوت المقامة فوق أعمدة**، لاتفسير لرفعها هذا عن الأرض، سوى **تعرض تلك الأراضى فى بعض فترات العام إلى الغمر بمياة السيول المتدفقة من الوديان إلى البتراء .**

وقد بنى قصر (بنت) على مرتفع عظيم من الحجر الملون، مزخرف من الداخل بالجص، ويقف على منصة عالية من أفاريز الأعمدة، ومن هنا يمكنك أن ترى غير بعيد منك، صخرة الحيس المسماة بالقلعة، والتى لم يتبق من آثار فوقها سوى كسر فخار وبعض الخرائب. وعلى الجانب الشرقى لصخرة الحيس يمكنك الاستمتاع بزيارة معبد قوس قزح، الذى يطابق مسماه واقعه، فهو قطعة فريدة من الجمال اللونى المتمازج.

وفى الجوار قمة شاهقة منيعة تسمى الآن أم البيارة، اكتشفت عليها كسر خزفية قديمة من زمن الآدوميين، وبقايا قلعة آدومية. وقد ذهب البعض إلى أن أم البيارة كانت هى عاصمة بلاد آدوم الواردة فى التوراة باسم (سالع). وترتفع أم البيارة من زاويتها الشمالية الغربية نحو ٣٧٧٢ قدما فوق سطح البحر، ومن هنا يمكنك أن تعد حولك على مدى بصرك ثلاثة عشر مبنى تطل جميعا على العاصمة، ومن حواليك فوق صخره الحيس ستجد أحواضا ضخمة عميقة، كانت فيما يبدو مخازن للمياه زمن مجد البتراء، ويمكنك ببعض الجهد أن تصل إلى القنوات التى حفرت فى الصخر لتجرى المياه من خلالها .

ويعد المبنى الذى يطلق عليه الآن اسم الدير، أضخم آثار مملكة الأنباط، ويقع على قمة جبل (إنهم شعب يسكن دوما المرتفعات والعُليات)، ويرتفع هذا الجبل حوالى نصف كيلو متر، تصلك به من السفح سلالم صخرية تم نحتها فى ذلك الجبل تدرجا نحو القمة. أما الدير نفسه فترتفع مبانيه حوالى خمسة وأربعين مترا، **ولا تقل واجهته بحال عن سبعين متر طولا**، وهى الواجهة التى تقف بدورها على أعمدة تعلوها التيجان ومن فوقها الشرفات المنحوتة **تذكرنا بنموذج الدير البحرى** الذى أقامته حتشبسوت بعد بعثتها إلى بلاد بونت.

أما بقايا آثار الحياة القديمة، التى كانت تضج بها عاصمة الأنباط فتظهر واضحة فى القنوات الجافة المحفورة صناعيا فى الصخور، وتمتد حتى وادى موسى، عندما كانت مياه العيون فى عنفوان تدفقها تروى جنة البتراء. وحتى الآن تتناثر فى المنطقة شجيرات برية تكاد تكون خاصة بهذه المنطقة، وزهوراً برية تضفى على المكان مزيداً من الجلال، وحتى الآن لاتزال قرية وادى موسى تزرع على مياه الينابيع التى أخذت فى الخفوت بعد مرور عشرات القرون، القمح والشعير والبقوليات، مع مزارع كروم ورمان وتفاح **وتين.**

ورغم أن زمن الأنباط كان آخر أضواء المنطقة، مما يشير إلى ذبول مماثل قد حدث على الترافق للينابيع المتدفقة هناك، فإن (ديودور الصقلى) قد سجل فى القرن الأول الميلادى، أن الأنباط كانوا أغنى أهل زمانهم، وأن ثروتهم الرئيسية جاءتهم من التجارة التى كانوا يحملونها من الجنوب إلى الشمال، وإلى بلاد مصر والشام وإمبراطورية الروم، وأنهم كانوا يتاجرون بكل شئ يقع تحت أيديهم، حتى الزفت والقار الطافح على سطح البحر الميت، كانوا يحملونه إلى مصر، باعتباره من مواد التحنيط الرئيسية.

وهنا يتساءل المؤرخون: " كيف تأتى لهم أن يصبحوا **أمة زراعية، تعنى بأدق طرق الرى وسائله،** ومتى أحرزوا تلك القدرة على الفن المعمارى، ومتى قيض لهم أن يتفوقوا فى فن النحت، ومن أين ومتى

اقتبسوا ذلك النظام الإدارى الدقيق، وتلك الديمقراطية الفذة؟ **أسئلة كثيرة لا نملك إجابة لها**. ولكن الحقيقة تقف أمامنا ساطعة،وهى أننا إزاء تطور خطير جرئ .. ويشهد استرابو .. أن بلادهم كانت **غنية بالفواكه**، وأن مدينتهم نفسها كانت تشتمل على **حدائق** .. حتى ليقول استرابو أنهم جد شغوفين بالإحتياز والملك .. وأصبحت بترا ملتقى الناس من **شتى الأمم**، وأصبحت قاعات المحاكم فيها تغص بالغرباء ". [١]

وإذا كان الدلفين من الآلهة الهامة المعبودة فى ذلك المكان الصخرى، حسب التماثيل الكثيرة التى وجدت هناك للحوت من نوع الدلفين، فهو يشير إلى علاقة واضحة بالبحر، وأن النشاط التجارى هناك لم يقتصر على الرحلات البرية وحدها.

أما الأشد إبهاراً، فهو أن تجول عيناك فى الجبال حولك، لتطالع تلك الأبنية المقامة على الأعمدة، والتى تتوازى مع فوهات الكهوف التى حفروها فى الجبال حفراً، على مدرجات الصخور، وهى الكهوف التى لا شك كانت مساكن لاقبور كما يقال الآن. مساكن فريدة تتناثر فى صفحات واجهة الجبال فى الأعالى، كما لو كانت **أعشاشا للنحل** لمن يراها من بعيد، يصلون إليها بمدرجات صخرية، ثم سلالم خشبية بينما تنتشر الدرجات الصخرية المؤدية إليها فى منحنيات السفوح لتصلك بأعاليها، لكنك دوما وفى أى موقع، بحاجة إلى سلم خشبى نقال، يضعك فى مواجهة فتحة غائرة لكهف من كهوف بيوت الصخر.

والآن يمكننا القول: إن كل هذا العرض لم يكن فقط لمجرد التعرف على منطقة بلاد آدوم، وعاصمتها (سالع) بل بغرض أشمل من ذلك وأكبر، حيث تقوم فرضيتنا الأساسية فى هذا الجزء من العمل، على أن بلاد بونت التى جاء ذكرها متكررا فى النصوص المصرية، وما جاء بشأن تفاصيلها الدقيقة فى لوحات حتشبسوت بالدير البحرى، والتى عرفت باسم (أرض الإله)، وكانت بلاداً تستحق تجريد الحملات عليها بين حين وآخر، كما تستحق الزيارات الودية للتبادل التجارى فى أحيان أخرى، وباعتبارها مع ذلك بلاداً ذات صلات حميمة بمصر، للحد الذى لم يرسم فيه المخصص الهيروغليفى للبلاد الأجنبية، عند ورود اسم بونت فى المدونات المصرية. إن بونت هذه إطلاقا لم تكن تقع فى إفريقيا، ولا على سواحل عمان، ولا فى اليمن، ولا على سواحل عسير بجزيرة العرب الغربية، ولاهى فلسطين زمن سليمان كما ذهب (فليكوفسكى)، حيث ارتحل (فليكوفسكي) ذات الرحلة بالحملة من مصر إلى العقبة لكن كى تزور حتشبسوت الملك سليمان الإسرائيلى فى أورشليم بحسبانها هى ملكة سبأ فيما يزعم، ولا هى فى بلاد الهند أو أمريكا، إنما هى على وجه التحديد حسبما جمعنا من مادة علمية هائلة كما وكيفا، **وما حشدنا من قرائن وبراهين وأدلة ستتالى فى مواضعها من هذا العمل**، هى تلك البلاد التى ذكرتها نصوص مصر باسم آخر هو بلاد ميتانى. وحسب نظريتنا لا تقع (ميتان) بعاصمتها الكبرى فى أعالى الرافدين بين الخابور والفرات، إنما تقع تماما فى المساحة التى ذكرها الكتاب المقدس باسم آدوم، على الحدود الشرقية لسيناء، حيث عاش الشعب الحورى الغامض، بلغته الغامضة، وتاريخه الغامض، ذلك الشعب الموصوف بأنه شعب أحمر، وفى هذه الحال يكون **الميناء الذى استقبل سفن حتشبسوت فى بلاد بونت، هو أحد الموانئ القديمة الواقعة على رأس خليج العقبة.**

---

(١) إحسان عباس: تاريخ دولة الأنباط، دار الشروق، عمان، ١٩٨٧ ، ص ٣٥ ، ٣٦ .

وإذا كانت عاصمة تلك البلاد زمن الآدوميين القديم قد حملت اسم سالع، فإننا نجد لهذا الاسم مطابقا مدهشا فى نصوص حتشبسوت التى تحدثت عن مدينة كبرى فى بلاد بونت تحمل اسم (أوزالت) [٢] أو **(أوسالعت)** الذى يتطابق مع اسم سالع تماما، وهى المدينة التى حملت اسم البتراء مع آخر ضوء باهت لها زمن الأنباط. والحقيقة أن كليهما (سالع) و (البتراء) يعنيان معنى واحداً يدل على طبيعة المكان ومناعته، فالمعنى هو كما سلف **(صخرة)**.

وفى قاموس الكتاب المقدس نقرأ تحت مادة **(سالع)** :

> اسم عبرانى معناه: **صخرة**، وهى أمنع موقع فى أرض آدوم، كان يهرع إليها الآدوميون كقلعة حصينة لا تقهر وقت الحصار الحربى، لأنها تقع على قمة جبل .. وقد **أقام سكانها فى الأعالى فى شقوق الصخر** .. فى القرن الرابع قبل الميلاد انتقلت بترا من الآدوميين إلى العرب النبطيين، الذين جعلوها **أفضل البقاع الزراعية،** بفضل نظام الرى الرائع وخزانات المياة، فعمروا الصحراء، كما استخدموا أفضل الأساليب الحربية المعروفة وقتئذ وأدخلوا عليها التحسينات، **وكانت بلادهم مركز التجارة القادمة من الشمال والجنوب والشرق والغرب،** وكانت الأسرة الحاكمة تضم عدداً من الملوك باسم **الحارث**، وقد ورد ذكرهم فى ٢ : كورنثوس ١١ / ٣٢ .
>
> انتهت مملكة النبطيين سنة ١٠٥ بعد المسيح، عندما هاجمها الإمبراطور الرومانى تراجان، وصارت مدينة الصحراء العربية الجميلة مقاطعة رومانية. وقد كشف مكانها المستكشف والرائد المشهور بركهاردت عام ١٨١٢ م، بعد أن أُخربت فى عام ٦٢٩ فتمت فيها نبوءة إرميا ٤٩/١٦ ، ١٧. ويزور سالع اليوم سياح كثيرون، ويمكن الوصول إليها من جهة الشرق عن طريق جسر اسمه السيق، ويبلغ طوله ميلا واحدا، وهو محاط من جميع نواحيه **بصخور ذات ألوان طبيعية را ئعة**، تختلف من **فعل الماء**، ويسمى هذا الجسر أيضا

---

(٢) عبد المنعم عبد الحليم: موجز رسالتيه للماجستير والدكتوراه، (كراسة على الآلة الكاتبة) ص ٢٦ .

بوادى موسى، ويزعم الأعراب الساكنون هناك أنه تخلف عندما ضرب موسى الصخر بعصاته، ويخترق الوادى. طولا نهر صغير اسمه عين موسى، وجدران الوادى من صخور رملية منضدة بألوان قرمزية ونيلية وصفراء وإرجوانية .. واسم قلعة سالع اليوم أم البيارة

والتعبير (أم البيارة) يشير مرة أخرى إلى تلك الأزمنة الخوالى عندما كانت العيون المتدفقة بأنهارها تروى جنات آدوم، لأن البيارة هى البقعة الخصيبة، فما بالنا وهى (أم البيارة). وبالكتاب المقدس سفر باسم (عوبيديا) كرس نفسه وقصرها على صب اللعنات على بلاد آدوم، تقول بعض مقاطعه:

رؤيا عوبيديا: هكذا قال السيد الرب عن آدوم .. إنى قد جعلتك صغيراً بين الأمم، انت محتقر جداً ، تَكَبُّرَ قلبك قد خدعك **أيها الساكن فى محاجئ الصخر**، رفعه مقعده القائل فى قلبه: من يحدرنى إلى الأرض؟ **إن كنت ترتفع كالنسر، وإن كان عشك موضوعا بين النجوم،** فمن هناك أحدرك، يقول الرب.

عوبيديا / ١ – ٤

أما أن ذلك الموضع الفريد، كان من بين أغنى المواضع الخصيبة المزروعة بالمنطقة، فهو ما يمكن استنتاجه من قصة لوط بالتوراة، وهو يرحل بأهل بيته وممتلكاته ميمما إلى المنطقة الواقعة شمالى آدوم المعروفة بدائرة الأردن، عند جنوبى البحر الميت، ليقيم هناك، شارحا سبب هذا الاختيار فى قول النص:

.. فرفع لوط عينيه ورأى كل دائرة الأردن، أن **جميعها سقى الرب** قبلما أخرب سدوم وعمورة، **كجنة الرب كأرض مصر**. حين تجئ إلى صوغر .

تكوين ١٣/١٠

ولم تزل صوغر حتى الآن قائمة باسمها القديم التاريخى جنوبى البحر الميت فى بلاد آدوم. أما قول التوراة أنها كانت جنة قبل أن يخربها الإله، فهو ما يستدعى ذكريات قديمة دونها المؤرخ (أورسيوس / هروشيوش) فى قوله:

وقد وصف الفلاسفة فى كتبهم بلداً كان يقع فـــى أفنيـــة
العرب، يدعى فى ذلك الزمان (**بنطابلس**) سكنه قـــوم
من بنـــى كنعان، أحرقته نار نزلت عليه من السماء [٣]

والتعبير (بنطابلس) تعبير يونانى يعنى المدن الخمس أو الخماسية، لكنه أيضاً (بنط – بـــوليس) الـــذى يعنى أيضاً (بلاد بونت). وسنرى أن تلك المنطقة قد اشتملت دوما على بلاد سميت بالأرقام، فأصحابها كـــان لهم اهتمام خاص بالأرقام لأنهم تجار، مثل مدينة (أربع) وهى حبرون (الخليل حالياً) ومثل مدينة الســـبعة أو (بير سبع) .. إلخ . والمعلوم أن المنطقة الخماسية كانت هى بلاد آدوم تحديداً لاشتمالها على خمـــس مـــدن ممالك متحالفة، سيأتي تفصيل ذكرها فى حينه.

ومثلما كانت بلاد بونت لغزاً غير محلول، فإن اسمها نفسه لم يجد حلا ولم يزل يحير العلمـــاء حتـــى الآن، وهل كان اسما له معنى؟ وهنا نسوق اجتهادات افتراضية ربما تكون مصيبة وربما تكون خاطئة، فربما كانت تعنى ما تعنيه فى اليونانية (البلاد الخماسية)، ثم هناك افتراضات أخرى نؤجلها لموضعها من البحـــث، ونطرح الثانى وهو أن بونت مؤنث (بون)، والبون هو الحجر القمعى المخروطى الهرمى، وهو ما تجده فى تسمية الحجر الهرمى المقدس فى مصر القديمة (بن – بن)، وعادة ما كانت قمة المســـلة ترمـــز إلـــى ذلـــك الحجر. والمقصود أن (بونت) تحمل بذلك شرحا لمعنى وصورة جغرافية صادقة لجبال البتراء الحورية، أى أن (بونت) بدورها كانت تعنى الصخرة، واسمها يلتقى مع الأنباط، أى سكان الصخر أو الصخريين، وهم من قلنا أنهم ينتسبون باسمهم إلى نابت أو (نبت) ابن اسماعيل بن إبراهيم، واسمه بالقلـــب (بنـــت). وإذا كانـــت البتراء هى بلاد بونت كما نزعم، فإن ذلك يفسر لنا الحكمة فى رحلة حتشبسوت إلى بونت، ومن قبلها فيالق القائد العسكرى حنو، وكليهما كان أهم ما سعى لجلبه من هناك إضافة إلى البخور، **أحجار بلاد بونت**. ومـــا كان ممكنا إدراك الحكمة فى بعثة تسافر عبر المياه وعبر اليابس لتحضر أحجاراً، لولا أن أحجـــار البتـــراء تحديداً ليست ككل الأحجار، لأنها كانت إعجازاً طبيعياً فنياً حقيقياً. أما اسم بلاد بونت فقد حفرته – فى رأينـــا – الأجيال، ممثلا فى الأثر الذى يطلق عليه الأهالى هناك اسم (قصر البنت) أو (قصر بنـــت)، الـــذى كـــان مركزا للحكم والإدارة.

لكن التفسير المعتاد لبيوت بلاد بونت فى لوحات حتشبسوت، يقول: إن تلك البيوت أكواخ مـــن القـــش بنيت فوق أعمدة وتناثرت وسط غابات أشجار اللبان، ولأنها أكواخ فقد تطابقت لدى الباحثين مـــع الأكـــواخ الأفريقية بالصومال. وحتى لو افترضنا أنها أكواخ، فربما كانت تصويراً لمساكن أحد موانىء العقبـــة الـــذى نظنه عصيون جابر الميناء القديم فلم يزل الأهلون فى هذه المناطق يبنون بيوتهم (ويسمونها : عشش) فـــوق أربعة أعمدة من فلوق النخل غالباً، ويصعدون إليها بالسلم النقال الذى يتم رفعه ليلاً، وهو الموجود أيضاً فى محيط نويبع وطوبية والترابين الآن.، لكن بالإمكان هنا أن نضيف توضيحا شارحا للوحات بيوت بلاد بونت

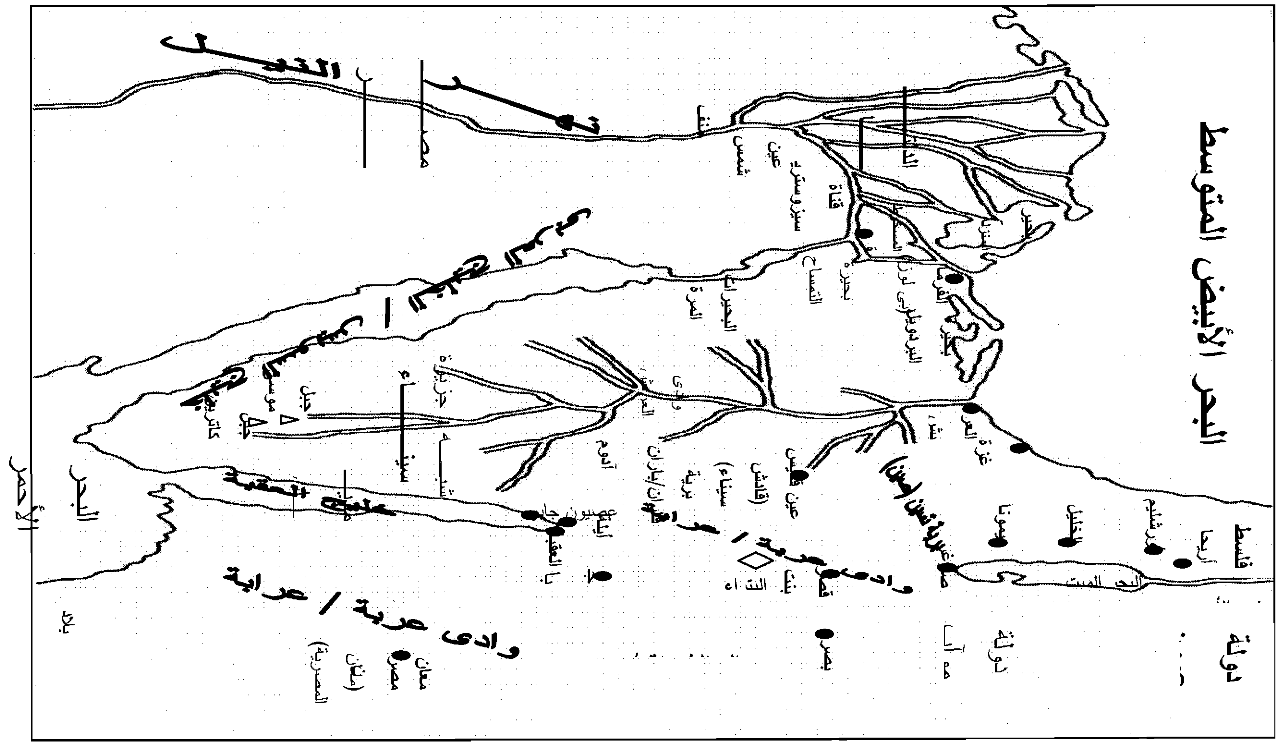
(٣) أورسيوس: تاريخ العالم .. سبق ذكره ، ص ٩٤ .

فى جداريات حتشبسوت يمكن أن يحيلها إلى البتراء نفسها، وأن عناصر اللوحات جمعت بين الميناء والعاصمة. حيث نجد فى اللوحات متكررات مع اسم الزعيم البونتى، للمخصص الهيروغليفى لعلامة الجبال يتكرر عدة مرات، ومن هنا نفترض أن الجبال كانت هى خلفية اللوحات التى نقشت عليها بقية التفاصيل. أما القول أن تلك المساكن كانت أكواخا تنتشر بين أشجار اللبان ونوع من النخيل، فهو القول الذى دعانا لإعادة تأمل اللوحات، لنكتشف **أن خطوط تلك البيوت لم تتقاطع مرة واحدة فوق خطوط النخيل والأشجار**، بل العكس كان هو القائم فى كل اللوحات، حيث تتقاطع خطوط الأشجار فوق خطوط البيوت، مما يشير إلى أن الفنان وهو يقدم تقريره للملكة وللتاريخ، **يريد القول أن البيوت لم تكن تنتشر بين الأشجار، إنما هى فى خلفية اللوحات** ومؤخرة المنظر، لصيقة بالخلفية الجبلية، أو **منحوتة فيها**.

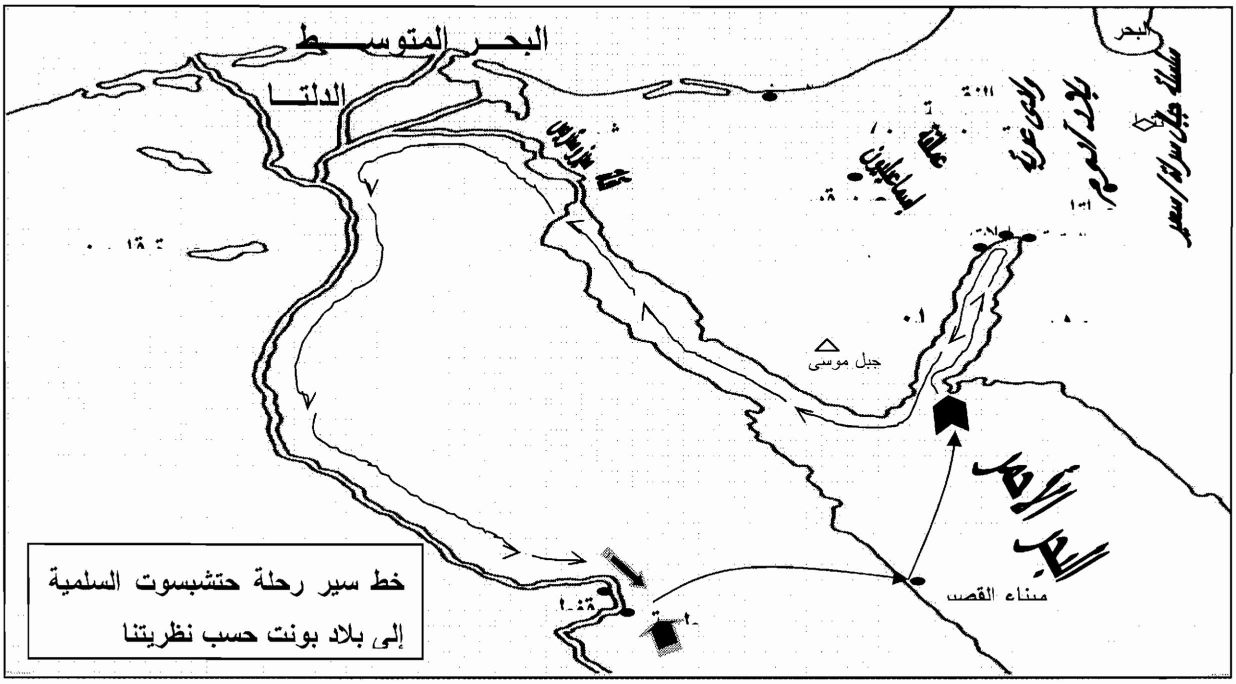
ولعل تلك الصورة القديمة لبيوت بونت فى لوحات حتشبسوت، هى الأصل القديم الابتدائى للنماذج الفنية الراقية، التى تطورت بعد ذلك حتى بلغت غايتها زمن الأنباط، بتأثير الفنون المصرية والرومانية، لتدخل على الأعمدة القديمة الزخرفة والتيجان، وبالمقارنة بين مشهد مثل مشهد الخزنة فى البتراء، وبين مشهد لبيت بونتى فى لوحات حتشبسوت، يكشف لنا أن بيوت بونت كانت الخطوط الرئيسية الأولى القديمة لمساكن الآدوميين الحور والتى ظلت فكرتها قائمة حتى زمن الرومان فى النحوت الحالية هناك.

ومن جانبه يفيدنا علم النبات، أن اللبان يحتاج فى زراعته إلى مواضع جبلية مرتفعة، بحيث يحيطه مناخ ملبد بالسحب والغيوم، مع جفاف نسبى، وهى جميعاً الأمور التى تجد نموذجها المثالى فى البتراء ومحيطها. وقد اختلف الباحثون حول نوع البخور المستقدم من بونت إلى مصر لذلك سنستخدم كلمة اللبان بشكل عام كلما وردت الإشارة إلى بخور بونت. وهكذا يكون تحديد بلاد آدوم بأنها هى ذات بلاد بونت حلا لمشاكل كثيرة غير محلولة، **فالآن يمكنا أن نفهم لماذا لم يضع المصريون علامة البلاد الأجنبية على بلاد بونت؟ لأنها كانت آخر الحدود المصرية الشرقية. ثم نفهم لماذا سمح الفرعون بتزويج أميرة من البيت المصرى المالك (لملك آدومى لاجئ إلى مصر) رغم أن القانون المصرى كان لا يسمح بزواج المصرية من أجنبى. فقد كان الملك الآدومى فى عرف الاستراتيجية المصرية مصريا يحكم فى مقاطعة مصرية. ثم نفهم أيضاً لماذا سجل الفنان المصرى رحلة الذهاب أولا عبر الصحراء الشرقية المصرية من فقط إلى القصير على البحر الأحمر، ثم سجل الرحلة البحرية من ميناء القصير إلى بلاد بونت، ثم عودته بالرحلة مباشرة بالسفن إلى طيبة / الأقصر عاصمة الإمبراطورية المصرية**، وقد كان هذا مثار حيرة الباحثين طويلا، أولئك الباحثين الذين ذهبوا بالرحلة عبر البحر الأحمر جنوبا إلى الصومال وأريتريا واليمن، حيث كان لابد عند العودة على البحر الأحمر النزول فى ميناء القصير مرة أخرى، ثم اتخاذ الطريق البرى عبر الصحراء إلى النيل عند فقط شمالى طيبة مباشرة، وهو مالم يسجله الفنان المصرى. وهنا قيل أن الفنان قد أغفل ذكر الطريق البرى فى العودة، وهو الأمر غير المقنع إطلاقا مع ذلك التقرير الدقيق الشامل. وظل التساؤل: كيف عادت السفن مباشرة بالنيل إلى طيبة دون المرور بطريق برى؟ وهو ما سبق إلى إكتشافه فليكوفسكى لكنه قال إن الرحلة كانت لزيارة الملكة حتشبسوت لمملكة سليمان اليهودية، وهو أيضاً الأمر الذى دعا الباحث

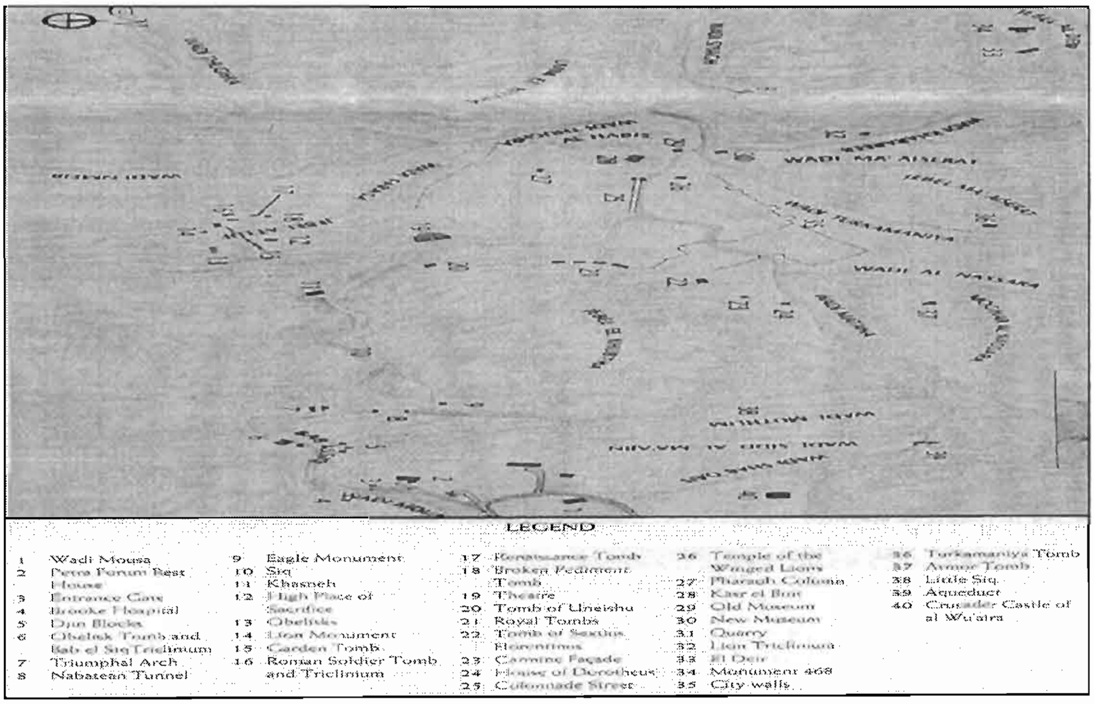
(هيرتزوج Hrzog) إلى القول أن الرحلة كانت إلى الصومال بالإبحار فى النيل نفسه إلى السودان وليس عبر البحر الأحمر. المهم أن تجاهل الفنان العودة بطريق البر بعد الوصول إلى ميناء القصير على البحر الأحمر ظل لغزاً يبحث عن حل، لكن فى ضوء اكتشافنا لبلاد آدوم باحتسابها بلاد بونت لن تكون هناك أية مشاكل فى العودة بالسفن مباشرة إلى طيبة. فهذه السفن سبق وبنيت فى ميناء القصير على البحر الأحمر لرحلة الذهاب البحرية، وانطلقت من القصير إلى بلاد آدوم ثم عادت بالالتفاف حول مثلث شبه جزيرة سيناء لتدخل خليج السويس. وتستلم أول أطراف النيل الشرقية عبر القناة الفرعونية المشهورة باسم قناة سيزوستريس التى كانت تربط السويس بالفرع البوبابسطى للنيل. وهو الأمر الذى ناقشناه تفصيلاً للتأكيد على وجود قناة سيزوستريس فى ذلك الزمن. إن الفنان المصرى لم يتجاهل أمر العودة البرية إذن بل كان يقدم تقريراً مفصلاً وافيا ودقيقا.



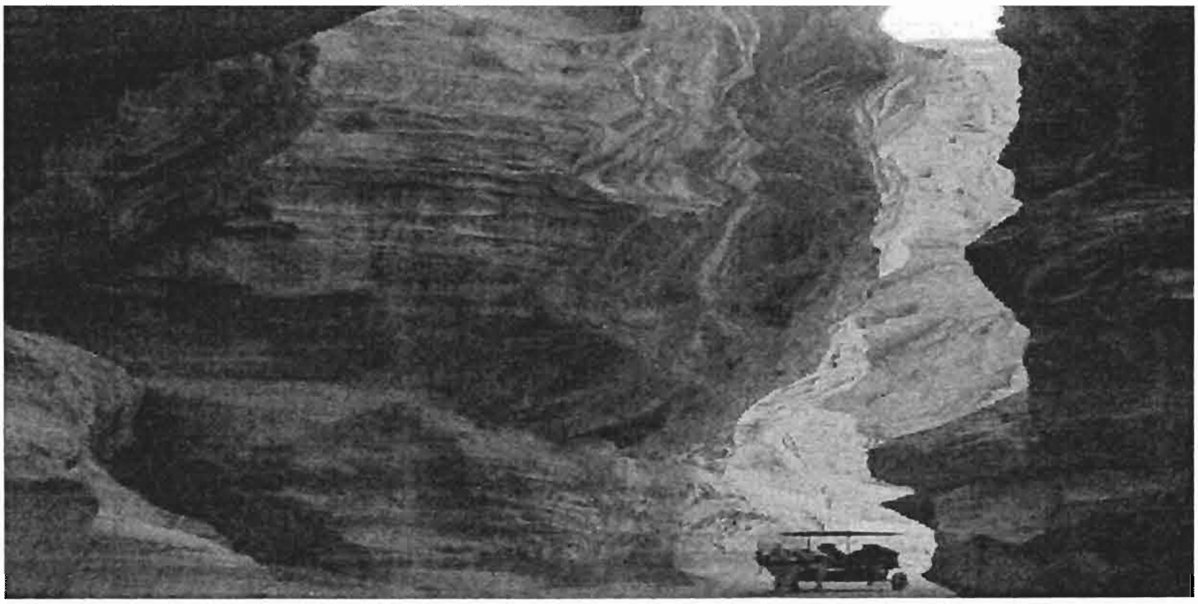
جغرافية حقل الأحداث (من وضع المؤلف وتخريجه)



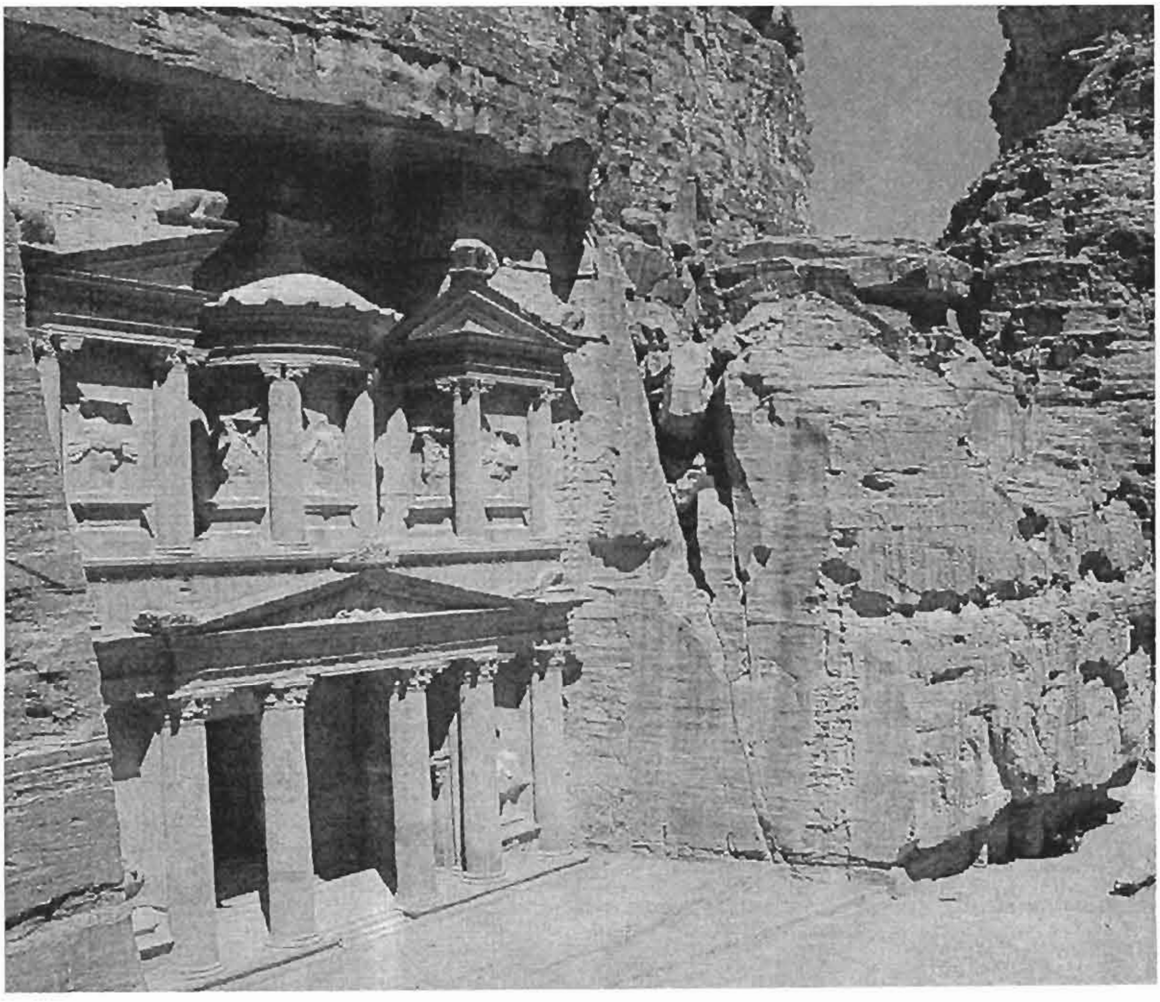
خريطة رقم (٢٥) خط سير رحلة حتشبسوت السلمية إلى بلاد بونت حسب نظريتنا



الخريطة رقم (٢٦) مخطط البتراء



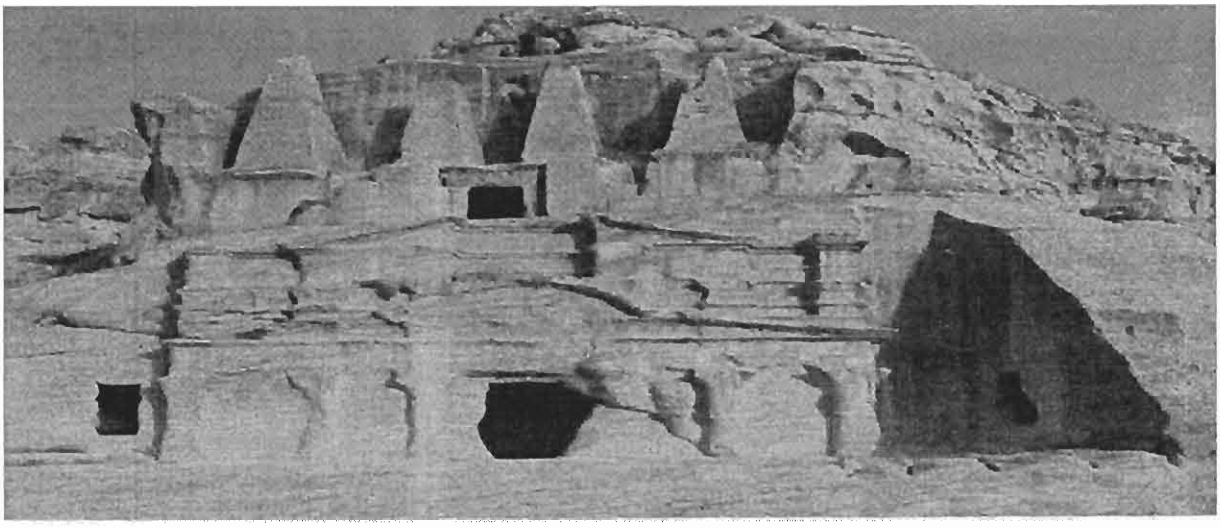
شكل رقم (٩)



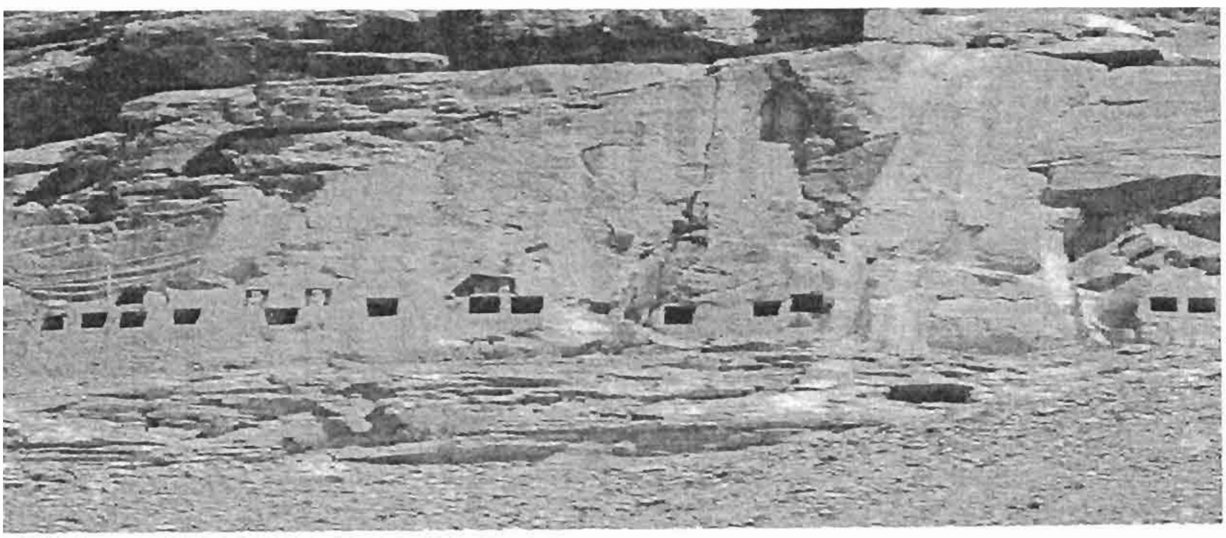
شكل رقم (١٠)
بانوراما الخزنة



شكل رقم (١١)
الخزنة صورة للواجهة



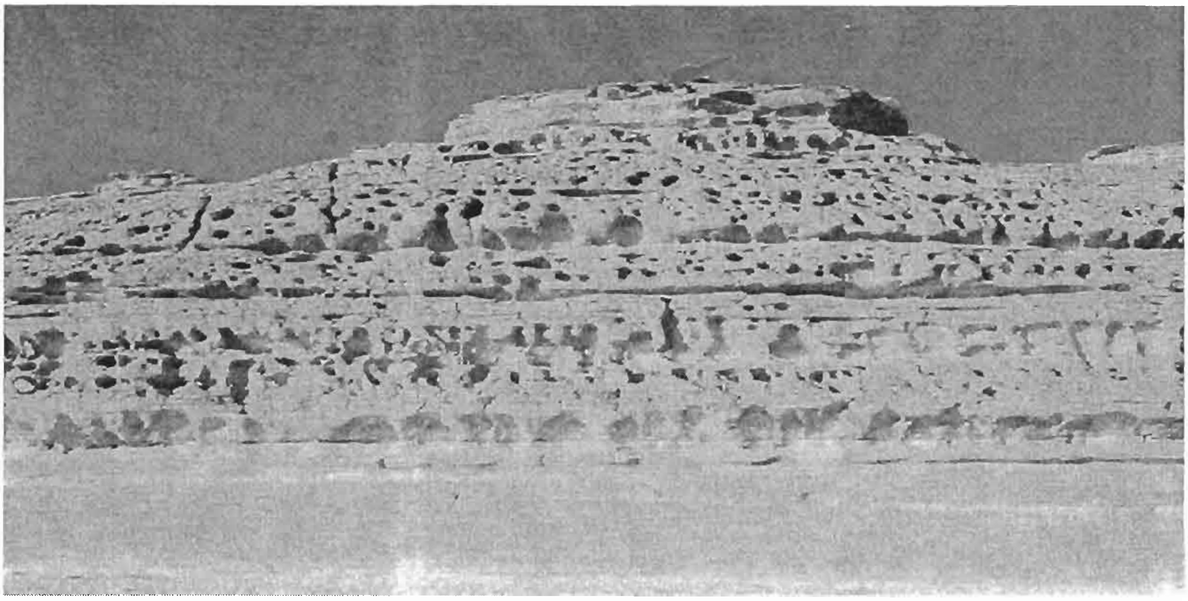
شكل رقم (١٢)
مساكن آدوم الكهفية



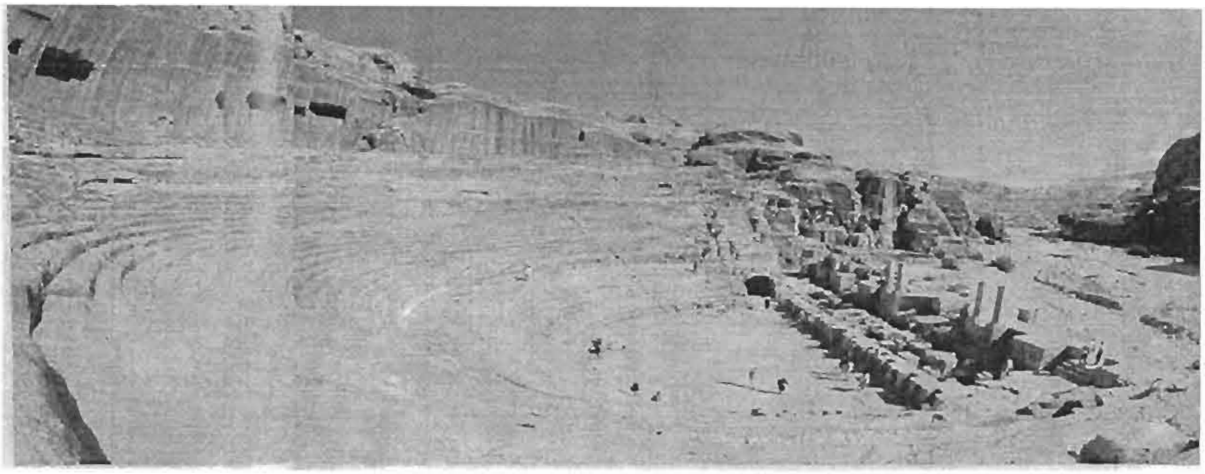
شكل رقم (١٣)



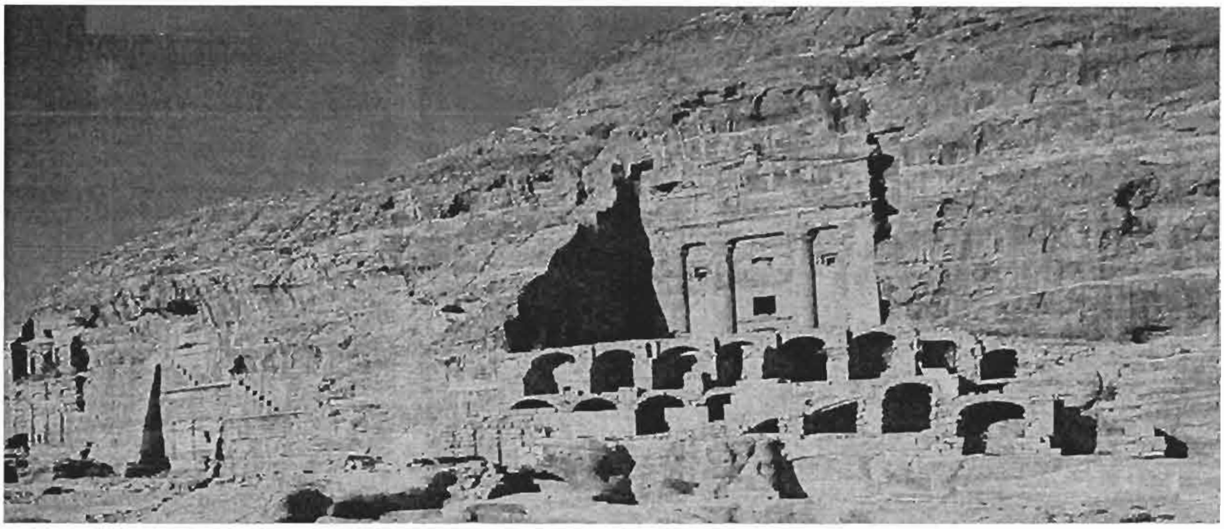
شكل رقم (١٤)
صورة عن قرب للمساكن الكهفية



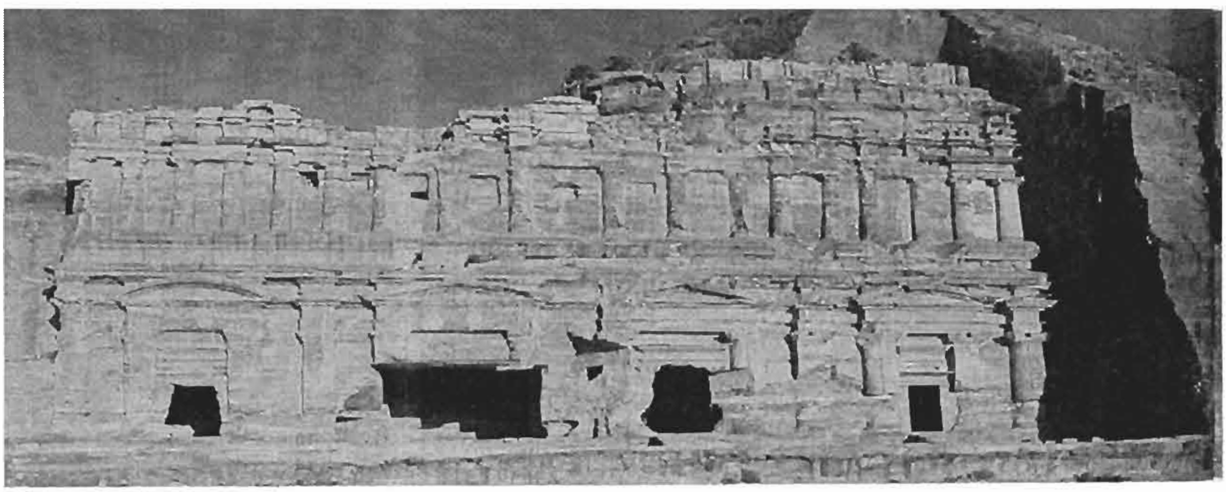
شكل رقم (١٥)
[illegible]



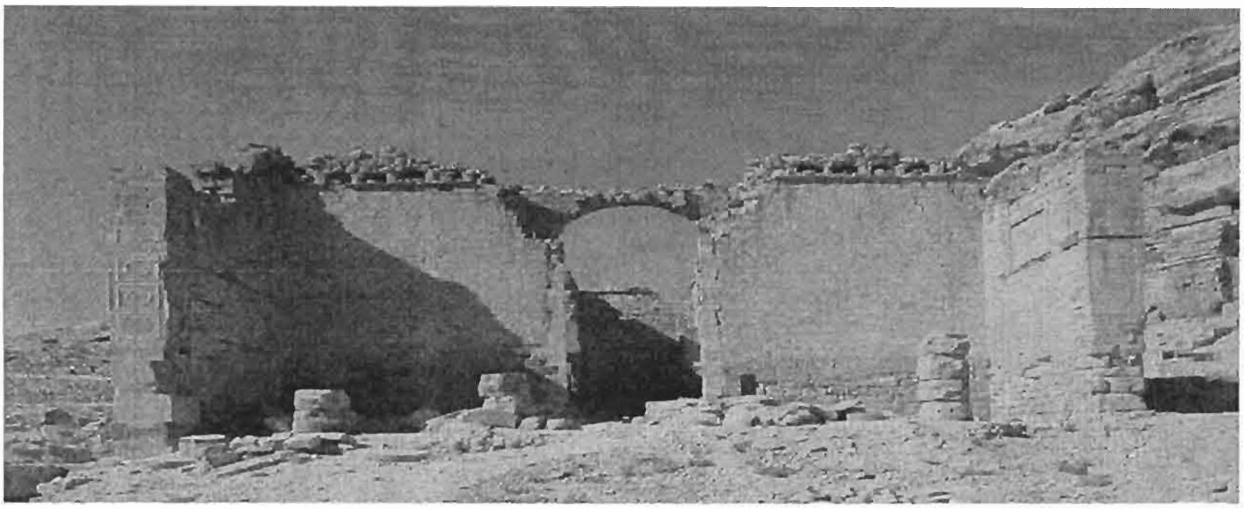
شكل رقم (١٦)
المسرح من عهد تراجان



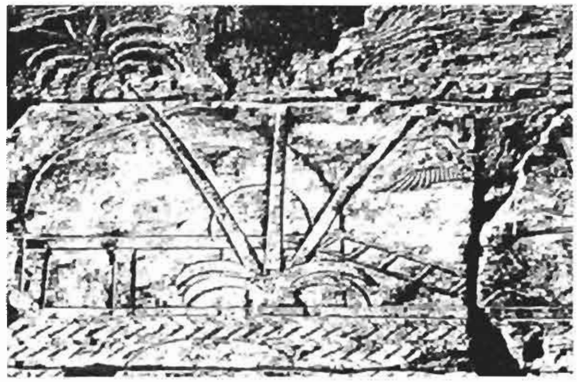
شكل رقم (١٧)
قاعة المحكمة



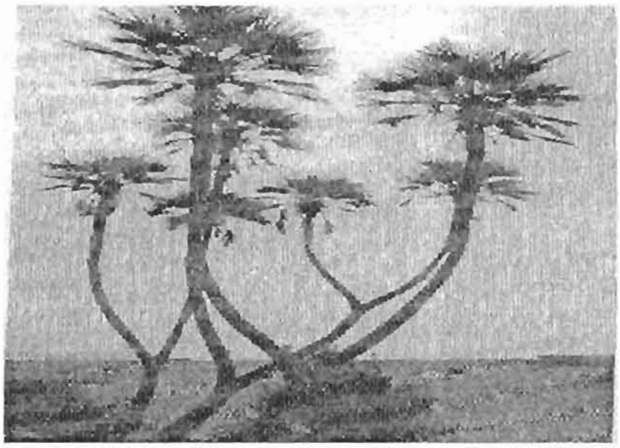
شكل رقم (١٨) قبر القصر



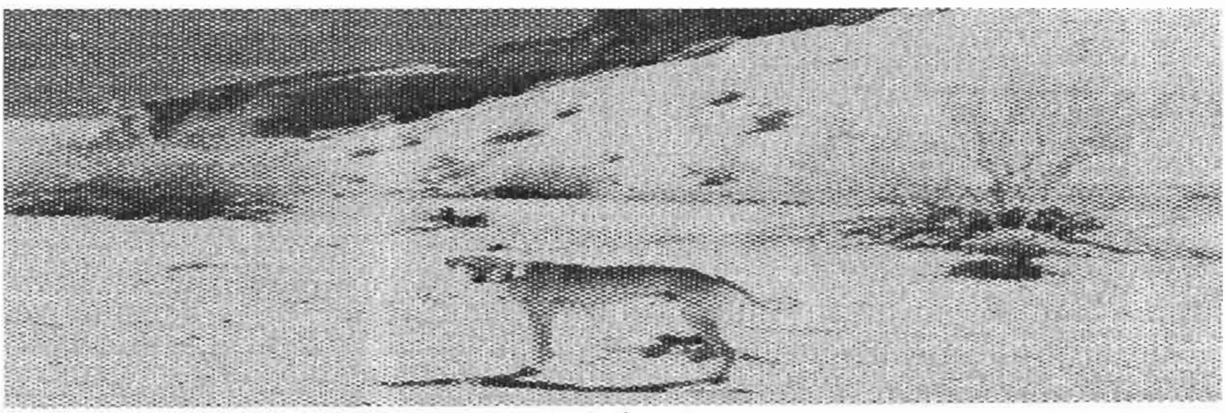
شكل رقم (١٩)
بقايا قصر بنت



شكل رقم (٢٠)
نخيل بنت في لوحات حتشبسوت



شكل رقم (٢١)
نخيل الدوم في العقبة حتى اليوم. يقارن بنخيل بونت في الشكل المجاور مع ملاحظة تطابق اسم نخيل الدوم مع بلاد آدوم، ويبدو أنه أخذ اسمه منها.



شكل رقم (٢٢)
الكلب سلوقي الأصل للفصيلة السلوقية في وادي رم وهو ما سجلته لوحات حتشبسوت

حملة تحتمس الثالث على بلاد الفينيق

طائر الفينيق PHOENIX

فى القصيدة الغزلية السالف الإشارة إليها يشبه الحبيب حبيبته بجواد الملك الذى تم اختياره من بين ألف حصان أصيل، كما يشبهها بالطيور المهاجرة من بلاد (بونت). فأى طيور تلك التى عرفها المصرى القديم تأتى مصر مهاجرة قادمة من بلاد (بونت)؟

يقول المؤرخ اليونانى (هيرودت) وهو يتحدث عن مصر:

> فأما عقوبة الموت فلا مفر منها لمن يقتل أبا منجل أو باشقا سواء ارتكب القتل عمداً أو دون عمد. وهناك طائر آخر مقدس يسمى **الفوينكس** لم أره إلا مصوراً إذ أنه يزور البلاد فيما ندر، يزورها كل خمسمائة عام على حد قول أهل هليوبوليس (عين شمس). بعض ريش جناحيه ذهبى وبعضه أحمر وهو قريب الشبه جداً من النسر فى هيئته وحجمه .. ويروون أن هذا الطائر يغادر **بلاد العرب** حاملا أباه إلى معبد الشمس ليدفنه بهذا المعبد [١] .

وهنا نقف فى هذا القص الأسطورى مع اسم الطائر القادم من بلاد العرب (فونكس). وبحذف التصريف الإسمى يصبح الاسم السليم (فون)، ومع اختلاط الفاء بالباء بين اللهجات واللغات فكليهما حرف شفاتى فيجب قراءته فى أصله الصادق: طائر (بون) ويؤكد ذلك الذى نسوقه أن المصرى القديم قد دونه منطوقا باسم طائر (ب.ن.و.B.N.W.)، فهو الطائر البونى. وهنا يضيف هيرودت: " يقطع هذا الطائر المسافة كلها من بلاد العرب إلى مصر طائراً حاملا أباه داخل قالب من المر " [٢] . والمر كما نعلم هو صنف من اللبان، إن رموز الأسطورة تفصح عن معانيها.

والطائر البونى لم يكن طائراً عاديا بل طائراً مقدسا، طائراً إلهيا، فقد خلق نفسه بنفسه من رماد شجرة تحترق جاء اسمها باليونانية **شجرة البيرسيا المقدسة**. والاسم يشير إلى معنى الكلمة لأن بيرسيا تعنى الفارسية، **وهى شجرة التين**، ويقول معجم أوكسفورد: " البيرسيا شجرة مقدسة **فى مصر وفى فارس** ".

وهنا نتذكر أن الجنس الحورى الذى سكن بلاد آدوم حيث شجر اللبان، كان قيادة الأحلاف وكان من الجنس الآرى، ثم نقرأ بلوتارك إذ يقول: " من بين جميع نبات مصر تُقدس شجره **البيرسيا** على وجه خاص للإلهة إيزيس لأن ثمرتها تشبه القلب وورقتها اللسان " [٣]. والتين نبات سيناوى مشهور، وأقسم به القرآن وربطه بطور سيناء

---

(١) هيرودت يتحدث.. سبق ذكره، ص ١٦٩ ، ١٧٨.

(٢) أ.ج. أيفانز: هيرودت، ترجمة أمين سلامة ، الدار القومية، القاهرة، د.ت، ص ٨٦.

(٣) استرابون: سترابون فى مصر، ترجمة وهيب كامل مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٥٣، ص ١٠٠.

وقصة موسى " والتين والزيتون وطور سينين ". ولو أراد سترابون بها شجرة الجميز لقال ذلك بوضوح، حيث ذهب البعض إلى أن البيرسيا هى شجرة الجميز، حيث يقول استرابون فى موضع آخر مفرقا بين الشجرتين: " والسيكامينوس شجرة الجميز تخرج الثمار المسماه سيكومورس لأنها تشبه السيكوم / التين ". [٤]

ثم نستدعى هنا ما كتبه (سليم حسن) إذ يقول فى معرض سرده لقصة بعثة حتشبسوت إلى بلاد بونت، أنها أحضرت من أرض الإله أشجاراً بجذورها وأعادت استزراعها أمام معبد روعة الروائع بالدير البحرى. ويقول: " وتدل الكشوف الحديثة على أن الأشجار العطرية التى أتى بها من بلاد بونت قد غرست فعلا فى حفر **نقرت فى الصخر** أمام المعبد وملئت بالطين الخصيب. وقد عثر على هذه الحفر الحفارون المحدثون فى الردهة التى أمام المعبد. وقد وجدوا أن بعضها كان لايزال محفوظا فيه جذوع الأشجار الجافة، **غير أن هذه الأشجار ظهر أنها أشجار بيرسيا** " [٥]

ومن هنا نفهم أن بعثة حتشبسوت قد جاءت بأشجار التين المقدسة لأن علماء الحملة لاشك كانوا يعلمون باستحالة نمو الكندر أو اللبان الدكر/ المر على أنواعه فى طيبة حيث معبد روعة الروائع، وفى هذا تحديداً علامة واضحة على أن بلاد بونت إطلاقا لم تكن الصومال كما يصر بعض أساتذة التاريخ المصرى القديم حيث تنمو أشجار الكندر، بل لم تكن فى أفريقيا جميعاً.

والكلمة (فونيكس) تنسب الطائر إلى موطنه فهو الفونى أو البونى – كما أسلفنا. منسوبا إلى تلك البلاد الموصوفة بكونها **بلاد العرب**. وأن تلك البلاد العربية هى موطن مقدس يأتى منه طائر مقدس.

والنصوص المصرية تشير دوما إلى بلاد بونت بأنها أرض الإله، ومعلوم أيضا أن الكلمة المصرية القديمة المدونة بالشكل (ب.ن.و) كانت تطلق عموما على فصائل الطير المعروف فى مصر الآن باسم (أبى قردان)، وعلى جميع أقاربه من ذات الفصيلة على مختلف الألوان والأحجام، فمنه الكبير الضخم الذى يزور مصر فى هجرات فصلية يتواجد فيها قرب الشهرين، وهو فى حجم النسر الضخم فعلا. وينقل معجم أوكسفورد ذات الأسطورة فيقول: " هو فى الأسطورة طائر فريد من نوعه، يحرق نفسه بعد أن يحيا خمسة أو ستة قرون فى صحراء العرب، ثم ينتفض من الرماد بشباب متجدد، ليعيش دورة أخرى من الزمان. وقد جاء اسمه من اليونانية PHOENIX التى تعنى فينيقى وأرجوانى "، والأرجوان هو **اللون الأحمر**. وهو مايطير بنا إلى بلاد الصخر الأحمر وأصحابها الحمر، بلاد آدوم أو الصخر الأحمر، بلاد الصخر سالع، البتراء، بونت. أما العربية فقد أطلقت على هذا الطائر اسم **العنقاء**. (المصريون أطلقوا عليه أيضا: **عنقت**) والصفة PHOINOS بونى، كلمة يونانية تعنى **الأحمر**، ويذهب (إيفارلسنر) إلى أن الاسم قد أطلق فيما يبدو على أناس ذوى بشرة حمراء [٦]، والمعروف أن تلك البلاد جميعاً حتى الساحل اللبنانى كان يطلق

---

(٤) نفسه: ص ١٢٨.

(٥) سليم حسن: مصر القديمة. سبق ذكره، ج٤، ص ٣٣٣.

(٦) إيفارلسنر: الماضى الحى، ترجمة شاكر إبراهيم سعيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة، ١٩٨١، ص ١٠٤.

على شمالها بلاد فينيقيا، وعلى جنوبها بلاد كنعان، والجذر (ك ن ع) بدوره يحمل معنيين: الوديان أو الأرض المنخفضة، واللون **الأحمر** الأرجوانى [٧] .

وعن أصول الجنس الكنعانى يروى لنا (هيرودت) فى الفقرة الأولى من الكتاب الأول :

> إن هؤلاء القوم جاءوا من سواحل بحر **أريترية** إلى شاطئ بحرنا، سافروا فى البحر مدة طويلة، وحالما استقروا فى البلاد التى اتخذوها موطنا لهم الآن، طفقوا **يتاجرون بالبضائع المصرية والآشورية**، بأن ينقلوها إلى عدة أماكن منها.

وفى الفقرة التاسعة والثمانين من الكتاب السابع، يعود (هيرودت) إلى الفينيقيين فيقول:

> والفينيقيون كانوا يسكنون سواحل **بحر أريترية** كما يقولون هم أنفسهم، وعندما اجتازوا من هناك إلى سواحل سوريا قطنوها، وهذا القسم من سورية مع كل البلاد التى تمتد إلى تخوم مصر، **يسمى فلسطين.**

وبحر (أريترية) زمن هيرودت كان اسما يطلق على البحر **الأحمر** الآ ن، (لاحظ: الأحمر مرة أخرى)، والمدهش أن كلمة أريترية نفسها كلمة يونانية تعنى **الأحمر !!!**، لذلك حمل البحر الأريترى بعد ذلك اسم البحر الأحمر. أما صنعة هؤلاء الحمر المهاجرين من الأحمر فكانت **التجارة العالمية**، وقد عثر فى بيروت على قطعة نقد هللينية تؤكد أن الجنس الفينيقى هو ذات عين الجنس الكنعانى، فعلى أحد وجهيها توصف مدينة بيروت بأنها تقع فى كنعان، باللغة الفينيقية، وعلى وجهها الآخر توصف مدينة بيروت فى أنها تقع فى فينيقيا[٨]. ولو حاولنا هنا العثور على مؤيد، فإن الحفر اللغوى يجعلنا نعثر على مشابه شديد الشبه لتلك القطعة الهللينية من النقد، فالكلمة (فينيكيان / فينيقى) هى بالضبط (بنى كنعان)، لاختلاط الفاء الأولى فى فينيقى، بالباء فى كلمة (بنى)؛ ومعلوم أن النصوص المصرية كانت تسميها (باكنعان) [٩]، وعليه فهى

بـا	ك ن ع ا ن	(با كنعان) بالمصرية
ب ن ى	ك ن ع ا ن	(بنى كنعان) بالسامية
ف ن ى	ك ى ا ن	(فنيقيان) باليونانية

(٧) عز الدين الخير: أضواء عربية فى الأسطورة الإغريقية، مجلة المعرفة، وزارة الثقافة والإرشاد القومى، دمشق، عدد ١٩٧، تموز ١٩٧٨، ص ١٣٢.

(٨) Zallig, S. Harris, A grannar of Phoenician Language, New Haven, Comn, ١٩٣٦, p,٧ note ٢٩.

(٩) سليم حسن: مصر القديمة.. سبق ذكره، ج٦، ص ٣٨.

أمـــا الكتـــاب المقـــدس فكـــان لازال يصـــر علـــى تـــذكيرنا بصـــفة الأحمـــر فيقـــول: " من ذا الآتى من **آدوم** بثياب **حمر**؟ اشعيا ١/٦٣ " بينما كانت النبية (دبورة) ترنم أنشودتها:

يارب بخروجك من **سعير**

بصعودك من صحراء **آدوم**

الأرض ارتعدت

قضاة ١/٥

فالرب هنا فى صحراء آدوم، إنها صـحراء مقدسـة، **إنهـا أرض الإلـه؟! إله عرفه المصريون كإله للمصريين ثم عبده الإسرائيليين من بعد**، ويحمل ذلك المكان المقدس اسم سعير، والسعير هو اللهب **الأحمـر**، أمـا الاسم آدوم نفسه فهو ما يعنى الصخر **الأحمر**، أما الحمرة واللون الأحمر فهو لون اللهيب.

والعنقاء أو الطائر البونى أو البونتى. **ينتفض حيا من لهيب شجرة تحترق**، وقد ذهب المصرولوجى (بـدج) إلى أن شجرة البيرسيا يقصد بها شجرة ضخمة تعرف فى الانجليزية باسم SYCAMOR TREE (الجميـزة) وهـو شجر معمر يعيش قرونا ولا شك أن (بدج) هنا قد أخطأ المراد فهى شجرة التين تحديداً (البيرسيا)، ويرى (بـدج) أن مقابلها الهيروغليفى هو **(ن ع ر – ت)** الذى نطق فى القبطية **NIR** وفى اليونانيـة **NERION**، والغريـب أن ذات الشجرة تسمى فى العربية **(ناريون)** والجذر لجميعها من (نور) و (نار). وقد أطلق المؤرخون علـى بـلاد ميتـانى المزعوم أنها تقع فى أعالى الفرات بلاد **(النايرى)** ، وهو الاسم الذى أطلقه الآشوريون على ذات الدولة التى ذكرتها نصوص مصر باسم ميتانى **أونهارين** أو **(نارين)** بإسقاط الهاء بالتخفيف أو تحويلها إلى ألف كما فى هريـق المـاء وأريق الماء [١٠].

ويبدو أنه كانت هناك شجرة مقدسة فى بلاد (بونت) تعيش عليها طيور مقدسة، وأن هذه الشجرة كانت تسـمى الشجرة الحمراء أو النارية، ولا شك لدينا أن (ن هـ رن) أو (ن – ح رن) المصرية تتصل فى الجـذر مـع كلمـة حورى وحوريين، والحورى أيضا هو الأحمر، **أما أشجار الحور فهـى الشـجرة المعروفـة بزهورهـا الحمـراء القرمزية**. ويقول المؤرخ (أحمد بدوى) " إن طائر الفونيكس PHOENIX هو العنقاء بالعربية، أما اسمه المصـرى فهو BNW من الفعل المصرى WBN بمعنى أشرق ولمع، فهو البراق أو اللماع، **لذلك يتصـل بـالحجر الهرمـى BNBN** الذى يرمز به للتل العتيق، الذى برز بدوره من الماء الأزلى نون، والطائر يتلألأ فوقه فيملأ **نوره** الكـون، ويكون صوته أول دوى فى الوجود، وكان كهنة هليوبوليس ينتظرون عودة ذلك الطائر فى شوق " [١١] .

وتقول القصص التوراتى: إن النبى موسى عندما هرب من مصر بعد ما قتل مصريا ظلما، ذهب إلـى بـلاد تدعى مديان، وتزوج هناك من صفورة ابنه كاهن مديان المدعو باسمين: (رعوئيل / يثرون). والقصص الاسـلامى يسمى ذلك الكاهن (شعيب) ويعتبره نبيا. وتقول تلك القصص أنهم كانوا يعبدون شجرة مقدسـة سـميت (الأيكـة)،

---

(١٠) جاردنر: مصر الفراعنة.. سبق ذكره، ص ٢٢٠.

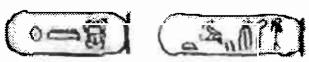
(١١) أحمد بدوى: حاشية شارحة بكتاب هيرودت يتحدث عن مصر.. سبق ذكره، ص ١٧٨.

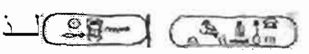
وأطلقت على السكان هناك اسم (شعب الأيكه)، وتقول أن الله قد أهلك شعب الأيكه، لأنهم كـــانوا **تجـــاراً** جشـــعين يطففون فى الموازين، كما كانوا قطاع طرق وقراصنة محترفين.

ونعود إلى الطائر البونى الذى يسمى المصريون نوعه الصغير الآن بأبى قردان، لنجد أحد تنويعاته فى ذلـــك الطائر المعروف باسم الفلمنجو، وهو طائر طويل العنق فيه ريشات سوداء، ويغلب عليه اللون **الأحمـــر** القرمـــزى، واسمه الانجليزى FLAMINGO أى الملتهب **بحمـــرة**، من FLAME أى لهب، وهو الفصـــيلة المعروفـــة باســـم البشروش أو النحام، ويكنى **بأبى لهب**، وهو تحديداً الذى لم يزل يزور مصر للآن فى هجرته الفصلية.

ويساعد الحفر اللغوى هنا على إلقاء الضوء على موطن هذا الطائر الجغرافى بالنسبة لمصر، فالكلمة الكنعانية التى تعنى **أحمر** تكتب **(شرق) أي أن الكلمة الكنعانية شرق تعني أحمر**، وفى العربية: شرق الشئ شرقاً فهو شرق، اى **اشتدت حمرته بدم**، ومقلوبها بالميتاتيز: قشر، **والأقشر هو شديد الحمرة**. وفى لسان العرب لابن منظور نقـــرأ: "الشرق طائر، وجمعه شروق، والشرقراق طائر يكون فى أرض الحرم فى منابت النخيل بقدر الهدهد (وكثيـــراً مـــا يترافق طائر بهذا الشبه مع وصـــول هجرة البشروش إلى مصر حتى اليوم / المؤلف) مرقط بحمرة" ومـــادة شـــرق والنحام فى مادة نحم "النحام طائر **أحمر** على خلقة الأوز يقال له بالفارسية سرخ آوى" وآوى كلمة تعنى طائر أمـــا سرخ فهى **الأحمر**".

هو إذن بالنسبة لمصر: الطائر الشرقى الأحمر، وبلاد (بونت) أو آدوم أوالبتراء تقع إلى الشرق من مصر، أما ترنيمة المصرى فكانت " عندما أوجه وجهى **نحو الشـــرق**، فإنى أولى وجهى إلى بلاد (بونت)، **أرض الإله** ".

حملة تحتمس الثالث 

يقـــــول ســـــليم حســـــن المـــــؤرخ والمصرولوجســـــت: " إن الـــــرأى الســـــائد الآن، هـــــو .. ان تحتمس الأول  قد أعقبه على عرش مصر ابنه تحتمس الثـــانى  الـــذى تزوج من أخته من أبيه المسماة (حتشبسوت)، وبعد وفاته خلفه ابنه تحتمس الثالث الذى رُزقه من زوجة ثانوية تدعى إيزيس، وقد أصبح ملك مصر رسميا وهو لا يزال طفلاً لم يبلغ الحلم بعد وقد نُصبت حتشبسوت.. وعندما قبض على مقاليد الأمور أخذ ينكل بأعدائه، وهم أولئك الذين كانوا فى ركاب حتشبسوت أوعاملين فى بلاطها، ثم أخذ بعد ذلـــك فى القضاء على كل اثارها بصورة مروعة، يشهد بشناعتها وعنفها ما أحدثه من التدمير والتهشيم فى الدير البحـــرى "[١٢].

ويتابع (سليم حسن) تحت عنوان: " **تحتمس الثالث يعلن الحرب على بقايا الهكسوس فى أسيا**" قوله **إن بقايا الهكسوس بعد طردهم من مصر، انتشروا فى البرارى الشرقية للمتوسط**، ولما تولت حتشبسوت اتخذوا – على مـــا يظهر – من هذا الحادث ذريعة لإعلان الثورة ليتحرروا من ربقة الاستعمار المصرى، وقد أعلنـــت ســـوريا كلهـــا

---

(١٢) سليم حسن: مصر القديمة.. سبق ذكره، ج٤، ص٣٨٨، ٣٩٠.

العصيان على مصر .. حتى أصبح لزاما على الفتى الجسور، ان يقابل حلفاً قوياً مؤلفاً من قبائل أسيا، والولايات التى وطدت العزم على خلع النير المصرى الذى اثقل على عاتقهم به تحتمس الأول وسلفاه من قبله، منذ خمسين سنة مضت،.. كان كل أولئك قد ألفوا حلفاً بقيادة ملك قادش، وهى بلدة على نهر الأورنت/ نهر العاصى حالياً، على مسيرة مائة ميل تقريباً شمالى دمشق.. وسوريا وقتئذ لم تكن مملكة واحدة متحدة الكلمة بطبيعتها، بل كانت مقسمة ولايات صغيرة، يحكم كل منها أميراً أو ملك،.. وأغناها مملكة قادش، وقد أفلح ملكها مؤقتاً فى أن يضم الولايات الأخرى تحت قيادته.

وتعد موقعة مجدو التى قابل فيها تحتمس الثالث جيوش الحلف السورى، بإمرة حاكم قادش، أول معركة حربية فى تاريخ العالم القديم، قد بقى عنها تفصيلات تذكر، ويرجع الفضل فى ذلك الى اليوميات التى خلفها تحتمس على أحد جدران معبد الكرنك .. وقد سار بجيشه من قلعة سيلة وهى القنطرة الحالية، فى اليوم الخامس والعشرين من الشهر الرابع، فى فصل الشتاء فى السنة الثانية والعشرين من حكمة، وهذا التاريخ حسب قول (نلسن)، يوافق ١٩ ابريل سنة ١٤٧٩ ق.م مخترقاً الصحراء التى تقع علىالحدود الشرقية لسيناء، والحدود الجنوبية لفلسطين، فوصل غزة بعد مسيرة عشرة أيام، قطع فيها نحو مائة وخمس وعشرين ميلا، .. ولم يمكث تحتمس فى غزة إلا سواد ليلة، وفى الصباح المبكر سار على رأس جيشه ميمما شطر يحم/ يحتمل أن تكون يما الحالية، **وتقع على مسافة ثمانين ميلاً من غزة** » (١٣).

ونطالع الآن معا مادونه المؤرخ المصرى على جدار الكرنك، فنسمعه يطرق بازميله القصة التالية: « السنة الثالثة والعشرون الشهر الأول من فصل الصيف، اليوم السادس عشر فى بلدة يحم، لقد أمر جلالته أن يعقد مجلس حربى ليتشاور فيه مع رجال جيشه قائلا: إن ذلكم العدو الخاسئ **صاحب قادش**، قد جاء بجيشه ونصب خيامه فيها، وهو مقيم بها فى تلك الآونة، وقد ضم إليه كل أمراء الأقاليم، الذين كانوا يدينون بخضوعهم لمصر حتى نهر الفرات، ومعه السوريون وقوم قود، بخيلهم وجنودهم وعشيرتهم، وأنه يقول حسبما وصل إلى مسامعنا: سأقف هنا لمحاربة جلالته فى بلدة مجدو، فحدثونى بما يدور بخلدكم فى هذا الخطب، فأجابوا جلالته قائلين: **كيف يتسنى للمرء أن يسير فى هذا المضيق**؟ وقد وصلتنا الأخبار بأن العدو على تمام الاستعداد هناك فى خارج المدينة؟ وأن عددهم قد أمسى هائلاً، **وهل يكون السير مستطاعاً إلا إذا سار الجواد إثر الجواد والجندى إثر الجندى أيضاً؟ وهلا ستكون مقدمة الجيش – بهذه الطريقة – فى ساحة القتال، فى حين أن المؤخرة لا تزال واقفة هنا فى عارونا عاجزة عن محاربة العدو**؟ على أنه يوجد طريقان آخران: واحدة منها تؤدى إلى (تاعناخ)، والأخرى تقع فى الجهة الشمالية من بلدة زفتى مؤدية إلى شمال مجدو، وبذلك لا نضطر إلى سلوك هذا المضيق الوعر »

وهكذا فضل القواد أحد الطريقين: الطريق المؤدى إلى (تاعناخ) ، والطريق الواقع شمال (زفتى) ويؤدى إلى شمال بلدة (مجدو)، واستبعدوا فى الوقت نفسه الطريق الثالث، لأنه كان طريقاً شديد الضيق، محصوراً بحيث لا يستطيع الجيش عبوره إلا إذا سار الحصان خلف الحصان، والجندى خلف الجندى، وهو ما قد يؤدى إلى كارثة عسكرية، حيث سيظهر جيش مصر لأعدائه فرادى بينما بقية الجيش ستكون قد تكومت عند الطرف الخلفى للطريق في عارونا، تنتظر دورها فى عبور ذلك المضيق.

---

(١٣) نفسه: ج٤، ص ٣٩٥:٣٩٨.

وهنا نستكمل المشهد من الراوى المصرى على جدار الكرنك، لنستمع إلى الفرعون الشاب وهو يقول:

" إنى ما دمت حيا، وما دام الإله رع يحبنى، وما دام والدى الإله آمون يرعانى، وما دام نفس الحياة ينعشنى بالحياة والقوة، **فلن أسلك إلا هذه الطريق المؤدية إلى عارونا**، وليذهب منكم من يشاء فى إحد هذين الطريقتين الآخرتين اللذين تحدثتم عنهما، وليتبعنى منكم من يريد أن يسلك الطريق التى سيتخذها جلالتى لأن الأعداء الذين يمقتهم رع سيقولون: هل سلك جلالته طريقاً آخر لأنه خاف بأسنا وبطشنا؟ وعندئذ أجابوا جلالته قائلين: ليت الإله آمون والدك رب تيجان الأرض ومساكن الكرنك، يرعى شعبك ويتعهده، تأمل: إننا سنكون فى ركاب جلالتك حيثما توجهت، لأنه من واجب الخادم أن يتبع سيده دائماً، وعندئذ أمر جلالته بإصدار منشور لكل الجيش جاء فيه: **إن سيدكم المظفر سيكون فى طليعتكم لاقتحام ذلك المسلك الوعر الضيق**، تأملوا: لقد أقسم جلالته يمينا قائلا: لن أسمح لجيشى المظفر أن يشق طريقه إلا فى هذا المكان، **لأن جلالته عزم على أن يتقدم طليعة جيشه بنفسه** وقد وزعت التعليمات على كل جندى بالأمر بالزحف، **على أن يكون الجواد فى إثر الجواد فى حين أن جلالته كان يسير فى مقدمة جيشه.**

وفى السنة الثالثة والعشرين من الشهر الأول من فصل الصيف، اليوم التاسع عشر، استيقظ الفرعون فى السرادق الملكى، الذى كان قد ضرب له فى بلدة عارونا، ثم سار جلالته فى رعاية الإله آمون رب تيجان الأرضين ليفتح الطريق أمامه، وكان الإله آمون يشد ساعد جلالته، وزحف جلالته على رأس جيشه المنظم فرقاً، ولم يجد للعدو أثراً، بل كان قد عسكر بجناحه الأيسر عند بلدة (تاعناخ) فى الوقت الذى كان جناحه الأيمن قد ضرب خيامه، فى المنحنى الجنوبى من **وادى قنا.**

وقد نادى جلالته: أن سيروا فى هذا الطريق، فالتقى بالعدو فكسره وولى العدو الخاسئ الأدبار ، فيا أيها الجند مجدوا المليك، وتغنوا بشجاعة جلالته، لان ساعده أشد بأساً من أى ملك .. وقد كانت مؤخرة جيش جلالته المظفر لا تزال فى بلدة عارونا، فى حين كانت مقدمته قد برزت فى **وادى مجرى قنا** حتى ملؤا فم هذا الوادى.

وبعد ذلك انطلق جلالته فى عربته المصنوعة من الذهب النضار، مدججا بدرعه وزرده مثل الإله حور القوى الساعد رب البأس، ومثل الإله منتو إله طيبة، وكذلك كان والده آمون يشد ساعده، وكان جناح جيش جلالته الأيسر يقف على ربوة جنوبى قنا، أما الجناح الأيمن فكان معسكراً فى الشمال الغربى من مجدو، وكان جلالته فى وسطها يحميه الإله آمون فى حومة الوغى، وكانت قوة بأس الإله ست تدب فى أعضائه، ففاز جلالته فوزاً مبيناً، وهو على رأس جيشه؛ وقد رأى الأعداء جلالته والنصر حليفه، لذلك ولوا الأدبار نحو مجدو، بوجوه يغمرها الذعر، تاركين خيلهم وعرباتهم المصنوعة من الذهب والفضة وتسلقوا أسوار هذه المدينة باستعمال ملابسهم لأن أهل المدينة قد أغلقوا أبوابها، لكنهم دلو ملابسهم ليجروهم بها إلى داخل المدينة، ولو أن جنود جلالته لم يتهالكوا على نهب متاع العدو لكان فى استطاعتهم الاستيلاء على مجدو وقتئذ، عندما كان عدو قادش الخاسئ وعدو هذه المدينة، يجرون متسلقين الأسوار ليدخلوا المدينة هرباً، لأن الخوف من جلالته كان قد سرى فى أجسادهم، وضعفت أسلحتهم، لأن الثعبان الذى على جبينه قد طغى عليهم وهزمهم، واستولى جلالته على خيلهم وعرباتهم المصنوعة من الذهب والفضة، غنيمة سهلة، أما صفوف جنودهم فكانوا قد طرحوا أرضاً مثل السمك فى حبائل شبكة جيش جلالته

المنتصر.. وقد أخذ كل الجيش بأسباب الفرح، مقدماً الثناء لآمون لما وهبه من نصر لأبنه فى هذا اليوم، وكذلك قدموا الشكر لجلالته مادحين انتصاره، ثم احضروا الغنيمة التى استولوا عليها " (١٤).

وينهى الكاتب المصرى نقشه بقصة حصار مجدوا التى انتهت بسقوطها ثم عودة الملوك المتأمرين إلى بلادهم خاضعين، ونواباً عن فرعون فى حكم بلادهم(١٥).

عندما **قفزت الفكرة إلى ذهنى،** أخذت أبحث عن مؤيدات فروضى، فأعدت قـراءة ذلـك المـدون الجـدارى (لتحتمس الثالث) عدة مرات، مما أوقفنى على عدة أمور، فربما تحيل الحملة جميعاً على شرقى سيناء، حيث بـلاد آدوم الحورية. وقام افتراضى على أن دويلات بلاد الشام وممالكها الصغيرة، التى تنوف على الثلاثمائة مملكة، قـد تحالفت جميعاً للقيام بحملة على مصر، شبيهة بحملة الهكسوس، أو أنهم تحالفوا بعدما رنا إلى علمهـم مـا ينتويـه (تحتمس الثالث) فقرروا استباقه وانتقوا **أشد المواقع تحصيناً طبيعياً** للقاء الجيوش المصـرية علـى حـدود مصـر الشرقية، وهو ما يعنى وفق هذا التصور الجامح أن المعركة لم تقع عند مجدو/ تل المتسـلم حاليـا شـمال غربـى فلسطين، إنما وقعت فى محيط البتراء عاصمة وشمس آدوم، وأن ما حدث كان محاولة من تحتمس الثالث لإجبار تلك الدويلات على الخضوع صاغرة، مع رفضه لأسلوب حتشبسوت السلمى الذى اتبعته برحلتها إلى بونت، والـذى أدى إلى تمرد ملوك تلك الدويلات، بعدما لمسوه من تراخى القبضة المصرية زمن حتشبسوت.

وربما وجدت وجهة نظرنا هنا مؤيداً قوياً من المصرولوجى (زيته) الذى وجد فى مقدمة تاريخ تحتمس الثالث المهشم ما يعتبره إشارة إلى استقرار حامية هكسوسية بعد طردهم من مصر فى شاروحين جنوبى فلسطين وترجمـة الأستاذ زيته لهذه الفقرة جاءت كالتالى:

> السنة الثانية والعشرون، الشهر الرابع من فصـل الشـتاء، اليوم الخامس والعشرون، مر جلالته بقلعة ثـــارو أول قلعة مظفرة، **ليطرد الذين هاجموا حدود مصر،** بشـجاعة ونصر وقوة وفوز. وقد مرت مدة طويلة من السنين كـان فيها الآسيويون يحكمون البلاد اغتصاباً، والكـل يخـدمون أمام .. (المكان تالف) وقد ..(تالف) فـى أزمـان أخـرى ..(تالف) أن الحامية التى كانت هناك كانـت فـى مدينـة **شاروحين،** وهم الآن من يرذ حتى نهايـة الأرض، **فـى استعداد للثورة على جلالته** (١٦)

وقد دفعنا إلى هذا الافتراض دفعاً عدد من العناصر، أهمها ما سبق وحددناه كموقع لقـادش سـيناء غربـى البتراء، على تخوم دولة آدوم مباشرة فى الوضع الذى قدر المكتشف (رولاند) عام ١٨٤٢ م أنه عين قديس الـوارد فى التوراة باسم (قادش برنيع) (وقادش عين مشفاط) وأيده فيه بعد حوالى أربعين عاماً المكتشف (ترامبول). وعين

(١٤) نفسه: ج٤، ص ٣٩٨: ٤٠١.

(١٥) Breasted . J.H, Ancient Egyptian Records, Vo l٢, P٥٥٤

(١٦) سليم حسن: مصر القديمة.. سبق ذكره، ج٤، ص ١٤٨، ١٤٩.

قديس هو المقابل العربى رسماً ومعنى للاسم قادش، وقد علمنا أن زعيم الأحلاف المعادية لمصر كان ملكاً على قادش، التى تم افتراض أنها تلك الواقعة على نهر العاص بسوريا، أما من جانبنا فقد فضلنا للموضع المقصود فى حملة تحتمس الثالث قادش سيناء أو (عين قديس) الحالية.

أما القرينة الثانية فتتضح فى إجابة مجلس أركان حرب الفرعون حول طرحه الاستشارى للطريق الواجب اتباعه للهبوط على العدو، وحيث، تخير الفرعون ذلك الطريق الذى يختبر القوة والبأس، الطريق الخطر الضيق، الموصوف بأن عبوره سيكون فردا فرداً. وهو ما يعنى ضرورة وجود شخص قوى أو مجموعة أشخاص فدائيين، يخرجون من الممر الضيق لمصاولة العدو وتحجيم هجمته، حتى يسمح بخروج بقية الجند فرادى للمشاركة فى المعركة، ويفيد النص بأن الفرعون نفسه هو من أخذ على عاتقه تلك المهمة بمساعدة قواده الذين قرروا اتباعه حتى لو خاض بهم لجاج الموت. والأمر الثالث، أنه إذا كانت (مجدو) قد طوبقت تاريخيا مع تل المتسلم الحالية شمالى فلسطين، فإنه لم يتم العثور هناك حتى تاريخ كتابة هذه السطور على مثل ذلك الطريق الذى وصفته نقوش النصر المدونة على جدران الأقصر، فقط يمكن أن يكون السيق المؤدى الى ساحة البتراء العظمى. هو الطريق الأوحد النموذجى المطابق للرواية المصرية.

هذا ناهيك عن تطابق أسماء بعض المواضع، وتطابق مواقعها فى محيط بلاد آدوم، ومع أسماء تلك المواقع التى سجلها تقرير تحتمس الثالث لوقعة مجدو، فإضافة الى قادش، هناك **(عارونا)** وهو الاسم الذى يلتقى تماماً مع جبل **(هارون)** الموجود الآن الى الغرب مباشرة من البتراء، ويقع فى منطقة وسطى بينهما وبين قادش/ عين قديس، كذلك يلتقى وادى (قنا) مع الموقع الذى حددته التوراة للحدود الجنوبية لفلسطين، ضمن عدد من المواقع هى آخر البلاد الجنوبية لسبط يهوذا، وذلك باسم (قينة)، فى النص:

> وكانت المدن القصوى لسبط يهوذا إلى **تخم آدوم جنوباً:**
>
> قبصئيل وعيدر وياجور **وقينة** وديمونة وعدعدة **وقادش** وحاصور ويثنان.
>
> يشوع ١٥/٢٠٣

كما ورد لدى المؤرخ (اسطفانس) البيزنطى، لدى حديثه عن الحملة الثانية التى قام بها (أنطيوخس الثانى عشر) ضد العرب، حوالى ٨٨ ق.م ، زمن الملك النبطى (رب إيل الأول ابن حارثة الثانى)، حديثاً عن انتصار الأنباط على جيوش الرومان، حيث تم قتل (أنطيوخس) وفرجيشه إلى، **قانا، التى لم يتعرف الدارسون على موقعها حتى الآن** وهلك معظمهم جوعاً [١٧]

كما يلتقى وادى قنا مع ذكريات تاريخية دونها المقدس عن المديانيين الذين سكنوا فى محيط المنطقه حول خليج العقبة، حيث كان المديانيون يدعون أيضاً بالقينيين، والقينى هو صانع المعادن أو السباك صانع السبائك، فهو الحداد أو السباك أو النحاس، ويضيف إلى صدق ذلك مزيد من الدعم، مناجم ومشاغل تصنيع النحاس التى عثر عليها جنوبى البتراء، عند جبل تمناع المذكور فى التوراة باسم (تمنة)، ولم تزل هناك علامات اسمية شاهدة على تواجد

---

(١٧) احسان عباس، تاريخ دولة الأنباط.. سبق ذكره، ص ٤١.

القينيين بهذا المحيط الجغرافى حتى اليوم، ففى جنوب سيناء وعلى خليج العقبة نجد مدينة (قنى)، أما وادى قنا فينطلق من عند جبال كاترين تقريباً، ليصب فى خليج العقبة قرب مدينة (قنى).

وتبقى المشكلة التى تقف فى وجه هذه القرينة – لتأييد فرضنا – لا تتزحزح، وبدون حلها تسقط هذه القرينة تماماً والمشكلة تتحدد فى اسم (مجدو) المدينة التى تجمعت عندها الأحلاف السورية، فهل حدث خطأ ما من الكاتب المصرى؟ أو من الآثارى الذى قرأ النصوص، فقرأ مدينة الأحلاف باسم (مجدو) بينما كان يجب قراءتها على نحو آخر؟ هذا وقد عقب (فليكوفسكى) على استغاثات نائب الفرعون (أمنحتب الثالث) على مجدو الواردة فى رسائل تل العمارنة بقوله: " إن الاختلاف البسيط فى هجاء الأسماء يعود ليس فقط إلى أسماء الأشخاص وحدها، إنما أيضاً لأسماء الأماكن الجغرافية، التى كانت تنطق بطرق عديدة مختلفة، وعلى سبيل المثال فإن بريديا – وفى إحدى الرسائل كتب اسمه بحيث يقرأ بريدى – أعلن للفرعون أنه يحمى **مكيدا** أو يدافع عنها، وفى مرة أخرى ذكر أنه يدافع عن **ماجيدا**، وهناك أمثلة كثيرة أخرى فى الرسائل ".[18]

فى هذه النقطة ربما كان مفيداً العودة إلى نص لرمسيس الثالث، حيث سجلت النقوش أنه قاد حملة تجارية إلى بلاد (بونت) أرض الإله المقدسة، لاستجلاب منتجاتها التجارية، بالمبادلة مع المنتجات المصرية، وتذكر النصوص أنه قد **أبحر من، أوالى** مكان يقع قرب بحر أو نهر، وأن هذا المكان يحمل اسم (موقيدع) أو **(موقيده)** وقد ذهب المؤرخون به مذاهب شتى، وصلت فى فروضها إلى الخليج العربى ونهر الفرات. كما تذكر نصوص الفرعون (رمسيس الثالث) أنه عندما وصل هناك، أرسل رسله إلى **إقليم (عتيقة) (ATIKE) للحصول على النحاس**[19]، والكشوف الحديثة قد قدمت لنا اكتشافها لمناجم ومصانع النحاس عند جبل تمناع فى بلاد آدوم، ومن ثم لابد أن (موقيده) تقع فى ذات الجوار، فهل كان يجب أن تُقرأ كلمة (مجدو) فى نصوص (تحتمس الثالث) بالرسم (موقيدة)؟ وهى ما يتطابق فونيطيقيا مع (مجدو)، ويتطابق جغرافيا مع بلاد آدوم الحورية؟

مجرد احتمالات لا نصر على احتسابها أحد قرائن دعم فروضنا، إنما نسوقها كقرينة تحتمل الخطأ الشديد لكنها أيضاً ربما تحتمل الصدق.

أما ما لا يجب أن ننساه فهو قول (تحتمس الثالث) مبرراً إصراره على حصار (مجدو) حتى سقوطها: " إن الإستيلاء عليها يساوى الاستيلاء على ألف مدينة " [20]، وهو الإصرار الذى أراد به الفخار، لمعرفة عالم ذلك الزمان لمعنى كلامه، الذى يجب أن نستعيده فى صورة سردها لنا قاموس الكتاب المقدس وهو يقول: " سالع اسم عبرانى معناه صخرة، وهى **أمنع موقع فى أرض آدوم** ، كان يهرع إليها الأدوميون كقلعة حصينة لا تقهر وقت الحصار الحربى، لأنها تقع على قمة جبل[21] ".

---

(18) فليكوفسكى: عصور فى فوضى.. سبق ذكره، ص ٣٣٤.
(19) سامى سعيد: الرعامسة .. سبق ذكره، ص ١٦١
(20) فليكوفسكى: عصور.. سبق ذكره.
(21) قاموس الكتاب المقدس: مادة سالع.

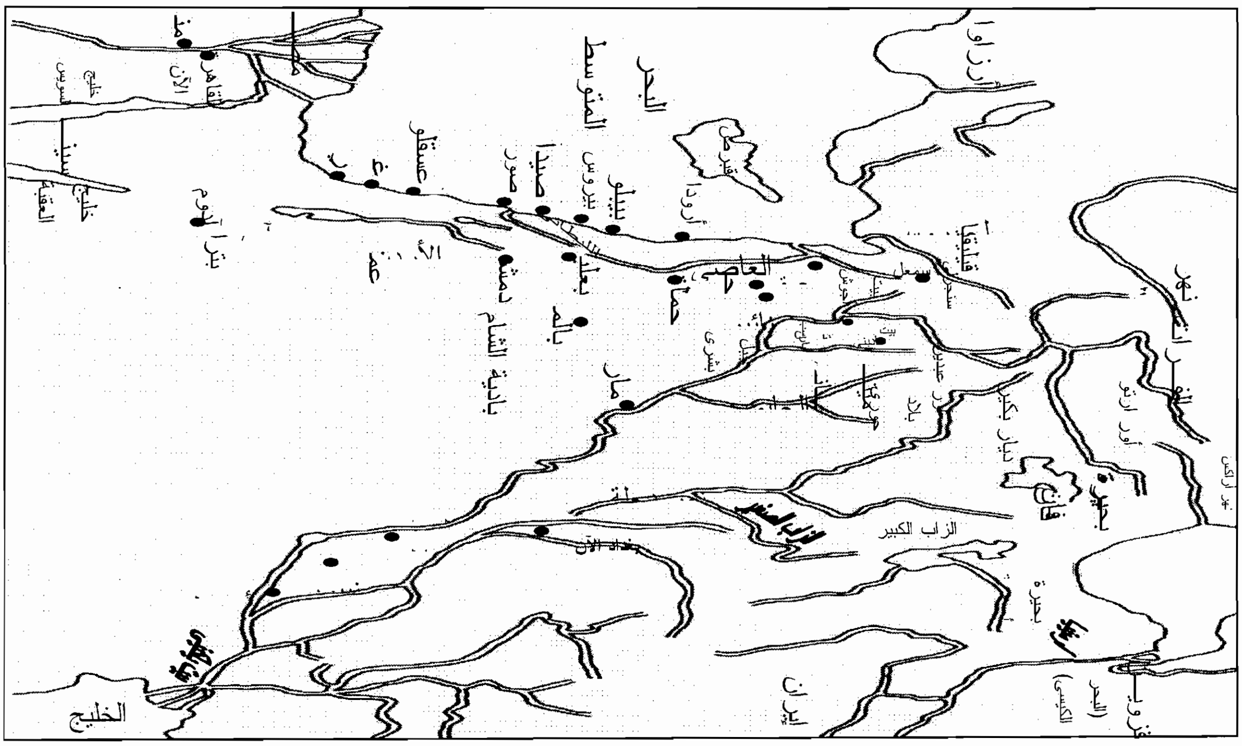
ولكن مع احتمال الخطأ فى تفسيرنا لحملة (تحتمس الثالث) على مجدو، ومع ما بذلنا فيها من جهد، نروح عن النفس بتذكر نص كلام الإله أمون للملكة حتشبسوت، المدون على جدران معبد روعة الروائع، إذ يقول لها:

> سأجعل جنودك تطأ (بنت) لأنى أقودهم بحرا وبراً، وجاعلهم يخترقون **مضايق عالية لايمكن اختراقها**، وقد جعلناهم يصلون إلى خمائل البخور وأرض الإله[٢٢].

ويزيد فى الاطمئنان أن نعلم أن فرض (تل المتسلم) كموضع مفترض لمدينة مجدو، إطلاقاً لم تقم عليه البينة الأركيولوجية، حتى قال كمال الصليبى: " إن مجدو التوراتية لم يعثر عليها إطلاقا فى فلسطين بهذا الاسم " [٢٣].



الخريطة رقم (٢٧)



خريطة رقم (٢٨)
شرقى المتوسط زمن الأحداث

---

(٢٢) سليم حسن: مصر القديمة.. سبق ذكره، ج٤، ص٣٣٢.

(٢٣) كمال الصليبى: التوراة جاءت من جزيرة العرب، ترجمة عفيف الرزاز، مؤسسة الأبحاث العلمية، بيروت، ط٢، ص١١٩.



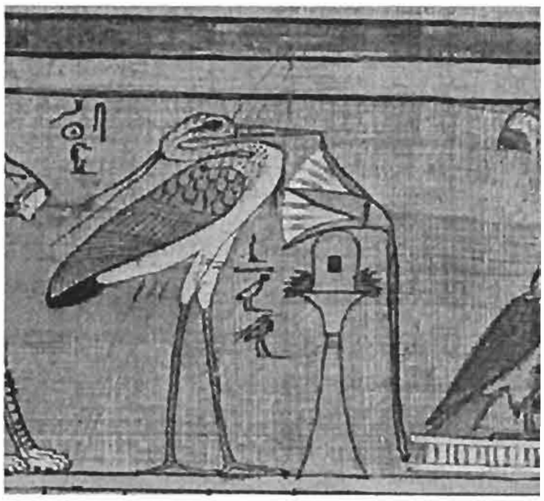
شكل رقم (٢٣)
الفرعون تحتمس الثالث



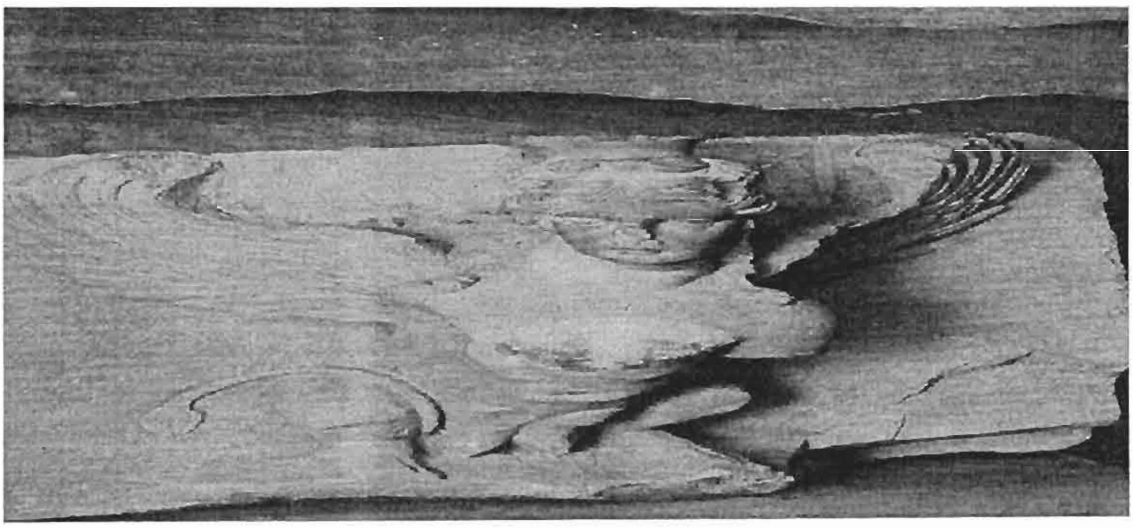
شكل رقم (٢٤)
طائر الفينيق وكاهن متبتل



شكل رقم (٢٦)
العنقاء تخرج من بيضتها / تصوير فني معاصر



شكل رقم (٢٥)
البنو / طائر الفينيق كما صوره المصري القديم على بردية آني بالمتحف المصري



شكل رقم (٢٧)

لغز بلاد موصرى (!؟)

فى منطقة شرقى المتوسط فى بوادى الشام والهلال الخصـيب، تنـاثرت جماعـات عرقيـة باسـم الحوريين، فى شكل مدن دول، وقد أكد لنا علم التاريخ أن هؤلاء الحوريين قد عرفوا باسم شعب آدم، وأنهـم أقاموا لأنفسهم دولة قوية مركزية باسم دولة ميتانى وباسم نهارين، وان الموضع المحتمـل لدولـة نهـارين الميتانية، دولة شعب آدم الحورية، يقع بين الفرات والخابور فى أعالى الفرات.

وقد خالفنا ذلك التحديد الجغرافى لدولة الحوريين المركزية، وأكدنا من جانبنا أنها أبدا لم تقـم بـين الفرات والخابور، إنما قامت فى الأرض التى جاءت اسمها التاريخى (مديان) أو(مدين)، وأنها تموضعت فى شبه جزيرة سيناء وسيناء الشرقية حيث البلاد التى ذكرها لنا الكتاب المقدس باسـم آدوم، وان ميتـان هـى بالقلب اللغوى مديان، وأنها فيما نرى قد تمركزت فى محيط جبال السراة/ سعير، ووادى عربة. وقد ذهـب فرضنا إلى أن تلك البلاد الصخرية قد أعطت لعاصمتها اسم من صفتها الجغرافية، فسميت بالصخرة، فهـى (سالع) بالعبرية وتعنى الصخرة، وهى **(بترا) زمن اليونان ثم الرومان وتعنى أيضاً الصخرة،** وقد ذهبنا إلى ما هو أبعد من ذلك فاحتسبنا بلاد مديان الحورية هى تلك البلاد التى كانت تذكرها النصوص المصرية بأنها (أرض الإله / بونت)، وأن اسم بونت بدوره كان يعنى الصخرة حسب تخريجنا، كما يعنى الحمراء أيضاً لأن البونى هو الفونى أو الفينيقى التى تعنى بدورها (أحمر) كما يعنى البلاد الخماسية.

وهنا نتابع البحث عما يمكن أن يدعم فرضنا ويضيف إلى رصيد ما قدمنا من شواهد وقرائن. وبـين رتل أكوام المادة العلمية التى جمعناها لعملنا هذا خلال السنوات السوالف، وجدنا فى نص الفرعون مرنبتـاح (لوح الانتصارات) أو (لوح إسرائيل)، ما يدعم فرضنا ، فاللوح يذكر بلسان الفرعون أنه قد احتل بلاداً باسم بلاد الحور ووضعها تحت السيطرة المصرية أو بنصه جعلها " ارملة لتوميرى " (تـوميرى هـى مصـر). وبمتابعة النص يمكنك أن تجد ما وجدناه وتفهم من النص ما فهمناه وهو أن بلاد الحور الـواردة فـى لـوح مرنبتاح، هى بالضبط بلاد الحوريين التى حددناها فى شرقى سيناء حيث مديان / آدوم. وأن بلاد الحور تقع عند وادى عربة وفى محيط خليج العقبة.

لدينا هنا إذن قرينة جديدة على صدق فروضنا تتمثل فى قصيدة طويلة يعدد فيها الفرعون مرنبتاح بن رمسيس الثانى الذى حكم ١٢٢٤ – ١٢١٤ ق.م انتصاراته، كما يعدد أهم الشعوب التى انتصر عليها والبلاد التى أخضعها ويعنينا من تلك القصيدة المطولة فقراتها الختامية التى يقول فيها الفرعون:

يقول الملوك وهم ينطرحون أرضاً: السلام. ولم يعـد
أحد من الأقواس التسعة يرفع رأسه (الأقواس التسـعة
تعنى البدو/ المؤلف) والتحنو (ليبيـا/ المؤلـف) قـد

خربت، وبلاد خاتى (دولة الحيثيين بالأناضول/المؤلف)
أصبحت مسالمة.

وكنعان (القسم الشرقى من فلسطين/ المؤلف) قد
أُسرت مع كل خبيث. وأزيلت عسقلان. وجازر (مدينة
فلسطينية قرب الساحل/ المؤلف) قُبض عليها، وينوعام
أو (ينوآم وهى مدينة مجهولة/ المؤلف) أصبحت لاشئ
وإسرائيل خربت وليس لها بذر.

وحور أصبحت أرملة لتوميرى (توميرى هى مصر/
المؤلف)(١)

الملك المظفر يعدد هنا الشعوب التى أخضعها، ملوك جميع البلاد يسجدون على الأرض يطلبون السلام من جلالته. وجميع البدو المحيطين بمصر لم يعد بإمكانهم أن يرفعوا رؤوسهم، فقد تم دحر الليبيين الذين هاجموا مصر. وهو ما نعلمه من نصوص أخرى لذات الزمن والأحداث. ثم ينتقل النص بعد ذلك جغرافيا إلى دول شرقى المتوسط، بادئا ببلاد خاتى/ دولة الحيثيين بتركيا القديمة في أقصى الشمال، ويؤكد أن الحيثيين قد أصبحوا مسالمين ونحن نعلم أن ذلك حدث بعد موقعة قادش الكبرى على نهر العاص، التى خاضها أبوه رمسيس الثانى ضد الحيثيين، وانتهت بترسيم حدود الولايات بين المصريين والحيثيين، فى معاهدة صلح عثر على نسختيها المصرية والحيثية، وقد عثر على النسختين كاملتين موثقتين فى مصر وفى حاتوساس عاصمة الحيثيين القديمة المعروف موضعها الآن بأسم بوغازكوى.

ثم نلاحظ أن خط حملات النصر يهبط بنا من تركيا جنوباً نحو كنعان، ثم يتخذ الفرعون طريق الساحل وهو لم يزل ييمم جنوباً، فيدمر على التوالى مدينة عسقلان ثم جازر إلى الجنوب منها. ثم ينحدر شرقاً ليهزم إسرائيل ومدنها، ويستمر فى مسيرة نحو الجنوب حتى يصل إلى مدينة باسم (ينوام). وقد عدت ينوام مدينة مجهولة طوال الوقت لأنهم كانوا يبحثون عنها شمالا. بينما نظن من جانبنا أنها مدينة كانت معلومة فى ذلك الزمان، وأنها كانت تقع أقصى جنوبى فلسطين بالنقب على الحدود السينائية حسب قراءتنا لخط سير حملة مرنبتاح وتفسيره، ونظننا قد عثرنا عليها مع تحديد موقعها فى نص بالكتاب المقدس يحدد أسماء المدن المنتشرة جنوبى دولة يهوذا المتاخمة بحدودها الحنوبية لحدود سيناء وآدوم، فيقول إن تلك المدن هى:

ينوم وبيت تفوح وأفيقة وحمطة وقرية أربع وهى
حبرون وصيعور. تسع مدن مع ضياعها.

يشوع ١٥/٥٣.

(١) سليم حسن: الأدب المصرى .. سبق ذكره، ج٢، ص ٢٢٢.

لقد كان تفسير خط سير الحملة يذهب بها إلى فلسطين الشمالية وبلاد الشام، ومع سيره المستمر يصل إلى بلاد باسم (حور) و (خارو) ثم افتراض أنها بلاد الحوريين الميتانية المزعوم أنهـا تقـع بـين الفـرات والخابور، ثم تمت إعادة النظر مرة أخرى حيث تضارب ذلك مع خط السير الواضح بلوح مرنبتـاح ومـع معطيات أخرى أسقطت ذلك الاتجاه الشمالي، وحينئذ أصبحت بلاد حور مشكلة تم الانتهاء منها بـالقول: إن المصريين منذ زمن مرنبتاح والأسرة التاسعة عشرة صاروا يطلقون على بلاد فلسطين اسم بـلاد حـور أو خارو أو حورى (؟!) هذا بينما يوضح فرضنا التأسيسى أن بلادا تقع جنوبى فلسطين، وجنوبى مدينـة ينـوم التى تقع جنوبى يهوذا، تحمل اسم بلاد مديان وآدوم هى البلاد الحورية المقصودة فى نص مرنبتـاح، وان فرضنا يجعل تفسير لوح مرنبتاح مستقيماً ومقبولاً فى حال اتجاهه جنوبا وليس شمالاً، ليتناغم لوح مرنبتاح مع منظومتنا تناغما واضحاً ويتحول إلى دليل وقرينة تضاف إلى رصيدنا. لأن البلاد الواقعة جنوباً بعد ينوم ستكون خارج دائرة فلسطين، وليس بعدها جنوباً سوى بلاد آدوم /آدم الحورية. ولم يـزل الـوادى الواقـع جنوبى وادى موسى عند البتراء يحمل حتى اليوم اسم **وادى حور**. ويقول الفرعون في نهايـة نصـه حيـث وصل نهاية حملته "وحور أصبحت أرملة لتوميري".

وهنا نتذكر شكل مساكن بلاد بونت الكهفية، ثم كهوف سالع البتراء المحفورة فى الصخر، فى تلـك البلاد الحمراء، ثم نقف مع كلمة **حور** نبحث عنها فى العبرية القاموسية فنجدها تبلغنا شديد تأييدها لفروضنا، حيث تحمل الكلمة معنيين: الأول هو: (أحمر) ، أما الثانى فهو (كهف)، فيما يسجل قاموس الكتاب المقدس. وهكذا حفظت لنا اللغة تحديداً واضحاً للمكان بل وصفة هذا المكان القديمة، فهم **الجنس الأحمر الذى سـكن الكهوف فى بلاد آدوم** .

ثم ندفع الآن بقرينة أخرى أكثر وضوحاً وأشد قوة تستشهد على مدى توفيقنا فيما ذهبنا إليه نأخـذها بدورها من التاريخ المصرى القديم، من زمن الفرعون شيشنق من الأسرة الثانية والعشـرين، الـذى حكـم حوالى ٩٤٥ – ٩٢٤ ق.م. ومعه نستعيد ذكريات تعيد أمجاد الفراعين، فقد قام شيشنق الأول بحملة كبـرى على دويلات شرقى المتوسط، وضمن جدوله الكبير المسجل بالكرنك نجد ضالتنا، إذ يبـدأ مقدمـة الجـدول بغارته الكبرى التى شنها على ما أسماه " **الإقليم الآدومى** "(٢). وهى المقدمة التى تقول إنه **فى الآن ذاته قد** " **أخضع جيوش ميتانى** ". وهو الأمر الذى يعنى أن الفرعون كان يتحدث عن غارة بعينها على موضع واحـد اعتبره الموضع الأجدر بالتسجيل فى مقدمة جدوله الكبير، وأن **هذا الموضع كان** " **الإقليم الآدومى**"، **وأن هذا الإقليم تُعرف جيوشه باسم** " **جيوش ميتانى**"(٣) وبعد ذلك يتابع حملاته نحو الشمال.

لكن المؤرخين لهذه المنطقة من العالم وحسب تقديراتهم لتآريخ وتزمينات قيام وانهيار دول المنطقة، قد أكدوا أن بلاد ميتانى التى كانت تقع – فى زعمهم – كمملكة بالفرات الأعلى وقد **بلغت قمة ازدهارها** إبان

---

(٢) جاردنر: مصر الفراعنة.. سبق ذكره، ص ٣٦١.

(٣) وليم لا نجر: موسوعة تاريخ العالم ، مادة ميتانى.

القرن الخامس عشر قبل الميلاد، وأن تلك المملكة قد زالت تماماً من الوجود خلال القرن الرابع عشر في أحد التخمينات، أو أن شلمناصر الأول الاشورى أزالها حوالى عام ١٢٧٥ ق.م، أواختفت على يد الآشوريين فى ق ٩ ق.م حسبما يفيدنا طه باقر(٤). وهكذا نجدنا إزاء لغز غريب، **فمعنى ذلك أن شيشنق كان يتحدث عن غارة على بلاد زالت قبل زمنه بحوالى خمسة قرون كاملة، أو ثلاثة قرون أو بقرن واحد (لاحظ مدى التضارب).**

وكان الحل السهل والبسيط هو القول بأن شيشنق الأول كان يفاخر كل هذا الفخر بضرب جيوش ميتانى، فخراً كاذباً من باب تضخيم حجم آلته العسكرية ومجده الملكى، حيث **أن مملكة الميتانى حسب وضعها بين الفرات والخابورزمن شيشنق كانت بلاداً آشورية بالقطع وباليقين**، والمظنون لديهم أن الآشوريين قد ضموها إلى مملكتهم الكبرى قبل زمن شيشنق بقرون أو أن الحيثيين هم من قضوا عليها فى قول آخر. ويلخص لنا **(فراس السواح)** ما جاء بشأن ميتانى وشيشنق لدى المؤرخين فى قوله: " نعترف بوجود **نص واحد غامض** هو سجل حملة الفرعون شيشانق الأول ٩٤٥ – ٩٢٤ ق.م، ومعظمها [يقصد معظم البلاد التى ذكر أنه استولى عليها/ المؤلف] لم يمكن التعرف عليه إلا بشكل تقريبى .. يضاف إلى ذلك تناقض معلومات النص مع بعض الحقائق التاريخية. فمملكة ميتانى التى كان يتباهى الفرعون بإخضاعها، **لم تكن قائمة فى زمنه** "(٥).

وهكذا يوقفنا هذا التفسير دهشين من أمر فرعون عظيم وفاتح كبير يفاخر أهل زمانه أنه قد أخضع دولة زالت قبل زمانه بزمان كان كفيلاً بنسيان ميتانى واسمها زمن شيشنق، ولا شك أن أهل زمانه إما كانوا لا يعرفون ما هى ميتانى؟ أو كانوا يعرفونها ويعلمون يقيناً أنها زالت من صفحة التاريخ منذ قرون. أما الأغرب فهو أن يفاخر الفرعون كاذباً وهو منتصر انتصاراً عظيماً أعاد لمصر أمجاد فتوحات التحامسة والرعامسة. لكن لن تكون هناك أية غرابة لو كان فرضنا المؤسس لهذا العمل صحيحاً، ذلك الفرض الذى يقول إن بلاد ميتانى لم تقع دولتها المركزية على الفرات الأعلى الذى نعرف أنه كان ذلك الوقت بلاداً آشورية بلا منازع وتحت سيطرة أشور من فجر مطلعها، إنما كانت هى بالتحديد بلاد مديان الحورية الآدومية الواقعة فى سيناء الشرقية ووادى عربة وسراة سعير، وأنها هى بلاد بونت الصخرة/ سالع/ البتراء التى ظلت قائمة حتى زمن الرومان. ولم يكن شيشنق يفاخر كاذباً بل هاجم بلاداً كانت قائمة بالفعل فى زمانه هى بلاد آدوم نهارين كما ذكر أسمها فى مقدمة جدوله الكبير بالكرنك.

أليست تلك بقرينة مبينة ؟ لكنّا نعلم أننا نقول كلاماً جديداً وشديد المخالفة، ولكل جديد دهشة، وما أكثر التقليديين الذين سيرفضون أمرنا هنا. لهذا يستحق فرضنا مزيداً من البحث عن قرائن وبراهين تدعم خراسانته، وإعمالا لذلك نتابع التنقيب فى مدونات المنطقة القديمة، لنقرأ بين ما عثرنا عليه نصوص للملك

---

(٤) طه باقر : الوجيز .. سبق ذكره ، ص ٤٩٥.

(٥) فراس السواح : الحدث التوراتى .. سبق ذكره ، ص ٧٣.

الآشورى (تجلاتبليزر الأول) فنجد بينها نصاً يحدثنا عن فتوحات واسعة قادها ذلك العاهل الكبير حتى وصل **إلى بلاد (نهارينا) وفتح إقليما باسم (مصرى) فى ذات النص، وأنه فى إقليم (مصرى) هذا دحـــر القبائـــل الآرامية ؟!**[٦].

ومع الوضع المزعوم لبلاد ميتانى/ نهارين أونهارينا بالفرات الأعلى، كان لابد أن يقــف المؤرخـــون جميعاً يتساءلون ذلك السؤال الغريب المستغرب عن بلاد (مصرى) التى تقع بـــالفرات الأعلـــى، وهـــو ذات السؤال العجيب المستعجب الذى أورده المؤرخ طه باقر وهو يقرأ لنا نصوص الملك الآشورى (تجلاتبليـــزر الأولى)، بينما كان الباحث فراس السواح يلخص لنا ما انتهى إليه علماء التاريخ بشـــأن إقلـــيم مصـــرى أو موصرى بقولـــه: " **إن موصرى هى مملكة مجهولة حتى الآن** " [٧].

وهكذا كان لاقتران إقليم مصرى مع بلاد نهارينا بفتوحات فى الرافدين الأعلى مدعاة لافتراض إقلـــيم (مصرى) إقليماً ميتانياً ، أى أحد الأقاليم التابعة لبلاد ميتانى نهارينا الواقعة زعماً بين الفرات والخابور، لكنه الآن مجهول تماماً مثله مثل ميتانى ولا توجد عليه قرينة أركيولوجية واحدة. لكن إطلاقـــاً لـــم يكـــن إقلـــيم (مصرى/ موصرى) هذا وهما، ولا قراءة ملتبسة ننتظر صلاح الحال لنطقها الصحيح، لأنـــه تكـــرر فـــى نصوص رافدية أخرى حدثتنا مرات عديدة وفى إشارات متباينة عن إقليم مصـــرى، ونتيجـــة التبـــاين فـــى الإشارات التى احدثت التباسات فى تحديده الجغرافى، فمرة يمكن تفسير النصوص بأنه **يقع فى منطقـــة مـــا جنوبا، ومرة شمالاً.**

فقد اقترح الباحثون أحد موضعين لا ثالث لهما لاقليم مصرى، وما أبعدهما عن بعضـــهما: الموضـــع الأول فى الفرات الأعلى حيث الموضع المزعوم لبلاد ميتانى/ نهارينا، أما الموضع الثانى وهو الذى يعنينـــا بشدة، فهو احتمال وقوع إقليم مصرى – حسب قراءات أخرى لنصوص أخرى – **فـــى المنطقـــة المحيطـــة بخليج العقبة وبعض شبه جزيرة سيناء،** ربما نصفها الشرقى كاملا حسبما يقسمها وادى العريش العظيم.

وإطلاقاً لا يصح احتساب أن إقليم مصرى هذا كان يعنى مصر الدولة العظمى آنذاك لســـبب بســـيط، وهو أن نصوص العمارنة المصرية قد حدثتنا بدورها عن ذات الإقليم (مصرى) فى صيغ متعددة وإشـــارات تضعه فى مكان ما شرقى مصر، وتراوحت تنغيمات نطقه ما بين: مصرى، موصرى، موصـــر، مســـري، مصر، مصارى، مشرى[٨].

والمعلوم تاريخياً والمؤكد يقيناً أن المصريين أنفسهم لم يعرفوا بلادهم فى ذلك الزمان باسم مصر بعـــد أن ثبت أن تسمية مصر النيل باسم مصر تسمية متأخرة، فقـــد أطلق المصريون على بلادهم عدة أسماء ليس من بينها اسم مصر، ومن تلك الأسماء المعلومة الآن بشكل يقينـــى الاســـم (كمـــت KEM-T) أى الأرض

---

(٦) طه باقر : الوجيز ، سبق ذكره ، ص ٤٩٢.

(٧) فراس السواح: الحدث التوراتى .. سبق ذكره، ص٩٨.

(٨) عبد المجيد عابدين : لمحات من تاريخ الحياة الفكرية المصرية قبل الفتح العربى وبعده، مطبعة الشبكشى بالأزهر، القاهرة، ١٩٦٤ ، ص ٥.

السوداء BLACK LAND ليقابلوا بها ما هو عكس واديهم الخصيب من صحراوات وجبال وقفار وبرارى أسموها دوشراتا أو (د. ش. رت) التى تترجم إلى الأرض الحمراءRED- LAND أى الصحارى.

ومن الأسماء الأخرى التى أحب المصريون إطلاقها على بلادهم الاسم المعروف توميرى أو (تاء . م رى TA. MERE) ونطقها الإغريق تيموريس أى أرض الحقل والفلاحة والحرث. وفى تاريخ مانيتون MANITHON المصرى الذى عاش فى القرن الثالث قبل الميلاد نجد لمصر أسماء ثلاثة هى: آيرياAERIA ومسترايا MESTRAIA وباللاتينية آيجبتون AIGYBTON، والمعروف أن الاسم الأخير كان أكثرها انتشاراً ، وأصبح الكلمة الدالة على مصر فى كل اللغات ذات الأصول اللاتينية، وهو فيما يذهب جلة من الباحثين تحريف للاسم المصرى الأصلى للكلمة وهو (حت. ك ء. ب ت ح) أى بيت عز بتاح أو بيت مجد الإله بتاح وهو إله منف منذ أقدم العصور. إلا أن بعض المجتهدين رأى أن اسم (ايجبت) مأخوذ من كلمة (قبط) التى أطلقها العرب على بلاد مصر، وأن السبب فى إطلاق العرب على مصر هذا الاسم هو أن العرب كانوا يعبرون من جزيرتهم البحر الأحمر إلى مصر، فينزلون أول ما ينزلون عند مدينة عامرة هى (قفط)، ومعلوم أن حرفى (ف) و (ب) يتبادلان، لذلك تنطق (قبط) أيضاً . لكنا هنا نضع احتمالاً ثالثا يذهب إلى مدينة (جباتا) الواقعة عند خليج العقبة فى بلاد آدوم القديمة، كمعبر أول على الطريق السينائى الذى يصب عند دلتا النيل، فتكون جباتا أول مدينة فى طريق مصر، يحتمل أنه قد اشتق منها (قبط) ثم (إيجبت) بحسبان عبور عرب الجزيرة للبحر الأحمر أمراً مستبعداً فى ذلك الزمان.

ثم أخيراً أشتهر من أسماء مصر الاسم (نيلوس NELOS) الذى أطلقه على نهرها لأول مرة الكاتب اليونانى الملحمى (هزيود) فى القرن الثامن قبل الميلاد، وتعود الكلمة إلى الأصل (NEL) بعد حذف التصريف الاسمى، والكلمة (NEL) تعود بدورها إلى الكلمة (NEHL) التى هى فى الساميات NEHR نهر ينطق فيها حرف الراء لاما (نهر ← نهل)، ثم اسقطت الهاء بالتخفيف فأصبحت (نيل NEL) وأضيف لها التصريف الاسمى اليونانى لتنطق (نيلوس NELOS) . وهكذا فإن اسم النيل هو اسم سامى الأصل من الكلمة (نهر) أعيد تصديره عبر اليونان فأصبح نيل، ليدل زمناً على مصر، ثم يقتصر بعد ذلك على نهرها العظيم. وقارئ الكتاب المقدس سيجده إطلاقاً لا يذكر نهر مصر باسم النيل ألا فى اسفاره المتأخرة الخاتمة التى دونت بعد هزيود اليونانى، لكنه كان طوال أسفاره السابقة يطلق على نيل مصر فقط لفظة (النهر) غفلا من أى تسمية مميزة.

لكن لدينا رأى آخر يقول إن الاسم المتأخر الذى أطلق على مصر: (مصر) رغم وضوح تنغيمه السامى إلا أنه يعود بدوره إلى أصل مصرى من اللفظ الهيروغليفى (مجر) الذى يعنى الحصن أو السور العظيم أو **الحد الفاصل بين دولتين** أى الحدود الدولية.[٩]

(٩) عبد الحميد زايد : أسماء مصر ، مجلة كلية التربية، جامعة الكويت ، العدد٢ ، ١٩٧٢، ص٣٣.

وهنا نعود إلى الإقليم (مصرى/ موصرى) نطرح الحل البسيط والسهل: إذا كان المؤرخون قد وضعوا لإقليم مصرى احتمالين جغرافيين، أحدهما يقع فى بلاد آدوم وسيناء، وإذا كانت الكلمة المصرية (مجر) تعنى الحدود الدولية ، فلا شك أن (مجر) أو (مصرى) لم تكن تعنى مصر بلاد النيل إنما تعنى منطقة حدود مصر الدولية، أى أنها كانت بلاد آدوم بالتحديد والتدقيق المبين، ويكون العاهل الآشورى (تجلا تبليزر الأول) قد هاجم بلاد آدوم عندما قال إنه هاجم بلاد موصرى. ولأنه كان يتحدث عن إقليم موصرى ضمن هجوم أشمل على بلاد نهارينا، فإن بلاد نهارينا المقصودة لن تكون بالفرات الأعلى إنما بلاد آدوم. وتصبح الألفاظ الواردة بنصوص تل العمارنة بمصر عن (مشرى ، مصر، موصرى، مسرى .. الخ) تشير إلى حدود مصر الدولية عند بلاد آدوم التى حملت اسم (مصر) قبل أن تحمله مصر المعروفة الآن. فهى الحد الفاصل بين مصر وبين بادية الشام والبوادى العربية، وهى سور عظيم فعلاً لأنها سلسلة جبال منيعة طبيعياً. وهو الأمر الذى يفسر لنا لماذا لم يضع المصريون على لفظة بلاد بونت العلامة الهيروغليفية الدالة على البلاد الأجنبية. وفيما سلف عرضنا فرضنا فى أن بلاد بونت هى الاسم المصرى الأشهر لبلاد آدوم المديانية. وهو ما يوعز أن المصريين كانوا يعتبرون بلاد (آدوم /بونت) حداً شرقياً فاصلا للحدود المصرية مع البلاد الأجنبية.

وهناك تفاسير أخرى لاسم بونت تناسب هذا المقام أوردها (عبد المنعم عبد الحليم)، فهى ربما تكون **الباب** وهو مايشيرإلى الحدود الدولية بدوره فى معنى الباب أو الحد الدولى، وفسرها آخرون بأنها تعنى **الحصن**، وهو ما لا يخرج بدوره عن المعنى الذى طرحناه.(١٠).

وإن كان التاريخ يشى دوماً باستقلال واضح لتلك البلاد عن الوطن الأم فى فترات تاريخية متعددة، وأن وجهة نظر المصريين لم تفرض على بلاد آدوم الأمر الواقع بالتبعية، وهو ما كان يستدعى حملات تأديب مصرية متتابعة يتم تجريدها على سيناء وآدوم، كلما ارتكبت آدوم ما يعتبره الفرعون بحاجة للتأديب والتهذيب. وعليه فإن لفظة مصر بدأ إطلاقها على بلاد آدوم جميعاً من جانب سكان المتوسط الشرقى ولسانهم السامى الذى غلب على المنطقة بعد ذلك، بينما ظل لفظ (قبط) ثابتاً فى اللسانى اللاتينى (إيجبت).

وتضيف اللغة مزيداً من القرائن لنظريتنا التأسيسية، لأن الكلمة (مجر) المصرية القديمة المنطوقة فى اللسان السامى (مصر) على اختلاف تنغيماته (مشر، مشارى، مصر، مسرى، مصرى، موسير .. الخ) تعنى دوماً فى الساميات معنى واحد هو: **الحمراء** . ونتذكر ماسلف بيانه أن بلاد آدوم وصفت بأنها بلاد حمراء، وأن عيسو آدوم سمى كذلك لأنه كان أحمر اللون حسبما ورد بالكتاب المقدس. لقد كانت مصر هى بلاد سيناء فى امتدادها حتى آدوم، فى زمن كانت فيه مصر المعروفة تحمل أسماء أخرى معلومة هى: كيمت، توميرى، آيريا، مسترايا، نيلوس، ولم تكن حمراء بل سوداء.

---

(١٠) عبد المنعم عبد الحليم: موجز رساليته.. سبق ذكره، ص ١٩.

وإن كنا اليوم لا نجد فى بلاد آدوم علما يحمل اسم مصر، فقد حملت واحدة من مدنها اسم (جباتا) ومنه (قبط)، ثم أن الكتاب المقدس يورد لنا أسما قديما علما فى بلاد آدوم، اذ يحكى قصة مــوت هــارون شــقيق موسى ودفنه على حدود آدوم السينائية، يقول النص.

مات هارون ودفن فى جبل **موسير**

تثنية ٦/١٠.

و(موسير) تلوين لهجوى آخر لاسم مصر، أما أن يطلق الرافديون على بلاد ميتانى اسم بلاد النايرى أو نهارينا ويطلق المصريون عليها اسم (ن هــ ر ى ن NHRN) ، ويعطوا الفرد من الشــعب الحــورى صفة (ن هــ ر ى NHRY) نسبة إلى (ن هــ ر ى ن) بمعنى " رجل من بلاد ن هــ ر " ، والتى خففت فيها الهاء فى النطق الآشورى فلفظت (ن ى ر ى / نايرى) فهو ما أدى إلى التباسات وغموض فى أبحــاث الباحثين، خاصة أن **اللفظ يشير إلى نهر** أكدوا أنه الفرات الأعلى، فإننا من جانبنا نرى اللفظ يشير إلى نهــر آخر – إذا كان يعنى النهر فعلاً – وهو ما عثرنا عليه فى تعبير التوراة عن قادش سيناء علــى حــدود آدوم الغربية: (قادش النهر). وهو التعبير الذى يتطابق معناه مع جغرافية وادى العريش الذى يتحول فــى الشــتاء إلى نهر عاصف جبارــ أطلقت عليه التوراة اسم " نهر مصر / تكوين ١٨/١٥ "، وأكدت أنه كان فى محيط هذا النهر كان يعيش الحدادون النحاسون أو كما أسمتهم التوراة القينيين فى سفر التكوين (١٩/١٥). ثم يلتقى الاسم نايرى من جانب آخر إضافة للنهر – مع النار ، ومعلوم أن بلاد آدوم التى حملت اسم ســعير كانــت بلادا للسعير والنار، حيث تفصح الأرض هناك عن نشاطها بركانى عظيم قديم خمد الآن، ولا ننسى الحمراء صفة تلك البلاد.

مع احتمال آخر أن كلمة (نهارين) تشير إلى مثنى كلمة النهار، فهى بلاد النهارين، وهو تعبير يشــير إلى التصور القديم للعبور خلال السيق أثناء النهار فى بترا، وهو عبور من نهار إلى ظلمة داخل السيق نتيجة ارتفاع الحائطين العظيمين، ثم الخروج من تلك الظلمة إلى نهار آخر حيث البتراء بآثارها الكبــرى، وربمــا كان ذلك فى عرف ذلك الزمن عبوراً ليلياً بين نهارين كانا سمة تلك البلاد، ومن ثم مُسماها (نهارين) وهــو التخريج الذى نميل إلى اعتماده.

ميتانى ومديانى

حتى زمن ظهور الدعوة الإسلامية فى بلاد الحجاز، كان محيط خليج العقبة جميعاً يحمل اسم بلاد مديان أو مدين، ويقول (ابن هشام) فى السيرة النبوية إن النبى محمد (ﷺ) قد أرسل مولاه زيد بن حارثة فى سرية مقاتلة مفاجئة على بلاد باسم مدين فيما نصه: " إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث زيداً بن حارثة **نحو مدين** .. فأصاب سبيا من أهالى **ميناء** وهى السواحل وفيها جماع من الناس " (١)

ورغم أن التوراة قد اصطلحت على تسمية تلك المنطقة ببلاد (عيسو/ آدوم)، إلا أن هناك إشارات أخرى عديدة بها، تؤكد أنها قد عرفت ذات الموضع باسم بلاد مديان نسبة إلى قبيلة كبرى قطنت هناك بهذا الاسم. فنجد فى سفر إرميا (٢٥/٢٠) أن بلاد مديان تقع بين مصر وفلسطين (أى شبه جزيرة سيناء). وفى ذات السفر يذكر النبى إرميا بلاد مديان بحسبانها تقع فى طريق المسافر من مصر إلى بابل، بل ويموضعها فى بلاد آدوم (إرميا ٤٦/١)، وهو الموضع الذى افترضناه موضعاً لبلاد بونت، التى عرفت فى سجلات المنطقة التاريخية باسم بلاد (ميتانى/ نهارين/ الحور). وهو ما يجد له صدى بالكتاب المقدس الذى أكد لنا أن سكان النصف الشرقى لسيناء قد حمل بعضهم اسم المديانيين، ولذلك كانت تطلق على تلك البلاد مجموعة مسميات على التبادل: مديان نسبة لقبائل مديان/ سعير نسبة لجبال سراة سعير وهى الحدود التى سميت موصرى / آدوم نسبة للآدوميين الأوائل / بلاد الحور وهو الاسم الثانى للأدوميين / سالع بالعبرية أى الصخرة وهو اسم العاصمة/ بترا باليونانية ويعنى الصخرة أيضاً / بونت أى الخماسية وهو فرضنا نحن.

ولمزيد من تدقيق موقع مديان فيما ورد بالكتاب المقدس، نقرأ قصة صراع الملك الإسرائيلى سليمان ومن قبله أبيه داود مع دولة آدوم الجنوبية، وهو الصراع الذى أدى إلى فرار الوريث الملكى الآدومى بعد هزيمة بلاده إلى مصر، وفى مصر عاش عيشة الأمراء فى البلاط الملكى، بل وتزوج أميرة فرعونية، ثم ساعده بعد ذلك الفرعون فى استعادة عرشه، وتقول القصة:

> وأقام الرب خصماً لسليمان **هدد الآدومى.** كان من نسل الملك فى آدوم. وحدث لما كان داود فى آدوم عند صعود يوآب رئيس الجيش لدفن القتلى وضرب كل ذكر فى آدوم. لأن يوآب وكل إسرائيل أقاموا هناك ستة أشهر حتى أفنوا كل ذكر فى آدوم أن هدد هرب هو ورجال آدوميون من عبيد أبيه معه ليأتوا مصر. وكان هدد غلاماً صغيراً. **وقاموا من مديان وأتوا إلى فاران. وأخذوا معهم رجالا من فاران وأتو إلى مصر**

(١) السهيلى : **الروض الأنف** فى تفسير السيرة النبوية لابن هشام، دار المعرفة، بيروت، فى ١٩٧٨، ج٤، ص ٢٤٤.

إلى فرعون ملك مصر، فأعطاه بيتاً وعين له طعامــاً وأعطاه أرضا. فوجد هدد نعمة فى عينى فرعون جــداً وزوجه أخت امرأته، اخت تحفينس الملكة، فولدت لـــه أخت تحفنيس جنوبث ابنه، وفطمته تخفنيس فى وســط بيت فرعون وكان جنوبث فى بيت فرعون بـــين بنـــى فرعون. فسمع هدد فى مصر بأن داود قد اضطجع مع آبائه [أى مات/ المؤلف] وبأن يوآب رئيس الجيش قد مات، فقال هدد لفرعون: أطلقنى إلى أرضى.

ملوك أول / ١١ / ١٤ – ٢١

وهذا إنما يعنى أن منطلق الرحلة كان من مديان " وقاموا من مديان "، وأن مملكة هدد الآدومى كانـــت هى مملكة مديان. وخط هروب الوريث الآدومى يحدد لنا بدقة أين تقع مديان، فالنص يقول " وقـــاموا مـــن مديان وأتوا إلى فاران ". وبالبحث سبق ووجدنـــا برية باسم (باران) قائمة باسمها حتى الآن تقع إلى الغرب مباشرة من بلاد آدوم التى حددنا موقعها بين خليج العقبة والبحر الميت، و(باران) بالضـــبط هـــى (فـــاران) فحرف الباء والفاء يتبادلان، ثم (باران) أو (فاران) محطة واضحة على خريطة سيناء للمتجه غرباً من آدوم نحو مصر. وإذا كان هدد الملك الآدومى قد أخذ معه رجالا من فاران كأتباع له فهو ما يعنى أن سلطان آدوم كان يصل تقريباً إلى وادى العريش الآن. إن النص يؤكد بلالبس **أن بلاد آدوم هى التى حملت أيضاً الاســم التاريخى مديان** اسم كبرى القبائل الآدومية.

ثم لمزيد من التأكد نتابع البحث فى نصوص الكتاب المقدس فنقرأ قصة هروب النبى موسى من مصر بعد قتله المصرى ظلماً وعتوا إلى بلاد باسم مديان. وأنه عاش هناك زمناً هاربا من قوانين العدل المصرية، وتزوج هناك من صفورة بنت كاهن مديان الذى كان يحمل اسمين يردان فى المقدس التوراتى على التبـــادل هما: رعوئيل ويثرون، ويحدد لنا المؤرخ (فيليب حتى) الموقع الجغرافى لتلك البلاد التى فر إليها موســـى بأنها:

مدين التى تضم جنوبى سيناء والأرض الواقعة إلـــى الشرق منها. واتخذ موسى لنفسه امرأة غريبة وهى ابنة كاهن مدين، وأبوها مؤمن بديانة يهوه **فتعلم منه موسى أسرار العبادة الجديدة.**(٢)

ومن جانبهم يفترض المؤرخون الإسلاميون أن يثرون هذا هو الذى ورد فى التاريخ الإسلامى باســـم شعيب صاحب شعب الأيكة، والأيكة هى الشجرة الضخمة المعمرة أو الغابة. والأيك هو **العيك** بتبادل الهمزة

(٢) فيليب حتى: تاريخ العرب، دار الكشاف، بيروت، ١٩٦٥، ج١، ص ٥١.

مع العين فى **الساميات**، وهو ما يذكرنا بأتيكا أو **عتيقة** التى وردت فى نصوص مصر بحسبانها موقعاً فـــى بلاد آدوم كما أسلفنا.

ويقول أصحاب قصص الأنبياء عن مدين:

> **مدين** : قيل اسم البلد، وقيل إنه اسم القبيلة بسبب أنهــم أولاد مدين ابن ابراهيم .. وشعيب قد اختلف فى نســبه .. وكان أهل مدين قوماً عرباً يسكنون مدينتهم **مـــدين القريبة من أرض معان** من أطراف الشام [لنتذكر أنها معان مصران أو معان المصرية على التخوم الشـــرقية الجنوبية لآدوم/ المؤلف] وكانوا بعدهم بمـــدة قريبـــة.. وكانوا كفاراً يقطعون السبيل ويخيفون المارة ويعبدون الأيكة. وهى شجرة من الايك حولها غيضة ملتفة بها، وكانوا من أسوأ النـــاس معاملـــة. يبخســـون المكيـــال والميزان ويطففون فيها (٣).

وكلام المأثور الإسلامى هنا عن المكيال والميزان يعبر بوضوح عن صدق فروضنا التى قلنا فيهـــا أن سكان تلك المنطقة كانوا **طبقة من التجار العسكريين** تمركزوا على طريق قوافل تجارة العالم فى هذه المنطقة الحساسة من العالم المعروف آنذاك.

ويقص علينا الكتاب المقدس فى سفر الخروج أن النبى موسى عندما خرج من مصر مع أتباعه ميمما نحو فلسطين عبر سيناء، اتجه من فوره إلى بلاد مديان التى سبق وعاش فيها عندما هرب من جريمة قتلـــه المصري، وارتبط بأهلها بأواصر النسب والسنين، حيث التقى هناك بحماه يثرون / رعوئيل واتخذ من شقيق زوجته حباب المديانى دليلاً له فى دروب سيناء الشرقية. إلا أن هذا الود لم يبق على حاله الصافى فلم تلبث التناقضات أن ظهرت بين الفريقين: فريق موسى وأتباعه الخارجين من مصر، وفريق المديانيين، لتتصـــاعد تلك التناقضات إلى صراع دموى انتهى بأمر إلهى جاء فى النص التوراتى يقول:

> وكلم الرب موسى قائلاً : انتقم نقمة لبنى إسرائيل مـــن مديان.. فتجندوا على مديان كما أمر الرب، وقتلوا كل ذكر. وملوك مديان قتلوهم فوق قـــتلاهم: آوى وراقـــم وصور وحور ورابع، **خمسة ملوك مديان** .. وأحرقوا جميع مدنهم ومساكنهم وجميع حصونهم بالنـــار وأتـــوا إلى المحلة إلى **عربات موآب**

---

(٣) محمـــد الفقـــى: قصـــص الأنبيـــاء والمرســـلين، أحـــداثها وعبرهـــا، مكتبـــة وهبـــة، القـــاهرة، ١٩٧٩، ص ١١٩: ١٢١.

النص هنا يعطينا مزيداً من التأكيد لموقع بلاد مديان، حيث دارت الموقعة العسكرية بين الاسرائيليين والمديانيين فهو إلى الجوار من " عربات موآب " أى الجزء القريب من دولة موآب من وادى عزبة، كما يوضح لنا أن منطقة آدوم المديانية كانت تتقاسمها **خمسة ممالك متحدة (بنط بوليس = البلد الخماسية)**، وبين أسماء ملوك تلك الممالك يحتفظ لنا المقدس باسم الملك المديانى (حور) الذى لم يزل اسمه علما هناك حتى اليوم على وادى حور فى محيط البتراء الجنوبى. وفى موضع آخر بالكتاب المقدس نجد حديثا عن إبراهيم الخليل وابن أخيه لوط وحديث عن **خمسة مدائن كبرى** تقع فى بلاد آدوم جاءت أسماءها على الترتيب، بأسماء ملوكها، فى زمن أقدم من زمن موسى كالآتى:

> با – رع ملك **سدوم**. وبر – شاع ملك **عمورة**. وشن – آب ملك **آدمة**. وشم – إير ملك صبوييم. وملك بالع التى هى صوغر.

تكوين ٢/١٤

وواضح فى تلك الأسماء النغمات المصرية (با–رع) والنغمات السامية العربية (شم – إير) الذى هو (شمر) ولا زالت قبائل عربية كبيرة تحمل هذا الاسم حتى الآن فى تلك المناطق تحديدا (الشمريين). إضافة إلى العموريين أو الأموريين (ولدينا فى التوراة مدينة عمورة فى بلاد آدوم) والآدوميين أدمة بالتوراة. وبمقارنتنا للوديان المنزرعة التى تتخلل المنطقة الصخرية لبلاد آدوم، والتى تصلح لقيام دول مدن بها، سنجدها الآن **وديان خمس تلتقى مع المدن الخمس** التى أوردها الكتاب المقدس، وهى بأسمائها الحالية: وادى موسى ووادى جلواخ وواد الصدر ووادى المقر ووادى الزرابة وهى بالتحديد المبين كل وديان المنطقة دون زيادة أو نقصان ، وديان خمس تطابق مدنا خمس، وهى التى أطلق عليها المؤرخون القدامى مثل هروشيوش بونتابوليس (بنط – بوليس) أى البلاد الخماسية.

ولمزيد من التعرف على مديان ومدى مطابقتها لبلاد آدوم نقرأ فى موقع آخر بالكتاب المقدس زمن القضاة ما بين الخروج وبين قيام مملكة داود، عن استمرار الصراع بين الإسرائيليين والمديانيين، وأن الكفة مالت لصالح المديانيين حتى أخضعوا الإسرائيليين سبع سنوات، وهو ما يعبر عنه نص المقدس بقوله:

> وعمل بنو إسرائيل الشر فى عينى الرب فدفعهم الرب ليد **مديان** سبع سنين فاعتزت يد مديان على إسرائيل. بسبب المديانيين عمل بنو إسرائيل لأنفسهم **الكهوف التى فى الجبال** والمغاوير والحصون. وإذا زرع إسرائيل كان يصعد **المديانيون والعمالقة وبنو المشرق**، يصعدون عليهم وينزلون عليهم ويتلفون غلة

> الأرض إلى مجيئك إلـــى غزة، ولا يتركون لإسرائيل قوت الحياة، ولاغنما ولا بقراً ولا حميراً لأنهم كـــانوا يصعدون بمواشيهم وخيامهم ويجيئون كـــالجراد فـــى الكثرة وليس لجمـــالهم عـــدد ودخلـــوا الأرض لكـــى يخربوها.

سفر القضاة / ٦ / ١ – ٥

ويفهم من النص أن المديانيين كانوا يشكلون حلفاً قوياً مع العمالقة، والعمالقة شعب مجهول إلـــى حـــد بعيد، لكن شجرة الأنساب التوراتية تعيد العمالقة إلى أب أسطورى بعيد اسمه (عماليق) وتقـــول **إن عمـــاليق هذا من نسب آدومى فهو حفيد عيسو آدوم الجد الأسطورى البعيد لشـــعب آدوم** (أنظـــر ســـفر التكـــوين ١٢/٣٦).

وفى التوراة نصوص عديدة يفهم منها أن العمالقة أو العماليق كانوا ينتشرون فى سيناء وآدوم والنقـــب والمناطق الجنوبية من فلسطين. أما بنو المشرق فهو اصطلاح معلوم بالكتاب المقدس يشـــير إلـــى القبائـــل الأرامية. والنص السالف يشير إلى كثرة عددية هائلة فى جيوش هذا الحلف " كالجراد فى الكثـــرة " ، لكنـــه يشير إلى أن المديانيين قد دفعوا الإسرائيليين لحفر الكهوف التى فى الجبال وهو كلام ملتبس إذ يبدو لنـــا أن كاتب هذا الجزء من التوراة كان قد عرف مساكن بونت آدوم الكهفية المحفورة فى الصخور ورأى عظمتهـــا وعاينها فنسب فعلها إلى الإسرائيليين، وهو دأب توراتى يعلمه المعتاد على التعامل مع الكتاب المقدس حيـــث يحاول المحرر التوراتى دوماً أن ينسب الأعمال الكبرى لبنى إسرائيل.

ومن إشارات أخرى بالكتاب المقدس نفهم أن هؤلاء المديانيين قد عرفهم الناس كصناع مهرة للمعـــادن فهم قينيون حسبما أطلق عليهم المقدس أى حدادون. وكان الحداد فى ذلك الـــزمن هـــو مؤسســـة المصـــانع الحربية. ويقول لنا قاموس الكتاب المقدس تحت مادة قينى:

> **قينيون:** اسم سامى معناه **حداد**، والقين باللغة العربية معناه الحداد، وبنو القين قبيلـــة مـــن قبائل العرب والنسبة إليها قينى. ومن سفر التكوين ١٩/١٥ نرى أن القينيـــين كـــانوا أمـــة مجاورة للقدمونيين والقنزيين **الساكنين فى آدوم**. وقد تطلع بلعام من مرتفعات بعل مـــوآب فرأى القينيين **وشبه موضعهم بالعش فى صخرة/** سفر العـــدد ٤١/٢٢ و ٢٤/ ٢١، ٢٢.. **ليكن مسكنك متيناً وعشك موضوع فى صخرة.**

وهنا نتذكر أن بيوت بلاد بونت قد صورت كأعشاش النحل فى الصخور وأنهـــا ذات عـــين مســـاكن الحوريين فى بلاد آدوم. وسفر القضاة يقدم لنا تقريراً واضحاً يؤكد أن القينيين هم ذات المديانيين وأن القينى صفة للمديانى وذلك فى قوله: " **وبنو القينى حمو موسى** / قضاة / ١٦/١ " ونحن نعلم أن **حمى موسى كان مديانيا.**

وللمزيد من التأكد من القينيين وأنهم كانوا ذات عين المديانيين حلفاء العمالقة وبنى المشرق نرحل إلى زمن أول ملوك إسرائيل المعروف باسم شاول عندما قام بحملة عسكرية على عاصمة العماليق. وطلب من القينيين أن يفكوا حلفهم مع العمالقة كى لا يبيدهم معهم وأن يهجروا مواطنهم التى سكنوها معهم، أو بالنص :

اذهبوا وحيدوا وانزلوا من وسط العمالقة لئلا أهلككم
معهم وأنتم قد فعلتم معروفا مع جميع بنى إسرائيل عند
صعودهم من مصر. فحاد القينى من وسط عماليق.

سفر صموئيل أول ١٥ / ٦

وهو ما يعنى أن القينى كان هو المديانى حليف العمالقة وبنى المشرق، وعلى مستوى علم التاريخ يحيطنا المؤرخ سليم حسن علماً بقوله: " .. نعلم من الفخار الذى جمعه جلوك من مناجم النحاس فى عرابة.. أنه كانت تقوم هناك أعمال عظيمة فى عصر الحديد المبكر. بيد أنه لا يمكن تحديد تاريخ بعينه لذلك. ولما كان **إقليم مدين** الواقع فى الجنوب والجنوب الشرقى فى العقبة أغنى بكثير فى النحاس.. فإنه لا يبعد أن يكون أهل موسى قد بدأوا تثميرها وبخاصة أنه كان بالقرب منهم عملاء ممتازون ولشراء هذا المعدن، وأعنى بذلك **مصر** وكنعان .. **وكانت عشيرة مدين فضلاً عن ذلك تنعت بلفظة القينيين أى النحاسين** "(٤).

ومن جانبه يحيطنا الكتاب المقدس علما أن القينى هو ذلك الصانع الضارب على آلات الحديد والنحاس بتعبير سفر التكوين ٤/٢٢. وكان (نيلسون جلويك) الذى أشار إليه سليم حسن من هنيهة قد اكتشف عام ١٩٣٧ منجم نحاس هائل محفورفى الصخر فى جنوبى وادى عربة، لكنه ذهب الى أنه كان منجما للملك سليمان. كما اكتشف جلويك فى وقت سابق أنقاض ميناء بلاد آدوم على خليج العقبة واحتسبه ميناء عصيون جابر الوارد بالتوراة كميناء لآدوم على خليج العقبة وذلك تحت طبقة من الرماد على مساحة واسعة من الأرض محاطة بسور حصين وبداخلها مجموعات ضخمة من أفران صهرالنحاس (٥).

ومن جانب آخر عثر علماء الدولة الإسرائيلية أثناء وقوع سيناء المصرية تحت الاحتلال بعد هزيمة ١٩٦٧ على بقايا ميناء فى جزيرة فرعون المصرية المقابلة لميناء إيلات، فذهبوا إلى أن هناك كان موقع ميناء عصيون جابر الذى استخدمه الملك سليمان قاعدة لأسطوله إبان توسعه على حساب آدوم.

وبعد تحرير سيناء توجهت بعثة من المجلس الأعلى للآثار المصرية للتحقق من صدق ما وصل إليه علماء إسرائيل حيث عثروا على تحصينات حربية ترجع إلى عهد صلاح الدين الأيوبى. كما عثروا على فرن يستخدم فى إسالة المعادن بغرض التصنيع الحربى مبنى من الطوب الحرارى، إضافة إلى بعض أبراج المراقبة وخزانات المياه وأبراج حمام زاجل كانت تستخدم فى عمليات الإتصال العسكرى والمراسلة. وعندئذ

---

(٤) سليم حسن: مصر القديمة .. سبق ذكره، ج٧، ص ١٣٢،١٣١.
(٥) كاسيدوفسكى: الواقع والأسطورة .. سبق ذكرة، ص٢٣٠.

صرح المشرف على البعثة المصرية أن أهمية كشف تلك المنشآت التى تعود لزمن صلاح الـدين الأيـوبى تكمن فى دحضه لمزاعم الأثاريين. وكان الإسرائيليون قد عثروا على بقايا معدن الحديد المنصهر، ولما كان عصر الحديد فى المنطقة قد تم تزمين بدايته بحوالى عام ١٠٠٠ ق.م فقد تم ربط المكتشفات بزمن سـليمان الذى حكم حوالى ذلك الزمن، لكن رئيس البعثة المصرية نفى أن يكون لهذا الحديد علاقة بزمن سليمان إنمـا يعود إلى فترة حكم الأيوبيين.

وقد عقب على الأمر الباحث أحمد عثمان بقوله: " إن رئيس البعثة المصرية وجد أن أفضـل الطـرق لدحض المزاعم الإسرائيلية بخصوص تبعية عصيون جابر للملك سليمان أن ينفى وجود هذا المينـاء كليـاً خلال ثلاثين قرناً من الزمان، ويرجع نشأته إلى عصر صلاح الدين الأيوبى فى الأزمنة الحديثـة.. ووقـد أظهرت الحفريات الأثرية التى تمت فى أواخر الستينات [يقصد الحفريـات الإسـرائيلية] أن **أقـوام سـيناء المديانية المصرية** كانت أول من قام ببناء هذا الميناء فى العصور القديمة فى جزيرة فرعون الواقعـة فـى خليج العقبة على بعد ١٢ كم جنوبى ميناء إيلات الحالى، قبل **زمن سليمان فى القرن العاشر ق.م بخمسـة قرون**. بل تبين وجود علاقة قوية بين جزيرة فرعون وميناء عصيون جابر وبين مواقع المناجم فـى وادى عربة الممتد جنوب فلسطين إلى البحر الميت.. وعند وادى منانية/ تمنا على بعد عشرين كيلو متـراً شـمال إيلات عثر الأثريون على بقايا أدوات صهر النحاس وتشكيله ترجع إلى عهد الأسرتين الثامنة عشرة والتاسعة عشرة.. وتم الكشف عن معبد وسط تلك المناجم **لمعبودة سيناء حات حور** " [٦]

وإذا كنا من جانبنا نزعم أن بلاد بونت التى أوفدت إليها الفرعونة حتشبسوت بعثتها هى ذات بلاد آدوم عند العقبة، فإننا لم نجد فى نصوص حتشبسوت أى ذكر لا للحديد ولا للنحاس فى منتجات بونت، لكن ما لا يصح التغافل عنه ذلك النص الذى تقول فيه الفرعونة: " لقد منحتهم الذهب فتلقيت منهم الذهب الأخضر مـن بلاد الأمو ". وإذا أخذنا العبارة بظاهرها فلن يكون مفهوما أن تهدى الفرعونة ذهباً لتتلقى ذهباً، خاصـة وأن مصر كانت غنية بالذهب الذى يأتى من مناجم النوبة بوفرة عظيمة، إلا أن الكلمة الإلحاقية التوضيحية بالنص " الذهب **الأخضر** " تعطينا معنى يطابق النحاس والحديد مطابقة مدهشة، فكليهما يأخذ اللـون الأخضـر مـع التأكسد. وأن يقال عن تلك المعادن أنها نوع من الذهب فلكون الحديد ثم النحاس الممزوج بالقصـدير الـذى يعطى سبيكة البرونز، كان فاتحة عصر جديد فى أساليب الحروب وأسلحتها فكان ربما أثمن من الذهب فـى ذلك الزمن.

أما الإشارة فى نصوص حتشبسوت إلى أن تلك البلاد التى كانت تصنع هذا الذهب الأخضر فى **بونت هى بلاد الآمو**، فهو باب آخر يفتحه النص أمام بحثنا هنا، لأن كلمة آمو أو عامو هى الاصطلاح المصـرى المعلوم الذى أطلقه المصريون على غزاة بلادهم باسم الهكسوس، الذين احتلوا مصر فى زمن سابق حـوالى ١٧٨٨ – ١٥٧٥ ق.م، وهو الأمر الذى سنتم معالجته تفضيلا مع السير فى العمل بهذا البحـث. لكـن مـا

---

(٦) أحمد عثمان: صحيفة الحياة العدد الصادر فى ١٨/ ١٠/٩٦ ص ١٢.

نوضحه هنا فى إشارة سريعة هو أن بلاد بونت وفق هذا المعنى التى هى **بلاد العامو كانت موطناً للهكسوس، وإذا كان الهكسوس العامو حسب نص حتشبسوت هم سكان بلاد بونت**، فمن المستحيل أن تقع بونت فى الصومال أو أثيوبيا أو سواحل اليمن، إنما يجب أن تقع فى الشرق من حيث جاء الهكسوس . هذا ناهيك عن كون كثير من المدارس يرجح أن يكون **الهكسوس من شعب قديم عرف باسم العمالقة**. وهنا نتذكر فوراً نص الكتاب المقدس السالف الذى أحاطنا علماً فى قصة حملة الملك الإسرائيلى شاول على العمالقة، بأن المديانيين أو القينيين كانوا يعيشون مع العمالقة بذات المواضع الجغرافية.

وكما سلف فى النص المذكور يأمر النبى موسى بقتل ملوك مديان وبينهم ملك باسم (رابع)، وفى موضع آخر بالكتاب المقدس نعلم أن اسم (رابع) هذا اسم كنعانى يعنى العدد أربعة، وذكر فى مواضع أخرى بأسم (أربع) صريحة مع وصفه بأنه كان أعظم ملوك العماليق. وهنا نتساءل هل كان رابح هو رابع، كان اسما متواتراً لملوك مديان منذ بارح أو رباح أو رابح فى نصوص حتشبسوت؟. وأنه كان أيضاً بارح أو رابح فى زمن آمنحتب الثانى الذى كان يحلو له ــ كما أسلفنا ــ التحدث باحتقار عن رابح وقوم نخسى! والمقدس التوراتى يذكر للعماليق اسما آخر يأتى على التبادل مع (عمالقة) هو الاسم (عناقين) و (بنى عناق)؟ وقد سميت مدينة الخليل باسم كنعانى هو (أربع) زعيم العمالقة قبل أن يتغير اسمها إلى حبرون ثم إلى الخليل (أنظر سفر يشوع ١٤/١٥ و ١٥/١٣) وهو مايؤكد صدق تحديدنا للمواطن التى أخترناها للمديانيين والعمالقة.

ومن المهم هنا الإشارة إلى أن لوحات بونت فى معبد الدير البحرى قد أشارت إلى اسمين لموضعين أو لمدينتين يعطيان رؤيتنا هنا مزيداً من الدعم والتأييد. الاسم الأول هو (أو سالعت) أو (أوزلت) ويذهب الباحث عبد المنعم عبد الحليم إلى موضعتها عند ميناء (زيلع) الحالى بجنوبى الصومال حسب رأيه[٧] بينما نجد (أو سالعت) من وجهة نظرنا تحيل فوراً إلى اسم (سالع) عاصمة آدوم وليس (زيلع) على ساحل الصومال.

أما الاسم الثانى فهو يبدو كما لو كان وصفا للمكان الذى التقى فيه مصريو بعثة حتشبسوت بالبونتيين بميناء على سواحل بلاد بونت، والصيغة كما جاءت هى **(حرجسوى واج ور)** وتعنى أن المقابلة قد تمت " **على شاطئ البحر** "، وهو برأينا تسمية لواقع حال المكان كعادة المصريين والشعوب القديمة عموماً فى التسمية على واقع الحال وشكل البيئة، ونعتقد أن " على شاطئ البحر " هو اسم المدينة لوصفها بأنها ميناء. فهى باختصار تعنى (الميناء) التى تلتقى مع ذات التسمية التى أطلقها المأثور الإسلامى فى غزوة زيد بن حارثة زمن الدعوة الإسلامى على بلاد مدين، المكان الواقع عند العقبة باسم "ميناء" في النص السالف "إن رسول الله ص بعث زيداً بن حارثة نحو مدين.. فأصاب سبياً من أهالي ميناء". لقد كانت كلمة ميناء المعنى الذى أصبح اسما من كلمة "حرجسوى واج ور" للميناء الذى استقبل سفن الفرعونة حتشبسوت باسم (ميناء).

---

(٧) عبد المنعم عبد الحليم: موجز رسالتيه.. سبق ذكره ص ٢٦.

ونميل هنا بشدة إلى الاعتقاد أن جزيرة فرعون هى بالتحديد ذلك الميناء القديم (حرجسوى واج ور) رغم أنها تبعد الآن عن يابس خليج العقبة باثنتى عشر كيلو متراً، وهو الأمر الذى يمكنناتفسيره بربطه بما جاء عند جمال حمدان فى قوله بارتفاع مياه البحر فى أكثر من منطقة، وأنه قد أدى الى انفصال مماثل فى مدن الساحل المصرى الشمالى وأغرق كثير من المدائن الرائعة كما فى آثار كوم الشقافة، واصبح مكان الفنار القديم على الشاطئ يقبع الآن بعيداً داخل البحر، كما طغت مياه البحر على دلتا النيل وأدت إلى توسعة البحيرات الشمالية مثل بحيرة المنزلة والبرلس وغيرهما. وقد أورد جمال حمدان شهادات قديمة حفظت الحدث، كما جاء فى رواية المخزومى عن نشأة بحيرات الدلتا بواسطة طغيان البحر، وكان ذلك عام ٩٦١ ميلادية[٨] ونظنه ذات الأمرالذى قضى على آثار عصيون جابر القديمة التى لا يزال البحث جارياً عنها حتى اليوم، مع احتمالات أنها ربما تكون إيلات وربما تكون العقبة. فالاسم (حرجسوى واج ور) ، يتطابق تماماً مع محاولة نطق اللسان العبرى للاسم المصرى (حرجسوي واج ور) ممثلاً فى الاسم العبري (عصيون جابر).

ويشير جمال حمدان إلى تطابق حديث المخزومى مع ما جاء عند جرا سبان الأب عن ارتفاع مستوى سطح البحر منذ القرن الثانى للميلاد، ودلل على ذلك بالأطلال والبقايا الغارقة التى وجدها فى بحيرة البرلس[٩].

ويبدو أن ذات الحدث الكونى هو الذى أدى إلى ضياع مدينة تنيس العظيمة واختفاءها من على صفحة التاريخ فيقول المسعودى والمقريزى من بعده إن المنزلة كانت جزءاً من نطاق برى عظيم لا يضارع أو يناظر فى مصر ظل كذلك إلى ما قبل الفتح الإسلامى لمصر. ونقرأ فى مروج الذهب " إن تنيس كانت أرضاً لم يكن بمصر مثلها استواء وطيبة، وكانت نخلا وشجرا ومزارع، وكانت فيها مجارى ماء على ارتفاع من الأرض، ولم ير الناس بلداً أحسن من هذه الأرض ولا أحسن اتصالا من جناتها وكرمها، ولم يكن بمصر كورة يقال أنها تشبهها إلا الفيوم.. لكن البحر أخترق خط التلال الرملية التى كانت تعمل كمتاريس طبيعة، وسنة بعد أخرى زحفت مياهة وتوغلت إلى أن اكتسحت كل الأراضى المنخفضة الوطيئة ببلدانها وقراها، تاركة فقط عدة جزر عالية بما فيه الكفاية لتنجو من الخراب " [١٠]

وربما نبالغ لو استّعنا بالمسعودى فى رواية أخرى تبدو خيالية، لكنها ترصد لنا مناطق قد غطاها البحر ولم تكن كذلك فهو يقول: " وكان فيما بين العريش وقبرس طريق مسلوكة إلى قبرس، تسلكه الدواب يبسا، ولم يكن فيما العريش وجزيرة قبرس إلا مخاضة " [١١].

(٨) جمال حمدان: شخصية مصر.. سبق ذكره، ج١ ، ص ٢١٦.

(٩) الموضع نفسه.

(١٠) نفسه: ج١، ص ٢١٦،٢١٧.

(١١) المسعودى: مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد عبد الحميد ، المكتبة الاسلامية، بيروت، د. ت، ج١، ص ٣٤٨.

ويبدو أن ذلك قد ترافق مع ارتفاع تدريجى عبر قرون لدرجة الحرارة عما كان معتاداً مما أدى إلى ذوبان الجليد القطبى الذى أدى بدوره إلى ارتفاع مستوى البحار، حيث وجدنا ما يدعم ذلك عند هروشيوش إذ يقول " وفى ذلك الزمان ذكر الفلاسفة فى كتبهم أن الشمس خرجت عن طريقها فى أيام القبط حتى جاوزت حد الإحراق فى جميع الدنيا، وكادت أرض الحبشة لا يبقى بها إنسان ولا بهيمة، وقد اعتل بذلك بعض كتاب المجوس الجاحدين لقدرة الله بأن أنزلوا ذلك من قبل الكوكب الأحمر" (١٢) والكوكب الأحمر هو كوكب الزهرة عند العرب.

ومن ثم لا شك أنه قد ضاعت بهذا الفعل الطبيعى معالم كثيرة كان يمكن أن توفر كثيراً من العناء لحل ألغاز التاريخ، وضمن ذلك لا شك **مساكن ومزارع وحياة كاملة لم يبق منها إلا آثار صهر النحاس فى جزيرة فرعون، وبعض المبانى التى تشير إلى ضجيج قديم كان يملأ المكان**، أما باقى تلك المساكن كالأكواخ التى تقوم على أعمدة، فلا زالت تتناثر هناك وفى سيناء بمحيط الترابين ونويبع ومواضع أخرى. أكواخ تحملها قوائم يصعد إليها الأهلون هناك بسلالم خشبية، وهو ما يلقى بنا فى مرآة زمان بعثة حتشبسوت إلى بلاد بونت، فلم يزل أهل تلك المناطق يستخدمون الأسلوب القديم فى بناء المساكن كما هو وبذات الأسلوب البنائى البدائى.

وهكذا فإن بلاد بونت/ بلاد الصخر/ قد عاش فيها شعب يسمى الشعب الحورى منسوباً إلى جد أسطورى باسم سعير الحورى، حتى جاء الآدوميون أبناء عيسو/ آدوم فاقتحموا المكان واستوطنوه، وفى ذات المكان استوطن فرع قبلى من فروعهم هو الفرع المديانى الذى اشتغل بالحدادة والنحاسة فسمى القينى. وفى ذات المكان وعلى امتداد نحو الشمال الفلسطينى استوطن بطن نسيب آخر هو الفرع العماليقى أو العناقى. وامتدت المساحة التى شغلتها تلك الممالك أو البطون المتحالفة من جبال سراة سعير (موصرى) ووادى عربة حتى عمق سيناء غرباً ربما إلى وادى العريش، مع جزء واسع من بادية شمال جزيرة العرب شرقاً، وجمع الحلف والمكان بين ثلاثة عناصر بشرية متمايزة بوضوح: **العنصر الحامى الزنجى الأسود والعنصر الأحمر الذى نظنه هند وأرى، والعنصر القادم من جنوب جزيرة العرب ويمكن الاصطلاح على تسميته هنا (الجنوب جزيرى).**

وقد رأت التوراة من جانبها أن تجد علاقة بين تلك القبائل الممالك، فوضعت لها شجرة أنساب جعلت فيها اسم القبيلة اسما لسلفها البعيد، وقالت أن بين هؤلاء الاسلاف كانت روابط دم وعلاقات رحم. ومن هؤلاء الأسلاف الأسطوريين السلف الأول لشعوب المنطقة(نوح) الذى انجب أبناء ثلاثة هم : **سام أبو الساميين وحام أبو الحاميين أو الكوشيين الزنج ويافث أبو الهندوآريين**، وأنه من حام جاء أخلاف هم المصرى والكوشى أشقاء، والكوشى هو الزنجى. وأنجب الكوشى سبأ وحويلة وددان. أما الابن الآخر لنوح وكان يحمل اسم سام فقد أنجب أرام أبو يقطان / قحطان وحضرموت وأوفير. ومن نسله جاء البطرك إبراهيم

---

(١٢) أورسيوس: تاريخ العالم .. سبق ذكره، ص ١٠٤، ١٠٥.

الخليل. وأنجب إبراهيم عدداً من الأولاد منهم إسماعيل، ومن أبناء إسماعيل كان نبايوت (نابت) وقيدار ودوما وتيما وكان لإسماعيل أخ يعنينا اسمه هو مديان، ثم كان له شقيق آخر هو إسحق الذى أنجب عيسو/ آدوم، ويعقوب/ إسرائيل. ومن عيسو جاء نسل الإخوة تيمان ورعوئيل وعماليق.

ولأن المقدس التوراتى قد رأى أن الكوشى/ **الزنجى شقيق المصرى** فلاشك أنه كان يردد ذكريات ذلك الترابط، مع ربط آخر للمصرى بأهل سبأ وددان وحويلة. وقد سبق وعلمنا أن ددان هو الاسم القديم لمدينة العلا الحالية شمالى السعودية ودادان أو ديدون اسم أشهر آلهة النوبة المصرية[١٣]، وسبأ تروى حولها أساطير كثيرة سنتناولها لاحقاً. أما حويلة كمكان فلم يزل موضعها مجهولاً ويحتاج منا بعض الجهد لتحديده ولو افتراضاً سيأتي في موضعه.

المهم أن ذكريات الكتاب المقدس لديها علم بصلة قديمة قوية بين منطقة سيناء وآدوم وشمالى الجزيرة وبين بلاد مصر النيل، وهو ما يلتقى مع اعتبار المصريين لتلك المنطقة كحد شرقى مصرى لبلادهم. كما أن تلك الذكريات كانت تعلم أن هناك صلة وثيقة بين عيسو/ آدوم الحورى وبين المديانى، فجعل المحرر التوراتى عيسو ينجب رعوئيل الذى عرفناه حميا للنبى موسى ونعلم أنه كان مديانيا قينيا. كما ربطت شجرة الانساب التوراتية تلك بين عيسو/ آدوم وبين العمالقة، فجعلت جد العمالقة (عمليق) حفيداً لعيسو/ آدوم، ثم أعادت تلك القرابات جميعاً إلى إسماعيل ابن إبراهيم تارة، وإلى إبراهيم نفسه تارة أخرى. فى محاولة **لتفسير التحالف السياسى بين مجموع تلك الممالك الصغيرة بأعدادها الكبيرة معاً**. ربما لأن لغتهم كانت متقاربة، وربما لأن ثقافتهم توحدت بحلفهم، ناهيك عن التطابق المدهش بين ذكريات المحرر التوراتى وبين نصوص الفرعونة حتشبسوت عن بلاد بونت. إذ كان العنصر الزنجى فى لوحات حتشبسوت مدعاة طوال الوقت عند المؤرخ التقليدى للذهاب بموقع بلاد بونت إلى أفريقيا، وذكريات التوراة تقول إن الكوشى/ الزنجى كان شقيقاً للمصرى. لكن نفس الذكريات كانت تقول كلاماً شديد الغرابة وهو **أن أبناء كوش كانوا يعيشون فى منطقة تقع شرقى مصر وليس جنوبها**. وشرقى مصر فى سيناء وآدوم، فى آسيا وليس فى إفريقيا. وأن واحداً من أبناء كوش/ الزنجى نحن على يقين من موضعه الجغرافى وهو (ددان/ العلا حاليا جنوب شرقى آدوم). وسيتضح لنا فيما بعد مدى مصداقية ذلك القول التوراتى العجيب بشأن وضع الكوشى الزنجى فى آدوم ومحيطها وليس فى أفريقيا.

وابتداءً يمكن القول بهذا الشأن إن العلاقات التجارية بين آدوم وبين اليمن والساحل الإفريقى الملاصق لليمن عبر مضيق المندب، قد استدعت اختلاطاً للعناصر وانتقالا وهجرات، الأمر الذى سمح بوجود العنصر الزنجى فى بلاد بونت/ آدوم. أما الذى نعتز بالكشف عنه فهو أن البلاد التى كانت النصوص المصرية تطلق عليها اسم (ميتان/ ن ح ر ن) أو بلاد الحوريين هى ذات بلاد مديان/ آدم / النايرى/ أو النهرية أو النارية أو ذات النهارين، هى ذات بلاد موصري/ مديان الواقعة فى وادى عربة وجبال سراة سعير فى حضن

---

(١٣) سليم حسن: مصر القديمة، ج٤، ص٣٠٩،٣٤٦.

الصخور، وان العاصمة كانت هى الصخرة الكبرى/ آدوم الكبرى/ شمس آدوم/ بونت/ سالع/ البتراء، وكلها تعنى معنى واحد هو الصخرة.

وقد سبق وعلمنا أن علماء المصريات قد عثروا ضمن ما عثروا عليه من آثار مكتوبة تعود إلى دولة ميتانى (المزعوم أنها تقع أعالى الفرات) على خطاب ضمن مكتبة تل العمارنة بمصر، مرسل من قبل الملك الميتانى (دوشراتا) إلى صديقه الفرعون (آمنحتب الثالث) ومع اسم (دوشراتا) هذا نقف هنيهة.

لو افترضنا وجوب البحث عن معنى كلمة دوشراتا فى المصرية القديمة فسيكون – كما سلف بيانه – أرض الصحراء أو الجبال أو الصخور، فهذا الاسم كان الاصطلاح الذى يطلقه المصريون على الصحارى (دشرت) وكذلك على اللون الأحمر الأمغر وهو لون صحارى سيناء وآدوم. ولو افترضنا وجوب البحث عن معنى الاسم فى الساميات فيجب قراءة الكلمة (ذو الشرى) الذى ربما كان معناة (صاحب السراة)، ونحن قد وضعنا الملك ومملكته فى جبال سراة سعير. وليس فى الموضع المزعوم لميتانى بأعالى الرافدين فهل نجد في بلاد آدوم أى دليل أو أية إفادة بشأن هذا الملك واسمه؟ إن ما نعلمه يقينا أنه **من بين أبرز آلهة آدوم كان إلهاً يحمل اسم (ذو الشرى) ظل يعبد هناك حتى ظهور الإسلام**. وفى الحديث عن نبى الإسلام صلى الله عليه وسلم " لا تقوم الساعة حتى تصطك إليات عذارى دوس على **ذى الشرى** " (١٤).

ولمزيد من المعرفة بشأن ذى الشرى أو دوشراتا نجد حكاية لدى المؤرخ (هيروشيوش) عن الزمن الذى مات فيه (إسرائيل/ يعقوب) تقول: " وفى ذلك الزمن مات شرايس أمير مصر الذى زعموا أنه صار من الأوثان " (١٥).وهو ما يشير إلى ملك باسم شرايس حكم مصر وبعد موته تحول إلى إله معبود، لكنّا أبداً لم نجد فى قوائم ملوك مصر جميعاً فرعونا حكمها باسم (شرايس). ولما كان هرشيوش قد كتب تاريخه باليونانية فعلينا هنا أن نحذف التصريف الاسمى اليونانى فيصبح (شرى). أما أين تقع مصر هذه التى كان أميرها يدعى شرى وتم تقديسه وعبادته بعد موته فهوما يأتى واضحاً فى حديث هروشيوش:

> وأما مصر الأقصى فإنه بلد ممتد إلى ناحية المشرق، وحده فى الجوف [الجنوب/ المؤلف] خليج العرب [يقصد خليج السويس / المؤلف] وفى القبلة [الشمال / المؤلف] البحر المحيط. وفى الغرب مبتدأ من مصر الأدنى .. وفيه من الأجناس **ثمانية وعشرون جنساً**.(١٦)

(١٤) د. إحسان عباس: تاريخ دولة .. سبق ذكره، ص ٣٦.
(١٥) أورسيوس: تاريخ العالم.. سبق ذكره، ص ٩٧.
(١٦) نفسه: ص ٦٢.

إنها إذن شبه جزيرة سيناء فى امتدادها من خليج السويس (خليج العرب) نحو المشرق عند هيروشيوش، وسنلحظ بعد ذلك كيف أن صفة خليج العرب قد أصبحت تطلق على خليج (السويس)، منذ زمن سابق على المؤرخين الكلاسيك. ومصر الأقصى عند هروشيوش تبدأ فى غربها من مصر الأدنى (السفلى/ الدلتا)، وهو الموقع الذى يتطابق مع تفسيرات المؤرخين للموطن مصرى الذى ورد فى الكتابات الرافدية وكتابات العمارنة، وقلنا أنه هو سيناء وآدوم وجزء من شمالى جزيرة العرب.

والطريف أن ملوك تلك العهود فى منطقة الشرق الأوسط كانوا يعلمون أن تلك المنطقة رغم استقلالها النسبى كانت تابعة لسلطان الفراعين، فنجد رسائل ملوك بابل وآشور بمكتبة العمارنة بمصر تخاطب الفرعون عندما تتعرض قوافلهم التجارية للنهب فى آدوم بقولهم: " **إن قومك** قد تعرضوا لقوافلنا ونهبوها " .(١٧)

وإذا كانت منطقة وادى عربة هى الأصل الأول والأصيل للعرب والعربية، وان أصول اللغة العربية قد انطلقت من عند انباط وادى عربة، فإن ما يجب ألا يفوتنا هو أن علوم اللغات قد توصلت الآن إلى حقيقة مبهرة تؤكد تبعية تلك البلاد لمصر حتى فى ثقافتها. إذ أمسى معلوماً **أن اللغة المصرية القديمة كانت أصلا مؤسساً فى اللغات السامية وبخاصة العبرية والعربية، بعد أن تم تحقيق أكثر من ثلاث آلاف كلمة مشتركة بين الهيروغليفية وبين العربية القاموسية مبنى ومعنى. وأن هذا العدد بذاته يعد لغة كاملة بالنسبة لذلك الزمان.**(١٨) وهو الأمر الذى سيثبته نشاطنا الباحث بين اللسانين بطول هذا الكتاب .

أما القاطع فى علاقة مديان/ آدوم الحورية بالوطن الأم مصر فهو ما جاء فى رواية المصرولوجيست (نافيل) عن الأساطير المصرية التى تتناول أصول العنصر المصرى، وتؤكد أن المصريين قد جاءوا من بلاد النوبة السوداء إلى مصر، وأنهم انتشروا من هناك حتى وصلوا **إلى مناطق بعيدة شرقى الفرع البيلوزى للنيل**. والمناطق البعيدة شرقى الفرع البيلوزى ليست شيئاً سوى سيناء وآدوم، لأن الفرع البيلوزى كان آخر فروع الدلتا شرقاً فى التحامها مع البوادى السينائية. وتختم الأسطورة سطورها بقولها إن المصريين كانوا يعبدون من زمن سحيق الإله الصقر حور أو حورس " وقد أقام رجال حورس [الحوريين / المؤلف] هناك وكانوا يسمون **الحدادين** " (١٩).

أليست تلك بقرينة شديدة الوضوح والدلالة على صدق كل ما وصلنا إليه حتى الآن؟

ومن المفيد هنا أن نستمع إلى الدكتور عبد المنعم عبد الحليم وهو يسلم بمسلمة منتهية رغم تناقضه في أبحاثه مع هذه الحقائق وهى **أن الإله حور والإله مين والإلهة حتحور هى مجموعة آلهة ترتبط ببلاد بونت.** ورغم أنه من أتباع المدرسة التقليدية التى تذهب ببلاد بونت إلى الصومال، إلا أنه فى الوقت ذاته يعيد تلك

(١٧) عز الدين الخير: أضواء عربية.. سبق ذكره ص ٣٤.

(١٨) مرعى عبد الرحمن: الإمبريالية اليهودية، المطابع الموحدة، ١٩٨٧، ص ١٣.

(١٩) شيخ انتاديوب: الأصول الزنجية للحضارة المصرية، ترجمة حليم طوسون، دار العالم الثالث، القاهرة ١٩٩٥، ص ١١٧.

الآلهة إلى أصول عراقية رافدية قديمة(؟!) وأنها قدمت من الرافدين لتعبد فى مصر منذ زمن مبكر **عبر الطرق الصحراوية الشرقية**. ونحن نعلم أن حتحورظلت طوال تاريخ مصر القديمة ربة سيناء العظمى. ثم يقول: إن خط انتقال هذه المؤثرات كان يمر عبر مناطق أفريقية وآسيوية، وعلى هذا فمن المرجح أن انتقال هذه المؤثرات إلى مصر قد تم بواسطة شعب أو **جماعات كانت تسكن مناطق متوسطة بين مصر والعراق**، وتقوم بدور الوسيط فى الاتصالات بين الطرفين، وربما كان هذا الشعب أو الجماعات نوعاً من **الوسطاء التجاريين** .ولعلهم كانوا الوسطاء الذين يشتغلون بتجارة البخور الرائجة على السواحل الإفريقية والأسيوية للبحر الأحمر منذ العصور المبكرة، كما يشير إلى ذلك نص من عصر حتشبسوت فيما بعد ".

لكن لأن الدكتور عبد الحليم يرى أن بلاد بونت لابد أن تقع على الساحل الصومالى حيث الكندر أو لبان الذكر . الذى يزعم أنه هو الذى استجلبته بعثة حتشبسوت من الصومال وأعادت استزراعه أمام ساحة معبدها بالدير البحرى وليس ما ثبت الآن أنه شجر برسيا/ التين، فقد استطرد يقول: دون أن يشعر بأى تناقض " وربما كان الوسطاء من سكان الساحل الإفريقى للبحر الأحمر (بونت) هم الذين نقلوها مباشرة إلى مصر حيث استقرت فى مراكز عبادة الآلهة التى ارتبطت ببونت "[٢٠].هكذا(؟!). لقد قام الصوماليون بالسفر إلى العراق وعادوا عبر البوادى الشرقية لمصر بهذه الآلهة. هذا ما يقوله عبد الحليم (؟!) .

وبالنسبة للتأثير العراقى فإنه سيتضح فى الفصول القادمة، أما أن يكون الإله **حور** قادما من بلاد **الحوريين** الذين حددنا موضعهم فى بلاد آدوم فهى قرينة أخرى نضعها ضمن رصيدنا.

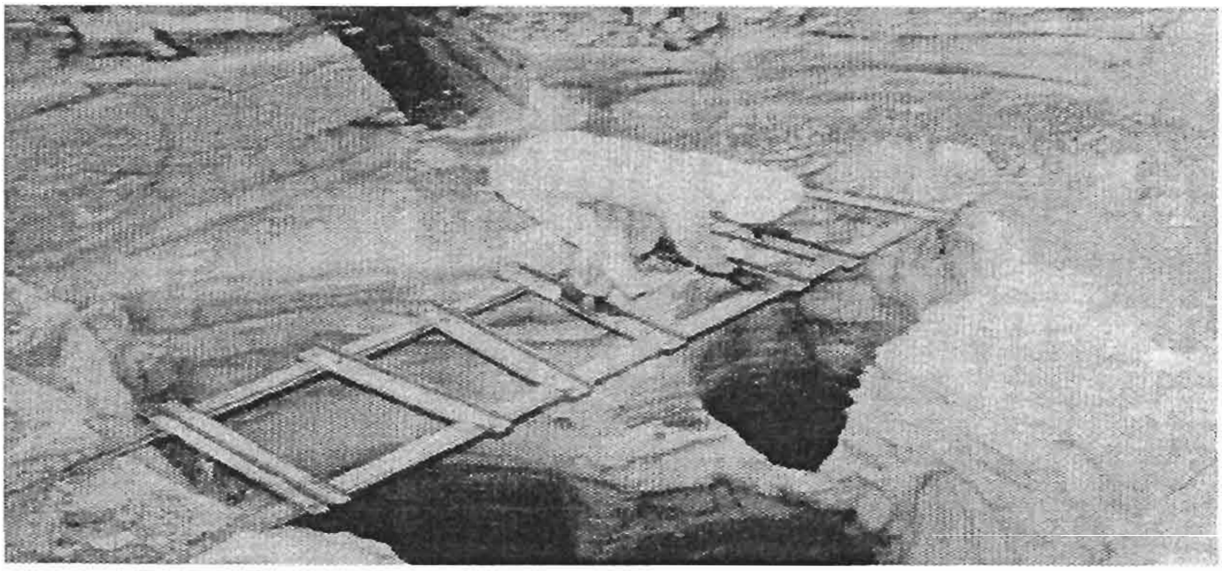
وإذا كانت الكلمة (كيميت) تعنى مصر فإنها تعنى أيضاً: حامى، أسود، زنجى، أبنوس [٢١] وهو خشب أسود نادر. وفى تاريخ هيرودوت معلومة حول الأثيوبيين تعنينا هنا فهو يقول إنهم كانوا **يسمون المعمرين** وان أثيوبيا كانت مصدراً لرجال يتفوقون على بقية الجنس البشرى **بارتفاع قاماتهم**.[٢٢] وهو ما يطابق صفات نعلمها فى شعب سكن بلاد آدوم أطلقت عليه العربية والعبرية اسم العماليق/ العناقين. وهو موضوع آخر يحتاج إلى جهد آخر.

---

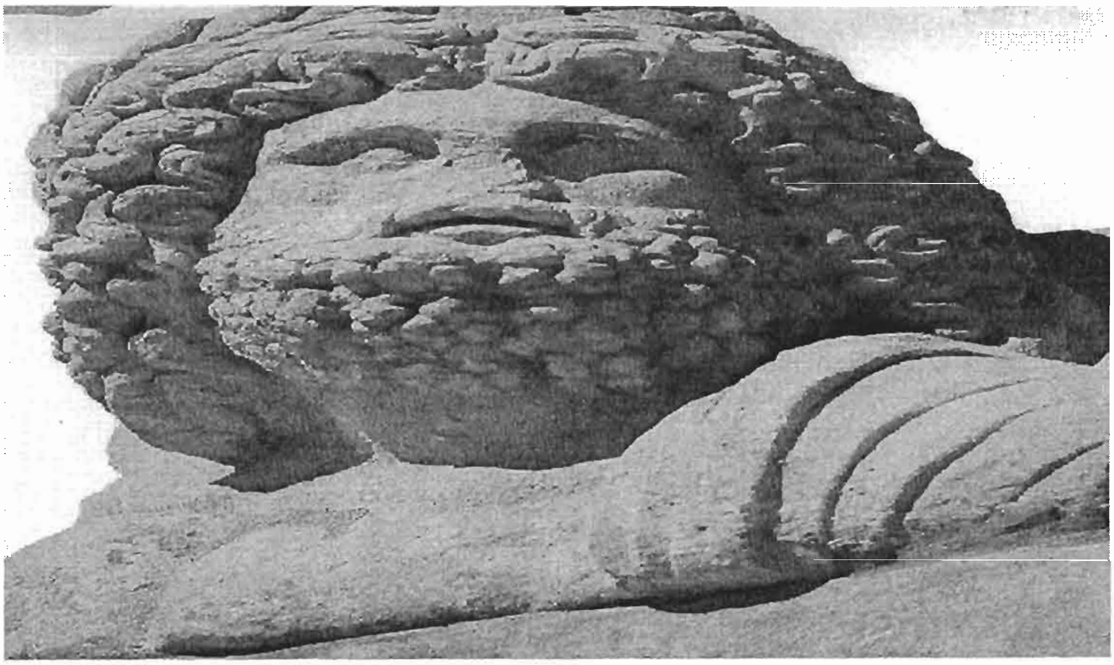
(٢٠) عبد المنعم عبد الحليم: موجز رسالتيه .. سبق ذكره، ص ٣٥.

(٢١) شيخ أنتاديوب: الأصول .. سبق ذكره ، ص ٢٦.

(٢٢) نفسه: ص ٨٠.



شكل رقم (٢٨) نموذج للمناجم القديمة العديدة في آدوم، فوهة منجم بوادي فنان



شكل رقم (٢٩) تمثال نبطي للمعبود القديم ذي الشرى

المديانيون والإسماعيليون والعماليق والأراميون

يفيدنا المؤرخ (هروشيوش) أن المنطقة السينائية الواقعة بين ذراعى البحر الأحمر، أو كما أسماه اليونان البحر الأريترى، أو بحر سوف كما أسمته التوراة، مع امتداد هذه البوادى السينائية شرقا إلى شمالى الحجاز، قد سكنها ثمانية وعشرون جنساً. وهى فى رأينا بطون وأفخاذ وفروع وأسباط لعدد من الأجناس الرئيسية، ساعدت ظروف تاريخية على التقائها فى هذه المساحة من العالم القديم. وهو الأمر الذى سيتم بحثه تفصيلا فى مواضعه من هذا البحث . لكنا حتى الآن قد أمسكنا على الأقل بشعبين منهم يجمعان بين عدة أسماء نطقته ألسن مختلفة، للدلالة على المكان أحياناً، وللدلالة على الشعب نفسه حينا، وللدلالة على صنعة هذا الشعب طوراً، أو صفاته الجسدية طوراً آخر، ذلك الشعب الذى حمل اسم الشعب الحورى / الآدومى / الأحمر / والشعب المديانى / القينى الذى يعيش فى سراة سعير حول وادى عربة.

والشعب المديانى واحد من أوائل الشعوب التى سكنت تلك المواضع القديمة وذكره الكتاب المقدس تفصيلا، وهو ما نقابله أول ما نقابله فى قصة السبط يوسف وإخوته الأحد عشر أبناء البطرك يعقوب بن إسحق بن إبراهيم. وتحكى الأقصوصة أن الأسباط المكرمين قد أرادوا التخلص من أخيهم المتميز فتاك الجمال يوسف، فأخذوه بحجة قضاء يوم مرح فى البرارى وقد أضمروا له السوء. وهناك – تقول التوراة –:

> جلسوا ليأكلوا طعاماً فرفعوا عيونهم ونظروا، وإذا قافلة إسماعيليين مقبلة من جلعاد، وجمالهم حاملة كثيراء وبلسانا ولادنا، ذاهبين لينزلوا بها إلى مصر. فقال يهوذا لإخوته: ما الفائدة أن نقتل أخانا ونخفى دمه؟ تعالوا فنبيعه للإسماعيليين ولا تكن أيدينا عليه لأنه أخونا ولحمنا، فسمع له إخوته . واجتاز رجال مديانيون تجار فسحبوا يوسف وأصعدوه من البئر.
>
> تكوين ٣٧ : ٢٥ : ٢٨

النص واضح وبسيط ومباشر، فالإخوة الكرام من أسباط النبوة فكروا فى التخلص من أخيهم الحالم الحلوم المختال بنفسه، مع تحقيق فوائد إضافية ببيعة لقافلة من قبائل التجار الإسماعيليين، لكن فجأة يختلط الأمر بالنص فيخبرنا أن قافلة من القبائل المديانية شاهدت يوسف بالبئر الجاف فسحبوه منه. لكن ليعود الكتاب المقدس ويقول: إن إخوته..

باعوا يوسف للإسماعيليين فأتوا بيوسف إلى مصر.

تكوين ٣٧ / ٢٨

ثم لمزيد من إرباك المؤمن والباحث معاً وتعميقاً للالتباس تعود قصة التوراة الـــى المديانيين فتقول

وأما **المديانيون** فباعوه فى مصـــر لفوطيفـــار رئـــيس الشُرط

تكوين ٣٧ / ٣٦

وتكرر التوراة ذهابها ومجيئها بين الإسماعيليين والمديانيين لتعود فتقول:

وأما يوسف فأنزل به إلى مصـــر واشـــتراه فويطفـــار خصى فرعون رئيس الشرط. رجل مصرى. من يـــد **الاســـــــــــــــــــــــماعيليين**

تكوين ٣٩ / ١

فهل كان الكاتب التوراتى يحمل هذا الكم من الإرباك والارتباك فى نـــص واحـــد صـــغير بالكتـــاب المقدس ؟ الواضح لنا أن المحرر التوراتى لم يكن يشعر بأى تناقض وهو يروى تلك الرواية. لأنه كان يعلـــم **أن الإسماعيليين هم ذاتهم المديانيين**، خاصة إذا تذكرنا أن البرية التى سكنت فيها هاجر مع ولدها إسماعيل فى قصة طرد إبراهيم لهما، كانت تحمل اسم برية فاران والتى حددنا نحن موقعها بشرقى سيناء عنـــد وادى باران إلـــى الغرب مباشرة من البتراء حيث سكن المديانيون. أما الصفة اللاصقة بالإســـماعيلى والمـــديانى فكانت التجارة وضمنها تجارة العبيد بحسبان بيعهم يوسف فى مصر.

ولمزيد من التأكد من صحة زعمنا أن المديانى كان هو ذات عين الإسماعيلى، وان محرر التـــوراة كان يعلم ذلك يقيناً، نتصفح الكتاب المقدس على أناة لنجد كثيراً من الشواهد الواضحة التى تؤيد زعمنا هـــذا. ففى الحروب التى حدثت زمن قضاة إسرائيل، وقفت إسرائيل ضد مديان فى معركـــة شرســـة كـــان قائـــد الإسرائيليين فيها يحمل اسم جدعون، وهنا يقول الكتاب المقدس:

فقام جدعون وقتل زبح وصلمناع وأخذ **الأَهِلَّة** التى فـــى أعنـــاق جمـــالهم. وقـــال رجـــال إسرائيليون لجدعون. تسلط علينا أنت وابنك وابن ابنك لأنك **خلصتنا من يد مديان** .. فقـــال لهم جدعون : أطلب منكم طلبة، أن تعطونى كل واحد أقراط غنيمته، لأنه **كان لهم أقـــراط من ذهب لأنهم إسماعيليون.**

قضاه / ٨ / ٢١ – ٢٤

النص هنا يعطينا كثيراً من المعلومات التاريخية القديمة التى حفظتها لنا ذاكرة المحررين التوراتيين، فنفهم أن القبائل الإسماعيلية كان رجالها يتزينون بأقراط ذهبية مصنوعة على هيئة الهلال ويزينون جمـــالهم

بها، وهو ما يشير إلى اليسار المادى كما يشير إلى قدسية الهلال، ومعلوم أن الهلال كان دوماً كبير أرباب البوادى والبرارى. ولم تزل الأهلّة (جمع هلال) الذهبية فى بلادنا هى الزينة المستحبة لدى نساء العربان المتبدين على حافة الوادى. وكان شرط جدعون كى يستمر فى قيادة الإسرائيليين ضد المديانيين أن يأخذ مكافأته ونصيبه من الغنيمة ذلك الذهب المصنوع فى شكل أهلّة . ثم يوضح النص أن لبس الأهلّة كان خاصية إسماعيلية **فلماذا يلبسه المديانيون؟** هو ما يجيب عليه النص بوضوح كاشف " **لأنهم إسماعيليون** ". مرة أخرى نؤكد أن المحرر التوراتى كان يعلم أن كليهما كان واحداً، أو أن المديانى كان بطناً إسماعيليا، وأنهم كانوا معاً يتوطنون ذات المنطقة فى جبال سراة سعير ووادى عربة.

وعادة ما يلمح الكتاب المقدس إلى حلف كبير كان يربط بين مجموعة القبائل التى استوطنت جنوبى فلسطين فى العربة. وأهم تلك التلميحات المتكررة ما جاء يربط بين المديانيين أو الإسماعيليين وبين قبائل عاشت فى ذات المواطن حملت اسم العمالقة. وقد ذكر العمالقة كجنس باعتبارهم نسلا لآدوم عيسو الحورى فهم آدوميون حوريون بدورهم وأنهم كثرة عددية هائلة كالرمل الذى على شاطئ البحر أو كالجراد، وأن جمالهم لاعدد لها ولا تحصى. وقد أورد المقدس تكوين هذا الحلف أكثر من مرة بحسبانه يتكون من المديانيين والعمالقة وبنى المشرق. و(بنو المشرق) هو الاصطلاح التوراتى الذى يأتى على التبادل مع اصطلاح (الأرامى). والأرامى نسبة إلى آرام وإرم، والإرم هو فى اللغات السامية كومة من الأحجار المرتفعة أوهرم أو هضبة أو جبل أو **صخرة** . وبالطبع يعنينا هنا معنى الصخرة التى نحيلها فوراً إلى سالع / البتراء / الصخرة / بونت.

وهنا فقط يمكن أن نلمس امتداداً لهؤلاء فى عدد من الممالك المتناثرة بالفرات الأعلى، حيث أنشأ الأراميون فى منتصف الألف الثانى قبل الميلاد عدداً من الممالك هناك، يغلب على ظنى أنها مما أوعز للمؤرخين بوضع بلاد آدم فى / ميتانى بأعالى الفرات لعل أشهرها مملكة بيت جبارى التي سميت أيضاً (سمعل) ومملكة **بيت أدينى** [(1)]. ومملكة بيت أدينى هى مملكة بيت آدون أو عدن أو آتن على مختلف التنغيمات وأدينى تعنى السيد أو الرب. أما **سمعل** فكما هو واضح تحيل إلى الاسم (إسماعيل). وإسماعيل حسب تقسيم الأجناس على الشجرة التوراتية فرع إبراهيمى شقيق للفرع الإسرائيلى.

والمدهش حقاً أنه **ما أن يظهر الآراميون على صفحة التاريخ حتى يبدأ ذكر القبائل الإسرائيلية على الترافق، مع ذكر لقبائل تحمل اسم العابيرو** / الخابيرو / الأبيرو / العبرى فى نصوص المنطقة، والأكثر انسجاماً هو اصرار الكتاب المقدس على تذكير الآباء التوراتيين بأصلهم الجنسى، فيشير دوماً إلى ذلك الجنس أو الأب البعيد والجد السالف بقوله:

أراميا تائها كان أبى

تثنية ٢٦ / ٥.

(١) أ. ر. جرنى : الحيثيون، ترجمة د. محمد عبد القادر، مطبوعات البلاغ، القاهرة، ١٩٦٣،ص ٦٣: ٦٥.

والمقدس يسفر عن صلات نسب وقربى وأصل واحد بين البيت الإسرائيلى عبر الفرع الآدومى وبين البيت الإسماعيلى، وان تلك الصلات الحميمة تمثلت فى زيجات متبادلة كما حدث فى زواج عيسو آدوم من بنت إسماعيل:

" فذهب عيسو إلى اسماعيل وأخذ محلة بنت إسماعيل

بن إبراهيم أخت نبايوت زوجة له على نسائه "

تكوين ٢٨ / ٩

كما تزوج موسى بحسبانه إسرائيليا من مديانية هى صفورة بنت رعوئيل / يثرون. ورغم ذلك فقد بدأت العداوات بين الإسرائيليين والمديانيين مبكراً، خاصة بعد خروج بنى إسرائيل من مصر عائدين إلى كنعان. ثم أخذت شكلها الصريح فى صراع اشتد أوراه زمن قيام مملكة بنى إسرائيل فى فلسطين، فدخل الإسرائيليون غمار حروب عدة مع أسلافهم الأراميين الذين انتشروا فى المنطقة جميعاً وأسسوا عددا من الممالك فى سوريا على تخوم إسرائيل الشمالية، وكانوا دوما شوكة فى حلق الإسرائيليين. وفيما يبدو أن عداء الأقارب الإسرائيليين والأراميين كان عريقاً. **فماذا يقول علم التاريخ عن الأراميين؟**

يمثل الأراميون واحدة من بين آخر الموجات المهاجرة التى تدفقت على منطقة بلاد الشام، ويميل بعض المؤرخين إلى تزمين ظهورهم فى التاريخ لأول مرة بحوالى عام ١١٠٠ق.م[٢]. وبعضهم يبعد بالأراميين إلى الوراء قليلاً فيحدد ظهورهم بما بين عامى ١٤٠٠ و ١٢٠٠ ق.م [٣] لكن ليس قبل ذلك إطلاقاً. ويبدو أن أصل الأراميين ظل مثار تخمينات عديدة، ولم يستقر علم التاريخ على المنطلق الأصلى والوطن الأول لهم. فهم يظهرون فجأة كعنصر جديد فى المنطقة، ويتدفقوا على بوادى الشام ويزيحوا منها الأموريين والحيثيين فى وادى العاصى ويحتلوه جميعه، ثم يستوطنوا الفرات الأعلى ويقيموا عدداً من الممالك فى المواضع المفترض زعماً أنها كانت من قبل ذلك مملكة ميتانى الحورية فى أعالى الفرات. على أنهم أخفقوا فى إقامة وحدة سياسية تجمع شتات ممالكهم الصغيرة، ورغم إخفاقهم السياسى فقد **انتشر تراثهم اللغوى والثقافى لينتشر فى المنطقة وتصبح لغتهم لغة رئيسية ولغة للحوار الدبلوماسى بين دول المنطقة.** وقد حدث ذلك فيما يقول المؤرخون بعد أن أخذوا الحروف الهجائية الفينيقية، وعن الأراميين أخذ الإسرائيليون خطهم المربع فى القرن السادس قبل الميلاد[٤]. وتحيطنا المراجع العراقية القديمة علما أن أشهر القبائل الآرامية الأولى التى ظهرت فى المنطقة قد دونت باسم **قبائل الأخلامو** التى تترجم إلى **الأحلاف.** وكان ذكرهم قد جاء فى مدونات حداد نيرارى الأول الآشورى عام ١٣٠٠ ق.م حيث سجلت نصوصه أن والده قد حارب الأخلامو[٥].

---

(٢) موسوعة تاريخ العالم: ج١ ص ٧٨.

(٣) طه باقر: الوجيز: سبق ذكره، ص ٤٩٤.

(٤) نفسه: ص ٤٩٧، ٤٩٨.

(٥) نفسه: ص ٤٩٤.

ومن الممالك التى أسسها الأراميون فى بلاد الشام وتذكرها لنا موسوعة تاريخ العالم ممالك: قرقميش وأرباد وحلب وإنطاكية وقادش العاصى وحماه وتدمر ودمشق.وترى الموسوعة أن هجرتهم التـــى أدت إلـــى ظهورهم المفاجئ هذا ربما كانت **نتيجة لطرد الهكسوس من مصر حوالى١٥٨٠ ق.م** (٦). وهو ظن يفترض ضمنا أنهم كانوا غزاة مصر الهكسوس.

وهكذا، ورغم اتفاق المؤرخين على عام ١٤٠٠ ق.م كأبعد زمن يمكن تحديده لظهور الأراميين فـــى المنطقة، فإن هناك ما يشير إلى تواجدهم فيها منذ زمن أبعد مما تواضع عليه المؤرخون، فتقول الموســـوعة ذاتها : " أن (نرام سين) شن حملات عسكرية على أرام "، وتعقب الموسوعة " والإشارة إلى أرام فى نقوش نرام سيـــن **تدعو إلى الحيرة** "(٧).

أما المؤرخ العراقى طه باقر فيستند إلى رأى يحل المشكلة حلا سهلا فهو يقول : " من المستبعد أن يكون الموضع الوارد بهيئة أرامى ARAMI وأسماء بعض الأعلام مثل أرامـــو ARAMU فـــى نصـــوص العصر الأكدى وسلالة أور الثالثة لها صلة بالأراميين بالنظر إلى قدم العهد. ولذلك فيرجع أن يكـــون ذلـــك **مجرد تشابه لفظى ولا يُعرف بالتأكيد معنى كلمة أرامى هنا**"(٨).

هذا ما كان من شأن الأراميين فهم شعب مجهول الموطن والأصـــل، **أســـمهم يعنـــى الصـــخرة** أو بالأحرى الصخريين ظهروا فجأة فى انتشار سريع وكثيف فى بلاد الشام **بعد طرد الهكسوس من مصر**، لكن هناك نصوص ربما تشير إلى وجودهم قبل ذلك أربكت المؤرخين، حتى أن تلك النصوص تعود إلى حـــوالى ٢٤٥٠ – ٢٣٥٠ق.م، أى قبل أبعد زمن مفترض لوجود الأراميين بالمنطقة بأكثر من ألف عام إلى الوراء **. ثم أن نصوص حتشبسوت قد حدثتنا عن عنصر قائد سيادى فى بلاد آدوم وأسمته (إرم)؟!**

هذا مع ما علمناه **أن الأراميين كانوا أصلا لعدد من الشعوب فكان مـــنهم الأب إبـــراهيم وبالتبعيـــة الإسماعيليون المديانيون والآدميون والإسرائيليون**.فماذا عن العمالقة ؟ وأين اســـتوطنوا؟ التـــوراة تـــدخل العمالقة فى ذات البطون النسبية، فهم نسل عمليق حفيد عسيو / آدوم وهم بهذا المعنى كانوا عضوا ضـــمن أعضاء حلف الأخلامو أو الاحلاف فأين عاش العمالقة؟ سؤال تأتى عليه إجابة أولى أنهم قد استطونوا بـــلاد آدوم لا شك، بحسبانهم أحفاد الجد الأسطورى البعيد عيسو آدوم. لكن التوراة تعطينا إفادات أخـــرى حيـــث نجدهم ينتشرون فى شبه جزيرة سيناء حيث التقى بهم الإسرئيليون عند خروجهم من مصر فى منطقة باســـم رفيديم قرب الجبل المقدس (جبل الله حوريب/ جبل موسى وكاترين الآن)، وأنه قد دارت بينهم موقعة حربية يشرحها نص الكتاب المقدس إذ يقول:

وأتى عماليق وحارب إسرائيل فى رفيديم.. فقال الرب

(٦) موسوعة تاريخ العالم: ج١ ص ٧٨.

(٧) نفسه ج١ ص ٧٩.

(٨) طه باقر : الوجيز .. سبق ذكره ، ص ٤٩٣.

لموسى اكتب هذا تذكاراً فى الكتاب وضعه تحت مسامع يشوع،، فإنى سوف أمحو ذكر عماليق من تحت السماء .. وقال: إن اليد على كرسى الرب، للرب حرب مع عماليق من دور إلى دور [أى من جيل إلى جيل / المؤلف].

خروج ١٧ / ١٦،١٤،٨.

كما نجدهم – حسب ذات المقدس – فى مدينة حبرون / الخليل الحالية جنوبى فلسطين فى التحامها مع امتداد سيناء الشرقى. وتبدو حبرون فى القصص التوراتى أحد المعاقل الكبرى للعمالقة، ويحيطنا قاموس الكتاب المقدس علماً بشأن حبرون فيقول تحت مادة: حبرون:

حبرون اسم عبرى معناه: **عصبة، صحبة، رباط، إتحاد**.. مدينة فى أرض يهوذا الجليلة (يشوع ١٥ / ٤٨، ٥٤) ودُعيت أصلا مدينة **أربع** .. (تكوين ٢٣ / ٢ ويشوع ٢٠ / ٧) .. وقد بنيت سبع سنين قبل صوعن فى مصر (عدد١٣ / ٢٢)، وكانت موجودة من وقت مبكر فى أيام إبراهيم الذى سكن بعض الزمن فى جوارها تحت بلوطات أو بطمات ممرا (تكوين ٣ / ١٨، ٣٥ / ٢٧). وماتت سارة هناك فاشترى إبراهيم مغارة المكفيلة لتكون قبراً، وقد اشتراها من الحيثيين الذين كانوا يملكون المدينة حينئذ (تكوين ٢٣ / ٢ – ٢٠).. وزارها جواسيس موسى ووجدوا **العناقين** ساكنين فيها (عدد ١٣ / ٢٢). وكان ملكها هوهام أحد أربعة ملوك **تحالفوا** مع أدونى صادق ضد يشوع.. وعندما احتل الآدوميون جنوب يهوذا وقعت حبرون ضمن أماكن أخرى فى أيديهم .. وحبرون الآن هى مدينة الخليل .. وحبرون واقعة فى الوادى وعلى منحدر وتعلو ٣٠٤٠ قدما فوق سطح البحر وعلى بعد ثلاثة عشر ميلا إلى الجنوب الغربى من أورشليم .

كما انتشر العمالقة الذين يحملون أيضاً اسم بنى عناق أو العناقين فى النقب الذى يشير إليه التوراة باسم الجنوب، وهو ما جاء على لسان جواسيس موسى قائلين:

رأينا **بنى عناق** هناك **العمالقة** ساكنون فى أرض

الجنوب .. هناك **الجبابرة من بنى عناق** من الجبابرة.

عدد ١٣ / ٢٧ - ٣١

وعند موقع من المواقع المتطرفة فى رحلة الخروج على الخط الشرقى لشبه جزيرة سيناء جاءنا اسمه فى التوراة (حرمة)، دارت معركة كبرى بين الإسرائيليين وبين العمالقة، وهو الموضع الذى كان أصلا فيما يبدو باسم حمرة أوالحمراء:

فنزل العمالقة والكنعانيون الساكنون فى ذلك الجبل وضربوهم وكسروهم إلى حرمة.

عدد ١٤ / ٤٥.

وموقع حرمة هنا تم تحديده بإحداثيات تؤكد أنه قرب جبال سعير، فيما بين قادش سيناء (عين قديس حالياً) وبين عصيون جابر على خليج العقبة، وأنه كان على الحد الغربى لبلاد آدوم بالتدقيق والتحديد وربما كان فى الموقع المعروف الآن باسم وادى حور. ثم لدينا نص آخر يحدد بدقة موقع معركة حرمة على لسان موسى وهو يخطب فى شعبه :

فكلمتكم ولم تسمعوا بل عصيتم قول الرب وطغيتم وصعدتم إلى الجبل. فخرج الأموريين الساكنون فى ذلك الجبل للقائكم وطردوكم كما يفعل النحل. **وكسروكم فى سعير إلى حرمة**، فرجعتم.. وقعدتم فى قادش أياما كثيرة.

تثنية ٤٣ / ٤٦

والمعلوم أن هذه الرواية كانت تتحدث عن محاولة اختراق الركب الخارج من مصر مع موسى لبلاد آدوم متحركاً من مستقره السينائى قادش.

ثم نفهم من المقدس أن العمالقة كانوا ينتشرون داخل فلسطين ذاتها، حيث يقول سفر التثنية لشعب إسرائيل عند عبوره الأردن إلى فلسطين:

إسمع يا إسرائيل: أنت اليوم عابر الأردن لكى تدخل وتملك شعوباً أكبر وأعظم منك، ومدنا عظيمة ومحصنة إلى السماء. قوما **عظاما وطوالا . بنى عناق** الذين عرفتهم وسمعت. من يقف فى وجه بنى عناق؟ فاعلم اليوم أن الرب إلهك هو العابر أمامك ناراً آكله، وهو يبيدهم ويذلهم أمامك فتطردهم وتهلكهم سريعاً.

تثنية ٩ / ١ – ٣

وكانت وصية الرب لإسرائيل شعبه:

> أذكر ما فعله بك عماليق فى الطريق عند خروجك من مصر. كيف لاقاك فى الطريق وقطع من مؤخرتك كل المستضعفين وراءك وأنت كليل متعب ولم يخف الله. فمتى أراحك الرب إلهك من جميع أعدائك حولك فى الأرض التى يعطيك الرب إلهك نصيباً كى تمتلكها، تمحو ذكر عماليق من تحت السماء. لا تنسى.

تثنية ٢٥ / ١٧ – ١٩

وقد حرص يشوع الذى قاد رحلة الخروج بعد موت موسى على تعميق العداء للعماليق العناقين وهو ما يقوله النص:

> وجاء يشوع فى ذلك الوقت وقرض العناقين من الجبل من حبرون ومن عناب ومن جميع جبل يهوذا.

يشوع ١١ / ٢١

وقد سبق وأشرنا إلى أن حبرون التى تعنى (الحلف) كانت مقر الملك الأعظم للعمالقة وكان يدعى أربع وسميت باسمه وكانت قبل ذلك تدعى ممراً. وهو مادونه نص التوراة:

> واسم حبرون قبلا قرية أربع الرجل الأعظم فى العناقيين.

يشوع ١٤ / ١٥

وهكذا يبدو واضحا أن العماليق كانوا البطن الأقوى بين بطون الأحلاف أوالأخلامو، وكانوا ينتشرون انتشارا واسعاً فى سيناء وسعير وفلسطين الجنوبية. لذلك نجدهم بحاجة لمزيد من البحث وراءهم لتحديد هويتهم ودورهم فى الأحداث بشكل أكثر تفصيلا.

ويفيدنا الكتاب المقدس أن الإسرائيليين بعد خروجهم من مصر وغزوهم لبلاد كنعان الفلسطينية، عاشوا حوالى أربعة قرون فى ظل نظام بدوى ابتدائى يُعرف بنظام القضاة، حيث يحتكمون فى شئونهم إلى قاض أعلى عادة ما يكون هو الكاهن فى الوقت ذاته، ويمثل شئون التقديس والسلطة العليا فى المجتمع.

وبعدها تحولوا إلى النظام الملكى وكان أول ملوكهم الذى حمل اسم شاؤول أو شاول الذى قضى حياة نشطة حافلة بالأحداث، وأهم هذه الأحداث صدامه مع العماليق فى معركة كبرى حدثت فيما يقـول الكتـاب المقدس بأمر من يهوه الرب نفسه، وهو ما يرويه الكتاب المقدس فى قوله:

> هكذا يقول رب الجنود: إنى افتقدت ماعمـل عمـاليق بإسرائيل حين وقف له فى الطريق، عند صعوده مـن مصر،فالآن اذهب واضرب عمـاليق، وحرمـوا (أى: أبيدوا) كل ما له ولا تعف عنهم، بل اقتل رجلا وامرأة، طفلا ورضيعاً بقراً وغنماً،جملاً وحماراً، فاستحضـر شاول الشعب وعدّه فى طلايم، مئتـى ألـف راجـل، وعشرة آلاف رجل من يهوذا، ثم جاء شاول إلى **مدينة عماليق**، وكمن فى الوادى، وقال شاول للقينيين: إذهبوا وحيدوا وانزلوا من وسط العمالقة لئلا أهلككم معهـم، وأنتم قد فعلتم معروفا مع جميع بنـى إسـرائيل عنـد صعودهم من مصر، فحاد القينى من وسـط عمـاليق، وضرب شاول عماليق من **حويلة حتى مجيئـك إلـى شور التى مقابل مصر.**

صموئيل أول ١٥/٢-٧

ورغم أنه لم يتم تحديد موضع حويلة، إلا أن المظنون أنهـا كانـت تقـع علـى أطـراف سـيناء الشرقية،وهو ما يعنى أن شاول خاض معركة كبرى فى مدينة العمالقة المجهولة بدورها، انتهـت بضـعفهم تماماً، وكانوا حسب النص ينتشرون من حويلة حتى حدود الدلتا حيث " شور التى مقابل مصر "، ويبـدو أن هذا الضعف الذى أصاب العماليق قد سمح لسبط إسرائيلى، كان يسكن جنوبى فلسطين هو سبط شمعون، لكى يغزو العماليق فى مركزهم الرئيسى، الذى هو جبل سعير فى النص التالى:

> ومن بنى شمعون ذهب إلى **جبل سعير** خمسمائة رجل، وضربوا بقية المنفلتين من **عمـاليق**، وسكنوا هناك إلى هذا اليوم

أخبار أيام أول ٤ / ٤٢،٤٣

وإذا كان العماليق قد سكنوا فى المساحة الواقعة من حويلة حتى شورعلى حدود دلتا مصر الشـرقية حسب المتكررات التوراتية، فهو ذات الأمر الذى تقوله التوراة عن الإسماعيليين:

> وهذه سنو حياة إسماعيل، مئة وسبع وثلاثـون سـنة،

واسلم روحه ومات وانضم إلى قومه، **وسكنوا من حويلة إلى شور التى أمام مصر.**

تكوين ٢٥ / ١٧،١٨

ويحيطنا المقدس التوراتى علما أن ذلك المكان الذى عاش فيه العماليق كان موضعاً مقدسا، أو أشبه ما يكون بأرض إله، وذلك فى نص مغرق فى الاسطورة يحدثنا عن فجر الخليقة وسكن الأرض بالشعوب فيقول:

وحدث لما ابتدأ الناس يكثرون على الأرض، وولد لهم بنات، أن أبناء الله رأو بنات الناس أنهم حسناوات،فاتخذوا لأنفسهم نساء من كل ما أختاروا .. **كان فى الأرض طغاة فى** تلك الأيام، وبعد ذلك أيضاً، إذ دخل بنو الله على بنات الناس، وولدن لهم أولاداً، هؤلاء **هم الجبابرة،** الذين منذ الدهر ذووا اسم.

تكوين ٦ / ١ - ٤

ولما كنا نعلم أن التوراة تستخدم ثلاثة مترادفات على التبادل للدلالة على شعب واحد هى: العمالقة، العناقين، الجبابرة، فإن المعنى أن أناس ذلك الزمان قد اعتقدوا، أن العمالقة صنف من الناس نصف إلهى ونصف إنسانى، أما الموسوعة الميسرة تحت مادة (عمالقة) تشير بإيجاز إلى وجهة النظر التى تتبناها الكتابات العربية بشأن العمالقة فتقول:

عمالقة: قدماء العرب ، خاصة شمالى الحجاز **مما يلى شبه جزيرة سيناء،** فتحوا مصر باسم الشاسو، ويسميهم اليونان هيكسوس، وأصل لفظة العمالقة مجهول، والغالب أنه منحوت من اسم قبيلة عربية كانت **مواطنها بجهات العقبة أو شمالها،** كان البابليون يطلقون عليها اسم ما ليق أو مالوق، وأضاف اليهود إليها لفظ عم بمعنى شعب، فقالوا عم ما ليق أو عم مالوق، فقال العرب عماليق أو عمالقة، ثم أطلقوه على طائفة **كبيرة من العرب القدماء.**

كان العمالقة على علاقة بالكنعانيين والآموريين والإسرائيليين، وعلى الرغم من أن علم الإثنولوجيا

اليهودى يجعلهم **فرعاً من الآدوميين**، ويربطهم بقبيلة إفرايم، فإنه يصورهم باعتبارهم أعداءً للإسرائيليين، نهب العمالقة الشعب اليهودى فى أثناء هروبه من مصر، واندمجوا بينه وهاجموه، ولكنه انتصر عليهم بزعامة يشوع، وكان العمالقة جزءاً من الجيش الذى جرده أجلون [صحها عجلون / المؤلف] ملك موآب لمضايقة إسرائيل.(٩)

وفى لسان العرب:

العَمْليق: الجور والظلم .. وعملق ماؤهم: قل، والعملاق الطويل، والجمع عماليق وعمالقة.. والعمالقة **من عاد**، وهم بنو عملاق، قال الأزهرى: عملاق أبو العمالقة، وهم **الجبابرة الذين بالشام** على عهد موسى عليه السلام.. قال بن الأثير: العمالقة: الجبابرة الذين كانوا بالشام من بقية قوم **عاد**، قال: **ويقال لمن يخدع الناس ويخلبهم عملاق**.. قال الجوهرى: العماليق والعمالقة قوم من ولد عمليق بن لاوذ بن **إرم** بن سام بن نوح، **وهم أمم تفرقوا فى البلاد.**

وفى المرادف التبادلى لكلمة عمالقة بالتوراة، (عناقين)، نبحث فى لسان العرب فيطالعنا تحت مادة (عنق):

العَنَق: طول العنق وغلظة .. والأنثى **عنقاء**، .. **وهضبة معنقة** وعنقاء: **مرتفعة طويلة** .. والأعناق **الرؤساء** والعنق: **الجماعة الكثيرة** من الناس .. وجاء القوم عنقاً عنقا، أى طوائف، قال الأزهرى: إذا جاءوا فرقاً، كل جماعة منهم عنق .. ويقال: جاء القوم عنقا عنقا، أى رسلا رسلا وقطعاً قطعاً .. وقيل الأعناق: **الرؤساء الكبار** .. والمعنق: **ماصلب وارتفع من الأرض** وحوله سهل .. وقال الأزهرى: العناق: **الأنثى من أولاد المعزى** إذا أتت عليها سنه.

---

(٩) الموسوعة العربية الميسرة: مادة عمالقة.

والعناق: شئ من **دواب الأرض كالفهد**،وقيل عنـــاق الأرض: دويبة أصغر من الفهد طويلة الظهر تصيد كل شئ حتى الطير، قال الأزهرى: عناق الأرض: دابــة **فوق الكلب** الصينى، يصيد كما يصيد الفهــد، ويأكــل اللحم وهو من السباع، يقال: إنه ليس شئ من الــدواب يؤبر أى يخفى أثره إذا عدا غيــره، وغيــر الأرنــب، وجمعه عنوق، والفرس تسمية سياه كوش قــال: وقــد رأيته بالبادية وهو **أسود** الــرأس **أبــيض** ســائرة .. **والعنقاء طائر ضخم** لــيس بالعقــاب وقيــل: العنقــاء المُغرب: كلمة لا أصل لها، يقال أنها **طــائر عظــيم لا ترى إلا فى الدهور** .. وقيل سميت عنقاء لأنه كان فى **عنقهـــا بياض كالطوق**.. قال ابن الكلبى: كان لأهــل الرس نبى يقال له حنظلة بن صفوان، وكان بأرضـــهم جبل يقال له دمخ، مصعده فى السماء ميل، فكان ينتابه طائرة كأعظم ما يكون، لها عنق طويل مــن أحســن الطير، فيها من كل لون، وكانت تقع منقضة، فكانــت تنقض على الطير فتأكلها، فجاعت وانقضت على صبى فذهبت به فسميت عنقاء مغرباً، لأنها تغرب بكــل مــا أخذته.. فشكوا ذلك إلى نبيهم فدعا عليهــا فســلط الله عليها آفة فهلكت، فضربتها العرب مثلا فى أشــعارها، ويقال: ألوت به العنقاء المغرب، وطارت به العنقــاء، والعقاب، وقيل: طائر لم يبق فى أيــدى النـــاس مــن صفتها غير اسمها، .. والعنقاء **اسم ملك** .. والأعنــق فحل من **خيل العرب** معروف، إليه تنسب بنات أعنــق من الخيل.

أما مختصر كتاب البلدان للهمدانى فيقول:

وكانت منازل العماليق فى موضع صنعاء اليــوم ثــم خرجوا فنزلوا مكة، ولحقــت مــنهم طائفــة بالشــام، ومصر، وتفرقت طائفة فى جزيرة العرب والعــراق،

ويقال أن **فراعنة مصر كانوا من العماليق**(١٠).

ومع المرادف التبادلى لكلمة عمالقة (عناقين) من عنق وعنك نستقرئ المتشابهات بلسان العرب، فيخبرنا واضحا فصيحا يقول تحت مادة (عنك) باستبدال القاف كافا:

> عنك: وعناك بالنون.. **الرمل**.. والعانك **الأحمر**، يقال دم عانك، وعرق عانك إذا كان فى **لونه صفرة** .. والعانك من الرمل **فى لونه حمرة .. والعيك الشجر الملتف. لُغة فى الأيك، واحدته عيكة.**

وتنويعات على ذات المادة (علك) وتحتها يقول لسان العرب " والعلك ضرب من صمغ الشجرة **كاللبان** "، و (علق) وفيها يقول:

> علق: العلوق ماء الفحل، لأن الإبل إذا علقت وعقدت على الماء انقلبت ألوانها **حمراء**.. والعلقى **شجرة** تدوم خضرتها فى القيظ ولها أفنان طوال.. والعوالق **الغول وقيل الكلبة** الحريصة.
>
> .. وقولهم طويل العوالق أى طويل الذنب .. والعليق نبات معروف يتعلق بالشجر ويلتوى عليه.. **وزعموا أنها الشجرة التى أنس موسى عندها النار.. وقيل العلق القامة**، والمعلاق اللسان البليغ .. والعلق **الدم** .. وهو ما اشتدت **حمرته.**

والغريب فى بابه بل والمدهش أن نجد مقابل عنق فى الهيروغليفية كلمة(عنخ) الدالة على مفتاح الحياة، تعنى أيضاً إكليلاً من الزهور، وعادة ما كان المصريون يضعون الأكاليل **حول العنق** كما كانوا يعلقون بالرقبة (العنخ) نفسه مفتاح الحياة وهو على هيئة الصليب وهنا يحكى لنا الأركيولوجست (شيفمان) الباحث فى أركيولوجيا أوغاريت (رأس شمراء قرب اللاذقية على الساحل السورى): " تُبين المواد الأركيولوجية التى وجدت فى أوغاريت ..أنه كان يعيش على تخوم الألف الثالثة – الثانية قبل الميلاد، وفى القرن الأول من الألف الثانية قبل الميلاد شعب أطلق عليه فى الأدبيات التاريخية **ذوو الأطواق**، أما الأصل الذى انحدر منه هذا الشعب **فغير معروف**، وبظهوره يرتبط عصر إزدهار تصنيع **البرونز** وظهور ضروب جديدة من الأسلحة ، رماح ذات نهايات مسكوبة، الخنجر الثلاثى ذو القبضة، وفؤوس ذات شفرة لها ثقبان، ويرتبط بهذا الشعب التمثالين الفضيين ذوى الطوقين الذهبيين للإله والإلهة اللذين وجدوا إلى الغرب من معبد

---

(١٠) الهمدانى: مختصر كتاب البلدان، اقتبسه غطاس الخشبة فى كتابه : رحلة.. سبق ذكره، ص ١٣٠.

بعل فى أص محاط بالحجارة.. ويلفت النظر **شكل الصليب** الموجود على صدر الإله والإلهة فهو يحمل طابعاً مقدساً واضحاً لم يتسن فك رموزه حتى الآن " [١١].

لكن الخط السليم لسير التاريخ لاينى يدعمنا بالشرح والتفصيل فيعيد الأمور إلى نصابها والأطواق إلى مكانها، فيعلمنا إحسان عباس وهو يتحدث عن البتراء أن الإله الادومى (ذو الشرى) كان ذو علامة مميزة واضحة تخصه، وهى **أنه " كثيراً ما يظهر هذا الإله لابسا أطواقاً"** [١٢].

ومعنا تلتقى كلمة (عنخ) المصرية مع كلمة عنق العربية، وبنى عناق العمالقة أو العناقين، ومؤنثها المصرى القديم هو (عنخت) وتشير فى مدلول آخر **إلى أنثى الماعز**، وهو ذات المعنى الذى يورده لسان العرب عن الأزهرى وهو يقول : " العناق: الأنثى من أولاد **المعزى** " و (عنخت) إلهة مصرية هى زوجة الإله المترجم عن الهيروغليفية إلى الأحرف اللاتينية (خنوم) الإله الكبش صانع البشر من صلصال كالفخار، والواجب نطقها نطقاً صحيحاً تماما الإله (غنم). **والكلمة غنم دالة على الخراف والماعز كليهما**، ونحن نعلم من قواعد الهيروغليفية أن هناك أبدالاً جائزاً بين الخاء والزاى، فتصبح **عنخ هى عنز**، كما يتم ذات الإبدال بين الخاء والقاف فتصبح **عنخ هى عنق**[١٣].

ومن جانبه يحيطنا إريك هورننج علما أن الإلهة المصرية عنقت Anukis ، أو عنقة كانت تعبد فى مصر فى هيئة بشرية تلبس تاجاً من الريش، والريش على الرؤوس فى نقوش مصر القديمة يشير إلى البدو الرعاة، ويزيدنا علما أنها كونت ثالوثا فى جزيرة الفنتين هو(**Anukis عنقت + Khnum خنوم أو الخروف + Satis سيت**) والمعلوم أن الفنتين كانت مقر جالية يهودية عاشت هناك ردحًا طويلا من الزمان كما سيأتى بيانه. أما الأكثر دلالة فهو أن حيوان هذه الإلهة العنقاء الرمزى فكان **العنز أو المعز** [١٤].

ومما هو جدير بالذكر أن Aegyptus اليونانية التى تطلق على مصر Egypt، المأخوذة من جباتا الواقعة فى بلاد آدوم على حدود سيناء الشرقية كما أسلفنا الاجتهاد، تعنى أيضاً فى اليونانية " عنز متسلق ". ويرى الباحثون أن مادة عنز من الأصل (عز)، العنز فى الأوغاريتية عز والأكادية Azzatu وبالسريانية عيزا وبالعبرية عز، ومن هذا الفعل جاء معنى العزة والقوة،[١٥] ومنها أيضاً **العزيز**.

ويقول (على الشوك) عن المواضع التى حددناها لمجئ هجرات الأحلاف نحو سيناء وآدوم، أنها كانت مواطن العنز، فالعنز أبداً لم يكن حيواناً منتشراً فى بقاع الأرض، فقد " أظهرت الحفريات الآثارية أن

---

(١١) أ. ش. شيفمان : ثقافة أوغاريت، ترجمة د. حسان ميخائيل إسحق، الأبجدية للنشر، دمشق ١٩٨٨، ص ١٢٥.

(١٢) إحسان عباس: تاريخ دولة .. سبق ذكره، ص ١٢٩.

(١٣) د. على فهمى خشيم: آلهة مصر العربية، دار الآفاق الجديدة، الدار البيضاء، ١٩٩٠، ج١ ، ص ٤٨٠ : ٤٨٢.

(١٤) إريك هورنونج: ديانة مصر الفرعونية، الوحدانية والتعدد، ترجمة محمود طه ومصطفى أبو الخير، مكتبة مدبولى، القاهرة، ١٩٩٥، ص ٢٧٥.

(١٥) على الشوك: جولة فى أقاليم اللغة والأسطورة، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق، ١٩٩٤، ص ٤٨

موطن الماعز هو جنوب غربى آسيا وبالتحديد **غربى إيران وشمال العراق وجنوب تركيا**.. والماعز كان معروفا فى البيضا جنوبى البحر الميت.. والماعز مع الخراف أو بدونها تم رعيها بمراحل تدريجية **عبر سيناء**، التى لم تكن صحراء قاحلة بالتأكيد كما هى عليه الآن، بل **ليست تلك الصحراء التى يتصورها البعض** " [١٦].

وقد استخدم المصريون للدلالة على بدو آسيا ثلاثة أسماء على التبادل هى: (ستيو) واتفق على أنها تعنى الآسيويين، وهذا فيما نرى خطأ شائع لأن الأصل فى نسبتهم – حسبما نرى – إلى رب البوادى والصحارى الإله (سيت) رمز الشر فى مصر القديمة وتعنى ستيو أيضاً الجنوبيين بالنسبة لمصر، وربما فى عصور لاحقة بعد الدولة القديمة أخذت كلمة ستيو منحاها للدلالة على عبادة الإله سيت، فصبغت البدو الشرقيين باسمه فأصبحوا السيتين / ستيو، وهو ما يعنى أن آسيا أكتسبت اسمها من المصطلح المصرى الدال على أتباع الإله سيت.

والاسم الثانى الذى أُطلق على بدو أسيا وهو (شاسو) فيعنى الدائب الحركة دون توقف، فهى تشير عندنا إلى البدو الرحل، وعادة ما كانت تطلق (شاسو) على بدو سيناء تحديداً . وأخيراً لدينا (عامو) أو (آمو) وكانت الأكثر استخداماً للدلالة على غزاة مصر المعروفين بالهكسوس، والكلمة المصرية (ع م و) جمع بالواو لكلمة (عم) وفى لسان العرب:

> العرب تقول للرجل إذا سُوّد: قد عُمم، وكانوا إذا سودوا رجلا عمموه **عمامة حمراء** .. والعميم **الطويل** من الرجال والنبات. ومنه حديث الرؤيا: فأتينا على روضة معتمة أى وافية النبات **طويلة** وكل ما اجتمع وكثر فهو عميم.. ويقال اعتم النبت اعتماماً إذا التف **وطال** .. ونخله عميمة: **طويلة** .. والعمم **عظم الخلق** فى الناس وغيرهم، فالعمى العام والقصرى الخاص.. وعمعم الرجل إذا كثر جيشه بعد قلة.. والعم **الجماعة**، والعماعم الجماعات المتفرقون.
>
> وعم فى الثلاثى عنم هى
>
> العنم أغصان تنبت فى سوق العضاة، رطبة لا تشبه سائر أغصانها، **حُمر اللون** ، وقيل هو ضرب من الشجر له **نور أحمر** تشبه به الأصابع المخضوبة.. قال ابن الإعرابى .. العنم الشجر **الحمر** ..والعنمى

---

(١٦) نفسه: ص ٩٣، ٩٤

الحسن الوجه المشرب **بحمرة**.. وقال بعضهم : العنــدم
دم الغزال بلحاء الأرطى يطحنان جميعاً حتــى ينعقــدا
فتختصب به الجوارى.

ومن تلك المعطيات نجد العمالقة يحملون لقب الجبابرة، وأنهم كانوا طغاة وهو ما يعنى أنهــم كــانوا حكاماً. والمحتمل وفق معطيات الموسوعة العربية الميسرة أن يكونوا من عرفهم اليونان باســم الهكســوس غزاة مصر، وأنهم كانوا يسكنون العقبة وشمالها، وربما كانوا من العرب القدماء، وهم فرع من الآدوميــين. أما لسان العرب فيقول أنهم من قوم عاد، وينتسبون إلى الشخص الأسطورى المعروف باسم **إرم** ابن ســام، الأمر الذى يذكرنا بآيات القرآن عن **عاد إرم ذات العماد التى لم يخلق مثلها فى البلاد.**

وإذا أخذنا بالإسم المرادف عناقين جمع عناق، فهو أيضاً يحمل معنى العملقة، فالهضبة المعنقة هــى المرتفعة الطويلة، ويحمل أيضاً معلومة حفظها لنا اللسان فى كلمة الأعناق وهــى : الأعنــاق **أى الرؤســاء** إضافة إلى كون الكلمة تحمل معنى **الكثرة الشديدة**، مما يشير إلى كونهم كانوا شعباً غفير العدد. ناهيك عــن كونهم كانوا طوائف، أى **مجموعات بشرية متحــدة** أحيانا متحالفة أحياناً أخرى وهو مــا يــذكرنا بــالتعبير الآشورى (أخلامو) أو أحلاف، وأنهم كانوا أصحاب (ماعز)، وفى بلادهم كان يعيش حيوان مفترس فى هيئة الكلب الطويل الشبيه بالسلوقى. وتحكى عنهم أساطير: فكان يعيش فى بلادهم طائر ضخم باسم **العنقــاء** الذى سبق وعرفناه باسم الفوينيكس أو الطائر البونتى. وتكرر الأسطورة العربية الاسطورتين المصرية واليونانية، فهو يظهر كل دهر وبعد زمان بعيد من ظهوره الأول " طائر عظيم لايرى إلا فى الدهور" ونسب العرب إلى العناقين **الجياد** العنقاء أى الفحول الأصيلة منها، ثم إن **منهم كان بعض فراعين مصر**، وعلم التاريخ يؤكد لنا أن مصر لم تعرف الخيول طوال تاريخها إلا مع غزو الهكسوس. فالآثار المصرية والنصوص القديمة قبــل الغزو الهكسوسى تخلو تماماً من أى ذكر للحصان أو العربة، كما لم توجد أى دفنة لحصان واحد، أو حتــى لعظام من حصان فى أى من المقابر أو الدفنات أو الطبقات الاركيولوجية قبل الغزو الهكسوسى. كذلك تخلو النقوش والرسوم المصرية قبل الغزو الهكسوسى خلوا تاما من صورة الحصان رغم أن المصريين قد سجلوا ورسموا صوراً لكل حيوانات البيئة المصرية وطيورها ونباتها بشكل إحصائى دقيق. وهــو مــا يعنــى أن المصرى حتى غزو الهكسوس كان يجهل تماماً أن هناك كائنا من هذا النوع يوجد فى العالم (١٧).

ومن جانب آخر إذا أخذنا بالتسمية المصرية لغزاة بلادهم الهكسوس (عامو) فيظهر أن لهــم علاقــة وطيدة باللون **الأحمر**، وأنهم كانوا قوما عظام الطول، ضخام الجسد. ويفرق لســان العــرب بــين التســمية المصرية رجل من العامو(رجل عمى) أى متبدى صحراوى بدائى، وبين أهل المدر والحضــر والخصــب، الذين هم سكان القصور (رجل قصرى). ويعود اللسان لتذكيرنا أن (عم) هو الجماعة المتشــظية، وباســمهم هناك شجرة حمراء لها **نور أحمر** وهى شجرة طويلة عظيمة، تستحق اسم **(الأيكة).**

---

(١٧) Syve Soder berg, J. E.A, ٣٧, p٢١٣

وهنا نستمع إلى (جاردنر) وهو يحدثنا عن حجر القاهرة المعروف باسم (حجر باليرمو) وفيه اشارة إلى ما حدث فى عهد الملك الثانى من ملوك الأسرة الأولى التأسيسية، وفى هذا الزمن المبكر زمن الملك المدعو (جر) إشارة إلى ضرب الملك لمناطق (ستية). [١٨].

ثم بعده نقرأ عن ملك باسم (عنخاب) أنه قد ضرب شعب (الأيونتيو) أو (عنتيو) والعنتيو هو البخور الأبيض فى اللسان المصرى القديم، ويعنى أيضاً عند جاردنر وعبد العزيز صالح " **أصحاب العمد** " ومع تعقيب يقول: " وهذا إصطلاح مبهم ربما يشير إلى شعوب قطنت **شمال شرقى الدلتا أو بدو الصحراء الشرقية وسيناء وما وراءهما** " [١٩]، هذا بينما كان عبد المنعم عبد الحليم لم يزل يصر على أن شعب العنتيو / اللبان الذكر هم سكان الصومال؟!!

ويضيف نجيب ميخائيل على ذات النصوص شارحا من هم العنتيو أصحاب العمد بقوله: " وقد أطلق عليهم سترابو اسم **سكان الكهوف ، الذين كانوا يعيشون على النهب والسلب والتجارة فى قوافل تقطع صحراء العرب** " [٢٠] . لقد كان العنتيو هم العماليق ضمن سكان بلاد آدوم ومحيطها، أصحاب البخور، أم ياترى عنتيو أو أنيتو هى مقلوب (تينو / تين) تلك الثمرة المقدسة التى أتت بها بعثة حتشبسوت لتستزرعها أمام معبدها؟ ربما! وتشترك (عنتيو) فى جذرها الثلاثى مع (عتى) و (عاتى) و (عتو) من القوة والشدة والعملقة. وهنا نقف نستمع إلى ديودور الصقلى يروى قائلا: " بعد أن جعل الملوك فى الاسكندرية طريق البحر ميسرة لإبحار تجارتهم، لم يكتف هؤلاء **العرب** بمهاجمة من تحطمت بهم سفنهم، بل أنزلوا إلى الماء **سفن قرصنة** تطارد التجار والمسافرين، محاكين بتلك الأعمال الوحشية الجامحة **للطائوريين من أهل بنطس** " [٢١].

وهو ما يعنى أن عرب وادى عرابة يشبهون فى لصوصيتهم سكان بلاد بنطس شرقى البحر الأسود بأرمينيا. لقد أدرك ديودور التشابه لكنه لم يدرك أن من سكان عرابة جنس قادم من أرمينيا من منطقة بنطس (بنط) حيث كان يقوم ميناء بونت على البحر الاسود ولم يزل ، وان هؤلاء المهاجرين قد منحوا موطنهم الجديد فى عرابة اسم موطنهم القديم بونت.

ثم يدخل هيرودت ليعطينا دعما خراسانيا لنظريتنا فيقول عن حدود مصر الشرقية، حيث المواطن التى عرفها هيرودت ورفاقه من مؤرخين بأنها البلاد العربية.

> وتضيق مصر ابتداء من مدينة هيروبوليس جنوبا فعلى
> أحد جانبيها تمتد سلسلة الجبال العربية [الهضبة

---

(١٨) Gardiner, Egypt of the pharaohs, ١٩٦٤, p٤٤

(١٩) Op. Cit, p٤١٤

(٢٠) نجيب ميخائيل: مصر والشرق.. سبق ذكره، ج١ ص ١٤٢.

(٢١) إحسان عباس: تاريخ دولة .. سبق ذكره، ص ٣٤.

الشرقية الآن/ المؤلف] من الشمال إلـى الجنـوب .. ويستمر امتدادها حتى البحر المسمى بحر إروتـرى [هنا يشرح د. أحمد بدوى فى الهامش أن بحر إروترى هو البحر الأحمر وبالتحديـد الخليج العربـى منـه / وهو خليج السويس حاليا] وهنا توجد مقالع الاحجـار[وقد وجدت بالفعل هناك مقـالع الاحجـار وبخاصـة الفيروز / المؤلف] .. وأقصى اتساع مسيرة شهرين .. **وحدودها الشرقية تنتج البخور** (٢٢).

هيرودت ٧٧ ، ٧٨

إن هيرودت هنا يحدثنا عن المسافة بين الخليج العربى (السويس) وبين خليج العقبة عبر سيناء حيث الوصول عبر سيناء يستغرق **مسيرة شهرين،** وهناك **عند خليج العقبة** أو الحدود الشرقية لمصر منطقة **تنتج البخور** أو بتعبيره " وحدودها الشرقية تنتج البخور ". ولأنه يريد بالضبط المسافة بين السويس والعقبة يستمر شارحا اتجاها آخر من خليج السويس (أو خليج العرب) نحو الجنوب فى عمق البحر الأحمر المتجـه نحـو المندب فيقول:

ويوجد فى بلاد العرب غير بعيد عن مصر خليج يوغل فى الداخل من البحر الذى يسمى ببحر أروترى، وهـو خليج طويل وضيق جداً كما سأوضح. إذا بدأ المسـافر من جوف الخليج **وضرب فـى عـرض البحـر فإنـه** يستغرق فى عبوره طولا **أربعين يوما مـع اسـتخدام المجاديف.**

هنا **لا يقول هيرودت أن المسافة مسيرة إنما إبحار بالمجاديف** يستغرق أربعين يوماً ، ثم يحدثنا عن عبور الخليج العربى عرضا فى أوسع أجزائه بقوله: «فى حين أن اجتيازه عرضا فى أوسع أجزائه يستغرق **إبحار** نصف يوم وبه يحدث مد وجذر كل يوم».

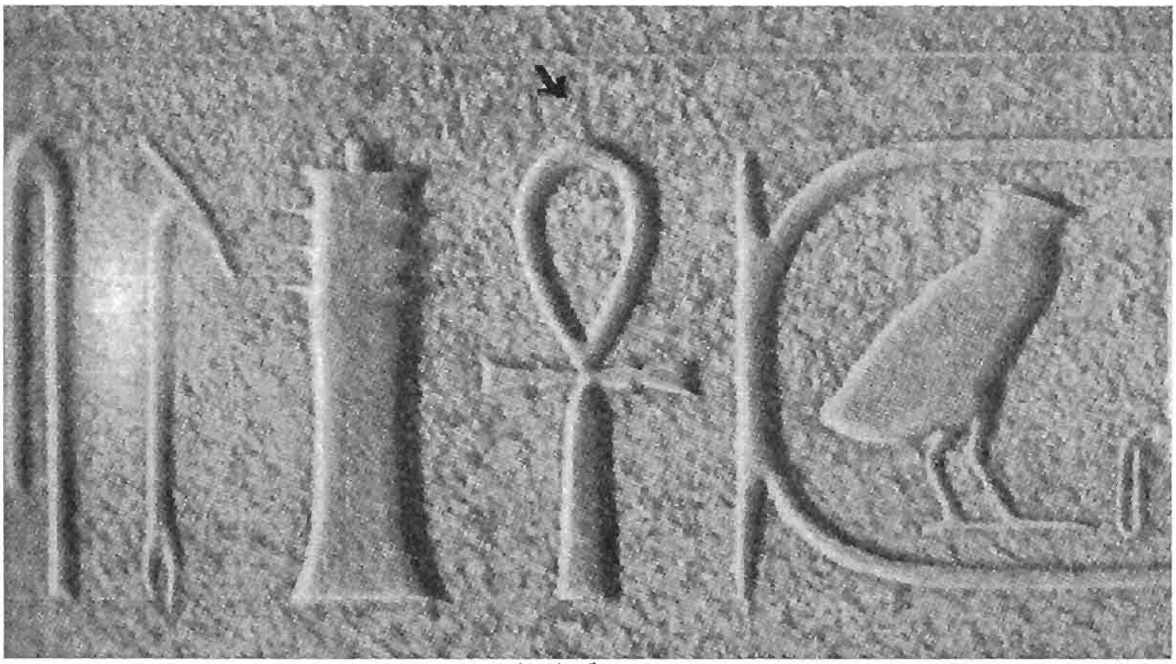
ولمزيد من تحديد المكان الذى يتحدث عنه يقول " : فمناطق الساحل العربية مأهولة بالسوريين (٢٣) " وكلمة السوريين للتعبير عن البدو الآسيويين لدى هيرودت.

---

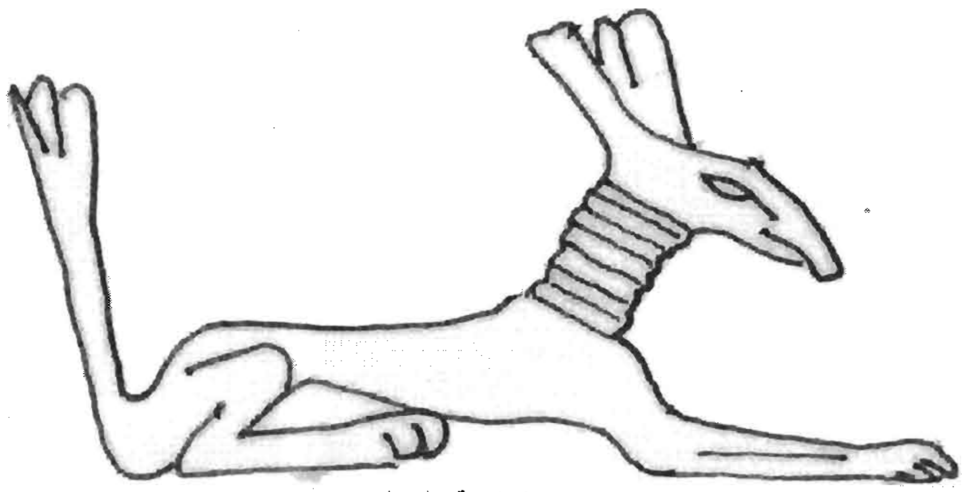
(٢٢) هيرودت يتحدث عن مصر.. سبق ذكره، ص ٧٧، ٧٨.

(٢٣) محمد رمزى: القاموس الجغرافى للبلدان المصرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة قسم البلدان المندرسة، ص ٨٥.

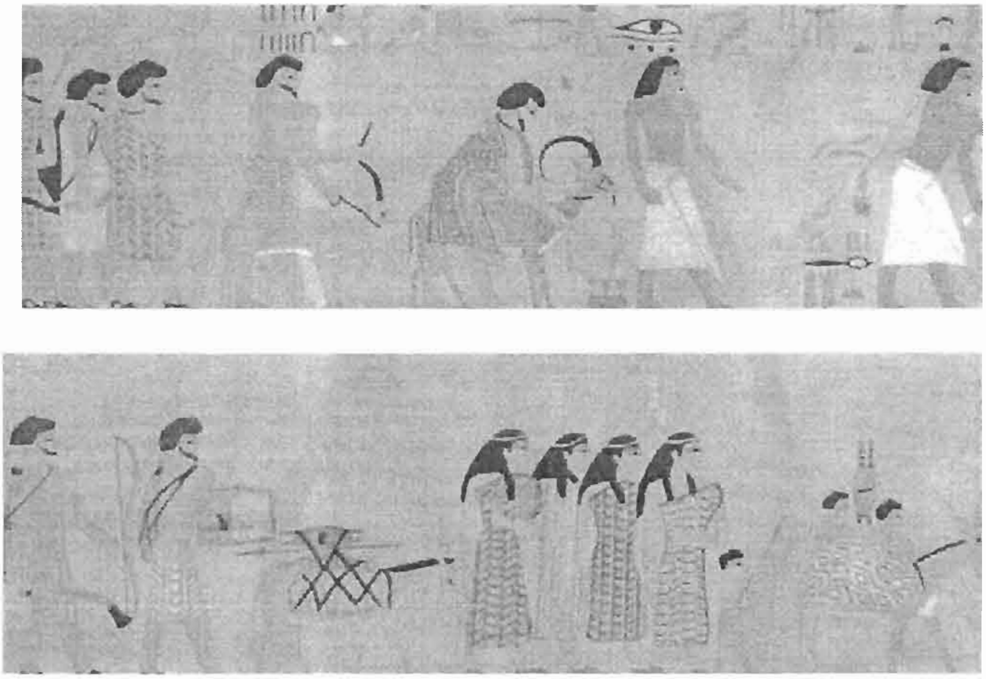
لقد عمدنا إلى تفصيل رواية هيرودت حتى لا يكون هناك أى لبس بين الابحار من خلـــيج الســـويس جنوبا وبين الاتجاه من خليج السويس شرقا بالسير البرى، وهناك كما قال فى أقصى الحدود الشرقية ســنجد الخليج الثانى [العقبة] حيث أكد هيرودت أن البلاد هناك كانت " تنتج البخور ".



شكل رقم (٣٠)
مفتاح الحياة المصري (عنخ)



شكل رقم (٣١)
لم نتمكن من العثور على لوحة الإله المدياني يلبس أطواقاً، لكن لدينا الإله ست يلبس أطواقاً، ويطابق بذلك ذي الشرا أو(شرا)، وتشترك (شرا) في جذرها مع فعل الـــ (شر) صفة ست.



شكل رقم (٣٢)
بدو ساميون في لوحات مصرية يزورون مصر، بصحبتهم العنز والحمار من ضريح (خنوم حتب). الشخصان في مقدمة الصورة العلوية مصريان



شكل رقم(٣٣)
رسوم العنز القديم في صخور ثمودية في سيق الخزعلى بوادي رم



شكل رقم (٣٤)
ماعز / عنز / سيناء ووادي عربة



شكل رقم (٣٥)
عنز مدجن

سر الملكة السوداء

على جداريات معبد روعة الروائع بالدير البحرى بالأقصر، نقش الفنان المصرى ضمن تقريره الدقيق رسما لملكة بلاد بونت: سوداء شديدة الامتلاء، ومعها عنصر بشرى يبدو أنه ينتمى إلى ذات جنس الملكة: أسود تبدو فى ملامحه إفريقية واضحة، كذلك العنصر الأحمر المشار إليه باسم إرم مع عنصر ثالث يشبه المصريين وتتضح عليه السمات السامية .

ويحدثنا الكتاب المقدس زمن حكم الملك سليمان، المؤسس الحقيقى لمملكة بنى إسرائيل فى فلسطين، عن زيارة ملكة لم يذكر لنا الكتاب المقدس اسمها وعرّفها فقط بأنها (ملكة سبأ). فى رواية أراد بها الكاتب التوراتى الإشادة بعظمة الملك سليمان، الذى يزعم ذلك المقدس أن حكمته وشهرته قد طبقت الآفاق، وأن ملوك الأرض قد سعوا إليه يطلبون مودته. ومع ذلك لا نسمع أية رواية فى ذلك المقدس عن زيارة ملكية حدثت لبلاد سليمان سوى زيارة (ملكة سبأ). وتقول الرواية:

وسمعت ملكة سبأ بخبر سليمان لمجد الرب، فأتت لتمتحنه بمسائل، فأتت إلى أورشليم بموكب عظيم جداً، بجمال حاملة **أطياباً وذهباً كثيراً جداً وحجارة كريمة**، وأتت إلى سليمان وكلمته بكل ما كان بقلبها.. وأعطت الملك مئة وعشرين وزنه ذهب، وأطيابا كثيرة جداً وحجارة كريمة، **لم يأت بعد ذلك مثل ذلك الطيب فى الكثرة**، الذى أعطته ملكة سبأ للملك سليمان، فعمل سليمان خشب الصندل درابزينا لبيت الرب، وبيت الملك، وأعواداً ورباباً للمغنين، لم يأت ولم ير مثل خشب الصندل ذلك إلى اليوم.

ملوك أول ١٠/ ١ – ١٢

ولنلحظ أن خشب الصندل لا يأتي إلا من جنوب شرقي آسيا وجنوب الهند (وخاصة مع القول: أنه لم يعرف مثل هذا الخشب من قبل)، وفى سفر أيوب، ذلك العبرانى الذى كان يعيش على حدود فلسطين الجنوبية فى جوار آدوم، نجد ذكراً متكرراً لشعب باسم سبأ والسبأيين ومثال ذلك:

نظرت قوافل **تيماء**، سيارة **سبأ** رجوها

أيوب ١٩/٦

وتيماء فى الجوار الشرقى لبلاد آدوم، لكن النص قد يفهم منه خاصة من كلمة (سيارة سبأ) بلاد اليمن، حسبما اعتدنا من معلومات متواترة تحدثنا عن كون ملكة سبأ عاشت فى اليمن. خاصة أنهم فى هذا الـنص التوراتى يظهرون جماعات تاريخية متحركة (سيارة)، وهو ما يذهب بنا فوراً إلى اليمن، مع ما نعلمه من التاريخ المتواتر عن مملكة سبأ اليمنية. لكن المشكلة هنا **أن الكتاب المقدس لم يذكر لنا اطلاقاً أن ملكة سبأ كانت ملكة يمنية** ، أما اللغز فهو أن إشارات الكتاب المقدس يفهم منها تارة أن سبأ كانت بلاد بعيدة عن فلسطين، وتارة أخرى لا يمكن أن نفهم إلا أن السبأيين كانوا جيرانا مباشرين بل وملاصقين لمملكة سليمان. وهناك نص يشير إلى أن السبأيين من ديار بعيدة ويمثل ذلك فى القول:

وأبيع بنيكم وبناتكم بيد بنى يهوذا، ليبيعونهم
للسبأيين، لأمة بعيدة ، لأن الرب قد تكلم.

يوئيل ٣/٧

بينما هناك نصوص أخرى تؤدى معنى مخالفاً تماماً، كما فى رواية أيوب الذى يحكى كيف هبط عليه مهاجمون استولوا على ثروته، ويقول:

البقر كانت تحرث ، والإتن ترعى بجانبها ،
فسقط عليها السبأيون وأخذوها، وضربوا الغلمان
بحد السيف.

أيوب ١/١٤، ١٥

وتعبير (سقط) هنا يشير إلى قرب شديد لموقع السبأيين من فلسطين الجنوبية، ويدعمه أن الكتاب المقدس كان يربط دوماً بين عدد من الشعوب يعتبرها من نسب واحد وجنس واحد ونموذجا لذلك قوله:

وبنو حام: **كوش ومصرايم** وفوط وكنعان، **وبنو**
كوش سبأ وحويلة وسبته ورعمه و سبتكا، وبنو
رعمه **شبا وددان.**

تكوين ١٠/ ٦،٧

ويتكرر ذات النسب فى موضع آخر يقول:

وبنو كوش: سبأ وحويلة وسبتا ورعما وسبتكا، وبنو
رعمه **شبا وددان.**

أخبار ايام أول ٩/١

ولنلحظ هنا أولاً ذلك الربط بين المصريين والسبأيين، فالمصرى (مصرايم) حامى من بنى حام، و (كوش) ويقصد به الجنس الزنجى وهو أيضاً حامى من بنى حام ، فهما اذن شقيقان. ومن ابناء (كوش) بنو

رعمة، ومن أبناء رعمة (شبا) الذى يأتى مقترنا باسم (ددان). ويتكرر ذلك الاقتران مما يشير إلـــى تجـــاور جغرافى، و(ددان) هى (العلا) شرقى (آدوم) الآن، ويبدو أيضاً أن الموضع (حويلة) فى ذات الجـــوار لأنـــه دوما يتكرر مقترنا بذات اسماء المواضع حول آدوم ، تلك التى تقدمها التوراة لنا باعتبارها أسماء أشـــخاص قدماء أسطوريين.

ويكرر الكتاب المقدس ربطه المستمر بين الجنس الزنجى (الكوشى) وبين السبأيين فعدا كونه قد اعتبر سبأ ابنا من أبناء كوش ، فقد **كان الكوشى والسبأى حليفين**، كما فى النص:

> هكذا قال الرب: تعب مصر **وتجارة كوش والسبئيون ذوو القامة**، إليك يعبرون ولك يكونون، خلفك يمشون، بالقيود يمرون، لك يسجدون، إليك يتضرعون قـــائلين: فيك وحدك الله وليس آخر إله.
>
> أشعيا ١٤/٤٥

ولمزيد من التحديد وراء اتساق ذلك المبعثر، نقرأ بالكتاب المقدس:

> بكران **مديان** وعيفة كلها **تأتى من شبا**، تحمـــل ذهبـــاً **ولبانا** وتبشر بتسابيح الرب.
>
> أشعيا ٦/٦٠

فهذه جمال مديان بلاد التجار الآدومية تحمل منتجات نعرف نوعها ومصادرها منها: الذهب واللبـــان (البخور)، وربما يكون المقصود أن تجار مديان يأتون بمنتجات سبأ من بلادها البعيدة ، أو أن تكون مـــواطن مديان هى ذات مواطن سبأ.(؟!)

وحتى لا يتصور القارئ أن بنا جموحا أهوجا، لا يستند إلى مقومات تدعمه لمزيد من تأييد مذهبنا فى موطن التجار الميتانيين أصحاب بلاد نهارين الحورية ، فإننا لابد أن نقر بصدق ما وصلنا من كشوف فـــى بلاد اليمن أكدت قيام مملكة كبرى باسم سبأ فى تلك البلاد حوالى عام ٩٠٠ ق.م. وأن تلك الكشـــوف تمـــلأ المنطقة ولا ينكرها عاقل، ومن ثم سنحاول الإمساك بطرف الخيط للوصول إلى الغرض من أقصر الســـبل، فنبدأ بقول العالم الأركيولوجى فى حضارات الجنوب العربى (فرتزهومل): " إن الأماكن التى عثـــر فيهـــا على آثار عربية جنوبية خارج حدودها ، وجدت فى أقصى الشمال الغربى، أى **بـــلاد مدين القديمـــة** "[١]. أى أنه قد عثر على آثار عربية جنوبية فى بلاد مدين القديمة بشرقى سيناء حول العقبة، بعيـــدة عـــن بـــلاد

---

(١) فرتز هومل: التاريخ العام لبلاد العرب الجنوبية، بحث ضمن كتاب التاريخ العربى القديم، ترجمة د. فؤاد حسنين، مكتبـــة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٨٥، ص ٥٦.

العرب الجنوبية أصحاب تلك الآثار بمسافات شاسعة من الصحارى الكبرى. ومن ثم يطرح (هومل) سؤالا غريبا مستغربا يستريب في أى المكانين كان هو الموطن الأصلى للحضارات التى اصطلح علي تسميتها حضارات الجنوب العربى؟! وكانت تلك الحضارات تتمثل فى أربع ممالك هى: قتبان وحضرموت ومعان وسبأ، ثم يخص سبأ بالذكر فيتساءل عن حضارتها التى قامت فى بلاد اليمن ويقول: " هل هذه الحضارة قد بلغت هذه الدرجة من النمو والاكتمال **فى البلاد ذاتها، أو أنها جاءت إلى البلاد من الخارج كاملة ناضجة؟** "[٢].

ثم يجيب على السؤال الذى طرحه باكتشاف جديد تماما، وهو أن الشعب الذى ظهر فى بلاد العرب الجنوبية حوالى عام ٨٠٠ ق.م أو ٩٠٠ ق.م ، كان يعيش فى منطقة أخرى قبل ذلك بأزمان وأنه كان له فى تلك الفترة تاريخ هام، وأن تلك المنطقة الأخرى كانت بداية التاريخ الحقيقى للسبأيين، **وأن هذا الوطن الأول أو الخارجى كان يقع فى شمالى بلاد العرب.**

ثم استنتج (هومل): أنهم عاشوا فى الإقليم العربى الشمالى الذى كان يطلق عليه الآشوريين: بلاد (عريبى)، وأن لدينا معلومات أخرى عن ذلك الاقليم، من المأثور الآشورى، فالكتابات الآشورية تذكر هذا الاقليم، مع عدد من الملكات على التوالى، منهن الملكة زبيبى ملكة بلاد عريبى، ومنهن الملكة سمسى حوالى ٧٣٨ ق.م ، وذكر لملكة أخرى باسم يتعى أيام الملك سنحاريب الآشورى، وملكة رابعة زمن الملك آسر حدون الآشورى باسم (تبوءه).

وهنا ننقل عن (هومل) نصيا قوله:

" ورد مرة لفظ سبأ فى نقش معينى، وكان هذا النص يشير إلى أن هذا اللفظ يدل على قبيلة بدوية، كانت **تسطو** على الطريق التجارى، الممتد بين بلاد العرب الجنوبية، وبين معان الواقعة فى شمال بلاد العرب ، وكانت تسطو أيضا على القوافل المعينية القادمة إلى مصر. ثم نقرأ القصة التى تحدثنا عن زيارة ملكة سبأ لسليمان، فهذه القصة لايمكن فهمها جيدا إلا **إذا قدرنا أن السبأيين كانوا يقطنون فى شمال بلاد العرب**، وليس الإنسان فى حاجة هنا إلى تأويل، ونستطيع أن نعتقد أن هناك نواة تاريخية لهذه القصة. كذلك مما يؤيد وجود وطن للسبأيين أصلى فى شمال بلاد العرب، **وردود لفظ سبأ مصحوباً بلفظ ددان** فى العهد القديم.. كذلك من العبارات التى تذكر وطن السبأيين الأصلى فى شمال بلاد العرب، ما جاء فى النقوش السبأية ذاتها حيث نجد سبأ ويهبليج، وكذلك سبأ وبيشان، وما إليها، ولا نجد لفظ سبأ مستقلا، وذلك لأن يهبليج هى دقلة فى بلاد الجوف فى شمال بلاد العرب، وبيشان هو وادى الدواسر "[٣]

وهكذا ، وجد هومل إشارات أركيولوجية ونصوصية قديمة، استنتج منها أن السبأيين كانوا خارج بلاد اليمن، فى شمالى بلاد العرب، قبل أن يهبطوا جنوباً إلى اليمن، ليبدأوا هناك حضارة جديدة حوالى عام ٩٠٠

---

(٢) الموضع نفسه.

(٣) نفسه ٦٣، ٦٤.

ق.م. وأن موطنهم الشمالى الأول هذا، هو المكان الذى أطلقت عليهم نصوص الرافدين (بلاد عريبى) أى (العربية) أو (العربة). وأن تلك المملكة اشتهرت بحكم النساء لها، ومنهن ملكات شهيرات، وهو الأمر الذى يلتقى مع ماورد بالكتاب المقدس عن ملكة سبأ التى زارت سليمان. على أن (فرتز هومل) أبداً لم يحدد لنا مساحة بعينها أو موقع معلوم بعينه أو تسمية أخرى قديمة لتلك الأرض التى قامت فيها مملكة سبأ الأولى، ولا حدود تلك الأرض.

لكن فى نص آخر لعالم آخر لا يقل شأنا هو (رينيه ديسو)، نفهم أن هناك قبائل عاشت شمال بلاد العرب، جاءت إليها من الجنوب اليمنى، وهو ما يقوله نصا " ومن المحقق أن السكان الذين أقاموا فى اللجة ببادية الشام فى قرية باسم نجران، قد أتوا من جنوب الجزيرة العربية لأن اسم هذه القرية يذكرنا باسم المدينة المشهورة فى جزيرة العرب، أما ذ βορελα Θξαδαυ التى توجد أيضا فى اللجة، فقد كان الرومان يطلقون عليها اسم **اى بوريكة السبأيين** " (٤).

وهذا يعنى أن السبأيين جاءوا من الجنوب إلى الشمال من زمن بعيد، وأقاموا لهم ممالك فى الشمال إذا أخذنا بالقولين ، ثم جدت أحداث اضطرتهم إلى العودة مرة أخرى إلى مواطنهم الأولى فى اليمن، لإقامة حضارة جديدة، حوالى عام ٩٠٠ ق.م

ثم تستوقفنا لفظة (بوريكه) أو (بوليكة) لنجد لها صدى فى لسان العرب إذ يقول تحت مادة أيك:

> فى التهذيب: فى قوله تعالى: كذب أصحاب الأيكة المرسلين، وقرئ أصحاب ليكة، وجاء التفسير أن **اسم مدينتهم كان ليكة.**

ولو صرفنا الاسم (بو – ليكة) بإضافة ، فستصبح (بوليكيس) أو (بلقيس)، ذلك الاسم الذى تواتر فى المأثور الإخبارى العربى بحسبانه اسم ملكة سبأ زمن الملك سليمان.

وهنا نقف مع (هومل) نتأمل:

البلاد بأسم بلاد **عريبى**، والوادى الممتد بين العقبة والبحر الميت منذ وصلنا اسمه مدوناً ، يحمل اسم وادى **عربة** ويقع فى شمالى غربى جزيرة العرب، وهومل يقول: إن بلاد عريبى لا شك تقع **شمالى جزيرة العرب.**

فهل نجازف ونقول : **إن الموقع الذى اخترناه للأحداث منذ بداية هذا البحث، هو الموقع الذى كان لابد أن يبحث عنه هومل حتى يجد بلاد عريبى حيث قامت سبأ القديمة بعيداً عن اليمن؟** ثم نرجح مع المرجحين الآن أن الملكة العربية التى ذكرتها أخبار العرب وأشعارهم وأساطيرهم باسم الزباء، ليست زنوبيا ملكة تدمر زمن الرومان، خاصة أن هومل نفسه يقول أنه جاءنا اسم لملكة من ملكات بلاد عريبى باسم

(٤) رينيه ديسو: العرب فى سوريا قبل الإسلام، ترجمة عبد الحميد الدواخلى، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٥٩، ص ١٠.

زبيبى فى نصوص رافدية قبل زمن الرومان بقرون طويلة حوالى عام ٧٣٨ ق.م ، وهو تاريخ قريب من تاريخ قيام دولة سبأ اليمنية من بعده وربما كان هناك خطأ بسيط فى الحسابات التاريخية. فإذا كان ذلك كذلك، فإن الملكة زبيبى كانت ضمن الخط الأخير لملكات سبأ الشمالية،، وربما كان اسم زبيبى اسما متواترا فى مسميات ملكات سبأ الشمالية ويبدو أن واحدة من سلسلة الملكات (الزباء) قد اكتسبت شهرة لأسباب لم تزل مجهولة لدينا، فذكرتها أساطير العرب وأخبارهم.

ولنلاحظ أن اسم (الزباء) أو **(زباء)** العربى يتطابق لسانيا مع اسم المملكة والشعب المعروف باسم **(سبأ)**، وهو الأمر الذى يعنى أن المجد الذى حققته الملكة الزباء أو سبأ، جعل الإشارة بعد ذلك إلى بلادها باسمها وإلى شعبها منسوباً إليها، بلاد الزباء أو بلاد الملكة سبأ.

وربما كانت (زباء) التى قيل أنها من ملكات سبأ كانت هى ملكة سبأ التى زارت سليمان، وأغفل الكتاب المقدس ذكر اسمها دون سبب واضح، اللهم إلا إذا كانت الترجمة قد حولتها من (الملكة زباء) إلى (ملكة سبأ). وهو الفرض الذى يجد تأييده فى فراسة (فليكوفسكى) الذى قضى شطراً من عمره يدرس التلمود، ليخرج ضمن ما خرج به بالقول: « إن الرأى الواضح فى التلمود كله أن سبأ فى تسمية ملكة **سبأ ليست تسمية جغرافية** تعود إلى مكان معين، **بل أنه اسم شخص**، حتى المخطوطات العديدة عن جنوب شبه الجزيرة العربية أغفلت أى ذكر لملكة سبأ هذه، عدا الكثيرين من الرحالة والباحثين الذين قلبوا كل حجر فى جنوب شبه الجزيرة، بأمل العثور على أى دليل ولكن **بلا أدنى أى نجاح يذكر فى الكشف عن هذا اللغز** » (٥)

أما أصحاب الأخبار العرب فقد رووا نتفا عارضة عن الزباء، فهى عند ابن قتيبة **ابنة ملك الجزيرة**، وأنها قتلت زوجها جذيمة الأبرش (٦)

وإن ذهبت الأغلبية منهم إلى أن الزباء من العمالقة، ويلخصه القول إن: « **العمالقة من ملوك حمير كانوا بالشام، ومنهم الزباء** قاتلة جذيمة الأبرش الملك الأزدى، وهم **من ولد عمليق** بن السميدع بن الصوار بن عبد شمس، **والعماليق من ولد عملاق بن لاوذ بن سام، منهم الفراعنة ملوك مصر** » (٧)

أما المؤرخ (ابن العبرى) فيقدم لنا تعريف بالملكة التى زارت سليمان بقوله: « وأتته **ملكة التيمن** وقدمت له مائة وعشرين قنطاراً من الذهب وطيباً وجواهر ثمينة»(٨)،والتيمن ليس اليمن إنما هو واحدة من كور بلاد آدوم. وقبل (الملكة سبأ) ومملكة سبأ نجد ذكراً لحضارة جنوبية تجارية كبرى باسم معين، وأنها أقامت لها محطات تجارية كبرى، وأنها قامت فى الجنوب وامتدت حتى حدود الجزيرة الشمالية عند معان

---

(٥) فليكوفسكى : عصور.. سبق ذكره، ص ١٣٢.

(٦) ابن قتيبة: المعارف، تحقيق د. ثروت عكاشة، دار المعارف، القاهرة، ط٤، ١٩٨١، ص ٦٤٥.

(٧) حسين الويسى: اليمن الكبرى، النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٣، ص ١٧٤.

(٨) غرغوريوس الملطى المعروف بابن العبرى: تاريخ مختصر الدول، د.ن، د.ت ص ٣٢.

المصرية. والظن أن معان المصرية اكتسبت إسمها من كونها أصلا محطة معينية، ثم نعتت بموضعها في جوار مصر الأقصى (آدوم وسيناء)، فسميت معان المصرية (معان مصران). أما النص المعينى أو المعانى الذى جاء به(هومل) من بلاد اليمن واكتفى بترجمته دون أن يخبرنا بدلالته فهو القائل: إن القوافل التجارية المعينية كانت تذهب بتجارتها إلى **غزة ومصر** (بالنص) وذلك:

" عبر **نهران وآدوم** ". !!! ؟

أن وصول التجارة المعينية إلى مصر المعروفة كان يمر أولاً مخترقاً منطقة تحمل اسم نهران ولازلنا نذكر نهارين/ ميتاني/ مديان، ثم منطقة آدوم في الجوار، وفى النقش رقم ٥٣٥ الذى جاء به من الزمن الآركيولوجى (هليفى) نجد حديثاً يترجم بلا معنى بدوره، يتكلم عن علاقات تجارية لمعين اليمنية مع مصر وآشور، وأن الطريق التجارى كان يمر:

" عبر **نهران** "

التى يترجمها

" أرض النهر ".

ويضيف، لابد أنها غزة؟! ثم لا يعطينا تفسير **لماذا غزة (؟!)** أما الأغرب أنه ضمن نقوش (هليفى)، وبالتحديد فى النقش رقم (٥٠١)، نجد فى بلاد مدين عند العقبة ملكا معينيا والمفترض أن معين باليمن(؟!) وأن هذا الملك يحمل اسم (وقهى إيل **نبط**)(٩) وهو ما يذكرنا باسم تلك البلاد الذى افترضناه بلاد **(بونت)** التى عرفت بعد ذلك باسم **(النبط)** أو (الأنباط). ثم نجد المؤرخين المسلمين من الإخباريين القدامى، يذكرون لنا (يثرون) كاهن مديان نسيب موسى باسم (شعيب) وأن " شعيب النبى **من حمير** " (١٠).

أليست تلك بقرائن مبينة؟؟ وأن زمان المعينيين كان يعرف بلاد (آدوم/ مدين) بأنها (نهران) أو (أرض النهر)، وأن العلاقات بين الشمال والجنوب وصلت حد الالتحام حتى حكم بلاد (مديان/ آدوم) ملكا معينيا؟ وعاش فيها (شعيب) الحميرى، وشعيب مديانى كما نعلم عادة، مما يعنى أن بعض سكان مدين كانوا من اليمن.

ومما يثرى رصيدنا هنا ذلك النص الآشورى الذى وردنا من زمن الملك (سنحاريب)، ويذكر فيه الجزية التى دفعها له ملك سبأ (كرب إيلو) ، وهى الجزية، التى تتكون من منتجات **العطور والأحجار**، كانت تليق ببناء مُطعم بالذهب والفضة والأحجار النادرة، فقد كانت لبيت الإله أكيتو، أو كما يقول النص مؤكدا على أن الأحجار، تلك الأحجار التى لا شك لم تكن ككل الأحجار لكنها أحجار تليق ببلاد آدوم:

عند وضع الأساس لبيت أكيتو، قدمت الهدية التى أمر

---

(٩)فرتز هومل: التاريخ العام لبلاد.. سبق ذكره، ص ٦٨، ٦٩، ٧١، ٧٢.

(١٠) الويسى: اليمن.. سبق ذكره، ص ١٧٤.

ملك سبأ بإحضارها، وهى عبارة عن أحجـــار كريمـــة وروائح، **وأحجار**، ومن هذه الهدية وضعت أنا **الأحجار** والروائح فى بيت أكيتو .. فضة وذهبا، **وحجر** أوكنـــو **وحجر** ساندو **وحجر** خلالو **وحجر** مشجر **وحجر** أورس **وحجر** أودشش، وسكبت ماء النهر(١١).

ويعنينا هنا أن نورد مقطعا من المؤرخ اليمنى محمد عبد القادر بافقيه يشير فيه إلى أن الدكتور فرتـــز هومل يقول :

إن الفترة السابقة لتاريخ سبأ الحقيقى بـــدأت خـــارج اليمن، ويرجح أن هذا الوطن الخارجى **كان فى الأصل شمال بلاد العرب**، ومثل هذا هذا سبق أن **أوصى بـــه سترابو ، حين ربط بين الأنباط والسبأيين** لكونهم أول من سكن العربية السعيدة. وتمشيا مع هذا الرأى **اقترح الأستاذ و. ف. ألبرايت، تاريخا لهجرتهم من الشـــمال إلى الجنوب اليمنى حوالى ١٢٠٠ ق.م**، ذاهبا فى نفس الوقت إلى أن هجرتهم تلك تأتى بعـــد هجـــرة القبائـــل الأخرى (معين وحضرموت وقتبان)، والتى حدثت فى تقديره حوالـــى ١٥٠٠ ق.م، ولكننـــا لا نســـتطيع أن نقطع برأى فى هذه القضية الشائكة، التى يكتنفها الظلام من كل جانب،...

وقد ورد اسم سبأ بكثير مـــن التفخـــيم فـــى الكتابـــات الكلاسيكية ومنهم بلينى، بأنهم أشهر من عـــرف مـــن قبائل البلاد العربية، وأفرد لهم سترابو فقرة مطولة نقلا عن ارتميدوس وصف فيها بلادهم، وذكر فيهـــا أنهـــم شعب **كبير التعداد** ، وأن بلادهم شديدة الخصوبة، **تنبت المر واللبان**، وأنواع أخـــرى مـــن الأعشـــاب ذكيـــة الرائحة، وزعم أن لها **أفـــاع حمـــراء داكنـــه**، طـــول الواحدة منها شبر، **تقفز** إلى خصر الإنسان وأنهـــا إذا لدغت فإن لدغتها غير قابلة للشفاء. (١٢)

---

(١١) هومل: التاريخ العام لبلاد.. سبق ذكره ، ص ٧٦، ٧٧.

(١٢) محمد عبد القادر بافقيه: تاريخ اليمن القديم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت،١٩٨٥، ص ٥١ ، ٥٢.

أما الكتاب المقدس فكان يذكر على الدوام الكوشيين بالترافق مع السبأيين والكوشيون هم الجنس الزنجى الأسود. أما الغريب حقاً ويلتقى مع أطروحتنا إلتقاءً مدهشاً، فهو أنه **يجعل الكوشى أخاً للمصرى وللكنعانى**. لقد كان الكوشى أو السبأى يعيش على الحدود المصرية فى بلاد آدوم، وعلى حدود فلسطين (بلاد كنعان) الجنوبية، وقد وجدت لغة الكتاب المقدس تعبيرها عن تلك العلاقة الجغرافية بقولها أن الكوشى أخو المصرى والكنعانى ساكن فلسطين. خاصة إذا لم ننس أن على تلك الحدود كانت تقع مصر الأقصى حسبما أخبرنا هروشيوش ويصبح مفهوما لنا نص التوراة الذى كان شديد الغموض يقول:

بكران **مديان** وعيفة كلها **تأتى من شبا**

أشعيا ٦/٦٠

وعند الأركيولوجست (ديتلف نيلسن) نجد ذكراً لنصوص جنوبية تحدثنا عن مدينة تجارية باسم (كانى [illegible])، وقد رجح أنها ربما كانت هى حصن الغراب اليوم. [١٣] لكن ألا تشير (كانى) تلك إلى (قينى) أو (القينيين) الحدادين؟! وهل تلك هى المدينة التى قال لنا المؤرخون أنها كانت عاصمة بلاد (ميتانى / نهرين/ الحور)، الواقعة زعما فى أقصى شمال الرافدين الأعلى باسم (واشو كانى)؟ وهل يمكن وضع (واشو - كانى) تلك فى محيط بلاد آدوم بدورها؟

وهل التواصل الغريب بين الجنوب والشمال لجزيرة العرب يمكن ملاحظته فى تشابه أسماء الأعلام؟ وما يعنينا منها ذلك الاسم الذى تم العثور عليه فى حفائر بابل، وذلك فى قبر لعربى جنوبى كان يدعى (هنتشر بن **عيسو**) [١٤] وعيسو كما عرفنا هو (آدوم الحورى). فى الشمال.

وفى نصوص تجلات بلاسر الثالث الآشورى نقع على جدول بالجزية التى وصلت عاصمته، والبلاد التى أرسلتها وأسماء ملوكها، وفى آخر ذلك الجدول نقرأ بترتيب جغرافى الجزى التى وصلته من ملوك متجاورين كالآتى:

سابينو بعل ملك بيت **عمون**، وسلمانو ملك **موآب**،
وميتنى ملك **عسقلان**، وأحاز ملك **يهوذا**، **وكوش**
ماليكو ملك **ايدوم**، وملك **غزة** [١٥].

وكلها فى ذات الموقع لأن عمون وموآب تلاصقان شرقى البحر الميت وعسقلان على الساحل الفلسطينى ويهوذا جنوبى فلسطين ملاصقة لآدوم، ثم آدوم الممتدة من البحر الميت إلى خليج العقبة، وملكها اسمه الأسود أو الزنجى (كوش) وغزة على المتوسط فى ذات الجوار.

---

(١٣) ديتلف نيلسن: تاريخ العلم، ضمن كتاب التاريخ العربى القديم، ترجمة د. فؤاد حسنين، مكتبة النهضة المصرية القاهرة، ١٩٥٨، ص ٨.

(١٤) الموضع نفسه.

(١٥) فراس السواح: الحدث .. سبق ذكره، ص ١٠٦.

وفى زمن آسر حادون ابن سنحاريب الآشورى ٦٨٠ – ٦٦٩ ق.م ، تجرى حرب مع عدد من الملوك منهم " **كوش** جبرى ملك إيدوم " (١٦).

ولعله من الواضح هنا أن بعض ملوك آدوم حتى هذا الزمن المتأخر كانوا يحملون صفة (كوش) وفى النص الأول يمكن أن نرى فيه صيغة (الملك الكوشى)، وفى الثانى صيغة من معنى جبار وجبروت (كوش جبرى)، فهو الكوشى الجبار، أو جبرى الكوشى.

والنصان يرددان نظريتنا المتواضعة بكل فصاحة بشأن العمالقة فقد قلنا أن من ألقابهم الجبابرة، وعم لاق أو عملاك، وهنا يأتى كوشى الزنجى مرة بكونه (ماليكو) وهى بزيادة عم تصبح (عملاقى)، ثم مرة بكونه (جبرى) أو جبار.

والكتاب المقدس وهو يسجل قرابات الشعوب وأصولها، يجعل الكوشى أخا للمصرى، يسكن إلى جواره، ونسل ذلك الكوشى الذي سميت بأسمائهم مواضع جغرافية يمكنك أن تجده جميعا فى حدود سيناء الشرقية، مثل سبأ وددان وحويلة حسب شجرة الأنساب التوراتية. وأنهم كانوا أبناء عمومة للكنعانيين بمدنهم الواردة بأسماء أشخاص كأبناء لكنعان بن حام، مثل صيدون (صيدا) ويبوس (أورشليم)، الأموريين الذين عاشوا فى بلاد الشام.. إلخ

ثم يفرق الكتاب المقدس بين جنسين من الشعوب هما الجنس السامى والجنس الحامى، لكنه يجعلهما أخوين. ثم يذهب بنسل سام جميعه مع خلط شديد إلى فلسطين وجنوبها، والى جنوب جزيرة العرب، وكل هؤلاء الساميين عنده إخوة لأب واحد أو فروع لجنس واحد. فمن نسل سام جاء عابر الذى أنجب يقطان، ومنه جاء حضرموت ودقله وأوفير وشبا، وكلها أسماء لمواضع تقع جنوبى الجزيرة. ومن عابر أيضاً جاء ابراهيم ونسله الإسرائيلى والآدومى والإسماعيلى وكلها أسماء لمواضع تقع شمال غربى الجزيرة على الحدود السينائية.

ومع تذكرنا لما ورد فى تاريخ (هيرودت) عن قدوم العنصر الفينيقى الكنعانى من البحر الأريتيرى إلى المواضع التى استقر فيها على سواحل المتوسط الشرقية، نجد أنفسنا فى حيرة والتباس لا يحله إلا افتراض أن المملكة التجارية التى قامت فى بلاد آدوم **كانت على تواصل مع منابع تجارتها فى الجنوب اليمنى والإفريقى طوال الوقت،** الأمر الذى أدى إلى هجرات وتداخل بين شعوب المنطقة. وكان طبيعيا تماما أن نجد العنصر الزنجى الأسود – حيث العاج والذهب والقردة وجلد الفهود – أحد العناصر الأساسية للشعوب التى وصلت بلاد آدوم واستوطنتها، وربما من ذلك العنصر كانت (الملكة زباء) أو الملكة (سبأ). ولايفوتنا الإشارة هنا أنه لايوجد مسمى لتلك الملكة بالإسم الشائع (بلقيس) داخل المقدس التوراتى أو القرآنى. إنما ورد هذا الاسم فى روايات شارحة لحقت بالنصوص المقدسة. أما الثابت فهو أن (حبشتان) بلغة الجنوب

(١٦) نفسه: ص ١١٨.

العربى وتعنى **(الأحباش) كانوا يسكنون حسبما ذكر (أورانيوس) على شاطئ البخــور.** [١٧] وإن أول ملــك لسبأ اليمنية حسبما يخبرنا به نقش (جلازر) رقم (١٤٤٧)، كان يحمل اسم (سمو هو عليا) أو (شوموهوعليا) كما كتبه هومل[١٨]، ويترجمه المؤرخ فؤاد حسنين **(سمه على)** الذى يتحدث عن نفس الـنقش ويقــول: " إن سمه على يتحدث فيه عن تقديمه البخور والمر إلى الإله السبأى القومى **المقه** باسمه ونيابه عن قبيلته التــى قادها فى الفيافى والقفار إلى الأرض السعيدة، التى **تفيض لبنا وعسلا** " [١٩]

وهنا يجب ألا يفوتنا أن (سمه على) هو بالنطق الصحيح دون أية تجــاوزات لغويــة يمكــن نطقــه (سماعيل) أو (إسماعيل). ويستمر فؤاد حسنين ليذهب أبعد من (هومل) فيرى أن كل حضارات الجنوب قتبان ومعين وحضرموت وسبأ، إنما قدمت الى الجنوب مع أهلها فى هجرة قادمة من الشمال وذلك فى قولــه " إن هجرة القبائل السينية، – التى تمتاز باستخدام السين فى صيغة السببية وضمير الغائب وهى القتبانية والمعينية والحضرمية – من الشمال الى مواطنها التاريخية قبل عام ١٥٠٠ ق.م، أما هجرة **القبائل الهائيــة** وتمتــاز لهجتها باستخدام الهاء فى صيغة السببية وضمير الغائب، وهى السبأية، من الشمال قبل عام ١٢٠٠ ق.م ... " [٢٠]

وعليه فإذا تحدثنا عن سبأ فإنه يمكن نطقها (هبا) أو سبا فكلاهما صحيح، وكانت (هبات) كمــا ســبق وأسلفنا إلهة ميتانية معبودة، واعتبر المورخون أن مقر عبادتهما كان بالرافدين الأعلى حيث بــلاد ميتــانى المزعومة. و(هبات) هى مؤنث (هبا) أو (سبا)، وإلى (هبا) هذا انتسبت الاميرة الميتانيــة (جيلوهبــا) التــى يكتبها البعض (جيلوخيبا) والبعض (جيلوهيبا) والبعض (يلوكابا)، وهى التى تزوجها الملك المصرى (أمنحتب الثالث) عاقدا بها صداقته الحميمة مع سكان البلاد التى عرفت باسم ميتان التى تصورها المؤرخون واقعة فى الرافدين الأعلى باسم (ميتانى). ولاننسى أن زوجة عمران العبرانى والد النبى (موسى) وأم هذا النبى كــان اسمها (يوكابد) أو (يوكابا) حسبما جاء بالتوارة .

وقد لاحظ (لويس عوض) أن حرف السين يتم تبادله مع حرف (هــ) ما بين اللغتين السامية والحامية، فالعربى يقول مثلا: سأذهب سأعمل والمصرى يقولها نفسها: هأذهب، هاعمل[٢١].

وهنا يفيدنا (فرتزهومل) أن سكان سبأ فى الجنوب العربى مع انتشارهم الواسع كانوا ينقســمون إلــى طبقات حسب وظائفهم، ومن هذه الطوائف تلك الطائفة التى حملــت اســم **(ا.د.و.م.ت)** [٢٢]. فهــل كانــت (أدومت) طائفة وظيفية كما قال ؟ أم أنها يجب أن تحيلنا الى بلاد (آدوم)؟ والأكثر غرابة أنه قد وجــد لقــب

---

(١٧) فرتز هومل: التاريخ العام.. سبق ذكره ص ٩٣.

(١٨) نفسه: ص ٧٧، ٧٨.

(١٩) فؤاد حسنين: تعقيبات على ترجمته لكتاب التاريخ العربى القديم بعنوان استكمال/.. سبق ذكره، ص٢٧٩.

(٢٠) نفسه: ص ٢٨٣.

(٢١) لويس عوض: مقدمة فى فقه اللغة، دار سينا، القاهرة، ١٩٩٣، ص ١١١.

(٢٢) هومل : التاريخ العام .. سبق ذكره، ص ١٣٠.

(قين) ينتشر فى بلاد سبأ واعتبره أيضا لقبا لطائفة وظيفية(؟!)(٢٣) ونحن نعلم مما سبق ان القينى هو المديانى صانع الحديد والنحاس ، كما يضيف لقبا آخرا يعتبره لقب الشيوخ الكهنوتيين، هو **(خليل)** (٢٤)، ويقول إنــه اقتصر على أحد أفخاذ سبأ ، و(خليل) هو لقب البطرق (إبراهيم) كما نعلم، خاصة وأنه يقول: إن ذلك الفخــذ كان من أسرة قرأ أسمها فى النقوش (حذفر) (٢٥)، وهو فى رأينا ما يلتقى مع الاسم (آذر) أبى إبراهيم كمــا ورد بالقرآن الكريم.

وبدون أن يقيم (هومل) أية علاقة مما نجازف نحن به هنا، أراد التأكيد على تواصل الجنوب بالشــمال عند مدين تحديداً زمن الدولة المعينية فقال: " وفى تلك البلاد ظهر موسى واحتضنته بلاد **مــدين المعينيــة** " (٢٦).

وبين قوائم الملوك المكاربة لسبأ ممن حكموا باليمن من حوالى ٨١٥ ق.م حتى ٥١٠ ق.م نقــف مــع أسماء لا يصح إغفالها، وهى أسماء مركبة، من قبيل أسماء الملوك (أنمارم **يهو** امين) و (نشمى كرب **يهــو** أمين) و (كرب إيل وتر**يهو**نعم). (٢٧) ولنا هنا ان نرتاح لاستنتاج (هومل) وهو يقول أن الاسم (يهو) الــوارد فى تركيب تلك الاسماء يشير الى الإله الإسرائيلى (يهوه) ونحن نعلم ان يهوه كان إلها سينائياً مصرياً قابلــه موسى فى عليقة مشتعلة. أما الطريف حقا، فهو أن بين الأسماء التى عددها لنا (ديتلف نيلسن) لآلهة الجنوب اليمنى، يطالعنا منتصبا ذلك الإله الذى تكرر ذكره فى النصوص باسم **(ذوشرى)**(٢٨).

وهكذا يمكنا أن نستنتج أن السبئيين قد عادوا جنوبا حوالى عام ٩٠٠ ق.م الى مواطنهم الأصلية، ولــم يأتوا اليمــن مهاجرين من أصول جنسية بعيدة إنما كانوا فيها وعادوا إليها .وقد ترافق تاريخ قيام دولتهم فى الجنوب قبل ظهور مملكة سليمان فى فلسطين. مما يعنى أنهم كانوا موجودين فى بلاد آدوم منذ زمن طويــل قبل قيام مملكة سليمان، وأنهم كانوا متواجدين فى آدوم زمن الأحداث الكبرى التى ترويها التوراة عند دخول بنى إسرائيل إلى مصر وخروجهم منها، وأنهم كانوا يعبدون إله مديان (يهوه) الذى اكتشفه موسى فى نبــات مضئ فى بلاد مديان السينائية وكذلك الإله ذى الشرى. أما أسباب ذلك الرحيل جنوباً للسبأيين فيجد صداه فى تلك المعارك التى دارت بين الأقارب فى شرقى سيناء مع التفكك الذى أصــاب الأحــلاف، عنــد خــروج الهكسوس ثم الإسرائليين من مصر، وازداد أواره عند قيام مملكة إسرائيل على يد منشئها الأول شاول الــذى تركها لداود وولده سليمان، وفى زمن شاول نقرأ بالكتاب المقدس:

وقال صموئيل لشاول: إياى أرسل الرب لمسحك ملكــا

---

(٢٣) نفسه ص ١٣٩.

(٢٤) نفسه: ص ١٤١.

(٢٥) الموضع نفسه.

(٢٦) نفسه: ص ١٠٧.

(٢٧) نفسه: ص ٨٩ .

(٢٨) نيلسن: الديانة العربية .. سبق ذكره، ١٩٠.

على شعبه إسرائيل، والآن فاسمع صوت كلام الـــرب، هكذا يقول رب الجنود: إني قد افتقدت ما عمل عماليق باسرائيل حين وقف له فى الطريق عند صـــعوده مـــن مصر، فالآن اذهب واضرب عماليق، وحرمـــوا كـــل ماله، ولاتعف عنهم بـــل اقتل رجلا وامـــرأة، طفـــلا ورضيعا، بقرا وغنما جملا وحمارا، فاستحضر شـــاول الشعب وعده فى طلايم مئتى ألف رجل، وعشرة آلاف رجل من يهوذا، ثم جاء شاول الى **مدينة عماليق** وكمن فى الوادى، وقال شاول للقينيين: إذهبوا حيدوا وانزلوا من وسط العمالقة لئلا أهلككم معهم، وأنتم قـــد فعلـــتم معروفا مع جميع بنى اسرائيل عنـــد صـــعودهم مـــن مصر، فحاد القينى من وسط عماليق، **وضرب شـــاول عماليق من حويلة حتى مجيئك إلى شور التى مقابـــل مصر.**

صموئيل أول ١/١ – ٧

وإذا كان الكتاب المقدس قد وصف العمالقة بأنهم جبابرة طوال القامة فإنه هو نفسه يصـــف الســـبأيين بقوله: " السبأيون **ذوو القامة** / أشعيا ١٤/٤٥ ". كما أن قاموس الكتاب المقدس يقول لنا تحت مادة سبأيون: " أهل سبأ وهم المذكورون فى سفر أيوب ٥/١ **وهم شعب طويل القامة**، وكانوا يغيرون على البلاد ويســـبون ساكنيها كما فعلوا مع أيوب، وهم **يتنقلون من بلد** إلى بلد (ايوب ١٩/٦) **وكانوا يتاجرون فى العبيد** (يوئيـــل ٨/٣). ويعتقد دلمان أنهم **فرع من الكوشيين**.. وكانوا أهل حضارة، **ويشتغلون بالتجارة**، فتاجروا فى الذهب والعطور **ولم تقتصر تجارتهم على حاصلاتهم المحلية بل امتدت إلى حاصلات الهند والحبشة**، وانتشر أهل سبأ فى الأراضى حتى وصلوا إلى **شمال غربى بلاد العرب**.. ووصلوا إلى شمال الصحراء **مـــع النبطيـــين**، كما امتزجوا بالقبائل الأخرى عن طريق الزواج والارتباطات السياسية. وكان من تأثير ذلـــك أن **اختلطـــت سلاسل أنسابهم** " ويضيف تحت مادة (شبا) أنهم كانوا مشهورين بأنهم تجار ذهب وتوابل وأحجار كريمـــة، وهم أيضا **تجار رقيق** (يوئيل ٨/٣). ورغم أن الكتاب المقدس لم يقل أبداً بمملكة سبأية شمالية جوار فلسطنين فإن قاموس الكتاب المقدس قد لاحظ ان السبأيين كانوا " حراس صحراء أيوب ١٥/١ و ١٩/٦ " وأيوب كان يعيش جنوبى فلسطين على حدود بلاد آدوم، مما يعنى أنهم كانوا فى ذات الجوار.

وفى الحديث النبوى أن رسول الله محمد (ص) قد سأل عن سبأ فأجابه رجل من نسابة العرب بقوله أنه كان رجلا " أولد عشر، تيامن منهم ستة (أى سكنوا اليمن/ المؤلف)، هم حمير وكنـده وهمـدان ومـذحج والأشاعر وأنمار، وتشاءم أربعة (أى سكنوا الشام/ المؤلف) هم جذام ولخم وعاملة والأزد " [٢٩].

وهنا لا تفوت العين المدققة أن النبى موسى كان قد تزوج (صفورة) بنت الكاهن المديانى (يثـرون) أو (رعوئيل)، ولا نعلم عنها أكثر من ذلك حتى يفاجئنا الكتاب المقدس دون أى تفسير أن تلك الزوجـة كانـت سوداء زنجية (كوشية) وهو ما يعنى **أن المديانيين كانواجنساً أسوداً** وهو ما تفيدنا به قصة الخـلاف بـين الأشقاء هارون ومريم فى جانب وموسى فى جانب آخر:

وتكلمت مريم وهارون على موسـى **بسـبب المـرأة الكوشية** التى اتخذها، لأنه كان قد اتخذ امرأة كوشية.

عدد ١٢/١

ويبقى السؤال: هل عرفت نصوص مصر سكانا قطنوا شرقى سيناء باسم سبأ؟ . الحقيقة أننا لم نعثـر على ذلك الاسم دالا على شعب ما، لكنا وجدنا الاسم بذات الرسم مكتوبا س ب ء فتقول نصوص الأهرام " إن الأفعى فى السماء، س ب ء. ح ورعلى الأرض[٣٠] " فماذا تعنى (سبأحور)؟

يمكن الاستنتاج أن سبأحور إشارة إلى **(سبأ) التى عاشت فى وادى حور** فى بلاد آدوم الحورية. على أن النص هنا يتحدث عن ثعبان باسم (سبأ)، يعبد فى عين شمس كتعويذة ضد الحيوانات الضـارة وأعـداء الأرباب، وألحقت عبادته بمقابر الموتى، واعتبر أحد تجليات أوزيريس إله الموتى. وهو عين الأمـر الـذى يحيطنا به علما (بدج) فى معجمه حيث يقول إن (س . ب) تعنى دودة كما تعنـى أفعـى، و(س ب ء) الإله الأفعى رئيس الأرواح السبعة التى تحرس أوزيريس، و (س ب ء ور) اسم الإلـه، و (س ب ء ح ر) معبود قبيح الوجه. ويمكن ان نلمس فى الاسم (س ب ء – ور) تشابها يكاد يصل حد التطابق مع اسم زوجة موسى المديانية (صفورة) س ب ء ور

س ف وره

وإذا رجعنا إلى العربية وجدناه فى صيغة (سف)، وإن كان لسان العرب قد خصصها فى مادة سفف بنوع من الحيات فى قوله

" السف **حية تطير فى الهواء**"، وأنشد الليث:

وحتى لو أن **السف ذا الريش** عضنى

(٢٩) الويسى اليمن .. سبق ذكره، ص ١٦٥ .

(٣٠) فهمى خشيم: آلهة مصر .. سبق ذكره، ص ٤٢٦.

لما ضرنى من فيه ناب ولا ثعر.

و(الثعر) هو السم. أما (صفورة) زوجة موسى فقد كتبتها اللغة العربية (صفية) التى يجب أن تقارن مع (سف). والغريب فى بابه أن هيرودت فى القرن الخامس قبل الميلاد أثناء حديثه عن بلاد العرب وبخورها العطرى يقول فى الكتاب الثالث فقرة ١٠٧ – ١١٣: " وهم لكى يجمعوا اللبان يحرقون تحت أشجاره نوعاً من الصمغ يدعى ستيراكس أى الميعة.. لكى يطردوا أسرابا كثيرة من **الحيات الطائرة** المختلفة الأنواع التى تحرس أشجار اللبان، فتتجه تلك الحيات بمجموعها شطر مصر ".[٣١]

وفى تاريخ هيرودت يسجل عن زيارته لشرقى دلتا مصر على الحدود السينائية، أن هنا تبدأ بلاد العرب، ثم يردف " ويوجد فى بلاد العرب مكان يقع تقريبا تجاه مدينة **بوطو**، وقد ذهبت إلى هذا المكان فى أثناء بحثى عن الحيات ذات الأجنحة، ولما وصلت رأيت كميات تفوق الوصف من عظام الحيات ومن أعمدتها الفقرية ". ثم يشرح لنا شكل ذلك المكان بقوله " وهو عبارة عن **ممر ضيق** بين الجبال ينتهى بسهل فسيح، ذلك السهل **يتاخم حدود مصر** ويقال إن الحيات ذات الأجنحة تطير عند بدء الربيع **من بلاد العرب** إلى مصر، وأن **أبا منجل** يتصدى للقائها عند مدخل هذا الممر، ولا يسمح لها بدخول مصر، بل يهلكها .. أما الحيات ذات الأجنحة فتشبه فى شكلها حيات الماء، أجنحتها بغير ريش تشبه على وجه التقريب أجنحة الخفافيش [٣٢] "

لقد كانت الحية المعروفة باسم (سفا) أو (سبأ) أحد أنواع الحيات الطائرة، وهو النوع الذى يطير كالسهم ليرشق بجسد فريسته، ويفلطح جلد بطنه ليتحول إلى ما يشبه الأجنحة التى تساعد على الطيران. وكان محل تواجدها بلاد العرب عند واد ضيق بين جبال يفضى إلى واد فسيح، وأن فى هذا المكان مدينة تدعى (بوطو).ونحن نعلم من جغرافية مصر القديمة أن مدينة باسم (بوتو) كانت تقع فى وسط غربى الدلتا وليس فى شرقيها، فهل التبس الأمر على هيرودت؟ وهل ياترى قد كتب (بوطو) وهو يقصد (بونت)؟ هنا يجب أن نظن ذلك ..

ثم نتابع هيرودت إذ يقول : إن هناك كان طائر من نوع أبى منجل يتصدى للحيات الطائرة السبأية على حدود مصر ليمنعها من الدخول . وأبو منجل طائر يقع ضمن فصيلة طيور سبق وعرفناها باسم طائر الفينيق أو الطائر البونى أو البونتى .

ويسوق لنا (بلوتارك) معلومة كانت تتواتر عند شعوب زمانه وما قبل زمانه، عن طائر عدو للحيات القاتلة، وأنه قد تم تقديسه لهذا السبب تحديداً فى أكثر من موطن وفى أكثر من بلد. يقول بلوتارك: " إن

(٣١) نفسه: ج١، ص ٤٢٦، ٤٢٧.

(٣٢) هيرودت يتحدث .. سبق ذكره، ص ١٨٠ ، ١٨١.

الطائر أبو منجل هو الذى يقضى على الزواحف الخطيرة " [٣٣] لهذا " يكرم أهل تساليا اللقلق لأن هذا الطائر يظهر عندما تخرج الأرض من جوفها أسرابا من الثعابين، فيبيدها عن بكرة أبيها. ومن أجل ذلك سنوا قانونا يحكم على كل من يقتل لقلقاً بالنفى من البلاد " [٣٤]

وتأكيداً لرأينا فى العلاقة الوطيدة الرابطة بين موطن طائر الفونيكس وبين البونتيين/ الفينيقيين/ الكنعانيين/ شرقى مصر، نقرأ عند (عبد المنعم عبد الحليم) قوله عن نفسه أنه قد " بدأ بدراسة النشاط البونتى وعلاقته بمصر، وناقش **الآراء التى تربط الفينيقيين والبونتيين وتنسبهما إلى مناطق البحر الأحمر**، وأنه درس الأسماء المصرية والإغريقية للبونتيين والفينيقيين واشتقاقاتهما ومعانيها، وخاصة المعانى المختلفة للاسم الإغريقى [illegible] والاسم المصرى **بنو** والمسميات الأخرى التى تشير إلى **اللون الأحمر**، أو تشير إلى **المناطق الصحراوية**. وقد لاحظ الباحث (أى عبد المنعم عبد الحليم) **أن الاسم بنو** وهو الاسم المصرى للطائر الخرافى المسمى فى الإغريقية [illegible]، **يطلق على المقاطعات المصرية الواقعة شرقى النيل** التى تنتهى عندها الطرق الصحراوية القادمة من البحرالأحمر والصحراء الشرقية. وبمقارنة هذا الاسم بالكلمة المصرية وبن بمعنى يشرق، رجح الباحث [أى عبد المنعم عبد الحليم] أن المصريين ربما أطلقوا الاسم بنو أو اسما مشتقا منه على **الجماعات التى كانت تفد إلى مصر من المناطق الشرقية ومنهم البونتيين وأنهم ربما أطلقوا هذا الاسم على سائر المناطق الواقعة إلى الشرق من مصر، ومن بينها بلاد العرب**.وأن هذا الاسم قد تحول فى العصر البطلمى إلى كلمة تعنى رجل من بلاد البخور. وأن هذه التسمية ربما كانت الأصل فى الرواية التى رددها هيرودت بشأن العلاقة بين طائر الفنكس وهو طائر البنو فى المصرية، وبين بلاد العرب [٣٥] ".

ولكن لأن (عبد المنعم عبد الحليم) من أنصار النظرية القديمة التى تضع بونت على الساحل الصومالى، فإنه أبداً لم ينتبه إلى كل الشواهد المتراكمة المتزاحمة في هذا النص الصغير والتي لو دقق النظر فيها لذهبت به إلى اكتشاف بلاد بونت في بلاد العرب فى وادى عربه. وحيث كان اصطلاح بلاد العرب آنذاك قاصرا على وادى عربة وسيناء وشمالى الجزيرة الحالية فقط، المهم أنه يتابع فيقول: " وبالنسبة للتشابه الملفت للنظر بين نشاط البونتيين ونشاط الفينيقيين فى البحر الأحمر، والآراء التى تعتبر الفينيقيين أحفاداً أو **حلفاء** للبونتيين، وكذلك الروايات الكلاسيكية التى تنسب الفينقيين إلى البحر الاريترى الذى كان يشمل البحر الأحمر مثل رواية هيرودت. فإن الباحث [أى عبد المنعم عبد الحليم] يرى أن الشواهد الكثيرة ترجح ذلك. لكن نتيجة **عدم وجود أدلة حاسمة** حتى الآن على هذه الصلة، فإنه من الممكن افتراض أن الفينيقين بوصفهم إحدى الجماعات التى خرجت مع الهجرة الكنعانية من شبه الجزيرة العربية، عندما **لاحظوا أوجه كثيرة**

(٣٣) بلوتارك: إيزيس وأوزيريس، ترجمة حسن بكرى ومحمد خفاجى، دار القلم، القاهرة، د.ت، ص ١٠٨.

(٣٤) نفسه ١٠٧ .

(٣٥) عبد المنعم عبد الحليم: موجز رساليته .. سبق ذكره، ص ٣١، ٣٢.

للتشابه بينهم وبين البنونتيين الذين يرجعون فى أصولهم البعيدة إلى الجزيرة العربية أيضا، فربما دفعتهم حاستهم التجارية إلى الاستفادة من ذلك التشابه فنسبوا أنفسهم إلى البحر الأريترى كما جاء فى رواية هيرودت حتى يكتسبوا حقوقا فى استغلال تجارته الرائجة إزاء الشعوب الأخرى التى كانت تنافسهم فى هذا الاستغلال » (٣٦).

وهكذا، وبسبيل تمسكه بالنظرية التقليدية، يلقى عبد الحليم في المهملات ما لاحظه من تشابه بين البونتى والفينيقى، ويضع تخريجا لطيفا سريعا على عادة مؤرخينا يقول أن الفينيقيين أرادوا الشهرة التجارية فنسبوا أنفسهم إلى التجار القدماء المشهورين بالبونتيين؟ هكذا بكل بساطة ؟!! هذا بينما نرى نحن بعد كل ماقدمنا ومع كل المقبل فى بحثنا هذا، **أن الفينيقيين الذين ظهروا متأخرين على الساحل السورى اللبنانى، هم أحفاد البونتيين الذين سكنوا وادى عربة، وكانوا ضمن الهكسوس الذين شتتهم ملوك التحرير المصريين، وذهبت بطون أخرى جنوباً مثل سبأ، وأنهم أبداً لم يظهروا على الساحل السورى إلا بعد طرد الهكسوس من مصر، وما أجراه ملوك التحرير من عمليات قمع منظم على بلاد التجار فى وادى عربة،** وأدى إلى تفكك واضح للأحلاف ، فذهب بعضهم جنوبا وبعضهم شمالا.

ونعود للكاتب التوراتى، وطيد الصلة بالمنطقة الآدومية السينائية، لنجده يحدثنا عن ذكريات شعوب المنطقة القديمة، حول الكثير من دواب سيناء والنقب وآدوم فيقول:

وحى من جهة **بهائم الجنوب:**

فى أرض شديدة **وضيقة** ، منها اللبؤة والأسد. الأفعى **والثعبان السام الطيار**. يحملون على أكتاف **الحمير** ثروتهم، وعلى أسنمة الجمال كنوزهم، إلى شعب لا ينفع. فإن مصر تعين باطلا وعبثا، لذلك دعوتها رهب الجلوس.

إشعيا ٣٠ / ٦ ، ٧

لقد كانت تلك الأحداث تجرى فى بلاد آدوم بلاد الحيات التى عرفها المصرى القديم باسم حيات سبأ، حيث تقع البلاد التى حددناها باعتبارها تلك التى عرفها المصريون باسم بونت، أرض الإله والعطور والبخور والتين والمواد العلاجية. فهل ياترى قد عرف العرب بلادهم القديمة آدوم باسم: بونت؟ على اختلاف نطقها؟ فهى تنطق عند جاردنر عن الهيروغليفية (بوينى) وعند إرمان (بونة)؟ مثلاً

يقول ابن منظور في لسان العرب تحت مادة بون:

---

(٣٦) نفسه: ص ٣٢.

البون موضع..، قال الجوهرى: **ألبـــان** ضــرب مــن الشجر، واحدتها بانه .. **وشعب بوان** من أطيب بقــاع الأرض وأحسن أماكنها، وإياه عنى أبو الطيب المتنبى بقوله:

يقول بشعب بوان حصانى
أعن هذا يسار إلى الطعان؟
أبوكم آدم سن المعاصـــى
وعلمكم مفارقـــــة الجنان

.. والبونة هى **البنت** الصغيرة

وشجر البـــان اســـمه باللاتينيـــة [illegible] أى الطرفـــاء الشـــرقية، ويؤخذ من حبه دهن طيب الرائحة، ومن أسمائه العربية البر واليسار والشوع والسياع"[٣٧].

ويقول لسان العرب تحت مادة: بين، ومادة لبن:

غراب البين هو **الأحمر** المنقار والرجلين، .. والبائن: **المفــرط طولا**، الذى بعد عن قد الرجال الطوال .. ونخلة بائنة: فاتــت كبائسها الكوافير ، **وامتدت عراجينها وطالت** .. قال الجوهرى: أبين اسم رجل ينسب إليه **عدن**، يقال: رجل أبين، والبان شجر يسمو ويطول فى استواء مثل نبات الإثل، وورقة أيضا هــدب كهدب الإثل، وليس لخشبه صلابة .. شديد الخضرة، **وينبت فى الهضب**، وثمرته تشبه قرون اللوبياء إلا أن خضرتها شــديدة، ولها حب ومن ذلك الحب يستخرج دهن **اللبان**، وفى التهذيب: البانة شجرة لها ثمرة تربرب بأفاوية الطيب، ثم **يعتصر دهنهـــا طيبا**، وجمعها البان، ولاستواء نبتها ونبات أفنانها بها **وطولهـــا** ونعمتها، شبه الشعراء الجارية الناعمة ذات الشطاط بها، فقيـــل كأنها بانه، وكأنها غصن بان.. **ولبينى اسم ابنة إبليس**، واســـم ابنة لقيس.

(٣٧) على الشوك: جولة .. سبق ذكره، ص ٥٨.

وهكذا احتفظ اللسان العربى بأصل كلمة (لبان) منسوبة إلى بوان أوبونت ، تلك الشجرة العملاقــة ذات الأهداب التى لا تنبت إلا فى الهضاب، ولأن (اللبان) هو ذات عين (المر)، نجد لسان العرب يقول تحت مادة (مرر):

> المرمر هو الرخام .. **وأبو مـــرة كنيـــة إبلـــيس** .. قـــال المدائنى: بلغنا أن **أول من كتب بالعربية مرامر بن مروة من أهل الحيرة**، وقال سمرة بن جندب: نظرت فى كتـــاب العربية فإذا هو قد مر بالانبار قبل أن يمر بالحيرة، ويقال: سئل المهاجرون: من أين تعلمتم الخط، فقالوا: من الحيرة.

والحيرة – كما هو معلوم – هى الإمارة التى قامت قبل الإسلام فى ذلك المكان الذى قامت فيه من قبل دولة الأنباط فى بلاد بونت، ونحن نعلم وكما سيأتى بيانه ، أن اللغة العربية والخط العربى قد تطورا أصـــلاً عن الخط النبطى وهو ما يتفق مع ذكريات اللسان العربى عن (مرامر) الذى من الحيرة **أول من كتـــب**. ولا يفوتنا أنه من بلاد المر أو اللبان يأتى اسم الحجر الجميل المعروف بالرخام، لكن تحت اسم المرمر، منســـوبا إلـــى بلاد المر، بلاد شجر اللبان الضخم الكثيف، بلاد الأيك، التى يشرح لسان العرب بشأنها، فيقول تحـــت مادة (أيك):

> الأيكة: الشجر الكثير الملتف .. وقيل الأيكة جماعـــة الآراك .. على أن الأصل: الأيكة، فالقيت الهمزة فقيل اليكة، ثم حـــذفت الألف فقيل: ليكه، .. قال الجوهرى: من قرأ: كذب أصـــحاب الأيكة المرسلين، فهى الغيضة، ومن قرأ ليكه فهى اسم القرية

وفى العبرية مجموعة الأشجار هى [illegible] ايلون، وعادة ماتخص البلوط، ومن البلوط تســـتخرج مواد عطرية علاجية أهمها زيت التربنتين وهو أحد أشهر العلاجات القديمة، ومعلوم أن البلوط كـــان أهـــم أشجار منطقة النقب فى محيط آدوم. ويقول على الشوك بصدد تلك الأشجار (إيلون): " وإيلون اســـم مدينـــة فلسطينية قديما واسم رجل أيضا، وهناك مدينة **إيلات** على خليج العقبة الشرقى **وهى مدينة آدومية**، يعتقد أن اسمها مشتق من إيلون وتعنى : أشجار، **أيكة**، وقد سماها بطلميوس إيلانا كما ســـماها يوســـفيوس المـــؤرخ اليهودى إيلانه، وأسمها عند العرب آيلة " [٣٨]. فهلا يثبت لنا ذلك أن الموضع الذى اخترنـــاه، كـــان يغـــص بغابات من أنواع مواد التبخير وأشجار التين / البيرسيا؟

ومع الزمن الطويل الذى قضيناه فى بحثنا، كنا نعثر طوال الوقت على علامات مضيئة وكاشفة، مثـــل تلك التى وردت فى العقائد الأوغاريتية (رأس شمرا قرب اللاذقية) عن اعتقاد فى إلهة عظمى مبجلـــة هـــى **الشجرة العالمية المقدسة** بيد أن الباحث (شيفمان) يعتبر عقيدة الشجرة العالمية أصلا لجميع العبادات التـــى

---

(٣٨) نفسه: ص ٦٦.

انتشرت فى حوض المتوسط الشرقى. وكانت تقام لها طقوس عبادة عند الأشجار التى تنبت على الجبال العالية، وسميت مقار تلك العبادة (المرتفعات) و (العُليات)(٣٩). وقد مارس الإسرائيليون هذه العبادة وأشار إليها الكتاب المقدس مئات المرات كما لا تفوتنا المتكررات الدائمة فى بلاد الرافدين التى تشير إلى شجرة عالمية مقدسة، وهو ذات الاعتقاد الذى نجده فى عقائد مصر القديمة.

والآن لنلمس بسرعة القصة الموسوية لنعود لمتابعة التأسيس:

قديما لاحظ الفيلسوف اليونانى (أرسطو) أن بعض جذوع النبات تصدر ضوءاً(٤٠)، أما شجر المانجروف وشجر اللبان، فكان كثيرا ما يجذب مخلوقات متألقة تعرف باسم [illegible]، أشهرها الخنافس/ الحباحب المعروفة باسم [illegible] أى الفراشات النارية، وعلى التخصيص إناثها المعروفة باسم [illegible] أى الوهاجة، ومثل تلك الكائنات المضيئة المتعددة، نشأ بخصوصها علم خاص باسم علم [illegible] أى علم السطوع، بينما الظاهرة نفسها أصبحت معروفة تماماً لعلماء الطبيعة تحت اسم (ظاهرة التألق الحيوى [illegible]). وتحيط إناث الخنافس الأشجار أو الأيك بهالة ضوئية ، هى إشارات لجذب الذكور إلى الشجرة .

ويشرح البروفيسور (جون بوك) من المعهد الأمريكى القومى للصحة ميكانيزم الضوء الحيوى الذى تصدره مثل تلك الكائنات بأن الجزئ يندفع إلى مستوى طاقة أعلى وغير مستقرة فى آن واحد. وعندما يعود الى وضعه الطبيعى يصدر فوتونا أى جسيماً ضوئياً، وأن ذلك يحدث بوسائل كيميائية وفيزيائية معقدة، ليس هنا مجال تفصيلها لشدة تخصصها. وقد أطلق العلماء على الجزئ الكيميائى الذى يقوم بهذا الدور اسم [illegible] أى حامل الضوء، وعندما يتحد اللوسفرين مع الأوكسجين، بوجود إنزيم يعرف باسم لوسيفريز [illegible] وجزيئات أخرى تختلف تبعا للنوع المشمول، ينتج عن الاتحاد جزىء يحمل طاقة أعلى تكفى لإصدار الضوء (٤١).

وهنا نقف دهشين من قدرة اللغة على حمل كل هذه المعانى وكل تلك الذكريات القديمة، لأن لوسيفر [illegible] حامل الضياء، كان لقب الملاك الذى عصى الله، وكان يسمى لو سيفر لقربه من الله إلى الحد الذى كان يعكس ضياء الله على وجهه، وهو الذى تحول بعد الغضب الإلهى عليه لعصيانه، إلى شيطان باسم إبليس (٤٢).

وهنا لابد أن تتداعى مضامين لسان العرب وهو يتحدث عن أيك اللبان أو المر، إذ يقول: " **ولبينى اسم ابنة إبليس** " ثم يقول عن اللبان باسم المر: " **وأبو مرة هو كنية إبليس** " ، أما الحباحب الضوئية فكانت تحيل أيكة اللبان إلى شجرة مضيئة متوهجة كما لو كانت تشتعل ، **ولو لم**

---

(٣٩) شيفمان: ثقافة أوغاريت .. سبق ذكره، ص ١١٧.

(٤٠) إبراهيم عبد الله العلو: كائنات وضاءة، مجلة العربى، الكويت، عدد يناير ١٩٩٥، ص ١٤٠.

(٤١) نفسه: ص ١٣٩ : ١٤١.

(٤٢) سيد القمنى: الأسطورة والتراث .. سبق ذكره، انظر ص ٢٩: ٥٣ انظر هناك عدداً من المصادر.

تمسسها نار، وهو الأمر الذى كان كفيلا لدى إنسان تلك العصور الخوالى بإحاطتها بالأساطير والتبجيل والعبادة، ناهيك عن كون عصارتها تستخدم فى أجل الشئون، فكانت تحرق ليتصاعد دخانها العطرى إلى أنوف الآلهة، فقد كانت بخور المعابد وهياكل الآلهة. ولم يزل تبخيرها حتى اليوم يطرد الأرواح الشريرة ويفتح أبواب الرزق فى المعتقدات الشعبية، أما الأهم فهو أنها كانت المادة العلاجية الطبية الأولى فى ذلك الزمان. وعندما نربط بين شجر اللبان (الأيك) وبين الحيات التى تعيش فى غياضه، تلوح فوراً صورة الكيمياء العلاجية (الصيدلة) ورمزها الذى يتمثل فى **حية تلتف حول كأس الدواء.**

أما الخنفساء السوداء الأنثى المضيئة، فتعرف باسم (الملكة السوداء) لأنها تفعل فعل أنثى العنكبوت، فتبدأ فى التهام الذكر وهو منهمك فى تلقيحها، ثم تأتى عليه بعد أن ينهى مهمته وهو عاجز عن الدفاع نفسه.

ويبدو أن تلك البلاد الآدومية التى تموج وتزخر بثراء هائل للشعوب والسلع كانت مصدراً لأشياء مضيئة متنوعة، وربما كان ذلك هو االسر وراء الانبهار بها وتقديسها كأرض للآلهة، ناهيك عن جمال طبيعتها المبهر. ويضئ أمامنا الآن نص فى تقرير بعثة حتشبسوت إلى بلاد بونت كان مستعصيا على الفهم تماما، وهو النص الذى يقول: إن حتشبسوت قد استوردت من هناك مادة اسمها (السام) وأن تلك المادة تضئ بنفسها كما لو كانت نوعا من الفوسفور، وان الملكة قد دهنت جسدها جميعه بتلك المادة، فأضاءت، والنص هو :

> وكانت جلالتها تعمل بيديها، فوضعت أحسن **العطور** على
> أعضائها، حتى أن عبيرها كان كالأنفاس القدسية، وانتشر شذاها
> حتى اختلط بشذى أرض بونت، **وكان جسمها مرصعا بالسام**
> **يسطع كالنجوم فى قبة السماء، على مرأى من كل الأرض** [٤٣].

ويتكرر ذكر مادة (السام) في متون مصرية أخرى كما في النص "وأن كل الأواني التي أعدت لها كانت من السام والذهب وكل حجر ثمين"[٤٤] ولم يلتفت سادتنا المؤرخون إلى نص آخر يأتي بمادة السام من بلاد سوريا وليس من بلاد الصومال (والمقصود بسوريا كل الشرق الشامي بدءاً من سيناء) وهو الذي يعدد الجزية القادمة من سورياوأهمها مادة (السام)[٤٥].

أما شعر المتنبى الذى أورده لسان العرب، فيبدو لنا أنه كان يدور حول بلاد بونت فى مغرب أيامها، فالأبيات تقول:

يقول : بشعب **بوان** حصانى	أعن هذا يُسار إلى الطعان
أبوكم آدم سن **المعاصى**	وعلمكم **مفارقة الجنان**

---

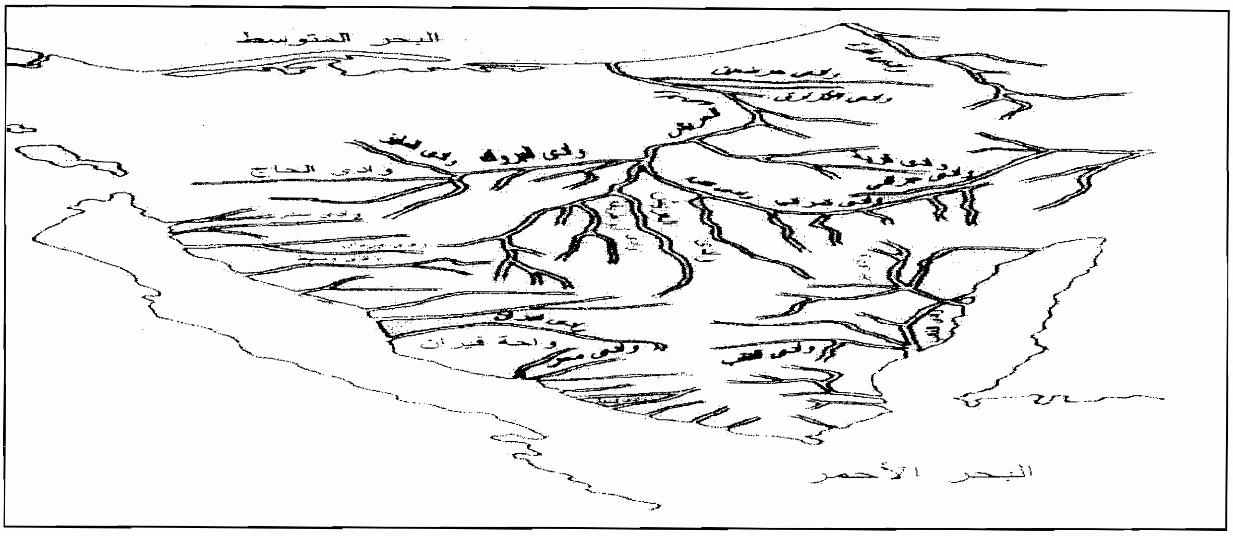
(٤٣) سليم حسن: مصر القديمة .. سبق ذكره، ج٤، ص ٣٣٢.
(٤٤) سليم حسن: مصر القديمة، ج٤، ص٤١٣.
(٤٥) نفسه: ص٤١٤.

فالرجل هنا يستحضر ذكريات قوم أصحاب خيول، عاشوا في مضيق أو شعب باسم (بوان)، ارتكبوا المعصية، فكتب عليهم مفارقة بلادهم التى كانت جنات . وهى عين الذكريات التى تجد صداها فى القرآن الكريم بعد ذلك، حيث يقول واضحا فصيحا بليغاً، مسجلا تلك الذكريات الخوالى التى تلتقى التقاء مدهشا وتتضبط مع ما قدمناه فى عملنا هذا:

لقد كان لسبأ فى مسكنهم آية، **جنتان عن يمين وعن شمال**، كلوا من رزق ربكم وأشكروا له، بلدة طيبة ورب غفور، فأعرضوا، فأرسلنا عليهم سيل العرم، وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى أكل خمص، وأثل وشئ من سدر قليل، ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجزى إلا الكفور(؟) **وجعلنا بينهم وبين القرى التى باركنا فيها قرى ظاهرة، وقدرنا فيها السير، سيروا فيها ليالى وأياما آمنين، فقالوا : ربنا باعد بين أسفارنا** وظلموا أنفسهم، فجعلناهم أحاديث، ومزقناهم كل ممزق إن فى ذلك لآيات لكل صبار شكور، **ولقد صدق عليهم إبليس ظنه، فاتبعوه إلا فريقا من المؤمنين/ ١٥: ٢٠** سبأ.

ولا شك أن السؤال الذى بات يلح الآن: أى إله تقصد النصوص المصرية القديمة، عندما كانت تصف بلاد بونت بأنها أرض الإله؟ ولماذا لم تسم تلك النصوص ذلك الإله باسمه الواضح؟ وما علاقته بالشيطان إبليس ذلك المتكرر دوما والمصاحب دوما لبلاد الأيك؟

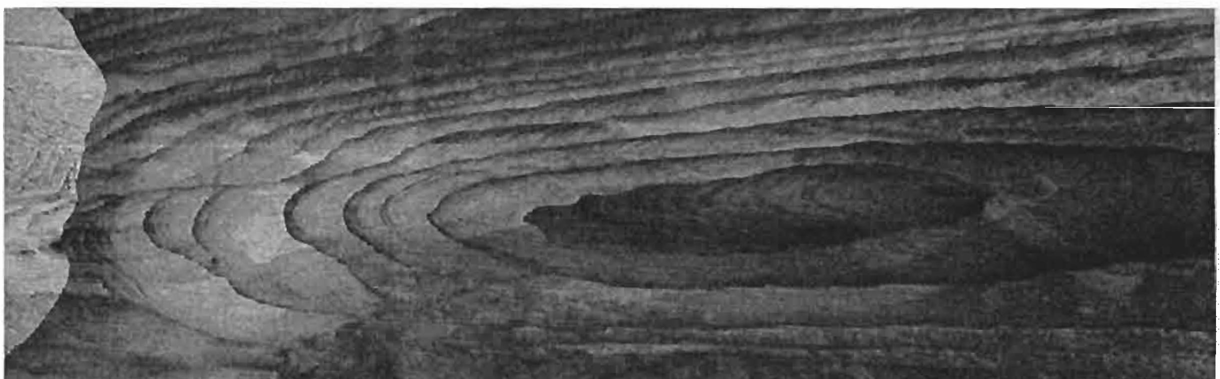
إذا كانت فروضنا حتى الآن صحيحة، وإذا كانت بلاد بونت هى بلاد آدوم، الواقعة شرقى مصر على امتداد الحد الشرقى لسيناء ما بين البحر الميت شمالا وخليج العقبة جنوباً، حيث البوادى والجبال الشاهقة، والصخور الملونة، وأشجار الأيك المضيئة، والثعابين الطائرة، وطائر الفينيق. فعلينا إذن العودة إلى نصوص مصر القديمة، نستنطقها سر إله اعتقد فيه المصريون القدماء وكان على علاقة بشرقى مصر وبالصحارى وبالجبال وباللون الأحمر رمز الشر المستطير.



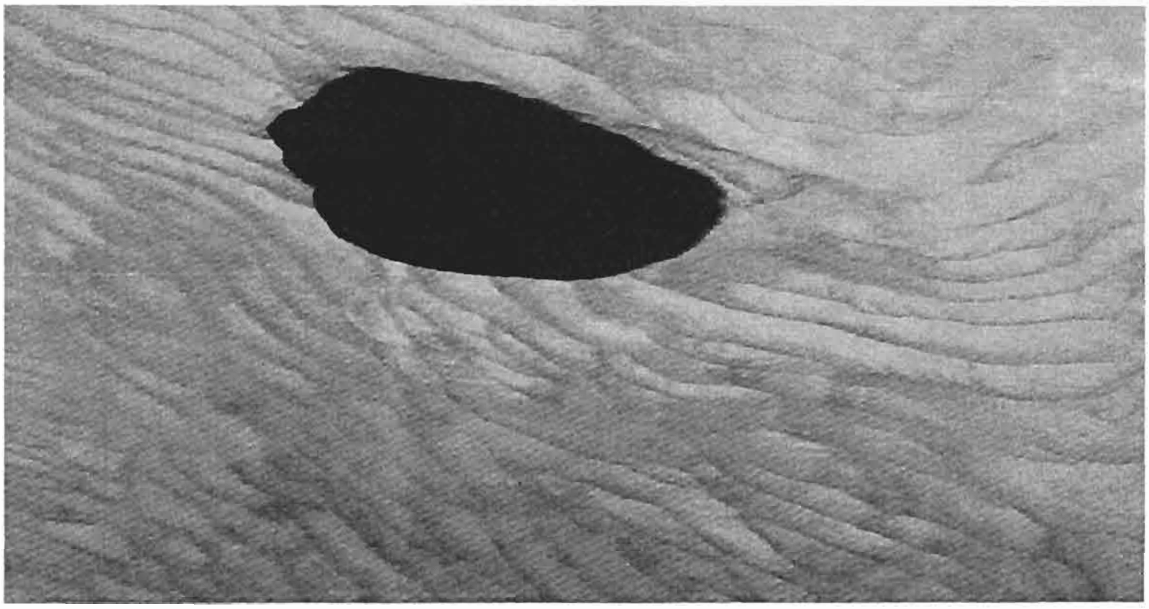
خريطة رقم (٢٩)
وديان سيناء



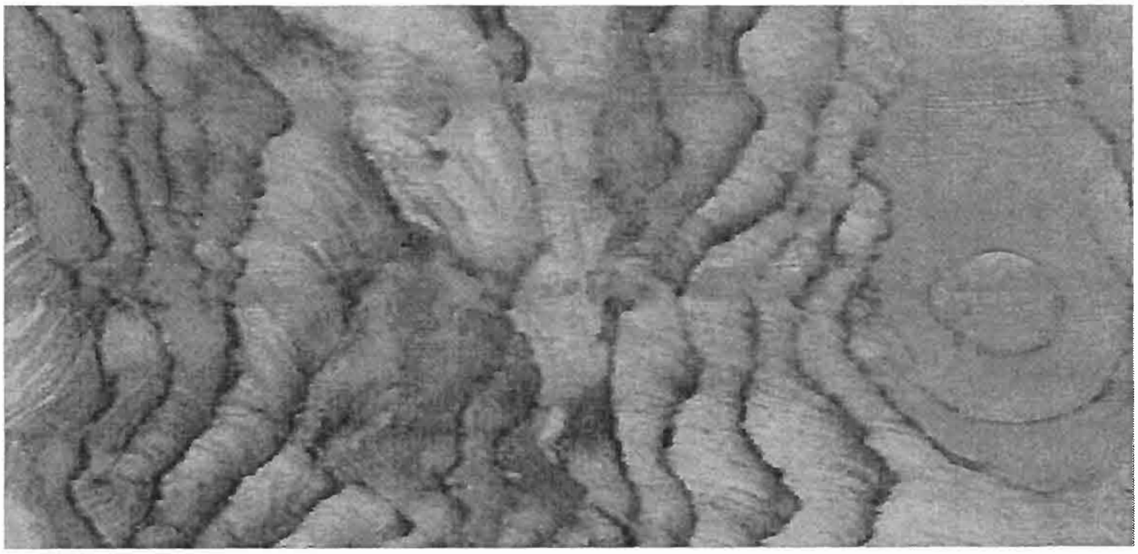
شكل رقم (٣٦)
وادى فيران .. من وديان سيناء



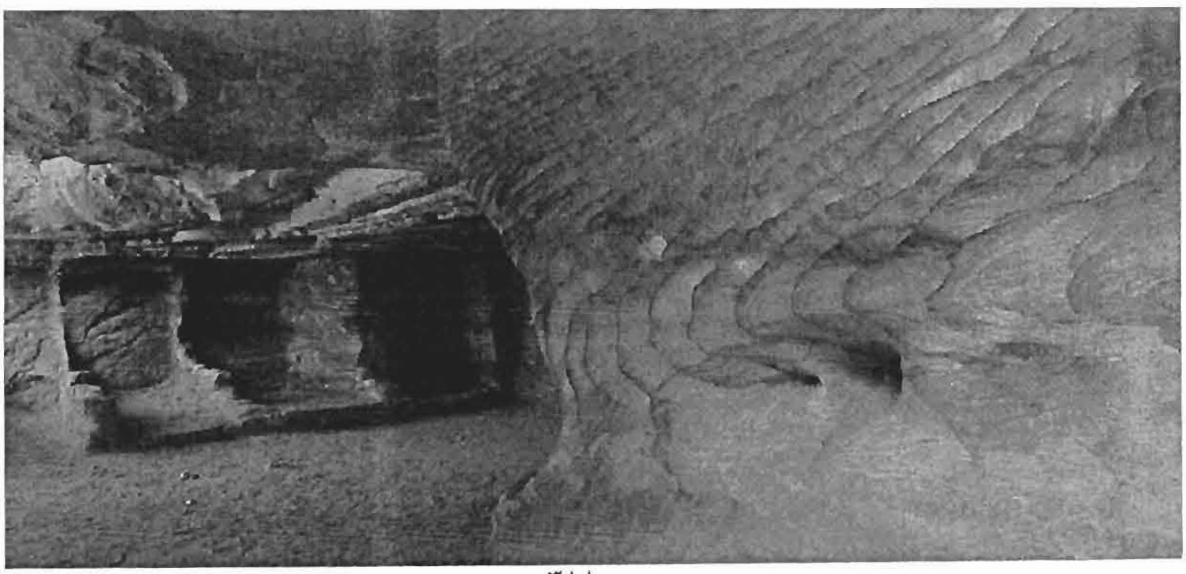
شكل رقم (٣٧)
أحجار بلاد بونت أو بلاد آدوم، من البتراء. توضح قيمتها وندرتها وبهائها اللوني وتستحق التصنيف إلى حجر أوكنو وحجر



شكل رقم (٣٨) التداخلات اللونية من كل لون في أحجار آدوم

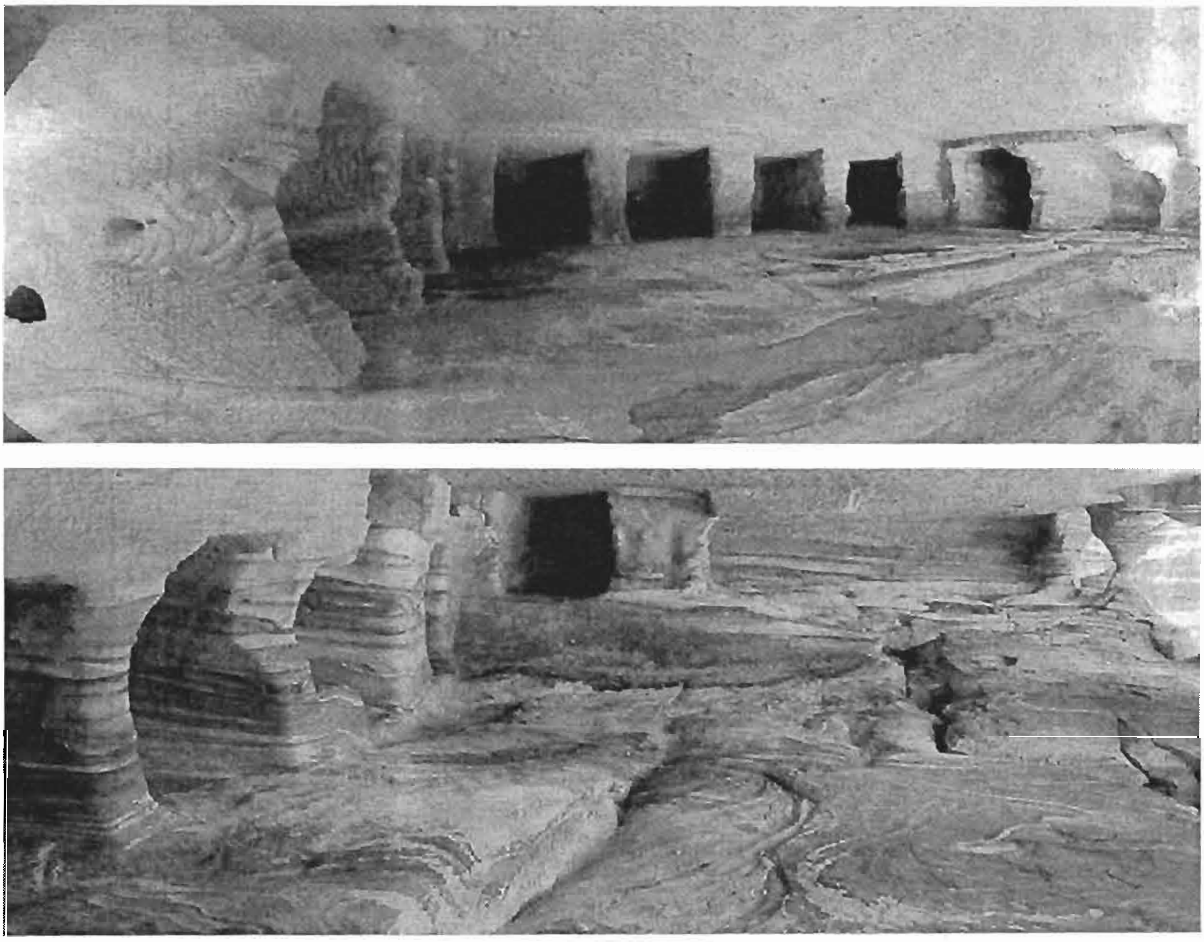


شكل رقم (٣٩) هكذا أحجار البتراء





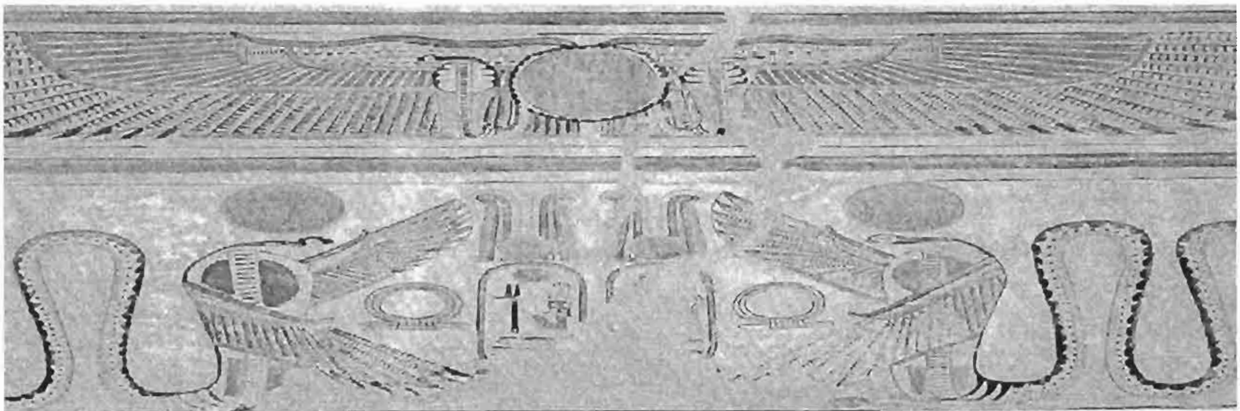
شكل رقم (٤٠) من كل الوان الطيف (أحجار بلاد الكهوف



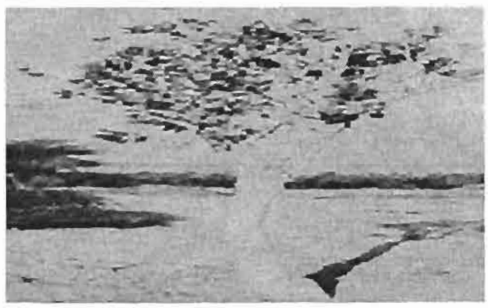
شكل رقم (٤١)
بين هذا البهاء سكن الآدوميون



شكل رقم (٤٢)



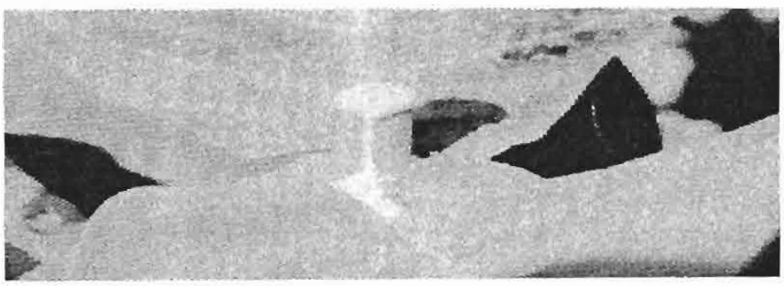
شكل رقم (٤٣)



شكل رقم (٤٤)
شجر البان لم تزل حتى الآن على شاطئ البحر الميت



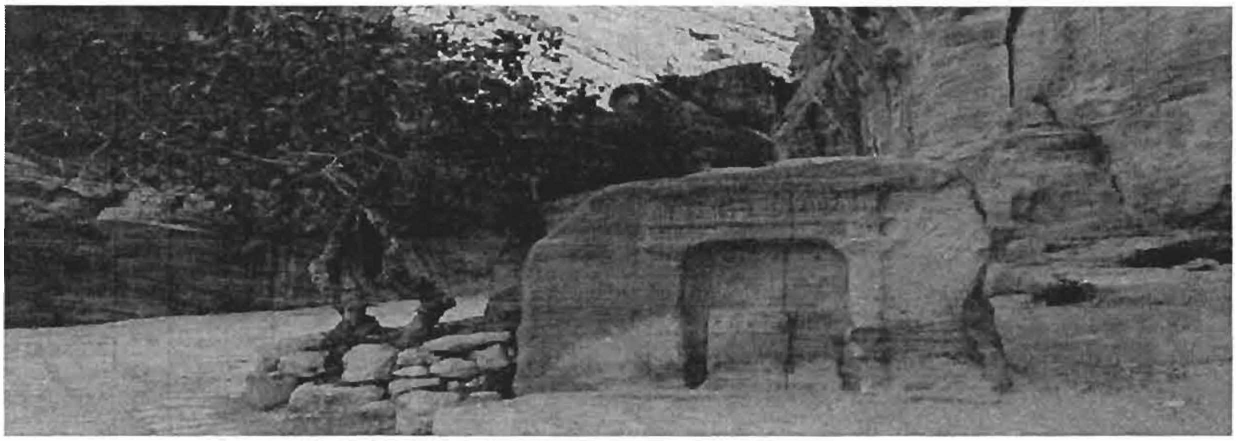
شكل رقم (٤٥)
ثمرة شجر البان تشبه قرون اللوبيا ولها حب يستخرج منه دهن اللبان ويعتق دهنها طيباً



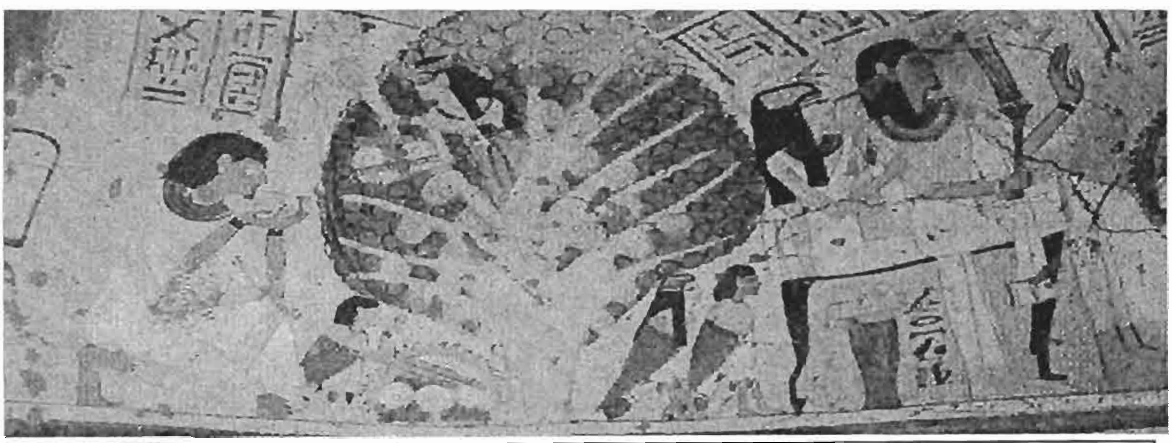
شكل رقم (٤٦)



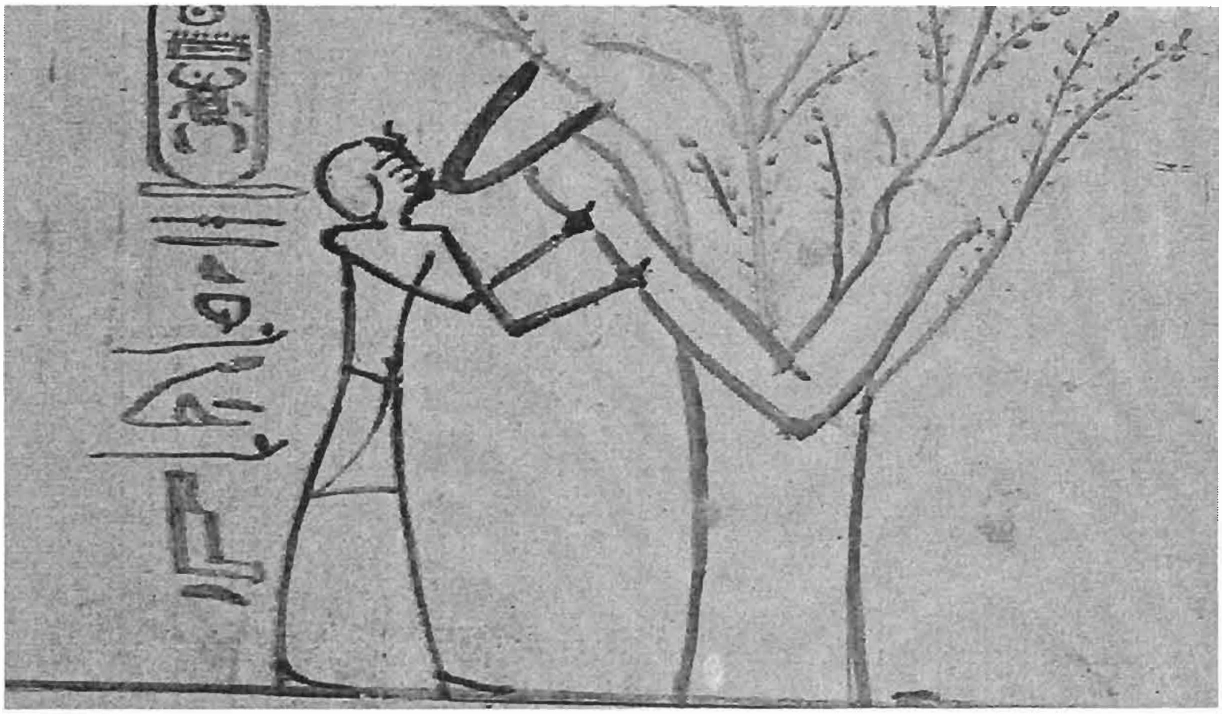
شكل رقم (٤٧)
صمغ / بخور البطم في وادي عربة



شكل رقم (٤٨)
شجرة تين سيناوى برى لازالت باقية وسط السيق، وبجوار مكان لتقديم القرابين



شكل رقم (٤٩)
الشجرة الإلهية المقدسة في مصر القديمة وهي كما هو واضح شجرة تين



شكل رقم (٥٠)
الربة الشجرة مرسومة على عمود في غرفة الدفن بمقبرة تحتمس الثالث وهي تقدم ثديها للملك المتوفي ونقرأ العلامة الهيروغليفية من خبر رع اسم العرش لتحتمس الثالث

الرب الأحمر

نحن نبحث إذن عن إله بلاد بونت، وحتى نصل إلى ذلك لابد من هذا السرد الذي سيلقي بنا في النهاية بحرم ذلك الإله.

فى مصر القديمة أسطورة من أشهر وأهم الأساطير العالمية فى التاريخ الدينـــى، هى تلك المعروفــة بأسطورة (أوزير / أوزيريس) رب الزرع والخضرة والخصب والنماء والخير والضياء، الذى يمثــل أرض النيل الخصيبة، ويرمز للخير فى الأسطورة. وحتـــى يتم تفسير دورة فصلى الخصـــب والجـدب، الصـــيف والشتاء، قالت الأسطورة: إنه كان لأوزير أخ شرير اسمه (سيت)، وان هذا الشرير كان يغار من حب الناس لأخيه الطيب، حتى دفعه شره إلى مؤامرة انتهت بقتل (أوزير) وتمزيق جسده قطعاً دفنت فى مواطن متفرقة من أرض مصر. لكن لتعلن الاسطورة من بعد عن قيامة الحياة الخصيبة من الأرض بعــد انتهــاء فصــل الجدب، ذلك الفصل الذى حدث بموت أوزير رب الزرع على يد أخيه الشرير، رمز الشر والمــوت والفقــر والجوع والصحراء.

ومن هنا كان موت رب الخير موتا مؤقتا، لأن الخير وإن تراجع أو اختفى فهو قائم كائن عائد، لأنـــه مثلما تدفن الحبوب فى أرض موات، فإنها تعود إلى الحياة بالقيام من الموت فى حياة جدديدة زاهية خضراء، كذلك الشهيد (أوزير) قام من بين الأموات جسدا حيا فى قيامه مجيدة، بعد موته بأيام ثلاثة. مما استدعى فـــى مصر عيداً سنويا كرنفالياً احتفالا بتلك العودة ، وهو العيد الذى ترسمت خطاه من بعد العقيدة المسيحية فـــى احتفالها الكرنفالى بعيد القيامة المجيد.

ومن ثم كان احتفال المصريين بقيامة أوزير فرحا رسميا وشعبيا يعبر عن الإيمان بعودة الخير رغــم الشرور، والقيامة من الموت رغم أنف رب الموت الشرير سيت، فتعم الفرحة البلاد يوم المنقلــب الربيعـــى للشمس، إيذانا بعودة الحياة الخضراء إلـــى الأرض، ومن هنا جاء اعتقاد المصـــريين أنهــم مـــن المـــوت سيقومون كما قام (أوزير)، وأنهم من بعد الموت لن يذهبوا إلى فناء لكن إلى حياة متجـــددة تحـــت الأرض، حيث يعيشون هناك تحت رعاية رب الخير (أوزير).

ومن هنا أمسى الإله (سيت) رمزا لكل ما هو قبيح سيئ شرير، ورمزا للجدب والفناء والموت، رمـــزاً للصحارى والجفاف. وفى الوقت ذاته فإن سيت هو الإله الوحيـــد فى الأسطورة الذى يتسم بغموض شـــديد، فطورا نفهم أنه كان إلها لجنوب مصر العليا قبل اندماج مصر شمالا وجنوبا فى دولة مركزية متحدة . وكان المصريون يطلقون على جنوب مصر (ط ء. س ت ى) أى الأرض (ط ء) الستية (س ت ى) نســبة إلـــى الإله (سيت). وطوراً آخر نجده إلها للصحارى وبخاصة الصحراء الشرقية السينائية، إذ يبدو هنا ربا للبـــدو والقفار. وقد تم تعليل ذلك بحسبان الإله (سيت) ربا لكل ما هو غير خصيب، وكان جنوب مصر يحوز أقــل المساحات الزراعية بالنسبة إلى الشمال المصرى، وكانت تلك المساحات لاتقارن بأراضى الوجـــه البحـــرى

والدلتا الخصيبة ولم تزل، نتيجة لضيق وادى النيل جنوبا، واقتراب الهضبتين الصحراويتين الشرقية والغربية من بعضهما إلى الحد الذى لا يسمح بزراعة سوى شريط ضيق على ضفتى النهر، ولا يسمح بأى توسع زراعى كما فى الشمال.

ويقول المصرلوجست (ياروسلاف): " أما الرمز الحيوانى للمعبود سيت Setekh.. فكان يمثل حيوانا يشبه **الحمار** .. ويبدو أن المصريين الأوائل حوروا ذلك الرمز من الدولة القديمة على الأقل، إلى شكل حيوانى غريب، أقرب إلى **كلب رابض، بعنق طويل** وأذان مربعة، ومقدمة وجه طويلة مقوسة وذيل قائم، ولم يكن من المستغرب أن **فشلت جهود علماء المصريات فى تمييز أصله** " [١].

ويلخص لنا الباحث (سامى سعيد) أمر الإله (سيت) فى قوله: " الإله ستخ أو سيت أو سيثوس، هو أخو الإله أوزيريس والإلهة إيزيس، وطابقه اليونانيون مع الإله اليونانى **تيفون**، واعتقد المصريون أن **الخنزير والحمار وفرس الماء وغزلان المها** فى الصحراء، هى حيوانات ستخ، وقد صوروه بجسم رشيق وجسم انسان ورأس كلب سلوقى وذيل ملتو وأذنين طويلتين، **وجعلوا اللون الأحمر خاصاً به**، وقرنوه بالعاصفة والعنف والشر، وجعلوه قاتل أخيه أوزيريس، والذى انتقم له حورس فأخصى ستخ، واعتقدوا أنه طعن الوحش أبوفيس برمحه لتخليص الشمس من شره، وطابقه الهكسوس فى خلال مدة احتلالهم مصر، **مع الإله السامى بعل**، وكان رمسيس الثانى من أنصاره " [٢]

أما الباحث الكبير (على فهمى خشيم) فقد أوضح موقف العلماء من سيت فى قوله: " إن المصريين القدماء، قد مثلوا سيت بحيوان حارت البرية فيه .. وداخ علماء المصريات فى رمزسيت الحيوانى، فقال جاردنر.. هو حيوان لعله **نوع من الخنازير** ، وقال شورتر .. هو حيوان غير محقق النوع **قد يماثل الكلب** بشكل ما، ذو فرطوسة طويلة وأذنين منتصبتين، وقد يشبه الخنزير واحتار بدج.. حتى قال: إنه **يشبه الجمل**، أو لعله **حيوان انقرض** لكثرة ما صيد، لكونه رمز سيت المكروة، فقضى عليه قضاء مبرما، أما لوركر .. فعنده أنه **كلب** أو **وعل** أو لعله حمار، ثم جعله حيوان يدعى أرفاك، وجعله مرة أخرى يشبه **حيوانا يسمى الأوكابى**.. فكأن المصريون تخيلوا حيوانا غير موجود أصلا .. للدلالة على **الشيطان** " [٣].

وللمزيد حول الإله (سيت)، نستمع للمصرولوجت (سليم حسن) وهو يقول: " لقد برهن الاستاذ يونكر JANKER على أن الإله سيت كان الإله المحلى لبلدة سيترت STRT، وهى سيترويت SETHROITE فى العهد الأغريقى، الواقعة فى الشمال الشرقى من الدلتا، كما يعتقد يونكر.. وأن سيت كان هو المعبود المحلى للبقعة التى أقام فيها الهكسوس تحصينات عاصمتهم العظيمة، التى اتخذوها بمثابة نقطة الاتصال **بين أجزاء دولتهم الضخمة، وهى التى كانت تضم بين جوانبها مصر وفلسطين**

---

(١) ياروسلاف تشيرنى: الديانة المصرية القديمة. ترجمة أحمد قدرى، هيئة الآثار المصرية، القاهرة، ١٩٨٧، ص ١٦١.

(٢) سامى سعيد: الرعامسة .. سبق ذكره، ١٣٢.

(٣) فهمى خشيم: آلهة.. سبق ذكره، ج١ ص ٤٣٩.

وسوريا.. وأن الهكسوس على ما يظهر **كانوا خليطا من أجناس متباينة.. ونعلم أن كلا من الإلهين بعل وتشوب قد وحدا بالإله سيت** " (٤)

ويؤكد ذات المعانى (مهران) وهو يقول: " حين أراد الهكسوس إقامة ديانة رسمية على طراز الديانة المصرية، اختاروا معبودا ذا مظهر غريب لا يشير إلى أى حيوان موجود .. **ترجع عبادته فى شرقى الدلتا إلى أقدم العصور**، وربما بدأت هناك فى مكان يقال له سزرت منذ أيام الأسرة الرابعة، أما ترجمة الهكسوس لمنطوق الكلمة ست التى تكتب بالبابلية وكأنما تنطق سوتخ، فكانت من غير شك آسيوية فى مظهرها " (٥) ويضيف هيس تأكيده أن مظهر سيت كان واضحا فى جعران هكسوسى على هيئة آسيوية بلا لبس (٦)، وأدلة ذلك رداءه ورأسه التى تجعله مشابها للإله بعل السامى وتشوب الحيثى.

إلا أن المشكلة التى واجهت الجميع لتضيف مزيدا من الغموض على الإله (سيت)، هى أن مقاطعة (سيترويت) المنسوبة إلى سيت أو (الستية)، والتى يُعتقد أنها كانت مقر عاصمة زمن الهكسوس، **لم يتم التعرف على موقعها حتى تاريخنا هذا**، كل ما فى الأمر **أنها لابد كانت على الأطراف الشرقية للدلتا**، فى اتصالها مع الصحراء السينائية.

وفى مؤلف آخر يضيف (سليم حسن): " وكان سيت فى عهد الرعامسة، أو بعبارة أخرى فى عهد الدولة الحديثة، يعتبر إله الحرب والقوة وقد تبددت بمضى الزمن شهرته السيئة الماضية، وكان كذلك يعتبر **إله البلاد الأجنبية**، ولذلك أوصت الإلهة نيت بأن **يزوج من الإلهتين الساميتين: عنات وعشتار، وهما إلهتان آسيويتان**، ونرى فى آخر الأمر أن رع إله الشمس، رغب فى أن يتخذه ابنا، يعيش معه، ويكون إله الرعد فى السماء، وفى ذلك ما يشير إلى أن رع قد انحاز إلى جانب سيت فى النهاية، حتى بعد أن غُلب على أمره، لأنه كان عدو أوزيريس، الذى كانت له السيادة والكلمة العليا فى ذلك الوقت. وبذلك أصبح سيت يسكن مع رع فى السماء، وتركا العالم السفلى لأوزير ، يحكم فيه كيف شاء " (٧). ويكون المعنى أن سيت كان إلها لعالم الموتى السفلى التحت أرضى، ثم تركه وصعد ليعيش مع الإله الأكبر (رع) فى السماء.

وهكذا فنحن هنا مع إله شديد الالتباس، بدأ إلها للموت، ثم صعد إلى السماء تاركا مملكة الموت لأوزيريس، الذى أصبح إلها للحساب من بعد الموت. وبدأت تجليات سيت المصورة فى هيئة **الحمار**، ثم دخلت عليه تعديلات جعلته أشبه **بالكلب**، لكنه ليس بكلب، لأن رسومه التى وصلتنا فى النقوش صورته فى هيئة حيوانية غير معروفة لدينا الآن، مما أدى إلى حيرة واضحة فى تحديد أمره لدى علماء المصريات،

---

(٤) سليم حسن: مصر القديمة.. سبق ذكره، ج٤، ص ٦٥، ٦٦.

(٥) بيومى مهران: دراسات .. سبق ذكره، ص ١٥٢.

(٦) Hayes, Egypt From The Ammenemes II, p ١٧.

(٧) سليم حسن: الأدب المصرى.. سبق ذكره، ج١، ص ١٤٦.

فانقسموا حوله شتى. ورآه اليونانيون صورة من إلههم (تيفون) أو (طيفون) الوحش الأسطورى الضخم الذى حدثنا عنه المؤرخ (بلوتارك) فقال إن تيفون قد تمرد على كبير آلهة اليونان (زيوس)، ودخل معه فى صراع انتهى بأن هزمه زيوس ودفنه تحت جبل أتنا بصقلية. وجاءت الأسطورة بذلك لتفسر سر دمدمات بركان جبل أتنا وانفجاراته التى لم تكن سوى صوت الإله تيفون الحبيس الغاضب [٨] وكان تيفون ربا للرعد والأعاصير والزلازل والكسوف والخسوف وكل مظاهر الاضطراب فى الطبيعة، ومسببات الموت والهلاك [٩].

ونستمر فى البحث وراء (سيت) لنقرأ ما كتبه (عبد المجيد عابدين) شارحا " **إن المصريين قد كرهوا الأرض الحمراء أى الصحراء واعتبروا سيت رمزاً لها**، وتصوروا فيه القسوة والغلظة .. وأن له صيحات منكرة هى الرعد ، وهو الذى يهز الأرض بالزلازل، وتصدر عنه أعمال كريهة **حمراء**، وله بشرة ذات **لون أحمر أمغر** "

ويواصل (عابدين) قائلا:

" ولم يقف المصريون عند تصوره كسبب للجدب والفناء والعواصف، بل عدوه **حامياً للأعداء ووليا للقبائل الآسيوية**، وفى بعض جوانب الأسطورة القديمة نجده خصماً للشمس، وممثلاً للظلام، **وشيطانا** بين الآلهة. ثم انتهى الأمر بإخراجه من بين المعبودات المصرية، فبطلت عبادته ومحى اسمه وصورته أنى وجد، ولما وقف الإغريق الأقدمون على قصته، قرنوه بإله الشر عندهم: تيفون، العدو الخرافى لزيوس " [١٠]

ولما كانت صورته الأولى هى صورة الحمار، فيبدو أن المصريين قد رأوا بينهما صفات مشتركة، كالشهوة وغلظ الحس وفجاجة الصوت وحمرة اللون، وكان اللون الأحمر هو الشائع لهذا الحيوان فى بلاد الشرق القديم، وقلما عرف أهلها الحمير البيض.

ولفظ (حمار) فى الساميات، له صلة اشتقاق باللون **الأحمر**، ويقال فى لغة العرب: الجأب: الحمار الغليظ، والجأب أيضاً : المغرة أو الطين **الأحمر** ، ومن هنا كره المصريون كل ذوى البشرة المغراء أو الحمراء من الناس، ولم يحبوا الاختلاط بهم. وأفادنا (بلوتارك) أن المصريين كانوا يحاولون تهدئة شره واستدرار عطفه بتقديم الضحايا، وتارة أخرى كانوا يسبونه فى احتفالات بعينها، ويضطهدون ذوى البشرة الحمراء، ويدهورون حماراً من قمة جبل، وهو ما كان يفعله أهل قفط. أما أهل بوزيريس ولوكوبوليس فكانوا يحرمون استخدام البوق، لأنه يصدر صوتا شبهها بصوت الحمار، ومن ثم اعتقدوا أن الحمار حيوان دنس، أما قرابينه فكانت من العجول **المغر**، الحمراء فى صفرة، بشرط ألا توجد أى شية بها، أى يجب أن تكون مغراء أو **صفراء فاقع لونها تسر الناظرين** [١١].

---

(٨) شفيق مقار: قراءة سياسية للتوراة، رياض الريس للكتب والنشر، قبرص ولندن، ص ٢٤١.

(٩) فهمى خشيم: آلهة .. سبق ذكره، ج١، ص ٤٣٠ .

(١٠) عبد المجيد عابدين: لمحات .. سبق ذكره، ص ٢٠٣.

(١١) بلوتارك: ايزيس وأوزيريس .. سبق ذكره، ص ٥١،٥٢.

وقد عثر الأركيولوجست إتيين دريتون على دفنات للحمير المعبودة فى مدينة إنشاص [١٢]. وإنشاص كلمة من أصل هيروغليفى هو (عا إن شاسو) أى مكان عبادة الشاسو للحمار، والشاسوهم بدو سيناء. ولم يزل الفلاح المصري حتى اليوم يزجر حماره بنداء يطابق (عا إن شاسو) فهو (حا ــ شي)

وفى اشتقاقات اللسان العربى، نجد الصحراء فى أصله لفظ يدل على الصحرة، **والصحرة هى الحمرة التى تضرب إلى غبرة،** فيقال: رجل أصحر وامرأة صحراء فى لونها، والأصحر الذى فى رأسه شقرة، وإصحار النبات أخذت فيه حمرة ليست بخالصة ثم هاج فاصفر. ويقال: حمار أصحر اللون، **والصحير صوت الحمير** . وقد فعلت اللغة العربية فعل المصرية ، فقسمت الناس إلى جنسين: الجنس الأحمر والجنس الأسود، واشتقت اسم الصحراء من الصحرة أى اللون الأشقر، وأطلقت لفظ السواد على الخضرة والعمران فالسواد جماعة من الشجر والنخل، وفى حديث النبى محمد (ﷺ): " بُعثت **إلى الأحمر والأسود** من الناس ."

ويقول العالم الكوفى (ثعلب): " إن العرب لا تقول رجل أبيض من بياض اللون، لأن الأبيض هو الطاهر النقى من العيوب، **فإذا أرادوا الأبيض من اللون قالوا: أحمر** " وكما ارتبطت الحمرة فى المصرية القديمة بالجفاف والفناء، كذلك كانت فى العربية، فقالوا: سنة حمراء أى شديدة الجدب، والموت الأحمر لشدة هوله، وقالوا: الحُسن أحمر، أى أن من أراد الحُسن صبر على أشياء يكرهها، وسمى الرجل الذى عقر ناقة صالح، فأهلك الله بفعله ثمود، (أحمر ثمود)، وضرب المثل بشئومه فقيل: أشأم من أحمر ثمود وسجلت الروايات العربية فى أساطيرها ماجاء ذكره عند الجاحظ فى قوله: " ومن لاعلم عنده، يروى أن **ابليس قد دخل جوف الحمار** مرة، وذلك أن نوحا لما دخل السفينة، تمنع الحمار بعسره ونكده، وكان إبليس قد أخذ بذيله، وقال آخرون: بل كان فى جوفه، فلما قال نوح للحمار: أدخل يا ملعون، دخل الحمار ودخل إبليس معه إذ كان فى جوفه، ومنها ما روى فى شرح هذه الأمثال: أكفر من حمار، تركه جوف حمار، أخرب من جوف حمار، أخلى من جوف حمار " [١٣].

أما الطريف حقا فهو أن صحارى شرقى مصر، تقع جميعها فى محيط البحر الأحمر الذى حمل ذات المعنى فى اسمه اليونانى (البحر الإريترى) نسبة الى إريتريا وأريتريا اسم له معنى، **فهى الحمراء ، أما الشعب الذى** سكن جنوبى الجزيرة ، على ساحل البحر الأحمر، وأقام هناك حضارات متعددة امتدت شمالا حتى وادى عربة، على تنوع دوله، قد أطلقت عليه الكتابات التأريخية العربية اسما عاما شاملا هو : **حضارة حمير**، أما أهلها فكانوا **الحميريين.**

---

(١٢) د. محمد حماد: كامس، دار الجيل القاهرة، ١٩٧٠، ص٤٢.

(١٣) عبد المجيد عابدين: لمحات .. سبق ذكره، ص ١٦، ١٧.

ونعود نسعى وراء أخبار الإله (سيت) فنجده يكتب مصريا (س. تSET)، ثم يكتب زمن الهكسوس مع تصريفه إسميا، فيأتى هكذا: SETESH وSUTEKH، وذلك فى وقت أصبح فيه سيداً لجميع الأربـــاب، بحكــم سيادة أتباعه الحكام الهكسوس.

وبعد طرد الهكسوس من مصر، زمن الأسرة الثامنة عشر المصريةاحتفظ الإله سيت بمكانته. وعندما جاءت الأسرة التاسعة عشر، وهى أسرة محاربة تم تكريس (سيت) كإله من الآلهة الكبـــرى، بحســبانه إلـــه حرب ودمار، ويبدو أن (سيت) كان فى البداية إلها محبوبا ضمن آلهة مصر القديمة حتى نشب الخلاف بينه وبين (أوزير) فى الأسطورة المعروفة ، فتحول (سيت) إلى رمز لكل قوى الشر ضد قـــوى الخيـــر. وإلهـــا للظلام والنار والطوفان والريح الحارق العقيم وللصحارى ولِلّيل المخيف وسيدا لعالم الشرور جميعـــا، إلهـــا أحمراً ملتهبا، ينفث دخانه النارى وينشر الموت فى كل مكان . أما الواضح لدينا فهو أن كل تلك الصفات قد لحقته بعد غزو الهكسوس لمصر وتكريسهم للإله (سيت) كإله رسمى لحكومتهم، فـــاقترن بهـــم فـــى نظـــر المصريين ، ولحقته كراهيتهم للهكسوس، فأصبح رمزا لكل ما هو شرير وضار.

وقد لاحظ (على فهمى خشيم) أن تلك الرحلة التطورية التى مر بها الإله (سيت)، تطابق ما وصلنا عن أسطورة الشيطان الذى كان ملاكاً ثم صار راعيا للشرور، ويقول: إن ذات الواقعة نجدها فى جميع الديانات، وتتحدث عن التحول من النورانية إلى **النارية** ولنتذكر هنا لقب إبليس فى لسان العرب (**أبو مرة**)، وأنه يرتبط بشجرة اللبان/ **المر**، لنجد أشهر ألقاب (سيت) فى مصر القديمة هو (**مُر MR**)، وتعنى الملعون حسب ترجمة معجم بدج [١٤].أما مقابلة اليونانى (تيفون) فترجع إليه كلمات مثلTyphoid أى الحمـــى المعويـــة (التيفـــود) المحرقة ، ولو رجعنا إلى اللسان العربى لوجدنا لطيفون معانى عديدة فى مادة (طوف)، أهمهـــا: المـــرض المهلك، الحمى، الإغراق، الموت.

وفى المصرية القديمة نجد من أسماء (سيت) الاسم (جب) ، وفى القرآن يتردد اسم غريب ليدلل علـــى الشيطان، وهو ما يرد باسم " **الجبت** والطاغوت ".

وفى القرآن عدد من الآيات تتعلق بالطوف (ولا ننسى طيفون) كما فى النماذج:

* فأرسلنا عليهم **الطوفان** والجراد والقمل والضفادع ١٣٣ / الأعراف.

* فطاف عليهم **طائف** من ربك وهم نائمون ١٩ / القلم.

والآية الأولى تحديداً تحدثنا عن قدرات رب إسرائيل زمن موسى النبى، وتذكر بما قاله سفر الخـــروج بالكتاب المقدس حول قرار الرب تأديب المصريين بضربات متلاحقة، فأرسل على مصر الجـــراد والقمـــل والضفادع. لكن قصة التوراة لم تقل أبداً أنه أرسل عليهم الطوفان، لكن فى المقابل نجد تفسير الطوفان فـــى تأكيد التوراة، أن الرب قد قرر قتل كل بكر من أبكار المصريين ليلة الخروج الإسرائيلى من مصر، بيد مـــا

(١٤) معجم بدج ٣١٤ عن خشيم.

سمى فى التوراة باسم (المهلك). وعلى هذا النحو يلتقى الطوفان، أو طيفون، مع المهلك التوراتى تـم تـأتى الآية: إن الذين اتقوا إذا مسهم **طائف من الشيطان** تذكروا/ ٢٠١/ الأعراف، ليطلب منا (خشـيم) ملاحظـة ربط الآية بين (طائف) وبين (الشيطان)، و (طائف) تأتى من مادة طيف وخيال وشبح (١٥).

وكما أسلفنا، فقد ذهب (بدج) فى حديثه عن (سيت) إلى أنه كان رب الجنـوب المصـرى، والجنـوب بالمصرية القديمة هو (س و ت SUT) ، ومنها فى رأيه جاء اسم الإله (سيت) وفى الهيروغليفية تسمى بـلاد (الكوشيين) بلاد **السوت** أو بلاد السود جنوبى مصـر عنـد النوبـة: (ط ء. س ت ى TA-STY) أى أرض الجنوب، ويسمى أهلها (س ت ى و) أى الجنوبيون وهو ما نراه أصلا لكلمة السود واللون الاسود والجنوب هو البلاد الحارة، وللحر فى اللغة العربية تسميات من الجذر الثنائى (شط) هى: (ست) شاط، شوط، شـيط، شياط، شواط، يشوط، تشويطا، شوظ، شواظ١٦، وفى القرآن: " يرسل عليكم **شواظ** من نـار و**نحـاس** فـلا تنتصران / ٣٥ / الرحمن ".

وفى معجم فولكنر نجد معانى (س و ت SWT) المصرية: قوة الريح Force of Wind (١٧) ، وهنا نجـد المقابل العربى سوط: " فصب عليهم ربك سوط عذاب /١٣/الفجر " وفى آيات أخرى كان سوط العذاب هو ريح عظيم يخرج من تحت الأرض، ومقلوبها سطو وسطوة ، وهو ما يفيد السلطان والقـوة والملـك. أمـا المدهش فهو أن كلمـة (س و ت SWT) (س ت ت STT) فتعنى ملك وملكى، وفى السبأية فـإن (وص ت WST) تعنى حرق وإحراق، أما فى المصرية فتتعدد كلمة (س ت) فهى :

س ت ى S T I أوقد النار، أشعل، شيط.

س ت ى STY حدق، برق، نظر بحرارة أو غيظ.

س ت ء S T A حرارة، شياط، شوظ

س ت ء ت S T A T مصباح، موقد نار، سطح (١٨).

أما كلمة شيطان، فهى فى لسان العرب: " الشيطان **حية** له عرف، والشاطن الخبيث "، وهى من شـاط أى احترق، ومنها جاءت عبارة استشاط غضبا. ومادة شيط تقلب شوط، منها مشتقات تدور جميعاً حول النار والحرق، والهلاك وسفك الدماء والذبح، وأمراض الحمى وغبار الصحارى، وتعود جميعاً إلى الجذر الثنـائى **(شط) الذى هو ببساطة (شيت أو سيت) الإله المصرى الشرير نصير الهكسوس.**

ويفصل لنا (خشيم) الأمر فيقول: إن اسم سيت يكتب فى الهيروغليفية محددا بصورة أوزة، ويقرأ ذلك الرمز أى الأوزة ST و ZT و ZA وتعنى إبن، وتدخل تلك الصورة باعتبارها محدداً فى كلمات مثل (ح ت م

---

(١٥) فهمى خشيم: آلهة .. سبق ذكره، ج١، ص ٤٢٨: ٤٣٠.

(١٦) نفسه: ص٤٣٣،٤٣٢.

(١٧) معجم فولكنر ٢١٥.

(١٨) فهمى خشيم: آلهة .. سبق ذكره، ج١، ص ٤٣٥ .

HTM) وتقابلها فى العربية (حطم)، وفى كلمة (س ن ح م SNHM) أى جراد، وهو ما يؤكد صلتها بمعنى الدمار والهلاك. وحسب التصور العربى فقد خرج إبليس من بيضة، والمدهش أن الخط المصرى الهيروغليفى، عندما تطور نحو مزيد من التجريد إلى خط هيراطيقى، اختزل صورة الأوزة فى جسدها البيضاوى فقط، دون بقية الأطراف، وهو ما نجده فى دلالة المصرية (ZA) التى تعادلها فى العربية **(زأأ)**، وفيها معانى الخوف والغرق، وهى مقلوب **(أزز)** ومنه الأزيز، الغليان، الالتهاب، الرعد، الهياج، وهى صفات سيت التى تلتقى مع الشيطان فى القرآن حيث تقول الآيات: ألم تر إنا أرسلنا الشياطين على الكافرين **تؤزهم أزاً** /٨٣/ مريم ".

ومن الثنائى (ست) نجد فى اللسان الثلاثى (سنت)، مادة دون تحتها : " أسنت فهو مسنت **إذا أجدب** ، ويقال: تسنت فلان كريمة آل فلان إذا تزوجها سنة **القحط** .. والسنتة والمسنتة الأرض التى لم يصبها مطر فلم تنبت .. ورجل سنوت: **سيىء الخلق** "، وفى مادة الثلاثى (شأت): " شأت شئيت استشت وتشتت إذا انتشر .. وقيل **يجمع ناسا ليسوا من قبيلة واحدة** . . والشت هو المتفرق "، وفى مادة الثلاثى (شرت): " شرت. **الشرنتى طائر** " ، وفى مادة الثلاثى (شيت): " الشيتان من **الجراد** "، وكلها تشمل معانى تشير إلى قبائل متفرقة من أماكن صحراوية مجدبة، قد تعاقدت وتحالفت فى مكان واحد، مع معانى الشر والهلاك فى نفس الآن. [١٩]

تحول إذن إله الشر المصرى (سيت) عن رمز الحمار إلى رمز تصويرى مُحير، فقيل إنه ربما كان **ذئباً أوكلباً**، وربما غير موجود الآن بعدما انقرض لكثرة ما صاده المصريون القدماء، كراهية له باعتباره رمزاً للشر ، ولأنهم اعتقدوا أنه كان رب الموت بذاته. وهو بذلك يختلف عن أوزير إله الموتى فى العالم الاخر، لأن (سيت) بدأ أشبه بما نعرفه اليوم عن ملاك الموت. فأوزير رب حياة لأنه يحيى الموتى ويحاسبهم على أعمالهم. أما (سيت) فكان ملك الموتى وراعى المرض والهلاك. وقد جعل المصريون للموت عدداً من الرموز الحيوانية كلها من فصيلة ابن آوى الذى كان ينتشر فى مصر القديمة ولم يزل. وهو حيوان معروف باغتذائه على الجثث والجيف فهو من الحيوانات المعروفة بالحيوانات الرمامة . فهو لا يأنف الموت ويسير فى جماعات يقودها زعيم يتشمم المواضع لينادى رفاقه لدى شعوره برائحة الموت. ولأنه كان ينبش القبور بحثا عن غذائه الجديد فكان طبيعيا أن يتكاثر فى الجبانات، ليلحظه المصريون هناك دوماً فيحتسبونه رب الموت ذاته.

وقد أطلق المصريون على ابن آوى ملك الموت اسم (أنوبيس) الذى يلحد الموتى. وتم تصويره فى جسد آدمى برأس ابن آوى، وأحيانا بشكل ابن آوى الحيوانى كاملا . وبالرجوع إلى مفتاح اللغة المصرية القديمة وجدنا أن الياء والسين فى اسم (أنوبيس) تصريفا إسميا يونانيا. أما اسمه المصرى فهو (أنبو)[٢٠] الذى

---

(١٩) نفسه: ج١، ص ٤٤٠، ٤٤١.

(٢٠) أنطون ذكرى : مفتاح اللغة المصرية القديمة وأنواعها وخطوطها وأهم إشاراتها، د.ن، القاهرة، د.ت ، ص ١٠٩.

ربما كان يحمل فى طيات حروفة تعبير الـــ (بونى) نسبة إلى (بونت) . ومثله كان رب الجبانـــات الملقـــب بفاتح الطريق (و ب و ا ت) وينطق أيضا (و ف و ا ت) وهو ما يعادل فى العربية كلمة (وفاة) أى مـــوت. وهو من فصيل الذئاب بدورة. والمعلوم أو الشائع أن مصر لم تعرف الذئاب الكبيـــرة، لكـــن مرحـــت فـــى احراشها وحقولها وبواديها كل أنواع الذئاب الصغيرة من فصيلة ابن آوى، ومنها كان الفصـــيل الـــذى دون المصرى القديم اسمه (آش) أيضاً، ويحيطنا فهمى خشيم علماً أن آش ASH كان يقُرن عادة بالإلـــه ســـيت، وكان آش احد رموز الموت وارتبط بالصحراء والجدب مثل سيت، ويعلمنا إريك هورنونج علما أن آش **كان يرسم عادة برأس الحيوان الخاص بالإله سيت** (٢١).ويعد آش ربا للرماد وبقايا النيران، ونظنه رماد البخور تحديداً، الذى كان يحرق للموتى عند المقابر وفى المعابد والتبخير البيتى، لطرد آلهة الموت الشرير.

ويقول ابن منظور فى لسان العرب إن **الآس** هو بقية الرماد فى الأثافى، بينما يحيطنا المصرولوجست بدج علما أن سيت كان نوعا من الذئاب انقرض لكثرة ماصاده المصريون. وعند ابن منظور ثـــروة آخـــرى فهو يقول أن الأوس **هو الذئب** ومصغره أويس، كذلك **آس هو القبر**. وفى الانجليزية آش ASH تعنى رمـــاد (٢٢) كما تعنى أيضاً: قبر، شجرة دائمة الخضرة هى النورية **أو (ناريون)** (٢٣)، أو كما عرفناهـــا نحـــن فـــى نظريتنا المطروحة بهذا البحث بأنها شجرة نهارين: أيكة مديان. والجميل فى شأن حفظ اللغة لمحتواها عبـــر الأزمان أن نجد الآس أيضاً اسما لشجرة؟! شجرة الآس التى يعالج بزيتها، وربما اشتقت منها كلمة الآسى فى الساميات وفى العربية أى الطبيب المداوى، ويبدو وأن لها علاقة بالكلمة السومرية التى تطلق على الطبيـــب وهى A-ZU، ولكن معناها الحرفى هى: خبير بالزيت، وتعنى أيضاً نبى، والزيت المقصود هو زيت النباتات العطرية والطبية.

وفى دراسته للموسيقى يقول الباحث (على الشوك): " إن أقدم رمز استعمله السومريون للدلالـــة علـــى الموسيقى هو رأس **ابن آوى** .. واسم هذا الحيوان – ابن آوى – واحد فى كل اللغات الســـامية، فهـــو فـــى العبرية إى وهى ترخيم لكلمة **أوى** من الجذر آوى. وكلمة عوى الآرامية تعنى يعـــوى ويصـــرخ. ويقـــال بالعربية: ما سمعت إلا وعوعة الذئاب ووأوأة الكلاب. و وأوأ هى عوى و وَهَّ و وهْوَهَ فى صوته: ردده حزنا وجزعا. والمناحة بالعبرية يقال لها: أوى وهى تذكرنا بصوت ابن آوى أيضا. ويعتقد أن هذا الحيوان ســـمى كذلك من صراخه فى الليل الذى يشبه عويل أو صراخ طفل الإنسان. وإذا علمنا أن موسيقى وادى الرافـــدين القديمة والحديثة مغرقة فى نكهتها الحزينة .. أدركنا لماذا استعار السومريون رأس ابن آوى لهذا الفن " (٢٤).

---

(٢١) اريك هورنونج: ديانة مصر.. سبق ذكره، ص ٢٦٧.

(٢٢) فهمى خشيم: آلهة .. سبق ذكره، ج١، ص ٢٩٥:٢٩٧.

(٢٣) نفسه: ج١، ص ٣٠

(٢٤) على الشوك: بين الخطاب الموسيقى والخطاب اللغوى، مجلة النهج ، دمشق عدد ٤ ، ١٩٩٥، ص ١٣٩.

وهنا لا يفوت لبيب أن ابن آوى ذلك الفصيل الذئبى، كان يصدر صوتا هوالـــ (وَهْوَهَ) وهو ما يستدعى على الفور اسم الرب الإسرائيلى (يهوه) . ثم نستحضر بقوة ما سبق وأوردناه عن لسان ابن منظـــور تحـــت مادة: عناق، إبّان حديثنا عن العناقين العمالقة حيث يقول:

> والعناق شئ من دواب الأرض **كالفهد**. وقيـــل عنـــاق الأرض دويبة أصغر من الفهد طويلة الظهر، تصيد كل شئ حتى الطير. قال الأزهرى : عناق الأرض دابـــة **فوق الكلب** الصينى يصيد كما يصيد الفهد ويأكل اللحم.

لقد كان (سيت) رب الشر المصرى الذى أصبح رب الهكسوس الأعظم يصور فى هيئة حيـــوان مـــن فصيلة الذئاب. لكن شكله حير العلماء طويلا. ولم يتح للعلماء التعرف عليه بين حيوانات البيئـــة المصـــرية المعروفة، ولانظنه إلا العناق البونتى الآدومى، الذى عاش فى الصحارى الشرقية وسيناء وبلاد آدوم، ويبدو أنه كان أكثر انتشاراً فى آدوم البلاد الحمراء النارية، يعيش فى أحراش المـــر وأيـــك اللبـــان. وكـــان ربـــا للصحارى كما كان ربا للهكسوس، وهو ما جاء مرسوما فى نقوش رحلة حتشبسوت إلى بلاد بونـــت علـــى جداريات معبد روعة الروائع بالدير البحرى، لكن قيل فى تفسيرها أنها كانت كلابا ســـلوقية لأنهـــا أطـــول فصائل الكلاب عنقا. وكان لذلك الإله علاقة بالموت والموتى والدمار والهـــلاك والنـــار الجهنميـــة ورمـــاد البخور. كما كان له علاقة بالإله الذى التقى بموسى فى شجرة نارية لا تحترق ببلاد مديان / آدوم، المعروف باسم (يهوه).

وأتذكر هنا إبان تلمذتى صغيراً فى مسقط رأسى مدينة الواسطى من أعمال محافظة بنى ســـويف أول محافظات صعيد مصر – وكان ذلك حوالى عام ١٩٦١ ولى من العمر أربعة عشر عاماً – أن شاعت فـــى البلدة قصة عن حيوان مفترس نزل البلدة من مكان مجهول، وأنه يهاجم الإنسان كما يهاجم الحيوان، وسريع سرعة مذهلة، وكانت تلك شهادة الشباب الذين وجدوا فى مطاردة الوحش متعة ومغامرة تكســـر رتابة البلـــدة الريفية ومللها، فقد أجمعوا على رؤيته مرات عدة، كما أجمعوا على أنه يقفز قفزات هائلة ســـريعة متتابعـــة يختفى بها على الفور عن الانظار. وبالغ بعضهم فقال إنه يطير ثم هذى بعضهم فأقسم أنه قد رأى له أجنحة فقد رآه يقفز طائراً وراء حمامة ليقتنصها، ولا أعلم لماذا أطلق الناس عليه حينذاك اسم (السِّلَّعَوّة) . كما أذكر أن صحيفة الأخبار القاهرية قد نزلت البلدة ممثلة فى اثنين من الصحافيين وســـجلت الحـــدث وســـعت مـــع المطاردات لكن لم يظفروا بشـــئ سوى الحالات التى كانت تظهر بين يوم وآخر لأناس هاجمتهم الســـلعوة. وكانت البلدة جميعاً تبيت ساهرة الجفون بعد أن تغلق أبوابها قبل مغرب الشمس ولا يدور فى شـــوارعها إلا رجال البوليس وطلاب المغامرة والقنص. ولم تطمئن البلدة ويهدأ روعها إلا بعد أن تم وضع السم فى تـــيس مذبوح وترك فى الشوارع، وبعدها تم العثور على حيوان ميت قيل أنه السلعوة، وأثبت طبيب البلدة البيطرى والذى لم يعد يحمل من علم الجامعة غير الذكرى، أنه نوع غريب من الذئاب طويلة العنق، وانتهـــى الأمـــر ونامت البلدة ومر الحدث بليداً على علمائنا الطيبين طيب الله أرزاقهم من حيث لا يحتسبون.

وقد عدت إلى الإضافة لهذا الفصل مجدداً بعد أن طالعتنا مجلة روز اليوسف القاهرية إبان كتابتى لهذا الفصل من العمل، بتحقيق صحفى تحت عنوان: " الوحش المجهول الذى يهدد الصعايدة " وقد كتب الموضوع تحت عناوين أساسية ذات دلالة وإيحاءات فهى:

- أرجله الخلفية أطول وقفزته عشرة أمتار ويتمتع بصفات الثعلب والكلب.
- الفيضان ودق الطرق وتفجيرات الجبال دفعتــه للهروب للقرى.
- ظهر فى الستينات فى طره والمقطم .

ومن التحقيق نقتطع بعض الفقرات التى تعين على تحديد مواصفات (السلعوة) كما فى قوله: " يظل هذا الحيوان الغريب مهدداً لعدد هائل من المواطنين فرض عليهم حظر التجول الإرادى ليلا، خشــية التعــرض لهجوم من سلعوة والتفسير القاهرى للاسم الغريب .. هو أن هذا الاسم أطلق على الحيوانات الشرسة البرية منذ الستينات فى منطقة جبال المقطم وطره بعد ظهورها وتعديها على الأطفال والمواطنين فى تلك المنــاطق التى كانت تضم معسكرات للجيش هجرت، فانتشرت هذه الحيوانات ولم يستطع أحد اصطيادها أو الســيطرة عليها، واستمرت الظاهرة وقتها أكثر من أربعة أشهر ثم اختفت بعدها نهائيا.. "

ثم فى موضع آخر يقول التحقيق: " المفاجأة العلمية الثانية بعد العودة إلى قنا كانت على لسان الدكتور . . . مدير عام الحياة البرية فى مصر، الذى قال إنه لا يستطيع أن يحدد اسم هذا الحيوان أو فصيلته إلا بعد دراسة شاملة له.. وقال إن هذه النتائج سوف تظهر عقب عودة البعثة من قنا ".

وفى موضع ثالث نقرأ " تسبب السلعوة فى مقتل أربعة أشخاص هم ...[يسميهم] فضلا عن إصابة ٢٦ شخصا بجروح وأمراض خطيرة وتكمن المشكلة فى أن البعض أصيب منذ أكثر من ٤٠ يوما وما زال فــى حالة خطرة ولم تستطع الأمصال المضادة لسعار الكلب شفاءه من مرضه، بالإضافة إلى نفوق ٢٨ رأسا من الماشية نتيجة اصابتها بهجوم الحيوان المفترس عليها. بل أن كلاب الحراسة التى كانت تحمى الحقول قتــل عدد كبير منها .بهجوم من هذا الحيوان المخيف الذى أطلق عليه الأهالى اسم سلعوة ".

ويقابل الصحفى أهالى القرية بعد مقتل واحد من تلك السلعوات ويستمع من بينهم لأحــد كبــار الســن يقول: " **إن اسم السلعوة يعود لاسم فرعونى قديم** تخيله المصريون القدماء كشــئ لا يطيقــه الإنســان ولا يستطيع أن يتغلب عليه ثم صار لقبا يخيف أى شخص دون أن يدرى أية معلومة عن صاحبه، ورآه الحــاج

ويقول عنه: بعد صيده وجدت شكله يختلف عن الكلب وعن الذئب، فهو حيوان ساقاه الخلفيتان أعلى وأطول من الاماميتين، سريع فى قفزاته لا يستطيع أحد اللحاق به " [٢٥].

ونستعيد ما قال ابن منظور عن عناق الأرض االذى **يصيد كل شئ حتى الطير** ، لنتابع الاستماع إليـــه يقول:

إنه ليس شيئاً من الدواب يؤبر – أى يخفى أثـــره – إذا عدا، غيره وغير الأرنب.

وفى ضوء تلك المعلومات **ألا يكون محتملاً أن السلعوة هى البقية النادرة لذلك الحيوان القديم عناق / سيت؟** ثم نتذكر أن عاصمة بلاد آدوم كان اسمها **سالع** ونتساءل فى دهشة: هل اسم السلعوة هذا بقية مأثورة لذكريات غامضة كانت تنسب هذا الحيوان لموطنه الأشهر **سالع /سلعوة / سالعوة؟**

وعن معبودات مصر القديمة يحدثنا دوماس عن بعض الآلهة غير محدودة المعالم، منها مثلان (نـــون) المحيط الأزلى الأول الذى كان موجوداً قبل خلق العالم، **(وماعت)** ربة العدالـــة والصـــدق وكـــل المعـــانى الرفيعة، و(سيا) الذى هو مجرد التصور عقلى، أى هو رب الأفكار، لذلك هو فكرة بدوره، واســـمه يعنـــى التصور الذهنى المطلق والمجرد للإله ـــــ ثم يَعبُر دوماس عبر كتابه المحتشد بمئات الآلهة فى سطر واحدة على إله كان يحمل اسم (هو Hou) [٢٦] وهو ما يستدعى على الفور (هبا) زوج (هبات)، أو (هفا) أو (هوى). كذلك جاء ذكر هذا الإله باسم (هو) عند ياروسلاف[٢٧]، **بنفس الإشارة السريعة التى تـــوعز بعـــدم وجـــود معلومات كافية عنه.**

ويشرح إريك هورنونج عن **(هو)** قائلا إنه " **تجسيد للنطق الخلاق** الذى دعا به الإلـــه الخـــالق كـــل الأشياء إلى الوجود، وهو أحد القوى الخلاقة الثلاثة مع حكا Hike وسيا Sia التى تصاحب إله الشمس دائمـــا، **والإله (هو) ليس له عبادة فى المعبد** " [٢٨]، وهو الأمـــر الغريـــب والمـــدهش إذا علمنـــا أن (يهـــوه) رب الإسرائيليين كان إلهاً بريا ليس له معبد، ولم يقم له المعبد بعد ذلك على يد الملك داود ثم سليمان، إلا لأسباب تدعيم المركزية الحاكمة.

ومعنى أن يكون (هو) عند المصرى القديم إلها يرمز إلى النطق الذى دعا به الإله الخـــالق الأشـــياء للوجود، فهو ما يستدعى فكرة الخلق بالكلمة (كن ـــــ فيكون). فالإله (هو) ينطق مثل فعل الكينونة TO BE، وسنرى كيف أن الإله العبرى يهوه كان بدوره فعل كينونة (يكون).

---

(٢٥) عصام عبد الجواد: الوحش المجهول الذى يهدد الصعايدة، مجلة روز اليوسف، عدد الســـابع مـــن اكتـــوبر ١٩٩٦، ص ٧٩:٨١.

(٢٦) فرانسوا دوماس : آلهة مصر، ترجمة زكى سوس، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ١٩٨٦، ص

(٢٧) ياروسلاف تشيرنى: الديانة.. سبق ذكره، ص ٦٥.

(٢٨) إريك هورنونج: ديانة مصر .. سبق ذكره، ص ٢٨٨.

وفى نصوص مصر القديمة نجد حكاية بعنوان قصة الرياح الأربع عبر فيها المصرى عن اسم أحد آلهته نطقه الإله **(هو)** تحديداً ، بنقش كريش وعصافير تطير تؤدى كلها المؤدى الصوتى **IAUEE ى هـ و ى**. وتم تصوير الحرف الأخير من تلك الكتابة التصويرية فى شكل مروحتين من ريش متعارضتى الاتجاه تعبيرا عن شهيق ذلك الإله وزفيره للهواء (٢٩).

وأسماء الإله التوراتية تعطينا تنغيمات مختلفة كعزف متعدد على نوتة أصلية فهو **ياو، ياهوه، ياه، إهيه، يهوه، جاهوفاه، يهوى**، ويعطيك النغم صوت الريح خاصة لو أخذنا بنصح (لودز) فى صحة نطق الاسم، فهو ينبهنا إلى وجوب نطق الاسم جاهوفاه بفتح ثم مد فسجول طويل(٣٠). ويرى (شتاده STADE) أن معنى الاسم هو المُسقط أى الذى يسقط البروق على الأعداء لأن هوى بمعنى سقط (٣١). بينما يذهب (فلهاوزن Wellhawsen) إلى أن الاسم (يهوه) من هوى العربية بمعنى الهواء فمعناه يهب، **أى أنه كان إلها للريح والعاصفة**(٣٢). وهو ما نراه يتصل بعبادة القمر البدوية كما سنرى.

ومعلوم فى الدراسات الميثولوجية أن القمر كان فى نظر الأقدمين معبوداً وكان معلوم أيضاً أنه جرم كبير كالشمس، لكنه غير مستقر الأحوال فسلوكه (هوائى). وحتى اليوم نقول عن الشخص المتقلب أنه هوائى.

ومع قيام الدولة الأكادية السامية فى الرافدين القديم يبرز بين الآلهة السومرية القديمة الإله (إنليل) واسمه مركب من ملصقين (آن = سيد أورب) + (ليل = الليل أو الهواء)، وقد اعتبر رب الليل وانتمى الناس إليه بالعبودية حتى زمن الدعوة الإسلامية كما يأتينا فى اسم (عبد ياليل) (٣٣). ولم يزل المطرب الشعبى فى بلادنا يغنى لهذا الرب بمواله: ياليل ياعين، وعين هنا هى عين الليل، القمر، أما أهم صفات (إنليل) التى وصلتنا فهى أنه كان رب الريح والعاصفة. ولما كان الأقدمون يرسمون للكواكب والنجوم خرائط تخيلية تحددها لتسهل مقاربتها، ولأن التجريد الخطى لم يكن قد نضج بعد، فقد جعلوا خرائط الفلك على أشكال الحيوانات . وكان حظ القمر من تلك الخرائط رمز الحيوانات ذات القرون، لأن القرنين يشبهان الهلال. فقاموا يرسمون تحت الهلال رمزه الأرضى: الثور والتيس والخروف، لكن الصورة التى حازت الانتشار كانت صورة الثور، لأنه على الجانب الآخر كان يمثل قوة الخصوبة فى الطبيعة لفحولته الجنسية. وهنا ما علينا سوى أن نتبع نصح (لودز) فى نطق يهوه (جاهوفاه) بفتح فسجول طويل لنستمع لأنفسنا نخور خواراً فصيحا. إنه بدوره صوت الريح ولا ننسى أن من معانى كلمة سوت Swt إحدى مشتقات سيت فى معجم

(٢٩) جارودى: فلسطين أرض.. سبق ذكره

(٣٠) Lods. A, Israel From its Beginnings to the middle of eight century London, ١٩٦٣, pp. ٣٢١-٣٢٢

(٣١) Stade. B,Le herbuch der hebraischen Grammatik, Libzig, ١٩٧٩, p ٤٢٩.

(٣٢) Wall hawseen . J, Die bibllischen Atertu mer, clu an Stuttgart .

اقتبسه د. يعقوب السيد بكر فى هوامشه على ترجمة كتاب موسكاتى: الحضارات السامية القديمة، دار الكتاب العربى للطباعة، القاهرة، ١٩٥٧، ص ٢٨٦

(٣٣) ابن عبد البر: الاستيعاب فى معرفة الأصحاب، مج ٣ ، ص ١٠٠٧، وأسد الغابة فى معرفة الصحابة، مج٣، ص ٥١٢.

فولكنر ٢١٥: معنى قوة الريح. وكثيرا ما قيل فى الأساطير القديمة أن الريح الأعصارى يخرج من منخار ثور أسطورى.

لكن المدهش حقا – وسر الدهشة سينجلى بعد قليل – أن نجد المصرى القديم يدون لنا عن ذلك الإله المذكور فى هيئة مراوح من ريش تزفر الهواء تنبيها يقول: " إنه الإله الذى **يحرم النطق باسمه** " (٣٤). وهو ما ترك صداه فى الأساطير الدينية حول اسم الإله الأعظم أو اسم الإله الخفى، وهو الاسم الذى إذا عرفه شخص تقى أو محظوظ يمكنه أن يكتسب قدرات الفعل الإلهى، ويكسر به قوانين الطبيعة ويفعل المعجزات. وقد شرح المصريون وبعدهم علماء المصريات السر فى تحريم النطق باسم هذا الإله، والمتمثل فى كونه **ليس كائنا بل هو نطق. هو الكلمة الخالقة.** هو فعل وليس كيانا ماديا، لذلك استخدمت فى التعبير عنه حركات الريح زيادة فى تجريده عن المحسوس. وهو ما يلتقى مع الاسم (هفا) أو (هوا) زوج ربة الشمس (هبات) فى بلاد الحوريين المديانية، وإليه انتسبت باسمها الأميرة الميتانية التى تزوجها أمنحتب الثالث وعرفت باسم (جيلوخيبا) أو (ايلوهوا) وترجمتها (الإله هواء).

ولو أمكننا الاطمئنان الكامل لكلام (برستد) حيث لم نجد هذا الكلام إلا عنده، لأمكن القول أن (هوا) أو (هفا) هو نطق لاسم نفس الإله (يهوه) لأنهما كانا يعبدان فى ذات المكان وذات الزمان فهو يقول: **إن أهل مديان قبل موسى كانوا يدينون بديانة إله وثنى باسم (يهوه).**(٣٥) **وهذا كله إنما يلتقى مع صفة عناق الآدومى شديد السرعة كالريح** وبقيت عنه ذكريات جاءت فى لسان العرب وهو يقول:

> إنه ليس شيئا من الدواب يؤبر – أى يخفى أثره – إذا
> عدا، غيره وغير الأرنب، وجمعه عنوق، والفرس
> تسمية سيا كوش.

ثم نجد لدينا قطعة أدبية كنهوتية مصرية تعود إلى زمن من الأسرة التاسعة عشرة ربما من زمن رمسيس الثانى، معنونة بعنوان شديد الدلالة هو (الإله واسم قوته الخفى)، تروى كيف كان للإله عدة قوى، ولكل قوة اسم مقدس معبود، وبين تلك الاسماء كان ذلك الاسم الذى لا يعرفه أحد وهو سر قوته (٣٦).

هذا بينما على الجانب الآخر نجد (موسكاتى) يقول: " كان إله إسرائيل يظهر وسط السحاب ويبدى قوته فى البرق والعاصفة (٣٧)". وكان (سيجموند فرويد) يؤكد " أن الإله يهوه هو الذى أهداه موسى المديانى شعبا جديداً لم يكن كائنا أعلى، بل كان إلها محليا محدوداً وشرسا، عنيفا ودمويا "(٣٨) **إن فرويد كان مثل**

---

(٣٤) جارودى: فلسطين أرض .. سبق ذكره، ص ٩٩

(٣٥) برستد: فجر الضمير، ترجمة سليم حسن، مكتبة مصر، القاهرة، د.ت، ص ٣٨٦.

(٣٦) سامى سعيد: الرعامسة.. سبق ذكره، ص ١١٧.

(٣٧) موسكاتى: الحضارات السامية القديمة، ترجمة د. السيد يعقوب بكر، دار الكاتب العربى للطباعة، القاهرة، ١٩٥٧، ص ١٤٩.

(٣٨) سيجموند فرويد: موسى .. سبق ذكره، ص ٦٨.

(جيمس برستد) يعتقد جازما أن يهوه كان إلها مديانيا سيناويا آدوميا أما الـذى يجب إبـرازه هنـا أن المصرى القديم كان دائماً يتحدث عن أرض الإله أى بلاد بونـت، لكنه أبداً لم يذكر لنا اسم هـذا الإلـه ولا مرة واحدة، ونفهم الآن السبب الواضح، لأن هذا الإله كان فعلاً، لم يكن اسما وليس له اسم، إنه فقط (هو).

ويشرح (كمال الصليبى) معنى اسم الإله الإسرائيلى (يهوه) فيقول: " يهوه: قـد تعتبـر هـذه الكلمـة بالعبرية على أنها الاسم الذى تطلقه التوراة على الله .. وهو اسم لا يلفظ فى القراءة **إجلالا** بل يُكنـى عنـه بكلمة الرب، وهكذا يترجم الى العبرية. ويعتبر علماء اللغة أن يهوه هى أيضاً صيغة مضارع لفعـل هيـه بمعنى كان، والمضارع من هذا الفعل هو عادة يهيه . كلمة يهوه إذن قد تعنى: الرب وقد تعنى: **يكون** " (٣٩).

وللباحث نفسه كتاب آخر يعقب فيه على نص التوراة الذى يحكى عن لقاء موسى لربه فى نبات مضئ بسيناء " فناداه الرب يهوه من وسط العليقة وعرفه بنفسه قائلا: ءهيه ء شر ء هيه، أى أكون الذى أكـون، أو بمعنى آخر: أنا من أنا، وطلب منه أن يسميه باسم أهيه أى أكون. والاسم هذا من الناحية اللغوية هو اشتقاق من هيه بمعنى كان أو بأى معنى آخر، والجذر نفسه يرد أيضاً فى العبرية التوراتية بشكل **هوه** . والواضـح على كل حال أن الاسم **ء هوه** هو ذاته اسم الرب يهوه " (٤٠).

بينما الترجمة العربية للتوراة الصادرة عن الكنيسة الكاثوليكية تسجل نص خطاب الرب لموسى هكذا: " أنا هو الكائن، قل لبنى إسرائيل الكائن أرسلنى إليكم " ويعقب (انيس فريحة) على ذلك بقولـه: " إن كلمـة يهوه هى اسم الإله وهو فعل مضارع من **هوى** " (٤١).

وفى مصر القديمة إله للهواء أو للهوى معلوم مشهور هو المعروف باسم (شو SHU) الذى يحمل قبـة السماء. ويقول لنا (فهمى خشيم) أن المقابل العربى لهذا الاسم بالجذر الثنائى **ينطق (هـو) أو (هـواء) رب الهواء ويرسم بشكل ريشه.** وقد صور المصرى القديم ذلك الإله برجل **على رأسه ريشة أو مجموعة من الريش للدلالة على الهواء.** ونحن نعلم أن الريشة كانت علامة الملوكية عند البدو الذين يضعون الريش على رؤوسهم علامة السيادة (٤٢) تيمنا برب الهواء.

وهكذا فإن الإله (سيت) كان فى نظر المصريين راعيا للموت وربا له. وكان له عدد مـن التجليـات فارتبط بنوعين من الحيوان: **الحمار** لأن لونه أحمر، وبالحيوان البونتى الآدومى **(عنـاق)**. وربمـا ارتـبط بكائنات مصاحبة عاشت فى المنطقة وكانت من علاماتها الدالة، مثل **حية السف الطـائرة** . كما ارتبط بطائر صياد للحيات هو طائر **الفينيق**، وكان عند المصريين ربا لذوى البشرة السوداء أو الكوشيين، لذلك رأوه ربا

---

(٣٩) كمال الصليبى: التوراة جاءت.. سبق ذكره، ص ١٢٩.

(٤٠) كمال الصليبى: خفايا التوراة وأسرار شعب إسرائيل، دار الساقى، لندن، ١٩٨٨، ص ٢١٥.

(٤١) أنيس فريحة: دراسات فى التاريخ، دار النهار، بيروت، ١٩٨٠، ص ١٧٩.

(٤٢) فهمى خشيم: آلهة.. سبق ذكره، ج٢، ص ٤٢٧.

للجنس الأسود الزنجى الذى كان يعيش جنوب الوادى وكان يطلق على تلك المنطقة الجغرافية اسم بلاد كوش – كما كان إلها للجنس الأسود الذى عاش على حدود مصر الشرقية فى سيناء وآدوم.

والكتاب المقدس يروى لنا فى سفر الخروج رواية شديدة الدلالة إذ يقول إن يهوه رب إسرائيل بعد أن ضرب مصر بكثير من الضربات المهلكة، وجعلها بلاداً قحطا قفــراً ، كتحويل مياه النيــل إلـــى دم نـــتن، وإرسال الريح المحملة بالبرد والنار على البلاد مما قضى على الزرع والناس والحيوان، وتسليطه الحشرات كالجراد على المزارع، والأوبئة التيفودية الفتاكة على الحيوان والإنسان. قرر فى الليلة الأخيرة قبل خــروج بنى إسرائيل من مصر فى الصباح، قتل كل بكر فى مصر سواء كان إنسانا أم حيوانا ونســتمع معــا لهــذا المقطع التوراتى الذى يوعز بأن ذلك القتل كان عنيفا، صاحبته إسالة دماء هؤلاء الأطفال **كما لو كان قد تــم تمزيقهم إربا.** يقول هذا المقطع:

فدعا موسى جميع شيوخ إسرائيل وقال لهم : اســحبوا وخذوا لكم غنما بحسب عشائركم واذبحــوا للفصـــح، وخذوا باقة زوفا واغمسوها فى الدم الذى فى الطســت ومسوا العتبة العليا والقائمتين بالدم الذى فى الطســت. وأنتم لايخرج أحد منكم من باب بيتة حتى الصباح **فإن الرب يجتاز ليضرب المصريين فحين يرى الدم** علـــى العتبة العليا والقائمتيـــن يعبر الرب عن الباب، **ولا يدع [المُهلك] يدخل بيوتكم ليضرب** .. فحدث فـــى نصـــف الليل أن الرب ضرب كل بكر فى أرض مصر، مـــن بكر الفرعون الجالس على كرسيه إلى بكر الأسير الذى فى السجن وكل بكر بهيمه. فقام فرعون ليلا هو وكـــل عبيده وجميع المصريين، وكان صراخ عظيم فى أرض مصر لأنه **لم يكن بيت ليس فيه ميت.**

خروج ١٢/٢١-

٣٠

لقد كان المحرر التوراتى يعلم بالتباس الإله يهوه بكائن اسمه (المهلك) أى المفترس، وحـــاول الفصــل بينهما لكنه لم يتمكن من ذلك تماماً فظهرا كائنا واحداً، وهو ما يذكرنا بالإله (سيت) المصرى رب المــوت، المعروف لدى الإغريق باسم **(طيفون)** سيد عالم الأوبئة والدمار، الذى زعمناه **عناق** وفضلنا وصفه بعنـــاق البونتى. لتبقى عنه ذكريات حفرية انتقلت عبر الأجيال حتى زمن دعوة الإسلام، ليعبر عنها القرآن فى قوله: " **فطاف** عليهم **طائف** من ربك وهم نائمون / ١٩ / القلم " ومن المدهش أن يفلت مـــن المحـــرر التـــوراتى تصورا واضحاً لهيئة ذلك المهلك الإلهى اليهوى ، فيتابع سرد كيف أهلك المهلك أبكار المصريين فى قوله:

وقال موسى: هكذا يقول الرب: **إنى** نحـو منتصـف الليل أخرج فى وسط مصر، فيموت كل بكـر فـى أرض مصر، من بكر الفرعون الجالس على كرسـيه إلى بكر الجارية التى خلف الرحى وكل بكر بهيمـه. ويكون صراخ عظيم فى كل أرض مصر لم يكن قبله ولا يكون مثله أيضا. ولكن جميع بنـى إسـرائيل **لا يسنن كلب لسانه إليهم** لا إلى الناس ولا إلى البهائم، لكى تعلموا أن الرب يميز بين المصريين وإسرائيل.

خروج ١١/ ٤ – ٧

إذن **فالمهلك التوراتى من الفصيلة الكلبية**، ونحن نعلم أن أحد سلالة يهوذا بن يعقوب قد حمل اسم تلك الفصيلة، فهو (**كالب** بن يفنة) أبو قبيلة الكلبيين، ويحيطنا على الشوك علماً فى عبارة سريعة لكنها تعنى لنـا الكثير، تقول: " إن **الكالبيين هم الآدميون** حلفاء اليهود "[٤٣].

وفى نص مصرى ورد لأول مرة فى نصوص ترجع إلى القرن التاسع عشر قبل الميلاد فيما يسـمى نصوص اللعنات، التى كانت تكتب على جرار فخارية تسجل أسماء أعداء مصر وبلادهم وحكامهم، ثم يـتم تحطيمها فى طقس سحرى تماثلي يفترض فيه أن الشبيه ينتج الشبيه لجلب الأذى على أصحاب تلك الأسماء. والنص الذى نقصده يعدد ملوك وبلاد نقف مع اسم أحدهم دهشين لكن مطمئنين به إلى فروضـنا، إذ يـذكر النص اسم ملك لبلاد تشغلنا فيقول .

وإيدوم حاكم إى عنـاق وجميع بطانتـه

ويقرب آمو حاكم أورشليم وجميع بطانته

ويستمر سجل الأعداء المطلوب إنزال اللعنة عليهم بالطقس السحرى فيذكر أثنى عشر ملكـا بـبلادهم [٤٤].إلا أن الملحوظة الهامة على نص اللعنة المذكورهنا أنه قد حدثت فيه حالة تبادل ما بين اسم الملك واسم البلاد الآدومية، فحمل الملك اسم (إيدوم) أو (آدوم) وكان يحكم فـى (إى – عنـاق)، والكلمـة (إى) كلمـة سومرية هندو آرية ورثتها الساميات عن السومرية، وترد على التبادل مع كلمة (بيت BIT) التى تحمـل ذات الرسم والمعنى فى اللغة العربية، فبلاد آدوم كانت (**بيت عناق**) ومقره.

---

(٤٣) على الشوك : سبق ذكره

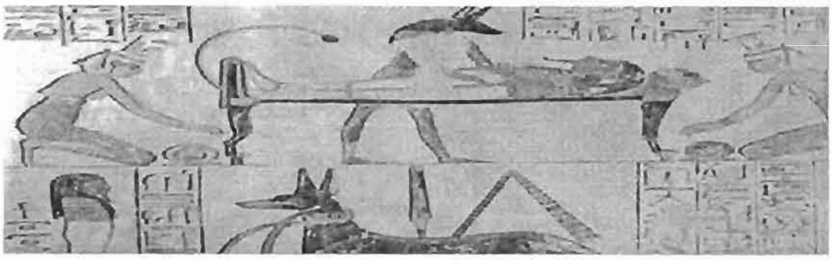
(٤٤) فراس السواح : الحدث ... سبق ذكره ، ص ١٤١.



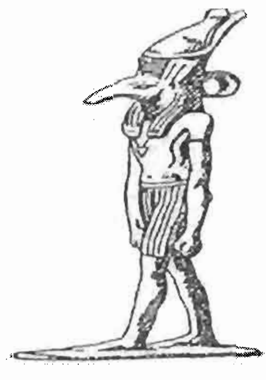
شكل رقم (٥١)
أنوبيس / المتحف المصري، لاحظ مدى اشتراكه في هيئته الجالسة وأذنيه المرتفعتين مع الالـــه سيت، ولاحظ الطوق الذهبي حول العنق.



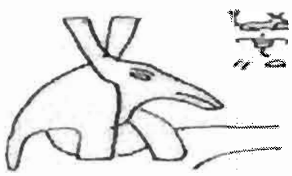
شكل رقم (٥٢)
أنوبيس رب الموت في مصر القديمة



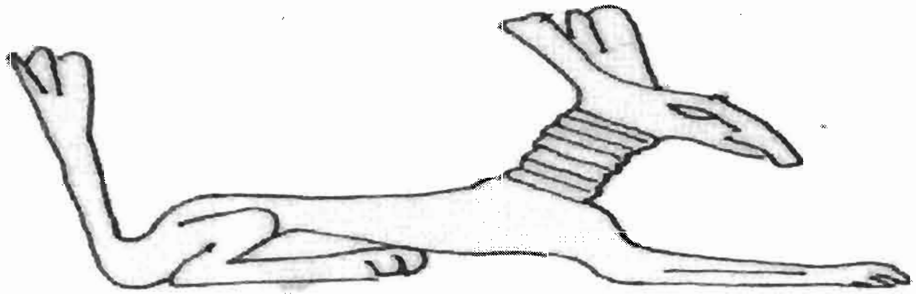
شكل رقم (٥٣)
ابن آوي يلحد الموتى في مقبرة سبتاح التعويذة رقم ١٥١ من كتاب الموتى



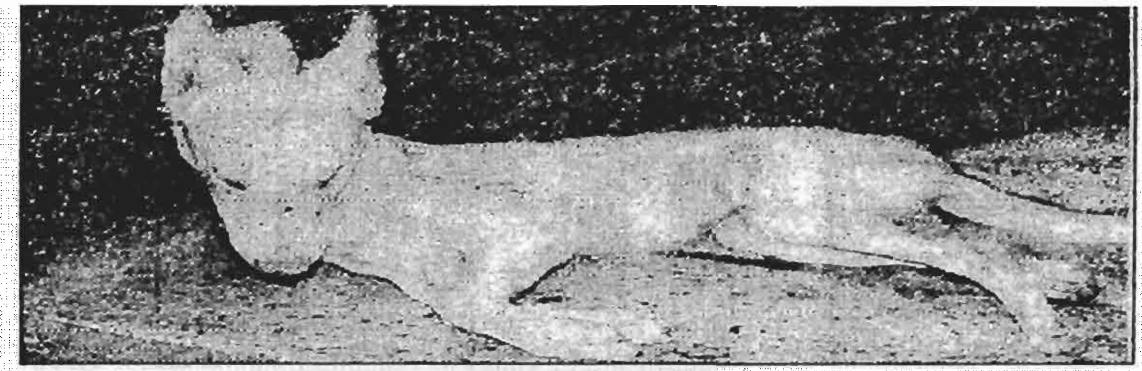
شكل رقم (٥٤) رب الشر سيت يلبس تاج



شكل رقم (٥٥)
سيت تفصيل علوي



شكل رقم (٥٦) سيت يلبس أطواقاً ؟! مدياني ؟!



السلعوة بعد القبض عليها حية فى أحداث قنا منذ فترة انتقلت إلى القاهرة وأثارت الرعب فى القطامية

٤ تليفونات عملة لمواجهة السلعوة

كتب جمال حسين:

فى استجابة سريعة وافق المهندس سليمان متولى وزير النقل والمواصلات على طلب اللواء حسن الالفى وزير الداخلية بانشاء ٤ تليفونات خدمة عامة بمنطقة القطامية. بعد ان هاجم حيوان السلعوة المفترس الأهالى وأصاب ١٢ طفلا. كان اللواء محمد عبداللطيف خضر مساعد أول وزير الداخلية قد انتقل الى منطقة القطامية عقب ظهور السلعوة بها ولاحظ مدير الأمن اثناء جولته قصور الخدمات بالمنطقة الجبلية فقام باعداد مذكرة رفعها الى اللواء حسن الالفى وزير الداخلية بضرورة وجود تليفونات خدمة عامة وقد قام وزير الداخلية باخطار وزير النقل والمواصلات حيث وافق على التركيب الفوري لأربعة تليفونات يبدأ تركيبها خلال ٢٤ ساعة.

شكل رقم (٥٧)

السلعوة فى الأخبار القاهرية بتاريخ ١٩٩٧/٤/٦ لاحظ الآذان وقارن مع سيت، والوجه الأقرب إلى الحمار.

المسئولون فى حديقة الحيوان:

سلعوة القطامية أخطر من سلعوة أرمنت

كتب سيد عبدالقادر

اكد مصطفى عوض مصطفى وكيل وزارة الزراعة والمشرف العام على حديقة الحيوان ان حيوان السلعوة الذى ظهر فى القطامية هو هجين بين الكلاب والثعالب [illegible]



انياب السلعوة بارزة كالذئاب واذنها اطول من اذن الكلاب





مصطفى هيكل   مصطفى عوض

منها للانسان فى حالة العقر (العض) او حتى اذا ما داعب الشخص الحيوان المصاب فاصاب لعابه احد الجروح الموجودة بجسمه.

وقال ان هناك احتمالا كبيرا لان يكون سلعوة القطامية مصابة بالسعار لان هذه الفصائل لا تهاجم الا فى حالتين اذا ما كانت جائعة او اذا ما كانت مصابة بالسعار مما يجعلها تهاجم بلا سبب وتهجم وتفترس من اسنانها وتأكل حتى الخشب والمسامير والحل الوحيد هو ان يتعاطى كل من اصابته السلعوة بمصل داء الكلب ولا يضبط الجرح حتى لا ينتقل الفيروس للمخ. كما يجب الاحتفاظ بالحيوان حيا لمدة ٢١ يوما لو استطعنا كما نفعل مع الكلاب لان الكلاب اذا كانت مصابة بالسعار فانها تموت خلال ٢١ يوما فاذا ماتت اكمل المصاب كورس المصل، واذا استمرت حية بعد ٢١ يوما توقف عن المصل واضاف ان الحيوان المصاب بالسعار لا يستطيع شرب الماء ويصاب بشلل ولا يأكل ويسيل اللعاب بغزارة، وهذا اللعاب هو الذى يحمل الفيروس

شكل رقم (٥٨) أخبار السلعوة (أو المنسوبة إلى سالع) فى صحيفة الأخبار القاهرية بتاريخ ١٩٩٧/٤/٧

معان المصرية

تقيم التوراة فى شجرة أنسابها وتقسيمها للأجناس، علاقات قرابة ونسب ما بين الجنس العربى والجنس العبرى، فتجعلهم من أصل واحد، وتعيدهم دوماً إلى سلف واحد مشترك، وأدرجوا تحت هذا السلف المشترك: العبريين، والعرب الشمالية والجنوبية، بإرجاعهم جميعاً إلى أب بعيد واحد هو (عابر)، والواضح على المستوى اللسانى بالقلب اللغوى (الميتاتيز) أن عبرى مقلوبها عربى.

ومن هنا يمكن الظن أن هذا المزج يعود إلى ذكريات تاريخية، إلى زمن هجرات وتحالفات وحروب وتداخلات حدثت بين مجموعة شعوب فى المنطقة، وأصرت التوراة من جانبها على ربطها جميعاً بصلات قرابية، لتميز من بينهم شعبها المختار (إسرائيل). ومن جهتنا نعتبر ذلك ترديداً **لكشفنا للملكة التجارية الكبرى التى قامت فى بلاد آدوم، بين حلفاء من أجناس مختلفة وألسن متباينة، واقتضت مصلحتها إقامة كونفودرالية شكلت لونا من قومية المصالح التى اقتضت تنظيرا قبليا، قام المقدس برتقها ببعضها باعتبارها بطون وأفخاذ لأصل واحد امتد من حدود الدلتا الشرقية المتصلة بسيناء، حتى الرافدين والخليج الفارسى شرقا، ومن الشمال السورى والرافدى حتى اليمن جنوبا.**

وغنى عن البيان أن ما حدث فى آدوم قد وجد صداه فى عود تاريخى يكاد يطابق ما حدث فى بلاد آدوم بعد ذلك بقرون طوال، عندما قامت مكة فى بلاد الحجاز بدور الوسيط التجارى لعالم الإمبراطوريات، حين توفرت لها الظروف القديمة، والتى أهلتها لتقود القبائل المتفرقة نحو دولة واحدة مركزية، لتكرر ذات ما حدث فى بلاد آدوم، فحين استوت لها أسباب القوة تحولت عن قبض عشور التجارة إلى التجارة بأموالها الخاصة ثم إلى توحد الشركاء فى منظومة واحدة، ثم احتلال دول المحيط احتلالا مباشرا واستيطانيا، **هاجرت فيه القبائل العربية لتسكن البلاد المفتوحة وتحكمها حكماً مباشراً فى ولايات، بالضبط كما حدث زمن الهكسوس وتكوينهم إمبراطورية تجارية كبرى توزعت فيها الولايات على القبائل الكبرى داخل الحلف الواحد**. حتى أن مكة قد ضمت مدن الخط التجارى القديم القادم من اليمن حتى مصب ذلك الخط فى دول المتوسط الشرقى، كما ضمت فى عضويتها أجناس متعددة يأتينا ذكرها فى صحابة نبي الإسلام أنفسهم ما بين الزنجى الكوشى بلال الحبشى وبين الهندوآرى الرومى صهيب، وما بين الفارسى سلمان.

وفى المأثور العربى ترديد متكرر ومتواتر لأمر كان يحتفظ به قدامى العرب من ذكريات الأزمنة الخوالى، وهو أن جزيرة العرب كان يعيش فيها من فجرها جنس أطلقوا عليه **العرب العاربة**، أى العرب الأصيلة الراسخة فى العروبية والمتجذرة فيها من فجرها القديم، وهم من حظوا بلقب العرب **القحطانية**، وهم المفترض أن يكونوا سلسلة من الأخلاف لشخصية وردت فى شجرة الانساب التوراتية باسم (يقطان). وتقول لنا المصادر الإخبارية العربية أنه قد وفد على جزيرة العرب من بوابتها الشمالية جنس آخر وافد هبط إليها هبوطاً غير منطقى لأسباب مجهولة، هجر مناطق الخصب فى بلاد حوض المتوسط الشرقى لينزل جنوباً إلى

صحارى شمالى جزيرة العرب ومنطقة الحجاز، وكانت أشبه بهجرة استيطانية حمل أصحابها اسم **العرب المستعربة**، أى العرب غير الأصلاء أو الدخلاء الذين اكتسبوا العروبية ولم يكونوا من ابنائها، وقد اصطلح على تسميتهم العرب العدنانية نسبة إلى سلف بعيد باسم عدنان وهنا يخالف النسابة العرب شجرة الانساب التوراتية، حيث لا نجد (عدنان) هذا فى تلك شجرة التوراة. لكن أخبار العرب تلتقى مع أخبار العبر فى اسم آخر أطلقه المؤرخون العرب على العرب العدنانية، **فهم اسماعيلية يعودون إلى إسماعيل ابن الخليل إبراهيم، والاسماعيلية هو الاسم الذى فضلته التوراة للعرب الشمالية المستعربة العدنانية.**

وهكذا نفهم أن هناك ارتباطا، يشير إليه كلا المأثورين العربى والعبرى، بين عرب الحجاز وبين الجنس الإسرائيلى عبر الخط الإسماعيلى، وأن الفرع الإسماعيلى أو العدنانى للعرب قد هاجر من مواطنه في الفترة الهكسوسية حول بلاد آدوم والنقب ومحيطها، ليهبط بلاد نجد و الحجاز، نتيجة ربما لخلافات قبلية أو تناقضات مصلحية، حدثت داخل البطن الإبراهيمى حسب رواية التوراة التى وافقتها الرواية الإسلامية، فى ترميزات أسطورية لوقائع قديمة وأحداث تغيب عنا الآن تفاصيلها الدقيقة، ومن ثم انفصل الفرع الإسماعيلى وترك الفرع الإسرائيلى فى فلسطين.

ورغم أن التوراة من جانبها لم تذكر أية معلومات واضحة عن هبوط الفرع الإسماعيلى إلى بلاد الحجاز، فإنها اكدت عروبة هذا الفرع عندما دونت ذكرياتها التاريخية عن سكنى الإسماعيليين لبلاد آدوم ووادى عربة، وأن (عيسو/ آدوم) كان من أنسباء الإسماعيليين لزواجه من محلة بنت إسماعيل شقيقة (نبايوت/ نابت) ابن إسماعيل. ويقول لنا (المسعودى): " **وإن اسماعيل بن إبراهيم إنما تكلم العربية حين نشأ فى العماليق**.. ولا خلاف أيضاً أن إبراهيم لم يكن عربيا ولا إسحاق ابنه، وان ابنه إسماعيل أول من نطق بالعربية [1]" .

والمأثور العربى يجعل أول من تولى أمر الكعبة المكية هو (نابت) ابن إسماعيل ونسله من بعده، ليربط بين العقيدة الدينية وبين أصولها الواردة من الشمال مع نابت بن إسماعيل، مع العرب الشمالية العدنانية المستعربة. والتوراة من جانبها تحيطنا علما بأن البطرك إبراهيم كان أرومة كل من الإسرائيليين والإسماعيليين الذين اعتبرهم التأريخ الإسلامى عرباً مستعربة . وهنا يجب أن نتذكر أن على خط الممالك الأخير فى غسق الممالك الآدومية، كانت مملكة الأنباط التى تحيل إلى الاسم (نابت) إحالة قوية. مع دعم آخر لتلك الإحالة إذ تحيطنا علوم اللغات القديمة معرفة بأن الخط العربى هو تطوير للخط النبطى الذى تطور بدوره عن الخط الأرامى، وهى جميعاً الإشارات التى تشير إلى أن العرب المستعربة العدنانية الإسماعيلية الحجازية يعودون بأصولهم التاريخية إلى محيط بلاد آدوم وسيناء وجنوبى فلسطين، وأنهم قد هبطوا جنوباً ليشكلوا هناك فرعا عربيا جديدا باسم المستعربة، نتيجة لأسباب لم تزل حتى الآن ضمن إرشيف التاريخ أسبابا مجهولة.

---

(١) المسعودى :التنبيه والإشراف، دار ومكتبة الهلالى، بيروت، ١٩٩٣، ص ٨٦.

ويبدو أن منطقة آدوم القديمة ومحيطها، وضمن ذلك المحيط جزيرة سيناء جميعـاً، بـل والبـرارى الملاصقة لدلتا النيل الشرقية، بما فيها من مدن مصرية، قد سكنتها أجناس عرفت بأنها (عربيـة). وأن اسـم عرابة الذى كان يخص الوادى الممتد من البحر الميت إلى العقبة، قد اتسع ليشمل كل تلك المساحة، ويضـم معها مناطق الحجر وشمالى الحجـاز. ومن هنا نفهم لماذا أطلق المؤرخون الكلاسيكيون مع مطلع العصـر الإغريقى على **إقليم شرقى الدلتا اسم (الإقليم العربى)**، كما أطلقوا على خليج السويس من البحـر الأحمـر (**الخليج العربى** من البحر الأريترى)، حتى أن عاصمة ذلك الإقليم الدلتاوى المصرى حملت لقـب(المدينـة العربية باتومى) أو باسم (بوتو) كما وردت عند المؤرخ اليونانى الأشهر (هيرودت). ويؤكـد هـذا المعنـى ليصبح حقيقة تاريخية، ما ذكرته التوراة عن استعباد الإسرائيليين فى مصر فى بناء مدينتين واحـدة باسـم رعمسيس والثانية التى تعنينا هنا باسم فيثوم التى تمت إعادتها لنطقها المصرى لدى المصرولوجيين باسم (بر ــ ثوم) التي حرفت (بى ــ توم) التى هى (باتومى) عند هيرودت، ومعناها فى المصرية القديمة (مقر الإلـه أتوم أو ومسكنه). هذا إضافة إلى أن هذا الإقليم جميعاً أسمته التوراة (إقليم جاسان) أو (جاشان) أو (جشـم)، وهو ما يستدعى (الطاسة النذرية) التى عثر عليها بوادى طميلات فى ذلك الإقليم شرقى الدلتا، مهداة للآلهـة من الملك الآدومى (**جشم** بن قينو). ثم قبيلة (غسان) التى ظهرت بعد ذلك بزمن أيام الرومان لتقيم دولة فـى ذات المكان عند خليج العقبة، مرددة فى اسمها اسم (جسان) أو(جاسان) ذلك المكان الذى كان يقـع شـرقى مصر على حدود الدلتا الشرقية وقالت التوراة أنه كان موطنا سكنه الإسرائيليون عند دخولهم مصر، ومنـه خرجوا إلى بوادى سيناء. ويبدو أن هذا الاسم قد حفر لنفسه طريقاً عبر التاريخ وامتد لتحمله قبائل سكنت فى مناطق آدوم القديمة، مكان (**جشم** بن قينو) لتقيم دولة **الغساسنة** زمن الرومان، ولاحظ (جاسـان = جشـم = غساسنة).

ورغم أن المؤرخ (رينيه ديسو) لم يذهب إطلاقاً إلى ما ذهبنا إليه نحن حتى الآن، فإنه يلقى بقول عابر يلتقى تماما مع ماوصلنا إليه إذ يقول : " **إن النبطيين كانوا يتكلمون الآرامية** .. وأقاموا فى جنوب فلسطين، حيث كانت مدينة سالع Patra هى العاصمة، ثم أصبحوا **مهيمنين على الطرق التجارية** (٢) "

هذا بينما كان (إحسان عباس) يعبر عن دهشته وهو يؤرخ لمدينة البتراء زمن الأنباط بقولـه: " **بـين الأنباط وأهل اليمن عنصرا هاما مشتركا، وهو طرق تخزين المياه وأساليب الرى والمهارة الزراعية بعامة** "، ثم يحاول البحث عن الأسباب وراء ذلك الاستقرار الحضارى فى المنطقة الآدومية فيستطرد: " إن السؤال عن السبب الذى حداهم لسكنى تلك المنطقة .. نفترض أن حاجة قطعانهم إلى المرعى **والماء** هدتهم إلى ذلك المكان، ورويدا رويدا وجدوا فى الاستقرار وفى طبيعة المكان نفسه، حماية لأنفسهم وقطعانهم، ثم اكتشـفوا بعد ذلك صلاحية المكان **للتجارة ولاستقبال السلع من جهات مختلفة**، وتفتحت عيونهم على بريـق الثـراء وحين أحرزوا كل ذلك لم يطلبوا عن ذلك المكان تحولا. ثم أنهم لما بدأوا هم أنفسهم يتاجرون، ولم يعـودوا

---

(٢) رينيه ديسو : العرب فى سوريا.. سبق ذكره ص ١٥.

نقله لمتاجر غيرهم مقابل أجر معلوم، اكتشفوا حاجتهم الماسة إلى الكتابة.. **فكتبوا بالأرامية** .. لكن العربية الشمالية لم تكن يومئذ لغة مكتوبة، اعنى لم تكن قد اشتقت لها أبجدية محددة الرموز، إذ يكاد الباحثون يتفقون على أن **الحرف العربى اشتق من الحرف النبطى .. وبدأوا يكتبون العربية بحروف آرامية** " (٣).

والمعلوم أن أهم أعمدة تلك التجارة كانت المواد العطرية، وعمودها مواد التبخير من زيوت واللبان بأنواعه، لذلك تساءل المؤرخون طويلا عن السر العجيب وراء رواج مادة اللبان، وكل تلك الأهمية التى تحملها للعالم القديم. ومن ثم نرى أنه إضافة إلى السبب الواضح فى قدسيتها لأهميتها التعبديه للتبخير للأرباب، يمكن الركون إلى سبب أكثر وضوحا وراء غلاء تلك المادة والطلب العالمى عليها كمادة من المواد الثمينة. وهو أن علم الطب فى مراحله الإبتدائية، وفى كافة المدونات الطبية وعلوم الصيدلة القديمة، قد اعتمد اعتماداً كليا على عنصر أساسى مشترك هو اللبان / المر/ العلك، باعتباره المشترك فى أى تركيب علاجى، وبخاصة للجروح، وهى الحدث الدائم فى حياة الإنسان أيام شظف عيشه القديم، حيث كان الجرح قاتلا لصاحبه إذا تلوث، واستمر فى النزف، فكان عزله باللبان بعد معالجته الكيميائية مع التسخين، ما نعا للتلوث والنزف، وقد استمر هذا العلاج حتى زمن متأخر أيام المسيح، وحتى اليوم نجد فى الطب الشعبى مادة اللبان/ العلك/ مادة أساسية لعلاج الأمراض الصدرية والمعوية وأمراض الدم، وهنا نقرأ لسان العرب يحدثنا تحت مادة نبط:

> " النبط: جمع أنباط .. **ونبط الماء نبع**.. والنبط ما يتحلب من الجبل كأنه عرق يخرج من أعراض الصخر.. وشاة نبطاء: بيضاء الشاكلة **محورة** ، فإذا كانت **بيضاء** فهى نبطاء ب**سواد** ، وإذا كانت سواء فهى نبطاء ببياض، .. وفى حديث ابن عباس: نحن معاشر قريش من النبط من أهل كوثى وربا [لاحظ أن كوثى بجنوبى العراق/ المؤلف]، وقيل أن إبراهيم الخليل ولد بها وكان النبط سكانها.. **وعلك الأنباط هو الكامان المُذاب يُجعل لزوقا للجروح** ".

ويوضح (فهمى خشيم): أن علك الأنباط ربما كان هو ما نسميه اليوم الصمغ العربى، أما اسمه الكامان، فهو أصلا من المصرية (ق م إى ت qmiyt) أى صمغ، ومن (ق م إى qmiy) وهو سائل من مواد الصمغ، و(ق م إى . ت. ن ت . ع ن ت ى qmiy. t. nt. anty) أى صمغ شجرة المر، و (ق ع م إى qamiy) أى نبات زيتى و (ق م إى qamiy) أى دهان. وهو فى معجم المصرولوجست (بدج) نوع من **اللزوق** ، وجذره (ق م أو ج م) الذى أخذته اليونانية بالكاف (كومى Kommi) وكذلك اللاتينية (qummi). ومن هنا

---

(٣) إحسان عباس: تاريخ دولة .. سبق ذكره ، ص ٢٣:٢٥.

نعلم لماذا كان المطاط فى الفرنسية القديمة هو (gomme) وفى الإنجليزية (gum = صمغ = علك = مطاط)، وقد أبدلت (q) و(g) من العربية (ك)، فهى فى العربية من المصرية (كم) ومنها جاء اسم الكامان علك الأنباط. ولا يفوتنا التأكيد على أن اللبان أو الكامان (ع.ن.ت.ى) جاء هنا غير منسوب لا للصومال فى أفريقيا ولا لليمن ولا للهند، إنما **للأنباط**، لبلاد آدوم. وهى الوراثة اللغوية لواقع أحداث بعيد يؤكد على **الرباط بين اللبان والأنباط**، ويؤكد مانقوله من بداية هذا حتى الآن. ولا نستطيع هنا أن نمنع الذهن من تداعياته، وهو يتذكر المملكة التى قامت جنوبى مصر حوالى ١٦٠٠ ق.م واستمرت حتى ٣٠٨ ق.م ، وحملت اسم مملكة (نباتا Nabata) ، والتساؤل الملحاح يقفز طوال الوقت عن علاقة الجنس الأسود باسم نابت ونبايوت ونباتا ونبط وبلاد بونط، خاصة أن مملكة نباتا قامت فى منطقة النوبة، التى كانت تكتب وتنطق بفتح التاء الأخيرة / الهاء، (نوبت)، التى حملت أيضاً الأسم المصرى (ا ء ح س iahs) واسما ثالثا (ك ش ت kst) أى كاسى واسما رابعا (إك ش iks) أى كوشى. [٤] وهى ذات المملكة التى كانت تنتظر رسالة من ملك الهكسوس الأخير (أبو فيس) أو (أسيس)، يأمر فيها ملك كوش بالهجوم على طيبة من الجنوب، بينما يهاجمه الهكسوس من الشمال، ويناديه فى رسالته بلقب (ولدى)، ومعلوم أن الجند المصرية قد قبضت على هذا الرسول عندما كان قادما من حواريس عاصمة الهكسوس بالدلتا الشرقية، متجها نحو الجنوب عبر الصحراء. ومع بداية الألف الأخيرة قبل الميلاد نجد الجنوب اليمنى قد بدأ يفصح عن حضارة تمثلها أربع ممالك، هى معان وسبأ وقتبان وحضرموت، التى لفتها جميعا الصبغة لحميرية، وورثتها جميعا بعد ذلك دولة حملت اسم حمير.

وعن المرحلة المتعددة الممالك فى بلاد اليمن ذهبت مدارس إلى اعتبارها بالفعل ممالك متعددة، لكن ليست متجاورة زمانيا، لأن تجاورهم جميعاً فى تلك المساحة الضئيلة كممالك مستقلة، أمر يصعب قبوله تماماً. لكن فى ضوء فروضنا وما نطرحه يمكن قبول تزامن تلك الممالك، مع التحالف، خاصة أن منها ما وجدنا له امتداداً شمالياً أصيلاً وأولا، مثل معان، ومثل سبأ التى هبطت من الشمال إلى اليمن. ومن هنا نميل إلى رأى المدارس التى تقول بتزامن تلك الممالك، ونراها معبرة عن ذلك الحلف العظيم. وهنا ننقل عن مظفر نادوثى قوله: " إن العلماء الذين يرون أن المعنيين والسبئيين كانوا يعاصرون بعضهم بعضاً، يبنون هذه النظرية على نقش معينى، هو [جلاسر رقم ١١٥٥ وهاليفى رقم ٥٣٥] الذى يقول أن المعينيين كانوا يتبادلون تجارة الكندر/ اللبان الذكر، مع الآشوريين **عبر نهرين**، وقد أدى ذلك إلى قيام حرب بين **المادهى** ومصر ..وفرتز هومل يرى أن لفظة Madhi **تقوم مقام المديانيين** Midiantes أو المانتى Manti ، **لأن بدو سيناء كانوا يعرفون بهذا الاسم** " [٥]

---

(٤) فهمى خشيم: آلهة .. سبق ذكره، ج١ ، ص ٦٣.

(٥) سيد مظفر نادوتى: التاريخ الجغرافى للقرآن، ترجمة د. عبد الشافى غنيم، لجنة البيان العربى، القاهرة، ١٩٥٦ ، ص ٢٠٩.

ولنا أن نرى نحن من جهتنا فى لفظ **(مانتى)** تحريفا للفظ **(مديان)** حيث هو اللفظ الذى يلتقى مع الكلمة التى تكررت فى نصوص مصر القديمة (مونتيو) على النسبة إلى مانتى (ميتان/ مديان) أو (مونت/ بونت) .

وإذا كنا قد انتهينا إلى أن مملكة الهكسوس مثّل السادة الحاكمين فيها، سادة من قبائل أو أجناس متحالفة فى منطقة آدوم، التى كانت تابعة لمصر من بدايتها باعتبارها حد مصر الشرقى، وأن شأنها قد تضخم إلى حد التسلط على الوطن الأم، وأن فى بلاد آدوم ومحيطها كانت معان المصرية ومديان. فإن (بللينى) يقول فى خطاب شارد " إن **المعينيين** كما يتضح من أسمهم **يرجعون إلى مينوس** ملك كريت " [٦]. وبللينى هنا يريد إرجاع أصل ذلك الشعب الشرقى إلى أصول يونانية، وهو لن يقول بذلك إلا إذا كان ذلك الشعب جديراً بالانتساب إلى أصول حضارية راقية. ولذلك فمعان تعود عنده الى الحضارة المينوية الكريتية، وأنهم من نسل الملك الأسطورى مينوس ، وهكذا قلب الرجل الأوضاع لكن ليعطينا معلومة تؤكد أن الإمبراطورية الهكسوسية قد حملت شعوباً من مواضعها ونقلتها بين أفلاك إمبراطوريتها، لتفكيك عراها القبلية لتكون أسهل أنقيادا. وهى سياسة معلومة قديمة مارستها إمبراطوريات العالم القديم لتهجين شعوبها وتذويبها فى بعضها وتقليم أظافر الشعوب القوية. ومن ثم فإن كريت المينونة يمكن أن تعود الى أجناس أخرى، خاصة أن تلك الحضارة نفسها قد دونت أن حضارتها وأصولها تعود الى ملك أسطورى يدعى مينوس قد جاءها مهاجراً من بلاد الشرق، من مصر تحديداً، ويعتقد البعض أنه ربما كان هو الملك مينا مؤسس الأسرات المصرية، والدولة المركزية الموحدة.

ويقول (صمويل لانج) فى كتابه أصل البشر: " ومن بين النقوش التى عرفت ما يدل على ان **سلطة بعض الملوك المعينيين**، لم تكن تقتصر على مقر ملكهم الأصلى فى الجنوب، لكنها **كانت تمتد إلى كل البلاد العربية والى حدود مصر وسوريا** " [٧].

وقد كشفت التنقيبات الأركيولوجية فى جنوب جزيرة العرب عن لوحة نذرية، جاءت ترجمتها عند (نادوثى) فى حالة من الخلط مع ترجمة تالية إلى العربية زادت الأمر سوءاً، مما أجهدنا وقتاً لتحقيق هذا النص المهم على أصوله. لوحة شكر مقدمة إلى الإله (عستر) الذى ساعد مقدميها على **العودة الى بلادهم مرة أخرى سالمين**، وهم يصفون أنفسهم بأنهم رعية الملك المعينى (أبى يادایاتى، Abi - Yada - yathi) أو أبى عاطى فى ترجمات أخرى. أما الغريب أن هؤلاء العائدين يقرروا أنهم قدموا من حيث **كانوا يعيشون حكاماً** على بلاد باسم **(شور ونهرين)** [٨].

ولأول وهلة يمكن للمطالع أن يتصور قدومهم من بلاد (آشور) ويغفل عن أنها جاءت بدون همز (شور)، وربما يذهب به ذلك الى آشور المملكة الكبرى التى تموضعت بين النهرين دجلة والفرات. لكن

---

(٦) نفسه: ص ٢١١.

(٧) نفسه: ص ٢١٤.

(٨) نفسه :

قراءة أخرى وفق ما قلناه حتى الآن، يجب أن تذهب بنا إلى بلاد آدوم/ نهرين حيث عرفنا أن (شور) كانت الحد الشرقى لمصر حيث تموضعت عاصمة الهكسوس، خاصة أنه فى ذات اللوحة نجد إشارة إلى مدينة (غزة)، والى حرب نشبت بين **المادهى Madhi** التى ترجمها فرتز هومل **(مديان)** وبين المصريين. **إن هذه اللوحة فى رأينا تسجيل فصيح بطرد الهكسوس من مصر، وعودة بعض عناصر الهكسوس إلى مواطنهم التاريخية**، وندعم ذلك فوراً بما ذكره بللبينى الذى عاش حوالى ٧٩٩ ق.م، أى فى زمن قريب من الأحداث، حيث قال " **إن السبأيين كانوا سادة ما بين الخليج الفارسى والبحر الأحمر** "(٩).

وقد ظل كلام بللينى لونا من المبالغة، وتعرض لسوء الفهم لزمن طويل، لكن مع بحثنا هذا يتضح أن الرجل كان يسجل حقائق تاريخية بالفعل.

ونتذكر الآن النص الذى سقناه عن حملة (زيد بن حارثة) زمن النبى محمد الى بلاد مديان على العقبة، وأن كتب السيرة قد ذكرتها باسم (أهالى **ميناء**) أيضاً، وهو ماحيرنا بعض الوقت، لكن بالرجوع الى النصوص اليونانية التاريخية نمسك بمفاتيح الفهم، حيث كانت (معين) تكتب **(Minai)** وهو كما هو واضح تلوين لهجوى لقبائل تهمل العين، بالضبط كما كتبها اليونان **(ميناى)** أو بالعربية **(ميناء)**.

وفى دائرة المعارف الإسلامية كتب فرتز هومل عما جاء فى النقوش البابلية بصدد بلاد تحمل اسم **(مجان Magan)** ويحكمها ملك باسم (مانيئوم) (١٠). كذلك عقب المصرولوجست بدج على أرض مجان بكونها تحديداً مناجم حجر الديوريت الفاخر **فى سيناء**.

ولما كانت العربية فى لهجاتها كأى لغة سامية بلهجاتها، تخلط بين أو تستبدل الحرفين (ج) و (ى) مثل (جاهوفاه = يهوه) ، وبين القبائل العربية اليوم تقول العربية (سجادة) بينما تنطقها القبائل الشرقية (سيادة)، وعليه فإن **(مجان)** فى نطق، تصبح **(ميان)** فى نطق آخر، التى هى عندنا **معان/ معين/ مينا/ ميناء**.

أما اسم الملك ما نيئوم أو (مانى أوم) فيجب أن يكون (معانى أوم) والأوم هو العمود وجمعه أوام وهو الاسم القديم لبلدة يمنية قديمة تحوى آثاراً عديدة، أهمها الأعمدة أصبحت تحمل اليوم اسم (العمايد) (١١)، وكل ما حدث هو استخدام مفردة جديدة تدل على ذات المعنى القديم. وعليه فإن (معانى أوم) ليس اسما للملك بقدر ما هو وصف له أو لقب فهو (عمود معان)، والعمود كما علمنا أحد صفات العمالقة ودلالة الملوكية، كما استنتجنا من لسان العرب فى الفصول السالفة.

ومما يؤكد رأينا فى كون الساميين قد عرفوا سيناء وحدودها الشرقية باسم مصر، بينما مصر كانت تحمل اسما آخر (كيميت / توميرى) ، وأن الاسم السامى لبلاد النيل هو الذى ساد وانتشر حتى أصبح دالا

---

(٩) نفسه: ص ٢١٢.

(١٠) الموسوعة البريطانية Vol I, Arab p٣٧٧ E.A. Walis Budge, Life and History, pp. ١٧٧-١٧٨

(١١) سيد القمنى: النبى إبراهيم والتاريخ المجهول، سينا للنشر، القاهرة، ط١، ١٩٩٠، ص ١٨٤. انظر هناك مزيداً من المصادر.

على مصر الوادى جميعاً (باسم مصر)، إن ذلك قد أدى إلى التباسات فى تفسير أحداث التاريخ، ونموذجا لـــه ما جاء عند المصرولوجت (سايس) وعقب عليه المؤرخ المصرى (عبد العزيز صالح) بقوله: وهنـــاك رأى غريب وبعيد عن المنطق الزمنى والمنطق التاريخى، اعتمد على ما سجله نارام سين عن أحـــداث عصـــره، وروى فيه أنه قبض بنفسه على **(مانو دانو) ملك (مجان)**، وفسرت طائفة من المؤرخين ذلك بأنه قبض على **الفرعون مينا** مؤسس الأسرات وأول ملوك مصر(١٢).

وهكذا نجد عملنا يعيد الأمور الى صحيحها ونصابها، حيث كانت **(مجان) هى (معان / معين) شـــرقى سيناء وبلاد** آدوم، **وأنها كانت تعنى آنذاك (مصر)، بلاد (موصرى)** وعليه فإن الملك الرافدى (نرام ســـين) يكون قد هزم (مانو دانو) ملك مصر الآدومية، وليس مصر (كيميت/ توميرى) المعروفة فى وادى النيل.

وما يؤكد ذلك بشدة أن الكلمة **(مجان) تعود الى الجذر السومرى MA بمعنى المـــاء الميـنـــاء وأرض السفن**، وهو ما يشير إلى شهرة أهل (مجان) فى ركوب البحر وتشهد عليه تماثيل الدلفين المنتشرة فى فنون الأنباط، وقد دعم تلك الترجمة نص من أيام الملك (دونجى) ملك (أور) حوالى ٢٤٥٠ق.م ، يتحدث فيه **عـــن صناع السفن فى بلاد مجان.**

أما الأشد إضاءة، فهو أن تصف النصوص السومرية بلاد (مجـــان) بأنهـــا: **جبـــل النحـــاس وأرض الدولريت وبلاد الماعز** (١٣)، وكلها تحيل إلى بلاد آدوم المديانية حيث مناجم ومصانع النحـــاس ، والأحجـــار المتميزة عن أحجارالدنيا، وماعز الهكسوس الذى شرحنا بشأنه طويلا، وهو الماعز الذى تنتسب اليه قبائـــل عربية كالقبيلة التى لم تـــزل تحمل اسم عنزة الى اليوم والنسبة إليها (عنزى)، ونجد أفراد قبيلة قديمة باســـم معزة تعمل مرتزقة فى جيش الرعامسة مع أفراد من بلاد النايرى وهو ما نجده فى قول حماد:

> وفى عهد الرعامسة الأول نجد أن الفرقة كانت مكونة من ١٩٠٠ مجند مصرى يعـــاونهم ٣١٠٠ من المساعدين المتطوعين وهؤلاء **كانوا من الآسيويين** من **النيارين Nearin** وأصيل اسمهم مشتق من اللفظة السامية نار Naar أى شاب وكذلك بدو من بدو الصـــحراء ..ومـــن النوبيين من قبيلة **ميزا Meza معزة**، ويرى حماد أنهم نوبيون لأنهم ســـود [ونحـــن نـــراهم كوشيى آدوم / المؤلف] وكانوا يشكلون فرقة الشـــرطة منـــذ أقـــدم العصـــور .. والجنـــود المساعدون أو المتطوعون مثل **الميزاى Mizay** فكانوا تحت قيادة ضباط من شعوبهم " (١٤).

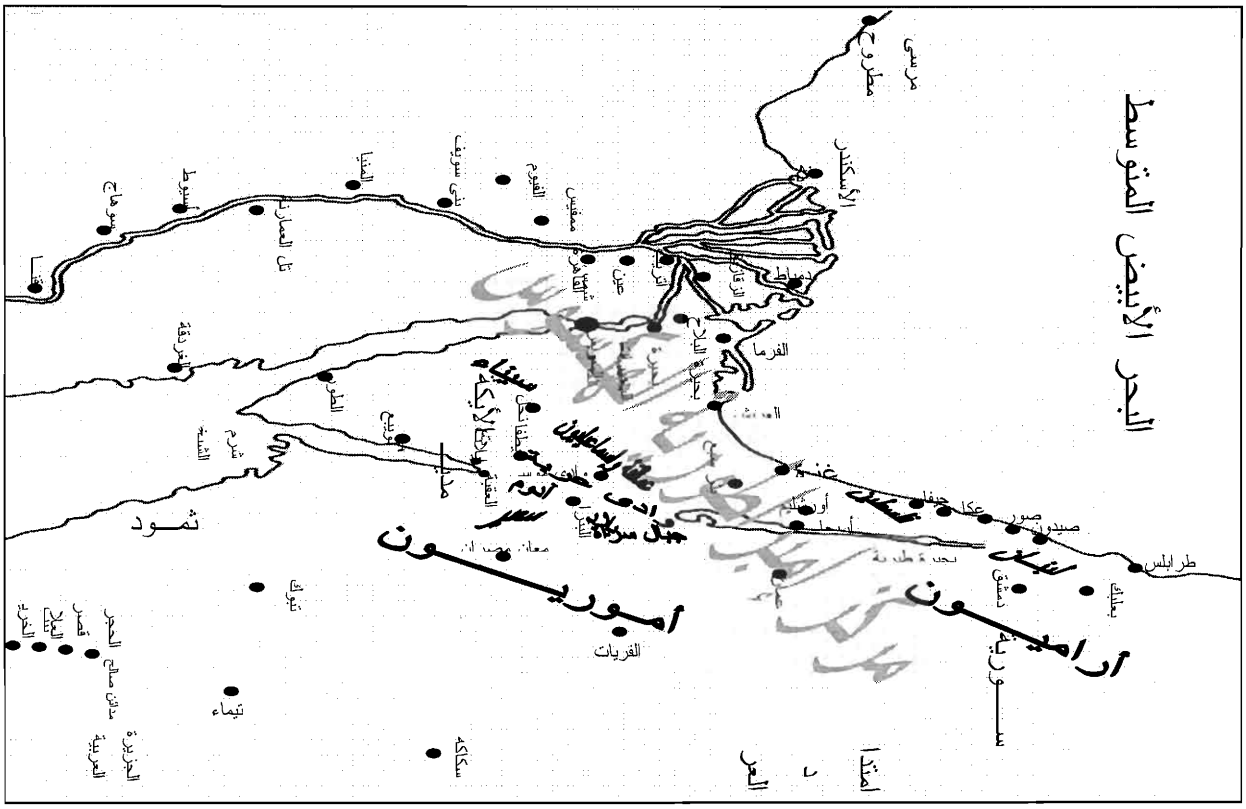
لقد كانوا المعزيين أو العنزيين وكانوا فى آدوم وليس فى أفريقيا.

---

(١٢) Sayce. A.H, Menes and Naram Sin, J.E. A,٦, ١٩٢٠, p٢٩.

(١٣) عبد الحميد زايد: الشرق الخالد، دار النهضة العربية، القاهرة، د.ت، ص ١٢٣.

(١٤) محمد حماد : كامس.. سبق ذكره، ص ١٩.



خريطة رقم (٣٠)

حقل الأحداث زمن إمبراطورية الهكسوس

أين تقع حَويلَة التوراتية

والسؤال الأول هنا: ولماذا البحث وراء أسماء توراتية مثل حويلة ؟ وما الغرض من تحديد موضـعها الجغرافى؟

الإجابة تتمثل فى عنصرين أساسيين، الأول هو أن تحديد مكان حويلة سيساعد فى تأكيد مذهبنا حـول المواضع التى عاش فيها الإسماعيليون المديانيون وحلفاؤهم، لأنها دوماً تـرد كإحداثيـة جغرافيـة يضـعها المحرر التوراتى كإحدى العلامات لمواطن معيشة هؤلاء .

أما العنصر الثانى فهو أن هناك التباسا شديدا حول موضع حويلة التوراتية أدى لكم غفير من الأخطاء فى استنتاجات زملائنا من باحثين، وقد وجدنا فى محاولة التحديد تلك فائدة بحد ذاتها يمكنها أن تقدم للباحثين تحديداً دقيقاً يؤدى إلى نتائج بحثية دقيقة.

هذا إضافة إلى اعتقادنا أن هناك أكثر من مدينة حملت هذا الاسم أدت الى تلك الالتباسـات، وان أهـم هذه الحويلات ثلاث حويلات : الأولى فى أقصى شمال فلسطين وأعطت اسمها لبحيرة الحويلة والثانية هـى المتواترة فى الكتاب المقدس وهى مدينة عماليقية على حدود فلسطين الجنوبية بشبة جزيرة سيناء كما سنرى، ومدينة أخرى هى الأهم، وهى تلك التى عرفناها عاصمة للهكسوس فى مصر باسم حواريس بالتبـادل بـين اللام والراء، ويموضعها المؤرخون فى مكان ما غير متفق عليه شرقى الدلتا المصرية.

ونبدأ بالسؤال الملحاح الذى لم يجد حتى الآن إجابة قاطعة بين مبعثرات التاريخ القديم وشظاياه: **أيـن تقع المدينة التى اتخذها الهكسوس مركزا عسكريا وإداريا فى مصـر**، وجاءنا ذكرها عبر المؤرخ المصرى (مانيتون ق ٣ ق.م) باسم (حواريس) أو (أواريس) بالنطق اليونـانى، أو (حـواعرة) أو (هـوارة) بـالنطق المصرى، وأنها كانت تقع فى مقاطعة مصرية باسم (ستروبت)؟ وهو ما نقله عن (مانيتو) مؤرخو العصـر الكلاسيكى أمثال يوسفيوس ويوليوس الأفريقى وغيرهم.

إن البحث عن مقاطعة الإله سيت التى تمركز فيها الهكسوس (سـترويت) فـى جـدول المقاطعـات المصرية التى دونها المصريون القدامى بأنفسهم، وعلى تغير اسمائها عبر الزمن، أمر غير مجد، فقد سـعينا وراء تلك الجداول **ولم نجد أى ذكر لمقاطعة باسم (سترويت).**

وللحل افترضنا احتمالين: الأول أن تكون جداول المقطاعات المصـرية قـد ذكرتهـا باسـم آخـر، والاحتمال الثانى يرتبط بالأول، إذ يحيل الاسم (سترويت) فورا إلى الإله (سيت) ، ومن ثم يحتمل أن يكـون (مانيتو) قد نحت لها اسما منسوبا الى ربها المعبود (سيت) فأسماها (سيترويت) نسبة إليه، بمعنى المقاطعـة (الستية).

وحتى الآن، ورغم ما بذل من جهود، لم يوفق علماء المصريات إلى اتفاق واضح حول موضع (حواريس) وهو فى أصله المصرى (حواره) مع إضافة التصريف الإسمى (يس)، وهو التلوين اليونانى الذى لحق إله المقاطعة (سيت)، فحمل الاسم اليونانى (تيفون)، لما يجمع بين الإلهين: المصرى واليونانى من صفات الشر والجدب والأفعال الرديئة الحمراء. ويتضح ذلك الدأب اليونانى فى إطلاق أسماء يونانية على جميع المدن والآلهة المصرية الأخرى.

وقد جاء ذكر الإله (سيت) فى نص (قصة الملك أبو فيس وسقننرع)، وهى القصة التى تحدثنا عن أول احتكاكات عسكرية بين الفرعون المصرى الطيبى (سقننرع) وبين الملك الهكسوسى (أبو فيس)، جاء باسم (سوتخ) أو بالقراءة الصائبة (سيت – تتش)، وهى صياغة الحقت بها الآداة التصريفية، فحملت اللاحقة (تش) وفق اللسان الهندوآرى الذى كان منتشرا بين الحكام الهكسوس، ونحن نعلم أن الهكسوس حملوا اللسانين السامى والآرى فيما تركوه لنا من وثائق قليلة. ويقول (جاردنر): إن الهكسوس كتبوا اسم ست بالبابلية ونطقوه (سوتخ) ورسموا ملابسه ورداءه بشكل يطابق البعل السامى[1]. وقد صور المصريون (سيت) فى هيئة حيوانية غريبة تماماً عن كل الآلهة المصرية القديمة، وهو ما أدى إلى خُلف شديد حول تحديد هويته الحيوانية وحار علماء المصريات فى تفسير رسومه حسبما أفادنا (دريتون) و(فانديه)، ما بين " الكلب السلوقى.. أو الخنزير، أو حمار مرسوم رسماً تخطيطياً " [2] أما نحن فقد سبق وانتهينا إلى أنه قد بدأ حماراً وانتهى عناقا آدوميا من فصيلة أقرب إلى الضباع، أو هى بين الكلب أو الذئب وبين الضبع أو هو (السالعوه) التى تظهر فى البلدان المصرية المتاخمة للصحراء الشرقية بين زمن وآخر.

وتعتقد جلة محترمة من الباحثين أن مدينة الهكسوس (حواريس) أو (حاوعرة) هى ذات المدينة التى عرفت بعد ذلك باسم (تانيس)، إلا أن المشكل يظل قائما إذ لم يتم إتفاق الرأى حول موقع (تانيس)، ذاتها؟ ولم يتم الاتفاق حول موضعها بشكل قاطع، وإن كان من المتفق عليه وجوب البحث عنها على حدود الدلتا الشرقية مع سيناء، استناداً إلى كون الإسرائيليون وهم ساميون، قد عاشوا فى تلك المناطق، وربما كانوا على علاقة بالهكسوس. وقد أطلقت التوراة على المدينة التى عاش فيها الإسرائيليون اسم (صوعن / سفر العدد ٢٢/١٣)، ولأن (صوعن) تعتبر عند بعض الباحثين هى ذات عين (تانيس) فقد انتهوا بالقياس إلى أنها هى ذات (حواعرة/ حواريس)، وإن كان هذا التأكيد برمته فيما يرى (جاردنر) [3] لم يزل موضع جدل شديد حول مصداقيته التى لم تزل قائمة على افتراضات وتخمينات وأنها تتوقف أساساً على اليقين بأن بنى إسرائيل عاشوا فى (حاوعره) الهكسوسية. وأن (حاوعره) هى (تانيس) حقا، وأنها المدينة المعروفة فى التاريخ والمذكورة فى التوراة باسم (رعمسيس). ومعنى (حاوعره) فى المصرية القديمة هو المدينة المتطرفة أو الواقعة على الحدود، وأسماها اليونانيون (أفاريس)، الذى حُرف إلى (أوراس) و (أواريس) و (هواريس) و

(١) جاردنر: مصر الفراعنة .. سبق ذكره، ص ١٨٧.

(٢) إتيين دريتون، وجاك فانديه: مصر، ترجمة عباس بيومى، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د.ت، ص ٧٥.

(٣) جاردنر مصر الفراعنة ..، سبق ذكره، ص ١٨٧.

(هوارة) و(حواريس)، وعادة ما تسمى بها مدن البدو المتطرفة فى مصر حتى اليوم كما لو كانت بقية من مأثور قديم، فيطلق المصريون على مدن الحواف الصحراوية اسم (الهوارة).

وسبق وأفادنا (مانيتو) أن حواريس كانت تقع على الضفة الشرقية للفرع النيلى الدلتاوى المعروف باسم البوباسطى، نسبة لوقوع مدينة (بوباسطة) على ساحله الغربى، والتى تعرف اليوم باسم (تل بسطة)، وكانت مقراً لتقديس الإلهة القطة (باستت)، (علما بأن هذا الفرع قد ضمر الآن، وحلت محله ترع ومصارف، مثله مثل الكثير من الفروع الكبرى الأخرى للنيل، والتى بلغ عددها أيام هيرودت سبع فروع كبرى فى الدلتا، وحدثنا عنها فى تاريخه ولم يبق منها سوى فرعين رئيسيين هما دمياط ورشيد). ونفس القول حول وقوع حواريس على الفرع البوباسطى للنيل، يأتى فى قصة (أحمس ابن أبانا) لتؤكده ولا تدع مجالا للشك فى ذلك. وهناك تيار قوى بين العلماء يذهب إلى أن مدينة (حواريس) هى بالضبط مدينة (صان الحجر) الحالية، استنادا إلى شواهد أهمها الشاهد الأركيولوجى المعروف بلوح الأربعمائة سنة، الذى عثر عليه بين مجموعة كبيرة من الأنقاض التى تشير إلى مدينة مصرية كبرى كانت تقوم فى هذا المكان.

ويذكر نص اللوح الأربعمائى أميراً باسم (رعمسيس) يقوم على احتفال كبير سمى الاحتفال الاربعمائى، فتم الربط بين (رعمسيس) هذا و(رعمسيس الثانى) من ناحية، وبينه وبين اللوح الأربعمائى من ناحية أخرى، وأخيراً بين للوح الأربعمائى وبين عبادة الإله (ست) فى تلك المدينة. حيث معلوم أن (رعمسيس) وفراعنة الأسرة التاسعة عشرة قد قدسوا (ست) الإله الذى سبق وقدسه الهكسوس فى مدينتهم، حتى أن والد الفرعون (رعمسيس الثانى) انتسب باسمه إلى الإله (ست) وتسمى باسم (ستى) أى (الستّى). ومن ثم كان الإستنتاج أن (رعمسيس الثانى) قد أقام مدينة باسمه فى ذلك الموضع الذى كان يعبد فيه (ست)، وأن عبادة (ست) قد تكرست ـــ حسبما جاء باللوح الأربعمائى ـــ فى ذلك المكان منذ أربعمائة عام سبقت (رعمسيس). وعلى تلك الارتباطات تم الافتراض التزميينى عند جاردنر لمدة حكم الهكسوس لمصر ب ١٠٨ سنة، مع إضافة سنى الملوك الذين حكموا مصر بعد الهكسوس حتى زمن (رمسيس الثانى) لتكمل الأربعمائة سنة. ومسألة بداية تكريس (ست) فى مدينة باسم حواريس لدى الهكسوس وارادة فى تاريخ (مانيتو)، وأكدته (قصة الملك أبوفيس وسقننرع) وقد برهن المصرولوجست (يونكر) على أن (ست) كان الإله المحلى لبلدة باسم (سترت STRT) وأنها سميت (سيترويت Sethroite) فى العهد الإغريقى والتى ذكرها (مانيتو) كمقاطعة مصرية سكنها الهكسوس، وأكد (يونكر) أنها لابد تقع فى شمال شرقى الدلتا [٤]. لكن أين بالتحديد؟ لا يجيبنا (يونكر). المهم أن علماء المصريات وضعوا استنتاجاً يقول: إن مدينة الهكسوس (حواريس) هى ذاتها التى أعاد (رعمسيس الثانى) بناءها بعد ذلك بأربعمائة سنة، وأنها حملت اسم (رعمسيس) وبعد ذلك أطلق عليها اليونان اسمها المشهور تانيس، وهى ذاتها التى أطلقت عليها التوراة اسم (صوعن) واسم (رعمسيس) ،

---

(٤) سليم حسن: مصر القديمة .. سبق ذكره، ج٤، ص ٦٥ .

وقالت: إنها المدينة التى اضطُهد الإسرائيليون فى بنائها، وهى التى تحمل اليوم اسم (صان الحجر) (٥)، حيث عثر هناك على اللوح الأربعمائى، الذى يقول فيه (رعمسيس) عندما كان أميراً.

السنة الأربعمائة من الشهر الرابع فى فصل الصــيف، فى اليوم الرابع من حكم ملك الوجهين البحرى والقبلى ست Sotch ، عظيم القوة ابن الشمس نبتى المحبــوب من رع حور أختى، الذى سيبقى مخلداً. حضر الأمير الوراثــى المشرف على العاصمة، والوزير، والمشرف على البلاد الأجنبية، والمشرف على **حصــن شــارو**، ورئيس المازوى، والكاتب الملكى، والمشــرف علــى الخيالة، ومدير عيد كبش منديس، والكاهن الأول للإله ست، والمرتل للإلهة بوتو فاتحة الأرضين، والمشرف على كهنة الإلهة ستير.

لقد حضر الأمير الوراثى رعمسيس المرحــوم، الــذى وضعته ربة البيت المغنية تيا المرحومة، ليقول : **الحمد لك ياست** بن نوت، ياصاحب القوة العظيمة فى ســفينة الملايين، الذى طرح الثعبان المعادى لــرع أرضــنا، والذى على رأس سفينة رع، ومن صوته العظيم فــى الحرب، ليتك تمنحنى حياة جميلة، لأجل أن أخــدمك، ولأجل أن أبقى فى حظوتك (٦).

ولنلحظ أن ذلك اللوح الاربعمائى، وحتى تدوينه ونصبه فى مكانه، لم يكن يتحدث عــن (رعمســيس الثانى) بوصفة فرعونا، إنما بوصفه أميراً وارثا يحمل تلك الألقاب العديدة. لذلك ذهب الاستاذ (زيتــه) إلــى الظن أن ذلك العيد الأربعمائى قد حدث فى عهد الملك (حور محــب) حــوالى عــام ١٣٣٥ - ١٣٠٨ ق.م، والذى يفصله عن الملك (رعمسيس الثانى) ملكين هما: (رعمســيس الأول) و(ســتى)، وأنــه ربمــا كــان (رعمسيس الثانى) إبان حكم حور محب أميراً وقائداً عسكريا مهما، قبل أن يتولى سدة الحكم بعد ذلك (٧).

أما أول ذكر لمدينة (رعمسيس) باسم (بررعمسيس)، فقد ورد فى السنة الثانية لحكم (رعمسيس الثانى) حوالى عام ١٣٠٠ ق. م، فى نصب (أبيدوس)، الذى تعرض لأعمال (رعمسيس الثانى)، وإكماله معبد والده

---

(٥) Montet, Le Novelles Fouilles des Tanis, P. ١٥ - ٣٢ .

انظر أيضاً:

Will, The problem of sit of Avaris, J.E.A, V. XX١, ١٩٣٥ p. ١١ ff.

(٦) غطاس الخشبة: سبق ذكره، ص ١٦٣.

(٧) سليم حسن: مصر الفراعنة، سبق ذكره، ج٤، ص ٨٠.

(سيتى الأول) فى معبد (أوزيريس) بمدينته المقدسة (أبيدوس). وقد وصف نصب أبيدوس رحلة بحرية قام بها (رعمسيس الثانى) حتى وصل إلى مدينة (بررعمسيس) [٨]، وقد استنتج الباحثون من ذلك ما يؤيد رأى (زيته)، وهو أن المدينة كانت موجودة وقتذاك، **وأنها شيدت فى عهد سابق، وأن (رعمسيس الثانى) أضاف إليها وجددها.**

ويبدو أن أصحاب هذا الاتجاه الذى يرى أن (رعمسيس الثانى) قد استكمل تشييد المدينة وأطلق عليها اسمه، **وكانت تقوم على انقاض (حواريس) الهكسوسية** القديمة، وأنها هى ذات (تانيس) المذكورة بعد ذلك فى المدونات، وأنها ذات المدينة المذكورة باسم (صوعن) فى التوراة (انظر: متكررات منها مثلا ما جاء فى الآيات ١٢،١٣ من المزمور ٧٨، فى قوله : قدام آبائهم صنع أعجوبة، فى أرض مصر بلاد **صوعن**، شق البحر، فعبرهم، ونصب المياه كسد) وأنها هى ذات (صان الحجر) الحالية. إضافة لما تشير إليه تلك الأسماء من علاقة لسانية تجيز ذلك الاستنتاج، فكلمة (صان) يمكن أن تكون فى الأصل (صوعن) بعد إهمال بعض المخارج اللفظية بالتخفيف مع مرور الزمن، وهى أيضاً ما يمكن قراءته (تان) بعد حذف التصريف الإسمى (ى س) من (تانيس) والتاء والصاد يتبادلان فتصبح (تان) هى (صان).

وعليه فإن المعلومة التى أوردها (مانيتو) حول **اسم** مدينة الهكسوس (حواريس) صحيحة مئة بالمئة، دعمتها نصوص التحرير المكتشفة، وإن كان **مكانها غير محدد باليقين حتى الآن**. كذلك المعلومة الثانية حول المعبود الأول للهكسوس (ست) أيضاً صادقة مئة بالمئة، وهو ما يضيف باستمرار رصيداً مستمراً لمصداقية (مانيتو) المصرى السمنودى. المهم الآن أن حواريس لم يزل مُختلفا عليها وعلى موقعها أشد الاختلاف. وقد ذهبت جلة محترمة من علماء المصريات إلى أن (حواريس) هذه هى ذات المدينة التى حولها الملك رمسيس الثانى فيما بعد إلى مدينة عامرة، وأعاد بنائها حتى كانت أزهى مدن الزمان، وأطلق عليها اسمه (رعمسيس) إلا أن ما يحبط أى باحث هنا، أن مدينة (رعمسيس) نفسها، والتى ذكرتها التوراة باعتبارها مدينة الاضطهاد الإسرائيلى فى مصر، لم يتم الإتفاق على موقعها حتى اليوم بشكل قاطع، وإن كان مجمل الاتجاهات يذهب بها إلى شرقى الدلتا، على الحدود السينائية. وتناثرت الاقتراحات على خريطة محافظة الشرقية الحالية أو حدودها الشرقية مع سيناء، فقد ذهب (دى بوا إيميه) العالم المصاحب للحملة الفرنسية إلى أن مدينة (رعمسيس) كانت تقع قرب مدينة (السبع أبيار) الواقعة على الساحل الغربى لبحيرة التمساح، وموضعها الآن تل المسخوطة قرب مدينة الإسماعيلية. أما (جاردنر) فقد ذهب إلى أنها (بى لوز) أو (بيلوزيوم) المعروفة الآن بالفرما أو بالوظة إلى الشرق من بور سعيد، لكنه تراجع عن (بى لوز) واقترح مدينة (صان الحجر) الحالية على شاطئ بحيرة المنزلة الجنوبى، وذلك بعد أن ذهبت مجموعة متميزة من المصرولوجيين إلى موضعتها هناك، ومن هؤلاء (يونكر) و (بروغش) و(بيير مونيتيه). هذا بينما ذهب آخرون إلى وضعها على الخط الواصل بين شرقى الدلتا وبين البحيرات المرة وبحيرة التمساح، فى الوادى

(٨) سامى سعيد: الرعامسة .. سبق ذكره، ص ٩٨.

المعروف الآن بوادى طميلات، ومن هؤلاء (نافيل) الذى اقترح (صفط الحنة) غرب هـذا الـوادى موقعـا لرعمسيس لكن بعضهم ذهب بها شرقا على ذات الخط فاقترح (تل رطابة) مثل (بترى)، وذهب آخرون إلى مزيد من الشرق فاقترحوا (تل المسخوطة) كما عند دى بوا – إيميه. أما آخر الإقتراحات وهو السـائد الآن، فهو ماجاء بعد كشف أثرى كبير قام به (محمود حمزة) واقترح معه أن تكون رعمسيس هى (قنتير) الحاليـة إلى الشمال من فاقوس شرقى الدلتا.

والمعنى أننا لو أخذنا بأن (حواريس) هى ذات مدينة (رمسيس)، فإن علينـا الاتفـاق علـى موضـع (رعمسيس) أولاً . وحول الاسم (حواريس) من الأصل (حوارة) أو هوارة، يفيدنا (جاردنر) بأن معناه الإدارة المدنية للدولة. وإذا أخذنا بالنظرية القائلة أن الهكسوس قد كونوا إمبراطورية فلنا أن نفترض وجود أكثر من مركز إدارى لهم فى المنطقة ، وهو ما يقود إلى افتراض وجود أكثر من (حوارة)، وهو المفتاح الذى سيدلنا الآن على الموضع الذى تكرر كثيراً فى التوراة باسم (حويلة) . وما نقصده أنه لاخلاف على أن حـواريس التى ذكرتها النصوص المصرية القديمة كانت مركزاً للإدارة الهكسوسية فى مصر وأنها كانت على الطرف الشرقى للدلتا الذى هو الطرف الغربى لسيناء، وإن لم يتمكن الباحثون من تدقيق موضعها هناك.

وكثيرا ما ربطت التوراة بين مدينة الهكسوس الكبرى فى جنوبى فلسطين. (حبرون/ الخليـل)، وبـين حواريس المصرية. والتوراة تذكر حواريس باسمين يردا على التبادل، الأول والقديم هو (صوعن)، والثـانى الأحدث هو مدينة (رعمسيس)، وتشير فى تواتر متعدد فى مناطق متفرقة بالتوراة إلى أن (صوعن) قد بُنيت بعد (حبرون) بسبع سنين، يبدو أنها الفارق الزمنى بين استيلاء الهكسوس تماما علـى حبـرون / الخليـل / جنوبى فلسطين عند تحولهم من دولة تجارية إلى دولة توسعية إمبراطورية وبين دخولهم مصر وإقامتهم فـى صوعن /رعمسيس/ حواريس. لكن الإضافة هنا أنه كان هناك حواريس أصلية أقرب إلى المركز الرئيسـى للهكسوس نظنه هو ذات المركز الذى جاء اسمه فى التوراة باسم (حويلة).

الواضح لدينا على المستوى اللسانى وحده (الآن) أن (حويلة) التى تكررت فى الكتاب المقـدس، أنهـا بالتبادل بين حرف اللام والراء باعتبارها حروف سقف حلقية، فإن (حويلة) ستكون (حويرة) وبهـذا يصـبح معناها (الحورية). وهى المسمى الذى يلتقى تماما مع اسم عاصمة الهكسوس (حواريس) بعد حذف التصريف الاسمى فتصبح (حوار) وهى التى أطلق عليها المصريون (حواعرة). وفى المعركة التى قادهـا أول ملـك إسرائيلى، الملك (شاول) ضد العماليق العناقين، يؤكد لنا الكتاب المقدس نتيجة المعركة بقولـه: " وضـرب شاول عماليق من **حويلة** حتى مجيئك إلى شور التى مقابل مصر / صموئيـل أول ١٥/٧ " . وهذه النتيجـة تعنى أن شاول بضربه مدينة العماليق امتد تأثير تلك الضربة على العمالقة بطول المنطقة الممتدة من (حويلة) إلى (شور) التى أمام مصر. وحتى الأن لم يتم تحديد أين تقع (حَويلة) التوراتية على الإطلاق، إنمـا ذهـب الجميع إلى تحديد (شور) بأنها على حدود الدلتا الشرقية مباشرة، حتى تكون أمام مصر. استنادا إلى مجموعة إحداثيات أعطتها لنا التوراة، حيث يتكرر ذكر (شور) مرات متعددة. وأول الإحداثيات وأوضحها تأتى فـى حدث عبور البحر بالعصا المعجزة، حديث نجد أول موضع ينزل به الإسرائيليون بعد عبور البحر من الدلتا

المصرية إلى سيناء هو برية باسم شور " ثم ارتحل موسى بإسرائيل من بحر سوف، وخرجوا إلى برية **شور**/ خروج ١٥ / ٢٢ "، مما يعنى أنها على الحدود مباشرة مع المدن المصرية العامرة فى شرق الدلتا، والتى كان أهمها (صوعن) أو (رعمسيس) مدينة الفرعون التى يزعم الإسرائيليون أنهم أضطهدوا فى بنائها، وعبروا من جوارها البحر فى قصة العصا الحية. ويبدو أن هناك طريقاً كان يبدأ من الموضع شور حتى يصل إلى شرقى سيناء نحو فلسطين، أطلقت عليه العبرية (درك شور)، وجاء فى الترجمة العربية " طريق شور/ تكوين ١٧/١٦" ومن المتكررات التى تذكر الموضع (شور) بالتوراة ذلك النص الذى يحدد موطن سُكنى الإسماعيليين، ويضعه فى ذات الموضع الذى سبق للتوراة وحددته موطنا لسكنى العمالقة، والذى ذكرناه من هنيهة فى نص الملك شاول. والنص الجديد هنا لسكنى الإسماعيليين يؤكدا أنهم قد " سكنوا من **حويلة** إلى **شور** التى أمام مصر / تكوين ١٨/٢٥ "، وهو ما يضيف قرينة جديدة إلى ما سبق وذهبنا إليه فى كون الإسماعيليين عمالقة، أو أنهما بطنين لقبيلة واحدة. ثم لدينا إشارة أخرى تتحدث عن المواطن التى أقام بها البطرك إبراهيم إبان ارتحالاته بالمنطقة، والإشارة تقول: إنه قد " سكن بين قادش **وشور** وتغرب فى جرار / تكوين ٢٠ / ١ "

وإذا كان قد تم تحديد (قادش) بأنها (عين قديس) فى أقصى الطرف الشرقى بسيناء على الحدود الآدومية الغربية، وأنه إذا كانت شور فى أقصى الطرف الغربى لسيناء، أى على حدودها مع شرقى الدلتا المصرية، فإنه يجب البحث عن (حويلة) التوراتية بجوار قادش سيناء فى أقصى الطرف الشرقى لسيناء، وبالتحديد عند طرف الطريق القديم الذى أسمته التوراة (درك شور)، واكتسب اسمه من وقوع (شور) على طرفه الغربى. **وبذلك تكون المسافة الواقعة بين (حويلة) شرقى سيناء و (شور) غربى سيناء، هى المسافة الكبرى التى سكنها العماليق والإسماعيليين، وتكون (مدينة عماليق) التى ضربها شاول بعد حصارها، هى ذات عين (حواريس) أو (حويلة) التوراتية** وليست حويلة / حواريس الموجودة شرقى الدلتا المصرية باسم رمسيس وفى هذه الحالة يجب البحث عن حويلة التوراتية فى مكان ما شرقى سيناء فى جوار قادش وعلى حدود آدوم الغربية وحدود فلسطين الجنوبية.

وحتى يمكن الوصول إلى تحديد دقيق يلاحظ أن الإسماعيليين رغم انتشارهم فى سيناء جميعاً من حويلة التى نبحث عنها شرقا حتى شورغربا، فإن أول استقرار اسماعيلى ألمحت إليه التوراة، كان فى ترميزها القصصى الذى أكد أن هاجر وابنها إسماعيل بعد طردهما من بيت إبراهيم هبطا من فلسطين جنوبا ليسكنا فى برية فاران (تكوين ٢١) التى افترضناها باران الحالية، أى قرب قادش، وذلك لأن هناك نص توراتى آخر يحدد لنا موقع (قادش) ، بأنها تقع بدورها فى برية فاران (عدد ١٣/ ٢٦) وأن فى محيط برية فاران برية أخرى دعتها التوراة برية صين. فالتوراة تقول أن قادش رغم وقوعها فى محيط بريه فاران، فانها تقع فى محيط برية أخرى باسم (صين) وذلك فى (عدد ١/٢٠)، وقد اتفقنا على أن برية (صين) هى (تسين) الحالية فى الجوار ذاته إلى الشمال قليلا من (باران).

أما ما يؤكد لنا صدق تلك الأحداثيات، وأن موطن سكنى إسماعيل وأمه كان فى برية (فاران) و (صين) قرب (قادش) على حدود سيناء الشرقية التى هى حدود آدوم الغربية، وأن هذه المنطقة كانت الطرف الشرقى لطريق أودرك (شور) يؤكد كل ذلك قول التوراة إن ملاك الرب قابل (هاجر)، وأن ذلك اللقاء قد تم فى موضع تحدده التوراة بقولها: " فوجدها ملاك الرب على العين التى فى **طريق شور**/ تكوين ٦/١٦، ٧ ". أما (قادش) نفسها فقد حددت التوراة موضعها بقولها " قادش على **تخوم آدوم** / عدد ٢٠/ " وبذلك تقع قادش سيناء أيضاً جنوبى فلسطين أو مملكة إسرائيل القديمة، وهو ما جاء فى نص توراتى يرسم الحدود الجنوبية لأرض تلك المملكة " وجانب الجنوب يمينا من ثامارا إلى مياه مريبوت **قادش النهر الى البحر** الكبير/ حزقيال ٤٧ / ".

الآن أمكننا حصر منطقة أضيق للبحث فيها عن (حويلة)، فأى موضع فى هذا الصقع الممتد من غربى آدوم إلى جنوبى فلسطين يحتمل أن يكون هو موقع حويلة التوراتية ، تلك التى حارت فيها الأفهام؟

بالبحث لا يمكنك أن تجد موضعاً يحمل فى سماته اللسانية اسم حويلة أو حويرة أو حواريس، ويقع فى تلك المساحة أو تحديداً، على الطرف الشرقى لطريق قديم فى سيناء يربط شرقها بغربها، سوى مدينة **العريش** الحالية، التى تلتقى التقاء مدهشاً مع المعطيات التى لدينا، على المستوى اللسانى، وعلى مستوى الإحداثيات الجغرافية.

وفى هذه الحال، **يجب أن تكون مقاطعة سترويت** المنسوبة إلى الإله (سيت) أى الستية)، وكما علمنا غير موجودة بالمرة فى الجداول المصرية لمقاطعات مصر القديمة، هى منطقة نفوذ إله الصحارى، **هو شبه جزيرة سيناء** المتصلة بالدلتا المصرية الشرقية.

وإعمالا لذلك نضع حلنا الافتراضى، وهى أن تكون شبه جزيرة سيناء هى التى عرفت فى أعمال المؤرخين الكلاسيكيين باسم مقاطعة (سيتروپت) نسبة للإله (سيت)/، وهنا علينا أن نلحظ أن (سيتروپت) هى المقلوب اللسانى للكلمة المصرية (دوسريت) أو (دوشريت)، الدالة على الصحارى الشاسعة.

وقد أفادتنا المصادر المتخصصة فى الساميات، أن (سيناء) قد حملت اسم (سيناء) نسبة الى إله القمر المنطوق باللسان السامى (سين) أو (زين)، وأنه كان ينطق مختصراً (سى) بإمالة السين إمالة طويلة، و (سى)، وحدها دلالة إسمية على السائمة من الحيوانات ذات القرون، ومنها جاءت كلمة (ساة) أو (شاة). وقد اقترنت السوائم المقرنة بإله القمر خاصة فى حالة الهلال ، بعد أن قرن الإنسان القديم بين قرنىّ السوائم وبين قرنى الهلال، فاعتبر القمر ثوراً أوتيساً أو خروفاً سماوياً، وسنعلم لاحقا كيف اقترن الإله ست بالإله القمر رب الصحارى والبداوة والبوادى، وهو مايرجح أن يكون اسم (سين للقمر)، جاء أصلا من المفرد. (س) فى (سيت)، مضافاً إليه أداة التعريف السامية الجنوبية (ن)، التى كانت تلحق بآخر الكلمة للتعريف، كما فى (رحمن) التى كتبتها نصوص المستند اليمنى (رحمن – ن)، ويبدو لنا أن (ن) لحقت أولا بالثنائى (ست) فأصبحت (ستن) التى ستصبح بعد ذلك الشيطان كما سيأتى بيانه، وهى صفات الإله (سيت) المصرى. إلا أن

ما يهمنا هنا هو **أن سيناء اسم منسوبة للإله المصرى (سيت) فى إحدى تجلياته وتمثلاته**، وهو هنا التجلى القمرى لقربه من حال سيناء البدوى، تصبح (سيناء) أو (سيتروبت) كليهما وعلى اختلاف نطقهما منسوبة الى الإله (سيت) المصرى.

وهنا نتذكر ما جاء فى حديث التلمود عن الشيطان، وأنه كان يطلع بين قرنى ثور، والثور هنا هو قمر هلالى لتجلى سيت.. والثور فى السامية القديمة وبخاصة البابلية كان ينطق (شيد) وهى ببساطة (سيت). أمـــا التوراة فقد جاءت بكلمة (شيد) بمعنى عفريت، والعوام حتى اليوم يقولون عن العفاريـــت (الأســـياد)، وهـــو تسمية تشير إلى أصحاب (سيت) باعتبارهم أصحاب سيادة/ هكسوس/ كما سلف البيان، والكلمة (سيت) نفسها تنطق أيضاً (سيد) وتحمل معنى السيادة. أما الرب التوراتى زمن النبى إبراهيم فقد جاء فى التوراة العربيـــة باسم (الرب القدير) وتلك ترجمة عن الأصل العبرى المازورى لذات الكلمة بالعبرية (إيل **شداى**)، وهى كلمة تتركب من ملصقين: الأول (إيل) أى رب، والثانى (**شداى**)، وشداى تحيلنا إلى (**سيت**) مرة أخرى (سيت / شيت / شيتاى / شيد / شيداى) وقد أشرنا فى كتابنا (قصة الخلق) إلى علاقة واضحة بين (شداى) هذا وبـــين (الشذى) أو **الـــريح**، وكلها تلتقى مع ما جمعناه من معطيات حتى الآن بشأن ذلك الإله، وتتناغم معنا تناغمـــا بينا واضحا.

أما المصريون فقد كانوا يتقربون الى الإله (سيت). إتقاء لشريته الصحراوية بتقديم القرابين إليه مـــن الثيران والأبقار الحمراء أو المغراء، التى لاشية فيها، ولو وجدوا فيه شعرة واحدة من لون مخـــالف لعـــدوه غير صالح للقربان، الأمر الذى يربطه بالبـــلاد الحمراء فى آدوم، فكان قربان سيت ثوراً أو بقـــرة (شـــيد) صفراء فاقع لونها [٩].

ولم يزل الفلاح المصرى يخاطب السوائم ويحثها على السير والحرث باسمها القديم، والجذر اللغـــوى الأصيل (سى)، مع إمالته إمالة طويلة منطوقة (شى). ويتبادل مع لفظ الحث هذا لفظ آخـــر خصـــص فقـــط للحمير هو (حا)، وقد علمنا أن بداية ست فى الرسوم التخطيطية كانت تصوره حماراً. والمبهر هنا **أن (حـــا) هو اسم القمر فى حالة الهلال باللسان المصرى القديم** [١٠]، وقد انتسب للإله القمر (حا) فراعنة مرمـــوقين مثل الذى ننطقه اعتباطياً (أحمس)، بينما يجب نطقه نطقا صحيحا (حا – مس) أى ابن القمر، وهو بالترجمة الدقيقة (حا أُعطى إبنا)، ولأنه كان قائد تحرير مصر من الهكسوس، وكان عسكريا مظفراً ، فيبدو أنـــه قـــد ترك أثره اسما واضحا فى اللسان العربى (الحماسة).

ولأن المصادر التاريخية تضن علينا بأية إضافات يمكن التعامل معها بشأن واريس الهكسوسية، التـــى قامت داخل الحدود المصرية فى الدلتا الشرقية، فسنعمد الآن – وإلى حين فقط – إلى حواريس أخرى، هـــى حويلة التوراتية التى حددنا موضعها بالعريش شرقى سيناء، بحسبانها (حواريس) متقدمة، للإشـــراف علـــى

---

(٩) عبد المجيد عابدين: سبق ذكره، ص ٤ .

(١٠) أنطون ذكرى: مفتاح اللغة .. سبق ذكره، انظر صفحات ٧٨ ، ٨٨ .

أرجاء الإمبراطورية الهكسوسية، وفى بلاد الشام وجزر المتوسط ومصر نفسها. أما الأهم فهو قربهـا مـن المركز الرئيسى لإنطلاق الهكسوس، الذى انعقدت عنده أحلافهم فى آدوم.

وهنا نفتح قاموس الكتاب المقدس فى مادة (حويلة) فيطالعنا بوجوب قراءتها بفتح الحاء، فهى (حَويلة)، وهو ما يلتقى مع فتح الحاء فى (حَواريس)، ثم يقول بتأن يؤكد كل ما وصلنا إليه حتى الآن:

> حَويلة: اسم سامى معناه **رملية** .. هو اسم لرجل من **بنى كوش** (تكوين ١٠/٧)، واسم لرجل من **بنى يقطان** تكوين (١٠/٢٩)، واسم لمقاطعة من **بلاد العـرب يسـكن بعضـها الكوشـيون، ويسكن البعض الآخر اليقطـانيون**، وهم شعب سامى، (تكوين ١٠/٧ و ٢٩ ، وأخبارأيـام أول ١/٩ و ٢٣)، **والصـلة بـين حويلة وحضرموت** وأماكن أخرى ، تشير إلى موقعها فى **وسط البلاد العربية**، أو فى جنوبها وفى حويلة نهر فيشون، والمنطقة غنية بالذهب والمقل، **وهو صمغ عطـرى طبـى**، والأحجـار الكريمة (تكويـن ٢/١٢،١١)، ويفضـل الـبعض أن يحققهـا بمنطقة خولان، فى القسم الغربى من بلاد العرب شمالى اليمن، ولا يُعرف إلى أى حد كانت تمتد الحويلة شمالا، ومـن قصـة محاربة شاول مع العمالقة قد نستنتج أن قسما مـن الصـحراء العربية، يمتد عدة مئات من الأميال شمال اليمامة، ويحمل اسم حويلة (صموئيل أول ١٥/٧ وتكوين ٢٥/١٨).

إذن و وفق ما ساقه لنا قاموس الكتاب المقدس الذى اشترك فى إعداده جلـة محترمة من علماء الكتاب المقدس، فإن كلمة (حَويلة) تعنى (الرمل) فحويلة تقع فى منطقة صحراوية ، وكذلك العريش، وعلـى عـادة المقدس التوراتى فى تصنيف المواضع والأجناس منسوبة الى أشخاص قـدامى أسـطوريين، آبـاء لأقـوام وشعوب، فإنه يقول: **إن حويلة كان اسما لرجل (كوشى) أى من الجنس الأسود الزنجى** وقد قلنـا أن هنـاك عنصراً زنجياً قد سكن المنطقة، ورفض المؤرخون بل ولم يتصوروا وجود عنصر زنجى فى هذه المنطقـة رغم ما جاء فى المدونات التاريخية الكلاسيكية والكتاب المقدس، وأسقطها الباحثون دوما من حساباتهم لـذلك نحن أول المفسرين بلا منازع ينازعنا. ثم أن الأسم كان فى الوقت ذاته اسما لرجل من نسل (عابر) العبـرى هو (يقطان)، وبالعربية هو قحَطان. ونحن نعلم أن قحطان جنوب جزيرى سكن الجنوب اليمنى، لكنه وفـق نظريتنا جاء من الجنوب إلى الشمال يرتحل إلى آدوم تاجراً ومقاتلا. ثم أن القاموس المقدس يضيف لحويلـة معنى ثالثا، فهو **اسم لمقاطعة يسكنها العرب والزنوج ويصفها بأنها عربية**، ونحن نعلـم ممـا أوردنـاه أن المؤرخين الكلاسيكيين قد أطلقوا على المنطقة جميعاً من آدوم حتى الدلتا الشرقية اسم العربية، أو المقاطعـة العربية. أما الأشد فصاحة لأمرنا هنا فهو القول **أن تلك المقاطعة كانت تنتج المر/ البخور/ اللبان / الصـمغ**

الطبى العطرى، ولكن لأن القاموس وأصحابه لم يصلوا الى ما وصلنا إليه حتى الآن فى بحثنا، فقد ذهبوا يضعون حويلة فى شبيهها اللسانى خولان غربى جزيرة العرب عند اليمن. ويكون شاول الملك بذلك قد قام بأكبر حملة فى التاريخ، حملة أسطورية اكتسح بها فيافى الجزيرة من فلسطين حتى اليمن ويأتينا الخلل الجغرافى الشديد وفق هذا الرأى، فأين خولان من شور التى أمام مصر؟ المهم أن القاموس يستمر فيؤكد لنا مذهبنا، **فحويلة بها الأحجار الكريمة والذهب.**

ونستفيد هنا من الباحث على فهمى خشيم الذى يبحث فى شأن آخر بعيد عن شأننا هنا، إذ يتحدث عن (حواريس) الهكسوسية بمصر فيقول أن المقابل السبأى لها هو فى مادة (ح و ر)، وتفيد معنيين نقيضين، فهى بمعنى ذهب، وبمعنى قعد واستقر (أليست تلك حال أولئك موضوع بحثنا حتى الان، بل وألا تنطبق إلا عليهم؟)

ولنلحظ أن ذهب هنا بمعنى المشى دوماً، وهو ما يذكرنا بتفسيرنا للكلمة المصرية التى كانت تشير اليهم (الشاسو). ويقارن خشيم **(ح و ر)** بالآية القرآنية " ظن أن لن **يحور** / ١٤/ الأنشقاق "، أى لن يعود، وبالأثيوبية حورا Hora أى يذهب، والأصل فيها من التردد والدوران، أى الحيرة، وهنا يجب علينا التذكير بالنص التوراتى " أراميا تائها كان أبى "، أما معنى الاستقرار، فقد جاء من (حور) بمعنى أحاط وشمل، إذ تبنى المدينة فتحاط بسور يحورها، وهو ما يلتقى مع الأسوار ذات النمط الخاص جداً الذى كانت تبنى به مدن الهكسوس. والتى يشابهها تماما وبشكل مذهل ذلك الخط العسكرى الذى أقامته إسرائيل بعد الهزيمة العربية على قنال السويس، والذى عرف باسم (خط بارلييف). ويمكن قرن كلمة (ح و ر) بكلمة (حارة) و (ح ى ط) أو (حائط)، ومثلا لها المصرية (ح ت . و ع ر. ت HT. WR.T) عاصمة إقليم (إم ن. ت IMN.T) ومعناها حائط أو قلعة إقليم إمنت، وتقترن باليونانية. ثيولوجيا أوارين أو أفارين، أى أوارين المقدسة [(١١)].

ومن ثم فالاسم حواريس يضم عدداً من المعانى، فهى مدينة كبرى مقدسة مسورة سكانها من البدو المرتحلين الذين استقروا مؤقتا، أو استقروا ثم عادوا فتشتتوا، زيادة على كونها مركزا رئاسيا إداريا.

وفى سفر التكوين نص يرد فيه ذكر الموضع (حَويلة)، يقول:

> وغرس الرب الإله جنة فى عدن شرقاً، ووضع هناك آدم الذى جبله، وأنبت الرب الإله من الأرض كل شجرة شهية للنظر وجيدة للأكل ، وشجرة الحياة فى وسط الجنة، وشجرة معرفة الخير والشر، وكان نهر يخرج من عدن ليسقى الجنة، ومن هناك ينقسم فيصيرا أربعة رؤوس، اسم الواحد **فيشون وهو المحيط بجميع**

---

(١١) فهمى خشيم: آلهة .. سبق ذكره، ج١، ص ٩٠ : ٩٢.

أرض الحويلة حيث الذهب ، وذهب تلك الأرض جيد،
هناك المقل **وحجر الجزع**، واسم النهر الثانى جيحون
وهو المحيط بجميع أرض كوش، واسم النهر الثالث
حداقل وهو الجارى شرقى آشور، النهر الرابع الفرات/
تكوين ٢ / ٧ - ١٤.

الأسطورة هنا تحكى عن خلق آدم ووضعه فى جنة باسم عدن، وهذه الجنة تقع على هذه الأرض، ونظراً لأن العلم بجغرافية الأرض لم يكن قد اتسع بعد، فقد رددت الأسطورة تصوراً متواتراً لدى الشعوب القديمة، يعتقد أن الأنهار جميعا تنبع من منبع واحد على اختلاف مواضعها، وأن ذلك المنبع لا شك عند مقر الآلهة، نظراً لتشابه الظواهر النهرية وكائناتها على اختلاف مواضعها. وضمن تلك التصورات ذلك التصور الذى وضعه سكان منطقة الشرق الأوسط وتبنتة التوراة، فتقول أنه فى تلك الجنة نهر أول هو منبع وأساس تتفرع منه الأنهار الكبرى الأربعة، وأول تلك الأربعة نهر باسم **فيشون، وهو المحيط بجميع أرض حويلة.** ووفق ما طرحناه فإن هذا النهر سيكون هو نهر وادى العريش الذى يحيط فعلا بالعريش وينطلق من مواضع متعددة بالمرتفعات السينائية الوسطى والجنوبية ليصب عند العريش، وقد اعتادت التوراة على تسميته **(نهر مصر)**. خاصة إذا ربطنا ذلك بما سبق وقلناه أن سيناء وآدوم هى التى كانت تحمل مصر قبل أن تنسحب التسمية على مصر المعروفة الآن، وأنها كانت تسمى على التنغيم مصرى وموسرى ومصرى وموسير ومشرى، وكان هذا النهر هو آخر الحدود الغربية الجنوبية لدولة إسرائيل الموحدة القديمة حسب زعم التوراة. وأبرز النصوص التوراتية لتحديد تلك الحدود ما جاء فى الوعد لإبراهيم بالنص القائل: " لنسلك أعطى هذه الأرض من **نهر مصر** الى النهر الكبير نهر الفرات / تكوين ١٥/١٨"

كما تم تحديد وادى مصر هذا أو نهر مصر مع تحديد التوراة لآخر النقاط الحدودية الجنوبية – لسبط يهوذا – مع مصر، فى النص " أشدود وقراها وضياعها الى **وادى مصر** والبحر الكبير وتخومه **(**يقصد البحر الأبيض / المؤلف**)** يشوع ١٥/ ٤٧ ".

وفى عبقرية المكان الجغرافى المصرى، يقول لنا (جمال حمدان): " وادى العريش ليس فقط أكبر الأودية الصحراوية طولا وتشعباً ومساحة فى حوض سيناء وحدها، لكنه أكبر ما فى مصر كلها.. **كان يسمى منذ أقدم العصور نهر مصر، ولعله المقصود بنهر مصر فى التوراة**.. ورغم أنه جاف معظم السنة فهو سيلى بالشتاء، أما فى موسم فيضانه فيكاد يبدو نهراً جليل القدر عظيم الخطر يزحف كالسيل مقتلعها المبانى والمزارع " [١٢].

---

(١٢) جمال حمدان: شخصية .. سبق ذكره، ج١، ص ٥٩٧ .

أما النهر الثانى فهو **المحيط بأرض كوش** (الجنس الأسود) واسمه جيحون، حسب رؤيتنا هنا هو ذلك الذى يحمل اليوم اسم النيل، حيث كان فى جنوب مصر دولة تابعة لمصرباسم بلاد كوش، وكان يحكمها وال من قبل الفرعون منوباً عنه بلقب (ابن الفرعون فى بلاد كوش). أما النهر الثالث (حداقل) الذى اتفقت عليه الترجمات بكونه نهر (دجلة) أحد الرافدين لأن النص التوراتى يضعه شرقى دولة آشور الرافدية القديمة، لذلك، فإن النهر الرابع منطقيا يجب أن يكون (الفرات).

وفى المأثور الإسلامى يأتينا نفس التصور مع تحريف بسيط فى بعض الأسماء، كما فى الحديث الشريف عن أبى هريرة عن النبى (ﷺ) " فُجرت أربعة أنهار من الجنة: الفرات والنيل وسيحان وجيحان " (١٣). أما الكتاب المقدس فيصر على تأكيد معنى الجنة فكان نموذجه وهو يصف منطقة وادى عربة بأنها " كجنة الرب **كأرض مصر** / تكوين ١٣/١٠ ".

ثم تأتينا القرينة المبينة، وتتمثل فيما رواه سترابو STRABO عن قرار الإمبراطور الرومانى عام ٢٥ ق.م بإرساله حملة رومانية إلى جزيرة العرب للإستيلاء على محطات التجارة الكبرى وموانيها، وكلف بذلك إيليوس جالوس AELIUS GALLUS قائدا للحملة، انطلاقا من العقبة مستعينا بملك الأنباط العربى (أبو دعس الثانى OBODAS II)، لكن الملك النبطى ضلل الحملة وساقها إلى عمق الصحارى حيث تاه الجنود وماتوا عطشا. إلا أن روما لم تخرج صفر اليدين، فاستولت على ميناء عربيا شماليا " كانت التجارة الآتية إليه تنقل من هناك برا فى القوافل إلى البتراء" وهو ميناء غير محقق المكان الآن عند الباحثين أما اسمه حسبما جاء بلسان سكان المنطقة ودونته المراجع الرومانية، فكان **(حوارة)** (١٤).

وكما لدينا (حَويلة) التى تقع عند قادش سيناء التى قلنا أنها العريش، فإن هناك حويلة أخرى باسم (حواريس)، وتقع بمكان ما شرقى الدلتا المصرية، وحويلة ثالثة عند البحيرة التى حملت اسمها شمالى فلسطين (الحولة). ومعلوم أن هناك أكثر من موضع فى التاريخ التوراتى، والتاريخ القديم عموماً حمل اسما واحداً مثل قادش، ومثل دان، ومثل حاصور فهناك أكثر من دان وأكثر من حاصور، لكن يبدو لنا أن (حويلة) سيناء التى حققناها بموضع العريش الآن ، هى ذات المدينة التى ذكرتها التوراة باسم آخر هو (حصرون) و(حاصور) التى تقع جنوبى فلسطين فالنص يعدد لنا مدن يهوذا الحدودية الجنوبية مع بلاد آدوم فى قوله:

> هذا نصيب سبط بنى يهوذا حسب عشائرهم، وكانت المدن القصوى التى لسبط بنى يهوذا **إلى تخم آدوم** جنوبا: قبصئيل وعيدر وياجور وقينة وديمونة وعدعدة **وقادش وحاصور** ويثنان، وزيف وطالم وبعلوت،

---

(١٣) ابن كثير: البداية والنهاية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٤، ١٩٨٨، ج١، ص٢٢.

(١٤) فيكتور سحاب: إيلاف قريش، المركز الثقافى العربى، الدار البيضاء، ط١، ١٩٩٢، ص٥٢: ٥٤.

وحاصور وحدته وقريوت، **وحصرون هـــى حاصـــور**

/يشوع ١٥/ ٢٠ - ٢٥.

وفى هذا النص **تختفى حويلة من تعداد المدن لتظهر بدلا منها حاصور**، ويقول قاموس الكتاب المقدس تحت مادة (حاصور) أن حاصور كانت تتبعها قرية باســم (حاصور وحدته) بالجوار، وأن (حاصور) كانت مقاطعة فى الصحراء العربية. ويدل على أنها كانت مدينة عظيمة ذات شأن انها كانت محل طمــع العاهــل البابلى نبوخذ نصر، الذى هاجمها ونهبها (أنظر سفر إرميا ٤٩/ ٢٨ - ٣٣) ، ثم يضيف القاموس نصــياً: " ويذكر بيروسوس أن نبوخذ نصر **قد هزم العربية**، وربما يكون الاسم اسم **مجموعة** ".

فى الوقت الذى دون فيه هذا الكلام كان الجنس العربى قد أخذ بالتحدد فى جزيرته ونطاقها الشــمالى، أما البلاد التى عدت عربية فى كتابات المؤرخين الكلاسيك فهى آدوم ومحيطها من شمالى الجزيرة إضــافة إلى سيناء. أما البليغ هنا فهو المعلومة التى تواترت حتى وصلت محررى الكتــاب المقــدس ليســجلوا فـــى قاموسهم **إن (العربية) ربما يكون اسما لمجموعة**، أى لحلف بين مجموعات بشرية. وهو الأمر الذى انتهينا من تقريره بقرائن وأدلة وافية.

وزيادة فى البلاغ المبين يقول الكتاب المقدس الذى اهتم بشئون تسميات المواضع، فقد أفــرد لمدينــة حاصور التى نظنها اسما ثانيا لمدينة حويلة تقريرا يعطيها شأناً خاصا يقول:

حاصور كانت قبلا رأس جميع الممالك

يشوع ١١ / ١٣

وهو مايفيد أن حاصور كانت مدينة رئيسية رئيسة بين ممالك المنطقة الآدومية فى النقب، وهكذا أيضاً كان شأن حواريس عاصمة الهكسوس الاحلاف فى شرقى دلتــا مصر. وحاصور فى حال الاستبدال الســهل بين الحاء والعين تصبح ببساطة (عريش)، وإذا كنا نعلم أن كلمة (عريش) بالعربية تعنـــى **الحظيــرة**، فــإن الكتاب المقدس القاموسى يعلمنا تحت مادة حاصور بمعناها قائلا تحت مادة حاصور " حاصور: اسم عبــرى معناه **حظيرة** ".

بعل صفون : لغز آخر !!

فى القصة التوراتية لخروج بنى إسرائيل من مصر نجد إشارات إلى موضع حدودى مصـــرى باســـم (بعل صافون)، يقع على الحدود الشرقية للدلتا المصرية مع البحر الذى عبره الإسرائيليون فى أسطورة شـــق البحر، ومن المفترض حسب القصة أن تكون تلك الحدود حدوداً صـــحراوية ملاصـــقة لمنـــاطق الخصـــب الدلتاوية. ويقول الكتاب المقدس أن ذلك الخروج أو عبور البحر قد تم عند نقطة اسمها (فم الحيروث) وهـــى بالعبرية (بى – هـــ حيروت) أى فم الحيروت . والمقدس التوراتى يفيدنا بموضع كان يقع إلى الجوار من فم الحيروت مباشرة يحمل ذلك الاسم الغريب على اللسان المصرى: (بعل صافون).

فما هو بعل صافون؟

بالبحث وراء بعل صافون وجدناه اسما يرد فى الملاحم التى عثر عليها بمكتبة أوغاريت(تـــل شـــمرا اللاذقية الآن بسوريا) بحسبانه اسم لإله من أشهر الآلهة الكنعانية، **فكيف أصبح علماً على موضع جغرافـــى بالبلاد المصرية؟.**

ونحن نعلم من الملاحم الدينية للبلاد الشامية أن البعل تعنى السيد عموماً أوالرب، وعادة ما تشير إلـــى رب بعينه ارتبطت به تلك الصفة(بعل) بحيث إذا وردت وحدها دون ذكره نعرف أنها تشير إليه. هـــو رب الحرب والخصب والدمار والأوبئة معاً ، الإله (هدد) أو (هدّ) بتشديد حرف الـــدال، وينطـــق أيضـــاً (حـــد) و(حدو) و (حداد) و (أدّ) و (أدد) وأيضاً (ود) وكلها اختلافات لهجوية باختلاف ألسنة قبائل المنطقة لكنه دوما كان بعل صافون، وصافون هنا صيغة نسبة لمكان جغرافى حيث يقع معبد أو هيكل ذلك الإلـــه فهـــو رب صافون أو إله الموضع صافون.

وتحيطنا ملحمتان على الأقل من الملاحم الأوغاريتية علما بشأن السيد البعل (بعـــل صـــافون) همـــا: ملحمة البعل، وملحمة كارت ملك صيدون. والملحمة الأولى (ملحمـــة البعل) تحكى لنا قصة هذا الإلـــه رب الصاعقة والمطر والحرب والوباء، وقد ترك عابدوه لنا نقوشا له يمسك بصاعقة ذات ثلاثـــة شـــعب تشـــبه المذراة، فى شكل آداة حرب حديدية. مما يشير إلى أنه ربما كان أيضاً **ربا لصناعة الحديـــد والمســـبوكات المعدنية**، وهو ما يطابق اسمه **(حداد)** أى صانع الحديد أو **القينى** . وهذا الاجتهاد من جانبنا لا يتعارض مع ما استنتجه الباحثون من كونه رب خصب لشعوب متبدية تستوطن الجبال و البرارى وتعتمد علـــى المطـــر وبرقه ورعده فى زراعتها. لكن مثل هذا الإله فى بلد مثل مصر سيغدو إله نقمة وليس رحمة ، فهى تعتمـــد بالكامل فى ريها على نيلها الهادئ اللطيف المنضبط، وشهور المطر فيها هى شهور الشـــتاء، والشـــتاء فـــى مصر فصل جدب ومرض للنبات وموت للخضرة، لذلك عادة ما قرن حداد أو هدد البعل عنـــد المصـــريين برب الصحارى الشرير (سيت) قاتل أخيه أوزويريس رب الخصب والزرع، وهو تناقض بين حالين طبيعيين

فى المنطقة أدى إلى تناقض مماثل فى تصور الآلهة ووظائفها. وهكذا فالبعل فى الأسطورة السامية إله خصب يحمل اسم حداد أما صافون فهو المكان الذى ورد بالأسطورة كمقر لهيكل البعل وكمسكن له، وللبحث عن الموضع الشامى للإله صافون نرجع إلى ملحمة البعل نقتطع منها المقاطع التالية:

رفعت (شمش) صوتها تقول: اسمع يا (عشتر) (ثور إيل) أبوك يميل إلى (يَمْ)

يؤثر (القاضى نهر)

إذا سمعك (إيل)

يغضب، يزيل عرشك، يحطم صولجانك

أجاب (عشتر) :

لا هيكل لى كما لسائر الآلهة، لا قصر لى كما لسائر **أبناء القدس**

***

لكن (إيل) ثبت سلطان (يم) قائلا: لا زوجة لك يا (عشتر)أنت قاصر لا تصلح للملك. ونادى (إيل) (كاسروخاسس) وقال له: هيا ابن هيكلا لـ (يم) هيا ابن قصراً لـ (القاضى نهر)

أرسل (يم) رسلا إلى (إيل) أبى السنين قائلا لهم :

اذهبوا إلى مقام (إيل) عند نبع النهرين قرب أفقا. أمام (إيل) تسجدون، تقولون ...[تلف بالنص]

***

(البعل) لا هيكل له كما لأبناء (أشيرة) ربة البحر

هيا سيرى يا (عناة) إلى (أشيرة) ربة البحر توسلى إلى خالقة الآلهة أن تذهب إلى (إيل) تستعطفه فيسمح ببناء هيكل لى .

***

ها (كاسروخاسس) قد هيأ كيره أخذ الملاقط بيده هاهو يعد الفضة يرقق ألواح الذهب

***

إسرج مهراً يا غلام

ضع سرجا غنيا بالحلى **يا (قادش)**

سر بنا إلى مقام (إيل) عند نبع النهرين بالقرب من أفقا

سار (قادش) أمام المهر

أضاء لها الطريق كوكب

بلغت حِمى (إيل)، دخلت هيكل أبى السنين، أمامه انحنت وسجدت بإجلال

رفع (إيل) بصره ورأى (أشيرة)..

ليكن له بيت أيها الإله (إيل)

فيرسل المطر فى حينه

تمطر السماء زيتا وتسيل الأودية عسلا عندما يرسل صوته رعدا وضياءه برقا

فليكن للبعل بيت كما لسائر الآلهة.

سيكون لك بيت كما لإخوتك

هيكل كما لسائر بنات (أشيرة)

أدع البنائين إلى بيتك.

الجبال ستخرج لك أجود فضتها والتلال خير ذهبها

اسرع يا (كاسر) فى بناء الهيكل ستبنيه فى **أعالى جبل صافون** بالفضة والذهب سترفع بنيانه، جاء الحطابون بأرز لبنان اتجهوا نحو سريون

الأرز أجمله فى سريون أجوده فى لبنان..

***

ها إننى قد بنيت بيتى من فضة

من ذهب خالص شيدته

راح البعل **يطوف البلاد**

ضم إلى ملكه ستين مدينة بل ضم إليه ثمانين، تسعين..

اسمع يا (جفنة) يا رسولى الأمين.

اسمع يا (حقلة) يا رسولى الأمين.

قبل طلوع الفجر تتوجهان إلى **طور غزى وشور ماجى** الجبلين المحيطين بأقصى الشمال.. [تلف بالنص]

***

الآن وقد قتلت الحية الملتوية

الحية الملعونة ذات الرؤوس السبعة..

صعد البعل إلى مسكنه فى **أعالى جبل صافون** ..

على قمة جبل الشمال

فى جبل (إيل) سكناى..

فى جبل الله سكناى.[1]

***

تذكر ملحمة البعل كما رأينا عدداً من الأسماء يمكن الاستعانة بها لتحديد المواقع الجغرافيـة للملحمـة الأسطورية، ونظراً للحديث عن جبل صافون بوصفه فى ترجمة النص الملحمى جبل الشمال، فقـد افتـرض الباحثون أن يكون هو **الجبل الأقرع** الآن فى أقصى الشمال السورى، خاصة أن التسمية (جبل صـافون) أو (سابون) أو (جبل سابان) – ولا خلاف – كانت تأتى فى الأساطير الأوغاريتية على التبادل مع التسمية (جبل أقرع)

ويوجز لنا (شيفمان) ما وصل إليه الباحثون بشأن التحديد الجغرافى لموضع جبـل صـافون وأسـماء صافون المتشابهة لدى شعوب مختلفة فيقول: " وإلى الجنوب من المسير الأدنى لنهر العاصى يتوضع جبـل القصير الذى يتراوح ارتفاعه بين ٤٧٠ – ٤٩٠ متراً . وتتصل معه من جهة الغرب قمـة **جبـل سـابانو/ صافون فى التوراة، وخازى فى اللغة الأكادية، وكاسى عند اليونان والرومان، وهو مانسميه اليـوم جبـل أقرع** "[2]. ثم يحدثنا (شيفمان) عن أوليمب الآلهة الأوغاريتية يشير إلى مكان مماثل للبلاد التى فيهـا **جنـة عدن التوراتية** أما المكان الذى اختاره بعلو الجبار لسكناه فهو **جبل سابانو** وهو جبل موجود فعلاً فهو جبـل الأقرع حالياً، ويقع على مسافة قريبة من أوغاريت .. لكن فى نص آخر يوجد بعلو فى جبل سابانو الذى فى السموات "[3].

ووفق منظومة بحثنا هذا سيجد قارئنا فى فصوله السالفة واللاحقة ما يؤكد أن التسمية الأكادية (خازى) واليونانية (كاسى) هى هى التسمية التوراتية والمصرية (كوشى). وفى بلاد الرافدين والشام الأعلى كان اسم الكاسيين علما على القبائل التى غزت بلاد بابل ضمن الموجة الهكسوسية التى احتلت مصـر حـوالى ذات الزمان تقريبا، وهم لدينا عين الكوشيين، حيث أكدنا ونؤكد أن الكوشيين/ الزنج كانوا عنصرا ضمن عناصر الهكسوس ومن العناصر المتقدمة فى بلاد آدوم / بونت / مديان. وأنهم كانوا رفاق العنصر السـبأى أوهـم ذاته، واقترنوا هناك مع العنصر الآرى الهابط من الشمال، وبذلك يكون جبل صافون/ خازى/ كاسـى هـو الجبل الكوشى أيضاً، جبل الإله البعل حداد/ هدد/ ود.

---

[1] أنيس فريحه : ملاحم وأساطير فى الأدب السامى، دار النهار، بيروت، ط٢ ، ١٩٧٩، ص ١١٧،١١٨.

(٢) شيفمان: ثقافة أوغاريت .. سبق ذكره، ص ٧.

(٣) نفسه: ص ٥٣،٥٤.

وفى الملحمة وردت أسماء آلهة منها الإله (يم) ويعنى البحر، والإله (القاضى نهر) ويكتب (أور – دان) أى قاضى المدينة أو قاضى النهر والنهر القاضى[٤]. ويبدو أن النهر كان موضعا لاختبار الخاطئين بجريمة الزنا بشكل خاص، باعتبار النهر هو سائل الخصب الذى يروى الأرض فتنبت، كسائل الخصب البشرى الذى يروى الفرج فيلد، ويقول (جيمس فريزر) أن القضاء النهرى كان ينتشر انتشاراً واسعاً لدى الشعوب القديمة. وكان يمارس وظيفته بوضع الطفل المشكوك فى شرعيته فى سفط وتركه للنهر وقتا محدداً ، فإن نجا كان طفلا شرعيا وإن غرق كان نغلا [٥]. لكن هذا القاضى نهر بالملحمة يشير إلى نهر بعينه أصبح يحمل اسم القاصى (دان) من (يدين) و(أدان) هو نهر (أوردان) أو(الأردن)، **ونهر الأردن كما نعلم فى الجنوب وليس فى الشمال** كما تحدد الملحمة مواضع أحداثها. إضافة إلى علامات أخرى تشككنا فى ذلك الشمال، فالعبارة (أبناء القدس) فى الملحمة يجب إعادتها إلى أصلها (أبناء قادش)، ونعتقد أن قادش سيناء أو عين قديس الآن الملاصقة لبلاد آدوم هى قادش المقصودة . خاصة أنها جاءت مرتبطة فى الملحمة بموضع آخر هو (طور غزى) والطور هو أى جبل مزروع وقد تم تمييزه، بنسبته إلى مدينة غزة، ثم أنه يقع بالقرب من موضع (شور – ماجى) الذى يحمل فى تركيبه شقا معلوما هو (شور) الحد الشرقى للدلتا مع سيناء أو كما تقول التوراة متكررات حول شور التى امام مصر.

أما الإشارة إلى أن ذلك الجبل بأنه جبل إيل وجبل الله فهو ما يذكرنا بالوصف التوراتى الدائم لجبل سيناء بأنه **جبل الله** حوريب كما فى النص:

وأما موسى فكان يرعى غنم يثرون حمية كاهن مديان فساق الغنم إلى ماوراء البرية وجاء إلى **جبل الله حوريب**

خروج ٣ / ١

ثم يذكرنا أيضاً بالوصف المصرى لبلاد بونت – التى زعمنا أنها بلاد آدوم بأنها – **أرض الإله.**

والآن ليلحظ معنا قارئنا أن الأسطورة الملحمية قد أوردت أبياتاً تشير إلى إله باسم (كاسروخاسي) وان هذا الإله مهمته صناعة المعادن. فهو ينفخ الكير ويعد الملاقط ويطرق الفضة ويرقق ألواح الذهب لصناعة عرش الإله بعل صافون، وإن كان شيفمان يفضل ترجمة اسم (كاسر وخاسيس) إلى (كوثروخاسيس)، وحرف الواو هو حرف إلحاق فهو كاسر أو كوثر الكاسى، وأصلها الأوغاريتى جاء هكذا KTR- W- HSS ، لكن من جانبنا نذهب إلى وجوب ترجمته وقراءته سوكار أو شوكار الكاسى. فنحن نعلم أن سوكار أوسوكاريس هو الإله الصقرى رب مدينة منف المصرية الذى أعطى اسمه لها فأصبحت سكارة أوسقّارة، وأنه رمز الإله المصرى أوزيريس. ويدعمنا فى هذا المذهب ما جاء عن (كوثروخاسيس) عند (شيفمان) حيث يقول: هو الإله الحرفى ومقره فى **خيكوبتا/ ممفيس** .. ونشاطه الأساسى يتركز فى صناعة السلاح"

(٤) كتاب لا يحمل اسم مؤلف بعنوان: شبهات وهمية حول العهد القديم، نشر كنيسة قصر الدوبارة، القاهرة ١٩٩١، ص ٤١.

(٥) جيمس فريزر: الفولكلور فى العهد القديم، ترجمة د. نبيلة إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٩٨٢، ج٢، ص ٥٤٠.

والواضح أن خيكوبتا هى (ايجبت/ مصر) فى اللسان الأوغاريتى، وهو ما يفيدنا به (شيفمان) [٦] إذا يقول: إن كوثر الكاسى **كان يعيش فى منف** فى اعتقاد أهل أوغاريت ويفيدنا إريك هور نونج علما فى حديثه عن آلهة مصر القديمة أن سوكر Sokar كان " إله **الحرفية** والموتى وعبد فى منف " [٧].

وهكذا، كما مزج الهكسوس بين الإله سيت والإله بعل حداد، أخذوا أيضاً إله سقارة / منف المنسوبة إلى ربها سوكر ثم نسبوه للكوشيين فأصبح كوثر الكاسى لكنه فى ملحمة البعل أصبح تابعاً لسيت أو للبعل بعكس القصة المصرية.

وما لا يفوت عين فاحصة إشارة الملحمة إلى أن بعل **ما إن تمكن من بناء مركز سيادى له رمزا للسيادة الهكسوسية، فإنه قام يضم مئات المدن إلى ملكه، تعبيراً عما فعله الهكسوس لإقامة إمبراطوريتهم.**

وإذا كنا قد قلنا أن المركز الرئيسى الذى تجمعت فيه عزمات الهكسوس كان هو بلاد آدوم التى زعمنا أنها ذات بلاد بونت فى النصوص المصرية، فإننا نجد فى الكشوف الأوغاريتية دعماً واضحاً لما قلنا حيث نجد البعل فى الملاحم الأوغاريتية ينجب ولداً مقدساً يحمل اسما فصيحاً هو " **الإله بونت** " [٨]. وأن (بونت) أنجب الإله (صيدون) الإسم المعلوم للمدينة الرائدة على الساحل المعروفة باسم صيداً . وتاريخ ديانات المنطقة يفيدنا بأن أسماء المدن أسماء معبودات تعود إلى آلهة أسطورية أسستها. ولعل أشهرها عبادة مدينة (بيت إيل) فى فلسطين فقد عبد الأراميون والإسرائيليون إلها باسم (بيت إيل) [٩] كما عبدوا إيل نفسه رب المدينة، مما يشير إلى تقديس لبعض المواضع ورفعها إلى رتبة القداسة وتتم عبادتها كآلهة. وهو ما يفسر تقديس المصريين لبلاد بونت ووصفها بأنها أرض الإله. **وفى (تدمر) كان يكنى عن اسم الإله (بونت) ولا يلفظ اسمه ويشار إليه بأنه " ذلك الذى اسمه ممجد إلى الأبد "** [١٠] وهو تقليد مصرى بالأساس حيث كان المصريون لايذكرون الإله أوزيريس باسمه بل بالإشارة إليه ولا يبيحون نطق اسمه إجلالا له كذلك الإله سيت كانوا لا يذكرون اسمه دفعا لشريته ولحضوره السحرى، وحتى اليوم يشير المصري إلى الشخص الشرير ب (المخفي)، و(إللي ما يتسماش)، ويكنى عن المرض والموت بالقول: (الشر بره وبعيد) إبعاد لحضوره بعملية إقصاء سحري، وهو الأمر الذى تكرر بعد ذلك فى العقيدة اليهودية التى كانت تشير لربها بفعل الكينونة يكون أو الإشارة بضمير الغئب المذكر (هو) أو (يهوه). أما الأشد دلالة هنا فهو أن نعثر فى أوغاريت على الإله باسم (**المهلك**) [١١]. وهو ما يذكرنا بالمهلك الإلهى الإسرائيلى لأبكار مصر ليلة الخروج، ثم يستدعى ذلك وصف التوراة لربها بذات صفات الإله طيفون/ سيت رب الأوبئة إذ تقول: "

---

(٦) شيفمان: ثقافة أوغاريت.، سبق ذكره، ص ٧

(٧) إريك هورنونج: ديانة .. سبق ذكره، ص ٢٧٩.

(٨) شيفمان: ثقافة أوغاريت،. سبق ذكره، ص ١٥٠.

(٩) الموضع نفسه.

(١٠) نفسه: ص ١٥١.

(١١) نفسه: ص ١٥٠.

قُدّامه ذهب **الوباء** وعند رجليه خرجت **الحمى**/ حبقوق / ٣ / ٥ ". ويبدو لنا أن المهلك هذا كان البعل حداد على التحديد حيث تنسب إليه نصوص رافدية ذات الوظائف التى مارسها المهلك يهوه التوراتى فى مصر من تدمير للزرع والخضرة وكل مظاهر الخصب. وهو ما نقرأه فى نصوص الملك الآشورى (أدد نيرارى الأول / ق ١٣ ق.م) يستدعى قدرات أدد على أعدئه قائلا:

ليقهره أدد (حداد/ هدد) بشؤبوب مدمر ولتستمر فى أرضه الفيضانات والعاصفة والتشوش والإضطراب والحاجة والعوز **والجفاف** والجوع. وليأت على أرضه مثل **الطوفان** جاعلا منها خرائب و أنقاض وليخرب أدد أرضه بالبرق المدمر و ليسلط عليه الجوع (١٢).

وكما كان بعل حداد يوصف بأنه إله رعد وريح وبرق وصاعقة، ووصف فى الملاحم الأوغاريتية باللغة الحورية الكارية بأنه " راكب السحب " وأنه " يعطى رعده ويرسل ضياءه إلى الأرض بروقاً " (١٣)، فإن يهوه العبرى يوصف فى الكتاب المقدس بأنه " **الجاعل السحب مركبته، الماشى على أجنحة الريح/** مزامير/ ٣ / ١٠٤ ".

ويقول لنا المهتمون بالمصريات القديمة أنه فى عصر الدولة الحديثة المعروفة بدولة الإمبراطورية، انتشرت فى مصر عبادات سامية الأصل، فمثلا، تم تكريس الحى الشرقى من مدينة رعمسيس للإلهة السامية عشتروت، حسبما علمنا من قصيدة تصف تلك المدينة، كما شيد للبعل عدة معابد. وكان رمسيس الثانى عابداً متبتلا للإلهة السامية (عناة) زوجة البعل ولقبها بعلات. وكذلك أنشأ معبداً للإلهة (أشيرة). أما (بعلات صافون) زوجة (بعل صافون) فقد حازت على شعبية واسعة ووصلت من حدود الدلتا لتعبد فى منف إلى جوار آلهتها المصرية العريقة (١٤).

وهنا نستمع إلى عالم المصريات (ياروسلاف) وهو يقول : " إن المصريين قد رأوا فى الآلهة المشابهة ذات الطابع الحربى أو القتالى [وهى صفات بعل وزوجته عناة / المؤلف] فى فلسطين وسوريا إلههم ست .. وهناك رواية أعطيت فيها **الأرض السوداء أى مصر إلى حورس، بينما أعطيت الأرض الحمراء أى البلاد الأجنبية إلى ست**.. وفى عصر الدولة الحديثة .. تعرفوا .. على عدد عظيم من آلهة وإلهات المدن المسماة بعل Ba'al – سيد فى اللغة السامية – وبعلات Ba'alat أى سيدة. ومن المناطق التى أُخضعت جُلب العديد من الأسرى إلى مصر واستقروا بها كرقيق. وأتبع ذلك التدفق الاختيارى للمهاجرين والصناع والجنود .. جلبوا معهم جميعاً عبادات آلهتهم المحلية .. ولقد أضحى ضربا من المودة عند المصريين تقليد النمط الآسيوى فى العادات، فالكلمات السامية تطرقت إلى اللغة المصرية، ومع هذه الكلمات عقائد الآلهة الأجنبية للوافدين الجدد، من بعل وبعلات .. وميكال MIKAL ورشب RESHEP أو إرشوب ERSHOP وعبادة

---

(١٢) حسنى حداد وسليم مجاعص: بعل هداد.. سبق ذكره، ص ١١.

(١٣) على الشوك: جولة .. سبق ذكره، ص ١٩.

(١٤) سامى سعيد : الرعامسة .. سبق ذكره، ص ١١٠.

الإلهات عشتار ASTARTE وعناة ANAT وقادش KADESH وكسرت KESRET وأخريات .. وفى رأس الشمراء – أوغاريت – بسوريا كرست لوحة من ميمى MIMI **إلى بعل زيفــون** BA, AL ZEPHON أو بعل الشمال .. ولقد كان مركز عبادة الآلهة السورية فى مصر هى منطقة منف، ففى الأسرة الثامنة عشرة كـــان حيا من المدينة يسمى حـــى **الحيثيين** وربما كان ذلك الحى هو الذى ذكره هيرودت فيما بعــد تحــت اســم معسكر التيرانيين CAMP OP THE TYRIANS باعتبار أنه مستقرا أو مقر الإلهة إفروديــت الأجنبيــة أى عشتار غير المصرية. وهناك بردية مصرية تعدد أسماء .. **بعلات وقادش وعنات وبعل زيفون** .. ويبدو أن رمسيس الثانى كان متعبداً متحمساً لعناة فضلا عن أنه أطلق اسم عناة على فرسه، وكذلك أطلق على ابنتــه المفضلة اسم بنت عناة BINT - ANAT ، .. وكان رمسيس الثانى محبــوب **حــورون** BE LOVEED OF HAURON وهو إله سامى نعلم القليل جداً عنه حتى فى موطنه الأصلى بأسيا " (١٥).

ومن جانبه يحيطنا (شيفمان) علما أنه " كانت عبادة الإله الكنعـــانى الآمــورى بعــل صــفون وهــو الأوغاريتى بعلو الجبار منتشرة فى مصر فى منتصف الألف الأولى قبل الميلاد. وهذا ما تؤكــده التــوراة / تكوين ١٤ / ٢ / ٩ والعدد ٣٣ / ٧. والبردى الفينيقى الذى وصلنا من مصر ويعود تاريخــه إلـــى القــرن السادس قبل الميلاد (١٦)". ثم يضيف " وإلى زمن متأخر أكثر – بداية حكم الأسرة التاسعة عشرة أى بدايــة من القرن الثالث عشر قبل الميلاد – يعود الرسم النافر للكاتب المصـــرى (مـــايمى) [ســـبق ذكـــره عنــد ياروسلاف باسم ميمى / المؤلف] الذى وجد مشوها جداً فى معبد بعلو. وكان مايمى هذا رئيس الخزانة لـــدى الملك المصرى، ولعب فى أوغاريت دور ممثل الإدارة المصرية. وتحوى الكتابة التى ترافق النصـــب إيـــاه إهداء إلى الإله المحلى، الأرجح إلى بعلو .. لقد نفذ هذا الرسم الكاتب فى وضعية المصلى رافعا يديه أمام إله واقف **يرتدى قلنسوة عالية** فوق رأسه .. أما صورة الإله فهى تقابل الرسم المصرى للإله الســـورى **ســـيت بعلو** " (١٧).

وهنا يجب ألا ننسى مسألة الحى الحيثى فى منف حيث ستكشف لنا الفصـــول المقبلة أنه كـــان بقايـــا لجالية هكسوسية، وأن نتذكر قلنسوة من يسمى (مايمى أو ميمى) العالية فلها دور شارح لغوامض ستاتى فى مكانها من هذا البحث. أما دمج شيفمان للإلهين سيت وبعل معا فى التعبير **(سيت بعلـــو)** فهو مـــا يعنـــى أن المصريين والسوريين قد تكونت لدى كليهما فكرة واحدة عن **إله واحد أســـماه الســـوريون بعـــل وأســـماه المصريون ست، وبينما رأى فيه السوريون ربا للخصب فقد ركز المصريون على جوانبه الســـلبية كـــرب للحرب والدمار**. وسعيا وراء التيقن من هذا الدمج بين سيت وحداد بعل صافون نقرأ المعاهدة التى تمت بين المصريين والحيثيين زمن رعمسيس الثانى، لنجد الابتهالات تقدم إلى (سيت السماء) و (ســـيت حـــاتى) أى

---

(١٥) ياروسلاف تشرينى: الديانة .. سبق ذكره، ص ١٨٣، ١٨٤.

(١٦) شيفمان ثقافة أوغاريت .. سبق ذكره، ص ١٤٢ .

(١٧) نفسه: ص ١٢٠، ١٢١.

سيت بلاد الحيثيين أى بعل الحيثى، وإلى (سيت حلب) أى إلى بعل حلب، مع طائفة ألقاب تتفق مع ألقاب الحيثيين لرب العاصفة.

ثم نجد ذات الدمج فى قصيدة تخلد انتصار الفرعون رميسيس الثانى فى موقعة قادش، إذ نجد بيتا من الشعر يقول:

يهتف أعداء الفرعون

ليس إنسانا هذا الذى بيننا

بل هو **سيت** عظيم القوة

أو **بعل** بذاته.(١٨)

والغريب أن الحيثيين الذين عاشوا فى بلاد تركيا القديمة كانوا قريبين فى تصورهم لرب العاصفة تيشوب/ بعل / ست من تصورات المصريين فمعظم النصب الحيثية تصور إله العاصفة بمظاهر قتالية متسلحا بهراوة أو فأس وراكبا عربة حربية، وقليلا ما تشير إلى أية صفات إخصابية (١٩). وهو ما يعنى لدينا أكثر تأثراً من جانب الحيثيين بالتصورات المصرية رغم هذا البعد الشاسع جغرافيا، وهو ما سيجد مبرراته فى الفصول القادمة التى تتحدث عن الحيثيين.

ومعلوم أن أكمل القصص التى وصلتنا عن إله الشر المصرى سيت قد جاءت ضمن رواية بلوتارك اليونانى لأسطورة أوزيريس رب الخير وصراعه مع سيت رب الشر. وبعد استشهاد أوزيريس يستمر الصراع يقوده حور أو حورس ابن أوزيريس انتقاما لأبيه من عمه الشرير سيت، لينتهى الصراع بهزيمة سيت الشرير على يد حور، يقول *بلوتارك:*

" وبعد أن هزمه حورس.. هرب ست من المعركة راكبا على **حمار**، واستغرقت رحلته سبعة أيام على ظهر الحمار.. فكان لاستعمال ست للحمار ولغباء الحمير ولونهم **الأحمر** أن **انتسب الحمير إلى تيفون** [تيفون الاسم اليونانى للإله سيت/ المؤلف] وكان ذلك سببا فى كره المصريين لهم فى عقيدتهم، لذلك لقبوا أوخوس أقسى ملوك الفرس وأشرهم [هو ارتكسيركسيس الثالث/ المؤلف] لتعسفه وشدة ظلمه بالحمار، فكان رده على المصريين: إن هذا الحمار سيحتفل بأكل عجلكم. أما القائلون بأن رحله ست فى هربه كانت سبعة أيام على ظهر حمار ونجاته وأنه أصبح أبا **لهيروسوليموس** HIEROSOLYMOS **ويودايوس** JUDAEOS ، فهؤلاء كانوا يريدون أن يدخلوا التقاليد الإسرائيلية فى الخرافة المصرية .. فالواقع إذن أن المصريين بعد أن عرفوا بنى إسرائيل.. **ألحقوهم بأبناء من أب هو ست** إله الشر والشيطان، الإله العدو فى عقيدتهم.. **وأصبح بنو إسرائيل فى مصر أولاداً لست الذى يسميه اليونانيون تيفون.** أى أنهم ينحدرون من أصل شرير. جعل منه

(١٨) حسنى حداد وسليم مجاعص: بعل هداد .. سبق ذكره، ص ٢٤، ٢٥.

(١٩) نفسه: ص ٧٩

المصريون.. رمزا لكل الحيوانات والنباتات الضارة والبحر المالح والحوادث المفجعة .. وهيروسوليموس وياهو دايوس هما آباء العبرانيين اليهود[٢٠]".

وهكذا ردد بلوتارك ما يؤيد ما قلناه حول أحد صور التجلى للاله سيت فى هيئة الحمار واللون الأحمر، وكان اللون الأحمر رمزاً على الجدب كما كان علامة على بلاد آدوم وسيناء وسكانهما، ونسبة الإسرائيليين إلى ذلك الإله تشير إلى لون من القرابة تربطهم بقبائل آدوم وسبق لنا أن شرحناها وأكدناها. ولعله من الواضح هذا أن هيروسوليموس هى (أورشليم) وأن (ياهودايوس) هى اليهودية أويهوذا، مما يؤدى إلى التباس الإسرائيلى بالهكسوسى وهو ما يتأكد دوماً بشكل مستمر منذ بداية هذا البحث، فنجد الإسرائيليين هنا أبناء للشرير ست الذى سبق وأختاره الهكسوس رباً خاصاً لهم إبان احتلالهم لمصر.

هنا يفيدنا شيفمان المتخصص فى أركيولوجيا أوغاريت أن بعلو الجبار الذى هو حداد / هدد وهو زوج الإلهة (هبات) [٢١] ربة العاصفة التى تهب والتى سبق وأشرنا إليها كربة فى بلاد آدوم من الاسم (هفا) أى (هوا) أو الهواء فى صيغة المؤنث (هبات). ثم نعلم من جانب آخر أن الإله الحيثى (تيشوب) **كانت له زوجة** تحمل ذات الاسم (هبات) أو (حبات) [٢٢]، وتيشوب هو رب العاصفة بدوره، هو البعل . وفى وثيقة معاهدة الصلح المصرية الحيثية نجد الابتهال إلى (ست حلب) و (هبا حلب) [٢٣]، و (هبا) هنا مذكر (هبات) وست حلب هو بعل حلب، مما يعنى أن ست/ تيشوب / بعل حداد طيفون / رب العاصفة أو (الهوا) هو (هبا) زوج (هبات) أو (هوا) زوج (هوات). وعلى ذات التنغيم يأتينا اسم الرب الإسرائيلى (يهوه) الذى فسره فلهاوزن بأنه يعنى (يهب) من هبوب الهواء والريح إضافة للتفسير الآخر أنه من فعل الكينونة (الكائن).

أما اسم ذلك الإله الأشهر حداد أو هداد أو هدد فنجده اسما لأحد أبناء إسماعيل (الكتاب المقدس / سفر أخبار الأيام الأول ٣٠/١) ثم الأكثر إدهاشا والتقاء مع كشوفنا أن نجد اسم ذلك الإله قد **تسمى به ملوك بلاد آدوم تيمناً**، ولدينا منهم على الأقل ثلاثة: الأول هو **هداد** بن بداد (تكوين ٢٥/٢٦) والثانى هو **هداد** الذى عاصر زمن جدعون الإسرائيلى (تكوين ٢٩/٢٦) وأما الثالث فهو **هدد** وريث العرش الآدومى الذى هرب إلى مصر عندما احتل الملك الإسرائيلى سليمان بلاده، فى قصة سبق وأسلفناها (انظر سفر ملوك أول ١٤/١١).

وملمح آخر يؤكد التطابق بين يهوه وبين رب العاصفة فنحن نجد وصفاً اعتياديا للإله فى التوراة بأنه **(رب الجنود/** إيل صبأوت فى العبرية/ سفر الخروج ٣/١٥ وصموئيل أول ٤٥/١٧) مع وصف آخر يقول " الرب **رجل حرب** "، وهى صفات البعل حداد/ سيت / تيشوب/ هفا. لكنا نعثر على ما يكاد يكون تطابقا نصيا

---

(٢٠) بلوتارك: إيزيس و أوزيريس .. سبق ذكره، ص ٥٢، ٥٣.. انظر أيضاً عبد المحسن الخشاب: تاريخ اليهود.. سبق ذكره، ص ٣٧، ٣٨.

(٢١) شيفمان ثقافة أوغاريت .. سبق ذكره، ص ١٢٢ .

(٢٢) حسنى حداد: بعل هداد.. سبق ذكره، ص ٢١:٢٣ .

(٢٣) نفسه: ص ٢٨، ٢٩.

فى نص جاء بمكتبة أوغاريت عن الإله رشب وهو بدوره تسمية بعلية لرب العاصفة، ويقول النص حسب ترجمة شيفمان " **إله الحرب صاحب السهام راشابو الجنود** [٢٤] ". ولا معنى لهذا الكلام إلا إذا كان حرف الشين زيادة فى اسم الإله المحارب (راشابو) تم إهمالها فى النطق بعد ذلك ليصبح النص تماما توراتيا لأنه سيصبح " **إله الحرب** صاحب السهام **رب الجنود** ".

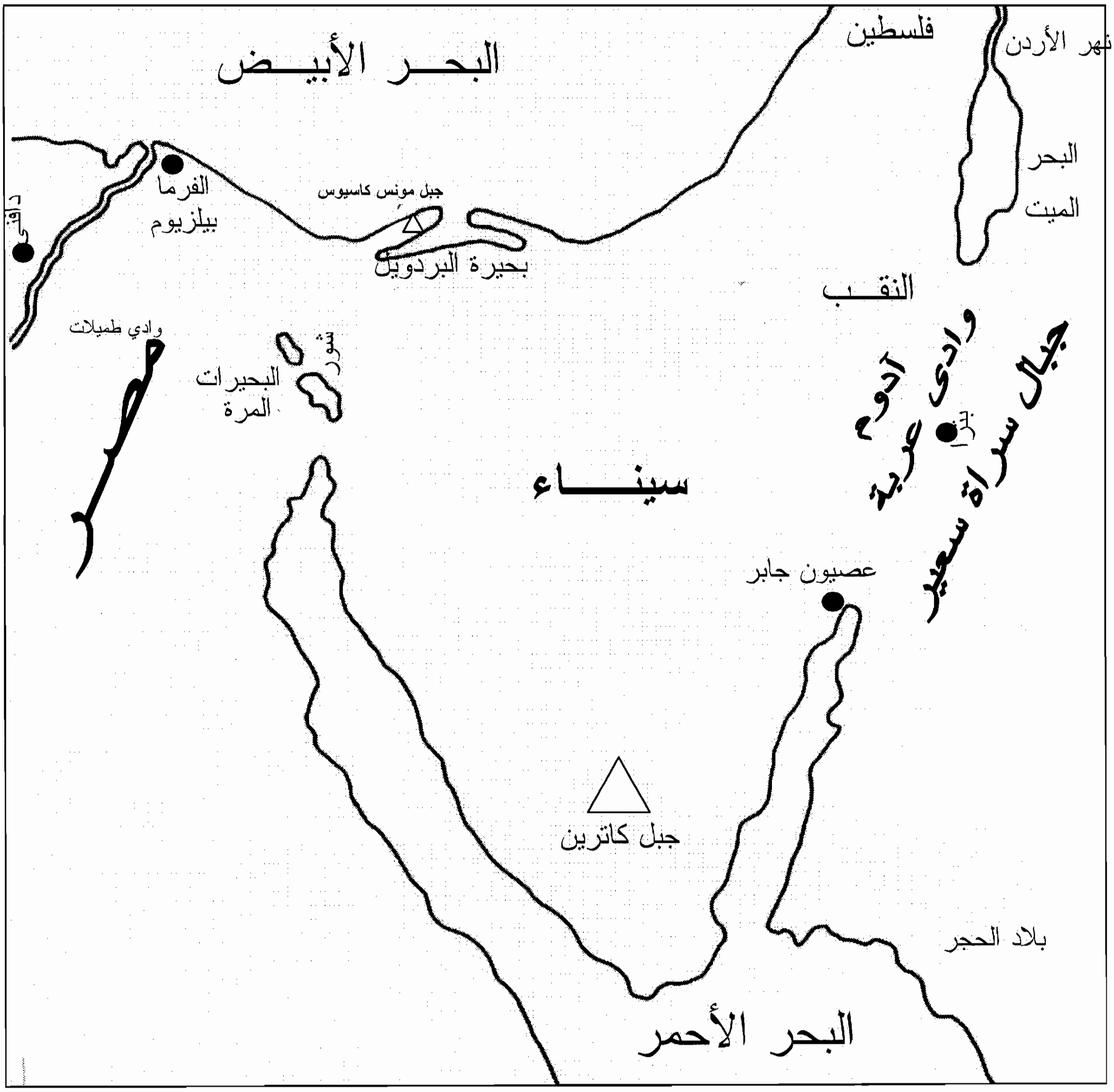
وحول اسم رب البحار الإله (يم) أو (يمو) وهو أحد أبطال ملحمة البعل الأوغاريتية يعقب شيفمان بالقول: " إن **يموسمى** أيضا **يافو** الذى يقارنه بعضهم باسم الإله البيروتى **يفو** والتوراتى **يهو** ".[٢٥]

وفى بحثه عن خط سير رحلة الخروج الإسرائيلى من مصر يقول (بيير مونتييه) أن اسم الموقع الوارد فى التوراة باسم بعل صافون بمصر كان يقع عند قمة جبل مونس كاسيوس، وهى تسمية إغريقية للجبل تحمل اسم إله يونانى أدمج بالإله بعل صافون هو كاسيوس ومعناه (الكاسى) وأن موضع بعل صافون يقع تحديداً عند قمة ساحل بحيرة البردويل الآن بشبه جزيرة سيناء [٢٦].

(٢٤) شيفمان: ثقافة أوغاريت .. سبق ذكره، ص ٨٦.

(٢٥) نفسه / ٨٤.

(٢٦) زينون كاسيدوفسكى: الواقع والأسطورة.. سبق ذكره، ص ٨٠، ١١٥، ١١٦.



خريطة رقم (٣١)
موقع كاسيوس وبيليزيوم



شكل رقم (٥٩)
نصب من رأس شمرا يمثل الإله الأوغاريتى بعل هداد مع الرمح / الصاعقة / متحف اللوفر / باريس (لاحظ أنه يلبس تاجا عاليا له قرنين مع ذؤابة تتدلى خلف رأسه حيث سنقارن هذا التاج فيما بعد بتاج آخر أكثر أهمية لشخصية تاريخية عظمى



شكل رقم (٦٠)
تيشوب من تل برسيب ١٠٠٠ ق . م متحف حلب نموذج بعلي حيثي (لاحظ الأساور على العضد وذات حركة بعل يحمل الصاعقة والرمح)



شكل رقم (٦١)
تمثال من البرونز والفضة والذهب للإله بعل هداد وجد في ر أس ، شمر ا / أو غار يت



شكل رقم (٦٢)
تمثال مصري للإله سيت في هيئة البعل وحركته برأس خنوم

لغز أرام النحاسية

لكنا حتى الآن لم نجب إجابة دقيقة على السؤال: من هم شعب إرم الوارد فى لوحـات حتشبسـوت، كاسم لشعب كان يعيش فى بلاد بونت؟ إن محاولة الإجابة على هذا السؤال بحد ذاتها ستعطينا دلـيلاً آخـراً ودعما آخراً لكل دقائق وتفاصيل بلاد بونت التى لم تصبح الآن بلاداً غامضة، بل نظن أننا قد تمكنا من رسم لوحة كبيرة واضحة التفاصيل والدقائق، جمعناها من شوارد شتى لنؤكد بها صحة نظريتنا التى ستزداد مـع البحث عن شعب إرم استقامة وثباتاً ورسوخاً.

وإبان ذلك سيتأكد لنا أن العرب قد عاشوا بهذا الاسم فى محيط سيناء وشمالى الحجاز فـى أزمنـتهم الغابرة، وأنه من تلك المنطقة هبط أولئك الذين أعطوا شبه الجزيرة اسمها (العربية)، وهو ماستفصـح عنـه أكثر الفصول المقبلة، كما سنرى اللغة العربية وهى تولد أيضاً هناك وتأخذ خط تطورها الخطى مع (شـعب إرم) ثم الأنباط من بعد.

أما الذى سيضيف الى رصيدنا فى البحث وراء شعب إرم البونتى، فهـو مزيـد مـن التوضـيح والإضاءة لوجود شعب زنجى فى هذه المنطقة من العالم، ذلك الشعب الـذى كـان ظهـوره فـى لوحـات حتشبسوت مدعاة للمدارس التقليدية لوضع بلاد بونت على الساحل الصومالى.

ونعود إلى (الأخلامو) أو (الأحلاف)، وهو الاصطلاح الذى أطلقه سكـان الرافدين على ذلك الشعب المعروف بالشعب الأرامى، وقد ذهب المؤرخون إلى أن الأراميين قد ظهروا فى بوادى الشام حوالى ١١٠٠ ق.م ، وبعضهم أعمق فى التاريخ قرنا آخر فقالوا بظهورهم حوالى ١٢٠٠ ق.م ، ومن تهور قال بظهـورهم حوالى ١٤٠٠ ق.م، لكن ليس قبل ذلك مطلقاً، وقد علمنا ببداية تواجدهم من بقايا المـدن التـى أنشـأوها ، وأعادها الباحثون إلى تلك التآريخ، والتى انتشرت فى بلاد الشام حتى أقصاه الشمالى. ومنها ممالك أصـبحنا نعرف أسمائها مثل مملكة بيت جبارى أو سمعل وبيت أدينى وقرقميش وأرباد وانطاكيـة وحلـب وقـادش العاصى وحماة وتدمر ودمشق، هذا إضافة لمدن أخرى ذكرها المقدس ولم تفصح الأرض بعد عن آثارهـا، مثل فدان آرام معكة **وأرام نهرين وأرام صـوبه**، والأخرتين تأتيان عادة على التبادل مما يشير إلى احتمـال أنهما كانا مملكة واحدة.

ويقول لنا المؤرخون: أنهم عند ظهورهم فى المنطقة، أزاحوا منها جنسا عريقاً قديما كان يسـتوطن تلك الأماكن منذ الألف الثالثة قبل الميلاد. وهو الجنس الذى عرف التاريخ أصحابه باسم الأموريين، وبعد أن أزاحوا الأموريين استوطنوا أماكنهم فى وادى العاصى والفرات الأعلى. رغم ان الأراميـين ظلـوا ممالـك صغيرة متشظية، وأخفقوا فى إقامة أى وحدة بينهم فيما يذهب المؤرخون، والأغـرب أن التـراث اللغـوى والثقافى الأرامى الوافد الجديد قد ساد المنطقة [كيف؟ لا يقولون لنا]، بل وتجاوز الأمر ذلك إلى أن لغـتهم أصبحت فجأة ودون إنذار هى اللغة السائدة فى المنطقة، بل ونجـدها دون مقـدمات هـى لغـة التخاطـب

الدبلوماسى بين عواصم الدول الكبرى فى المنطقة، ذات الحضارات العريقة السامقة، مثل مصر وآشور وبابل وبلاد تركيا الحيثية ودول المدن فى فلسطين والشام [كيف ؟ أيضاً لا يقولون لنا أية إجابة وعلينا أن نستسلم، فقط هذا ما أمكن معرفته، وفقط هذا ما قد حدث ؟!!]

ونستمر نتابع أهل التاريخ فيقولون لنا أن اللغة الأرامية تطورت عنها لغات أخرى فى خطوط فرعية، أهمها الكنعانية؟! [رغم أن الكنعانية وفق حساباتهم هى الأقدم لتزمينهم وصول الكنعانيين فلسطين فى منتصف الألف الثالث قبل الميلاد]، والنبطية. وأن الآرامية ربما سبقت وربما لحقت اللغة الكارية الحورية، فبينهما تشابه أصيل يشير الى وحدة قديمة، وعن الأراميين أخذ الإسرائيليون خطهم المربع، أما النبطية فقد تطورت التي أصبحت اللغة العربية التي نعرفها في خط شمالى الجزيرة ولغة قريش بعد ذلك.

وتلخص لنا موسوعة تاريخ العالم أمر اللغة الآرامية وأصحابها الآراميين فى قولها:

> أصبح الأراميون هم **التجار الدوليين فى العالم** ، منذ القرن العاشر حتى القرن الرابع ق.م، **وأصبحت لغتهم هى اللغة الدولية** فى غرب آسيا .. ومعظم الآداب الدينية اليهودية والمسيحية (السريانية) مكتوبة باللغة الأرامية.

ومن جانب آخر نقف نستمع للباحث (فليكوفسكى)، يقول: إن العلماء قدروا أن وصول الحوريين للمنطقة كان فجراً لحضارة جديدة، وأنهم كانوا **قوة هائلة** ومنتشرة انتشاراً واسعاً ما بين أرمينيا حتى جنوبى فلسطين والمتوسط، وشرقاً حتى فارس، ثم يعقب يائسا: " واللغة الحورية تبدو كلغة بلا شعب، **فلا هى سامية ولا هى هندوآرية** (١) " **أما نحن فقد قلنا وعدنا وزدنا حول الاندماج الجنوب جزيرى مع الحامى مع الكوشى مع الهندوآرى فى وادى عربة، والذى لاريب قد انتج هذه اللغة التى حيرت الأفهام، لغة الحوريين، اللغة الأم للساميات** فيما نريد تأكيده.

إلا أن الموسوعة تلمح من طرف خفى وحذر إلى **أن ظهورهم المفاجئ جاء نتيجة طرد الهكسوس من مصر سنة ١٥٨٠ ق.م**، لكنها تلتوى ولا تقول صراحة ولو بصيغة الاحتمال والظن: إن الأراميين الذين ظهروا فى النصف الثانى من الألف الثانى قبل الميلاد فى بوادى الشام، ربما كانوا من الهكسوس الذين طردوا من مصر، إنها متشككة فتسوق قولا يحتمل الالتباس المقصود نتيجة عدم اليقين.

لكن **الكل يغمض عينيه تماما عما جاء فى نصوص سرجون الأكدى حوالى ٢٤٥٠- ٢٣٥٠ ق.م، من إشارات واضحة لآرام**، والتى لم تكن الإشارات الوحيدة اليتيمة حتى يمكن التغاضى عنها، بل تكررت مثل هذه الإشارات، لكن لأن التاريخ علم مهيب رزين لا يعرف المجازفات، فقد عقب المؤرخ العراقى

---

(١) فليكوفسكى: عصور فى فوضى.. سبق ذكره، ص ٢١٩.

المرموق (طه باقر) يقول: " من المستبعد أن يكون الموضع الوارد بهيئة **أرامى ARAMI** ، وأسماء بعض الأعلام على هيئة **أرامو**ARAMU ، صلة بالأراميين، بالنظر إلى قدم العهد، لذلك يرجح أن يكون ذلك **مجرد تشابه لفظى**، ولايُعرف على وجه التأكيد معنى الكلمة أرامى، على أنه قيل فى أرام وإرم – ولعل الكلمة الواردة فى **القرآن** لها صلة بالأراميين – إنها تعنى النجد أو الهضبة " [٢] ورغم أن معنى النجد أو الهضبة يدخل فى معنى **الصخرة**، ورغم أن **معنى إرم فى الأرامية هو الصخرة** على وجه التدقيق، فإن **(باقر)** لم يلمح حتى إليه، ربما لأنه رآه بلا معنى **(فماذا تعني الصخرة؟!)** لأنه لم يكن يعلم ما كشفناه عن علاقة الأراميين بالبتراء. لكن قارئى يرى الآن أى معنى معناه؟

ومثل (باقر) عقبت موسوعة تاريخ العالم على ورود إشارات للأراميين فى ذلك العهد البعيد القدم بقولها:

> حوالى ٢٤٥٠ – ٢٣٥٠ قاد سرجون ملك أكاد، ونارام سين، حملات حربية إلى شمال سورية، **والإشارة إلى أرام فى نقوش هذين الملكين تدعو إلى الحيرة.**

أما حسب منظومتنا التى ننسجها هنا يكون مفهوما أن تتحدث نصوص سرجون ونرام سين عن الأراميين قبل الألف الثانى للميلاد، لأنهم إذا كانوا هم الهكسوس كما ألمحت الموسوعة ، فلاشك أنهم لم يسقطوا على مصر من السماء، إنما كانوا موجودين بالمنطقة قبل دخولهم مصر، وأنهم قضوا فترة زمنية كافية تسمح لهم بتكوين قوة مقتدرة تمكنهم من احتلال كبرى دول المنطقة.

وفى نص بسفر صموئيل حكاية تعنى ما نحاول قوله هنا وايضاحه بل وإثباته، والنص حكاية عن الأسلاب التى غنمها الملك الإسرائيلى داود، بعد أن هاجم جميع الدول التى تجاوره من الشرق ومن الجنوب، يقول النص:

> وهذه أيضاً قدسها الملك داود للرب من الفضة والذهب الذى قدسه، من جميع الشعوب الذين أخضعهم: **من أرام** ومن مؤاب ومن بنى عمون ومن الفلسطينيين ومن عماليق.
>
> صمويل الثانى ٨ / ١٢

وعجبنا هنا من عدم ذكر آدوم فى نص يعدد بالحصر جيران مملكة داوود من الشرق والجنوب، وعدنا نقلب صفحات المقدس نبحث عن تعليل، فوجدنا ذات الإشارة تتكرر بعد ذلك فى سفر أخبار الأيام

---

(٢) طه باقر: الوجيز .. سبق ذكره ، ص ٤٣٩ .

الأول، بل بذات الكلمات لم يتغير فيها غير كلمة واحدة، لم يلتفت الكاتب إلى اختلافهـا عـن الـنص الأول، بحسبان أنه كان يعلمهما كلمة واحدة ومعنى واحد وإن اختلفتا، والنص يقول:

هذه أيضاً قدسها الملك داود الرب مع الفضة والـذهب
الذى أخذه من كل الأمم، **من آدوم** ومن مـؤاب ومـن
بنى عمون ومن الفلسطينيين ومن عماليق.

أخبار الأيام الأول ١٨ / ١١

وهنا **جاءت آدوم بديلا عن أرام**، بل وفى ذات مكانها من النص مع عدم تغيير يذكر فيما عدا ذلـك، ولمزيد من التأكيد نستنطق المحرر التوراتى: هل كان يعلم أن أرام بالفعل هى آدوم، أو حتى أن الآدومى هو بطن من البطون الأرامية، ومرات ومرات كدأبنا طوال بحثنا نقلب أسفار الكتاب المقدس، فنعثر على نصين أُخريين حدث معها ذات ما حدث مع النصين السالفين، محرر كتب هذا ومحرر كتب ذاك، لكنهما كانا يتفقان على أن ما اختلف بينهما من أسماء ليس إلا أسماء لشعب واحد، يقول النص الأول:

ونصب داود تذكارا عند رجوعه من ضـربه ثمانيـة
عشر ألفا من **أرام فى وادى الملح**، وجعـل فـى **آدوم**
محافظين ، ووضع محافظين **فى آدوم** كلهـا، وكـان
جميع الآدوميين عبيدا لداود.

صموئيل الثانى ٨ / ١٣ ، ١٤

أما النص الثانى الذى دونه محرر أخبار الأيام فيغير فقط كلمة واحدة هى **(آرام)** الـورادة فـى أول النص، ويكتبها **آدوم:** انظر:

ضرب من **آدوم فى وادى الملح** ثمانية عشـر ألفـا،
وجعل فى **آدوم** محافظين، فصار جميع **الآدوميين** عبيد
لداود

أخبار أيام أول ١٨ / ١٢ / ١٣

واضح إذن أن التوراة تتحدث عن أرام باعتبارها آدوم ولمزيد من حسن الطالع لنا، أن التوراة تذكر الموضع الجغرافى لأرام فى النص الأول، فهى تقع **فى وادى الملح، الذى يقع جنوبى بحر الملـح (البحـر الميت) حيث تقوم دولة آدوم.**

هل يمكن أن نجد المزيد لتدعيم معمارنا هذا؟

فى الكتاب المقدس نص آخر لا يحمل لبسا، يؤدى إلى المعنى الذى نقوله هنا، والنص يؤكد **أن ميناء (أيلة) على العقبة كان ميناء أراميا**، والنص يحكى عن تعاصر الملك اليهوذى (أحاز) مع الملـك (رصـين)

ملك آرام دون تحديد أى أرام يقصدها بين مدن كثيرة عددها لنا عند حديثه عن أرام فيما سبق، كقولـــه أرام معكة وأرام بيت رحوب وأرام صوبا وفدان أرام.. الخ، يبدو لنا أنه قصد بالفعل أرام بعينها لا تحتاج تحديداً، يكفى أن يقال بشأنها أرام، أرام مركزية لا تحتاج توضيحا، ثم يحكى النص أن رصين هذا قد تحـــالف مـــع مملكة إسرائيل الشمالية، مع ملكها فقح بن رمليا، ضد أحاز ملك يهوذا، فالنص يقول:

كان أحاز ابن عشرين سنة حين ملك، وملك ست عشرة سنة فى أورشليم، ولم يعمل المستقيم فى عينى الرب .. حينئذ صعد رصين ملك أرام و فقح بن رمليـــا ملـــك إسرائيل إلى أورشليم للمحاربة، فحاصروا أحـــاز ولـــم يقدروا أن يغلبوه، فى ذلك الوقت **أرجع رصـــين ملـــك أرام أيلة للأراميـــن وطرد اليهود من أيلة.**

ملوك ثانى ١٦ / ١ – ٦

رصين ملك ارام غير المحددة ولا المعرفة، استرجع مدينة أيلة ــ الواقعة على خلـــيج العقبـــة الآن باسم إيلات – من يد مملكة يهوذا الجنوبية حيث يبدو أن إيلة خضعت ليهوذا منذ زمن سليمان، لكنه هنا لـــم يسترجعها لآدوم بل للأراميين، الواقع أن رصين كان ملكا آدوميا تتبعه ميناء أيلة التى كانت مستلبة من بلاده منذ زمن، فتمكن من استعادتها **لآدوم أو أرام، النص كما هو واضح لا يرى هنا أى فرق.**

لكنا هنا ندفع بالأمر دفعة أخرى، فنتابع أرام هذه المعلومة والمعروفة ولا تحتاج تعريفاً، تلـــك التـــى وردت فى مواضع أخرى بالكتاب المقدس باسم (أرام صوبا)، التى لم يتم التعرف فى علـــم التـــاريخ علـــى مكانها حتى الآن، رغم علمنا باسمها من مصادر أخرى غير الكتاب المقدس. فيفيدنا (طه باقر) – مشكوراً – أنها لابد واقعة فى الأنحاء الجنوبية من بلاد الشام، وقد خرج بهذه النتيجة من دراســـة النصـــوص الرافديـــة القديمة التى تحدثت عن أرام صوبـــة، لكن أقصى جنوب وصل إليه هـــو البقـــاع جنـــوبى زحلـــة بلبنـــان، فموضعها هناك (٣).

معقباً بالقول " والمرجح أن مدينة صوبا هى المذكورة فى المصـــادر الكلاســـيكية الرومانيـــة باســـم **خلسيس** " .(٤)

وبهذا الشأن يقول الباحث (فراس السواح): " فيما يتعلق بمملكة صوبا، احتار الباحثون بشأن موقعهـــا وحدودها، وخرجوا **باستنتاجات واهية**، من شأنها خلق صورة مضخمة عن هذه المملكة، والباحـــث هـــاليفى يقول: إن صوبة هى تحريف لكلمة صهوبة، التى تعنى بريق الذهب **أو النحاس** .. ومن المرجح أن صـــوبة

(٣) طه باقر: الوجيز .. سبق ذكره ص ٤٩٥، انظر أيضاً قاموس الكتاب المقدس .
(٤) الموضع نفسه .

كانت تشمل الأراضى الممتدة إلى الشمال الغربى من دمشق.. وقد سار بقية الباحثين على منـوال هليفـى، ويقول واين بيتار فى كتابه: دمشق فى العصور القديمة ما يلى: فى أيام داود كانت مملكة صوبة أقوى وأهـم دولة فى وسط وجنوب سوريا، وخصما عنيداً للمملكة الإسرائيلية الجديدة، أما عن موقع هذه الدولة وحدودها، فإن معظم الباحثين يضعونها اليوم فى البقاع الشمالى، مع امتدادات نحو الشرق تصل إلى سـهول حمـص وتتجاوزها حتى البادية ".

ويتابع السواح: " لقد ورد اسم صوبة لأول مرة فى سفرصموئيل الأول، الذى يذكر أن الملك شـاول قد ضرب ملوك صوبة: وحارب جميع اعدائه حواليه، موآب وعمون وآدوم وملوك صوبة والفلسـطينيين / صموئيل أول ١٤/٤٧، **وهذا يعنى أن صوبه منطقة جغرافية وليست مملكة، وأن الملوك المـذكورين هنـا ليسوا سوى مشايخ قبائل**، نظراً للإشارة إليهم بصيغة الجمع، ولكننا فى عصر داود نجدها فجأة وبعد عـدة سنوات عبارة عن مملكة يحكمها ملك واحد اسمه حدد عزر "

ثم يضيف " **ولم تتوفر لدينا من منطقة البقاع الشمالى حتى الآن أية لقـى أثرية، يمكن أن تشـير إلى وجود هذه المملكة أو عاصمتها** ".

ويستمر مشيرا إلى ما جاء فى الكتاب المقدس فى عبـارة مبهمة وملتبسة تقول " فجاء أرام دمشق لنجدة هدد عزر " ويعقب عليها بالقول: " ويستنتج المؤرخون من هذه الإشارة أن مدينة دمشق كانت فى ذلك الوقت تابعة لهدد عزر ملك صوبة "، " وفى المعركة مع أرام صوبه يقول النص: إن " هدد عزر قـد أبـرز أرام الذى فى عبر النهر، فأتوا إلى حيلام وأمامهم سوبك رئيس جيش هدد عزر، ويبنى المؤرخون على هذا الخبر **أن ملك صوبة كانت له سلطة غير مباشرة على الدويلات الأرامية القائمة عند الفرات**"(٥).

الأمر بهذا الشكل لا يلتقى أبداً مع مملكة تقع فى البقاع الشمالى إنما يلتقـى مـع بـلاد آدوم التقـاءً واضحاً، لأن (خلسيس) التى أطلقها المؤرخون اليونان على مملكة صـوبا هـى (كلسـيس) التـى أطلقهـا المؤرخون اليونان على مملكة صوبا.يلتقى مع بلاد آدوم التقاءاً واضحاً، لأن (خلسـيس) هـى (كلسـيس) و (كلسيس) تعنى (النحاس) والكلمة صوبة نفسها هى صهوبة هى بريق النحاس كما أفادنا السواح منـذ قليـل، وهو ما يستدعى مناجم نحاس تمنة فى آدوم. أما صوبة فلا نشك أنها بقايا باهتة من المملكة الآدومية الكبرى، فى حالة نزعها الأخير بن المد والجذر، وان (صوبا) ليست سوى تنويعا لهجويا للكلمة (سبا)، فأرام صـوبا هى (أرام سبأ) على التخصيص. وإذا كانت النصوص التوراتية قد أطلقت على الجنس الأسود اسم (كـوش)، فإن النصوص المصرية أطلقت عليه ذات الاسم مع اسم آخر هو (**نحاسى**) ، وكان الحد الذى أقامه سنوسرت الثالث لمنع سكان الجنوب المصرى السود الكوشيين من عبور الحدود المصرية الجنوبية، قد ذكر كالتالى: "

(٥) السواح: أرام .. سبق ذكره ، ص ١٢٨، ١٣١.

الحد الجنوبى الذى أقيم فى العام الثامن .. لمنع أى **(نحاسى)** من المرور شمالا " [٦]. أما الذى يلتقــى معنــا هنا، وما أكثر ما التقانا، فهو **أن نجد لقب (نحاسى) فى بردية تورين، لقبا لأسرة من الأسرات الهكسوســية إبان الاحتلال** [٧].

ثم لا يغيب عنا معبد روعة الروائع طوال الوقت، فتستوقفنا فى تقريره عبارة تؤكد: إن رئيس بعثة حتشبسوت إلى بلاد بونت حمل لقب أو اسم أو صفه هى **(نحاسى)**؟!... لقد أرسلت حتشبسوت فى رئاســة بعثتها ترجمانا من ذات الجنس يعرف لغة البلاد التى ارتحل إليها.

أما البليغ فهو التعقيب الهيروغليفى المكتوب أمام رسوم الصف الأول فى لوحات حتشبسوت، وفــى الصف الأول فى بلاد بونت يقف الملك ويقول الشرح المكتوب: " عظيم عظماء **إرم** " [٨].

ثم لا يدهشنا أبداً قول جيمس العابر، الذى لا يعبر علينا دون تدقيق، وهو يقــول : " لمــا أصــبحت مصر تحت حكم الهكسوس لم يبق لها قوة فى النوبة، وانتهزت بعض القبائل المغيرة الفرصة وتسربت إلــى النوبة، وكانت تجمع بين الجنس الحامى والجنس الزنجى .. واستطاعت تلك القبائل أن تكون دولـــة مســتقلة عاصمتها بوهن.. وعقدوا حلفا مــع الهكسوس .. ويعزز هذا التقارب رسالة الملك الهكسوسى أبو فيس إلــى الملك الكوشى جنوبا، حيث يبدأ رسالته بلفظة **ولدى** " [٩].

وإذا كانت الكلمة (ن ح س و NEHSU) تعنى الزنوج السود فإن جذرها (نحــس)، والنحــاس فــى العربية بفتح النون هو: **ضرب من الصفر والآنية شديدة الحمرة**، وهو بضم النون **دخان أسود لا لهب فيــه**، ومنها نحش فى العبرية وهى حنش أى **ثعبان** فى العربية!!... لقد جمعت لنا كلمة واحدة فى اللغة، حفريــات معانى قديمة عن الجنسين الأسود والأحمر من الناس، وثعبان شجر البخور.

والإله المصرى القديم (أبيب)، وينطق بالتصريف اليونانى (أبو فيس)، تسمى باسمه بعــض ملــوك الهكسوس القادمين من بلاد التين والبخور، وكان المصريون يرسمون أبيب فى صورة **حية متلوية**، تحمــل فى كل طية من جسمها مدية ماضية، وتصوروها تكمن لإله الشمس مع شياطينها عند المغيب. وقد وصــفت النصوص المصرية تلك الشياطين التابعة للحية بأنها " **شياطين سوداء وحمراء** " [١٠]. وهو إشارة واضــحة لسكان آدوم من الجنسين الأسود والأحمر كذلك نجد كلمة (النوبة) التى أطلقها المصريون على بــلاد كــوش الجنوبية تحمل عدداً من المعانى، من الجذر (ن ب)، فهو فى المصرية القديمة يدل على عدد من المعانى: كل

---

(٦) Wilson, J.E.A, the clature of Ancient Egypt, V.S.A, ١٩٧٥, pp ١٣٦- ١٣٧.

(٧) جاردنر : مصر الفراعنة .. سبق ذكره ، ص ١٧٢.

(٨) عاطف عوض الله: بلاد بونت ومحاولة لتحديد موقعها، مجلة نزوى العمانية، عمان، العدد السادس، أبريل ١٩٩٦.

(٩) James. T.S, Egypt from the Expulsion of the Hyksos to Amenophis I, in C.A.H, Vol II Part I

(١٠) عباس محمود العقاد: إبليس، كتاب الهلال، عدد ١٩٢، القاهرة، ص ٥١.

ما ارتفع من الأرض وهو صفة بلاد آدوم، كما يعنى أيضاً الذهب، واللهب الأحمر، وفى العربية تتبادل اللام والذال المعجمة التى تنطق فى ذهب (دهب) لتصبح لهب.

وفى العربية تلتقى نحاس ونحاسى، والنحس والنحاس أصلا فى المصرية القديمة هو العبد الأسود (الزنجى/ الكوشى) ، ثم تطورت لتصبح النخاس الدالة على تاجر العبيد.

وتعود العين لتجول فى مدون (تجلات بليزر الأول) ملك آشور الذى سبق وأوردناه، ويتحدث فيه عن غزوة لإقليم باسم مصرى، الذى عرفناه إقليم أدوم وسيناء، لنقرأ المدون مدققين فنجده يقول: إنه قد " **دحر هناك القبائل الأرامية** " [11].

ثم نقلب مرة أخرى ما سبق وسجلناه للفرعون (آمنحتب الثانى) وتدميره لشمس آدوم، وعودته من تلك الحملة بعدد ١٥٠٧٠ من الأسرى **النجاسو**[12]، وقد اعتبرت كلمة النجاسو ذات دلالة غير معلومة لنا الآن، على شعب مجهول، أو طائفة بعينها لا نعلمها، فهل يمكن الآن القول إننا نعلم من هم النجاسو، فى ضوء غزوة أخرى لذات الموضع الذى عاش فيه **النحاسو**؟ ثم يورد لنا طه باقر أهم المنتجات التى وصلت الملك الآشورى (آشور ناصر بال الثانى ٨٨٣ – ٨٥٩ ق.م)، بعد أن اكتسح البلاد الأرامية والآمورية، حتى وصل " البحر العظيم **بحر الأموريين** "، وهو إما البحر الأبيض أو البحر الأحمر، وقد عددت سجلات هذا العاهل الآشورى أهم السلع التى وصلته من ذلك المكان كالتالى:

" تضمنت الجزية الذهب والفضة والقصدير **والنحاس** وأنسجة الكتان .. **وقردة** صغيرة وكبيرة، **والعاج** والأخشاب النفيسة مثل **الأبنوس** والبقس.. إضافة إلى ذلك **الحيوانات الوحشية** .. والنباتات الغريبة .. " [13].

ولا تعقيب لدينا هنا سوى سؤال: **أليست تلك ذات منتجات وسلع بلاد بونت؟** لاينى تقرير بعثة حتشبسوت يضئ المنطقة أمامنا، وتتفك ألغازها مع ترميزاته فى خطو بحثنا، فنعرف شعباً من بين شعبين مجهولين، وشعوب أخرى، كانوا يعيشوا فى بلاد بونت، أحدهما أحمر والآخر أسود، لنسمع سليم حسن يردد فقرة من تقرير علماء حملة حتشبسوت فى نقش يقول :

السياحة إلى الوطن والوصول بسلام، إن السياحة إلى طيبة قد قام بها بقلب فرح جنود رب الأرضيين، ورؤساء هذه الأرض بونت، وقد أحضروا معهم أشياء

---

(١١) طه باقر: الوجيز .. سبق ذكره، ص ٤٩٢

(١٢) جاردنر: مصر الفراعنة .. سبق ذكره، ص ٢٢٤، ٢٢٧

(١٣) طه باقر : الوجيز .. سبق ذكره، ص ٥٠٢.

لم يحضرها من قبل أى ملك

ثم يقرأ سليم حسن أسماء الشعوب هناك ليقول لنا تعقيبا على الرسوم:

ويلى هذا مشاهدة **رئيس أرام** ورئيس نميو، وهما قبيلتين غير معروفتين من بلاد بونت. (١٤)

لكنا نعتقد أننا قد أصبحنا نعرف القبيلة الحمراء الأدومية التى تعود إلى أصول أرامية، وكانت تعرف باسمها (أرام) منذ زمن قديم بدليل وروده فى سجلات رحلة حتشبسوت إلى بلاد بونت الآدومية الأرامية. كذلك أصبحنا نعرف شعب (نميو) فالواو جمع ومفردها (ن.م.ى) وهى بالقلب ى.م.ن ، فشعب (نميو) هو القادم إلى بلاد آدوم / بونت من جنوبى الجزيرة / اليمن .

ولمزيد من التأكد حول كون مملكة سبأ فى آدوم هى المملكة التى جاءت إليها إشارات التوراة باسم مملكة صوبة، نتابع المؤرخين وهم يحصون الدويلات الأرامية التى تأسست على أطراف كنعان / فلسطين فى القول: " إن الدويلات الأرامية التى تأسست على أطراف كنعان .. **هى موآب والعمونيين وآدوم وملوك صوبة** (١٥) ". وتأتى صوبة هنا ملحقة بآدوم على التجاور ومع موآب وعمون الواقعتان شرقى البحر الميت ونهر الأردن. ونعلم من مصدر آخر أن تلك الإمارات الأرامية الجنوبية قد تحالفت مع إمارات شمالية مثل مملكتى صور وصيداً لمواجهة هجوم آشورى محتمل، وضد عميل الآشوريين فى المنطقة، هو ملك دويلة يهوذا. وأن هذا التحالف قد ضم " **سمس ملكة العرب** .. وآدوم انضمت للتحالف، وبقيت يهوذا وحدها غير راغبة فى الإنضمام " المهم هنا ألا تفوتنا الإشارة إلى (سمس) ملكة العرب، لنربطها بأصول العرب جميعاً التى تعود إلى النابتيين أو الأنباط سكان وادى عربة الذى غطى باسمه مساحات شاسعة للجنس الذى حمل بعد ذلك اسم العرب. (١٦)

ويسوق (فهمى خشيم) رأيا للأستاذ (عبد الحق فاضل)، ويصفه بأنه " رأى لطيف " حول كلمة عربى وكلمة أرمى، وأنها كلمة واحدة سواء فى الدلالة التى تشير إلى **بلاد صخرية**، وفى اللفظ حيث يمكن تبادل العين فى (عربى) والهمزة فى (أرمى)، كذلك الباء والميم من جهة أخرى، وهو مايعنى أن كلمة (عربى) كانت فى فجرها تنطق (أرمى)، وباختصار فالعربى هو الأرمى، ويضرب لذلك مثالا بتبادل الباء والميم فى كلمة (مكة) التى أوردها القرآن بلفظها هذا ثم أوردها أيضاً (بكة) (١٧).

---

(١٤) سليم حسن: مصر القديمة .. سبق ذكره، ج٤، ص ٣٣١.

(١٥) بولس: الأراميون .. سبق ذكره، ص ١٠.

(١٦) نفسه: ص ١٤٠.

(١٧) فهمى خشيم: آلهة .. سبق ذكره، ج١، ص ٥٤.

ثم يحدثنا (مراد كامل) و (محمد البكرى) عن أول ظهور عربى صريح لمملكة عربية فى تدمر التى تقع إلى الشمال الشرقى من بلاد آدوم، ونعتبرها من جانبنا الامتداد الطبيعى للمملكة التجارية الآدومية، فيقول:

" ظهرت تدمر بهذا الاسم فى بداية الألف الثانية ق.م. وكان أهلها فى البداية من الكنعانيين، ثم سكنها جماعة من البدو **من أشراف الأراميين، .. تمر بها طرق التجارة** .. وقد قضى أورليان على استقلالها عام ٢٧٣م فى عهد زنوبية زوجة أذينة .. خلف التدمريون العديد من الآثار منها **معبد بعل**، ووجدت فى هذا المعبد أشكال **لنساء محجبات .. وكانت اللغة المستخدمة فى تدمر هى الأرامية**، أما القرارات العامة فدونت باليونانية والأرامية .. أما عن مملكة النبط فقد شملت الرقعة التى شغلتها بعض الممالك التى ظهرت قديماً منذ القرن الثالث عشر قبل الميلاد، وهى آدوم ومؤأب وعمون وجلعاد، وكانت هذه كلها كنعانية وأرامية، وأول ظهور الأنباط كان فى القرن السادس ق.م كقبائل بدوية عربية، وكان ملوكهم بنى الحارث وأكثر أسماء الأعلام الواردة فى نقوشهم عربية، مثل حارثة ومالك ومليكة وجذيمة وكليب ووائل ومغير وقصى وعدى وعميرة ويعمر وكعب ومغن وسعد ومسعود ووهب الله وتيم الله " [١٨] ونستكمل من مصدر آخر يقول: " واتخذوا البتراء عاصمة لهم .. وتدخلت روما فى شئون هذه الدولة حتى قضى عليها عام ١٠٦ م القائد الرومانى كورلينوس بالما نائب تراجان فى سوريا .. **واستخدم الأنباط اللغة الآرامية**، وفى منتصف القرن الأول ق.م. أصبح للأنباط خطاً مميزاً ذا شكل معروف حتى أن الأحرف العربية أخذت من الحروف النبطية، ومن الآلهة التى عبدها الأنباط **ذو الشرى واللات ومناة والعزى وهبل واتراجاتيس وعبادة الأفعى** " [١٩].

ويتابع (خشيم) دراسته المتميزة فى المقارنة اللغوية بين الهيروغليفية والعربية لتصلنا منه الكلمة المصرية القديمة (إ أب I A B) وتعنى الشرق، كما تعنى اليسار لأن المصرى كان يوجه وجهه عند تحديد الاتجاهات الأصلية إلى منبع النيل مصدر الحياة (الجنوب) ومن ثم فإلى اليسار يكون الشرق وإلى اليمين يكون الغرب، ويرى أن الهمزة الأولى من إ أب مبدلة من العين، وذلك مثل (ك أب = كعب ، إن ق = عنق ، ج م أ = جمع)، وهو ما أحاطنا به امبير EMBER. ثم أن العربية أيضاً تبدل العين همزة كما فى أربان وعربان (اللسان مادة أرب)، أما الهمزة الثانية فهى مبدلة من الراء، فالأستاذ أمبير يقدما لنا معجما لمفردات طويلة أُبدلت فيها الهمزة المصرية براء عربية، وذلك مثل: ب أ ك = برك، ش أ ع = شرع، ح أ م = حرم ، وأح = ورخ (القمر)، ع أ ب = عرب، ومن ثم فإن إ = ع ، أ = ر ومعنا باء أصيلة، وهو ما يعنى أن إ أب IAB = عرب ، وهى كلمة تفيد الشرق [٢٠]. وهذا يعنى من وجهة نظرنا الإشارة إلى وادى عربة تحديداً الذى يقع شرقى مصر.

---

(١٨) مراد كامل ومحمد البكرى.. تاريخ الأدب السريانى، القاهرة، ١٩٤٩، ص ٨.

(١٩) بولس: الأراميون .. سبق ذكره، ص ١٩.

(٢٠) فهمى خشيم: آلهة .. سبق ذكره ج١، ص ٦٦، ٦٧

وهنا ننبه بوضوح أن كلمة عرب، التى كانت تعنى عند المصرى القديم الشرق، لاتؤدى المعنى الذى نفهمه منها اليوم عن الجنس والقومية، لأن الحس القومى لم يبرز عند قبائل الجزيرة عشية ظهور الإسلام، أما قبل ذلك فكان فيما يؤكده لنا (جواد على) هو: البداوة والقفر والجفاف، ويستمر قائلا: " بمعنى البداوة والإعرابية إذن وردت لفظة العرب فى اللغة العبرية ولغات سامية أخرى، مثلما هو الحال فى سفر إشعيا وسفر إرميا من العهد القديم، وقد وجد الباحثون أول نص ذكر فيه العرب هو نص آشورى من أيام شلمنا صر الثالث أوالثانى ملك آشور، والمقصود باللفظة إمارة أو مشيخة يتزعمها رجل بلقب، ملك اسمه (جنديبو... / جندب...) .. واختلف العلماء فى قراءة الاسم الثاني لهذا الملك وكان واضحاً أنه لقب له هذا ما بين ARIBI, ARBI, URBI, ARABU, ARIBU. التي تعني بوضوح الكلمة (العربي).

وقد وردت فى الكتابات البابلية كلمة ماتوأربى MATU - A - RABI أى أرض العرب، وفى نقش برستون لدار الأكبر بالإخمينية جاءت لفظة أربايا (عربية ARABAYA) كذلك جاءت فى العيلامية، **وفى المواقع الأرامية كان هناك موضعا باسم بيت عرباية** BETH ARABAYA وأول مرة ورد فيها ذكر العرب لدى الكتاب اليونانيين كانت عند اسخليوس ٥٢٥ – ٤٥٦ ق.م ثم هيرودوت ٤٨٤ – ٤٢٥ ق.م، ... وكان معنى البداوة هو المقصود عند الحديث عن العرب .. ويذكر استرابون أن كلمة أرمبى EREMBI تعنى عرب عند البعض، ولعلها تحريف لكلمة ARABI " [٢١].

أما نحن فنتساءل: هل كانت كلمة أرمبى تحريفا لكلمة عربى، أم أنها كانت **حفرية لغوية تعيش حتى زمن استرابون منذ كان العربى أرمى أو أرامى؟** لكن مالا يفوت فطن أنه عند بلاد آدوم، قامت بعد تلك الأحداث إمارة عربية استمدت اسمها من التاريخ القديم هى مملكة (الحيرة) الحورية. وفى موسوعة تاريخ العالم نجد محاولة لحصر الممالك الأرامية فى أعالى الرافدين، فتذكر لنا: بيت معكة وبيت أدين أو أدينى (أى بيت عدن / المؤلف)، وجوزان (تل حلف الآن) وجرجوم (مرعش حالياً)، وسامعل التى كانت تحمل قبل ذلك اسم هو : **ياودى** ثم أعيد تسميتها باسم سمعل أو بيت جباري نسبة لمنشئها، وتقول الموسوعة أن مكانها الحالى هو سنجرلى، وكان من ملوكها حيان بن جبار وشاعول أو ساولم ونلاحظ أن مواضع تلك الممالك جميعا تقع فى محيط المنطقة المزعومة كمكان تموضعت فيه بلاد ميتانى الحورية المركزية.

الملاحظة الأولى أن اسم **حيان** بن جبار الذى ملك على مملكة سامعل أو ياودى، يحيل إحالة قوية إلى أشهر ملوك إمبراطورية الهكسوس الذى عرفناه باسم **(خيان)**.

الأمر الثانى والهام والغريب، أن الكتاب المقدس رغم زيادته وتكراره وتعديده للدويلات الآرامية، بحيث ذكر دولا لم يتم الكشف عنها إلى الآن، فإنه لم يعرف مدنا أرامية كشفت عنها الآثار. نعم ذكر بعض المدن التى كشفت عنها الآثار مثل بيت أدينى أو بيت عدن كما فى قوله : " وأقطع الساكن فى بقعة آون

---

(٢١) جواد على: المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام، مطبوعات المجمع العلمى العراقى، بغداد، د.ت، ج١ ، ص ١٦:٢٥

وماسك القضيب من **بيت عدن** وينفى شعب أرام إلى قير / عاموس ١ / ٤ ، ٥ » لكنه لم يذكر مدينة شـديدة الأهمية جاء ذكرها فى المصادر الرافدية باسم (سمعل)، وهى ذاتها التى ذكرت على التبادل مع اسم آخر هو (ياودى)، وأن من ملوكها كان (شاعول) الذى يرد على التبادل مع (ساولم)، فهل حقاً لم تعرف **التوراة مملكة سامعل أو ياودى وملكها شاعول أو ساولم؟**

إن ما يبدو لنا أن مملكة سامعل هذه قد قصد بها جماعة بشرية بعينها، لكن هذه الجماعة لم تعش أبداً فى شمالى الرافدين عند سنجرلى، إنما جنوبا فى دولة أرام صوبا أو أرام سبأ الآدومية، وأنها كانـت تمتـد لتتصل بمملكة أخرى تقع إلى الشمال منها، جاء اسمها **ياودى** مشيراً بوضوح إلى اسم اليهوديـة أى مملكـة يهوذا، خاصة أن تلك المملكة قد جاء ذكرها مصحوبا باسم شاؤول وساولم، وهما فى رأينا اسمين يستقل كل مهما عن الآخر، فالأول هو شاول أول ملك لمملكة اسرائيل الموحدة أما الثانى فهو أشهر ملوك تلك المملكـة ساولم/ سليمان. وأن الخلط الذى حدث بين اليهودية وسامعل ، أو الإسرائيليين و الاسماعيليين لـه تبريـره التاريخى فيما أسلفنا، وفيما سيأتى ناصعا فى حينه.

وتشير المادة التاريخية المكتشفة فى المدونات الرافدية إلى إقليم وصف بأنه أرامى، وأنه كان يحمـل اسم لاق، وأنه كان تابعا لمملكة بيت عدن [٢٢]، وهو ما يستدعى اسم العمالقـة واحتمـالاً آخـراً للتسـمية، فبإضافة (عم) بمعنى شعب أو أبناء إلى (لاق) تصبح (عملاق).

هكذا يمكن استنتاج **أن الأراميين هم الشعب الذى حمل صفة الجنس الأحمر فى بـلاد آدوم**، بكافـة بطونه المذكورة أنفا، وهو الذى ظهر فى نقوش رحلة حتشبسوت إلى بلاد بونت، إلى جـوار جـنس آخـر يختلف عنه تماماً، جنساً زنجياً نحاسيا، وموطنه معلوم بالمستودع الأفريقى على الساحل الأفريقـى المقابـل لليمن، والذى وصل آدوم بصحبة القادمين من الجنوب إلى الشمال فى شكل مسـتعمرات تجاريـة اسـتقرت شمال غربـى جزيرة العرب.

وكان طبيعيا أن تتزاوج الثقافات كما تزاوجت الأجناس، فتظهر اللغة الحورية التـى ظلـت مشـكلة ولغزاً بلا حل، فى أصلها، وأصحابها، وأنها لغة تحمل سمات مشتركة بين السامية والهندوآريـة والحاميـة، وهى الاشكاليات التى انسحبت على جنس الهكسوس وانقسام علم التاريخ حوله إلى رأيين يرفض كل منهمـا التنازل للآخر. الأول يقول إن أصلهم سامى من جزيرة العرب، والثانى يرى أن أصلهم هندوآرى بلا جدال، وكل لديه حججه وبراهينه. أما المشكل حقا الذى ظل مستعصيا على الفهم ناهيك عن الحل، فهـو إشـارات الكتاب المقدس إلى وجود الجنس الزنجى الكوشى بكثافة ضخمة فى مناطق جنوبى إسرائيل بالنقب وسـيناء وآدوم. كذلك أشارت إليه الكتابات التاريخية الاغريقية الكلاسيكية، وقالـت أن Kissians يسـكنون شـرقى المتوسط، وتعنى الكوشيون، ثم جاء بطلميوس المؤرخ ليؤكد من جانبه أن Kossaeans كانوا يتموضعون فى

(٢٢) بولس .. الأراميون .. سبق ذكره، ص ١٦.

تلك المنطقة، وتم إهمال تلك الإشارات لاستحالتها التاريخية. لقد كان وجود الأفارقة الزنوج بكثافة كجنس يسكن مواضع ما شرقى المتوسط مشكلة إما مهملة أو لغز يطلب حلا.

ومثال للحلول المتسرعة والسهلة ذلك الحل الذى اعتمد على أن الكتابات التاريخية والدينية التى كانت تتحدث عن منطقة شرقى سيناء وجنوب فلسطين، كانت تبدأ الحديث عن العمالقة لتنتهى إلى الكوشيين، فاعتبرت العمالقة هم الكوشيين، لكن ذلك الربط السريع وقف حائراً ما بين الأصل السامى والأصل الهندوآرى، بذلك رأت تلك الحلول العجلى **أن هناك عمالقة كاسيين أوكاشيين جاءوا من الشمال الأسيوى، من عند أعالى الرافدين، وعمالقة كوشيين جنوبيين، ذاك هندوآرى وهذا سامى**، وذلك كما فى قول (غطاس الخشبة): " والأصل فى الجبابرة: العمالقة من الناس.. طائفتان: العمالقة الكوشيون وكانوا يقطنون أعالى دجلة والفرات بين النهرين، وهم من نسل نمرود ابن كوش بن حام بن نوح، وهؤلاء كان البابليون القدماء يسمونهم ماليق، ثم تفرقوا فى أنحاء العراق وجزيرة العرب، **ثم العمالقة السوريون من نسل عوص بن أرام** بن سام بن نوح وهؤلاء هم الأخص عند العرب باسم العماليق، وكانوا يقطنون أرض قادش جنوب فلسطين " (٢٣).

وفى هيرودت خبر يذكر حادثة إرسال قمبيز الفارسى رسلا إلى أثيوبيا، وعودة هؤلاء الرسل للشعب الأثيوبى بالوصف التالى:

" إن الأثيوبيين الذين ذهب إليهم أولئك السفراء، **أطول الناس فى العالم كله** وأكثرهم أناقة، كما أنهم يختلفون عن سائر البشر فى عاداتهم خصوصاً الطريقة التى يختارون بها ملوكهم، فهم **يبحثون عن أطول رجل بين جميع المواطنين**، على شرط أن تتناسب قوته مع طوله، ثم يعينونه ملكا يحكم عليهم " (٢٤).

والغريب أن ذلك المبدأ ذاته هو ما عملت به مملكة إسرائيل الموحدة من بعد. أنظر مثلا تولية أول ملك إسرائيل باسم (شاول)، وسر اختياره ملكاً " شاول شاب وحسن ولم يكن فى بنى إسرائيل أحسن منه، من كتفه فما فوق **كان أطول من كل الشعب** / صموئيل أول ٩ / ٢ ".

أما أن نجد فى الآثار الهكسوسية مفردات لغوية حامية، ومفردات من أصول هندوآرية، ومفردات سامية، ثم أسماء أعلام من كلا اللغات المتباعدة، فكان بدوره مشكلة مؤرقة مستمرة غير محلولة. لذلك رأى فريق أن الهكسوس جاءوا من برارى آسيا استناداً إلى الهندوآرية، وأن محطتهم الأولى كانت حول محيط بحر قزوين ومن هناك انحدروا جنوباً على الشرق الأوسط، أما الفريق الآخر فيراهم عربا أقحاحا قدموا فى هجرة كبرى من جزيرة العرب. حتى أصبح الساميون أنفسهم كعرق وكلغة محل تضارب شديد، فتأتى بهم جلة محترمة من المؤرخين، من المستودع الصحراوى الكبير فى جزيرة العرب، بينما تأتى بهم جماعة أخرى من المؤرخين لا تقل احتراما من بلاد أرمينيا حول بحر قزوين.

---

(٢٣) غطاس الخشبة: رحلة .. سبق ذكره، ص ١٣٥.

(٢٤) ايفانز: هيرودت، سبق ذكره، ص ١٢٠، ١٢١.

وإعمالا لذلك نجد لدينا مذهبا يرى شبه جزيرة العرب مهداً أولا لكــل الشــعوب الســامية، ويمثلــه شبرنجر Sprenger وشرادر Schrader (٢٥). والعلامة كيتانى Coetani الذى يرى أن كل حضــارات الهــلال الخصيب من العراق إلى الشام الكبير إلى ساحل المتوسط الشرقى حضارات سامية، حــدثت نتيجــة نــزوح الفائض من بدو جزيرة العرب إلى الشام. ويؤيد كيتانى فى مذهبه العلامة موسكاتى. وبعض أصــحاب هــذا المذهب يفترضون أن جزيرة العرب كانت فى زمن موغل فى القدم أكثر خصوبة ثم أصابها الجفــاف، ممــا أدى إلى هجرة سكانها إلى وديان الأنهار والسهول الشمالية فى الشام والعراق، إلا أن موسكاتى نفسه يرفض مثل تلك التقعيدات التى ليس عليها شواهد علمية، بل أن تلك الشواهد تؤكد أنه إذا كانت مثل هذه التغيــرات الطبيعية الكبرى قد حدثت، فكانت قبل فجر التاريخ بقرون طويلة وربما تعود إلى أبعد من مئة ألف عام قبل الميلاد، وتأسيساً عليه فإن مثل تلك الافتراضات خاطئة تماماً بمقاييس الأنثروبولوجيا الطبيعيــة والجغرافيــا الجنسية (٢٦).

وعلى الخط الآخر النقيض تماما نجد اتجاها آخر يأتى بالجنس السامى مــن أرمينيا بالاســتناد إلــى ترميزات الكتاب المقدس، الذى يعيد الأصول البشرية السامية إلى أرفكشاد Arpachsad, / تكوين ١٠/٢٢ – ٢٤، وهو اللقب التاريخى لبلدة Arrapachitis المسماة اليوم البك Albak بأرمينيا. مع ترميزات أخرى تشــير بالكتاب المقدس إلى بداية الأصول البشرية من نوح، والترميزة هنا تقول إن السفينة النوحية قد رست علــى جبل باسم أرارات. ولا زال هذا الجبل بنفس الاسم يقع بأرمينيا عند بحيرة فان بالمحيط الجنوبى لبحر قزوين .. وهو ما يعنى مجيئ السامى والهندو آرى من موطن واحد، هو بلاد أرمينيا القديمة (٢٧).

وقد انسحب ذلك التناقض حول الأصول على الشعب الأرامى، فــرغم الأصــل الإســمى الواضــح للأراميين، حيث أرم = أرب التى تحيل إلى (أرب – خيتيس) أو أرابخيتيس فى أرمينيا، وحيث عثر هنــاك على كتابات باللغة الأرامية القديمة، وحيث لم تزل توجد جماعات هناك تتكلم الأرامية القديمة حتــى اليــوم، ناهيك عن اسم أرمينيا نفسه كشاهد على موطن الأراميين. فإننا نجد عالما حجة مثل كــريلنج يلتــبس عليــه الاختلاط الجنسى الناتج حسب نظريتنا عن التقاء شعوب آدوم فى أحلاف أو أخلامو وما نتج عنه من اختلاط ثقافات ولغات، فيؤكد سامية الشعب الأرامى حتى أنه يعيدهم إلى بلاد نجد بجزيــرة العــرب، ويأخــذ مــن المدونات التاريخية اسمهم القبلى الذى اشتهروا به وهو سوتى، وهو ما رأيناه ليس دلاله مكانية جغرافية، إنما نسبة للإله (سيت) المصرى (٢٨). أما (دى بنسومير Du Pont - Sommer) فيرى أنه لــيس هنــاك أى دليــل وثائقى حقيقى يقطع بموطــــن الأراميين الأصلى (٢٩).

---

(٢٥) تيودور نولدكه: اللغات السامية، ترجمة د. رمضان عبد التواب، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٣، ص ٢٢،٢٣.

(٢٦) لويس عوض: مقدمة .. سبق ذكره، ص ٢٤.

(٢٧) نولدكه: اللغات السامية .. سبق ذكره، ص ٢٢،٢٣.

(٢٨) Kraeling. E.G, Aram and Israel, New York, ١٩١٨, p١٥ - ٢٠.

(٢٩) دى بنسومير فى Les Armeen s, Paris, ١٩٤٩, p. ١٥

والمعلوم أن منطقة فلسطين ومحيطها عموماً ومنطقة آدوم بشكل خاص وبلاد الشام بشكل أعم، قد **تعايشت فيها أجناس عديدة ولغات مختلفة لم تنصهر معا إلا بعد مرور وقت كاف**، وانتهينا إلى القول بسيادة اللغة الكارية بسيادة الأرامية المتطورة، وهو الأمر الذى كثيراً ما حدث فى التاريخ، وقد نبه لويس عوض إلى مثل ذلك بقوله: " إنه فى الشعوب المستقرة تتعايش اللغات داخل القومية الواحدة، وتتعايش الأجناس والسلالات داخل القومية الواحدة، بل وتتعايش الأديان داخل القومية الواحدة " (٣٠).

والقومية الواحدة فى حال نضوجها تصاحبها دولة مركزية واحدة، وهو بالضبط ما نظنه قد حدث فى آدوم ومدينتها الرائدة (الصخرة)، وأنها لم تكن فقط مجرد دولة مركزية، بل كانت مركزاً رئيسياً لإمبراطورية عظمى امتدت من المحيط الهندى جنوبا حتى تركيا شمالاً، ومن العراق شرقا حتى حدود مصر الليبية غربا، وشملت ضمن ما شملت جزر البحر المتوسط. وهى الإمبراطورية التى أطلق المصريون على زعمائها اسم الهكسوس وكما يفسر لنا كيف خضعت مصر لسيادتهم، فهم لم يكونوا شراذم بدوية كما يصورهم علم التاريخ، بقدر ما كانوا قوة لها مركزها التأسيسى الجغرافى، لقد كانوا إمبراطورية تجارية كبرى، تليق باحتلال بلد عظيم كمصر.

ووفق هذا الطرح يمكن تفسير السر فى التضارب الهائل فى إثنيات سكان فلسطين وآدوم وسيناء وتعدد أعراقهم ولغاتهم، ذلك التضارب الذى نعلمه من وثائق علم التاريخ ومن الكتاب المقدس، وهو التضارب الذى لحق بمحاولة البحث عن الأصول الأرامية. فالأراميين عند البعض قادمين من الشمال الأرمينى، وعند البعض الآخر أنهم جاءوا من جزيرة العرب، لكن ما نعلمه الأن بعد ما قدمنا وعدنا وزدنا، أن المنطقة قد حوت عدداً من الأجناس أبرزه الأسود الزنجى الحامى القادم عبر مضيق باب المندب والبحر الأحمر بادئاً بالتواصل مع سكان جنوب الجزيرة ثم ممتداً معهم حتى معان المصرية، ليلتقى بالآرى القادم من الشمال الأرامى ممثلا فى الأراميين الهندوآريين، لتقوى المملكة التجارية ويستفحل شأنها فى حلف الأخلامو، وتنضم إليها ممالك المنطقة تكسبا، أو تخضع لها بالقوة، ليصلوا أوج قوتهم فى جيوش هائلة فى أحلاف تكتسح المنطقة وتقيم فيها إمبراطورية كبرى، حتى وصل الأئتلاف حداً تعلم معه أنه قد **تم تنصيب حاكم على بلاد بابل يعرف باسم (نمرود)، وأن نمرود هذا كان كوشيا زنجيا أسوداً** (٣١).

لقد بدأت آدوم مركزاً لتجمع شراذم من الشمال ومن الجنوب طلبا للرزق التجارى، عبر تواصل المركز مع محطات الأطراف، فى المساحة الشاسعة الواقعة ما بين أرارات شمالا واليمن جنوبا، لتتوحد فى النهاية وتشكل تياراً جارفاً يضم تحت جناحيه المنطقة جميعاً.

وأن ترتيبنا للأحداث على هذا النحو يفسر لنا سر الاعتقاد الطريف لكنه الراسخ لدى الأحباش الزنوج اليوم، فهم يعتقدون جازمين، وهو اعتقاد يدخل فى عداد الإيمان الدينى، أنهم أبناء لرجل أبيض هو منليك.

(٣٠) لويس عوض: مقدمة . سبق ذكره، ص ١٢٩، ١٣٠.

(٣١) انظر مادة نمرود بقاموس الكتاب المقدس.

ومنليك هذا هو ابن الملك الإسرائيلى سليمان، نتيجة علاقة جسدية له مع ملكة سبأ. وقد كانت تلك القصة تدخل فى عداد الأساطير لعدم إمكان هذا التواصل أصلا، حيث كان معتقداً أن سبأ قامت فقط فى الجنوب اليمنى، ثم تم رفض تحقيق القصة تماماً لأنه ما العلاقة بين فلسطين والاسرائيليين وبين الجنس الحبشي الأسود لكن فى ضوء ما قدمنا تصبح القصة مفهومة فلا يفرق الأحباش بين أصولهم البعيدة وبين سبأ فى الجوارعبر المندب، كانا حلفا متوحداً قطن شمالا عند العقبة بجوار مملكة سليمان، وهناك كان بالإمكان حدوث لقاء أو تحالف تاريخى تم الترميز له بعلاقة سليمان بالملكة (سبأ). وتقول القصة الحبشية أن منليك هذا قد أصبح السلف البعيد لسلسلة من الأباطرة الأكابر حكموا إمبراطورية كبرى، ثم تضاءل ملكهم مع الأيام حتى اقتصر على بلاد الحبشة. وأنه من هذا النسل العظيم كان الإمبراطور هيلاسلاسى الذى لقب نفسه بلقب ينسبه إلى جنسه الأبيض البعيد، فحمل لقب (أسد يهوذا). لقد حملت القصة فى ترميزها أصولا كشفنا عنها فى تزاوج النحسى الكوشى والقحطانى أو اليقطانى اليمنى الجنوب جزيرى مع الشعب الهندوآرى القادم من أرمينيا، وتقيم الشعوب الثلاث مع التهجين المصرى الحامى فى بلاد صخرة الشرق الامبراطورى فى آدوم، ليترك اجتماعها بصمته فى التوراة وهى تؤكد أن أجناس البشر الأوائل كانوا ثلاثا: (حام وسام ويافث) وأنهم كانوا يجتمعون فى مكان واحد تفرقوا منه بعد ذلك على سطح البسيطة.

ومن جانبها كانت التوراة تؤكد طوال الوقت على الأصل الأرامى للقبيلة الإبراهيمية، ممثلة فى آبائها الأوائل الأباعد، وتردد: " أراميا تائها كان أبى "، لكنها وضعت فى مصهر التاريخ الجنسين العربى والعبرى فأعادت كليهما إلى أب واحد هو عابر، حتى حملت الأسماء ذلك التلازم على الوجهين بالتبادل الميتاتيزى، لأن عبرى بالقلب هى عربى، وبذلك وضعتهما فى بوتقة واحدة، كان سببه ومكانه الدولة المركزية الكبرى فى بلاد آدوم، الملتقى التجارى والجغرافى للجهات الأصلية الأربع .

ثم تأتى الكشوف الأركيولوجية لتؤكد صلة الشعب الإسرائيلى الإبراهيمى العبرى بالقبائل الأرامية، فى النصوص التى اكتشفت فى مدينة مارى الأرامية القديمة، فيقول لنا كاسيدوفسكى: " إن أسماء المدن المذكورة فى النصوص تلك: ناحور، تارحى، ساروج، تاليكى. تتشابه مع أسماء أقارب إبراهيم، زد على ذلك أن هذه النصوص تتحدث عن قبائل أبام رام، ويعقوب إربل، وعن قبيلة تدعى بنيامين .. ومما لاريب فيه أن إبراهيم نفسه وحفيده يعقوب وأصغر أبناء هذا الأخير بنيامين لهم علاقة مباشرة بأسماء هذه القبائل " (٣٢).

وفى زمن أحدث، حدثت هجرات يهوذية إلى مصر، إبان الحروب التى خاضتها دولة يهوذا مع جيرانها، وأقام المهاجرون لأنفسهم جيتو خاص فى ألفنتين عند أسوان بجنوبى مصر، وهنا يعقب باحث مهتم على الوثائق التى تركتها الجالية اليهودية في جنوبي مصر بقوله:

" **من العسير معرفة الأرامى من اليهوذى**، فبعض الأشخاص اعتبروا أنفسهم تارة آراميين وتارة أخرى

(٣٢) زينون كاسيدوفسكى: الأسطورة والواقع.. سبق ذكره، ص ٥٥، ٥٧.

يهوذيين، وخاصة فى البرديات المدونة فى عصر مبكر، ومن هؤلاء محيسة بن يدينة، فقد ذكر فى بعض البرديات أنه أرامى من أسوان، وفى برديات أخرى أنه يهوذى من ألفنتين، كذلك **مسلم** بن زكور ذكر فى بعض البرديات أنه أرامى من أسوان وفى برديات أخرى أنه يهوذى من ألفنتين، وأيضاً عنتى بن حجى بن **مسلم**، ذكر فى إحدى الوثائق أنه أرامى من ألفنتين وفى وثيقة أخرى أنه يهوذى " (٣٣).

وهنا نستعيد أبيات المتنبى عن (شعب بوان) مرة أخرى وهى تقول:

يقول بشعب **بوان** حصانى أعن هذا يُسار إلى الطعان

أبوكم آدم سن المعاصى وعلمكم مفارقة الجنان

وقد قيل فى تفسير تلك الأبيات، أنه كان يصف موضعا فى بلاد فارس، باسم (شعب بوان)، ونحن نعلم أن بلاد بوان أو بونت / آدوم، قد جمعت فى دولتها الهندو آرى فارسى الأصل مع الكوشى زنجى المنبت مع الجنوب جزيرى. ثم لنتذكر المناسبة الخاصة التى قال فيها المتنبى شعره هذا، فقد غضب من سيف الدولة الحمدانى عندما أهمل قدره، فتركه مغاضبا وذهب إلى مصر يمتدح حاكمها آنذاك كافور الاخشيدى. لكنه لقى هناك ما هو أسوأ، فخرج من مصر عائداً إلى الشام مصالحا سيف الدولة ومغاضبا لكافور، وألقى بين يدى سيف الدولة تلك القصيدة التى يذكر فيها **موضعا مر عليه فى رحلته من مصر إلى الشام**. موضعاً تلتقى فيه بقايا ألسن قديمة متعددة مختلفة، وبقايا أجناس متباعدة، تعبر عنها أبيات أخرى بالقصيدة تقول:

مغانى الشعب طيبا فى المغانى بمنزلة الربيع من الزمان

ولكن الفتى العربى فيها غريب الوجه واليد واللسان

ملاعب جنة لو سار فيها سليمان **لسار بترجمان**

وقصد بالدنانير التى تفر من البنان ضوء الشمس المتسلل داخل أيك شعب بوان

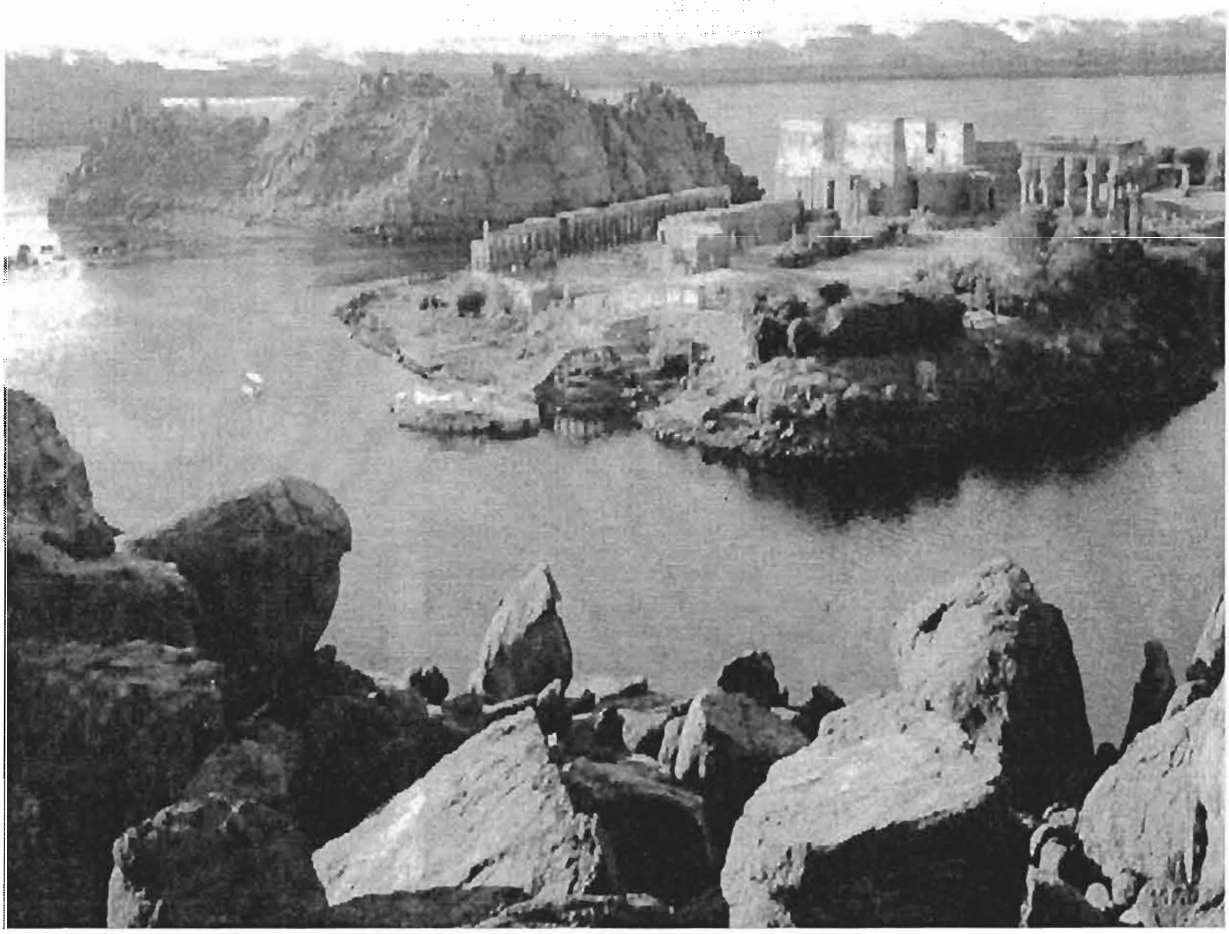
ليطبع على ثيابه ما يشبه الدنانير، لكنها تفر من اليد، وهو ما دفع سيف الدولة ليقول له مع عطائه إعجابا بشعره: " والله لأقرنها فى يدك – يقصد الدنانير " (٣٤).

---

(٣٣) بولس: الأراميون .. سبق ذكره، ص ٣.

(٣٤) ديوان المتنبى: تحقيق عبد الوهاب عزام، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ١٩٩٥، ص ٥٥٧، ٥٥٨.

إن ما يمكن فهمه من هذا أن شعب بوان حتى زمن المتنبى كان جنة، كان لـــم يزل أيكـــا وغيضـــاً، وكان يحمل اسمه القديم بوان أو بونت، وكان ما زال يجمع بقايا الأخلامو الذين لو سار فيهم ســـليمان علـــى قدرته الأسطورية فى فهم اللغات، ومحادثة كل الكائنات، لاحتاج هناك إلى ترجمان، هذا إذا لم نكن قد أخطأنا فى تحديد موقع شعب (بوان). وعلى أية حال فهو قرينة واحدة ضمن مئات من القرائن التى قـــدمناها، فـــإن فرت من بين أيدينا فرار الدنانير فلا أسف عليها ولا تثريب علينا.



شكل رقم (٦٣)
بجوار هذا المعبد (معبد إيزيس) بجزيرة فيلة عاشت الجالية اليهودية الآرمية

العامو أو العموريون

اسم الأحلاف الجامع

فى حديث ملتبس يقول لنا المؤرخون : " لقد بينت الدراسات اللغوية للنصوص المسمارية التى اكتشفت فى إرشيف ملك مارى، أن **منشأ اليهود قريب من الأموريين**، ففى الزمن الغابر اندفعت من منطقة الخليج العربى باتجاه الشمال موجة عارمة من القبائل الأمورية المهاجرة .. حيث طردت السومريين وشغلت منطقة ما بين النهرين كلها تقريبا. ولقد أقام الأموريون على اطلال الدول الصغيرة التى أخضعوها – دولهم العديدة التى ما لبثت أن توحدت كلها فى دولة كبرى واحدة، كان **حمورابى** أعظم ملوكها، وفى زمن متأخر غزت بلاد الرافدين فى الشمال قبائل غير سامية الأصل. واضطرت القبائل السامية المطرودة أمامها أن تنزع إلى الجنوب الغربى [أى باتجاه فلسطين وآدوم/ المؤلف] وأثناء هذه الهجرة الجديدة استوطن الآراميون سورية، وسكن الموآبيون والعمونيون والآدوميون فى جنوب وشرق أرض غزة وبعد فترة جاءت إلى هنا قبيلة الإبراهيميين " (١)

ثم نجد تقارباً فى زمن ظهور الكنعانى والأمورى وتنطق أيضاً عمورى، فى القول التاريخى " إن الكنعانيين والأموريين الذين ينتسبون إلى ربهم أمورو قد هاجروا من شبه جزيرة العرب إلى الشام عام ٢٥٠٠ ق.م . واستقر الكنعانيون فى الساحل بينما استقر الأموريون فى الداخل " (٢)

ولما كانت الدراسات اللغوية تفيدنا بأن الرافدى وبخاصة الآشورى كان ينطق حرف (ع) أقرب إلى الهندوآرية (أ)، فإن الإله (أمورو) هو فى السامية الغربية (عمورو) أو (حمورو) ، أى الحمار، والأحمر ، وإليه كإله انتسب الملك البابلى باسمه (حمورو – أبى) أى (الحمار أبى) أو (الأحمر أبى) ، فلا فرق.

والأهم هنا ذلك الإتجاه الذى ينزع إلى تنسيب الإسرائيلى للعنصر الأمورى أو العمورى أو الحمورى. ويبدو أن حرف (م) قد أهملت بالتخفيف فى (حمورى) لتصبح (حورى)، **فكليهما كما نعلم بمعنى واحد هو الأحمر** والحمار (وربما كانت لكلمة حوري علاقة بكلمة حوذي أي سائس الحمير). وقد ورد فى رسائل تل العمارنة إشارات إلى جنوبى بلاد الشام (فلسطين) باسم KHAKHNI وهى ما تعنى الصبغ الأحمر القرمزى بدورها، ثم وردت فى ذات الرسائل الإشارات إلى القسم الشمالى من بلاد سوريا باسم بلاد (آمورو) (٣).

---

(١) زينون كاسيدوفسكى: الأسطورة .. سبق ذكره، ص ٥٧

(٢) يوسف سامى: تاريخ فلسطين .. سبق ذكره، ص ٢٥

(٣) أحمد سوسة: العرب واليهود .. سبق ذكره، ص ٩

ومن جانب آخر نعرف فى مختلف الكتابات التاريخية، والكتابات المقدسة التوراتية أن منطقة الشمال السورى كانت بالتأكيد بلاداً أرامية، ومع ذلك تشير إليها الكتابات المصرية باسم (آمورو) أى أنها كانت بلاداً أمورية أيضاً .

ولا نندهش أبداً عندما نجد التاريخ ينقسم برجاله على نفسه، فبعد أن قال لنا بعضهم منذ قليل إن الأموريين قد قدموا من جزيرة العرب، فإن البعض الآخر يقول: " إنهم قد وصلوا حوالى ٢٦٠٠ ق.م **مما وراء القوقاز** ، كما تدل على ذلك أوانى الخزف ذات الطابع الجديد والتى عثر عليها فى خربة كرك .. وكانت أقوى موجات هذه الغزوات هى موجة الأموريين .. وعلى الرغم من أن الملك شوسن SHU SIN ٢٠٤٨ – ٢٠٣٩ ق.م كان قد بنى **خط دفاع عن بلاده**، فإن إحدى الرسائل الموجهة إلى خلفه أبى سين IBBI-SIN ٢٠٣٩ ــ ٢٠١٥ تعلمنا أن الأموريين = مارتو MAR-TU بقضهم وقضيضهم قد اخترقوا البلاد واستولوا على قلاعها الكبرى واحدة تلو الأخرى. إن نصوص هذا العصر تترجم هذا الرعب الذى ساد المنطقة أمام أناس لم يكونوا يعرفون زراعة القمح ولا المنازل ولا المدن، وتصف لنا أسطورة زواج أمورو – الإله الذى سمى باسمه الأموريون – .. الذى ينبش الأرض بحثا عن الكمأ فى سفوح الجبال، ولا يعرف كيف يثنى ركبتيه .. ولا يملك بيتا طيلة حياته ولا يدفن بعد موته. ولم يكن الذعر بأقل من ذلك على الطرف الآخر من الهلال الخصيب، ففى مصر شيد الفرعون امنمحات الأول ١٩٩١–١٩٦٢ ق.م **خطًا من القلاع الحصينة هو حائط الأمير** ".

ويحيطنا هؤلاء علما أن كلمة (أمورى) تعنى عند أهل الرافدين عدة معانى منها (الغرب)، فالأموريين بالنسبة للعراقيين هم أهل الغرب [٤]

وهنا نسمع (كوبر) يحدثنا فيقول : إن تلك القبائل الأمورية اشتهرت فى رسائل مدينة مارى باسم SUTIUM التى ترجمناها من جانبنا السيتيين نسبة إلى الإله سيت، وأنهم عنصر سامى غربى بالنسبة لأهل العراق الساميين الشرقيين، وأن هؤلاء السيتيين قد عبدوا آلهة أهمها: داجون ويشكر، أو كما قرأناه نحن إله الحرف المصرى (سوكر) أو (شوكاريس) إله موتى مدينة منف، كما عبدوا إلها باسم (سومو)، والمحتمل لدينا أنه يشير إلى السلف البعيد المعبود (سام)، كما عبدوا الإله البعل باسمه (حداد) [٥].

أما مدينة مارى فقد جاء فى رسائلها ما يفيد أن هناك معارك طاحنة كانت تدور بين ملك حلب، وبين قوم ذكرهم باسم (بنى يمين) [٦]، ولا يفوتنا هنا التنبيه إلى أن (بنى يمين) اسم يلتقى تماماً مع اسم السبط الإسرائيلى (بنيامين).

---

(٤) روجية جارودى: فلسطين أرض .. سبق ذكره، ص ٧٥ ،٧٦

(٥) Kupper, Les Nomades en mesoptamie au Temps der rois de rori, ١٩٥٧

انظر أيضاً: طه باقر الوجيز .. ص ٤١٠

(٦) على القيم: المرأة فى حضارات بلاد الشام القديمة، الأهالى دمشق، ١٩٨٧، ص ٩١،٩٢.

و(بنى يمين) تعنى فى التوراة، كما تعنى بالضبط فى نصوص مارى: سكان الجنوب، والجنوب هو النقب وكلمة جنوب تستخدم فى الكتاب المقدس للدلالة على النقب، حيث كان المركز الرئاسى للأخلامو حسب فروضنا، ويرى الباحث (غطاس الخشبة) أن الأمورى والحمورى لفظ واحد متعدد المعانى ومن تلك المعانى (الشديد) (٧)، والشدة هى العملقة والقوة، وكان الإله الإسرائيلى زمن البطرك إبراهيم يحمل لقب (إيل شداى)، أى الإله شداى، وبتخفيف حرف (د) فى شداى يصبح (إيل – ستاى) أى الإله ستاى، أو كما ذهبنا نحن الإله ست.

أما السور الذى بناه (شو – سين) لصد الهجوم الأمورى فقد سمى (مورق تدنم) أى السور الذى يصد الأموريين، وكان طوله ٢٦ بيزو أى فى حدود ٢٧٥ كم، لصد سكان بوادى الشام وسمى سكانها الغربيين أو الأموريين (٨).هذا فى الوقت ذاته الذى كان المصريون يقيمون على حدودهم الشرقية عند بوادى الدلتا سوراً مماثلا باسم (سور الأمير الذى يصد الآسيويين وعابرى الرمال).

هذا من جانب، ومن جانب آخر نجد الكتاب المقدس يحدثنا عن الأموريين باعتبارهم قوم ينتشرون فى فلسطين غربى نهر الأردن وشرقية فى بوادى الشام، بل فى آدوم وفى سيناء، وفى إشارات كثيرة ومتعددة، نقتطع بعضها هنا.

يصف الكتاب المقدس بلاد فلسطين جميعا كأرض موعودة لبنى إسرائيل، يقول الرب لشعبه:

> وأنا أصعدتكم من أرض مصر، وسرت بكم فى البرية أربعين سنة، **لترثوا أرض الأمورى**
>
> عاموس ٢/١٠

ثم يفيدنا أن جبال سيناء وآدوم وفلسطين كانت جبالا أمورية، وذلك فى قوله على لسان موسى وهو يخاطب شعبه فى قادش سيناء:

> ثم ارتحلنا من حوريب [اسم للجبل المقدس فى شبه جزيرة سيناء/ المؤلف] وسلكنا كل ذلك القفر العظيم المخوف الذى رأيتم **فى طريق جبل الأموريين** كما أمرنا الرب وجئنا إلى قادش برنيع.
>
> تثنية ١ / ٩

وقد سبق وعلمنا أن قادش برنيع تقع أقصى شرقى سيناء على حدود آدوم ، وها هو المقدس يعود ليصف جبال تلك المنطقة السينائية بأنها (جبل الأموريين). وسنجد الكتاب المقدس يصر على ذلك فى عدد

(٧) غطاس الخشبة: رحلة .. سبق ذكره، ص ٧٨.
(٨) طه باقر: الوجيز .. سبق ذكره، ص ٣٩٢.

آخر من النصوص، كما فى حديثه عن العبور على جبال آدوم، فوردت مرة باسم جبال آدوم كما اسلفنا فـي نصوص توراتية عديدة، وذات الجبال تأتى هنا مرة أخرى باسم جبال الأموريين، أنظر معى إلى موسى يقول لشعبه:

الرب إلهنا كلمنا فى حوريب قائلا: كفاكم قعوداً فى هـذا الجبل، تحولوا وارتحلوا وادخلوا **جبل الأموريين، وكل ما يليه من العربة** [أى وادى عربة / المؤلف].

تثنية ٦/١

هذا عدا نصوص عديدة تشير إلى جبال آدوم وفلسطين باعتبارها مسكنـا للأموريين، وعادة ما ذكرت حديثها حول سكن الآموريين الجبال كما فى النص :

جميع ملوك **الأموريين** الساكنين فى الجبل

يشوع ٩/١٠

ولتحديد موضع ذلك الجبل الذى يسكنه الأموريون نقرأ عن تمرد الإسرائيليين على قائدهم موسى فـى سيناء بعد الخروج من مصر، وكيف وقف يقول لهم موسى فى قادش سيناء:

وقلتم: الرب بسبب بغضه لنا قد أخرجنا من أرض مصـر ليدفعنا إلى أيدى **الأموريين** لكى يهلكنا. إلـى أيـن نحـن **صاعدون؟** قد آذاب إخواننا قلوبنا قائلين: **شـعب أعظـم وأطول منا، مدن عظيمة محصنة إلى السـماء، وأيضـاً رأينا بنى عناق هناك.**

تثنية ١ / ٢٦ – ٢٨

النص كما هو واضح – مع النصوص السابقة – يفصح عن الأموريين كشعب يسكن جبـال جنـوبى فلسطين، وأنه شعب طويل القامة عظيمها، ومدنه محصنة ترتفع نحو السماء، وأن فى هـذا الجبـل يسـكن بنوعناق العناقين العمالقة.

ويتكرر النص الذى يحكى عن الموقعة ذاتها فى موضع آخر من التوراة، لكنه يستبدل العمالقة باسـم آخر، إذ يقول موسى وهو يتذكر ويُذكر شعبه عند استقرارهـم الطويل فى محطة قادش سيناء، على تخـوم آدوم، محدداً موقع الموقعة على حدود جبال سعير الآدومية:

فكلمتكم ولم تسمعوا؛ بل عصيتم قـول الـرب وطغيـتم وصعدتم الجبل، فخرج **الأموريون** الساكنون فى ذلك الجبل للقائكم، وطردوكم كما يفعل النحل، **وكسروكم فى سـعير**

إلى حرمة، فرجعتم .. وقعدتم فى قادش أياما كثيرة كالأيام
التى قعدتم فيها.

تثنية ١/٤٣ - ٤٦

وفى زمن الفرعون المصرى ستى الأول نشاهد ضمن المنحوتات البارزة فى معبد الكرنك (في طيبة / الأقصر حالياً) مشهدا يصور حصارة لمدينة قادش العاصى، ويشير إليها باسم البلاد الأمورية حيث دون تحت النقش نصا يقول: " صعود الفرعون لتدمير **قادش وبلاد أمورو** " ، وقد تم العثور هناك على حجر تذكارى للفرعون سيتى يؤكد صدق المدون الطيبى [٩].

وسيراً على خطنا نعود إلى لغة العرب، نستنطق لسانها ما حواه من ذكريات الماضى وحفائر المعانى الدارس منها والباقى، حول شأن بلاد آدوم الحورية الكوشية الأرامية الأمورية (أو العمورية أو بنى عمرو) السوداء الحمراء البيضاء، بلاد المعز والخيل، ومدينتها الثانية حويلة العريشة، ومدينتها الأولى المنبسطة فى سهل تحرسه أعلام سعير باسم الصخرة، بأيكها المضئ وثعابينها الطائرة ووحشها المعبود عناق البونتى ، الذى انتسب إليه عمالقتها بالنسب والبنوة، فنجد فى لسان العرب ونحن نبحث عن الحوريين تحت مادة حرر:

الحرة .. هى التى أعلاها **سود** وأسفلها **بيض** ، والحر **حية** .. وزعموا أنه الأبيض من الحيات .. والحر **طائر** .. وحر زجر **للمعز**

وتحت مادة حور نقرأ:

الحور أن يشتد **بياض** العين **وسواد** سوادها، والحور شدة **سواد** المقلة فى شدة **بياضها** .. وقال كراع : الحور أن يكون **البياض محدقا بالسواد** .. والأحورى **الأبيض الناعم**.. والحور **الأديم المصبوغ بحمرة** .. وقال الجوهرى: الحور **جلود حمر** .. والحائر المكائن المطمئن يجتمع فيه الماء فيتحير فلا يخرج منه.. وتحيرت الأرض بالماء إذا امتلأت .. **وطريق مستحير يأخذ فى عرض مسافة لا يدرى أين منفذه**، .. والحارة كل محلة دنت منازلهم فهم أهل حارة .. **والحير بالفتح شبه الحظيرة.**

هكذا تحمل كلمة (حور) فى طياتها ذكريات أيام أوائل، ونحن نعلم أن العربية تطورت عن النبطية التى تطورت بدورها عن الأرامية، وأنها جميعاً تداخلت مع لغات المنطقة وبخاصة المصرية، لذلك نجد مادة حور

---

(٩) Wilson. J.A, Egyptian Historical textes in James Pritchard Ancient Near Eastern Textes, p ٢٧.

تعطينا الأحمر أو الأبيض مع الأسود دوما، ثم الحور هو الأديم والأديم هو تراب الأرض الأحمر، ومنها جاء اسم بلاد آدوم، والحائر هو مكان البحيرات الناتجة عن عيون، ونلاحظ أن بحر وبحيرة ذات علاقة واضحة بالحر وبالحور، ثم الحير هو الحظيرة أوالعشيش أو العريش.

ووراء آدوم موطن الأحلاف الذين توافقوا واتفقوا ما بين زنجى وأحمر وأسمر عند شجر الأيك فى جبل عظيم هو سعير بجواره واد عظيم هو عربة، موطن الأرامى والعمورى أو بنى عمرو، نتابع البحث فى لجج اللسان العربى، فيفصح تحت مادة أدم:

الأدمة **القرابة** ..وقيل الأدمة **الخلط** وقيل الموافقة ، والأدم الألفة **والاتفاق** .. قال الكسائى: يؤدم بينكما يعنى أن تكون بينهما المحبة والاتفاق .. والأديم **الأحمر** .. وأديم النهار **بياضة**.. والأدمة **السمرة** .. قال ابن سيدة: الأدمة فى الإبل لون مشرب **سواداً وبياضا .[** .. والأدمة فى الإبل **البياض** مع **سواد** المقلتين، قال **وهى فى الناس السمرة الشديدة** .. والآدم من الظباء، **بيض** تعلوهن جدد فيهن غبرة، **فإن كانت خالصة البياض فهى الأرام** .. والأدمة هو الأبيض والأسود المقلتين .. والادمان **شجرة** .. الإيدامة الأرضى الصلبة .. قال ساعدة بن جؤية:

كأن **بنى عمرو** يراد بدارهم بنعمان راع فى **أديمة** معزب

يقول: كأنهم فى امتناعهم على من أرادهم، **فى جبل وإن كانوا فى السهل.**

وهكذا أصبحت آدوم تاريخا يشتق منه معانى اختلاط الناس ببعضهم وموافقتهم واتفاقهم وقرابتهم، وأن الأديم يعنى الأحمر والأبيض والأسود، لكنا نرتكز على اللسان وهو يمنحنا تأكيده **أن البيض بين هؤلاء كانوا الأراميين** لقوله : " **فإن كانت خالصة البياض فهى الأرام** " ، وهو ما سنحاول التيقن منه لاحقا، أما بنو عمرو العموريون فقوم أشد منعه من بقية الناس لأنهم يسكنون فى سهل يمتنع بالجبال (أو العموريون).

ووراء الأمورى نبحث فى اللسان تحت مادة أمر فيقول:

الأمر معروف نقيض النهى .. والأمير ذو الأمر والأمير الآمر .. قال أبو عبيدة فى قوله مهرة مأمورة، أنها كثيرة النتاج والنسل .. يقولون أمر الله المهرة أى **كثر ولدها** وأمر القوم أى كثروا .. والأمر الصغير من الحملان ..

والأنثى إمره، وقيل هما **الصغيران من أولاد المعز** .. قال ثعلب : رجل إمر قال يشبه **بالجدى** ، والأمر **الحجارة** واحدتها أمرة .. والأمر بالتحريك جمع أمرة وهى **العلم** .. والأمرة الرابية .. قال ابن شميل: الأمرة مثل **المنارة فوق الجبل، عريض مثل البيت وأعظم، طوله فى السماء أربعون قامة، صنعت على عهد عاد وإرم** .. والتأمورة **عريشه** الأسد، وقيل أصل هذه الكلمة **سريانية.**

وهكذا ورثت لغة العرب اقتران السيادة بالأموريين والتى احتسبناها هكسوسية، وأن من معانى الأمورى كثرة النسل، وأنه له علاقة بالماعز والجدى، وأنها تعنى الحجارة، ولمزيد من الإيضاح يذكر العرب أثراً فوق علم (جبل) عريض كالبيت يرتفع فى السماء أربعين قامة (فهل يكون ذلك مطابقا لأم البيارة في البتراء؟)، وأن ذلك الأثر صنع منذ عهد **عاد وإرم،** ثم يكرر أن من معانيها العريش، وأن أصل الكلمة سريانية، أى أرامية.

ولأن الأمورى هو العمورى، نقرأ تحت مادة (عمر):

عمرى **الشجرة** القديمة .. وقيل هو **العبرى** من السدر، **والميم بدل.** قال الأصمعى: **العمرى والعبرى** من السدر القديم ... يقال للسدر العظيم النابت على الأنهار : **عمرى وعبرى** على التعاقب .. والعمار والعمارة كل شيئ على الرأس من **عمامة أو قلنسوة أو تاج ، والعمار الآس وقيل كل ريحان عمار** .. والعمارة القبلية والعشيرة .. والعوامر **الحيات** .. والعومرة **الاختلاط** .. واليعمور **الجدى** .. والعمر ضرب من النخيل هو السحوق **الطويل** .. وأم عمرو **وأم عامر هى الضبع** .. يقال للضبع أم عامر، كأن ولدها عامر.

وهكذا يصل ثراء ما تحفظه مورثات جينات اللغة حداً احتوت معه أسماء بطون القرابات فالعمورى هو العمرى ولأن الميم تختلط بالباء فهو العبرى (والعبريين – حسب التوراة – هم قبيلة إسرائيل)، وأن لهؤلاء العموريين ميزة التاج أو السيادة والقلنسوة. وسنرى فيما بعد أهمية تلك القلنسوة الأمورية، ثم أن لهم علاقة بالآس، ولعلنا لم ننس بعد الآس والإله آش، ثم أن من معانى الاسم اختلاط الناس ببعضهم وأن لهم علاقة بالجدى، وبالماعز وبالعملقة لأن العمر نخل طويل، وأم عمرو هى الضبع، وهو ما يستدعى عناق

البونتى ذو الوجه الضبعى، وأن العموريين ينتسبون إليه كأنهم أولاده، فالعموريين يعبدون ربا أشبه بالضباع تسموا باسمه .

وللمزيد يفيدنا (ابن قتيبة) بقوله عن سلف قبيلة سبأ المعروف باسم سبأ وعرفناه نحن أنثى أسمها الزباء أو الملكة سبأ فيقول: " **واسم سبأ عامر**"[١٠].وفى مادة ضبع يقول لسان العرب:

> **ضبعت** أسرعت، وفرس ضابع شديد الجرى، والضبع الجور وفلان يضبع أى يجور .. والضبع ضرب من السباع أنثى .. وفى قصة إبراهيم عليه السلام وشفاعته **فى أبيه، فيمسخه الله ضبعانا أمدر**، والضبعان ذكر الضباع .. وجار الضبع المطر الشديد.

ولنلحظ هنا مسألة شديد الجرى لأنها ترتبط بفصل آت عن الشاسو، أما الأهم فهو أن يظهر لنا ابراهيم الأرامى العبرى من نسل رجل مسخ ضبعاً فهو ابن الضبع، أو هو من نسل عناق البونتى.

ولنتأمل الآن صورة الإله ست التى رسمها المصرى القديم، ولا ننسى أن عم تعنى قوم، وبالنسبة إلى عناق يصبح المنتسب إليه ابن عناق أو عناقيا وقد عرفنا أن العناقيين هم العمالقة.

وفى التوراة نجد الجبل الذى عبره الخارجون من مصر تحت قيادة موسى يسمى جبل الأموريين، وفى مواضع أخرى بالتوراة يسمى هو ذاته جبل العمالقة، ففى رحلة الخروج يقف موسى فى قادش سيناء يخطب فى رجاله قائلا:

> ثم أرتحلنا من حوريب وسلكنا كل ذلك القفز العظيم المخوف الذى رأيتم فى طريق **جبل الأموريين** .. وقلتم الرب بسبب بغضه لنا آخرجنا من أرض مصر ليدفعنا إلى **أيدى الأموريين** ليهلكنا
>
> تثنية ١/١٩،٢٧

> وفى قاموس الكتاب المقدس تحت مادة عمالقة نقرأ:
>
> وكان العماليق يتجولون من مكان لآخر، وكان مجال تجولهم وسيعاً، **من حدود مصر إلى شمال العربية إلى بادية فلسطين** (صموئيل أول ٧/١٥ و ٨/٢٧) .. وآخر ذكر لهم كان أيام حزقيا الذى طارد **دخولهم من جبل سعير** (أخبار أيام أول ٤/٤٣)

---

(١٠) ابن قتيبة: المعارف .. سبق ذكره، ص ١٠١ .

وتحت مادة جبل العمالقة يقول القاموس

جبل العمالقة كان من نصيب إفرايم وقد حمل اسمه نسبة إلى
العمالقة الذين سكنوه (قضاة ١٥/١٢/٥).

لكن عنصرا من بينهم وصف بالعملقة، لاشك أنه كان القادم من إفريقيا السوداء، أو هجينا منهم ومن أهل جنوب الجزيرة.

لقد كانت بلاد آدوم كما قلنا وأكدنا وزدنا وعدنا موئلا لجماعات وعناصر جنسية متباعدة، فكان فيها الكوشى العملاق الزنجى، ثم كان فيها الحامى المصرى القادم بالضرورة عبر سيناء فى صلات دائمة، ثم كان فيها الأرامى القادم من شمال الرافدين وبلاد أرمينيا عند أرارات، وهو الشعب الذى أولد بنى إسرائيل من بعد، ثم ذلك القادم من جنوبى الجزيرة الحميرى، والذى ربما اختص باسم العامو أو العموريين، قبل أن يصبح اسما عاما يطلق على جماعة الأحلاف.



خريطة رقم
خريطة فلسطين وفق التقسيم التوراتي

ملحق

إبان مراجعة بروفات هذا الكتاب، وكانت بروفة هذا الفصل بين يدى أضفت هذه الفقرات بعد أن طالعت بصحيفة الأهرام القاهرية بتاريخ ١٢/١١/ ١٩٩٧ الخبر التالى وقد رأيت أن أضعه كما هو (بالتصوير):

اليهود ينحدرون من أصل أرميني

باريس من ـ سعيد اللاوندى: كشفت دراسة تاريخية بالفرنسية، النقاب عن مجموعة من الحقائق المذهلة التي أحدثت دويا في الأوساط اليهودية، منها أن مدينة القدس كانت في القرون الأولى بعد الميلاد، مدينة مختلطة يسكنها العديد من الأجناس من بينهم اليهود، بمعنى أن العنصر الغالب للسكان في فلسطين، كان هذا الخليط الذى يجمع بين المصريين والعرب والفينيقيين.

وأكدت الدراسة التي تعتمد على الوثائق والآثار القديمة في مصر والمشرق العربي منذ الألف الثالثة قبل الميلاد ـ نقلا عن الجغرافي اليوناني «سترابون» المعاصر للسيد المسيح ـ أن المصريين والفينيقيين كانوا يسكنون نصف القدس الشمالي. أما النصف الجنوبي، فكان يقيم فيه العرب الآراميون، والعرب النبطيون ثم هنا وهناك، يتناثر بعض السكان من أصل إغريقي.

وأثبتت الدراسة ـ التي صدرت أخيرا في كتاب بعنوان «عيسى اللايهودى» ـ أن اليهود ينحدرون من أصل أرميني، وليس من أصل سام، كما هو ذائع ومعروف.

وخلصت الدراسة إلى القول بأن الحق العربي والفلسطيني في القدس أقوى وأعمق من كافة الادعاءات اليهودية والإسرائيلية التي دأبت على تشويه الحقائق التاريخية.

شكل رقم (٤٢)

والخبر إذ يؤكد ما قلنا حتى الآن فى كتابنا، فإن القول بمجئ الإسرائيليين الأراميين من أرمينيا قد سبق ووصلنا إليه فى كتابنا (النبى إبراهيم والتاريخ المجهول) المنشور فى طبعته الأولى بتاريخ ١٩٩٠ عن دار سينا بالقاهرة قبل أن تكتشفه تلك الدراسة الفرنسية بسبع سنين.

الشاسو و الكاشو والحاثو

فى مواضع متعددة من النصوص المصرية القديمة، نجد اصطلاحات متعـددة للدلالـة علـى البـدو الشرقيين الآسيويين، منها (ستتيو) الوارد فى لوح كارنارفون، و(مونتيو – ستت) الواردتين فى نقش أحمـس بن أبانا [1]، وعرفنا أن الاسم هنا منسوبا إلى الإله (ست)، وباختلاط الحرفين الشفاتيين البـاء والمـيم فـإن (مونتيو) هى (بونتيو) أى البونتيين. إضافة إلى اصطلاحات أشيع استخداما هى (شاسو) و (عامو)، وبالنسبة للاحتلال الذى عانت منه مصر فى نهاية الدولة الوسطى، فقد أطلق المصريون على أصحابه اسم كاره هـو الطاعون، بينما وصلنا اسمهم فى وثائق متأخرة زمن يوسفيوس والمؤرخين اليونـان الكلاسـيك بالصـيغة (هكسوس).

وهنا يقول لنا المؤرخ والمصرولوجست المصرى الحجة سليم حسن:

عندما يطرح السؤال: من هم الهكسوس؟ فإنه لا يسعنا
إلا الاعتراف بالجهل التام!!(٢).

ورغم هذا التواضع العلمى الراقى الصريح الواضح المباشر، فإن ذلك لم يمنع البـاحثين مـن وضـع افتراضات حول أصل محتلى مصر، فى محاولات متعددة لكنها متضاربة للبحث عـن مـنطلقهم المكـانى وأصلهم العرقى، فهناك من ذهب إلى أنهم من الجنس السامى، لكن أصحاب هذا المذهب اختلفـوا حـول أى نوع من الساميين كانوا؟ فقال بعضهم أنهم كانوا بابليين، وذهب آخرون إلى أنهم كانوا كنعانيين، بينمـا أكـد فريق ثالث أنهم جاءوا من عمق بوادى جزيرة العرب[3].

وعلى الجانب الاخر وقف باحثون لايقلون علماً وقدراً ويؤكدون أنهم أبداً لم يأتوا مـن فلسـطين ولا العراق ولا جزيرة العرب، لأن المنبع البشرى الذى تدفقوا منه على الشرق القديم، كان المسـتودع الكبيـر المعروف فى عصر الهجرات الكبرى فى محيط بحر قزوين وبحر الأورال وبحر الأسـود، وبحيـرة فـان وجبال أرارات، وهو الجبل الذى زعمت التوراة أنه كان مرسى السفينة النوحية. فـى ترميـزة أسـطورية حفظتها الذاكرة الإنسانية لتشير إلى المنبع الأصيل لتلك الهجرات ،[4] وهو أيضاً الموضع الذى يعرف علـم التاريخ أنه كان موطنا لقبائل متبربرة أسماها **(سكيث)**. ولنتذكر هؤلاء الــ (سكيث) لأن لهم فـى الفصـول المقبلة دور عظيم.

---

(١) سليم حسن: مصر القديمة.. سبق ذكره، ج٤، ص ٦٢

(٢) نفسه: ج٤، ص ١٨٥

(٣) فهمى خشيم: آلهة .. سبق ذكره، ج١، ص ٨٥

(٤) لويس عوض: مقدمة .. سبق ذكره، ص ٢٢.

وكان تعبير (العامو) هو الأكثر شيوعا فى الكتابات المصرية، للدلالة على غزاة بلادهم، وقد وردت (ع أم و A M U) فى صورة (ع م و A M W) ومفردها (ع م A M)، لتشير إلى سكان شرقى وادى النيل حيث الهضبة المتصلة مباشرة بصحراء سيناء، وترجمها معجم فولكنر إلى (أسيوى) و (رجل أسيوى) وجمعها (SEMITES ساميين) ومؤنثها (ع ء م ت إمرأة أسيوية).

وفى معجم بدج نجد الكلمة تعنى: رعاة، بدو رحل، ويترجم (ع ء م ى ت AMYT) إلى إمرأة أسيوية، والعميت هو العبيط بخلط الميم بالباء والعبيط فى لسان العرب هو العملاق القوى قوة عمياء. لذلك نجد (ع‌ءم AM تعنى حيوان أوسائمة أوبهيمة). وفى معانى (عامو) نجد اللغة تحمل فى جيناتها إشارة إلى الجهة الأصلية التى وفدوا منها على مصر، لأن (أم و AMW) تعنى أيضاً إلهة الفجر، وهو ما يشير إلى الشرق حيث تشرق شمس الفجر، ويرى أمبير أن إبدالا قد حدث بين الراء والهمزة وبين الباء والميم، بين المصرية والسامية فى كلمتى (ع ء م AM) و(عرب)، وتفيد معنى البداوة والارتحال مطلقاً، ولا تدل على جنس بعينه(٥).

وعند بروغش أن كلمة هكسوس كانت التسمية الشعبية لكلمة العامو، وأنهم **كانوا آدوميين** (٦)، لكن دون أن يتكرم بروغش بأى جهد واضح يؤكد به هذا الرأى السليم فعلا، فقط رأى أنهم آدوميين استناداً لنص مصرى واحد لاعلاقة له بالأمر برمته، ثم أصدر قراره، وحتى قوله هذا قول غير دقيق، لأنهم وان كانوا يعودون بمركزهم الرئيسى إلى بلاد آدوم، فإنهم كانوا اخلاطا من البشر، كانوا أخلامو أحلاف.

ويذهب فهمى خشيم إلى أن الهمزة فى (ع ء م) مزيدة، والأصل هو (ع م) ، وضرب المثل لذلك أمثلة عديدة منها [و ء ح ت = واحة، ح ء ت = حيط، خ ء ب ء س = قبس، خ ء ر = خار (صوت الثور)، س ء ب = صب] ، وقد احتج لذلك بأن الهمزة العربية نفسها قد تهمز ما لا يهمز عادة وقد تفعل العكس فتحذف الهمزة، فنقول عن البئر (بير) والفأس (فاس) و الذئب (ذيب)، وإعمالا لذلك فإن (ع ء م) هى فى العربية (عم)، و(عم) إذا ثلثت دلت على العملقة والقوة، فنجد (عمت) أى قسر، و (العمثل) هو الضخم الثقيل، و(العميثل) الضخم الشديد العريض، و(عمد) طال ومنها العماد والعمود، و(اليعملة) الناقة الفارهة القوية، و(العامل) هو الوالى أو الحاكم.

وفى معجم بدج نجد الكلمة المصرية (إ ء م ت I A M T) تعنى النخلة، وجاء فى الحديث النبوى " أكرموا **عمتكم** النخلة " (٧)، ونتذكر قول ابن منظور فى لسان العرب: عُم إذا طول، وعم إذا **طال**، والعم شقيق الأب وأصله المساند القوى، والعمامة ما يوضع على الرأس وهى **تيجان** العرب، وكل **ما اجتمع وكثر** فهو عميم، والعمم عظم الخلقة، فالجذر عم والثلاثى عمم ورباعيه عملق ومنه العملاق الطويل والجمع

---

(٥) فهمى خشيم: آلهة، ج١ ، ص ٥٣، ٥٤.

(٦) Brugch. H,H istory of Egypt under the phorahs, vol I, p ٢٣٢-٢٤١

(٧) فهمى خشيم: آلهة: سبق ذكره، ج١ ص ٥٥.

عماليق وعمالق، **والعمالقة عند ابن منظور من عاد وهم بنو عملاق**، قال الأزهرى: عملاق أبـو العمالقـة وهم **الجبابرة الذين كانوا بالشام على عهد موسى** عليه السلام.

ومن العامة يأتى معنى الكثرة الوافرة، ومفردها بصيغة النسبة عامى وتجمـع عـوام، ومـن عـامى تطورت الدلالة إلى معنى الجهل وعدم المعرفة، ومنها أمى الذى يجهـل القـراءة والكتابـة فـى مواجهـة الخاصة، وهنا نتذكر أن فترة حكم الهكسوس فى مصر كانت مظلمة تماما من حيث المدونات، فلـم يتركـوا شيئاً مدوناً بلغتهم، وماوجدناه كتبه لهم المصريون بلغتهم وهو نادر ندرة شديدة إلى جوار ما هو معتاد فـى مصر القديمة. ولم نعلم بمدونات حقيقية إلا بعد خروجهم من مصر وانتشار اللغة الأرامية كلغة للمراسـلات الدولية، بعد أن أخذت الأرامية الطريقة الرافدية فى الكتابة بالمسمار على الطين، وأخذت أيضاً الخط البابلى، وكتبته بالكارية أو الحورية.

أما (عم) فهى تعنى فى لغة جزيرة العرب أبناء أو شعب، وهى كذلك فـى الكنعانية، وهى ذاتها (ع م) أى أناس، وينتهى فهمى خشيم إلى أن كلمة (ع م) تؤدى إلى (الأميين) كاسم علم بمعنى الأقوياء الجبـابرة العماليق من الجذر (أ م) و(أمم)، وهو ذات لجذر (عم) و(عمم) وفيه معنى الكثرة الغالبة(٨).

وفى الجزء الأول من هذا العمل سبق وأشرنا إلى أن المؤرخ اليهودى (يوسفيوس فلافيوس) الذى نقل عن المؤرخ المصرى (مانيتو)، قد كرس من وقته زمنا ليثبت أن الهكسوس كـانوا هـم ذات الإسـرائيليين. وضمن شواهده ترجمته لكلمة (هيك – سوس) بحسبانها تعنى (الأسرى – الرعاة)، لأن بنى إسرائيل قد تـم أسرهم بمصر بعد ثورة المصريين على حكمهم. إلا أن (وادل) يحيطنا هنا علما: أن يوسفيوس قـد تلاعـب بكلمة هكسوس التى تتركب من ملصقين: المقطع الأول فيها (هيك)، وقد قرأه يوسفيوس وكتبه (ح أ ق haq) التى تعنى: يقبض على، يأسر، أسر، بينما كتابتها وقراءتها الصحيحة هى (ح ق hq) وتعنى معنـى نقيضـا تماماً، فهى: حكم، وجّه، قاد، تسلط، ويفيدنا (مارسيل كوهين) أن تلك الكلمة هى بالضبط الكلمة العربية حـق وهى Legalite أى شرعية الحكم. أما المقطع الثانى الذى جاء فى صـورة (SôS)، فيعنـى عنـد (مـانيتو المصرى) راع أو رعاه، ورأى (وادل) أنها من القبطية Shôs أى راعى، وأنها من الأصل (ش أس و) أى بدو. وهنا اختلف (بدج) مع الجميع وأكد أن معنى (سوس) هو: المشى، السعى، السفر، ومنها البدو الرحـل. ويدعم ذلك (إمبير Ember) إذ يقابل الكلمة المصرية بالأثيوبية(SOS) أسرع فى المشى، هرول، وبالعبريـة (SIS) التى تعنى حصان، وهى جميعاً المعانى التى تفيد المشى والحركة الدائبة دون استقرار، وفـى معجـم المصرية (س س م SSM) وتعنى زوج من **الخيل**، ومنها فى معجم بـدج كلمـة (س س مّ ت SSMT) أى **فرس**.

(٨) نفسه: ج١، ص ٥٩.

ويعقب هنا فهمى خشيم بقوله: " وعلى هذا الأساس ترجمت هكسوس إلى الملوك الرعاة .. لكننا عرفنا أن الجذر س س يعنى .. **الحصان**، ومن المسلم به تاريخيا **أن وادى النيل لم يعرف أهله استخدام الحصان قبل هجرة الهكسوس إليه** ".

ومما هو جدير بالذكر هنا أن مدينة الهكسوس (حواريس) التى هى فى الأصل المصرى (حوارة) أو (هوارة)، لم تزل تطلق على كثير من المدن الصحراوية المتطرفة المتاخمة للصحراء فنجد الهوارة فى صعيد مصر وفى الفيوم، كذلك تحمله قبائل من أصله عربية تمصرت.

وينقل ابن خلدون عن الصولى البكرى أن قبائل الهوارة تنتسب إلى (**حمير بن سبأ**)، ويزعمون الانتساب إلى قبائل كندة، وبالتحديد إلى قبيلة (السكاسك)، وهو ما يلتقى مع كلام الصولى البكرى حول **أصولهم الحميرية السبأية**، لأن لسان العرب يقول:

سكسك بن أشرس من أقيال اليمن، والسكاسك
والسكاسكة حى من اليمن، أبوهم ذلك الرجل،
والسكاسك أبوقبيلة من اليمن، وهو السكاسك بن وائلة
بن حمير بن سبأ، والنسبة إليهم سكسكى.

ومن جانبه؛ ينسبهم ابن خلدون إلى (هوار بن أوريغ **بن حمير بن سبأ**) ، وعليه يرى فهمى خشيم أن الكلمة سكاسك ربما كانت تحريفاً للكلمة اليونانية هكسوس، التى كانت بدورها تحريفاً للكلمة المصرية (ح ق . س س) [٩].

وعن أصل بربر أفريقيا يقول ابن خلدون: " إنهم من ابناء إبراهيم وأوزاع اليمن " والخلط هنا واضح بين جنسين متباعدين جنس إبراهيم الأرامى الشمالى وجنس الجنوب، ثم يقول: " فلما وصلوا إلى مصر منعهم ملوك مصر من النزول، فعبروا النيل وانتشروا فى البلاد، وهم من ولد النعمان **بن حمير بن سبأ** " ثم فى إشارة فصيحة. يقول : إنهم " **تلاقوا بالشام** واستجاشهم أفريقش لفتح أفريقية ".

فالهكسوس فى الذكريات العربية ينتسبون من جانب إلى **عرق شمالى يعود إلى إبراهيم الآرامى، وعرق جنوبى يعود إلى سبأ وإلى حمير الحمورى أو العمورى أو الأمورى،**، وأن هؤلاء الجنوبيين من قبائل يمنية كانت تحمل اسم السكاسك، وهو فيما نرى يفسر لنا اسم أحد مواضع تكثفهم فى مصر، فهو لم يزل يحمل فى طياته اسم السكاسك، لأنه الآن (الزقازيق) [١٠]. ويدعم ذلك التفسير ما جاء فى أزمنة سوالف على دبوس قتال الفرعون المعروف بالملك العقرب، حيث وردت إشارات إلى صراع خاضه العقرب مع البدو، وقد أطلق عليهم اسم (قوم الزقزاق / السكساك). و(الزقزاق) اسم لطائر تم تصويره بأعلى دبوس الملك

---

(٩) نفسه: ج١، ص ٧٦،٧٧،٨٨،٨٩.

(١٠) ذهب البعض أن اسم الزقازيق ينسب لسمك بهذا الاسم.

العقرب، وقد وردت قصص مصرية قديمة عن ذلك الطائر باعتبار أنه كان غذاء لبحارة مصريين ضلوا الطريق ونفذ طعامهم، فعاشوا على الاغتذاء بهذا الطائر المهاجر الذى كان يحط فى طريقهم[11]، وهو ما سنعرفه بعد ذلك فى التوراة باسم السلوى، ونعرفه اليوم فى مصر باسم السمان وهو ما عرفناه فى بحثنا باسم السقساق أو الزقزاق. وهو طائر مهاجر تعد شبه جزيرة سيناء محطته الكبرى فى رحلته الفصلية الكبرى، ولم يزل حتى الآن يُصَدَّرْ إلى الوطن الأم بعد ما يفيض عن حاجة السكان فى سيناء.

وفى لسان العرب نبحث عن السكاسك فى مادة (سكك) فنجده يعطينا مضامين تطابق كل ما علمناه حتى الآن عن الهكسوس بحسبانهم كانوا يعيشون فى بلاد أيك تين وبخور وغياض ملتفة، وكانوا أصحاب صناعة الحديد والنحاس لذلك لقبوا بالقينيين، وأهم حديد كان السيف وسكة المحراث، ولاحظ (سكة) و أيضاً (سَكَ) من ضرب المعدن وصنعه، كما نقول: سك النقود، وأنهم كانوا تجار الطيوب والبخور، يقول ابن منظور فى اللسان:

استك النبت أى **التف**...

... السك تضبيب الباب أو الخشب **بالحديد** .. ويروى السكى بالكسر وقيل هو **المسمار** .. وسكة الحراث **حديدة** الفدان .. والسكاكة من الرجال هو **المستبد** .. والسك ضرب من **الطيب**.

ومدينة الزقازيق تقع ضمن مقاطعات شرقى الدلتا على تخوم الصحراء السينائية مباشرة، وسنكشف عن اسم مدينة الاضطهاد وموضع خروج الإسرائيليين قرب الزقازيق، فى الجزء الأخير من هذا العمل.

المهم أن لدينا الآن مزيداً لتدعيم ما قلناه حول السكاسك والزقازيق، فقد جاء فى الآثار المصرية أنه بين مقاطعات الدلتا الشرقية كان يوجد إقليم باسم (عنزتى Anzti) نسبة إلى إله قديم بذات الاسم، وهو من الجذر (ع ن ز Anz)، وهى كلمة تعنى عند (بدج) فى معجمه: ملك، قوى، مضيئ، شديد، ثابت، مشرق، **قادم من الشرق**. وكلها كلمات تحيل إلى الملوكية القادمة من الشرق. والثنائى من الكلمة (ع ز AZ)، وتعنى: الكون فى حالة طيبة، ولو زدناها (ت ى Ti) فإن معناها يصبح الحامى أو المانع Protection، وهى المطابق المصرى للكلمة العربية بذات الصوت والمعنى (عز) [12].

وفى مادة (عزز) يقول اللسان معان أهمها: " العزيز، الممتنع الذى لا يغلبه شيئ، القوى الغالب، الشدة، الرفعة. وبزيادة (م) تصبح (معز)، والمعز هو الشدة، أما العنز فهى أنثى المعز، والعزيز من أسماء الله، وعنزة اسم قبيلة عربية ". ثم نتذكر ما قلناه عن الحمورى والأمورى الذى يعنى (الشديد)، وأن اسم إله

---

(١١) سعيد محمد ثابت: فرعون موسى، دار المدينة المنورة، القاهرة، ١٩٩٢، ج٢، ص ٣٣، ٣٤ (من المهم هنا الإشارة إلى أننا أخذنا المعلومة فقط بغض النظر عن الكتاب فهو لا علاقة له بالعلم ولا بمنهج البحث العلمي بقدر ما هو هلوسات غيبية).

(١٢) خشيم: آلهة.. سبق ذكره، ص ٦٨، ٦٩.

البطرك إبراهيم كان (إيل **شداى**)، وان كلمة **(حُر)** زجر للمعز، وأن العناق هو الأنثى من أولاد المعــز، وأن عنخ المصرية هى عنز العربية، وأن عنخت زوجة الإله خنوم الذى هو خنوف أو خروف وهو من الغــنم، وكلها معان تشير إلى بدو رحل رعاة عنز، شاسو، لا يستقرون أبداً، أما مسكنهم فهو ما نحتسبه موصوفا فى لسان العرب تحت مادة شسأ:

شسأ: مكان شــئس: الخشــن مــن الحجــارة .. الشــس والشسوس: الأرض الصلبة الغليظة اليابسة التــى **كأنهــا حجر واحد.**

يكاد ابن منظور يقول كل ما يحمل اسم عاصمة آدوم/ الصخرة من معان كشفنا عنها، أما الشاسو فهى برأينا أصل كلمة سوس فى المركب (هيك ـــ سوس)، وسوس هى شاس أو شاسو فى كشكشة الكاف فــى سكاسك. وتعنى البدو الرحل من أصحاب المعز من قبائل السكاسك السبئية العمورية أو الحميرية، والقبائــل الأرامية الإبراهيمية، أما (هيك) فهى كما سبق القول تعنى **(حق)** أو الحكم بالحق وتشير إلى الملــك، لــذلك فالكلمة هيكسوس تعنى لدينا الحكام الشاسو أو الحكام البدو أو بشكل أكثر تدقيقا **شيوخ القبائل البدوية.**

وإبان رصده لسلسلة أنساب اليمن يحيطنا ابن قتيبة علما أن (سبأ) لقب لأن اسم الشخص الحقيقى كــان (عامر) (١٣)، وعامر يمكننا أن ننسب إليه ببساطة العامريين أو العموريين، وهو ما يدعم رؤيتنا فــى قــدوم العموريين/ الأموريين السبئيين من الجنوب. ويضيف ابن قتيبة أن سبأ قد أنجب (حمير) أو الأحمر، وأن من أحفاد حمير كان (بنوالقين) (١٤) أى أبناء القينى، أى الحدادين/ السباكين/ النحاسين. وضمن هذا النسب عنــد ابن قتيبة يأتى شخص باسم سعد هزيم كان عبداً حبشيا زنجيا **احتضن عامر** فنسب إليه، وهو ما يشير إلى ما قلنا عن **احتضان شعب لآخر، زنجى،وجنوب جزيرى** عمورى (نقصد المعروف بجنــوب الجزيرة الآن)، أو التوحد معه فى حلف (جنوب جزيرى + زنجى).

وقد انفرد هذا الزنجى بحديث لدى ابن قتيبة له لدينا دلالة، فهو شقيق أفــريقيش الــذى فــتح مصــر وأفريقيا، وبه سميت إفريقيا، أما هذا الزنجى فهو المعروف باسم (العبد أبرهة) وكلمة العبــد فــى الكتابــات العربية تساوى كلمة الكوشى فى التوراة، والعبد أو الكوشى أو الزنجى أبرهة غير ابرهــة المعــروف فــى التاريخ الإسلامى بغزوة الفيل، لأن ذلك الأخير متأخر عن الأول بقرون طوال. وهذا الزنجى الكوشى العبــد أبرهة قد حاز عند ابن قتيبة لقب " ذو الأذعار، وسمى بذلك لأنه كان غزا بلاد **النسناس** .. فذعر الناس منه فسمى ذو الأذعار "، وبلاد النسناس هى بلاد القردة، ولعلنا لم نزل نذكر بلاد البابون فــى بونــت بلوحــات حتشبسوت، " ثم ملك بعده **حداد بن** شرحبيل بن عمرو بن الرائش وهو أبو بلقيس صــاحبة ســليمان عليــه

(١٣) ابن قتيبة : المعارف .. سبق ذكره، ص ١٠١.

(١٤) نفسه ١٠٣، ١٠٤.

السلام " [١٥]. ومن نسل حمير جاء السكاسك بن وائلة، ثم من السكاسك جاء (قيدار)، فيما قدر ابن قتيبة. [١٦] وقيدار جماعة عربية سكنت بدورها وادى عربة فى أزمنة متأخرة، ثم من قيدار جاء غسان أو جاسان أبو الغساسنة الذين سكنوا ذات المنطقة [١٧].

وهكذا كان بين الهكسوس عناصر وأجناس، خلطت بينهم أقدار التاريخ وشطحات الحراك الإنسانى المهاجر، وتركت اسماً دالاً عليهم فهم (الأحلاف) أو(الأخلامو)، والأكثر دلالة أنهم أطلقوا على أنفسهم اسما يشير إلى تحالفهم، وذلك إبان إحتلالهم مصر، فقد أطلق ملوك الهكسوس على أنفسهم اسم **(الملوك الإخوة)** [١٨]، مما يشير إلى أكثر من ملك يحكم فى نفس الوقت، وهو ما يؤكد ما قلناه حتى الآن عن **إمبراطورية واسعة يحكم كل إقليم منها ملكا من أحلاف الملوك الإخوة.**

والآن ننتقل نقلة أخرى لمزيد من تضفير استنتاجاتنا، فنحن نعلم أن (الكشكشة) فى اللسان العربى، تعنى أن هناك عربا ينطقون الكاف (تش) أو (ش)، ولو افترضنا أن ذلك قد حدث للكلمة (شاسو)، فأصلها سيكون (كاسو) أو(كاشو)، وهو ما يطابق اسم الهكسوس فسيكون (هيك كاسو) بدلا من (هيك شاسو)، وهو ما يفتح أمامنا بابا آخر لمعرفة أصل الهكسوس، وهو الباب الذى سيصادق تماماً على ما وصلنا إليه حتى الآن، أما هذا الفرض فسيظهر الآن صحيحاً تماماً .

يقول (سليم حسن):

> **عُدت كل من هجرة الهكسوس وهجرة الكاسيين مشهدان من هجرة عظيمة جداً**، وفدت إلى الشرق الأدنى فى باكورة الألف الثانى قبل الميلاد.. وأول ظهور معروف للكاسيين فى بابل كان فى خلال حكم الملك حمورابى ١٩٤٧ / ١٩٠٥ ق.م، والظاهر أنهم كانوا فى هذه الفترة سكانا مسالمين فى هذه البلاد، وعلى إثر موت حمورابى انتقل عرش الملك لأبنه سامسو إيلونا، الذى صد فى السنة التاسعة من حكمه غارات الكاسيين، **التى انقضوا عليها من الجبال .. وعلى إثر غارة الخيتا على بابل**، أضحت البلاد تحت سيطرة الأسرة الكاسية ١٧٤٩ق.م[١٩] .

وتقول الموسوعة الأثرية العالمية:

---

(١٥) نفسه: ٦٢٨، ٦٢٩.

(١٦) الموضع نفسه.

(١٧) نفسه: ١٠٧.

(١٨) خشيم: آلهة.. سبق ذكره، ج١، ص ٢٩١

(١٩) سليم حسن: مصر القديمة .. سبق ذكره ، ج٤، ص ١٧٥.

الكاشيون Kassite ترجع أهمية هذه القبيلة بخاصة إلى الدور الذى لعبته فى تاريخ بابل، ويُعتقد أن الكاشيين هم الكوشيون Kossaeans الذين ذكرهم بطليموس المؤرخ، والكيشيون Kissianas الذين ذكرهم الكتاب الإغريق الأقدم منه، وقد ذكرت السجلات أنهم هاجموا بلاد بابل .. فى عام ١٧٨٠ ق.م استولوا عليها وأسسوا فيها أسرة حاكمة استمرت أكثر من ٥٧٠ عاماً .. ومن المحتمل **أن الكاشين أدخلوا الحصان حيوانهم المقدس فى بلاد الرافدين**(٢٠).

ويتحدث (كارلتون كون) عن استعمال الأسلحة البرونزية والعجلات التى تجرها الخيول فيقول:

واستخدمتها أقوام غازية هاجمت البلاد (يقصد الشام) من مكان ما فى الشمال فى نحو ١٧٠٠ ق.م وفى هذا الوقت **غزا الهكسوس مصر** وتولوا حكمها.. **وغزا الكشيون** وهم من الشعوب المتكلمة بلغة هندو أوروبية أرض **العراق** (٢١)

ويضيف (إيفار لسنر).

ولم يلبث تتابع الملوك البابليين أن توقف عندما سيطر عليها الكاشيون Kassires وهم **شعب بربرى من أصل غير سامى**.. بعد موت حمورابى، وتوالى منهم على السلطة فى عاصمة الفرات ستة وثلاثون ملكا **بلغت مدة حكمهم ٥٧٧ عاماً** (٢٢).

أما التدقيق فمع المؤرخ العراقى الرصين (طه باقر) وهو يخبرنا عن هؤلاء الكاسيين أو الكاشيين الذين هاجموا بلاده واحتلوها، وفى الوقت ذاته - أو قريب منه - أحتل الهكسوس مصر، حيث يقول:

انتهى حكم سلالة بابل الثانية الأولى على إثر غزو الحيثيين بلاد بابل فى حدود ١٥٩٤ ق.م، وجاء الكشيون إلى بابل وأقاموا سلالة حاكمة فى البلاد عرفت باسم سلالة بابل الثالثة، التى دام **حكمها زهاء أربعة قرون ١٥٩٥:١١٦٢**

---

(٢٠) الموسوعة الأثرية العالمية:ص ٥٨٠

(٢١) كارلتون كون: قصة الإنسان، ترجمة محمد توفيق وعبد المطلب الأمين، المكتبة الأهلية، بغداد، ١٩٦٥، ص ٣٢٥

(٢٢) إيفارلسنر : الماضى الحى، ترجمة شاكر إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨١، ص ٣٧.

ق.م، **واسم هؤلاء القوم الجدد من الكلمة البابلية كشو التى لايعلم أصل اشتقاقها** بالضبط، .. أما موطنهم الذى نزحـــوا منه فيرجح أنه كان فى مكان ما من الأجزاء الوسطى مـــن جبال زاجروس الفاصلة بين العراق وإيران .. والمرجح أن يكونوا هم القبائل الجبلية الذين ورد ذكرهم فـــى المصـــادر الكلاسيكية باسم كوساى Kossaioi.. **لم يخلفوا لنا من بعـد حكمهم فى العراق شيئاً مدونا بلغتهم بل إنهم اتخذوا اللغة البابلية**.. ولما برزوا فى التاريخ بصفتهم قوة عسكرية فـــى عهد سلالة بابل الأولى اتجهوا فى توسعهم ــ لعله بســبب ضغط أقوام أخرى ــ إلى وادى الرافــدين، ولكــن خلفـــاء حمورابى ولا سيما سمسو إيلونا وأبى يشوخ اســتطاعوا أن يصدوهم، فاتجهوا عبر نهر ديالى ودجلـــة إلـــى الجهـــات الشمالية الغربية،.. وتمركزوا فى منطقة الفرات الأوسط أى فى منطقة خانة القديمة .. وأخيراً **حانت الفرصة المواتيـــة على إثر غزو الحيثيين لبابل، وهنـــاك مشـــاكل تاريخيـــة تعترض المؤرخ عن بدء الحكـــم الكشـــى فـــى العـــراق، وعلاقتهم بالحيثيين الذين غزوا بابـــل، فـــأولا أن بدايـــة حكمهم لا تنطبق مع نهاية سلالة بابـــل الأولـــى، ولـــذلك فينبغى أن يكون الملوك السبعة الأوائل من السلالة الكشية ابتداء من كنداش المعاصر لملك بابل سمسو إيلونـــا، قـــد حكموا خارج بلاد بابل**، وأن السلالة الكشية بدأ حكمها فـــى بلاد بابل ابتداء من الملك الكشى المسمى آكوم الثانى / آكوم كا كريمه Agum kakrime وأن هذا الملك هو الـــذى **انتهـــز فرصة الغزو الحثى فزحف على بابل فى حدود ١٥٩٥ق.م، لكن ماذا كانت علاقة هذا الملك الكشـــى بالملـــك الحثـــى مورشيليس**.. هل **تحالف** مع الملك الحثى، فكانـــت حملـــة عسكرية مشتركة على بابل؟ لعل التساؤل أقرب إلى الواقـــع التاريخى لأنه يفسر لنا سبب انسحاب الحيثيين من بابل، إن الملوك **الكشيين حكموا مملكة واحدة**، من أقصى الجنـــوب إلى حدود بلاد آشور فى الشمال .. وكان الكشـــيون **أقليـــة حاكمة** بالمقارنة مع الأغلبية من سكان البلاد .. وأهـــم مـــا

يميز العهد الكشى الطويل الأمد **قلة ما وقع من أثنائه فى اصطدامات حربية مهمة سواء كان ذلك مع الآشوريين المجاورين أم مع دولة الشرق الأدنى** المعاصرة مثل دولة ميتانى فى شمالى ما بين النهرين أم مع الدولة المصرية .. اتخذ الملوك الأوائل من السلالة الكشية مدينة بابل عاصمة لحكمهم، لكنهم أسسوا فى منتصف عهدهم تقريبا مدينة جديدة ضخمة أطلق عليها اسم دور كوريكالزو وتعرف بقاياها الآن باسم عقر قوف على بعد نحو ٢٠ ميلا غرب مركز بغداد.. ويشير اسم هذه المدينة الذى يعنى حصن أو مدينة كوريكالزو إلى أن مؤسسها أحد ثلاث ملوك سموا باسم كاريكالزو.. شيدت فى زمن قديم من العصر الكشى يرجع إلى ما بين القرن الخامس عشر والرابع عشر ق.م والملك كوريكالزو الثانى يرجح أن يكون هو الذى شيد برج المدينة (الزقورة) .. وبرج المدينة بقى من ارتفاعه الآن زهاء ستة وخمسين مترا .. وقد تميزت جدران العهد الكشى بالضخامة المفرطة، فجدران قصر عقرقوف وجدران معابدها بلغ معدل سمكها ثلاثة أمتار مشيدة باللبن الكبير الحجم .. والاسم الجغرافى الجديد الذى أطلقوه على بابل هو **كار دنياش..** أى بلاد أو قطر **دنياش وهو اسم أحد آلهتهم**

.

ودانياش بدون التصريف الاسمى هو دون أو تون أو أدون. ويتابع طه باقر القول:

ويرى جمهور المؤرخين أن الكشيين **هم الذين أدخلوا استعمال الخيل** فى بلاد وادى الرافدين .. الأمر الذى أحدث تبدلات جوهرية فى أساليب الحرب والقتال وسرعة المواصلات .. وما قبل العهد الكشى لم تكن الخيول شائعة الاستعمال فى العراق .. جاء ذكرها فى النصوص المسمارية ولا سيما فى عهد سلالة أور الثالثة ٢١١٢ – ٢٠٠٤ ق.م، وقد دعيت فى هذه النصوص Anshu - Kar - Ra أى حمار الجبل أو حمار البلد الأجنبى، ويرادف ذلك فى

اللغة الأكادية سيسو Sisu.. الكشيون استبدلوا طريقة التأريخ بالحوادث المشهورة المتبعة فى العصور السابقة للعصر الكشى، بطريقة أسهل فى تأريخ الحوادث وتقويمها هى **التأريخ بسنى الملوك**، فصاروا يؤرخون من السنة الأولى التى تعقب تتويج الملك الجديد .. وشاع فى العهد الكشى استعمال ما يسمى بأحجار الحدود .. واسمها باللغة الأكدية كودورو Kudurru .. وانتشرت فى العصر الكشى اللغة البابلية بخطها المسمارى .. بحيث اتخذت من هذه اللغة **لغة للمراسلات الدولية** الدبلوماسية بين ملوك الشرق الأدنى وحكامه، كما تدل على ذلك رسائل تل العمارنة الخاصة بفراعنه مصر فى القرن الرابع عشر ق.م. حيث كان الفراعنة فى أوج قوتهم واتساع ملكهم، فلا يمكن تفسير اتخاذ اللغة البابلية من جانبهم بتسلط أو نفوذ من الملوك الكشيين، وانتشر مع استعمال اللغة البابلية أدب وحضارة وادى الرافدين، وترجمت جملة قطع أدبية مشهورة مثل ملحمة جلجامش إلى اللغة الحثية والحورية (٢٣).

وهنا يجدر التنبيه أن الأستاذ طه باقر لم يشر إلى أن تلك المكاتبات البابلية كانت فعلا بالخط المسمارى وبالأحرف البابلية، لكنها كانت باللغة الكارية أو الحورية حقا وصدقا.

ثم يقول لنا علم التاريخ أن هناك خطأ قديم تم إصلاحه فى مؤلفات المؤرخين، حيث كان يطلق على ممالك بلاد الشام اسم الممالك الحثية الحديثة، لكن مع مزيد من الكشوف تأكد أنها كانت ممالك أرامية تأثرت بشدة فى فنونها بالتقاليد الفنية الحثية.(٢٤)

إذن الكشيون أو الكاشيون أو الكاسيون أو الكاشو، قبائل متبربرة هبطت على العراق القديم وقضت على أسرة بابل الأولى، وحكموا البلاد ٤٣٣ عاماً، وليس معلوماً لدى المؤرخين معنى اسمهم أو أصله، لكن المؤكد لديهم أنهم كانوا هجرة هندوآرية، وأنهم لم يدونوا شيئاً بلغتهم الأصلية واتخذوا من لغة بابل لغة لهم، وكان غزوهم بابل بعد غارة حيثية مفاجئة قدمت من الأناضول، قام بها الملك الحيثى (مورشيليش)، الذى هاجم البلاد وأسقط أسرتها الحاكمة ليتركها للكوشيين أوالكاسيين دون أسباب مفهومة أو واضحة. أما الأكثر غرابة فهو أن بدء الحكم الكاشى لا ينطبق مع نهاية سلالة بابل الأولى التى أسقطها (مورشيليس) الحيثى، مما أدى إلى استنتاج أن هناك سبعة ملوك كشيين **حكموا فى مكان ما خارج الرافدين قبل أن يحتلوه**، والجديد هنا

---

(٢٣) طه باقر: الوجيز .. سبق ذكره، ص ٤٤٨: ٤٥٩.

(٢٤) فراس السواح: أرام دمشق .. سبق ذكره، ص ١٤٨.

أن الملوك الكاشيين قد حكموا القطر جمعيه موحداً، **بينما كانوا أقلية حاكمة،** ولم يتصادموا في معارك واضحة مع جيرانهم في منطقة المتوسط الشرقي بل **كانوا على وئام معهم،** وإن أحد ملوكهم المعروف باسم (كوريكالزو الثاني) هو الذي شيد الزقورة أو البرج المشهور في بابل، وبقي منه بعد أن تهدم حوالي ستين مترا، وقد أطلقوا على بلاد الرافدين اسم (كار دويناش) أي قطر (دونياش) وهو اسم إله لهم، ومن المرجح أنهم هم **من جاءوا بآلة عسكرية جديدة** على المنطقة هي العربة العسكرية السريعة التي تجرها الخيول، حتى أن الخيول لم تكن معروفة في المنطقة قبل ذلك، وكان الأكاديون في الرافدين يتحدثون عن رؤيتهم للكائن المعروف بالحصان، بحسبانه كائنا خاصا ببلاد أجنبية اسمه (سيسو) وأسموه Anshu Kar Ra أي الحمار الجبلي، كما ابتدعوا تقويما جديداً يعتمد على التأريخ بسني حكم الملوك، وأن الكاسيين أو الكاشيين قد أخذوا الخط المسماري واللغة البابلية وطوروها واستخدموها، ولاسباب غير معلومة أصبحت تلك اللغة لغة عالمية، ويرفض (طه باقر) وجلة المؤرخين أن يكون ذلك بسبب قوة وتسلط أونفوذ للكاشيين خارج الرافدين، وان هناك **آدابا بابلية** مكتوبة بالخط المسماري قد وجدت خارج الرافدين (كما في تل العمارنة بمصر،) **ولكن باللغة الحورية.**

وهنا عدة مسائل بحاجة إلى توضيح وحلول تتمثل في تساؤلات بسيطة لكنها إشكالية في التاريخ أهمها:

- من هم (الكاشيون/ الكاسيون) الذين احتلوا الرافدين ما يزيد على أربعة قرون؟
- ما هي علاقتهم بالحيثيين والملك الحيثي مورشيليش؟ وما هو السر الذي دفع الملك الحيثي لفتح بابل وتركها ببساطة للحكام الكاشيين الذين أصبحوا قلة حاكمة في بلاد الرافدين.
- لماذا لم يدونوا شيئاً بلغتهم وأخذوا الخط واللغة البابلية وطوروهما إلى اللغة الحيثية والحورية؟
- كيف نفسر الفجوة الزمنية بين مادونته المراجع الكوشية عن بدء حكمهم، والفارق الزمني بين هذه البداية وبين نهاية حكم الأسرة البابلية الأولى؟ وإذا كان الملوك السبعة الأول قد حكموا خارج البلاد... فأين كان حكمهم هذا؟
- معلوم أن بلاد بابل لم تقم دولة مركزية مستقرة متماسكة للقطر جميعه إلا في حالات نادرة وقصيرة، لكن زمن الكاشيين كان القطر كله وحدة مركزية واحدة، فكيف نفسر ذلك؟
- ومعلوم أن العراق القديم كان دوماً مفتوحاً على جيرانه في معارك هجومية أو دفاعية طوال الوقت، وهو ما لم يحدث زمن الحكم الكاشي، لماذا؟
- نعلم من المأثور الديني الاسرائيلي والإسلامي أن باني برج بابل هو المعروف باسم نمروذ بن كوش، ونعلم من التاريخ أن بانيه هو كوريكا لزو الثاني، فهل كانا شخصاً واحداً؟
- من أين جاء الكاشيون بحمار الجبل (سيسو) أو الحصان؟

وسبق وافترضنا أن الشاسو المدونيين فى المدونات المصرية هم الكاشو أو الكوشيين الذين تموضعوا فى بلاد آدوم، فهل ثمة علاقة بين هؤلاء الكاشو أوالكاشيين وبين محتلى بلاد الرافدين باسم الكاسو أو الكاشو أو الكاشيين؟

مجموعة من التساؤلات لا إجابة واضحة عليها إلا بمزيد من البحث وراء تلك الهجرات التى غمرت المنطقة، نضيف إليها الآن مزيداً من التساؤلات الإشكالية التى تتمثل فى العنصر الحليف للعنصر الكوشى، أقصد: الحيثيين. وهو ما سيزيد من البلبلة لكنه واسطة العقد لحل كثير من الإشكاليات.

فى الوعد المعروف بالكتاب المقدس، الذى قطعه الرب على نفسه لخليله إبراهيم يقول النص:

> فى ذلك اليوم قطع الرب مع إبرام ميثاقا قائلا: لنسلك أعطى هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات،: **القينيين** والقنزيين والقدمونيين **والحيثين** والفرزيين والرفائيين **والأموريين والكنعانيين** والجرجاشيين واليبوسيين

تكوين ١٥ / ١٨-٢٠

من بين الشعوب التى يعددها المقدس التوراتى لسكان المنطقة الممنوحة لإبراهيم ونسله نجد ذلك الاسم **(الحيثيين)**، ثم تتواتر النصوص المقدسة لتؤكد أن العنصر الحيثى كان عنصراً قائماً ومستقراً فى أرض فلسطين، بل كانوا مُلاكاً للأراضى، لكنهم فى الوقت نفسه يظهرون كما لو كانوا عنصراً غير أصيل بالمنطقة، لأن أرض فلسطين كانت تخصص بكونها أرض كنعان تحديداً.

والملاحظة المهمة بشأن الحيثيين، فى النصوص التوراتية، هو الهيئة السيادية التى يتخذها الحيثيون هناك ، التى أوجبت على البطرك إبراهيم السجود لأشخاص عاديين من بينهم، وهو يطلب منهم شراء مغارة بفلسطين ليدفن فيها جسد زوجته سارة، والنص يقول:

> وماتت سارة فى قرية أربع التى هى حبرون فى أرض كنعان .. وقام إبراهيم .. وكلم **بنى حث** قائلا: **أنا غريب ونزيل عندكم** ، إعطونى ملك قبر معكم لأدفن ميتى .. فقام إبراهيم **وسجد لشعب الأرض لبنى حث** .. وبعد ذلك دفن إبراهيم سارة فى مغارة حقل المكفيلة أمام ممراً التى هى حبرون فى أرض كنعان، فوجب الحقل والمغارة التى فيه لإبراهيم ملك قبر من عند **بنى حث**.

تكوين ٢٦

والواضح فى التوراة من البدء أنها تنسب أرض فلسطين إلى الكنعانيين دوما، وإلى الأموريين أحيانـاً، لكنها تجعل الحيثيين عنصراً أصيلا فيها، فشجرة الأنساب التوراتية تجعل الحيثيين أبناء كنعان بن سام بن نوح، فتنسب لكنعان بن سام ابنا اسمه (حثا) / تكوين ١٠/١٥، مع إشارة أخرى تجعل أورشليم رمزيا بنت سفاح لرجل أمورى من أم حيثية

قال السيد الرب لأورشليم: مخرجك ومولدك من أرض
كنعان **أبوك أمورى وأمك حيثية**

حزقيال ١٦ / ٣

وقد قصد النص إيضاح أن أورشليم رمز الشعب الإسرائيلى نفسه، هجين من شعبين متباعدين: الأب أمورى وعرفناه حمورى عمورى قادم من جنوب الجزيرة والأم حيثية.

وظل الحيثيون يتواجدون كعنصر هام وبارز فى فلسطين حسبما جاء بالكتاب المقدس، إلى زمن يبعد إلى ما بعد ملك سليمان، وكان أبرز قواد جيش داود من العنصر الحيثى (أوريا الحيثى مثلا)، كما تزوج ولده سليمان من نساء حيثيات (ملوك أول ١١/١)، والأموريين كما قلنا كانوا عنصرا جنوب جزيرى قادم برفقة الكوشيين، بينما الحيثيين من أصول شمالية هندوآرية فصيحة.

وقد سبق وأوردنا نصا يوزع عناصر سكان فلسطين على خريطتها (سفر العدد ١٣ / ٢٧ – ٣٢) ويجعل الحيثيين من سكان جبال فلسطين، ولدينا هنا نص آخر يجعلهم يشغلون جميع المساحة الشمالية الواقعة بين جبال لبنان ونهر الفرات، وجبال لبنان فى التوراة كان اسما يطلق على جبال فلسطين بدءاً من الكرمل وصولا إلى جبال لبنان الشمالية، والنص يقول ليشوع خليفة موسى بلسان الرب:

قم وأعبر هذا الأردن أنت وكل الشعب إلى الأرض التى
أنا معطيها لهم .. **من البرية ولبنان هذا إلى النهر الكبير**
نهر الفرات، جميع أرض الحيثيين. وإلى البحر نحو
مغرب الشمس يكون تخمكم.

يشوع ١ / ٢ – ٤

وهذا إنما يعنى احتلال الحيثيين لجبال فلسطين التى تعد امتداداً جنوبيا طبيعيا لجبال لبنان، وإننا كلما اتجهنا شمالا اتسعت الرقعة التى يشغلونها بالمنطقة نحو نهر الفرات ونحو البحر المتوسط. لكن المثير للاضطراب والدهشة معاً، أننا نجد نصوصاً أخرى تشير إلى الحيثيين باعتبارهم يعيشون خارج فلسطين، ليس ذلك فقط بل أن لهم ممالك ودول، وهو ما نجد التوراة تقوله فى أزمنة تالية أحدث، حول استيراد سليمان للخيل من مصر، والتجارة بها مع " **ملوك الحيثيين وملوك آرام**/ أخبار الأيام الثانى ١ / ١٧ "، وهو الأمر الذى يتكرر فى نص آخر يقول " وكان مخرج الخيل التى لسليمان من مصر .. وكانت المركبة تصعد

وتخرج من مصر يستمائة شاقل من الفضة، والفرس بمئة وخمسين، وهكذا لجميع **ملوك الحيثيين وملوك آرام** (ملوك أول ١٠ / ٢٩) " ثم بعد زمن سليمان أيام ملوك مملكة إسرائيل المنقسمة إلى إسرائيل شمالاً ويهوذا جنوبا، نجد نصاً يؤكد ذات المعنى، جاء فى معرض الحديث عن حرب جرت بين الملك الأرامى بهندد وبين مملكة إسرائيل الشمالية، عندما فر الجيش الأرامى من المعركة هاربا ، لما سمع جنوده ضجيج هائل لسلاح وعربات وخيول، وقال أفراده بعضهم لبعض : " هاهوذا ملك إسرائيل فقد استأجر ضدنا **ملوك الحيثيين**، وملوك المصريين .. فقاموا وهربوا فى غبش الليل/ ملوك ثانى ٧ / ٦ ، ٧،٨ "

الحيثيون بهذا الشكل مشكلة، فهم ملوك على دولة تقع خارج فلسطين، بل وملوك أقوياء يثيرون الفزع، وهو لغز كبير لا يمكن فهمه فى ضوء احتساب التوراة فى أسفار أخرى أن العنصر الحيثى عنصر يعيش في فلسطين الكنعانية.

هذا ما كان عن نصوص المقدس التوراتى، أما علم التاريخ فيروى لنا رواية أخرى مبهرة، لكنها للأسف ستزيد الأمر غموضاً واضطرابا وإلغازاً، فقد جاء فى نصوص مصر القديمة ما يشير إلى علاقات وطيدة لملوك مصر مع ملوك قطر يسمى قطر (خيتا) التى ترجمت أيضاً إلى الحيثيين. وهناك أيضاً نصوص مشهورة لمعاهدة سلام جرت بين الفرعون (رمسيس الثانى) وبين الملك الحيثى (حاتوشيليش) بعد معركة قادش الشهيرة. وقبل ذلك بسنوات، فى الأسرة الثامنة عشر، تقدم الفاتح الأعظم فى تاريخ الشرق القديم (تحتمس الثالث) ١٤١٣ – ١٤٠٥ق.م شمالا متجاوزاً سورياً، ليعبر الفرات الأعلى فى هضبة الأناضول خلال القرن الخامس عشر قبل الميلاد، ليضرب قوما جاء اسمهم فى مدوناته (أهل خيتا).

وقبل ذلك بقرون، حوالى عام ٢٢٠٠ ق.م حارب (نرام سين) رابع ملوك أسرة أكد Akkad الرافدية، **حلفا** مكوناً من سبع عشرة ملكا، بينهم ملك باسم بامبا (Bamba) وصفته نصوص الرافدين بأنه **ملك حاتى**، وضمن الحلف ملك آخر لكنه **آمورى** اسمه حوار واس Huwruwas، وهو الاسم الذى يعبر لدينا عن أصل حورى واضح. وبعد ذلك بما يزيد على ألف عام، أى حوالى ١١٠٠ ق.م نجد فى نصوص الملك الآشورى تجلاتيبليزر الأول، أن سوريا الشمالية العليا تظهر باسم خاتى وأن عاصمتها زمن تجلاتيبليزر كانت مدينة قرقميش داخل الحدود التركية الحالية، وهى ذات العاصمة التى اجتاحها تحتمس الثالث زمن فتوحاته الكبرى [٢٥].

واضح إذن أن المادة المتجمعة لدينا حول العنصر الحيثى تتفجر بالتناقضات الحادة، فالكتاب المقدس يظهر الحيثيين كعنصر كنعانى يسكن فلسطين مرة ومرة أخرى يظهرهم كقوة كبرى لها ملوك أقوياء خارج فلسطين، وعلم التاريخ يوضح لنا أنهم كانوا سكان الأناضول التركى ولا علاقة لهم بفلسطين، بل يجب استبعاد هذه العلاقة تماما لأن الوثائق الحيثية المكتشفة حتى الآن، لم نجد بها ما يشير إلى هبوط الجيوش الحيثية جنوباً، فى أوج عظمة المجد الحيثى، لأبعد من دمشق، ولا نجد إشارة واحدة لدخولهم فلسطين إطلاقاً.

---

(٢٥) أ. ر. جرنى: الحيثيون، ترجمة د. محمد عبد القادر محمد، مطبوعات البلاغ، القاهرة، ١٩٦٣، ص ٢٣، ٣٧، ٣٨.

وحتى المنطقة التى خضعت للحيثيين من بلاد الشام، فكانت على حساب التوسع الحيثى الحدودى الجنـــوبى، واقتصرت على المنطقة الواقعة شمالى قادش على نهر العاصى. ويقول المؤرخون أنه بعــد انهيـــار دولـــة الحيثيين وتفككها إلى دويلات، لم نجد بين تلك الدويلات الحيثية دويلة واحدة تقع إلى جنوب حماة الســـورية. وقد شكلت مملكة دمشق الأرامية الناهضة حينذاك، حاجزاً بين الدويلات الحيثية شمالها وبين فلسطين جنوبها. حتى صرح (جرنى) أهم باحث فى تاريخ الحيثيين بقنوط بالغ:

> إن وجود الحيثيين فى فلسطين قبل غزو إسرائيل لهـــا [يقصد قبل خروجهم من مصر وغزوهم فلسطين/ المـــؤلف] يثير **مشكلة عجيبة**. وتجمع المعلومات المتزايدة عن أهل حاتى لم يوضحها وإنما **جعلها أكثر تعقيداً** .(٢٦)

ومن هنا أخذ جرنى – حلا للمشكلة – بالفرض الذى قدمه زميله (فورر) واعتبره جرنى حلا بارعاً، إذ يرجع (فورر) إلى سكان الأناضول قبل الحيثيين والمصطلح علىتسميتهم (بروتوحيثيين) أحياناً و (الحاثيين أو الخاتيين Hattians) أحيانا أخرى، وأن لغتهم التى تكلموها أطلق عليها الحيثيون من بعدهم اسم لغة خاثيلى أو حاتيلى Hattili. وينطلق (فورر) من ذلك إلى افتراض أن تلك اللغة كانت فى وقت ما وسيلة تخاطب فـــى منطقة واسعة جداً شملت فلسطين، وربما كان يقصد ما أشرنا إليه حول اللغة الكارية الحورية، وأن الحيثيين الذين رحل بعضهم جنوباً وسكنوا فلسطين زمن الخروج حسبما نفهم من التوراة، إنما كانوا بروتـــو حيثيـــين يتكلمون اللغة الخاتيلية، وأدت ظروف لاستمرار بقائهم فى فلسطين، فأسماهم المأثور التوراتى باســـم لغـــتهم وهى اللغة التى استخدمها الحيثيون، فأصبحوا بذلك حيثيين يسكنون فلسطين فى التاريخ التوراتى(٢٧). [لاحظ هذا نموذج حل المشاكل السريع لدى المؤرخين المتخصصين].

وتدلنا رسائل تل العمارنة المصرية المحفوظة فى مدينة إخناتون، على أن العالم فى ذلك الوقت حوالى (١٣٧٠ ق.م زمن آمنحتب الثالث وولده إخناتون) كانت تتقاسمه أربع دول كبرى هى: مصر التـــى امتـــدت سيطرتها إلى فلسطين وسوريا، وبابل التى حملت فى ذلك الزمن اسم كاردونياش، وميتانى المملكة الحوريـــة الخورية التى تواضع المؤرخون على وضعها على حوض الفرات الأعلى وكانت تحكمها طبقة أرســـتقراطية من أصل هندوأوروبى. ثم المملكة الحيثية فى بلاد الأناضول.

وقد ظل أمر مملكة الأناضول الحيثية مجهولا، فقط كنا نعرف أن هناك شعب اســـمه الحيثـــى يعـــيش بفلسطين وذلك من الكتاب المقدس، حتى تم اكتشاف رسائل تل العمارنة عـــام ١٨٨٧م ، وتحـــوى رســـائل دبلوماسية وإدارية للملك آمنحتب الثالث وولده إخناتون، فتغطى الفترة ما بين ١٣٧٠ و ١٣٤٨ ق.م، ورسائل كتبها ولاة مصر فى سوريا وفلسطين، وقد جاءت فى تلك الرسائل إشارات متعددة لملك على دولـــة اســـمها (حاتى) وإلى تحركات جيوش حاتى. كما تم العثور على خطاب كتبه الملك الحيثى (شوبيلو ليوماش) يهنـــئ

(٢٦) نفسه: ص ٨٣.

(٢٧) نفسه: ٢٠.

فيه (إخناتون) لتوليه العرش. لكن شوبيلو ليوماش ظل ملكا مجهولا لدولة مجهولة حتى عام ١٨٧٢ م. حين تمكن (وليم رايت) من نقل خمسة أحجار كانت ضمن أحجار منازل مبنية فى حماة السورية وفى حلب، بعد أن اكتشف عليها هيروغليفية شبيهة بالمصرية لكنها ليست مصرية، فأطلق عليها اسم الخط الحاماتى Hamathit نسبة إلى حماة حيث عثر على الأحجار. ولم يمض غير بضع سنوات حتى تم اكتشاف نقش صخرى عظيم على ترعة أوريز Ivriz فى جبال طوروس بالخط الحاماتى، وهو ما وجه الاهتمام إلى آثار وأطلال ونقوش كانت مهملة، وتقع عند بوغازكوى Boghaz Koy والجاهويوك Alaja Huyuk عند منحنى نهر الهاليس Halys المعروف الآن باسم قيصل يرموق فى شمال تركيا الحالية.

لفتت أنظار الباحثين بوابة حجرية كبرى يقف على جانبيها تمثالان لأبى الهول، فبدأت حفائر المتحف البريطانى عام ١٨٧٩ لتكشف عن كثير من النقوش الهيروغليفية الحاماتية، حتى تمكن (هوجو فنكلر Hugo winckler) من الحصول على تصريح بالحفر سنة ١٩٠٦ فى بوغاز كوى ليكتشف كشفه الهائل، حيث عثر على حوالى ١٠,٠٠٠ لوح مسمارى مكتوبة بلغة غامضة **تشبه ما عثر عليه فى مكتبة رسائل تل العمارنة.**

وبالبحث الدءوب أعلن أن تلك الثروة الهائلة ترجع إلى عاصمة لمملكة عظمى كان مقر عاصمتها حيث عثر على تلك الألواح، أى فى بوغاز كوى التى اكتشف أنها وأن تلك المملكة كانت تحمل اسم خاتوشاش Hattusas وان تلك المملكة كانت تعرف فى زمانها بمملكة الحيثيين، وأنها استخدمت فى الكتابة خطها الهيروغليفى، أما العجيب فهو أن **الألواح الهائلة العدد فقد كشف أنها باللغة الحورية التى كتبت بها ألواح العمارنة فى مصر.** وكان المؤرخون يعلمون أن هناك دولة مجهولة دفعت الجزية للملك رمسيس الثانى كانت تحمل اسم خيتا العظمى، لكنهم افترضوا لها موقعا فى بلاد سوريا إلى جوار ميتانى، حتى أعاد ذلك الاكتشاف العظيم الأمور إلى نصابها، ثم تتالت الاكتشافات المبهرة فى العاصمة خاتوشاش الواقعة على مبعده مائة ميل شرقى أنقرة الحالية. ولما كان قد وضح أن الحيثيين يصرفون الأسماء بحرف (ش SH) و (تش CH) تلحق بنهاية الإسم، فإن اسم العاصمة دون تصريف يصبح (خاتوشا) أو (حاتوسا) وهو اسم يحمل فى طياته اسم الحيثيين.

ومن الرسوم والنقوش وبقايا جماجم هؤلاء القوم، أمكن تكوين فكره واضحة عن سماتهم الجسدية، فهم **قوم مكتنزون، عظام أوجههم بارزة، أنوفهم طويلة قليلا وأشبه بمنقار الببغاء، ذقونهم قصيرة.**

واكتشف أنه فى ذات المكان وقبل ظهور الحيثيين أو مجيئهم من مكان ما فى الشرق، كان يعيش قوم يتحدثون لغة باسم الحاتيلية ويطلقون على أنفسهم عبارات رجال حاتى، نساء حاتى، أبناء حاتى، ويرى (إيفارلسنر) أنه من هنا جاء اسم الحيثيين الذى أطلق على الأقوام الجديدة التى احتلت الأناضول وتركت لنا هذا التراث العظيم. ويرى (موتمارت) و (زومر) أن ثقافة الحيثيين جميعاً تعود إلى أبناء حاتى الأصليين، مما يشير إلى أن الحيثيين حين وفدوا على الأناضول كانوا **بلا ثقافة محددة تقريبا**، فأخذوا بثقافة البلاد التى

احتلوها. وقد أكد ذلك (بيتل) الذى عاش سنوات فى خاتوشا يبحث ليكتشف أن الحيثيين الذين سيطروا هناك كانوا **متخلفين ثقافيا** على السكان الأصليين، وبعد ذلك اكتسبوا حضارة الحاتيين وتشربوها(٢٨).

ويحيطنا (وليم كون) بخبر شديد الأهمية لعملنا هذا، فيقول: إن الحيثيين **كانوا أول أمة عرفت خام الحديد واستخرجته وصنعته، وأنهم كانوا يتكلمون لغة هندوآرية**، ويبدو أن ذلك معرفة تعدين هذا المعدن كانت معروفة لديهم ككشف خاص فى وطنهم الأصلى الذى هاجروا منه بوسط آسيا. أما السمة الأخرى التى لاتفوتنا، فهى **أن الخيل لم يظهر فى المنطقة الشرق أوسطية وكذلك العربة التى يجرها الخيل، قبل ظهور الحيثيين فيها**. ويبدو لنا أن إشارات أهل الرافدين إلى حمار البلد الأجنبى أنشوكرا كانت نتيجة مشاهداتهم له فى بلادجيرانهم الجدد فى شمالهم الغربى. وقد ثبت أنهم أقدم أمة عرفت الحديد وتصنيعه من رساله وجهها الملك الحيثى حتوشيليش إلى ملك من أصدقائه يعتذر له فيها عن تلبية طلبه لأن **موسم إنتاج الحديد** ذلك العام كان رديئاً، مع وعد بإرسال المطلوب إلى أخيه الملك حالما ينتهى الصناع من ذلك(٢٩).

وفى الموسوعة الأثرية العالمية نجد تحت مادة عصر الحديد Iron Age إشارة إلى خطاب وصل الفرعون رمسيس الثانى من الملك الحيثى يقول فيه أنه قد أرسل إليه **خنجراً حديدياً** يليق بالملك. وتشير الموسوعة إلى **أن الحديد وصل بلاد اليونان قادما من منطقة تقع فى محيط بحيرة فان وبحر قزوين**، وأنه حول ذلك الوقت عرفت المملكة الحورية المجاورة للحيثيين صناعة الحديد منهم. (الموسوعة تذهب مع الفرض المعتاد فى وضع الملكة الحورية ميتانى بأعالى الرافدين). وأن من منتجات الحديد الميتانى ذلك الخنجر المحلى بالذهب والأحجار الكريمة الذى تم العثور عليه فى مقبرة (توت عنخ آمون)(٣٠).

وقد عبد الحيثيون إلها يظهر فى هيئة رب جنود، فى نقش يؤكد معرفتهم المبكرة للعجلة والحديد، فهو يركب عجلة قتال ممسكا ببلطة حديدية فى يد وبالبرق فى يد أخرى يركض بها على قمم الجبال(٣١)، فهو إله رعد وبرق مثل البعل، ويرمز له بدوره بالثور، ثم تنسب له الأساطير الحيثية أنه هو الذى قتل التنين متعدد الرؤوس المعروف باسم لواياثان(٣٢)، وهو ذات الفعل التأسيسى الذى قام به الإله فى الديانة الكنعانية عندما قتل تنينا بنفس الصفات وبذات الاسم، فى ملحمة البعل التى عثر عليها فى أوغاريت/ رأس شمرا، ثم كرر الإله يهوه ذات البطولة بقتلة لواياثان الحية متعددة الرؤوس بالكتاب المقدس. (للمزيد: ارجع لكتابنا الأسطورة والتراث).

ومع دراسة الوثائق الحيثية أمكن معرفة أنهم كانوا يحبون الرجوع إلى أصل ملكى مع أول ملك لهم باسم لابارناس Labarnas ، لذلك يبدأ المؤرخون به تاريخ الحيثيين، ويقولون أنه فى عهد خليفته خاتوشيليس

---

(٢٨) إيفارلسنر: الماضى الحى.. سبق ذكره ، ص ٨٨، ٨٩.

(٢٩) كارلتون كون: القافلة، قصة الشرق الأوسط، ترجمة برهان دجانى، دار الثقافة، بيروت، د.ت، ص ٣٢٥: ٣٢٧.

(٣٠) الموسوعة الأثرية العالمية ٣٧٩.

(٣١) كارلتون كون: القافلة، سبق ذكره ص ٣٢٨.

(٣٢) جرنى: الحيثيون.. سبق ذكره، ص ١٨٩ .

الأول Hattusilisi تم نقل العاصمة من مدينة باسم كوسارا إلى خاتوشا، وبعده بدأت المملكة تتسع وتخرج جيوش مملكة حيثى من خلف الحواجز الجبلية فى طوروس نحو الجنوب، اصطدمت بداية بمملكة يمخد Yamhad الغنية وكانت عاصمتها حلب Aleppo الحالية وذكرها الحيثيون باسم خالاب Khalap ، وفى عهد الملك الحيثى مورشليش قام الحيثيون بغزوة على مملكة بابل وأسقطوا دولة بابل الأولى، حيث نجد فى آثارها نصا يؤكد تلك الغزوة يقول: " إلى شمشو ديتانا زحف رجال حاتى، وزحفوا إلى بلاد أكد " وقد ربط ذلك الحدث بين ثبت التاريخ البابلى والتاريخ الحيثى(٣٣) وبدأ تأريخ الحيثيين من ذلك العام أى حوالى عام ١٥٩٤ ق.م، لكن الغريب الذى يشكل لغزا غير مفهوم، هو **انسحاب الحيثيين من بابل بعد فتحها ليتركوها فريسة لغزاة عرفهم التاريخ الرافدى باسم الكاسيين،** فاحتلوا بابل عام ١٥٩٥ فى إثر الغارة الحيثية مباشرة، وسيطروا عليها أربعة قرون متصلة، حتى عام ١١٦٢ ق.م (٣٤) ولمزيد من الدهشة لا يأتى عام ١٤٠٠ق.م حتى نجد الثقافة الحورية واضحة تماماً من بلاد الأناضول شمالا حتى العقبة جنوبا عند آدوم (٣٥).

وفى عهد متأخر زمن الملك الحيثى (تود خالياش الرابع) ثم (آرندوانداس الرابع) تظهر فى الغرب قوة جديدة حول الجزر اليونانية (الفريجيون) فى موجة كاسحة نحو الشرق والأناضول قادمة من جزر بحر إيجة وكريت وسردينيا، وتهاجم مصر فى نفس الوقت لكنها تتكسر هناك(٣٦)، وتتتالى الضربات على الدولة الحيثية بينما فى ذات الزمن تقص علينا سجلات (رمسيس الثالث) كيف أن الجزر اضطربت، وكيف غزت تلك الجزر الأناضول وهرب الحيثيون وشعوب أخرى إلى الجنوب السورى، ليصبح الفريجيون سادة الأناضول بعد الحيثيين، لتنتهى الدولة الحيثية، وتبقى ثقافتها فى المقاطعات الجنوبية السورية ضياء غسق باهت، استمر حوالى خمسة قرون. بينما استمرت وثائق آشور تشير لسوريا وطوروس باسم بلاد حاتى، التى سقطت بعد ذلك بزمان فى قبضة الآشوريين، لينتهى ذكر الحيثيين وثقافتهم من التاريخ، وينسى عالم الإنسان ذلك الشعب وتلك الإمبراطورية، ويظل ذكرهم فى الكتاب المقدس حكاية أسطورية لا معنى لها. واحتسبوا فى أحيان أخرى مجرد قبائل كأى قبائل كانت تعيش فى منطقة فلسطين وجنوبها، وعندما توغل الرحالة الإغريق فى بقاع تركيا وجدوا هناك مقاطعات آشورية فحسب، ونسى اسم حاتى والحيثيين(٣٧)، وظل ذكرهم فى الكتاب المقدس يثير سؤالاً محيراً لزمن طويل. من هم الحيثيين؟ وحتى بعد اكتشاف دولة الحيثيين ووثائقها، ظل وجود الحيثيين بفلسطين مشكلة تستعصى على الحل، حيث لم يقدم لنا التاريخ كعلم ما يفيد بأن الحيثيين قد دخلوا فلسطين أو ضموها لإمبراطوريتهم يوما، ولم يبق مفهوما بالكتاب المقدس سوى النصوص التى وردت فى سفر ملوك ثانى ٧ / ٦ وأخبار أيام ثانى ١/١٧ وتتحدث عن ملوك الحيثيين، وهى الإشارة التى رآها عالم الحيثيات (جرنى) تتحدث عن مقاطعات سورية ظلت حيثية الثقافة واللغة بعد سقوط دولة الحيثيين

---

(٣٣) نفسه: ص ٤١: ٤٣

(٣٤) طه باقر: الوجيز سبق ذكره، ص ٤٤٨،٤٤٩

(٣٥) جرنى: الحيثيون.. سبق ذكره، ٣٨:٦٦.

(٣٦) سامى سعيد : الرعامسة.. سبق ذكره، ص ٦٧

(٣٧) جرنى: الحيثيون.. سبق ذكره، ص ٣٣:٦٦.

بخمسة قرون تقريبا، وقتما كانت الوثائق الآشورية تشير لتلك المقاطعات السورية الشمالية باسم (حـاتى)[٣٨] وهو بدوره ما لا يفسر وجود الحيثيين داخل فلسطين كعنصر ضمن عناصر الشعوب المقيمة فيها.

وإضافة لمشكلة وجود الحيثيين كعنصر مستوطن أصيل بفلسطين، فإن هناك أمراً آخر يشـكل لغـزاً، فحيث سجلت المصادر الحيثية أن دولتها القديمة التى أسسها (لابرناس) **كانت دولة إمبراطورية**، لا نجد شيئاً واضحاً فى مدونات المنطقة الأخرى عن توسع الحيثيين فيما عدا وصوله سوريا، وإسـقاط الملـك الحيثـى مورشيليش لدولة بابل الأولى، ثم انسحابه دون سبب واحد واضح، ليتركها طواعية لغزو آخر مجهول الشأن يستولى عليها جاء ذكر أصحابه باسم العنصر الكاسى أو الكوشى. هذا ناهيك عما ذكرته النصوص الحيثيـة أن جزيرة ألاشيا/ قبرص كانت تابعة للحيثيين، وهو ما يراه (جرنى) أمراً غير مفهوم، لأننا لو صدقناه فذلك يعنى خروج الحيثيين من وراء جبال آسيا الصغرى[٣٩]، ومعنى ذلك أنهم قد بدأوا تكوين **إمبراطورية لم تزل التفاصيل بشأنها مجهولة تماماً** .

هنا يمكن العثور على طرف الخيط فى شبكة الخيوط المعقدة التى أدت إلى تضارب شديد فى تحديـد الأصل الجنسى للهكسوس، وهو ماسيساعد بعد قليل فى تفسير وجود المفردات والصياغات الآرية إلى جوار السامية فيما تركه الهكسوس من آثار قليلة، كما يمكن أن يساعد فى حل مشكلة الموطن الأصلى للهكسـوس، والتى تأرجحت بدورها بين جنوبى جزيرة العرب وبين محيط قزوين فى أرمينيا. ثم تفسير مـذهب بعـض المؤرخين إلى القائل بأصول إفريقية للساميين استناداً لمقاربات لغوية مُقنعة. فكما قلنا ذهب فريق كبير إلـى أن جزيرة العرب كانت أصلاً منشأ الساميين ثم خالفهم فريقان: الأول يقول بمجئ الساميين من بلاد أرمينيـا والثانى فريق يتوارى فى الظل ذهب إلى **أن الوطن الأصلى للساميين هو شمال شرقى أفريقيا (سيناء)** حيث عثر على أدلة لغوية بالكتابة المعروفة بالسينائية، وأن تلك الكتابة تجمع سمات سامية مع سـمات مصـرية قديمة فى اللفظ وفى المعنى. وأن تشابه السامية مع المصرية بعد ذلك يمتد إلى اللغة القبطية ولغات البربـر والكوشيين والصومال وأثيوبيا. كما أن العنصرين السامى والحامى يتشابهان فى الصفات الجسدية، خاصة إذا ما نظرنا إلى جنوبى بلاد العرب وبلاد أثيوبيا، حيث لم تكن الحبشة منفصلة عن اليمن وكانتا تحسبان دولـة واحدة وأطلق اليونان عليهما معا اسما واحداً هو (أثيوبيا). [٤٠]

أما الحيرة الناتجة عن الحلف الهكسوسى العظيم فقد تجلت فى قول صموئيل لانج: " من الأمور التـى يحوم حولها قدر كبير من الشك معرفة أصل هؤلاء الغزاة الذين عرفوا بالهكسوس أو ملوك الرعـاة، وقـد كانوا يتألفون على الأرجح من قبائل بدوية **من الكنعانيين والعرب** وعناصر سامية أخـرى. لكـن يبـدو **أن الحيثيين الطورانيين، كانوا على صلة بهم**، وأن قادتهم كانوا من الطورانيين، إذا حكمنا بما نشاهد من صور

(٣٨) نفسه: ص ٦٠

(٣٩) نفسه: ص ٧٢

(٤٠) مظفر نادوثى: التاريخ الجغرافى.. سبق ذكره، ص ١١٥:١٢١

وتماثيل ملكين من آخر أسرة من الهكسوس، كشفهما حديثا نافيل Naville فى بوباسطة، **وتدل دلالـــة قاطعـــة على أنها طورانية الملامح بل أصيلة** » (٤١).

وهى الحيرة ذاتها التى تضاعفت بعد كشف مدينة أوغاريت فى رأس شمرا بجوار اللاذقية، فقد كشفت الألواح أن شعب أوغاريت الصغير هذا قد تمازج فيه أكثر من شعب وعنصر، فقد كانت فيه فى وقت واحـــد جماعات أكادية وحيثية وميتوية ومصريـــة وعمورية « لكن الجماعة **الأكثر عددا كانت جماعة الحـــوريين** » (٤٢). ويقول الأركيولوجى (شيفمان): « وكان التخاطب فى أوغاريت يتم بلغتين محليتين هما: **السامية** التـــى يسميها علم الساميات المعاصر بالأوغاريتية **وبالحورية**، أما اللغة الثانية فهى الأكادية التى اقتبست عن بـــلاد الرافدين وقامت بدور الوسيط العام كوسيلة للتخاطب المكتوب بين الدولة الأوغاريتية وبقيـــة الـــدول، وبـــين الجماعات الإثنية، وكذلك كانت لغة الشئون العملية والمراسلات"، ثم يعود إلى اللغة الحورية ليقول : « كانت اللغة الحورية نسيبة اللغة الأوغاريتية وعدد آخر من لغات **شمال القفقاس المعاصر** » (٤٣).

وهكذا بعد أن أكد لنا شيفمان أن الحورية لغة سامية، يعود ليقول أنها نسيبة لغة شمال القفقـــاس وهـــى لغة هندو آرية (؟!!) دون أن يشعر بأي اختلال (؟!).

وما يعضد أمرنا من وثائق أوغاريت ذلك النص الذى يشير إلى خضوع المدينة مكرهة لمحتل غريب الشأن، هو مزيج من الكوشيين والحوريين والحيثيين والقبارصة، وأنهم ينتمون إلى مدينـــة جامعـــة واحـــدة، والنص يتحدث عن قربان يتقدم به شعب أوغاريت للإله .. والنص يقول:

ويقدمون ضحية **حماراً** ويغنى ابن أوغاريـــــت
الأغانى ويزينون أطراف الجدران فى أوغاريت
ويتـــــزين (بامعـــــان) ويتـــــزين (عرومـــــاتو)
ويتزين...(تلف بالنص) ويتزين (نقمد)

وقبائـــــل الحـــــوريين
وقبائـــــل الحيثيـــــين
وقبائـــــل الآلاشـــــين
(آلاشياهى قبرص/ المؤلف)

والقبائل المكروهة، القبائل التى نهبـــتكم القبائـــل
التى أذلتكم.

---

(٤١) نفسه: ١٦١.

(٤٢) شيفمان: ثقافة أوغاريت .. سبق ذكره، ص ١١٣

(٤٣) نفسه: ٣١.

قبائل المدينة المتسلطة

هانحن نقدم قربانا ونذبح ذبيحة فليعلو هذا **الحمار**
إلى عشيرة أبناء (إيلو) (ابناء ايلو أى أبنـــاء الله/
المؤلف).[٤٤]

ثم نتابع السعى وراء كل ما يؤيدنا فنجد وثائق مدينة دولة (إيبلا) التى تعود بتاريخها إلى نهاية الألــف الثالث قبل الميلاد، تحدثنا عن مجتمع باسم ديتانو بالكتابة **(ديدانو)**، ويقول (شيفمان) أن هذا الاسم **أطلقه أهل إيبلا على جبال باسم (آمور)**. ويلحظ شيفمان أن اسم ديدانو يتطابق مع اسم **ددان شـــرقى آدوم**، وأن اســم جبال آمور ويتطابق مع اسم جبال الأموريين، لكنه لايرى وجوب مخالفة الرأى السائد فيقــول: " ويبــدو أن تطابق هذا الاسم مع اسم احد مجتمعات شمال شبه جزيرة العرب.. **مجرد مصادفة** [٤٥] ؟! . هكذا(؟!)

ثم يقف (شيفمان) مع اصطلاح (رباتى RP.THT) الذى يرد بكثرة فى الألواح الأوغاريتية وهــو ذات اصطلاح (رفائى) و (رفائيين) الذى يرد بكثرة فى التوراة للإشارة إلى الشعب الطويل العمــلاق. ويكتشــف شيفمان فى نصوص أوغاريت **أن الرباتيين قد اتحدوا مع شعب ديدانو** وشكلوا جماعة واحدة ينتمــى إليهــا جميع أهل منطقة (ددان) جنوب شرقى آدوم، وأن هذا الاتحاد جاء تفصيله بمكونات الأحلاف فيه فى سفــــر التكوين ١٩/١٥ ــ ٢١، وقد رجعنا من جانبنا نبحث وراء هذا النص فوجدناه يعدد أطــراف ذلــك الحلــف كالآتى:

القينيين والقنــزيين والقــدمونيين والحيثيــين والفــرزيين
والرفــائيين والأمــوريين والكنعــانيين والجرجاشــيين
واليبوسيين.

ثم يضيف شيفمان أن الرباتين وصفوا فى وثائق أوغاريت بأنهم " شعب عظيم كثير العدد طويل القامة " [٤٦] أما الأشد تلاقيا مع فروضنا فهو التصور الأوغاريتى عــن الرباتيين باعتبارهم جنساً متميــزاً هجينــا ينتمى من جانب لجنس البشر لكنه من جانب آخر ينتمى إلى عنصر الآلهة [٤٧]. وهو مايذكرنا بالأســطورة التوراتية عن **الجبابرة الذين كانوا نسلا مميزاً من أبناء الله وبنات الناس، الذين اصــطلح التــاريخ علــى تسميتهم بالعمالقة.**

ومن الطيب فعلا ثراء تاريخنا العربى الذى سجل ذكريات تاريخية قديمة عن انتشــار العمــاليق فــى المنطقة والمناطق التى حكموها، وأن بنى حام (المصريين) قد طردوهم من تلك المنــاطق، وقــد تــم ذلــك

---

(٤٤) نفسه ٨٨.

(٤٥) نفسه ١٠.

(٤٦) نفسه ٧٣ .

(٤٧) نفسه ٧٤

التسجيل مع بعض الالتباسات التى عادة ماشابت الكتابات التاريخية العربية، ونموذجا لذلك ما جاء عند ابن قتيبة الدينورى فى كتاب المعارف إذ يقول:

وكان من بينهم العرب العمالقة الذين كانوا **يتألفون من قبائل مختلفة**، والذين **انتشروا فى بلاد متعددة**، ومن بينهم **ملوك مصر وبابل** .

وما جاء عند ابن خلدون عالم الاجتماع العربى فى كتاب (العبروديوان المبتدأ والخبر) إذ يقول:

إن **عاداً والعمالقة حكموا العراق**، ويقال أنه لما طردهم أبناء حام هاجروا من بابل إلى بلاد العرب(٤٨).

وما جاء عند اليعقوبى وهو يشرح أن مُلك العمالقة على مصر كان طارئا عليها وحدث لأسباب آنية حينذاك، فيقول:

ولما اتخذ المصريون النساء ملكات عليهم، طمع العمالقة ملوك سوريا (تعنى بر الشام جميعا / المؤلف) فى غزو مصر، ومن ثم عاث الوليد بن **دومة** فيها فساداً، وأجبر المصريين على الاعتراف به ملكاً عليهم، وقد حكم مصر مدة طويلة، وخلفه بعد موته ملك آخر من العمالقة هو **ريان** بن الوليد الذى عاصر يوسف.

وهنا يورد لنا ابن خلدون سببا آخر لاحتلال العمالقة مصر لأنه لم يقتنع بسوء حكم النساء، فيقول :

وقد طلب بعض الملوك القبط فى مصر المعونة من أحد ملوك مصر العمالقة فى مصر فاستجاب لرغبته لكنه احتل مصر لنفسه.

هذا بينما يؤكد ياقوت الحموى:

إن فراعنة مصر كانوا من العمالقة، وكذلك كان فرعون إبراهيم وفرعون يوسف وفرعون موسى (٤٩).

وفى كتب الأنساب نجد أن:

العمالقة من **ملوك حمير** كانوا بالشام. منهم **الزباء قاتلة**

---

(٤٨) مظفر نادوثى التاريخ الجغرافى سبق ذكره، ١٤١،١٤٠

(٤٩) نفسه: ص١٤٩: ١٥١

جذيمة الأبرش .. والعماليق من ولد عملـق بـن لاوذ
بـن سام، منهم الفراعنة ملوك مصر.. والعنقاء لقـب
ثعلبة **بن عمرو بن عامر** الأزدى [٥٠].

ومن المدهش حقاً أن يطلق المؤرخون العرب على أول ملك هكسوسى لمصر هو فاتحها اسم **(شـداد)** وهو الأكثر تواترا فى الكتابات العربية كأول ملك عماليقى على مصر وليس الوليد بن دوماً، وهو ما يلتقـى تماماً مع اسم أول ملك هكسوسى حدثنا عنه مانيتون المؤرخ المصرى وكذلك بردية تورين باسـم **(شـلات)** أومع التصريف اليونانى (شلاتيس) أو (شلاد)، وهو ما لا يلتقى معه مبنى فقط بل فى المعنى أيضـاً فكلمـة شداد تعنى القوى الشديد وكذلك تعنى ذات المعنى كلمة Sallat فى اللغات السامية ومنها (شلات) ومنها أيضاً سلطنة وسلطان وسلطة.

ويلخص لنا (جارستانج) أمر الحيثيين، فنراهم مجموعة أجناس وأحلاف وذلك فى قولـه إن " القبائـل الحيثية .. كانت تتكلم بما لا يقل عن **ست لغات مختلفة** إلا أنه لم يتضح بعد إلى أى حد يدل اختلاف طـرق الكلام ولغات هذه القبائل على وجود تباين حقيقى بين أجناس الناطقين بها.. وقد أظهرتها الرسوم المصـرية المتأخرة على أربع أو خمس سلالات من الفصائل التى حاربت فرعون .. بل أن آسيا الصـغرى (تركيـا/ المؤلف) ما برحت حتى اليوم آهلة بأقوام غير متجانسة. منها الجـركس والأرمـن والأكـراد واليونـان .. يحتفظون بجنسياتهن ويتكلمون لغتهم الخاصة..وكانوا يجنحون أول ما ظهروا إلى **الاندماج فى حلف سياسى يؤلف بينهم** ... وخضعوا بصفة عامة لسلطان قبيلة خيتى " [٥١] لكن جارستانج يـذهب مـع الجميـع إلـى موضعة ميتانى فى أعالى الرافدين بجوار الجانب الشرقى للحيثيين فيقول: إن الملك الحيثى سـبليوليوماس " استغل اتفاقه مع الحريين فأخذ يرسم خططه على نطاق عسكرى أوسع أفقاً، فها هو ذا يعبـر الفـرات عنـد منابعه العليا، ولعل ذلك كان عند ملطية. فيجتاح **أرض عيسووه** المقابلة **التى كانت لا تزال تعتـرف بنفـوذ دوشراتا** على مايظهر. فأذل أهلها وأمن بإذلالهم على سلامة هذا الطريق البالغ الأهمية.. وأنجز اسـتعداداته فعبر الفرات بكامل قوته .. ثم انتهى به الزحف إلى مشارف واشوكانى Wassukkanni عاصـمة الميتـانيين نفسها، وهى التى **يُظن** أنها كانت واقعة عند منابع نهر الخابور " [٥٢].

أما نحن فلا نرى فى ذلك إلا مزيداً من الدعم لنظريتنا، **فأرض عيسووه** التى أشارت إليها نصـوص سبليوليوماس الملك الحيثى باعتبارها بلاداً **يحكمها دوشراتا** وان فيها عاصمة الميتانيين، لاتقع عند منابع نهر الخابور فليس هناك أى (عيسووه) بعد بحث وتقص دقيق استغرق وحده من بحثنا وجهدنا زمناً، إنما تقع بين

(٥٠) الويسى: اليمن.. سبق ذكره، ص ١٤٨

(٥١) جارستانج: إمبراطورية الحيثيين، ترجمة درينى خشبة، تاريخ العالم الثانى المجلد الثانى، النهضـة المصـرية، القاهرة، د.ت، ص ٨،٩.

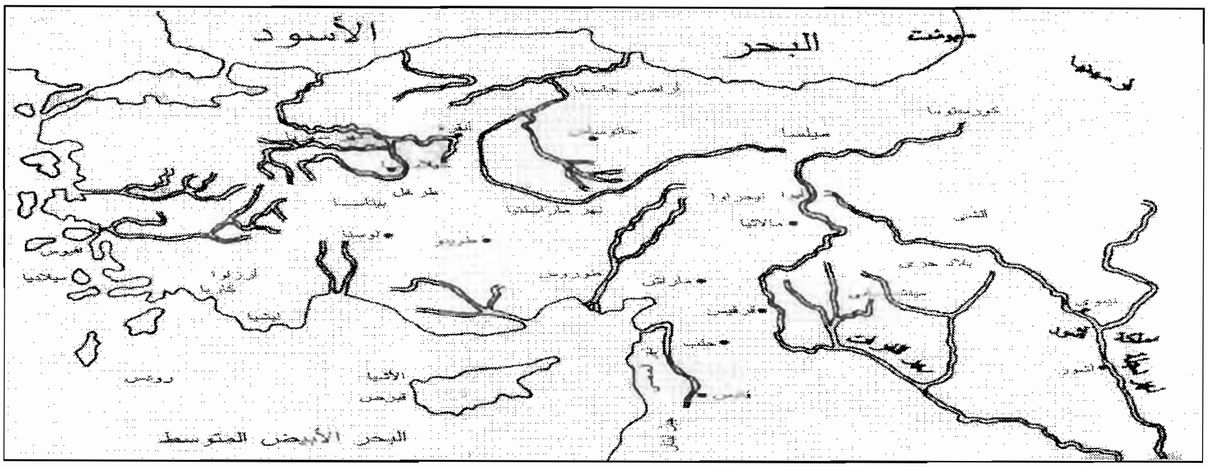
(٥٢) نفسه: ص ٢٥

البحر الميت وخليج العقبة فى بلاد مديان الآدومية فى بلاد عيسو/ آدوم. أما الطريق البالغ الأهمية فهو طريق التجارة العالمى الذى كانت تمسك بعنقه بونت / سالع البتراء.

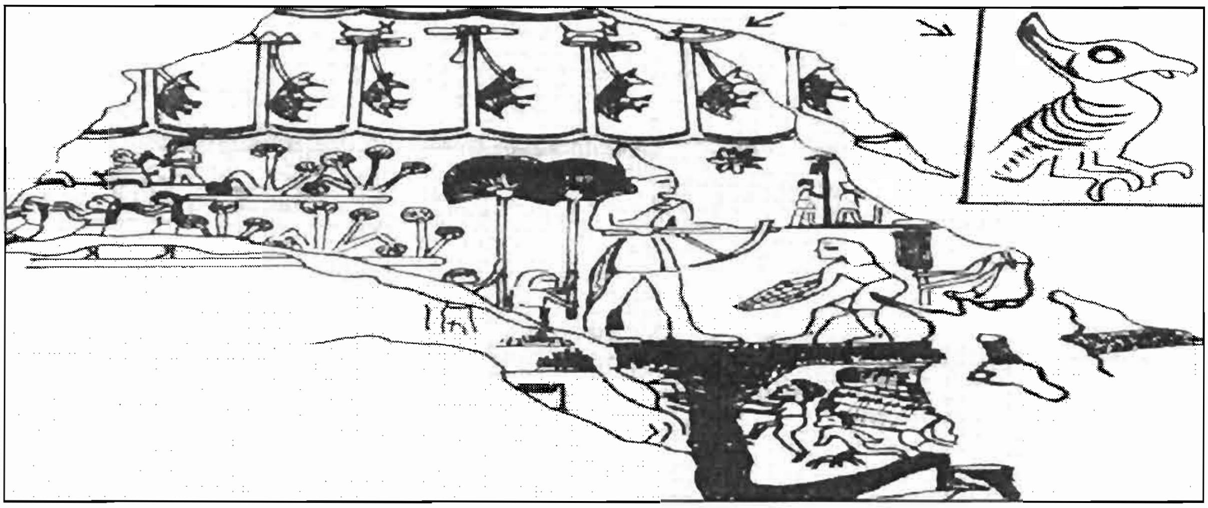
وهكذا نعرف كيف حدث التوحد قياسا على هذا النموذج المتأخر فهو توحيد ثان قاده ملوك الحيثيين، أما الأول فقد حدث بنفس الطريقة النموذج، فهبط الحيثيون واستولوا على عنق الطريق التجارى، وضموا تحت جناحهم تلك العناصر والشعوب، وقادوها لفتح دول الجوار الكبرى فيما عرفه البابليون بالكاسيين وعرفه المصريون بالهكسوس. وهناك، إلى الشرق من تركيا على البحر الأسود يقع الميناء المعروف حتى الآن باسم بونت، ثم منح الحيثيون سلسلة الجبال الكبرى شمالى الهلال الخصيب اسم جبال بونتس، ومن هناك هبطوا جنوبا مبكرين، ربما قبل أن تصل بقية الهجرات الكثيفة بأزمان، ليمنحوا منطقة العقبة ووادى عربة أسماء بلادهم القديمة، وهو الأمر الذى يعضد نظريتنا فى تحديد هذه المنطقة القديمة بحسبانها هى بلاد بونت التاريخية، وجاء الاسم (بونت) مع الحيثيين الوافدين من بلاد بونت عند البحر الأسود إلى شرقى سيناء/ آدوم.

أما أتباع مدرسة جارستانج ورفاقه فما زالوا يبحثون عن عاصمة بلاد الميتانى عند نهر الخابور فى الفرات الأعلى.

أما نحن فقد علمنا أن المصريين قد عرفوا محتلي بلادهم (الهكسوس) باسم الشاسو وأن الشاسو مزيج هجين من الكوشيين (الكاشو) الزنوج السبأيين القادمين من الجنوب والحاتوا (الحيثيين) الحوريين القادمين من الشمال وبين هذا وذاك تناثرت البطون والأفخاذ الشمالية والجنوبية عمورية جنوبية عملاقة وأرامية شمالية حمراء وكثير من العناصر المزيج. شكلوا ما يزيد على ثمانية وعشرين جنساً فيما أخبر المؤرخ (هوروشيوش)، ليتمركزوا في بلاد آدوم وينطلقوا منها لتكوين إمبراطورية تشمل المحيط جميعه، وهو الأمر الذي سيزدادتأكيداً ووضوحاً في الصفحات التالية من هذا العمل.



خريطة رقم (بلاد الحيثيين)



شكل رقم ()
طائر الزقزاق مشنوقاً على رأس دبوس قتال الملك العقرب، وهو المعروف بطائر السمان اليوم



طائر الزقزاق وأمامه المن العسلى (المن والسلوى؟!)

يفهم من المادة التى قدمها لنا (سليم حسن) أن مدونات الملوك الحيثيين قد ورد بهـا ذكـر الحـوريين مرات عديدة، كما جاء فى ذات المدونات حديثاً عن الخابيرو. ويقول (سليم حسن): إن تلك المدونات تفصح عن علاقات قوية ومتينة بين أولئك الذين حملوا فى تلك المدونات اسم (الحوريين) وبين أولئك الذين حملوا اسم (الخابيرو). وهكذا يبدو سليم حسن ميالا إلى **ربط الخابيرو بالحوريين**، أو التأكيد على أن المدونات الحيثية هى التى ترى ذلك، ومع ذلك يؤكد سليم حسن من جانبه أن الخابيرو كانوا من العنصر السامى بينما الحوريين من عنصر مخالف تماماً هو الهندوآرى[١].

وفى موضع آخر، وفى إشارة عابرة، يبدى ذلك المؤرخ الكبير دهشته من الانتشار الواسع للمواد الحورية بطول حوض المتوسط الشرقى وعرضه، دون سبب واضح، خاصة أنه ينظر إليهم كبقية المؤرخين بوصفهم شعباً منكور الشأن ينزوى على استحياء بين شعوب المنطقة. ويجد أن فنون الفخار الحورى تتطابق فى كل المنطقة فهى فى فلسطين كما فى أعالى الرافدين كما فى مصر كما فى قبرص. يضاف إلى ذلك أن مصر بداية من عهد الدولة الحديثة، قد أخذت تشير إلى فلسطين باسم بلاد حور/ حورى، مما يفيد بغلبة هذا العنصر على منطقة شرقى المتوسط[٢]. بل وصل مد الآثار الحورية حتى وجدناه ضمن آثار الحيثيين بشمالى الأناضول[٣].

إن ذلك جميعه يؤكد نظريتنا حول الإمبراطورية الحورية التى قامت بذرتها فى بلاد آدوم، ثم توسعت لتضم المنطقة جميعاً فيما عرفه التاريخ باسم إمبراطورية الهكسوس.. ونستعيد المشاهد الأولى لدخول الهكسوس مصر فى حديث (كاسيدوفسكى) وهو يؤرخ قائلا:

> فى حوالى ١٧٨٠ ق.م اجتاحت بلاد مصر أحداث ثورية عاصفة هزتها هزاً عنيفاً .. واهتزت القوة المصرية بشدة عانت فيها مصر من انهيار سياسى حقيقى. حلت بالبلاد كارثة رهيبة. فقد اندفعت من الشرق جحافل لا حصر لها من الجنود الأغراب، واجتاحت مصر كسيل جارف، وكان هؤلاء الجنود **يركبون عجلات سريعة تجرها الخيول ويحملون سيوفاً**

---

(١) سليم حسن: مصر القديمة .. سبق ذكره، ج٤ ، ص ١٩٥،١٩٤.

(٢) نفسه ص ١٨٢.

(٣) نفسه ص ١٨٧.

طويلة، ويلبسون دروعاً من حديد[٤].

ويضيف (سليم حسن) أن معدن البرونز المصنوع من سبيكة خليط من القصدير والنحاس، والذى ظهر فى مصر مع الهكسوس، كان معروفاً فى الأناضول منذ عام ٢٥٠٠ ق.م . وأن ذلك يعد فى علم التاريخ **من الحقائق الثابتة**. مع ملاحظات عدة أخرى تؤكد أن الهكسوس قد أتقنوا فى موطنهم الأصلى فن صناعة المعادن القوية بشكل لم تعرفه مصر من قبل [٥].

ويجد المؤرخون تبريراً معقولاً لسقوط مصر بحجمها المعلوم أمام – ما كان مظنونا أنه – شراذم بدوية، بكون هؤلاء كانوا " يتسلحون بأسلحة صنعت من **الحديد**. وهذه النوعية من التسليح لم تكن معروفة بعد فى مصر .. هذا إضافة إلى الصلافة والشراسة التى طبع عليها الهكسوس، من طول الحياة البدائية التى قضوها فى الصحراء " [٦].

وعن الحوريين تقول موسوعة تاريخ العالم: إنه " **كان أعظم عمل للحوريين، هو إدخال العربة ذات العجلتين التى تجرها الخيل إلى مصر وغربى أسيا** حيث أصبحت معروفة بعد عام ١٦٠٠ ق.م . عثر الباحثون فى سجلات بوغازكوى [عاصمة الحيثيين / المؤلف] على كتاب فى تدريب الخيول كتبه **أحد الحوريين** المعروف باسم كيوكولى ويحتوى الكتاب على كثير من التعبيرات الفنية الهندية ".

والمعلوم من علم التاريخ أنه " لم يظهر الحصان فى مصر حتى عصر الهكسوس عندما أدخل من أسيا لجر العربات أصلا "[٧] ويؤكد (بترى) أن الحصان قد ذكر فى لوح كارنافون باسم (حترو) **وهى كلمة حورية** تنبهنا إلى الأصل الحورى للحصان[٨].

وعن الحصان يحدثنا تشيلد: " إن الحصان له علاقة أصيلة بالأقوام الأرية والظاهر أنه يمكن اقتفاء أثر الكلمة المصرية والسامية الدالة على لفظ الحصان إلى اللغة الآرية وهى (أسوا) من السنسكريتية (آسفا). ومن الواضح أن الكلمة المصرية (سسمت) مشتقة من اسم الجمع العبرى (سوسيم) وكلمة سسمت لا تمثل إلا الحروف الساكنة للاسم، وحرف التاء فيها للتأنيث. وعلى أية حال فإن وجود وسيط سامى فى نقل الكلمة إلى المصرية، يجعلنا، نظن بعض الشئ أن **الجنس** **الآرى .. يحتمل أنه اختلط بعنصر سامى من بين الهكسوس.**

---

(٤) زينون كاسيوفسكى: الأسطورة .. سبق ذكره، ٧٧، ٧٨.

(٥) سليم حسن: مصر القديمة.. سبق ذكره، ج٤ ، ص ١٦٥.

(٦) جوليا سامسون : نفرتيتى، ترجمة مختار السويفى، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٩٨٢، ص ١٠٥.

(٧) جاردنر: سبق ذكره، ص ٥٧.

(٨) Petrie, Ancient Gaza, Landon ١٩٢١, p.٤

ولدينا كلمة أخرى هى **مــرين** ومعناها خيال وسائق عربة، والظاهر أنها تنتسب إلى الكلمة الميتانية مارينــا، وهذه الكلمة الأخيرة قرنت بالكلمة السنسكريتية **ماريا** ومعناها الرجل الفتى الشاب " (٩).

هكذا تجمع الدلائل إلى درجة القطع واليقين على أن الهكسوس هم أول من أدخل إلى منطقــة شــرقى المتوسط فن صناعة المعادن الثقيلة كالحديد، وأن معدن البرونز تحديداً كان معروفــاً فـــى بـــلاد الحيثيـــين بالأناضول منذ وقت مبكر. ولعلنا نتذكر الآن رسالة الملك الحيثى حتوشيليش الثالث لملك صديق يعتذر عـــن الوفاء بطلباته لأن موسم الحديد كان رديئا (١٠). ثم نلمس علاقات قوية بين الكوشيين الـــذين احتلـــوا بابـــل (الكاسيين) وبين الحيثيين، وصلت حد التضامن الكامل. فتضرب جيوش حيثى بلاد بابل لتتركها فريسة سهلة للكوشيين، مع علاقة أخرى طوال الوقت تجمع الحيثيين بالحوريين.

وإن نسبة الخيل والعربة العسكرية والحديد إلى الحوريين مرة، وإلى الحيثيين مرة أخـــرى، لا يشـــكل سوى مشكلة ظاهرية. لأن الحوريين الذين ظهروا فى فلسطين وآدوم يعودون بأصولهم إلى هجرة قدمت من منطقة أرمينيا ومحيط بحر قزوين، بينما تموضع الحيثيون إلى الغرب منهم مباشرة فى الأناضـــول. وهنـــاك رواية تاريخية تقـــول أن الحوريين قد سبق لهم التموضع فى الأناضول حتى ظهر الحيثيون وأزاحوهم مـــن هناك ودفعوهم جنوبا، لكن الواضح ويجب استنتاجه دون جهد هو أن هناك حلفاً قد قام بين كليهما، وأن كـــلا الشعبين: الحورى والحيثى قد تسربا جنوبا عبر نسيج هذا الحلف وخيوطه الرابطة، بحيث نجدهم يظهـــرون بالكتاب المقدس كشعبين من شعوب فلسطين وبلاد آدوم.

وهكذا يظهر بالتدريج أن منطقة آدوم التجارية قد استوعبت فى شريط ضيق لكنه طويل وهائل كل هذا التداخل التدريجى لشعوب هندوآرية (أرامية) قادمة فى بلاد أرمينيا، عنصـــره آرى (فارســـى)، ومكوناتـــه حورى وحيثى، فى حلف امتد على الخط التجارى العالمى القادم من أعلى بوادى الشـــام عنـــد الرافـــدين الأعلى، ممتداً عبر بوادى الشام وبلاد آدوم، مستمراً فى امتداده عبر بلاد الحجر والخط التجارى الحجـــازى الواصل إلى اليمن ليلتقى فى وادى عربة وجبال سعير حلفاء الشمال الأراميين بحلفاء الجنوب مـــن شـــعوب (عمورية) قادمة من جنوب الجزيرة العربية بصحبة العنصر الزنجى الذى عبر المندب إلى الجزيرة ببضائعه الإفريقية.

وحتى يتضح سر هذا التضارب علينا الآن العودة إلى مشكلة أصل الساميين، فقد نشأ القول بأن هنـــاك أصلا واحداً للمتكلمين باللغات الأكادية (بابلية وآشورية) وبالكنعانية والعبرية والفينيقية والأرامية والحبشـــية والنبطية والعربية، بحساب المشتركات اللغوية التى تجمع بين لغات هذه الشعوب. فجذور الأفعال فيها جميعاً ثلاثية، وتتطابق فيها جميعا الألفاظ الدالة على القرابة والعلاقات الاجتماعية، وهو ما يشير إلى مشـــترك أول جمع بينهم جميعا فى تنظيم المعاملات وبخاصة التجارية. وهو ما أدى جميعه بالعـــالم النمســـاوى لـــودفيج

---

(٩) Childe, The Aryans, New York, ١٩٢٦, pp ١٨،١٩،٨٣،١٠٩

(١٠) كارلتوكون: القافلة .. سبق ذكره، ص ٣٢٥: ٣٢٧.

شلوتسر عام ١٧٨١م إلى إعلان عام أن الشعوب التى تتكلم هذه اللغات تنحدر من أصل واحد أطلق عليها اصطلاح الساميين، وأنهم لاشك بهذا المعنى قد جاءوا من أصل وطنى قديم واحد هو وطن الساميين الأم.

لكن ماحدث هو أن الباحثين تضاربوا تضاربا هائلا عند محاولة تحديد هذا الوطن الأم الأصلى للعنصر السامى الذى انتشر فى حوض المتوسط الشرقى بدءاً من شرقى الدلتا المصرية وسيناء وآدوم وفلسطين وبوادى الشام وصولا إلى تركيا فى أقصى الشمال واليمن فى أقصى الجنوب. فذهب فريق كبير إلى أنهم قدموا من جزيرة العرب فى هجرات كبرى، ويمثل هذا الفريق الجانب الأعظم من العلماء الذين اهتموا بتلك المشكلة. ومنهم دى جوييه De Goege وشرادر Shradar ونكلر Wincklr وتيلى Tiele وماير Mayer وروبرتسون سميث Robertson Smith ولانج Samuel lang وسايس Wright Sayce وروجرز R.W. Rogers.

وخلاصة ما توصل إليه أصحاب هذا الرأى هو أن شبه جزيرة العرب لم تكن منطقة صحراوية جافة فى كل عصورها القديمة. فقد تعرضت لهطول أمطار غزيرة طوال عصر البلايستوسين (آخر العصور الجيولوجية) شأنها فى ذلك شأن بقية المناطق المدارية، ونتيجة ذلك غطتها الغابات والنباتات التى تسكنها المجموعات البشرية. وانتهى عصر البلايستوسين بأمطاره حوالى سنة ١٠,٠٠٠ق.م. وبدأ الجفاف يزحف على المنطقة لتحل الصحراء محل الغابات إلا حيث نحتت الأنهار لها مجار كنهر النيل ودجلة والفرات.

نتيجة لذلك بدأت تتضاءل إمكانيات الحياة وأضطر الناس إلى النزوح منها كلما زحف الجفاف والإجداب، وهو ما أدى إلى موجات متتالية من الهجرات من شبه الجزيرة إلى المناطق الخصبة على تخومها، وكانت آخر تلك الهجرات تلك التى جاءت مع الفتوح الإسلامية فى القرن السابع الميلادى وقد حملت هذه الهجرات لغتها معها وهو ما أدى إلى تعدد فى الشعوب السامية وتقارب فى اللغة سواء فى الألفاظ أو فى التراكيب أو فى التصريف.

وقد رتب أصحاب هذا الرأى هذه الهجرات استناداً إلى ما استنتجوه من شواهد تاريخية .. على النحو التالى:

١. الأكديون وقد استقروا فى وادى الرافدين فى الألف الرابعة قبل الميلاد.
٢. الكنعانيون بما فيهم الفينيقيين والأموريين وقد استقروا فى المنطقة السورية ووادى الرافدين خلال الألفين الثالثة والثانية قبل الميلاد.
٣. الأراميون وقد استقروا فى كل مناطق الهلال الخصيب والعبرانيون الذين استقروا فى المنطقة السورية فى النصف الثانى من الألف الثانى قبل الميلاد.
٤. الأنباط وبعض القبائل العربية الجاهلية وقد استقروا فى منطقة الهلال الخصيب بين القرن الثانى والقرن السادس قبل الميلاد.
٥. العرب المسلمون وقد استقروا فى منطقة الهلال الخصيب وشمال أفريقيا منذ القرن السابع الميلادى.

ويدعم هؤلاء نظريتهم بالقواقع الحجرية التى عثر عليها فى شبه الجزيرة وهى لاتعيش إلا فى الماء العذب، وبقايا عظام وأدوات حجرية تشير إلى وجود الماء والحياة فيما قبل التاريخ، إضافة إلى عدد من الوديان الجافة الآن مثل وادى الدواسر ووادى الرمة ووادى السرحان التى يحتمل أنها كانت أنهاراً عظيمة. هذا مع حيوانات وأشجار كانت معروفة فى جزيرة العرب أيام الكتاب الكلاسيك يونان ورومان ٥٠٠ق.م – ٥٠٠ ب.م أو الكتاب العرب وقد أندثر بعضها الآن مما يشير لاستمرار زيادة الجفاف والتصحر.

لكن أصحاب النظرية اختلفوا حول أى موطن كثيف فى الجزيرة كان يعيش الساميون، بعضهم رأى أنه اليمن وأنه من الخط المسند اشتقت سائر الخطوط التى كتبت بها الشعوب السامية. وبعضهم رأى ذلك الموطن هو شرقى الجزيرة على ساحل الخليج أما البعض الثالث فرأى أن موطن الساميين **هو حافة شبه الجزيرة الشمالية الغربية وهو ما يعنى محيط بلاد آدوم وسيناء** (١١).

أما الفريق الآخر من علماء الأجناس فقد نحى منحى مخالفاً ويعتمد أصحابه على أدلة لغوية تربط ما بين السامية وبين الأحباش للقول أن الجنس السامى جاء من أفريقيا الشرقية عبر باب المندب والبحر الأحمر **وأن أفريقيا هى أصل الساميين والحاميين معاً**، الساميون عبروا مضيق باب المندب إلى جزيرة العرب والحاميون عبروا عن طريق سيناء قدوماً من مصر(١٢).

أما الفريق الثالث فيذهب بعيداً تماماً ليأتى بالجنس السامى من أرمينيا حيث هضبة آسيا الوسطى، الوطن الأصلى للجمل، وقد جاء الجمل من هناك مع الساميين المهاجرين من جنوب شرقى وجنوب بحر قزوين مروراً بإيران(١٣).

وقد رأى الباحثون المحدثون أن افتراض فكرة موطن أصلى واحد ليس ضرورياً لتفسير التشابه والتقارب بين اللغات، **فليس ضرورياً أن تنتمى الشعوب التى تتقارب لغاتها إلى عنصر واحد ووطن واحد**، لأن هناك احتكاك دائم بين الشعوب خاصة فى تلك المنطقة المتوسطة من العالم وهى منطقة مفتوحة طوال تاريخها كما أن الاختلاط وتشابك المصالح غالباً ما يؤدى إلى ازدواج لغوى(١٤). ولأننا نعتقد أن ظهور الشعوب السامية لم يكن كما صورت النظريات الدينية تنحدر من أسلاف يعودون إلى أب واحد تفرقت منه البشرية إلى زنجى حامى وأسمر سامى وأحمر يافثى. بل نعتقد أن ما حدث هو العكس تماما، وهو الموافق لروح العلم حيث تلاقت أجناس متفرقة وتلاقحت فى مساحة جغرافية أفرزت عنصراً جديداً، وأن ذلك تكرر فى جهات متفرقة من العالم. وبين الشعوب التى ظهرت نتيجة التلاقح الجنسى كان ذلك **الشعب السامى الشمالى الذى حمل فى جيناته أصولاً حامية زنجية ومصرية، مع أصول هندوآرية وحملت لغته أصول لغات تلك الشعوب، وأن ذلك قد حدث فى سيناء وآدوم وبوادى الشام** ويبدو أن هذا التلاقى والتلاقح قد بدأ مبكراً

(١١)لطفى عبد الوهاب يحيى: العرب فى العصور القديمة، دار النهضة العربية،بيروت ١٩٧٩، ص ٥٨.

(١٢) نفسه: ص ٤٩: ٥١.

(١٣) نفسه: ص ٥٥، ٥٦.

(١٤) نفسه: ص ٧١: ٨١.

جداً وأقصى ما يمكن قوله هنا أن عنصراً زنجياً كان عبوره المندب بالمنتجات الأفريقية امتداداً طبيعياً للطريق التجارى الكبير ليصبح عضوا بعد ذلك فى الحلف الهكسوسى العظيم عندما يلتقى فى بلاد آدوم بالعنصر الهندوآرى القادم من برارى آسيا. وهو ما يفسر لنا كيف كان بانى زقورة بابل ملكاً حكم فى بابل باسم نمرود، ونمرود فى المأثور التوراتى والتاريخ الإسلامي زنجى أسود من أبناء كوش. ثم تقول لنا الوثائق التاريخية أن بانى البرج حمل اسما يحمل فى تكوينه حامية زنجية واضحة فهو (كوريكالزو)، وكان ضمن سلسلة حكام تأكد تاريخيا أنهم كانوا أقلية حاكمة على بلاد بابل.

ثم تفسر لنا تلك الرؤية انتشار العنصر الحورى الأرامى بطول المنطقة من الفرات الأعلى حيث تموضعت مملكة (أرابخا) الحورية. حتى المملكة الحورية فى آدوم، كما يفسر لنا انتشار العنصر الحيثى فى فلسطين، يحمل فيها سمات سيادية واضحة كما يظهر من قصة شراء إبراهيم مغارة المكفيلة منهم وسجوده لهم. ولايفوت فطن أن اسم المملكة الشمالية (أرابخا) بلسان هندوآرى ينطق عربيا دون التباس (**العربية**). ثم أن المنطقة التى هبط منها العنصر الهندوآرى تسمى الآن (البك) لكن اسمها التاريخى كان (آراب – خيتيس **Arrapa**-chitis[١٥])، وهى كلمة تحمل تصريفاً اسميا حاتيليا حوريا يشبه ما نراه فى نطق اسم الإله سيت باسم سيتتش أو سوتخ، فالكلمة ارابخيتيس هى (أراب) أو (**عرب**)!!

وقد نسبت التوراة الشعب العبرى إلى جد بعيد باسم (أرفكشد) أو (أربكسد)، وأعادت موطن هذا الجد إلى منطقة أرارات بأرمينيا، بحسبانه من أحفاد نوح حيث رست السفينة الأسطورية. وفى سلسلة أنسابها تؤكد التوراة أن هذا المكان مرموز له باسم (أربكسد) أو (أراب خيتيس) أصل لسلسلة من الأنساب العبرية والعربية فى نفس الآن (ولنلحظ أن عربى هى عبرى بالميتاتيز). ويحيطنا (آرثركيت Sir Arther Keith) أستاذ علم الأجناس – وفق المنهج الأنثروبولوجى – أنه قد " ظلت القوقاز وميديا [شمالى فارس/ المؤلف] وعامة منطقة بحر قزوين حتى العصور التاريخية القريبة نسبيا ١٠٠٠ – ٥٠٠ ق.م. **مجتمعات رعاة فى المقام الأول** رغم معرفتها بالزراعة". وقد أسفرت حفائر (ليونارد وولى Leonard Woolley) و(لانجدون Langdon) و (دى مورجان De Morgan) عن نتائج أساسية. هى أن **الرعاة وليس الفلاحين هم من نزلوا من بحر قزوين فى كل اتجاه بالمنطقة**، لامتلاكهم وسائل النقل السريع كالخيل والجمال، لأسباب ديموغرافية كالأنفجارات السكانية أو بسبب كوارث طبيعية كالجفاف، أو بسبب السيول كماسجلتها التوراة رمزيا فى قصة الطوفان"[١٦]. أما المؤكد عند (آرثركيت)، فهو أن **الجنس العربى المعروف الآن كان من أصول قوقازية تتكلم السامية**، مما يعنى اختلاطا شديداً بين السامى والآرى فى العنصر الجنسى وفى اللغة. وهو ما يمكنك ملاحظته فى مأثور التوراة وذكريات المحررين عن الجنس الآرى مرموزاً له بيافث بن نوح والجنس السامى مرموزاً له بسام بن نوح فتقول: " ليفتح الله ليافث فيسكن فى مساكن سام/ تكوين ٨ / ٢٧ " لكن ما يجب التنبيه عليه هنا هو أن هؤلاء الذين هبطوا من الشمال الأرمينى إلى بلاد آدوم، قد حملوا من أصل مواطنهم

(١٥) نولدكة: اللغات السامية .. سبق ذكره، ص ٢٢.

(١٦) لويس عوض: مقدمة.. سبق ذكره ، ص ١٠٧، ١٠٨.

إشارات لتسمية تلك الأصول (آرامية)، ومنهم كان أولئك القائلون " أراميا تائها كان أبى " ومنهم كان سكان وادى عربة الذين أعطوا للعرب اسمهم. وهنا يفيدنا زياد منى بأن المراجع العربية القديمة تعيد اسم العرب إلى **نشأتهم فى وادى عربة فنسبوا إلى بلادهم**(١٧). وذات المعنى يؤكده مظفر نادوثى إذ يقول عن اسم العرب وأصله البعيد: " نعرف أن هذه الكلمة أطلقت بادئ ذى بدء **على شمال جزيرة العرب** وليس على جنوبها .. ويبدو أن ما ذهب إليه الجغرافيون من أن **أول اسم سميت به بلاد العرب هو عرابة صحيح**، وقد أصاب هذا الاسم التحريف على مر الزمن فأصبح بلاد العرب، وتبع ذلك أن سمى الشعب باسم العرب نسبة إلى بلادهم، وتعنى كلمة عرابة فى كل اللغات السامية **صحراء**. ومعنى هذا اللفظ **فى العبرية حقل أو غابة** " (١٨). وهو ما يصادق على ما قلنا ويشهد على أن بلاد الغابة أو الأيكة كانت وسط الصحارى الصخرية فى بلاد وادى عربة.

ولما كنا قد قلنا أن تجمع الأحلاف كان فى وادى عربة، وأن الحصان والعجلة قد جاءا إلى المنطقة مع الهكسوس، فإن ذلك يفسر لنا لماذا تسمى العجلة حتى اليوم **عربة**، ولماذا يسميها المصريون **عربية**. وهنا نستمع لزياد منى يؤكد أن اصطلاح عرب واصطلاح عبر (عربى/ عبرى) بمعنى واحد هو البدو المرتحلين دوماً (١٩) أوكما قلنا (شاسو). وهكذا أعطى سكان عرابة لجنس العرب اسمه، بينما سكان جزيرة العرب أنفسهم كانوا لا ينظرون لسكان عرابة على أنهم أصلاء، بدليل أنهم أصروا على توضيح ذلك وتسجيله بالتفريق بين عرب أصلاء سكنوا جنوبى الجزيرة هم **العرب العاربة** أى الراسخة فى العروبية بتعبير ابن خلدون، وبين عرب دخلاء اكتسبوا العروبية اكتسابا عندما سكنوا بين العرب، واستحقوا اسم **العرب المستعربة** أى التى استعربت ولم تكن كذلك. ومقصود ذلك هو عروبة مكانية، عروبة الجزيرة، مقصود يرى الجزيرة موطناً للجنس العربى على امتداد تاريخه ولم تكن كذلك كما هو واضح.

ويقول المأثور التاريخى العربى أن العرب المستعربة أى القادمين من عرابة كانوا يتكلمون السريانية المتفرعة عن الأرامية الأرمينية. وفى الزمن الذى لم يكن العرب بلغتهم كعنصر مميز قد ظهر فى جزيرة العرب، كانت إشارات المؤرخين الكلاسيك عن العرب تشير فقط إلى وادى عربة. ثم اتسع المدلول بالتدريج ليشمل عرب سيناء والشام، ولم يتسع مفهوم المكان الجغرافى العربى ليشمل جزيرة العرب المعروفة الآن إلا زمن الرومان(٢٠). ولكن قبل ذلك، عندما لم يكن عرب آرام/ أرمينيا قد تواروا تاريخيا من أرمينيا، نقرأ عند اسخيليوس المسرحى اليونانى فى مسرحية Promethees السطر ٤٢٠ عبارة شديدة الدلالة، تؤكد أن معنى كلمة عرب أطلق فى مبدأ الأمر على أهل البرارى والخيول فى برارى أسيا (آرمينيا) قبل أن يمنحه مهاجروها لوادى عربة، ولنقرأ هذه العبارة البليغة تقول: " زهرة شباب **Arabia** يحمون بأسلحتهم الحصن

(١٧) زياد منى: جغرافية الجذور.. سبق ذكره، ص ٨٥، ٨٦.

(١٨) مظفر نادوثى: التاريخ الجغرافى .. سبق ذكره، ص ٥٨، ٥٩.

(١٩) زياد منى: جغرافية الجذور .. سبق ذكره، ص ٨٦،٨٧ .

(٢٠) لطفى: العرب .. سبق ذكره، ص ٩٨:٩٦، أنظر أيضاً عثمان : الشعر.. سبق ذكره، ص ١٠٣.

المنيع على **حدود القوقاز** " [٢١]. وهنا نقرأ ما ورد عند عبيدة بن شرية أن أحد أبناء سام بن نوح أنجب ولدين أحدهما هو **إرم الذى ينتسب العرب المستعربة إلى بنيه.**[٢٢] ومن جانبه يحيطنا فراس السواح نقلا عن طومسون قوله: " أما عن جزيرة العرب فيبدو أن اللغة العربية السامية قد جاءتها عن طريق فلسطين **وسوريا الجنوبية** فى أواخر عصرالبرونز المبكر وأوائل عصر البرونز الوسيط أى حوالى عام ٢٠٠ ق.م. " [٢٣].

أما التاريخ العربى نفسه فقد أعطى لسكان جزيرة العرب قبل أن تكون عربية وقبل أن تتكلم العربية اسم القحطانيين أى **عرب** الجنوب مجازاً، أما العرب الشمالية مع انفتاح الجزيرة الواسع دون حدود جغرافية مانعة حتى الأناضول، فقد حملوا اسم العرب العدنانية نسبة إلى جد باسم عدنان، يبدو أنه ترميز لأصولهم غير الجزيرية العائدة إلى أصول أسطورية توراتية، فى مكان أول لهم على الأرض كان منطلق البشرية باسم جنة عدن.[٢٤]

وهكذا تفسر لنا نظرية الحلف التجارى الكبير كثيراً من الغوامض والألغاز، مثل إصرار التوراة طوال الوقت على وجود عنصر زنجى كوشى فى محيط جنوبى فلسطين دون منطق واضح كاشف يبرر هذا التواجد هناك. فالكوشيون هم فى التوراة الأحباش الزنوج سكان أفريقيا السوداء تحديداً، لكنهم فى التوراة كثيراً ما يظهرون جنوبى فلسطين **كشعب له جيوشه.** وقد ذهب مرجليوث لتفسير نص التوراة الذى يقول إن الفلسطينيين والعرب الذين بقرب الكوشيين قد هاجموا جنوبى مملكة يهوذا، بأن المقصود بالعرب هنا عرب اليمن الذين بجوار الحبشة عبر مضيق باب المندب(؟!!) بينما ذهب موسيل Musil إلى أن المقصود هم عرب سيناء الذين بجوار المصريين باعتبار المصريين حاميين من أبناء حام الذى أنجب مصرايم وكوش، فهم المقصودون بالكوشيين[٢٥].

أما نحن فتفسيرنا هو هذا الكتاب جميعه.

كذلك تفسر لنا ذلك نظرية الحلف التجارى حكم الكوشيين لبابل، وأنهم لم يدخلوا فى معارك مع جيرانهم كعادة سكان الرافدين المفتوحة على محيطها مما كان يخلق دوماً توتراً عسكريا لحماية الحدود، وكان حكم الكاسيين أو الكوشيين فى الرافدين على اتصال حميم ودائم مع الجيران بالمنطقة، مما يشير إلى أن زمن حكمهم لبابل كان هو ذات زمن حكم الحلف لبقية المنطقة، كان هو ذات زمن الامبراطورية، بعد أن بلغ الأحلاف من القوة ما يسمح لهم بالخروج عن الشريط التجارى الطويل لاحتلال دول المحيط شرقاً وغرباً.

---

(٢١) لطفى: العرب .. سبق ذكره، ص ١٩٧.

(٢٢) وهب بن منبه: التيجان فى ملوك حمير، حيدر آباد، الدكن، ١٣٤٧ هـ، وعبيد بن شريه: أخبار اليمن وأشعارها وأنسابها، وكتابات الملوك وأخبار الماضين (ملحق بكتاب التيجان لوهب بن منبه) ص ٣١٦ – ٣١٩.

(٢٣) فراس السواح: أرام دمشق .. سبق ذكره ص ١٦،١٧.

(٢٤) نفسه ص٢٢،٢١.

(٢٥) لطفى : العرب.. سبق ذكره، ص ١٨٦.

وكذلك تفسر نظريتنا انتشار **التعدين فى أقصى آدوم بينما أصوله الابتداعية كانت فى أقصى الشمال الحيثى**. كما يفسر لنا مجئ الخيل والعربة العسكرية مع أسماء سامية وأسماء هندوآرية حيرت الباحثين الذين اعتبروا جزيرة العرب مهد الشعوب السامية، والإشكال أن طبيعة جزيرة العرب لايمكن أن تكون مهداً للحصان لأن الحصان والعربة فرز لا يصلح لفيافى الرمال، بقدر ما هو فرز مسطحات صخرية وجبلية صلبة كما فى الشمال الحيثى الحورى وكما فى بلاد آدوم الصخرية، حتى أن أهل الرافدين أطلقوا عليه اسم (آنشوكرا) أى حمار الجبل ولم يطلقوا عليه حمار الصحراء.

ثم يفسر لنا الحلف ذلك التوافق العجيب الذى أفرز فى النهاية لغة أرامية مشتقة من البابلية مكتوبة بالمسمارية كلغة عامة فى المنطقة ولغة مكاتبات رسمية، فقد كانت لغة الأحلاف التى تم التوافق عليها، فبدأت بابلية ثم تطورت إلى كارية / حورية عرفت بعد ذلك بالأرامية، أما الأعجب الذى أصبح مفسراً الآن وفق عملنا فهو الرصد الذى قام به لويس عوض ليكتشف **أن اللغة العربية فى كثير من مفرداتها وتراكيبها تعود إلى أصول هندوآرية** أما الأكثر عبقرية فهو أن تكشف لنا علوم اللغات كشوفا حديثة تؤكد ما قلناه، فالجنوب الحميرى أو الجنوب جزيرى الذى تدفق محتضنا زنج أفريقيا نحو الشمال بصحبة تجارته، كان عنصراً له لغة تختلف تماماً عن اللغة العربية التى جاءت مع عنصر وافد هبط جزيرة العرب من آدوم. وقبلها كان مجيئه إلى آدوم من أرمينيا، وهم العرب المعروفة باسم القيسية العدنانية، والباحثون يؤكدون لنا الآن " **أن اللغة الحميرية شئ، واللغة العربية شئ آخر، وأن الحميرية أقرب إلى الحبشية القديمة منها إلى العربية** " [(٢٦)].

ثم نعلم إلى أى حد تأثرت أطراف المنطقة بحدث الهكسوس عندما نكتشف مدى العلائق والمشتركات التى حدثت بين اللغة المصرية القديمة وبين اللغات السامية وبخاصة العربية، فذات الباحثين يقولون: " إن اللغة المصرية القديمة كانت تشترك مع اللغات السامية فى العديد من التركيبات الجوهرية، وإن كان بها بعض التشابه أيضا مع لغات إفريقية، مثل الصومالية فى الشرق والبربرية فى الشمال، فالمصرية تشترك مع السامية فى خاصتها الأساسية التى تجعل كلماتها تستخدم مصدراً واحداً غالباً ما يتكون من ثلاثة أحرف، كما تشتمل على كلمات مشتركة عديدة.. وتحتوى اللغة الهيروغليفية على أصوات اللغات السامية الأساسية، مثل الحاء والعين والضاد، لكنها لا تعرف حروف الثاء والذال والظاء مثلها فى هذا مثل العامية المصرية الحالية " [(٢٧)].

ومن ثم تتأكد لنا علاقة اللغة المصرية القديمة باللغة العربية (القاموسية) التى ظهرت واضحة طوال عملنا هذا، ويتم تفسير وجود ألفاظ مصرية أحصاها بعض الباحثين بـ ٣٠٠٠ مفردة مصرية قديمة دخلت

---

(٢٦) أحمد عثمان: فى الشعر الجاهلى واللغة العربية، مكتبة الشروق، القاهرة ١٩٩٦، ص ١٥.

(٢٧) نفسه ص ٥٥ ، ٥٧.

إلى العربية، ناهيك عن الألفاظ الهندوآرية الموجودة بالعربية، وكذلك المفردات التى تعود إلى لغات ساحل إفريقيا القادمة مع العنصر الزنجى.

وعليه فإن اللغة العربية الحالية لم تكن لغة جزيرة العرب، لأن تلك الجزيرة كانت لها لغاتها التى عرفناها بخط المسند بالجنوب اليمنى وهى غير العربية الشمالية التى جاءت جزيرة العرب مع العرب العدنانية المستعربة المتأثرة إلى حد بعيد بالمصرية القديمة، حتى تكاد تكون فى ٦٠% منها مصرية قديمة. وأن العرب العدنانية هم من منح جزيرة العرب صفة العرب، أما قبل ذلك وإن أردنا لغة الجزيرة حقاً قبل أن تأتيها عربية الشمال(مصرية + هندوآرية + اللغة الجعزية القادمة مع الزنوج)، فإن تلك اللغة القديمة للجزيرة كانت لغة اليمن أو لغات اليمن أو اللغة الجنوب جزيرية. أما العربية الشمالية القاموسية فالظل المصرى يغطى أكثر من نصفها حتى أننا لو بحثنا اليوم عن اللغة المصرية القديمة فسنجدها تغطى العالم (العربى) أما لو بحثنا عن اللغة القديمة لسكان الجزيرة فهى تلك التى كانت فى الجنوب اليمنى وانقرضت وأصبحت من مهام علماء الحفائر والاركيولوجيا.

كذلك تحل فرضية الحلف الإمبراطورى لغز وصول الحيثيين إلى (ألاشيا / قبرص) لأنها ببساطة كانت تابعة ضمن مجموعة جزر المتوسط للإمبراطورية الهكسوسية.

وفى ذات الجزر عثر على آثار للملك الهكسوسى خيان ملك مصر آنذاك، الذى يبدو أن زمن حكمه كان زمن أكبر توسع قوى للأحلاف الهكسوس فيقول (سليم حسن): " كان الملك خيان الذى جاء ذكره فى قائمة مانيتون وعلى الأثار أعظم ملوك الهكسوس الذين حكموا مصر، وقد ورد اسمه فى قائمة مانيتو على مايظهر باسم يناس Jannas وآثاره منتشرة فى جهات مختلفة. وقد عثر على جعارين عدة وأختام باسمه ومنها نعلم أنه كان يحمل الألقاب التالية: حاكم البلاد الأجنبية خيان، الإله الطيب خيان، الإله الطيب سوسرن رع، حاكم المجندين خيان، ابن الشمس سوسرن رع، ابن الشمس خيان.. وأهم ظاهرة فى حكم خيان هى وجود آثار له خارج القطر المصرى فى جهات نائية بعيدة جداً لدرجة أن **بعض المؤرخين ظن أن مملكته قد مدت أطرافها إلى تلك البقاع، فقد وجدت له آثار فى سوريا وفلسطين من جهة، وفى بغداد وكريت من جهة أخرى.** أما عن وجود جعارين باسم هذا الملك فى سوريا وفلسطين فلا غرابة فيها، لأننا نرى أن هذين القطرين كانا ضمن البلاد التى يسيطر عليها الهكسوس أيام عظمة مجدهم " [٢٨]. وفى كريت كشف الأثرى إيفانز فى أثناء الحفر بقصر كونسوس على غطاء آنية مرمرية باسم خيان [٢٩].

ثم لعلنا نذكر أن المصريين قد بنوا حائط الأمير الذى يصد الأسيويين وعابرى الرمال، فى الوقت ذاته الذى بنى البابليون سوراً عظيماً مماثلا باسم (مورق تدنم) أى الحائط الذى يصد الأموريين، مما يشير إلى تزامن فى انتشار الوافد الجديد بقوة.

---

(٢٨) سليم حسن: مصر القديمة.. سبق ذكره، ص٤، ص ٩١،٩٢.

(٢٩) Evans, The palace..., ١, p٤٩

والمؤرخ اليهودى (يوسفيوس) لم يعلم أن الإسرائيليين بطن آرامي صغير وظنهم ذات عين الهكسوس الذين حكموا مصر، وقال إنهم بقوا فى مصر مدة زمنية تصل إلى ٤٥٠ عاماً، والجميل فى هذا الشأن أنهــا ذات المدة التى أقرها علم التاريخ لحكم العنصر الكاسى/ الكوشى لبلاد بابل(؟!)

ويحكى لنا الكتاب المقدس عن زواج البطرك إبراهيم بعد موت زوجته سارة من امرأة فى النقب فــى محيط آدوم بقوله: " وعاد إبراهيم وأخذ زوجة اسمها قطورة / تكوين ٢٥ / ١ "، وأنجب منها شعب مــديان، ترميزا لعلاقات واضحة بالمديانيين.

ثم يحكى لنا أيضاً عن هروب موسى من مصر بعد قتله المصرى وزواجه من صفورة المديانية بنــت كاهن مديان رعوئيل/ يثرون.

ثم يأتى المؤرخ ابن العبرى فيلخص لنا الحدثين فى عبارات كانت غير مفهومة بالمرة، لكنها تصــبح واضحة فى بحثنا هنا، جمع فيها ابن العبرى ذكريات ذلك التاريخ المتناثرة، ليقول في نص شديد الأهمية لنــا رغم أنه كان من المهملات تماماً:

> فهرب موسى **إلــى أرض العــرب**، وتــزوج صــافورا **الزنجية** ابنة يثرون بن رعويل **المديانى** ابــن **ددان** بــن يقش بن إبراهيم من زوجته قطورا **التركية** (٣٠).

هل أصبحت شهادة ابن العبرى إذن ليست من تهريفات القدماء كما يوصف عــادة؟ ونحــن نعلــم أن الأرض التى هرب إليها موسى كانت بلاد مديان/ آدوم فى سيناء الشرقية عند وادى عربة، وهى ما يســميها ابن العبرى " **أرض العرب** " مصادقاً على كل ما قلنا، وفى هذه الأرض العربية أجتمــع ابــراهيم العبــرى **الأرامى** مع **الددانى** مع **المديانى** مع – وهنا كان الغريب غير المفهوم – **الزنج والأتراك** وهكذا لا يصــح أن نندهش لاسم ددان وهو اسم إله مصري لبلاد النوبة وما والاها من جنوب وهي بلاد الزنج، ولا لمعرفــة أن كلمة تركي في العربية تعني الجوال أو المشاء أو غير المستقر أبداً.

وهكذا عرف المصريون محتلى بلادهم وبلاد بابل باسم الشاسو وهم الكاشو أو الكاشين، وكان هــؤلاء الهكسوس عناصر خليط من شعوب متعددة تضافرت بطونه فى ثلاث أعراق واضحة استظلت بالثقافة واللغة المصرية: هى (النحسى الزنجى الكوشى الكاسى)، و(العمورى السبأي القــادم مــن جنــوب الجزيــرة) و(الهندوآرى الأرمينى الأرامى وتفاصيله فى العبرى والحورى والحيثى، القادم من برارى محيط بحر قزوين). اجتمعت فى دولتها المؤسسية التجارية ببلاد آدوم، وانطلقت عزماتها من بونت سالع البتراء عاصمتها الكبرى ، وحملوا فى بابل اسم الكاسيين وحملوا فى مصر اسم الهكسوس الذى ترجم مرة إلى الحكام الرعــاة ومــرة الملوك الرعاة ومرة الرعاة الأسرى ومرة شيوخ البدو، وفى رأينا أن أصدق ترجمة هى الحكام الشاســو أو

(٣٠) ابن العبرى: تاريخ مختصر الدول.. سبق ذكره، ص ١٧.

الكاشو من (حق = حاكم بالحق الإلهى = ملك) + (شاسو = كاشو = كوشى) فهم الملوك الكوشـيون، ولمـا كانت كاشو وشاسو تعنى المتحرك دوماً إشارة للبدو فهو ما يؤدى إلى ترجمتها (شيوخ القبائل البدوية).

وتشير المدونات القديمة وتفاسير المؤرخين أنه كان فى ذلك الحكم الهكسوسى طبقتان: طبقة دنيا مـن الجند المرتزقة من عناصر وقبائل شتى، وطبقة عليا هى الحاكم الفعلى المسيطر وكانوا غالبا مـن العنصـر الهندوآرى. ويؤكد لنا (جاردنر) أن اصطلاح حق شاسو أو حق كاشو أو كما دونه (حيق خاسه) يعنى رئيس البلد الجبلية، وان الاصطلاح يشير فقط إلى الحكام وحدهم وليس كما ظن يوسفيوس أنه يشير إلى الهكسوس جميعاً [٣١] هذا بينما اختلط فى نسيج الطبقة الدنيا الزنجى بالجنوب جزيرى بالهندوآرى.

ويؤكد ذات المعنى (زينون كاسيدوفسكى) فى قوله: " إن **الهكسوس** أنفسهم لم يشكلوا سوى **فئة قليلـة العدد كانت على رأس المقاتلين**، أما الجمهرة الرئيسية من هؤلاء فقد تألفت من شذاذ الآفـاق الـذين كـانوا يقطنون الصحارى والمغامرين والمتشردين.. وقد أظهرت التنقيبات الأثرية فى مدينة أريحـا أن الهكسـوس شغلوا هذه المدينة القديمة لوقت ما. وهكذا يجوز لنا أن نفترض **أن مستعبدى مصر كانوا يسـيطرون علـى فلسطين أيضاً** .. ويتوقع أن تكون عشيرة يعقوب قد جاءت مصر مع زحف الهكسـوس أو بعـد أن أقـاموا سيطرتهم فيها. وقد استُقبل يعقوب ومن معه استقبالا طيبا فى مصر **لأنهم كانوا أقرباء المحتلـين** .. ومـن جهة أخرى ليس من الصعب أن نتوقع أن الفراعنة الهكسوس لم يثقوا بالمصريين، وكانوا يثقـون بأنسـبائهم الأسيويين الذين يجمعهم معاً المنشأ واللغة " [٣٢].

وعليه نفهم تقسيم السيادة بين بقية عناصر سادة الإمبراطورية، فبينما تُركت بابل للسـيادة الكوشـية، وُضعت مصر تحت سيادة النخبة الحيثية التى كانت بظننا الجنس القائد للإمبراطورية.

ويؤكد ما ذهب إليه كاسيدوفسكى، أن التوراة تكشف عن علاقة حميمة بين سكان المنطقة السامية وبين قيادة الهكسوس التى احتسبناها حيثية، حيث تقول التوراة بترميزها عن عيسو/ آدوم " ولما كان عيسـو ابـن اربعين سنة اتخذ زوجة، يهوديت ابنة بيـرى الحيثى وبسمة ابنة إيلون الحثى/ تكوين ٣٤/٢٦ "، ثـم تتأكـد علاقة الحثى بالإسرائيلى فتفصح عنها الزوجة الأولى لعيسو / آدوم وكان اسمها (يهوديـت). فهـى حيثيـة تنتسب باسمها إلى رب إسرائيل يهوه.

وعلى ذكر مدينة أريحا، يمكننا أن نأخذها كنموذج واحد فقط يدلنا على عدد القبائـل المتعـددة التـى توحدت فى أخلامو الهكسوس، فيقول الكتاب المقدس عن المساحة من سيناء حتى الفرات الأعلى ..

من البرية ولبنان هذا إلى النهر الكبير نهر الفـرات.
جميع **أرض الحيثيين**.

---

(٣١) جاردنر: مصر القديمة .. ص ١٤٩.

(٣٢) زينون كاسيدفسكى: الأسطورة.. سبق ذكره، ص ٧٨،٧٩.

يشوع ١ / ٤

ثم يعدد لنا سكان أريحا على أصولهم فيقول:

أصـــحاب أريحـــا: **الأموريـــون**، والفرزيـــون، **والكنعانيون، والحيثيون**، والجرجاشيون، **والحويون**، واليبوسيون.

يشوع ٢٤/١٢،١١

أما أقرب مصرولوجيست إلى ما قلناه حتى الآن فهو مارييت Mariette الذى قال عبــارة عــابرة لــم يكررها أو يستفيض فيها في صدفة عبقرية:

إن قبائل الهكسوس كانوا **أخلاطا** من العــرب وأهــل الشام وأكثرهم من الكنعانيين كمـــا ذكـــر مـــانيتون، وكانت أكبر قبيلة حاكمة عليهم تسمى بالقلم الهرمسى **خيتا** وفى التوراة هم **الحيثيون** وفى التواريخ العربية العمالقة(٣٣).

ولا يغرب على عين فاحصة أن تلحظ منقار الببغاء الأنفى أو الأنف الببغائى المقوس القادم من الشمال الأرمينى الحورى الحيثى، فى سمات العنصر الإسرائيليوفى الآدوميين وعرب الحجاز الشمالى المســتعرب حتى الآن. وكان هبوط هذا الأنف إلى الحجاز فى رأينا قد جاء بعد تشتيت قوة الهكسوس على يــد أحمــس وملوك مصر الذين خلفوه، فتشرذمت قواهم ليهبط بعضها الحجاز وتبقى بعضهم فى البلاد الحيثية والبابليــة متماسكا ليستمروا هناك زمنا أطول وصل إلى مايزيد على أربعة قرون. ويدعم رؤيتنا حديث التــاريخ عــن عدم توافق بداية الحكم الكوشى فى الرافدين مع نهاية الأسرة البابلية الأولـــى، واحتمــال أن يكــون الحكــام الكاسيين السبعة الأوائل قد حكموا خارج بلاد بابل، لأن ذلك يلتقى مع ستة ملوك هكسوس حكمــوا مصــر خلال ١٠٨ سنة على التوالى فيما يقول لنا علم المصريات الحديث. ويبدو أن الهكسوس قد نقلــوا عاصــمة الإمبراطورية إلى مصر إبان احتلالها وقبل طردهم منها. ويزيدنا دعما أنه بعد التحرير تأتينــا مــن مصــر أخبار: أن أمنحتب الثانى واجه عصيانا فى بلاد الشام، وكان رؤساء ذلك العصيان يحملون **اســماء حوريــة** (٣٤)، لقد كان الهكسوس الحوريون مازالوا حتى زمن آمنحتب الثانى سادة فى الهلال الخصيب.

وتحمل العجلة التى تجرها الخيل القادمة من برارى قزوين لتتمركز ردحا فى وادى عربــة فتصــبح (عربة) أو فى اللسان المصرى (عربية) بدلالة لاتحمــل لبسا فيما وصلنا إليه من نتائج حول مركز تجمــع قوى الهكسوس مركزيا فى وادى عربة، حيث من هناك هبط جنوباً فرع أرامى أرمينى هو الفرع الإسماعيلى

---

(٣٣) غطاس الخشبة: رحلة .. سبق ذكره، ص ١٣٤.

(٣٤) سليم حسن: مصر القديمة.. سبق ذكره، ج٤،ص ١٨٤.

ليسكن الحجاز ويستعرب كما ظن المؤرخون العرب أنه استعرب. بينما هو من منح الجزيرة عربيته ولغتــه العربية التى تقبع فى ثناياها اللغة المصرية القديمة فصيحة. بينما كانت ذكريات المنطقة تتواتر فى مــدونات التأريخ العربية فيقول برهان الدين الحلبى راوى السيرة: " إن إسماعيل عليه السلام **أول من ركب الخيــل**.. وقد قال (ﷺ) اركبوا الخيل فإنها **ميراث أبيكم إسماعيل** " [٣٥].

وهنا ينبه (لويس عوض) فى قراءته لتاريخ الهكسوس إلى أن اصطلاح (حق – كاش) الذى يقرأه (حكا خاز Heqa - Khase) يرتبط فونيطيقيا باسم الحجاز بجزيرة العرب، ويرى أن " الهكسوس لم يأتوا إلى مصر من الحجاز ومن شبه جزيرة العرب، وإنما استقروا فيها بعد طردهم من مصر، أما المنبــع البشــرى الــذى تدفقوا منه على الشــرق القديم، ثم عبروا إلى مصر سواء على مراحل أو دفعة واحدة، فهو.. حــول **بحــر قزوين**. وربما كان هذا المنبع ذاته مجرد محطة وسطى استقروا فيها زمناً منذ هجرتهم من وسط أسيا، شأن كافة القبائل التى كانت تسمى **آرية وطورانية وسامية**. والهكسوس إذن ليسوا بنى إسرائيل، **إنما بنو إسرائيل على الأرجح قبائل دخلت كنفهم ثم طردت من مصر بعد رحيل الهكسوس** بقرون .. ولعل بنى إسرائيل هــم العمو Ammou التى كثيراً مايرد ذكرها مع الخازو Khasou أو الهكسوس فى النقوش المصــرية القديمــة، وكانت متمركزة معهم فى شرق الدلتا بصفة أساسية " [٣٦].

ورغم بعض الخلط عند الدكتور عوض، فإن التقاطه تطابق اسم الهكسوس مــع اســم الحجــاز، وان الحجاز قد اكتسب اسمه من الشراذم المطرودة من مصر وهبوط بعضهم إلى شمالى الجزيــرة، هــى لقطــة شديدة الإضاءة والتميز. ثم نتذكر فرع (سمعل) أو (إسماعيل) الأرامى ومملكة بيت عدن أو أدنى أو آدون أو عدن، والإله الذى كان ينتشر شرقى المتوسط باسم عدن أو أدن أو أدونيس ويعنى الرب أو الســيد مــرادف البعل. ونجد الإسرائيلى ينادى ربه بالتوراة: أدوناى أى ياسيدى ولم تزل أدون بمعنى سيد فى العبريــة مــن الأصل عدن أو السيد الرب الذى تنسب إليه قصة جنة عدن، التى تتحدث عن ذكريات عالم سعيد عاش فيــه الأسلاف تحت رعاية ذلك السيد، قبل أن يغضب عليهم فيشتتهم من جنته رباعية الأنهار، **وهى الجنة التى لو دققنا فى مواصفاتها الجغرافية بالتوراة لأعطتنا مساحة الإمبراطورية الهكسوسية من دجلة والفرات إلــى نهر النيل.**

وربما كان سيجموند فرويد محقا وهو يربط الاسم الإلهى آدون باسم الإله الذى تبناه أخناتون وعــرف باسم (آتون) والذى يلتقى مع اسم بلاد **(آدوم)** قياسا على استخدام التوراة كما فى عمران وعمرام. كما تلتقى مع الذكريات الأسطورية للإنسان الأول فى جنة السيد المعروف باسم (آدم) وهى تســمية الجنــوب اليمنـــى لسكان بلاد آدوم كما أسلفنا التوضيح، ومن ثم كانت بلاد آدوم هى بلاد آدون أوبلاد آتون وبلاد عدن. وكانت

---

(٣٥) على برهان الدين الحلبى: السيرة الحلبية فى سيرة الأمين المأمون إنسان العيون، دار المعرفة، بيــروت، د.ت، ج١، ص ٣٠،٣١.

(٣٦) لويس عوض: مقدمة .. سبق ذكره، ص ١١،٢٢.

تقع شرقى مصر حيث تشرق منها الشمس على مصر كل يوم لذلك استحقت أن ينعتهـا المصـريون باسـم أرض الإله لأن (آتون) في المصرية القديمة كانت تعني قرص الشمس وتنسب تلك الأرض أيضاً للإله سـت الذي يمنع أبوفيس في الأسطورة المصرية من ابتلاع الشمس.

وبين سكان تلك البلاد الآدومية أو الآتونية أو العدنانية كان العنصر القادم من بلاد أرابخيتيس أو بـلاد (عرب) الذين هبطوا وسكنوا الحجاز مستعربين، وفق رأى يرى جزيرة العرب هى موطن العرب وأن مـن دخلها واستوطنها استعرب، لكن مانراه قد حدث هو العكس حيث منح هؤلاء اسمهم أولا لوادى عربـة ثـم منحوه لجزيرة العرب عندما استوطنها. ومن هنا احتسب الرأى العربى فى كتاباتـه التاريخيـة أن العـرب الأقحاح هم عرب الجنوب، أما عرب الشمال الوافدة فهى ليست من أصول عربية إنما استعربت. رغـم أن امتداد الجزيرة مستمر حتى بلاد الأناضول دون عوائق جغرافية حتى أن اصطلاح جزيرة العرب جغرافيـا يدل على المنطقة من المحيط الهندى حتى جبال زاجروس شمالا.

وقام النسابة العرب ينسبون المستعربة إلى جد أسطورى بعيد باسم عدنان على وزن فعلان من (عدن). والكلمة عدن معرفة بلسان الجنوب بأداة تعريف هى (ن) تلحق بآخر الكلمة، كما فى (رحمن) و (رحمـنن)، فالكلمة عدن فى أصلها غير المعرف هى (عدّ) و (أدّ) و (حدّ) والإله حداد هو أدد أيضـاً ويمكـن أيضـاً ببساطة أن تكون (ودّ) دون خلل، ونحن نذكر الإله البعل حداد أو هداد أو أد كما لا شك نعـرف الإلـه (ود) الذى عبد فى بلاد آدوم وجزيرة العرب على نطاق واسع، وهو ذات الإله البعل حدد أو عدّ.

وهو ما يستدعى آيات القرآن الكريم التى كانت تحدثنا عن مدينة كبرى اشتهر أمرها فـى العصـور الخوالى فى دولة مركزية كبرى أطلقت عليها الآيات اسم (عاد إرم ذات العماد)، ويؤيدنا تماماً هنا **أن (عاد)** عند ابن قتيبة الدينورى **هو اسم علم لأب قبلى**، يعطينا اسمه موافقا لكل ما قلنا فهو **(عاد بن عوص بن إرم)** فعاد هنا قبيلة من نسل عيسو وعيسو من نسل إرم. وإرم تلقى بنا فى عمق التاريخ مع الآراميين القادمين من أرمينيا، ومع الإرم بمعنى الصخرة والصخرة عاصمة آدوم.

وبشأن عاد والعماد نقرأ لسان العرب فيطالعنا تحت مادة (عدد):

> العد هو **الكثرة** .. عادّ هـم الشـئ **تسـاهموه بيـنهم** فسـاواهم .. والعدائد.. **الشراكة**. ويعنى ابن الأعرابى بالشركة جمع شريك، أن **يقتسموها** .. والعديد **الـذى يعد من أهلك وليس معهم** .. والعد ماء الأرض الغزير .. وعدان **الشباب والملك**.. ومعد **أبو العرب** وهو معد بن عدنان.

ثم نستطلعه كلمة العماد فتأتينا فى مادة عمد فى قوله:

العماد الأبنية الرفيعة.. وفى قوله تعالى: إرم ذات العمـاد

قيل معناه **أى ذات الطول** .. ورجل طويل العماد إذا كــان معمداً **أى طويلا** .. وعميد القــوم وعمــودهم ســيدهم .. والعمود القضيب **الحديد** .. والمعمــد والعمــد والعمــدان والعمدانى **الشاب الممتلئ شبابا** وقيل هو **الضخم الطويل**..

والرباعى منه عمرد:

والعمرود والعمرد: الطويل، يقال **ذئب** عمــرد .. ويقــال العمرد الشرس السيئ الخلق .. والعمرد **الذئب الخبيــث**.. والعمرد **السير السريع** الشديد.

والثلاثى منه عود:

وعاد قبيلة وهم قوم. قال: هود الليث: وعاد الأولى هم عاد بن عاديا بن سام بن نوح الذين أهلكهم الله .. أمــا عــاد الأخيرة فهم بنو تميم ينزلون رمــال عــالج، **عصــوا الله فمسخوا نسناسا**.. والعيدية ضرب من **الغــنم والعيدانــة النخلة الطويلة**، والعيدانة **شجرة صلبة قديمة**..

وهى جميعاً المعانى التى جمعت فأوعبت قصة أولئك الذين تحالفوا ولم يكونوا على قرابات أصيلة، مع صورة واضحة للمكان وللبشر ومايلفت النظر تكرار صفة الشباب الممتلئ شبابا لدى العاديين، وهى ما يلتقى مع تلك الصفة فيهم والتى سجلها عنهم التاريخ، عندما قال أن قواد الخيول الأرامية يسمون ماريانو أومرين، لذلك نعود إلى اللسان نقرأ تحت مادة: مرن

مرن: لين فى صلابة.. قال ابن بــرى: صــوابه معــك بالكاف، يقال رجل معك أى **مماطل** (نتذكر هنا أرام معكة الأرامية وصفه تجار شعب الأيكة المماطــل/ المؤلــف).. ومرنه عليه فتمرن: دربه فتدرب .. والمرن الأديم الملين المدلوك (نتذكر أن الأديم هو التراب الأحمر صــفة بــلاد آدوم / المؤلف).. والمارن: الأنف، وقيل طرفــه، وقيــل المارن ما لان من الأنف منحدراً عن العظم وفضل عــن القصبة.. **وبنو مرينا.. هم قوم من الحيرة.. وليس مرينا بكلمة عربية.**

ويقترن الحديث فى الآيات عن إرم ذات العماد وقومها عاد بالحديث عن الذين جابوا الصخر بــالواد، أى الذى حفروا (جاب = حفر) فى صخر الوادى وهو ما يحيل إلى بلاد آدوم، وربما أحالت إحالة قوية إلــى

الجوبان أى الارتحال وهو ما يذكرنا بقول التوراة: " أراميا تائها كان أبى ". لكن الغريب هنا أن تقترن قصة عاد إرم فى الآيات بفرعون الطاغية، وهو ما انتهى بكارثة قضت على قوم عاد أو العاديين أو(عدن). وهو ما يستدعى ما جاء فى تاريخ هروشيوش عن النار التى أحرقت بنط بوليس أو بلاد بونت أو البلاد الخماسية، لأن (بُنت) ايضاً تعنى باليونانية رقم خمسة، ومنها جاءت تسمية التوراة بالأسفار الخمسة (بنتاتك/ Pentateuch)، ثم نجد تفسير معنى بونت/ الخماسية فى الكتاب المقدس الذى يفيدنا أن مدائن بلاد آدوم فى وادى عربة كانت خمس ممالك هى سدوم وعمورة **وأدمة** وصبوييم وبالع، وتحمل بالع أحيانا اسما آخر هو صوغر (سفر التكوين ١٤ / ٨). وتقع صوغر باسمها هذا حتى الآن جنوبى البحر الميت مباشرة (صغر).

ونستعيد الاسم الذى أطلقه الكاسيون على بلاد بابل عندما احتلوها فهو (كاردونياش)، أى قطر الإله (دون – ياش) مع التصريف الاسمى، وبدون هذا التصريف تصبح (دون) أو آدون أو عدن أو أدن أو آتون أو (دان) أى الإله السيد القاضى.

وإذا كان معنى (عد) فى اللسان هو كثرة يتساهمون فى شركة يقتسمونها، فقد كان معناها أيضاً الشباب والملك والسيادة، ومن الكلمة جاء اسم معد بن عدنان أبو العرب. وكلها من الأصل الثنائى (عد) مما يحيل إحالة قوية إلى أن الاسم (عدن) هو من الأصل (عد) بعد حذف أداة التعريف الجنوبية (ن)، وعليه فقبائل عاد هى قبائل عد أو الإله عد، أو ودّ، أو آدون، أو عدن. القرآن الكريم إذن يقرن عاد بإرم فتكون عاد إرم، أو **(أدإرم)**، وذكر الجغرافيون الإغريق هذا الشعب تحت اسم **(أدرميتاى)**، وقد ظن البعض أن تلك الكلمة اليونانية Adramitae تعنى حضرموت، وهو التباس وخطأ واضح حيث أن حضرموت كانت تكتب باليونانية Chataramotitae وهى غير أدراميتاى التى تتركب من مقاطع هى على الترتيب.

Ad عاد

Ram إرم

Tae شعب أو قبيلة

= قبيلة عاد إرم

وفى إشارة عابرة لا تحمل كل ما قدمنا من جهد، يقول المؤرخ الفرنسى سدل Sadles على محمل الظن والصدفة فى كتابه (تاريخ بلاد العرب):

" إن عاداً قد امتلكت مصر وبابل سنة ٢٠٠٠ ق.م. وقد عرفوا حينئذ بالهكسوس " (٣٧).

ثم نلحظ أن كلمة (عاد) فى العبرية تعنى: مرتفع، وشهير، وهو ذات معنى كلمة إرم وكلمة سام فى العربية فهى الصخرة والتل المرتفع الشهير. وقد وصف الجغرافيون اليونانيون موضع سكنى هؤلاء فقالوا إنه

(٣٧) مظفر نادوثى: التاريخ الجغرافى ... سبق ذكره، ص ١٣٥.

كان على خليج العقبة، وأطلقوا عليهم اختصاراً اسم Oaditae أى العاديين، وبعدهم جاء بطليموس ليقول فـــى زمانه (أى بعد عودتهم جنوبا) أن العاديين قد أصبحوا سكان بلاد اليمن (٣٨).

وإعمالا لكل ذلك فقد وفد إلى وادى عربة العرب القادمون من آراب خيتيس وهم آريون مع القـــادمين من الجزيرة التى عرفت بعد ذلك بجزيرة العرب. وفى وادى عربة يلتقون بالكوشيين. ويفيدنا سميث أن أول ما ذكر اسم العرب ذكر منسوبا إلى وادى عربة وسكان هذا الوادى المعروف باسم عرابة وهى الكلمة التـــى تحمل معنى صحراء فى كل اللغات السامية إلا فى العبرية فمعناها غابة (٣٩). وهو ما يعني أن العبريين كانوا يعرفون أنها أيكة. وبهبوط شراذم من هذا النسيج إلى جزيرة العرب أعطى الجزيرة اسمها فانقسم أهلها إلـــى أصيل ووافد: عرب قحطانية عاربة وعرب عدنانية مستعربة، أو عرب يمنية وعرب قيسية والقيســـية هـــى المستعربة، وقيل فيهم قيسية نسبة الى جد بعيد باسم قيس، وخلال التاريخ بطوله نجد تنافســـا شـــديداً داخـــل جزيرة العرب وصراعات طويلة بين اليمنى والقيسى يمتد حتى اليوم. ويمن فى العبرية تعنى جنوب وقـــيس تعنى شمال ولاشك أننا لم ننس أن هؤلاء **القيسيين** الشماليين كانوا يحملون فـــى منظومـــة الأخلامـــو اســـم **الكاسيين** الذين احتلوا بابل.

وهنا أسجل إضافة هامة فقد زارنى فى بيتى بالهرم يوم الخميـــس ١٩٩٦/٣/٧ العالم الجليـــل علـــى فهمى خشيم إبان زيارته لمصر، وهو رجل قد تخصص ببراعة تستحق الإكبار فى كثير من اللغات القديمـــة وبخاصة المصرية القديمة وقد اعتمد كتابنا كثيراً من تخريجاته المبهرة وتحادثنا طويلا وجرنا الحديث إلى ما أكتبه الآن بين يدي قارئي وجاء ذكر لغز الملكة بلقيس. ذلك الاسم المتواتر فى كتب التراث باعتبـــاره اســـم الملكة التى زارت سليمان. رغم أنه لم يذكر أبداً لا بالكتاب المقدس ولا بالقرآن الكريم. وطرح الدكتور خشيم فهما جديدا لاسم بلقيس فاقترح أن يكون كلمة مركبة من ملصقين الأول هو بعلة أى سيدة أو ربـــه أو ملكـــة والملصق الثانى هو قيس فهى بعلة قيس، وبالتخفيف سقطت العين لتصبح بلقيس. وهو التخريج الذى يلتقـــى بشدة مع كل ما وصلنا إليه فى تناغم مدهش رائع.

وهكذا كان سقوط كثير من المعلومات التاريخية فى مصر إبان الفترة غير الكتابية زمن إمبراطوريـــة الهكسوس، قبل أن يأخذوا الخط البابلى ويطوروه إلى الأرامية الذى تطور بعد ذلك إلى نبطية، مدعاة لألغـــاز كبرى فى التاريخ، يمثلها تأريخ (إحسان عباس) فى كتابه عن الأنباط سكان جبال سعير السراة ووادى عربة إذ يقول:

> مع أن الأنباط عاشوا علـــى المشـــارف الشـــمالية مـــن الحجاز، فليس لهم أى ذكر فى مصـــادرنا العربيـــة، .. عرف العرب .. من يدعون **النبط بـــأنهم أهـــل ســـواد العراق**.. أو السكان الأصليون فى الشـــام والعـــراق ..

---

(٣٨) نفسه : ص ١٨٤،١٨٥.

(٣٩) نفسه: ص ٥٩.

وعرفوا أنهم حاذقون فى الزراعة وعمارة الأرضين وفى استنباط المياه **واستخراج المعادن**، وأن لهم لغة خاصة بهم هى النبطية، أى الأرامية والسريانية، **وكل هذه الخصائص التى ذكرت تنطبق على أنباط** بترا.. **ولعل العرب عرفوها باسم آخر**.. إن عرب الجنوب أنفسهم الحريصين على التدوين، لم يذكروا اسم النبط فى رقمهم المنقوشة، مع أن الأنباط كانوا على الدوام يعاملونهم تجاريا. نعم عرف العرب الجنوبيون ن . ب . ط لقبا لشخص، و ن . ب . ط / ك . ر . ب علما على آخر، أو ن. ب . ط . م اسما لعلم أيضا، ولكنهم لم يعرفوا قوما بهذا الاسم، مما قد يرجح **الافتراض بأن يكون أنباط بترا قد عرفوا باسم آخر** ترجيحا قويا.. ومن الباحثين من ربط بينها وبين لفظة **نبايوت** .. ومنهم من قرنها بلفظة النبياتيين والنبأيتى التى وردت فى مدونات تجلاتبلاسر الثالث، وفى مدونات أسر حادون، ومن بعد لدى آشور بانيبال. ويبدو أن اللفظة كانت تشير إلى **قبيلة آرامية** كانت تعيش فى القرن الثامن ق.م، ويقرن بالأنباط عادة شعبان هما: الإيديوميون أو **الآدوميون** وبنو قيدار، وقد كانت بلاد الإيدوميين منطقة يمثل حدها الشرقى – على وجه التقريب – خط ما أصبح يسمى طريق الحج من دمشق إلى مكة، وربما كان وادى العريش هو حدها الغربى، أما جنوبا فقد كانت المنطقة تمتد حتى رأس خليج العقبة، ويقف حدها الشمالى عند النهير المعروف اليوم بوادى الإحسى، وهو يجرى إلى الشمال الغربى مخترقا غور الصافية / الصافى، ويصب فى الطرف الجنوبى من البحر الميت (٤٠).

وهنا علينا أن نقدم اجتهادا واضحا يفسر السر وراء ذلك التحول الكبير لمنطقة بلاد آدوم، ونشوء ذلك الخط التجارى العظيم فى المنطقة، وأننا نعتقد أن ذلك قد حدث تحديداً مع هبوط العنصر الأرامى الحيثى الحورى القادم من برارى آسيا منطلق هجراته الأولى، والذى جاء معه بثلاثة أعمدة كانت أساس ذلك التحول

---

(٤٠) إحسان عباس: تاريخ دولة الأنباط .. سبق ذكره، ص ١٧:١٩.

نحو إمبراطورية تجارية مركزية. الأول منها هو الجمل ذلك الحيوان الذى حل مشكلة النقل التجارى من أطراف المحيط الهندى جنوبا حتى تركيا شمالا، حيث لم تعرف بلاد الشرق المتوسطية الجمل إطلاقا قبل ظهور الهكسوس فى المنطقة، وكان مجئ الجمل إيذانا بنقل تجارى أسهل وأقل مخاطرة من الإبحار فى البحر الأحمر، ذلك البحر الملئ بنتوءاته الصخرية والمرجانية مع سفن بدائية. وجاء مجيئ الجمل عوضاً حميداً عن تلك المخاطر فالجمل الواحد يمكنه حمل أربعة قناطير (أى ما يقرب من حمولة سفينة كاملة حينذاك) يقطع بها ستين ميلا فى اليوم فى الصحراء (وبذلك يكون أسرع من أى سفينة بحرية)، زد على ذلك أنه بإمكانه أن يسافر عشرين يوماً بدون ماء فى درجات حرارة عالية (وهو غير متوفر بالسفن البحرية)، ثم يمكنه أن يسافر أكثر من ذلك إذا أُعطى شيئاً من الكلأ الأخضر، ويمكنه أن يواصل السفر لخمسة أيام أخرى بدون كلأ أو ماء قبل أن يموت [41].

وعليه فقد صدق التعبير (الجمل سفينة الصحراء) الذى لا شك لم يأت من فراغ بل من مقارنته بالسفن فعلا وقولا. فأنشأ خطا تجاريا آمنا عبر الصحراء أدى إلى اجتذاب التجارة إلى مركزها الرئيسى فى سالع البتراء. وكان لابد أن يجذب هذا النشاط التجارى العالمى مجاميع وصنوفا من البشر، سيطرت عليها القوة الأكبر (الحيثيون) الذين تحولوا بالطريق التجارى إلى إمبراطورية كبرى .

أما العنصر الثانى فهو الحصان، الذى ارتبط بالعنصر الثالث وهو المعدن القوى من البرونز، أو الحديد الأكثر تطوراً من البرونز، حيث أصبح بالإمكان صناعة عجلات قتالية حديدية قوية، وخفيفة فى الوقت نفسه تعمل بالبرامق (مثل عجلات الدراجة الآن). وتحتمل الصعاب، لتشكل مع الحصان والسيف الحديدى تحولا هائلا فى عالم تسليح ذلك الزمان. والمتفق عليه أن الحديد جاء تحديداً مع الحيثيين الذين تدفقوا فى البداية كعناصر متاجرة، وجند لحماية القوافل، وشركاء فى التجارة، ثم فى المكان. ويبدو أنهم قد أقاموا معامل التعدين فى جبال تمناع عند العقبة، وبعضهم حمل اسم القينى أى الحداد. وبعد فترة وجدوا فى أنفسهم من القوة ما يمكنهم من السيطرة الفعلية على المنطقة حولهم، فى وقت كانت المنطقة نفسها مهيئة لذلك، فمصر تمر بصراعات داخلية وثورات مزقتها تمزيقا وهيأتها للغزو المرتقب، بعد أن كانت القوة الكبرى فى المنطقة التى عليها العول والمعتمد من بقية دول حوض المتوسط الشرقى.

وهنا نستمع إلى عبد المنعم أبو بكر يربط بين الميتانيين الحوريين (يضعهم بالفرات الأعلى كالعادة / وهم مديانيون فى رأينا) وبين الحيثيين والهكسوس جميعا دفعة واحدة فيقول: " تعرض العالم القديم منذ القرن العشرين قبل الميلاد لهجرات متعددة قامت بها **قبائل جبلية** غير متمدنة تسكن المناطق الوسطى من آسيا وتعرف فى التاريخ باسم القبائل الهندو أوروبية .. كانت فلول منهم عرفها التاريخ باسم القبائل **الكاشية** قد وصلت إلى أوسط العراق وهاجمت مدينة بابل بعد موت حمورابى بثمانى سنوات، فقضت على الأسرة الملكية، وتولت فئة منهم الحكم فى بابل لفترة من الزمن، كما نزل البعض الآخر إلى المناطق الشمالية من

---

(٤١) لطفى : العرب.. سبق ذكره، ص ١١٣ ويقول إن الجمل يمكنه حمل أربعة أطنان ؟!

العراق واستقروا **فى وادى الفرات الأعلى وكونوا هناك دولة الميتانى** التى امتدت حتى قاربت حدود الشاطئ الشرقى للبحر المتوسط، **وهؤلاء من عرفهم التاريخ تحت اسم الحوريين**، وهناك القبائل التى استمرت فى هجرتها نحو الغرب ووصلت آسيا الصغرى واستقرت فيها وظهرت فى التاريخ باسم **الحيثيين**، ومنها أخيراً لك الفلول التى استمرت فى هجرتها البطيئة نحو الجنوب ووصلت إلى مناطق سوريا فلسطين. وبعد أن استقرت فيها بعض الوقت وامتزجت بأهلها عاودت التحرك **نحو مصر التى كانت تعانى من التفكك والاحتلال** فى عصر الأسرة الثالثة عشرة، فدخلت الدلتا حوالى عام ١٧٨٨ ق.م واستقرت فيها ومدت سلطانها على البلاد حتى أسيوط جنوبا، وعرفهم التاريخ باسم الهكسوس " (٤٢) .

ومن التلاقح الذى حدث بين الجنس الجنوب جزيرى وبين الجنس الزنجى الكوشى الحامى، وبين الجنس الهندو آرى، ظهر على صفحة التاريخ جنس أحدث نسبيا هو الجنس السامي فى بلاد سيناء / آدوم وبوادى الشام، ومازلنا نذكر النظريات الثلاث حول أصل الجنس السامى، **ومن بينها النظرية التى تعيده إلى شمال شرقى أفريقيا فى التقائه مع آسيا عبر سيناء، وهو كلام كان قد تم إلقاءه إلقاءاً رغم صحته الشديدة التى برهنت عليه نظريتنا حتى الآن.**

وقد حدثنا القرآن عن قوم (عاد) وأنهم كانوا يسكنون الأحقاف ببلاد اليمن، لكن المؤرخين الكلاسيكيين حدثونا عن زياراتهم لدراسة البلاد القابعة عند خليج العقبة وأن اسمها كان (عاد) لكنهم لم يحدثونا عن سكنى عاد لليمن، وفى آيات أخرى من القرآن الكريم نجد موطنهم ليس فى الجنوب إنما فى الشمال بالقسم الشمالى الغربى للجزيرة عند العقبة وسط غابة من الكتابات الثمودية التى تنتشر فى تلك المنطقة بآلاف النماذج. وهو الأمر الذى أدى إلى القول بعادين يمثلان مرحلتين زمنيتين فى مكانين مختلفين لقوم عاد، فهناك عاد الأولى التى كانت فى أحقاف اليمن وأرسل الله لهم رسولا هو النبى (هود)، ثم عاد الثانية التى أقامت عند العقبة، وقد أشار القرآن الكريم لمساكن عاد لكن ليس فى اليمن إنما حول خليج العقبة، فتحدث عن آثارهم الباقية فى مساكن منحوتة بالجبال .

وإلى مدين أخاهم شعيبا فقال ياقوم اعبدوا الله وارجوا
اليوم الآخر ولا تعثوا فى الأرض مفسدين، فكذبوه
فأخذتهم **الرجفة** فأصبحوا فى ديارهم جاثمين. وعادا
وثمودا وقد **تبين لكم من مساكنهم** ..

٣٥ : ٣٨ / العنكبوت

وإلى ثمود أخاهم صالحا قال ...
واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم فى
الأرض تتخذون من سهولها قصوراً **وتنحتون الجبال**
بيوتا ..

(٤٢) عبد المنعم أبو بكر: إخناتون، المكتبة الثقافية، القاهرة، عدد٢٥، ص ٥،٦.

٧٣ ، ٧٤ ، الأعراف

وظل ذكر قوم عاد حتى وقت متأخر، فهم يظهرون فى خرائط الجغرافى المصرى اليونانى بطليموس كلاوديوس Ptolmaios Claudios ١٢١ : ١٥١ ق.م المعروف عند العرب بـــ (القلوذى) تحت اسم Oaditae العاديون عند العقبة بالتحديد.

وقد أوجز (لطفى عبد الوهاب) ما جاء بالقرآن بوجودين فى مكانين متباعدين لعـــاد علـــى مـــرحلتين زمنيتين هى عاد الأولى وعاد الثانية بقوله: " أما عن وجود مكانين مختلفين لعاد الأولى والثانية فتفسير ذلـــك هو الهجرات التى عرفها عرب الجنوب إلى شمالى شبه الجزيرة .. **إن هجرات قد تمت من الجنـــوب إلـــى الشمال بشكل أو بآخر** ، وأن بعض هذه الهجرات اتخذ شكل **مستوطنات أقامها التجار** أو الحكام الجنوبيـــون **فى شمال شبه الجزيرة** لمحطات تجارية لقوافلهم فى البداية، لكن هذه المتسوطنات لم تلبث أن تحولت إلـــى كيانات قائمة بذاتها .. وقد كان بعض هذه المستوطنات يتخذ اسم القوم أو البلد الذى جاء منه لمستوطنون فى البداية .. " [٤٣]

وتذكر عاد وثمود فى القرآن الكريم متلازمتين بشكل متكرر ومتواتر وهو ما يشير إلى تجاور مكانى، **ويتحدث عن أرض الثموديين باعتبارها جنات وعيونا وزروعاً ونخيلاً** (١٤٧ ، ١٤٨ / الشعراء). وإذا كنا لم نتأكد من موضع عاد الأولى، فإن الواضح رفقتها وملازمتها المكانية والزمانية لثمود التى نحن على يقين من موضعها فى شمال غربى الجزيرة. فلدينا نقش آشورى منذ حكم الملك سرجون يظهرهم يقطنون شـــمال الجزيرة فى القرن الثامن ق.م، كما نجدهم فى كتابات بلينوس أواسط القرن الأول الميلادى مازالوا موجودين هناك تحت اسم Tamudaei وفى النصف الأول من القرن الميلادى الثانى نجد القلوذى يرسمهم على خريطته شرقى العقبة باسم Thamydeni على التعامد مع قوم عاد الذين وضعهم القلوذى إلى الشمال منهم على الخـــط التجارى العالمى، وظل الثموديون فى مواضعهم حتى كتب عنهم يوسابيوس Eusebois حوالى ٢٦٠ - ٣٤٠ ق.م ، وحتى زمن بروكبيوس Prokopios المؤرخ الرومانى الذى توفى فى ٥٦٥ /م.[٤٤]

لكن الباحثين يتضاربون جميعا حول تزمين سيادة القبائل التى ســـادت وحكمـــت وأعطـــت اســـمها لحضارات متأخرة فى الغسق الأخير لأضواء منطقة العقبة، فيشيرون إلى سيادة قبائل توصف بأنهـــا قبائـــل عربية باسم قيدار، وقيدار هو اسم الابن الثانى لإسماعيل بن إبراهيم فى خريطة الأجناس التوراتية، وقبائـــل باسم الأنباط وتنتسب إلى نابت بن إسماعيل الابن الأول والأكبر. إلا أننا نعتقد من جانبنا بتعاصر قبائل ثمود مع زمن قيام الحلف الكبير، وأنها كانت فى مواطنها بمنطقة الحجر المعروفة بمدائن صالح الآن، نسبة إلـــى نبى حدثنا عنه القرآن باسم صالح، وأنه ضمن تلك القبائل كانت قبائل قيدار أيضا. فعلى امتـــداد بـــلاد آدوم الجنوبى وعلى الخط التجارى العالمى قرب ساحل البحر الأحمر الشرقى قامت محطة كبرى للتجـــارة فـــى

(٤٣) لطفى : العرب .. سبق ذكره، ص ١٦٢، ١٦٣.

(٤٤) نفسه: ص ١٦٦: ١٦٨.

منطقة الحجر قطنتها قبائل ثمود التى يزعم المؤرخون أنها ظهرت متأخرة إلى حد بعيد عن زمن الأحداث التى نحكى عنها زمن الهكسوس / الأخلامو فيعيدونهم فى أبعد تزمين إلى ق ٩ ق.م. ثم يقولون لنا أنه مع ثمود ظهرت قبائل عربية باسم قيدار التى نراها من جانبنا ذات قبائل ثمود، كما نعتقد أنه فى ذات الزمن أيضا كان الأنباط النابتيون. كل ما فى الأمر أنه بعد سقوط الحلف وتشتته بعد ضربه من قبل المصريين، وبعد فشل عدة محاولات جدية لإعادته فقد توالى أخلاف قبائل ذلك الحلف بعد ذلك – أو من بقى منهم بعيداً على الشتات – على زعامة المنطقة، فظهر حكم الثموديين والقيداريين والأنباط .. إلخ، لكن ذلك لم يكن أول ظهور لهم بل كانوا قائمين وموجودين طوال الوقت منذ زمن الأخلامو، وحتى آخر دولتهم التى ظهرت فى المنطقة (اللحيانيين) و(الصفائيين) لينتهى بهم خط تاريخ تلك البلاد إلى ظلام السكون حتى جاء بوركهارت ليعيد اكتشاف بلاد آدوم مرة أخرى.

وأول القرائن الواضحة التى تؤكد أن ثمود التى سكنت بلاد الحجر كانت امتداداً للحلف الكبير على الطريق التجارى فى زمنه البعيد أن المشاهد لمنطقة مدائن صالح / الحجر سيجد نفسه أمام نسخة أخرى من البتراء من حيث النحت فى الصخر والسكن فى **الكهوف الصخرية التى تشبه أعشاش النحل**، ناهيك عن كون الحجر كان فى محيط السيطرة المباشرة لسالع / بونت / البتراء، وتقع الحجر ضمن دائرة مدن كانت من أعمال العاصمة الكبرى، فمعها مدن سبقت الإشارة إليها كامتداد للعاصمة ففى محيطها الشرقى مباشرة نجد تيماء، ثم دومة الجندل التى حملت فى أسمائها (تيماء، دومه) ترديداً لاسم البلاد الأم آدوم كذلك وادى القرى.

وبسبيل التأكد من صدق ما نعتقد نستمع إلى مظفر نادوثى يقول: " إن للإسماعيليين تسمية أخرى هى الهاجريين وقد أشير إليهم فى العهد القديم بهذا الاسم. وقد اشارت التوراة إلى عشيرتين **من الإسماعيليين** فى قولها: **قطعان قيدار وخراف نبايوت**. وهناك قبيلة أخرى أشير إليها باسم ماعون وهى التى أطلق عليها العرب اسم **معين** " (٤٥) .

الإشارات هنا واضحة **فالقيداريون يعاصرون النابتيين الأنباط يعاصرون معين** أو معان، ومن جانبها أشارت التوراة بما يفصح عن تحالف تلك المنطقة مرموزاً لها بأسماء أشخاص ربطتهم التوراة بصلة قرابة الدم، فالتوراة تؤكد فى خريطة الأجناس أن (تيما) أو (تيماء) بدوره كان ابنا لإسماعيل (تكوين ١٥/٢٥ وسفر أيام الأول ٢٢ / ١ – ٣٠). والمبهر أنها ذكرته بالترافق مع سبأ التى تأكدنا من وجودها شمالا بذات المنطقة (سفر أيوب ٩/٦ وحزقيال ٢٧ / ٢١ – ٢٢) ثم بالترافق مع مدينة العلا / ددان (سفر اشعيا ١٣/٢١ ، ١٤ وإرميا ٢٣/٢٥). ويلخص حزقيال تلك العلاقات لهذه المدن بدولة يهوذا بقوله:

" **ددان** تاجرتك بطنافس للركوب، **العرب وكل رؤساء**

---

(٤٥) مظفر نادوثى: التاريخ الجغرافى، ص ٦٨.

قيدار هم تجار يدك بالخرفان والكباش والأعتدة. فـــى هذه كانوا تجارك **شبا** ورعمة هم تجارك. بأفخر **أنواع الطيب** وبكل حجر كريم وبالذهب أقاموا أسواقك.

حزقيال ٢٠ / ٢٢

أما إشعيا فكان يتنبأ بضرب رب إسرائيل لقوم يأتى ذكرهم فى قوله:

وحى من جهة **بلاد العرب**، فى الوعر فى بلاد العـــرب تبيتين ياقوافل **الددانيين**.هاتوا ماء لملاقـــاة العطشـــان، ياسكان أرض **تيماء** وافوا الهارب بخبزه، فـــإنهم مـــن قدام السيوف قد هربوا .. يفنى كل مجد **قيــدار** .. لأن الرب إله إسرائيل قد تكلم .

اشعيا ٢١ / ١٢ – ١٧

واضح أن شمال الجزيرة الآن قد أخذ يكتسب اسم بلاد العرب، وأن التوراة تتحدث هنـــا فـــى زمـــن متأخر، بعد هبوط العرب المستعربة الشمالية العدنانية الإسماعيلية إلى الجزيرة ليمنحوهـــا اســـمها (جزيـــرة العرب). ويتواتر فى ذلك الزمن ظهور اسم العرب لوصف سكان الجزء الشمالى من الجزيرة، ونجـــد فـــى نقوش الملك الآشورى (شلمناصر الثالث ٨٥٨ – ٨٢٤ ق.م) ذكر لانتصاره على تحالف **ملـــوك أرام** ضـــده ويطابق شلمناصر بنقوشه ما وصلنا إليه بوضوح كاشف ومضيء فيعدد لنا أعضاء هذا الحلف الأرامى لنجد منهم (جنديبو) الموصوف فى نقوش شلمناصر بالعربى، وجماعة توصف بأنها عربية بدورها باسم (أدوماتو) وهى (آدوم) بوضوح.

ثم نجد فى نقوش الملك الآشورى (آشور بانيبال ٦٢٦ ق.م) تعداداً لحلف عربى يعدد أعضاءه يقـــول أنه: **السبأى والتمأى والثمودى** والعاديد والمارسمانو **والنبط وقيدار** الذين هم : سبأ، تيمـــاء، ثمـــود، عـــاد، مارسمانو، (لم نعرف المقصود بمارسمانو بالتحديد)، الأنباط ، القيداريون.

ونفهم من نصوص آشوربانيبال أن هؤلاء الأحلاف كانوا تجاراً، وأن تجارتهم كانت **فى التعدين** الـــذى برعوا فيه: الذهب والقصدير **والحديد**، والملابس المصبوغة باللون الأرجوانى **الأحمر**، والطيوب من **بخـــور مر ولبان**، والعاج، بل وتاجروا فى حيوانات لا يمكن أن يجمعها سوى مركز تجارى كبير ممتد حتى جنوب البحر الأحمر عند المندب، فمن تلك الحيوانات كان **الفيل**، ثم تاجروا بحيوانات أصبحت من حيوانات المنطقة بعد مجيئها من الشمال الأرمينى واستيطانها بلاد العرب الأولى (آدوم وسيناء)، ومن هذه الحيوانات الجمـــال والخيول، فهل تستغرب بعد ذلك وجود **الزراف** فى واردات بلاد بونت؟

والزائر لمدينة العلا / ددان سيجد نفسه أمام نقوش وكتابات ددانية ومعينية وثمودية ونبطية معـاً[٤٦]. مما يشير إلى تعاصر و تعاضد وتحالف، أما مدينة الحجر فتكتظ بألوف الكتابات الثموديـة المتنـاثرة علـى الصخور، ويسميها المؤرخون مخربشات لقيمتها التاريخية المحدودة فهى فقط تحوى أسماء أفـراد وأدعيـة للآلهة وحسابات تجارية وعوائد. وقد عثر بالحجر على أختام تجارية علـى شـكل اسـطوانات ومربعـات ودوائر. وتكاد تلك الأختام خاصة تلك التى عثر عليها فى ددان/ العلا أن تكون نسخة أخرى مـن الأختـام الرافدية القديمة، مما يشير إلى أن تلك المنطقة الجغرافية كانت رقعة واحدة فى زمن مضى[٤٧].

وفى محيط الحجر/ مدائن صالح يقع عدد من المستوطنات أهمها القريـة التـى اشـتهرت بكهوفهـا المنحوتة بالجبال وبآثار كثيرة وفخار أعادها المكتشفون إلى الحضارة المعينية، وأعادوا بعضها الآخر إلـى زمن سيطرة الأنباط [٤٨].وبدراسة مخربشات تبوك والعلا ومدائن صالح وتيمـاء ووادى السـرحان وحائـل وجبل رقم الثمودية، تم اتفاق العلماء مؤخراً على أنها تعود إلى زمن موغل فى القدم، يصل إلى **الألف الثالث قبل الميـلاد**. ومن آثار تيماء قصر زلوم المعروف بالأبلق الذى اشتهر فى اساطير العـرب باسـم قصـر السموأل[٤٩]، والسموأل بالعبرية شموئيل وصموئيل،والثلاثة يتجمعون عند الاسم العربى لصاحب ذلك القصر الذى لاشك حكم منه يوما وهو اسم **(إسماعيل)**. ويظهر لنا عند العرب اسم غريب هو **(الرقيم)** ظهر قـبلهم عند المؤرخ اليهودى يوسفيوس، وقد رجح الباحثون أنه التسمية العربية لمدينة البتراء أو لمدينـة الحجـر أو لكليهما. وأورد إحسان عباس رأيا يقول: إن الرقيم هى المدينة التى وردت فى المصادر الصينية باسم (لـى – قن) من (رى – قم) مما يشير إلى مساحة التوسع التجارى الذى لا يمكن القيام به إلا لإمبراطوريـة قويـة كبرى ، ثم ورد اسم الرقيم فى رسالة سريانية تحدثت عن زلزال دمر الرقيم، ونحن نعلم أن هناك زلزالا قد دمر البتراء عام ٣٦٣م[٥٠]. وهو ما يذكرنا بهروشيوش المؤرخ الذى قال أن بلاد بونت أو الدولـة خماسـية المدن أو خماسية الحلف (بنط بوليس) الواقعة بين العقبة والبحر الميت حسب تحديده قد نزلت عليها نار مـن السماء فدمرتها. وأشهر تلك المدن التى تم تدميرها سدوم وعموره، والمعلوم أن المنطقة تقـع علـى خـط زلزالي ساخن فوق امتداد الأخدود الأفريقي العظيم. وقد ذكر القرآن الكريم بدوره دماراً أصاب عاداً وثمـود التى هى فى رأينا ذات سدوم وعمورة، لأن سدوم هى بالقلب سمود أو ثمود، ويبقى أن تكـون عـاد هـى عمورة، ولا ننسى أن العاديين أو أهل عاد كانوا من العموريين التى تنتسب إليهم عمورة أوينتسـبوا إليهـا، ويؤكد هذا المعنى أن ترتيب المدن الخمسة يبدأ من الجنوب إلى الشمال بمدينة سدوم ثـم مدينـة عمـورة،

---

(٤٦) لطفى: العرب .. سبق ذكره، ص ١٤٨.

(٤٧) موسوعة بهجة المعرفة: مجموعة من الأساتذة المتخصصين: الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعـلان، ليبيـا، طبعت فى إيطاليا ١٩٨٢، الطبعة الثانية، المجموعة الثانية، المجلد الأول، الجزء الثالث، ص ١٢٤.

(٤٨) نفسه: ص ١٢٥.

(٤٩) مظفر نادوثى: التاريخ الجغرافى .. سبق ذكره، ص ٧٤، وإحسان عباس تاريخ دولة.. سبق ذكره، ص ٧٠.

(٥٠) السواح: الحدث .. سبق ذكره، ص ٢٩٤

وتصبح سدوم بهذا التخريج هى ثمود/ مدائن صالح، وتليها شمالا عمورة (عاد/ إرم ذات العماد/ بونت / سالع/ الصخرة/ البتراء).

ومن القبائل الإسماعيلية المشهورة كان النابتيون أوالأنباط المنتسبون رمزيا إلى الابن الأكبر لإسماعيل (نابت أو نبايوت)، ثم القيداريون نسبة إلى الابن الثانى لإسماعيل (قيدار). وفى المقدس التوراتى ذكر لملك عربى باسم جشم (سفر نحميا ٢/١٠) الذى يبدو صيغة من (جاسم). وقد تطابق هذا الاسم مع اسم عثر عليه فى نقش على طاسة فى تل المسخوطة بوادى طميلات قرب الإسماعيلية بمصر فى أقصى شرقى الدلتا على الحدود السينائية، ويقول النقش المكتوب بالأرامية: " نذر إلى هاب ـ إيلات من قينو بن جشم ملك قيدار " [٥١]. مما يعنى أن جشم الوارد فى سفر نحميا كان ملكا على قيدار أما قينو فهى القينى / الحداد. وما يؤكد لنا أن القيداريين كانوا من سكان سالع/البتراء ما جاء فى سفر أشعياء يقول:

لترفع البرية ومدنها صوتها، **الديار التى سكنها**
قيدار، لتترنم سالع من رؤوس الجبال، ليهتفوا.

أشعيا ٤٢/ ١١

ويدعم لنا أن القيداريين هؤلاء كانوا من سكان الجنوب الذى هاجر شمالا للتجارة بصحبه معين وسبأ وزنج أثيوبيا فى رحلة عمورية عماليقية تدريجية استوطنت حتى استفحلت وتضخمت فى حلف كبير، هو أن قاموس الكتاب المقدس يقول لنا تحت مادة **قيدار** أنه اسم سامى يعنى **الصفة اللونية (الأسود) أو (الزنجى)**.

لقد كانت قيدار من ثمود من العموريين القادمين من الجنوب لكن الكتاب المقدس أصر على أنها من الجنس الأرامى القادم من أرمينيا فنسبتهم بالبنوة إلى اسماعيل بن البطرق ابراهيم الأرامى لتأكيد معنى الحلف، حيث يرى الباحثون – دون أن يذهبوا مذهبنا لافى كله ولا فى تفاصيله الدقيقة – إنه " فى وقت لم يكن فيه سكان شبه الجزيرة قد عرفوا التكتل حول أيديولوجيات سياسية، كان التصور الوارد هو التكتل حول العصبية التى تقوم على أساس من رابطة العرق أو رابطة الدم والانتماء إلى أصل واحد **سواء كان حقيقياً أو موهوما** " [٥٢].

وهنا يتأكد ظننا فى تعاصر الجميع زمن الحلف الكبير من (فراس السواح) الذى يستنتج من المادة التاريخية " أن **الأنباط لم يكونوا سوى فريق قيدارى أقام فى سالع** بصفة دائمة وتحول اسمها إلى بتراء فيما بعد. واسم بتراء باليونانية يعنى الصخر وكذلك اسم سالع بالكنعانية " [٥٣]. أما امتداد مدينة الصخر الجنوبى

---

(٥١) لطفى: العرب.. سبق ذكره، ص ٨٣.

(٥٢) السواح: الحدث .. سبق ذكره، ص ٢٩٤

(٥٣) احسان عباس: تاريخ دولة.. سبق ذكره، ص ٥٩.

فقد حمل ذات المعنى فى مدينة مدائن صالح التى كانت تحمل اسم الصخر فى اسمها (الحجر). بل أن احسان عباس يقول: " وتحولت المنشأة النبطية فى مدائن صالح الحجر إلى مدينة كبيرة **وتكاد القبور المنحوتة فى الصخر هناك تضاهى الآثار المنحوتة فى الصخور فى بترا نفسها** " [٥٤] ثم يتساءل: "هل يمكن أن نوحد بين بنى قيدار وأصحاب الحجر الذين ذكرهم القرآن الكريم؟ يصح هذا لو استطعنا أن نثبت أن بنى قيدار هم أنفسهم ثمود الذين ورد ذكرهم فى القرآن. وهنا يجب أن نعرف أن اسم عاقر ناقة صالح كان اسمه لدى المفسرين **قدار** " [٥٥].

ولمتابعة (إحسان عباس) عدنا إلى التاريخ العربى نقرأ عند ابن قتيبة قوله:

> إن الله بعث صالحاً إلى قومه.. وكان رجلا **أحمر** إلى البياض.. وهو صالح بن عبيد بن عابر بن **إرم** وكانت منازل قومه **بالحجر**.. وعاقر الناقة هو **أحمر** ثمود الذى يضرب به المثل فى الشؤم واسمه **قدار** بن سالف وكان أحمراً أشقراً .. وكان صالح رجلا تاجراً.

واضح هنا التداخل الذى حدث عند الحجر بين الجنسين الأسود والأحمر ولو فى ذكريات ذلك الماضى البعيد، فقيدار فى الرواية العربية يصبح هو الأحمر كذلك صالح، ويذهب ابن قتيبة بهم إلى الموطن الشمالى الأرامى عبر نسبتهم لأرام.

ثم يستمر شارحا:

> تزوج إسماعيل بنت مضاض بن عمرو الجرهمى فولدت لإسماعيل اثنى عشر بطنا منهم قيدار ونبت.. وكان نبت بكر إسماعيل.. وعاش إسماعيل مائة وسبعا وثلاثين سنة **ودفن فى الحجر** وفيه دفنت أمه هاجر[٥٦].

وقد ورد فى نقش بمدينة بترا بخط وسط بين الأرامى والنبطى يتكلم عن ضرورة إكمال النقوش فى غرفة العبادة عند بداية السيق مع اسم لرجل وصف بالصلاح والورع اسمع (أصلح) وأن أصلح هذا ربما كان كاهنا كبيرا أو حاكما لأنه طلب تكريس تلك الغرفة للإله ذى الشرى[٥٧]. وهو الأمر الذى ظل ذكريات بعيدة تتماوج فى تداخل مع روايات أخرى عن ذكريات أخرى، حتى وصلنا صالح فى القرآن الكريم نبيا مرسلا

---

(٥٤) نفسه: ص ٢١.

(٥٥) نفسه : ص ٢١ .

(٥٦) ابن قتيبة: المعارف .. سبق ذكره ص ٣٤ .

(٥٧) إحسان عباس: تاريخ دولة.. سبق ذكره، ص ٤١،٤٠.

إلى ثمود، فإذا كانت الآيات تردد ذكريات عن أصلح الموجود بنقش بترا فستكون بترا مسكنا لثمود وليس فقط مدينة الحجر مما يشير إلى تداخل واضح بين مختلف فئات الحلف.

لكن القرآن الكريم يؤخر ظهور الثموديين إلى ما بعد انتهاء زمن عاد فيقول:

> واذكروا إذ **جعلكم خلفاء من بعد عاد** وبوأكم في الأرض تتخذون من سهولها قصورا **وتنحتون في الجبال بيوتا.**

الأعراف ٧٤،٧٣

والقرآن الكريم يختلط فيه الوعظ والترهيب والترغيب بالأمثلة من ذكريات تاريخية تمت قراءتها على طريقة القرآن الكريم المعتادة بهذا الشأن فيقول إن (عاد إرم) قد عصت ربها فأرسل الله إليها نبيا باسم (هود). وما يؤكد فرضنا فى أن عاد كانت البتراء أو مدينة فى محيط آدوم بل أنها آدومية الزمن وليست جنوبية يمنية أن ابن قتيبة يذكر لنا نسب (هود) مرفوعا إلى (عيسو آدوم) فيقول:

> هو هود بن عبد الله بن رباح بن حارث بن **عاد بن عوص بن إرم** بن سام بن نوح.. وكانت عاد ثلاث عشرة قبيلة ينزلون الرمل وبلادهم أخصب البلاد.

لكن أهل عاد الآدوميين / الآداميين يكذبون هوداً فيغضب عليهم ربهم فيدمرهم فيرثهم الثموديون، أى أن ثمود هى امتداد فى زمن تال لعاد الأرامية، وأفسد الثموديون بدورهم فى الأرض فأرسل لهم ربهم النبى صالح، وكأسلافهم كذب الثموديون صالح فدمرهم الله بدورهم.

ويشرح المسعودى بشأن الآراميين/ الأرمان بقوله موجزا تاريخا رأيناه قد حدث فى هذا المكان:

> وقيل أن الأرمان إنما سموا بذلك لأن عاداً لما هلكت قيل: ثمود إرم. فلما هلكت ثمود قيل لبقايا إرم أرمان، وهم **النبط الأرمانيون.**
>
> وكانت بلاد الكلدانيين العراق وديار ربيعة وديار مضر والشام وبلاد العرب اليوم، وبرها ومدرها، اليمن وتهامة والحجاز واليمامة والعروض والبحرين والشحر وحضرموت وعمان، وبرها الذى يلى العراق، وبرها الذى يلى الشام.. **كانت جميعاً مملكة واحدة يملكها ملك**

واحد ولسانها واحد سريانى (أرامى/ المؤلف)(٥٨).

وحول عناصر من ذلك الحلف يشرح الكتاب المقدس كيف جاء الرب بكل شعب من موطنه فى قوله:

ألستم لى كبنى الكوشيين يابنى إسرائيل؟ يقول الرب. ألم
أصعد إسرائيل من أرض مصر والفلسطينيين من كفتور
والأراميين من قير.

عاموس ٩ / ٨

ويحتمل أن تكون قير الأصلية تلك محطة بعيدة من محطات هجرة الأراميين الشمالية، وربما كانت الأصل في اسم منطقة قرقيزيا.

والنبى محمد كتب لبنى جعال بن ربيعة الجذاميين **الذين سكنوا العقبة** زمن الدعوة يقول لهم فيه " **إن لهم إرما** لا يحلها أحد غيرهم لغلبهم عليها ولا يحاقهم أحد فمن حاقهم فلاحق له " ، لقد كان العرب حتى زمن الدعوة الإسلامية يعرفون بلاد العقبة بكونها أرامية.

أما الذى كان يتأكد طوال الوقت فهو وجود الجنس الكوشى الزنجى بالمنطقة بينما كانت نصوص التوراة التى تذكر الكوشيين بجوار دولة يهوذا وإسرائيل تصنع ارتباكا حادا لدى المؤرخين. يقول الكتاب المقدس مثلا:

وأهاج الرب على يهورام (ملك يهوذا/ المؤلف) روح
الفلسطينيين **والعرب الذين بجانب الكوشيين** فصعدوا إلى
يهوذا وافتتحوها وسلبوا كل الأموال الموجودة فى بيت
الملك مع بنيه ونسائه أيضا.

أخبار أيام ثانى ٢١/١٦ – ١٧.

لقد ظل تعبير " العرب الذين بجانب الكوشيين " لغزا غير محلول يتمثل فى سؤال: كيف يكون الزنوج بجوار العرب، وكان الظن هو التجاور على البحر الأحمر فالعربى شرقية والزنجى غربية، لكن اللغز ظل لغزاً لأن النص ونصوصاً أخرى كثيرة تضعهم بجوار دولة يهوذا مباشرة. وهنا نقف مع فراس السواح وهو يحدثنا عن أحدث الكشوف فيما يتعلق بتصنيف اللغات إلى سامية وحامية وأن العلماء لم يعودوا يركزون على ما يسمى باللغة السامية الأصلية، ثم يقول: " يقوم العلماء الآن بتلمس خيط يربط بين اللغات السامية باللغة المصرية وبقية لغات شمال أفريقيا وهم يرون أن الأقرب الى الواقع هو وجود لغة **أفروسامية تفرعت فيما**

(٥٨) المسعودى : التنبيه .. سبق ذكره ، ص ٨٤ ، ٨٥.

بعد إلى سامية وإفريقيـــة عنـــد نقطة معينة من التاريخ " [٥٩]. ومن هؤلاء العلمـــاء الألمـــانى P.Behrens والروسى Diakonoff .

أليس هذا بكلام يلتقى التقاء عبقريا مع ما وصلنا إليه حول التقاء العناصر التأسيسية فى بلاد آدوم وما نتج عنه بعد ذلك على مستوى اللغات والأجناس؟ أما الأكثر إلماعا وإشراقا فهو أن نعلـــم أن تلـــك النقطـــة المعينة فى التاريخ التى افترضها الألمانى بهرنس والروسى ديـــاكونوف كانـــت زمـــن قيـــام إمبراطوريـــة الهكسوس الذى ظل منطقة مظلمة فى التاريخ حتى كتابة بحثنا هذا، بل وأن مكانها كان ذات المكـــان الـــذى حددناه فى بلاد مديان الآدومية العربية فى شبه جزيرة سيناء تحديداً وتدقيقا . فقد عثر الآثـــارى البريطـــانى فلاندر بترى عام ١٩٠٥ عند سرابيط الخادم بسيناء على كتابات منقوشة على الصخور أصبحت تعرف الآن علميا باسم الكتابات البروتو سيناتيك **قرب مناجم النحاس** والفيروز. وقد تبين **أن البروتو سيناتيك أقدم كتابة تستخدم الأبجدية فى التاريخ حتى الآن**، وقد وجد بترى اكتشافه هذا على بقايا أثرية تم بناؤها زمـــن الفـــاتح العظيم تحتمس الثالث خلال النصف الأول من القرن الخامس عشر. وبعد اكتشاف بترى تم العثـــور علـــى المزيد من كتابات البروتوسيناتيك بعد أن عثرت بعثة فنلندية عام ١٩٢٩ على نماذج جديدة، واتبعتهـــا بعثـــة جامعة هارفارد الأمريكية لتكتشف ذات الكتابات فى مواضع أخرى، حتى بلغ ما تم العثور عليه حتـــى الآن خمسة وعشرين نصاً [٦٠]. تتحدث عن أعمال استخراج حجر الفيروز من جنوبى سيناء وتقديم **قرابين** (تسمى هنا **طاعة)** الى بعلات حات حور، وبعلات لقب سامى هو السيدة مؤنث بعل / السيد أو الرب، بينما حتحـــور إلهة مصرية معلومة الشأن مما يشير الى تمازج مصرى سامى فى تلك المنطقة استمر منذ تمـــازج الإلهـــين سيت وبعل، وهى تقع الى الغرب مباشرة من جبال كاثرين التى اتجه إليها موسى برجاله عند الخروج مـــن مصر كموقع مقدس، وقد أخبرنا الكتاب المقدس أن تلك المنطقة كانت أراضى مديانية، وقد أكدنا من جانبنـــا أن المديانى هو الإسماعيلى، وتأتينا من كتابات سيناء Sinaite Inscriptions. نصوص تؤكد مذهبنا فنجد نصا يقول.

سمعا مرا رب عبدم

ومعناه إسماعيل صبى رئيس العاملين[٦١]

أو إسماعيل رجل رئيس العبيد

فالكتبة هنا يحملون ثقافة مصرية سامية مشتركة، وكتبوها بذات اللغة التى عثر عليها فى نصوص تل العمارنة (الكارية) بأبجدية هى الأصل الأصيل للأبجدية الفينيقية التى ظهرت بعد ذلك وانتقلـــت إلـــى بـــلاد اليونان ثم العالم. ويعتبر الباحثان نيلسون وسيث **أن اللغة الثمودية** المنتشرة بطول ســـاحل البحـــر الأحمـــر

(٥٩) السواح: أرام .. سبق ذكره، ص ٣١ .

(٦٠) أحمد عثمان : فى الشعر .. سبق ذكره، ص ٧٦ : ٧٨.

(٦١) نفسه: ص ٧٨ : ٨٠ .

الشرقى هى **تطوير بسيط للبرتوسيناتيك** [٦٢] كما استطاع وينت أن يثبت انقسام الثمودية إلى أشكال مختلفة تمثل مراحل تطورها خلال مدة زمنية طويلة [٦٣]، وهو ما يعنى عراقة ثمود وقدمها منذ أيام الحلف الكبير.

كذلك تم العثور على كتابات سينائية في موقع الكنتله على الطريق الذى يصل طابا على خليج العقبة برفح على البحر المتوسط على بعد خمسة كيلو مترات من الحدود الإسرائيلية، وكذلك فى عين القديرات بالقرب منه. والمعتقد أن هذه الكتابات قد نقشها الخارجون من مصر برفقة موسى فى رحلة الخروج. وقد قال الإسرائيليون إن تلك الكتابات عبرية، لكن الحقيقة أن العبرية نفسها هى لغو وخط كنعانى كتب بحروف أرامية. ولم يحدث ذلك إلا بعد أن القرن العاشر قبل الميلاد أى بعد أربعة قرون تقريباً على حدث الخروج، لذلك لا تخرج تلك الكتابات بدورها عن البروتوسيناتيك التى يبدو أنها كانت أصلا للعبرية المكتوبة بالأرامية، بعد أن أصبحت الأرامية الوسيلة الأمثل للكتابة. وهو ما يعنى أن الخط الأرامى نفسه قد تطور عن **البروتوستاتيك التى هى فى رأينا الكتابة أو الخط الحورى الكارى** خاصة بعد ثبوت تطابقه مع الكتابات الحورية فى مكتبة العمارنة. ويعتبر أولبرايت أن البروتوسيناتيك هى الأصل الأصيل للكتابات الأبجدية بعد ذلك وصولا الى اللغة العربية التى ظهرت فى سيناء[٦٤].وعندما قامت دولة الفرس حوالى ٦٠٠ ق.م اتخذت من الأرامية لغة رسمية لها مما يشير إلى مدى حميمية القرابة بين تلك الكتابة الأم للأبجدية وبين الهندوآريين، أما العربية فقد تطورت عن النبطية المكتوبة بالحرف الأرامى فى سيناء وآدوم. ومع ذلك لم يزل المعنيون بهذا الأمر لا يلتفتون إلى العوامل الموضوعية التى أدت لظهور الكارية بالخط السينائى، ولم يزل قولهم: " **منذ القرن الرابع عشر قبل الميلاد ظهرت لغة سامية مشتركة بين شعوب ممالك الهلال الخصيب ومصر** لم تكن هى لغة الكلام لأى من شعوب هذه المنطقة وإنما استخدمت فى الكتابات الأدبية فقط " [٦٥] ، " وأنها تطورت وأصبحت تمثل لغة أدبية خاصة تختلف عن لغة كلام الأكاديين والكنعانيين والمصريين فهى لغة أدبية خاصة لا يستخدمها أى قوم فى الكلام " [٦٦] ومع ذلك فإن " العربية الفصحى قد جاءت نتيجة لتطور هذه اللغة المكتوبة وأنها كانت **خليطا من لهجات القبائل العربية** " [٦٧] بينما نحن قد كشفنا عن التقاء وحلف ولغة كهوف اسمها الكارية أو الحورية، تعددت ما بين ددانية وثمودية ونبطية وأرامية وعبرية، لكنها جميعاً كانت تعزف على نوتات متشابهة متقاربة انصهرت معا جميعا بعد ذلك فى اللغة العربية.

---

(٦٢) نفسه: ص ١٠٧ .

(٦٣) نفسه: ص ١٠٩ ، ١١٠ .

(٦٤) نفسه : ص ٧٤.

(٦٥) نفسه: ص ٧٤.

(٦٦) نفسه: ص ٦٩.

(٦٧) نفسه : ص ٧٥ .

وهكذا امتدت المساحة المركزية لدولة التجار من البتراء إلى الحجر جنوبا وتيماء شرقاً وتبوك والبدع جنوب غربى تبوك، حيث تجد هناك مغاير وكهوفاً أطلق عليها الناس بحكم ذكريات العصور الخوالى (مغاير **شعيب**)، وأطلقوا على بئر هناك اسم بئر **موسى** ترديداً لذكريات تاريخية مختلطة. ويقول صاحب معجم البلدان أنه فى جبال السراة / سعير تقع البلقاء التى حدثت فيها **أسطورة أصحاب الكهف، والتى ترد فى القرآن الكريم مقرونة بالرقيم، وأن العماليق قد نزلوا البلقاء وكانوا ملوكها** [٦٨].

وتغطى الكتابات الثمودية آثار تيماء التى تقع على خط ٣٨,٣٠ طولاً و ٢٧,٤٠ عرضاً، وتتميز تيماء بتربة **حمراء** وتؤكد البحوث الجيولوجية أنها **كانت مغمورة بالمياه** إلى زمن قريب جداً لدرجة أن أخبار ذلك الماء جاء فى أخبار عرب الجاهلية الأخيرة[٦٩].

أما مدينة الحجر نفسها فتقع على خط ٣٧,٤٥ طولاً و ٢٦,٤٦ عرضاً وقال فيها القرآن الكريم:

لقد كذب أصحاب الحجر المرسلين، وآتيناهم آياتنا فكانوا
عنها معرضين، **وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا** آمنين
فأخذتهم الصيحة مصبحين فما أغنى عنهم ما كانوا
يكسبون/ ٨٠:٨٤/ الحجر.

والزائر للمنطقة يمكنه ببعض المشقة الوصول إلى تلك البيوت الصخرية لكنه لن يجد سوى غرف مربعة أو مستطيلة تحوى عظاما بشرية وبها أرفف حجرية على عدة طبقات، تطابق مثيلا تها فى البتراء، فى تدمر التى كانت بدورها امتداداً طبيعيا للطريق التجارى وبالضرورة للحلف العظيم. وهناك يمكنك أن ترى تماثيل لعناق البونتى فوق أحد الكهوف ذهبت فيه الآراء إلى أنه حيوان **ربما كان لبؤة صغيرة لكن ذيله المعقوف مثل ذيل الكلب** يشير لحيوان غريب مجهول. وعلى كهف آخر ستشاهد تماثيل أبى الهول المصرى، وعلى كهف ثالث يمكنك مشاهد طائر الفينيق ناشرا جناحيه.

أما الأفصح والأبين والأكثر إعلانا عن هوية المكان، أنك تجد هناك بناء يحمل الاسم الذى أطلق على مثيله الضخم فى البتراء، اسمه **قصر(بنت)**، هذا بينما يكرر لنا القرآن الكريم ذكريات العرب عن القرون الخوالى أيام كانت تلك المنطقة من الجنات الوارفة فى قوله " كذبت ثمود المرسلين، إذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون، إنى لكم رسول أمين، فاتقوا الله وأطيعون، وما أسألكم عليه من أجر إن أجرى إلا على رب العالمين، أتتركون فى ماههنا آمنين **فى جنات وعيون، وزروع ونخل طلعها عظيم، وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين**، فأتقوا الله وأطيعون/ ١٤١:١٥٩ الشعراء ".

---

(٦٨) حمود بن ضاوى القثامى: شمال الحجاز، الآثار، دار نشر العصر الحديث، بيروت، ١٩٩١، ج١، ص ٨٠ ، ٨٢ .

(٦٩) نفسه: ص ١١٥ ، ١١٧ ، ١٢٦.

ويؤكد لنا الإخباريون العرب أن **العرب المستعربة من أبناء اسماعيل هم من قالت الآيات بشأنهم** " **ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين** / ٨٠ الحجر "، ويقول آخرون " **كانت ثمود تقيم في جنوب شبه الجزيرة العربية، ولكنها انتقلت إلى شمال غرب الجزيرة العربية فى غرب خليج العقبة** .. وجاء فى الأعلام لخير الدين الزركلى **أن ثمود بن عابر بن إرم من بنى سام ابن نوح** .. كانت اقامتة فى بابل ورحل عنها بعشيرته إلى الحجر.. ثم انتشروا بين الشام والحجاز .. وفيها من أعجب الآثار بيوت منقورة فى الصخور".(٧٠) ويضيف (حمود القثامى) جامعا أخبار الأولين بقوله: " واختلف فى أصل ثمود فقيل هم من بقايا **عاد**، لأن القرآن الكريم ذكرهم مرادفين لعاد، وقيل أنهم **من العمالقة** الذين شيدوا لهم مملكة فى مدين والبتراء ووادى موسى، ولكنهم فى الثابت كانوا بعد قوم نوح وعاد، قال تعالى: ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم، نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم وأصحاب مدين والمؤتكفات / ٧٠ / التوبة. وتعتبر مدائن صالح من أهم وأغنى المناطق آثاراً فى جزيرة العرب " (٧١). ثم يتساءل مع المتسائلين من أصحاب الدراسات الأركيولوجية فى المنطقة قائلا: " لا يزال واضعوا الدراسات العلمية حول نقوش الثموديين فى حيرة من أمرهم، وما زالوا يتناقضون فيما بينهم .. فالنقوش الثمودية تطالعنا فى المنطقة الواقعة على امتداد الجزء الغربى من شبه الجزيرة العربية، **من جوار مدينة البتراء حتى اليمن**، لكن هذه المنطقة أوسع بكثير من المنطقة التى كان يسكنها الثموديون كما هو فى كتب التاريخ العربى " (٧٢).

وعلى الامتداد نفسه من البتراء قرب العقبة نصل إلى واد لم يزل يحمل الاسم الأرامى **(رم)**، وقد وصفه لورانس بقوله: " صخوره الشاهقة كأنها بنايات ضخمة عملاقة، تقع على جانبى شارع طويل، تبدو القمم العالية التى تكتنفها **القباب** الضخمة وكأنها **الأعشاش** [ولابد أن نتذكر هنا قباب مساكن بونت التى تظهر كالأعشاش / المؤلف].، يشاهد الزائر اللوحات الصخرية المتناثرة فى مختلف الأماكن من وادى رم مكتوب عليها باللغة الثمودية .. إنه من روائع جمال الطبيعة العذراء، وبقعة لا مثيل لها فى بقاع العالم، فمن خلال الأشكال والألوان يحس الإنسان أنه فى **أجمل بقعة من العالم** " (٧٣).

ثم يتساءل (قثامى) حول هذا الانتشار الهائل للمخربشات الثمودية من البتراء حتى اليمن، بينما المفترض أن ثمود قد سكنت فقط منطقة الحجر بقوله: " إذن من هم مؤلفو الثلاثة عشر ألفا أو الأربعة عشر ألفا من النقوش الثمودية، التى باتت الآن معروفة لنا، بالإضافة إلى الألفى نقش التى وجدت فى شمال شبه الجزيرة العربية، والتى اكتشفها بييرفان دن براندان .. يقول بعضهم: إن تلك النقوش تعود إلى أصحاب القوافل التى كانت تعبر الصحراء، حاملة التجارة عبر الطرق الصحراوية، ومن الغريب أن يكون بعض

(٧٠) نفسه: ص ١٥٦ ، ١٥٩.
(٧١) نفسه: ص ١٦٠.
(٧٢) نفسه: ص ١٧٠.
(٧٣) نفسه: ص ٢١٠ ، ٢١١.

هذه النقوش من صنع أصحاب القوافل أنفسهم، والأغرب من ذلك أن حقيقة وجود أعداد كبيرة من هذه النقوش فى قمم الجبال العالية، حيث يصعب على أصحاب القوافل الوصول إليها"(٧٤) إن مثل تلك النقوش فيما نرى كانت بحاجة إلى وقت وزمن وارتباط بها، لقد كانت لأناس يقيمون هناك فى محطات دائمة على الخط التجارى للإمبراطورية التجارية.

وإذا كنا قد عثرنا هناك على التأكيد الواضح – فى اسم قصر بنت – على ما ذهبنا إليه حتى الآن، وعثرنا على عناق البونتى والطائر البونى، فإننا نجد أيضاً الرفائيين/ الرباتيين، فى اسم معبد **الروافة** النبطى (والفاء تنطق أيضا باء)، الواقع إلى الغرب من تبوك على خط ٣٦,٥ طولاً و ٢٧,٤٥ عرضاً. وقد ذكره ديودورس الصقلى باعتباره **مكانا مقدسا** لقبيلة عربية، وذكره أيضا الدكتور جواد على، ووجد على حجر هناك نقوشا يونانية قصيرة تذكر أن البناء يعود إلى Hierontouto وأنه قد بنى فى أرض الرباتيين أو كما دونت Rabathai، وهو ما يدفع إلى اعتبار اسم الروافة الحالى من الأصل رفائى ورباتى.

ويذهب المفسرون المسلمون إلى أن الآيات " واسألهم عن **القرية التى كانت حاضرة البحر**/ ١٦٣/ الأعراف " و " قلنا لهم كونوا **قردة** خاسئين/ ٦٥/ البقرة " إنما تعنى مدنية إيلات / أيلة أو ربما العقبة. ولكنها فى رأينا ميناء عصيون جابر التوراتى المندثر بجوار ميناء أيلة، ويحكى القرآن ذكريات العربان عمن أبادتهم الحدثان، فيربط بين الحوت الدلفين، الذى تتناثر تماثيله فى المنطقة، وبين المدينة والبحر وبين الشعب الإسرائيلى وشرائعه فيقول: " وأسألهم عن القرية التى كانت حاضرة البحر إذ يعدون فى السبت إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لايسبتون لاتأتيهم، كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون، وإذ قالت أمة منهم لم تعظمون قوماً الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا، قالوا معذرة إلى ربكم ولعلهم يتقون فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء، وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون، فلما عتوا عن ما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين / ١٦٣:١٦٦ / الأعراف "، ولا يبقى سوى أن تكون حاضرة البحر تلك هى التى استقبلت سفائن الفرعونة حتشبسوت (عصيون جابر) .

ويتابع (حمود القثامى) ليقول عن شعب مدين: " وقد بقيت آثارهم حتى الآن، وهى عبارة عن بيوت نحتت داخل الحجر، أى أن البيوت حفرت حفرا داخل الصخور فتكونت بيوت من الصخور، وداخل هذه البيوت غرف فصلت تفصيلا دقيقا، بطريقة فنية تشير إلى المستوى الحضارى والفنى الذى كان عليه هؤلاء الأقوام .. ويظهر من مقابرهم أنهم **طوال القامة** " (٧٥). ويسجل عن قائد سلاح الحدود فى منطقة مقنا على خليج العقبة وصفه لها فى قوله " إن مقنا منطقة أثرية عظيمة فقد عثر على كثير من **الجماجم الغريبة الشكل فى طولها**، بحيث تدل على أنها لقوم **عماليق فى الحقيقة**، لأن الجماجم أكبر بكثير من جماجم الناس

(٧٤) نفسه: ص ٢٢٠.

(٧٥) نفسه: ص ٣٠٥ ، ٣٠٧.

العاديين " [٧٦]. ولنتذكر هذه الجماجم الطويلة فسيكون لها شأن فى حل غوامض ستأتى فى مواضعها من أجزاء بحثنا هذا.

وعلى صلاية الملك نعرمر مؤسس الأسرة الأولى المصرية، نجد أول ذكر لأول معارك مع البدو الساميين وهو رأي يخالف ما استقر عليه التفسير لهذه الصلاية ونقوشها بكونها إشارات لتوحيد نارمر للقطرين المصريين الشمالي والجنوبي، أما حسب قراءتنا نحن للنقوش، فسنجد على أحد وجهى الصلاية الملك يقبض على بدوى من رأسه ويضربه بدبوس قتال، لكن الملك الجليل كان يقف **حافيا**، ولا يتركنا الفنان نتوهم أن المصرى القديم لم يعرف النعال، فقد نقش خلف الملك صورة لواحد من أتباع الملك يمسك بنعلى الملك بشكل واضح؟ فهل كانت هناك قاعدة ضرورية تلزم صاحب الجلالة **بخلع نعليه لأنه يقف بأرض أو بواد مقدس مثلا؟ بأرض إله؟**

وعلى الوجه الآخر نشهد نقشا لحيوانين يوصفان فى كتابات المؤرخين بأنهما كائنات أسطورية خرافية، فالرأس أقرب إلى اللبوءة، والعنق شديد الطول كما لو كان الفنان قد بالغ فى إطالة الرقبة لتأكيد تعريفنا بهذا العناق، ويمسك برقبتى العناقين رجلان من أتباع الملك رمزا لانتصاره على تلك البلاد وسيطرته عليها ممثلة فى سيطرته وترويضه لأشهر أعلامها (التفسير التقليدى لعلماء التاريخ يرى الصلاية والوحشين رمزا لتوحيد نعرمر لوجهى مصر العليا والسفلى).

أما ذيل الحيوان فكان معقوفا، وهو الشكل الذى يطابق مشهداً لذات الحيوان، عثر عليه فوق الكهوف الثمودية وقال الباحثون فى وصفه " ربما كان لبؤة صغيرة، لكن ذيله المعقوف مثل ذيل الكلب ".

ويدعم تفسيرنا أو قراءتنا هذه لصلاية نعرمر، أن على رأس الصلاية نقش الفنان نقشا آخر ليؤكد به الموطن الذى ذهبت إليه جيوش نعرمر، فصور طائر الزقزاق بشكل واضح لا لبس فيه، وعلى الجانبين رأس الإله حتحور وهى ربة سيناء الشهيرة عند المصريين.

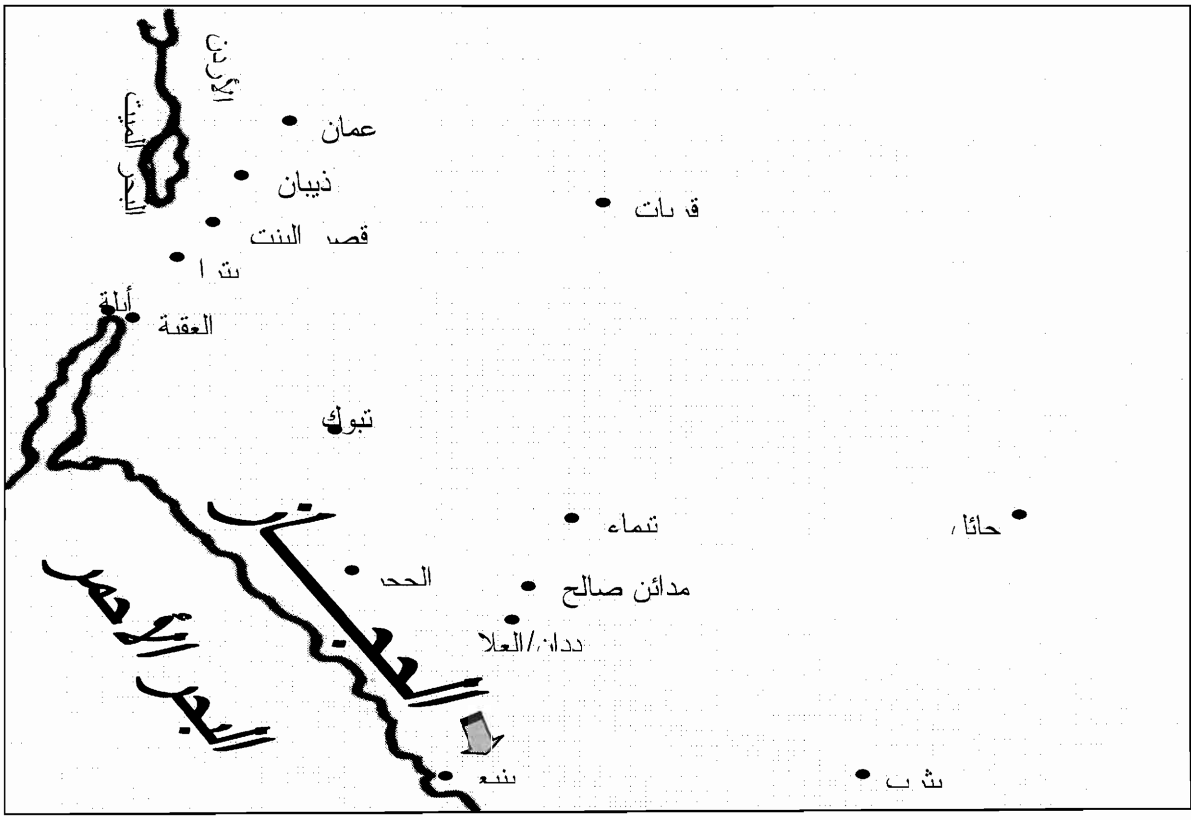
ونتذكر الآن أن كثيراً من المؤرخين ذهب لأسباب وجيهة أن الملكة المصرية (تى) أم الفرعون إخناتون، كانت من بلاد ميتانى التى يفترض أنها كانت تقع فى أعالى الرافدين، والتى افترضناها مديان فى سيناء ووادى عربة ومحيط خليج العقبة جميعاً، ولو تطلعنا إلى إخناتون سنجده شخصا عملاقا، يحمل رأسا غريبا فهو رأس مستطيل وكبير، وهو ما أورثه أيضا لبناته فى النقوش التى تركتها فنون العمارنة.

---

(٧٦) نفسه : ص ٣٣٨ .



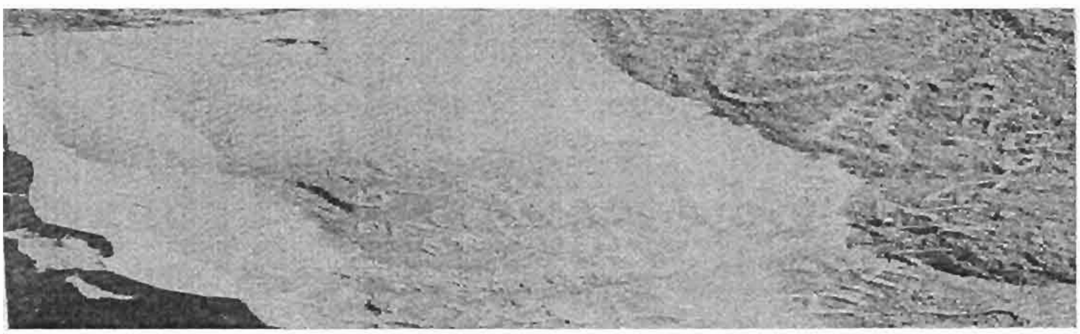
خريطة رقم(٣٤) صورة من خريطة بطلميوس الأصلية



خريطة رقم (٣٥) مناطق العاديين والثموديين

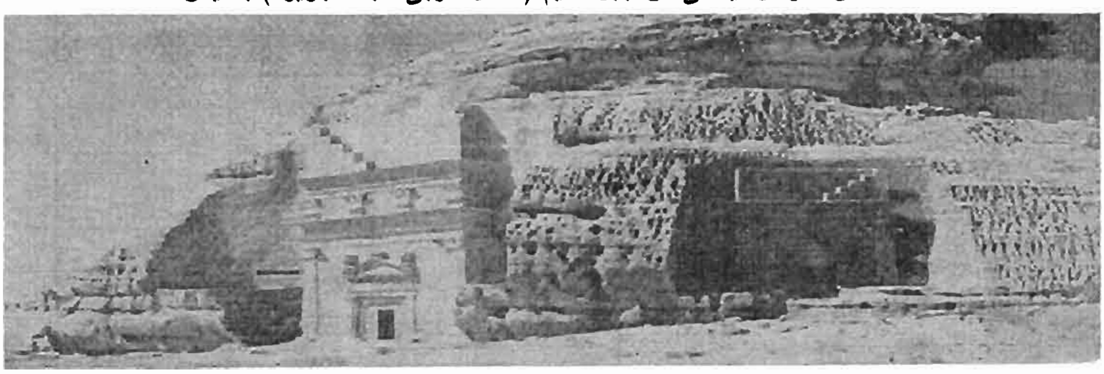


خريطة رقم (٦٣) جزيرة العرب / طرق القوافل التجارية



شكل رقم (٦٤)

نقش ثمودى تيمانى من جبل غنيم (شمال غربى شبه الجزيرة) بالتيمن

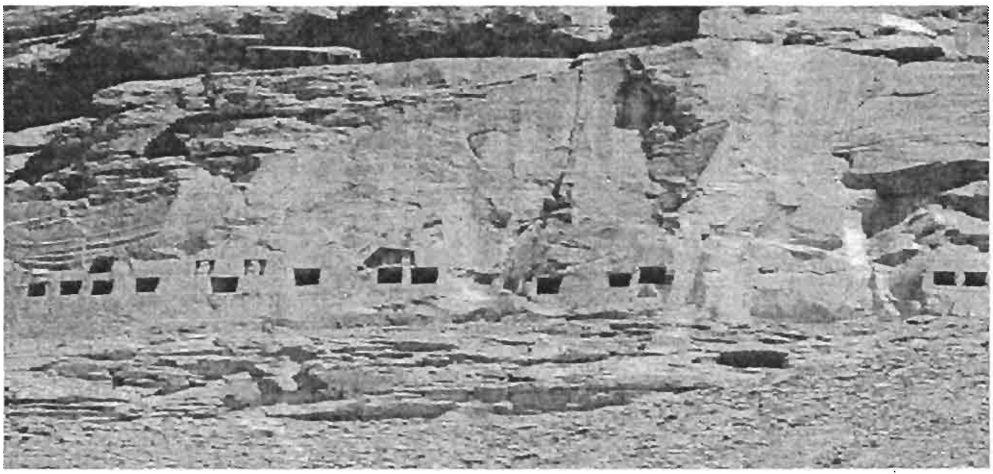


شكل رقم (٦٥)

منظر عام لضريح أو بيت منحوت فى الصخر فى خربة العلا (لاحظ المشهد كأعشاش النحل



شكل رقم (٦٦)
الثموديون: مدائن صالح / الحفر فى الصخر "ينحتون الجبال بيوتاً / قرآن كريم"



شكل رقم (٦٧)
الثموديون: المساكن الكهفية القديمة بخرائب ددان (مدائن العلا حالياً)



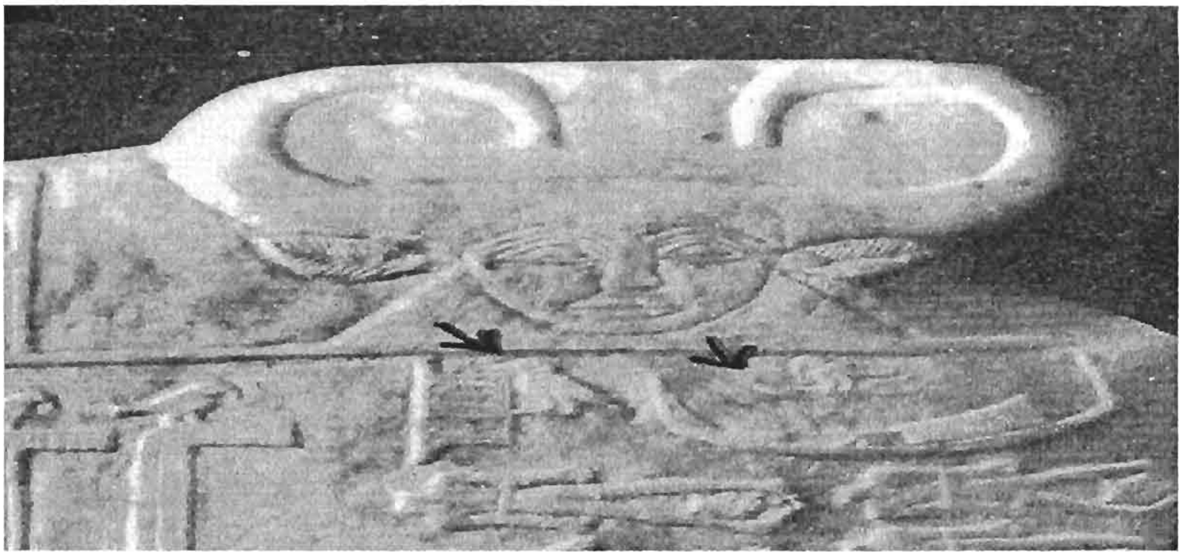
شكل رقم (٦٨)
تمثال عثر عليه فى المعبد اللحياني ــ العلا



شكل رقم (٦٩)
تمثال للمقارنة، الكاهن الأعلى ــ الأسرة الخامسة مصر القديمة



شكل رقم (٧٠)صلا ية نارمر الوجة الأول



شكل رقم (٧١)
ربة سيناء حتحور أعلى الصلاية وتحتها سفينة تشير إلى وسيلة الوصول وبجوارها طائر الزقزاق يشير إلى شعب الأرض المقصود التعبير عنها





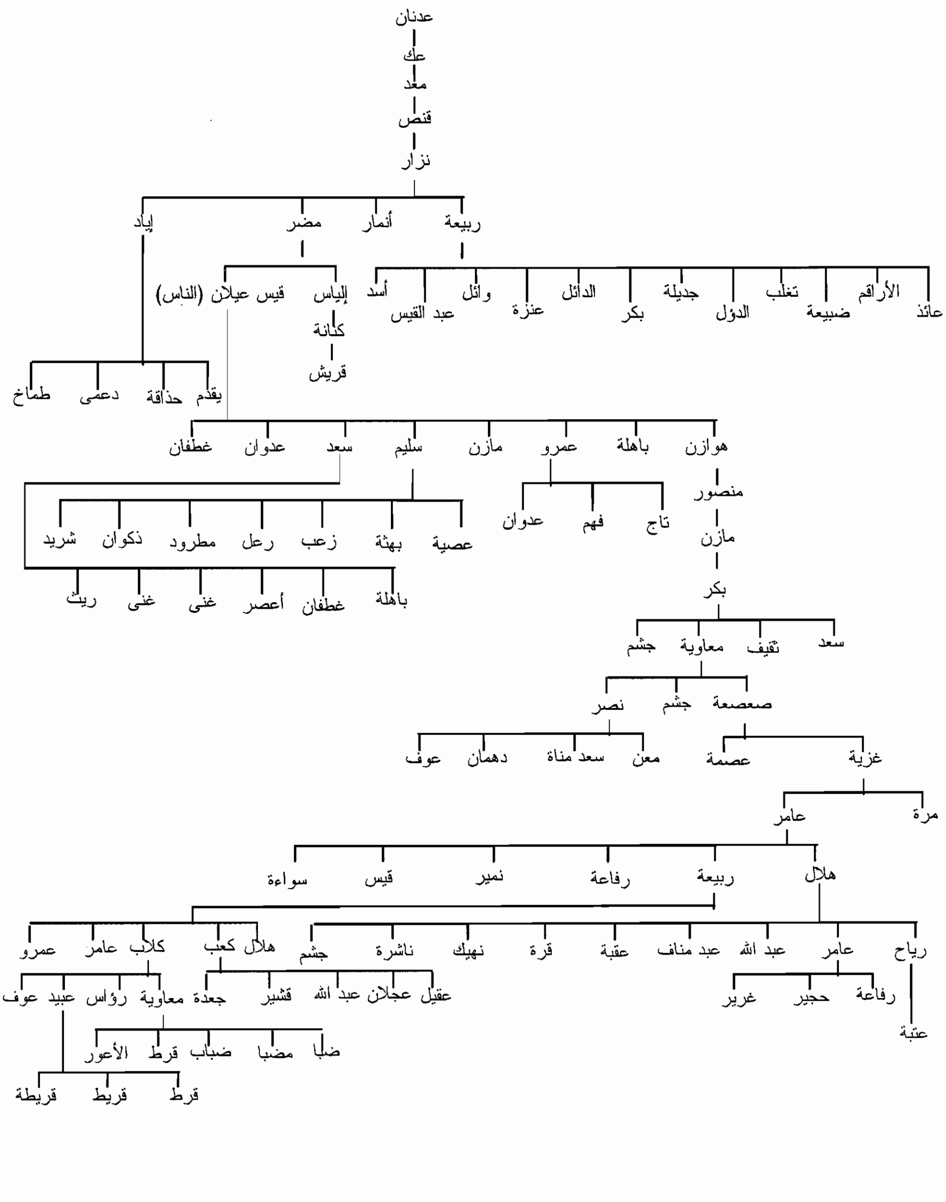
شكل رقم (٧٢)
حامل نعلي الملك بينما الملك يسير حافياً

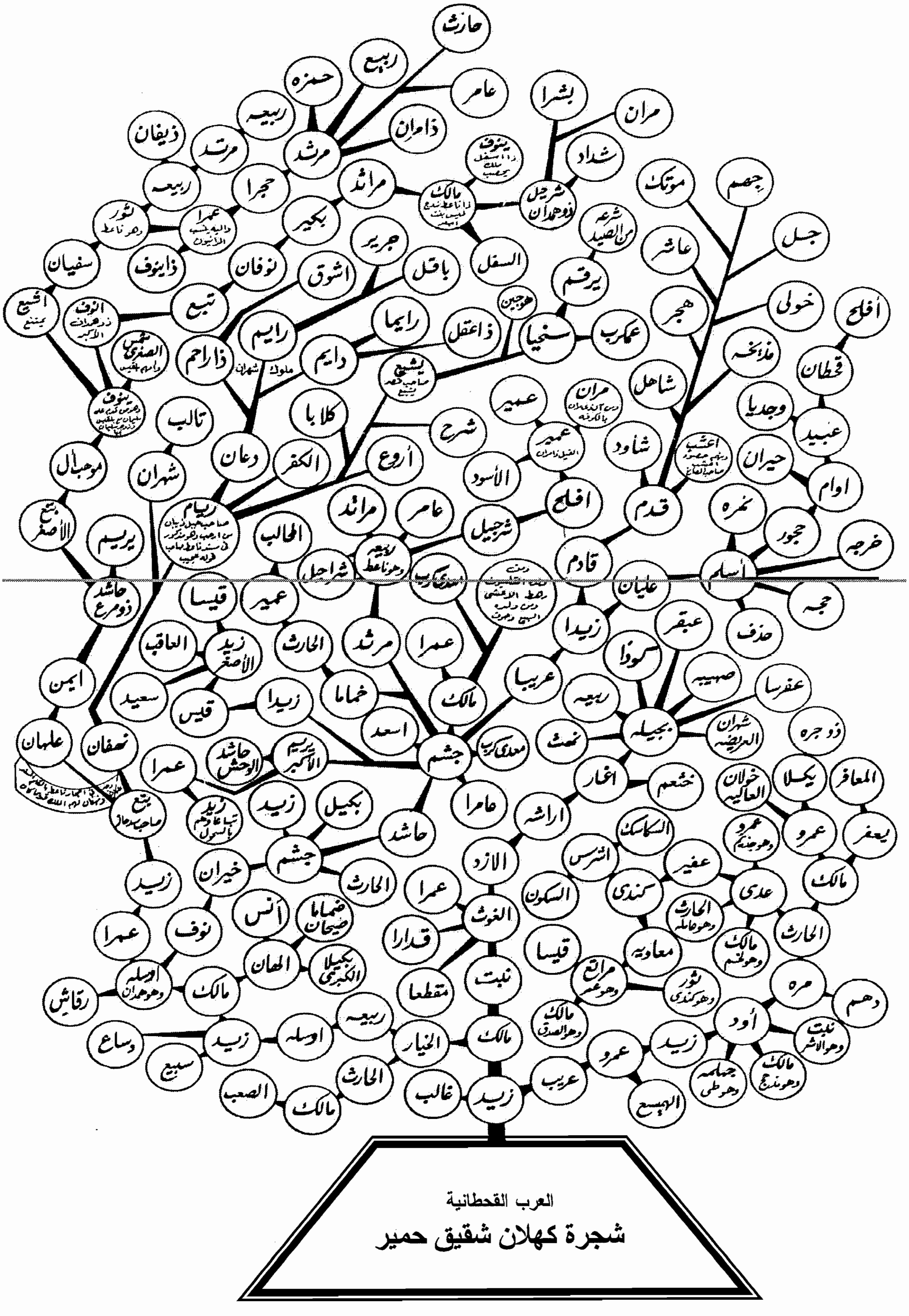


شكل رقم (٧٣) صلاية نارمر الوجه الثاني

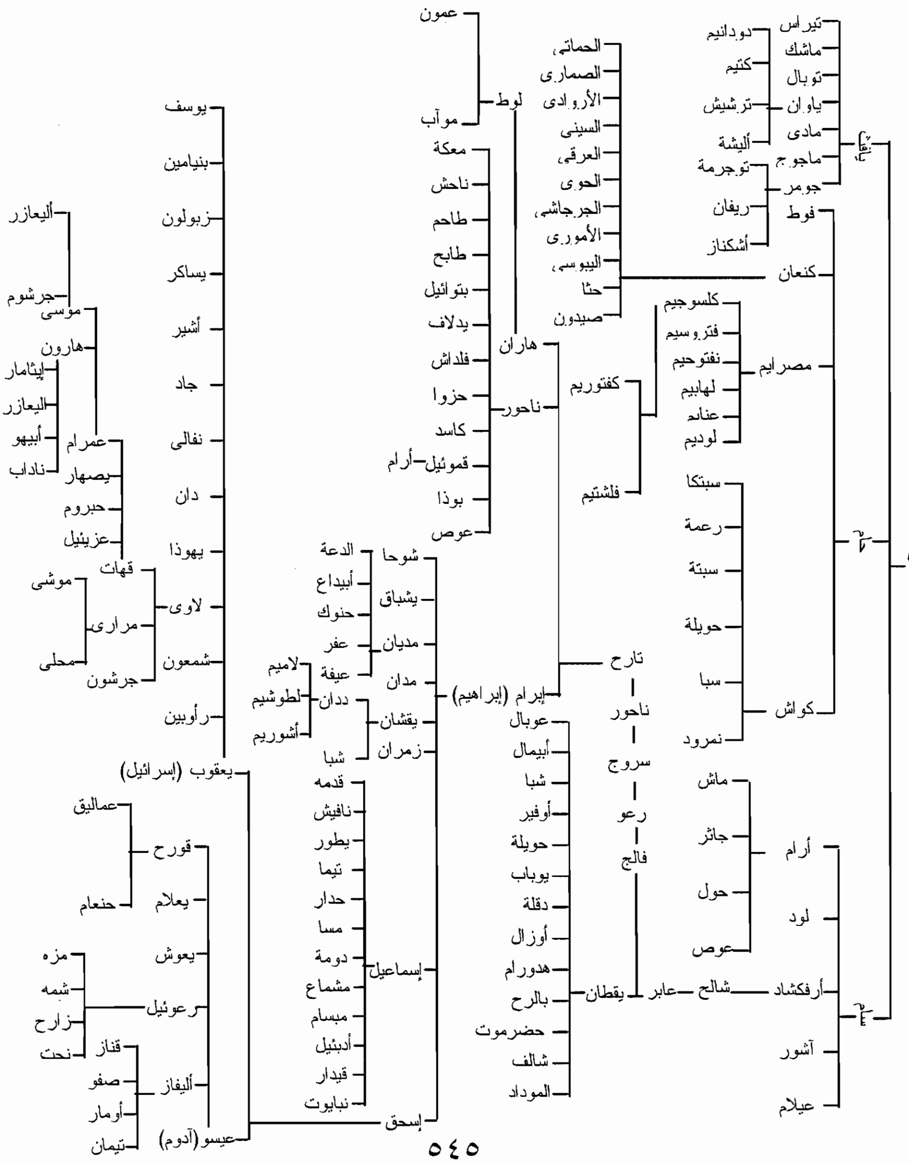


شكل رقم (٧٤)
أعداء الملك يهربون وخلفهم رمز موطنهم (كهف)


عدنان
عك
معد
قنص
نزار
ربيعة
أنمار
مضر
إياد
عائذ
الأراقم
ضبيعة
تغلب
الدؤل
جديلة
بكر
الدائل
عنزة
وائل
عبد القيس
أسد
إلياس
كنانة
قريش
قيس عيلان (الناس)
يقدم
حذاقة
دعمى
طماخ
هوازن
باهلة
عمرو
مازن
سليم
سعد
عدوان
غطفان
منصور
مازن
بكر
تاج
فهم
عدوان
عصية
بهثة
زعب
رعل
مطرود
ذكوان
شريد
باهلة
غطفان
أعصر
غنى
غنى
ريث
سعد
ثقيف
معاوية
جشم
صعصعة
جشم
نصر
معن
سعد مناة
دهمان
عوف
غزية
عصمة
مرة
عامر
هلال
ربيعة
رفاعة
نمير
قيس
سواءة
رياح
عامر
عبد الله
عبد مناف
عقبة
قرة
نهيك
ناشرة
جشم
رفاعة
حجير
غرير
عتبة
هلال
كعب
كلاب
عامر
عمرو
عقيل
عجلان
عبد الله
قشير
جعدة
معاوية
رؤاس
عبيد
عوف
ضبا
مضبا
ضباب
قرط
الأعور
قرط
قريط
قريطة


العرب القحطانية
شجرة كهلان شقيق حمير
زيد
مالك
نبت
الغوث
الأزد
الخيار
غالب
عريب
عمرو
الهميسع
زيد
أدد
مره
نبت
مالك
ربيعه
اوسله
الحارث
مالك
الصعب
سبيع
وساع
زيد
رقاش
مالك
عمرا
نوف
خيران
زيد
جشم
الحارث
بكيل
حاشد
عامرا
جشم
اسعد
خماما
زيدا
قيس
سعيد
ايمن
علهان
نهفان
حاشد ذومرع
يريم
الأصغر
موهبال
تالب
شهران
دعان
ريام
الكفر
أروع
شرح
عمير
الأسود
افلح
قدم
قادم
أسلم
خرجه
حجور
نمره
اوام
عبيد
حيران
وجديا
قحطان
أفلح
خولى
جل
جهم
عاشر
هجر
مذاخه
شاهل
شاود
مران
عمير
يرقم
سخيا
عكرب
ذاعقل
رايما
دايم
رايم
باقل
جرير
اشوق
نوفان
تبع
ذاراحم
كلابا
مالك
السفل
شرحبيل ذوهمدان
شداد
مران
بشرا
مرثد
ذامران
عام
ربيع
حمزه
حارث
ربيعه
مرثد
ذيفان
ربيعه
حجرا
مراثد
بكير
سفيان
اشيع
ذاينوف
يشرح
عمير
قيسا
العاقب
الحارث
مرثد
عمرا
مالك
عريبا
زيدا
عليان
سودا
عبقر
صهيبه
بجيله
عفرسا
حذف
جحه
ربيعه
نمش
معدي كرب
اغار
خثعم
اراشه
ذوجره
يكلا
المعافر
عمرو
يعفر
مالك
عدي
الحارث
عفير
كندى
السكون
السكاسك
الشرس
معاويه
قيسا
قدارا
مقطعا
أنس
ضماما صيحان
العمان
ذوجبين
شرحبيل
عامر
مراثد
الحالب
شراحيل
ربيعه

شجرة الأنساب التوراتية حسب الكتاب المقدس



إسحق و(الإله الضحاك)

إبان بحثنا بدت لنا بعض الغوامض التى يمكن بحلها، أن تلتقى نتائجها مع ما قلنا حتى الآن، وتؤكده. ناهيك عن كون هذا الحل يفسر لنا علاقة بنى إسرائيل بالهكسوس بتوضيح إكثر إضاءة وإدهاشاً. كما أن بعض الغوامض التى سنتناولها ستعطينا مزيداً من الأدلة على **مدى تغلغل العقائد المصرية فى العقائد الإسرائيلية** من بعد، مع غرض رئيسى من هذه المباحث يهدف إلى ربط كل ما وصلنا إليه بما هو آت، خاصة ما تعلق بعلاقة النبى موسى والخروج الإسرائيلى من مصر، بكل هذا الرتل الذى جهدنا وراءه حتى الآن.

وبين أبرز هذه الألغاز المطلوب حلها، هو ما ترويه لنا التوراة حول البطرك إبراهيم، الذى شاخ هو وزوجته سارة، لكن إرادة الله كانت أن ينجبا ولداً يكون أباً لنسل كثير، ذلك النسل الذى سيأتى من يعقوب بن **إسحق** بن إبراهيم، ويعقوب هو الذى أسماه الله إسرائيل، ونسله هم (بنى إسرائيل).

ولتحقيق الخطة الإلهية ذهب الرب ليقابل إبراهيم ويشكو له مما وصل إليه شعب يعيش فى مدينتين من المدن الخمس **لبلاد آدوم** من تدن خلقى، إذ يأتون الرجال دون النساء شهوة، ويتعشقون الصبية المرد، وينفرون من الغيد الحسان. وإبان الحوار الذى دار بين الرب وخليله حول رغبة الرب فى القضاء المبرم على مدينتى عاد وثمود أوعمورة وسدوم الآدوميتين، يخبر الرب خليله بقرار الميلاد العجيب لإسحق ابن ابراهيم: حين يقول الرب لإبراهيم:

> أين سارة امرأتك؟ فقال: هاهى داخل الخيمة، فقال: إنى أرجع لك نحو زمان الحياة ويكون لسارة امرأتك ابن . وكانت سارة سامعة فى باب الخيمة وهو وراءه، وكان إبراهيم وسارة شيخين متقدمين فى الأيام، وقد انقطع أن يكون لسارة **عادة** (حيض/المؤلف) كالنساء، **فضحكت** سارة فى باطنها قائلة: أبعد فنائى يكون لى تنعم؟ وسيدى قد شاخ؟ (أى إبراهيم / المؤلف). فقال الرب لإبراهيم: لماذا **ضحكت** سارة قائلة: أفبا لحقيقة ألد وأنا قد شخت؟ هل يستحيل على الرب شئ؟ فى الميعاد أرجع إليك نحو زمان الحياة ويكون لسارة ابن. فأنكرت سارة قائلة: **لم أضحك** لأنها خافت، فقال: لا! بل **ضحكت**.
>
> تكوين ١٨/٩ – ١٥

ومع استمرار القراءة يخبرنا الكتاب المقدس أن سارة قد ولدت فى شيخوختها طفلا:

ودعا إبراهيم ابنه المولود له الذى ولدته له سارة: **إسحق** .. وكان إبراهيم ابن مئة سنة حين ولد له إسحق ابنه، وقالت سارة: قد صنع إلي الله **ضحكا**، كل من يسمع **يضحك** لى.

تكوين ٣/٢١ - ٦.

وهنا ننقل السمع إلى مصادر أخرى، فننصت إلى روايات المسلمين من أصحاب السير والأخبار وقصص الرسل والأنبياء، يحيطوننا علما نافعا يقول:

قال السدى: قالت سارة لجبريل عليه السلام لما بشرها بالولد على حالة الكبر: ما آية ذلك؟ فأخذ بيده عوداً يابساً فلواه بين أصابعه فاهتز أخضراً، .. وقال مجاهد وعكرمة : **فضحكت أى حاضت فى الوقت**. وتقول العرب: ضحكت الأرنب على الصفا إذا **حاضت**، وقال السدى وبن يسار وغيرهم من أهل الأخبار: **فحملت** سارة بإسحاق(١).

والعارف بالتوراة لاشك يعلم دأبها على ربط أسماء المواليد (خاصة فى العصر البطريركى من إبراهيم إلى موسى) بأسماء مواضع جغرافية ومدن، أو أن يحمل اسم المولود دلالة على حدث هام أو نادر قد حدث إبّان ولادته أو ما أشبه، فيعقوب سمى يعقوب لأنه وُلد ممسكا بعقب شقيقه التوأم عيسو، وسمى يعقوب عندما كبر باسم إسرائيل لأنه صارع الله، وعيسو حمل اسما ثانيا بدوره هو آدوم، لأن لون عيسو وشعره كان بلون الأدمة، أى لون الأرض الحمراء، أى لون الدم أوالشقرة. وفى الأدمة شق تركيبى موروث هو (دم). وبنيامين بن يعقوب سمى كذلك لأنه ابن اليمين أى الجنوب أو هو ابن اليمن.

ورواية التوراة هنا تحاول أن تبلغنا بسر تسمية إسحق ومعنى هذا الاسم، لكن على سرعة وعجل يتسم بالغموض فيأتى أهل الأخبار من مؤرخى الإسلام ليجلوا لنا المعنى ويوضحوه. فقد كانت سارة عجوزا قد انقطع حيضها، فلما أراد الله لها الحبل **ضحكت أى حاضت** على الفور تهيئة لقبول أعضائها لممارسة الحمل والولادة.

فالضحك هو ضحك الفم والأسنان، لكنه أيضا ضحك الفرج أى انفتاحه، فالفم والفرج ينفتح كلاهما عند فعل الضحك. ولأمر معلوم لدى دارسى الأساطير القديمة لابد أن يحيل هذا الإله إلى أرباب الخصب والخضرة، فقد كانت آلهة الخصب القديمة هى المسئولة عن نمو المحصول وعن الرى أى عن ولادة الأرض، وعن خصب الحيوان وزيادة نسله كذلك الإنسان. وتحفظ لنا القصة الإسلامية رمز ذلك الإله

(١) الثعلبى: عرائس المجالس.. سبق ذكره، ص٨١.

المخصب فى العود اليابس الذى تحول فى القصة إلى عود أخضر، كلون من الإعلان الواضح عن الفعل المطلوب وهو ممارسة خصبية تؤدى إلى ميلاد إسحق، الذى أرتبط اسمه بالخصب والضحك ودم الحيض.

وكان معلوما فى تلك الأيام الغوابر أن الدم هو المكون الأساسى والمادة الخام للحياة وخصبها، لتكوين الجنين، إذ لاحظ الإنسان الإبتدائى اختفاء دم الحيض مع الحمل فربط بينهما واعتبر الدم معامل الحياة المشترك لكل شئ، لذلك كان اختفاؤه النهائى يعنى توقف الخصب وامتناع المرأة عن منح الحياة والولادة.

وفى الفصول السابقة سبق وحددنا إلها بذاته يُعد أهم آلهة الأقوام السامية، ومنهم الهكسوس والإسرائيليين الذين تمركزوا شرقى الدلتا المصرية، هو سيت المصرى المتحد ببعل رب الخصب السامى، وقد شهدنا له عدة تجليات كما فى الحية وطائر الفينيق وفى حيوان عناق البونتى، وهنا يكشف الإله عن تجل جديد سيرتبط وشيكا بعد فقرات بإسحق.

وتقول لنا الأساطير المصرية إنه من رأس سيت – والرأس محل الحكمة والعقل – انبثق الإله تحوت، الذى ينبغى أن ينطق سليما (ضحوت Tcheuti) إله مدينة الأشمونين عاصمة الإقليم الثامن بمصر الوسطى، ويبدو أنه كان إلها حديثا بالإقليم، لأنه اندمج هناك عند ظهوره برب قديم للإقليم يحمل اسم (ح ض – ور)، وكان (حضور) يمثل فى رمزين: الأول طائر IBIS أبى قردان، والثانى هو قرد البابون، لكن هذه الآلهة نفسها رغم صعيديتها فهى ذات منشأ دلتاوى(٢).

وما يعنينا هنا هو أن أهم رموز وتجليات الإله (ض ح – و ت) كان القمر، فهو رب القمر لكنه أيضا كان ربا شمسيا لذلك لقبه المصريون القدماء بلقب (سيد الزمان وحاصى السنين)، كذلك كان حامى الكُتّاب والمفكرين باعتباره مخترع الكتابة فى الأساطير. وقد ربط اليونان بينه وبين معبودهم (هرمس Hermes) الذى يعود للإسم (إرم) أى الإرمى، واعتبروا ضحوت هو الصورة المصرية للإله هرمس، وقد صور المصريون ضحوت إما فى صورة رجل برأس أبى قردان (الأيبس)، أو بصورة أبى قردان الكاملة، أو بصورة قرد يضع فوق رأسه قرص القمر فى حالة الهلال يضم بداخله صورة قرص الشمس مما يؤكد قمرية ضحوت وشمسيته معاً.

وكما اعتدنا فى عملنا هنا، نعود إلى لسان العرب نبحث عما تركه الزمان متضمناً داخل معانى المفردات، فنجد الجذر (ضحا) فى العربية هو من طلوع الشمس وارتفاع النهار. لكن الكلمة تقال أيضا عن القمر وطلوعه، إذ يقول العرب: ليلة ضحياء وأضحيانة أى ليلة مقمرة لاغيم فيها، كما سميت الضحية كذلك لأنها تذبح عند الضُحى. وفى القرآن الكريم آيات تقسم بظواهر الكون ومنها " والضحى والليل إذا سجى " حيث قرنت الآيات بين الليل و الضحى، مما يشير إلى أن الضحى المقصود هنا هو القمر، وبالقلب تصبح

(٢) على فهيم خشيم: آلهة مصر.. سبق ذكره، ج٢، ص ٣٥١.

(وضح) والثنائى منها (و ض) و (وضأ). و(الوضح) فى لغة العرب هو بياض القمر كما هو بياض الصبح[٣].

وللمزيد من أجل جمع معانى تزيدنا إيضاحا ووضوحا، نجد قرد البابون على وجه التحديد رمزاً لضحوت دون بقية أنواع الفصيلة القردية. ويسمى فى الإنجليزية الوسيطةBebewin والفرنسية القديمة Babuin من اللاتينية الوسيطة Babewynus، لكن المعجم هنا يقدم لنا تقريرا حول الكلمة موجزا يقول: وأصل هذه الكلمة مجهول. هنا يذهب الباحث على خشيم إلى أن تلك الكلمة لها أصل واضح فى العربية فهى مأخوذة من مأمون / ميمون. ويدعم هذا التخريج أن مونتجومرى وات يقول: إن معنى Baboon هو سعيد أو محظوظ Lucky . وفى العربية نجد الشق الأول من اسم الإله القردى بابون القمرى (ضحوت) هو (ض ح) وهو مقلوب الشق الأول من الإله الذى اندمج معه (ح ض. ور). والشق (ح ض) هو بلا خلاف (ح ظ) والحظ يعنى السعد واليُمن، ثم أن العربية تسمى هذا القرد (سعدان) من السعد، وميمون من اليُمن التى تلتقى مع بلاد اليمن بلاد السعد أو كما سميت (العربية السعيدة)، ولم تزل بلاد اليمن إلى يومنا موئلا لقرد أو سعدان البابون الذى ينتشر فيها انتشاراً واسعاً .

والإصطلاح العلمى الذى يطلق على هذا القرد كتبته اللاتينية:Cyno - Cephalus - Hamedryas ، وعلى الفور تلحط أن المقطع الأول Cyno فى اليونانية Kuno أى كلب ، ثم المقطع الثانى من الكلمة Cephalus وتعنى رأس، لتصبح الكلمة جميعاً تعنى: القرد الكلبى الرأس، وهى الصفة التى تطابق تماما قرد البابون، فرأسه أقرب إلى رأس الكلب، أو ربما **الضبع.**

ويزداد ترابط هذا المعبود الكلبى الرأس بالكلب عندما نتذكر ملحوظة استرابون عند زياراته لمصر، إذ لاحظ أن فى مدينة مصرية اسمها كينوبوليس أى مدينة الكلب، كانت تتم عبادة الإله أنوبيس رب الموتى الكلبى، وأنه كانت تقام هناك مأدبة مقدسة للكلاب، كما لاحظ أن أهل بابليون (مصر القديمة جنوب شرقى القاهرة / المؤلف). فى زمانه كانوا يعظمون الكيبوس وهو القينوقفالس / القرد الكلبى الرأس.[٤].

والطريف أن نجد قرد البابون/ ضحوت رب الحكمة ، يرتبط تماما بمعبود البوادى السامية (سيت)، فهو قد خرج من رأسه، ثم نستمع إلى بلوتارك يقول: " ويسمى توفون .. **سيت بابون** Bebon وسمو Smu.. وفوق ذلك يسمون .. **الحديد** عظم توفون كما ذكر مانيتون " [٥].

وهكذا فإن الإله المتعدد الأسماء (سيت/ تيفون/ بعل حداد/ بعل صافون) يأخذ لقب (سيت بابون)، أى سيت القرد البابونى، وكان له لقب آخر هو (سمّوه) علامة على السيادة والسلطان، أما الأكثر إضاءة فهو ربط هذا المعبود فى عبارة بلوتارك العابرة بموطنه فى بلاد مديان، حيث كان القينيون صُناع الحديد الذى هو

---

(٣) نفسه: ص ٣٢٥، ٣٥٣.

(٤) استرابون: استرابون فى مصر .. سبق ذكره، ص ١٠٤، ١٠٥

(٥) بلوتارك: إيريس وأوزيريس. وسبق ذكره، ص ٩٣.

فى الاسطورة عظام سيت/ تيفون. والطريف أن نصوص مصر القديمة كانت تشير إلى الطوائف السامية من الخابيرو/ العبيرو بالكلاب [٦]، أما العابيرو فكانوا يصفون أنفسهم بها، وهو مايرجح أنها كانت صفة مستحبة تيمنا بالمعبود[٧] لكننا نجد اسم الإله المصرى القردى ح ض . ور/ Hd.Wr لقبا أكثر منه اسما وهو ما يفضى إلى ما نقصده مع الإله الضحاك فالكلمة ح ض. ور تترجم على التدقيق بالأبيض العظيم (ح ض = أبيض + ور = عظيم)، فهل يمكن أن يسعفنا لسان العرب فى فهم سر تلك التسمية الغريبة تماماً؟ إن مادة (حضأ) تقول: " حضأت النار التهبت .. وحضأت النار سعرتها .. وحضو النار تحريك جمرها " وهو ما يشير إلى طبيعة البابون الشرسة الحادة، خلافا لبقية الفصيلة القردية كالشمبانزى والنسناس مثلا [٨].

والكلمة (ح ض) أى الأبيض تطابق العربية (ح ى ض) (حيض) دون التباس، لكنها بالقلب تصبح (ض ح) لتشكل الشق الأول من اسم ضحوت، والثلاثى من الثنائى ض ح هو ضحك، أما ضحوت نفسها فهى كلمة واحدة متكاملة، هى ضحوك، أو هى الضحاك، وتحت مادة (ضحك) نقرأ فى لسان العرب:

ضحك: الضحك معروف: ضحك يضحك ضحكا.. وفى الحديث **يبعث الله السحاب فيضحك** أحسن الضحك.. **وضحكت الأرض اذا أخرجت نباتها وزهرها** .. والضاحكة كل سن من مقدم الأضراس مما ينــد عند الضحك ، والضاحكة السن التى بين الأنياب والأضراس وهى أربع ضواحك .. **والضواحك الأسنان** التى تظهر عند التبسم .. والضحك الثغر الأبيض .. والضحك الثلج **والضحك أيضا طلح النخل حين ينشق**، وقال ثعلب: هو ما فى جوف الطلحة.. وضحكت النخلة وأضحكت **أخرجت الضحك** .. **وضحكت المرأة إذا حاضت** وبه فسربعضهم قوله تعالى: **فضحكت فبشرناها بإسحاق** وأنشد تأبط شراً:

تضحك الضبع لقتلى هذيل   وترى الذئب بها يستهل

قال أبو العباس: **تضحك هنا تكشر** وذلك أن الذئب ينازعها على القتيل فتكشر فى وجهه وعيداً .. قال ابن سيدة: **وضحكت الأرنب إذا حاضت** :قال:

وضحك الأرنب فوق الصفا   كمثل **دم** الجوف يوم

---

(٦) زياد منى: جغرافية.. سبق ذكره، ص ٧٤

(٧) فليكوفسكى: عصور فى فوضى.. سبق ذكره، ص ٢٦٨: ٢٧٠

(٨) خشيم: آلهة مصر.. سبق ذكره، ص ٣٥٥، ٣٥٦

اللقا

يعنى **الحيض** فيما زعم بعضهم. وقال ابن الإعرابى فى قول تأبط شراً : تضحك الضبع لقتلى هذيلا أى أن الضبع إذا أكلت لحوم الناس أو شربت دماءهم **طمثت وقد أضحكها الدم**، وقال الكميت:

وأضحكت الضباع سيوف سعد لقتلى مادفن ولاودينا

..

أراد الشاعر أنها تكشر لأكل اللحوم.. وقيل معناه أنها تستبشر بالقتلى إذا أكلتهم فيهر بعضها على بعض فجعل هريرها ضحكا. وقيل : أراد أنها تُسر بهم فجعل **السرور ضحكا** .. وقال الأخطل فيه بمعنى **الحيض:**

تضحك الضباع من دماء سليم إذ رأتها على الحداب تمور

.. والضحوك من الطرق **ما وضح واستبان** .. والضاحك حجر **أبيض** يبدو فى الجبل، والضحوك الطريق الواسع، .. ويقال: **إن القرد يضحك إذ صوت .. والضحاك بن عدنان**، زعم ابن دأب المدنى أنه هو الذى **ملك الأرض**.

وعليه فإن الضحك هو الجلاء والوضوح والبيان وظهور الثنايا من الفرح، وله علاقة وطيدة بخصب الأرض والزرع والحيوان كالأرنب والضبع وكذلك بخصوبة الإنسان، والقرد يضحك إذ كشر عن أنيابه هياجا أو سروراً ، ولقب القرد فى مصر القديمة (ح ض) وتعنى الحضاء أو البسام وتضاف لها (ور = كبير) فيصبح: **الضحاك الكبير** ، وهو بالضبط ما تعنيه عبارة (الأبيض الكبير)، لأن الضحك يكشف عن بياض الأسنان ويبين عنها.

ونموذجا لذلك كمثال آخر نجد ضمن آلهة مصر القديمة إله السمك (سمك) أو (سبك) وهو التمساح، ونجد اليوم قرية من أعمال المنوفية لم تزل تحمل اسمه فهى (سبك الضحاك)، مما يشير إلى أنه قد حمل صفة الضحاك لأن التمساح يفتح فمه ساعات طويلة ليفصح عن أسنانه البيضاء.

وهكذا نجد نظريتنا تتدعم بجديد يؤكد صحة ما وصلنا إليه فى الفصول السابقة، فاللغة العربية أكثر **ما خصت الضبع بالضحك وبالحيض**، ولعلنا لم نزل نذكر عناق البونتى الشبيه بالضباع، وكيف قرنه لسان العرب بتصويت القرد (ضحوت)، وضحوت هو البابون ذو الرأس الضبعى كما لو كان قرداً قد مسخ ضبعاً أو العكس، ناهيك عن الشبه الواضح للقرد بالإنسان، وهو ما انعكس فى اعتقاد عن مسخ آخر هو مسخ البشر

إلى قردة. ونتذكر أيضاً طائر الفينيق آكل الحيات القادم من بلاد العنز العربية، لأن أبى قـردان المصـرى يسمى فى الأقطار العربية (أبو حنش، أبو منجـل، حـارس، عنـز)، واللاتينيـة تسـمية Ibis religiosa أو SacredIbis أى أبيس المقدس، وهذه الفصيلة بالتحديد من نوع طيور أبى منجل (أى أبى قردان) قد أطلقت عليه المصرية القديمة الاسم (هـ ب HB) وأخذتها اليونانية وصرفتها إسميا، فاسـمه (هـــ ب ى س) أو (أبيس) ، وهنا لابد أن نتذكر أيضاً إله الريح (هبا)، وأبو منجل طائر يسابق الريح، ولونه أبـيض واضـح، و(هــب) تعنى ما يعنيه اسم ضحوت (البياض) ، لأن من كلمة هب تأتى كلمة (هبهب) والهبهبة هى البياض والصفاء والبيان، ويقال فى لسان العرب: هب النجم إذا طلع، (هـ ب)، وهى على النسبة Hby. والطريـف أن المصرى لم يزل حتى اليوم يربط (هب) بالفصيلة الكلبية، مبقيا على الصيغة المصرية القديمة، فهو يطلق على نباح الكلاب (هبهبة) الكلاب.

هكذا يمكننا أن نفهم السر وراء اعتبار المصرى للقرد البابون وطائر ابى قردان معا رغـم تباعـدهما النوعى بين الأحياء، رمزين للإله ضحوت.

ولمزيد من الفهم سنجد أن الكلمة المصرية القديمة (HBY) قد أدت إلى(هـ ب ن ى Hbny) و (هـــ ب ى ن Hbyn) كما عند بدج، ونقلتها اليونانية إلى لغتها فى الاسم ابينوس أو هبينوس Ebenos أى أبنـوس وهو الخشب الأسود الصلب، وبهذا الشكل يكون بالمسألة خلل لأن الأبنوس **أسود** بينما أصل الكلمة المصرية يعنى **الأبيض** الناصع. هنا يقول معجم أوكسفورد أن الكلمة الأنجليزية ebony تعنى أبنـوس، لكـن المعجـم يستمر شارحا فيقول أنها ربما كانت تحريفا للكلمة Evory أى عاج، والعاج/ سن الفيل، ناصع البياض. لكـن هذا بالتحديد يشكل دليلا على نظريتنا نضيفه إلى رصيد أدلتنا، إذ يتضح مجئ النقيضين من مركز تصـدير واحد، مع الأبيض والأسود من الناس، فحملت اللغة السامية وهى تتطور هناك فى بلاد آدوم جينات وراثيـة تشير إلى المنابت والأصول. لقد اشتقت اليونانية كلمة Ebenos الدالة على الخشـب الأسـود مـن الكلمـة المصرية Hbny طائر ضحوت أبى قردان شقيق زميله البونتى (ب ن و) رمز الشروق والضياء القادم مـن أرض الإله فى الشرق، كما سبق وحدثنا المصرى القديم.

وللطرافة، أو للتأكيد، نجد الكلمة العبرية سن الفيل هى (شن هـ بين) أى العاج الأبيض الناصع، لكـن (هـ بين) وحدها تعنى أبنوس، لقد حملت الكلمات أيضاً تداخلات عناصر وأجناس الأحلاف الأخلامو.

وطائر (هبنى) يسميه المصريون اليوم (أبو قردان) وهى التسمية التى جمعت بين اسـمى ضـحوت ورمزية القرد مع طائر الأيبس فهى من مقطعين: (أبو = هـ ب ى hby + المقطع الثانى وهو تفعيل لكلمة قرد / قردان) بل أن اسم قردان يعود بدوره إلى المصرية القديمة الواضحة باللفظ والفوناتيك، لأن المصـرى القديم كان يطلق على جميع أنواع القردة الاسم (ق. ن. د)

وقد ورد بلسان العرب كما قلنا من هنيهة أن الضحاك أيضاً هو اسم لشخص محدد هو الضـحاك بـن عدنان، وعدنان هو أبو العرب الشمالية المستعربة، ثم ساق اللسان زعما يقول: إن الضحاك هذا هـو الـذى

ملك على الأرض جميعاً وكان مقر حكمه فى بابل. محتفظاً في الذكرى بامبراطورية كبرى كان لعرب الشمال (وادي عربة) نصيب فيها.

وهناك أسطورة فارسية معروفة حدثتنا عن ملك باسم الضحاك حكم من عاصمته فى الرافدين القديم، وكانت الرافدين تحسب فارسية حتى الفتح الإسلامى العربى لها، فيروى لنا الفردوسى فى رائعته المعروفة بالشاهنامة أن الكتاب الزرادشتى المقدس قد ذكر الضحاك باسم (إس – ت – حاك) أو(إزى – د – هـ ا ك ه)، وكتب الأخبار الإسلامية تقول: إن الضحاك كان ملكا من ملوك **النبط** لكنه كان كلدانيا حكم فى بلاد الكلدانيين / الرافدين القديمة. والأنباط كما عرفنا هم السلالة الأخيرة فى التطور نحو الجنس العربى واللغة العربية قبل ظهور العرب الصرحاء والعربية الصريحة، وأنهم سكنوا بلاد العرب أو وادى عربة فى آدوم. والطبرى يرى أن النمرود كان منوباً على حكم الرافدين من قبل ملك العالم الضحاك بينما الأصل الوطنى للضحاك هو بلاد اليمن، وأنه هجرها واستقر فى بيت المقدس/ أورشليم، تلك التى قال لنا يوسفيوس أنها المدينة التى بناها واستقر فيها الهكسوس بعد طردهم من مصر.

وهنا نقتطع من (مظفر نادوثى) فقرة شاردة لم يقصد بها شيئاً محدداً، لكنها تعنى لنا هنا الشئ الكثير، فهو يقول:

> يؤكد الفرس أن **العرب كانوا حكام العراق وبابل الأقدمين**، وأنه بعد جامشيد Gumshid الذى كان معاصراً لسام بن نوح احتل **دهاق Dahak العربى هذه البلاد**، ويؤكد العرب أنفسهم ذلك، إذ يقول الطبرى المؤرخ العربى المشهور: يدّعى أهل اليمن أن الملك **دهاق** بن علوان ينتمى اليهم كما يقال أيضا إن **الدهاق هو النمرود** الذى ولد فى عهده سيدنا إبراهيم، وأنه هو الذى أمر بإحراقه. وقد وصف الفردوسى أكبر الثقات من المؤرخين الفارسيين مملكة الدهاق التى استمرت ألف سنة فى شاهنامته(٩).
>
> ثم يضيف:
>
> ويرى المؤرخ الألمانى الشهير دنكر Duncher أن كلمة **كوش** Cuch المستعملة فى سفر التكوين تشمل جميع الأمم التى عاشت فى الأراضى الجنوبية كالأثيوبيين

---

(٩) مظفرنادوثى: التاريخ الجغرافى للقرآن.. سبق ذكره ص ١٤٢،١٤١.

(١٠) نفسه: ص ١٤٢.

والنوبيين. **أما قبائل جنوب العرب فيقصد بهم سلالة كوش الذين أسسوا بابل**، والذين استقروا على الخليج الفارسى أيضاً(١٠).

وبغض النظر عن تزمين حكم الكوشيين أو الكاشيين الذين أسسوا بابل بألف عام ممثلة ترميزا فى شخصية الضحاك، لترمز إلى رب بعينه لجمهرة حاكمة بذاتها. فإن هناك تزمينا آخر ينقله (نادوثى) عن المؤرخ البابلى (بيرسوس Brushes) الذى عاش فى بابل سنة ٤٠٠ ق.م، وأرخ لبلاده، وتسربت من كتبه المفقودة إلى المؤرخين الكلاسيك واليهود، وما ينقله نادوثى يعنينا منه فقرة يقول فيها بيروسوس :

كان عدد ملوك بابل العرب تسعا، بلغت مدة حكمهم نحوا من ٢٢٥ عاما.(١١)

ومدة ٢٢٥ سنة سنكتشف فى الفصول المقبلة أنها كانت الزمن الذى أمكننا تدقيقه لوجود الهكسوس على سدة حكم مصر بدورها.

ونعود للشهنامة لنجدها تحوك أسطورة حول الضحاك تقول أنه نبتت فى كتفه حيتان لاتهدآن إلا بالاغتذاء على أمخاخ البشر، فكان رمزه الثعبان، أو كان قرينا لثعبان أسطورى معبود(١٢).

ومن جهتهم يصر المؤرخون العرب القدامى على **أن الضحاك كان ملكا على بلاد الرافدين القديم، لكنه كان يمنياً**، فما أبعد الشقة، وما أقربها فى ضوء حدوث ذلك زمن إمبراطورية كبرى من حلفاء كبار، لذلك يعقب المسعودى بقوله: " **إن اليمانية من العرب تدّعى الضحاك** وتزعم أنه من الأزد .. وقد ذهب كثير من ذوى المعرفة بأخبار الأمم السالفة وملوكها إلى أن الضحاك **كان من أول أوائل ملوك الكلدانيين النبط** " (١٣).

ونعود للشهنامة التى تخبرنا أن ملك الضحاك قد سقط على يد رمز الخير فى الاسطورة (إفريدون) الذى اعتقل الضحاك وسجنه فى مغارة مظلمة، **فى شِعب يقع بين جبلين متناطحين، يضيق ما بينهما حتى يرى فى النهار الشامس كالليل الدامس.**

وإفريدون فى الشهامة هو أول طبيب، فقد أنزلت إليه عشرة آلاف من الأعشاب الشافية كانت تلتف فى غيضة حول **شجرة هوم البيضاء**(١٤). والأبيض هو اللبان، واللبن واللبان من جذر لغوى واحد يشير إلى الإبانة والوضح والجلاء، لذلك يكون منطقيا أن من هزم الثعبان طبيب، لأن المرض عادة ما كان يعزى

---

(١١) نفسه: ص ١٤٣

(١٢) الفردوسى: الشاهنامة، ترجمة الفتح بن على البندارى، تحقيق د. عبد الوهاب عزام، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ط٢ ، ١٩٩٣، ج١ ص ٢٥، ٢٦، ٢٩.

(١٣) المسعودى: التنبيه والإشراف.. سبق ذكره، ص ٩١،٩٢

(١٤) الشاهنامة: سبق ذكره، ص ٣٨

لسم الثعبان ونفثاته، لكن منها أيضا تؤخذ العقاقير العلاجية، ولم يزل رمز الدواء ثعبانا ينفث سمه فى كأس، والمدهش أن الشهنامة تقول إن إفريدون رزق بحفيد أسماه مناجهر، ومعناه عندما نترجمه من الفارسية إلى العربية يلتقى تماما مع المعانى المصرية القديمة فهو (الأبيض الضاحك) . وحتى تكتمل اللوحة نقرأ المراجع الإخبارية العربية فتفيدنا خبراً نافعاً هو: إن هذا الأبيض الضاحك أو (الضحاك) كان حفيداً لإسحق بن إبراهيم، إسحق دون غيره وبالذات (؟!!) إذن بذلك نكون قد حققنا اسم اسحق بحسبانه هو ذات عين اسم الضحاك معنى ومبنى، بل وفيما تضمنته جينات اللغة الحاملة للصفات الوراثية عبر تطورها التاريخى الطويل.

وننتقل نقلة أخرى، فنربط بين اسم إسحق بالضحك، وبالضحاك الذى ملك على الأرض جميعاً، (وهو ما يعبر عن سيادته على إمبراطورية كبرى) وبخصب الأرض والحيض والنبت والولادة، وبين اسم الملك الهكسوسى الذى حكم على إمبراطورية عظمى مترامية الأطراف وهو ما انتهينا اليه فى الفصول السابقة، الملك الهكسوسى الثانى على مصر والذى جاءنا اسمه عند مانيتون (**بنون** Benon)، ونقله عنه يوليوس الإغريقى ويوسفيوس (**بيبون**) وهو ما لابد أن يذكرنا **بميمون / البابون**، وأن الملك بنون جاء اسمه فى بردية تورين باسم (**بنيم**)، ووصلنا اسمه على الآثار المصرية بالرسم (**سكا**)، والسكة هى حديدة المحراث. والسكة عادة ما ترمز للقضيب الذكورى، ويكنى بها عن القضيب لأنها تشق تربة الارض كما يشق القضيب الفرج، فالسكة هى التى تجعل الأرض تحيض وتلد، تجعلها تضحك، **فسكا هو الضحاك**. ويدعمنا بشدة هنا أن الكتابة الهيروغليفية التصويرية تكتب أول حروف اسم سكا حرفا على هيئة رجل يمسك محراثا وبإهمال الحاء المخففة فى اسم إسحق /سحق يصبح سك، وهنا فورا نتذكر عنصرا هكسوسيا فى مصر أثبتنا أنه كان يحمل اسم (السكاسك) ومنه جاء اسم مدينة الزقازيق . ثم علينا ألا ننسى أن حكام الهكسوس كانوا بالأصل فى الأغلب عبدة للقمر، ومع هبوطهم مناطق الخصب عبدوا الشمس أيضا وتسمى ملوكهم فى مصر بأسماء تنتسب إلى رب الشمس المصرى القديم (رع)، لقد كان سكا شمسيا وقمريا فى ذات الوقت كما هو (ضحوت).

وهذا بالطبع لا يعنى أن إسحق المقصود هو إسحق التوراة بن إبراهيم تحديداً وكل ما نعنيه أن جميعهم كانوا ذوى قرابات وأسماء متقاربة وأن الحاكم الهكسوس (البابون / ميمون / سكا / الضحاك) كان ملكا هكسوسيا حكم فى إمبراطورية كبرى وربما كان هو أصل الأساطير عن عظيم باسم الضحاك الذى جمع صفة الشكل الآدمى مع الضبع عناق البونتى

ونقف نعجب من اللغة المصرية القديمة وهى تطلق على قرد البابون الأسود القاتم اسم الأبيض الكبيروما فى معناها الضحاك العظيم، وأن يقال فى العاج أبنوس وهو شديد السواد وأن تكنى العربية عن الصفة المعيبة بعكسها فتقول عن الأعمى (أبو بصير) وعن الكسيح (أبو سريع). وإذا تصورنا فعلا أن الملك النمرود ربما هو الضحاك، لعلمنا لماذا حمل هذا الاسم، لأن كتبنا التراثية تصوره زنجيا شديد القبح حتى شبهته بالقرود. (وكانت آدوم موئلا لقردة البابون بكثرة).

ولا يفوتنا التنبية الى أن لسان العرب نسب الضحاك الى عدنان، فقال الضحاك بن عدنان، وعدنان هو أبو العرب المستعربة، ثم هذا كله يفسر بقايا ذكريات ربطت بين الجنس الإسرائيلي وبين جنس القردة، وتواتر ذلك عبر الأزمنة حتى جاء عنهم فى القرآن:

فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين/ ٦٥/ البقرة.

فلما عتوا عن ما ينهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين/١٦٦/ الأعراف

من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة / ٦٠/ المائدة.

وفى موضع آخر بالشاهنامة رواية أسطورية تتحدث عن العنقاء، التى كانت – فى الرواية المصرية – تسافر من بلاد العرب حاملة أبيها الى منف ، لكن الشاهنامة هنا تحدثنا عن شخص باسم (سام) أنجب ولداً شعره أبيض (مما يذكرنا بعيسو آدوم فى الرواية التوراتية) فألقاه أبوه على **جبل العنقاء**، فقامت العنقاء بتربية الطفل بين صغارها، ثم حملته بعد أن شب صبيا الى أبيه ليصير ملكا من بعده، وأعطته ريشا من جناحها يمكنه أن يستدعيها بحرق ريشة منه إذا حزبه أمر [١٥]. والرواية هنا قريبة مما روى عن رحيل الفينيق لأداء رسالة مشابهة، والترميز يربط بين موطن العنقاء وموطن الوليد الأحمر، وبين كليهما وبين مصر، فى رمز واضح يشير الى **أن ابن العنقاء بالتبنى، ابن الفينيق، ابن الأيبس، ابن ضحوت، ابن القرد، الضحاك، قد صار ملكا عظيما.**

وقد أصبح الأن لدينا عدد من التجليات لرب سيناء وآدوم، ومنها ذلك القرد القمرى ضحوت الذى حمل وجه سيت عناق البونتى ونلاحظ أن البابون فى نقوش رحلة حتشبسوت الى بونت كان يتربع على صوارى السفن، والشق (بى) و (بو) فى المصرية القديمة تعنى (فم)، فهو (بى – بون) أو الفم البونتى، وهو الفم المعلوم الأمر للمصرى القديم لأنه فم عناق البونتى، ومن هنا لا يكون أصل كلمة بابون مجهولا إنما كان معلوما فى مصر وآدوم. ولم يزل ملاعبو القرود فى مصر حتى الآن يقفون فى المناطق الشعبية يلاعبون قردتهم بالنداء " إلعب يا ميمون " .

وقد سبق وقدمنا محاولة تفسير لاسم بلاد بونت عند المصريين القدماء، فقلنا إنه الحجر استنادا الى اسم الحجر الهرمى بن بن وأنه البلاد الخماسية، وهنا اقتراح آخرلتفسير اسم بونت، فربما جاء منسوبا الى الفم البونى (البابون). ثم نعلم أن مشروب القهوة/ **البن** كان منتوجا من جنوبى الجزيرة/ يمنياً، ولا شك أنه قد وجد طريقة مع التجار إلى بلاد آدوم، التى كانت تصدره كمادة عطرية ومادة علاجية، ويدخل البن فى معظم التركيبات العلاجية الشعبية، ولم يزل يستخدم فى قرى مصر كمجلط الدم وحابس للنزيف. وربما حمل هذا النبات اسم البن لعلاقته بالفم البونى/ البابون، وربما كان قرد البابون وراء اسم بونت، خاصة إذا علمنا ان

---

(١٥) نفسه: ص ٥٢:٥٧.

الكلمة اللاتينية التى تدل على البن هى (كوفى) و (كافى) وهى اختصار بالأحرف الأولى لاسم البابون Ceno Cephalus -. ثم إنها بالضبط (قهوة) العربية لتبادل الفاء مع الواو، فالقهوة هى الكوفى هى القهفة/ الكهفة. فهل ثمة علاقة بين هذا الاسم وبين الكهف والكهوف مساكن آدوم القديمة؟ ومن قهوة لدينا مدينة (قها) فى مصر، والعجيب ان تدهشك اللغة بقدرتها على حمل كل تلك الذكريات لأن قها كانت أحد مقار عبادة الإله الضحاك ضحوت، والأغرب أن تبقى الذكريات بشكل لا واعي ويلاحظ العامة اليوم علاقة (قها) بفعل الضحك، فيطلقوا على البلدة من باب التفكه (بلد النصف ضحكة) باحتساب الضحكة الكاملة هى قهاقها.

والدارس للأساطير يعلم أن رب القمر كان على علاقة وطيدة بالمرأة، حتى عدّته بعض الأساطير إلهة أنثى، وذلك لتناغم تقلب أوجهه مع إيقاعات المرأة البيولوجية فى دورتها الشهرية الحيضية، وكان رباً للهواء والريح، وهو ما يستدعى (هوا) رب الريح و (يهوه) كأرباب خصوبة، وهو ما يفسر لنا الضحك باعتباره حيضاً، لأن الضحاك الكبير ضحوت كان هو القمر قرين الحيض الأنثوى.. ومع حيض نقرأ تحت مادة حضض باللسان:

> حضض: الحض ضرب من الحث فى السير.. وهو **عقار** مكى ومنه هندى، وهو **عصارة شجر معروف** وقال ابن دريد: الحضض **صمغ** من نحو الصنوبر **والمر** .. وأحمر حضى: **شديد الحمرة**، قال ابن خالويه: يقال **حاضت ونفست ودرست وطمثت وضحكت** وكادت وأكبرت وصامت. قال المبرد: سمى الحيض حيضا من قولهم حاض السيل إذا فاض.. **وقيل الحيض الدم نفسه.**

وهكذا أجملت اللفظة معانيها فأوعبتها، فالحيض الذى هو فعل الضحك الذى يسببه الضحاك الكبير القمر رب الخصب، فهو يفتح الأرض لتنجب ويفتح فرج الأنثى فتحيض وتلد ويفتح شجرة المر فتنتج لبانها واللبان والصمغ والمر كلها تسيل كالحيض من جرح فى الشجرة ينفلق تلقائيا. وبين معانى حاضت: درست، والدرس هو استخدام السكة فى شق الأرض. وكان الفرعون الهكسوسى الثانى على مصر يحمل اسم سكا، وللتأكيد تم تدوين اسمه برمز فلاح يحرث الأرض بسكته.

وفى القصص الإسلامى حكايات عن النبى موسى لم تعرفها التوراة على الإطلاق، ويبدو أنها كانت مأثورا تاريخيا شفاهيا لم يجد طريقه إلى التدوين بالكتاب المقدس، استمر متواترا حتى زمن الدعوة الاسلامية حيث أعلمنا به القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة. ومن نماذج تلك الحكايا قصة التقاء موسى فى موضع يسمى مفرق البحرين لشخصية تراثية باسم الخضر الذى صورته الآيات بحسبانه حكيما عظيما يعلم الغيب، كما أضافت إليه الشروح صفات تفسر اسمه بشكل يشير إلى أنه كان ربا للخضرة والزرع، فقد كان

إذا جلس على فروة بيضاء أخضرت وأن الأرض تخضر تحت قدمية بالنبات عند مسيره، وأنه حى غائب، حى خالد فى هذه الحياة الدنيا لكنه مختف عنا فقط يظهر كل حين لتحقيق غرض قدسى محدد كلقائه بموسى.

ونحن نعلم أن أوزيريس المصرى كان ربا للخضرة والزرع والنيل، وربا أيضا للحكمة يمكنه اتخاذ هيئة ضحوت الضحاك رب الحكمة فى أى وقت. كما نعلم أنه قد مات شهيدا لكنه قام حيا من بين الأموات فى اليوم الثالث يوم القيامة المجيدة، ونعلم أنه خالد فى هذه الدنيا لأنه يحكم فى عالمها التحت أرضى، لكنه كان على استعداد للعودة إلى الأرض دوما لتخصيبها بمائه المخصب ولإنقاذ المصريين من الخطوب.

ويبدو الخضر فى الروايات الإسلامية ربا أيضاً للسمك فهو يركب على ظهر حوت، وكان الحوت دليل موسى إليه ليلقاه وكان أوزيريس بدوره حوتا أوربا للسمك وكل كائن مائى حى. كذلك كان ذو الشرى المعبود الآدومى الذى كان يصوره فى هيئة رجل نصفه الأعلى إنسان ونصفه الأسفل سمكة، كذلك داجون الذى عبد فى فلسطين فى عسقلان، والغريب أن جميع هذه الآلهة كانت أرباباً أيضاً للحنطة رمز الشبع والخير والخصب، حتى داجون نفسه من اسم الحنطة (دجن).

وكان بإمكان أوزير كرب للحكمة أن يتحد بالإله ضحوت الضحاك إسحق الذى هو المختص بالحكمة، وساعتها سيحمل اسمه الثانى حضور، والحضور ظهور النبت هو الخضور هو الخضرة هو الخضر .

لكن المصريين من جانبهم رأوا فى الحاكم الهكسوسى الأعظم رأيا آخر فقد أطلقوا عليه اسم الشيطان (أبوفيس) الحية ، والكتاب المقدس وكتب الأخبار الإسلامية ترى الشيطان متجسداً فى الحية ، ولو رجعنا إلى يوليوس الإفريقى سنجده يقول لنا أن الملك الهكسوسي الملقب بلقب (ابوفيس) هذا كان يحمل اسم (ستان) أو الشيطان بينما يوسفيوس يسجل لنا اسمه (سكا) والسكه تعني الحارث ، ولو فتحنا لسان العرب لطالعنا بأن الحارث اسم من أسماء الشيطان ؟!! ومن اسماء أبي قردان في البلدان العربية كما سبقت الإشارة (أبو حنش، أبو منجل، حارس، عنز) وفي الأساطير المصرية أن ضحوت خرج من رأس ست الذي يمثل الشيطان أو هو ذاته.



شكل رقم (٧٨)

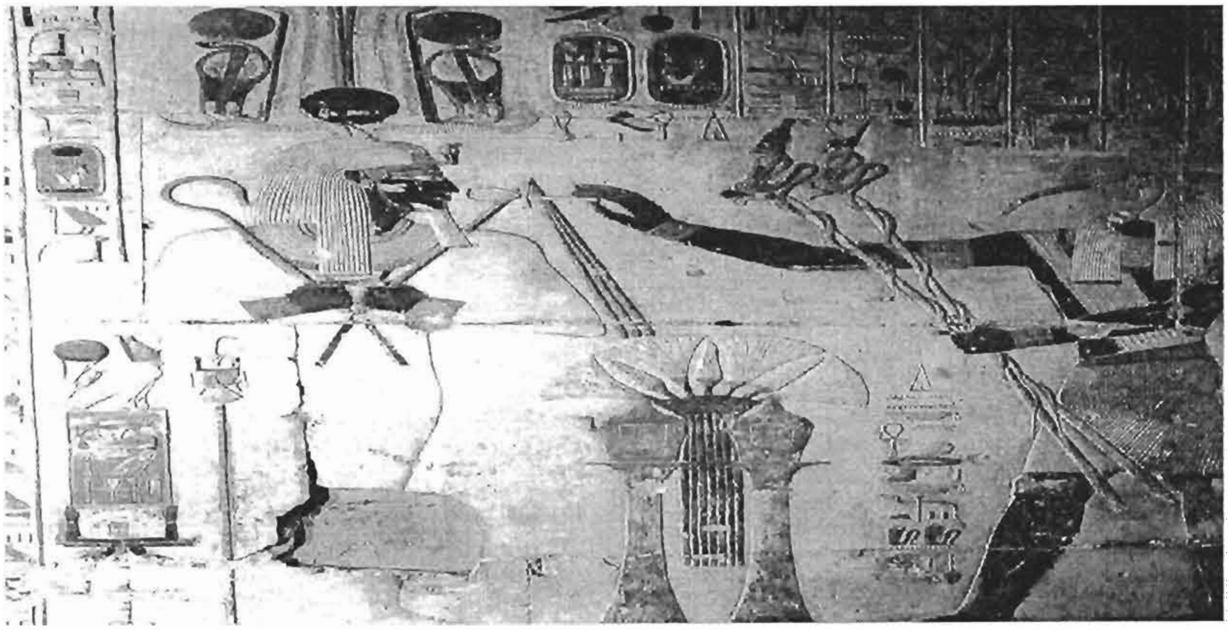
ضحوت الضحاك إله شمسى قمرى يحمل الهلال والشمس فوق رأسه مع طائر الأبيس أو الفينيق



شكل رقم (٧٩)
الأبيس ضحوت / هبنى / أبو قردان / الفينيق



شكل رقم (٨٠)
ضحوت من تل العمارنة زمن إخناتون وأمامه الكاتب جالس القرفصاء تعبيراً عن كونه رب الحكمة والكتابة / المتحف المصرى



شكل رقم (٨١)
كعادة السحرة عندما يدخلون على فرعون، كذلك الفينيق أو ضحوت الرفائى أو الرفاعى صائد الحيات ومروضها يدخل بعصى الثعابين على الفرعون يمنحه العنخ أو الحياة

بقرة بنى إسرائيل وثورها

فى القرآن الكريم حكاية غريبة يمكن تسميتها: حكاية بقرة بنى إسرائيل، والحكاية تروى أحداثا يفترض أنها قد حدثت إبان رحلة الخروج الإسرائيلى من مصر إلى فلسطين، وأن مكان الحدث كـان شـبه جزيـرة سيناء. وتتناول الحكاية قصة تبدو نائتة تماما بين بقية الأحداث، لا رابط لها بأول تلك الأحداث ولا بآخرهـا، بحيث أن استبعادها لا يخل بقصة الخروج مطلقا. لكن لأن القرآن الكريم كان يسجل أحداثا وقصصا كانـت متواترة زمن الدعوة، وقبل زمن الدعوة بأزمان عديدة، فقد احتسبنا قصة البقرة لها أهميتها الشديدة التى أدت بها أن تظل فى ذاكرة الأجيال، حتى يدونها القرآن الكريم، ليضع بين أيادينا مفاتيح لفهـم بعـض الأسـرار الأولى التى اكتنفت تكون الديانة الإسرائيلية فى مناشئها الإبتدائية. خاصة أنه على تلك القصة العابرة سميت أطول سور القرآن الكريم (سورة البقرة)، التى تحكى لنا عن حادثة قتل حدثت إبان خروج بنى إسرائيل مـن مصر، ولم يتم التعرف على القاتل، وهنا نستمع إلى الآيات تقول:

إذا قال موسى لقومه: إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا: أتتخذنا هزوءاً؟ قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين. قالوا: أدع لنا ربك يبين لنا ماهى؟ قال إنه يقول: إنها بقرة لافارص ولابكر عوان بين ذلك، فافعلوا ماتؤمرون. قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها، قال إنه يقول إنها بقرة **صفراء** فاقع لونها تسر الناظرين. قال ادع لنا ربك يبين لنا ماهى إن البقر قد تشابه علينا وإنا إن شاء الله لمهتـدون، قال إنه يقول إنها بقرة لاذلول تثير الأرض ولا تسقى الحرث مسلمة **لاشية فيها**. قالوا: الآن جئت بالحق، فذبحوها وماكادوا يفعلـون، وإذ قتلتم نفسا فأدرأتم فيها وإن الله مخرج ما كنتم تكتمون، فقلنا: **إضربوه ببعضها** كذلك يحيى الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون.

٦٧ - ٨٣ /البقرة

ويجمع (على عبد الواحد وافى) ملخصا لما قدمه المفسرون بشأن تلك الآيات فيقول: " وأشهر تفسـير من تفاسير هذه الآيات جميعاً وأصحها، أنه وقعت فى عهد موسى عليه السلام حادثة قتل لم يعلـم فاعلهـا. فطلب بنو إسرائيل إلى موسى أن يدعو ربه أن ينبئهم بمن ارتكب هذا الجرم؟ فقال لهم موسى إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة، فعجبوا من ذلك إذ لم تظهر لهم علاقة بين ذبح البقرة وبين الكشف عن القاتـل. وظنـوا أن موسى يهزأ بهم، ولكن موسى بين لهم أن هذا هو ما أمر به الله لإظهار الحق فى هـذا الحـادث، فأخـذوا يستفسرون منه عن سن البقرة التى ينبغى أن يذبحوها وعن لونها وعن عملها، فلما شرح لهم كل ذلك بوحى من الله، بحثوا حتى وجدوا بقرة تتوافر فيها الصفات جميعاً، فذبحوها وأوحى الله إلى موسى أن يضربوا جثة القتيل بجزء من هذه البقرة، فضربوه فأحياه الله تعالى وذكر لهم اسم قاتله ثم مات ثانيا. فكان فى ذلك معجزة لموسى من جهة، وبيان حسى من جهة أخرى لقدرةالله على إحياء الموتى.. لذلك يختتم الله هذه القصة بقولـه : كذلك يحيى الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون. وفيه كذلك إشارة إلى أن بعث الله تعالى الحياة مرة أخرى لا

يتوقف على سبب من الأسباب التى تدركها عقولهم، وإنما أمر الله إذا اراد ذلك أن يقول بــه كــن فيكــون، فيحدث بدون سبب ما، أو يجئ عقب أمر لا يتصور العقل أن يكون سببا له كما فــى هــذه الحادثــة. إذ لا يتصور العقل أن ضرب جثة الميت بجزء من جثة حيوان ميت يمكن أن يكون ســببا لبعــث الحيــاة فيــه. وأوصاف البقرة التى ذكرها الله فى هذه المعجزة تتفق فى جملتها مع أوصاف العِجلة التى ذكرها سفر التثنية فى إجراءات القسامة » [١]

وموضوع القسامة الوارد فى سفر التثنية بالتوراة يحكى أيضا عن بقرة لكن فى **حكاية مختلفة تمامــا**، فالمقدس التوراتى لا يبحث هنا عن قاتل قتل قتيلا لأن التوراة تغص طول الوقت بأخبار آلاف القتلــى بــل مئات الآلاف، وإهدار الدم فيها طبيعى غير مستنكر حتى نبحث عن فاعل. بل أن الله نفسه فى تلك التــوراة يأمر موسى أن يأمرهم بذبح بعضهم بعضا دون جرم واضح يبرر كل تلك الدماء المسفوكة، ولم تتم فى مرة محاولة البحث عن قاتل، لأن القتل كان جماعيا ومتواتراً أما القسامة وقصة البقرة فى التوراة فهى لون مــن التشريع البدائى لقوم يتحولون إلى ائتلاف مركزى كتشريع قضائى للقصاص. فهى حالة العثور المفاجئ على قتيل دون حروب بينهم أدت لذلك، فهى ليست قصة قتيل بعينه، المسألة أن رب التوراة يشرع لهــم شــرائع عندما يستقرون فى أرضهم الموعودة لتنظيم المجتمع. والتشريع يقول: إنه إذا وجدت جثة قتيل فى العراء أو وسط حقل ولم يتم التعرف على القاتل، فعلى كُبراء إسرائيل الإجتماع وقياس المسافة بين الجثة وبين القــرى المحيطة بها، وعندما يتم تحديد أقرب هذه البلاد إلى مكان الجثة يطلبون من كبراء تلك القرية إحضار بقــرة لم تستخدم فى العمل بعد، ويذبحونها فى جدول ماء، ويغسل أهل القرية أيديهم فى الماء المدمم ويقســمون أن أيديهم لم ترق دم القتيل وأن أعينهم لم تره. وبذلك لا يتحملون وزر دمه (انظر سفر التثنية ٢١/ ١ – ٩).

ويعقب (على عبد الواحد وافى) على هذا الإجراء التوراتى التشريعى ناقداً بقوله « ولكننا نجد فى سفر التثنية.. إجراء غريبا قد أقحم على إجراءات القسامة .. لأن غسل أيديهم فى جدول ماء ملوث بدماء البقــرة التى نحروها بأيديهم وصب الماء فوقها، كل ذلك لا يصلح رمزيا أن يكون رمزاً **لبراءتهم** من جريمة القتل، بل أنه لخليق أن يكون رمزا لأقترافهم إياها » [٢].

من جانب آخر يخبرنا المؤرخ اليونانى (بلوتارخوس) أنه كان لكل إقليم فى مصر حيوانــه المقــدس، دون أن يكون لهذا الحيوان بالضرورة تقديس فى إقليم آخر (فقرة ٧٤) وغير سكان هذا الإقليم لا يأهبون بهذا الحيوان ولا يقدسونه، مما كان سببا فى احتكاك خطر بين الأقاليم المصرية فى عهود مصر المتأخرة وصــل أحيانا إلى حد الأقتتال. ومن ثم نجد حيوانات يحرم ذبحها فى إقليم دون آخر، إلا وقت طقوس محددة وفــى أيام يتم تعيينها كأيام عيد مقدس[٣]. إلا أن هناك عبادة واحدة على الأقل قد شملت مصر جميعــاً بطقوســها

(١) على عبد الواحد وافى: اليهودية واليهود، دار نهضة مصر، القاهرة د.ت، ص ٦١: ٦٣.

(٢) نفسه : ص ٦١

(٣) عبد المحسن الخشاب: تاريخ اليهود. سبق ذكره، ص ١٢.

وحلالها وحرامها هى عبادة الإلهة إيزيس وأسرتها الإلهية، وأنها فرضت احترامها وتحريماتها على جميع الأقاليم.

ويروى المؤرخ اليونانى (هيرودوت) أن المصريين قدسوا للإله أوزيريس زوج ايزيس ثيرانا أطلق عليها الهلينيون (العجل أبيس)، وكان يعتقد أن الثور أبيس هو روح أوزيريس ولون أرض مصر الخصبة، ويجب أن تكون بجبهة الثورعلامة بيضاء أقرب إلى شكل المثلث، وعلى ظهره رسم يشبه نسراً أو صقرا صغيراً، وشعر ذيله مزدوج، وتحت لسانه عقدة تشبه الجعران، وأحيانا يكون على إحدى جنبيه رسم يشبه الهلال (٤).

وقد حدد الكهنة هذه السمات للتعرف على ثور أبيس، لأنها السمات التى تؤكد أنه تكرار الولادة الإعجازية بلامسة جسدية، التى حدثت لأول مرة فى قصة أوزيريس (أوزير) الذى التقى بالإله إيزيس (إيزى) من بعد موته لينجب منها الإله حورس حور، وكان حور تجسيدا جديداً للإله الأب أوزير، فهو أب وابن فى أقنوم واحد. وتبع ذلك اعتقاد بعودة أوزير إلى الأرض بذات الأسلوب عندما تدلهم المحن والخطوب بالناس، ليقر العدل ويقيم السلام. ومع عقيدة التناسخ كان بإمكان روح أوزير أن تحل فى الحيوان الذى يرمز له، ويعرف باسم (عجل أبيس).

ويقول (عبد المحسن الخشاب): " إن العجل أبيس يولد من بقرة لا يخصبها ثور أرضى إنما يخصبها القمر بشعاعه. ولم تزل عقيدة التخصيب بالقمر حتى لإناث البشر تنتشر بين الطبقات الشعبية لدى عدد كبير من الشعوب، فيعتقد أنه إذا نامت الفتاة عارية تماما على مرتفع فى ضوء القمر، فإنها تحمل منه بوليد مقدس. فالعجل أبيس يولد من بقرة **يخصبها شعاع من أشعة القمر** المخصب وهى فى حالة استعداد للحمل .. ويروى إيلياتوس أن شعاعا هبط من السماء على بقرة وهى فى حالة استعداد للخصب، فولدت عجل أبيس الذى يسميه اليونانيون إيبافوس Epaphos وعندهم أن أم هذا العجل هى **أيو** .. وبلينى Plinius.. فى كلامه عن العلامات التى تزين أبيس يذكر أن أول ما يتميز به الثور أبيس هذا بقعة بيضاء فى شكل هلال قمرى على جانبه الأيمن .. وكان المصريون يعتقدون فى خصب القمر، حتى أنهم رمزوا إلى ابتداء الربيع بقمر شهر فامينوث Phamenouth الجديد فى هذه المناسبة، بعيد أسموه: **أوزيريس فى القمر**. وهذا يعنى أن أوزيريس هو المخصب كالربيع، وهو الذى يخصب البقرة أم أبيس بشعاع من القمر. ثم يذكر بلوتارخوس أن المصريين كانوا يركزون **قوة إخصاب أوزيريس فى القمر**، ولذا فإن إيزيس عندما تكون حاملا أو خصبة ترتبط **بأوزيريس فى القمر**، لذا فمن الكهنة من يقول بأن إيزيس ليست سوى القمر، فتماثيلها التى تمثلها بالقرنين المتوجين لرأسها ما هما إلا محاكاة لشكل الإله القمرى.. وقد أكد إيودوكسوس Eudoxos أن إيزيس هى الإلهة التى يحتكم إليها الناس فى شئون حياتهم الجنسية، فالناس يناجون القمر فى الحب وأحواله " (٥).

---

(٤) نفسه: ص ٩٧.

(٥) نفسه: ص ١١٢: ١١٤

وقد سبق وعالجنا رمزية القمر الأسطورية فى العقائد القديمة فى كتابنا (الأسطورة والتراث)، وشرحنا فيه السر وراء ارتباط القمر بآلهة الخصب الذكور. إذ أن تقديس الخصب قد تمثل فى الحيوانات ذات الفحولة الجنسية كالثور والتيس، ولأن الهلال يأخذ شكل القرنين فقد احتسب أحيانا ثورا وأحيانا تيسا باحتساب الهلال هو قرنى الفحل السماوى المختفى. ونظرًا لما جاء من إشارات عدة إلى علاقة القمر بالأنثى، وتناغم تحولاته – من محاق إلى هلال إلى تربيع إلى بدر حتى يعود محاقا مرة أخرى ـــ مع دورة الدم الشهرى النسوى، فقد احتسبه بعض دارسى الأساطير رمزاً للأنثى فى العقائد القديمة، لكنا – فى كتابنا المذكور – رأينـــاه الـــرب الذى ينجب أبناءه بمعجزات، والزوج السماوى للإلهات الإناث الموكلات بالخصب والزرع والميلاد. وهو ما يفسر لنا هنا قصة حمل البقرة (أيو) بشعاع القمر المخصب، لتعيد إنتاج أوزير/ الخصب/ الزرع/ مرة أخرى ويتحول من أب إلى ابن فى هيئة الثور أبيس. ومن هنا كان لابد من تمثيل إيزيس فى بقرة أحياناً، وفى هيئة امرأة تحمل على رأسها قرنين أحياناً، لكن الواضح أن أوزير رب الخصب المرتبط بمواسم الزراعة ويصبح ربا للقمر أو هو نفسه القمر (تحوت/ ضحوت/ الضحاك).

ويؤكد ذلك ماوجد على توابيت الدفن الفاخرة للثور أبيس من نقوش لمنازل القمر وأوجهه المختلفـــة(٦). ويبدو أن الأسطورة قد دمجت أوزيريس بإله القمر ضحوت ونسبت لكل منهما صفات الآخر على التبـــادل، واصبحت ألقاب الإله القمرى هى ذات ألقاب أوزير: العارف، المتمرس فى المعرفة، سيد الســـحر، مختـــرع الكتابة وواضع القوانين والناموس، أما اللقب الأهم الذى يعنى هذه الدراسة فهو أنه كان " **سيد البلاد الأجنبية** ". وهو لقب قديم كان يشير إلى القمر بأعتباره ربا للصحارى والبداوة، فأحتسبوه دوما ربا للساميين الرعـــاة الذين سكنوا سيناء وبوادى الشام(٧). لقد أصبح أوزيريس باعتباره قمرا " سيداً للبلاد الأجنبية " وربا للساميين من وجهة نظر مصرية. لذلك نجد الشهر المشار إليه يونانيا باسم (فامينوث) هو ذاتـــه الـــذى أطلـــق عليـــه المصريون شهر ضحوت الذى خفف نطقه إلى توت ولم يزل باسمه هذا فى الروزنامة القبطية، فهـــو شـــهر القمر المرتبط بخصب الأرض وبداية الربيع.

ويرى (هيرودوت) أن المصريين أبداً لم يبيحوا نحر الأبقار الإناث لأنها مقدسة للإلهة الجليلة إيزيس، وهو ما يلتقى مع الحاجة الاقتصادية للأبقار الإناث والحفاظ عليها لأنها المصنع الإنتاجى للمواليد، وإيـــزيس هى التى أسماها اليونان باسم (أيو Jo) ابنـــــة (إناخوس Inakhos) وكان الإغريق يصورونها فى هيئـــــــة امرأة ويزينون رأسها بقرنى بقرة (٨).

وفى ترجمات أوراق البردى الأرامية الخاصة بالمجتمع اليهودى الذى عاش فى أسوان بمصـــر عنـــد Elephantine زمـــــــن الإمبراطوريـــــــة المصـــــــرية، إشـــــــارات واضـــــــحة إلـــــــى أن

(٦) سليم حسن: مصر القديمة: سبق ذكره، ص ١٩٦.

(٧) ياروسلاف تشيرنى: الديانة المصرية .. سبق ذكره، ص ٧٩، ٨٠.

(٨) هيرودت فى مصر .. سبق ذكره، ١١٣١

اليهود الذين انفصلوا عن شعبهم وعاشوا هناك ولم يعرفوا التطور الذى شهدته ديانتهم بعد الخروج من مصر إلى فلسطين، حفظوا لنا مرحلة قديمة من اليهودية، حيث وجد لدى تلك الجالية عبادة الإله اليهودى المعروف (يهوه)، لكن إلى جواره إلهة انثى هى زوجته باسم (إناث ياهو) أو الأنثى يهوه أو يهوه المؤنث(٩)، وهو الأمر الذى يلتقى بوضوح مع تسمية إيزيس باسم (ايو) التى هى (ياهو) بدون مشاكل لغوية.

وبقراءة التوراة نعلم أن موسى عندما أراد الخروج ببنى إسرائيل المستعبدين فى مصر، ساق حجة للفرعون يقول فيها أن دينهم يلزمهم بذبح ذبيحة لله فى يوم بعينه، وأن تلك الذبيحة يحرم ذبحها عند المصريين، لذلك هم بحاجة إلى الخروج من عاصمة الملك إلى الصحراء ليقيموا عيدهم، وهنا رد عليهم الفرعون بقوله:

> اذهبوا فاذبحوا لإلهكم فى هذه الأرض، فقال موسى:
>
> لا يصح أن نفعل هكذا، لأننا إنما نذبح رجس المصريين للرب إلهنا. وإن ذبحنا رجس المصريين أمام أعينهم أفلا يرجموننا؟ نذهب سفر ثلاثة أيام فى البرية ونذبح للرب إلهنا كما يقول لنا.
>
> (سفر الخروج ٨ / ٢٥ –٢٧)

وهكذا كانت الحجة أو لحظة الخروج من العاصمة مسيرة ثلاثة أيام ليذبحوا حيوانا محرما عند المصريين منعا للفتن، لكن ليكون ذلك سبيلهم إلى الهرب من مصر بعد أن يبتعدوا عن العاصمة بمسافة تجعلهم بمأمن من المطاردة عندما تبدأ. لكنا لانجد بعد ذلك أية تفاصيل لأى ذبح، اللهم إلا ذبح الخراف على عتبات أبواب بيوتهم بمصر ليلة الخروج وهو ليس الذبح المقصود، ثم لا تأتينا بعد ذلك قصة ذبح أى حيوان إبان رحلة الخروج، اللهم إلا فى قصة عبادة الثور الذهبى، ولا نجد حديثا آخر عن الذبح حدث فى سيناء غير تشريع القسامة، وهو ما لاعلاقة له بالأصول التعبدية بالقرابين الحيوانية.

هنا تأتى القصة القرآنية فتسد الفجوة المفقودة، وتروى لنا ذكريات قديمة عن ذبح مقدس قد حدث فعلا بعد الخروج من مصر إلى سيناء، وتعطينا وصفا دقيقا لهذا الذبح المقدس، فهو ذبح لبقرة ذات سمات خاصة جداً، فهى صغيرة مدللة لم تحمل نير المحراث ولونها أصفر فاقع تماما دون شائبة.

وهنا نعرف من المؤرخ اليونانى (بلوتارخوس) أن المصريين كانوا يبيحون ذبح الثيران الصفراء **لأنها مغراء حمراء أى بلون رب الشر ست**(١٠). ثم يخبرنا (ديودور الصقلى) أن ذبح الثيران الصفراء أو الحمر كان مباحا فى العقيدة الأوزيرية، فلماذا خاف موسى من المصريين عند قراره ذبح ذبيحة صفراء لإلهه؟ يبدو

---

(٩) كمال الصليبى: التوراة جاءت.. سبق ذكره، ص ٥٥، انظر أيضاً سيجموند فرويد: موسى .. سبق ذكره، ص ٧٩.

(١٠) عبد المحسن الخشاب: تاريخ اليهود.. سبق ذكره، ص ١٢.

أن السر وراء ذلك هو أن الذبيحة لم تكن ثوراً إنما بقرة أنثى. لقد كان ذبحا لإيزيس العدو الإلهى للرب سيت حسب الأسطورة المصرية القديمة.

ويردد (هيرودت) حكاية يقول أنها حدثت فى زمانه، وتتلخص فى أن أهل مدينتى ماريا وأبيس علـى أطراف مصر الغربية، أرسلوا إلى كهنة آمون يقولون أنهم ليسوا مصريين بل ليبيين، لذلك يطلبون السـماح لهم بأكل لحم البقر، لكن جاء الرد من وحى معبد آمون فى سيوه برفض هذا الطلب بحزم(١١)، مما يشير إلى تحريم صارم لذبح إناث البقر. ويعقب (الخشاب) بقوله: " فالمصريون يعتقدون بأن إله الشر المصرى لونـه أحمر أصهب، لذلك خصصوا للأضاحى من بين مواشيهم تلك التى يكون لونها **أشقر تماما**، إذ أنهـم كـانوا يعتقدون أن أوزيريس أسمر، فكان اللون الأسود عندهم مقدسا " (١٢) ويضيف هيرودت أنه بعد تقديم الذبيحة، كانت أحشاؤها ودهونها جميعا تحرق على مذبح الإله(١٣). وهو ذات الأسلوب الذى أقرته التوراة بعد ذلك فى تقدماتها لربها يهوه. وتكرر العبارة " وقود رائحة سرور للرب "

ثم نقرأ فى تاريخ مصر كلاما غير واضح وملتبس عن اعتقاد المصرى القديم فيمـا يسـمى بالجلـد الشافى، ذلك الذى نراه معلقا على عصا فى كثير من لوحات مصر القديمة، ولونه أصفر فاقع(١٤)، ويبدو أنه كان رمزاً للإله ست نفسه بعد ذبحه ممثلا فى ثور أصفر. وكان المعتقد دوما عند الشعوب القديمة أنـه بعـد إنزال العقاب بمرتكب الإثم يتحول إلى كائن مقدس يمكنه شفاء المرضى ولاتطأ قدماه أرضـا إلا أصـبحت أرضا مباركة، وهو مايمكنه تفسير مسألة الجلد الشافى الذى تحول بصاحبه (سيت) من اللعنة إلـى النعمـة، ونجد لذلك أمثلة كثيرة لدى أساطير الشعوب القديمة، أقصد التحول بالشرية إلى الخيرية بعد إنـزال العقـاب الملائم بالشرير، ومنها مثلا قصة أوديب اليونانية، التى ارتكب فيها أوديب أفظع جرم، لكنه بعدما لاقاه مـن عقاب هائل تحول إلى إنسان مبارك يشفى من يلمسه. ثم يقول (عبد المحسن الخشـاب): " .. فكـان للـون الأصفر عند بنى إسرائيل شأن خاص ومغزى هام، ولذا فقد صنعوا الثور الذى ارتدوا إلى عبادته فى سـيناء من الذهب، لا من معدن آخر غير الذهب الأصيل .. دليلا على ما فى قلوبهم مـن إيمـان شـديد بالتقليـد المصرى الذى كانوا يتبعونه فى مصر، من عبادة إلهم ست الذى كان البقر **الأصفر الذى لاشية فيـه** بلـون معبودهم وشدة تمسكهم برمزه الأصفر الخالص. إن الثور كان معبودا فى الشرق الأوسط بكاملـه.. وكـان ذكره وارداً فى ألقاب وصفات الممتازين من الحكام والقادة. وظلت هذه الألقاب الدالـة علـى انتمـاء هـذه الشخصيات البارزة الرفيعة القدر.. وقد وردت هذه الألقاب كقول فى النصوص الإنجيليـة بلغتهـا الأولـى العبرية بعد العصر الوثنى، ثم أبعدت الترجمات الأخرى بما يوافق روح المسيحية.. فقد ورد فـى التكـوين ٢٢/٢٤ إشارة إلى ذلك بعد أن انمحت صفة يوسف: **الثور الصغير**.. وإبعاد تعبير: **ثور يعقوب** وبُـدل إلـى

(١١) هيرودت فى مصر.. سبق ذكره، ص ٩٣، ٩٤.

(١٢) الخشاب: تاريخ اليهود.. سبق ذكره، ص ٩٦.

(١٣) هيرودت فى مصر.. سبق ذكره، ص ١٣١.

(١٤) فرانسوا دوماس : آلهة مصر .. سبق ذكره، ص ٧٤، ٧٥.

عزيز يعقوب.. لذا فقد علق كونراد على هذا التصحيح بقوله: إن ذلك كان تناسيا للأساس التاريخى للعبادة فى الشرق القديم.. ويوسف كان فى زمرة الهكسوس **الذين عبدوا ست** الإله المصرى. ووصفه بالثور الصغير تكريم له كحاكم.. ثم أن ترجمة الإنجيل اللاتينية المسماة volgate ــ كما يذكر كونراد ــ تذكر أن موسى كان **بقرنى ثور**، ولاتقول هذه الترجمة: **على رأسه هالة**، وهما تعبيران بمعنى عبرى واحد، وذهب بعض المفسرين إلى أن الهالة نشأت أصلا من تتويج الرأس بقرنى ثور[١٥] ". ويضيف " أن يشوع Jushua الذى قاد اليهود إلى كنعان كان من قبيلة إفرايم Ephraim وهو اسم مشتق من اسم الثور" [١٦].

أما نحن فقد ألمحنا فى كتابنا (قصة الخلق: منابع سفر التكوين) إلى أن اسم الإله اليهودى (يهوه) أو (جاهوفاه)، ليست فى وجوب نطقها السليم سوى صوت خوار الثور بكل دقة، حيث ينبهنا (لودز) إلى صحيح نطقه الذى يجب أن يبدأ بفتح ثم سجول طويل [١٧].

ومن جانبه أشار (شتاده) أن معنى اسم يهوه: المسقط، أى الذى يُسقط البروق على الأعداء، لأن (هوى) بمعنى (سقط) [١٨] إلا أن (فلهاوزن) يرى الاسم يهوه من (هوى) فى العربية بمعنى الهواء، فهو الذى يهب أو هو رب العاصفة [١٩].

والقمر فى نظر الأقدمين كان جرما عظيما كالشمس، لكنه بالنسبة لها غير مستقر الأحوال، فسلوكه (هوائى) ، وحتى اليوم نصف الشخص متقلب المزاج بأنه (هوائى).

إذن ... كان الذبح الذى يتعلل به موسى للخروج من مدينة الفرعون إلى الصحراء حتى لا يستفز مشاعر المصريين، كان ذبحا لإله يرمز طوطميا للعشاء الربانى الذى مارسته شعوب عديدة، فكانت تأكل ربها فى يوم معلوم يكون عيدهم السنوى، وكان لونه الأشقر دلالة واضحة تشير إلى الإله المصرى (سيت)، لكنه كان بقرة أنثى. وهنا يطفر السؤال: هل كان ذبح البقرة التى ترمز لإيزيس، وتحمل أيضا اسم ايو أو يهو الأنثى لمجرد استفزاز مشاعر المصرين؟ لو كان ذلك كذلك لذبحوها داخل العاصمة المصرية، فلماذا ذهبوا بعيدا عن أعين المصرين ليذبحوها؟

نفهم من هيرودت وغيره من المؤرخين الكلاسيك، أن المصرين بدورهم كانوا يذبحون البقرة الأنثى الصفراء فاقعة اللون المدللة، لكن فى يوم احتفالى بعينه معلوم الشأن، هو يوم الاحتفال بعيد القيامة المجيد للإله الشهيد أوزير، لكن ليس لدينا أية إفادة من المصادر المصرية تفيد السر وراء ذلك التناقض الشديد، بين تحريم ذبح إناث البقر، وبين ذبح بقرة أنثى صفراء فى ذلك اليوم الدينى الاحتفالى.

---

(١٥) الخشاب: تاريخ اليهود.. سبق ذكره، ص ١٠٠، ١٠١.

(١٦) نفسه: ص ١٠٥

(١٧) Lods. A, I srael from its beginnings to the middle of Eight Century, London, ١٩٦٣, p ٣٢١ - ٣٢٢.

(١٨) Stade. B, Lehrbuch der hebraischen graemmatik, Libzig, ١٩٤٩, p٤٢٩

(١٩) Wallhausen. J. Die Bibllischen ater tu mer, Calw and Stattgart

هنا تفسر لنا القصة القرآنية ما حدث .....

ثم لوحة وقعنا عليها بكتاب الموتى المصرى القديم تضيف مزيداً من الوضوح على التفسير.

اللوحة تمثل الإله أوزير ميتا شهيداً داخل تابوته، ممثلا فى هيئة أقنوم الابن (الصقر سوكر)، أى تجليه الجديد فى هيئة إبن ميت، وكان الاعتقاد أن أوزير يعود حيا من بعد موته بأيام ثلاثة، يحتفل فيها المصريون بعيد قيامة أوزير المجيدة. وفى اللوحة تقف أنثى فرس النهر (ميهورت) أمام الإله الميت، وتنطق (ميهورت) أيضا (ماروت) وهى إلهة الولادة المصرية وراعية الأجنة فى بطون الأمهات، تمسك أداة تعقب عليها شروح الباحثة (إيفلين روزيتر) بأنها أداة غير معروفة على وجه التحديد

The exact nature of The object held by hathor in her right hand is uncertain

وتضرب (ميهورت) أو ماروت الإله الميت بتلك الأداة، لكل الواضح لنا وفى اللوحة أمام القارئ أن تلك الأداة ذيل بقرة، وهو ما نبهنى إليه صديقى (محمد البدرى). هذا بينما تطل البقرة الإلهية إيزيس فى شكل أحد تجلياتها المعروفه باسم (حتحور) وجاءت فى الترجمة باسم (هاروت)، فى يمين الصورة فى شكل شديد التدلل واللطافة.



قصة البقرة فى أصلها المصرى
شكل رقم (٥٤)

إن اللوحة تذكرنا بكون إيزيس هى التى أحيت أوزيريس بسحرها من الموت فى أسطورتها التى جمعها لنا بلوتارخوس، لكننا أبداً لم نعلم فى أى مصدر كان كيف أحيت ايزيس أوزير من الموت أى ماذا كانت مظاهر ذلك السحر وأدواته. هنا والآن فقط عرفنا، لقد مارست الإلهة هذا الطقس السحرى. أما ربة الولادة فى اللوحة (ماروت) فترمز لعودة ولاده الإله من جديد فى أقنوم الإبن، لكنه كى يقوم من الموت فإن إلهة الولادة تضربه بذيل البقرة إيزيس (والصفرة واضحة فى لونه) ترميزا لدورها فى عودة الإله إلى الحياة. ولأننا نفقد تماما أى مادة أركيولوجية مفيدة هنا أو حتى اجتهادية من المؤرخين، فإننا وفق ذلك جميعه يمكننا افتراض أنه كانت هناك شعيرة يصحو فيها أوزيريس وينطق فيها باسم قاتله وهو الشرير (سيت)ويساعد على مزيد من الفهم وعلى تأكيد الفهم، أنه كان فى مصر القديمة طقس معلوم يمارس مع الإله فى محرابه، أو

بالأحرى مع تمثاله، كما كان يمارس مع الميت بعد تحنيطه لمساعدته على الكلام والإجابه عما سيوجه له من أسئلة فى قاعة الحساب الأوزيرية بعد البعث وهو الطقس المعروف باسم (فتح الفم).

ويقول (ياروسلاف): " كان طقس فتح الفم يتكون من عدد من الطقوس القديمة وبذلك كان جسد الميت يوهب الحياة كما أن ملكاته تتجدد.. كان طقس فتح الفم يتكون من عدة أفعال يحتل فيها الفم نقطة مركزية .. ثم يذبح بعد ذلك ثور وتقطع أطرافه وينزع منه القلب .. وكانت الأطراف الأمامية والقلب تقدم إلى التمثال، ويلمس الفم بالقدم الأمامية .. ثم يقدم الماء، وهذه المراسم كان يفترض أنها تؤدى إلى فتح فم وأعين التمثال، وتهبها قدرات وملكات الشخص الحى " [٢٠] .

لقد كان ذبح البقرة (أيو) تكراراً لمشهد قيامة أوزيريس ليس أكثر، ليقوم أوزيريس من الموت وينطق باسم قاتله. وهو فى الوقت ذاته استحضار لعدو المصريين سيت عبر النطق باسمه بلسان أوزير الميت الحى، لأنه كان يحرم نطق البشر العاديين باسمه. وكان النطق وحده هو ما يسمى بالنطق الخلاق، أى النطق المجسد. **كانت قصة بقرة بنى إسرائيل استحضاراً سحريا للإله ست رب الهكسوس ورب إسرائيل باسم (يهوه)، ليقود بنفسه جموع الخارجين من مصر عبر سيناء إلى فلسطين، منطوقا بلسان الإله الشهيد أوزير، بفعل سحرى ذبحت بموجبه إيزيس البقرة الصفراء، حتى يمكن إتمام النطق المتجسد فى الإله قائد جموع الخارجين الإله (سيت).**

وهكذا فإن يهود ألفتين الذين أقاموا لهم جالية بأسوان قد احتفظوا من عبادتهم بأصول قديمة لم تعرف التطور الذى حدث لها فى فلسطين، فعبدوا ربا باسم يهوه ومعه زوجة باسم إناث يهو، ثم نعلم من الأساطير المصرية **أن إيزيس كانت باسم (إيو) المؤنث من (يهوه).**



طقس "فتح الفم" كما هو ممثلاً فى مقبرة "تاوسرت" يقف الكاهن "سم" أمام التمثال الملكى وقد ارتدى صديرية خاصة للاحتفال

(٢٠) ياروسلاف تشيرنى: الديانة المصرية .. سبق ذكره، ص ١٤٧، ١٤٨.

وكان معظم الخارجين من مصر من أتباع التقليد الأوزيرى الذين حافظوا عليه فلم ينطقوا أبـداً باسم ربهم وأسموه الكائن احتراما وتقديسا، وهو ما كان يفعله المصريون إزاء أوزيريس. ومع تطور آخر أصبح أوزيريس رباً للقمر فاندمج بالإله القمر ضحوت كى يتمكن من تخصيب البقرة (ايو / إيزيس) ويبدو أن هذا التطوير قد تم على يد أجانب كانوا يعيشون فى مصر، بدليل أن ضحوت المندمج بأوزير القمر قد حمل لقب (**سيد البلاد الأجنبية**).

والمهم هنا **أن موعد ذبح إيزيس البقرة الصفراء فى الوليمة الطموطية فى العيد المصرى القديم لقيامه أوزير من الموت، هو ذات موعد خروج الإسرائيليين من مصر ليذبحوا ذبحهم وهو المسمى بيوم عيد الفسح**.

وبمرور الوقت وللتغطية على الأصول الأسطورية تم تبديل اسم يعقوب من (ثور يعقوب) الذى يعنى يعقوب الثور أو الأبيسى نسبة للثور أبيس، إلى (عزيز يعقوب)، وهو يعقوب العزيزى الذى حمل بدوره أصولا أسطورية لأن عزيز مذكر للمؤنث عزيزة، وعزيزة هى إيزى زوجة أوزير. أما المدهش فهو أن يتحول اسم يعقوب – بعد صراعه مع ربه فى نص بالكتاب المقدس إلى اسم إسرائيل، لكنه يظل يحمل فى طياته أصوله الصادقة، لأننا هنا نستبعد كل التخريجات التى قيلت فى تفسير كلمة إسرائيل، لنقول تخريجاً جديداً هو أن الاسم يتكون من ملصقين هما:(إزر) و (إيل) فهو (أزرئيل)، والشق (إزر) هو الاسم المنطوق مصريا بكل سلامة لاسم الإله أوزيريس. وهكذا يعنى الاسم إسرائيل معنى جديداً هو (أوزير إله).ويمكن أن يتطابق هذا التخريج أيضاً مع جبال (سراه) (سر–إيل/ اسم إسرائيل بالعبرية).

تجليات الرب السينائى

عند خروج الإسرائيليين من مصر بقيادة موسى عبر سيناء، تم تكريس هارون وأبنائه ونسله كهنة للإله (يهوه)، وهارون وموسى هما أبناء السبط لاوى بن يعقوب، لذلك أصبح الكهنة جميعا فيما بعد من اللاويين نسل هارون، أو الليفيين. وهنا نقرأ (زينون كاسيدوفسكى) وهو يوضح لنا احتمال أن يكون اللاويون كهنة مديانيين من منطقة قادش سيناء ونظنهم من جانبنا مصريين من سكان برارى الدلتا الشرقية وسيناء أو هم نصف مصريين نصف ساميين.

ولما كنا نعلم من قصة التوراة أن موسى قد عاد إلى مصر من بلاد مديان بالعصا الحية، وأنه قد صاهر كاهن مديان بسيناء (رعوئيل/ يثرون) فإنه يمكن فهم (كاسيدوفسكى) إذ يقول: " يرى بعض العلماء **أن اللاويين لم يكونوا قبيلة من قبائل إسرائيل، بل هم فئة الكهنة فى قادش**، حيث أكدت الكتابات العربية التى اكتشفت فى منطقة العول التى تقع إلى الشرق من المنطقة التى كانت تسمى أرض مديان، أن كاهنات الإله ود كن يحملن لقب **لو** بينما حمل كهنته لقب لوى. ويزعم هؤلاء أن اللاوى اشتق منه .. وثمة وجهة نظر أخرى فى هذه المسألة تفترض أن لقب لاوى قريب من الكلمة اليهودية القديمة التى تعنى **أفعى** ولن ننسى هنا أن المقطع لوى هو جزء من الكلمة التى تشكل لقب الوحش الأسطورى لوياثان " [١].

ولوياثان وحش أسطورى فى هيئة حية ضخمة هائلة، ظهر من قبل بذات الاسم كإفعوان (من أفعى) زاحف متعدد الرؤوس فى الأساطير الأوغاريتية باعتباره كائناً مفزعاً يقتله الإله الأعظم، وقد سمى هذا الوحش فى الأساطير المصرية (أبو فيس). ذات الاسم الذى تلقب به ثلاثة من ملوك الهكسوس الستة (وقد قال الكتاب المقدس بدوره إن الإله يهوه تغلب على الحية المتحوية لوياثان وقتلها) وفى مصر حتى الآن تقديس لشيخ يعده العامة من أولياء الله الصالحين أخضع الثعابين لمشيئته، وله أتباع يقومون حتى اليوم باستخراج الثعابين من المنازل نظير أجر يدّعون بدورهم الولاية، وكان ذلك الولى هو المعروف باسم الشيخ **الرفاعى** وأتباعه الرفاعية أو الرفاعيون، وهو ما يستدعى على الفور **الرفائى** والرفائيين العمالقة.

ونتابع (كاسيدوفسكى) وهو يقول: " زد على ذلك أن أسماء اللاويين غالبا ما كانت تحمل فى أصولها معنى أفعى. ومن هنا يستنتج أصحاب هذه الفرضية أن اللاويين كانوا يعبدون الأفعى فى مصر ولم يشاءوا ترك عبادتهم تلك. كما بينت الاكتشافات الأثرية أن عبادة الأفعى استمرت قائمة فى فلسطين عدة قرون أخرى.. ومن هنا يغدو مفهوما لماذا أقام موسى الأفعى النحاسية وسط المعسكر .. ولم ينج من اتهام أتباع يهوه له من أنه لطخ نقاء اليهودية بسماحه بإقامة عبادة إله الأفعى " [٢].

---

(١) زينون كاسيوفسكى: الواقع والأسطورة .. سبق ذكره، ص ١١٩.

(٢) الموضع نفسه.

وكاسيدوفسكى يشير هنا إلى النص التوراتى: " فصنع موسى حية من نحاس ووضعها على الراية / عدد ٢١ / ٩ " ، وما حدث بعد ذلك إبان حكم الملك اليهوذى الورع (حزقيا بن أحاز) الذى قرر مع التطور الكبير الذى لحق الديانة اليهودية مع مرور الزمن استبعاد كل العبادات والتجليات الإلهية للإبقاء على وحدانية يهوه، وجاء بشأن ذلك نص بالكتاب المقدس يقول: إن الملك حزقيا: " عمل المستقيم فى عينى الرب هو أزال المرتفعات وكسر التماثيل وقطع السوارى وسحق **حية النحاس التى عملها موسى.** لأن بنى إسرائيل كانوا إلى تلك الأيام يوقدون لها ودعوها نحشتان/ ملوك ثانى ١٨/٣،٤ ". ونحشتان مقلوب حنش والحنش هو الثعبان.

والمعلوم أن الإله (ود) كان إلها عربيا عريقا، وأنه عُبد فى بلاد آدوم على تتالى السيادات عليها، كما عبد فى بلاد الحجر والمحيط الشمالى للجزيرة جميعا وفى بلاد الحجاز بعد ذلك، وجاء ذكره فى القرآن الكريم كمعبود جاهلى. وظل (ود) ربا جليل القدر حتى ظهور دين الإسلام الذى صفى الآلهة جميعا عدا رب الإسلام (الله). إلا أن الله حاز لنفسه أسماء الآلهة السابقة فى العربية. فهو القدوس من الإله اليمنى عستر الملقب (قدست)، وهو الرحمن من (رحمنن) وهو الرحيم من (هـ رحيم) وهو الودود من (ود) .. الخ.

ولو أضفنا لازمة التعريف الشمالية (الهاء فى أول الكلمة) إلى ود لصارت (هود) اسم النبى الذى أرسله الله إلى عاد فى القص العربى الجاهلى وفى القص الإسلامى كما يفصح اسم هود عن العلاقات الخفية بين الإسرائيليين وبقية الأخلامو ومعهم العرب فهو (يهود) كما يشير إلى أصل كلمة (يهوذا).

وبالإمكان هنا أن نسوق تخريجا يعتمد على لغة قبائل الأحلاف، فأداة التعريف اليمنية كانت (ن) تلحق بآخر الكلمة، بينما كانت (هـ) آداة التعريف الشمالية تسبق المراد تعريفه، فاسم الرحمن وهو إله يمنى كان يكتب باليمنية (رحمنن) وتكتبه العرب الشمالية (هـ رحيم) عند الأنباط. والأمر ذاته حدث مع الإله (ود) وحرف (د) فى (ود) مدغم من حرفين بالتشديد فهو بالأصل (ودد) الذى هو (أدد) و (حدد) أو البعل حداد. وتعريف (ود) شماليا يجعل الكلمة (هود) و(يهود)، أما تعريفه جنوبيا فيجعله (ودن) الذى هو آدون لقب البعل بمعنى السيد.

وهنا ينبه (كاسيدوفسكى) إلى مسألة بقاء الإسرائيليين فى مصر زمنا كان كفيلا بتشربهم ثقافة المصريين ومقدساتهم حيث يقول: " أخذوا يتمثلون الثقافة المصرية رويداً رويداً. بل وتشير معطيات موثوقة أنهم اعترفوا بعبادة آلهة المصريين ومارسوها، فقد قال يشوع بن نون مؤنبا الإسرائيليين: أنزعوا **الآلهة** التى عبدها آباؤكم فى عبر النهر **وفى مصر** / يشوع ٢٤/ ١٥ ".(٣)

ويستمر (كاسيدوفسكى) شارحا: " يظهر التأثير المصرى بكل وضوح فى وصف التوراة للثياب التى يرتديها الكاهن أثناء تأديته لفروض العبادة. فهى عبارة عن نسخة طبق الأصل تقريبا عن الثياب التى كان يرتديها كهنة هليوبوليس [أون/ عين شمس شمالى القاهرة الحالية وعاصمة الدولة الفرعونية القديمة/

(٣) نفسه: ص ١٠٥

المؤلف] ولم يكن ثمة فارق بين كهنة الإسرائيليين وكهنة المصريين. سوى أن هؤلاء الآخريين كانوا حليقي الرؤوس والوجه. بينما أطلق الأولون شعر رأسهم ولحاهم .. لقد اقتبس موسى عن المصريين أيضا تابوت العهد والأسفاط التى كانت تظل بأجنحتها شكلين.. لروحين حاميتين .. إن الكروبيين اللذين زينا التابوت هما من منشأ مصرى أيضاً .. ولقد أقتبست القبائل البدوية عن الإسرائيليين تابوت العهد وحرم المعبد يحمل خيمة مقدسة صغيرة. ومازالت آثار هذا التقليد المصرى القديم قائمة حتى اليوم عند قبيلة الروالة، التى تنتقل فى الصحراء السورية حاملة على أحد الجمال سفطا خاصا يسمى المركب **أو تابوت إسماعيل** الذى يعد ما يشبه الذخر المقدس للقبيلة " (٤).

ومثل بقية الشعوب القديمة قدس الإسرائيليون/ العجل / الثور، لما له من قوة وفحولة جنسية خصبية. ومعلوم أن قدسية الثور كانت شاملة ومنتشرة بين جميع الشعوب القديمة حتى صنع الملوك تيجانهم تعلوها القرون وهو ما لحق بيعقوب إسرائيل نفسه حيث يحيطنا شيفمان علما أن هناك صيغتين وردتا فى التوراة عن يعقوب فى سفر التكوين ٤٩ وفى المزمور ١٣٢، تمت ترجمتها إلى عزيز إسرائيل وعزيز يعقوب بينما هما فى الأصل المازورى ثور إسرائيل وثور يعقوب (٥).

بل أن هناك نصا صريحا واضحا يشير إلى اعتقاد إسرائيل (المملكة الشمالية) منذ فجر انقسام مملكة سليمان إلى يهوذا فى الجنوب وإسرائيل فى الشمال أن يهوه بالفعل هو الذى أخرجهم من مصر، لكنه ليس سوى الثور نفسه. فقد أمر الملك يربعام مؤسس إسرائيل الشمالية بعمل عجلين من ذهب " .. وعمل عجلى الذهب وقال لهم .. هوذا آلهتك يا إسرائيل الذين أصعدوك من أرض مصر .. ووضع واحداً فى بيت إيل وجعل الآخر فى دان/ ملوك أول ١٢ / ٢٨ ، ٢٩ ".

وعندما أخذت الديانة الإسرائيلية خطها التطورى اللاحق للتفرد بيهوه وحده، نسمع نبيا من مملكة يهوذا اسمه هوشع يصب نقمته على أشقائه فى مملكة إسرائيل وعاصمتها السامرة وعلى سبط إفرايم الإبن الثانى ليوسف. وذلك بسبب عبادتهم عجول أون، وعجول أون هى عجول عين شمس المصرية، وعجل عين شمس المعروف كان المعروف باسم العجل أبيس. كذلك نعى هوشع على إسرائيل عبادتها لشوامخ أون والشوامخ هى المسلات التى تطلق عليها التوراة اسما آخر على التبادل هو السوارى (هوشع ١٠ / ٥ ، ٨).

وفى قصة لقاء موسى بربه ليأتى بألواح الشريعة إبان رحلة الخروج، يحيطنا (كاسيدوفسكى) علما أن النص التوراتى القائل أن موسى غطى وجهه بقطعة قماش لأن وجهه كان يلمع أو يشع من لقاء الله، كان فى أصله المازورى أن موسى بعد لقاء الرب ظهر له فوق رأسه قرنان(٦).

---

(٤) نفسه: ص ١٢١،١٢٢.

(٥) شيفمان: أوغاريت .. سبق ذكره، ص ٨٥.

(٦) نفسه: ص ١٢٢.

وإعمالا للنص الأصلى صور الفنان مايكل أنجلو تمثال موسى بقرنين، ولا بأس هنا أن تجمع اللمعان المضئ مع القرنين. إذا تذكرنا أن الفرعونة حتشبسوت قد استوردت من بلاد بونت مادة دهنت بها جسدها فأضاءت أمام شعبها وهى ذات البلاد التى جرت فيها أحداث الخروج بمديان وآدوم سيناء. ويؤكد لنا (كاسيدوفسكى) أن الكهنة المصريين كانوا يغطون وجوههم أثناء إقامة الاحتفالات الدينية والمراسم لأنها كانت تضئ " أما القرون فهى راسب من رواسب عبادة الثور المصرى أبيس. وهذا ما تدل عليه حادثة العجل الذهبى، فبقيت القرون رمزا للقداسة " (٧).

كذلك ظل البعل وهو ثور بدوره أوجدى (تيسا) إلها جليل الشأن لدى شعوب شرقى المتوسط وضمنها بنى إسرائيل، ويمكنك أن تجد بالكتاب المقدس شهادات واضحة بذلك من أمثلتها عبادتهم عجل بعل فغور (تثنية ٣٢/ ١٥، ١٦ وعدد ٢٥ / ١ – ٣) وعبادتهم البعل وعشتروت (قضاة ٢ / ١١ – ١٧) وعبادتهم البعليم جمع بعل (قضاة ٣ / ٥ – ٨)، كما مارسوا طقس الجنس الجماعى وراء بعل بريث (قضاة ٨ / ٣٣ و ١٠ / ٦) ومارسوا هذا الزنى المقدس فى باب خيمة الاجتماع (صموئيل أول ٢/٢٢). كذلك ذكر هذا المقدس أن سليمان سجد لكل آلهة المنطقة (ملوك أول ١١ /١ – ٨). كما عبدوا عددا من العجول الذهبية وقاموا بالجنس الجماعى على المرتفعات وقدموا الأطفال أضاحى للآلهة (ملوك أول ١٣ / ٢ و ١٤ / ٢٣ و ١٦ / ٣١ – ٣٣ وملوك ثانى ١٦ / ٣ ، ٤ و٢١/٢،٦.وأخبار أيام ثانى ٢١/١١،٣٣ وملوك ثانى ١١/٢٣ واخبار أيام ثانى ٣٤/٢ – ٥). كذلك سجدوا لبعل مولك عند توفه (ملوك ثانى ٢٣/١٠)، أما مركب الشمس المصرية التى كان يعتقد أن رع يركبها فى رحلته السماوية، فقد كان محل عبادة دائمة فى المملكتين إسرائيل ويهوذا، حتى وصل الأمر بالنبى إرميا وهو يرهص بتوحيد يهوه إلى التنديد بشعبه صارخا فيه: " بعددمدنك صارت آلهتك ياإسرائيل/ إرميا/ ١١ – ٣ ".

حتى أن يهوه نفسه الذى اكتشفه موسى فى أيكة مديان المضيئة لم يكن إلها واحداً، بل مدمجا لعدد من الآلهة، حيث يقول لنا (كمال الصليبى): " هناك ثلاثة مقاطع مختلفة فى التوراة تذكر اسم موسى مع تعريف لشخصه بأنه: ء يش هـ – ء لهيم، وفى الترجمة العربية وسائر الترجمات: رجل الله (المزمور ٩٠/١ وعزرا / ٣/٢، وأخبار أيام أول ٢٣/١٤). ولو كانت العبارة بالعبرية هنا ء يش لهيم لصحت ترجمتها على أنها تعنى رجل الله، لأن اسم الله بالعبرية هو ء لهيم ويلفظ إلوهيم، لكن العبارة العبرية هى فى الواقع هـ– ء لهيم بالتعريف وليس ء ليهم بدون تعريف، وهـ ء لهيم بالعبرية ليست هى اسم الله بل لفظة عادية تعنى **الآلهة**، جمع ء له أى آلهة مع سابقة التعريف " (٨).

ولعل أهم تجليات الإله يهوه وأبرزها إضافة إلى الثعبان، هو التجلى النارى، وقد سبق وألمحنا إلى خنفساء المانجروف كظاهرة يمكنها تفسير مشهد عليقة تلتهب ولاتحترق، والطريف أنه يمكنك أن تجد فى

(٧) الموضع نفسه.

(٨) كمال الصليبى خفايا التوراة، .. سبق ذكره، ص ٢١٢.

سيناء أكثر من ظاهرة للنباتات الضوئية. وقد حاول بعض الباحثين تفسير مشهد عليقة تلتهب ولا تحترق بالظاهرة المعروفة بهالات القديسين، " وهى هالات ضوئية تُرى محيطة برؤوس القديسين فى المصورات القديمة، وتطابق ما يشاع بين البسطاء عن أنوار تشع من وجوه الأنبياء والأولياء ذوى الكرامات. وهى الظاهرة التى فسرها علم الفيزياء بعد اكتشافه للكهرباء الجوية، التى تأخذ أحيانا شكل كهرباء استاتيكية مستقرة، وعادة ما تظهر فوق قمم الجبال والمناطق الخلوية الرطبة، وهى الأماكن التى اعتاد الزهاد والنساك ارتيادها للتعبد والاختلاء، كذلك الأفاقون والهاربون من العدالة، وهم أيضا ممن لوحظت معهم تلك الظاهرة، وكانت رؤيتها كفيلة بإبهار العامة"[٩].

ومن جانبنا لانجد ذلك معبراً بوضوح عن ظاهرة العليقة الموسوية، فنحن نظن موسى التوراتي قد رأى بالفعل لهباً بشكل من الأشكال، أو ضوءاً نباتيا، وليس شرطا أخذ الأسطورة بحرفيتها أو بتفاصيلها الدقيقة على محمل الجد الصارم، حيث حاول الباحثون العثور على تفسير للظاهرة فى سيناء نفسها، فوجدوا هناك نباتا لم يزل يسمى عليقة موسى من قبل سكان المنطقة الحاليين. واكتشف أن لهذا النبات خصائص فريدة، فهو يرسل خيوطا من الزيت فى الأثير تتوهج بسهولة تحت أشعة الشمس، وحملوا معهم إلى بولونيا نموذجا منه، وزرعوه فى محمية (سكوروتيت)، وفى عام ١٩٦٠ خرجت الصحف بنبأ مثير يقول: إن عليقة موسى المحاطة بالرعاية فى المحمية، قد اشتعلت بنار ذات لون أحمر، وكان اليوم حارا وقائظا[١٠]. ومن ثم تم الربط بين اشتداد الحرارة والرطوبة معا وهو ما يحدث فى أيام محددة فى ذلك الجنوب السينائى، وبين توهج ذلك النبات بالضوء، لكن أحداً فى بولونيا لم يزعم أنه رأى يهوه أو سمعه يتكلم من خلال النبتة المتوهجة!!؟

وظاهرة رابعة فى سيناء أيضا يمكنها بدورها تفسير مشهد عليقة نارية لا تحترق، صادفتنا إبان مشاهدتنا للتلفاز المصرى على قناته الأولى فى برنامج عالم الحيوان، وكانت تفسيراً سهلا وبسيطا، حيث كان يعرض البرنامج الذى أعده سعيد محمود وعلق عليه، وأذيع خلال شهر يناير ١٩٩٣، ألوانا من الأشجار والنباتات الفطرية ، التى تتعايش معها بكتريا تؤدى بالتفاعل الكيميائى إلى صدور شحنات ضوئية منتظمة نابضة تصدر عن النبات. وقدم البرنامج ألوانا من تلك النباتات فى البحر الأحمر وفى شبه جزيرة سيناء، وبالطبع لم يكن البرنامج يتحدث عن عليقة موسى، لكنه كان يتحدث عن الشوكيات وفطر المشروم السينائى الذى يضئ بالخلايا البكتيرية. كما قدم أيضاً عددا من تلك الظاهرات تحدث فى نباتات مائية فى عمق البحر الأحمر وخليج السويس والعقبة، أما الحالات التى عرضها البرنامج فكانت مدهشة حقا حيث كان النبات يبدو بالفعل متوهجا تماما كما لو كان يشتعل بالنار، ولو لم تمسسه نار.

(٩) سعد زغلول : الأنبياء والمتنبئون قبل ظهور الإسلام، مجلة عالم الفكر، المجلد، ١٢، العدد٤، الكويت، ١٩٨٢ ص ٢١١.
(١٠) كاسيدوفسكى: الواقع والأسطورة .. سبق ذكره، ص ١١١.

ومن ثم فلدينا فى شبه الجزيرة السيناوى، أكثر من ظاهرة يمكنها تفسير ما شاهده موسى، فى تلك الصحراء الحافلة بالعجائب، فلو كانت الرؤية بالنهار يمكن أن تفسرها العليقة الزيتية، وإن كانت ليلا يمكن أن تفسرها خنافس المانجروف أوالمشروم المضىء.

ونبات المشروم تحديداً يمكنه أن يستدعى معان كثيرة، فالإله يهوه يبدو فى أحد تجلياته كقضيب ذكرى، ولا ننسى أن القضيب مصدر الخصب وعلامة القوة، فالبطاركة الأوائل كانوا يمسك أحدهم بالقضيب ويقسم به فى مواضع متعددة بالتوراة، ومثالا لذلك " وقال إبراهيم لعبده كبير بيته المستولى على ما كان له: ضع يدك **تحت فخذى**، فأستحلفك بالرب إله السماء وإله الأرض، أن لاتأخذ زوجة لابنى من بنات الكنعانيين / تكوين ٢٤/١ - ٣ "، ويتكرر القسم بالقضيب فى عدة مواضع أخرى منها على سبيل المثال، ما جاء فى طلب يعقوب لولده يوسف إبان وجودهم فى مصر، ألا يدفنه فى بلاد مصر، بل يذهب بجثمانه إلى أرض كنعان ليدفنه هناك. وهو الطلب الذى لم يطمئن إلى تنفيذه وتهدأ نفسه إلا بعد أيمان مغلظة من يوسف فى عبارة التوراة على لسان يعقوب : " ضع يدك **تحت فخذى** واصنع معى معروفا معى وأمانة، لا تدفنى فى مصر / تكوين ٢٩/٤٧ ".

ولا ننسى مسألة ختان القضيب كشرعة إسرائيلية وفريضة إجبارية محتومة على كل يهودى، ورغم علمنا من قوانين الفراعين وماتركوه من رسوم لإجراء عملية الختان بسكاكين الصوان، تؤكد أنهم اعتبروا الختان ميزة خاصة تعاليا على بقية الشعوب، فإن الإسرائيليين أخذوا بهذه الشرعة المصرية، بل واحتسبوها علامة العهد بين الرب وبينهم، الرب يعطيهم فلسطين، وهم يعطونه غلفات قضبانهم بالاختتان، فإذا نظر الرجل إلى قضيبه بعد قص غرلته عنه يتذكر عهده وميثاقه مع الرب:

> وقال الله لإبراهيم: وأما أنت فتحفظ عهدى أنت ونسلك من بعدهم فى أجيالهم. هذا هو عهدى الذى تحفظونه بينى وبينكم، وبين نسلك من بعدك. يختتن منكم كل ذكر فتختتنون فى لحم غرلتكم، فيكون علامة عهد بينى وبينكم.. فيكون عهدى فى لحمكم عهداً أبديا.
>
> تكوين ٩/١٧ - ١٤

ولا يفوت لبيب هيئة **المشروم، فهو يتخذ شكل قضيب نموذجى الاختتان** وبهذا الخصوص يعرب شفيق مقار عن رأيه فى ديانة يهوه فيقول: " هى نابعة من ديانات صحراوية من ديانات الخصب، انصبت على تقديس نوع من الفطر واسمه العلمي هو (أمانتيا موسكاريا) كان أتباع تلك الديانة يرون فيه تجسيداً لإلههم القومى، وهو **إله قضيبى**. ويؤمنون بأن تعاطيه يمكنهم من الاتصال اتصالا مباشرا بمعبودهم، ويتيح لهم مشاركته أسراره السماوية. والمعروف أن لذلك الفطر تاجا يشبه قمة القضيب فى حالة انتصابه، ويحتوى على عقار يسبب الهلوسة لمن يتعاطاه ويشيع فى كيانه بلهنية وشعوراً بالحيوية والجزل، يصحبه اندفاع لطاقة

جسدية عارمة، ويعقبه فترات من الانحطاط الجسدى الحاد... ونفهم الأهمية القصوى التى علقها هذا المعبود القضيبى حسبما يرويه الكهنة من مبدأ الأمر على مسألة الختان. **فالختان هو الذى يجعل القضيب عندما ينتصب مماثلا لنبات الفطر المقدس، الذى رأى عبدة ذلك الإله أن معبودهم يتجسد فيه** " (١١).

ويعلق على الشوك على تلك القطعة النحاسية بقوله عن إياهو " وكان يدعى يؤمئذ إيلات إياهو .. **وكان إله الحدادة عند القينيين؟!!** ويظن أنه كان عشيق بعلت [أى البعلة/ المؤلف] . واسم إياهو يرجع إلى حقب أبعد بكثير، فهو **قد ظهر فى مصر فى عهد الأسرة السادسة أى أواسط الألف الثالث ق.م لقبا للإله سيت Set أو سوتخ Sutech** وكان إله الرعاة .. وقد ظهر فى سفر التكوين باسم **شيث** بن نوح " (١٢).

والأفعى المقدسة رمز يهوه (الإفعوان) تتخذ فى الأساطير اليونانية صورة حمامة تلقح الكون فيلد الحياة(١٣). ويضع على الشوك تخريجا للأصل الاشتقاقى لكلمة حمامة، يقول أنه غير متأكد من صحته، رغم أنه شديد الصحة، فهو عنده من مادة **حمّ أى صار أسوداً**(١٤). وكذلك حم فى المصرية القديمة = أسود، أفلا يحيل كل هذا إلى القينيين فى مديان الحدادين وربهم حداد، الحاميين، **الكوشيين** ، **الزنوج**.

والإفعوان هو باليونانية Ophis ومنها أبو فيس كذلك هو Ophion وله اسم آخر فى ذات اللغة هو بيثون Python، وفى اللغة الحورية الأوغاريتية اسمه ب ث ن أى الحية، وبقلب الباء فاء تصبح فتن وهى كلمة عبرية تعنى حية (١٥). وبثن بالعربية هو الناعم الطرى لذلك نجد الاسم (بثينه) أى الناعمة. لكن يبدو أن تلك النعومة اشتقت من ملمس البيثون الحية الناعمة لكنها الشريرة القاتلة لذلك جاءت كلمة فتن فى العربية وفاتن لتدل على شديد الجمال الأخاذ لكنه الشرير القاتل، ومنها الفتنة التى هى أشد من القتل.

ومن بيثون يأتينا اسم PAN / بان رب الرعاة أو رب الماعز عند الإغريق فقد كانت هذه صورته المفضلة: التيس، وكان فى الوقت ذاته هو رب القضيب ورب الجماع، ثم المقابل لكلمة (بان) فى العربية هى كلمة فن / بن، والفن فى العربية هو عملية إخصاب الحمار لأنثاه، ويقال: فن الحمار بإتنه أى نكحها، لذلك يسمى الفنان.

وقد لاحظ جون الليجرو أن اسم البعل نفسه مأخوذ من اسم سومرى هو BA - AL وهو ما يعنى المثقب أو القضيب، واختلاط الباء بالفاء يؤدى بكلمة (بال) السومرية إلى فالوس Phalus اللاتينية وهى اسم القضيب الذكرى في حالة الانتصاب (١٦) ولنلحظ أيضاً أن الشق الأول من الكلمة BA هو فى العربية القدرة الجنسية المسماة (باه). وكان المصرى القديم يتصور القضيب هو مخرج روح الرجل وكانت الروح فى المصرية

---

(١١) شفيق مقار: قراءة سياسية .. سبق ذكره، ص ٦٢.

(١٢) نفسه: ص ٢٦.

(١٣) نفسه: ص ٢٩.

(١٤) الموضع نفسه.

(١٥) نفسه: ص ٣٤.

(١٦) نفسه: ص ١٥.

القديمة تحمل اسم الـ (با)، وكانت ترسم وهى تخرج من القضيب فى شكل الحمامة، والحمامة اسم القضيب فى مصر حتى الآن ولم تزل ذكريات القضيب المضئ تتمثل في المصابيح الزيتية القروية باسم الفانوس / الفالوس.

ومن الطريف أن اسم القضيب الذكرى فى مصر حتى اليوم (الحمامة) وسر الطرافة أنه قد تم العثور فى أوغاريت على قطعة فنية نحاسية تعود إلى حوالى ١٦٠ ق.م تحمل اسم رب التوارة (إيا – هو /IA – HU)، وبتدقيق النظر سنكتشف أن الاسم مركب من مقطعين(IA = أى رفيع، سامى) و (HU = أى حمامة)(١٧) **فهو الحمامة السامية أو رب الحمامة أو رب القضيب.**

وفى أساطير الشعوب القديمة جميعاً تمثلت الروح فى الريح، الرياح، ربما لأن التنفس (النفس) أى الريح هو الذى يمد الكائنات بالحياة. وفى الكتاب المقدس " بنسمة الله يبيدون وبريح أنفه يفنون/ أيوب ٩/٤ " ويتواتر ذكر عبارة " روح الرب / ملوك أول ١٨/١٢ "، أو كما فى " بريح أنفك تراكمت المياه / خروج ". وتشترك مع الريح والروح كلمة الرائحة التى عادة ما تعبر عن الرائحة العطرية، وتشترك معها فى الدلالة لفظة شذى التى أحالت لدينا من قبل إلى (شرى) أو ذوى الشرى، الذى ارتبط بالخصب بدوره **فولد تحت نخلة** فى بلاد آدوم فى أسطورته. والنخلة باليونانية هى Phoenix وهو ذات الاسم الذى كان يطلق على العنقاء الطائر المسافر من بلاد العرب إلى مصر، والى العناقين العمالقة، الذين سنجد بينهم – بعد فصول – **قاطعى الرقاب أو قاطعى الرؤوس، أو الخناقين، والمبهر أن الكلمة فوينكس تعنى أيضاً فى اليونانية (الخناق أو قاطع الرقبة)؟! وهنا الحالة الثالثة التى نطلب من القارئ تذكرها لأن لها دوراً آتياً فى حل كثير من الألغاز فى بحثنا هذا .**

وكان القدماء يتصورون الريح فى هيئة عمود ثعبانى كبير عظيم متلوى يلتهم كل شئ، وهى صورة الإعصار، ومن هنا جاء اسم الأفعى الإفعوانية التى أصبحت فى اليونانية أوفيس/أوفيون، لكنهم يطلقون عليها ايضاً الاسم بيثون، ومن الكلمات بثن وفتن يأتينا اسم بان رب **الماعز** اليونانى. وفى الأساطير اليونانية نجد مملكة الرياح تتكون من أربعة آلهة بعدد الجهات الأصلية، وأمهم جميعا هى البقرة يهو أو أيوس. وللطرافة فإن إنفجارات البركان المتتالية مع كل دمدمة تعطى بغبارها السحابى الهائل بشكل الانفجار النووى، تعطى بالضبط مشهد المشروم، مشهد القضيب لكنه العظيم المهول، الذى يقذف بمواد الخصب لكن بقدرة ربانية تزلزل الجبال وتنشف المياه وتشق الأرض. واللافا البركانية بالملاحظة المستمرة أعطت إنسان العصور الخوالى فرصة اكتشاف أنها سر خصب الأرض.

وعليه نقف الآن ملياً مع مشهدية كبرى نارية قضيبية بركانية لرب التوراة (يهوه)، وهو يتجلى تجليا لا يمكن بحال إلا احتسابه بركانا كامل المواصفات.

- وكان الرب يسير أمامهم نهاراً **فى عمود سحاب،** ليهديهم

---

(١٧) على الشوك: جوله.. سبق ذكره، ص ٢٥.

فى الطريق، وليلا فى **عمود نار** ليضىء، لكى يمشوا نهـارا وليلا/ خروج ١٣/٢١.

- **سحابة** الرب كانت على المسكن نهاراً، وكانت فيها **نار** ليلا، أمام عيون كل بيت إسرائيل / خروج ٤٠/٤٨.
- وحدث فى اليوم الثالث لما كان الصباح، أنه صارت **رعـود وبروق وسحاب ثقيل على الجبل**، وصوت بوق شديد جـداً ، فارتعد كل الشعب الذى فى المحلة، وأخرج موسى الشـعب لملاقاة الله، فوقفوا فى أسفل الجبل، وكان جبل سـيناء كلـه **يدخن**، من أجل أن الرب قد نزل عليه **بالنار**، **وصعد دخانـه كدخان الأتون وارتجف كل الجبل جداً** .. ونزل الرب علـى جبل سيناء، **إلى رأس الجبل**/ خروج ١٩/١٦ – ٢٠.
- وكان الشعب كأنهم يشتكون شراً فى أذنى الرب، وسمع الرب فحمى غضبه، **فاشتعلت فيهم نار الـرب وأحرقـت طـرف المحلة**، فخرج الشعب إلى موسى، فصلى إلى الرب، فخمدت النار، فدعى اسم ذلك الموضع تبعيرة، لأن نار الرب اشتعلت فيهم/ عدد ١١/١ – ٣.
- عندما تمرد قورح – قارون إسلاميا – على موسى:" **انشقت الأرض** التى تحتهم، وفتحت فاها، **وابتلعتهم وبيوتهم**، وكـل ماكان لقورح من أموال، فنزلوا هم وكل ما كان لهـم مـن أحياء إلى الهاوية، وانطبقت عليهم الأرض فبادوا مـن بـين الجماعة، وكل إسرائيل الذين حولهم هربوا، لأنهم قالوا: لعل الأرض تبتلعنا، **وخرجت نار من عند الرب**، وأكلت المئتـين وخمسين رجـلا، الذين قربوا البخور / عـدد ١٦/ ٣١ – ٣٥.
- فتقدمتم ووقفتم فى أسفل الجبل، **والجبل يضطرم بالنار إلـى كبد السماء**، بظلام وسحاب وضباب/ تثنية ٤/١١ .
- الرب إلهك **هو نار آكلة**، إله غيور/ تثنية ٤/٢٤.
- إنك قد أُريت لتعلم أن الرب هو الإله، ليس آخر سواه، مـن السماء أسمعك صوته لينذرك، وعلـى الأرض أراك **نـاره**

العظيمة، وسمعت كلامه **من وسط النار**/ تثنية ٣٦/٤.

- هذه الكلمات كلم بها الرب كل جماعتكم فى الجبل من **وسط النار والسحاب والضباب وصوت عظيم**.. فلما سمعتم الصوت من وسط الظلام، والجبل **يشتعل بالنار**.. قلتم: هو ذا الرب إلهنا قد أرانا مجده وعظمته، وسمعنا صوته من **وسط النار**، هذا اليوم قد رأينا أن الله يكلم الإنسان ويحيا، أما الآن فلماذا نموت؟ لأن **هذه النار العظيمة تأكلنا**/ تثنية ٥/٢٢-٢٥.
- فاعلم اليوم أن الرب إلهك، هو العابر أمامك، **نار آكلة**، تثنية ٣/٩.
- وكان منظر مجد الرب، **كنار آكلة على رأس الجبل**، أمام عيون بنى إسرائيل/ خروج ١٧/٢٤.
- فانصرفت ونزلت من الجبل، **والجبل يشتعل بالنار**/ تثنية ١٥/٩.
- اعبدوا الرب بخوف واهتفوا **برعده**/ مزمور ١١/٢.
- يمطر على الأشرار فخاخا **ناراً وكبريتا وريح السموم**/ مزمور ٦/١١.
- **فارتجت الأرض وارتعشت أسس الجبال**، ارتعدت لأنه غضب، صعد **دخان من أنفه ونار من فمه، أكلت جمراً، اشتعلت منه**..عبرت سحبه برد **وجمر نار**، أرعد الرب من السماوات، والعلى أعطى صوته بردا وجمر نار/ مزمور ٦/١٨ - ١٣.
- صوت الرب يقدح **لهب نار**، صوت الرب **يزلزل** البرية، **يزلزل الرب برية قادش**/ مزمور ٧،٨/٢٩.
- **ناراً** قدامه تأكل، **وحوله عاصف جداً** / مزمور ٣/٥٠.
- **السحاب والضباب** حوله، العدل والحق قاعدة كرسيه، قدامه تذهب **نار وتحرق** أعداءه، حوله أضاءت بروقه المسكونة، رأت **الأرض وارتعدت**/ مزمور ٢/٩٧ - ٤.

- الصانع ملائكته رياحا، وخدامه **ناراً** ملتهبة/ مرموز ٥/١٠٤.
- بسط **سحابا** سجفا، **وناراً** لتضيء بالليل / مزمور ٣٩/١٠٥.
- يارب طاطئ سماواتك وانزل المس الجبال **فتــدخن**، أبــرق بروقا وبددهم، أرسل سهامك وازعجهم/ مزمور ٥،٦/١٤٤.
- من حضرتك **تتزلزل الجبال**، كمــا تشــعل **النــار** الهشــيم، **وتجعــل النار المياه تغلى**، لتعرف أعداءك باسمك، لترتعــد الأمم من حضرتك/ إشعيا ١،٢/٦٤.
- يمطر على الأشرار فخاخا **وكبريتا وريح السموم** / مزمــور ٦/١١.
- على جبل الله المقدس كنت، **بين حجــارة النــار تمشــيت/** حزقيال ٢٨/ ١٤.
- غيظه **ينسكب كالنار، والصخور تنهدم منه/** ناحوم ٦/١.

والآن، هل من الممكن أن يفهم من تلك النصوص شيء، سوى أنها تصوير بليغ لبركــان حقيقــي؟ إن البركان هو الظاهرة الوحيدة التى إذا طالعناها من بعد، أخذت شكل عمود النار ليلا، وشكل عمود الســحاب نهاراً عندما تظهر الشمس وتطغى بضوئها على ضوء النار المتلظية داخله. هــو الظــاهرة الوحيــدة التــى يصحبها أصوات القصف كالرعد والبرق مع السحاب الثقيل المصحوب بالأدخنة الصاعدة كــالأتون. وهــو الظاهرة الوحيدة التى تؤدى لارتجاف محيطها، وهو الظاهرة الوحيدة التى يمكن رؤيتها عن بعد بأمان تــام، لكنها تصبح خطراً محققا إن زحفت مصهوراتها إلى أماكن السكنى، كما حدث فى إحراقهــا طــرف محلــة الإسرائيليين بسيناء. وهو الظاهرة التى تصاحبها الزلازل ورجف الأرض وانشقاقها وابتلاعها لما فوقها، كما حدث مع (قورح) وجماعته. وهو الظاهرة التى تظهر نيرانها فى رؤوس الجبال وقممها. وهو الظاهرة التــى تصحبها رياح كبريتية سامة(رياح السموم)، مع تفاعلات غازية فى شكل أبخرة قاتلة. وهو الظاهرة الوحيدة التى بإمكانها إن صبت فى البحر أو النهر أن تجعله يغلى ويفور ويتبخر. انه الوصف الــدقيق تمامــا لإلــه نارى، إنه الوصف الأكثر دقة لبركان فى حالة توتر فى شبه جزيرة سيناء. لكن المحبط تماما هو تأكيــدات الباحثين الجيولوجيين أن سيناء لم تكن يوما مسرحا لأى ظواهر بركانية من أى نوع. وكــان ذلــك التأكيــد مدعاة لارتباك طويل عانيناه أثناء مشاق هذا العمل، أدى – مع القناعة بوجــود ظــاهرة بركانيــة – إلــى افتراضات بعيدة، للبحث عن مواضع بركانية محتملة، كانت كل مرة تتضارب مع ماجمعناه من مادة علمية، وهذه المادة جميعاً لابد أن تؤدى بالخارجين إلى جبل كاثرين فى جنوب المثلث الســينائى، وكانــت النتيجــة مزيدا من جهد ضائع، ووقت ثمين ذهب هباء مع كل فرض يسقط مع الاختبار قياسا علــى المــادة العلميــة المجموعة. وعشنا متاهة كبرى كنا نخرج منها كل مرة صفر اليدين.

ولم يعد أمامنا بإزاء كل المعطيات، سوى الإصرار على أن جبلى موسى وكاثرين كانا بركانيين فعلا، ومن ثم كانت رحلتنا القاسية فى ظروف أقسى، مع ظروف صحية أشد قسوة، إلى المكان، لكنها كانت كافية للقناعة أن الجبلين كانا إضافة لجبل الطور غربا جبالا بركانية بالفعل. حيث كانت نتوءات الخفاف البركانى تتناثر بطول المنطقة وعرضها، ولكن لأن قولنا هنا لن يكون كافيا للفصل فى الأمر، فقد عدنا ندقق النظر فى جغرافية (جمال حمدان)، لنجده يدعمنا ببساطة الصدق العلمى الذى لا يحتاج معه جدلا، فيصف كتلة جبل الطور بأنها " **كتلة نارية** " وإن غلب عليها الجرانيت، لكن مايجاورها من مجموعة جبال **كاثرين وموسى** وأم شومر والثبت وأبو مسعود وسربال ومدسوس، التى تنتشر كغابة صنبورية من الأقماع المخروطية، **تنتشر بها جميعا الطفوح البركانية** الواضحة فى كل كل مكان"، ثم يقول بإصرار: " أن هذه المنطقة تحديداً **قد تعرضت لاضطرابات تكتونية عنيفة مزقتها تمزيقا، وملأتها بالانكسارات التى لا حصر لها** "[١٨].

أما (شطا) فقد لاحظ من جانبه أن مجموعة " من الحمامات وتشمل صخور الحمامات هى عبارة عن رواسب قديمة **وصخور بركانية** "[١٩]. وقام (عمار) يؤيده مؤكداً أن " النصف الجنوبى من سيناء هو منطقة **جبال نارية** مرتفعة تقطعها الوديان العميقة.. لكن هذه الكتلة النارية لا تصل إلى ساحل خليجى السويس والعقبة " [٢٠].

ومن ثم لايبقى سوى القول: إن إعلان السيدين كوتل وروزيير علماء الحملة الفرنسية: إن سيناء لم تعرف البراكين والذى سلم به الباحثون وأكدوه من بعدهم دون تدقيق، وكان وراء نفى فكرة البركان السينائى/ واحتساب المنطقة بالكامل صخوراً جرانيتية، إما ناتج خدعة الانتشار الجرانيتى دون ملاحظة دقيقة لذلك الطفح المتناثر، وإما إن الرجلين قد قاما بخدعة غير لائقة تماما، دحضا لفكرة أن يكون إله التوراة مجرد بركان، تعصبا لفكرة دينية حمقاء.وهناك عدة أسباب محتملة لاختفاء كثير من الطفوح البركانية، فيحتمل أن تكون الرمال قد أهالت عليها بمرور السنين تلولا عظيمة من الكثبان خاصة على الطفوح الكبرى. ثم هناك هواية دينية معهودة تتمثل فى جمع الأحجار المقدسة للتبرك بها. كذلك استخدمت تلك الطفوح المقلوعة فى مراكب الصيادين فقد لاحظ دى بوايميه العالم المرافق للحملة الفرنسية أن تلك المراكب جميعا تعلق فى مقدمة السفينة كتلا من الخفاف البركانى لحفظ التوازن وهي سفن خليج السويس وبالتحديد ميناء الطور. أما اسمنت العالم القديم فكان يتأتى بقلع الخفاف البركانى وطحنه ومزجه بمسحوق الحجر الجيرى فيتحول هذا المزيج عند ابتلاله بالماء إلى أسمنت حقيقى، وعن البناء بهذا الاسمنت حدثنا محمد العزب موسى يقول: " عندما يمتزج الخفاف البركانى بالحجر الجيرى ينتج نوعا من الأسمنت القوى، وهذا ماحدث فى ثيرا

---

(١٨) جمال حمدان: شخصية مصر.. سبق ذكره، ج١، ص ٥٩٥، ٦٠٥.

(١٩) عبده شطا: جيولوجية شبه جزيرة سينا، ضمن موسوعة جزيرة سيناء، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٢، ص ١٢٩.

(٢٠) عباس مصطفى عمار: المدخل الشرقى لمصر، مطبعة المعهد العلمى الفرنسى للأثار الشرقية، ١٩٤٦، ص ٢٦.

وبالتحديد فى جزيرة ثيراسيا التى اخذت منها فى ستينيات القرن الماضى كميات ضخمة من الأسمنت لبناء قناة السويس ومدينة بور سعيد [٢١] "، وما أكثر البناء فى مصر القديمة. زد على ذلك استخدامه فى ردم سواحل خليج السويس المستمر لحمايتها: أدى هذا كله لاشك إلى تعرية الطبقة الجرانيتية من غطائها النارى فى مواضع كثيرة، لكنه ترك لنا بعضها يتناثر هناك ليشهد أن رب التوراة النار الآكلة كان هناك، وأنه كان بركانا. ومن الطرافة ألاننسى حجرالخفاف الذى كان يملأ كل بيت فى مصر لتنعيم كعوب نساء مصر القديمة، تلك العادة التى استمرت ألوف السنين وحتى اليوم.

ومع هذا كله تظل جيولوجيا سيناء تحمل شكاً كبيراً في وجود أية براكين نشطة زمن الخروج، وأن الإشارات البركانية بها تعود إلى أزمنة جيولوجية بعيدة. هنا يبقى بيدنا اقتراحا آخر وهو أن يكون الإله البركاني كان في البلاد الآدومية شرقي العقبة، وأن موسى التوراتي قد التقاه هناك، وتربى هناك حيث ثقافة عبادة البراكين، وعاد بها وعلم بها اتباعه حتى وصلت كاتب التوراة الذي كانت تعز عليه سيناء حيث جبل الشريعة، وحيث أكثر الجبال رهبة وجلالاً في جبل كاترين وجبل موسى، فاختار سيناء ليضع فيها ربه البركاني، واستبعد آدوم لأنها كانت ملكاً لآدوم عيسو حسب الأسطورة التوراتية ولنسله، وأن التوراة أو ربها قد أعطى بلاد آدوم لنسل عيسو كما أعطى الإسرائيليين ما بين الفرات والنهر الكبير نهر مصر بسيناء، وهي من الحالات النادرة التي يمنح فيها رب التوراة في تلك العهود أرضاً يعتبرها أرضه لغير بني إسرائيل مما يشير إلى توحد ألوهي واضح. خاصة أن هذه العطية للآدوميين أخذت شكلاً مقدساً، أنظر رب موسى عند هروبهم من مصر إلى فلسطين ينصحهم بألا يعتبروا أرض آدوم ضمن الأراضي الممنوحة للإسرائيليين ويقول لموسى "أوصى الشعب قائلاً: أنتم الآن مارون بتخم إخوتكم بني عيسو الساكنين في سعير فيخافون منكم فاحترزوا جداً، ولا تهجموا عليهم لأني لا أعطيكم أرضهم ولا وطأة قدم لأني لعيسو قد أعطيت جبل سعير ميراثاً/ تثنية ٢،٤،٥".[٢٢]

والآن لاشك أننا مازلنا نذكر (سيت)، وأنه كان رب (سترويت) سيناء، وأن (سيت) الذى هو (تيفون) فى الأساطير اليونانية، يعيش تحت بركان عظيم، وأن انفجارت البركان ليست شيئا سوى دمدمات (سيت/ تيفون) ونفثات غضبه الملتهب، وقد حاول مؤلفو التوراة الإيعاز طوال الوقت بأن (يهوه) رب موسى كان إلها خاصا جداً ، لم يظهر لأحد قبل موسى، ولم يكن إلها لشعب من الشعوب سوى القبيلة الإسرائيلية. لكن الواضح حتى الآن أنه لم يكن سوى (سيت/ تيفون / بعل/ هفا)، رب سيناء المصرية، وإله صحارى مصر القديمة، رب الشرور والأوبئة وهو ما تصف به التوراة ربها " قدامه ذهب الوباء وعند رجليه خرجت الحمى / حبقوق ٥/٣ ".

---

(٢١) محمد العزب موسى: حضارات مفقودة، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط، ١٩٩٢، ص ٥٥.

(٢٢) هذا الفرض من اقتراح صديقي الدكتور محمد سميح عيد.

وقد سبق وافترضنا أن هذا البركان القضيبي كان تجسيداً لرب الأرض المصرى الذكر (جـب) الـذى كان يقذف بمخصباته إلى السماء الأنثى، ويجب أن ننطق (جب) بتعطيش الجيم وفى هذه الحالة يكون الإلـه المصرى القديم الذكر قد ترك اسمه فى التسمية الشعبية للعضو الذكرى (زب).

وعلى تنغيم اسم الكائن (يهوه) جاءت أسماؤه فى المقدسة التوراتى، فهو مرة (يهوه) ومـرة (إهيـة) ومرة (ياه)، فموسى يسأل رب العليقة: " فإذا قالوا لى: ما اسمه؟ فماذا أقول لهم؟ فقال الله لموسى **إهيه** الـذى إهيه، وقال: هكذا تقول لبنى إسرائيل: إهيه أرسلنى إليكم، وقال الله لموسى: هكذا تقول لبنى إسرائيل : **يهوه** إله آباكم، إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب أرسلنى إليكم، هذا اسمى الى الأبد/ خروج ١٣/٣ - ١٥ ".

لكن يبدو أن الكاتب التوراتى كان يعلم يقينا أن يهوه هذا رب جديد يدخل أفق العبادة الإسرائيلية لـذلك سجل " ثم كلم الله موسى وقال له: أنا الرب، وأنا ظهرت لإبراهيم وإسحق ويعقوب، بأنى الإله القادر علـى كل شئ **وأما باسمى يهوه فلم أعرف عندهم**/ خروج ٢،٣/٦ ". ثم يأتى إشعيا فيعطينا التنغيم الثالث فى قوله: " هو ذا الله خلاصى، فأطمئن ولاأرتعب لأن **ياه يهوه** قوتى وترنيمتى وقد صار لى خلاصا/ اشعيا ٢/١٢ "، وهو ماردته المزامير قائلة: " غنوا لله رنموا لاسمه، أعدوا طريقا للراكب فى القفار باسـمه **يـاه** واهتفـوا أمامه/ مزامير ٤/٤٨ ".

وفى المقدس التوراتى إشارات واضحة الى أن هذا الإله كان إله (دوشريت) الاسم المصرى للصحارى والجبال، ومقلوبها (شترويت/ سيناء)، فهو رب القفار، " وأما عبيد ملك أرام فقالوا له: إن آلهتهم (يقصد آلهة إسرائيل / المؤلف) **آلهة جبال** لذلك قووا علينا، ولكن إذا حاربنا فى السهل فإننا نقوى علـيهم / ملـوك أول ٢٣/٢٠ ".

وبالنسبة للترجمة العربية " الإله القادر على كل شئ " فإنها فى الأصل العبرى " إيل شداى " و (ايـل) كما علمنا الله، أما شداى فترجمت بمعنى الشدة أو القوة، وترجمناها نحن فى كتابنا قصة الخلق بالشـذى، أى الريح و الهواء، وهو مايلتقى مع صفات الرب السيناوى ريح الريح والعاصفة، ثم نتذكر هنا أن أول الحكام الهكسوس، الذى لاشك بلغ رتبة التقديس، لعمله المجيد، كان اسمه شالاتيس (شالات/ شالاد)، ولمـا كانـت المصرية القديمة لا تعرف حرف (اللام) فإن شلات يصبح شت أو شد الإله الشديد (شدا) أو (شداى)، ويعضد هذا الفهم أن المورخين العرب أطلقوا على فاتح مصر من العماليق اسم (شداد)، وتعنى أيضا القوى الشديد " القادر على كل شئ "!!

ومن المفيد أن نعلم أن شداد وشالاد اسم الملك الهكسوسى الأول على مصر ترجع إلى أصل مصرى، فيقول إريك هورنونج إن الإله " شد Shed هو المنقذ ومساعد البشرية فى أوقات الحاجة والشدة، وبصفته إلها شابا فهو قريب من حورفى خصائصه "[٢٣]. وربما كان هو ذات الإله (شرى) رب سراة سعير.

ويتبع (شلاتيس) فى ترتيب الملوك الهكسوس الستة الملك (بنون) الذى حمل أيضاً لقب سكا/ إسحاق/ الضحاك. والعربية (سكا) هى حديدة الفدان أى المحراث الحديدى الذى يشق الأرض كالعضو الذكرى فتضحك بمواليدها النباتية.

ويقول إحسان عباس إن العلماء يذهبون إلى أن " ذى الشرى لم يكن إلها عربيا، لأن العرب فى الشمال الغربى من الجزيرة كانت تسيطر عليهم العبادة القمرية بينما ذى الشرى إله شمسى "[٢٤]، وهو مايرجح ترجيحنا أنه كان المصرى (شدShed).

وعلى ذات تنغيم اسم يهوه جاءنا قبل زمن الخروج فى مكتشفات كنعان سنة ١٩٣١ على قطع من بقايا عصر البرونز تنغيما آخر لإله بالرسم (ياه) و(ياهو)، وفى ألواح أوغاريت كان كبير الأرباب ايل يؤكد للجميع " أن اسم ابنى ياو "[٢٥].

ويؤكد لنا موسكاتى أن الأراميين قد عبدوا (يهوه) حيث وجد اسمه داخلا فى تركيب أسماء أعلام أرامية ومواضع أرامية عديدة مثل (يهورام) ابن الملك (توعي) ملك حماة[٢٦].

ويقول (عصام حفنى ناصف): " وكانوا يكتبون اسم يهوه بالأحرف الأربعة ى هـ و هـ J. H. V . H دون أن يدعم بأحرف العلة، أى دون أن يضبط بعلامات الشكل لخلو اللغة العبرية منها إذاك.. ومن ثم كان من الممكن أن يقرأ الاسم يهوه أو ياهو .. ثم جعلوا يستخدمون بدلا من لفظ الجلالة كلمة أدوناى أو أدونا أى ربى.. وركب اليهود آخر الأمر لكلمة يهوه، أحرف العلة التى بكلمة أدونEdona فأصبح الاسم يكتب على وزنها Je Ho Va H وينطق Jahweh يهوه "[٢٧].

ويدقق (سهيل ديب) فى أمر ذلك الاسم الغريب، فيعود إلى العبرية في التوراة يقرأ " فقال الله لموسى: أهْيَهْ آشر أهيه، وقال: هكذا تقول لبنى إسرائيل أهيه أرسلنى إليكم / خروج ١٣/٣، وفى النص العربى الكاثو ليكى تترجم: أنا هو الكائن، وقال: كذا قل لبنى إسرائيل: الكائن أرسلنى إليكم"، ثم تترجم النسخة العربية البروتستانتية: إهيه الذى إهيه، المعروفة وفى الترجمة الإنجليزية المعروفة بترجمة الملك جيمس

(٢٣) إريك هو رنونج: ديانة مصر .. سبق ذكره ، ص ٢٨٨.
(٢٤) إحسان عباس: تاريخ دولة، .. سبق ذكره، ص ١٢٩،١٢٨.
(٢٥) فراس السواح: مغامرة العقل.. سبق ذكره، ص ١٠٨.
(٢٦) موسكاتى: الحضارات السامية.. سبق ذكره، ص ١٨٤.
(٢٧) عصام الدين حفنى ناصف: اليهودية بين الأسطورة والحقيقة، دار المروج للمطبوعات، بيروت، ١٩٨٥، ص ٥٧.

King James Version ١٦١١ نجدها I AM THAT IAM وهو ما يعنى أنا الذى أنا، أنا أرسلنى إليكم ، فهل كـان الرب يعرفه باسمه أنه أنا أم هو؟ ناهيك عن قوله: أنا الذى تجليت لإبراهيم وإسحق ويعقوب إلها قادراً علـى كل شئ، والإله القادر على كل شئ هى بالإصل (إيل شداى)، فماذا كان يجب أن يقول موسى لشعبه: أهيه أم يهوه أم شداى؟

وفى المزمور ١١٠ من النص الكاثوليكى يبتدى النص هكذا: قال الرب لسيدى اجلس عن يمينى،، ولو رجعنا للنص العبرى سنجد قال يهوه لأدوناى، **إذن كان هناك رب باسم يهوه ورب باسم أدوناى**، لـذلك لـم تبعد الترجمة العربية البروتوستانتية وهى تترجم النص العبرى إلى: " قال الرب لربى / مزمور ١١٠".

وإزاء كل ذلك الرتل من أسماء الإله باسم : إيل ، إلى يهوه، إلى إهية، إلى يـاه، إلى أنا، إلى الكائن، إلى هو، إلى شداى، إلى آدون، يتساءل سهيل ديب سؤالا هاما ومفصليا: " **كيف يمكن أن ينسى شعب بكامله اسم ربه** "؟[٢٨].

ويجيب (كمال الصليبى): " إن الكلمة التى تدل على الإله الواحد فى العبرية هى ءلهيم، التى هى جمع المذكر من ءله أو إله وهكذا يصح القول أن ما أصبح معترفا به من قبل بنى إسرائيل.. بأنه إله؛ كـان فـى الأصل **تجمعاً** للآلهة أو آلهة قبلية متعددة " [٢٩].

ولامراء أن إجابة الصليبى إجابة دقيقة **تماما إذ كان لابد من محاولات للتوحيد الأيـديولوجى لآلهـة الأخلامو. مع إصرار وتغطية أسماء الآلهة التأسيسية القديمة، ومعها اختفى اسم عنـاق البـونتى وظهـر المهلك، وغام المهلك بدمجه بملاك الرب يهوه، وتلاشى الثعبان (لو) لكن ليظهر فى التوراة كطـرف فـى صراع مع يهوه، لكن باحتسابه أفعى تنين عظيم اسمه (لوياثان). واختفت المسلات وراء اسـم السـوارى والشوامخ وغاب الثور وراء ترجمة العزيز، واستتر ضحوت الضحاك وراء شخص إسحق. امـا أدونـيس الفينيقى فظل آدون لقبا للربوبية والسيادة. واختفت الأيكة لتحل محلها كل شجرة خضراء:**

هل رأيت ما فعلت العاصية إسرائيل؟ انطلقت إلى
كل جبل عال وإلى كل **شجرة خضـراء** وزنـت
هناك.

إرميا ٣/٦

خطية يهوذا مذابحهم وسواريهم عند **أشجار خضر**
على آكام مرتفعة.

إرميا ١٧/١،٢

---

(٢٨) سهيل ديب: التوراة بين الوثنية والتوحيد، دار النفائس، بيروت ط٢، ١٩٨٥ ص ١٧: ٢١.

(٢٩) كمال الصليبى: التوراة جاءت.. سبق ذكره، ص ٢٢٩.

ونتذكر أن الأراميين تسمية تنسب إلى الإرم والهرم وهى الأحجار والجبال، وكلمة هـرم تحمـل ذات المعنى فالأهرام هى الأحجار أو الجبال. ومن الطريف الذى يعضد تخريجنا فى تصـور الأقـدمين للجبـل بحسبانه قضيبا ذكريا عظيما أن المفردة **(جبل)** التى ترد فى الترجمة العربيـة للتوراة هـى فـى الأصـل العبرى تنطق **عير**، وهى المفردة التى تترجم أيضا إلى جبل من الأصل السـومرى (ء ورو ERU و ء يـرى ERI) وهو ما يحمل ذات المعنى فى المعاجم العربية(٣٠)، ومعلوم أيضا أن الكلمة (عير) و (إير) هى الاسـم الفصيح للقضيب الذكرى. ويعود تصحيح الترجمة هنا إلى الباحث زياد منى حيث رأى أن كلمة عير تعنـى جبل وليس بلداً ، وهو ذاته صاحب اجتهاد يقول: " **أنا مقتنع بأن بلاد السراة – الأصح ءل سر ء ه – هـى نفسها ط ء نتر أى بلاد الله الوارد ذكرها فى النقوش المصرية** " (٣١).

أى أنه يرى أن بلاد بونت/ أرض الإله **(ط ء نتر)** تقع فى جبال السراة، لكنـه يـذهب إلـى السـراة الجنوبية امتداد جبال السراة نحو اليمن، حيث يعتقد مع كمال الصليبـى أن هناك كانت بلاد التوراة، ثم تختل المسألة بين يديه فيرى أن اسم بونت ربما كان فلت أى بلاد الموت أى حضرموت؟! (٣٢). ولكن ما يعنينا هو المادة التى جمعها الرجل فى جهد مشكور لكنه ذهب بتفسيرها جنوبا بتأثير نظرية كمال الصليبى.

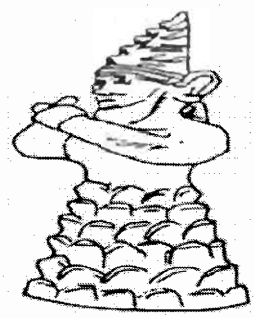


شكل رقم (٨٣)

رسم حثى يمثل إله العاصفة تيشوب يقف على جبل بشكل قدمين إلهيين

(من كتاب بعل هدد)

(الآلهة الجبال، ولأن فى مصر لا توجد جبال مخروطية، فقد تم إنشاء الأهرام آلهة تحوى بداخلها رفات الملك تألها).



شكل رقم (٨٢)

تمثال صغير من الأناضول يمثل إلها بشكل إنسان نصفه جبل

(من كتاب بعل هداد)

---

(٣٠) زياد منى: جغرافية .. سبق ذكره، ص ١٦٠.

(٣١) نفسه: ص ١٢٣.

(٣٢) نفسه ص ١٨١.

لغز البلست

فجأة يظهر فى فلسطين، وعلى ساحل المتوسط تحديداً، جنس غريب جديد على المنطقة، أطلقت عليه النصوص المصرية اسم (البلست)، وهو الجنس الذى عرف باسم (شعوب البحر). وبشأن هؤلاء يقول لنا المدون التاريخى: إنه " فى سنة حكم رمسيس الثالث، سنة ١١٩١ ق.م، تقدم الملك لصد هجمات شعوب البحر على مصر، فقد أخبرنا أن هذه الشعوب، بعد أن **قهر الحيثيين وكركميش وقود وألاشيا وكلكيليا وأرزاوا**، دخلوا سوريا مع نسائهم وأطفالهم بجموع غفيرة، شبهت كثرتها بالجراد، راكبين على عجلاتهم التى تجرها الأبقار، وقد حشدت قواتها فى بلاد عمورو (سورية)، وشكلت حلفا من شعوبها المختلفة مثل البلست والتكر، والاثنان يضعان على قبعاتهم الريش ويستعملون الدروع المدورة، والشاكروشا والدانونا والواشاشا، وقد قدموا من البر والبحر .. وقد حدثت معركة قرب أحد فروع النيل، ويظهر أن شعوب البحر لم تكن تتوقع مثل هذه القوة المصرية المدافعة، فدمرت سفن المهاجمين، وغرقت بما تحمل من رجال وأموال .. فى وقت أمطرت به سفن شعوب البحر من الشاطئ المصرى، بوابل من سهام الجيش المصرى الواقف على طول الشاطئ ومعهم الملك " [(١)].

وقد سجل (رمسيس الثالث) لنا تلك المعركة الكبرى فنسمعه يقول:

> شكلت البلاد الأجنبية مؤامرة فى جزائرهم .. وتفرقت البلاد وذعرت مرة واحدة من جراء هجومهم، ولم تستطع أية قوة أن تقف فى وجوههم أو تقاومهم. ولقد بدأوا بخاتى وقود وكركميش وأرزاوا وألاشيا، وأقاموا معسكرا فى عمورو، وعزلوا أهلها وأرضها وكأنما لم يكونوا، .. وجاءوا واللهب معد لهم متجهين إلى مصر ..وكان حلفهم مكونا من البلشت والزكارة والشكلش والدانو والوشش، ووضعوا أيديهم على الأراضى إلى مدار الأرض جميعا، وقلوبهم مطمئنة واثقة قائلين: لقد نجحت خطتنا، ولكن قلب هذا الإله سيد الآلهة، كان مستعدا لاصطيادهم كالطيور .. لقد دعمت حدودى عند زاهى (سوريا)، وجهزت أمامهم الأمراء المحليين وقواد الحاميات والماريانو، وأمرت بأن تعد فوهات

(١) سامى سعيد: الرعامة .. سبق ذكره، ص ١٥١.

النهر كحائط والقوارب، .. وجهزتها جميعا وزودتها من قبل ومن بعد بشجعان المحاربين الذين يحملون أسلحتهم وبالمشاة من خيرة رجال مصر، حتى أصبحوا كالأسود تزأر فوق الجبال، .. وجهزت العربات بالمحاربين الأكفاء، وكل الضباط الممتازين، وكانت خيولها تنبض كل أعضائها، معدة لسحق البلاد الأجنبية تحت حوافرها، أما بالنسبة لأولئك الذين وصلوا إلى حدودى، فإن بذرتهم لم تكن فيهم، وقلوبهم وأرواحهم قضى عليها إلى الأبد، أولئك الذين تقدموا من ناحية البحر .. كان اللهب أمامهم عند فوهة النهر. وكان سياج من الحراب يحيط بهم[٢]

لكن بعض الباحثين يميل إلى الأخذ بمذهب آخر، ويقول بموجة أبكر قليلا من البلست هاجمت مصر زمن الملك مرنبتاح، وأن ماقاله مرنبتاح عن صد هجوم التحنو الليبيين، كان صداً لهجوم ليبى بلستى مشترك، ويلخص تلك الرؤية تأريخ يقول: إنه " فى أواخر القرن الثالث عشر ق.م تحرك طوفان بشرى كبير من جزائر البحر الإيجى، وأخذ يهاجم مصر بعنف على نية احتلالها ، لكن مرنبتاح تصدى لهذه الهجمة وردها عن حدود مصر. ولكن طوفاناً أكبر وأزخم سرعان ماراح يتفجر من جديد فى أوائل القرن الثانى عشر، يوم انقضت شعوب البحر على الأناضول، ودمرت العاصمة الحثية خاتوشاش إلى الأبد، ثم تابعت هذه الشعوب زحفها متجهة صوب الجنوب ، لتدمر كركميش (جرابلس الحالية إلى الشمال من حلب)، وأوغاريت (رأس شمرا قرب اللاذقية) وأرواد، لتصل أخيرا إلى الحدود المصرية، بعدما هيمنت على الساحل الفلسطينى. والأخطر من ذلك، أن هذا الهجوم على مصر من جهتها الشرقية، قد صاحبه هجوم آخر من جهة البحر، وهجوم ثالث من جهة ليبيا. ولكن رمسيس الثالث آخر محارب عظيم فى مصر الفرعونية، قد راح يتصدى لهذا الهجوم الثلاثى، ليدحره فى معركتين، إحداهما بحرية، وأخراهما برية، وذلك زهاء عام ١١٨٠ ق.م أو بعد ذلك بقليل، **وسمح الفرعون المنتصر لبعض هذه الشعوب المهزومة بالاستيطان على ساحل فلسطين**، ربما تكون درعا لمصر يقيها من أى هجوم جديد. فاستقر شعب البلست الذى جاء من جزيرة كريت بين يافا وغزة، كما استقر شعب بحرى آخر يسمى التكر إلى الجنوب من جبل الكرمل، وهو الجبل الذى صار فاصلة تحجز بين الفينيقيين والقادميين والجدد، ولهذا ماعاد الساحل الفلسطينى إلى الجنوب من الكرمل يدخل فى فينيقيا بعد ذلك التاريخ، وصار اسمه فلستيا، نسبة إلى البلست، ثم انتشر هذا الاسم وشمل القطر كله، وحل البلست فى خمس مدن كنعانية هى: غزة وعسقلان وعقرون وأشدود وجت، ونظم البلست

(٢) نفسه: ص ١٥٢،١٥٣.

مدنهم الجديدة على هيئة ممالك مستقلة فى إدارتها وحكومتها، إلا أن هذا الاتحاد، ربما كان مركزه فى مدينة أشدود " [٣].

وهكذا ظهر الفلسطينيون فى مسرح تاريخ المنطقة، وهكذا استقروا فى أرض كنعان ليمنحوها اسـمها حتى اليوم. ومن جانبه فقد أشار الكتاب المقدس طوال الوقت إلى الفلسطينيين الذى يسكنون الساحل، وكـانوا عقبة كأداء إزاء الاستيطان الإسرائيلى لفلسطين، وظلوا دوما أعداء مصيريين للجنس الإسرائيلى، ومنافسـا قويا كثيرا ما الحق الهزائم بالجيوش الإسرائيلية. وموسوعة تاريخ العالم تفيدنا بأن " لفظ فلسطين مشتق من اسم البلست، الفلستين، وكان هيرودوت أول من استعمله، أما الاسم العبرى للأرض الواقعـة غربـى الأردن فهو كنعان ".

وقد اختلف المؤرخون حول موطن البلست الأصلى، فذهب بعضهم أنهم قدموا مـن جنـوب شـرقى الأناضول، بينما اقترح آخرون مثل هول وبرن أنهم جاءوا من جنوبى آسيا الصغرى، وذهب فريق ثالث إلى افتراض أصول إليرية للبلست، لكن الإجماع كان حول جنسهم الهندوأوروبى[٤]، وأنهم كانوا يختلفـون كليـة عن سكان المنطقة القدامى فيها، حيث كانت التوراة تشير إليهم بأنهم الغلف أى غير المختونين، وكانت معظم شعوب المنطقة فى ذلك الوقت قد أخذت عن مصر عادة الختان (سـفر القضـاة ٣/١٤ و ١٨/١٥ ، وسـفر صموئيل الأول ٦/١٤ و٢٦/١٧، ٣٦ و ٤/٣١ ، وسفر صموئيل الثانى ٢٠/١، وسفر أخبـار الأيـام الأول ٤/١٠). وأن إلههم القومى كان (داجون) من (دجن أى الحنطة) وكان أيضا إلها للسمك، وكان له مقام فـى غزة وأشدود حسبما ورد فى سفر القضاة ٢١/١٦ ـــ ٢٣ وفى سفر صموئيل الأول ١/٥ . أما الأهم فهو أن البلست كانوا **يستخدمون الأسلحة الحديدية** على نحو شديد الوفرة، بينما كان السائد فى الشرق آنذاك استعمال الأسلحة البرونزية، ثم الحديدية لكونها نوع نادر من السلاح، ووصلت وفرة الحديد لديهم إلى حد أنهم صنعوا منه عجلاتهم الحربية، مما كان له أثر كبير فى انتصاراتهم، وفضلا عن ذلك كانوا بحارة ممتازين وقراصنة موهوبين[٥].

ولمزيد من تحصيل مادة تفيد بشأن البلست/ الفلسطينيين، نستمع إلى (زينون كاسيدوفسـكى) يسـجل شارحا: " فى الألف الثانية قبل الميلاد عاش فى قبرص شعب أسس حضارة متأنقة رفيعة المستوى، وأنشـأ دولة تجارية جبارة فى حوض بحر إيجة. وفى الحقبة نفسها استوطنت بيلوبونيز قبائـل لا نعـرف منشـأها ولغتها، ولكن الآخيين المدججين بالدروع البرونزية قهروها وأخضعوها لهم، وأقام الآخيون قلاعا حجرية فى ميكينى وتيرينف وغيرها من بقاع بيلوبونيز. ويخبرنا المؤرخ الإغريقى فوكيديد أن الآخيين مارسوا أعمـال القرصنة، وبنوا أسطولاً جباراً غدا منافسا خطراً لكريت. وابتداء مـن القرن الخامس عشر قبل الميلاد أخـذ

(٣) يوسف سامى : تاريخ فلسطين.. سبق ذكره، ص ٥٧،٥٨.

(٤) سامى سعيد: الرعامة .. سبق ذكره، ص ١٨٩،١٩٠.

(٥) يوسف سامى : تاريخ فلسطين.. سبق ذكره، ص٥٩.

الآخيون بزعامة الأتريديين الذين ينتسب إليهم أجاممنون، يزيحون الكريتيين من ممتلككاتهم الاستعمارية في بحر إيجة وسواحل أسيا الصغرى، وفى عام ١٤٠٠ ق.م احتلوا كريت نفسها وقضوا على حضارتها المينوية الراقية (سميت بالمينوية نسبة إلى الملك الآسطورى مينوس/ المؤلف). وفى عام ١١٨٠ قبل الميلاد حولوا طروادة إلى كومة من الأنقاض، بعد حصار دام عشر سنوات. غير أنهم لم يستمتعوا طويلا بثمار انتصاراتهم، فقد اندفعت من أعماق أوروبا قبائل بربرية أخرى هى قبائل الداريين، وأخضعت بيلوبونيز وكريت وجزر إيجة وسواحل أسيا الصغرى. وتحت ضغط تلك القبائل، حدثت فى رحاب بحر إيجة واحدة من تلك الثورات الإثنية، التى أيقظت الهجرات البشرية العظمى، فقد أرغم سكان البلقان وايليريا وجزر بحر إيجة الذين طردوا من أرضهم، أن يندفعوا أمواجا متتابعة باتجاه الجنوب، بحثا عن أرض يستوطنوها. فعبروا الأناضول وآسيا الصغرى وسوريا وكنعان، وصولا إلى دلتا النيل، حيث هزمهم الفرعون مرنبتاح شر هزيمة، وأرغمهم على التراجع. ولكن أخطر الهجمات التى شنتها الشعوب الإغريقية على مصر ، وقعت عام ١١٩١ق.م حيث اندفعت على امتداد الساحل السورى الكنعانى قطعان من المحاربين مع عائلاتهم وأرزاقهم، ترافقهم فى البحر كثرة من السفن الشراعية، فقضوا على الإمبراطورية الحثية إلى الأبد، وجعلوا من عاصمتها خاتوشاش الواقعة على هاليس كومة من الرماد والخراب. ثم أندفعوا إلى كيليلكيا فنهبوها مع قطعان الخيل الأصيلة التى اشتهرت بها على أمتداد القرون، أما المدن الفينيقية جبيل وصيدا وصور فقد استسلمت لهم، وتفادت بذلك الخراب والدمار. وعبر المستعمرون أرض كنعان، واجتاحوا شمال مصر ونهبوه، فحشد رمسيس الثالث قواه كلها لصد تلك الهجمة، واستطاع أن يسحق المعتدين فى البر والبحر، وهكذا صدت أخطر هجمة استعمارية تعرضت لها مصر خلال تاريخها الطويل كله. ولم يبق لدى رمسيس الثالث ما يكفى من قوة لطرد الخصم من كنعان وسوريا، فاستوطن البلست الناجون من سيوف المصريين، الساحل الجنوبى من أرض كنعان، .. ونعلم من الكتابة التى وجدت على جدران المعابد أن المصريين قد أطلقوا على أولئك المستعمرين اسم شعوب البحر، وتشغل مكانة خاصة بينها موجات قبائل دونوى وآخاى، ومن المرجح أن يكون الدانيون والآخيون الذين نعرفهم فى التاريخ الإغريقى القديم، يختفون خلف هذين الاسمين، وبالرغم من توفر هذه المعطيات كلها، لم يتفق العلماء حتى الآن على تحديد الهوية الإثنية لتلك القبائل. لقد شكل الفلسطينيون جماعة إثنية خاصة بين شعوب البحر .. وإذا صدقنا التوراة فإن **جزيرة كريت تكون هى الوطن الأصلى للفلسطينيين**. إذ ينتسب الفلسطينيون حسب التوراة إلى القبائل الآخية التى أخضعت كريت، ثم جاء الآريون وطردوهم من الجزيرة. وكانت بعض الأسماء الفلسطينية ذات منشأ إيليرى، وكانت توجد فى إيليريا مدينة تدعى فيليستى، وبما أن هجرة الشعوب الدارية بدأت من هناك بالذات، فلا يستبعد أن يكون الفلسطينيون قد سكنوا إيليريا قبل الإغريق ثم طردتهم من هناك موجة ما من موجات المستعمرين، واكتشفت بين أنقاض أوغاريت مدافن ذات طابع إيجى وقبرصى وميكينى .. كذلك الفخاريات التى التى وجدت بين انقاض المدن الفلسطينية الخمس فى أرض كنعان غلب عليها الطابع الميكينى " (٦).

---

(٦) كاسيدوفسكى: الواقع والأسطورة .. سبق ذكره، ١٧٣:١٧٥.

هذا ما قاله لنا علم التاريخ، لقد جاء البلست إلى المنطقة فى هجوم كاسح على دفعتين: الأولى زمن الفرعون مرنبتاح ١٢٢٤ - ١٢١٤ ق.م، لكن الهجمة انكسرت على أسنة رماح الجيش المصرى، ثم تلتها موجة أخرى زمن الفرعون رمسيس الثالث ١١٨٢ - ١١٥١ ق.م ، الذى صد العدوان، لكن قواه أنهكت مما جعله يسمح لهم باحتلال الساحل الكنعانى.

والقول طوال الوقت بأن مصر هى التى سمحت للفلسطينيين باحتلال الفلسطينيين للساحل الكنعانى، سواء لأن قوة مصر كانت قد أنهكت عن المتابعة والاستمرار لطردهم كلية، أو لأن المصريين تركوهم هناك كحراس حدود بعد أن هزموهم وأخضعوهم لتبعية مصر، وسمحوا لهم باستيطان ساحل فلسطين حتى ذابوا بعد ذلك فى أجناس وحضارة المنطقة نهائيا (٧)، **هو محاولة لتفسير ظهور الفلسطينيين على الساحل الفلسطينى، رغم أن فلسطين كانت تابعة للامبراطورية المصرية حينذاك.**

حتى الآن لاتبدو هنا أية إشكالية أو ألغاز، لكن اللغز يبدأ عندما ننتقل من قراءة التاريخ كعلم إلى قراءة التوراة كتاريخ، ففى زمن الخروج الإسرائيلى من مصر باتجاه فلسطين، تحت قيادة النبى موسى، نجد الكتاب المقدس يشرح موقف سكان فلسطين من ذلك الهجوم الإسرائيلى القادم من مصر، فيقول :

يسمع الشعوب فيرتعدون، تأخذ الرعدة سكان **فلسطين،**
حينئذ يندهش امراء آدوم، أقوياء موآب تأخذهم الرجفة،
يذوب جميع سكان كنعان/ خروج ١٥/١٥،١٤.

وهكذا نجد أرض كنعان قد حملت اسم (فلسطين) زمن الخروج من مصر، مما يعنى أن الفلسطينيين كانوا قد استقروا هناك قبل الخروج بزمن يسمح بتعميم اسمهم على أرض كنعان، وهو المتكرر الذى نقرأه فى سفر يشوع مشيرا إلى المدن الفلسطينية الخمس على ساحل كنعان، حيث يقول:

من الشيحور الذى هو أمام مصر إلى تخم عقرون
شمالاً تحسب للكنعانيين، **أقطاب الفلسطينيين الخمسة:**
الغزى والأشدودى والأشكلونى والحثى والعقرونى/
يشوع ١٣/٣.

وعندما استقر الإسرائيليون فى أرض كنعان، ولم يتمكنوا أبداً من القضاء على الفلسطينيين، بل عاشوا إلى جوارهم وظلوا طوال الوقت فى حروب معهم، وهو ما اعتبره الكتاب المقدس امتحانا من الرب لشعبه حيث يقول:

فهؤلاء هم الأمم التى تركهم الرب ليمتحن بهم
إسرائيل.. **أقطاب الفلسطينيين الخمسة،** وجميع
الكنعانيين والصيدونيين والحويين/ قضاه ٣/١ - ٣.

---

(٧) مرعى عبد الرحمن: الإمبريالية اليهودية .. سبق ذكره، ص ١٤.

وعن أصل هؤلاء الفلسطينيين يشير الكتاب المقدس إلى جزيرة كريت باعتبارها موطنا أصيلا هاجروا منه إلى الساحل الكنعانى، وقد أطلقت التوارة على جزيرة كريت اسم كفتور على التبادل مع اسم كريت، وهو ما نجده فى متفرقات الأسفار فى نماذج منها:

الرب يهلك الفلسطينيين بقية **جزيرة كفتور**

أرميا ٤٧ / ٤

ألستم لى كبنى الكوشيين بابنى إسرائيل ؟ يقول الرب، ألم أصعد إسرائيل من مصر، والفلسطينيين من **كفتور** والأراميين من (ربما كانت قير هي قيرقيزيا الآن / المؤلف) قير/ عاموس ٧/٩.

أما كيف سكن الفلسطينيون فى فلسطين، فهو ما يوضحه نص التوراة:

والعويون الساكنون فى القرى إلى غزة، أبادهم **الكفتوريون** الذين خرجوا من **كفتور** وسكنوا مكانهم

تثنية ٢٣/٢.

ثم نفهم أن (كفتور) هى (كريت) من شراذم نصوص أخرى مبعثرة نجمعها لنسمعها توضح:

هكذا قال السيد الرب: هاأنذا أمد يدى على **الفلسطينيين، وأستأصل الكريتيين**، وأهلك بقية ساحل البحر

حزقيال ٢٥ / ١٦

ويل لسكان ساحل البحر **أمة الكريتيين** كلمة الرب عليكم **يا كنعان أرض الفلسطينيين**. إنى أخربك بلا ساكن ويكون ساحل البحر مرعى بآبار للرعاة، وحظائر للغنم. ويكون الساحل لبقية بيت يهوذا.

صفنيا ٢ / ٤ – ٧

وفى حديث لغلام مصرى – تابع لرجل عماليقى – مع داود يحدثه عن غزوة عماليقية على جنوب فلسطين، يقول:

فإننا قدغزونا على جنوبى **الكريتيين** وعلى ما ليهوذا.

صموئيل أول ١٤/٣٠.

ومن الجدير بالذكر أن السجلات المصرية قد سجلت مجئ " رؤساء بلاد **الكفيتو** Keftiu وجزر البحر " ليقدموا لرمسيس الثالث الخضوع [٨].

والآن تبدأ المشكلة بالظهور، وهى المشكلة التى تجعلك تقف مشدوها من مدى تساهل أهل التاريخ فى حل الإشكاليات الكبرى أحياناً، وإغماض العين عنها أحيانـا أخرى، حتى تظهر حفائر جديدة تحسم الأمـر. ووجه الإشكال هنا هو أن خروج الإسرائيليين من مصر، يحتمل أن يكون قد حدث فى أى زمن خلال الأسرة الثامنة عشرة التى تبدأ بأحمس١٥٧٥ – ١٥٥٠ ق.م بطل التحرير، لكنها لا يمكن بأى حال أن تكون بعـد زمن مرنبتاح ١٢٢٤ – ١٢١٤ ق.م لحسابات دقيقة قدمنا بعضها وسيأتى بعضها الآخر فى مكانه من هـذا البحث. وهذا يعنى أننا حتى لو أخذنا بآخر التوقعات الأفتراضية وأكثرها تـأخراً فـى الـزمن، لخـروج الإسرائيليين من مصر أى زمن الفرعون مرنبتاح، فإن معنى ذلك أنهم قد خرجـوا بينمـا الفلسـطينيين لـم يستقروا بعد فى فلسطين، حيث أن هذا الاستقرار لم يحدث حسب قرار المؤرخين قبل زمن رمسيس الثالـث ١١٨٢ – ١١٥١، الذى يأتى بعد زمن مرنبتاح بحوالى ثلاثين عاماً، ولو افترضنا أن الفلسطينيين قد استقروا هناك زمن مرنبتاح، فإن هذا الاستقرار ما كان يسمح لهم بكل تلك القوة خلال ثلاثين عاماً، وما كان ممكنـا أن يمنح كنعان جميعاً اسم فلسطين. ناهيك عن كون استقرارهم فى فلسطين زمن مرنبتاح يعنى صـلحا قـد حدث بين مصر وبينهم، أقطعتهم مصر بموجبه الساحل الفلسطينى، وهو الأمر الذى سيتضارب مع الهجـوم البلستى الكبير على مصر والذى حدث بعد ذلك زمن الفرعون رمسيس الثالث قادماً من البحر الإيجي.

أما ما يحسم الأمر فهو أنه زمن البطرك إبراهيم نفسه حوالى ١٧٠٠ ق م، قبل الخروج بخمسة قرون كاملة – بحسابات التوراة العبرية – نجد الكتاب المقدس يحدثنا عن وجود فلسطينى فى المنطقة، وهـو مـا يستفاد من رواية ذلك المقدس عن زيارة قام بها البطرك إبراهيـم وزوجته سارة إلى مصـر، وأنـه عنـد خروجه منها عرج على مملكة باسم جرار، لينزل ضيفاً على ملكها، وهو ما يأتى به النص يقول:

> وانتقل إبراهيم من هناك إلى أرض الجنوب، وسـكن
> بين قادش وشور وتغرب فى **جرار**، وقال إبراهيم عن
> سارة امرأته: هى أختى، فأرسل **أبيمالك ملك** جـرار
> وأخذ سارة

تكوين ٢٠/١ – ٢.

وقد ظل ذلك الملك (أبيمالك) ملكا أيام إسحق ابن إبراهيم، حيث حدثت مجاعة فذهب إسـحق لينـزل ضيفا على أبيمالك ملك جرار، فى قصة توراتية تقول لنا أن ابيمالك هذا كان ملكا على فلسطين.

> وكان فى الأرض جوع غير الجوع الأول الذى كـان
> أيام إبراهيم، فـذهب إسـحق إلـى **أبيمالـك ملـك**

(٨) شتيندورف وسييل: عندما حكمت.. سبق ذكره، ص ١٣٢.

الفلسطينيين إلى جرار.. فأقام إسحق في جرار.. وزرع إسحق في تلك الأرض، فأصاب في تلك السنة مئة ضعف، وباركه الرب فتعاظم الرجل وكان يتزايد في التعاظم حتى صار

عظيما جداً، فكان له مواش من الغنم ومواش من البقر وعبيد كثيرون، **فحسده الفلسطينيون**.

تكوين ٢٦/١ - ١٤.

وهو الأمر الذى يعنى **أن الفلسطينيين كانوا موجودين بالمنطقة زمن إبراهيم** ولكنهم لم يكونوا عنصراً واضح القوة كبقية العناصر التى غلب عليها زمن إبراهيم كالعنصر الحيثى سيد الأرض ومالكها، حيث رأينا كيف سجد البطرك إبراهيم للحيثيين ليشترى منهم قبراً لسارة. كما لا نجد إشارات لممالك الفلسطينيين الخمسة إلا زمن الخروج، وهو ما يعنى وجوداً ابتدائيا للفلسطينيين ممثلا فى مملكة واحدة على الأقل باسم مملكة جرار زمن إبراهيم ولم تكن الممالك الفلسطينية الخمس قد ظهرت على ساحل فلسطين بعد فيما يبدو.

وفى بحث سابق أدرجناه بكتابنا (رب الزمان) حاولنا حل المشكلة بالاستناد إلى ما جاء من ذكر للبلست فى مدونات رسائل تل العمارنة(٩).والتى استند إليها آخرون للقول بفرض غير مؤيد أن أولى هجمات البلست قد حدثت زمن الملك أمنحتب الثالث ١٣٩٧ - ١٣٦٠ ق.م التى كانت توجه إليه والى ولده إخناتون تلك الرسائل(١٠). وقد قلت فى حينها باحتمال استقرار البلست فى فلسطين زمن آمنحتب الثالث، استنادا إلى ماورد عنهم فى سجلات تل العمارنة، فى محاولة لتفسير وجودهم هناك قبل الزمن التاريخى المفترض لهجوم شعب الجزر على المنطقة، والذى تأتى أجلى صوره وأوضحها زمن رمسيس الثالث. لكنا بتنا الآن مقتنعين برأى آخر يمكنه أن يحل المشكلة حلا نموذجيا ويعطينا التوقيت الصحيح لزمن ظهور الفلسطينيين على الساحل الفلسطينى زمن البطرك إبراهيم فى مملكة جرار وربما قبله بزمن وهو المقبول كما سنرى الآن. ثم تكاثفهم بعد ذلك فى ممالك خمسة على ساحل المتوسط الشرقى زمن الخروج من مصر بعد إبراهيم بحوالى أربعة قرون أو خمسة حسب حسابات التوراة العبرية / المازورية التى قالت أن لإسرائليين قد عاشوا فى مصر ٤٣٠ سنة إضافة إلى عمر إسحق ثم عمر إبراهيم.

أما لو أخذنا بحسابات التوراة السبعونية التى قالت أن بني إسرائيل عاشوا فى مصر ٢٢٥ سنة فقط وليس ٤٣٠ سنة كما قالت التوراة المازورية، ثم إضافة عمر ابراهيم وولده إسحق. يكون الفارق بين زمن إبراهيم وزمن الخروج حوالى ٣٠٠ سنة، بفرض أن الخروج قد حدث فى أحدث التوقعات زمن الفرعون

(٩) جاردنر : ممصر الفرعونية .. سبق ذكره، ص ٣١٣.

(١٠) سامى سعيد : الرعامة .. سبق ذكره، ص ٣٠.

مرنبتاح ١٢٢٤ – ١٢١٤ ق.م. وعليه فسيكون الفلسطينيون قد حلوا على الساحل الفلسطينى قبل زمن مرنبتاح بحوالى ٣٠٠ سنة أى حوالى سنة ١٥٢٤ قبل الميلاد وهى ضمن السنوات الأخيرة فى حكم الهكسوس لمصر قبل طردهم منها، والذى بدأ فى أوسع الترجيحات عام ١٧٨٨ق.م واستمر حتى ١٥٥٠ ق.م وإذا كان زمن إبراهيم قد عاصر مملكة فلسطينية لها ملك ومؤسسة حاكمة بالمنطقةاسمها جرار، فإن هذا يعنى وجوب الرجوع بموعد وصول الفلسطينيين قبل عام ١٥٥٠ ق.م. بعدة سنوات تسمح بقيام هؤلاء الجدد بتأسيس نظام سياسى. ولتكن تلك المدة افتراضا قرن آخر من الزمان. وبذلك يجب أن يكون الفلسطينيون قد تواجدوا فى فلسطين حوالى عام ١٦٥٠ ق.م. إبان حكم الهكسوس لمصر وللمنطقة جميعاً. بل إبان أوج قوة إمبراطورية الهكسوس، فكيف حدث ذلك، وكيف أمكن للفلسطينيين القيام بهذا الغزو الاستيطانى لفلسطين إبان وقوع فلسطين بل وجزر المتوسط التى جاءوا منها تحت حماية دولة الهكسوس الإمبراطورية الكبرى؟

هنا نتذكر عادة شعوب المنطقة القديمة عندما كانت تتوسع فتحتل بلاد شعوب أخرى. كان المصريون يأتون من البلاد المفتوحة بنخبة أهلها إلى مصر، ويربى أمراؤها فى مصر على طاعة الفرعون وعلى الثقافة المصرية، وهو ذات ما كان يفعله الآشوريون وأشهره ما فعلوه مع مملكة إسرائيل الشمالية عندما نقلوا عشرة أسباط إلى بلاد آشور. وهو ما فعله البابليون مع مملكة يهوذا، وهو بالضبط ما نراه قد فعلته إمبراطورية الهكسوس التى زادت على ذلك بنقلها شعوبا بكاملها من مواطنها إلى أوطان أخرى. فنقلت سكان الجزر المتوسطية إلى ساحل فلسطين. لكن هذا النقل عادة ما يكون لأهداف ومصالح، فينقل الشباب ليحلوا فى جيوش المحتل ويصبحون من عناصره، والصناع المتميزون وبخاصة الحدادين مصانع ذلك الزمان الحربية. ولذلك نفهم سر الظهور الفلسطينى القوى علىالساحل، فقد ظهروا فجأة وأقوياء ومسلحين تسليحا حديديا متميزا. وهذا بالضبط ما كان يفعله أباطرة مثل تحتمس الثالث ونبوخذ نصر الكلدانى وأشور ناصر بال الآشورى وغيرهم من الأمثلة ــ في التاريخ ــ كثير.

وبالإضافة لنماذج حوادث الانتقال الإجبارى للشعوب التى وردت بالكتاب المقدس، فإن نصوص التاريخ الأركيولوجية تؤكد هذا المعنى، فمثلا يقول سرجون الثانى الآشورى فى نصوصه التى دونها تسجيلا لحدث فتحه السامرة عاصمة مملكة إسرائيل:

> لقد حاصرت السامرة وفتحتها وجلوت ٢٧٢٩٠ من سكانها، وجهزت من بينهم **فصيلة بخمسين عربة** ضممتها إلى فيلقى الملكى. أما المدينة فقد أعدت بناءها بأفضل مما كانت، **وأسكنت فيها شعوبا من المناطق الأخرى التى قهرتها**، ثم أقمت عليهم ضابطا من لدنى حاكماً عليهم. وفرضت عليه جزية الآشوريين(١١).

(١١) السواح: الحدث.. سبق ذكره، ص ١١٠.

وهو الأمر الذى طابقه الكتاب المقدس إذ يقول:

وسبى ملك آشور إسرائيل إلى آشور. ووضعهم فى
حلج وخابور ونهر جوزان وفى مدن مادى.

ملوك ثانى – ٢٤/١٧

ويستمر المقدس التوراتى شارحا:

واتى ملك آشور بقوم من مدن بابل وكوت وعوا
وحماة وسفراويم، وأسكنهم فى مدن السامرة عوضا
عن بنى إسرائيل. فامتلكوا السامرة وسكنوا فى مدنها.

ملوك ثانى ٢٤/١٧

ويعقب (فراس السواح) بالقول : " ولم تطبق **سياسة التهجير** هذه على أهل السامرة فحسب، بل شملت شعوبا عديدة منها شعب مملكة حماة ومملكة قرقميش " [١٢]. وهو ما يؤكده نص ذات الملك وهو يقول : " أما أهل المدينة ممن ثاروا معه فقد سقتهم أسرى إلى آشور .. ثم أحللت فى كركميش سكانا من آشور" [١٣].

وهكذا فيما نعتقد وبنفس الأسلوب كان انتقال البلست من كفتور إلى كنعان، وهو الأمر الذى ما كان ممكنا تفسيره تفسيرا مقنعا قبل بحثنا هذا عن إمبراطورية الهكسوس الكبرى. وسيتبع ذلك باليقين عدة نتائج ترتبط بالأحداث ارتباطاً مزيجاً، لأن معنى ذلك **أن إبراهيم قد زار مصر زمن الحكم الهكسوسى** لأنه خرج من مصر إلى وجود فلسطينى فى مملكة جرار وكان تواجد الفلسطينيين فى جرار ملازما لوجود الهكسوس فى مصر. وسيكون **يوسف وأسرة يعقوب جميعا قد دخلت مصر زمن الهكسوس**. وهو ما يفسر لنا كيف أمكن لراع بدوى أن يحصل على جارية مصرية (هاجر)، بينما المصريون يرون البدوى رجس ونجس يجب اجتنابه. وهو ما أكدته التوراة ذاتها عند ما حكت عن الوليمة التى أقامها يوسف وهو وزير لخزانة فرعون لإخوته، عندما التقاهم بعد بعاد طويل، فتقول:

وقال قدموا طعاما. فقدموا له وحده، ولهم وحدهم،
لأن المصريين لايقدرون أن يأكلوا طعاما مع
العبرانيين لأنه **رجس** عند المصريين

تكوين ٤٣ / ٣١ ، ٣٢

---

(١٢) نفسه: ص ١١١.

(١٣) الموضع نفسه.

وعندما عرض يوسف إخوته على الفرعون منحهم مكانا يسكنون فيه بعيداً عن مساكن المصريين، أو بنص التوراة:

لكى تسكنوا فى أرض جاسان لأن **كل راعــى غــنم رجس** للمصريين.

تكوين ٤٦ / ٣٤

والعجيب أيضاً أن يطلب يوسف من أشقائه وهو يقدمهم إلى الفرعــون أن يقــروا بصــفاتهم كرعــاة ويعلنوها :

ثم قال يوسف لاخوته ولبيت أبيه: أصعد وأخبر الفرعون وأقول له إخوتى وبيت أبى الذين فى أرض كنعان جاءوا إلى. **والرجال رعاة غنم** فإنهم كانوا أهل مواشــى وقــد جاءوا بغنمهم وبقرهم وكل ما لهم، فيكــون إذا دعــاكم فرعون وقال ماصناعتكم أن تقولوا: عبيدك أهل مواشى.

تكوين ٤٦ / ٣١ ــ ٣٤

ويعقب الباحث مظفر نادوثى على إصرار يوسف على إعلان بدوية ورعوية أهله للفرعون مع علمــه بكراهية المصريين الشديدة للبدو والرعاة، يحمل دلالة **علاقة مابين ملوك مصــر فــى ذلــك العهــد وبــين العبرانيين**[١٤].

وتتناقض قصة حصول إبراهيم على جارية مصرية مع أمثلة واضحة للقانون المصرى بهــذا الشــأن، ومنها تلك الحادثة الطريفة التى يرويها لنا شتيندورف وهو يقول:

كانت العلاقات بين مصر والدولتين الكبيرتين فى دجلة والفرات آشور وبابل قائمة على أسس متشــابهة كمــا يبدو ذلك من سلسلة أخرى من الألواح المسمارية التى عثر عليها فى العمارنة. وكان تبادل الرســائل نشــيطا بصفة خاصة مع ملكى بابل كادشمان إنليــل وبورنــا بورياش (لاحظ أفريقية تلك الأسماء/ المؤلف). ولكــن الرسائل التى فى حوزتنا من هذين الحاكمين مصــاغة بلهجة أكثر قوة وإحساسا بالذات من تلك الصادرة مــن بلاط ميتانى. وتدل على أن ملوك هذه الإمبراطوريــة

(١٤) مظفر نادوثى: جغرافية القرآن، سبق ذكره ، ص ٥٤.

العظيمة القوية كانوا يعتبرون أنفسهم أكفاء على الأقل للفرعون. فمثلا لم يجرؤ أحد حكام ميتانى أن يطلب يد أميرة مصرية، وكان الأمر على عكس ذلك مع البابليين، فعندما طلب أمنحتب الثالث ابنة كاد شمان إنليل ليضمها إلى حريمه، أعطيت له بدون تردد ولكنه فى نفس الوقت ووجه بطلب مقابل بأن يرسل أميرة مصرية إلى بابل، وقد رفض هذا الاقتراح غير المعقول باعتباره منافيا لكل التقاليد. ولكن كادشمان إنليل رد على أخيه رداً منطقيا متماسكا فى خطاب آخر: إنك ياأخى كتبت لى بأنك لن تسمح لابنتك بالزواج منى قائلا: إنه لم يحدث أن أعطيت ابن ملك مصرى لأحد من قبل !! دعنى أسألك لماذا؟ إنك أنت الملك ومشئيتك نافذة، فإذا كنت راغبا فى إرسالها فمن ذا الذى يعترض؟ ثم يمضى بسذاجة قائلا:إنه سوف يقتنع بأيه امرأة جميلة أخرى إذ يمكنه أن يدعى أنها ابنة الملك ولن يجرؤ أحد على تكذيبه لكن إذا كنت من حيث المبدأ **ترفض أن ترسل لى أحداً على الإطلاق** فأنت لا تأخذ الأخوة والصداقة بعين الاعتبار(١٥).

وحتى إبان سقوط القوى المصرية وانحطاطها ظل المصرى يحافظ على هذا التقليد المقدس، فيخبرنا هيرودت أنه عندما ألح الملك الفارسى قمبيز ملك العالم آنذاك فى طلب الزواج من ابنة الفرعون زمن تدهور مصر الحضارى والسياسى والعسكرى اختار الفرعون لملك العالم فتاة من خادمات البلاط وأرسلها لقمبيز على أنها ابنته وعندما اكتشفت قمبيز ذلك اتخذها ذريعة لغزو مصر(١٦).

وفق هذا كله لا يمكن تصور أن فرعونا مصريا يمنح راعياً بدوياً جارية مصرية وهو أشد عناصر البشر نجاسة فى القانون المصرى. إن الحل الأوحد هو أن يكون إبراهيم قد دخل مصر على ذوى قرابته وحلفه، **لقد كان الحاكم على مصر زمن إبراهيم هكسوسيا ولم يكن أبداً مصرياً.**

والتوراة تقول إن إبراهيم أنجب من هاجر المصرية ولده البكر إسماعيل ثم أن إسماعيل نفسه سار على درب أبيه فتزوج مصرية " وأخذت له أمه زوجة من أرض مصر/ تكوين ٢١ / ٢٢ ".

---

(١٥) شتيندورف وسبيل: عندما حكمت.. سبق ذكره، ص١٣١.

(١٦) إيفانز هيرودوت .. سبق ذكره، ص ١٩٤،١٩٥.وقد أورد جوردون تفصيل تلك القاعدة المقدسة ببحث واف فى Gordon, The Encient Near East, Norton, New York, ١٩٦٥, pp ٩٠-٩١

لكـــن لأن للتـــاريخ مســـاربه وتواصـــلاته عبـــر ذكريـــات عـــادة مـــا تكـــون غائمـــة أو منزوية، فإن الحدث يجد له منفذا كما عند المؤرخ هروشيوش الذى قام يردد ذكريات القـــرون الغـــوابر، ويخالف التوراة مخالفة شديدة حسب الفهم السائد، بينما يتفق معها أشد الاتفاق حسب رؤيتنا لأحـــداث ذلـــك الزمان فهو يقول عن إبراهيم:

> وولد له إسماعيل من جاريته **العملاقة** ، وتـــزوج إسماعيل امرأة من **العماليق** ، فولدت لـــه اثنـــى عشر ولداً [١٧].

وحيث نعلم أن إسماعيل هو ابن هاجر فمعنى ذلك أن هاجر لم تكن مصرية إنما (عملاقة) وأن زواج **البدو العبران من أرض مصر لم يكن من مصريات بل من عملاقات هكسوسيات**. وهو الأمر الـــذى وجـــد منفذه ليصل إلى مؤرخينا الإخباريين القدامى ليدونوه بدورهم، فيحكى المسعودى:

> تفرق **العماليق** بعد أن أقحط الشـــحر والـــيمن **فتزوج إسماعيل منهم**[١٨].

كذلك كان يعلم ذات الخبر راوى السيرة بن هشام الذى أكد أن العماليق وليس المصريين كانوا أخـــوال اسماعيل وذلك فى قوله:

> إن اسماعيل نبى مرسل أرسله الله إلى **أخوالـــه** من جرهم **والعماليق** [١٩].

> وهو المعنى الذى دونه الثعلبى يقول:

> ثم نبأ الله إسماعيل فبعثه إلى **العماليق وقبائـــل اليمن**[٢٠].

وهو الخبر الذى يجمع الكثير لتأييدنا **فالعماليق فى مصر وسيناء، وكان إسماعيل مبعوثا إليهم وإلـــى قبائل اليمن. لقد كانت بذلك قبائل اليمن فى ذات الجوار. بسيناء وآدوم وكذلك بمصر ضـــمن العمـــاليق أو الهكسوس إن نظريتنا تلتقي مع أحداث كان يتم التعامل معها بحسبانها أوهام أهل الســـير والأخبـــار، بـــل وتفسرها وتضعها في تناغم واضح مع سياقها التاريخي.**

وهكذا فإن الهجمة التى حدثت فى زمن مرنبتاح، وتلاها هجوم أعظم زمن رمسيس الثالث لـــم تكـــن هجمة الفلسطينيين من كريت التى احتلوا بموجبها ساحل فلسطين، إنما مجموعات خرجت من الجزر اليونانية

---

(١٧) أورسيوس: تاريخ العالم.. سبق ذكره، ص ٩٢.

(١٨) المسعودى: مروج الذهب .. سبق ذكره، ج٢، ص ٤٧،٤٦.

(١٩) السهيلى: شرح سيرة ابن هشام.. سبق ذكره، ج١، ص١٧.

(٢٠) الثعلبى: عرائس المجالس، المكتبة الثقافية، بيروت، د.ت، ص ١٠٠

حملت أسماء شعوب عديدة كالشاكروشا والثكر والدانونا والواشاشا والبلست وهم الذين عرفهم التاريخ باسم الشعوب الآخية، وهى الهجمة الكبرى التى أسقطت الحضارة الحيثية وأزالتها من التاريخ. وكان الخلط يتم دوما بين حركة الآخيين الكبرى وبين وجود البلست على الساحل الفلسطينى بدمج مبتسر ومتكلف لإيجاد تفسير لظهور الكريتيين البلست على ساحل فلسطين، فى زمن كانت فيه مصر قد أصبحت إمبراطورية قوية لن تسمح بهذا الاستقرار لمهزومين ـــ كما يقولون ـــ فى أراض تابعة لها. بينما التوراة قد أكدت وجودهم هناك قبل تحديد المؤرخين بثلاثة قرون على الأقل. وكان هذا الاستيطان المبكر للفلسطينيين أمراً غامضاً لم يأت بشأنه مدون واضح يحدد موعد بدئه، **لأنه ببساطة حدث زمن الهكسوس الذى لم يترك لنا شيئاً مدوناً** يعول عليه. وهو الزمن الذى أسدل عليه المصريون ستاراً من النسيان فلم يدونوا عنه وقرروا نسيانه ولم يعودوا يذكرونه كأنه لم يكن.

وفى تلك الأثناء، وفى فترة الظلام الهكسوسى نعتقد وفق ما طرحناه، أنه قد حدث الحدث وتم نقل الكريتيين إلى الساحل الفلسطينى ليفاجئونا – عند ما يرفع الستار مرة أخرى ويبدأ التدوين بعد طرد الهكسوس من مصر – بوجودهم هناك قبل أى تواجد للعبريين أومن ذكرهم التاريخ باسم بنى إسرائيل، وهم شعب غريب تماما عن المنطقة، جاءها وافداً مستوطنا، وهذا أمر آخر يحتاج إلى جهد آخر ومبحث جديد.

لغز الخابيرو

حول زمن خروج الإسرائيليين من مصر سيقت عدة نظريات وفروض كان أولها تلك النظرية العتيقة، وتعد أول النظريات التى وضعت بهذا الشأن وهى نظرية المؤرخ اليهودى يوسفيوس، والتى اعتمد فيها على تاريخ مانيتون المصرى ٢٨٢ ق.م. وقد زعم يوسفيوس فى نظريته أن بنى إسرائيل كانوا هم حكام مصر باسم الهكسوس، إلا أن هذه النظرية لم تعد تلق اليوم قبولا عند علماء التاريخ أو عند علماء نقد التوراة، حيث تواترت حديثاً نظريات علمية جديدة بدأت بالظهور تباعا بعد فك رموز الهيروغليفية المصرية، وما تبعها من كشوف أركيولوجية متتابعة. ووضعت فروض تزمن هذا الخروج فى مساحة تقع مابين ثلاث قرون أو أقل تقع ما بين زمن الفرعونة حتشبسوت ١٤٩٠ - ١٤٦٠ ق.م وزمن الفرعون مرنبتاح حوالى ١٢٢٤ - ١٢١٤ ق.م، لكن ليس قبل ولا بعد، إنما تدور جميعاً بين فراعين حكموا بين هذين المُدتين ١٤٩٠ - ١٢١٤ ق.م.

وقد ذهبت مدرسة جارستانج إلى القول بأن الخروج قد حدث زمن الفرعونة حتشبسوت، وذهب آخرون إلى تزمينه بزمن الفرعون الفاتح تحتمس الثالث ١٤٩٠ - ١٤٣٦ق.م، بينما أرجأه آخرون إلى زمن الفرعون مرنبتاح ١٢٢٤ - ١٢١٤ ق.م. ويعد هذا الرأى الأخير هو الرأى السائد والمستقر الآن ويستمد قوته من اعتماده على وثيقة أركيولوجية واضحة تتمثل فى لوح مرنبتاح الذى ذكر اسم إسرائيل لأول مرة ولآخر مرة فيما اكتشف من آثار مصرية حتى الآن. ويقول فيه الفرعون إنه قد اباد إسرائيل ولم يبق لهذا بذر أى نسل أو أثر. ولأن فترة حكم هذا الفرعون لم تتجاوز عشر سنوات تسمح بكل الأحداث التى رواها سفر الخروج بالتوراة، فقد افترض أصحاب تلك النظرية أن الأحداث الكبرى المروية بالتوراة وما رافقها من اضطهاد الإسرائيليين فى مدينتين باسم (رعمسيس) و (فيثوم) إنما تعود إلى زمن أبيه رمسيس الثانى ١٢٩٠ - ١٢٢٤ ق.م. بحيث يصبح رمسيس الثانى فرعون الاضطهاد وصاحب مدينةالاضطهاد التى حملت اسمه، اما الخروج فيكون قد حدث زمن ولده مرنبتاح صاحب لوح إسرائيل المشهور.

وكان علم التاريخ قد استقر على أن العبرانيين قد سجلوا اسمهم فى التاريخ ووثائقه بعد أن ورد اسمهم فى التاريخ ووثائقه بصيغ مختلفة للدلالة على أناس بعينهم فى كل مدونات منطقة المتوسط الشرقى، على اختلاف التنغيم ما بين: عابيرو، خابيرو، خابيرى، حابيرى، حبراى، هبر، عفر، عفرم، حبرى. لكن تزمين الخروج بزمن مرنبتاح كان يعنى لهؤلاء المؤرخين خسارة كبرى اضطروا معها للتنازل عن كون تلك الأسماء المتعددة تشير إلى عبريي التوراة الإسرائيليين، لأن تاريخ تدوين هذه الأسماء للعابيرو لن يلتقى زمنيا مع العبريين الذين خرجوا من مصر، ولمعرفة السبب وراء ذلك نحن هنا بحاجة إلى بعض التفصيل.

كان أول ظهور للصفة (عبرى) عندما استخدمها سفر التكوين بالكتاب المقدس لوصف البطرك إبراهيم. ثم وردت كلمة (عبرانيون) لوصف الإسرائيليين الذين كانوا يعيشون بمصر، ثم وصفوا بذات الصفة

بعد خروجهم من مصر ودخولهم فلسطين. إلا أن الملاحظ أن تلك الصفة كانت تستخدم عند ورودها لتمييزهم جنسيا عن أصحاب الأرض وأهلها، وهو ماحدث فى قصة يوسف عند نزوله مصر لتمييز الإسرائيليين عن المصريين، وكذلك تكرر ذات الأمر فى قصة موسى بمصر، ثم فى قصة أول ملك إسرائيلى (شاول) لتمييز الإسرائيليين عن سكان فلسطين. ثم اختفت صفة عبرى مدة طويلة لتظهر بعد ذلك فى سفر صموئيل أول وفى سفر يونان.

وقد تواترات الكشوف الأركيولوجية بأخبارها عن الـ (خا ــ فى رو) فى النصوص المسمارية الكاشية أو الكوشية أو الكاسية، والـ (ع ف ر م) فى نصوص أوغاريت، والـ (خ ا ب ى ر و) فى رسائل تل العمارنة، وال (ع ف ر) فى نصوص مصرية أخرى، و (خ ب ى رو) فى نصوص نوزى بأعلى الفرات ضمن مملكة ميتانى المزعوم وقوعها هناك [1] .

وفى الفترة ما بين نهاية القرن الخامس عشر ومنتصف القرن الرابع عشر ق.م . أفادت رسائل العمارنة القادمة من ملوك كنعان ومحيطها أن جماعات باسم **(الخابيرو) و (الساجاز)** تهدد العديد من الممالك الفلسطينية سواء فى الشمال أو الجنوب[2]. وإذا كان الخابيرو قد كانوا باسمهم المتواتر فى وثائق المنطقة جميعاً، هم اللقية العظيمة للمؤرخين، على اعتبار أنها إشارة إلى العبريين فقد اضطروا للتنازل عن هذه اللقية إزاء الاتفاق على أن الخروج قد حدث زمن مرنبتاح، أما الساجاز فهى كلمة تعنى القتلة، ويوصفوا بأنهم **(قاطعوا الرقاب) أو (قاطعوا الرؤوس)** وقد ظلوا مجهولين تماما، كما ظلت كلمة (ساجاز) مجرد صفة أطلقت على بعض الهكسوس لوحشيتهم؟!.

وللمزيد بشأن الخابيرو والساجاز نقرأ: " تفيد العديد من النقوش القديمة المؤرخة ابتداء من الألف الثانية قبل الميلاد بوجود مجموعات من **اللصوص وقطاع الطرق والمرتزقة**. فى المشرق العربى، كانت تعيش على هامش المجتمع، وقد عرفت هذه المجتمعات فى النقوش السومرية العائدة للفترة الواقعة بين الأعوام ٢٠٥٠ – ١٩٣٠ و ٩٣٠ – ١٦٩٧ ق.م باسم **(س ء. ج ء ز)** .. ومن أهل الاختصاص من يرى أن الاسم السومرى (س ء. ج ء ز) مشتق من المفردة الأكادية (شجج ء شو) بمعنى قَتَلَةَ، كما قرئ الاسم أحيانا (خبب ء تو) بمعنى **لصوص وبدو رحل**. وبمقارنة قوائم الآلهة الحثية وقائمة الضرائب الأوغاريتية أقتنع أهل الاختصاص بأن **المجموعات التىعرفت بالأسم السومرى (س ء. ج ء ز) هى نفسها المشار إليها بالاسم الأكادى خفيرو** (خء. فى. رو) و (خء. عب. بى رى) .. وهناك اتجاه .. يرى أن الاسم خبيرو مشتق من المفردة خبر بمعنى **يربط أو يوصل** أو من المفردة عبر بما يعنى أن المقصود (حبريم) أى **المتحالفين** أو (خبريم) بمعنى **البدو المتنقلين**، ويرى اتجاه آخر أن المعنى الصحيح للاسم عفر هو (مغبرين)، وانطلاقاً من حقيقة أن البدو أى العرب في حالة ترحل مستمرة، فقد أوّل ممثلو هذا الاتجاه المعنى ليشير **الى بدور حل**. ومن الجدير بالذكر أنه تمت قراءة الاسم بصيغته الأخيرة فى نصوص مملكة مارى

(١) كمال الصليبى: التوراة جاءت .. سبق ذكره، ص ١٣٦ .

(٢) أحمد عثمان: تاريخ اليهود .. سبق ذكره، ج١، ص ١٢.

العائدة للنصف الأول من الألف الثانية قبل الميلاد، والتى فهم منها أن المقصود بذلك **مرتزقة أو عصابات تعيش من نهب المدن**. ويعود الخفيرو للظهور من جديد فى نصوص عديدة تعود إلى مملكة الالاخ حيث يسجل النص المؤرخ فى القرن الثامن عشر قبل الميلاد توقيعهم لاتفاقية سلام مع حكام تلك المملكة، بما يظهر أنهم **شكلوا حينئذ قوة عسكرية هامة ومستقلة**. كما يعود الخفيرو للظهور من جديد فى نصوص هذه المملكة ذاتها والعائدة للقرن الخامس عشر قبل الميلاد، وهذه المرة يظهرون كقوة عسكرية متمركزة فى المدن حيث عرف أن بعضا منهم كان ينتمى الى طبقة الكهنة ويتم مدحهم فى نص ثالث لاستضافتهم الملك المعزول إدرمى.

أما النصوص العائدة للقرن الخامس عشر قبل الميلاد التى عثر عليها فى مدينة نوزى الواقعة فى القطر العراقى فتظهر أن الخفيرو وضعوا انفسهم كأشخاص أو مجموعات بتصرف الدولة **كمرتزقة وخدم** بينما تثبت وثائق أخرى أنهم كانوا رقيقاً وظفوا **فى الخدمة المنزلية**. [نتذكر هنا ما حدث ليوسف وعمله الأول كخادم منزل فى بيت رئيس الجند المصرى / المؤلف].

وتعود هذه المجموعات للظهور من جديد فى رسائل تل العمارنة العائدة للنصف الأول من القرن الرابع عشر ق.م. بصيغة (سء. ج ء ز) .

ويرى أهل الاختصاص أن تلك الوثائق تظهر تشكيلهم من أمراء وسكان مدن أى أنهم أصبحوا من أهل الحواضر، وكما تبين تلك الرسائل أن تلك المجموعات والتى رأى فيها أهل الاختصاص نفس خفيرو النصوص الأكادية، أنهم لم يكونوا متمردين فحسب وإنما وظفوا أيضاً كمحاربين مرتزقة مما جعل كاتبى الرسائل ينعتونهم **بصفة: كلب، وكلاب ضالة**. أما النقوش الحيثية فتشير إلى (س ء. ج ء ز) **كمجموعة طبقية** صنفت ما بين النبلاء والعامة.

كما عثر على إشارة لعفروم فى النصوص الأوغاريتية، فُهم أن المقصود بها جماعات مستقرة المسكن تدفع الضرائب، وأن رئيسهم الموصوف برب عفروم كان يتمتع بموقع محدد فى إدارة المملكة. وتسجل النقوش المصرية العائدة للفترة الواقعة بين القرنين السادس عشر والثانى عشر ق.م . وجود مجموعة مشابهة من السكان المحليين فى فلسطين أطلق عليها اسم (عفرو) كجماعة من **الرقيق والعمال الاسرى**، وقد سجل الأثر المسمى نقش آمنوفيس [لوح مرنبتاح/ إسرائيل/ المؤلف] أخذ ذلك الملك المصرى مجموعات من ال (عفر.و) كأسرى وإحضارهم إلى مصر " (٣).

ولفترة من الزمن تم الاعتقاد أن هذه الإصطلاحات على مختلف تنغيماتها تشير إلى العبريين بمعنى الإسرائيليين تحديا كمجموعة قبلية عرفت فى التوراة باسم (عبريم)، وهو الاسم الذى تكرر بالكتاب المقدس ٣٤مرة. وأنه فى عرف تلك المدرسة التى تربط بين خابيرو التاريخ وبين عبريى الكتاب المقدس، اسم يشير الى مجموعة جنسية إثنية محددة انتسبت حسب قول الكتاب المقدس إلى جد بعيد باسم عابر. خاصة أن

(٣) زياد منى: جغرافية الجذور .. سبق ذكره، ص ٧٣ : ٧٥.

التوراة تصف أرومة الإسرائيليين إبراهيم الخليل بأنه (عبرم هـــ عبرى) أو ابرام العبرى في سفر التكـــوين ١٣/١٤. لكن الطريف أن النسخة السبعونية من التوراة قد سجلت مصطلح عبرى ٢٨ مرة فقط بفارق ســـت مرات عن النسخة المازورية، لأنه فى تلك المرات الست كان يفهم أن عبريم تعنى عبديم أى عبيد، أو تعنـــى مجرد بدو أو مارة أو عابرين " [٤].

ويقول (إيفارلسنر): " إن اليهود شعب سامى شأنهم شأن البابليين والفينيقيين والعرب، عاشوا فى فلســـطين فـــى الأزمنة الغابرة، كما أنهم فى الأصـــل بـــدو يعرفـــون بالعبرانيين " ويعقب على كلامه متـــرجم كتابـــه الـــى العربية فيقول: " ظن بعض الباحثين ومنهم مؤلف هذا الكتاب أن الاسم (عبر) هو نفسه الذى وجد منقوشا فى لوحات تل العمارنة .. وفى الكتابة المســـمارية بلفـــظ حابيرى أو خابيرى. وقد تكررت هـــذه التســـمية فـــى بعض كتابات الكشيين المسمارية البابلية فى العـــراق، وفى نقوش حيثية عثر عليها فى بوغـــازكوى بتركيـــا، كما وردت فى بعض **نقوش أمورية فى حفائر نـــوزى** بشمال العراق. **لكن المحققين من العلمـــاء يرفضـــون ارتباط كلمة عبرى بالاسم حابيرى** " [٥].وللمزيد مـــن التفاصيل نقرأ النص (No ١٩٠– EA) من رســـائل تـــل العمارنة وهو عبارة عن رسالة من حاكم أورشليم إلى سيده آمنحتب الثالث أو ربما إلى ولده آمنحتب الرابـــع إخناتون، يقول فيها:إلى الملك مولاى

هكذا يقول خادمك عبد خيبا (عبدهفا):

انظر إلى ما فعلـــه ملـــك إيلـــو Milki Lu وشـــورداتا Shuwardata بأراضى الملك مولاى؟

لقد فعلوا بقوات من جـــازر Gezer ومـــن جـــت Geth ومـــن كيلة Keilah وأخذوا أراضى روبوتو Rubutu . **وأراضى الملك سُلمت الى شعب العابيرو.** حتى بلدة فى

---

(٤) نفسه : ص ٧٧ .

(٥) إيفارلسنر: الماضى الحى .. سبق ذكره، ص ١٣٨. (تعقيب من المترجم).

أراضى أورشليم من أملاك سيدى اسمها بيت لحم -Bit
Lahm وقد أعطيت إلى كيله.

فليصغ مليكى لخادمة عبد خيبا ويرسل قوات تعيد الأراضى الملكية لخادمة عبد خيبا ويرسل قوات تعيد الأراضى الملكية إلى الملك.

وإذا لم تصل القوات.

فإن **أراضى الملك ستغدو للعابيرو**[٦].

ومن جانبه يؤكد لنا (أحمد سوسة) أنه قد تم العثور حتى الآن على ست رسائل استغاثة موجهة الى فرعون العمارنة، موجهة إليه من (عبد خيبا) وإليه على أورشليم [٧]. ونعلم بعد ذلك أن هؤلاء العابيرو ظلوا يهاجمون أملاك مصر فى فلسطين مدة طويلة، حيث تم العثور فى موقع (بيت شان) على نصب تذكارى تركه سيتى الأول ١٣٠٩ – ١٢٩١ ق.م، ورغم ما لحق النصب من تلف شديد فإنه أمكن الإفادة منه بحدث هام، هو أن الفرعون قد **صد هناك هجمات للعابيرو قادمة عبر نهر الأردن**[٨].

وفى نص من مدينة (الالاخ) بشمالى الرافدين نجد ملكا باسم (إبرم) يعقد اتفاقا مع الخبيرو ليكونوا جنودا فى جيشه (لاحظ أن إبرم هى إبرام هى إبراهيم). وفى نصوص نوزى جدولة للمرتبات والملابس التى كانت تصرفها مملكة نوزى للخبيرو، وفى منشور رسمى للملك الحيثى حتوسيل الثالث إعلان عن رفض المملكة الحيثية لاستقبال الخبيرو الهاربين من أوغاريت [٩].

ثم يحيطنا (ماكلستر) علما أن تهديد أملاك مصر فى الشام كان على يد **عصابات أرامية** عرفت فى رسائل العمارنة باسم (السوتو و **الخبيرو**) ويفترض أن قوة ما ضاغطة دفعت أمامها الخبيرو والبولساتى (البلست/ الفلسطينيين) من بلادهم الأصلية ليتجهوا نحو بلاد فلسطين وبوادى الشام، ثم يشرح موضحا مشكلة الخابيرو والعبريين قائلا:

وبعيد أن يكون هذان الفريقان من الغزاة واسمهما يكاد يكون واحداً [يقصد الخابيرو والعبرانيين] – منفصلين أحدهما عن الآخر تمام الانفصال. وإذا لم يكونا منفصلين فإن قصة الخبيرو على قدر ما تستخلص من رسائل تل العمارنة، تضاعف ما يوجه الى قصة

---

(٦) السواح: الحدث التوراتى .. سبق ذكره، ص ٥٧ .

(٧) أحمد سوسه : العرب واليهود .. سبق ذكره، ص ١٤٩.

(٨) السواح: الحدث .. سبق ذكره، ص ٦٤.

(٩) جارودى: فلسطين أرض .. سبق ذكره، ص ١١٣.

> الخروج الواردة بالكتاب المقدس من نقد. فيجب أن نستنتج من الرسائل أن استعمار الخبيرو فلسطين استمر بدون مقاومة تذكر، وأن الكنعانيين اضطروا آخر الأمر .. إلى قبولهم جيرانا ثقلاء لا مفر من جيرتهم.. فإذا كان الأمر كذلك، وإذا قلنا إن العبرانيين من نسل هؤلاء الخبيرو فماذا يكون رأينا فى قصة الخروج من مصر؟ (١٠).

ماكلستر بذلك مثل آخرين يصر على أن العبرانيين بالكتاب المقدس هم ذات الخبيرو بنصوص أركيويوجيا المنطقة.

لكنه سيواجه بذلك مشكلة . . .

فإذا كان العبريون هم الخابيرو فكيف كانوا يهاجمون أملاك مصر فى فلسطين زمن العمارنة [آمنحتب الثالث ١٤٠٥ - ١٣٦٧ وولده إخناتون ١٣٦٧ - ١٣٥٠] كما ثبت من رسائل الاستغاثة المرسلة من حكام فلسطين الى ملوك العمارنة؟ وهو وقت يفترض أنهم كانوا لازالوا يقيمون فيه بمصر؟!! ولم يكونوا قد خرجوا بعد الى فلسطين، حيث أن زمن مرنبتاح يقع بعد ذلك التاريخ بحوالى قرنين وهو المفترض أن الإسرائيليين/ العبريين قد خرجوا فى زمنه من مصر نحو فلسطين.

هنا لا يفارق ماكلستر ما استقر عليه ضميره العلمى وقرر أن الخطأ بذلك لن يكون فى علم التاريخ ووثائقه وما وصل إليه العلماء بتحديد زمن مرنبتاح لحدث الخروج، إنما علينا بالبحث عن الخطأ فى القصة التوراتية ذاتها وتزميناتها وربما تسمياتها، وما روته من أحداث حول الخروج.

لكن ما فات ماكلستر أن هؤلاء المؤرخين أنفسهم الذين اعتمدوا على وثيقة لوح مرنبتاح لتزمين الخروج إبان حكمه على مصر، قد بنوا حكمهم هذا على عنصر توراتى الى جوار العنصر الأركيولوجى بحيث تطابق تزمين التوراة للخروج مع تزمين علماء الآثار والباحثين، وتمت وفق ذلك حسابات تستند الى التوراة كالآتى:

تقول التوراة: " وأما إقامة بنى إسرائيل التى أقاموها فى مصر فكانت اربعمائة وثلاثين سنة " وذلك منذ دخول يعقوب وأبنائه الأسباط مصر حتى خروج موسى وأتباعه من مدينة رعمسيس، يضاف إليها التواريخ التى وردت فى سفر التكوين بخصوص يوسف تحديداً بعد أن دخل مصر حيث قضى فى السجن عامين، وانقضت سبع سنوات من الخير، وسنتان من سنين القحط قبل وصول يعقوب وأولاده الى السبط يوسف فى مصر. وبذلك تكون المدة من دخول يوسف السجن الى خروج موسى ٤٤١ سنة. فإذا أضفنا ٤٤١ سنة إلى

---

(١٠) ماكلستر: الأقوام الجدد، ترجمة عبد الحميد يونس، المجلد الثانى من تاريخ العالم، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د.ت، ص ٩٣.

أوائل حكم مرنبتاح فسيؤدى بنا ذلك إلى زمن دخول الهكسوس مصر أو بعد غزو الهكسوس بحوالى ١٥ سنة، وإذا طرحنا ٤٤١ عاما من زمن دخول الهكسوس مصر فسيفضى بنا ذلك الى زمن مرنبتاح. وهكذا تمت مطابقة تزمينات التوراة مع تزمينات التاريخ، لكن ظلت المشكلة قائمة: **كيف كان العبريون يقومون بغزو فلسطين زمن آمنحتب الثالث والرابع بينما لم يكونوا قد غادروا مصر فعلا زمن مرنبتاح الذى يقع تاريخيا بعد غزوهم فلسطين بحوالى قرنين من الزمان؟**

على أية حال علينا الآن أن نتابع ما وصلنا من علم التاريخ بشأن الخابيرو حتى نكون على بينة واضحة، أو نجد ما يفصح عن حل ذلك اللغز المحير.

لقد تأكد تاريخيا أنه فى فترة قصيرة أيام حكم العمارنة تحولت ميتانى عن ولائها لمصر، وأخذ ملكها عبدى شراتا (عبد شرى و(شري) هو الإله الذى أوضحنا أمره فى مديان وليس فى ميتانى المزعومة أعالى الرافدين) ومن بعده ولده (عزيرو) بالتوسع على حساب أملاك مصر فى فلسطين والشام، وأنهم من أجل ذلك قد دخلوا فى تحالف مع الخابيرو وقاموا بغزو أراضى فى فلسطين [11]، وهو ما يلخصه لنا المصرولوجيان (شتيندورف وسييل) فى قولهما:

> وإلى الجنوب من فلسطين لم يكن الموقف أفضل من ذلك، فهذه المنطقة أيضاً لم ينقصها الأمراء الشغوفون بانتهاز فرصة الضعف المصرى لنيل استقلالهم أو توسيع ممتلكاتهم الخاصة. ووجدوا حلفاء جاهزين **فى الخابيرو والبدو الذين يعرفون باسم سوتى Suti**. أما الملحقات الموالية ومنها أورشليم، فقد حاولوا عبثا الحصول على مساعدة البلاط المصرى، وأخذوا يتوسلون الى الملك من أجل " العناية بأراضيه.. كل أراضى الملك قد انفصلت .. الخابيرو ينهبون كل أراضى الملك، إذا لم تأت القوات هذه السنة بالذات فإن كل أراضى الملك سوف تضيع "ولم تصل التعزيزات المطلوبة مطلقاً. واستطاع الخابيرو اجتياح كل ممتلكات الملك بدون عائق، وحل اليوم الذى " ضاعت فيه كل منطقة الفرعون " [12].

هذا وبينما يعرض لنا جاردنر غارة (آمنحتب الثانى ١٤٣٦ ــ ١٤١٣ ق.م.) على فلسطين، يؤكد على إشارة وردت لقبائل باسم عابيرو متحالفة مع أعداء دمرهم (آمنحتب الثانى) باسم **شاسو والحوريين**، ثم

---

(١١) شتيندورف وسيل: عندما حكمت .. سبق ذكره، ص ٢١٦ .

(١٢) الموضع نفسه .

يعقب شارحا للفظة عابيرو: " وقد نوقش هذا المصطلح كثيراً .. فمنذ سنوات قليلة مضت كان هناك من يؤكد أن هؤلاء الأقوام هم أنفسهم العبرانيون فى التوراة. لكن هذا الرأى لا يتقبله اليوم سوى قله من العلمـــاء.. إن الخابيرو الذين جاء ذكرهم فى ألواح العمارنة، يبدو أنه اصطلاح شامل، أطلق على المنبوذين أو العصـــابات التى لا تنتسب إلى أية مجموعة جنسية محددة " (١٣).

وهكذا، وبكل بساطة تم حل مشكلة العابيرو، وإذا كان وجودهم على حدود فلســطين زمــن آمنحتــب الثالث وولده إخناتون سيسبب أرقا ومشكلة، فى حال احتسابهم هم ذات الإسرائيليين الذين خرجوا من مصر، فليكن الحل: إن هؤلاء ليسوا هم أولئــك؟ وأن المسألة مجرد تشابه أسماء؟!! فإن سألنا: من هم إذن الخابيرو تحديداً إذا لم يكونوا هم العبريين أو الإسرائيليين؟ فإن الإجابة السهلة: هم مجرد شوارد قبائل وشــذاذ آفــاق وعصابات لا تنتسب لعنصر بشرى معروف.. ويصبح الأمر كما لو ان عبريى التوراة شــعب ذو عنصــر بشرى معروف، أما الخابيرو فليسوا كذلك، وأنهم ليسوا عبريى التوراة؟

لكن ذلك الأمر فيه نظر: لأنه إذا كان الكتاب المقدس قد أوعز بأن الإسرائيليين نسلا عبرانيا وكلاهما واحداُ، فإنه فى مواضع أخرى يهمس بنتيجة مخالفة تماماً لمن ينقب فيه، وهى أن العبريين ضموا مجموعــة قبائل وشعوب متنافرة كانت تنتقل فى بداوتها شرقى المتوسط. ومن ثم نراهم من جانبنا عنصراً من عناصر الحلف الهكسوسى القديم، بينما الكتاب المقدس من جانبه تحول بفكرة الحلف الى بديل قرابى، فوضع سلســلة نسب تجمع مجاميع بشرية متنافرة فى جماعة واحدة وجنس مميز كما لو كانوا شعباً واحداً من الأزل .

ورغم ان سفر التكوين يضع شخصية أساسية باسم عابر سلفا لكل بنى عابر أو العبريين. ويضع ضمن العبريين شعبا من جنوبى جزيرة العرب هم اليقطانيين أو القحطانيين الذين أصبحوا يعرفوا بعرب الجنــوب العاربة أى الأصلاء فى العروبة، فإنه فى المقاطع ١٠/٢١ – ٢٩ لا يصف يقطان/ قحطان وأبنــاءه بــأنهم عبريون. ولو كــان عابر هذا ساميا حقا هو ونسله من بعده لكان وصفه(عابر السامى) نسبة إلى جده ســام حسب الشجرة التوراتية، وليس كما وصفه بنسبته إلى أحفاده وتعريفه بأنه " أبو كل بنــى عــابر ". وهنــاك حوالى **٢٥ قبيلة أو شعباً** احتسبها التوراة من بنى عابر ولم توصف واحدة منها ولو مرة واحدة بأنها عبرية. ونتذكر هنا تأكيد هروشيوش أن بلاد آدوم كان يعيش فيها نحو **ثمانية وعشرون جنسا**، ومن هنــا يســتنتج زيادمنى " أن النصوص التى تشير الى جد أعلى باسم عابر هى إضافات لاحقة من المحرر التوراتى " (١٤).

ثم يجمع (منى) معانى كلمة (عبر) من مصادر اللسان العربى لينتهى الى أنها تعنى **الارتحال مطلقــا**، فهى " القطع من مكان لآخر، الإبل القوية على السير، الجرئ على الأسفار القوى عليها، الكثير من كل شئ وغلب على الجماعة من الناس، السحائب تسير سيراً شديداً " ويعقب: "إن هذه المصــطلحات أو المفــردات

---

(١٣) جاردنر: مصر الفراعنة .. سبق ذكره، ص ٢٢٧.

(١٤) زياد منى: جغرافية .. سبق ذكره، ص ٨٢ .

تحمل مضمون **الحركة فى معانيها** " [١٥]، وهو ما يلتقى تماماً مع ما انتهينا إليه مــن معــانى الاصــطلاح المصرى القديم **(شاسو) الذى يعنى الارتحال مطلقاً.**

ويقرن منى بين العبرى والغبرى ليجمع من المعاجم ما أفاد به علم التاريخ عــن أسلوب حياة وعمــل الخابيرو فيقول: " تفيد المراجع المتخصصة أن بنى غبراء هم الغرباء الصعاليق المحــاويج الفقــراء " [١٦]، الأمر الذى ينجلى عن تعبير التوراة (تائه) فى النص (أرامياتائها كان أبى)، كما ينجلى عــن تكــرار قــول إبراهيم فى كل محطة كان ينزلها بعد ارتحال أنها أرض (غربته)، وحتى اليوم نجد فى لسان عرب الخلــيج (العبرى) هو المسافر و(العبرية) المسافرين.

ثم يعقب منى بالقول:[١٧] " إن النصوص التى تحوى قوائم الأجداد مشكلة من عــدة روايــات متباينــة المحتوى، أدمجت ببعضها البعض بهدف نقل الانطباع بوحدة الرواية، وبوحدة أصول شعب التــوراة ". ثــم يطابق (منى) بين الصفات التى عرفها علم التاريخ عن هذه الجماعات كشذاذ آفاق يعيشــون علــى الســلب والنهب والحركة الدائبة، وبين ماجاء فى التوراة من تصوير لحياة الأسباط فى وصــف جماعــة داود بأنهــا تتكون " من كل رجل متضايق وكل مديون وكل رجل مُر النفس " [١٨].

ومن هنا ينتهى منى إلى **أن الكتاب المقدس قد وظف المصطلح عبرى للدلالة على تحــالف إعرابــى قبلى**، وأن محررى الكتاب المقدس لم يعرفوا معنى المفردة فتمثلوها فى شخص باسم عابر ادخلوه فى قــوائم الآباء الأولين. **والحقيقة أنه ليس هناك مجموعة جنسية إثنية متميزة باسم العبريين** [١٩].

أما سليم حسن فيوضح باختصار أنه " كان أول ظهور للخابيرو فى التاريخ فى ميسوبوتاميا (الرافــدين القديم/ المؤلف) **حوالى نهاية الألف الثالثة** ق.م. وقد كان لهم **اتصال وثيق بــالحورانيين**.. وفــى حــين أن غالبية **الخابيروساميين**، فإنهم كانوا فى العادة على **اتصال بالعنصر الحــورانى** (وهو عنصر هندوآرى عنــد سليم حسن / المؤلف) **المنتسب إلى الهكسوس** ". [٢٠]

وحول هذا الأختلاط الجنسى الغريب بين السامى والهندوآرى عند الهكســوس يشــرح (شــتيندورف) بقوله: " من المحتمل أن الهكسوس لم يكونوا شعبا واحداً متجانسا. أما العنصر الغالب فيهم فكان ساميا لاشك

(١٥) نفسه: ص ٨٥ .
(١٦) نفسه: ص ٨٩ ، ٩٠.
(١٧) نفسه: ص ٨١ .
(١٨) نفسه: ص ٧٨، ٨٨ .
(١٩) نفسه: ص ١٠٥ .
(٢٠) سليم حسن: مصر القديمة .. سبق ذكره، ج٤ ، ص ١٩٥ .

وأضيفت إليه عناصر أخرى ربما منها الحوريون، وهم أقوام قديمة كانت تسكن شمال بلاد الرافدين [يقصد موضع ميتانى المزعوم فى الرافدين الأعلى / المؤلف] ". [٢١]

وعن مواجهة آمنحتب الثانى للشاسوو الحوريين والخبيرو السالف الإشارة إليها، نسمع لباحث يقول:

" وعند وفاة تحتمس الثالث ورثة ابنه آمنحوتب الثانى.. المشهور بقوته الجسمية الخارقة، وخلال حكمه ١٤٣٦- ١٤١٣ق.م ، قام بحملتين على بلاد الشام، شن الأولى منهما على أواسط سورية الحالية حيث دمــر وقتل وأسر. وإثر عودته لمصر أخذ بعض أمراء فلسطين يدربون بعض **الكنعــانيين الشاســوو العــابيرو** ويستعدون للثورة على الفرعون **بعدما تحالفوا مع الحوريين** المنتشرين حول نهر الخابور [لاحظ أن الباحث هنا كبقية المؤرخين يذهب بموضع الحوريين إلى ميتانى بين الفرات والخابور شمالا / المؤلف] فعاد أمنحتب الثانى الى الشام ووصل إلى بحيرة طبرية واستولى على مجموعة من المدن الفلسطينية ".

ثم يتابع " وتراخت قبضة المصريين على الشام إبان انشغال إخناتون بثورته على الوثنيــة والشــرك. فأخذ الحيثيون من عاصمتهم خاتوشا الواقعة فى الأناضول إلى الشــرق من نهر الهاليس يحرضون عبــدى شراتا وهو ملك أمورى ميتانى من الطرف الشمالى لسورية [نكرر هنا نفس الملاحظة الســالفة / المؤلــف] على الثورة ضد النفوذ المصرى الآخذ بالتراخى فى بلاد الشام. وأخذ عبدى شراتا هذا يزحــف ويحاصــر المدن فى حوض نهر العاص وسواحل سوريا ولا سيما حماة وأرواد. وبالمقابل تشكل فى بلاد الشام حلــف موال للفرعون بزعامة رب عدى ملك جبيل. ويتألف من بيروت وصيدا وصور وعكا فضلا عــن جبيــل.. وحين شاخ عبدى شراتا أو مات، ورثة ابنة عزيرو الشاب الداهية الطموح.. زحف عزيرو جنوبا بعــد مــا **تحالف مع الحيثيين وكذلك مع قبائل الخابيرو** أو العابيرو، التى **تحترف القتال كمرتزقة، إذ هى تحارب لكل من يدفع لها**، فوصل إلى جبيل التى آثر ملكها رب عدى الموالى لمصر أن يموت علــى أن يخــون ســيدة الفرعون ".

وهنا علينا أن نلاحظ النغمة التى استقرت لحل مشكلة الخابيرو فأصبحوا فى كتابات البــاحثين مجــرد مرتزقة يعملون لمن يدفع.

ونتابع الباحث وهو يردف قائلا: " وتوالت الرسائل من ملوك الشام على آمنحتب الثالث وعلــى ابنــة إخناتون تطلب النجدة من مصر ضد قوات عبدى شراتا وابنه عزيرو. وهذه ضمن رســائل تــل العمارنــة المشهورة التى اكتشف منها زهاء ٣٧٧ رسالة .. ومن دهاء عزيزو أنه قد أخذ يراسل الفرعون هو الآخــر، واقسم له بأغلظ الإيمان أنه وحده المخلص للملك وأن جميع الأمراء الذين شكوه الى مولاه ليسوا إلا كــذابين وغير مخلصين للعاهل المصرى.. لكن عزيرو زحف جنوبا [هنا يفترض الباحث أن عزيــرو ملكــا علــى ميتانى المتموضعة زعما شمالا بين الفرات والخابور / المؤلف] وأنه قام يزحف من هناك نحو الجنوب بعدما

(٢١) شتيندورف وسيل: عندما حكمت .. سبق ذكره، ص ٤٠ .

ضم إليه ملك قادش [يفترض الباحث هنا أن قادش المقصودة . . هى فادش نهر العاصى وليس قادش سيناء / المؤلف] فوصل إلى شمال فلسطين وضمه الى دويلته.. وفجأة تواجهك رسالة من رسائل العمارنة مفادها أن الخابيرو قد احتلوا شكيم قرب نابلس الحالية، وأنهم ضربوا الحصار على القدس وأن حاكم القدس عبد خيبا [عبد هفا] كاتب الرسالة يستنجد بمولاه الفرعون إخناتون. **ولايعرف أحد كيف وصل الخابيرو الى شكيم ثم القدس،** هل عبروا **مرج بنى عامر واحتلوا شكيم عام ١٣٦٠ق.م؟ أم أنهم زحفوا من الجهة الشرقية لنهر الأردن والتفوا على المصريين من الجنوب؟**.. وأرسلت مصر القائد حورمحب وخاض معركتين على الأرجح أنهما كانتا صغيرتين ومخففتين " [٢٢].

وهكذا نجد الخابيرو قد دخلوا فلسطين بالفعل، لكن المحبط فى محاولة الفهم أن نجدهم لازالوا بمصر زمن رمسيس الثانى ١٢٩٠ - ١٢٢٤ ق.م، فهناك رسالة من الكاتب (كويسر) موجهة الى الموظف (بكنبتاح) تحمل أمرا يقول:

" أعط الجنود قوتهم، وأعط أيضاً العبيرو **الذين ينقلون الحجارة لبناء** الملك رع موسى "، ورسالة ثانية من (كينا) الى (كجناهو) يقول فيها: " أطعت مأأمرنى به سيدى قائلا: إعط الجنود أرزاقهم **والعبيرو أيضاً** ، الذين ينقلون الحجارة لهيكل الشمس الذى انصرفت إليه عناية رع موسى " [٢٣].

وفى نصوص أوغاريت نجد ملحمة (كارت ملك صيدون) الهبيرو hbr حراساً للملك ويوصفون فى Cis- Ktu,١,٥ بأنهم قوه عظيمة وجبارة وأن الشريحة العليا منهم حملت لقب الجبابرة [٢٤].

وبين هؤلاء الحراس الذين يسمون " ناس الملك " نجد شرائح متعددة تحمل ألقاباً متعددة مثل. (ماريانو) و (ماجاروخلى) و(سانانو) و (عشيرو). و(عشيرو) فى رأينا هى (أشيرو) التى يمكن أن تشير الى السبط (أشير) أحد الأسباط الإسرائيلية الاثنى عشر. وقد أقيمت فى أوغاريت أحياء خاصة للخابيرو مثل (خالابو) و (أبيريما). ومن جانب آخر يوضح اللوح PruIV, ١٧. ٢٣٨ أنه كانت توجد فى بلاد الحيثيين منطقة مخصصة لسكنى فئة (الأبيرو) [٢٥].

والآن تعن بعض الملاحظات السريعة حول مشكلة الخابيرو .

أولاً: الظهور الفصيح للخابيرو فى نصوص المنطقة، كان فى رسائل تل العمارنة القادمة من فلسطين تستنجد بالملك آمنحتب الثالث وبولده آمنحتب الرابع/ إخناتون. وتطلب قوات مصرية لصد هجوم الخابيرو على الممالك الفلسطينية التابعة للإمبراطورية المصرية حينذاك. فإذا كان الخابيرو هم العبريين الإسرائيليين فإن ذلك ــ كما أسلفنا – سيحدث مفارقة لا تلتئم مع أهم نظريات الخروج وهى

---

(٢٢) يوسف سامى: تاريخ فلسطين .. سبق ذكره، ص ٤٤ ، ٤٥ .

(٢٣) سوسه: العرب واليهود .. سبق ذكره، ص ٢٨٣ .

(٢٤) شيفمان: أوغاريت .. سبق ذكره، ص ٢٧ .

(٢٥) نفسه: ص ٢٤ .

النظرية السائدة التى تقول بخروجهم زمن مرنبتاح. لأن ذلك يعنى أن العبريين ــ إذا كانوا هم الخابيرو – قد خرجوا من مصر قبل زمن آمنحتب الثالث بحوالى **أربعين سنة** أويزيد قليلا، وهى المدة التى حددها المقدس التوراتى لبقاء الإسرائيليين فى سيناء بعد خروجهم من مصر وقبل غزوهم فلسطين، والمعنى هو: كيف نفسر وجودهم زمن آمنحتب الثالث فى تشكيل هجومى على فلسطين قبل خروجهم زمن مرنبتاح بحوالى ١٧٠ عاماً أو يزيد؟

ولو اعتمدنا النظرية التى تقول بخروجهم زمن حتشبسوت فسنجد أيضاً خطأ صارخاًلأن معنى ذلك أن يستغرق العبريون ما يزيد على ١٢٠ سنة من خروجهم من مصر وحتى نجدهم يهاجمون مدن فلسطين زمن آمنحتب الثالث. وهو زمن طويل جداً للسفر بين مصر وإسرائيل، بينما كان تحديد التوراة لذلك الزمن بأربعين عاماً فى التيه يعد زمناً طويلا جداً فى نظر الباحثين حتى رفضه بعضهم تماما واعتبروه تلوينا أسطورياً.

ثانيا: حسب قصة التوراة أن موسى قد مات على أبواب فلسطين فى جبل نبو شرقى الأردن ، وقام تلميذه يشوع بن نون بقيادة جحافل الغزاة وعبر الأردن من الشرق الى الغرب وقام بتدمير شامل لمدينة أريحا حتى سواها بالأرض وتركها كوماخرابا. وبالفعل أثبتت حفائر الأركيولوجية كاثلين كانيون التى قامت بدراسة طبقات الأرض تحت أريحا أن أريحا قد تم تدميرها مرتين: المرة الأولى عند طرد الهكسوس من مصر على يد الفراعنة، باعتبارها كانت أحد مراكز الهكسوس الحصينة، أما المرة الثانية المفترض أن الدمار قد حدث فيها بفعل يشوع ورجاله الخارجين من مصر فإن البحث الدقيق أثبت أنه قد حدث قبل زمن مرنبتاح بحوالى قرن ونصف القرن من الزمان، أو يزيد [٢٦].وهو ما يضيف مزيداً من من الألغاز والغموض. على قصة الخروج الإسرائيلى من مصر ولغز الخابيرو. فإذا كان الخروج قد حدث زمن مرنبتاح فلابد **أن يكون دمار أريحا قد حدث بعد زمنه بحوالى أربعين عاماً هى زمن التيه، لكن ما أكده البحث الأركيولوجى أن ذلك الدمار قد حدث قبل زمن مرنبتاح بأكثر من قرن ونصف،** وهو ما يعيدنا مرة أخرى الى زمن الخابيرو الذين كانوا يهاجمون فلسطين زمن آمنحتب الثالث وولده إخناتون. وهو ماعبر عنه كاسيدوفسكى بايجاز بليغ يقول:

> إذا كانت القبائل اليهودية القديمة العبرية هى المقصودة بالخابيرو.. فإن رسائل العمارنة تعطينا برهانا على أنها دخلت أرض كنعان قبل وصول الإسرائيليين إليها من مصر بحوالى قرن ونصف القرن. [٢٧].

وهنا بدأت محاولات التوفيق، أو على الأصح التلفيق.

---

(٢٦) جارودى: فلسطين أرض: ص ٦٨ ، ٦٩ ، ١٠٦، ١٠٧، أنظر أيضاً أحمد عثمان: تاريخ اليهود .. سبق ذكره، ج١، ص ١١٤، ١١٥.

(٢٧) كاسيدوفسكى: الواقع والأسطورة .. سبق ذكره، ص ١٢٢.

جاردنر مثلا وآخرون ساروا مساره يقولون إن الخابيرو مجرد شذاذ آفاق لا علاقة لهم بالعبريين أو بنى إسرائيل، أما وادل Wadle فله رأى آخر فى كتابهIsrael and Babylon يقول إن دخول القبائل الغازية إلى فلسطين من سيناء وبوادى الشام، كان أمراً مألوفاً طوال التاريخ. ثم يفترض أن الخابيرو كانوا مثل تلك القبائل الغازية لكنهم ليسو هم العبريين تحديداً، لكن ما حدث **أن أحدهما قد احتضن الآخر**" (٢٨) ؟!! هكذا!!

أما الأركيولوجيست (كاثلين كانيون) فقد اعتمدت على مناقشات (دى فو Devau) حول وجود طريقين محتملتين للخارجين من مصر تحت قيادة موسى، الأول يسير بحذاء المتوسط على الساحل السينائى الشمالى، والثانى يهبط لعمق سيناء ويعبر آدوم من جنوبها الى فلسطين من شرقها. ومن هنا تقدم كانيون حلها لمشكلة وجود الخابيرو على حدود فلسطين، وفى نفس الوقت لم يكن حدث الخروج قد وقع بعد، أن هناك خروجان للإسرائيليين من مصر قد حدثا: الأول اتخذ طريق الساحل ودخل فلسطين من جنوبها الملاصق للحدود السينائية، والثانى اتخذ طريقه عبر آدوم والتف من شرقى الأردن وعبر النهر الى فلسطين من شرقها إلى غربى الأردن .

والآن، وبعد العمر الذى قضيناه وراء محاولات حل ألغاز التاريخ، هل بالإمكان العثور على حل لا يجيز لباحث آخر أن يصفه بأنه تلفيقى؟.. للوصول الى الحل المرتجى علينا أولاً أن نقف مع بعض إشارات ضرورية تمهيدية.

لا يفوت لبيب ذكر ملك باسم إبرام يعقد اتفاقا مع الخابيرو ليكونوا جنوداً فى جيشه، وكما ألمحنا هو اسم إبراهيم بالتوراة وإن كنا لا نعنى أنهما نفس الشخص، إنما أقصى ما نقصده أن الاسم إبرام التوراتى كان منتشراً بين الخابيرو، مما يدعم فكرة أنهم كانوا هم ذات العبريين الذين ينتمى إليهم البطرك التوراتى إبرام / إبراهيم. ومن الصعب تصور أن شعبين يحمل كل منهما، نفس الاسم، ودخل كل منهما مصر، وخرج كل منهما منها، وأن كليهما كان يهاجم فلسطين، دون أن نشك شكاً قويا فى القول أنهما كانا شعبين منفصلين!!

ثم نلحظ بشدة أن الحلف الذى ذكرته رسائل تل العمارنة بين الخابيرو والسوتى وأنها وصفتهم بالعصابات الأرامية ونتذكر أن السوتي تعني الستيين نسبة إلى ست، وهوما يدعم ما قلناه، حتى الآن، ويضع العبريين فى مكانهم الزمانى والجغرافى الذى حددناه .

وقد علمنا منذ هنيهات أن ملوك ميتانى بأعالى الرافدين الذين تحالفوا مع الخابيرو كان بينهم الملك عبدى شراتا أو (عبد الشرى)، بينما سبق وتأكد لنا أن الشرى هو رب الشراه أو السراه/ عسير ببلاد آدوم، مما يعنى وجوب قراءة تلك النصوص منسوبة الى جغرافية آدوم لاجغرافية الرافدين الأعلى. وتقول تلك النصوص أنهم أخذوا بالتوسع على حساب الإمبراطورية المصرية فى فلسطين والشام. وهنا علينا أن نتذكر أن موسى عندما خرج من مصر مع أتباعه لم يتخذ طريق حورس الحربى السريع على ساحل المتوسط نحو

---

(٢٨) روبنسون: إسرائيل فى ضوء .. سبق ذكره، ص ١٠٧.

فلسطين، إنما انحدر جنوباً فى رحلة شاقة طويلة ليس لها مبرر سوى نظريتنا حيث يمكنه ذلك الطريق مـن اللحوق بحلفائه فى بلاد مديان، انسبائه وأهل زوجته صفورة.

والحصافة تجعلنا نقف مع إشارة آمنحتب الثانى إلى مهاجمة أعداء مصر الذين حدد أسماءهم: **شاسو، حوريين، عبيرو** لنذكر قارئنا بكل ما قلنا حتى الآن. لقد خرج العبيرو من مصر الى مواقعهم القديمة حـول آدوم بعد تفكك حلف الهكسوس على يد أبطال التحرير المصريين، لكن ليتجدد الحلف جزئيـا مـرة أخـرى لمهاجمة البلاد الفلسطينية، عبر تحالف جديد للقبائل وصل الى تحالف عزيرو المديانى مع الحيثيين فى أقصى الشمال، أما اسم **عزيرو** نفسه فليس اسما حوريا هندوآريا يمكن إرجاعـه إلـى المملكـة الميتانيـة الآريـة المزعومة شمالـى الرافدين بقدر ما هو اسم سامى قح يليق بمديان، وتليق به آدوم، والعربان به أليق.

وقد مر بنا باحث مجتهد يعجب بشأن ميتانى التى أصبحت تحمل اسما آخر هو أمـورو (نسـبة الـى أموريين؟!) لأن الأموريين حسب التاريخ التقليدى لا علاقة لهم بالميتانيين، ثم يعجب ثانيا من كيـف وصـل حلفاؤهم الخابيرو الى شكيم ثم القدس ؟ ويتساءل : هل عبروا مرج بنى عامر واحتلوا شكيم؟ أم أنهم زحفـوا من الجهة الشرقية لنهر الأردن والتفوا على المصريين من الجنوب؟ ان السؤال برأينا هو الخطأ، لأن صاحبه يأتى بالخبيرو من الفرات الأعلى والخابور حيث موضع ميتانى المزعوم، لذلك يستعصى الحل ويصبح لغزاً ، لكنه يصبح سهلا مفهوما تماماً لوجاء بهم من آدوم. وهنا نستمع إلى زيادمنى الذى ذهب الى اليمن وعسير بموضع هناك بلاد إسرائيل، لكن ليعود معنا فى عبارة عابرة الى الموضع الذى حددناه لكل تلك الأحداث فى بلاده شراة سعير عند العقبة ووادى عربة حيث الشرى فى بلاد آدوم، فيقول عن قبائل لم تزل موجودة حتى اليوم، فى لمحة خاطفة تحكى أن " قبيلة **عبرة من الشرى** من زهران **ابن كعب ومقرهم بلاد السراة**، وبنـو عريب **من قبائل حمير** التى عرفتها فى مؤلفى آنف الذكر بأنها هى **آدوم التوراتية** " (٢٩).

واضح إذن أننا مع الرأى القديم الذى عفى عليه الزمن وأهمله الباحثون تمامـاً، **نحـن مـع كـون العبريين التوراتيين هم ذات عين الخابيرو والتاريخيين**. وأنه كان اسما عاما على البدو الرعـاة المتنقلـين قطاع الطرق المرتزقة النهابين. لكن ذلك يعنى ضمن ما **سيعنى أن الخابيرو لم يخرجوا أبداً زمن الفرعـون مرنبتاح، بل خرجوا قبل زمن العمارنة لأنهم كانوا زمن العمارنة قد وصلوا بالفعل الى مهاجمة فلسـطين، وبدأت رسائل الاستغاثة تتواتر من حكام فلسطين إلى العمارنة ، وهو ما يعنى أنهم قد خرجوا قبـل زمـن العمارنة بزمان**. أما الأكثر إدهاشا لنا قبل القارئ هو توصلنا إلى **أن الخابيرو التاريخيين الذين هم عبريـو التوراة ليسوا إطلاقاً بنى إسرائيل** على التدقيق إنما كان بنو إسرائيل بطناً حليفاً ضمن الأخلامـو لا أكثـر، وهو ما سنحاول إقامة الدليل عليه الآن.

---

(٢٩) زياد منى: جغرافية .. سبق ذكره، ص ١٠٢.

بإجراء الحسابات الزمنية المقارنة بين التوراة وبين تزمينات التاريخ المصرى، لا يمكن الذهاب بحدث الدخول الإسرائيلى إلى مصر أبعد من زمن الهكسوس، كما لا يمكن أيضاً التقدم به بعد زمن مرنبتاح. وقد تم ذلك التحديد بناء على توافق واضح بين زمن الملك سليمان و بنه رحبعام ملوك الدولة الإسرائيلية الموحدة، وزمن الفرعون الذى جاء ذكره بالكتاب المقدس (شيشق)، الذى قاد حملة كبرى على مملكة إسرائيل الموحدة فى العام الخامس لحكم رحبعام بن سليمان. وهو الاسم الذى يطابق فى التاريخ المصرى القديم اسم الفرعون (شيشنق) أول ملوك الأسرة الثانية والعشرين، الذى حكم حوالى ٩٤٥ – ٩٢٤ ق.م . إذ يقول الكتاب المقدس.

> وفى السنة الخامسة للملك رحبعام صعد شيشق ملك مصر إلى أورشليم، وأخذ خزائن بيت الرب وخزائن بيت الملك وأخذ كل شئ وجميع أتراس الذهب التى عملها سليمان.
>
> ملوك أول ٢٦/١٤، ٢٥

وهذا الحدث قد تأكد بما جاء فى حوليات الفرعون شيشنق التى سجلت له جدولا بالمدن التى انتصر عليها فى بر الشام وإسرائيل. ولما كان الكتاب المقدس يؤكد أن الإسرائيليين قد قضوا ما بين زمن خروجهم من مصر إلى آخر زمن بناء الهيكل زمن سليمان حوالى خمسة قرون تحت حكم القضاة القبلى قبل قيام مملكة إسرائيل الموحدة التى حكم عليها شاول ليتبعه داود ثم ولده سليمان .

فالكتاب المقدس يقول:

> وكان فى سنة الأربعمائة والثمانين لخروج بنى إسرائيل من أرض مصر، فى السنة الرابعة لملك سليمان على إسرائيل فى شهر زيو وهو الشهر الثانى. أنه بنى البيت للرب.
>
> ملوك أول ١/٦

وفق هذه الحسابات – ومع بعض التجاوزات – يجب أن تقع افتراضات الخروج فى الفترة الزمنية الواقعة بين تحتمس الثالث ١٥٠١ – ١٤٤٧ ق.م مروراً بمشاهير الأسرة الثامنة عشر: أمنحتب الثالث ١٤٠٥–١٣٦٧ ق.م وولده إخناتون ١٣٦٧– ١٣٥٠ ق.م وربما حتى زمن رمسيس الثانى ١٢٩٢– ١٢٢٥ ق.م وولده مرنبتاح ١٢٢٥– ١٢١٥ق.م.

ولما كان الكتاب المقدس قد حدد مدة بقاء الإسرائيليين فى مصر بزمن يصل إلى ٤٣٠ عاماً، فيجب أن يكون زمن الدخول قد حدث قبل الخروج بـ ٤٣٠ عاماً مما يعنى أنه لو تحدد لخروجهم زمناً أيام حكم أى فرعون من الأسرة الثامنة عشر، فيجب علينا للعثور على زمن الدخول أن نتعمق فى التاريخ قبلها بما يزيد على أربعة قرون كاملة.

ولو اعتمدت حساباتنا على معطيات المقدس تلك فيجب أن يكون الإسرائيليون قد دخلوا مصر حوالى ١٨٥٥ ق.م أى زمن الدولة الوسطى وبالتحديد بعد حكم الفرعون سنوسرت الثانى ١٩٠٦ – ١٨٨٧ ق.م قبل دخول الهكسوس مصر بحوالى قرنين وربع القرن من الزمان. وهو ما أخذ به باحثون من شاكلة إيمانويل فليكوفسكى فى كتابه عصور فى فوضى.

ولو أخذنا بتقديرات التوراة الزمنية وذهبنا مع أبعد الافتراضات البحثية لزمن الخروج – لكنه أضعفها – بالعودة إلى أيام الفرعونة حتشبسوت ١٥٢٠ – ١٤٨٠ ق.م، فإن الدخول يكون قد حدث حوالى ١٩٥٠ ق.م. وهو زمن سنوسرت الأول الذى حكم فى الدولة الوسطى حوالى ١٩٨٠ – ١٩٣٥ ق.م، ولو أخذنا بتزمين الخروج زمن مرنبتاح بن رمسيس الثانى في الأسرة التاسعة عشر، فسيكون الدخول قد حدث كما أسلفنا حوالى ١٦٥٠ ق.م. بعد احتلال الهكسوس لمصر بعقد أو عقدين من الزمان، أو يكونوا هم ذات عين الهكسوس وهوالقول الذي يستبعده المؤرخون، بعد الكشوف التى تراكمت لتفتح الباب لفروض أخرى بعيده عن فرض يوسفيوس. وبشأن ذلك يلخص روبنسون موقف علم التاريخ من رأى يوسفيوس فيقول روبنسون: " يرى يوسفيوس أن قصة الخروج هى الرواية العبرية لحوادث الهكسوس، وأخذ البعض برأيه أحياناً، بيد أن اختلاف التواريخ يبلغ من الكثرة حداً لا يجوز معه أن نقول بأن هذه الحادثة هى عين تلك. لأن **مائتى سنة** على الأقل قد انقضت بين أجلاء الهكسوس وبين فتح العبريين فلسطين "[١].

إلا أن وجه الإشكال الحقيقى فى كل هذا أن تزمينات التوراة نفسها يشوبها شك كبير، سواء فى تقدير الزمن ما بين الخروج وحتى قيام الدولة السليمانية وهو ٤٨٠ سنة، أو زمن البقاء فى مصر وهو ٤٣٠ سنة، أما مأساة أى باحث هنا أن كليهما ضرورة أساسية لتحديد زمن الدخول والخروج وليس لدينا أية مصادر أخرى بديلة غير التوراة بهذا الشأن .

وقد تكررت شهادات التوراة التزمينية بهذا الصدد، فهناك نص يتحدث فيه الرب مع صديقه إبراهيم يقول له فيه:

> اعلم يقيننا أن نسلك سيكون غريباً فى أرض ليست لهم، ويستعبدون لهم فيذلونهم أربعمائة سنة.
>
> تكوين ١٥/١٣

والتعبير فى النسخة العبرية " ودور ربيعى يشبوا هنا " يعنى أنهم **فى الجيل الرابع** يرجعون إلى هنا، وهو ما يطابقه قول آخر بالتوراة وهو أن بنى إسرائيل عندما دخلوا مصر تناسلوا هناك **لأربعة أجيال فقط** ثم خرجوا من مصر، فهى ترصد سلالة النبى موسى لتعيده إلى جده السبط لاوى شقيق السبط يوسف، إذ أنجب لاوى قهات وأنجب قهات عمران وأنجب عمران موسى، وموسى خرج بالإسرائيليين من

([١]) روبنسون: إسرائيل في ضوء سبق ذكره، ص١٠٧.

مصر(؟!). ويبدو أن حسبة سنوات بقاءهم بمصر قد تمت وفق قائمة أعمار هؤلاء الأشخاص الواردة بالتوراة، حيث قالت أن لاوى عاش ١٣٧ سنة، وقهات ١٣٣ سنة، وعمران / عمرام عاش ١٣٧ سنة (خروج ٦/١٦ – ٢٠) وموسى عاش ١٢٠ سنة فيكون المجموع ٥٢٧ سنة، وبخصم المدة التى قضاها لاوى فى فلسطين قبل نزوله مصر على أخيه يوسف وهى ٥٧ سنة، ثم إضافة المدة التى عاشها موسى بعد الخروج وهى أربعين سنة إذ خرج وعمره ثمانين سنة (خروج ٧/٧)، يصبح المجموع ٩٧ سنة تطرح من ٥٢٧ سنة فتكون النتيجة ٤٣٠ سنة.

وحتى لو أخذنا جدلاً بتلك الأعمار الأسطورية البعيدة عن أى واقع حقيقى، فسيكون معنى ذلك أن كل واحد من هذه الأجيال قد أنجب ابنه فى آخر يوم من حياته، وهى بحد ذاتها استحالة أخرى مضحكة وتلفيق واضح. أما الأزمة الكبرى هنا فستكون فى محاولة الإجابة على السؤال: كيف أمكن لهذه الأجيال الأربعة فقط أن تنجب ذلك العدد الهائل من الخارجين، والذى حددته التوراة فى قولها:

> فارتحل بنو إسرائيل من رعمسيس إلى سكوت نحو ستمائة ألف ماش من الرجال عدا الأولاد.
>
> خروج ١٢ / ٣٧

وإذا أضفنا إلى ذلك الرقم الهائل عدد الأولاد والنساء بافتراض امرأة وطفلين لكل رجل فسيصل الرقم إلى المليونين والنصف مع التحفظ والتواضع فى حساب عدد أفراد الأسر الخارجة من مصر. وهو رقم خيالى إلى حد بعيد، وربما لا يتطابق إلا مع فكرة يوسفيوس أنهم كانوا ذات الهكسوس، تلك الفكرة التى استبعدها علم التاريخ الحديث تماماً.

وإعمالا لذلك تضعنا التوراة وسط أحبولة من المتاهات، ناهيك عن الشرك الأعظم، فحيث تقول النسخة المازورية العبرية أن بقاءهم فى مصر كان لمدة **٤٣٠ عاماً**، فإن النسخة السبعونية اليونانية (سبتواجت) تقول فى ذات الموضع من ذات السفر أنهم بقوا هناك **٢١٥ سنة فقط**، لتجعل اللغز يستعصى تماما ويستغلق؟! فهل ثمة حل؟ علينا هنا إعادة ترتيب المعطيات التى يمكن أن تساعدنا على امساك مفاتيح الحل، لتحديد موعد دخول بنى إسرائيل مصر أولاً، وفى زمن أى فرعون تحديدا؟ .

أولاً: يصعب كما قلنا آنفاً تصور فرعونا مصريا يهدى راعيا بدويا مثل إبراهيم جارية مصرية، وانتهينا إلى أنه قد دخل مصر ضيفا على أحلافه أو ذوى قرابته، خاصة أنه بعد ما خرج من مصر نزل فى طريقه إلى فلسطين ضيفاً على المملكة الفلسطينية جرار، وقد علمنا أن هذا التواجد الفلسطينى المبكر قد حدث بفعل تهجير إمبراطورية الهكسوس للشعوب التى كانت تخضع لها. ومن هنا نرجح أن يكون إبراهيم قد دخل مصر زمن حكم الهكسوس، وبحسابات الأجيال بينه وبين يوسف عبر إسحق ثم يعقوب، يمكن ترجيح أن يكون إبراهيم قد دخل مصر

زائراً زمن ملك الهكسوس بنون المعروف باسم **سكا أو اسحق أو الضحاك** كما استنتجنا أو ربما زمن الملك التالى له مباشرة (أبوفيس الأول/ابخنان/أبو الغنم) في أبعد تقدير.

ثانياً: أن يوسف عندما دخل مصر كان سلاح العجلات التى تجرها الخيل معروفاً هناك، أو على الأقل فى القصر الحاكم ومحيطه، ونحن نعلم الآن يقينا أن ذلك السلاح، والخيل نفسها، لم تعرفهم مصر إلا مع مجئ الهكسوس إليها، مما يعنى أن يوسف قد دخل مصر زمن الهكسوس، أو بعد زمنهم حيث تكاثرت العجلات والخيل فى مصر زمن الدولة الحديثة الفرعونية. وفى التوراة نصوص كثيرة تؤكد وجود العجلات فى مصر زمن يوسف منها مثلا:

> فقال فرعون ليوسف .. خذوا لكم من أرض مصر عجلات لأولادكم ونسائكم واحملوا أباكم وتعالوا، ولا تحزن عيونكم على أثاثكم، لأن خيرات جميع أرض مصر لكم. ففعل بنوا إسرائيل هكذا وأعطاهم يوسف عجلات بحسب أمر فرعون.. فصعدوا من مصر وجاءوا إلى أرض كنعان إلى يعقوب أبيهم.. وأبصر العجلات التى أرسلها يوسف لتحمله..
>
> تكوين ٤٥/ ١٨ – ٢٧.

ثالثاً : أن يوسف تم تعيينه على خزانة المصريين بأمر فرعون الحاكم ، وأنه قام إبان سنوات القحط بشراء الأراضى المصرية من أهلها لصالح الفرعون كذلك شراء حيوانات المنزل والحقل، كذلك المصريين أنفسهم ليحولهم إلى عبيد للفرعون، مما يعنى نظاماً جديداً تماماً مخالفاً للنظام السابق، وظل معمولا بهذا النظام الجديد فترة طويلة بعد طرد الهكسوس من مصر حتى ألغاه أحد الفراعنة فيما بعد، وأعاد توزيع الأراضى على الفلاحين. أى أن الحدث جميعه يجب أن يقع إبان زمن حكم الهكسوس لمصر أو بعده.

رابعاً: أن يوسف عندما استدعى أبيه وإخوته وبقية أهل بيته إلى مصر، أخذ عربته الحربية وأسرع **لاستقبالهم** على الحدود وأن ذلك السفر من مقر إقامة يوسف بالقصر الحاكم إلى الحدود المصرية مع سيناء، قد استغرق يوما واحداً. وهو الأمر الذى يحدد لنا موقع العاصمة المصرية آنذاك، إذ لابد أن تقع فى تلك الحال على الأطراف الشرقية للدلتا فى محيط محافظة الشرقية الحالية، فى نقطة ما قرب مدينة الزقازيق. هذا بينما نعلم أن عاصمة مصر زمن الدولة القديمة كانت منف، ثم انتقلت جنوبا إلى طيبة / الأقصر/ واست زمن الدولة الوسطى، فى أقصى جنوب مصر، ولم تتحول العاصمة إلى الشمال إلا مع غزو الهكسوس الذين سكنوا مدينة حواريس، على الحدود الشرقية للدلتا المصرية حتى يمكنهم إحكام الاتصال مع بقية الإمبراطورية بالتواجد قرب خطوط المواصلات الدولية. وقد انتقلت العاصمة فور طرد الهكسوس إلى طيبة مرة أخرى، ولم تقم مدن كبرى فى الشمال بعد ذلك إلا ابتداء من زمن الرعامسة، وكانت المدينة

التى أنشأوها باسم رعمسيس قد بنيت على تلول أطلال مدينة حواريس الهكسوسية، فقط كمقــر صيفى لملــوك الأسرة التاسعة عشر وليس كعاصمة. ولما كان من المســتحيل زمنيــا دخــول يوسف وأهله زمن الرعامسة، فلابد فى هذه الحال أن يكون قد دخل مصر زمن الهكسوس، **لأنه الزمن الوحيد الذى يتيح وجود االقصر الحاكم على مسافة يوم من الحدود السينائية، وفى زمن كانت مصر قد عرفت فيه العجلات التى تجرها الخيول.**

خامساً فى الذكريات العربية القديمة التى أورد القرآن طرفا منها، نجد الآيات تتحدث دوما عــن ملــك مصر باسم الفرعون إلا زمن يوسف وحده فقط. فهى تتحدث عن **حاكم مصــر بلفــظ الملــك، وتختفى تماما كلمة فرعون فى قصة يوسف القرآنية،** فقط تظهر إلى جوار شخصــية الملــك شخصية أخرى باسم **العزيز**، وهى تسمية سامية كما هو واضح، وانه هو الذى اشترى يوســف. مما يشير إلى أن رئيس الشرطة (العزيز) كان ساميا وليس مصريا، رغم أن التوراة تذكره باسم مصرى واضح هو (فوطى فارع)، وربما تسمى رئيس الشرطة الهكسوسى باسم مصرى علــى عادة سادته الهكسوس، حيث حمل حكام الهكسوس ألقابا ملكية مصرية. إلا أن اللافت للنظر هنا تطابق اسم **(عزيز)** مع اسم حاكم الهكسوس الأخير **(أسيس)** مما يشير إلى بعض الخلــط، وأن الأصل الصحيح ربما كان يشير فى الصيغة السامية للملك نفسه باسم العزيز. وهو ما يتفق إلــى حد التكامل مع رواية الكتاب المقدس حيث نفهم من تلك القصة أن هناك تغيراً هائلاً قد حدث فى الهيئة المصرية الحاكمة آخر أيام يوسف، وأن هذا التغيير جاء بحكومة لا تعــرف يوســف ولا أهله، كما نفهم أن يوسف وأهله قد تحولوا من سادة مترفين ورؤساء مقربين من القصر الحاكم، إلى أسرى وعبيد، كما فى النص:

> ثم قام ملك جديد على مصر لم يكن يعرف يوسف، فقال لشعبه هوذا بنو إســرائيل شعب أكثر وأعظم منا، هلم نحتال لهم لئلا ينموا فيكون إذا حدثت حرب، أنهم ينضمون إلى أعدائنا ويحاربوننا ويصعدون من الأرض، فجعلوا عليهم رؤســاء تســخير لكــى يذلوهم بأثقالهم فبنوا لفرعون مدينتى مخازن فيثوم ورعمسيس.
>
> خروج ١ / ٨ - ١٠

وهو الأمر الذى يشير إلى متغير عظيم يفسر الأحداث التى ســردتها التــوراة وهــى تفســره بدورها، حيث يمكن أن نفهم أن الحكام الجدد لم يكونوا من سكان المنطقة الشمالية التى ســكنها الملوك وأتباعهم الإسرائيليين فى شرقى الدلتا، بحيث أنه لم يكن بإمكانهم معرفة قيمــة يوســف وأهله. بل على العكس تماما، كانوا يحملون لهم ضغينةشديدة، إلى حد أنهم كانوا يشــكون فــى ولائهم إلى حد توقع تحالفهم مع أعداء البلاد. كما أن هؤلاء الملوك الجدد كانوا حريصين علــى عدم ترك هؤلاء الضيوف الثقلاء يغادرون مصر، ممايعنى أنهم قد أصبحوا أسرى. وكانت البلاد

بحاجة إلى الخدمات الرخيصة لمثل هؤلاء العبيد فى بناء مدن جديدة، منهــا مدينـــة رعمســيس بالتحديد التي انتهينا إلى أنها فى الأصل كانت مقراً للهكسوس باسم حواريس، مما يعنى أنه قد تم تدميرها فى حرب التحرير وأصبحت بحاجة للإصلاح والبناء من جديد. إن ما حدث فـــى تلـــك اللحظة التاريخية التى تسوقها التوراة على عجالة، يشير إلى آخر زمن لأخر ملـــك هكسوســـى، والى قيام حرب التحرير وطرد الهكسوس من مصر، وأسر بعضهم ومن لحق بهم للقيام بأعمال البناء الشاقة، وهو الأمر الذى لا شك يقع زمن فرعون التحرير الملك المظفر (أحمس).

سادساً :بينما نفهم من القصة التوراتية أن يوسف قد عاش فى القصر الملكى الواقع بمنطقة باسم جاسان، وأن أهله قد اشتغلوا فى مراعى الملك المصرى وضياعه، نجد الأمر يختلف تماماً زمن الحفيـــد موسى، وإليك النصوص التى توضح هذا الأمر، يقول النص حاكيا لحظة وصول أهل يوســـف إلى مصر:

> ثم جاءوا إلى أرض جاسان، فشد يوسف مركبته وصعد لاســـتقبال إســـرائيل أبيه، إلى جاسان، ولما ظهر له وقع على عنقه، وبكى على عنقه زماناً، .. ثـــم قال يوسف لإخوته ولبيت أبيه: أصعد وأخبر فرعون، وأقول له: إخوتى وبيـــت أبى الذين فى أرض كنعان قد جاءوا إلىّ، والرجال رعاة غنم ، فإنهم كانوا أهل مواشى، وقد جاءوا بغنمهم وبقرهم وكل ما لهم، فيكون إذا دعاكم فرعون وقال: ما صناعتكم؟ أن تقولوا: عبيدك أهل مواشى منذ صبانا إلى الآن، نحن وآباؤنـــا جميعاً ، لكى تسكنوا فى أرض جاسان، لأن كل راعى غنم رجس للمصـــريين. فأتى يوسف وأخبر فرعون وقال : أبى وأخوتى وغنمهم وبقرهم وكل ما لهـــم، جاءوا من أرض كنعان وهوذا هم فى أرض جاسان، وأخذ **من جملـــة إخوتـــه خمسة وأوقفهم أمام الفرعون،** فقال فرعون لإخوته: ما صـــناعتكم؟، فقـــالوا لفرعون: عبيدك رعاة غنم وآباؤنا جميعاً، وقالوا لفرعون: جئنا لنتغـــرب فـــى الأرض، إذ ليس لغنم عبيدك مرعى، لأن الجوع شديد فى أرض كنعان، فـــالآن ليسكن عبيدك فى أرض جاسان، فكلم فرعون يوسف قائلا: أبوك وأخوتك جاءوا إليك، أرض مصر قدامك، فى أفضل الأرض أسكن أباك وإخوتك، **ليسكنوا فـــى أرض جاسان، وإن علمت أنه يوجد بينهم ذوو قدرة، فاجعلهم رؤساء مواشى على التى لى،** ..فاسكن يوسف أباه وإخوته **وأعطاهم ملكا فى أرض مصر** فـــى أفضل الأرض، **فى أرض رعمسيس كما أمر فرعون.**
>
> تكوين ٤٦ / ٢٨ - ٣٤ و ٤٧ / ١ - ١١

إن كاتب هذا النص، كان يعلم أن مقر القصر الحاكم يقع فى أرض جاسان، وأن المدينة الإدارية للحكم هى التى أصبحت تعرف فيما بعد باسم مدينة (رعمسيس)، أما اللافت للنظر فهو إصرار يوسف على تنبيه أهله للفرعون أنهم رعاة غنم، والغنم والماعز معا يطلق عليها (عنز) و (معز). إن هذا الإصرار لاشك يحمل معنى يجعل أصحاب هذا المعز محل اطمئنان وثقة الفرعون إن علم به، وأنه إذا علم بذلك فسيسكنهم بقربه وهو ماحدث بالفعل، حيث أقطعهم أرضا يملكونها فى مقاطعة جاسان، بل وجعلهم المسئولين عن رعاية ما يملك هو من (عنز). ثم ما لايجب ان يفوت العين الفاحصة هنا ان جاسان هذه كان لا يسكنها مصريون حينذاك، إنما عنصر آخر يكرهه المصريون، عنصر بدوى عنزى، فقد أكدوا للفرعون أنهم أهل **عنز** " لكى تسكنوا أرض جاسان، لأن كل راعى غنم رجس عند المصريين "، وهو ما يشير إلى انفصال واضح فى مواضع السكنى بين الرعاة الأنجاس وبين المصريين من أهل البلاد، كما يشير أيضاً إلى أن أرض جاسان جميعاً كانت موئلا للرعاة، حتى تصلح لسكنى الملك وقومه ويوسف وقومه دون المصريين، **لقد كان الملك بدوره من الرعاة أما المبهر فهو أن تكون جاسان وهي مسكن البدو المكروهين من المصريين مقراً للقصر الحاكم وأن يصر يوسف على تنبيه أهله البدو إبراز صناعتهم (الرعي) كي يتمكنوا من السكن قرب قصر الفرعون..**

ويبدو أيضاً أن المصريين كانوا لايأتون إلى جاسان إلا زوارا، سفراء، أو عملاء تجاريين، لانعلم، لكنه ما يتضح من نص آخر عندما حان موعد اشتراك إخوة يوسف فى مأدبة طعام أقيمت للضيوف، حيث يقول النص:

> وقال (يوسف): قدموا طعاماً، فقدموا له وحده، ولهم (إخوته) وحدهم، وللمصريين الآكلين عنده وحدهم، لأن المصريين لايقدرون أن يأكلوا طعاماً مع العبرانيين، لأنه رجس عند المصريين.
>
> تكوين ٤٣ / ٣٢

أما زمن (موسى) بعد يوسف بثلاثة أجيال، فإننا بالتدقيق نستطيع أن نفهم أن الوضع لازال كما هو، فالإسرائيليين يعيشون فى (رعمسيس)، ولم تزل جاسان منطقة معزولة بأهل العنز عن المصريين أهل الزرع، أللهم إلا زواراً مصريين من هنا أو هناك، مشرفين وإدرايين أو جنود يشرفون على أعمال البناء. لكنا نلحظ فى الوقت ذاته **أن رعمسيس فى جاسان لم تعد مقراً للقصر الحاكم فى زمن موسى،** وهو ما يتضح فى أسطورة الضربات التى وجهها إله الاسرائيليين يهوه إلى بلاد مصر، فكانت تصيب المصريين وتصيب البلاط المالك ولا تصيب الإسرائيليين، **مما يعنى أن مقر البلاط قد أصبح حينذاك بعيداً عن جاسان حيث يعيش الإسرائيليون**. وهو ماتفصح به نصوص تقول:

> ثم قال الرب لموسى: بكر فى الصباح وقف أمام فرعون، إنه يخرج إلى الماء، وقل له هكذا: يقول الرب أطلق شعبى ليعبدونى، فإنه إن كنت لا تطلق شعبى، ها أنا أرسل

عليك وعلى عبيدك وعلى شعبك وعلى بيوتك الذبان، فتمتلئ بيوت المصريين ذباناً، وأيضاً الأرض التى هم عليها، **ولكن أميز فى ذلك اليوم أرض جاسان حيث شعبى مقيم، حتى لايكون هناك ذبان،** لكى تعلم أنى أنا الرب فى الأرض، وأجعل فرقا بين شعبى وشعبك، غداً، تكون هذه الآية، ففعل الرب هكذا، **فدخلت ذبان كثيرة إلى بيت فرعون وبيوت عبيده وفى كل أرض مصر، خربت الأرض من الذبان.**

خروج ٨ / ٢٠ - ٢٤

ونموذجا آخر فى ضربة البرد والنار:

ثم قال الرب لموسى: مد يدك نحو السماء، ليكون برد ، فى كل أرض مصر، على الناس وعلى البهائم وعلى كل عشب الحقل فى أرض مصر، فمد موسى عصاه نحو السماء فأعطى الرب رعوداً وبرداً وجرت نار على الأرض، وأمطر الرب برداً على أرض مصر، فكان برد ونار متواصلة فى وسط البرد، شئ عظيم جداً لم يكن مثله فى كل أرض مصر منذ صارت أمه، فضرب البرد فى كل أرض مصر ، جميع ما فى الحقل من الناس والبهائم، وضرب البرد جميع عشب الحقل وكسر جميع شجر الحقل، إلا أرض جاسان حيث كان بنو إسرائيل، فلم يكن فيها برد.

خروج ٩ / ٢٢ / - ٢٦

كذلك فى ضربة الظلام:

ثم قال الرب لموسى: مد يدك نحو السماء ليكون ظلام على أرض مصر، حتى يُلمس الظلام، فمد موسى يده نحو السماء فكان ظلام دامس فى كل أرض مصر ثلاثة أيام، لم يبصر أحد أخاه ولا قام أحد من مكانه ثلاثة أيام، ولكن جميع بنى إسرائيل كان لهم نور فى مساكنهم.

خروج ١٠ / ٢١ - ٢٣

وهذا بالطبع لا يعني وقوع تلك الضربات اليهودية وجل ما يعنيه أن الكاتب التوراتي والذاكرة الحافظة كانت تعلم أن البلاط المصري قد انتقل من جاسان إلى العمق المصري.

وإعمالا لكل هذا، فإن إشارات التوراة التى تؤكد أن يوسف قد دخل هو وآله إلى مصر، وسكنوا رعمسيس بأرض جاسان إلى جوار قصر الفرعون، فإن ذات الإشارات تؤكد أن هذا الوضع قد تغير آخر أيام يوسف، وماتلاه من سنين حتى زمن موسى، حيث انتقل القصر المالك ليكون وسط المصريين وبعيداً عن الإسرائيليين، وتحيق به الضربات التى كان ينزلها رب إسرائيل بالمصريين بينما لا تصيب الإسرائيليين مما يعنى أن كاتب تلك الأسطورة كان يعلم أن القصر الملكى حينذاك قد كان فى عمق الأراضى المصرية بعيداً عن جاسان التى لم تلحقها تلك الضربات. **إن الأمر يشى بكل وضوح إن يوسف وآله قد دخلوا مصر**

على سادتها آنذاك من الهكسوس، وكان ذلك تحديداً زمن آخر ملك هكسوسى هو أسيس أو العزيز الملقب مصريا باللقب أبوفيس أى الحية التنين، وكانت عاصمته حواريس عند الشرقية. وبمجرد أن ينتهى عصر أسيس حتى يظهر لنا فى التوراة ملوك بل وحكومة بل واتجاه عام جديد تماما، يتحول معه يوسف وأهله من أصحاب ضياع ورئاسة مكرمين إلى عبيد فى الأعمال الشاقة مسخرين. وتنتقل العاصمة مع هذا التحول بعيداً إلى طيبة جنوب مصر مرة أخرى.

لكن يبقى أمر لايصح المرور عليه هكذا دون وقفة تحاول فهم تفصيلات ما حدث، وهو قصة السنوات السبع العجاف، ومعلوم يقينا أن النيل أبداً لا يسير على الوتيرة التى صورتها القصة التوراتية، فهو لا يستمر سنوات سبع دون فيضان أبداً. لكننا نعلم يقينا أن قصة السنوات العجاف السبع كانت تنتشر فى البلاد الفلسطينية والشامية عموما، حيث كان بالإمكان حدوث متغيرات مناخية تؤدى إلى ندرة الأمطار لسنوات متتابعة، أما النيل فلم يحدث أن جاء منخفضا إلى حد المجاعة لعدد من السنوات المتتالية المحددة بالرقم المقدس عند الساميين (سبعة).

هنا نستعين بالتمرين المدرسى للتلميذ المصرى الصغير بيتاعور أو بنتاأور الذى كان يدبج موضوعا فى التعبير الإنشائى عن أول فرعون فى ثورة التحرير ضد الهكسوس، وهو الفرعون (سقنن رع) زمن آخر حكام الهكسوس أسيس الملقب (أبوفيس) ونتذكر كلماته وهو يقول:

> حدث أن أرض مصر كانت فى جائحة شنعاء، ولم يكن للبلاد حاكم يعد ملكا فى هذا الوقت، وقد حدث أن الفرعون سقنن رع كان حاكما على المدينة الجنوبية (طيبة / المؤلف)، لكن الجائحة الشنعاء كانت فى بلد العامو (حواريس / المؤلف)[٢].

فماذا يعنى بالجائحة الشنعاء؟ ليس لدينا أى خبر عنها سوى تلك العبارة، لكن التاريخ المقدس يمكنه أن يفسر لنا تلك الجائحة الشنعاء التى حدثت فى منطقة العامو / الهكسوس. فلا شك أنها كانت تعنى ذلك الجفاف الذى سمى (سنوات سبع عجاف). لكن التلميذ وهو يكتب موضوعه الاختبارى كان حريصا على الحصول على درجات متميزة. لذلك لم تفته بعض دقائق الموقف، فأكد أن تلك الجائحة كانت فى بلد العامو (حواريس) حيث يحكم أبو فيس، بينما لم ينل المصريين المتحصنين عند طيبة بقيادة سقنن رع شيئا. فكيف نفسر جفافا فى الشمال وخصبا رغيداً فى الجنوب؟.

هنا نعيد قراءة رسالة الملك أسيس الملقب بلقب (أبوفيس الثالث) يستفز فيها الفرعون المصرى ملك طيبة (سقنن رع تاعا) ويقول له: " إن الملك أبو فيس يطلب منك أن تأمر فرس النهر ليهجر **بحيرته** التى تقع

---

٢) سليم حسن :مصر القديمة.. سبق ذكره ج٤ ص ١٢٨.

فى **ينبوع** المدينة الجارى، لأنه لا يسمح للنوم أن يغشى عينيه ليلا ولا نهاراً .. لأن صياحه يطن فى أذنيه باستمرار "[٣].

ولطالما ظلت تلك الرسالة تحتمل عدداً من التفاسير التى تجمع على أنها لون من الألغاز التى كانت عادة يتبادلها ملوك العالم القديم وتحمل دلالات أعمق من الظاهر، فما هى رمزية أفراس النهر هنا وضجيجها؟! قيل هو ضجيج السلاح والعسكر والتهيؤ للثورة على الهكسوس وهو مالم يرض الملك الهكسوس فأرسل بتلك الرسالة المنذرة. لكن علام ترمز البحيرة؟ وليس فى طيبة بحيرات!! هناك النيل، فمتى نشأت تلك البحيرة؟ والرسالة تقول أن البحيرة تقع فى ينبوع المدينة، وهناك نيل لاينابيع، فالحديث عن بحيرة تكونت بفعل النيل، فكيف كان ذلك؟ ويدعم مثل تلك التخريجات ماجاء بعد ذلك فى النص الذى يحكى عن الملك سقننرع بعد أن قرأ رسالة أبوفيس: " هنا صمت أمير المدينة الجنوبية ولم يستطع أن يجيب على رسالة الملك أبوفيس، وقد **تعجب كيف عرف أبوفيس عن البحيرة** التى فى ينبوع المدينة الجارى "؟ يعقب هنا حماد فيقول: " يظهر أن فرس النهر الذى فى البحيرة التى فى ينبوع المدينة الجارى ترمز إلى خطة **بحرية** يدبرها الملك المصرى لمقاومة الهكسوس .. مما أزعج ملكهم.. أو أن ملك الهكسوس أبو فيس قد فطن إلى محاولة أمير الجنوب مما طلته للاستعداد، لذلك فقد باغته بالهجوم عليه بجيشه "([٤]). وانتهت هذه المعركة بمقتل سقنن رع المصرى، لكنها كانت فاتحة حروب التحرير المصرية ضد الهكسوس. **ويبقى التساؤل ماهى تلك الخطة البحرية، خطة يستخدم فيها الماء فى الحرب، وتنشأ عنه بحيرة لم تكن موجودة قبل ذلك**، وأن تلك الخطة كانت محاطة بالتكتم والسرية وهو ما يشير إليه تساؤل سقننرع: كيف عرف ملك الهكسوس بوجودها؟

نظننا وجدنا الإجابة فى أكثر من حادثة فى تاريخ مصر القديمة تشير إلى استخدام النيل كوسيلة فى الحاق الخسائر بالخصوم، فإبان العصر المتوسط الأول وانقسام مصر لأقاليم، حكم على إقليم مصر الوسطى (أهناسيا) الفرعون (خيتى)، الذى عمل على إعادة توحيد مصر مرة أخرى، وإبان ذلك حدثت عدة حروب طاحنة لإعادة الدلتا لمصر الموحدة، وضمن تلك الحروب كانت معركته ضد مدينة (إتريب/ بنها الحالية)، ولدينا نص بأمر موجه من الملك خيتى بهذا الشأن يقول:

" أقم سداً ضد نصف البلاد واغمر النصف الثاني بالمياه بما فى ذلك مدينة أتريب ."

[٣] محمد حماد: كامس.. سبق ذكره، ص٥١

[٤] نفسه ص٥٣.

ويعقب سليم حسن هنا قائلا إن " هذه الجملة مع إيجازها لها أهمية استثنائية إذ تبرهن لنا أن **كل المدن فى الدلتا كانت تتوقف حياتها على النيل** " ثم يشرح بأن مدينة اهناسيا حاضرة الملك خيتى قد أقامت ضد أتريب سداً فى النيل لإخضاعها " وهذا السد طبعاً يكون فى عرض النهر لأجل وقف الملاحة ولاجبار المدينة المناهضة على التسليم والخضوع ". وذلك يفسر لنا النص الفرعونى الذى يصف الفرعون بأنه " يمنع المدن من أن تثور لأنه سيد النيل، وأنه بإرادته يمكنه أن يأتى بالنيل **أو لا يأتى** إلى مدن الدلتا "([5]).

ثم نجد هيرودوت يحكى لنا عن ذلك الأسلوب فى تحويل مجرى نهر النيل فى زمن فرعون آخر لكن لأسباب أخرى فيقول:

قال لى الكهنة: إن أول ملوك مصر مينا، وأنه هو الذى **أقام الجسر** الذى يقى مدينة ممفيس خطر فيضان النيل فقد كان قبل عهده يفيض على طول سلسلة من التلال الرملية التى تحد مصر من ناحية ليبيا، فصنع **سداً وسط النيل** عند المنحنى الذى يكونه النهر جنوبى ممفيس بحوالى مائة فورلنج، وبذا جفف مجراه القديم، وفى نفس الوقت حفر له طريقاً جديداً فى منتصف المسافة بين صفى التلال([6]).

إن الخطة البحرية التى أنشأت بحيرة جديدة فى الجنوب وأقض صوت الثوار فيها مضجع الملك الهكسوسى فشبههم بأفراس النهر لطول عملهم فى الماء، كانت بالضبط **تحويل مجرى نهر النيل**. ويأتينا التفسير من الفرعون كامس ثانى فراعنة التحرير، وهو يعبر عن سخطه من المحتلين ويقول:

إلى أى مدى أدرك كنه قوتى هذه؟ عندما أرى حاكما جالساً فى أواريس وآخر فى بلاد كوش وأنا أجلس مشتركا مع رجل من العامو وزنجى، وكل رجل منهما مسئول عن جزئه من مصر هذه؟ أن ذلك الذى يقاسمنى الأرض، لن أجعله يمر فى ماء مصر حتى منف([7])؟

(كامس) هنا يضئ أمامنا تفسيراً موضوعيا تماماً للسنوات العجاف فى الشمال، لقد كان هو نموذج (مينا) فى قصة (هيرودت)، أو أنه كرر ما فعله سلفه العظيم، ليمنع الهكسوس حتى من استخدام السفن النيلية، وأنها لن تتمكن حتى الوصول من حواريس فى شرق الدلتا إلى منف " **لن أجعله يمر فى ماء مصر حتى منف** " لقد سد الفرعون نيل مصر من الجنوب، وكان منع الماء جائحة شنعاء متعددة الوجوه، فهو إذا كان سيؤدى إلى مجاعة فى الشمال، فإنه سيعوق هبوط سفن الهكسوس العسكرية جنوبا.

٥)سليم حسن: أقسام مصر الجغرافية في العهد الفرعوني، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٤٤،ص٣٢.

٦)إيفانز: هيرودوت.. سبق ذكره،ص٩٤.

٧)سليم حسن: مصر القديمة.. سبق ذكره،ج٤،ص١٤٠.

ولأن مسألة (سبع سنوات عجاف) كانت غير مقبولة مع وجود النيل العظيم، فقد جـرت محـاولات عـدة لتفسير ذلك الأمر، وآخر ما سمعته فى الإذاعة العربية من راديو لندن يوم الجمعة ١٩٩٦/٢/٩ فى برنامج دنيا العلوم، حيث أجرت مقدمة البرنامج حواراً مع العالم (كولن همفرس) البروفيسور بجامعة كمبـردج، لتسمع اكتشافه لتفسير قصة السنوات العجاف، حيث أكد أن النيل لا يتوقف أبداً سبع سـنين، ثـم رأى أن المجاعة قد شملت بلاداً أخرى مثل كنعان بدليل رحيل أبناء يعقوب إلى مصر للحصـول علـى الطعـام قادمين من كنعان، كذلك قدم تفسيره بانفجار بركان سانتورينى بجزيرة ثيرا فى المتوسط، وهـو انفجـار عظيم أدى إلى انتشار المطر الحامضى الذى يحمل حمض الكبريت، مما أوقف الأشجار عن النمـو فـى مساحة كبرى وصلت إلى أمريكا، حيث ارتفعت اللافا ٣٦كم فى الجو، وكان بذلك كارثة عالميـة، بـدليل رحيل أبناء يعقوب إلى مصر للحصول على طعام، وإن دراسة كولن همفرس ترجح دوام تأثير البركـان الذى حدث فى المتوسط لمدة تصل إلى سبع سنوات، وانه قد تم تحديد أثره بدراسة حلقات أشجار البلوط.

وقبل همفرس كان (سبيريدون مارينا توس) ينقب فى ميناء قريب من ميناء كونسوس فاكتشف حفرة مليئة بالخفاف البركانى، كما اكتشف دلائل على أن أمواجا عاتية طغت على الموقع واكتسـحت فـى تراجعهـا أشياء ضخمة من أماكنها الأصلية. وأعرب مارينا توس عن اعتقاده بأن انهيار كريت لم يكن بسبب غزاة أتوها من الخارج كما يعتقد معظم المؤرخين، إنما إلى كارثة طبيعية عنيفة حلت بالجزيرة. وأشـار إلـى احتمال أن يكون مصدر هذا الخراب هو الجزيرة البركانية الصغيرة المسماة ثيرا والتى تبعـد ٧٥ مـيلا شمال كريت. وكانت ثيرا فى الماضى مستديرة الشكل يبلغ محيطها حوالى أحد عشر ميلا، أما حاليا فهـى ممزقة إلى ثلاثة قطع تلمحها من الجو كيف كانت واحدة مستديرة. ويتوسط الجزر الـثلاث قبـة سـوداء تعلوها فوهة بركان. ويقول محمد العزب موسى فى حديثه عن غرائب العالم القديم إن هذا البركان كـان أقوى انفجار بركانى عرفه العالم. وكى نعلم مدى ضخامة الحدث، فإنه يقارنه بحدث مشابه لبركـان مـن ذات النوع والمواصفات هو بركان كراتوكا الذى وقع وتم تسجيل تفاصيله سنة ١٨٨٣م . وضـمن تلـك التسجيلات ان غباره تساقط في دائرة نصف قطرها ٨٠٠ ميل، وسمع صوت انفجاره فـى جزيـرة رود ريجويز على بعد ٣٠٠٠ ميل، وارتفعت سحبه مسافة ٥٠ ميل، وحطمت الموجـة الصـوتية لانفجـاره الجدران لمسافة ١٠٠ ميل، ورفع البحر في موجة مد دمرت ٣٠٠ مدينة وقتلت ٤٠,٠٠٠ شخص تحـت الموج الذى اجتاح مدنهم، وقد وصل هذا المد إلى مسافة تبعد حوالى ٧٠٠٠ ميل وظل الناس لعدة شـهور في مختلف أنحاء العالم يرون الشمس تشرق خضراء ثم تتحول إلى زرقاء ثم تغرب مصحوبة بوهج شديد يستمر فترة، وكذلك استمر شأن القمر لعدة شهور، نتيجة العالق من الغبار البركانى فى الفضاء.(٨)

٨)محمد العزب موسى: حضارات .. سبق ذكره، ص٥٢، ٥٣.

وبدراسة (همفرس) أمكن تحديد زمن البركان الذى حدث حوالى عام ١٦٢٨ق.م، وامتد أثره سبع سنوات، أى أنه انتهى حوالى عام ١٦٢١ ق.م، **وبالحسابات ستجد أن تقديرات البروفيسور (همفرس) ستلقى بنا إلى آخر أيام الهكسوس فى مصر**، وهو ما يعنى أن شمال مصر فى ذلك الحين (الدلتا) قد أصابها من ذلك البركان نصيبا عظيماً أدى إلى كارثة زراعية كبرى. فإذا كان ما قال (همفرس) قد حدث بالفعل، فإن (كامس) قد استثمر ذلك استثماراً عظيماً بتحويل مجرى النهر، لتصبح الجائحة (شنعاء) بالفعل. أما أن يقوم المصريون جنوباً بسد مجرى النيل وتحويله، فكان أمراً لا يمكن إخفاؤه، وقد شعر به الهكسوس، وعرف (أسيس / عزيز) بما يحدث، ذلك الحدث الذى جاء ترميزاً فى أسطورة حلم البقرات السبع والسنابل السبع، لقد عرف ما يحدث جنوباً، وأراد إطالة الأمر بمحاولة تخزين الحبوب للسنوات العجاف المقبلة.

هذا ما كان عن محاولتنا تزمين الدخول، فماذا عن الخروج؟

لو أخذنا بالتقديرات الحسابية التى قام بها فريق البحث الانجليزى بقيادة البروفيسور كولن همفرس، والذى انتهى إلى توقيت بداية السنوات العجاف السبع بحوالى عام ١٦٢٨ق.م ، مما يعنى أن نهايتها كانت حوالى عام ١٦٢١ ق.م، وهو زمن قريب جداً من بداية حكم أحمس فرعون التحرير ومؤسس الأسرة الثامنة عشرة والدولة الحديثة دولة الإمبراطورية، حيث حكم حوالى ١٥٨٠ ق.م، بفارق أربعين عاماً فقط عن تقديرات همفرس لسنوات العجف، مما يشير حسب خطتنا إلى أن تلك السنوات كانت آخر سنين الهكسوس بمصر، وربما كانت أربعين عاماً رقماً كبيراً بعض الشئ، فالحسابات لن تكون بمنتهى الدقة، وربما كان الفارق أقل من ذلك، وهو الزمن الذى استغرقته حرب التحرير. مرة أخرى لو أخذنا بذلك التقدير ١٦٢١ ق.م لبداية حرب التحرير حسب فروضنا، وأن الأمور استقرت بطردهم نهايتها وبداية حكم الأسرة الثامنة عشرة المستقرة ــ خلال عشر سنوات مثلا ــ أى حوالى عام ١٦١١ق.م. وكفرض تجريبى لمحاولة تزمين خروج بنى إسرائيل من مصر الذين تم أسرهم فى مصر بعد طرد الهكسوس، سنقوم بطرح ٤٣٠ سنة وهو الزمن الذى حددته التوراة المازورية العبرية العربية لبقاء بنى إسرائيل بمصر، من ١٦١١ ق.م، فتعطينا زمن ١١٨١ ق.م، وهو زمن حكم رمسيس الثالث الذي حكم ١١٩٨ – ١١٦٧ ق.م. وهى كما يرى قارئنا نتيجة خاطئة تماماً، حيث كان الإسرائيليون حينذاك بفلسطين مستقرين فيها فعلا، إضافة إلى أنه لن يبقى لقيام مملكة سليمان سوى حوالى مائتى عام فقط، وهو ما يخالف تقرير التوراة حول الزمن الذى أنصرم ما بين الخروج وبين بناء سليمان للهيكل، وهو ٤٨٠ سنة كاملة، ولو حسبنا تلك المدة خصماً من عام ١١٨١ ق.م، فسيكون الهيكل قد بنى حوالى عام ٧٠٠ ق.م، وهو ما يخالف الزمن المفترض لحكم سليمان مخالفة شديدة، حيث اتفق على أنه كان زمن حكم الفرعون شيشنق الأول الذى حكم ٩٤٥ – ٩٢٤ ق.م.

ولو افترضنا أن هناك خطأ فى تزمين التوراة المازورية، وأخذنا بتزمين التوراة السبعونية لمدة بقاء بنى إسرائيل بمصر وهو ٢١٥ عاما، وأعدنا الحسابات مرة أخرى بطرح ٢١٥ عاما من ١٦١١ق.م، فسيعطينا عام ١٣٩٦ق.م، وهو زمن حكم الفرعون **آمنحتب الثالث** الذى حكم ١٤٠٥ - ١٣٦٧ق.م.

ونتذكر الآن ما سجله يوسفيوس نقلا عن العبقرى المصرى (مانيتو) الذى حدد لنا زمن الخروج أيام فرعون باسم آمنوفيس / **آمنحتب**، دون أن يحدد لنا أى آمنحتب، خاصة أننا نعلم أن ابن آمنحتب الثالث المعروف باسم إخناتون كان يحمل اسم آمنحتب الرابع، وتتطابق معه إلى حد مدهش صفات فرعون الخروج آمنحتب التى دونها لنا (يوسفيوس) نقلا عن (مانيتو). فهو رجل لايحب الحرب ويعتبرها عملا ضد الآلهة، وكانت تلك بالضبط جزءاً أساسيا فى العقيدة الآتونية الجديدة التى جاء بها (إخناتون) ، وقد رفض الاستجابة لرسائل الاستغاثة التى تأتيه من ولاته فى أملاك مصر بآسيا، إعمالا لذلك المبدأ، حتى أضاع الإمبراطورية التى بناها أجداده. وإذا وضح الآن ميلنا إلى تزمين المؤرخ المصرى الفذ (مانيتو) لخروج الإسرائيليين من مصر، فسوف تواجهنا هنا عقبات. لعل أهمها تزمين التوراة المازورية للبقاء فى مصر بمدة زمنية هى الضعف بالضبط للمدة التى رصدتها السبعونية، حيث قالت إن البقاء بمصر استمر ٤٣٠ عاما بينما أكدت السبعونية من جانبها أن هذا البقاء لم يزد عن ٢١٥ عاما، ومن ثم يحق للقارئ هنا أن يذهب بظنونه فينا مذهبا بعيداً يسلبنا العلمية، وهو يرانا ننتقى رأيا ونستبعد آخر دون إبداء أسباب واضحة لذلك، لكن الطريف فى أمرنا هنا أننا إطلاقا **لن نستبعد رأيا، بل سنأخذ بكلا التزمينين رغم تضاربهما، حيث هذا التضارب كان تسجيلا حقيقيا لواقع قد حدث فعلا.**

لقد كان الزمن الذى ساقته التوراة المازورية مثار انتقادات كثيرة من جانب، ومحاولات تلفيق توفيقية من جانب آخر، حيث لايمكن تصور أن يستغرق أربعة أجيال من الإسرائيليين هذا الزمن الطويل، ناهيك عن أن كل منهم يكون قد أنجب ولده فى اليوم الأخير من حياته الطويلة جداً قياساً على الأعمار المفترضة لبنى الإنسان. ثم اننا لو أخذنا بهذا التزمين جدلاً مع غض النظر عن عدد الأجيال، وافترضنا أن زمن الخروج كان آخر أيام حكم إخناتون / آمنحتب الرابع فى تل العمارنة أو بعد سقوطه بحوالى عشر سنوات ١٣٤٠ ق.م، ثم أضفنا ٤٣٠ عاماً وهو تزمين التوراة المازورية لبقاء الإسرائيليين بمصر، فسيكون زمن الدخول هو عام ١٧٧٠ ق.م، لكن المفاجأة هنا فى كون هذا التاريخ كان تاريخ دخول جافل الهكسوس إلى بلاد مصر القديمة واحتلالها؟! بالتحديد وبالتدقيق المبين دون فارق أو خطأ ولو بنسبة واحدة، فموسوعة تاريخ العالم (ج١ ص ٤٨) تبدأ تاريخ احتلال الهكسوس لمصر ١٧٨٨ - ١٥٥٠ وتطلق عليه عصر الاغتصاب.

هنا بالضبط ما نقصده، **لقد جمعت التوراة المازورية زمن بقاء الهكسوس بمصر، وهو بهذه الحسابات ٢١٥ سنة مضافا إليه استمرار القبائل الإسرائيلية بمصر الذين لحقوا بهم آخر أيام حكمهم ٢١٥ عاماً أخرى ليكون مجموع السنوات ٤٣٠ عاماً، أما التوراة السبعونية، فقد استبعدت سنى بقاء الهكسوس**

بمصر ٢١٥ سنة وسجلت فقط زمـــن بقاء بنى إسرائيل هناك ٢١٥ سنة، لكن يبقى التساؤل: لماذا دونت المازورية وسجلت مدة بقاء الهكسوس بمصر مضافة إلى سنى الإسرائيليين فيها؟ هل كان الكاتـــب علـــى رأى يوسفيوس يرى أن الإسرائيليين هم ذات الهكسوس أم أن هناك أسبابا أخرى خفية تحتاج جهداً آخـــر للكشف عنها؟

هذا ما سنحاول الإجابة عليه الآن .

إسرائيل ويهوذا

انتهت الدراسات النقدية للتوراة، إلى اكتشاف تأسيسى يعيد فكرة النقاء الجنسى العرقى إلى أصولها، حيث يتضح لنا أن كل تلك الصلات القرابية لأبطال العهد القديم، إنما كانت لونا من الأحلاف بين نماذج بشرية مختلفة بل وأحيانا متضاربة ومتصارعة. ويضرب لنا الباحث (فراس السواح) نماذج من الأمثلة التى توضح أكذوبة الأصل الواحد المتصل، ومنها ما جاء من ذكر للإسماعيليين والمديانيين فى قصة يوسف، حيث لايتناسب هذا الذكر إطلاقا مع سلسلة الأنساب التى رسمها سفر التكوين لإبراهيم وأولاده، حيث المفروض أن الاسماعليين هم أبناء إسماعيل بن إبراهيم من هاجر المصرية، وأن المديانيين هم أولاد مديان ابن إبراهيم من زوجته قطورة، فإذا أخذنا الزمن الفاصل بين عصر إسماعيل ومديان إبنا ابراهيم، وبين عصر يعقوب ويوسف، لاكتشفنا أنه من المحال أن يكون الولدان قد تشكلا فى شعبين فقط خلال الفترة التى جرت خلالها أحداث قصة يوسف[1].

إن الأيديولوجيا العرقية حاولت هنا رسم خط نسب رئيسى يوصل بتحالف الأسباط الإثنى عشر تحالفات أخرى وخطوط نسب فرعية، توصل إلى الشعوب المجاورة والمحيطة، التى أحتك بها الإسرائيليون. وهى المحاولة التى تؤكد وجهة نظرنا فى ذلك الحلف الكبير الذى أشرنا إليه دوما، وقام فى مركز رئيسى ببلاد آدوم ومحيطها.

وتقول الأركيولوجية (كاثلين. م . كنيون) أهم من نقب الأرض سعيا وراء التاريخ الإسرائيلي القديم فى فلسطين: « إن الذى قام بتحرير سفر التكوين فى القرن العاشر ق.م، حاول أن يجمع فى قصة واحدة الحكايات الشائعة بين القبائل والمجموعات التى اجتمعت فيما بعد لتكون شعب إسرائيل، وكثير من المتخصصين يتفقون على أنها قبائل متفرقة، ومن الأرجح أن تكون **إحداها قبيلة إبراهيم وإسحق، أما قبيلة يعقوب فقبيلة أخرى، وقد تم فيما بعد إيجاد صلة قرابة بينهما، ولعل عائلة إبراهيم هى من أعالى النهرين، بينما عائلة يعقوب من شرقى الأردن** .. ومن المرجح أنه لا توجد علاقة بين قصة الآباء وقصة الخروج Exodus، والانقطاع بين سفر التكوين وسفر الخروج تام » [2].

ويقول (تيودور. هـ روبنسون)، وهو متخصص آخر: « من الواضح أن شعب إسرائيل الذى يتحدث التاريخ عنه، يشمل **عشائر كثيرة لم تطأ أقدامها أرض مصر مطلقاً**، بل أن الإصحاح الثامن والثلاثين من سفر التكوين، قد يفهم منه أن **يهوذا استقر فى الجزء الجنوبى من كنعان، وأن قبيلة أشير كانت قد أقامت**

---

(١) السواح : أرام .. سبق ذكره، ص ٤١، ٤٢.

(٢) كاثلين كينون: الكتاب المقدس والمكتشفات الآثارية الحديثة، ترجمة د. شوقى شعث وسليم زيد، دار الجيل، دمشق، ١٩٩٠، ص ٢٩.

فى ديارها التى استقرت فيها عند ولادة موسى .. ودخلت بطون من هذه القبائل فى طاعة المصريين، بيد أنهم فى فترة من الفترات بين عامى ١٥٠٠ و ١٢٠٠ ق.م، فروا من مصر وعلى رأسهم موسى، وكان موسى قبل ذلك قد عقد صلات بقبائل البدو، ووفق إلى جمع كلمة بعضها فى شعب واحد، متوسلاً إلى ذلك بدين جديد، آمن به جميع **الأحلاف** عند الجبل المقدس الذى كان موسى يتردد عليه » (٣).

وكلام (روبنسون) هنا بحاجة إلى بعض التوضيح، فهو يقول إن شعب إسرائيل لم يكن أبداً قبيلة واحدة متوحدة جنسيا وثقافيا، بل كا يشمل عدداً من القبائل، ومن بين هذه القبائل كانت **قبيلة (يهوذا) أحد الأسباط فيما بعد، قد استقرت فى جنوبى فلسطين، أى فى محيط النقب وآدوم، وذلك فى الوقت الذى كان فيه الإسرائيليون مستعبدين بمصر**، وقد استنتج من ذلك أن قبيلة يهوذا لم تدخل مصر أبداً، وهنا فقط نخالفه فى استنتاجه هذا، لأننا نزعم أن يهوذا قد دخل مصر فعلا، وأن تلك القبيلة الكبرى (يهوذا) قد خرجت من مصر، وتركت هناك بقية القبائل التى لحقت بها أيام آخر ملوك الهكسوس أسيس وشكلت فيما بعد جزءاً من شعب إسرائيل، أما قبيلة سبط أشير، فهى فيما يبدو بالفعل لم تدخل مصر، إنما كانت تستقر فى مواضعها التاريخية القديمة، على ساحل المتوسط الشرقى حول صيدون القديمة / صيداً الحالية، حيث نجدها هناك تخوض معارك ضد مملكة أوغاريت كما سيأتى بيانه. ثم يستمر (روبنسون) ليوضح أن الحلف الكبير قد بدأ نواته موسى النبى عند الجبل المقدس فى سيناء، حيث كان موسى قد هرب إلى هناك قبل أن يخرج بشعبه من مصر، وسبق له أن أسس تحالفات واضحة من القبائل التى تعيش فى محيط مديان، وبالخروج أمكنه صهر هؤلاء الأحلاف فى شعب واحد تقوم هويته على أيديولوجيا اعتقادية واحدة موحدة.

ثم يتابع (روبنسون)، ليقول بعد ذلك أن الملك (داود) قد استكمل مهمة موسى بتوحيد العناصر القبلية المتعارضة فى فلسطين، حتى أمكنه أن يقيم دولة، تجمع « العناصر المتعددة التى **توحدت فى الظاهر، واكتسبت مايشبه القومية المشتركة** » (٤).

ومن ثم أمكن لعالم النفس الأشهر (سيجموند فرويد) أن يقول: « إننا أضفنا إلى ثنائيات التاريخ اليهودى المعروفة **شعبين ينصهران** ليؤلفا أمة، **مملكتين** تتفرعان من انقسام هذه الأمة، إله **يحمل اسمين** فى مصادر التوراة، أضفنا إلى هذه الثنائيات ثنائيتين أخريين، تأسيس **ديانتين جديدتين**، تدحر ثانيهما أولاهما فى البداية، ولكن الأولى لا تتأخر فى انتزاع لواء النصر من جديد » (٥).

ومع (فرويد) نقف مرة أخرى للتوضيح. فهو يقول إن تاريخ الإسرائيليين هو تاريخ تحالفات وانفضاض لتلك التحالفات، إلا أن التحالف الأمثل كان بين سبط يهوذا، وأسباط إسرائيل الأخرى، لذلك نجد إلهين لشعبين، إله ساد وبرز إبان زمن البطاركة الأوائل من إبراهيم حتى موسى، هو الإله المعروف باسم

---

(٣) روبنسون: إسرائيل فى ضوء .. سبق ذكره، ص ١٠٨.

(٤) نفسه: ص ١٠٩.

(٥) فرويد : موسى .. سبق ذكره، ص ٧٢.

(إيل) ثم إله آخر جديد يظهر مع موسى بإسم (يهوه)، ويهوه إله يهوذا وإيل إله إسرائيل، كما هو واضح في المسميات ذاتها، وتتمكن ديانة يهوذا الطارئة، الجديدة، الثانية، غير الأصلية، من دحر ديانة إيل الأولى.

ومزيد من التوضيح يقدمه لنا (كمال الصليبى) فى عملين من أعماله، فى العمل الأول يقول: " إن بنى إسرائيل مثلهم مثل سائر الشعوب التاريخية، لم يكونوا شعباً واحداً فى الأصل، بل **مجموعة من قبائل مختلفة تم توحيدها على مراحل** ، عن طريق الالتفاف والتحالف، لسبب أولآخر، ومن بنى إسرائيل قبائل كانت في الأصل **عبرانية**، أنظر مثلا سفر التثنية ١٢/١٥ .. وتتكلم الكنعانية، ومنهم قبائل كانت فى الأصل **أرامية**، أنظر سفر التثنية ٥/٢٦ ، .. وقد كان لعبادة الإله يهوه دور أساسى فى توحيد هذه القبائل المختلفة أصلا، إذ أن هذا التوحيد كان يترافق فى كل مرحلة من مراحله، مع تحول قبائل جديدة عن عباداتها الأصلية المتنوعة إلى عبادة يهوه، مع الإبقاء على بعض التقاليد المتعلقة بعباداتها السابقة، من أساطير وخرافات وعادات وغير ذلك. وكانت عبادة يهوه فى الأصل واحدة من عبادات كثيرة منتشرة .. وما أن تم توحيد بنى إسرائيل، حتى بدأت عبادة يهوه تتحول على أيدى أنبيائهم من عبادة وثنية تعترف بتعدد الآلهة، إلى ديانة توحيدية أصبح فيها يهوه هو الأله الأعلى، ثم الله الواحد، بالعبرية علهيم، وبالإضافة إلى العنصرين العبرانى والأرامى، أللذين تشكل منهما شعب إسرائيل، كانت هناك على ما يظهر عناصر أخرى، أخذت تندمج على مراحل مع هذا الشعب .. إن كلا من هذه العناصر كان ينتسب إلى جد أعلى .. وكان اختلاف التقاليد بين قبائل شعب إسرائيل، سواء من ناحية الانتساب العرقى أو من ناحية تنوع المعتقدات والممارسات الطقسية، ما بقى يهدد وحدة الشعب، وهى الوحدة التى كان للكهنوت الإسرائيلى بعد قيام مملكة إسرائيل، اهتمام خاص فى المحافظة عليها " [٦].

وفى العمل الثانى يقول (الصليبى): " كان بنو إسرائيل فى زمانهم فى هذه الأرض، يمثلون ائتلافا قبليا بين مجموعة من الأسباط، اجتمعت حول عبادة إله واحدا اسمه يهوه، وهو بالنسبة إليهم الرب، بالعبرية: **آدون**، والأسباط هذه من أصول مختلفة، ومنها سبط لاوى الذى كان منه وحده الكهنة، وما لبث الكهنوت بين اللاويين أن انحصر فى بيت واحد منهم هو بيت هارون، من آل عمران، والاسم فى شكله التوراتى: عمرم، أما بقية الأسباط فكانوا أحد عشر فى العدد، ومن هذه عشرة كانت تعرف أصلا على ما يبدو باسم إسرائيل، وتنتسب إلى الشعب العبرى أو العبرانى، واسم اللغة العبرية أو العبرانية مشتق من اسم هذا الشعب، الذى كان يتكلم بها، ويلاحظ هنا أن بنى إسرائيل حسب العرف التوراتى لم يكونوا وحدهم العبرانيين، **بل من هؤلاء أجداد عرب الجنوب وعرب الشمال فى الجزيرة**.. وكان أبرز أسباط إسرائيل العشرة الناطقة أصلا بالعبرية: بنيامين، والاسم بالعبرية: بن يمين، أى ابن الجنوب، أو **ابن اليمن**،.. وفى التوراة مقاطع تشير إلى **بنى بنيامين** على أنهم: يمنيم، أى **جنوبيون أو يمانيون**، وفى ذلك ما يدل على أن قدومهم كان أصلا من بلاد

---

(٦) كمال الصليبى: خفايا .. سبق ذكره، ص ١٢٠.

اليمن، أما السبط الحادى عشر.. **فكان سبط يهوذا، بالعبرية: يهوده، والسبط هذا من أصل إرمى**، .. لكن بنى يهوذا تحولوا من الإرمية إلى العبرية، بعد دخولهم فى الائتلاف الإسرائيلى" [(٧)].

وهكذا فإن (زينون كاسيدوفسكى) يعقب على انقسام مملكة سليمان بعد موته، إلى إسرائيل فى الشمال، ويهوذا فى الجنوب بالقول: " إن فكرة الوحدة العرقية التى فرضها موسى على الإسرائيليين ثم تبناها يشوع بن نون بعده، لم تصمد أمام امتحان الزمن، فقد كان التنظيم القبلى القائم لدى الساميين القدماء، على أواصر قربى الدم، أقوى من أن يتراجع، ليخلى المكان لعلاقات أخرى نشأت فى ظل الظروف التى خلقتها حياة الاستقرار. لقد كان لكل قبيلة تقاليدها الخاصة بها، بل **كانت تتكلم لهجة مختلفة**، وبعد موت بن نون سرعان ما استيقظت الجروحات والنزاعات والخرافات القديمة والتيارات الانفصالية، وقد ساعد على ذلك واقع مؤداه: أنه بعد انهيار التعاون البدائى وتعمق النزاعات الطبقية، تحول الشيوخ الذين كان قد جرى انتخابهم إلى ارستقراطية وراثية، فأطلق رئيس القبيلة على نفسه لقب أمير أو قائد، ووصف نفسه بصفات مثل: جبار، نبيل، وأخذت تلك الفئات المتميزة تتنازع فيما بينها، الأمر الذى أدى إلى تفسخ وحدة الإسرائيليين وأنهيارها، بل ووصل الأمر إلى حد اندلاع الحروب الأهلية فيما بينهم، وهكذا بدأ عهد الفوضى السياسية .. ومما زاد فى خطر انقسام الإسرائيليين إلى اثنى عشر قبيلة متعادية، هو أن يشوع بن نون لم يغتصب كنعان كلها، .. وما كتاب القضاة من حيث الجوهر سوى مجموعة من الروايات والأساطير، التى تحكى معاناة القبائل الإسرائيلية، التى عانت من نير العبودية سنوات طويلة، ثم قامت تقاتل فى سبيل حريتها " [(٨)].

وعلى مثل تلك التقارير التى قدمها لنا الخبراء، ساغ لروجيه جارودى أن يقيم استنتاجاته التى يلخص فيها (دى فو) ما حدث ليقول: " يؤكد الأب دوفو أن شعب إسرائيل لم يتكون .. إلا بعد استقراره فى كنعان .. أن **كل قبيلة من الأسباط كان لها سابقة وجودها التاريخى الخاص** .. قبل أن تكون اتحاداً متينا .. فبعد أن استقروا فى فلسطين نمت لديهم فكرة أن لإسرائيل تاريخا مشتركا قبل استقرارها " . [(٩)]

ثم يتابع " أن الرب يهوه الذى قادها، سوف يفرض نفسه على جميع الأسباط الأخرى، إن توقف التفسخ بهذا التدخل التاريخى باسم وحى الرب، سوف يصبح عقد الإيمان الأساسى لجميع الأسباط، وهذا هو بلاشك مغزى اجتماع شكيم الذى تحدث عنه سفر يشوع ٢٤ / ١ – ٢٨، حيث تحقق أول اتحاد بين الأسباط، فإن يشوع بعد أن ذكر لهم الإحسان العام الذى صنعه يهوه لهم، وهو أنه أصعدهم من مصر بيت العبودية، **يوجه إلى جميع الأسباط بما فيهم أولئك الذين لم يعيشوا التجربة الحاسمة، تجربة الخروج**، سؤالا قاطعا: اختاروا لأنفسكم اليوم من تعبدون؟ يهوه رب الخروج أو إله كنعان / ٢٤ / ١٥، ولقد اختارت الأسباط جميعاً الرب

(٧) كمال الصليبى: حروب داود، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط٢، ١٩٩١، ص ٢٠.

(٨) كاسيدوفسكى: الواقع والأسطورة .. سبق ذكره، ص ١٦٠.

(٩) جارودى: فلسطين.. سبق ذكره، ص ١١٢،١١١.

يهوه .. إن البحث التاريخى – كما قال فون راد – قد بين أن إسرائيل هو اسم هذا الاتحاد الكونفو درالى المقدس بين الأسباط ". [10].

وعلى مثل تلك المعطيات يقدم لنا (جارودى) مدعاة الشك حتى فى عدد تلك القبائل المتحالفة، والتى قيل إنها اثنى عشر سبطا، فيقول: " إن انحصار الأسباط فى اثنتى عشرة قبيلة لم يكن له أى واقع تاريخى، فلقد استتبع العدد اثنا عشر حينئذ فكرة الكمال، إذ نجد فى النصوص اثنا عشر سبطاً لإسرائيل، كما نجد اثنا عشر سبطا إسماعيليا / التكوين ١٣/٢٥ – ١٦، واثنى عشر سبطا أراميا / التكوين ٢٢ / ٢٠ – ٢٤، واثنى عشر سبطا آدوميا / التكوين ٣٦ /١٠ – ١٤، وتتغير قائمة الاثنى عشر سبطا لإسرائيل، لكن الرقم اثنا عشر يبقى، فعندما انقطع سبط ليفى، أكمل النقص بمضاعفة سبط يوسف فى إفرايم ومنسى، على حين نجد أن سبط جاد يحل محل سبط ليفى/ العدد ٢٦ "،[11]. ونحن نعلم من دراسة الأساطير أن الرقم ١٢ كان رقما مقدسا، يدل فى اعتقاد شعوب المنطقة القديمة فى اثنى عشر إلها هى علامات الزودياك الإثنى عشر السماوية المعروفة، مثله فى التقديس مثل الرقم سبعة المتكرر فى تلك العقائد، بحسبانه دالا على سبع آلهة سماوية، هى الأجرام الكوكبية السيارة فى المجموعة الشمسية، التى كانت معلومة بالرصد الفلكى الابتدائى آنذاك [12]، (عطارد، الزهرة، المريخ، المشترى، زحل + النيرين الكبيرين: الشمس والقمر).

ونتابع رصد ذلك التكوين الهجين فيما لاحظه (شفيق مقار) إذ يقول: " فى حكاية يوسف نلاحظ إصرار الرواة على تكرار لفظة: العبرانى؛

- قد جاء إلينا برجل **عبرانى** يداعبنا
- دخل إلىّ العبد **العبرانى** الذى جئت به إلينا ليداعبنا
- لأنى قد سرقت من أرض **العبرانيين**
- وكان هنا غلام **عبرانى عبد لرئيس الشرطة**

وهذا إلحاح لافت للنظر، فلفظة العبرانى لم ترد فى العهد القديم كله إلا سبع عشرة مرة، ومن تلك المرات السبع عشرة، حشدت اللفظة أربع مرات متتالية، على مدى إصحاح واحد من إصحاحات سفر التكوين، وهذا يتفق تماما مع الغرض من إبراز حكاية يوسف مع فرعون، وهو **جعل يوسف المعبر الأخير**

(١٠) نفسه : ص ١١٦،١١٧.

(١١) نفسه: ص ١١٨.

(١٢) للمزيد أنظر كتابينا رب الزمان، والأسطورة والتراث.

بين الحقيقة الأرامية لإبراهام وإسحق ويعقوب ويوسف وكل أبناء يعقوب وسلالته، وبين إسـرائيل، التـى دقت فى حكايات التوراة دقاً متواصلاً لتعنى اليهود، والمشاهد فى حكاية يوسف أنه بعد هذا التركيـز علـى لفظة عبرانى، بدأ التركيز على إسرائيل، ابتداء من : فأتى بنو إسرائيل ليشتروا بين الذين أتوا، لأن الجـوع كان شديداً فى أرض كنعان / تكوين ٤٢ / ٥ " (١٣).

وسواء كان (مقار) هنا يقصد مع بعض اللبس أولم يقصد، فهو يضع أصبعه ضاغطا علـى التكـوين الإسرائيلى اللزج، ليتفسخ عائداً لأصوله فى ثلاثة أشكال، أُولاها **الآرامية** جنس إبـراهيم والبطاركـة حتـى يوسف، الذى دخل مصر زمن السيطرة الهكسوسية المكونة من أحلامو / أحلاف، أبرزها العنصر الأدومـى الآرامى التأسيسى، ليبدأ تمييزاً جديداً وملحاحا للفصل العنصرى وتأكيد هوية خاصة هى **العبرانية** التى يجب أن ينتسب لها (يوسف)، وليس الأرامية، ثم مع موسى يبدأ تأكيداً آخر جديد على توصيف عنصرى جديد هو **الإسرائيلية**.

وفى قصة دخول بنى إسرائيل إلى مصر، تقول التوراة " **فدخل يهوذا** وإخوته إلى بيت يوسف/ تكوين ١٤/١٤٤ "، وهو ما يعنى أن يهوذا قد دخل مصر مع أشقائه، لا بل والصيغة تشير إلى أنه كان قائـد هـذا الدخول، وحتى الآن والكلام مقبول، لكن غير المقبول أن يكون يهوذا قد دخـل ويوسـف وزيـراً لخزانـة المصريين، وذلك لأسباب من داخل المقدس التوراتى ذاته. حيث تم تخصيص الاصـحاح ٣٨ لشـرح أمـر عجيب الشأن، يبين **أن يهوذا كان منفصلا عن إخوته**، وتبدأ القصة هكذا: " يهوذا نزل مـن عنـد اخوتـه / التكوين ١/٣٨ "، وذلك قبل دخولهم مصر على يوسف، وأنه تحالف مع رجل كنعانى من عدلام اسمه حيرة، وتزوج بنت كنعانى اسمه شوع وأنجب منها عير وأونان وشيلة، وكبر أولاده فزوج عير من بنـت اسـمها تاماراً، لكن عير كان شريراً فقتله يهوه، فطلب يهوذا من ابنه الثانى أونان أن يتزوج تمـاراً لتنجـب أولاداً ينسبون إلى أخيه الميت عير، على العادة الكنعانية. لكن أونان بدوره ارتكب ما أغضب يهوه فقتلـه، وهنـا طلب يهوذا من تاماراً أن تذهب لأهلها وتنتظر الولد الأصغر شيلة حتى يكبر ليتزوجها، لكنها تنكرت فى زى عاهرة ودخل بها يهوذا وحملت منه بولدين هما: فارص وزارح. وكل تلك الأحـداث تجـرى، بينمـا بقيـة الاسباط قد نزلوا مصر على يوسف، لأنه من غير المقبول أن يفترق يهوذا عن إخوته وتحدث له كـل تلـك الأحداث على مر زمن طويل، ليدخل فى الوقت ذاته برفقه إخوته إلى مصر؟! وهى النتيجة التى يصل إليهـا (كمال الصليبى) فى قوله: " مما يعنى أن **افتراقه عن إخوته كان سابقا لهذا النزوح** " (١٤).

لكن الصليبى يستمر فى استنتاجه ليقول فقط أن ما حدث فى الإصحاح ٣٨ من سفر التكوين، يشير إلى أن (يهوذا) قد أخرته رحلته الكنعانية تلك عن نزول مصر مع إخوته لكنه لحق بهم بعـد ذلـك. وأن لحـوق يهوذا بإخوته جاء متأخراً جداً، وحدث فى آخر أيامهم بمصر زمن موسى **(نلحظ أن صليبى لـه نظريـة لا**

---

(١٣) شفيق مقار: قراءة سياسية:. سبق ذكره، ص ٧٤، ٧٥.

(١٤) كمال الصليبى: خفايا.. سبق ذكره، ص ١٩٨.

تعترف بدخولهم مصر الإمبراطورية إنما هى أحداث كانت تجرى فى بلاد عسير بجزيـرة العـرب، وهـو مالايعنى بحثنا هنا). ويستند الصليبى فى ذلك إلى نصوص توراتية فيقول: " إن موسى تمنى على الرب يهوه قبيل وفاته أن يأتى بقبيلة يهوذا المستقلة عن سائر قبائل إسرائيل فيجمعها بهم، وذلك بالكلام الآتى: **(اسمع يا يهوه صوت يهوذا وأت به إلى قومه**، بيديه يقاتل لنفسه، فكن عونا له على أضداده). فلماذا هذه التناقضـات فى أسفار التوراة فى حديثها عن يهوذا؟.. السر طبعا هو **أن بنى يهوذا لم يكونوا فـى الواقـع مـن بنـى إسرائيل العبرانيين.. بل إن بنى يهوذا كانوا من بنى يعقوب الأراميين** "، لكن لحوق (يهوذا) بإخوتـه عنـد (الصليبى) لم يتم فى مصر، إنما بعد الخروج ووصول الخارجيين إلى المشارف الجنوبية لبلاد كنعان، حيث التقى هناك الخارجون " بنو إسرائيل مع بنى يعقوب الأراميين من بنى يهوذا ولفيفهم، فاتحدوا معهـم تحـت قيادة موسى قبيل وفاته، وكانت هذه بداية الشعب التاريخى المعروف بشعب إسرائيل " (١٥).

" وهكذا التقى بنو إسرائيل ولفيفهم من العبرانيين لأول مرة فى تاريخهم مع بنى يعقوب الأراميين الذين كانوا يتكلمون العبرية أى الكنعانية والآرامية فى آن .. فتمت الوحدة بين الشعبين برعاية موسى وببركة يهوه وعندما تمكن موسى لأول مرة فى حياته من مخاطبة جميع إسرائيل: كل يسرعل/ سفر التثنيـة ١٨، ولـيس بنى إسرائيل العبرانيين وحدهم " (١٦).

وحتى يمكن ترتيب هذا الصخب المتنافر يمكن إيجاز القول باتفاق الباحثين على كون **الشعب التوراتى أيا كان مسماه لم يكن أبداً شعبا بالمعنى المفهوم ينتمى إلى عنصر إثنى واضح بعينه، بقدر ما كان تجمعـاً وتحالفا قبليا تشكل من مجموعة قبائل**. وهنا يبدأ اختلاف الباحثين وتضاربهم عندما تبدأ محاولة تحديد ألوان هذه القبائل وانتماءاتها الجنسية، فكاثلين كانيون ترى أنهم هجين من قبيلتين الأولى هى قبيلة إبراهيم وإسـحق وهم عندها من أعالى النهرين، والثانية هى قبيلة يعقوب وتراها من شرقى الأردن .. بينما لخـص فرويـد موقفه بالكشف عن شعبين اندمجا معها لكن تشير معبوداتهما إلى أصولهما الأولى قبل الاندماج، فكان هنـاك شعب يتبع إلها باسم إيل وشعب آخر يتبع إلها باسم يهوه، وبمرور الزمن أدت الأحداث إلى سيطرة وسـيادة اليهوية وانكماش وتلاشى الإيلية. أما كمال الصليبى فقد تحدث عن قبائل مختلفة فى هذا الائتلاف تعود إلـى عناصر عدة: عنصر إسرائيلى ويراه هو المعروف أيضاً بالعبرانى، لكنه عنده ليسـوا أبنـاء يعقـوب، وأن نسبتهم إلى يعقوب واحتساب أن يعقوب كان اسمه إسرائيل هو محاولة مقحمة من المحرر التـوراتى لجعـل الإسرائيليين أبناء ليعقوب فى أسطورة صراعه مع الرب. ثم عنصر ثان هو يهوذا ويراه هو صاحب الأصل الأرامى، وهؤلاء هم بالفعل أبناء يعقوب، ثم عناصر أخرى مختلفة كقبيلة ليفى أولاوى التى امتهنت الكهانة، وقبيلة بنيامين التى يشير اسمها إلى أصولها اليمنية. هذا بينما ذهب (دوفو) إلى أن كل قبيلـة مـن الأسـباط الاثنى عشر كان لها سابق وجودها التاريخى الخاص. أما شفيق مقار فيرى أن إبراهيم وإسحق ويعقوب كانوا

(١٥) نفسه: ص ٢٠٣.

(١٦) نفسه: ص ٢٣٩.

أراميين ومنهم يوسف الذى يبدأ عنده تأكيد وصف العبرانية، حيث سيصبح يوسف معبراً نحو توصيف جديد هو الإسرائيلية.

وفى ظل تلك المعطيات يمكن أن نفهم كيف نجد فى الآثار المصرية اسما ضمن نقوش الهكسوس هو يعقوب هار وأيضا يعقوب بعل[١٧]. والذى جاء كاسم ثان للملك بنون وهو الثانى فى ترتيب ملوك الهكسوس بعد سالاتيس، وجاءنا فى الصيغة " مرو سر رع، ياكب بعل أو يعقوب حر " . ومعلوم أن بنون يعقوب هذا كان من حكام الهكسوس الكبار وانه جلس على عرش مصر طبقا لبردية تورين أكثر من ثمانى سنوات أو ثمانى عشرة سنة [١٨]. كذلك أفادنا باهور لبيب بوجود أسماء أفراد هكسوس مثل (يعقوب إيل) و (نحامين)[١٩].

وقد ورد اسم ثالث لبنون هذا برسم (سكا) ومن جانبنا رأيناه بالضبط الاسم (الضحاك) (اسحق) الذى حيكت حوله وحول إمبراطوريته أساطير شتى، مما يشير إلى شهرة الرجل وقيمته فى زمنه. والأمر بذلك يعنى **أن بنون كان يحمل اسم يعقوب واسم إسحق معا كحقيقة تاريخية تحولت إلى أسطورة توراتية، وأصبح الشخص الواحد شخصين، وانتسب اليهما الإسرائيليون وعدوهما سلفين بعيدين من جيل البطاركة الآباء الأوائل.**

بينما إطلاقا لم يصل الظن بالتوراة رغم مبالغاتها الى حد القول أن شعبها كان حاكما على مصر. وهو مايعنى أن المحرر التوراتى قد نسب بنو إسرائيل الذين دخلوا إلى مصر إلى شخص قوى ملكى من ملوك الهكسوس، بسبيل ذلك تم اختيار يعقوب ليخترع المحرر التوراتى قصة صراع حدثت بينه وبين الإله منحه بعدها الإله اسم إسرائيل، وذلك للقول إن سلف الإسرائيليين هو الملك الهكسوسى يعقوب، لهدف أبعد هو التغطية على الأصول المتباعدة وتأكيد الأصل الواحد لتلك القبائل.

وإذا كان اسم إسرائيل مركب من ملصقين(يسر – عل) الثانى فيهما هو (عل) أو (إيل) ويعنى الإله، فإن الملصق الأول (يسر) تفسره التوراة بأنه مشتق من الفعل (سره) أى يجاهد، لذلك ترجمت كلمة إسرائيل بأنها (مجاهد الرب) أو(جندى الرب).ويلاحظ زياد منى أن هذه المفردة (يسر) لم ترد فى التوراة سوى مرة واحدة فقط فى سفر هوشع١٣/٣-٤، وتؤكد المراجع المختصة أن معنى (يسر) غير واضح لأنه من فعل ممات. وقد جاء الاسم فى لوح مرنبتاح بالصيغة (ى . س. ر. ى. ر Y. si.r.r). [٢٠]

وبسبيل تفسير الكلمة وردت اجتهادات أخرى، فهناك من يرى أن (عل) ليست مفعول به فى الكلمة إنما فاعل وبذلك يكون المعنى (إيل حارب) أو (إيل عارك) فهو صرع إيل. ويذهب آخرون إلى أن جذر الاسم

---

(١٧) سليم حسن: مصر القديمة.. سبق ذكره، ج٤، ص ١٨٧.

(١٨) بيومى مهران: دراسات .. سبق ذكره، ص ١٤٥.

(١٩) محمد حماد: كامس .. سبق ذكره، ص ٤٢.

(٢٠) زياد منى: جغرافية .. سبق ذكره، ص ١١،١٢.

فى المفردة الايجية الإغريقية إسر ISER بمعنى مقدس أى إيل المقدس، وهناك من ذهب إلى أن الاسم مختزل من الصيغة (ء يش راحيل) أى (رجل من قبيلة راحيل)، مع اجتهاد يستحق الوقوف معه يقول أن اسم إسرائيل هو اختصار للعبارة **(يه سعير هوعيل)** و (يه) هى (يهوه) وعليه يصبح المعنى **(إله سعير هو يهوه)**.[٢١] ولأن اسم اسرائيل لم يأت إطلاقا مسبوقا بأداة التعريف فهو ما يعنى لزياد منى أن الاسم اسم جغرافى " يسرعل هو السراة – عل سرعه " ولأن منى يذهب مع نظرية صليبى إلى جنوب غربى جزيرة العرب كموطن لإسرائيل الشعب والدولة فى جبال السراة، فقد قال أن هذا المكان الجغرافى (إسرائيل) يقع فى جبال السراة تحديداً فى الجنوب. بينما من جانبنا قد اتجهنا إلى امتداد جبال السراة حتى البحر الميت شرقى وادى عربة، وقلنا أنها هى التى حملت فى العبرية اسم (سعير). وينتهى (منى) إلى أن المقصود من كلمة إسرائيل هو **(الأرض المكرمة من الله)** [٢٢] وهو ما يستدعى مباشرة وصف المصرى القديم لبلاد بونت بأنها **(أرض الإله)**. ثم يرى منى **أن الأسباط اكتسبت اسم إسرائيل بعد أن خرجت واستقرت فى منطقة السراة.**[٢٣] **وحملوا اسم بنى إسرائيل نسبة إلى جبال السراة فهم أبناء السراة** [٢٤].

أما اسم يعقوب الذى نسبوا أنفسهم إليه باعتبار أنه أب لعنصر بشرى هو العنصر الاسرائيلى فيبدو لزياد منى أنه كان اسم أحد آلهة المعبد الوثنى للأسباط، بينما هذا يعنى لدينا **أن الإسرائيليين قد عبدوا الفرعون بنون / يعقوب/ سكا** فى أحد مراحلهم كإله. ثم مع التطور والنضوج تم اعتباره سلف القبيلة، وهى عادة معلومة عند القبائل القديمة حيث عادة ما يكون سلفها البعيد هو ربها. وكمال الصليبى يعيد اسم **يعقوب إلى العقبة** وهو برأينا رأى سديد تماما، لكن لأنه يريده جنوبا عند سراة اليمن وعسير يفسره تأويلا حسب المعنى بأنه مسالك الجبال هناك حيث لم يجد هناك مكانا باسم العقبة [٢٥]، رغم وجود العقبة عند جبال سراة سعير على رأس خليج العقبة باسمها دون حاجة لأى تأويل.

وعليه فإن كلا الاسمين (إسرائيل ويعقوب) يعودان عند مدرسة الصليبى باسم إسرائيل إلى الانتساب إلى إله العقبة أو إله السراة التى تقع حسب مذهبنا فى بلاد آدوم/ بونت/ أرض الإله أو الأرض المقدسة.

المهم فى كل هذا أنه يمكن دون جهد كبير أن تلحظ وجود خطين رئيسيين مع خطوط أخرى فرعية، فى الروافد المكونة للكنفودرالية الإسرائيلية، فهناك جماعة محددة باسم يهوذا وجماعة باسم إسرائيل، وكلاهما ينتسب مرة إلى العبريين وأخرى إلى الأراميين، وأن أحدهما دخل مصر والآخر لحق به، لكنه التقى بالطرف الآخر للحلف فى بلاد مديان. لكن الخلاف البسيط لكنه الكبير العميق هنا، هو **أننا نرى ما حدث قد حدث بالعكس تماما، فقد دخل فريق يهوذا الأرامى مصر أولا، ثم لحق به فريق إسرائيل فى أرض مصر ذاتها،**

(٢١) نفسه: ص ١١٢.

(٢٢) نفسه: ص ١١٣.

(٢٣) نفسه: ص ١١٤.

(٢٤) نفسه: ص ١١٦.

(٢٥) كمال الصليبى: خفايا.. سبق ذكره، ص،١٨٣، ١٨٤ .

وذلك فى آخر أيام الفريق اليهوذى بمصر. نحن نقصد بوضوح وبدون مواربة أن (يهوذا) كان الاصطلاح التوراتى الذى يشير إلى محتلى مصر باسم الهكسوس وأن إسرائيل فريق نسيب وبطن حليف لحق بهم آخر أيامهم فى مصر، أيام حكم (أسيس / العزيز/ أبوفيس)، أما تمنى (موسى) أن يلحق بهم (يهوذا) فى مصر، فتلك قصة أخرى، حيث بقى الإسرائيليون بعد طرد الهكسوس من مصر تحت العبودية فى ظل الحكم الوطنى المصرى ما ينوف على قرنين من الزمان، ونحن نعلم من (يوسفيوس) نقلا عن (مانيتو) أن قائد الهاربين (أوزرسيف) أرسل يستدعى البدو الرعاة من أورشليم إبان ثورته للخروج من مصر، ووعدهم أنه سيعيدهم لحكم مصر وهو ما يعنى لنا تفسير استدعاء موسى ليهوذا ، لكن ما حدث هو هزيمتهم جميعاً، وطردهم من البلاد، وهو الأمر الذى سيأتى تفصيله فى موضعه من هذا العمل.

ولعلنا نذكر أن يهوذا كان فرعا يقيم فى جنوبى فلسطين والنقب، وهو موضع سكنى الهكسوس الذى حددناه، ثم إننا لم ننس بعد ما أكده (يوسفيوس) نقلا عن (مانيتون) أن الهكسوس عندما خرجوا من مصر أسسوا **مدينة أورشليم** بفلسطين، **ثم ظلت أورشليم مدينة يهوذية** طوال عصورها بعد ذلك. وهنا نلمح المحرر التوراتى وهو يصر على التمسك بأن احتلال أورشليم قد تم من جانب الحلف جميعه المسمى كل إسرائيل، تفلت منه الحقيقة وهو يؤكد لنا ولنظريتنا أن الهكسوس هم الفريق اليهوذى هم من احتل أورشليم أولا، وهذه الحقيقة المنفلته يسجلها النص " **وحارب بنو يهوذا أورشليم وأخذوها** وضربوها بحد السيف واشعلوا المدينة بالنار/قضاة ٨/١ ". **بنو يهوذا وحدهم دون بقية الأسباط من أخذ أورشليم إذن.**

وبعد قيام دولة داود وسليمان، ثم انقسام المملكة قسمين، **ظلت أورشليم عاصمة المملكة الجنوبية يهوذا**، بينما أصبحت السامرة عاصمة المملكة الشمالية، **لقد أجمع التاريخ الإسرائيلى على إخفاء علاقته بالبرابرة الهكسوس.**

لكن المؤرخ اليهودى يوسفيوس سبق الجميع وأكد ذلك فى تاريخه، قاصدا الارتقاء ببنى جلدته عن كونهم كانوا أنجاسا ملاعين، عملوا فى السخرة والعبودية ببلاد النيل، لكن ليعطينا أحد المفاتيح لنافذة تطل على ذلك الحلف الهكسوسى القديم، الذى كان الإسرائيليون أحد أطرافه. وهو الأمر الذى يفسر لنا استعباد هؤلاء فى مصر بعد تحريرها من الغزاة. وبعد أن اندمج الشعبان الهكسوسى والإسرائيلى فى اتحاد كونفودرالى، وبعد الخروج من مصر، كانت المحاولات الدائبة من المحرر التوراتى لنسيان الأصل الهكسوسى للعنصر الحليف والتغطية عليه، **فقام يضعه فى سلسلة أنساب إسرائيل باسم يهوذا**، وابتدع قصة الإخوة الاثنى عشر ترميزا للأحلاف ولكن يهوذا بمفرده قد شكل سبطا هائلا فكان هو فى كفة وبقية الأسباط جميعاً فى كفة أخرى، ولا تعادله لأنه ظل المسيطر دائماً.

ومرة أخرى عاد الخارجون بعد الخروج للتحالف مع أخلامو مديان الأراميين، لكن الضربة المصرية ومطاردتها للفلول المطرودة من مصر، أدت إلى أنفصال عرى هذا الاتحاد إلى فصائله الأولى،

وهو ما تعبر عنه حالة العداء الذى استحكم فى السنوات التالية بين حلف إسرائيل مديان فى جانب، وبين العماليق فى جانب آخر، وبعد مرحلة يزداد التفكك لنجد صراعا دمويا بين حلف إسرائيل وحلف مديان .

ويبدو أن الإسرائيليين قد باعوا فى مصر رفاق الحلف الهكسوسى للثورة الوطنية، وأن ذلك وإن عافاهم من الإبادة فهو لم يعفهم من العبودية. وكانت مسألة اللعب على طرفى الصراع أمراً متكرراً لدى الإسرائيليين تلمسه بطول تاريخهم المدون بالكتاب المقدس سبق وأفضنا شرحه فى الجزء الأول من هذا العمل، وإن كان العداء بين أطراف الحلف خاصة إسرائيل والعماليق بحاجة إلى تبرير معقول وقوى، وهو ماسنرصده فى الأبواب المقبلة من هذا البحث.

ولأن التاريخ عادة مايكتب من على مقعد المنتصر والأقوى والمتسلط فقد فاحت التوراة دوما بانحياز محرريها الواضح للعنصر اليهوذى، إزاء بقية الأسباط، حتى لو كانوا مختارى يهوه وأحبابه، ولم يزل هناك مزمور محبب فى التلاوات يسجل غلبة (يهوذا) فى النهاية على الأحلامو أو الأحلاف، وكيف انحاز الرب يهوه إلى يهوذا وحده دون بقية الأسباط المتحالفين، حتى أنه استبعد من رعايته بيت يوسف نفسه وأخيه، الذين كانوا فى البداية الأقرب إليه والأكثر اصطفاء.

يقول هذا المزمور التاريخى فصيحا بليغاً، يدون لنا ما وصلنا إليه وما أغفله التاريخ:

> فاستيقظ الرب كنائم جبار معبط من الخمر، فضرب
> أعداءه إلى الوراء وجعلهم عاراً أبدياً ، **ورفض خيمة**
> **يوسف، ولم يختر سبط إفرايم، بل اختار سبط يهوذا**
> فى جبل صهيون الذى أحبه.
>
> المزامير / ٧٨ /٦٥ - ٦٨

ومن هنا طغت اليهوذية حتى أصبحت علما على بقية الفصائل المتحالفة ليحملوا جميعاً لقب (يهود)، وتصبح أيديولوجيتهم العقدية هى (اليهودية)، أما الأمر الذى يجب التركيز عليه أن يهوذا ويهود ويهودية تنتسب جميعاً إلى رب التجليات المتعددة فى المشروم البركانى وفى خنافس شجرة الأيكة وعناق، أطول الفصيلة الكلبية عنقا، ضبع آدوم، وفى الطائر البونى، وفى القمر رب الهواء (هفا) أو (هوا) أو (يهوه).

لقد هرب موسى من مصر إلى مديان، ليدين هناك بعبادة (يهوه)، ويعود ليخرج برجاله من مصر إلى مديان تحديداً ليلتقى بحلفائه فى سيناء، لكن لتسيطر اليهوذية الهكسوسية المديانية من بعد، ويسود ربها (الكائن) الذى لايصح النطق باسمه، بل ينادى فقط بالكائن أو (يهوه).

والواضح تاريخيا، ومن الآثار، ومن الكتاب المقدس ذاته، أن دخول (يهوذا) مرة أخرى إلى فلسطين عند طرده من مصر هكسوسيا شريداً، أو عند خروج الإسرائيليين من مصر لحوقا بيهوذا، مما دعم هذا الحلف الشرس، فإن كليهما لم يستطع أبداً طوال قرون عديدة، أن يكون المسيطر الأول فى فلسطين، بعد

استعادة مصر قوتها، واشتداد قبضتها على أراضيها الآسيوية. ومن ثم تراوحت الأحوال بين السكون وبين الحرب الدموية بين هؤلاء وبين سكان فلسطين من فروع أخرى طوال الوقت، ولم تكتب لهم السيادة إلا مع قيام مملكة داود المتحدة هناك، وحتى بعد ذلك كان هناك شك كبير فى أن سيطرة ذلك الجنس كانت مطلقة كما تحب أن توعز التوراة.

ومن كتاب (اللآلئ) الذى عثر عليه فى أوغاريت، مدونا بقلم (إيلى ميلكو) كاهن أوغاريت الأكبر، ورئيس مقدمى القرابين والمطهرين، نجد حكايات عديدة، تشير إلى **أنه فى ذات الوقت الذى حكم فيه (آمنحتب الثالث) وولده (إخناتون) فى مصر، وهو ذات الوقت الذى كانت تهاجم فيه قبائل العبيرو/ الخابيرو بلاد فلسطين، هو ذات الوقت الذى سجل فيه (إيلى ميلكو) دمار أوغاريت** على يد فصائل أجناس همجية يشار إليها مرة باسم **الخابيرو**، ومرة باسم **اليوديم** (اليهود / المؤلف) [٢٦].إننا الآن مع فك الخيط الأخير فى طلسم الخابيرو، **لقد كان الخابيرو فعلا وصدقا هم العابيرو العبريين، هم الفرع اليهوذى الهكسوسى الذى طرد من مصر على يد بطل التحرير أحمس حوالى عام ١٥٨٠ ق.م، وبعد مرور حوالى قرنين من الزمان تقريبا، كانوا يحاولون استعادة السيطرة على أملاك مصر فى فلسطين، ليأتينا ذكرهم فى وثائق المنطقة، ووثائق العمارنة باسم (الخابيرو)، فى الوقت الذى كان فيه العنصر الإسرائيلى الأسير لا يزال بمصر، على استعداد للخروج واللحوق ببقية فصائل الأحلامو، التى شتتها وفرقها فراعنة مصر الأشاوس، وبذلك نكون قد عثرنا على تفسير كيف كان الخابيرو لازالوا عبيداً بمصر، بينما كانوا فى الوقت ذاته - زمن العمارنة - يهاجمون أراض فى فلسطين، لقد كان الخابيرو فى نصوص العمارنة هم اليهوذيين الهكسوس.**

ويتأكد صدق فهمنا هنا بما ورد بالكتاب المقدس من فلتات كانت تفرق بوضوح فى أكثر من موضع من أسفاره بين الإسرائيليين من جهة وبين العبريين من جهة أخرى، رغم نظريته الشاملة فى كونهما إثنية واحدة، فهو يقول فى سفر صموئيل أول: " **والعبرانيون الذين كانوا مع الفلسطينيين** منذ أمس وما قبله الذين صعدوا معهم إلى المحلة من حواليهم، **صاروا هم أيضا مع إسرائيل** الذين مع شاول ويوناثان/١٤/٢١ ". ومن جانب آخر تحرم شريعة التوراة استعباد الإسرائيلى لكنها لاتحرم استعباد العبرى سبع سنوات (انظر سفر اللاويين ٣٩/٢٥ وسفر الخروج ١٢/٢١ وسفر التثنية ١٢/١٥ وسفر إرميا ٩/٣ ــ ٤)، كذلك تبين الإصحاحات (٣/١٣ و ٧/٦ من سفر صموئيل أول) تباينا واضحا لدى المحرر التوراتى بين بنى إسرائيل وبين العبريين.

وهكذا نرى أنه مع تأخر الإسرائيليين فى الخروج ثم لحوقهم باليهوذيين الهكسوس فى زمان تال، قام محررو التوراة باحتساب اصطلاح العبرى أى حلف البدو دالا على إثنية بعينها، نسبوا إليه إثنية أخرى هى الإسرائيلية، رغم أنهم بدورهم كانوا قبائل وشراذم متحالفة. فأخذت التوراة تؤكد وتزيد وتردد أن يوسف كان عبرانيا أى بلغتنا أو حسب نظريتنا كان هكسوسيا خبرويا كما كان الجد الذى انتسبوا إليه يعقوب/ إسحق

(٢٦) إيلى ميلكو كبير كهنة أوغاريت: اللآلئ، ترجمها ديل ميديكو عن الأوغاريتية، ترجمها الى العربية مفيد عرنوق، دار أمواج، بيروت، ط٢ ، ١٩٨٩، ص ١٨٧.

الضحاك. ومن هنا أصبح الهكسوس أرومة أولى هى يهوذا العبرى الذى تم إدراجه ضمن الأسباط بالقول أنه كان الأخ الأكبر بين أبناء إسرائيل، ليصبح اليهوذيون الهكسوس الخابيرو إسرائيليين، ويصبح الإسـرائيليون خبيرو هكسوسيين. ومن ثم فإن هناك نتيجة أخرى تترتب على هذا حيث سيكون هناك خروجان قد تما مـن مصر: الخروج الأول هو خروج الهكسوس اليهوذيين ثم تـلاه الخروج الثانى وهو الخـروج الإسـرائيلى، وكلاهما بدوى كان اليهوذى فيه يحمل النعت عبرى أوخابيرى ثم تم تعميم صفة العبرى بعـد ذلـك لتشـمل إسرائيل.

ويبدو أن هذا المعنى كان يداعب الأركيولوجيست (كاثلين كانيون) لكنها أبداً لم تصل إلى كون الخبيرو فى نصوص العمارنة كانوا هم فصيل يهوذا الهكسوسى وأنهم غير الإسرائيليين، فهـى تقـول: " إن قصـة الخروج فى حد ذاتها قصة مركبة، ففى وجهها الأول يبدو الهروب الذى ينظر إليه المصريون بمثابة اختفـاء مزعج ومتعب لمصدر مفيد من مصادر عمل السخرة، وفى وجهها الثانى يبدو كأنه طرد لعبيد متمـردين أو أجانب متسللين. ومن هنا يمكن القول بأنه **توجد قصتان على الأقل للخروج مندمجتان في قصـة واحـدة** .. وبالنظر إلى وصف طريق الخروج تقول مناقشات الأب دو فو De Vau **أن هناك طريقين منفصـلين لهـذا الخروج**، وهو أمر أكثر إقناعاً. أحد هذه الطرق يمر بحافة الزاوية الجنوبية الشرقية للبحر المتوسط ومن ثـم تدخل الجزء الجنوبى من فلسطين ومن هنا تكونت قبائل يهوذا الجنوبية [وهو ما نراه الخروج الهكسوسـى اليهوذى الذى اتخذ طريق ساحل المتوسط ودخل فلسطين من جنوبها واحتل أورشليم / المؤلف] أما الطريـق الثانى الذى سـار عليـه موسـى وهـو شخصـية تاريخيـة فينحـرف بدرجـة كبيـرة نحـو الجنـوب إلى أطراف شبه جزيرة سيناء [وهو ما نراه الخروج الإسرائيلى الذى اتجه إلى بلاد مديان فى عمق سـيناء الجنوبى والشرقى/ المؤلف] .. **وهناك موقع آخر محتمل لجبل الطور** [تقصد جبل الله المقدس/ المؤلف] هو **خليج العقبة** " (٢٧).

وتتابع كانيون تصورها لخروجين احتسبتهما كليهما لبنى إسرائيل بالـذات فتقـول: " أكـد معظـم الباحثين المحدثين النظرية القائمة على دخولين منفصلين لفلسطين من الجنوب ومن الشرق .. ففيمـا يتعلـق بالدخول من الجهة الجنوبية لاتوجد شواهد أثرية مؤكدة، لكن فى نهاية القرن الثالث عشر قبل الميلاد [وهو زمن سقوط إخناتون/ المؤلف] تعرضت المدن الفلسطينية لتدمير شامل " (٢٨).

ويتأكد صدق تخريجنا هذا عندما نتذكر ماسبق وأوردناه حول حملة الفرعون سيتى الأول على فلسطين والتى كان غرضها صد هجمات العابيرو القادمين من عبر نهر الأردن من الشرق إلى فلسـطين،(٢٩).وكـان اسم العابيرو قد لحق الجميع يهوذى وإسرائيلى، وبحسبة بسيطة سنكتشف مدى وجاهة نظريتنا فـى تحديـد زمن الخروج الإسرائيلى من مصر ومدى دقتها، وهو ذات زمن الهجمة الهكسوسية الثانيـة أيـام آمنحتـب

---

(٢٧) كاثلين كينونى: الكتاب.. سبق ذكره، ص ـــ ٤ ، ٤٣.

(٢٨) نفسه : ص ٤٤.

(٢٩) السواح / الحدث .. سبق ذكره، ص ٦٤.

الرابع التى أشار إليها يوسفيوس نقلا عن مانيتو. فقد انتهى حكم إخناتون / آمنحتب الرابع عـام ١٣٥٠ ق.م وبعدها خرج الإسرائيليون من مصر، وكان زمن حملة الملك سيتى لصد هجوم العابيرو والقادمين من شرقى الأردن إلى غربه بفلسطين كان عام ١٣٠٩ ق.م. وبالحساب السهل نكتشف أن فرق زمـن الخـروج الـذى نفترضه من زمن حملة سيتى وهو زمن وصولهم شرقى الأردن لعبوره، هو بالضبط الـزمن الـذى قضـاه الإسرائيليون فى سيناء، لأن الفارق هو بالضبط أربعين عاما، تلك المعروفة باسم سنوات التيه .

وفى كتاب اللآلئ الأثرى الذى كتبه كاهن أوغاريت (ميلكو) – والذى أثار ضجة عالمية بعـد أن تـم العثور عليه كاملا – حتى أسماه البعض: التوراة الكنعانية، – يوضح فى ثناياه أن سبطا مثل أشير لم يـدخل مصر إطلاقا، فقط ربما كان حليفا أصيلا ضمن الأحلامو الذين كانوا يحاولون استعادة قوتهم بعـد ضـربة مصر القوية التى هشمت الحلف، فنجد إشارات عديدة فى اللآلئ إلى (الأشير تم) وهى صيغة جمـع لكلمـة أشير اسم أحد الأسباط.

ورغم مالحق نصوص الكاهن (ميلكو) من تلف، فإن فيها الكثير مما يمكن قراءته، مثل ذلـك الـنص الذى جاء فى اللوحة IIAB يقول:

> ولكنهم ضاعفوا الخلاف هؤلاء **الأشيرتم**، فخذ شباكا وأنت تتحنى .. **انشقاق رؤساء اليوديم**.. فيما قاسـة إيـل .... وأبناء إيليم سوف يدمرون أتباع إيل..
>
> ها هى النار منذ يومين تلتهم، وكل شئ وقع فـى العـار، والأشياء القبيحة فى القصـور .. **يـذبح الأبقـار** حتـى المواشى الصغيرة، **يرجم الثيران** وتحت تـأثير اللعنـات تهلك العجول .. وأنا أوافق على أن نخـبر بـأنى **أنشـر الدمار فى الأردن**، إلى أحزانك سـوف لاتـدير وجههـا قرتوهة QU ARTUHA وكما أعلنـت سـينهار عرشـها **وستكون المغارة مسكنها**، سوف أدمر ميراثها وستفنى .. **ذلّ اللبينت** YABNT (٣٠).
>
> **وفى اللوحة IAB**
>
> كعلامة حداد ينثر على رأسه الرماد، **الفلسـطينى** امسـك بـه حتى جعله يسقط، فاختبأ هربا مـن حصـارهم .. لا تعط وجهك إلى العدو القاسى عندما يتقـرر جـر العـدو رئيس **اليوديم** حتى حلبا لاحتلال رهـايتم وسـحق بيـت

(٣٠) نشرها فيللور تحت عنوان: نشيد عليان بعل وذلك فى مجلة سوريا عام ١٩٣٢ ص ١١٣ ، ١٦٣.

الأحرار، **إقبل أن يحكموا الأردن**(٣١).

وفى اللوحة VAB

عندما يتقدم العبريون، حدد حدوداً للعبريين، لتكن **قيلة Queilah** للعبرانيين، وشمشيراى وأعالى الصحراء Shensheray لدغى La doghy وأشيرة Asherat من عاى

Ai حتى قادش Quadesh، ونحو مصائبك سوف لاتدير وجهها مصر القاسية.

إنهم **باللعنات دمروا كفتور Kaphtor**، حجبوا مساكنها بقوى سماوية، وأرض ميراثها، **بمساعدة ألف إبليس** مقاتل كالجيش، أسقطوها تحت الأقدام، وبسرعة جعلوها تنحنى مثقلة بالشقاء(٣٢).

ومثل كل النصوص القديمة، تبدو نصوص الكاهن ميلكو ملتبسة وصعبة الفهم المتتابع، وميلكو الذى نعرفه **كان يعمل فى بلاط العمارنة بمصر على وجه التحديد**، قبل أن يعود الى بلاده أوغاريت. إلا أنه يمكن تكوين فكرة عامة من تلك النصوص تشير إلى حروب طاحنة، يقف سبط (أشير) كنعصر واضح فيها، ويحالفه عنصر آخر وهو (يوديم)، أى اليهوذيين، **وليس فى كل نصوص (ميلكو) إشارة واحدة الى قبائل إسرائيل**، مما يعنى أنها لم تكن قد ظهرت فى المنطقة حتى زمن كتابه ذلك النص، ولم تشارك في تلك المعارك في البلاد الواقعة على الساحل الشرقى للمتوسط، وهو ما يعنى أن القبائل الإسرائيلية كانت حتى ذلك الوقت لم تخرج بعد من مصر.

ويؤيد تفسيرنا هذا أنه فى تقسيم الأرض على الأسباط فيما بعد، كان سبط أشير أقرب الفروع جغرافيا الى أوغاريت، مما يشير الى استقراره فى المناطق التى استولى عليها قبل الخروج الإسرائيلى حيث كان عنصرا هكسوسيا أو حليفا تابعاً ، وكان يستقر هناك من زمن طويل.

ثم ملحوظة أخرى تشير الى معارك خاضها رئيس اليهوذيين ضد الفلسطينيين، مما يشير الى التواجد الفلسطينى المستقر على الساحل زمن العمارنة، وهو المؤكد تاريخيا، حسبما أوردنا فى فصل لغز البلست. ثم يحدثنا النص: " انهم باللعنات دمروا كفتور " ولم يقل الكفتوريين حتى لاينصرف ذهننا الى الفلسطينين البلست على الساحل الكنعانى، لقد خص الجزيرة بالذكر، وكانت تطلق عموماً على جزر البحر المتوسط فى نصوص العمارنة. إن النص يشير الى تدمير اليهوذيين الهكسوس لبلاد كفتور بمساعدة ألف ابليس، وسبق وعلمنا من هم الأباليس أتباع ست تيفون.وبالطبع لايمكن تصور أن تدمير كفتور كان عند احتلالها فهذا زمن يبعد حوالى

---

(٣١) نفسه تحت عنوان (موت) بنفس المجلة، ١٩٣٤، ص ٣٠٥، ٣٣١.

(٣٢) إيلى ميلكو: اللآلئ .. سبق ذكره، ص ٧٠، ٨٢، ٨٣، ١٢٥، ٣٠.

قرنين من الزمان، لكنه حدث عند طردهم من مصر، حيث نجد فى سجلات فراعنة التحرير نصوصا تشير الى أن فراعنة التحرير كانوا على اتصال واضح بقادة الجزر. وأن الثورة التى حدثت فى مصر واكبتها ثورة أخرى حدثت فى كريت ضد الاحتلال الهكسوسى، حيث نجد لوحا دونه أحمس بالكرنك لتخليد أعماله وأعمال والدته الجليلة القدر (اياح حوتب) التى قادت الجند بعد موت زوجها سقنن رع حتى شب ولديها كامس وأحمس لمتابعة نضال الأب الشهيد. وفى ذلك اللوح نجد إشارات واضحة لاتصالات بين قادة التحرير فى مصر وبقية الثوار فى بقاع الإمبراطورية الهكسوسية الذين ثاروا بتحريض وبنموذج مصر، خاصة تلك المراسلات مع أهل بحر إيجة الذين كانوا منذ زمن مبكر أتباعا وحلفاء مخلصين لمصر وملوكها.

وفى زمن التحرير سجل اللوح المذكور أن سكان بحر إيجة قد أطلقوا على المرأة الحديدية (اياح حوتب) لقب سيدة جزر البحر الأبيض (حايونبوت) ويوضح محمد حماد معنى هذا الاسم بقوله إنه " جزيرة كريت وما حولها من جزر إذا أن هذه الجزر تعاونت مع المصريين فى كسر شوكة الهكسوس فى المنطقة كلها ". ثم يعقب على عبارات أخرى باللوح بقوله: " ويمكن أن نرى كذلك فى هذه الكلمات ما يشير الى أن هذه الملكة قد قامت كذلك بنشاط ملموس خارج البلاد ". " ولايستبعد أن يكون أهل الجزر أنفسهم هم الذين خلعوا على تلك البطلة ذلك اللقب مخلصين، لإعجابهم بها، فهم لاشك قد **كرهوا حكم الهكسوس** وضاقوا به كما ضاق به المصريون .. ثم إنهم وجدوا فى مصر أقوى معين لهم على الخلاص .. ولاشك أن هذه العلاقة القوية التى نشأت بين مصر وكريت كانت لها أهمية خاصة، ظهرت فى الثقافة وفى الصناعة والصلات التى تبودلت بين أهل البلدين منذ أقدم العصور " (٣٣).

أما التعبير " انشقاق رؤساء اليوديم "، فيوضح أن تلك الثورات التى اندلعت بتدبير حكام طيبة من فراعنة التحرير فى المناطق التى كانت تابعة لمصر من البدء، قد أدى الى خلافات واضحة بين رؤساء الحلف الهكسوسى أدت الى انشقاقهم وتفسخ حلفهم. والإشارات مثل رجم الثيران وذبحها تردد صدى ما نجده بعد ذلك فى **الشريعة التوراتية، التى كانت تأمر بإبادة المدن بشراً وحيواناً وعمراناً**، وهى ذات الفعال التى سجلها المصريون عن محتلى بلادهم الهكسوس.

ولا يفوت الفاحص هنا الأسماء التى وردت بتلك النصوص لمواضع، فدمار الأردن يترافق مع أولئك الذين يسكنون المغارات، الذين أذلوا أوغاريت، وقد ترجمت " ذل اللبينت " بينما قراءتها الصحيحة. كما وردت بالنص **YABNT**، والياء تستبدل بالهاء أداة التعريف السامية الشمالية. إنها (**هـ – بونت**). أما قرتوهه QUARTUHA فهى (قيراتو) وقد جاءت بالنص واقعة فى محيط الأردن وبلاد بونت، ونعتقد أنها الآن (قريات) الى الشمال الشرقى من عاصمة آدوم (البتراء) أو القرية قرب الحجر على ساحل البحر الأحمر الشرقى جنوبى آدوم، وتقع فى محيط منطقة تحمل ذات التنغيم، فهى تقع فى وادى القرى .

---

(٣٣) محمد حماد: كامس .. سبق ذكره، ص ٦١: ٦٤.

أما (مفيد عرنوق) فيلخص لنا رأيا سائراً ألقاه المؤرخون إلقاء يقول: إنه " فى فلسطين **اختلطت شعوب سامية بشعوب منحدرة من المناطق الجبلية الشمالية، وهذه الشعوب – وبنوع خاص الأناضولية القديمة – غير سامية،** ألفت فيما بعد الشعب الحثى HITTIES الذى خلف فى فلسطين طابعا مميزا بالنسبة لبقية الأعراف، وهو **الأنف المعقوف،** الذى كان من المعتقد أنه من المميزات السامية وبنوع خاص اليهود ، بينما هو كما نرى اليوم يعود الى السلالة الأناضولية، **فهو إذن غير سامى انتقل الى الساميين عن طريق التمازج السلالى** "(٣٤) .

أما الأركيولوجى والعالم اللغوى فى الأوغاريتيات البروفيسور (ميدكو) فيقدم لنا التباسات وخلط تاريخى اعتدناه فى متابعتنا لتاريخ المنطقة، وفى وسطها إضاءات برقية حقيقية، تبدو كحدس سريع تأكد لنا يقينه بعد كل ما قلناه. ويقدم لنا هذا المزيج المتنافر فى قوله: " من هم العبرانيون؟ ومن أين أتوا؟ جوابا على هذه الأسئلة التى طالما اكتنفتها المتناقضات يمكننا اليوم إعطاء جواب عنها، **فكان دخولهم الى فلسطين فى زمن تل العمارنة، أى حوالى ١٤٠٠ ق.م،** ويصح أن يكونوا من **قبائل الخبيرو** التى كانت تقاتل آنئذ الكنعانيين، **أما تقاليد العبرانيين فقريبة فى ذلك العهد من تقاليد الحيثيين وشعوب بين النهرين،** ومن المرجح أنهم كانوا يتكلمون لغة قريبة من **اللغة الحوية، Hevien ، كتابتها هيروغليفية** استخدمها الحيثيون الأوائل، ولما كان إلههم يدعى يه أو يهوه، فثمة صلات لغوية وعرقية كانت تربطهم بالحيثيين والحويين الساكنين فى البلاد، **إذن الافتراض هو أن العبرانيين يؤلفون بقايا الحيثيين الذين اجتاحوا مملكة بابل بتاريخ ١٩٠٠،** ونحن نلاحظ أن التوراة تعتبر دوما الحيثيين والحويين على صلات طيبة "(٣٥). وهكذا حل (ميدكو) المشكلة فى تلك السطور ببساطة ساذجة لم تحل شيئا، بينما استغرقت منا نحن الصفحات السوالف وماسيليها، وأكلت من عمرنا سنوات.

ويصبح الخابيرو فى زعمنا اسما عاما على الأحلاف الهكسوس اليهوذيين، بينما يشكل الإسرائيليون فى تلك الأحلاف واحداً فقط من عناصرها ، وإذا كان الخابيرو أو العابيرو هم أحلاف آدوم وبوادى الشام، فهو الأمر الذى يفسر للباحثين ذلك التضارب الشديد فى الآراء حول أصل العابيرو. وهو ما يفصح عنه قول فراس السواح: " نلاحظ كل من أسماء زعماء العابيرو فى رسائل تل العمارنة **أن بعضهم من أصل سامى** مثل ملكيلو (ملك – إيلو)، **وبعضهم الآخر من أصل هندوأوروبى** مثل شوارداتا ولابايو، وهذا يدل على الأصول المختلفة لجماعات العابيرو وعدم انتمائها الى منشأ إثنى عرقى واحد"(٣٦). وملاحظات فراس السواح على زعماء العابيرو هى ذات ملاحظاته على الهكسوس، فهو يقول فى موضع آخر " ورغم أن **معظم أسماء الملوك الهكسوس سامية، إلا أننا نعثر بينها على أسماء غير سامية أيضاً،** الأمر الذى يدل على وجود

(٣٤) مفيد عرنوق: تعقيباته علىترجمته لكتاب ايلى ميلكو (اللآلئ).. سبق ذكره ، ص ١٣٥.
(٣٥) نفسه: ص ١٨٣، ١٨٥، ١٨٦.
(٣٦) السواح : أرام .. سبق ذكره ، ص ٨٢.

عناصر مختلطة فى التركيب الإثنى العرقى لهذه الجماعات، وربما كانت هذه العناصر غير السامية قد جاءت من أصل **حورى** .. وان الطبقة العسكرية الحاكمة للجماعات الحورية كانت **من أصل هندوأوربى** " (٣٧)، وهو أمر انتهى المؤرخون الى إقراره كما جاء عند (مهران) يقول : " إن الهكسوس أنفسهم كانوا خليطا **من أجناس مختلفة ما بين آرية وسامية** " (٣٨). لذلك ينتهى السواح الى القول: " إن هؤلاء الخابيرو لم يكونوا جماعة عرقية متميزة، بل أخلاطاً من أجناس شتى، ولا تساعدنا أسماء الأعلام الدالة على أفراد منهم فى نصوص مارى وغيرها من ممالك البرونز الوسيط على تبين لغة واحدة تجمع بينهم. كما أن هذه النصوص لاتساعدنا على تحديد نمط حياة موحد لهذه الجماعات " (٣٩).

ويذكر السواح تفصيلة تشغلنا وتعنينا وتؤكد نظريتنا فى تحالف عنصر جنوب جزيرى وزنجى مع عنصر هندوآرى قادم من الشمال، فى المركز التجارى العالمى الوسيط، إذ يقول: " وتشير هذه النصوص الى جماعتين رئيسيتين فى الخابيرو هما: بنو يامينا **أو أهل الجنوب،** وبنو شمأل أى **أهل الشمال** " (٤٠).

إن الخابيرو أو يهوذا أو الهكسوس كانوا يتشكلون من موجتين مهاجرتين، موجة مختلطة زنجية – جنوب جزيرية قادمة من جنوب الجزيرة قبل أن تتكلم العربية المعروفة ويمثلهم اصطلاح بنيامين / بنويمينا، التى تعنى أبناء الجنوب لأن الكلمة يمن فى العبرية تعنى الجنوب، كما تعنى بلاد اليمن (ساكن الجزيرة كان يحدد الاتجاهات الأصلية بالتوجه نحو شروق الشمس فتصبح بلاد اليمن عن يمينه والشام عن شماله). أما الهجرة الثانية فهى هندوآرية قادمة من الشمال الأرمينى والتركى هم بنو شمأل أو بنو الشمال أو بنو شمأعيل (إسماعيل).

وقد ذكرت بداية ملحمة قراتو الأوغاريتية أن HBR العابيرو فئة عظيمة جبارة **وأن قادتهم كانوا يعرفون بلقب Try الجبابرة أو العمالقة** (٤١).

وتتالى الأحداث ويخرج الإسرائيليون من مصر بقيادة موسى، ولايأخذون الطريق المباشر الى فلسطين، بل يدورون داخل سيناء مع ساحل ذراعى البحر الأحمر، ليلتقوا بحلفائهم التاريخيين فى مديان، ويدخلوا فلسطين ليظلوا أربعة قرون يعيشون فى هيئة ائتلاف قبلى (نظام القضاة) حتى تمكن أحد أفراد الفصيل الإسرائيلى المعروف باسم (شاؤول) من قبيلة بنيامين، أن يقيم المملكة، لكن ليلتف عليها العنصر اليهوذى بقيادة (داود) الذى كان من يهوذا حوالى ١٠١٢ – ٩٧٢ق.م ويتم قتل (إيشبوشت) ابن شاول، ليستولى اليهوذيون على الحكم.

---

(٣٧) نفسه: ص ٢٤ ، ٢٦.

(٣٨) بيومى مهران: دراسات .. سبق ذكره، ص ١٣٩.

(٣٩) السواح: ارام .. سبق ذكره، ص ٢٦.

(٤٠) نفسه: ص ٢٧.

(٤١) شيفمان: أوغاريت .. سبق ذكره، ص ٢٧ .

وكان إيشبوشت بن شاول ابن أربعين سنة حين ملـــك
على إسرائيل، وملك سنتين، **أما بيت يهــوذا** فـــاتبعوا
داود / صموئيل ثانى ٢/٩ ق.م

وفى عهد سليمان بن داود حوالى ٩٧٢ ــ ٩٣٢ يدون المقدس عن الاتحاد بين العنصـــرين اليهــوذى والإسرائيلى:

وكان **يهوذا وإسرائيل** كثيرين كالرمل الذى على البحر
فى الكثرة/ ملوك أول ٢٠/٤

وسكن **يهوذا وإسرائيل** آمنين/ ملوك أول ٢٥/٤

لكن مع موت سليمان يقرر الفرع الإسرائيلى الاستقلال، وفى حوالى عام ٩٣٢ ق.م تنفصل القبائـــل، ويؤكد لنا المقدس أن ذلك النزوع للانفصال كان قائما من زمن داود، فيقول:

فعصى إسرائيل على بيت داود الى هذا اليـــوم، ولمـــا
سمع جميع اسرائيل بأن يربعام قد رجع، أرسلوا فدعوه
الى الجماعة، وملكوه على جميع إسرائيل، ولـــم **يتبـــع
بيت داود إلا سبط يهوذا وحده**، ولما جاء رحبعام الى
أورشليم، جمع كل بيت يهوذا وسبط بنيامين / ملـــوك
أول ١٢/١٩ ــ ٢١.

وهكذا فإن (يربعام) الإسرائيلى كان قد عصى على سليمان وثار عليه، ثم هرب الى بلاد مصر لاجئا سياسيا، وعاد بعد موت داود ليملك على الإسرائيليين فى مملكة منفصلة باسم إسرائيل وعاصمتها الســـامرة، بينما حكم (رحبعام بن سليمان) المملكة الجنوبية باسم مملكة يهوذا وعاصمتها أورشليم. وعلينا ان نتذكر هنا أن الفرعون (شيشنق) قد هاجم مملكة رحبعام بن سليمان بعد تولى رحبعام بخمس سنوات، مما يشير إلى أنه كان يدعم يربعام الإسرائيلى فى انفصاله، حيث نجد مملكة إسرائيل تقوم فى الشمال بعـــد غـــزوة شيشـــنق لفلسطين. أما ما يجب أن نلحظه هنا فهو النصوص التوراتية عندما تتحدث عن الشعبين متحـــدين تســـتخدم اصطلاح كل اسرائيل أو جميع إسرائيل ويهوذا كما فى قول المقدس التوراتى عن سنى حكم الملك داود:

وفى أورشليم ملك ثلاثاو ثلاثين سنة على **جميـــع
إسرائيل ويهوذا.**

صموئيل ثانى / ٥

وعندما كانت نصوص التوراة تود الإشارة الى واحدة من قبائل التحـــالف الإسرائيلى مثل بنيامين فإنها كانت تستخدم اصطلاح سبط، أى فرع إسرائيلى، لكنها حين كانت تريد الحديث عن إسرائيل بكـــل أســـباطها

وحدها دون يهوذا، فقد كانت تستخدم اصطلاح (بيت اسرائيل) و (بيت يهوذا)، مما يشير الى انفصال واضح، فأبناء اسرائيل أسباط، أما يهوذا فليس سبطا، إنما هو **بيت** مستقل عن بيت إسرائيل، ثـم تجمـع كـل بيـت إسرائيل فى يعقوب، وكل فصائل الهكسوس فى يهوذا، كما فى قولها:

بل أخرج من يعقوب نسلا، **ومن يهوذا وارثـا لجبـالى، فيرثها مختارى**

أشعيا ٦٥ / ٩

فى تلك الأيام يذهب **بيـت يهـوذا مـع بيـت إسـرائيل ويأتيا معا**

إرميا ٣ / ١٨

أما الإشارة الفصيحة البليغة فهى فى تقرير الرب نفسه أنه حاول لصق البيتين معا قدر استطاعته لكنه فشل حيث يقول:

ألصقت بنفسى كل بيت إسرائيل وكل بيت يهوذا، يقـول الرب، ليكونوا لى شعبا واسما وفخراً ومجداً **لكـنهم لـم يسمعوا**

إرميا ١٣ / ١١

وتنقسم المملكة وينفك الحلف ويظل الأنبياء يحلمون بحلم الأحلامو مرة أخرى وان المملكة ستقوم فـى أيام مقبلة، يرددون الأمانى قائلين:

ها أيام تأتى، يقول الرب، وأقيم لداود غصن بر فيملك ملك، وينجح ويجرى حقا وعدلا فى الأرض، فى أيامه **يخلص يهوذا ويسكن إسرائيل آمنا**

إرميا ٢٣ / ٥ ، ٦

أما ذكريا فقد بح صوته وهو ينادى الشـتات: **يابيـت يهوذا ويابيت إسرائيل.**

زكريا ٨ / ١٣

لكن الإشارة الهامة هنا تماما، والتى تشير الى أن لحظة خروج إسرائيل مـن مصـر، كـان يهـوذا مستقراً فى مقدسه أورشليم، تهرب منه مياه فلسطين وجبالها، فى صيغة توراتية تقول:

عند خروج إسرائيل من مصر، وبيت يعقوب من شعب

أعجم.

كان يهوذا فى مقدسه وإسرائيل فى محل سلطانه.
البحر رآه فهرب. الأردن رجع الى الخلف، الجبال
قفزت مثل الكباش، والآكام مثل حملان الغنم.

مزامير ١١٤ / ١-٤

وبينما يهوذا أو كما نزعم : الخابيرى الهكسوسى قد استقر فى جبل صهيون بأورشليم، وإسرائيل لم يخرج بعد من مصر، قال الرب عن يهوذا:

أساسه فى الجبال المقدسة، **الرب أحب أبواب صهيون**
أكثر من جميع مساكن يعقوب.

مزامير ٨٧ / ١ ، ٢

لقد وضح **أن الأقوى دوما كان يهوذا، وهو من دونت أغلب أسفار التوراة فى حجره ومن على كرسى سلطته، فساد ربه يهوه بينما تراجع إيل رب إسرائيل.**

أما جبل (صهيون) الذى استبدلته المملكة بجبل سيناء المقدس وجبل (صافون)، وأطلقت اسمه على جبال أورشليم عاصمة يهوذا، فإنه لم يستطع إخفاء أصله، لأن **(صهيون)** لغة ليست شيئاً آخر غير **(صافون)** باختلاط الياء وكذلك الواو مع الفاء كما فى (لاوى) و (ليفى).

هذا بينما ترد إشارات غامضة الى عنصر يسمى (الحوى) كان فى طريق الخارجين من مصر، وينطق أيضاً (الهوى) وهو واضح النسبة الى يهوه، لكن تم إخفاءه بعناية فى طوايا الأحداث، وهو ببساطة اسم يدل على الجنس اليهوذى الهكسوسى الذى انتشر شذراً مدراً فى سيناء وبوادى الشام بعد طرد الهكسوس من مصر، واستعادة مصر لسلطانها على أملاكها الآسيوية.

وتلك الإشارات السريعة الى (الحوى/ الهوى) تفصح عن نفسها وتصبح شديدة الوضوح بعد ما قلنا وشرحنا، وينجلى السر عن ذلك الشعب الغامض الذى حير الكتاب زمانا، فهم الشعب الذى اتحد مع الإسرائيليين بقيادة يشوع بن نون فى نص شارد وسط أحداث متلاحقة لاتعطى فرصة التأمل للكشف، ومن نماذج ذلك:

الحويون صالحوا يشوع

يشوع / ٩

لم تكن مدينة صالحت بنى إسرائيل إلا
الحويين.

يشوع ١١ / ١٩

أما من هؤلاء الحويين/ الهويين، فهو ما يفصح عنه نص يتحدث عن تاريخ قديم لعلاقة يعقوب بهم عندما حل ضيفا عليهم يعيش فى حماهم، ويشير الى اسم ملك هؤلاء فى قول التوراة:

حمور الحوى **رئيس الأرض**

تكوين ٣٤ / ١ - ٣

لقد كان ذلك الملك الهوى الحوى يعتز ويفخر باسم إلهه فيتسمى باسمه (حمور) مثل بقية الملوك الحميريين، ومثله كان حمورابى من قبل يعتز باسمه (الحمار أبى).

أما (زينون كاسيدوفسكى) فيعقب على كل تلك الأحداث بعد انفصال المملكة الى عنصريها المتمايزين بقوله: " وعلى ضوء هذه الحقائق يغدو الوضع فى كنعان واضحاً، سكنت القسم الشمالى منه القبائل اليهودية القديمة التى لم تكن فى مصر فى أى يوم من الأيام، ولم تغادره منذ زمن غابر، وكانت قد تمثلت حضارة الكنعانيين وعبدت آلهتهم، بينما استوطن القسم الجنوبى من أرض كنعان الاسرائيليون الذين جاءوا من مصر "[٤٢].

وهكذا خلط (كاسيدوفسكى) حابلها بنابلها ، فالرجل مثله مثل كل من كتب فى هذا الأمر، لمن يكن يعلم ما علمنا وهو أن يهوذا ليس شيئا آخر غير الحلف الهكسوسى الأخلامو قاطن الجنوب، ومن ثم رأى أن القبائل اليهودية لم تدخل مصر إطلاقا بل دخلها العنصر الإسرائيلى وحده. ولأن جنوبى فلسطين هو الملاصق لمصر، فقد استنتج كاسيوفسكى بسرعة البرق الاستنتاجية التى لحظناها عند الباحثين، خاصة الأركيولوجين، الذين نتمنى عليهم أن ينهمكوا فى سبر أغوار الأرض وفك طلاسم الكتابات القديمة، ويتركوا لآخرين مهمة التحليل والتركيب والربط والاستنتاج، استنتج (كاسيدوفسكى) أن سكان الجنوب هم من خرج من مصر، ليقلب بذلك التاريخ رأسا على عقب، ويقلب الجغرافيا عقبا على رأس. مستنداً الى شاهدا آخر، هو أن قبائل المملكة الشمالية عبدوا آلهة الخصب الكنعانية بينما ظلت المملكة الجنوبية على عبادة يهوه، هذا بينما التفسير الواضح لدينا هو أن اليهوذى الهكسوسى قد خرج من مصر إلى مواضعه التاريخية جنوبى فلسطين، وتشتت الحلف وتم ضربه، فمنه ما ذهب جنوبا إلي جزيرة العرب، ومنه ما ذهب إلى بوادى الشام الشمالية وأسس الممالك الآرامية، ومنه ما تشتت في الجزر اليونانية. ومنه ما استقر فى مواضعه التاريخية. ليخرج الاسرائيليون بعد ذلك من مصر ويعيدوا التحالف مع الأحلاف، فى محاولة استعادة صيغة الأحلامو، ويدخل الإسرائيليون إلى فلسطين من شرق الأردن إلى أريحا، ولا يهبطوا جنوبها، إنما يستوطنوا الجزء الشمالى الذى حمل تاريخيا اسم إسرائيل، وظل الجنوب يحمل اسم يهوذا، وتتحد المملكة زمن (شاول) الإسرائيلى، لكن لتخرج سدة العرش من بيت إسرائيل بعد ذلك الى بيت يهوذا، فيستولى (داود) اليهوذى على المملكة، ويحكم بعده ولده (سليمان)، ثم يعود البيتان للانفصال زمن (رحبعام ابن سليمان / اليهوذى) بدعم عسكرى مباشر من فرعون مصر ليربعام الإسرائيلى.

---

(٤٢) كاسيدوفسكى: الواقع والأسطورة .. سبق ذكره، ص ١٢٣.

وكان طبيعيا أن يتعبد الإسرائيليون الخارجون من مصر لآلهة الخصب والنماء، بينما يظل اليهوذيــون كما كانوا فى مواطنهم الأولى وكما كانوا فى مصر وكما ظلوا بعد طردهم منها، يتعبدون لآلهة الصــحارى دوشريت (سيت / عناق/ هفا/ يهوه) البونتى السيناوى.

وإذا كان فرع يهوذا هو الهكسوس كما نقول نحن، فذلك يفسر لنا نصا توراتيا ظل غير مفهــوم زمنــا طويلا، ورد فى سفر ملوك ثانى يتحدث عن زمن الملك يربعام بن يوآش أحد ملوك إسرائيل الشــمالية بعــد انفصالها بزمن، ويحكى ذلك السفر أن يربعام هذا دخل معارك مع جيرانه الشماليين وكانوا أراميين خلّــص وأنه انتصر فى تلك المعارك، وأنه " **استرجع إلى إسرائيل دمشق وحماة التى ليهوذا** / ملوك ثــانى ١٤/٢٨ ."

وقد وقف الباحثون إزاء هذا النص يضربون الأخماس فى الأسداس لأن دمشق وحماة لم تكــن يومــا تابعة لمملكة يهوذا، بل كانت تفصلها عن يهوذا دولة إسرائيل شقيقتها المنفصلة اللدود. فكيف استرجع ملــك من دولة إسرائيل الشمالية دمشق وحماة اللتان كانت تتبعان دولة يهوذا الجنوبية ؟! كما لو كان بطلا تاريخيا أعاد الأمور الى نصابها القديم الذى لم يكن حقيقة إطلاقا؟.

أن المحرر التوراتى كان يعلم أن سبط يهوذا هو ذاته الهكسوس، وأنه ضمن مملكة الهكسوس الكبــرى كانت دمشق وحماه، ورغم أن واقعة استرجاع يربعام للمدينتين لم تحدث إطلاقا، فــإن الــنص يعبــر عــن ذكريات كان مطلوب نسيانها، لكنها تقفز بيــن آن وآخر لتعطينا مفاتيح الألغاز.

وهكذا نكتشف أن التوراة السبعونية كانت تسجل فقط زمن دخول أسباط إسرائيل وخروجهم، لتؤكد أنهم بقوا فى مصر فقط ٢١٥ عاماً ، بينما كانت التوراة المازورية العبرية الخابيرية الهكسوسية، تسجل زمنا آخر للبقاء فى مصر، بدأت به من لحظة دخول الأحلاف الكبار الى مصر، وأنهته مــع الخــروج الإســرائيلى، فسجلت زمن بقاء الهكسوس فى مصر من لحظة دخولهم حتى طردهم على يد أحمس، وهو الزمن الذى يجب ان يبدأ حول عام ١٧٨٦ ق.م وينتهى بولاية أحمس فرعون التحرير حوالى ١٥٧٥ ق.م، وهو الزمن الــذى يساوى ٢١٥ عاما على وجه التقريب، ثم أضافت التوراة المازورية الزمن الذى استغرقه بقاء الاســرائيليين في مصر، من لحظة دخولهم زمن أسيس آخر فرعون هكسوس إلى زمن خروجهم بعــد ســقوط إخنــاتون بحوالى عشر سنين أو أقل، وهو الذى يساوى بدوره حوالى ٢١٥ عاما. وجمعت كليهما فى زمن واحد هــو ٤٣٠ عاما.

لكن يبقى أمام ما قدمناه هنا لحل مشكلة الخابيرو عقبة شديدة الوطأة، يمكنها نقض كل ما قلناه وتشــتته أدراج الرياح. وهى التى تتمثل فى النص الذى سلف الاشارة إليه، فى بداية الحديث عن الخابيرو والذى يعود الى زمن رمسيس الثانى، وهو النص الذى يتحدث عن وجود الخابيرو فى مصر، وأنهم كانوا يعملون فى نقل الأحجار للمعبد الذى يبنيه فى رسالة الكاتب (كوسيرا) الى رئيسه (بيكوبتاح)، التى يقول فيها:

وقد أطعت الأمر الذى أصدره سيدى، فأعطيت قمحــا

للعسكر **وللعابيرو**، الذين ينقلون الأحجار الى حصن
رمسيس العظيم، تحت ملاحظة إفمان رئيس الضباط،
وأعطيتهم القمح كل شهر، طبقا للأمر الصادر اليّ.

فهل ترانا قد ذهبنا فى الطريق الخطأ مذهبا بعيداً؟ هنا كان لابد من مراجعة الأمر كله، على الأحداث التوراتية التى يجب - وفق نظريتى - أن تتزامن مع أيام حكم أسرة العمارنة، إذا كان فرضنا لزمن الخروج صحيحا، حيث قلنا إنه قد تم طرد الهكسوس العابيرو من مصر على يد ملك التحرير أحمس عام ١٥٧٥ ق.م، بعد أن بقوا بها مائتين خمسة عشر عاما، وتم أسر الإسرائيليين ليبقوا بعد هذا التاريخ مائتين وخمسة عشر عاما أخرى، أى أنهم بذلك يكونوا قد خرجوا زمن اخناتون، الذى حكم ما بين ١٣٦٧ ـــــ ١٣٥٠ ق.م، والخروج يكون قد حدث بعد سقوطه عن العرش بعشر سنوات، أى يكونوا قد خرجوا حوالى ١٣٤٠ ق.م.

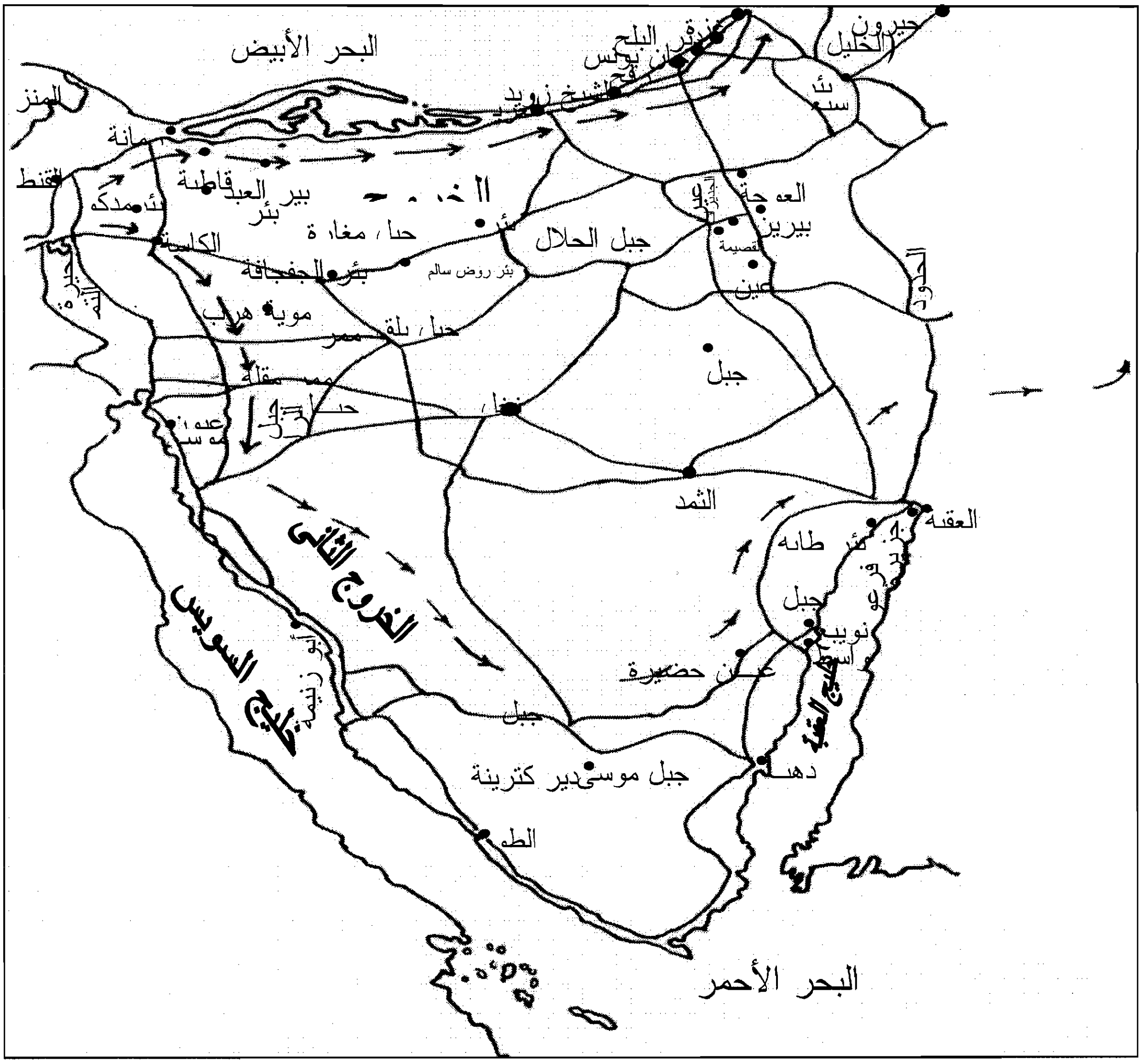
ويحكى الكتاب المقدس أن الخارجين قد استغرقوا فى الرحلة من مصر الى فلسطين أربعين سنة، ثم عاشوا تحت الحكم القبلى المعروف بحكم القضاة، وكانوا على الترتيب (أى القضاة):

عنثئيل بن قناز، وأهود بن حيرا، ثم القاضية المشهورة دبورة، ودبورة كلمة عبرية تعنى النحلة. وهى التى تعنينا هنا حيث عثرنا معها على حل المشكلة المطروحة كعقبة فى طريق الحل الذى طرحناه.

هنا يحكى لنا الكتاب المقدس فى الاصحاح الرابع فى سفر القضاة، ان الملك (يابين) الكنعانى، أذل الإسرائيليين فى فلسطين، وكان مقر ملكه فى مدينة حاصور، أما قائد جيشه فكان اسمه (سيسرا)، وكان (سيسرا) يسكن فى مدينة (حروشة الأمم)

ويشرح لنا قاموس الكتاب المقدس معنى اسم (حروشة الأمم) تحت مادة (حروشة) بأنها **تجمع سكنى لأجناس من أمم مختلفة**، وأنها الآن هى تل عمار على بعد ١٦ ميلا الى الشمال الغربى من مجدو بفلسطين.

والغريب أن الكتاب المقدس يقرر أمراً شديد الغرابة، فيؤكد أن قائد الجيوش هذا المعروف باسم (سيسرا)، كان لديه قوة ضاربة هائلة تتكون من **تسعمائة مركبة سريعة من الحديد**. وهو أمر لايمكن على الإطلاق تصوره مع ملك إقليمى لمدينة إقليمية بفلسطين، فهذا جيش يليق بإمبراطورية من إمبراطوريات ذلك الزمان.



طرق سيناء تفسير الخروجين عند كانيون خريطة رقم (٣٧)

ونتابع رواية الكتاب المقدس فتقول إن القاضية النبية الإسرائيلية دبورة، كانت تعيش فى مكان يدعى جبل (تابور)، أو (دبور) وأنها دعت الإسرائيليين لمقاومة (سيسرا) وجنده عند قادش.

وبغض النظر عما لحق القصة من تهويلات أسطورية، فإن الحدث يمكن فهمه فى ضوء قصة الحملة الثالثة للملك رمسيس الثانى على فلسطين، حوالى عام ١٢٩٥ ق.م، ضمن حملات كانت موجهة دوما نحو قادش الجليل ومحيطها ويحكى لنا التاريخ:

> وفى السنة التالية، وصل رعمسيس شمالى فلسطين، حيث حاصر شاتونا، ثم **دابور** التى كانت تقع فى النهاية الجنوبية لمملكة عمورو، وبذلك يكون **موقعها فى غربى الجليل**، وفى قلعة **دابور** هذه سحب الحيثيون ملك العموريين السابق الذى خلعوه ينبت شينا، ويبدو من النص أن الحيثيين قد استولوا على دابور السورية، وهى أقصى مدينة فى الجنوب يصلها الحيثيون الى حد الآن، وعندها دارت موقعة مهمة، الأمر الذى حدا برمسيس الثانى الى التقدم واختراق بلاد نهرينا/ دولة ميتانى، واستولى على رتنو السفلى/ شمال سورية، وأرواد وبلاد كفتيو .. وفى هذا الوقت أو بعده بقليل قام رمسيس بغزو بلاد موآب .. **وآدوم** (٤٣).

هكذا تعلمنا نصوص معارك رمسيس الثانى بمعركة كبرى ضد فلسطين، وضد غزاتها الحيثيين القادمين من الشمال، وان هناك موقعة قد حدثت عند منطقة باسم دابور تقع غربى الجليل، وهو الموقع الذى حدده قاموس الكتاب المقدس لحروشه الأمم وجبل دابور.

وبعد أن هزم رمسيس الثانى سكان تلك البلاد وقام بتأديبهم، ورد الحيثيين وأوقف خطرهم مؤقتا، عاد الى مدينته (بى / رعمسيس) بعدد غفير من الأسرى.

> تمت هزيمة الآسيويين، جميعاُ آتوا صاغرين، ينحنون
> أمامه فى قصره فى بى رمسيس ميرى آمون (٤٤).

لقد كان هؤلاء الأسرى هم العبيرو الذين جاء ذكرهم بعد ذلك يحملون الأحجار لبناء الملك رمسيس الثانى، أما الحاسم فى الأمر فهو ان اسم ذلك المحارب الذى كانت لديه تلك المدرعات الهائلة، والذى سجله المقدس التوراتى بحسبانه قائد جيوش كنعانى، بخطأ فادح لانعلم سره الآن، كان يحمل اسم **(سيسرا)**، وهو اللقب المتكرر المحبب للملك رمسيس الثانى، لقد كان ذلك اللقب هو **(سى سى رع)** (٤٥). وهكذا يمكن تفسير

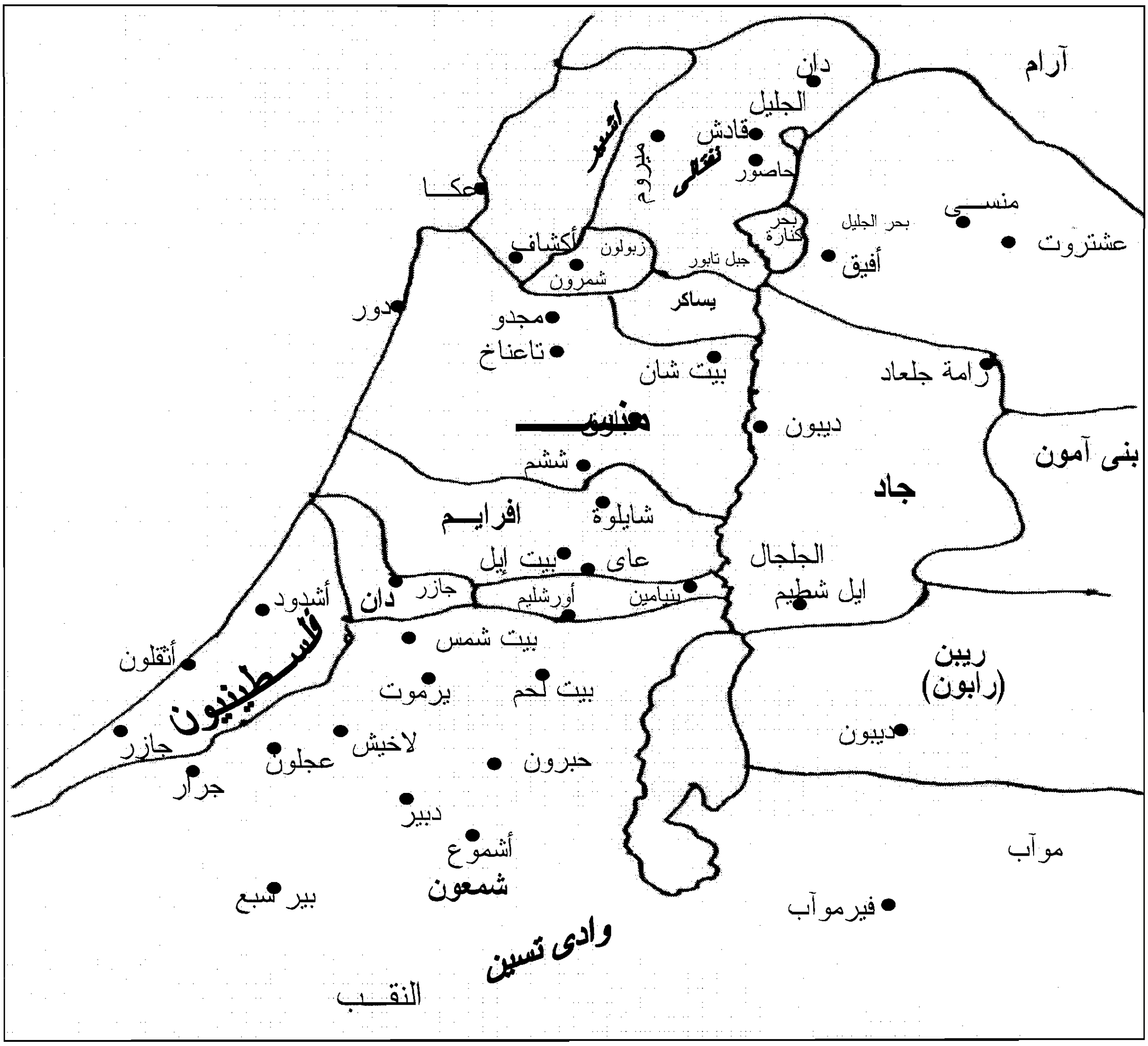
---

(٤٣) سامى سعيد: الرعامسة .. سبق ذكره، ص ٤٩،٥٠.

(٤٤) السواح: الحدث .. سبق ذكره، ص ٦.

(٤٥) سامى سعيد: الرعامسة .. سبق ذكره، ص ٢٤، ٢٥.

وجود عابيرو فى مصر يعملون فى خدمة رمسيس الثانى، بعد طردهم من مصر بسنوات طويلة. لقد جاء بهم رمسيس أسرى.



توزيع الأسباط حسب رؤية التوراة على أرض فلسطين
خريطة رقم (٣٨)

قاطعو الرقاب

معلوم أن اصطلاح (سامى) أو (ساميين) تسمية قد وضعها على أساس توراتى (شلوتزر) سنة ١٧٨١م. وانتشرت من بعده بعد أن قسم أجناس البشر حسب التوراة إلى: ساميين وحاميين ويافثيين، نسبة إلى أبناء نوح سام وحام ويافث. وأصحاب هذا التقسيم يذهبون إلى أن سام قد أنجب العبريين والعرب الذين يسكنون بوادى الجزيرة والشام وسيناء، وأن حاماً قد أنجب المصريين والزنج الكوشيين الساكنين أفريقيا، وللعجب تمت إضافة الكنعانيين إلى بنى حام فى شجرة الأنساب التوراتية رغم أنهم ليسوا أفارقة بل من سكان فلسطين الآسيوية، لكن يبدو أن التوراة كانت **تدون ذلك** بما لديها من ذكريات زمن كانت فيه بلاد كنعان تتبع مصر سياسيا فاحتسبت الكنعانيين مصريين، هذا بينما أنجب يافث الهندوآريين وضمنهم الترك والصقالبة واليونان وأوروبا. وقد عنى علماء الساميات باصطلاح اللغة السامية مجموعة لغات شقيقة هى: العبرية والفينيقية والأرامية والبابلية والآشورية والعربية والحبشية الجعزية والأمهرية.

وقد سبق وعرضنا للفريق الذى يعيد أصول الساميين إلى جزيرة العرب عندما كانت جنات وارفة تزخر بالأنهار. وعلمنا أن مشكلة هذه النظرية التى تجعلها مستعصية القبول، هو أنها تعود بنا إلى أحداث وقعت إبان نهاية العصر الجليدى الأخير، لتفسر لنا بها حضارات فى أطراف شبه الجزيرة الشمالية فى الألف الثالثة والثانية قبل الميلاد.

بينما علمنا أن هناك فريقا آخر يذهب إلى الاتجاه المعاكس تماما، فيأتى بالساميين مع الهندوآريين من بلاد أرمينيا القديمة، دون تبرير واضح للخلاف اللغوى والجنسى لشعبين ينطلقا من مكان واحد فى اتجاه هجرة واحد ليستقروا فى مكان واحد. ويستمد هذا الرأى وجاهته من سفر التكوين التوراتى، الذى ينسب الشعوب السامية إلى أرفكشاد Arpachsad أو أربكسد بن سام بن نوح (تكوين ٢٢/١٠ - ٢٤ و١٢/١١). حيث لوحظ أن هذا الاسم هو بالضبط الاسم التاريخى لمنطقة آرابا - خيتيس Arrapa Chitis التى تسمى الآن (البك)[١]، ولعله من الواضح أن الكلمة هى أيضا **عرابة خيتيس**، ولو أخذناها بهذا الشكل اكتسب الاسم معنى واضحا هو **العرب الحيثية أو الكاسية** أو العرب الكاسيين أو القيسيين ويكون هؤلاء حسب نظريتناهم من منحوا وادى Arrapa عند العقبة اسمه عندما جاءوه مهاجرين. والتوراة تشرح لنا أن هناك قوما قد تعرضوا لكارثة طبيعية اضطروا معها إلى الهجرة على فلك أسطورى من مكان ما فى الشرق، معبرة بذلك الترميز عن وطن أول بعيد هو برأينا برارى أواسط آسيا شمالى الهند، ثم تقول الأسطورة ترميزا للهجرة الأولى إن السفينة ألقت مراسيها عند المحطة الأولى لأولئك المهاجرين على جبال أرارات الموجودة الآن بذات الاسم قرب بحيرة فان فى بلاد أرمينيا إلى الشمال من العراق فى محيط بحر قروين، ومن هناك انطلقت أجيال جديدة من البشرية تفرقت أجناسا فى أنحاء العالم المعروف آنذاك، والتوراة تؤكد:

---

(١) نولدكة: اللغات السامية.. سبق ذكره، ص٢٢ .

واستقر الفلك فى الشهر السابع فى اليوم

السابع عشر من الشهر على جبال **أراراط**

تكوين ٨/٤.

وهنا يلفت (جويدى) نظرنا إلى أن الساميين ليس لديهم اسم مشترك للجبل، لكن لديهم اسم مشترك للنهر، ويستنتج من ذلك أنهم كانوا فى الأصل أهل زرع يعيشون معا قرب الأنهار فى مناطق ليست جبلية أو صحراوية [٢] وهو يريد بذلك تأكيد الأصل التوراتى الأراراتى الأرمينى للساميين كما هو فى الوقت ذاته أصل الهندوآريين.

لكن الدكتور لويس عوض من جهته لايعير اهتماما لحديث جويدى عن الأصول الزراعية للساميين القادمين من أرمينيا، ولأن الساميين عموما كانوا من البدو الرعاة، فقد ذهب يوجز أبحاثا كثيرة لذوى التخصص تدعم ذلك الرأى فيقول: " ظلت القوقاز وميديا (شمالى إيران/ المؤلف) وعامة منطقة بحر قزوين حتى العصور التاريخية الحديثة نسبيا ١٠٠٠ – ٥٠٠ ق.م. مجتمعات رعاة فى المقام الأول رغم معرفتها بالزراعة ورغم الاستقرار الزراعى فى أحواض أنهار الهند، كما نستخلص فى كتب إيران المقدسة ولاسيما الإفستا Aveasta والجاثا والأوبانيشاد upanishads حيث نشم رائحة أبقار الرعى وجيادها وأعشابها الغالبة فى كل سفر من أسفارها " [٣]

ولأننا **نعتقد – كما وضح – بهجرة قادمة من أرمينيا هى الهجرة الأرامية، لكننا نراها محض هندوآرية، ولأننا نراها هجرة لقوم من البدو وليسوا زراعيين،** فقد ذهبنا نبحث عن تفسير لقوم رعاة رحل عاشوا فى مناطق زراعية خصبة، فعثرنا عند المؤرخين الكلاسيك على ذات المشكلة تواجههم وتؤرقهم، فقد لفتت نظرهم ظاهرة شعوب مرتحلة تسلك مسلك النظام البدوى الرعوى رغم معيشتها حول أنهار ومناطق خصيبة، فساقوا لتفسير ذلك ألوانا طريفة من الافتراضات، مثلما جاء عند (يفستافى) محدثا عن قبائل تعيش فى مناطق الأنهار حول بحر قزوين تحمل اسم سكيث أو سكاث أوسكيذ، فالاسم غير منضبط على لفظ ونطق واحد صارم فى الكتابات القديمة، لكنه يدور حول ذات التنغيم، فيقول (يفستافى):

يُروى أن سكيث كانوا فى السابق يأكلون الخبز
ويزرعون الأرض ويعيشون فى المنازل ويملكون
المدن، إلا أنهم بعد الهزيمة التى ألحقها بهم الفراكيون.

---

(٢) انظر جويدى فى

Della sede primitiva Memorie della Reale Accademie

وهو منشور فى

dieliccei, classe die scienze morali storiche e filologiche

بالسلسلة الثالثة من المجلد الثالث، روما، ١٨٧٩، ص ٥٦٦ و٦١٥

(٣) لويس عوض: مقدمة.. سبق ذكره ص ١٠٧

بدلوا نمط حياتهم. وأقسموا قسما لارجعة فيه ألا يقوموا أبداً ببناء المنازل ولابزراعة الأرض ولاتشييد المدن ولا امتلاك الأشياء الثمينة. إنما جعلوا من عرباتهم مأوى لهم ومن الحيوانات طعاما لهم ومن اللبن مشربا لهم. وألا يمتلكون من القطيع سوى ذلك القدر الذى يسمح لهم باصطحابه من بلد إلى آخر. منذ ذلك الحين تحولوا من مزارعين إلى رُحَّل.(٤)

ولكن مع متابعة البحث يمكنا العثور على تفسير علمى لهذا الأمر، ويتحدث عن تحول شعوب زراعية إلى بدوية مرتحلة فى أكثر من منطقة بالعالم القديم، خلال العصر البرونزى القديم الرابع، ثم بعد ذلك خلال العصر البرونزى الوسيط الأول، ويشرح ذلك (توماس طومسون) بقوله: " حوالى ٢٤٠٠ – ٢٣٥٠ق.م. انتهت فجأة المرحلة القليلة الأمطار التى سادت العصر النحاسى والبرونزى القديم، وتلتها فترة جفاف ارتفعت فيها درجات الحرارة تدريجيا،ودامت حتى ١٩٥٠ ق.م. تقريبا. فقصرت فصول الشتاء وطالت فصول الصيف الحارة وانخفض منسوب المياة وقلت الأمطار. وفى مصر أدت عدم كفاية فيضانات النيل إلى انهيار زراعى بحجم كارثى... وهجرت مواقع عديدة فى العصر البرونزى القديم... مع وجود مؤشرات إلى عدم القدرة على زراعة الأشجار المثمرة والتركيز على زراعة الحبوب والرعى ". ولأن طومسون ركز حديثه على منطقة شرقى المتوسط، فنحن نتخذها نموذجا ومقياسا لما حدث فى برارى آسيا ثم محيط قزوين، فهو يقول: " على أطراف المناطق الزراعية وخاصة فى منطقة السهوب السورية، ظهر تزايد فى الرعى مع زراعة بعض الحبوب... وتشير وثائق مسمارية عديدة من وادى الرافدين إلى تحول تدريجى فى هذه المنطقة... ويبدو أن أطراف المناطق الزراعية فى المرتفعات لاسيما فى يهوذا، قد تخلت عن الزراعة المستقرة / كما يبدو أن مثل ذلك قد حصل أيضا على طول الساحل الجنوبى للمتوسط وفى بئر سبع وحوض عراد.. وتحولت معظم منحدرات النقب الأوسط خلال العصر البرونزى القديم الرابع والبرونزى الوسيط الأول إلى الرعى الموسمى مع بعض الزراعة المستقرة. مما يشير إلى انهيار جزئى كبير أرغم المستوطنين على هجر المنحدرات... والتركيز على زراعة الحبوب والرعى ".

ثم يشرح (طومسون) فترات الانتقال بين العصور فى تقسيمها إلى ثلاث فترات هى كالتالى: " ١ – الفترة الواقعة بين العصر الحجرى الحديث والغزونى أو النحاسى المتأخر ٥٠٠٠ – ٣٥٠٠ ق.م ٢ – فترة العصر البرونزى القديم الرابع والبرونزى الوسيط الأول من نهاية البرونزى القديم إلى بداية العصر

(٤) يفستافى: تعليق على جغرافية الأرض يونيسى، الفصل ٦٦٩ . ضمن كتاب د . ت . م . كوزينتسوفا (الاسكيثيون) وهو مجموعة نصوص المؤرخين الكلاسيك جول الإسكيث، موسكو، دار نشر المدارس، ١٩٩٢، ترجمها خصيصا لهذا البحث الفنان الروسي الكسندر مولستوف والدكتورة عزة الخميس، ص ٨٧. ونظن أن التسمية (يفستافى) هى النطق الروسي للمؤرخ الفلسطينى (يوسابى) المعروف بالنطق اليونانى باسم (يوسابيوس).

البرونزى الوسيط حوالى ٢٤٠٠ – ١٩٥٠ق.م. ٣ – الانتقال من العصر البرونزى الأخير الثانى إلى العصر الحديدى فى القرن الثالث عشر إلى القرن العاشر " (٥).

وهكذا تفسر لنا هذه القراءة كيف تحولت مناطق كثيرة من المعمور على خطوط المدارين، مما دعى إلى مجيئ بدو رعاة من مناطق خصيبة، والذين زعمناهم أراميين هندو آريين، وهم لاشك فصيل من تلك القبائل المتبدية الهائلة المعروفة باسم **سكيث أو سكاث**، ناهيك عن كون تزايد الرعى المفاجئ فى محيط بادية الشام وفلسطين يدعم قولنا فى زيادة عدد الرعاة فى المنطقة بمجيئ المهاجرين الرعاة إليها.

ويعلن لويس عوض إيمانه بنظرية الكتاب المقدس التى تأتى بالساميين مع الهند وآريين أويافثيين من محيط قزوين فى قوله: " والمخزن البشرى العظيم الذى خرج منه عديد من أقوام منطقة الشرق الأوسط القديم، **منذ الألف الثالثة ق.م.** كان المنطقة المحيطة ببحر قزوين من ميديا عبر جبال القوقاز حتى البحر الاسود. وقد دلت الأبحاث التاريخية والأثرية على أن حضارة سومر Sumer فى جنوب العراق – وهى أقدم حضارة معروفة فى بلاد الرافدين – وأن اللغة السومرية هى لغة ميدية سيكيذية Medo - Scythis. وهذا يشير إلى موجات بشرية خرجت فى **أوائل الألف الثالثة ق.م. من مراعى ميديا Medea فى شمال إيران المتاخم لبحر قزوين. ومن مراعى سيكيذيا Scythia فى القوقاز، ومن مراعى سيميريا Cimmeria حول البحر الأسود، واستقرت هذه الموجات فى بلاد ما بين النهرين وأعطتها لغتها الهندو أوروبية. وربما أعطتها اسم سومر من اسم سيمريا..** وعند كونتو Conteneau أن النموذج البشرى السومرى كان سائداً أيضا **بين البروتوحيثيين** Proto-Hittites فى آسيا الصغرى [يفترض العلماء أنه سبق الحيثيين فى الاناضول / المؤلف] والحوريين Hurrians فى شمال أشور وغربها، وبين عامة السكان من القوقاز حتى عيلام Elam شرقى الخليج الفارسى. وهو يصنفهم أنثروبولوجيا بأنهم لاهندو أوروبيون ولا ساميون وإنما من النموذج الأرمنويد Armenoid " (٦) **أى النموذج الشبيه بالأرمنى** وهو النموذج الذى قررنا نحن من جهتنا أنه الأرامى الأرمينى .

وهكذا يشرح لنا (لويس عوض) أن أقوام مراعى مناطق ميديا شمالى إيران وسكيذيا فى القوقاز قد هبطوا منطقتنا فى هجرات متتابعة، كان أولها هجرة السومريين الذين أسسوا الحضارة السومرية الهندوآرية فى الرافدين القديم، قبل ظهور الساميين الذين تسللوا هناك وامتلكوا البلاد وأسسوا الدولة الأكادية الواضحة السامية. وإن بين أعضاء هذه الهجرة المبكرة كان سكان الأناضول القبل حيثيين. وقد احتسب العلماء هؤلاء البروتو حيثيين كانوا سكان الأناضول بذات الاسم لكن من حضارة سابقة على الحيثيين فى فرضية غير ذات

(٥) توماس ل طوسون: التاريخ القديم للشعب الإسرائيلى، ترجمة صالح على سوداح، بيسان للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٥، ص ١٢٦:١٢٨.

(٦) لويس عوض: مقدمه، سبق ذكره، ص٣١، انظر أيضا

Georges conteneau, civilisation d' Assur et de Babylone, Paris, ١٩٥١, p١٩.

معنى، **بعد أن ثبت لنا الآن أن الحيثيين كانوا فصيلا من الاسكيثيين كذلك البروتوحيثيين كذلك الحوريين**، الذين رأيناهم ينحدرون جنوبا ليسكنوا وادى عربه فى آدوم الحورية وفى محيطها ببوادى الشام وسيناء.

ويتابع **(لويس عوض)** شروحاته قائلا: " من الثابت أن القبائل الآسية Asianiques المنحدرة إلى الهلال الخصيب من القوقاز وما حول بحر قزوين والبحر الأسود ومن منطقة الأناضول ومن هضبة إيران، أيا كان منبعها وأيا كان تكوينها الأنثروبولوجى، كانت **تتكلم لغة ميدية سكيذية** وهى إحدى فروع المجموعة الهندو أوروبية. وربما تكون **موجات منها قد نزلت فى شبه الجزيرة كما نزلت موجات منها فى الهلال الخصيب**، وفى هذه الحالة ليس هناك ما يمنع أن تكون الشعوب الملقبة بالسامية سواء فى الهلال الخصيب أو فى شبه الجزيرة، هى فى حقيقتها **موجات متعاقبة من عصور متعاقبة ومن مواقع متباينة من هذه المجموعة الآسية** ". (٧)

ثم يلقى (عوض) بالأهم فيقول: " فبنو إسرائيل إذن منذ خروجهم من مهد إبراهيم فى العراق نحو ١٨٠٠ ق.م. حتى عودتهم من مصر إلى فلسطين، **ينتمون لغويا وسلاليا إلى مجموعة الأقوام القوقازية** التى أخذت تتدفق على منطقة الشرق القديم منذ بداية الألف الثالثة ق.م على أقل تقدير، وعرفت بدايتها التاريخية بحضارة سومر ". (٨)

وهنا نعود إلى كتابنا (النبى إبراهيم والتاريخ المجهول) نقتطع منه فقرات شديدة التواصل مع ما يقول عوض هنا. حيث كنا نبحث عن مدينة (أور الكلدانيين) التى أشارت إليها التوراة كموطن أول للقبيلة الإبراهيمية، التى هاجرت من هناك إلى حاران فى داخل الحدود التركية الحالية، لتعود هابطة لتستقر فى أرض كنعان / فلسطين. أو كما تقول التوراة: إن إبرام / إبراهيم كان ابن تارح بن ناحور بن سروج ابن رعو بن فالج بن شالح بن أرفكشاد بن سام بن نوح. وأن هجرة هذه القبيلة حدثت كالتالى:

> وأخذ تارح إبرام ابنه، ولوطا بن هاران ابن ابنه، وساراى كنته
> امرأة إبرام ابنه، فخرجوا جميعا من **أور الكلدانيين** ليذهبوا إلى
> أرض كنعان فأتوا إلى حاران وأقاموا هناك. ومات تارح فى
> حاران.

تكوين ١١ / ٣١

وعلى الشاطئ الغربى للفرات فى أقصى جنوب الوادى عند رأس الخليج العربى، تم الكشف عن مدينة باسم (اور)، لكن علم التاريخ لا يخصصها بأنها (أور الكلدانيين) الذين حكموا العراق ما بين ٦٢٥و ٥٣٨ ق.م. فقط. لأن (أور) كانت مدينة شديدة العراقة قبل زمن الكلدانيين بأزمنة طويلة، ولأنها كانت حاضرة

---

(٧) لويس عوض: مقدمه.. سبق ذكره، ص٣٣.

(٨) نفسه: ص٣٩.

ذات شأن أسسها السومريون الهندوآريون، وكانت موجودة فى موضعها هذا تتقلب عليها الدول منذ منتصف الألف الرابعة قبل الميلاد.

وإذا كانت الهجرة من (أور) التاريخية هذه إلى كنعان فى الغرب منها عبر بادية الشام لا تحتاج إلى أكثر من أسبوع سفر. فإن رحلة القبيلة الإبراهيمية لم تتجه فوراً إلى كنعان، بل ضربت شمالا من مدينة أور فى أقصى جنوب الوادى حتى وصلت حاران داخل الحدود التركية، لتقيم هناك زمانا ترحل بعده إلى كنعان، فتصلها بعد خمسة عشر عاما من خروجها من أور.

ثم تظهر لنا حاران بعد ذلك فى التوراة، كما لو كانت هى الموطن الأول للقبيلة الإبراهيمية وليس أور. وحول حاران تقول التوراة:

> فأتوا حاران وأقاموا هناك ومات تارح فى حاران. وقال الرب لإبرام: **اذهب من أرضك وعشيرتك وبيت أبيك** إلى الأرض التى أريك. فأجعلك أمة عظيمة وأباركك وأعظم اسمك وتكون بركة. فأخذ إبرام ساراى امرأته ولوطا بن أخيه وكل مقتنياتهما التى اقتنيا والنفوس التى امتلكا **فى حاران** وخرجوا ليذهبوا إلى أرض كنعان.
>
> تكوين ١١/٣١ و ١٢/١ – ٥

والملاحظة هنا أن التوراة باتت تشير إلى حاران باعتبارها أرض عشيرة إبراهيم، رغم قولها قبل ذلك بمدينة (أور) كموطن أول لتلك العشيرة. وهو ما دفعنا دفعا إلى محاولة البحث عن الموطن الأول للعشيرة الإبراهيمية، ووضعها موضع البحث للتفسير والفهم. وتيسيراً للأمر نجمل المشكلة فى موجز سريع يحدد سماتها بوضوح.

التوراة تقول إن الركب الإبراهيمى المهاجر قد خرج من أور الكلدانيين على الشاطئ الجنوبى الأقصى لنهر الفرات يقصد أرض كنعان الفلسطينية، وهو ما يعنى أن الموطن الأصلى للعشيرة الإبراهيمية كان جنوبى العراق، وتقع مباشرة إلى الشرق من كنعان تفصلهما بادية الشام. لكن الركب ــ دونما سبب واضح ــ يتحول شمالا ويستمر يضرب مسافات وبلدان ومواطن، ويتجاوزها جميعا حتى يصل إلى حاران داخل الحدود التركية الآن. وهنا لا مندوحة من التساؤل: لماذا التحول عن الطريق القصير المباشر إلى كنعان، وتجشم مصاعب مضاعفة للوصول إليها عن طريق حاران. والأهم أن حاران تبدو فى رواية التوراة كما لو كانت محطة ترانزيت معروفة على الطريق من أور إلى كنعان، رغم وقوعها فى أقصى الشمال بعيداً عن الطريق بمسافات شاسعة. والغريب فى أمر التوراة أنها بعد أن ذكرت (أور الكلدانيين) نسيتها تماما،

واستمرت تضرب على الأصل الأرامى الحارانى، ولم تمل تأكيد أن إبراهيم كان " أراميا تائها.. تثنية ٥/٢٦ ".

وهنا افترضت من جانبى أن حاران التوراتية لم يقصد بها مدينة محددة بعينها، قدر ما قصدت بها التوراة موطن الهجرات الأول للحوريين، ذلك الموطن الذى يضم عدداً من الدويلات الأرامية كانت التوراة على صلة بها طوال الوقت، وربطت إبرام وأسرته بها. وهو الأمر الذى يشير إلى المحطة الكبرى القديمة للحوريين القادمين من برارى الهند وإيران ليستقروا هونا فى محيط بحر قزوين وأرارات. وهنا كان لابد أن نتساءل حول (أور) الجنوبية ومدى صدق احتسابها موطنا أول للقبيلة الإبراهيمية؟ وبعدها ذهبنا نبحث فى مساحة بحر قزوين عن أور أخرى يمكن أن تكون هى ذلك الموطن: لأن (أور) الواقعة جنوبى العراق تختلف مكانيا مع معطيات التايخ حول الهجرة الهندوآرية، كما أننا لو احتسبناها فقط (أور الكلدانيين) فإن ذلك سيضعها بعيداً تماما عن زمن النبى إبراهيم، حيث لم تقم دولة الكلدانيين إلا بعد زمن النبى إبراهيم بحوالى ألف عام أو يزيد.

والمعلوم أن (أور) كلمة تدل على القرية أو المدينة بشكل عام، وهى (UR) الجذر الثنائى للكلمة الثلاثية (كور KUR). والكور والكورة الحى أو القرية أو المدينة، أو ما نسميه فى الدارجة المصرية (الكفر)، فمدينة قرطاجة الفينيقية على الساحل الإفريقى ــ مثلا ــ مركبة من ملصقين: الأول (كورة) أى قرية، والثانى (طاجه) أو بنطقها الأصلى (حداشه) أى الحديثة أو الجديدة فهي كور حداشة. وبتبادل حرف (واو) مع حرف (فى V) تصبح كور هي كفر، والكفر هو القرية.

ولذلك نجد أكثر من (أور) إضافة إلى (أور – الكلدانيين)، فهناك (أور – شليم) أى مدينة السلام و (أور – كومينوس) باليونان و (أور – أوك) بالعراق القديم، ثم مدينة الأرض أو (أور – آرتو) على جبال أرمينيا المعروفة الآن بجبال أرارات قرب بحيرة (فان).

والتوراة من جانبها ترمز للهجرات الكبرى من أواسط البرارى الأسيوية إلى محطتهم الكبرى بأرمينيا بقصة الطوفان، التى قالت بانتقال قوم من موضع أصابته كارثة بواسطة سفينة ضخمة إلى جبال أرارات حيث ألقت السفينة مراسيها. وأنه مما يؤكد أن (أرارات) المذكورة بالتوراة هى ذات أرارات الواقعة فى أرمينيا، ما جاء عند المؤرخ (هروشيوش) إذ يقول: إن السفينة النوحية قد ألقت مراسيها " على الجبل الذى بأرمانية ".(٩)

وفى الوقت ذاته تؤكد التوراة أن إبراهيم من نسل (أرفكشد أو أربكسد بن سام بن نوح)، ووجدنا فى اسم (أرفكشد) ما يضع أيدينا على وصلات الأمر المبعثر، حين تساءلنا: هل قصدت التوراة بمدينة (أور) مدينة أخرى غير أور الكلدانيين، ربما كانت تقع فى موطن الحوريين القديم بأرمينيا المعروف باسم (أراب ــ

(٩) أورسيوس: تاريخ.. سبق ذكره، ص٦٢،٦٣.

خيتيس) التى تلتقى بعد حذف التصريف الإسمى (الياء والسين) مع أرفكشد وتصبح هى بالضبط (أربكسد) أو (أربخسد)؟ وهلا يعنى ذلك إمكان أن تكون (أور) المذكورة فى التوراة باسم (أور الكلدانيين) هى ذاتها مدينة الأرض (أور ــ آرتو)؟ لانعتقدنا مخطئين إن احتسبنا منطقة أربكسد الكاسية هى المعنية فى التوراة بأور الكلدانيين، وأنها المقصودة بـ (أور كسديم)، وهو الاسم الوارد فى التوراة المازورية العبرية، فهى تقول: (أوركسديم) [١٠] ولا تقول: (أورالكدانيين) الواردة فى الترجمة العربية. أما (أرابخيتيس) فهى مركبة بدورها من ملصقين (آرابه ــ خاسى) أو (آراب ــ كاسى) أو العرب الكاسيين أو العرب القيسية. وإذا كان هؤلاء من قبائل سكيث أو سكاس، فهو بدوره ما يذكرنا بالسكاسك ذلك العنصر الواضح فى فيالق الهكسوس بمصر. ولو قدرنا أن الكلمة كانت تنطق مصريا (أراب ــ سا ــ كاس) فهى ما تعنى بالضبط العرب أبناء الكاسيين. لان (سا) تعنى (ابن) كما تعنى الإضافة فهم العرب الكاسيين.

وهكذا لا يعود رحيل العشيرة الإبراهيمية من أور إلى كنعان عبر حاران أمراً مثيراً للاستغراب والعجب، لأنها فى هذه الحال لن تأتى من أور على الخليج العربى، إنما من أورارتو أو (أرارات) فى جبال أرمينيا متجهة غربا نحو حاران القديمة التى تصبح بذلك محطة منطقية تماما على الطريق، ثم تشد القبيلة رحالها مع التدفق الأرامى نحو بوادى الشام خلال النصف الأول من الألف الثانى قبل الميلاد. ويبدو أنه خلال استقرارهم فى محطتهم الأولى فى محيط ارارات أنشأوا أول مديناتهم المستقرة متمثلة فى الدولة الحيثية، ثم فى مجموعة الدويلات الأرامية التى تناثرت على الحزام الحورى شمالى سوريا والعراق الغربى الشمالى.

وقد سبق وعلمنا أن الكلمة (أراب) و (عرابة) تدل فى إطلاقها على البداوة بشكل عام، كما أن الحيثيين يلفظ اسمهم على مختلف التخريجات خيتى وحيتى وكاتى، **مما يشير إلى أصولهم الجنسية السكوثية أو السكاثية** أو الكاسية أو القيسية القادمة من البرارى الآسيوية. وضمن هجرة هؤلاء **السكاث أو الكاسيين** جاءت العشيرة الإبراهيمية، لتوجز التوراة لنا قصة تلك الهجرات مرموزاً لها بالسفينة النوحية التى سجلت حدث الهجرة الأول حوالى الألف الثالثة قبل الميلاد أو قبل ذلك من برارى آسيا إلى محيط أرارات، ثم رمزت للهجرة الثانية من أرارات ومحيط قزوين إلى بوادى الشام بقصة الرحلة الإبراهيمية. ومن جهته أكد التراث الإسلامى أن إبراهيم لم يكن عربيا بمفهوم اليوم ولم يكن من الجنس العربى المقصود فى جزيرته، **لأن لسانه كان سريانيا من الفرع الأرامى**، لكنه عندما عبر نهر الأردن فيما يروى أبن هشام فى سيرته، حول الله لسانه إلى اللغة **العبرية** [١١] بينما اكتسب فرع من نسله العروبية بعد ذلك ممثلا فى رمز إسماعيل أبو العرب المستعربة.

ولمزيد من التأكد سعينا حتى سمعنا (ماكلستر) يؤكد لنا بخبرته فى اللغات القديمة والأجناس أن **لغة بلاد الميتانى** التى يزعمها المؤرخون بين الخابور والفرات، **كانت فرعا هندوآريا لا شك فيه إطلاقا، كذلك**

---

(١٠) الصليبى: التوراه جاءت.. سبق ذكره، ص٣٩.

(١١) السهيلى: الروض الأنف... سبق ذكره، ج١، ص١٦.

بنفس اليقين كانت بلاد الحيثيين فى الاناضول تتكلم بدورها لغة هندو آرية، بل عبد كلاهمـــا ذات الأربـــاب بذات الأسماء. (١٢)

وهكذا فإن **(لويس عوض)** ينهج مع ذات نهج المدرسة التى تأتى بالهنـــدوآرى ومعه السامى من تلـــك المواطن، يأتى بكليهما من موطن واحد على اختلافهما الجذرى دون مبرر واضح واحـــد. فأكـــد أن موجـــة الهجرة الهندو آرية أوكما يسميها بالهندو أوروبية قد جاءت فى غزوتين: الأولىهى غزوة الكاسيين Kassites التى احتلت الرافدين، وغزوة الحوريين الميتانيين التى أنشأت لها دولة مزعوم أنها بين الفرات والخابور، أما الموجة التى صاحبتها فهى موجة سامية قادمة من ذات المواطن وتمثلت بدورها فى فصيلين: العمـــوريين أو الأموريين Amorites والأراميين Aramaeans ويأتى على ذلك بشهادات يرى أوثقها شهادة آرثر كيت الـــذى يصف العرب بأنهم **أقوام قوقازية تتكلم لغة سامية.** (١٣)

ثم يعلن عوض نظريته بقوله: " وقد انتهيت من أبحاثى فى فقه اللغة العربية إلى **أن اللغة العربية هـــى أحد فروع الشجرة التى خرجت منها اللغات الهندو أوروبية** ". (١٤) وكى يثبت **(عوض)** نظريته تلك؛ قدم لها بدراسة تاريخية أنثروبولوجية لا تتناسب إطلاقا فى عجالتها وتبسُّطها مع عمله الكبير وقيمة النظريـــة التـــى يطرحها. وهى النظرية التى يمكنها أن تجد فى عملنا هذا تأسيسها التاريخى الأنثروبولوجى المناسب. رغـــم الاختلاف البينى بين ما يقول وبين ما نقول. لأننا لا نرى العنصر المعروف بالسامى الشمالى الذى ظهر فى بوادى الشام كان قادما من بلاد أرمينيا خالصا، بل نراه عنصراً مولداً من عناصر تلاقـــت وتلاقحـــت فيهـــا العنصر الحامى ممثلا فى الكوشيين العمالقة والجنوب جزيرى أو العمورى أو الأمورى وكذلك فى المصريين الحاميين ولغتهم، وبين العنصر الأرامى الكاسى أو السكيثى الحيثى القادم من الشمال الهند وآرى. وأن ذلـــك اللقاء قد بدأ مبكراً قبل الألف الثالثة قبل الميلاد فى بواكير التواصل الأولى والتي تبعتهـــا هجـــرات متعـــدده منوعة من بعد، وهو ما يمكن أن **يكون قد حدث إبان قيام الدويلات السومرية الهندو آريـــة فـــى العـــراق الجنوبى القديم،** وهو أيضا ما تثبته خبرة العراق حيث ظهر الساميون هناك بعد ذلك ممثلـــين فـــى الدولـــة الأكادية، لكن ليتمثل الأكاديون الثقافة السومرية وعقائدها وطريقة كتابتها ممزوجة بلغة جديدة وثقافة جديـــدة **سميت سامية، وهى تحوى فى تراكيبها ومفرداتها وعقائدها تراثا هندو آريا كاملا.**

نحن نعنى أن السامية الشمالية المعروفة فى لغاتها المتعددة إنما كانت ناتج تلاقح الحامى والهندو آرى أو اليافثى بلغة التوراة مع الجنوب جزيرى القديم القادم من اليمن، أما التفاصيل الدقيقة والمقارنـــات اللغويـــة التى يمكن إقامتها على تأسيسنا هذا، فهى مهمة أخرى نتركها لمن يستطع بحثها من علماء متخصصين، قـــد تجد كشوفنا طريقها إلى قناعاتهم.

---

(١٢) ماكسلتر: الأقوام الجدد.. سبق ذكره، ص١٠٠.

(١٣) لويس عوض: مقدمه: ص١١٠.

(١٤) نفسه: ص٢٦.

وكى يدعم (لويس عوض) نظريته فى هندو أوربية اللغة العربية فى أصولها، قام بجمع مايؤيد رأيـــه، وضمن ذلك إثباته **حداثة العرب قياسا على الأمم القديمة، وهى برأينا حداثة ضرورية ناتجة عـن حداثــة العنصر السامى الشمالى جميعه كما زعمنا،** ومن هنا يشير (عوض) إلى أن أبعد المصادر التى تشير للعرب كعنصر متميز عن غيره من الأجناس، **لا تبعد عن بداية الألف الأولى قبل الميلاد:** وهنا ينبـــه قــائلا: " إن العرب حين يتحدثون عن منشئهم يقسمون أنفسهم إلى **ولد عدنان وهم عرب الشمال، وولد قحطان وهم عرب الجنـــوب** وهناك فكرة متوارثة أن نسل يعرب بن قحطان أصفى عروبة من نسل عدنان، ولذا جــاء تبويـــب العرب إلى **عرب عاربة وهم أهل الجنوب، وعرب مستعربة وهم أهل الشمال.** ومن العلماء من يؤيـــد هـــذه النظرية بما تتضمنه من اعتراف بأن عرب الشمال من أجناس كانت غير عربية ثـــم اســـتعربت. **أو أنهـــم مولدون من العرب وغير العرب.** وعلى كلٍ فإن عرب الشمال المستعربة ينسبون أنفسهم إلى إســـماعيل بـــن ابراهيم الخليل عن طريق عدنان ومضر. وفى روايات أنهم من عدنان ومضر دون ذكـــر لإســـماعيل بـــن ابراهيم. وانتساب عرب الشمال إلى إسماعيل يجعلهم أبناء عمومة بنى اسرائيل، أو بتعبير أدق أنصاف اخوة، أى إخوة غير أشقاء. فالجد الأعلى للطرفين هو إبراهيم أبو إسحق وجد يعقوب اسرائيل مـــن جهـــة، وأبـــو اسماعيل وجد عدنان من جهة أخرى.. وربما كان براهما Brahma هو الإيبونيم Eponym القـــومى لموجـــه هندية إيرانية استقرت فى أور عبر لوريستان Luristan فى ايران، ثم هاجرت إلى حران فى عهد الكاســـيين Kassites نحو ١٨٠٠ ف.م. لتعيش فى ظل الأرستقراطية العسكرية التى نزلت على حـــران مـــن القوقـــاز Caucasus أو سيكذيا Scythia وخرج منها الاشكينازى Ashkinazi". (١٥)

ولا يفوت (عوض) اللماح الإشارة إلى كون " الوثائق الأشورية التى ترجع إلى أواخر القـــرن التاســـع ق.م. أى قبيل ٨٢٤ ق.م. **تشير إلى ملكات العرب** وهم **قبائل مؤتلفة** من البدو الرحل من شمال شبه الجزيرة العربية. جعلت بعض العلماء يستدلون من هذه الإشارة إلى ملكات العرب، ومن شيوع اسماء القبائل المؤنثـــة مثل: أمية، ربيعة، كندة، مرة، الخ أن القبائل العربية عرفت فى مرحلة من تاريخها نظم المجتمع الأمـــومى Matriarchal society **حيث المرأة هى رأس القبيلة** " (١٦).

أما نحن فقد انتهينا إلى القول بمملكة تسمى عريبى وعرابة وسبأ كانت تقطن محيط العقبة، وأن سكانها كانوا أصحاب تجارة وطيوب وعز أو عنز أو معز، وأن بينهم كانت الملكة سبأ أو الزبـــاء، وأنهـــم كـــانوا رفاعيين أو رباتيين من أصحاب الثعابين، وأنهم كانوا عمالقة.

وقد عرج عوض بلمحة مضيئة ــ لكنها أيضا مثل الفلاش السريع ــ على الهكسوس وعلاقتهم ببنـــى اسرائيل، فراجع ما قدمه يوسفيوس نقلا عن ما نيتو ليخرج بنتائج أجملها فى قوله: " وواضح من كـــل هـــذا الكلام أن فرعون موسى الذى ذهب ما نيتون أو يوسفيوس على لسان مانيتون إلى أن فتنة بنى إسرائيل قـــد

(١٥) نفسه: ٢٥،٢٦.

(١٦) نفسه: ٢٤.

حدثت فى عهده هو **آمنحتب الرابع الشهير بإخناتون** نبى التوحيد والسلام فى العالم القديم، فهو وحده الذى اشتهر باعتراض الضمير على الحروب، وقد ناصبته طيبة العداء لدعوته التوحيدية من ناحية، ولتفريطه فى ردع أعداء مصر من ناحية أخرى ".[١٧] وقد استند **(عوض)** فى تزمين الخروج بزمن إخناتون تأسيسا على ماورد عند يوسفيوس أنه رفض مشاركة رجاله فى معركة ضد الهكسوس " فقد كان يعتقد أن الحرب عمل ضد الآلهة " [١٨]

ولما كان معلوما أن الهكسوس قد تم طردهم قبل زمن إخناتون بما يزيد على قرنين من الزمان، فقد كان الرأى هو أن بنى إسرائيل كانوا بقايا أسيرة بقيت حتى زمن إخناتون حيث تم حدث الخروج، وعليه يستنتج عوض " أنه إذا صحت رواية ما نيتون فإن بنى إسرائيل كانوا بمثابة **طابور خامس لغزوة هكسوسية ثانية متأخرة** فى الدولة الحديثة باءت بالفشل، وانتهت بكارثة لهم ولبنى إسرائيل. ومع ذلك **فكل هذا لا يتفق فى التاريخ مع الرأى السائد القائل بأن خروج بنى إسرائيل كان فى عهد مرنتباح** ".

ومن هنا يضع عوض نظرية سريعة للتفسير أخذها عن بيير مونتيه ــ فيقول: " ومعنى هذا أن دخول بنى إسرائيل مصر كان نحو ١٦٥٠ ق.م. كما يبدو أنهم أقاموا بها (إبان حكم الهكسوس / المؤلف) كما تقيم الجاليات الأجنبية فى ظل الحكم الأجنبى فى أى بلد مفتوح. وأنهم لم يرحلوا عن مصر مع الهكسوس المطرودين ١٥٦٧ ق.م. بل ظلوا فى البلاد نصف متمصرين ومتمركزين أساساً فى شرق الدلتا، حيث كانت أفاريس عاصمة الهكسوس القديمة. بحجة أنهم غرباء يزاولون شئون معاشهم ولاصلة تربطهم بالغزاة الهكسوس، وفيها أقاموا أكثر من قرنين ضيوفاً أراذل حتى بعد أن أقام رمسيس الثانى مدينته بى رمسيس Pi-Ramses على أنقاض مدينة أفاريس، إلى أن طردهم مرنبتاح جملة من أرض مصر مابين ١٢٢٣ أو ١٢١٥ ق.م بحسب تقديرات بيير موانتييه " [١٩]

ثم بلمحاته العبقرية يتساءل (عوض): " إن الحقائق التاريخية تقول إن الهكسوس بعد خروجهم من مصر قد اختفوا جملة من مسرح التاريخ، وهذا الاختفاء ممكن سياسيا لكنه غير ممكن بشريا. فمهما كان الهكسوس بعد خروجهم من مصر فى حالة من التمزق والإعياء؛ فلابد أن نفترض أن هذه الحشود البشرية التى أتيح لها أن تُخضع المصريين أكثر من قرن ونصف، لابد أن تكون قد استقرت فى مكان آخر خال تنشئ فيه محلاتها ومضاربها، أو مكان آخر مأهول تختلط فيه مع السكان الأصليين " [٢٠]

وهكذا يبدأ عوض فى العثور على أصول العربية فى الهند وأوربية فى قصة أنثروبولوجية تذهب إلى أن الهكسوس كانوا عنصراً هندوآريا خرج من مصر لكن ليحط رحلة فى مكان آخر، يعلن عنه فى نص

---

(١٧) نفسه: ٣١.

(١٨) نفسه: ٣٠.

(١٩) نفسه: ٣١ : ٣٣.

(٢٠) نفسه: ٣٤.

عبقرى يقول: " نشتبه أن **الحجاز** جملة كان المنطقة التى لجـا إليهـا **الحكـا – خـازو** **Heqa Khasou** أو الهكسوس بعد طردهم من مصر. وتعايشوا مع سكانها الأصليين الذين عرفوا الهكسوس الوافـدين باسـمهم المصرى القديم. وانتهى الأمر بأن جرى الاسم على المنطقة كلها وفقد معناه الأصـلى وصـار اسـم علـم جغرافى فحسب " [٢١]

ولاشك أن ما قلناه حتى الآن يذهب إلى أن بعض عناصر الهكسوس وبينهم السكان الأراميـين الـذين خرجوا من مصر، قد ذهبوا جنوبا نحو شمالى جزيرة العرب ليمنحوها اسمهم السكاث، لكن بعد تحول حرف (س) فى النطق المصرى إلى (ح) لتصبح الكلمة حسب القواعد التى وضـعها عـوض نفسـه (حكـاث) أو (حجاز)، قياساً على (سآكل/ حاكل المصرية أو ساذهب / ها أذهب)

وفى لقطات مضيئة سريعة قافزة فلاشية يعقد (عوض) المقارنات اللغوية كما فـى قولـه: " إن ملـك الهكسوس خمودى: Khamoudi الذى ورد فى بردية تورين فيه جميع العناصر الفونيطيقية فى اسـم ثمـود " [٢٢] وهو القول الذى يعضد ماذهبنا إليه حول قدم ثمود فى مناطقها الحضارية، وأنها كانت تقع ضمن دائـرة حلف الاخلامو الكبير الذى قـوى شأنه ليتوسع على حساب دول المحيط ويحتلها وضمنها مصر نفسها.

ونتابع لقطات عوض إذ يقول: " نحن نقف أمام اسم مثل الصالحية فى مصر بالقرب من السويس (فى الحقيقة هى أقصى شمال شرق الدلتا وتتبـع محافظـة الشـرقية الآن وينسـبها الـبعض للملـك الصـالح أيوب/المؤلف) واسم مداين صالح فى شمال الحجاز واسم صالح وشالح ومتوشالح (أسماء عربية وتوارتيـة/ المؤلف) وربما صلاح، لايسعنا إلا أن نشتبه فى أنه صيغة من اسم شيليك Shelek الهكسوسى، ومن حقنا أن نستنتج مبدئيا أن مداين صالح كانت إحدى المحلات أو المدن التى أنشأها الهكسوس بعد طردهم من مصـر " [٢٣]

أما نحن فقد قلنا أن مداين صالح كانت قبل الخروج من مصر بل قبل الدخول إليها، عضوا فى حلـف الأخلامو ومدينة تابعة للعاصمة الأم سالع/ البتراء/ بونت فـى وادى عربة ببلاد آدوم.

ومن تلك النماذج الفلاشية نموذج آخر يقول فيه: " وفى تقديرى أن اسم عمران ومشتقاته له علاقة باسم العمو Ammou أو العمرو Amrou وهى القبائل التى احتلت دلتا مصر أو شرقيها مع الهكسوس وفى زمنهم، فنصوص مصر تحدثنا دائما عن كفاح مصر ضد الخازو والعمو بعد الفتح الهكسوسى. والصلة بين الخـازو والعمو غير واضحة عند المؤرخين " [٢٤]

---

(٢١) نفسه: ٣٤.

(٢٢) نفسه: ٣٣.

(٢٣) نفسه: ٣٤.

(٢٤) نفسه: ٣٥.

ويصل من هذا كله إلى نتيجه مفادها " إن الهكسوس إذن لم يأتوا إلى مصر من الحجاز ومن شبه جزيرة العرب، إنما استقروا فيها بعد طردهم من مصر، أما المنبع البشرى الذى تدفقوا منه على الشرق القديم ثم عبروا إلى مصر سواء على مراحل أو دفعة واحدة، فهو بحسب تقدير الكثير من علماء الآثار والتاريخ القديم، نفس المستودع البشرى المعروف فى عصر الهجرات العظيمة حول بحر قزوين. وربما كان هذا المنبع ذاته مجرد محطة وسطى استقروا فيها زمنا منذ هجرتهم من أواسط آسيا، شأن كافة القبائل التى تسمى آرية طورانية وسامية. **والهكسوس إذن ليسوا بنى إسرائيل، وإنما بنو إسرئيل كانوا على الأرجح قبائل دخلت مصر تحت جناح الهكسوس وعاشت فى كنفهم. ثم طردت من مصر بعد رحيل الهكسوس بقرون**، أو ربما طردت معهم أيام أحمس ثم استجدت العودة أيام تحتمس الثالث. ولعل بنى أسرائيل هم قبائل العمو Ammou التى كثيراً مايرد ذكرها مع الخازو khasou أو الهكسوس فى النقوش المصرية القديمة. وكانت متمركزة معهم فى شرق الدلتا بصفة أساسية، مع جيوب هنا وهناك أكثرها فى مصر الوسطى " (٢٥).

وإعمالا لكل هذه المعطيات، ينتهى عوض إلى أنه " مهما افترضنا للعرب وجوداً فى المنطقة فهو لن يتجاوز بضعة قرون ترجع بهم إلى ١٠٠٠ ق.م. أو ١٢٠٠ ق.م. فلو كان لهم وجود معروف باسمهم المعروف أيام الصراع العظيم بين المصريين والحيثيين ١٥٥٥ ــ ١٢٧٩ ق.م. أو بين المصريين والميتانيين Mitanni ١٤٥٠ – ١٣٦٢ ق.م. فى العراق، أو بين المصريين وبنى إسرائيل ١٢٢٣ – ١٢١٥ ق.م ، أو بين المصريين والهكسوس أى بين ١٧٢٠ أو ١٥٦٧ ق.م. لورد ذكرهم فى النقوش القديمة فى أية منطقة من مناطق الشرق القديم. وعلى هذا فانه يتعين علينا أن نفترض أن وجودهم فى شبه الجزيرة لاحق لعام ١٠٠٠ ق.م. أو قبل ذلك بقليل. ولن نستطيع أن نفسر **ظاهرة تكون اللغة العربية من عناصر مشتركة مع اللغات الهندوآرية**، إلا إذا افترضنا أن التكوين السكانى لشبه الجزيرة، لم يكن فيضانا سكانيا من داخل شبه الجزيرة إلى خارجها أو حوافيها المحيطة بها، ولكن **كان فيضانا سكانيا من خارج شبه الجزيرة إلى داخلها** "(٢٦)

وهكذا أسس (لويس عوض) تاريخيا وأنثروبولوجيا لقوله إن اللغة العربية من أصول هندوآرية من حيث هبطت جموع الهكسوس من محيط بحر قزوين إلى المنطقة، ثم خرجت من مصر مطاردة من قبل المصريين، فهبطت الحجاز وأعطته اسمها ولغتها التى أصبحت العربية الشمالية، أم العربية الفصحى الآن. **لكن ذلك كان وجهاً واحداً للحقيقة لايفسر لنا تداخل آخر لأسماء أعلام ومفردات وتراكيب لغوية ليست من الهندوآرية فى شئ، وكانت من العلامات الهكسوسية البارزة الباقية. هنا نظن أن نظريتنا هى الأوفق للتفسير**، والتى قلنا فيها بمجئ هجرات تدريجية متتابعة من الجنوب اليمنى على الخط التجارى البرى الصحراوى، هى هجرة العمالقة العموريين التى جاءت من جنوب الجزيرة ويمكن تسميتها تجاوزاً (السامية

(٢٥) نفسه: ٣٦، ٣٧.

(٢٦) نفسه: ٣٨، ٤٠.

الجنوبية) وسبق وأطلقنا عليها الجنوب جزيرية مع هجرة كوشية زنجية استقرت فى شمالى الجزيـرة وآدوم وسيناء، لتهبط عليها عناصر هندوآرية، حورية وحيثية، لتستقر معها فى مديان، وتشكل لها قيادة عسـكرية تتوسع على حساب دول المحيط، حتى تتمكن من إقامة إمبراطورية الهكسوس، **وكان أهم إفرازات هذا اللقاء من فجره قبل ثلاثة آلاف عام من الميلاد، ظهور جنس جديد ولغة جديدة هجين هى اللغة السامية الشمالية** متشكلة من عناصر جنوب جزيرية تأسيسية وعناصر حامية زنجية ومصرية وعناصر هندو آرية.

على مستوى العربية والهندوآرية قدم لويس عـوض جهـداً رائعـاً وعظيمـاً، لاتتكـره المنكـرات والمصادرات ضد كتابه لسقطة هنا وزلة هناك، حيث إن الرجل قد أثبـت نظريته ببراعة، وهى أحد مؤيداتنا هنا لاتغنى الإشارة إليها عن قراءتها فى كتابه الرائع. ومن جانبنا ثبت بطول هذا البحـث بوضـوح مـدى الالتقاء والتداخل بين المصرية القديمة، وبين العربية، أو مابقى لنا من تطور العربية الشمالية ممثلة فى قمـة نضجها فى لغة قريش التى أصبحت اللغة العربية الفصيحة الصحيحة. وعندما كنا نقدم قراءتنا عثرنا علـى أكثر من شهادة من التاريخ العربى الإسلامى على وجود عنصر عربى سامى ممثلا فى شهادات ذلك التاريخ بحكم عماليق الجزيرة لمصر، لكنا أبداً لم نجد مثل تلك الشهادات الفصيحة على الجانب الآخر عند القـائلين بهندوآرية الهكسوس أو بعضا منهم على الأقل، فهل بالإمكان العثور على مثل تلك الشهادات التى تؤكـد أن عناصر هندو آرية قد دخلت مصر واحتلتها وحكمتها؟ بل وحكمت أيضا بقية مدنيات الشرق الأوسط القـديم ضمن إمبراطورية كبرى؟ حيث وضح لنا وجود العنصر الآرى كعنصر قائد متقدم بين فيالق الهكسوس كما سبق شرحه.

نقف هنا مع القبائل التى جاء ذكرها باسم **سكيث لنعتبرها من وجهة نظرنـا القبائـل الأم للهجـرات الهندوآرية**، أو أنها الاسم الشامل الذى كان يطلق على تلك القبائل المهاجرة من برارى آسـيا ومنهـا كـان الحوريون والحيثيون الذين كانوا عنصراً مؤسسيا فى المملكة الآدومية التجارية، ومن ثم فى الإمبراطوريـة الهكسوسية. حيث كان الاسكيث أو السكاث كما أسماهم اليونان أو الكاسـيون كمـا أسـماهم الرافـديون أو الهكسوس كما أسماهم المصريون قبائل متبدية هائلة العدد لاتعرف الاستقرار تنتشر طول الوقت فى بـرارى آسيا الوسطى من شمالى الهند إلى أرمينيا.

وبحسبان حرفي (خ) و (ك) حلقيان يتبادلان **فإن الحيثيين هو لفظ آخر للسكيثيين** حيث تتبـادل (س) و(ح) وهكذا يمكن أن نعتبر المصادر الحيثية مصادر سكيثية أصيلة، نبدأ بحثنا منهـا، فهـل ورد أى نـص تاريخى فى المدونات الحيثية يشير إلى أحداث قديمة، احتل بموجبها الحيثيون مصر؟

هناك نص ضئيل القيمة تماما لدى المؤرخين والباحثين **لم يعره أحد التفاتا، نتيجة عدم الربط إطلاقـا بين الحيثيين والهكسوس**، وهو مانجد له ترجمة عند عالم الحيثيات (جرنى) إذ يقـول أولا مقـرراً حقيقـة

واضحة هى " والحيثيون من الأقوام الهندو أوروبية التى لعبت دوراً مهما فى تاريخ الشرق الأوسط القديم، لكنا مع ذلك **نجهل الكثير عنهم**"(٢٧)

أما النص المقصود فهو ذلك الذى يقول:

> عندما حمل إله جو حاتى (يقصد إله الهواء الحيثى / المؤلف) رجال كوروستوما **إلى بلاد مصر**. وقيدهم إله جو حاتى بمعاهدة إلى أهل حاتى وجعلهم يقسمون على رعايتها (يقول جرنى معقبا أن ذلك عائد على المصريين أى أن إله الجو الحيثى فرض عهده، على المصريين بقسم الولاء للحيثيين الذين من كوروستومار / المؤلف). وبذلك أصبح شعب حاتى وشعب مصر مقيدين بقسمهم لإله جو حاتى ، ونكث شعب مصر بعد ذلك بالعهد، وباتوا يحنثون بقسمهم بالإله، لذلك أرسل أبى مشاة وفرسانا **وغزوا حدود مصر** وبلاد أمكا، ثم أرسلهم مرة ثانية **فغزوا مرة ثانية**.

ويشرح هنا (جرنى) أن كوروستوما هى القطاع الشمالى الشرقى من الأناضول، أى بالضبط المساحة التى نتحدث عنها كمنطلق أخير للهجرة الهندوآرية **ما بين قزوين والبحر الأسود فى أرمينيا وأرارات** لكن جرنى يرى ذلك النص غير مفهوم لوأخذناه بظاهره، وأن هؤلاء قد احتلوا مصر، ويفسر بأن ذلك كان غير ممكناً ولم تتحدث عنه أية نصوص مصرية، لذلك لاتفسير له إلا وجود الحيثيين بفلسطين بعد ذلك فى التاريخ التوراتى، وهو ما يعنى أن النص لم يقصد مصر بلاد النيل، إنما قصد فلسطين التى كانت تابعة آنذاك لمصر سياسيا (٢٨)

لكن قراءة النص تفيد أن الملك الحيثى يتحدث عن غزو تم من جانب بلاده لبلاد مصر، وأن ذلك قد تم زمن أجداده، حيث أقسم المصريون وأقسم الحيثيون على الارتباط بعهد نكث به المصريون، فعادوا زمن أبيه فغزوا مصر ثانية، وهو الأمر الذى يلتقى مع تاريخ مانيتون عبر يوسفيوس وأكد عليه لويس عوض. حيث علمنا أن **هناك غزوتين للهكسوس**، غزوة أولى كبرى تم طردها على يد أحمس ثم غزوة هكسوسيه متأخرة حدثت زمن فتنة بنى إسرائيل وقائدهم أوزرسيف الذى أرسل يطلب مدداً هكسوسياً عند ثورته، فدخل الهكسوس مصر مرة أخرى، لكن لتتم هزيمتهم هزيمة نهائية وأخيرة على الحدود المصرية.

لكن ألا نكون بذلك كمن يصنع من مادة قليلة ضئيلة بناءً طويلاً عريضا يقوم على أساس هش، على إشارة يتيمة وردت فى نص ضمن نصوص حيثية كثيرة أخرى؟

---

(٢٧) جرنى: الحيثيون.. سبق ذكره، ص١٧.

(٢٨) نفسه: ص٨٥.

هنا كان لابد من المثابرة والدأب والمشقة سعيا وراء ما يمكن العثور عليه من قرائن، وهى ماوجـــدناه فى حديث المؤرخين الكلاسيك عن شعوب اسكيث أو سكاث، لأن **(هيبوقراط)** فى كتابه: " حول الماء والهواء والأقاليم " وهو كتاب فى الطبيعيات، محدثا عن الشعوب التى عاشت فى المنطقة الفاصلة بين أوروبا وآسيا، أى عند أرارات وقزوين تحديداً، يقول:

> أولا سأتحدث عن **طوال الرؤوس** لأنه ليس هناك شـــعب آخر على الإطلاق له مثل تلك الجمـــاجم. وقـــد ســـاهمت مجموعة من العادات إلى تلك الاستطالة فى الرؤوس، ثـــم أسهمت الطبيعة بعد ذلك بدورها فى دعم تلك العادات، وقد أتت تلك العادات من اعتقاد تلك الشعوب **أن طويل الرأس نوع مميز من البشر**. فعند ولاده الطفل، وطالمـــا كانـــت عظام الرأس لينه لم تتصلب بعد.. **يجبروا الـــرأس علـــى الاستطالة بلفائف. الأمر الذى يشـــوه الشـــكل الطبيعـــى للرأس فتزداد استطالتها**. وفى البداية كانوا يفعلون ذلـــك خضوعا لعادات موروثه، لتأتى رؤوسهم بهذا الشكل بفعل قسرى. **لكن مع الوقت أصبحت الرأس تأتى طويلة بحكـــم الميلاد الوراثى**، أما الآن فقد اختفى طول الرأس بســـبب اختلاطهم بالزواج من شعوب أخرى. وهذا رأيـــى فيمـــا يتعلق بهذه الظاهرة. (٢٩)

ولأن الحيثيين فيما زعمنا قبائل اسكيثية، فقد كان طبيعيا وغير مفاجئ أن نقرأ عند **(جرنى)** فى كتابـــه **(الحيثيون)** قوله:

من الحفريات بفحص الجماجم التى وجدت فى عدة مواضع بالأناضول، وجد أن معظم السكان كـــانوا **طوال الرؤوس** وذلك خلال الألف الثالثة قبل الميلاد. على مزيج قليل بالأنواع القصيرة العريضة الـــرؤوس (٣٠).

هذا وقد عثرنا عند مكسيلاك القرياندى على نص مؤيد يقول: " وقد عاش شعـــب من **ذوى الـــرؤوس الطويلة** خلف البخاريين" (٣١)

---

(٢٩) د.ت.م. كوزنيتسوفا: الاسكيثيون .. سبق ذكره ، ص٨٧. ولاحظ أن كلام أبو قراط في وراثة العادة يعود لزمن بعيـــد لا يتفق مع ما يعرفه العلم الحديث

(٣٠) جرنى: الحيثيون.. سبق ذكره، ص٢٧٧.

ولعلنا لم نزل نذكر ماقلناه فى باب عاد وثمود، ونقلنا منه وصفا عينيا لمقابر منطقة مقنا فى محيط بلاد الحجر وآدوم، حيث يقول الشاهد: عثر على كثير من **الجمــاجم الغريبة الشكل فى طولها**.. والجماجم أكبــر بكثير من جماجم الناس العاديين (٣٢).

ثم نجد عند جرنى إشارات لاسم منطقة عاش فيها الحيثيون وردت فى الأساطير اليونانيــة، مرتبطــة باسم ملك حقيقى من ملوك الحيثيين، إلا أن اليونان إطلاقا لم يعرفوا الدولة الحيثية فى كتاباتهم، فقط كــانوا يشيرون إلى الاسكيث، مما يعنى أنهم قد عرفوا الحيثيين ولكن باسم سكيث وتقول إشارة جرنى:

> وأخيراً فلدينا **القصة الخرافيــة** التــى حفظهــا اســتفانوس البيزنطى وهى أن مدينة ساميليا فى **كاريا** قد أسسها شخص يدعى مونيلوس الذى استقبل هيلين وباريس فى رحلتهما من اسبرطة إلى طروادة على مايظن ويبدو أننا نجد هنــا مــا يذكرنا بالمعاهدة الإقطاعيــة التاريخيــة بــين موونــاليس والاكساندوس (٣٣).

استفانوس هنا يحدثنا عن مدينة أسسها ملك يدعى مونيلوس أو موونتاليس فــى كاريا، وأنــه اســتقبل الأشخاص الأسطورس هيلين وباريس القادمين من اسبرطة إلى طروادة. وقد تم الكشف عن طــروادة فــى أقصى غرب الأناضول، مما يعنى أن موونتاليس كان ملكا على الأناضول. ونحن نعلم بوجود ملك بهذا الاسم متكرراً فى قوائم ملوك الحيثيين، وهو دليل آخر قوى على رأينا أن الحيثيين كانوا هــم المعــروفين باســم الاسكيث عند اليونان. كما نعلم من عالم الأجناس واللغات (ماكلستر) أن بلاد كاريا هذه حيث حكم موونتاليس، على خريطة رسمها لبلاد الحيثيين بالأناضول، كانت تقع على ساحل المتوسط المحاذى لبلاد اليونــان فــى جنوب غربى شبه جزيرة الأناضول، مما يقطع بأن اليونان قد عرفوا الحيثيين خاصة أن الحيثيين قد أقــاموا دولتهم وعاصمتهم فى بلاد الأناضول الملاصقة لبلاد اليونان وكانت امتداداً معلوماً لها. لذلك يكــون غريبــا تماما ألا يعرف اليونان شيئا عن الحيثيين اللهم إلا إذا كانوا يعرفونهم كما نقول باسم الاسكيثيين. وكان عــدم ذكرهم لديهم يكمن فى كونهم أطلقوا عليهم اسمهم الأصلى (سكيث) ذلك الاسم الذى تكرر كثيراً فى قصص طويله كتبها اليونانيون عن شعب السكيث أو السكاث. وهو ما يؤكد ما قلناه بهذا الصدد إن الحيثيين من قبائل السكيث أو هم قبائل سكيثية، ثم نتذكر كيف استبعد المؤرخون الإشارات القديمة إلى الأراميين زمــن الملــك الأكدى نرام سين، واحتسبوها مجرد تشابه فى الأسماء لأنهم رفضوا وجود الأراميين فى المنطقة فــى ذلــك الزمن المبكر، لكن لما كنا قد احتسبنا الأراميين والحيثيين عناصر اسكيثية هندوآرية، فإن ذلك يفسر لنا قول

---

(٣١) مكسيلاك القرياندى (كاريانديسكى): جغرافية البحر المتاخم لأوروبا وآسيا وليبيا المأهولة، ترجمه إلى الروسية لاتيشيــف، دار نشر المدرسة العليا، موسكو، ١٩٩٢، ترجمه إلى العربية خصيصا لهذا العمل الفنان الكسندر مولستوف والدكتورة عزة الخميسى الفصل ٨٥.

(٣٢) فتامى ٣٨٨.

(٣٣) جرنى: الحيثيون.. سبق ذكره، ص٨٠.

آخر جاء عند العاهل نرام سين يقول فيه أنه حارب حلفا مكونا من سبعة عشر ملكا بينهم الملك الحيثى بامبا، مما يقطع بوجود الحيثيين فى ذات الزمن الذى ينكره المؤرخون ويقولون إن الأناضول كان يسكنه شعب سابق للحيثيين أعطوه اسم البروتوحيثيين. وقد ورد مايشير إلى أن أعضاء هذا الحلف كانوا جميعا يسمون (هواروا س) الذى هو ببساطة بعد حذف التصريف (هوارو) أو الحوريين، لأنه من المستحيل أن يكون هواروا س اسما للملوك الأحلاف السبعة عشر، فهى صفة لا اسم. ومن النصوص نكتشف صفات مشتركة بين الهكسوس والحيثيين، وأهمها نقل الشعوب المهزومة من مواطنها، وتسخير الشعوب المفتوحة فى جيش الإمبراطورية، وهو مانجد له نموذجا فى قول الملك الحيثى المنتصر على بلاد أرازوا إذ يقول:

> وهكذا قهرت بلاد أرازوا **ونقلت جزءاً من السكان** إلى خاتوشاش (العاصمة الحيثية/ المؤلف) أما الجزء الآخر فقد أخضعته مكانه، وفرضت عليه المساهمة بفرق من الجند " [٣٤].

وإذ كنا قد اكتشفنا أن هناك عنصراً حوريا سكن مديان باسم القينيين أى الحدادين، فإن علم التاريخ يعلمنا أن الحيثيين كانوا هم فجر صناع الحديد وتعدينه، حيث سبق وقرأنا رسالة الملك الحيثى خاتوشيليش إلى ملك صديق يعاصره يقول له فيها:

> أما عن الحديد الجيد الذى كتبت لى عنه، فالحديد الجيد غير متوفر فى بيت الختم فى كيز وواتانا. وقد كتبت إليك أن هذا الوقت غير صالح لإنتاج الحديد. إنهم سينتجون حديداً جيداً لكنهم حتى الآن لم ينتهوا، وعندما ينتهون سأرسله إليك. أما اليوم فأنا مرسل إليك خنجراً من حديد [٣٥].

لازلنا نحاول التأكيد على أن الحيثين كالحوريين تماما عنصراً اسكيثيا هندو آريا أو أنهم كانوا هم ذاتهم، كان العنصر الحيثى ضمن الفئات القائدة لجحافل الهكسوس الهائلة التى تم تجنيدها من مختلف الشعوب المفتوحة ، فنقف مع (إيفار لسنر) يصف الشعب الحيثى فيقول:

> ويعتبر الحيثيون شعبا غريباً، أما غرابته فمردها إلى أننا لانعرف عنه حتى الآن سوى القليل، فضلا عن الخلاف الكبير بينه وبين سائر الشعوب القديمة التى عرفناها. وتكشف نقوشهم البارزة عن أنهم أناس قصار القامة

---

(٣٤) نفسه: ص١٥٥.

(٣٥) نفسه: ص١١٠.

> **مكتزون عظامهم بارزة وجبهاتهم منحدرة** اما أنوفهم فطويلة ومقوسة قليلاً **أشبه بمنقار الببغاء** وذقونهم قصيرة [٣٦].

وهو الوصف الذى يلتقى مع وصف قديم أكثر تفصيلا قدمه اليونانى هيبوقراط لشعب سكيث، إذ يقول:

> نتيجة للمناخ تميز الاسكيث بأنهم ممتلئون ومكتزون إلى حد **عدم إمكان تمييز الأعضاء عن بعضها.** فالأعضاء رخوة بدون عضلات، والجزء الأسفل من البطن به قدر عال من المائية والرطوبة.. وبفضل هذا الامتلاء يختفى الشعر عن الجسد ويصبحوا متشابهين. [٣٧]

ولابأس هنا إن راجعنا لوحة بلاد بونت نتفحص ملكة أرض الإله مرة أخرى، التى تبدو لنا مولدة من عنصر زنجى جنوبى أعطى جلدها لونه وعنصر حيثى اسكيثى شمالى تتداخل معه أعضاء الجسد المتزهلة حتى لايمكن تمييزها فكانت تحمل صفات كليهما معا. أما المؤكد والناصع الذى لابد أنه كان، فهو مانقرأه عند هيبوقراط مؤكداً:

> كانت القبيلة الاسكيثية تتميز بالشعر **الأحمر الأمغر** بسبب المناخ[٣٨].

وهو اللون الذى رأيناه واضحا فى بلاد آدوم الحمراء وصفة ذكرتها التوراة لعيسو / آدوم. ويبدو أن الاسكيث عندما هبطوا جنوبا على مختلف قبائلهم وتعدد عشائرهم ولغاتهم الهندوآرية، قد أعطوا لمواطنهم الجديدة فى بلاد آدوم أسماء مناطق قديمة عزيزة فى مواطنهم الأصلية. فإذا كنا قد وصلنا إلى أن بلاد آدوم كانت عند المصريين باسم بلاد بونت، فهو مايؤكده، ويؤكد كل رحلتنا البحثية أن نجد ذات الاسم هو الذى كان ولم يزل يطلق على منطقة شرقى البحر الأسود الذى جاء منه السكيث، ممثلاً فى مدينة بونت وإقليم بونت، حتى أن البحر الأسود يحمل فى تلك المنطقة اسم بحر بونت أما الجبال الفاصلة هناك مع الجنوب فهى جبال بنطس أو بنط بحذف التصريف الاسمى (س). ثم أن الاسكيث قد عبدوا ربا عثر له على نموذج فى ادغال قريبه هناك، وأنه كان على جبل يحمل اسما شديد الدلالة، فقد كان ذلك الجبل فى تلك البلاد البعيدة يحمل اسم **الجبل الأقرع**، الذى تكرر اسمه بعد ذلك فى منطقة حوض المتوسط الشرقى، فنجد الجبل الأقرع فى سوريا الآن كان مسكن الإله البعل، كذلك نجد الجبل الأقرع فى بلاد آدوم، وكان دوما يحمل اسم جبل كاسيوس أو الكاسى، وهو مانجده فى جبال قاسيون، كما نجده فى منطقة الكسارون الآن شمالى سيناء الغربية

---

(٣٦) أيفارلسنر: الماضى الحى.. سبق ذكره، ص٨٨.

(٣٧) د.ت.م. كوزنيتسوفا سبق ذكره، ص ٨٩.

(٣٨) نفسه: ص ٩٠.

على ساحل المتوسط، وكان يحمل اسم (كاسيوس) بدوره أى الكاسى أو السكيثى. دالا على أصله وأصل أصحابه الذين تركوا اسمه أينما ذهبوا.

والآن نأتى إلى منطقة مفصلية فى البحث عن إشارات واضحه فى كتابات هندوآرية تشير إلى غزو هندوآرى حدث لبلاد مصر يمكن أن يفسر لنا وجود العنصر الهندوآرى قائداً لجموع الهكسوس، فنقرأ عند (ديودور الصقلى) وهو يحدثنا عن قبائل شعب سكيث أوسكاث:

> بفضل جسارتهم وقواتهم المحاربة احتلوا مناطق واسعة وأضفوا على قبائلهم مجداً وسيطرة كبيرة.. فى البداية عاشوا.. على نهر الأراكس (نهر يصب فى بحر قزوين/ المؤلف).. وفى الماضى البعيد تحت قيادة ملك محارب يتميز بقدرات عظيمة، أقاموا لأنفسهم عرشا على الجبال امتد حتى القوقاز. وفى الأرض المنخفضة امتدت أراضيهم حتى **البحر المحيط** .. وتميزوا بالشجاعة والمواهب الاستراتيجية وأخضعوا بلاداً شاسعة بعد **نهر تانيس**، وحتى بلاد الفيريجيين (آسيا الصغرى/ المؤلف). وبعثوا بعثات عسكرية انتشرت فى جميع الأراضى وأخضعوها حتى **وصلوا نهر النيل المصرى** .. وسخروا العديد من القبائل التى تعيش بين هذه الحدود، ونشروا سيطرتهم حتى المحيط الشرقى.
>
> **واستوطن** هؤلاء الملوك ومعهم القبائل التى أخضعوها بلاداً كثيرة، وأهم هذه الحركات الاستيطانية حركتين: الأولى من آشور إلى بلاد بافلاجونيا **وبونت**، والثانية **من ميديا إلى نهر تانيس** (٣٩).

إذن امتدت الأراضى التى استولى عليها الاسكيث. بل وسخروا أهلها فى العسكر تاريا السكيثية بل واستوطنوا تلك الأراضى. حتى البحر المحيط أو الكبير وهو التعبير الكلاسيكى القديم الدال على البحر الأبيض المتوسط. وكانت حركة الاستيطان الأولى فى البلاد الممتدة شمالا عند أرمينيا من بافلاجونيا إلى بونت على البحر الأسود إلى بلاد آشور أى العراق الشمالى، ثم كانت الحركة الثانية من ميديا إلى نهر تانيس، ولانظن المقصود بميديا هنا ميديا الأصلية بشمالى إيران إنما ميديا (ميديان)، لسببين جوهريين،

---

(٣٩) ديودور الصقلى: ترجمه إلى الروسية لاتيشيف، دار النشرالمدرسة العليا، موسكو ١٩٩٢، ترجمه لهذا البحث الكسندر مولستوف وعزة الخميسى، الكتاب الثانى، الفصل ٤٣.

الأول: ما جاء فى تعقيب الباحث الروسى المتخصص الذى ترجم نص ديودور إلى الروسية، حيث عقب بأن الإحداثيات المعطاة عند ديودور الصقلى لاتشير إلى ميديا فارس، لكنها تشير إلى موطن آخر مجهول. وهذا المجهول برأينا هو بلاد مديان فى سيناء ووادى عربه وشمالى الجزيرة، والسبب الثانى هو ذلك النهر الذى يرد احتلال مناطقه فى الترتيب بعد ميديا وجاء ذكره باسم (تانيس)، لأن تانيس اسم الفرع النيلى قبل الأخير للدلتا شرقا، فهو أول فروع الدلتا القديمة المتلاحمة مع البوادى السينائية، وهو أول محطة عامرة كبرى بعد بلاد مديان عند الاتجاه من الشرق دخولا إلى مصر فى الغرب، وعلى رأسه عند المنزلة كانت تقع المدينة التى منحته اسمه مدينة (تانيس). فى المكان الواقع فى شرقى الدلتا حيث قامت عاصمة الهكسوس المصرية (حواريس) المظنون عند كثير من المصرولوجست أنها بالتحديد تانيس عينها. هذا بالطبع مع عدم إغفال قول ديودور الأول أنهم أخضعوا جميع البلدان حتى وصلوا نهر النيل المصرى.

ثم يوضح لنا (ديودور الصقلى) من أين جاءت فكرة النساء الأمازونيات فى الأساطير اليونانية، وهن نساء محاربات يظهرون كثيراً فى الأساطير الملحمية المسرحية اليونانية مصحوبات بجوقة من النساء يسمين الفينيقيات، فيقول:

> ملكت على السكيث امرأة تتميز بالقوة. وعند هذا الشعب تتدرب المرأة على الحرب مثل الرجل ولاتقل عنه شجاعة وعديد من مآثرهن العظيمة صنعتها نساء عظيمات (لابأس أن نتذكر هنا ملكات بلاد عربيى/ المؤلف). وعلى هذا النحو تأسست قبيلة الأمازونيات التى تميزت بالشجاعة التى مكنتها من احتلال دول كثيرة، كانت تشكل جزءاً كبيراً من آسيا وأيضا من أوروبا.. وأحرقوا الثدى الأيمن للأطفال الإناث حتى لايعيقهم عند الحرب عند وصولهن سن البلوغ.. **وهذه الملكة.. أخضعت كل جيرانها حتى وصلت إلى نهر تانيس..** واستحوذت على الجزء الأكبر من آسيا ونشرت سيطرتها فى سوريا (٤٠).

ولو كان نهر تانيس كما ذهب بعض الباحثين ربما كان نهر الدنيبر فى عمق الشمال الآسيوى، لما ذكر معه فى نص ديودور السابق، ولما قيل هنا مترافقا مع سيطرة السكيث الأمازونيات **على بلاد سوريا**. وحتى الآن لم يتم تقديم تفسير مرضى لمعنى كلمة الأمازونيات رغم شهرتهن لدى اليونان، لكن وفق ما جمعناه حتى الآن لن تكون مجازفين إذا قرأناه على أصوله عمزونيات أوعنزيات ذوات العنز والماعز، حيث نعلم أن حرف (م) يتبادل مع حرف (ن) كما فى عنّ وعمّ، ولو طالعنا ما أمكن جمعه من لوحات الفن السكيثى

(٤٠) نفسه: الكتاب الثانى فصل ٤٣، ٤٤، ٤٥.

لوجدناه جميعا لايكاد يخلو فى لوحة واحدة منه من صورة العنز، حتى تلك الآثار التى وجدناها فى محيط بحر قزوين.

ولمزيد من التأكيد على أن العنصر الهندوآرى الذى تواجد مع الهكسوس فى مصر، يعود بأصوله الجنسية إلى شعوب السكيث، نقرأ فليكوفسكى، إذ يؤمن أن الهكسوس العمالقة كانوا بالتحديد ساميين من جزيرة العرب، لكنه يعجب أشد العجب من بربرية وهمجية وقسوة الهكسوس فى مصر فيقول:

> كان الغزاة العماليق قادمين من شبه الجزيرة.. ومثل العماليق بأجسام الجرحى والمساجين، وقطعوا أطرافهم، وكانوا على درجة كبيرة من القسوة والفظاظة فى نواح كثيرة بما يعجز عنه الوصف. وخطفوا الأطفال والنساء وأحرقوا المدن ودمروا الآثار والأعمال الفنية.. وجردوا مصر من ثرواتها وكنوزها... وكانوا يبترون أعضاء وأطراف الجرحى ويمثلون بهم، ويهرطقون ويجدفون بكفر صارخ **بقذف الأعضاء المبتورة من الجرحى نحو السماء** ويسخرون من الرب (٤١).

كلا لم يرفليكوفسكى فى هذه الفظاظة القاسية سوى هرطقة وكفراً، لأنه لم يكن يعلم بعد ماعلمنا وفق خطتنا الحميدة، حيث نجد تلك القسوة دليلا آخر على وجود عنصر آرى سكيثى فى الهكسوس، وذلك عندما نقرأ عنها عند مؤرخى اليونان، فنكتشف أن تلك القسوة كانت طقساً دينيا تعبديا لدى شعب سكيث بالذات وبالتحديد ولم تكن غاية فى حد ذاتها. كانت قربانا للملك وللإله، فيقول هيرودوت عن شعب السكيث:

> .. فى كل عام يضيفون إلى مرتفع ١٥٠ حمولة من حزم أعواد الخشب الجاف.. وفوقه كانوا يغرسون العقناق Akunak [يقول المترجم أنه ربما كان سيفا حديديا] يمثل الإله، ويقدمون لهذا العقناق كل عام كافة أنواع القرابين.. فى أسفل هذا المرتفع يقومون بالآتى: **يقطعون الكتف الأيمن من موتى العدو بالذراع ويقذفون بها فى الهواء** (٤٢).

وفى نصوص مصر القديمة، نجد السجاز الهكسوس يوصفون والوصف يأتى كما لو كان معنى لكلمة سجاز بأنهم قاطعو الرؤوس أو قاطعو الرقاب، ومن جانبنا فقد عثرنا على تفسير للكلمة، وهو بذاته دليل آخر على مدى نجاح فروضنا، فنقرأ هيرودت يحكى عن قبائل سكيث قائلا:

---

(٤١) فليكوفسكى: عصور .. سبق ذكره، ص١١٦، ١١٨.

(٤٢) هيرودت: الطبعة الروسية فى كتاب كوزنيتسوف الاسكيثيون، الكتاب ١٧ الفصل ٦٢ الفقرات ٢،٤. ترجمه لهذا البحث الكسندر مولستوف وعزة الخميسى.

حين كان السكيثى يقتل لأول مرة، كان لابد أن يشرب من دم عدوه.. ويسلخ جلد الرأس بقطع دائرة حول الأذنين ويسلخها عن الجمجمة ويقدمها للملك.. ثم كانوا ينشرون الجمجمة أسفل الحاجبين ثم ينظفونها، وإذا كان الشخص فقيراً كساها بالجلد.. وإن كان ثريا كساها بالذهب، ثم يستخدمونها فى الشراب (٤٣).

وقد سبق وعلمنا أن هناك تفسيرات تاريخية قديمة سيقت خلال القرن الرابع والثالث قبل الميلاد، لخروج بنى إسرائيل من مصر، كان من بينها القول بأن الإسرائيليين لم يكونوا يأخذوا بقواعد النظافة عند المصريين، ومع طول عشرتهم للحيوانات، أصيبوا بأوبئة جلدية حادة، اضطر معها المصريون إلى طردهم من البلاد خشية تفشى الداء فى مصر. وربما وصلنا من جانبنا إلى تفسير لسر انتشار ذلك الوباء بين الهكسوس فى عادات شعب السكيث، وهو مايمكن فهمه من نص هيرودت القائل:

يأخذ السكيث بذور نبات يشبه نبات التيل [نرى من جانبنا أنه أحد مواد البخور/ المؤلف] ويزحفون تحت غطاء ويلقون بالبذور على أحجار سبق تسخينها إلى درجة الاحمرار فتحدث دخانا كثيفا.. ويستمتع السكيث بهذا الحمام من البخار فهو لديهم بديلا عن الاغتسال، **فهم لايغسلون أجسادهم بالمياة أبداً** (٤٤).

لقد كان الاسكيث يعتقدون أن مواد التبخير كانت أطهر للجسد من الماء، وهو أمر لايعتقده ألا من كان إنتاج مواد التبخير لديه أمراً أساسيا وتأسيسيا ومصدر اقتصادى عظيم يستحق هذا التقديس. ولمزيد من التعضيد فى كون اسكيث كانوا هم أصحاب الماعز بين الهكسوس نستمع إلى المؤرخ الكلاسيكى يفستافى يحكى لنا عن بعض قبائل سكيث فى مواطنهم الأصلية فيقول:

والتيباريون الذين يسمون **تيباريين أى أصحاب الماعز..** يعيشون فى المناطق **حتى أرمينيا** الصغرى.. وخلفهم يعيش **الكاليبيون** الذين استوطنوا أرضا قفراً وقاسية، وكانوا بارعين **فى معالجة الحديد الخام..** وهم شعب **بونتى** (٤٥).

---

(٤٣) نفسه: كتاب ١٧ فصل ٦٤، ٦٥.

(٤٤) نفسه: كتاب ١٧ فصل ٧٥ فقرة ٢.

(٤٥) يفستافى: تعليق على جغرافية الأراض لديونيسى، ترجمه إلى الروسية تشيفنكوف .E.B. كتاب الاسكيثيون، دار نشر المدرسة العليا، موسكو، ١٩٩٢، ترجمة مولستوف وعزة الخميسى. الفصل ٧٦٧.

ويبدو لنا أن اسم الكاليبيين ونسبته إلى كالب، قد ترك بصمته واضحة فيما بعد فى اسم أحد تلامذة موسى (كالب بن يفنا)، وأصبح شخصا لايقل أهمية عن يشوع بن نون بعد موت موسى. ثم تند ذكريات هنا وهناك فى كتابات الكلاسيك، عن علاقات للمصريين بذلك الشعب المعروف باسم السكيث، تأتى فىعبارات سريعة غامضة، لكنها تفصح مع كل ما جمعنا وتصبح شديدة الوضوح، ومن نماذج ذلك ماجاء عند بومبى تروج يقول:

> وسيطرت السكاث على آسيا ثلاث مرات، أما هم فلم يمسسهم أحد ولم ينتصر عليهم أحد.. وكان **أول من أعلن الحرب ضد السكاث هو الملك المصرى ثيزوسيس**(٤٦) [يقصد الفرعون المشهور لدى اليونان باسم سيزوستريس/ المؤلف].

وفى رسالة من السكيث أو السجاز قاطعو الرقاب إلى الإسكندر المقدونى نقرأ القول بعد حكايات طويلة عن ماض عريق.

> وهكذا **انتصرنا على الملك السورى** وملك الفرس وميديا [يعقب المترجم الروسى المتخصص بأن ميديا هذه ليست ميديا فارس/ المؤلف] وأصبح الطريق مفتوحا أمامنا **حتى مصر نفسها** (٤٧).

نظننا الآن نقف على أرض صلبة، بعد أن عثرنا على جميع أصول المحتل الهكسوسى، وبخاصة ذلك العنصر الغامض الهندوآرى الذى أثبت وجوده دون دلائل كافية، ولاقرائن تشير إلى أسماء قبائله ومواطنها، والذى ثبت أنه من قبائل سكيث. وهو الأمر الذى جهدنا عليه طويلا لتأكيد نظريتنا فى اتحاد العناصر المتلاقحة فى بلاد آدوم ومديان فى سيناء وآدوم وبوادى الشام، لينجبوا شعبا هجينا مولداً، ويفرزوا لغته السامية الشمالية وكان بين هؤلاء الشعب العبرى الإسرائيلى المرموز له دوما بأورشليم، حيث يضيئ أمامنا نص الكتاب المقدس كاشفا العنصرين العمورى الأمورى الجنوبى والشمالى الحيثى الأرامى السكيثى، فيقول:

> هكذا قال السيد الرب لأورشليم: مخرجك ومولدك من أرض كنعان، **أبوك أمورى، وأمك حيثية.**
>
> حزقيال ١٦ / ٣

---

(٤٦) بومباى تروج: تاريخ فيليب، اختصره مارك يونيان، ترجمه للروسية لاتيشيف المصدر السابق، كتاب ٢، فصل ٣، فقرات ١،٢.

(٤٧) كيونت كورتسرروف: المصدر السابق، الكتاب السابع، فصل ٨، فقرة ٣٤.

ليكرر منادياً بلسان حزقيال النبى:

أنت وأخت أخواتك اللواتى كرهن أزواجهن وأبنائهن.

أمكن حيثية وأبوكن أمورى.

حزقيال ١٦ / ٤٥

أما النظرية التى كانت تتوارى فى الظل طوال الوقت حول أصل الأقوام السامية وموطنها الأول الجغرافى، فهى تلك التى تقول إن بوادى الشام كانت المهد الأول للأقوام السامية، وبالذات بلاد عرابة، وقد أكد كونتو أن بوادى الشام كانت محطة استراحة طويلة فى هجرة الأقوام السامية من مواطن أخرى أصلية (٤٨).

هكذا انتهينا من سكيث، بينما لازال علم التاريخ التقليدى يبحث من هم السجاز، لينتهى من حل اللغز إلى ذات الحل الذى لجأ إليه فى مشكلة الخابيرو، وهو أنهم مجرد شذاذ آفاق لايرتبطون بعنصر معلوم ارتباطا واضحا، وهو مايعبر عنه قول المصرلوجست (الدريد):

وكانت هناك فئة تبدو لنا – أكثر غموضا هى فئة **الساجاز** كما ذكرت على الألواح المسمارية، وهم **مطابقون للخابيرو** الذين أطلقت عليهم النصوص المصرية اسم العابيرو. وكان يندرج تحت هذا الاسم كل العمال غيرالمدربين وكل العبيد من اسرى الحروب، ويبدو أن هذه الفئة كانت من أصول عرقية مختلفة ولغاتهم أيضا مختلفة، يتجو لون فى فلسطين وسوريا ويعيشون على السلب والنهب أو الخدمة كمرتزقة (٤٩).

ساجاز أو سكيث هم إذن العنصر الهندوآرى الأرامى الذى هبط من الشمال ليسكن بلاد مديان بلاد الأيك وأشجار العطور مع الزنوج الأفارقة ومع العموريين القادمين من جنوب الجزيرة حتى أن كلمة شجرة العربية هى الأصل الذى تعود إليه كلمة **SAGARIS** اليونانية، وهو نوع من السلاح كان يستخدمه الاسكيثيون وتسميته سكيثية وليست يونانية.، ومن الشجرة فى العربية الشواجر، والشواجر هى سيوف الحديد(٥٠).

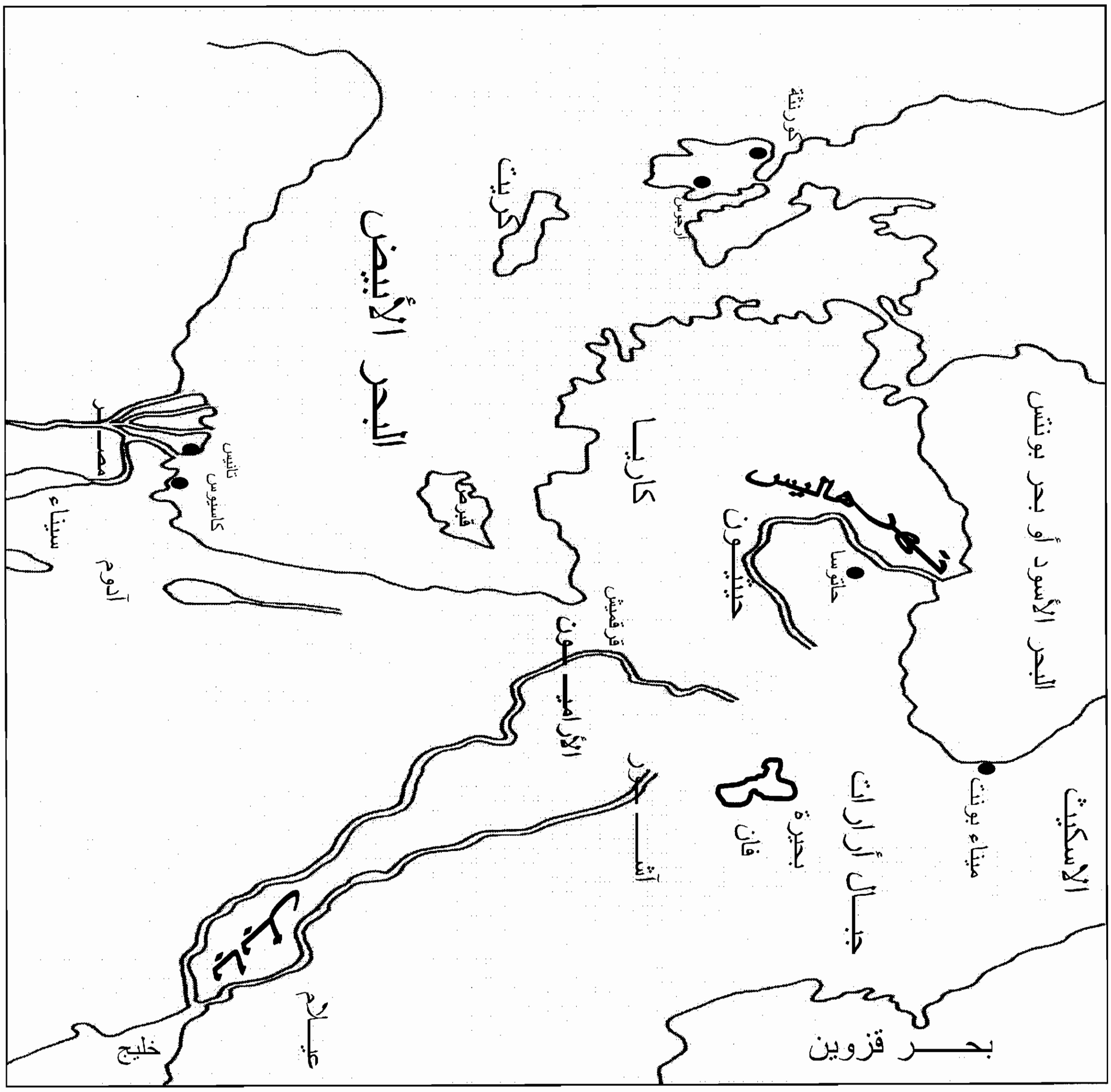
---

(٤٨) Conteneau, Ciuilisation d,Assur et de Babylone, paris, payot, ١٩٥١, p٦.

(٤٩) سيرل آلدريد: إخناتون، ترجمة د. أحمد زهير، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٢، ص٤٣، ٤٤.

(٥٠) على الشوك: جولة .. سبق ذكره، ص٦٦،٦٧.

ويحيطنا (آرثر كيستلر) علما أن كلمة (سا – جاز) يعنى شقها الثاني (جاز) فعل بمعنى يتجول في اللغة التركية،[٥١] أي البدوي أو التائه أو الهائم على وجهه. وفي العربية (اجتاز) انتقل من موضع لآخر، وعـــرب اليوم بجزيرة العرب والخليج لازالوا يطلقون على العابر المتنقل أو المسافر اسمه: العبري.. و .. التركـــي. أنها بقايا التاريخ في اللسان حتى اليوم.

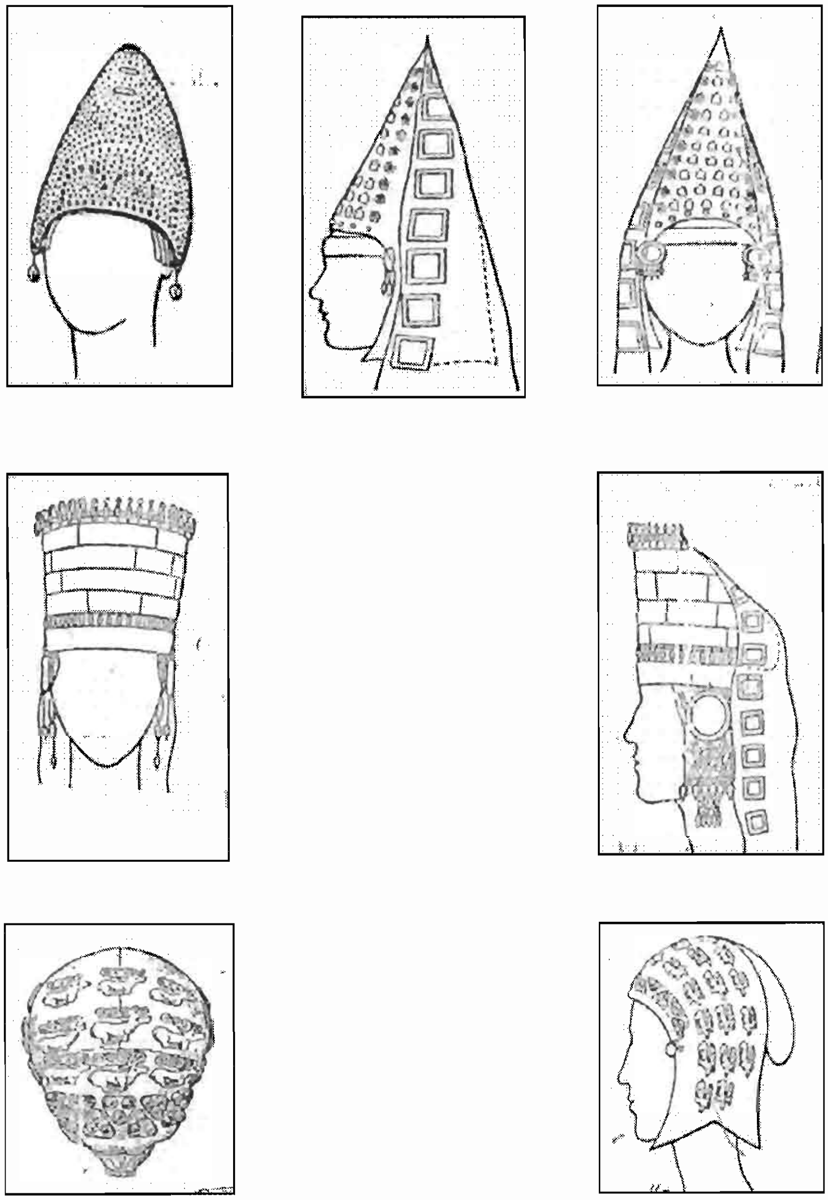


خريطة رقم (٣٩)

لاحظ الموقع كاريا فى الأناضول وقد قلنا أن عنصراً بشريا جاء من هناك مهاجراً إلى آدوم، عنصر آرامى حيثى، ونحن نعلم أن اللغة الحورية لغة سكان الكهوف كانت تعرف باسم اللغة الكارية

---

(٥١) آرثر كيستلر: القبيلة الثالثة عشر ويهود اليوم، ترجمةأحمد نجيب هاشم، الهيئة المصرية للكتاب، ص٢٨.



شكل رقم (٨٤)
البسة الرأس عند الإسكيث

الجزء الثالث

آخر أيام تل العمارنة

الفرعون إخناتون الـــوهـــم والحـــقيقـــة

علاقة إخناتون الفرعونى بموسى النبى :

ليس هناك باحث تناول بدراسته النبى موسى إلا وذكر الفرعون إخناتون فرعون التوحيد قياسا علـــى عقيدة التوحيد اليهودية، إضافة إلى كثير من الأبحاث التى قامت على العلاقة بين العقيدة الآتونية التى نـــادى بها الفرعون إخناتون فى مصر، وبين عقيدة التوحيد الموسوية، وقد أدى إلى هذا التداعى لأحدهما كلما ذُكـــر الآخر عدد من العوامل التى تشى بعلاقة مابين العقيدتين، بل ربما بين الشخصين.

وأول الملاحظات تلك التى لاحظها علماء المصريات وتتعلق بالاسم (موسى) فالاســـم مصـــرى قـــح، فالكلمة المصرية القديمة مس تعنى (أنجب) أو (ولد)، وتدخل فى تركيب أسماء مثل تحـــوت مـــس ورع مس، لكن كلمة موسى قد تحتمل معنى آخر هو بدوره مصرى أيضا، فربما كانت مركبة مـــن الشـــقين (مو + سا)، والكلمة مو وحدها تعنى ماء (مو)، والكلمة (سا) تعنى ابن، ويعنى اسم موسى بذلك (ابن الماء)، وهو اسم أقرب إلى تفسير الحدث الذى ترويه التوراة، إذ عثرت عليه ابنة الفرعـــون فـــى سفط بالماء، فأطلقت عليه الاسم الذى يليق به حال العثور عليه، وهو ما تفصح عنه كلمات التوراة إذ تقول: " ودعت اسمه موسى وقالت: إنى انتشلته من الماء/ خروج ٢/١٠ ". وعلى كلتى الحالتين فالاسم مصرى قح.

وكانت هذه الملاحظة الأولى التأسيسية مدعاة للقول أنه ليس فقط الاسم هو المصـــرى بـــل الشـــخص بذاته، وهو ما رأيناه عند فرويد فى كتابه (موسى والتوحيد) الذى تركنا نستنتج أن موسى كان أميراً مصـــرياً من البيت المالك، ولم يكن أبداً عبرانيا.

تلك كانت الملاحظة الأولى عن علاقة موسى بمصر، وهو الأمر الذى يؤكده المقدس فى تاريخه، حيث يروى لنا المقدس أن موسى ربى فى بيت الفرعون كابن بالتبنى، بعد أن رمت به أمه فـــى ســـفط بـــالنهر، وعثرت عليه ابنة الفرعون كما تقول قصة التوراة، أو زوجة الفرعون كما يقول القرآن، فالقصة هنـــا تريـــد القول أنه من أصول عبرانية، لكنه ربى فى القصر الفرعونى الحاكم بمصر.

ولأن فرويد كان يرى موسى مصريا بالميلاد والعنصر والثقافة فقد أعطى بعض الاشارات التى تترك القارئ يستنتج أن قصة التوراه عن عبرانية موسى كانت أكذوبة بالكامل، فلم يكن لهذا الأمير المصرى أيـــة علاقة ببنى إسرائيل،وكان مصريا بالجنس والاسم، ويبدو أنه **من قرابة الفرعون المصرى إخناتون**، أول من نادى بالتوحيد فى التاريخ الانسانى المعروف. وقدر فرويد أن موسى آمن بعقيـــدة ســـيده الفرعـــون بشـــدة، واقترب من الفرعون وأثبت إخلاصه العميق له، وربما حلم هذا الرجل موسى بعرش البلاد بعـــد إخنـــاتون، بحكم تلك العلاقة القرابية، وبحكم إثباته لولائه لسيده الفرعـــون ولديانته الجديدة.

وعندما سقط إخناتون وديانته بانقلاب قام به كهنة آمون أو العسكر أو كليهما بالتحالف، أسقط فى يد موسى، الذى كان فى ذلك الوقت قائد الحامية الحدودية فى شرقى الدلتا، فهو إن عاد إلى طيبة سيظل مشكوكا فى ولائه لآمون وعقيدة البلاد، وفى هذه الحال لن ينال شيئا، بل ربما لحقته بعض الأضرار التى تلحق بالمهزومين، وربما حوكم باعتباره كان من المتحمسين لسيده وديانته، وهكذا ضاع حلمه فى حكم الامبراطورية من الداخل، فتوجه بديانته إلى العبرانيين الذين كانوا مستبعدين على حدود الدلتا الشرقية، وخرج بهم من مصر، ليقيم بهم دولة بدلا عن الدولة التى فقدها، فقد كان الموقف مصيريا، إما العودة والمحاكمة، وإما القرار التاريخى الجرئ. وبالفعل خرج يقود العبرانيين فى سيناء، بعد أن علمهم عقيدة سيده إخناتون الآتونية، لكن العبرانيين الأجلاف لم يحتملوا قوانين وقواعد تلك العقيدة الراقية، فقتلوا سيدهم فى سيناء، وتحولوا إلى عبادة العجول القديمة، ثم بعد زمان شعروا بالذنب تجاه هذا السيد وربه فعادوا إليها، لكنها العودة التى شابتها مصرية المؤسس الأول والحقيقى لديانتهم الملتبسة بقوميتهم، ورغم أن فرويد لم يقل ذلك صراحة، إلا أنه الاستنتاج الذى لابد أن يصل إليه القارئ اللبيب، فقد قام الإسرائيليون يسلخون موسى عن مصريته، رفعا لتلك الوصمة التاريخية، ويصوغون قصة أسطورية تربطه بالميلاد ببنى اسرائيل، فاستعاروا قصة الالقاء فى اليم التى كانت منتشرة إبان ذلك فى أساطير الأبطال، وقالوا إن موسى كان إسرائيليا بالمولد، وأنه فقط ربى فى قصر الفرعون، فكان مصريا بالتبنى، **وصدق العالم تلك القصة الأسطورية.**

على أية حال، نحن نقصد هنا بيان العوامل التى أدت باستمرار إلى الربط بين موسى وإخناتون، حتى وصل الأمر كما عند فرويد إلى القول أن موسى كان التلميذ المباشر لإخناتون، وقد ظل مثل ذلك الربط يحدث طويلا فى كتابات الباحثين استناداً إلى شواهد مثل تلك التى قدمها ديورانت والتى قدمها برستد عن التشابه الدقيق بين أناشيد إخناتون لربه الواحد، وبين أسفار المزامير والأمثال بالكتاب المقدس، هذا ناهيك عن الأوامر الصريحة بالكتاب المقدس عن عدم تصوير الإله، وهو ذات الأمر الذى أتضح فى ديانة آتون الاخناتونى.

وفى ذلك يقول عباس العقاد: " وقد عقد كل من هنرى برستد وآرثرويجال Weigall مقارنه بين صلوات إخناتون وأحد المزامير العبرية فاتفقت المعانى بينها اتفاقا لاينسب إلى توارد الخواطر.. وقد خطر لويجال أن آتون وآتوم تصحيف أدوناى بمعنى السيد أو الاله فى اللغة العبرية، وإن إخناتون ورث آراءه عن أمه وهى تنتمى إلى سلالة آسيوية من شعب يقيم بين سورية وآسيا الصغرى (يقصد ميتانى المزعوم أنها بأعلى الفرات) حيث يُعبد آدوناى أو آتون على مختلف اللهجات " (١).

أما الاشارة القوية التى كانت تحيل دوما إلى إيجاد صلة من أى نوع بين موسى واخناتون فهو ماجاء ذكره عند المؤرخ اليهودى يوسفيوس، وهو ينقل عن مانيتو المؤرخ المصرى، فيزعم أن الإسرائيليين قد

---

(١) عباس العقاد: الله، كتاب الهلال، عدد ٤٢، القاهرة، سبتمبر ١٩٥٤، ص ٥٦ ، ٥٧ .

خرجوا من مصر زمن فرعون زاهد لايحب الحروب ولا القتال وهى صفات نعرفها الآن عن إخناتون، بل قال يوسفيوس إن هذا الفرعون كان اسمه أمنوفيس، وأمنوفيس هو النطق اليونانى للاسم المصرى أمنحتب، وهو الاسم الصادق للفرعون إخناتون، فهو آمنحتب الرابع ابن آمنحتب الثالث. لكن تلك النظريات جميعا أخذت فى السقوط والتداعى بعد أن بدأ علماء المصريات يتجهون نحو الإجماع على أن الخروج قد تم فى عهد مرنبتاح ابن رمسيس الثانى، وهو ما أدى إلى الابتعاد التدريجى عن فكرة العلاقة المباشرة بين موسى وإخناتون، والاتجاه إلى الفصل بينهما، وأنه إذا كانت ثمة علاقة، فهى تأثر موسى بتلك العقيدة القديمة بشكل ما، تأثر عن بُعد تفصله زمنيا سنوات تزيد على القرن من الزمان، وليس تأثراً مباشراً وعلاقة تماس بين الشخصين وهو ماتعبر عنه رؤية فراس السواح إذ يقول:

" إن تأثر الديانة اليهودية بالديانة الآتونية هو أمر منطقى وممكن، بصرف النظر عن حكاية موسى المصرى، فالديانة اليهودية نشأت فى زمن لايبعد كثيراً عن زمن ازدهار الآتونية، ونستطيع بسهولة أن نفترض أن الديانة الآتونية بعد انهيارها تحولت إلى ديانة سرية، انتشرت بين المضطهدين الغرباء، وخضعت لتحولات أساسية عبر الوقت إلى أن اتخذت شكلها الجديد على يد موسى. وقد استمرت بعض الصلوات الآتونية حية فى كتابة التوراه " [(١)].

ويضيف رمضان السيد قوله: " وتقرب هذه العقيدة (أى الآتونية) بين الأفكار الدينية المصرية، والأفكار الدينية السائدة فى معظم المناطق تحت اسم **أوهون** أو **آدون** بمعنى السيد " [(٢)]. ومن جانبه يقول سيجموند فرويد: " إن قانون الايمان اليهودى كما هو معلوم يقول:

Sehem Jisroel (Adonai) Elohena Adonai Echod

وإذا لم يكن من قبيل المصادفة أن اسم آتون المصرى يذكر هنا باللفظة العبرية Adonai وبالاسم الالهى السورى أدونيس، وإذا كان التشابه نتيجة لتماثل بدائى فى المعنى واللغة، فإن فى مستطاعتنا ترجمة العبارة اليهودية على النحو التالى: إصغى يا إسرائيل:

إن إلهنا آتون Adonay هو الاله الأوحد " [(٣)].

وكما انشغل الباحثون انشغلنا وحددنا لنا موقفا يلتقى فى تفاصيله مع كل ماقلناه من البدء حتى الآن، وهو القول الذى كان بكامله إعادة قراءة لوضع الأمور فى صحيح نصابها، تمهيداً لطرح رؤيتنا فى علاقة الموسوية بالآتونية، وموسى باخناتون، والإسرائيليين بمصر القديمة. لكن قبل أن نطرح رؤيتنا هنا علينا أولا

---

(١) السواح: مغامرة .. سبق ذكره، ص ١٠٦ .

(٢)رمضان السيد: تاريخ مصر القديمة، هيئة الآثار المصرية، القاهرة، ١٩٩٣ ، ج٢، ص ١٠١، ١٠٩ .

(٣) سيجموند فرويد : موسى .. سبق ذكره، ص ٣٤ .

أن نمر على زمن إخناتون وعهده، مع عرض بعض تفاصيل تلك الشخصية الثرية التى شغلت الــدنيا ولــم تزل.

إخناتـــــون :

لوحة واحدة فقط ليس هناك غيرها، منقوشة على الجدار الجنوبى من الواجهة الخارجية لقاعة الأعمدة الكبرى البحرى بالكرنك يظهر فيها الفرعون آمنحتب الثالث وبرفقته ابن له، وعدا ذلك لايظهــر لآمنحتــب الثالث أى ابن فى أى صورة تمثله مع أفراد عائلته، فقط زوجته (تى) وبناته فى نقوشه الكثيرة، أمـــا أبنـــاء ذكور فلا، عدا تلك اللوحة اليتيمية التى تصور الفرعون وولده **يركبان سفينة بحرية** [1]، وهو أمر لاشك لــه مغزى، لم نجد فيما وصلنا من مصادر موثوقة أى بحث تم بشأنه، **ولماذا على سفينة بحرية بالذات؟**

أما الأمر الذى يزيدنا التباسا، فهو أنه فى زمن تال لزمن آمنحتب الثالث وولده، تمــت إزالـــة الاســـم المكتوب لابن الفرعون على لوحة السفينة تلك، وكتب بدلا منه اسم لفرعون يأتى بعد ذلــك بفتــرة، خاتمـــا الاسرة الثامنة عشرة وبادئا الاسرة التاسعة عشرة هو حورمحب [2]، وبذلك فقدنا اسم الابن المدون على لوحة السفينة. كما أدى التدخل فى اللوحة إلى التباسات مبكرة عند المؤرخين، وهو ماحدث عند مانيتو المصـــرى ومن أخذ عنه من مؤرخى العصر الكلاسيكى واحتسبوا حورمحب الذى جاءنا بالنطق اليونانى (رهامبيس) فى رواية يوسفيوس ولداً مباشراً لآمنحتب الثالث. وظلت أسرة العمارنة بعدما لحقها من مطاردة ومحو من على الآثار زمنا طويلا أسرة مجهولة، حتى تم الكشف عن مدينة أخت آتون فى العمارنة، لتعرف الدنيا أخبارهـــا التى كانت غير معلومة بالمرة.

أما الالتباس الثانى فهو أننا نعلم أن (آمنحتب الثالث) قد رزق بولد اسمه (تحتمس) وقــد عثــر علـــى سوطه وعليه نقش يقول: " ابن الملك وقائد الجيوش تحتمس " [3]. كل مانعلمه عنه أنه قد تم إرساله إلى منف لتلقى العلم، ثم فقدنا أخباره بعدها مما أدى **بقرار من المؤرخين وليس من الوثائق**، أن هذا الابن قــد مـــات صغيراً [4]. ويبقى السؤال: هل كان الابن المصور مع أبيه فى السفينة هو تحتمس، أم أنه كان ذلــك الــذى عرفناه بعد ذلك باسم آمنحتب الرابع / إخناتون؟ ثم سؤال آخر لم يطرحه أحــد بـــالمرة بعــد أن افتــرض المؤرخون أنه كان لدى آمنحتب الثالث ولدين: الأول باسم تحتمس الذى مات، والثانى باسم إخناتون، والسؤال هو: ألايمكن أن يكون تحتمس هو ذات آمنحتب الرابع إخناتون؟ خاصة إذا علمنا أن الفرعون كان يحمل أكثر من اسم، وأن اسم آمنحتب الرابع كان اسم العرش، أما إخناتون فقد أطلقه هذا الفرعون على نفسه بعدما قرر الإعلان السافر عن عقيدة آتون الإله الواحد فانتسب إليه باسمه، وألغى اسم آمنحتب الذى ينتمى إلـــى الإلـــه

(١) محمد عبد القادر محمد: آثار الأقصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٢، ص ٧٣، ٧٥.

(٢) الموضع نفسه .

(٣) آلدريد: إخناتون .. سبق ذكره، ص ٨٩ .

(٤) عبد المنعم أبو بكر: إخناتون .. سبق ذكره، ص ٣٦ .

(آمون) فهو (آمون ــ حوتب). ثم الأمر المريب الشديد الغرابة، أننا لانجد إطلاقا أى لوحة أو أى نقش أو أى كتابه تشير إلى ولد أو ولدين لآمنحتب الثالث سوى معرفتنا باسم تحتمس الذى ذهب لعين شمس ثم مات صبيا باستنتاجات المؤرخين. ولوحة السفينة بالكرنك التى لا تفصح عن اسم ذلك الابن. **فهل كان ذلك الإهمال مقصوداً** فى فنون آمنحتب الثالث ومدوناته؟ يبدو أننا يجب أن نسلم بذلك لأنه من غير المنطقى إطلاقا ألا يظهر وريث العرش فى لوحات والده طوال حياته، لنجده فجأة على العرش بعد موت أبيه، حتى ظن الباحثون لفترات أن اخناتون مجرد مغتصب للعرش، حتى تاكدوا أن اخناتون الذى اعتلى العرش وظهر فجأة دون مقدمات كان ابناً لامنحتب الثالث .

أكثرنا على قارئنا من طرح التساؤلات والألغاز. ولكن ماحيلتنا ونحن لانستطيع قبول الأمور كما تلقى الينا على علاتها، وإن كانت أسئلتنا مشروعة تماما، فإنها أسئلة مقصودة لارتباطها بما سنطرحة خلال الفصول القادمة من حلول مقترحة لقضية إخناتون وموسى، لأننا أبدا لم نقتنع بقصة الخروج زمن مرنبتاح ابن رمسيس الثانى، ولما تجمع بأيدينا من قرائن وأدلة تؤكد رؤية أخرى ترى أنه كانت هناك علاقة ليست فقط مباشرة، بل أكثر من مباشرة، أكثر من علاقة شخصية بين شخصية الفرعون إخناتون وشخصية النبى موسى، وهو ماسنوضحه فى الفصول التالية.

وشخصية الفرعون إخناتون حازت من التضارب فى الاجتهادات حولها ما لم تحزه شخصية أخرى من التاريخ، وهنا نقف نستمع إلى المصرولوجيين يحدثوننا عن ذلك التضارب، فيقول لنا (عبدالمنعم أبوبكر) :

" قد مجده البعض إلى درجة رفعوه إلى مرتبة الأنبياء، اذ اعتبروه أول من نادى بالتوحيد بين البشر.. كما حمل البعض الآخر على إخناتون حملات منكرة، محاولا الحط من قيمته إلى درجة أنه قيل عنه: كان هذا الرجل شاذا فى خلقه، شاذا فى عقله، منحدرا إلى الحضيض فى بعض تصرفاته.. أما شذوذه العقلى فلمخالفته لأهل عصره فى عدم تشيعه لآلهة طيبة **ومقته الشديد للإله آمون**، أما شذوذه الخلقى فهو موضع الغرابة، فإننا لفى شك مريب فى تلك العلاقة بينه وبين أخيه سمنخ كا رع، إذ كان حبه له وتعلقه به خارجا عن نطاق العقل والمألوف " [(١)].

ثم نستمع إلى (سيد توفيق) يحدثنا عن اخناتون قائلا: " وتعددت الآراء بل تضاربت أحيانا فى تقييم هذه الشخصية، فالبعض يرى فى إخناتون أول الموحدين، والفيلسوف الأول، وأول المثاليين، والمفكر الأول، بينما يعتبره البعض الآخر مجرد حالم عاطل، تسبب بإهماله وتراخيه فى مواجهة مشاكل السياسة الخارجية فى فقدان مصر للولايات الخارجية، التى كانت خاضعة لها أيام الأمبراطورية التى شيدها آباؤه وأجداده. واعتقد فريق ثالث أنه سياسى ماهر اتخذ الدين ستارا لحماية نفسه وزيادة نفوذه الشخصى، وقد ظهر اخناتون فى

---

(١) نفسه: ص ٣٩ ، ٤٠ .

رأى جون ويلسن كداعية لشئ جديد فى الدين، يدعو بصفة عامة إلى العالمية، فى عادات وأخـلاق النـاس، وفى الفن واللغة والأدب. واعتبر فرويد إخناتون المصلح الأول الذى أتى قبل موسى عليه السلام، واعتـرف به كأول الموحدين، لقد كان اخناتون فريدا فى دعوته لعبادة آتون؛ فريدا فى إخلاصة وتفانيـه للماعـت (أى للحق والعدل والنظام فى مصر القديمة حتى أنه لقب نفسه بالذى يعيش على الماعت/المؤلـف)، فريـدا فـى تماثيله، حتى اللغة التى سادت عهده كانت ذات قواعد خاصة بها"(١).

ويحدثنا مختار السويفى قائلا:

" مازالت شخصية إخناتون محل خلاف شديد بين المؤرخين وعلمـاء المصـريات، القـدماء مـنهم والمحدثين. بعضهم يرفعونه إلى درجة سامية، وبعضهم يهبطون به إلى الحضـيض. ويـدعون أنـه كـان شخصية غير طبيعية ومنحرفة وأنه كان مخنثا، **واختفاؤه المفاجئ من الحياة المصرية والتاريخ المصـرى مازال لغزا غامضا حتى الآن فلم يعثر له على جثة**، وربما كان موته نتيجة لعمل عنيف، وعلى أية حال فقد تولى عرش البلاد بعده أخوه سمنخ كارع الذى مات وعمره دون العشرين، بعد أن حكم لفترة قصيرة جـداً، ولكنها كانت حافلة بالصراعات الهائلة التى قادها كهنة آمون لاستعادة أملاكهم وسطوتهم وسلطاتهم السـابقة، التى كانوا يتمتعون بها قبل عهد إخناتون"(٢).

أما المصرولوجيست الحجة سيرل ألدريد فيؤكد ذات المعانىإذ يقول:

" يقول بعضهم أن ديانة آتون **خلت خلوا واضحا من التحدث عن الأخـلاق**، فى الأناشيد التـى كـانوا يخاطبون بها آتون. ولم تنج شخصية إخناتون ذاتها من إلصاق التهم الأخلاقية بها، فأشارت لـه النصـوص التالية لعصره باعتباره مجرما وآثما، ثم شاركها بعض الباحثين الغربيين مثل هذا الهجوم، وتشككوا فى مدى مصداقية اخناتون.. فاعتبره أحد الباحثين فرعون الاضطهاد، واعتبره آخر.. فرعون الخروج الذى غرق...، أما الأثرى جلانفيل فرأى فيه ملكا لايستحق سوى اللوم والتأنيب، أما برستد عالم الآثار الأمريكى فقد امتدحه وقرظه ووصفه بأنه أول شخصية متميزة فىالتاريخ. ويرى عالم المصريات جاردنر أن نظراته تـدل علـى التعصب وبلبلة الفكر مما يجعله نموذجا للمصابين بالهوس الدينى " (٣).

هذا رأى علماء عصرنا فى إخناتون، ولم يكن رأى أهل زمانه فيه بأحسن من رأى أهل زماننا، فهـذا المصرولوجست (مختار) يقول لنا:

" تكاتفت عناصر مختلفة ضده، فالشعب البسيط الذى يعيش على التقاليد، رفض أى تغيير لما كان فـى عهد آبائه وأجداده، كما أن رجال الجيش لم يغفروا له ضياع تلك الإمبراطورية المترامية الأطـراف التـى

---

(١) سيد توفيق: إخناتون أول الموحدين، فكر للدراسات والأبحاث، العد ٩ ، القاهرة، ١٩٨٦، ص٧٠.
(٢) مختار السويفي: مصر والنيل في أربعة كتب عالمية، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة،١٩٨٦م ص ١٢٢.
(٣) آلدريد: اخناتون .. سبق ذكره، ص ٧ ، ١٦ .

أقاموها بدمائهم ودماء آبائهم، ثم رجال العقائد الدينية الأخرى وفى مقدمتها عقيدة آمون، الذين تربصوا به يتكتلون ضده دفاعا عن مصالحهم. ولقد توقف التاريخ فجأة فيما يتعلق بإخناتون، الذى **اختفى فجأة** وأنطفأ نور رسالته، **ولاندرى أين دفن**، وهل مات ميته طبيعية أو قتل وأين جثته الآن؟ وغير ذلك من الأسئلة المتعلقة بنهايته، وهى **أسئلة لايجد التاريخ لها إجابة شافية** " (١).

ثم يتابع قائلا:

" فيما يتعلق بسيرة حياته ومنجزاته وأفكاره وعقائده، فقد اختلف المؤرخون فيما يتصل بذلك، فهناك رأى يمجد فلسفته وعبقريته التى أخرجت عقيدة جديدة للتوحيد، كما أخرجت روائع فنية ومبادئ أخلاقية كانت نتيجة مباشرة لوحيه الشخصى. أما الرأى الثانى فيعتبره حاكما أهمل واجباته المقدسة، مما أدى إلى انهيار البلاد وتدهور أحوالها، ويقول إن المصريين القدماء فى عهده رفضوا رسالته فى أيامه وبعد موته، ولم يعترفوا عند تأريخهم للأحداث بحكمه كملك على البلاد، **وأسقطوا اسمه من قوائم الملوك الرسمية**، واعتبروه ملعونا قد حلت عليه اللعنة " (٢).

هذه فقط نماذج لإيضاح أى تناقض صارخ يواجهنا بشأن التعامل مع هذا الفرعون، ومكامن الفخاخ الكثيرة لباحث يريد وجه الصدق التاريخى، لذلك، وقبل أى بحث، علينا أن نجيب على السؤال الأبسط، من هو إخناتون كشخص تاريخى؟

وفق الحسابات التاريخية، وتزمينات توافق عليها أهل علم المصريات، يفترض أن يكون اخناتون قد ولد منذ ٣٣٠٠ عاما تقريبا، فى مدينة طيبة عاصمة مصر الإمبراطورية، فى أقصى جنوب البلاد، وأبوه هو أمنحتب الثالث الذى حكم حوالى ١٤٠٥-١٣٦٧ ق.م. وهو الفرعون المشهور برخاء عصره إلى حد تشبيهه عند الباحثين بعصر لويس الرابع عشر فى فرنسا وبعصر هارون الرشيد فى بغداد، حيث تدفقت خيرات البلاد المفتوحة سيولا دافقة على عاصمة الإمبراطورية، فكان قمة عصر الرخاء فى تاريخ العالم القديم.

وعند ولادته أعطاه أبوه اسما على مسماه هو شخصيا، امتداداً للعز والفخار الذى ارتبط به، فأسماه أمنحتب الرابع. (٣)

وكما قلنا فوجئ المؤرخون، وربما الناس فى عهده، بظهوره المفاجئ لتولى العرش بعد وفاة أبيه. ويحيطنا المصرولوجيست سيد توفيق أحد الذين اهتموا بدراسة أخناتون دراسة خاصة، أن اخناتون " بدأ الحكم فى طيبة بعد وفاة والده مباشرة، وكان **عمره لا يزيد عن ستة عشر عاما**، فعاونته أمه الملكة فى السنوات الأولى من حكمه، ثم تزوج نفرتيتى.. وقد بدأ حياته مثل أسلافه من ملوك مصر، بعبادة الإله أمون

(١) جمال الدين مختار: تقديمه لكتاب جوليا سامسون (نفرتيتى) سبق ذكره ، ص ١١ .

(٢) الموضع نفسه .

(٣) سيد توفيق: إخناتون .. سبق ذكره ص ٧٠ .

إله الدولة فى ذلك العصر، والآلهة التقليدية المعروفة من قبل، مثل أوزيريس وإيزيس وحتحور وآتوم، وتدل على ذلك النصوص.. على جدران مقبرة خرواف رقم ١٩٢ بطيبة الغربية، والتى ترجع إلى أوائل حكمه فى طيبه " (١).

ويحيطنا المصرولوجيست (شتيندورف) علما أن الفرعون الجديد آمنحتب الرابع، قد اتخذ لقبا رسميا هو (نفرخبرورع) الذى نقرأه فى الكتابات المسمارية فى رسائل تل العمارنة (نبخوريا)، ومعناه (جميل الهيئة رع)، مع لقب آخر هو (وع إن رع) أى (وحيد رع)، وكان هذا الفرعون رقيقا ومخلصا فى علاقاته الأسرية، ويحاكى أباه فى مظهره الشخصى، وتزوج من أميرة تدعى نفرتيتى، يعتقد كثير من المتخصصين أنها **من أصل أجنبى**، من أميرات البيوت الحاكمة فى البلاد المفتوحة للأمبراطورية المصرية، التى كان يتوافد منها منذ عدة أجيال أعداد غفيرة كهدايا من حكام غرب آسيا للفراعين.

وعن الظروف التى اعتلى فيها آمنحتب الرابع عرش البلاد يقول لنا سيرل الدريد: " عندما اعتلى آمنحتب الرابع ــ ابن امنحتب الثالث من الملكة تى - عرش مصر كان فى سن صغيرة وتنقصه التجربة. وقد ورث عن أبيه موقفا صعبا، إذ **وقعت ميتانى حليفة مصر فى ذلك الوقت** تحت ضغط الحيثيين الذين استردوا قوتهم، وصاروا يثيرون الاضطرابات بين الولايات العميلة الجشعة فى سوريا، وفى نفس الوقت كانت جموع البدو **الخابيرو** من محترفى السلب والنهب، تسبب القلاقل فى فلسطين " (٢).

وإخناتون هو فرعون المفاجآت، فهو يظهر فجأة، ويقوم بتغيير شامل لعقيدة البلاد فجأة، ويختفى فجأة، ويترك وراءه كثيراً من الألغاز بدون حلول. يصفه المؤرخون بانه كان " طفلا هزيلا ضعيفا، تراكمت عليه الأمراض ولازمته طوال حياته، ويدل على ذلك تركيب جسمه الغريب، فوجهه كان نحيفاً إلى درجة الهزال، طويلا، برزت عظامه وتدلت ذقنه واتسعت مقلتا عينيه، وارتسمت على شفتيه الغليظتين ابتسامة خفيفة إن دلت على شئ فهى تدل على طيبة قلبه وحبه للسلام، وحمل رأسه الكبير عنق طويل فوق كتفين ضيقين منحدرين، وتميز جسمه ببطن كبير متهدلة لا تتناسب مطلقا معه، كما كانت فخذاه عريضتين، أما الساقان فكانتا رفيعتان بشكل ملحوظ " (٣).



شكل رقم (٧٤) آمنحتب الرابع / إخناتون / المتحف المصرى

(١) نفسه: ص ٧١ .

(٢) آلدريد: إخناتون .. سبق ذكره ص ٧٢ ، ٧٣ .

(٣)عبد المنعم أبو بكر: إخناتون .. سبق ذكره، ص ٣٧ .

وقد علمنا أنه ابن الملك آمنحتب الثالث، تاسع ملوك الأسرة الثامنة عشرة الفرعونية، الذى حكم حوالى ١٤٠٥ – ١٣٦٧ق.م. وحمل ذات اسم أبيه، وبدأ الحكم فى طيبة عاصمة الامبراطورية المصـــرية، كبـــرى امبراطوريات ذلك الزمان بعد وفاة والده مباشرة. ثم تزوج من الجميلة نفرتيتى لكنه كان يحمل أفكاراً مخالفة للسائد فى الثقافة المصرية القديمة إلى حد بعيد. حيث أعلن لنفسه إلها باسم (آتون)، ويبدو أن كهنة الإله آمون قد اضطروا أن **يسمحوا** للملك الجديد ببناء معبد لإلهه فى الكرنك معقل آمون، فشيد لآتون معبـــداً ضـــخما شرقى معبد آمون، وتم تسجيل آتون رسميا واعترف به بين آلهة المصريين القدماء. وفى العام السادس مـــن حكمه بدأ الفرعون حملة تغييرات شاملة، بدأها باسمه، فغير اسمه من آمنحتب الرابع إلى اسم فريد لم يتكرر من قبله ولا من بعده، هو (إخناتون)، ذلك الاسم الذى اختلف العلماء فى ترجمته وتفسيره، فترجمـــه برســـتد (آتون راض)، وفضل له زيته (السعيد بآتون)، وفسره هارى سميث بأنه (روح آتون) وذهب جون ويلســـن إلى أنه (المفيد لآتون)، ثم فازينى الذى قرر أنه (الروح الفعالة لآتون)(١).

وترجمه (على فهمى خشيم) بقوله: إن الكلمة اخناتون مركبة من ثلاث مقاطع هـــى (أخ. ن . إت ن)، والمقطع الأخير هو اسم الإله الذى اختاره، وحرف (ن) الأوسط الأداة المصرية للإضافة، ويبقـــى المقطـــع الأول (آخ)، الذى يحمل معان أهمها: العظمة، المجد، البريق، السطوع، الفخـــر، النفـــع، الامتيـــاز، القـــوة، السيطرة، الروح، لذلك ترجم بدج الاسم إلى معنيين Glory of ATEN مجدآتن، SPIRIT of ATEN روح آتـــن، وهو بهذا المعنى يصبح قوة الشمس أوروحها، أى روح الإله آتون(٢).

ويبدو أن إخناتون وجد نفسه فى طيبة محاط بمناخ معادى، وبسلطان كهنة الاله آمون، فأخـــذ قـــراراً تاريخيا ببناء عاصمة جديدة ينتقل إليها مع حاشيته وأتباعـــه المخلصين. وقد استدعى لهذا الغـــرض رجـــال بلاطه وقواده العسكريين، وشرح لهم رغبة الإله آتون فى بناء مدينة جديدة تحمل اسم (أخـــت آتـــون)، وان الاله هو الذى حدد الموقع برغبته واختياره. وكان موقع تل العمارنة فى منتصـــف الطريـــق بـــين القـــاهرة والأقصر، هو المكان الذى اختاره الاله آتون للتجديد الدينى المقبل. وهناك حيث تتراجـــع الجبـــال الشـــرقية مخلفة سهلا على **شكل الهلال** قرر إخناتون بناء مدينته، وسجل قراره: " سأبنى فى الشـــرق حيـــث تظهـــر الشمس، **أى فى المكان الذى أحاط فيه نفسه بالجبال** .. سأبقى هناك حتى يسوّد البجع ويبيّض الغراب وحتى تروح الجبال وتجئ وحتى يسرى الماء نحو المنبع ". والمعنى أن عقيدتـــه الجديـــدة ســـتبقى حتـــى تحـــدث مستحيلات لن تحدث إطلاقا. لكن ماحدث أنها كانت اسرع مدينة مصرية ملكية زالت من الوجود قياسا على أى مدينة مصرية أخرى. لكن ألا يعنى ذلك الايمان المغلظ أن الفرعون الشاب كان يتوقع لمدينته نهاية قريبة ؟ .

---

(١)سيد توفيق: إخناتون .. سبق ذكره، ص ٧٠ ، ٧١ .

(٢) فهمى خشيم : آلهة .. سبق ذكره، ج ، ص ٢٨٩ ، ٢٩٢ .

وبعد قرون طويلة وزمان سحيق البعد، فى عام ١٨٨٧ ميلادية كانت إحدى الفلاحات تجمع سباخا من خرائب العمارنة التى لم تعرف هويتها بوضوح حتى ذلك التاريخ، وفى العمارنة التى تقع على مبعدة ١٩٠ ميلا جنوب القاهرة عثرت تلك الفلاحة على عدد كبير من الألواح الطينية المكتوبة بالأحرف المسمارية، وهو الأمر الجديد تماما فى تاريخ مصر القديمة. ويؤكد جاردنر أنها الحالة الغريبة والوحيدة فى تاريخ مصر جميعه حتى زمن إخناتون التى نجد فيها ألواحا مسمارية، وذلك بقوله " ولم يكن شيئ مثل ذلك قد عثر عليه من قبل فى مصر إطلاقا لهذا لم يأخذ المصرولوجيون الأمر بجدية، وقرر الأثريون أنها قطع مزيفة، لكن بعد دمار كثير منها وبعد مناقشات طويلة ومقارنات مع الموجود بمتاحف العالم من نصوص مسمارية، أدركوا حقيقة تلك المكتبة الكبرى وأهميتها، وأنها كانت مراسلات بين آمنحتب الثالث وولده إخناتون، وبين مختلف الحكام الآسيويين فى عصرهم، وكانت الكتابة باللغة الآرامية، بالخط المسمارى البابلى، قد أصبحت لغة المعاملات الدبلوماسية فى العالم إذ ذاك " (١).

وضمن تلك الرسائل عثر على قطع سامية أدبية مشهورة مثل ملحمة جلجامش التى وجدت مترجمة إلى لغتين هما: اللغة **الحيثية واللغة الحورية أو الكارية**، مع أساطير من آدب حضارة الرافدين مثل أسطورة آدابا **وأسطورة سرجون الأكدى الذى قذفت به أمه فى سفط بالماء حتى أنقذته الإلهة عشتار ومنحته حكم البلاد**. كما عثر بدون مناسبة ودون أن نعرف السبب على ملاحم أخرى مثل ملحمة ملك الحرب الأكدية التى تتحدث عن فتوحات سرجون الأكدى، ووجدت منها نسخة أخرى بالحيثية فى عاصمة الحيثيين خاتوشاش بتركيا عند بوغازكوى الحالية (٢). وقد استنتج بعض الدارسين أن المقر الرسمى الأول لحفظ تلك الرسائل كان فى مقر الحكم بالعاصمة طيبة، ثم نقلها إخناتون معه حيث انتقل إلى عاصمته الجديدة فى العمارنة (٣).

الدعوة الجديدة :

أول مانجد ذكراً ممجداً لرب الشمس باسم آتون، عند الفرعون تحتمس الرابع الجد المباشر لإخناتون، ويقول د. عبد المنعم أبو بكر: " ومن هذه التباشير تصوير قرص الشمس تمتد منه ذراعان تنتهيان بيدين بشريتين تحيطان بالملك وتحميانه وتغدقان عليه النعم، وهو ذات التصوير الذى اختاره إخناتون فيما بعد لإلهه آتون مع تحوير يلائم عقيدته. بل عثر على اسم آتون نفسه مذكوراً على جعل سجل عليه الملك (يقصد تحتمس الرابع) تمجيداً لذاته، وإشادة ببأسه وقوته وجهاده فى سبيل إخضاع الشعوب وجعلهم من رعايا آتون "(٤).

(١) جاردنر: مصر الفراعنة:. سبق ذكره، ص ٢٣٢ ، ٢٣٣ .
(٢) طه باقر: الوجيز .. سبق ذكره، ص ٣٦٥ .
(٣) جوليا سامسون: نفرتيتى .. سبق ذكره، ص ٢٨ .
(٤) عبد المنعم أبو بكر: إخناتون .. سبق ذكره ص ٦٧ .

ومن بعده نجد إشارة إلى عبادة (آتون) فى لوحتين فى عهد آمنحتب الثالث ابن تحتمس الرابع ينسبان إلى الفنانين سوتى وحور اللذين كانايعملان فى طيبة وكانا على صلة بولده إخناتون (١) .

ويقول (سليم حسن): " الواقع أن الانقلاب الدينى الذى أحدثه آمنحتب الرابع/ إخناتون فيما بعد، لم يأت دفعة واحدة بل جاء على مراحل.. ومنذ عهد تحتمس الرابع بدأت تبدو ميول لتمثيل إله الشمس فى صورة جديدة غير صورته التقليدية التى كانت تتخذ شكلا بعينه على حسب الأحوال. وكلها كانت تتمثل فى هيئة إنسانية برأس حيوان وبصورة إنسان وحسب. أما الصورة الجديدة فكانت على هيئة قرص الشمس وحسب/ آتون. وقد أخذت عبادة الشمس بهذه الصورة تنمو شيئا فشيئاً فى عهد آمنحتب الثالث ولكن دون مساس عبادة آمون بأذى. لكن لما جاء آمنحتب الرابع اختمرت فكرة عبادة رع فى صورته الجديدة على أن يكون إله الإمبراطورية.. وأقام لنفسه حاضرة جديدة فى المكان المعروف الآن بتل العمارنة بالقرب من ملوى، وسماها إخت آتون أى أفق آتون، كما أسس مدينة أخرى بهذا الاسم فى بلاد النوبة، ومن المحتمل كذلك أنه أسس ثالثة فى آسيا " (٢). ومن جانبنا نرى أن أخت آتون الآسيوية ربما كانت تلك التى وردت فى أسفار الكتاب المقدس كما فى سفر القضاه ١٢/١٣ – ١٥ باسم (فرع ــ آتون) أو (فرعتون). وحدد قاموس الكتاب المقدس موقعها فى جبل العمالقة فى إفرايم وأنها تحمل الآن اسم فرعاته على بعد سبعة أميال ونصف جنوبى غربى شكيم (نابلس الحالية) بفلسطين.

وهكذا يؤكد عبدالمنعم أبوبكر " أن شرر الثورة الدينية كان قد بدأ يتطاير منذ أيام تحتمس الرابع، ووجد مناصرة قوية فى عهد ابنه آمنحوتب الثالث .. هذا الملك أطلق اسم **بهاء آتون** على الزورق الملكى الذى أهداه لزوجته تى. كما عاش فى عصر آمنحوتب الثالث رجل اسمه رع مس جمع بين وظيفتين: إحداهما كاهن آمون والثانية مدير البيت فى **معبد آتون**. بل أكثر من هذا ماورد فى أحد النصوص فى عصر هذا الملك أن بن بوى وكان عمل كاتبا لخزانة **معبد آتون** كان يطلب من فرعون أن يتوسط عند الاله آمون ليمده بالقرابين الجنازية. **كل هذا يدل على أن آتون كان معترفا به فى عصر آمنحتب الثالث، وأنه كان له معبد فى طيبة قبل ثورة العمارنة** "(٣).

ويحيطنا (سيرل ألدريد) علما أنه " توجد بالمتحف البريطانى لوحة من مخلفات بيت بانحسى بالعمارنة، عليها منظر للملك آمنحتب الثالث يبدو فيها رجلا بدينا مسنا مسترخيا على عرشه بجوار زوجته الملكة تى، **وفوقهما الاشعة الآتونية** " (٤). وسعيا وراء مايمكن العثور عليه حول الإله آتون فى المراحل السابقة للفرعون إخناتون نعلم من المصرولوجست (سيد توفيق) أنه " لم يكن آتون سوى صورة جديدة لإحدى

(١) سليم حسن: الأدب المصرى .. سبق ذكره، ج٢، ص ١١٠ .
(٢) سليم حسن : مصر القديمة .. سبق ذكره.
(٣) أبو بكر: إخناتون .. سبق ذكره، ص ٦٩ .
(٤) آلدريد: إخناتون .. سبق ذكره، ص ١٠٤ .

ظواهر الشمس المختلفة المعروفة من قبل، اتخذت اسما جديداً أول ما ظهر في الدولة الوسطى، وعلى وجه التحديد في الأسرة الثانية عشرة من ١٩٩١: ١٧٨٦ ق.م. بمفهومين: الأول كوكب الشمس، والثاني الاله المقيم في هذا الكوكب. واستمر آتون بهذين المعنين حتى جاء إخناتون وحرره من المعنى الأول واختار له المعنى الثاني. ولم يظهر الإله في صورته المألوفة لنا وهى قرص الشمس ذو الأيدى الانسانية فى أوائل عهد إخناتون، بل تعبد الملك للإله آتون في صورته البشرية برأس الصقر حور أختى متوجا بقرص الشمس.. بعد ذلك وقع اختيار إخناتون على قرص الشمس ذى الأيدى البشرية ليكون الرمز المقدس لإلهه آتون.. وقد عرف المصريون القدماء القرص ذا الأيادى الإنسانية منذ عهد الملك آمنحتب الثانى ١٤٥٠ ق.م. (والد تحتمس الرابع والد آمنحتب الثالث والد إخناتون/ المؤلف) مثل عليها القرص يخرج منه ذراعان آدميان تحضنان وتحميان خرطوش الملك.. لقد اختار إخناتون إلهه.. صورة قرص الشمس محدبا أى صورة أمامية مجسمة له وذلك بخلاف ماعهدناه فى الفن المصرى الذى تظهر فيه الشمس المجنحة كزخرفة على الأعتاب العليا لمداخل المعبد.. ويزينه الصل.. وتخرج من القرص أشعة على شكل خطوط ترمز إلى الاذرع، وينتهى كل منها بيد بشرية يمسك بعضها بأحد رمزين: الأول للحياة عنخ والآخر للسعادة واس، متوجهة بهما إلى أنف الملك والملكة فقط "[١].



إخناتون ونفرتيتى يتعبدان تحت أشعة قرص الشمس (لاحظ تاج إخناتون المستطيل وذؤابة تتدلى منه لاحظ أيضا أيدى آتون ممسكة بعلامة العنخ عند أنف الملك

بل ونجد فى طيبة أيام حكم آمنحتب الثالث، قبل الانقلاب الدينى الذى قاده ولده إخناتون، المهندسين سوتى وحور ينقشان نشيداً للإله آمون باعتباره الشمس، ويخاطب قرص الشمس باسمه آتون، لأن آتون كانت تعنى قرص الشمس المادى ذاته، ويقول ذلك النشيد:

التحية لك ياقرص آتون النهار

الذى خلق الناس وجعلهم يعيشون

---

(١) سيد توفيق: إخناتون .. سبق ذكره، ص ٧٥ .

الصقر القوى ذو الريش المتعدد الألوان

الذى جاء للوجود ليرفع نفسه

الذى جاء للوجود من تلقاء ذاته دون أن ينجبه سواه

حورس الأكبر الذى يقيم فى نوت السماوية

عند طلوعه يبتهج الانسان

وعند غيابه يحدث للانسان مثل هذا

ذاك الذى يدير القطر المزدوج من أعظم كائن إلى أصغره

أم الآلهة والناس

صانع الخير الفنان الساحر الذى لايعرف الكلل...[١].

ومع الظهور المفاجئ للإله آتون زمن آمنحتب الثالث الذى صيغت فيه الانشودة السابقة موجهة إلى الإله آمون وقرص الشمس الأتون، ثم صعود آتون وتفرده وحده بالربوبية زمن آمنحتب الرابع / إخناتون. حاول البعض القول إن عبادة آتون كانت أصيلة فى مصر، فهى عبادة الشمس القديمة ذاتها التى تجلت فى حور وفى آتوم وفى رع وفى آمون، ويقول د. أبوبكر: " وعقيدة الشمس عرفت فى مصر منذ فجر تاريخها، وصورها المصريون على هيئة إنسان يحمل فوق رأسه تاج الملك ويتربع على عرش الدنيا، ويطلقون عليه اسم آتوم ويعتبرونه أول الخليقة وأصل البشر جميعا "[٢]. خاصة إذا أخذ بالحسبان إمكان تبادل حرفى (ميم) و(نون) فى آتوم وآتون، علما أن آتون كان هو قرص الشمس ذاته، فهو الأتون أى الفرن النارى العظيم.

هذا بينما يذهب آخرون إلى العكس تماما، فيقولون إن الديانة الآتونية ديانة غريبة على الفكر المصرى القديم، خاصة مذهبها التوحيدى الذى يناقض ما فطر عليه المصريون من تعددية مفرطة، وحرية هائلة فى مساحة الاعتقادات. ويزعم هؤلاء أن عبادة آتون قد وفدت على مصر مع الساميين الذين كانوا فى مجملهم يقدسون الشمس ويرمزون لها بموقد نارى فى المعبد [٣]، يعمل الكهنة على اشتعاله الدائم، وهو مانجده فى الهيكل اليهودى وعبادات الفرس واليونان وغيرهم. فيقول أحد هؤلاء وهو يتحدث عن عقيدة التوحيد فى بوادى الشام: " إن دعوة التوحيد أصيلة فى هذه المنطقة، وأنها انتقلت مع الهكسوس العموريين أو العمالقة إلى مصر بين ١٧٨٥ – ١٥٨٠ق.م. وسببت ظهور الديانة الآتونية التوحيدية التى دعى إليها إخناتون فى

---

(١) دوماس: آلهة .. سبق ذكره، ص ١٢٢ ، ١٢٣،١٥٥،١٥٦ .

(٢) أبو بكر: إخناتون .. سبق ذكره، ص ٤٥ .

(٣) عفيف بهنسى: إيبلا والتوراة، مجلة المعرفة، وزارة الثقافة، دمشق، عدد ١٩٧، تموز ١٩٧٨، ص ٧٧.

١٣٧٥ – ١٣٥٨ " ويضيف آخر قوله: " ونحن لانستبعد أن تكون عقيدة الوحدانية التى تبناها إخناتون قد جاءت إلى مصر عن طريق قبائل الهكسوس العربية، التى حكمت مصر زهاء قرنين قبل إخناتون "[١].

ثم اختلافات بين الباحثين على مستوى آخر، عبر عنها أبوبكر وهو يقول: " لقد اختلفت الآراء فى ديانة إخناتون، وهل كانت وليدة تنافس سياسى بين إخناتون كملك على العرش، وبين سلطان كهنة آمون وثرائهم العجيب. أم كانت فتنة حتمتها ظروف الإمبراطورية المصرية التى جعلت الثروة تنحصر فى فئة قليلة من الناس، فقام النزاع المرير بين العمال وبين هؤلاء الأغنياء المستملكين لثروة البلاد، أم أنها كانت ثورة قامت بين كبار الموظفين المدنيين وكبار رجال الجيش؟ "[٢].

وربما يدعم الآراء الأخيرة ما ذكره زينون كاسيدوفسكى أن " إخناتون.. اختار مقربيه **من الفئات الاجتماعية المضطهدة**، لأنه كان باستطاعته أن يثق بهم أكثر، ويجدر أن نشير هنا إلى الكتابة التى وجدت فى مقبرة أحد أفراد حاشيته: **لقد كنت شخصا ذا منشأ وضيع من جهة أمى وأبى** لكن الملك أوقفنى بكرمه وأعطانى قوتى اليومى، **أنا الذى كنت فيما مضى أستجدى كسرة الخبز** " ثم ينبهنا كاسيدوفسكى إلى وجوب ملاحظة أنه " قد اكتشف فى تل العمارنة.. تابوت أحد النبلاء كان فى خدمة إخناتون وكان النبيل يدعى **نيحيم** (نظنها مناحيم الاسرائيلية/ المؤلف) **وهو آسيوى**، أما وزير هذا الفرعون المدعو **بانحامو** فقد عُد شخصا جبارا فى العصر الفرعونى مع أنه كان **آسيوى** المنشأ "[٣].

بل إن جيش إخناتون نفسه كان يتكون من أخلاط أجنبية أو كما يقول (حماد): " **إن جيشه كان مكونا من مختلف الجنسيات**، إذ نرى صفا من الجنود يتقدمهم مصرى يرتدى النقبة ذات الثنيات ويحمل الترس والرمح وبلطه، ويليه.. آسيوى يحمل الرمح والسيف الأفنى، والثانى نوبى (يقصد زنجى) يحمل قوسا مزدوج الانتهاء وسهاما "[٤]. بل وصل الامر إلى حد أن كاهن آتون نفسه، المفترض أنه أهم شخصية حينذاك بعد الفرعون، فقد كان بدوره آسيويا، أو حسبما يسجل التاريخ " وكان عصر العمارنة تحولا واضحا فى نظرة المصريين نحو الأجانب، وحيث بدأت الاستعانة باعداد كبيرة منهم فى مختلف مناصب الدولة. فكان الكاهن الخاص لاخناتون سورى الأصل (آسيوى)، ومن قبل عرف القصر الملكى فى طيبة طوائف مختلفة من الأميرات الاسيويات فى حريم الملك أمينوفيس الثالث "[٥]. وهى العلامات التى ذهبت بلويس عوض إلى

(١) أحمد سوسة: العرب واليهود .. سبق ذكره، ص ١٧٢ .
(٢) أبو بكر: إخناتون .. سبق ذكره، ص ٤٠ .
(٣) كاسيد وفسكى: الواقع والأسطورة .. سبق ذكره، ص ٧٩ .
(٤) محمد حماد: كامس .. سبق ذكره، ص ١٨ .
(٥) محمد إبراهيم بكر: صفحات مشرقة من تاريخ مصر القديمة، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٩٨٧، ص ٢١٩ .

القول أن " تل العمارنة قد أخذت اسمها من العمو Ammou أو العمرو Amro أو العمورو Amourru أو العموريين Amorites أو آل عمران كما نسميهم فى العربية. إما لأن العموريين احتلوها بالفعل وكانت من مراكزهم الرئيسية فى فترة ما، وإما لأن ذاكرة الأجيال حفظت رأى المصريين فى أخيتاتون (مدينته بالعمارنة) وإخناتون وعبادة الإله الواحد، وتعريفهم بديانته على أنها ديانة الأعداء العموريين، وأنها كانت تستخدم الأعداء العموريين "[١]. وهى كلها مؤيدات لوجهة النظر التى ترى **آتون إلها غير خالص المصرية،** وأن إخناتون نفسه كان سامى الهوى آسيوى المزاج والتفكير. ولأن فرويد كان ذو اهتمام خاص بالفرعون إخناتون، فقد أدلى بدلوه لتفسير مسألة التوحيد الطارئة واقتراح الأسباب التى أدت إليها وأفرزتها فيقول: " كانت الظروف السياسية قد طفقت منذ ذلك العهد تمارس تأثيرها على الدين المصرى. فبفضل المآثر المظفرة لفاتح كبير هو تحتمس الثالث، أصبحت مصر قوة عالمية ضمت إلى إمبراطوريتها بلاد النوبة فى الجنوب، وسورية، وجزء من بلاد الرافدين فى الشمال. وقد تجلت هذه النزعة التوسعية منذ ذلك الحين فى الدين فى شكل نزعة شمولية توحيدية. فلما كان سلطان فرعون لايشمل مصر وحدها بل كذلك النوبة وسورية. فقد بات من المحتم ألايبقى الإله مجرد إله قومى، ومادام فرعون قد أصبح السيد الأوحد اللا محدود السلطان على كل عالم المصريين المعروف، فقد بات من المحتم أن يغدو إلههم الجديد الها قويا وأوحداً هو الآخر.. لم ينكر آمنحتب الرابع قط أنه تبنى عبادة شمس أون.. بل أنه خطا خطوة أخرى إلى الأمام، فلم يتعبد للشمس بوصفها شيئا ماديا، إنما بوصفها رمزاً لكائن الهى تتجلى قدرته فى أشعتها.. ففى أحد أناشيده جاء مايلى بصريح العبارة: أيا أنت أيها الإله الأوحد الذى ليس إلى جانبه إله آخر "[٢].

ومع إله أوحد غيور دكتاتور يطلب كل المساحة لذاته ويستبعد كل الآلهة كان لابد أن يمارس إخناتون أشد درجات التعصب الدينى لأول مرة فى التاريخ المصرى فيقول أحمد عثمان: " أن إخناتون اعتبر أن آتون – الذى ليس له صورة أو تمثال – هو إله واحد لكل البشر. ثم منع دخول معبده إلا لمن ترك المعبودات الأخرى. وثارت ثائرة الكهنةّ المصريين.. فترك الشاب العاصمة واختار موقعا بمحافظة المنيا قبالة مدينة ملوى يعرف الآن بتل العمارنة، وبنى فيه مدينة جديدة ليعيش فيها هو وأتباعه.. **وقرر الاعتماد على الجيش** لتنفيذ سياسته فعين خاله الثانى آى مشرفا على الخيالة وقائداً للحرس الملكى، فى مكان والده يويا، كما أنشأ فرقة عسكرية **من أبناء الجاليات الأجنبية فى مصر لحراسته** وهذا يتضح من رسومات مقابر النبلاء فى تل العمارنة، ثم أرسل فرقا عسكرية إلى جميع المدن المصرية لإغلاق المعابد ومصادرة أوقافها. وأمر بتسريح جميع الكهنة عدا كهنة آتون، ثم أمر بشطب اسم آمون من على جميع النقوش حتى تلك التى تدخل فى اسم والده آمون حوتب وكذلك كلمة نترو وهى جمع لكلمة نتر بمعنى معبود "[٣].

---

(١) لويس عوض: مقدمة .. سبق ذكره ، ص ٢١ .

(٢) فرويد: موسى .. سبق ذكره، ص ٢٩ ، ٣٠ .

(٣) أحمد عثمان: تاريخ اليهود، ج١، ص ٥٨ ، ٥٩ .

ويحدد لنا شيتندورف وسيل بداية حملة التعصب والكراهية فى قوله " .. وفى السنة السادسة من حكمه أصبحت عبادة آتون الديانة الرسمية للدولة، وأغلقت معابد الآلهة الأخرى فى كل مكان وصودرت ممتلكاتها. ودمرت تماثيل الآلهة القديمة ومحيت صورها من نقوش المعابد وأزيلت أسماؤها. **وتركز الاضطهاد الشديد على آمون وعائلته** ليس فقط فى المعابد، بل وحتى فى حجرات المدافن الخاصة إذا كان هناك سبيل إلى دخولها، وحرم **اسم آمون بالتحديد..** وكل من يحمل اسما يحتوى آمون أجبر على تغييره. وكان الملك نفسه من أوائل من فعلوا ذلك، فتخلى عن اسم آمون حتب آى آمون راضى.. وتسمى بإخناتون أى المفيد لآتون "[١].

ويشرح عبدالمنعم أبوبكر مؤكداً ذلك التعصب الرهيب الذى امتلك عقل إخناتون " فأعلنها حربا لاهوادة فيها ضد آمون إذ أمر بتجريد حملة من العمال والصناع تعاونهم فرق كبيرة فى الجيش لبدء حركة إرهاب عنيفة هدفها محو آمون ليس من طيبة فقط، بل من كل أرجاء الإمبراطورية المصرية والقضاء على كهنته "[٢].

وهكذا يأتى تعقيب فرويد موجزاً كل الأحداث يقول: " ولئن كان آمون هو الضحية الرئيسية لاضطهادات العاهل، فإنه لم يكن الضحية الوحيدة، فعلى امتداد أرجاء الامبراطورية أغلقت المعابد وصودرت أملاكها وحظرت العبادات وحجزت الكنوز الكهنوتية. وقد أمر العاهل مدفوعا بحميته بالتنقيب. عن نقوش الأنصاب القديمة لتمحى منها كلمة إله فى حال ورودها بصيغة الجمع. ولاغرو أن تكون هذه التدابير قد أثارت فى أوساط الكهنوت المضطهد والشعب المستاء حاجة محمومة إلى الانتقام، أمكن لها أن تروى غليلها بعد وفاة إخناتون، ذلك أن ديانة آتون لم تكن ديانة شعبية، ولم يعتنقها فى أرجح الظن إلا جماعة صغيرة من الأشخاص الدائرين فى فلك العاهل ". ثم ينقل عن ويجال فى كتابه حياة إخناتون وعصره قوله: " ديانة آتون تستبعد الخرافات كافة وشعائر السحر والشعوذة جميعا.. كان إخناتون **يرفض الاعتراف بفكرة جحيم يثير من الرعب ما** لاسبيل إلى توقيه إلابرقى سحرية لاتقع تحت حصر.. ورمى إخناتون بهذه الرقى جميعا إلى النار وقدم الجن والغيلان والأرواح والمسوخ وأنصاف الآلهة **وأوزيريس نفسه** مع بطانته كلها لقمة سائغة لألسنة اللهيب فآلت إلى رماد.. ولم يسمح إخناتون بأن تحفر لآتون أى صورة على القبور وكان الملك يقول: **إن الإله الحقيقى لاشكل له.** وقد بقى على رأيه هذا طوال حياته "[٣].

وهناك احتمال أن حملة الكراهية تلك جاءت بعد مؤامرة فاشلة دبرت ضد اخناتون، وهو مايؤخذ من أقوال إخناتون نفسه التى وجدناها مدونة على إحدى لوحات حدود مدينته اخت آتون، ويقول فيها:

---

(١) شتيندورف وسيل: عندما حكمت .. سبق ذكره، ص ٢٠٦ .

(٢) أبو بكر: اخناتون .. سبق ذكره، ص ٨٠ .

(٣) فرويد: موسى .. سبق ذكره، ص ٣١ .

أقسم بحياة والدى آتون

أن الكهنة كانوا أشد إثما من كل الأشياء التى سمعتها

حتى العام الرابع بل وأشد ضرراً من كل الأشياء التى

وقعت حتى العام السادس.

ثم هناك وثيقة ثانية عبارة عن تسجيلات وردت مرسومة على جدران مقبرة رئيس الشرطة ماحو وتحتوى على تفصيلات مؤامرة دبرها ثلاثة أشخاص أحدهم مصرى أما الآخران فكانا من الأجانب. وبدت شعورهما مسترسلة وقصرت لحيتهما. ويبدو أن هدف المؤامرة كان اغتيال الملك، إذ نرى الوزير بعد القبض عليهم يتوجه بالشكر لآتون الذى وفقه لكشف هذه المؤامرة قبل تنفيذها[١].

ويبدو أن التحقيقات أسفرت عن يد طولى لكهنة آمون فى هذه المؤامرة وهو الاستنتاج الذى ينبنى على تركيز حملة الكراهية تدميرها على آمون أكثر من بقية الآلهة.وهكذا وللظروف التآمرية المحيطة بالفرعون ودعوته، كان لابد أن تكون مدينته الجديدة ثكنة عسكرية عظيمة، تعطينا **صورة مخالفة عن الفرعون المحب للسلام الكاره للحرب الطيب الرقيق الدمث، فقد أصبح مؤكدا الآن إن اخناتون بسبب تعصبه كان شديد القسوة مع مخالفيه.** ويقول قدرى: " إن الجيش كان المؤسسة الوحيدة التى اعتمدت عليها الدولة بعد سقوط طبقة الكهنة " [٢].

وأن أخت آتون تحولت لتصبح المقر الرسمى لأقوى سلاح بالجيش آنذاك، فقد أمست " المقر الرسمى لسلاح المركبات الحربية بالجيش المصرى، حيث يدل على ذلك وجود الثكنات العسكرية التى كانت تشغلها وحدات هذا السلاح. ووجود أرض التدريبات الحربية التى كانت تتمرن عليها هذه الوحدات.. وهو ما يعتبر دليلا على مدى الأهمية التى كان يوليها عصر العمارنة للقوات المسلحة المصرية " [٣].

وتقول المصرولوجست (جوليا سامسون): " كانت هناك فكرة خاطئة قال بها الكثيرون من المؤرخين وعلماء المصريات مؤداها أن شدة اهتمام إخناتون بالدين الجديد الذى دعا إليه وشخصيته كشاعر حالم قد جعلته ينصرف تماما عن التفكير فى شئون الدولة وشئون الحكم خاصة بالنسبة للشئون العسكرية والحربية وشئون الأمن المحلى والقومى. ولكن عُرف الآن أن إخناتون قد واصل سياسة حفظ توازن القوى بين مصر

---

(١) أبو بكر: إخناتون .. سبق ذكره، ص ٧٨ .

(٢) أحمد قدرى: المؤسسة العسكرية المصرية فى عصر الإمبراطورية، ترجمة مختار السويفى، هيئة الآثار المصرية، القاهرة، ١٩٨٥ ، ص ١٥٧ .

(٣) نفسه .

ومستعمراتها فى افريقيا وآسيا وبين دول الشرق الأدنى التى بدأت فى الظهور والنمو، وعرفنا أيضا أنه اتخذ إجراء عسكريا بإرسال حملة حربية لإخماد القلاقل التى أثارها البدو فى النوبة " (١).

وكان المعلوم فى خطابات العمارنة القادمة من الولايات المصرية فى الخارج أن تلك الولايات تتعرض للهجوم والاقتطاع من الأملاك المصرية بواسطة الخابيرو وحكام ميتانى، والمظنون أن ميتانى تقع فى أعالى الفرات حسبما موضعها المؤرخون، وهو أمر لايلتقى مع وجود الخابيروفى تلك المناطق قدر مايتناسب مع وضع ميتانى فى مديان بسيناء عند العقبة وبلاد آدوم، فالخابيرو والمديانيين كما نعلم فى التوراة بينهم صلات قرابية متصلة من النسب المتجدد. ناهيك عن سكن الخابيرو بلاد مديان ومحيطها معظم الوقت. وقد اتهم إخناتون تحديداً أنه السبب فى ضياع أملاك مصر الإمبراطورية لتقاعسه عن إرسال الجيش وكراهيته للحروب. لكن يبدو أن إخناتون قد اتهم ظلما بسبب دعوته الدينية وبأنه فرط فى أملاك مصر بالخارج، فهذا (جاردنر) يقول: " ليس فقط إخناتون وحده مسؤول عن ضياع هيبة مصر، إنما سبقه أبوه، فهناك رسائل من أكيزى لأمنحوتب الثالث بها شكوى مريرة من الهجوم التى تتعرض له تلك الولايات، وفى رسائل العمارنة توسلات يائسه من رب عدى نائب الفرعون فى بيبلوس تطلب العون ضد عبد شرى ومن بعده عزيرو حكام ميتانى اللذان ارتبطا **بالخابيرو وساجاز قاطعو الرقاب** " (٢).

وهكذا يجمع المؤرخون الآن على أن المتقاعس الأكبر الذى أهمل ولايات الامبراطورية هو الأب آمنحتب الثالث الذى انغمس فى الملذات حتى أنهكت جسده وروحه وأصابته أمراض الإسراف البدنى مبكراً،



آمنحتب بن حابو مهندس عراف رُفع إلى مرتبة القداسة بشعر مصفف على طريقة النساء
شكل رقم (٧٦)

(١) جوليا سامسون: نفرتيتى .. سبق ذكره، ص ١٣٠ .

(٢) جاردنر: مصر الفراعنة .. سبق ذكره، ص ٢٥٧ ، ٢٥٨ .

وفى ذلك يقول شيتندورف " ومن غير المحتمل أن يكون. آمنحتب الثالث قد وضع قدمه على الأرض السورية، ومع ذلك فقد حاول أن يترك على آثاره انطباعا بأنه استطاع شخصيا بسيفه الماضى أن يخضع البلاد الأجنبية بما فيها كوش البائسة ونهارين وسوريا ويضعها جميعا تحت قدمه. كما حاول أيضا أن يقلد حملات سلفه العظيم تحتمس الثالث فقام كهنته الأوفياء تنفيذاً لمشيئته بتخليده فى كل معابده باعتباره الحاكم الظافر. فهو يظهر مثلا على نصب تذكارى عظيم واقفا فى عربته العسكرية ممسكا بالسوط والقوس فى يده، وهو يقود خيوله منتصراً فوق أجساد أعدائه الممزقة. بينما هو فى الحقيقة قد قنع بالخروج للصيد والقنص ليذبح الثيران والأسود بدلا من الأعداء البشريين. وما ادعاه أنه قتل ١٠٢ أسداً بيديه خلال السنوات العشر الأولى من حكمه، يبدو أكثر إقناعا من محاولته تصوير نفسه كفاتح عظيم " (١)

وأبداً لم يقتنع المؤرخون حتى بشهادة آمنحتب بن حابو الحكيم الذى عين زمن آمنحتب الثالث فى وظيفة الكاتب الملكى الرئيسى للمجندين، وقال فيما تركه مدونا باسمه " كنت أجند الشباب لمولاى، وعددت بقلمى الملايين من أعدادهم. لقد جندت أقوى الرجال من مقعد عائلاتهم وكنت أفرض الضرائب على البيوت بعدد من بها وأختار القوات من منازلهم. وأغرقت الفلاحين بأحسن الغنائم التى أخذها جلالته من ميدان القتال. وكنت أحصى كمية الغنائم من انتصارات جلالته وأنا بينها، وأتصرف طبقا لما يقول وأنجز مايكلفنى به. ووجدت أن ذلك مفيد لى فى المستقبل " (٢).

وربما يزيد فى إدانة آمنحتب الثالث ميله الشديد لمسالمة أنسبائه فلدينا رسالة من عاملة عبدى خيبا أو عبد هفا حاكم أورشليم ترد بها فقرة واضحة الدلالة، فهو يتساءل غاضبا مستنكراً عن تقاعس الملك فى إرسال كتائب الجيش المصرى لصد هجمات (الخابيرو) وهذه الفقرة تقول: " طالما أن سيدى الملك على قيد الحياة، فسوف أقول لمندوب جلالته: **لماذا تحب العابيرو** وتكره أمير الولاية المقيم؟ " ومن جانبنا ننقب عن مصدر ذلك الغزو العابيرى فنقرأ رسالة أخرى من ذات الوالى الأورشليمى تم تصنيفها تحت رقم EA٢٨٦: " إلى كاتب الملك. سيدى من خادمك عبدى خيبا.. أفصح فى قولك لسيدى الملك: إن جميع أراضى سيدى الملك قد فقدت ". ثم نقرأ الرسالة رقم EA٢٨٨ تقول: " إن أراضى الملك قد فقدت. لقد أُخذت منى، وهناك حرب ضدى من بلاد **سعير** " (٣).

ويبدو لنا أنه رغم قيام آمنحتب الثالث ببناء المعبد العظيم بالكرنك للاله آمون. ورغم رخاء عصره الذى لاشك عم على كهنة آمون وكان لهم النصيب الأعظم من جزى الشعوب المفتوحة. فإن هناك مشكلة أساسية جعلت كل هذه الرشاوى لاتجد صدى مناسبا من الكهنة، حيث كانت مشكلة الملك معهم مشكلة

(١) شتيندورف وسيل: عندما حكمت .. سبق ذكره، ص ٩٦ .

(٢) نفسه: ص ٩٨ .

(٣) Albright. W, Akkadian Letters, The Amarna Letters, in A.E.T, p ٤٨٧.

تأسيسية تتعلق بالقواعد والقوانين المقدسة للملكية، حيث كانت قاعدة القواعد وناموس النواميس **أن يؤول العرش إلى بنت الملك الكبرى أولا، ثم يتزوجها شقيقها أو أى أمير يحمل الدم الملكى فى عروقه عن طريق الأم وليس الأب إن عز وجود هذا الشقيق.** وكانت حالة آمنحتب الثالث مخالفة لتلك القواعد بشدة. فقد تزوج أبيه تحتمس الرابع من (موت أم أويا) وهى سيدة ميتانية من بلاط حكام تلك البلاد ولم تكن مصرية لكن من بدو يعيشون على الحدود المصرية. وزاد الأمر سوءاً أن آمنحتب الثالث لم يجد أميرة وارثة ليتزوجها لتطبيق الشرع الإلهى لأحقية الحكم، والبعض يقول إنه كان له شقيقة طفلة اسمها سيت آمون لاتصلح للزواج، فتزوجها صوريا لكنه فضل عليها واحدة أخرى هى مليكته تى وكانت بدورها من خارج الدم الملكى. وقرر الفرعون فيما يبدو الوقوف أمام القوانين المعمول بها والثورة عليها. لكنه كى يثبت أحقيته الشرعية فى التاج أمكنه رشوة بعض الكهنة لإيجاد قصة مناسبة ترقى به إلى الحكم الشرعى، فلجأ إلى حيلة استخدمت قبل ذلك مرات متباعدة، وهى ترقى بالملك إلى رتبة أعلى من المحددات القانونية لشرعية الحكم، وتتمثل فى القول أن الملك قد أنجبه الإلهة آمون مباشرة بنفسه. حيث كان الدم الملكى فى نسل الأسر الحاكمة يعود مباشرة إلى الاله حور القديم عبر سلسلة مواليد إناث، ومن ثم تأتى الحيلة لتنسب الملك مباشرة إلى رب الدولة آمون، الذى عاشر الأم الملكية وهى فى هذه الحالة الميتانية (موت أم أويا)، بعد أن **اصطفاها من بين العالمين وتمثل لها بشراً سويا** فى شخص زوجها تحتمس الرابع وضاجعها فى هيكله بمعبده. لذلك فإن آمنحتب الثالث إطلاقا لم يكن ابن تحتمس الرابع، إنما هو ابن الإله آمون مباشرة. وفى ذلك يقول (شتيندورف): " فهناك نقوش كثيرة من مختلف المعابد تصور كيف أُنجب الملك من آمون وكيف جاء إلى العالم تحت رعاية الآلهة. فنرى مثلا داخل قاعة معبد الأقصر الإله خنوم Khnum جالسا أمام عجلة الفخرانى حيث يشكل فى وجود الإلهة إيزيس طفلين ذكرين هما الملك القادم آمنحتب الثالث وقرينه كا KA الذى يشبه الملك تماما فى مظهره وطبيعته. وفى الصورة التالية نجد آمون يتصل بالزوجة الملكية العظمى موت إم أويا Mutem Wiye ويلد منها الطفل الملكى الذى سبق أن خلقة خنوم. وفى منظر آخر يظهر الاله تحوت Thoth للملكة ويعلن لها حملها القادم. ثم نجد نقشا مجاوراً يقود فيه خنوم وإيزيس الملكة إلى غرفة الولادة. وهذا يتم فى حضور وبمساعدة عديدة من الآلهة وأنصاف الآلهة. وبعد أن تضع طفلها تحمل الربة إيزيس الأمير المولود وتقدمه إلى أبيه آمون الذى يأخذ الطفل بين ذراعيه ويعده بأن يحيا ملايين السنين مثل رع . وتقوم الربات والأبقار المقدسة بإرضاع الطفل الملكى الذى ينمو تحت رعاية الآلهة حتى يجلسه أبوه آمون فى النهاية على عرش مصر" (١). وهكذا تمكن آمنحتب الثالث أن يحصل بالحيلة على شرعية الحكم لأن أمه ليست من الأسرة المالكة ولايجرى فى دمها دم حور الملكى ثم تزوج بزوجة غير ملكية الأصل هى الملكة تى. وحتى يثبت ذلك ويؤكده تمادى إلى حد أنه قرر أن يكون إلها معبوداً باعتباره الإبن المباشر لآمون، وقد أصبح مؤكداً لدينا الآن أنه **كان يعبد فى صورة تماثيل بصولب ومنف وهيراكنوبوليس / الكوم الأحمر وطيبة**

(١) شتيندورف وسيل: عندما حكمت .. سبق ذكره، ص ١٠٣ .

وهو مازال حيا. بل وقرر أن تكون تى بدورها إلهة لها ذات الحق، فقد وجدنا دلائل مؤكدة أنها كانت تعبد في سيدنجا بعد أن تم تعيينها ربة للإقليم(١).

لكن ذلك كله وإن صار رسميا، فإنه لم يكن ليخدع الكهان المخلصين من أتباع آمون. والذين ظلوا يعملون فى الخفاء ضده وضد أسرته كما سنرى ذلك أيام ولده إخناتون. خاصة أن زواج آمنحتب الثالث من فتاة غير نبيلة الأصل ولاتجرى فى دمها الدماء الملكية هى (تى) أضاف مزيداً من البلل إلى الطين. لذلك سنقف قليلا مع الملكة تى نستطلع شأنها وشئون أسرة العمارنة.

ويعود تشبيه المؤرخين لعصر آمنحتب الثالث بعصر لويس الرابع عشر فى فرنسا أوبعصر هارون الرشيد فى إمبراطورية العرب، إلى كون هذا الفرعون قد ورث إمبراطورية مصرية واسعة الأرجاء، تتدفق منها الخيرات على عاصمة الإمبراطورية طيبة حيث مقر الحكم فى أقصى جنوب مصر. وفى العام الثانى من حكمه تزوج آمنحتب الثالث مليكته تى إبنة يويا وتويا، وأصبحت ملكة على تلك الإمبراطورية الواسعة، رغم أنها لم تكن من أفراد البيت الملكى، وكان المظنون أن اسرتها من عامة الشعب، ويرجح أن والدها يويا وأمها تويا يعودان إلى بلدة تقع شمالى طيبة اسمها إخميم.

والمعلوم لدى علماء المصريات أنه كان هناك أميرة تدعى سيت آمون ذكرت نقوشها أنها " الملكة بنت الملك "، لكنها كانت طفلة صغيرة عندما اعتلى آمنحتب الثالث العرش، وهو مادعا إلى افتراض أنها كانت شقيقته وابنة تحتمس الرابع. وكان اللقب التالى الذى حازته سيت آمون هو " ابنه الملك وزوجة الملك "، مما أدى إلى استنتاج أن آمنحتب الثالث عقد عليها زواجا صوريا مراعاة أو خداعا للقوانين. لكن زوجته الفعلية كانت هى (تى) التى صارت ملكة على الإمبراطورية المصرية منذ العام الثانى لحكم آمنحتب الثالث بقرارات جريئة من الملك الذى قرر أن يفرض مليكته على الجميع وإن رغمت أنوف، وحازت لقب (الزوجة الملكية العظمى) القاصر على الملكة بالوراثة فى العادة المقدسة. ويقول لنا آلدريد بشأن الأصل غير للملكة تى، أن أباها كان يويا الكاهن الاكبر للإله مين فى إخميم والمشرف على ماشية المعبد، أما الأهم فهو أنه كان قائد فيلق المركبات الملكية (سلاح الفرسان) ويعقب آلدريد بقوله: " فهو إذن من **الماريانو** الأشداء محترفى الجندية ". ثم يحيطنا علما **أن (يويا) كان من أقرباء الملكة (موت – أم – ويا) زوجة الملك الراحل تحتمس الرابع** ووالده الملك آمنحتب الثالث.(٢)

ويحيطنا عبد المنعم أبو بكر علما بشخصية تى قائلا: " وكانت تى سيدة ذكية صقلتها الأحداث، واستطاعت بدهائها أن تظل حتى آخر أيام حكم زوجها صاحبة اليد العليا ليس فى مصر فحسب، بل فى توجيه سياسة الإمبراطورية كلها. حتى بات ذلك أمراً معروفا عند الأمراء والحاكمين فى أقاليم الشرق، فكانوا

(١) آلدريد: إخناتون .. سبق ذكره، ص ٦٥ .

(٢) نفسه: ص ٨٣ : ٨٤ .

يقدرونها ويبعثون لها برسائل الود " (١). وهكذا جاء حكم آمنحتب الثالث مشكوكا فى شرعيته من شقين: الأول أنه من أم ميتانية، والثانى أن زوجته بدورها ليست من حاملات الدم الملكى لذلك سيكون نسلها مشكوك فى شرعيته بدوره. وقد قرر آمنحتب الثالث تحدى الجميع بجعله الملكة تى الملكة الفعلية للامبراطورية، بل وربة معبودة رغم أنف الجميع فى تحد سافر للقوانين المقدسة.

وذهب كثير من المصرولوجيين إلى أن تى كانت من غمار الشعب المصرى، وهو ما يؤكده عبدالمنعم أبو بكر فى قوله: " **كان آمنحتب الثالث من أم ميتانية..** أحيط بكل مظاهر الرعاية منذ طفولته. كما تجمعت له كل الأسباب ليصبح ملكا تخضع لأمره كل ثروات العالم. وتجبى موارده كلها تحت أقدامه. نشأ مترفا يعشق الحياة الرغدة ويقبل على ملذات الدنيا، ويعتبره التاريخ مثلا يضرب لأبهة الشرق، فإن حبه للبذخ وإقباله على الانهماك فى ملذات الدنيا، يجعلنا نعده بحق سلطان مصر الفرعونية.. ولم يكد يكتمل العام الثانى لتربع آمنحوتب الثالث على العرش، ولعله كان قد بلغ الربيع الثامن عشر من عمره، حتى اختار صبية لاتنحدر من أصل ملكى زوجة له. أبوها هو يويا كاهن الإله مين، وأمها هى تويا إحدى سيدات القصر المشرفة على الملابس فى البلاط الفرعونى، أى لم يحمل أحد من أبويها لقبا ذى أهمية. هذه الصبية هى تى التى عرفت بقوة شخصيتها واستطاعت أن تجعل من نفسها إحدى سيدات التاريخ المصرى الشهيرات، إذ كان لها أثر كبير فى توجيه سياسة الإمبراطورية المصرية فى عصر زوجها. كما لعبت دوراً مهما فى الأحداث التى جرت فى عهد ولدها آمنحوتب الرابع/ اخناتون.. واذا كان **آمنحتب الثالث نصف ميتانى** ولم يكترث أبداً لنقاء دمه الملكى، فإنه كان أول ملك إختار: **الزوجة الملكية العظمى،** من بين بنات الشعب المصرى. لقد كان ولاشك جريئاً فى تصرفاته ومجدداً فى التقاليد المصرية. والوثائق التى وصلت الينا من هذا العصر تشهد بمدى تدله هذا الملك فى حب أثيرته ابنة الشعب تى، وإمعانه فى إرضائها.. لقد وجد من حقها عليه أن يعلن زواجه منها على شعب إمبراطوريته جميعا، فحمل الرسل إليها بعدد من الجعارين الكبيرة، نقش عليها نصا يعتبر بمثابة إعلان ملكى لزواجه.. ومامن شك أن مثل هذا الإعلان يحوى بين طياته اعترافا قويا بشعور الملك أنه أقدم على عمل ما كان له أن يقدم عليه. كما يحمل إصراره على ذكر اسم والد تى وأمها. والدليل على أنه أقدم على هذا الزواج وهو يعرف معناه لكنه لايأبه للنتائج، وظل بعد ذلك حريصا على أن يقرن اسم زوجته الكبرى باسمه فى كل مناسبة دينية أوسياسية، **ويشفع ذكرها بذكر أبويها أيضا** " (٢).

وإن كنا نرى إصرار آمنحتب الثالث على ترديد ذكر اسم والدى تى (يويا وتويا) كلما ورد اسم ابنتهما الملكة، له أسباب أخرى غير تدله الملك فى حب تى، وهى الأسباب التى سيأتى بيانها فى موضعها من هذا العمل.

---

(١) أبو بكر: إخناتون .. سبق ذكره، ص ٧٢ ، ٧٣ .

(٢) نفسه: ص ١٩ : ٢٣ .

ولم يقف إكرام آمنحوتب الثالث لزوجته تى عند هذا الحد بل ذهب إلى أبعد منه، فنراه يخالف كل القواعد القديمة فى الفن المصرى التى كانت تحرص على عدم إظهار الزوجة الملكية إلى جوار زوجها فى النقوش والتماثيل، إلا فى مناسبات معينة، وبشرط أن تقف الملكة بحجم صغير جدا بجانب ساق زوجها تحتضنة بتواضع كأنما هى شخص لا أهمية له أبداً. وإن حدث أن ظهرت الملكة بجانب الملك فيجب تمييزها بحجم صغير إلى جوار حجم الملك الكبير. لكن تى أضحت تصور فى التماثيل والنحوت والرسوم على قدم المساواة مع زوجها الملك، ويصادق على ذلك تمثالها الضخم الذى يصورها جالسة إلى جوار زوجها دون تمييز فى الحجم، وهو محفوظ الآن بالمتحف المصرى[1].

لكن إذا كانت تى وأباها يويا يمتون بصلة قرابة للملكة الوالدة (موت أم أويا) كما قال آلدريد، وأن (موت أم أويا) من أصل ميتانى[2]. ألا يفتح ذلك بابا للشك فى مصرية الملكة تى، وبذلك يكون آمنحتب الثالث قد خالف جميع القوانين السماوية دفعة واحدة؟!

هنا نجد من الضرورى إيضاح الأحوال فى مصر بعد طرد الهكسوس منها، فهذا عبدالمنعم أبوبكر يصور لنا أحوال البلاد فى لوحة واضحة؛ تفاصيلها فى قوله: " كما تركزت تجارة العالم القديم فى مصر.. وكما انتشرت الحضارة المصرية فى ربوع كثيرة، ولم تعد قاصرة على فلسطين والساحل الفينيقى فقط، فإن المصريين فتحوا أبوابهم للأسيويين، فدخلت البلاد عناصر جديدة من المظاهر الحضارية، وظهرت فى عصر الأسرة الثامنة عشر أدوات موسيقية جديدة، أتت من آسيا مع أنواع من **الرقص الغريب. بل انتشرت فى مصر بعض العادات الآسيوية**، وقبل المصريون عبادة آلهة آسيوية، كما رضى ملوك مصر أن يستعملوا فى اتصالاتهم الخارجية اللغة البابلية، ودخلت على اللغة المصرية كلمات اجنبية كثيرة كمدلولات للأشياء الجديدة الدخيلة على مصر. وأصبحت طيبة عاصمة الإمبراطورية بل عاصمة العالم، تتمتع بأزهى ما وصلت إليه البشرية إذ ذاك من مظاهر الرفاهية والرخاء "[3]. وهى ذات المعانى التى يكررها سيرل آلدريد وهو يصف أحوال مصر الإمبراطورية فى قوله: " كل هذه الثروة المنصبة داخل مجتمع عالمى منفتح، فى دولة ذات بلاط فاخر به حاشية ضخمة من الأميرات الأجنبيات وبطانتهن، أثرت على البيئة المصرية النمطية.. وهذا الجو الذى لم تعهده الحياة الثقافية فى مصر قبل ذلك يرجع الفضل الأكبر فيه إلى انفتاح مصر فى عهد الدولة الحديثة على جيرانها **الأموريين والحوريين**، وعلى دنيا **الهندوأوروبيين**. والحقيقة إن مصر بعد حكم الهكسوس فقدت كثيراً من ملامحها المحلية. واقتبست الكثير من مدنيات بلاد شرقى البحر المتوسط، فأصبح الملك الإله يشبه إلى حد كبير أبطال هوميروس.. وأصبح لأعوانه طابع **الماريانو** (المرتزقة المقاتلين) الذين

(١) نفسه: ص ٢٣ .

(٢) آلدريد: إخناتون .. سبق ذكره، ص ٨٤ .

(٣) أبو بكر: إخناتون .. سبق ذكره، ص ١٥ ، ١٧ .

كانت لهم السيطرة على المجتمع الأسيوى فى ذلك الوقت، **وتزايد نفوذ وتأثير الزوجات الأجنبيات والعبيد بل حتى الموظفين العاديين** "[١].

المهم أن آمنحتب الثالث عاش حياة شديدة الرفاهية غارقا فى الملذات، وهو ماتؤكده الخطابات التى كان يرسلها إلى أمراء مصر على البلاد الآسيوية، فهناك خطاب أرسله إلى (ميلكيلى) أو (الملك على) أمير جازر مع رسوله خانيا يقوله فيه: إنه فى حاجة إلى أربعين فتاة من أجمل فتيات المدينة يتميزن بوجوه جميلة وقوام ممشوق وليس فى إحداهن ما يعيب حسنها، ويردف الفرعون بعد ذلك القول:" وسأتخذ من هذه الهدية مقياساً لحسن ذوقك وخبرتك " .

وهناك خطاب آخر أرسله إلى (شوبا ندو) أحد الأمراء السوريين، وثالث إلى (عبدى خيبا) أمير أورشليم يطلب منه إحدى وعشرين فتاة أبكاراً غير ثيبات، ثم أرسل أكثر من أربع مرات يلح فى طلب ثلاثين عذراء من حليفة الملك الميتانى (دوشراتا)، وهو مايعقب عليه عبدالمنعم أبوبكر " لانكاد نشك أن البلاط المصرى كان يعج بالغوانى الأجنبيات وأن صاحبه كان منغمسا حتى أذنيه فى اللهو والمجون وكانت النتيجة الحتمية لازدحام البلاط الملكى بهذه الوفرة من السرايا (وقد حضر منهن فى عصر آمنحتب الثالث فقط ٤٢٨ غانية على أقل تقدير) أن أخذ الدم الأجنبى يزداد امتزاجا فى عروق المصريين وبخاصة أن سراة القوم وكبار رجال الدولة أخذوا هم أيضاً يجارون الملك ويعملون من جانبهم على استجلاب محظيات من بلدان آسيا القريبة، وكان لتجميع هؤلاء فى البيوتات المصرية أيما أثر فى إنتشار كثير من العناصر الحضارية الأجنبية وتغلغلها فى الحضارة المصرية "[٢] "أما الملك فقد أخذت الملذات تستنفذ صحته حتى انتهى عاجزا مريضا، ومات بملذاته" [٣].

وسعيا وراء العثور على طرف الخيط فى الأصل الوطنى للملكة تى، نقترب من يويا وتويا: كان يويا والد الملكة تى هو قائد المركبات الملكية وصاحب الخيل، أى كان قائد السلاح الفرسان، وقد أثبت الفحص الطبى لمومياء يويا أنه كان ذا مظهر مخالف للجنس المصرى، فهو **طويل القامة على غير المعتاد**، شعر رأسه طويل أبيض متموج، أنفه كبير بارز **معقوف**، شفتاه غليظتان بارزتان[٤] وهو الأمر الذى شكك تماما فى انتسابه للمصريين، وقامت على ذلك أبحاث كثيرة.

وقد حاز (يويا) هذا فى عهد الملك (آمنحتب الثالث) على ألقاب كثيرة وعديدة، ربما كان أهمها هنا: (وكيل الملك للعجلات) أى نائب الفرعون على قيادة سلاح الفرسان، و(حامل ختم الملك) ومعنى ذلك أنه كان

(١) آلدريد: إخناتون .. سبق ذكره، ص ٦٠ .
(٢) أبو بكر: إخناتون .. سبق ذكره، ص ٨، ٣٠ ، ٣٥.
(٣) آلدريد: إخناتون .. سبق ذكره، ص ١٩ ، ٦٩ .
(٤) نفسه: ص ٥٢ .

الكاتب الملكى الرسمى وكاتم السر وأيضاً لقب (فم الملك) وهو ما يعنى أنه كان المتحدث الرسمى باسم البلاط، ثم لقب (آذان الملك) أى أنه أيضا كان رئيس الاستخبارات وشرطة أمن الدولة، ثم لقب (الذى أغناه ملك مصر) وهو ما يعنى أن يويا ما كان ليصل إلى مركزه هذا إلا بفضل الملك ورضاه ورعايته وبقصد منه، وأنه لم يكن كذلك قبل ذلك، أما اللقب الأهم فهو (الأب المقدس)، أو (والد الإله) وهو اللقب الذى كان يعنى لحامله أنه حمو الملك ووالد زوجته الملكة.[1] لكن ما يجب تذكره جيداً أن مقبرة هذا الرجل (يويا) وزوجته (تويا) التى اكتشفت بوادى ملوك، **لم يعثر بها على نقوش أو رسوم أو كتابات تمثل الاعتقادات المصرية، وخاصة تلك التى تمثل الاعتقادات فى الحياة بعد الموت، وهو الأمر الذى يخالف المعتاد فى كل مقابر مصر القديمة** [2]، مما يشير إلى أنه كان لا يعتقد حسب عقيدته المجهولة لنا الآن فى عالم آخر من بعد الموت فيه بعث وحساب وجزاء وثواب وعقاب. والمعلوم أن الديانات السامية وأبرزها اليهودية كانت لا تعتقد فى بعث وحساب. ولم يطرأ ذلك الاعتقاد على الديانة اليهودية إلا متأخراً جداً قبل قرنين فقط من الميلاد. كذلك كان الأنباط لا يهتمون إطلاقا بالموتى، وكانوا يعتبرونهم لونا من القمامة والأغراض التى انتهت فائدتها.

وبعد خلاف طويل بين الباحثين انتهى الأمر إلى أن يويا وتويا قد أنجبا عدداً من الأبناء والبنات، منهم من انطفأ ذكره مبكراً، أو ليس لدينا عنه معلومات كافية مثل حنين ANEN الذى يترجم عادة عانن[3]، ثم أشقاء وشقيقات أخريات أكثر أهمية وصلتنا أسماؤهم من هذه الحقبة الهامة فى تاريخ مصر. فإضافة إلى (تى) التى اختارها آمنحتب الثالث ملكة لإمبراطوريته، كان هناك أيضا أسماء تحمل ذات التنغيم الغريب على اللسان والمسمع المصرى، فقد كان من أبنائه الذكور (آى) الذى اعتلى عرش مصر بعد ذلك بفترة، وكان ذا يد طولى فى أحداث فترة العمارنة. وكانت له زوجة تحمل اسما من ذات النغمات (تاى)، ولا نعلم إن كانت شقيقة له وللملكة (تى) أم لا، لكنها قد حملت فيما بعد لقب (مربية الملكة). وحمل (آى) نفسه لقب أبيه يويا (الأب المقدس) و (والد الإله)، وهو ما تم تفسيره بأن (آى) كان والداً للملكة نفرتيتى التى تزوجها الملك آمنحتب الرابع / اخناتون، لذلك استحق (آى) ذلك اللقب الذى يعنى أنه حمو الملك اخناتون، كما تقلد كافة المناصب والألقاب التى كان يحوزها أبوه (يويا). [4] وبهذا المعنى يكون آى ابن يويا وتويا والداً للملكة نفرتيتى وخالا للفرعون آمنحتب الرابع / اخناتون وحميا له، أما الاهم هنا فهو **أن آى قد نسبت إليه كثير من الأراء التى جاء بها الفرعون إخناتون التى تسمى بالهرطقة الأتونية، بل أن النشيد الشهير لدينا الآن فى**

---

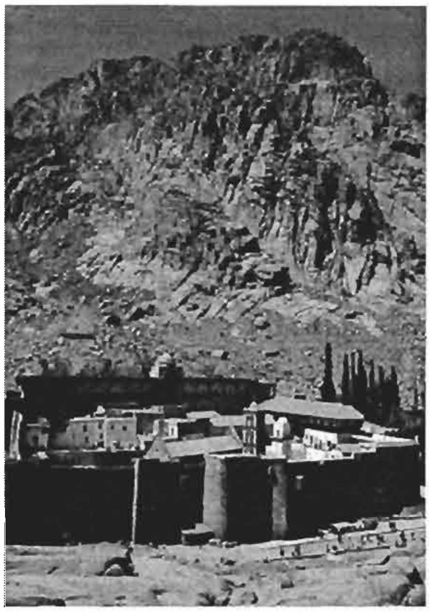
(١) أحمد عثمان: غريب فى وادى الملوك، مكتبة مدبولى القاهرة، ط١، ١٩٨٩، ص ٦٦ ، ٦٧ .

(٢) نفسه: ٦٥ ، ٦٦ .

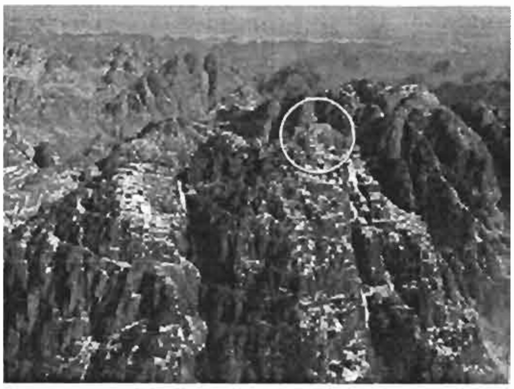
(٣) أحمد قدرى: المؤسسة العسكرية .. سبق ذكره، ص ١٤٣ .

(٤) نفسه: ص ١٤٦ ، ١٤٧، انظر أيضاً آلدريد: إخناتون .. سبق ذكره، ص ٨٦ ، ٨٧ .

عبادة الاله آتون، والذى يظن البعض أن مؤلفه هو إخناتون، قد وجد مسجلا فى مقبرة آى فى العمارنة [١] وقد أنجب



دير سانت كاترين عن قرب
شكل رقم (



جبل موسى بسيناء لاحظ دير كاترين على القمة
شكل رقم (

آى إضافة إلى نفرتيتى - إذا كانت ابنته فعلاً - الأميرة التى حملت اسم موت سخمت والقائد العسكرى نخب مين. [٢]

ومعلوم أن (آى) قد أصبح وصيا على العرش بعد اختفاء اخناتون، وإبان حكم الصبيان سمنخ كـا رع وتوت عنخ أمون، وبعد موتهما المبكر قفز على العرش، وشرع له بزواجه من عنخ اس. ان. با. آمون أرملة توت عنخ آمون[٣].

ويستلفت كل حواسنا ذلك التنغيم فى أسماء أسرة العمارنة ذات الأصول الميتانية (موت أم **ويا**)، يويـا أو **يهويا**، وتويا وتى و وآى أو **ياى**. وقد لاحظ المصرولوجيست سيرل الدريد ذلك فقال: " واضح أن العائلة كان لها ولع واضح بأسماء من نفس الفصيلة مثل ييى ويويا وآى، وكلها متقاربة الرنين قد توحى بوجود نوع من القرابة بين حامليها"[٤] لكن الاسم المنغم هذا يحمل لنا إشارات واضحة إلى الرب التوراتى يـاه، إهيـه، يهوه، يهيه، يه، على مختلف التنغيمات، لقد **كانت أسرة العمارنة من جهة الخئولة تعبد الإله يهوه السينائى**

(١) آلدريد: إخناتون .. سبق ذكره، ص ٨٥ .

(٢) نفسه: ص ٨٧ ، ٨٨ .

(٣) قدرى: المؤسسة .. سبق ذكره، ص ١٧٨ ، وشتيندورف وسيل : عندما حكمت .. سبق ذكره، ص ٢٢٢ ، ٢٢٣ .

(٤) آلدريد: إخناتون .. سبق ذكره، ص ٨٤ ، ٨٥.

المدياني، لأنها ببساطة كانت من نسل سيدات ميتانيات أومديانيات. وهو ما يفسر لنا لماذا خلت مقبرة يويا وتويا من أى نقش حول العالم الآخر، لأن عقيدة يهوه خلت تماما من أى اعتقاد فى البعث والحساب، وكان اليهودى يعتقد أن مصير الجميع بعد الموت صالح وطالح إلى هاوية العالم التحت أرضى يعيشون هناك فى الرغام والطين، وكان ثواب المؤمن أو عقابه دنيويا بطول العمر والسعادة المادية، أو العكس بالشقاء فى الحياة ثم الموت السريع.

ثم نتساءل: لماذا نجد **تماثيل تى فى سيناء** تحديداً بالذات؟ قرب الجبل المقدس كاترين، ثم ألا تشير تلك التماثيل إلى **إمرأة كوشية** مهجنة، فهى سوداء لكنه السواد السيناوى بكل ملامحه.

ثم نعود بقارئنا إللى لوحات حتشبسوت فى رحلة بونت، لنعلم دون أن تصيبنا الدهشة أن زوجة عظيم بونت بارح أوفرح أورابح أو رابع أو رباح، كانت تحمل اسم (**إ – تى**)، وهو اسم يحمل معنى: الرئيسة[1]، كما فى تسمية المصريين الآن للأفراد (سيد) التى تحمل معنى السيادة. أن اسم الملكة البونتية كما هو واضح يحمل ذات **التنغيم اليهوى.**

ثم نتوقف مدهوشين أمام فنون تل العمارنة ينتابنا ذهول الاكتشاف وبهرته.



الملكة تى سوداء سيناوية / رأس من خشب الأرز محفوظ بمتحف آثار برلين العينان مطعمتان والرأس مكسو بقلنسوة من الفضة والقلنسوة مثبتة على الجبين بشريط من ذهب
شكل رقم (٨٠)



رأس تى جاءتنا تماثيلها من سيناء بالتحديد وبالذات ؟!
شكل رقم (٨١)

ثلاث سمات تميز فنون تل العمارنة عن الفنون المصرية الكلاسيكية السابقة عليها: أولا إكساب التماثيل والنقوش الحركة اللينة وتصوير الطبيعة الجميلة فى حركات كائناتها الرشيقة. ثانيا: العرى الغريب الذى يغلب على نحوت ونقوش كل العمارنة، فنادراً ماممثل البيت المالك بملابس ساترة. بل أن نفرتيتى بالذات

(١) سليم حسن: مصر القديمة .. سبق ذكره، ج٤، ص ٣٢٨ ، ٣٢٩ .

وكذلك الملكة تى حماتها، قد صورتا بأردية مغلقة إغلاقا خفيفا من عند الثديين بدبوس يترك الثوب مفتوحا، لتتسع الفتحة كلما هبطنا مع الجسد حتى يفصح الثوب تماما عن خروج فخذين عاريتين بينهما فرج عار تماما.

ويقول أبو بكر حول التجديد الفنى الغريب فى فنون العمارنة: " ولابد أن كهنة آمون كانوا قد أحسوا بأن هناك مؤامرة تحاك ضدهم، وأن الأحداث تجرى سراعا.. وما زاد الطين بلة أن التيارات الجديدة التى أقلقت مضاجع كهنة آمون، كان يصحبها تجديدات فنية قلبت الأسلوب الفنى القديم وقواعده رأسا على عقب. بل هدمته وأودت به. لقد طلب الملك من الفنانين أن يتوخوا الأسلوب التعبيرى فى فنهم وأن يتجنبوا المبالغة فى إبراز صور الأفراد .. فالرسوم الموجودة على أحجار ذلك المعبد الذى شيده الملك لأتون فى الكرنك مرسومة بهذا الأسلوب التعبيرى الذى يميز حكمه، والذى يظهر جسمه مشوها. بل إن التماثيل الضخمة التى عثر عليها فى معبد الكرنك توضح لنا بوجوهها النحيلة وأفخاذها المتكورة أن فن العمارنة كان مُنفذاً منذ أول أيام حكم اخناتون، أى قبل أن يبدأ النزاع رسميا بينه وبين أمون وكهانه " [1].

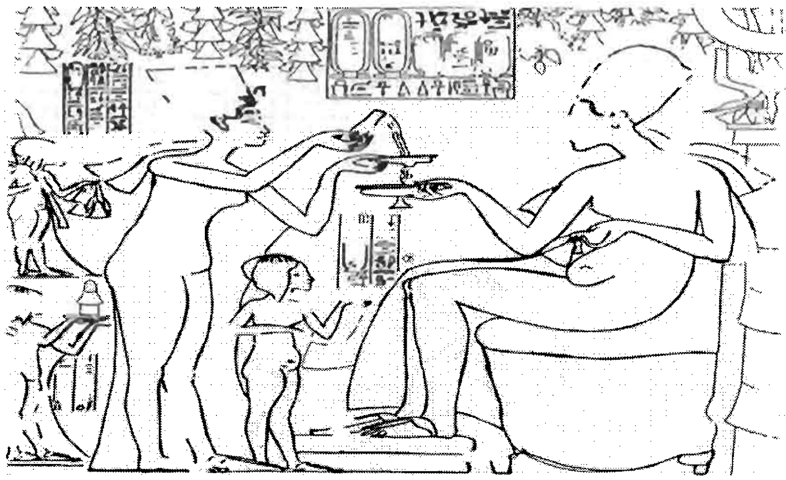
وتحاول المصرولوجيست (جولياسامسون) أن تبرر العرى فى لوحة تقرأها لنا فتقول: " المنظر العائلى المنقوش على جدران مقبرة النبيل آى غير مكتمل من الناحية الفنية، ومن الواضح أن العمل الفنى قد توقف قبل أن ينتهى، **فلم تكن ملابس الملك والملكة قد أضيفت إلى الرسم.** ولكننا مع ذلك نلاحظ بوضوح أن كلا منهما كان **يضع تاجه المميز** على رأسه، كما نلاحظ أشعة آتون الممتدة على شكل أياد تمنحهما البركة كما تمنحهما الحياة عنخ، ومن الواضح أن الفنان قد اعتبر ذلك من أساسيات المنظر الذى يحرص على تسجيلها منذ بدأ عمله الفنى. ومن الواضح فى هذا المنظر أيضا أن نفرتيتى.. أصبحت تشارك زوجها مراسم وشئون الحكم حيث تظهر وهى تساهم فى منح وإهداء قلادات الياقات الذهبية إلى النبيل آى " [2].

ورغم محاولة سامسون تفسير العرى فى تلك اللوحة بنسيان الفنان للملابس أو وقف العمل فى اللوحة قبل اكتمالها، فإنها هى نفسها فى موضع آخر تقول: " ومن هذه الحرية فى التعبير.. ظهرت خطوط وتعبيرات فنية غير مسبوقة فى تاريخ الفن، وأصبح الفنانون قادرون على تصوير الملك والملكة فى أوضاع مختلفة لم يكن مسموحا بها على الاطلاق فى أى عصر من عصور التاريخ المصرى القديم قبل عصر العمارنة... ولكى يلاحظوا حيويتها وجمالها الذى خلدوه فى أعمالهم الفنية قد سمح لهم أن يجلسوا فى حضرة الملكة لساعات طويلة لكى يراقبوها فى كل وضع ومن كل زاوية. ومن الملاحظ أن أغلبية النقوش التى صورتها هى وبناتها كانت تصورهن **وهن يرتدين ملابس شفافة تكشف خطوط ومنحنيات الجسم. وكانت**

---

(1) أبو بكر: إخناتون .. سبق ذكره، ص ٧٧ .

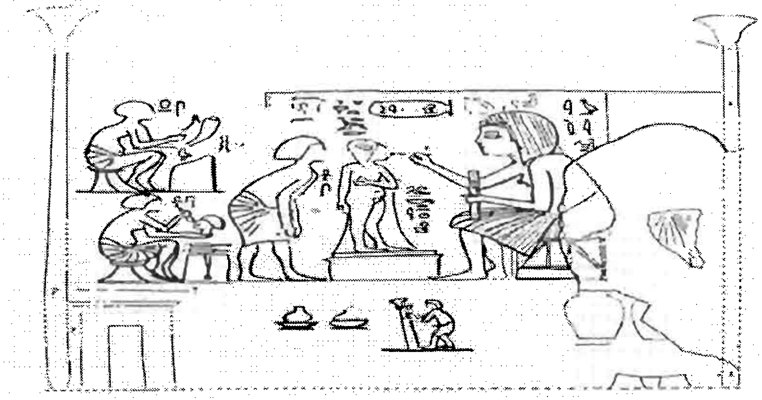
(2) جوليا سامسون: نفرتيتى .. سبق ذكره، ص ١٤٤ .



نفرتيتى باعتبارها "الزوجة الملكية العظمى" تصب السائل فى كأس إخناتون
(من جمعية الاستكشافات الأثرية المصرية)
لاحظ عرى الأميرة جيداً

نفرتيتى تفضل فى أغلب الأحوال ارتداء أثواب مصنوعة من قماش شفاف ومفتوحة من الأمـام ولا ترتدى أية ملابس داخلية " [١].

وتصف هى ذاتها لنا لوحة أخرى فتقول: " نرى أحد هذه المناظر التى تصور رئيس النحاتين الفنان أوتا وهو جالس يؤدى عمله.. يضع اللمسات الفنية النهائية لتمثال للأميرة باكت آتون.. وقد وصفت هذه الأميرة بأنها ابنة الملك.. **الأميرة كانت ترتدى ثوبا مفتوحا من الامام يبين معالم وتفاصيل جسمها** " [٢] مما يجعل الامر يبدو عادات جديدة غير مصرية على الإطلاق، وأنها ربما كانت تأثراً بثقافة الميتانيين أو



أونا يصنع تمثالاً عاريا للأميرة بكتاتن بينما تلميذه يتابعه (من جمعية الاستكشافات الأثرية المصرية)
شكل رقم (٨٣)

---

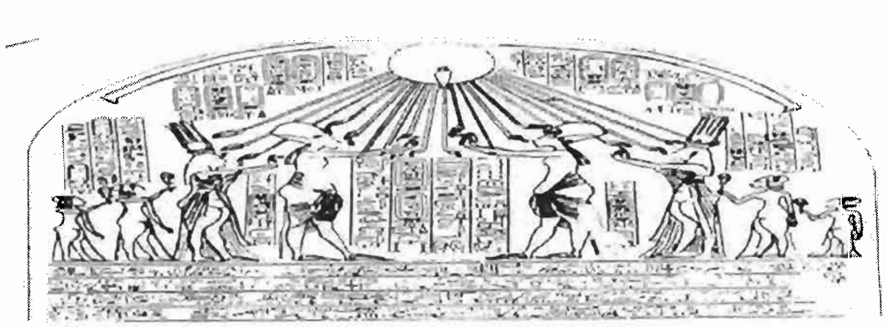
(١) نفسه: ص ٦٠ .
(٢) نفسه: ص ١١٦ .

المديانيين.

أما السمة الثالثة التى تسم فنون العمارنة فهو التيجان المميزة لإخناتون ونفرتيتى، وتقول هنا (سامسون) عن نفرتيتى إنها " صممت لنفسها تاجا خاصا أصبح من المعالم الهامة لشخصيتها. وقد استوحت نفرتيتى تصميم تاجها ولونه الأزرق من تاج الحرب خبرش الذى كان يرتديه الفراعنة المحاربون كرمز عسكرى، والذى كان يرتديه إخناتون فى أغلب الأحيان **بعد تطويره تطويراً فنيا خفيفا جعله أشبه ما يكون بغطاء رأس ميز**" [1] .

مرة أخرى تحاول سامسون التفسير فتشاهد تيجانا غريبة تماما على الفن المصرى وتظهر بهذا الشكل لأول مرة، فتبحث لتجد أنها تشبه تيجان الحرب خبرش مع بعض التحوير، لكن لماذا تلك الاستطالة المفرطة فى هذه التيجان؟ إن أول ما سيلحظه المطالع لفنون العمارنة تلك الاستطالة المفرطة فى رؤوس أسرة إخناتون. وهنا تدخل سامسون مرة أخرى للتفسير لتقول عن رؤوس العمارنة: " قد رسمت جميعا باستطالة من الخلف حتى لقد شاع ظن خاطئ بأن الأسرة الملكية كلها كانت مصابة بمرض الاستسقاء فى الدماغ .. وربما بسبب حرارة الجو فى أيام الصيف كان من اللازم تسريح الشعر وتجميعه خلف الرأس لتخفيف الحرارة عن الرقبة وأعلى الكتف. وكان الرأس يبدو فى مثل هذه التسريحة كما لو كان فى حالة بروز وانتفاخ " [2] .

كان هذا اقتراح (سامسون) لتفسير الرؤوس المستطيلة لبنات إخناتون، لكن **لماذا لم يظهر أثر الصيف وتسريحاته تلك إلا فى لوحات العمارنة دون تاريخ مصر جميعه، ثم ماذا عن إخناتون نفسه الذى حمل الرأس نفسها، ثم ماذا عن تاج نفرتيتى الذى لا شك كان يخفى تحته ذات الرأس، بل وكثير من رجال الحاشية ونسائها كانوا يحملون ذات الرؤوس رجالا ونساء.**



منظر جزئى من إحدى نصب أو علامات الحدود التى أقيمت حول العمارنة ونرى إخناتون ونفرتيتى وهما يتعبدان للإله آتون، وخلفهما الأميرتان الصغيرتان (لاحظ عرى نفرتيتى التحتى وكذلك بناتها وأيدى الإله آتون

(١) نفسه: ص ٥١ .
(٢) نفسه: ص ١١٤ .

لنستمع إلى تبرير آخر يلجأ إلى التفسير بأنها كانت عملاً فنياً يتم فيه تحوير أشكال أفراد الحاشية ليأخذوا شكل الفرعون فهو وحده الذى كان يحمل هذه الصفات فيقول شتيندورف: " ولم يكتفوا بتصوير الفرعون وحده بهذه الطريقة غير المألوفة، إنما أصبح شكله هو الطراز المصرى المثالى. وهكذا صوروا بنفس الأسلوب – لا الملكة فقط التى كانت وثيقة صلة القرابة بإخناتون أو الأميرات اللاتى ربما ورثن بعض ملامح الشبه عن أبيهن. إنما أيضا كل المصريين الآخرين **[لانعلم لماذا وصفهم شتندورف وسيل جزفا بأنهم مصريون؟ / المؤلف]** وهكذا منحوا نفس الخصائص البدنية المشار إليها آنفا والتى اختصت بها الطبيعة الملك وحده، حتى أصبحوا أشبه بالصور الكاريكاتورية[1] ".



يؤكدون تأثر فن العمارنة بفنون شعوب البحر المتوسط، وخاصة فن جزيرة كريت وبعض ميسينا فى شبه

نقش عثر عليه فى ورشة فنان العمارنة لإخناتون ونفرتيتى، لاحظ رأس نفرتيتى تغطى رأسها بقماش ضيق لا يخفى تفاصيل رأسها

شكل رقم (٨٥)

جزيرة البلقان، ويعتمدون فى ذلك على أن الفن المصرى لم يعرف الحركة كما لم يحاول الفنان أن يكسب أجسام البشر والحيوان فى تحركهم تلك الالتواءات فى الأعضاء التى تتناسب مع الحركة التى يقوم بها الجسم .. لقد أبدع فنان العمارنة فى صياغة هذا الموضوع فى رسومه بحيث جعله ينبض بالحياة المملوءة بالحركة. ويقول أصحاب نظرية تأثر فن العمارنة بفنون أجنبية أن هذا الأسلوب الفنى .. قد أخذه الفنان فى عصر إخناتون عن الفن الكريتى " [2] .



بنت من بنات إخناتون

شكل رقم (٨٦)

---

(١) شتيندورف وسيل: عندما حكمت .. سبق ذكره، ص ٢١٥ .

(٢) أبو بكر: إخناتون .. سبق ذكره، ص ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١١ .

والذى لم يلتفت إليه هؤلاء المفسرون رغم أهميتهم أو أهملوه عمداً لعدم وجود تفسير واضح، **أن المومياوات نفسها كانت تفصح بهذا الشذوذ فى طول الجماجم**، حتى من لم يرسم برأس طويل منهم بسبب اختفاء الرأس تحت التاج، كما فى حالة سمنخ كا رع وتوت عنخ آمون الذين تليا إخناتون على حكم مصر وهما صبيين صغيرين وماتا فى ريعان الصبى، حيث يقول (سيرل الدريد): " أصبح من المسلم به أن سمنخ كارع وتوت عنخ آمون كانا أخوين، والواقع أن رفاتهما المتبقية تظهر تشابها غير عادى وخصوصا بين **قياسات جمجميتهما المفرطحتين الشاذتين** .. وقد ثبت فى دراسة حديثة اعتمدت على تحليل فصيلة دمائهما كانت واحدة مما يعزز اعتبارهما أخوين .. وتطابق شكل الملكين الصغيرين يدل على أنهما شقيقان لأب وأم .. فإن كان إخناتون هو الأب فلابد أن تكون نفرتيتى هى الأم " [١] .

ولهذه الأسباب تحديداً سيق تفسير آخر لرؤوس العمارنة الطويلة، فقيل إن إخناتون حسبما تشير نقوشه ورسومه كان مصابا بأعراض اضطراب الغدة النخامية " ويوجد بمتحف اللوفر بباريس نقش يبدو من أسلوبه أنه ينتمى إلى فترة مبكرة .. يبدو فيها إخناتون ذا فك متضخم وبطن بارز وردفين ثقيلين .. وهذه صورة معتدلة لأعراض التشوه الجسمانى التى سوف يتجسم بعد ذلك بشكل صارخ عندما يبدأ الأخذ بالأسلوب الفنى الجديد" [٢] .

ومع اضطرابات الغدة النخامية قيل إن إخناتون كان مصابا بمرض نادر يدعى " متزامنة فروهليش "، وقد اعترض آلدريد على ذلك بقوله " فكيف يتمشى ذلك مع رجل كثير الإنجاب متوافق مع زوجته جنسيا فى الوقت الذى نعلم فيه أن حالة متزامنة فروهليش من شأنها أن تسبب للمريض العقم والعجز الجنسى ..ويترتب على ذلك أن نقول إن إخناتون قد عانى من المرض إلا أنه لم يصل إلى المرحلة الخطيرة التى تؤثر على خصوبته " [٣] .

وهكذا تعود فنون العمارنة إلى مرض أصاب إخناتون باستسقاء البطن والدماغ فظهر بهذا الشكل، وسعى فنانو العمارنة إلى جعل كل الأسرة وبعض الحاشية يتشابهون مع الفرعون فقط فى النقوش، إما لجعل عيبه الجسدى ميزة يتوق إليها شعبه، أو لمجاملته ليس إلا، لكن المومياوات نفسها تشير إلى أن العيب كان أصيلا فى أجساد أصحابها، وهو إن تم تفسيره بالوراثة فى بناته فهو مالا يفسر لنا **وجود أعضاء فى الحاشية ليسوا من أفراد الأسرة ويحملون ذات الرؤوس الطويلة.**

أما الباحث الزنجى إنتاديوب الذى يريد أن يعيد كل مأثور فى المنطقة لما اسماه بالحضارة الزنجية كرد فعل على سيادة حضارة الرجل الأبيض الآنية، فقد أخذ ينقب ليعثر على الزنوج كيفما اتفق له فى

(١) آلدريد: إخناتون .. سبق ذكره، ص ٩٣ .
(٢) نفسه: ص ١٢٠ ، ١٢١ .
(٣) نفسه: ص ١٢١ .

الحضارات القديمة، فهو يقول مثلا أن اليهود من أصل زنجى .. لماذا؟ لأنه تم العثور على جماجم فينيقية فى غرب ميناء سرقوصه بجزيرة صقلية **وكانت مستطيلة بارزة** الفكين تدل على أن أصحابها زنوج الأصل (١). لكنه هو نفسه ينقل عن كونتينيو قوله إن بعض تلك الجماجم **بها تشويه متعمد يبدو أنه تم بطريقة اصطناعية بربط الجمجمة مما أدى إلى استطالتها من الأمام إلى الخلف على شكل بيضه.** إنه ذات التشويه الذى ظهر فى عصر العمارنة وبالأخص فى شخصيات الأسرة المالكة.

وليس لدينا شعب عمد إلى ربط رؤوس الأطفال بقصد صنع هذه الاستطالة المميزة فى الرؤوس، ويرى ذلك علامة مميزة على شعب متميز على العالمين، سوى قبائل سكيث / ساجاز / قاطعوا الرقاب الأرامية التى هبطت من قزوين إلى شرقى المتوسط لتتمركز فى بلاد مديان آدوم، التى يكتبها المؤرخون ميتانى ويضعونها فى أعالى الرافدين. ومعلوم أن ثلاثة أجيال متتالية من النساء الميتانيات أفضين إلى أسرة العمارنة، بدأن بالملكة **موت أم أويا** زوجة تحتمس الرابع ثم تبعتها الملكة **تى** زوجة آمنحتب الثالث، ثم **نفرتيتى زوجة** آمنحتب الرابع اخناتون والتى ربما كانت - فى رأينا - شقيقة أمه تى بنت يويا وتويا . تلك الأسماء المنتسبة إلى ذات التنغيم اليهوى السيناوى المديانى.

ومن بين الفراعين تميز الفرعون إخناتون بأنه كان يضع رباط عريض حول رسغى يديه (٢)، وهى عادات اسكيثية واضحة، وتظهر أيضا فى لوحة يلبسها الإله تيشوب الحيثى، كما أنها عادات مديانية كانت معلومة لدى المحرر التوراتى الذى سجل لنا أغطية الرأس التاجية المديانية أيضا فى قوله عن المديانيين التجار الأثرياء:

وصوت جمهور مترفهين معها مع إناس من رعاع الخلق أُتى
بسكارى من البرية الذين جعلوا **أسورة على أيديهما وتاج**
جمال على رؤوسهما

حزقيال ٢٣/٤٣

أما نفرتيتى فهى الزوجة الملكية الوحيدة فى مصر التى صورت فى وضع محارب يضرب أعدائه مما يذكرنا بنساء الاسكيث الأمازونيات.

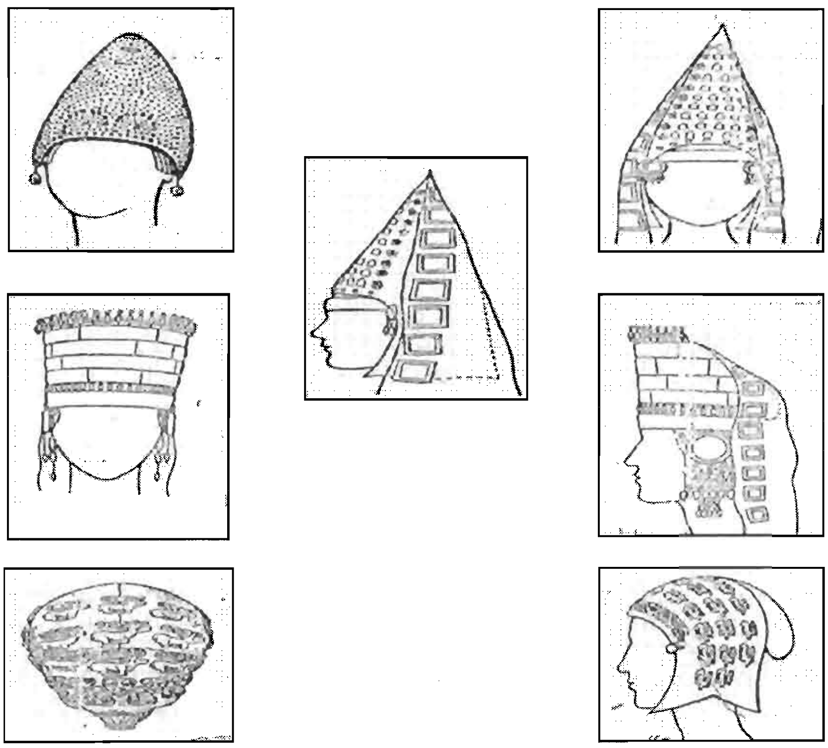
(١) أنتاديوب: الأصول الزنجية .. سبق ذكره، ص ١٤٦، ١٤٧ .

(٢) جوليا سامسون: نفرتيتى .. سبق ذكره، ص ٣٤ .

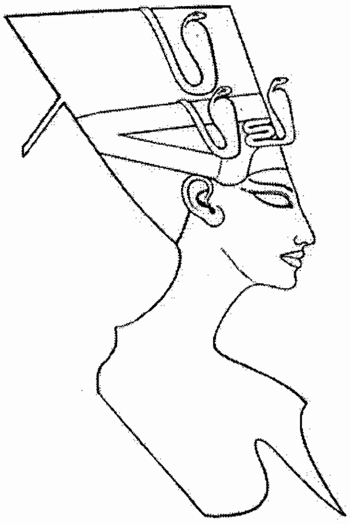


إخناتون، عيون أسيوية وفم إفريقى، لاحظ الأساور فى معصم تذكرنا بأولئك الذين حدثنا عنهم الكتاب المقدس فى بلاد آدوم، الذين يلبسون أساور فى أياديهم

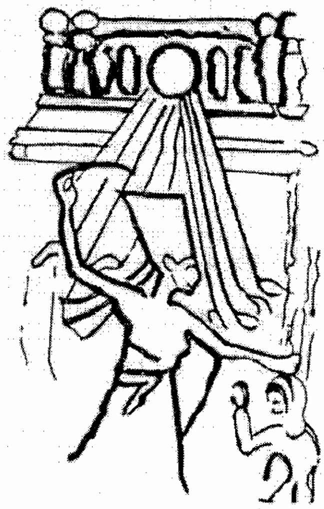
شكل رقم (٨٧)



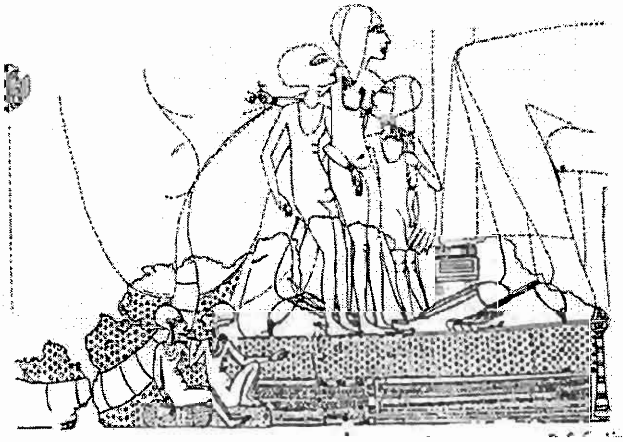
شكل رقم (٨٨)
البسة الرأس عند الإسكيث



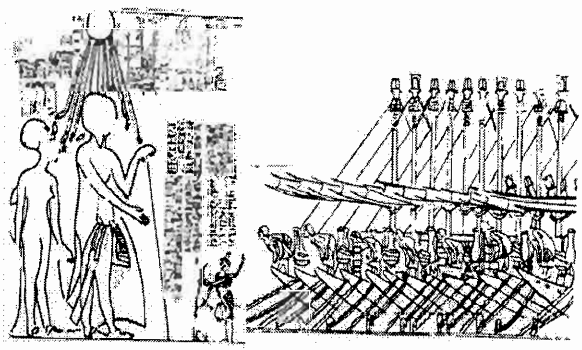
رسم لنفرتيتى من العمارنة (من لبسيوس)
شكل رقم (٨٩)



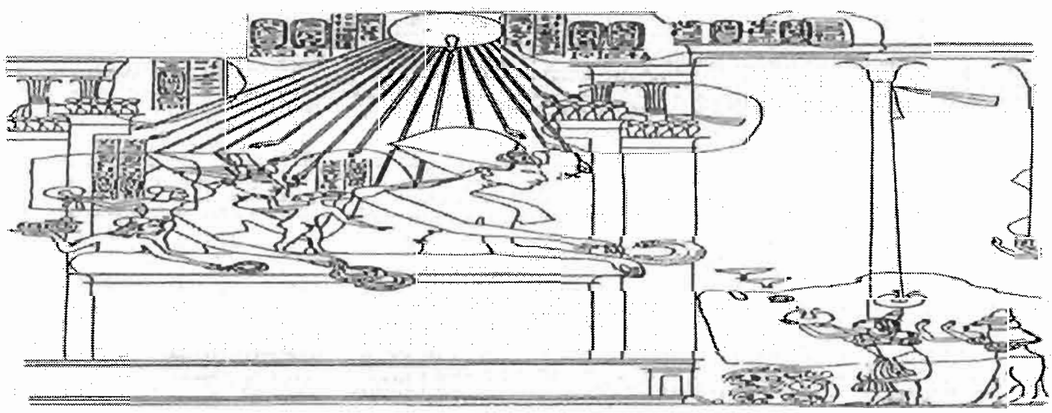
نفرتيتى كفرعون محارب لاحظ التاج العالى
الذى يغطى الرأس المستطيل
شكل رقم (٩٠)



نقش جدارى للأميرات الصغيرات فى منظر عائلى
(من جمعية الاستكشافات المصرية)
شكل رقم (٩١)



الملك إخناتون والملكة نفرتيتى فى مناسبة منح الأوسمة للنبيل مرى رع والتفيش على سفن الأسطول (من جمعية الاستكشافات الأثرية المصرية) (لاحظ نفرتيتى العارية تماماً)
شكل رقم (٩٢)



إخناتون ونفرتيتى وهما يمنحان القلادات الذهبية للنبيل آى وزوجته تى ونرى الأميرات الصغيرات وهن يحاولن مساعدة أمهن (من جمعية الاستكشافات الأثرية لمصرية) ـــ شكل رقم (٩٣)

نهاية إخناتون الغامضة

كانت أياما عصيبة على كهنة آمون والمتدينين عموما وهم عموم الشعب المصرى، فعلامات الساعة تقترب، ويعلو عرش مصر آمنحتب الثالث كاسراً كل القواعد فهو من أم ميتانية هى (موت أم ويا)، ثم يزيد الأمر سوءاً فيتزوج بدوره من ميتانية، بل ويجعل من زوجته الميتانية تى الملكة العظمى ويسدل ستاراً كثيفاً من النسيان على الأميرة الطفلة سيت آمون الصاحبة الحقيقية للعرش حسب القوانين الإلهية المقدسة السرمدية.

ثم يأتى ولده إخناتون بدوره من أم ميتانية هى الملكة (تى)، ثم يسير سيرة أبيه فيتزوج نفرتيتى، ليسميها اسما على مسمى، لأن نفرتيتى الاسم المصرى الذى أطلقه عليها الفرعون، ويعنى الجميلة آتية، والتى تشير إلى مجيئها من بلاد أخرى. وإذا كان آمنحتب الثالث قد استنجد بكهنة مرتشين بنى لهم معبد آمون بالكرنك لينقش له رجاله المخلصون على واجهته قصته المصورة عندما أنجبته أمه (موت أم ويا) من الإله آمون مباشرة، فإن ولده إخناتون جاء بقصة أخرى تماما، واتخذ أسلوبا مخالفا تماما، فقد قام بنفى آمون نفسه وبطانته وقوانينه المقدسة ثم كل الآلهة دفعة واحدة لينصب ربه آتون وحده ربا للجميع طوعا أو كرها. ولكنه كان قد حاز مبكراً الرفض من قبل كهنة آمون لأنه بميلاده ذاته كان يشخص قمة مخالفة القوانين الإلهية بل وتسنم العرش وبه تلك المعايب الأصيلة فى بذرته.

وحول الشك فى شرعية حكم إخناتون يقول أحمد عثمان: «أحب آمنحتب الثالث تى ابنة وزيره يويا وتزوجها فى السنة الثانية لحكمه وجعلها ملكة على مصر، خروجا على التقاليد المصرية التى كانت لا تمنع الملك من اتخاذ أى عدد من الزوجات. لكن **الملكة التى تلد ولى العهد يجب أن تكون هى الوريثة الشرعية أى الابنة البكر للملك السابق** .. ولأن آمنحتب الثالث لم يلتزم بهذه التقاليد، عندما أصر على اعتبار تى وليست أخته سيت آمون هى الملكة، رفض الكهان اعتبار الولد الذى تلده تى ابنا شرعيا لآمون. وكان أن اختفى ابنها الأول تحتمس فى ظروف غامضة، بعد أن عينه أبوه وليا للعهد بمدة قصيرة، ولذلك عندما حل موعد ولادتها الثانية فى العام الثانى عشر لآمنحتب تركت القصر الملكى .. وذهبت لتعيش فى القصر الصيفى فى زارو [أو ثارو أو شارو أوسيله / المؤلف] . وكان أول ما نسمع عن ابن تى أنه وصل إلى العاصمة طيبة عندما كان قد بلغ ١٦ عاما. وبحسب الاعتقادات المصرية فإن آمون يرفض الحلول فى جسد الملك إذا لم تكن زوجته هى الوريثة الإبنة البكر للملك السابق. وعلى ذلك فإن ابن تى لا يعتبر ابنا لآمون **ولايحق له الجلوس على العرش** .. لكن آمنحتب الثالث تجاهل كل هذه التحذيرات وأشرك معه ابن تى فى الحكم بعد أن زوجه نفرتيتى » (١) .

---

(١) أحمد عثمان: تاريخ اليهود .. سبق ذكره، ج١، ص ٥٥ : ٥٧ .

وهكذا يذهب أحمد عثمان إلى مذهب المدرسة التى ترى إخناتون قد ظهر فجأة وعمره ستة عشر عاما فى طيبة ليشارك أباه الحكم فترة تصل إلى ست سنوات ليموت بعدها آمنحتب الثالث وينفرد إخناتون بالعرش. رغم أن هناك مدرسة نميل نحن إلى الأخذ برأيها تقول **إن إخناتون ظهر فجأة ليحكم فى طيبة، ولكن بعد موت أبيه آمنحتب الثالث ليحكم بمفرده سبعة عشر عاما** وتقدم تلك المدرسة على ذلك أدلة قوية إلى حد بعيد، وأهمها خطابات الملك الميتانى (دوشراتا) أو كما قرأناه نحن (ذو الشرى) التى أرسلها إلى إخناتون تسديه النصيحة بالرجوع إلى أمه الملكة تى لاستشارتها فى أمور الدولة وعلاقتها بالدول الخارجية. وهو ما يعنى أن الملك لم يكن قد اكتسب خبرة كافية عند انفراده بالحكم لا حتياجه إلى رأى أمه. ويعززون رأيهم بما جاء فى إحدى رسائل ذى الشرى وكانت أولى رسائله لإخناتون بعد وفاة آمنحتب الثالث مباشرة. وكانت تتعلق باحتفالات تأبين الملك الراحل. وكان على الرسالة **بطاقة تاريخها هو السنة الملكية الثانية،** ويذكر فيها أن الملك إخناتون كان فى مقر إقامته بطيبة وهذا يدل على أن إخناتون أقام أثناء سنوات حكمه المبكرة بطيبة، ولم ينتقل إلى العمارنة إلا فى السنة الخامسة من سنوات حكمه. (٢) لكن الدليل الدامغ فى رأينا فهو رسالة الملك الميتانى إلى إخناتون يهنئه بارتقاء سنام العرش المصرى ويعزيه فى الوقت ذاته فى وفاة والده، مما يشير إلى التعاقب المباشر للحدثين [مات الملك عاش الملك]، وهو ما يعنى أن اخناتون لم يحكم مشاركا لأبيه قبل وفاة والده، يقول الملك الميتانى فى رسالته :

> **عندما أُبلغت بأن أخى نيموريا** [كما كان آمنحتب الثالث يعرف فى الألواح المسمارية / المؤلف] **قد ذهب إلى مصيره،** بكيت فى ذلك اليوم، لقد جلست هناك نهاراً وليلاً. فى ذلك اليوم لم أتناول طعاما ولا شرابا لأنى كنت حزينا وقلت: ليت الذى مات كان شخصا آخر فى أرضى أو أرض أخى، وأخى الذى أحببته وأحبنى كان لايزال حيا لأن حبنا باق كبقاء السماء والأرض. لكن عندما تولى الحكم نابخوريا [الاسم المسمارى لإخناتون ويكتب أيضا نفوريا من اسم العرش نفر خبروا رع / المؤلف] **الإبن الأكبر** لنيموريا من الزوجة العظمى تى قلت: **لم يمت نيموريا إذا كان ابنه الأكبر نابخوريا يحكم مكانه،** إنه لن يغير كلمة واحدة من مكانها السابق. والآن يا أخى سوف نحتفظ بصداقة أقوى عشر مرات مما كانت فى عهد أبيك (٣) .

(٢) آلدريد: إخناتون .. سبق ذكره، ص ١٠٣ .

(٣) شتيندورف وسيل: عندما حكمت .. سبق ذكره، ص ١٢٩، ١٣٠ .

فيما عدا ذلك فإن أحمد عثمان أفادنا بخبر نافع يبدو أنه استنتاج ناجح من جانبه، مع تـرك مسـاحة للقارئ لمزيد من الاستنتاج ليصل إلى أن إخناتون قد استبعد صغيراً من مصر، حيث وضـعته أمـه علـى المدينة الحدودية مع سيناء (شارو)، ولم يظهر له ذكر بعد ذلك إلا عندما تربع على العرش. وإذا تصورنا أنه لحماية الطفل من الدسائس والمؤامرات تم استبعاده وهو على حدود سيناء وإلى الجوار من أخوله الميـدانيين فإن هذا الاستبعاد لابد أن يكون إلى هؤلاء المديانيين تحديداً ليقضى هناك طفولته حتى يفوعـه صـبيا فـى السادسة عشرة من عمره.

ونستعيد هنا رواية يوسفيوس اليهودى نقلا عن مانيتون المصرى وهو يحدثنا عن فتنـة أوزرسـيف الكاهن المصرى الذى هرب من عين شمس إلى الأسرى المضطهديـن من بقايا الهكسـوس علـى الحـدود المصرية فى مدينة حواريس الهكسوسية، وكيف قام أوزرسيف وأتباعه بفتنة عظيمة زمـن فرعـون باسـم آمنحتب، وأن أوزرسيف استدعى هكسوس فلسطين وعاونهم لدخول مصر فى غزوة هكسوسية ثانية.

ويقول لنا يوسفيوس أن بقايا هؤلاء الهكسوس أصحاب الفتنة هم الذين أصبحوا بنى إسرائيل بعد ذلك، وأن الملك آمنحتب كان لا يحب الحروب لذلك أرسل ابنه رها مبيس وكان فى الخامسة من عمره إلى ملـك صديق، وانسحب جنوبا بجنده تحاشيـا للحرب ليحلوا ضيوفا على ملك أثيوبيا. وقضـى القـدر أن يعـيش آمنحتب ومعه ثلاثمائه ألف جندى فى هذا المنفى الأثيوبى ثلاثة عشر سنة، عادوا بعدها للقتال وجـاء ابنـه رهامبيس بجيش آخر من البلاد التى تربى فيها بعد أن بلغ من العمر ثمانية عشر عاما واشتركا معا فى قتال الهكسوس والناس الفاسدين: أوزرسيف ورجاله، وهزموهم وطاردوهم حتى سوريا. وهنا نقـف مـع اسـم آمنحتب كملك يعتبره مانيتون ومن بعده يوسفيوس ويوليوس الإفريقى وغيرهم هو فرعـون خـروج بنـى إسرائيل، لنجد أحداث ذلك القص يتوافق مع أحداث تاريخية بين أيدينا فإخناتون يغادر البلاد طفلا ليعود ملكا على عرشها، وهو ابن آمنحتب الثالث الاسم الذى يلتقى مع آمنحتب فى رواية مانيتو، كذلك رهـامبيس تـم إرساله إلى بلاد صديقه ثم عاد إلى بلاده بجيش ليصبح بعد ذلك ملكا، وكليهما حكم صبيا فى السادسة عشرة أو السابعة عشرة من عمره. ونتذكر الآن اللوحة الوحيدة اليتيمة التى صور فيها ذكـر لآمنحتـب الثالـث، وتصوره راكبا سفينة مما يشير إلى أهمية الحدث وضرورة تسجيل لحظه وداع الأب لابنه المغـادر. لكنـا نتذكر أيضا أنه تم محو اسم الابن وكتب محله اسم حور محب / رهامبيس، بعد انقضاء زمن العمارنة ومجئ الثورة الآمونية بقيادة قائد الجيوش حور محب الذى أنهى عهد العمارنة تماما، ومحى اسم آتون وإخناتون من كل أثر. وضمن ذلك تم محو اسم ابن آمنحتب الثالث وهو آمنحتب الرابع ودون بدلا عنه اسم حور محـب. فظهر حور محب بذلك كما لو كان هو الابن المباشر لآمنحتب الثالث، وهو الخطأ الذى وقـع فيـه جميـع المؤرخين القدامى. فبسقوط أسرة العمارنة كاملة (إخناتون، سمنخ كارع، توت عنخ آمون، آى) من التاريخ، أصبح الانتقال يتم من آمنحتب الثالث إلى حور محب مباشرة، وهو الذى ينطق يونانيا رهامبيس، ذلك الـذى استبعده آمنحتب غير المحدد؛ أبوه المذكور باسم آمنحتب دون تحديد، وهو طفل صغير، أيام فتنة أوزرسيف فى رواية ما نيتون الرائع.

ويعود الطفل صبيا ملكيا يافعا يضرب بيد من حديد ليدفع بالخلاف مع الكهنة وقوانينهم إلى أقصى مدى، ويسدد ضرباته لآمون ومعابده ويغلقها ويصادر أموالها، ويهاجم معه كل الآلهة الأخرى، ويعلن أنه الوحيد الذى يعرف الإله الوحيد، وأنه نبى ورسول هذا الإله الذى يلقى إليه بالوحى، وأنه مرسل إلى كل البشر بل وكل الكائنات حتى الجبال. وهو ما يفهم من الحوار المدون فى مقبرة وزيره رعمسيس، حيث يقول إخناتون لوزيره: " كلمات رع ألقيتها إليك، إن الإله علمنى إياها وكشف لى عن خباياها، وهذه الكلمات عرفها قلبى وانشرح لها صدرى "، فيرد عليه وزيره رعمسيس قائلا: إنك الوحيد الذى اختاره آتون لكى يلقى إليه بتعاليمه. والخوف منك يملأ قلوب الناس، **والجبال تستمع إليك** كما يستمع الناس " (٤) .

ثم إن اخناتون اعتبر نفسه ابنا مباشراً للإله آتون حتى أنكر بنوته لأبيه آمنحتب الثالث. وضمن تراتيل إخناتون نستمع إلى هذا الشعور القوى بالنبوة وبالبنوة، حيث كان معنى النبوة هو معنى البنوة المباشرة للإله، إذ يخاطب ربه آتون قائلا:

إنك فى قلبى

وليس هناك من يعرفك سوى **ابنك** نفر خبرو رع وع إن رع الذى أطلعته على أسرارك وقوتك .. إنك **أنجبت جلالته** كما تنجب نفسك كل يوم دون توقف. لقد خلقته مثل أشعتك لتجعل حياته مثل آتون .. يا آتون الحى الوحيد إنك أنت الأبدية والسماء هى معبدك الذى تشرق فيه كل يوم **لتلد ابنك** الذى خرج من جسدك ملك الجنوب والشمال نفر خبرو رع وع أن رع .. إنك أنت الأبدية **وابنك** مثلك .. إنك تعمل طبقا لما يخرج من فمك، إنك تلبى طلباته، إنك تحبه وقد صنعته مثل آتون .. **إبنك** الذى خرج من أعضائك. إنك تسمع له وتسمع لما فى قلبه .. يا آتون الحى الذى يشرق كل يوم لتلد **ابنك** الذى خرج من جسدك ملك الجنوب والشمال نفر خبرو رع وع أن رع . (٥)

القصيدة فيها تمجيد واضح للذات، ولم يجد إخناتون حرجا فى أن ينال صفات آتون الإلهية، وهو ما آمن به وأعلنه للناس، بل يقول لنا المصرولوجست (سيد توفيق): " **كان الشعب يخاطب إخناتون بصفته إلها** أو على الأقل فى مصاف الآلهة، فقد أشارت إليه النصوص على أنه **الإله الذى خلق نفسه بنفسه**، الذى خلق

(٤) أبو بكر إخناتون .. سبق ذكره، ص ١٠٣ .

(٥) سيد توفيق: إخناتون .. سبق ذكره، ص ٧٣ .

الأرض كلها .. وهو الذى خلق الإنسان وخلق معه الزمان وحدد عمره .. وهو الأم الذى انجبت كل البشر .. إن إخناتون لم يكن ملكا فحسب بل **ارتفع إلى مصاف الآلهة، فكان له كهنته الذين يقومون على خدمته مثل باقى الآلهة المصرية** ". [٦]

نعم كان المصرى القديم يؤمن بقدسية الملك لأنه يحمل فى تكوينه شقا إلهيا فهو لاهوت قبل أن يكون ناسوت، لكن لم يحدث أن أعلن ملك عن ألوهيته وطلب عبادته إلا فى حالات نادرة منها حالة آمنحتب الثالث ثم ولده إخناتون وبعد ذلك لا نجدها إلا عند رمسيس الثانى. وهكذا أعلن إخناتون ألوهيته فى حديث (سيد توفيق) حيث يقول: " وقد أشارجون ويلسون إلى أن ديانة العمارنة كان فيها إلهان رئيسيان: **الملك الذى قال هو عن نفسه الابن الجسدى لآتون**، وبدليل المناظر العديدة التى تمثله على جدران مقابر تل العمارنة يتعبد إلى قرص الشمس الخالد، بينما ينحنى جميع رجال بلاطه وهم يعبدونه. ويعتقد جون ويلسون أن صلواتهم لم تكن موجهة إلى آتون بل كانوا يتوجهون بها رأسا إلى إخناتون. **وقد وجه آى الذى أصبح ملكا فيما بعد حديثه إلى إخناتون قائلا: ليتك تهبنى عمراً طويلا سعيداً كأحد المحبوبين منك** .. ليتنى أسمع صوتك الجميل المقدس عندما تؤدى ما يسر له **أبوك** آتون الحى " [٧] . ثم يورد لنا توفيق ترنيمة صلاة أخرى يؤديها أحد نبلاء العمارنة لإخناتون مباشرة فيرفع إليه الدعوات قائلاً: " ليتك تجعل **ابنك** المحبوب إخناتون يعيش معك إلى الأبد، ليفعل ما يحبه قلبك وليرى ما تفعله كل يوم. لانه ينشرح صدره برؤية جمالك، دعه يبقى هنا فى تل العمارنة حتى يتحول لون الأوز العراقى إلى السواد وحتى يبيض الغراب الأسود وحتى تتحرك الجبال وتسير وحتى يجرى البحر إلى النهر، وليتنى أظل **أخدم الإله الطيب إخناتون**، حتى يمنحنى القبر الذى يعطيه " [٨] .

هذا بينما تم تنزيه وتجريد الإله إلى مستوى لم تعرفه العقائد المصرية من قبل، فيقول (شتيندروف): " فى سنوات إخناتون المبكرة كان الإله يصور على الآثار فى شكل آدمى له رأس الصقر مثل رع حور آختى القديم. ثم لم تلبث أن **حرمت الديانة الجديدة تصوير الإله** على أن توجه العبادة نحو الأشعة المرئية المنطلقة من قرص الشمس .. ومن المؤكد على أية حال أن إله الموتى القديم أوزيريس الأول بين الغربيين [أى حاكم مملكة الموتى فى الغرب / المؤلف] فقد مكانته وحل محله فيها آتون الحى الذى ينثر أشعته على الموتى المباركين فى ساعات الليل. ولكن العادات الجنازية عموما ظلت فيما يبدو كما هى بدون تغيير " [٩] .

نعم كان الإله آمون قد بلغ رتبة عالية من التجريد، فيصفه دوماس على ما بيديه من وثائق مصرية تتحدث عن آمون بأنه " الإله الذى لا يمكن معرفته، إنه ليس خفيا وحسب [كلمة آمون تعنى الواحد الخفى /

(٦) نفسه: ص ٧٤ .

(٧) الموضع: نفسه .

(٨) الموضع نفسه

(٩) شتيندورف: وسيل عندما حكمت. سبق ذكره، ص ٢١٢ ، ٢١٣ .

المؤلف] ولكنه يقع بعيداً عن وسائل البحث البشرى. لقد استخفى عن ذاك الذى خرج منه وهو المصباح الساطع ذو الأشعة العظيمة، **إذ لا يُرى إلا من خلال شعيرته المحجوبة**. وّبين نشيد ليدن عمقا روحيا يدعو للإعجاب: إنه خفى بين الآلهة لا يعرف المرء مظهره إنه أبعد من السماء، إنه أعمق من الجحيم، إن أى إله لا يعرف شكله الحقيقى .. إنه بالغ الخفاء حتى أن مجده لا ينكشف. إنه أكبر من أن يفحص وأعظم من أن يعرف. **إن المرء ليسقط فى الحال من الرعب إذا تلفظ باسمه الخفى** الذى لايستطيع أحد معرفته ". ويعقب دوماس بالقول: " لايستطيع المرء أن يمنع نفسه تجاه هذه القصيدة المعاصرة على وجه التقريب لموسى النبى، من استثارة ذكرى الكلمة التى قالها يهوه: **لا يمكن أن يرانى إنسان ويعيش** " (١٠) .

وهكذا جاء آتون باسم مجرد يدل على قرص الفرن الشمسى، لكن يبدو أن الاسم (آتون) كان هو الاسم الخفى الذى عثر عليه إخناتون للإله. حيث كان معتقداً أن لله اسما يجب عدم النطق به، وكان ذلك واحدة من العقائد المنتشرة فى مصر حول الإله آمون والإله أوزيريس وفي حالات أخرى وهي الأكثر انتشاراً كانت مع أرباب الشر التي كان يكنى عنها أو يشار إليها باسم إشارة منعاً لحضورها وهو ذات الاعتقاد أساسا فى عقيدة يهوه السيناوى المديانى، لأن يهوه ليست اسم الإله الحقيقى إنما هو إشارة إليه بفعل الكينونة V.TO.BE يكون فهو الكائن فقط.

ونقف هنا مع أحمد عثمان إذ يقول: " إن إخناتون سقط عن العرش بانقلاب تحالف فيه العسكر مع الكهنة، ومع سقوطه فقد ألقابه وأسماءه الملكية **فلا يستطيع أحد أن يشير إليه باسمه الذى كان يعرف به أثناء وجوده على العرش. أى أنه صار لا اسم له** " (١١).

ويعقب (سيد توفيق) قائلاً: " لاشك أن المركزية فى عقيدة إخناتون واقتصارها على شخص الملك كان سببا فى انهيار الديانة الجديدة بعد موت إخناتون عام ١٣٥٠ ق.م تقريبا. وهو لا يزال شاباً فى الثانية والثلاثين من عمره، إذ بموته فقدت الرعية الرمز الحى الذى يتعبدون إليه " (١٢) .

هذا ما كان من رأى سيد توفيق فى السر وراء انهيار ديانة آتون بغياب معبودها الحي، لكن هذا الغياب بسبب الموت كما يقول توفيق أمر فيه نظر ومشكلات عدة، وشكوك كثيرة واضحة. ويعبر شتيندروف عن هذه الشكوك الحادة فى قوله: " إن السنوات الختامية فى حياته كانت حزينة جداً ومريرة فى الواقع. **وليس فى مقدورنا أن نحدد طبيعة النهاية التى لقيها وهل مات ميتة طبيعية أم أقصى بالعنف؟** " (١٣) ويقول د. أبو بكر " مات إخناتون واختفى دون أن نعلم ما حدث له فى نهاية عمره. ولو أننا نرجح أن موته حدث نتيجة

---

(١٠) دوماس: آلهة .. سبق ذكره، ص ١٢٦ .

(١١) أحمد عثمان: تاريخ .. سبق ذكره، ج١، ص ٥٩ ، ٦٠ .

(١٢) سيد توفيق: إخناتون .. سبق ذكره، ص ٧٤ .

(١٣) شتيندورف وسيل: عندما حكمت .. سبق ذكره، ص ٢٢١ .

لمؤامرة دبرت لقتله. ومما يؤسف له أننا لم نعثر حتى الآن على مقبرته، ونذهب إلى حد **التوكيد أنه لم يدفن في المقبرة** التى نقرها لأفراد أسرته فى التلال الحجرية الواقعة إلى الشرق من مدينة تل العمارنة .. ولعل أهل طيبة .. تخلصوا من إخناتون .. عندما بدأت المؤمرات تحاك من أكثر من جانب، فهناك نفرتيتى الغاضبة الحانقة قد خلا لها الجو، وهناك الأم الملكية تى، وهناك أيضا كهان آمون المنتصرون .. وساد الفساد وانتشرت الفوضى وعم الفقر بعد أن ضاعت المستعمرات المصرية فى آسيا وانقطع ورود الجزية"[١٤]

ثم يقول " من المعروف أن مدة حكمه لا تزيد عن تسعة عشر عاما **ولم نعثر على جثته حتى الآن** .. ولا يمكن أن يكون قد عاش أكثر من ثلاثين عاما " [١٥] هذا بينما يضع (جاردنر) افتراضات أخرى وتخمينات فى شكل سيناريو مفترض يقول: " يمكن تقبل الرأى بأن جسد إخناتون قد مزق إلى أشلاء وألقى به إلى الكلاب. وأما عن اللعنة التى لاحقته بعد موته بقليل فليس من شك فيها، فقد ظل جيلان من بعده يشيران إليه باعتباره: العدو من أخت آتون، وقد هُجرت العمارنة عقب ذلك " [١٦] .

وعن زمن إخناتون جاءت إشارات بعد ذلك زمن خلفائه تشير إلى حجم الكراهية التى حملها المصريون لعاهلهم، وحجم الا نهيار الاقتصادى الكارثى الذى عاشته مصر فى زمنه. فيقرأ لنا عبد المنعم أبو بكر لوحة توت عنخ آمون زوج بنت إخناتون الذى عاد إلى طيبة وربها آمون، يقول أبو بكر " إن اللوحة التى أقامها فى الكرنك ونقش عليها نصا طويلا متحدثا فيه عن مشاعره نحو الماضى وطريقته التى اتبعها لمعالجة الموقف لخير ما يفسر لنا ما كانت عليه مصر فى هذه الفترة: لقد تهدمت معابد الآلهة والإلهات وأصبحت الأرض شذراً مدراً وأدارت الآلهة ظهرها للبلاد .. وإذا صلى إنسان لإله يسأله النصح لا يأتى إليه أبداً. وإذا دعا الإنسان إلهته أيضاً لا تأتى إليه أبداً. لقد أوذيت قلوبهم لأنهم حطموا ما سبق عمله " [١٧] .

وعاد البلاط مع اختفاء إخناتون إلى طيبة ليتولى سمنخ كارع العرش ليتلوه بعد أشهر لا تزيد عن عام أخوه توت ليموت كلاهما ويرتقى العرش (آى) آخر أسرة العمارنة، قبل انقلاب حور محب الشامل والعودة إلى الآمونية الكاملة. ويقول (شيتندورف) عما لحق إخناتون من غضب المصريين: " وتدل الحفائر الحديثة فى موقع تل العمارنة على أن خرابها اقترن باضطهاد كل شئ يمت بصلة إلى ديانة آتون. فقد بذلت جهود دؤوبة متعصبة لإزالة كل ما يذكر بالحركة الدينية والشخصية الملكية المسئولة عن هذه الحركة " [١٨] .

---

(١٤) أبو بكر: إخناتون .. سبق ذكره، ص ١١٧ .

(١٥) نفسه: ص ٧٠ .

(١٦) جاردنر: مصر الفراعنة .. سبق ذكره، ص ٢٦٢ .

(١٧) أبو بكر: إخناتون ص ١٢١ .

(١٨) شتيندورف وسيل: عندما حكمت .. سبق ذكره، ص ٢٢٣ .

والنص الذى يشير إليه أبو بكر يذكره شتيندورف وسيل ويقولان عن الملك توت عنخ آتون الذى عاد إلى دين آمون وعاصمة المملكة طيبة مغيراً اسمه إلى توت عنخ آمون :

> والآن حين ظهر جلالته كملك كانت معابد الأرباب والربات من ألفنتين إلى مستنقعات الدلتا قد سقطت فريسة الإهمال. تهدمت مقاصيرها ونمت فوقها الأشواك وأضحت هياكلها كما لم تكن من قبل. وتحولت المعابد إلى أرض مستباحة فإذا أرسلت القوات إلى زاهى [بلاد الشام / المؤلف] لتوسيع حدود مصر فإن جهودها تفشل، وإذا تقدم أحد طالبا أى شيء من إحدى الإلهات فإنها لا تستجيب له، لأن قلوب الآلهة كانت غاضبة فى أجسادها لأنهم [أى هراطقة تل العمارنة / المؤلف] دمروا ما سبق أن كان .. والآن أدار جلالته شئون بلاده ومصالح الأرضين .. ويطلب كل ما هو مفيد لأبيه آمون .. وأقام جلالته الآثار لكل الآلهة وصنع لهم التماثيل من ذهب جام الخالص وأعاد أضرحتهم إلى ما كانت عليه لتدوم إلى الأبد (١٩).

وهكذا أمكن لياروسلاف تشيرنى أن يقول: " وبدأ اضطهاد ذكرى إخناتون منذ العهد الملكى لحور محب .. فدمرت أسماؤه الملكية وصوره كما أزيل اسم إلهه آتون التى كانت مدونة داخل خراطيشه الملكية من كل مكان وجدت به .. أما إخناتون فقد احتل مكانه فى التاريخ المصرى بالصورة التى رأته بها أعين كهنة آمون باعتباره عدو أخيتاتون الخسئ. أما عهده الملكى فقد أشير إليه بسنوات الخارج أو المهرطق " (٢٠) .

ومع عدم العثور على مومياء الملك فى أماكنها المتوقعة، فى مدفنه بتل العمارنة أوبوادى الملوك بطيبة أوبأى مكان آخر. ومع الشكوك التى لحقت مصيره، نجد رأيا آخر أقرب إلى منطق الأحداث، وهو التصور الذى وضعه أحمد عثمان فى سيناريو يقول: " بدأت المؤامرات تحاك داخل الجيش بتشجيع من الكهنة للإطاحة بإخناتون ونظامه. وعندما ازدادت المؤمرات ضده نصحه آى بالتنازل عن العرش لتوت عنخ آمون. وخرج هو من مدينة العمارنة ليعيش فى المنفى. فليس هناك دليل واحد يشير إلى موت إخناتون عند نهاية حكمه، **فهو لم يدفن فى المقبرة التى أعدها لنفسه وسط الصخور المحيطة بمدينة العمارنة. بل إن**

---

(١٩) نفسه: ص ٢٢٤ ، ٢٢٥ .

(٢٠) ياروسلاف تشيرنى: الديانة .. سبق ذكره، ٨٩ .

بعضا من أتباعه ظلوا يذكرون تاريخ كتاباتهم وينسبونها إلى عصره كأنه لايزال على العرش. إلا أن اسمه منع تماما من المصادر الرسمية وكان عند الضرورة يشار إليه بتعبير: باخرو با أخيتاتون ومعناهــا ســاقط أخت آتون / العمارنة » [٢١] .

ويتابع عثمان القول: « وتوجد دلالات على أن مكان المنفى الذى عاش فيه إخناتون كان عنــد معبــد سرابيط الخادم فى سيناء. وهى تقع على بعد بضعة كيلو مترات إلى الشمال الغربى من دير سانت كــاترين وجبل موسى. وعثر الأثرى فلندرز بترى هناك على تمثال للملكة تى والدة إخناتون. **كما وجدت دلالات على استمرار عبادة آتون فى هذه المنطقة بعد أن أصبحت ممنوعة فى وادى النيل** » [٢٢] . ويشرح عثمان بقيــة السيناريــو فى قوله: « وبموت آى انتهى حكم العمارنة وجاء قائد من الجيش اسمه حور محب ليصبح آخــر ملوك الأسرة الثامنة عشر. وكان حور محب أول من قضى على بقايا الثــورة الدينية فــى مصــر، وألقــى القبض على جميع أتباع إخناتون ووضعهم فى منطقة زارو [أوثارو أوسيله أوشور أو شارو / المؤلف] فــى شمال سيناء، بعد أن حولها إلى سجن حربى ومنع أسماء كل ملوك العمارنة مــن دخــول قائمــة الملــوك. فصارت المصادر الرسمية تضع اسمه هو مباشرة بعد آمنحتب الثالث .. وكان حور محب هو الذى اختــار رمسيس ليكون وزيراً له وقائداً للجيش ومسئولاً عن سجن زارو .. وكان رمسيس هذا هــو الــذى اســتخدم المساجين من أتباع إخناتون، وكذلك الذين كانوا يسكنون مدينة زارو للقيام بأعمال البناء الشاقة على الحــدود المصرية » [٢٣] .

لكن أمر إخناتون وفلسفته ورجاله المثقفين كان أمراً، بينما كان للناس العاديين شأن آخــر. فــيلاحظ الباحثون فى أركيولوجيا العمارنة أن الناس كانوا يتعاملون مــع التعاويذ الخزفية القديمة ويتزينون بهــا [٢٤]، وهو مايؤكده ياروسلاف فى تقريره: « بالنسبة لعامة الشعب والطبقات الدنيا فــإن الســمو الفكــرى لمبــادئ إخناتون عزلتهم عنه وزادتهم التصاقا بمعتقداتهم القديمة، ففى حى العمال فى العاصمة الجديدة اخــت آتــون وجدت أدلة .. أثرية على عدم تركهم لأى من آلهتهم القديمة الرئيسية منها أو الصــغرى، مثــل المعبــودة توريس Toeris التى كانت تصور فى هيئة **فرس البحر (يعني فرس النهر/ المؤلف)**، والإلهين بس Bes **وشد Shed** وكذلك الإلهتين حتحور **وإيزيس** » [٢٥]. لهذا عقب جاردنر على استبعاد عالم الحساب الأخــروى فــى عقيدة أوزير بقوله عن مذهب إخناتون « كان هناك عيب فى المذهب هو حاجته الكاملة للتعــاليم الأخلاقيــة، ويرجع سبب ذلك إلى حد كبير من غير شك إلى إقصاء أوزيريس .. وإنه ليبدو كذلك أن عقيدة إخناتون لــم

---

(٢١) أحمد عثمان: تاريخ .. سبق ذكره، ج١، ص ٥٩ ، ٦٠ .

(٢٢) نفسه: ج١، ص ٦٠ ، ٦١ .

(٢٣) نفسه: ج١، ص ٦٠ ، ٦١ .

(٢٤) أحمد قدرى: المؤسسة العسكرية .. سبق ذكره، ص ١٥٢ .

(٢٥) ياروسلاف: الديانة .. سبق ذكره، ص ٨٧ ، ٨٨ .

تتغلغل إلى ضمير الجماهير. ولقد كشفت قرية العمال فى العمارنة عن آثار متعددة للعبادة القديمة ومن بينها تماثيل للإله بس على شكل القزم وللعين المقدسة لحورس وغيرها " [٢٦] .

لكن الغريب والمتناقض هنا أن إخناتون كان يجل أوزيريس ويقدسه بشكل ما غير واضح، حيث أنه قد هيأ فى تخطيطه مدينة اخت آتون فى السنة السادسة من حكمه مدفنا للعجل المنفى أبيس رمز أوزيريس[٢٧].

وبهذا الشأن يقول جاردنر: " .. وهناك إشارة غريبة جاء فيها أن عجل منفيس فى هليوبوليس [عين شمس] يجب أن يدفن هو كذلك فى مدينة آتون، وهى دلالة أخرى على اعتماد الآتونية الجديدة على واحدة من أقدم العبادات الدينية فى مصر " [٢٨] .

والمعلوم أن أبيس هو صورة روح أوزيريس وهو شعار أوزير المقدس [٢٩]، هذا رغم أن إخناتون استبعد عالم أوزيريس الخالد ومسألة الحساب والثواب والعقاب والجنة والجحيم، وكان أقصى ما يضمنه آتون لعابده المخلص هو ذات الضمان التوراتى قبل ظهور العقيدة الأخروية فى أسفاره الأخيرة " فلتضمن لى حياة طويلة وسعيدة كأحد أتباعك ولتجعلنى أحظى بدفنة جيدة .. ولتسمح لى أن استمع إلى صوتك العذب فى المعبد حين تؤدى الصلاة **لوالدك** آتون " [٣٠] ويقول عبد المنعم أبو بكر: " لم يخصص أهل العمارنة جبانة لمقابرهم على الشاطئ الغربى للنيل كما هى العادة عند المصريين القدماء الذين اعتبروا الغرب المكان المخصص للموتى. بل أن كلمة الغرب فى اللغة المصرية كان قد استقر استعمالها للتدليل على الجبانة، وكانت مقابر العمارنة منقورة [بالحفر / المؤلف] فى التلال الصخرية التى تحد المدينة من **ناحية الشرق**. ولابد وأن هذه الظاهرة ترجع إلى **أن ديانة آتون جعلت للشرق أهمية تفوق الغرب، إذ هو المكان المقدس الذى يشرق منه الإله** " [٣١].

وما يبدو لنا هو أن إخناتون قد غض النظر عن بعض العبادات المصرية التقليدية التي تواجدت مع عمال تل العمارنة، ودون أن يشير إلى تلك الديانات، ولجأ إلى إهمالها تماما، لكن ذلك كان يعنى وجود جماعات أوزيرية واضحة فى العمارنة.

---

(٢٦) جاردنر: مصر الفراعنة .. سبق ذكره، ص ٢٥٦ .

(٢٧) ليوولين جريفث: الا نقلاب الدينى فى مصر، ترجمة عبد الرحمن صدقى ودرينى خشبة، النهضة المصرية، القاهرة، د.ت، المجلد الثانى من تاريخ العالم، ص ٣٨ .

(٢٨) جاردنر: مصر الفراعنة .. سبق ذكره، ص ٢٤٨ .

(٢٩) إيفانز: هيرودت .. سبق ذكره، ص ١٢٤ .

(٣٠) أبو بكر: إخناتون .. سبق ذكره، ص ٨٧ .

(٣١) نفسه: ص ٨٧.

إلا أن أهم الأرباب فى تل العمارنة بعد (آتون) مباشرة كان **إله الريح (شو)** الهواء القديم المعروف، لكنه فى العمارنة يصبح أحد أسماء وتجليات الإله آتون، فقد حمل الإله آتون فى اسمه الجديد الذى أعطاه له إخناتون مجموعة أسماء وألقاب هى:

الحى رع حور آختى رب الأفقين الذى يبتهج الأفق باسمه

شو الذى هو آتون

ويعقب ياروسلاف تشيرني على: كيف يكون (شو) هو (آتون) بقوله: « **ليس من السهل فهم هذا التعريف** » [٣٢]. لكنه يصبح واضحا حسب نظريتنا إن تذكرنا أن إخناتون قضى طفولته بعيداً عن مصر فى بلاد مديان مع أخواله، وأن هناك كان الأدون أو السيد يهوه، أوهوا، أو هفا، وكان ربا للهواء والريح. ويصف إخناتون نفسه بقوله إنه « الكاهن الأول لرع حر آختى المتهلل فى الأفق باسمه ضوء الشمس **شو الذى هو آتن** » [٣٣] .

ويتكرر (شو) أكثر من مرة حتى فى طقس تقديم القرابين ففى العمارنة « وفى مقبرة آى نقش جدارى ملفت للنظر نرى فيه كلا من إخناتون ونفرتيتى وهما يقدما القرابين للإله. وكان كل قربان عبارة عن الاسم الثنائى للإله آتون مكتوبا داخل خرطوشين .. وفى الجانب الذى يظهر فيه إخناتون من هذا المنظر نرى رسما للإله شو إله الهواء وعلى رأسه الريشات الثلاث التى تميزه » [٣٤] .

ورغم أن جاردنر يؤكد أن كلمة آلهة كانت محرمة فى العمارنة [٣٥]، إلا أن ما يحدث هناك من خلط يجد تبريره فى عقائد مدينة عين شمس، مدينة رع حر آختى رب الشمس المعروف اختصاراً باسم رع، حيث عبروا عن ذلك الدمج الإلهى بنظرية تتلخص فى قانون إيمان بـــ « رع الذى يعيش فى شكل حورس الأفق الذى يبتهج فى أفقه باسمه شو الذى هو آتون ». وغنى عن التذكير أن قائد جموع الخارجين فى قصة يوسفيوس كان ينتمى باسمه إلى أوزير فهو أوزرسيف، وأنه كان كاهنا مصريا فى عين شمس. ثم لا يفوتنا تذكير آخر وهو أن تحتمس ابن آمنحتب الثالث الذى قالوا أنه مات صغيراً، وافترضنا أنه ربما كان ذات إخناتون، قد قضى شطراً من حياته بعد عودته من مديان فى عين شمس يدرس لاهوتها وفلسفة ربها رع. لذلك كان أول إعلان له بعد تتويجه ملكا هو تلقيب نفسه « الكاهن الأول لرع حور آختى » [٣٦].

ورغم الاهتمام بالأوزيرية – ربما لوجود فريق أوزيرى كبير حليف حرص إخناتون على دوام حلفه، فإن سامسون تقول لنا « وفى المقبرة الملكية التى حفرها إخناتون لنفسه ولأسرته فى صخور تل العمارنة، **لانجد**

(٣٢) ياروسلاف الديانة .. سبق ذكره، ص ٨٢ .

(٣٣) جاردنر: مصر الفراعنة .. سبق ذكره، ص ٢٤٤.

(٣٤) جوليا سامسون: نفرتيتى .. سبق ذكره، ص ١٥٤ .

(٣٥) جاردنر: مصر الفراعنة .. سبق ذكره، ص ٢٥٥ .

(٣٦) شتيندورف وسيل: عندما حكمت .. سبق ذكره، ص ٢٠٤ .

أية إشارة فى النقوش إلى الإله أوزيريس ولا إلى طقس من طقوسه أو من طقوس وشعائر العالم السفلى " (٣٧).

وإذا كان أتباع إخناتون بشكل عام من الطبقات المتواضعة تماما، فإن سجلات العمارنة جرت على شرعة التوراة التى لا تذكر سوى الرجال الذكور وتهمل عادة الأولاد وتهمل تماما ذكر الزوجات والنساء، فيقول لنا (جر يفث) " وقد خلت مدونات رجال الدولة من ذكر أنسابهم .. أن الزوجة والأولاد كان ينـدر أن يرد لهم ذكر فى مقبرة من مقابر أخيتاتون " (٣٨) .

وكما ظهر آتون مع تحتمس الرابع جد إخناتون فقد ظهر معه أيضا ردة عن آمون واقترابا واضحا من الإله رع، ويقول (جريفث) " ومع أن الرب المشترك آمون كان رب طيبة والدولة، فإن الرب الذى كانت تفضله الطبقة المتعلمة وتؤثره هو رع لا آمون " (٣٩). ويقول عبد المنعم أبو بكر عن نبوءة أبو هول الجيـزة – وهو آحد الآلهة الشمسية فى عقيدة عين شمس – لتحتمس الرابع بتولى العرش: " والواضح أن كهنـة رع كانوا من وراء قصة الرؤيا وأنهم قد نجحوا فى تحويل ذلك الأمير [أى تحتمس الرابع / المؤلف] من عقيـدة آمون إلى عقيدة رع الشمس، بعد أن أشعروه بمدى مناصرتهم له إذا هو انحاز إليهم، وعاونهم على التقليـل من شأن إله طيبة .. ونجحت المحاولة وتربع تحوتمس الرابع على عرش البلاد وأخـذ يشـيد بمناقـب رع متغاضيا عن آمون. ولعل أقدم البشارات بقرب ظهور مذهب جديد أو تصور جديد عن إله الشمس ترجع إلى عهد هذا الملك. ومن هذه التباشير تصوير قرص الشمس تمتد منه ذراعان تنتهيان بأيد بشرية تحطيان بالملك وتحميانه وتغدقان عليه النعم. وهو ذات التصوير الذى اختاره إخناتون فيما بعد لإلهة آتون مع تحوير يلائـم عقيدته. بل عثر على اسم آتون نفسه مذكوراً على جعل سجل عليه الملك تحتمس الرابع تمجيداً لذاته وإشادة ببأسه وقوته وجهاده فى سبيل إخضاع الشعوب وجعلهم من رعايا آتون " (٤٠)

ولمزيد من التوضيح حول نبوءة عين شمس ودورها الفاعل فى السياسة المصرية القديمة، ما جـاء فى قصة تولى تحتمس الرابع العرش دونا عن أشقائه الأربعة، فيقول عبد المنعم أبو بكر: تولى عرش مصر آمنحتب الثانى [السابع بين ملوك الأسرة الثامنـة عشرة] وكان قد أنجب خمسة أبناء بعث بهـم إلـى منـف العاصمة القديمة التى أصبحت فى عصر هذه الأسرة مقر قيادة الجيش. وكان العرف قد جـرى إبـان هـذه الفترة على إيفاد أمراء البيت المالك إلى هذه المدينة ليتلقوا ثقافتهم العسكرية فيها، ويأخـذوا بأسـباب العلـم والمعرفة، ويتعمقوا فى شئون اللاهوت المصرى فى جامعة أون / هيلوبوليس [عين شمس] القريبـة منهـا. ويبدو أن علماء هذه الجامعة وهم فى نفس الوقت كهان رع صاحب الدين القديم، كانوا حاولوا منـذ تـداعى سلطانهم التأثير على قلوب من يفد إليهم من الأمراء وإغرائهم بالالتفاف حول راية إلههم والـدعوة لـه دون

---

(٣٧) جوليا سامسون: نفرتيتى .. سبق ذكره، ص ٨٦ .

(٣٨) ليوولين جريفث: الانقلاب الدينى .. سبق ذكره، ص ٤٢ .

(٣٩) نفسه: ص ٣٣ .

(٤٠) أبو بكر إخناتون .. سبق ذكره، ص ٦٦ ، ٦٧ .

آمون، عساهم أن يسترجعوا من وراء ذلك بعضا من سلطتهم السياسية القديمة، ويعيدوا إلى معابدهم مجـدها القديم .. وأن أحد أولئك الأمراء الخمسة ولم يكن أكبرهم سنا بمعنى أنه لم يكن صاحب الحق الأول فى تولى العرش بعد أبيه مال إلى الاستجابة لدعوتهم . ليس اقتناعا بها بل على شريطة أن يؤيدوه فى ارتقاء العـرش دون إخوته بعد موت أبيه. ذلك هو تحتمس الرابع الذى تلاقت مصالحه مع أهداف كهنة هيليوبوليس وارتقى العرش مسجلا قصة الرؤيا على لوحة كبيرة من الجرانيت لا تزال قائمة فى مكانها الأصلى بين ذراعى أبى الهول بمنطقة أهرام الجيزة. وهى إحدى القصص التى يحاول فيها الكهان تأكيد رضا أحد الآلهة عن شخص معين واختياره إياه ليكون ملكا على مصر (٤١) .

ومن جانب آخر تظهر تلك القصة أن أبا الهول قد أصبح محلا للوحى والتنبؤ وأنه كـان لـه كهنـة مكرسين لهذا الغرض تحديداً .

أما تحوتمس ابن آمنحتب الثالث، الذى ظنناه هو ذات إخناتون، فقد أرسل إلى عين شمس ومنف فترة من عمره ربما قبل التقائه العرش بفترة وجيزة، وتقلد هذا الصبى هناك بأمر ملكى منصـب كبيـر الكهـان هناك.

ويتساءل كورت زيته U. Sethe : هل الصدفة وحدها فقط هى التى جعلت اسم آتون يشمل كل الرموز الخاصة بعبارة وتنطق (ات . إن . رع) أو (آتون رع) وفى هذه الحالة يجب أن يكـون معناها والد رع أو أبورع (٤٢) ، والاب يكنى عنه بالسيد وبالرب ورب الأسـرة، والـرب آدون السـيناوى المديانى كان كذلك فاسمه يعنى السيد والرب والأب، إن آتون إذن كانت تعنى الأب وهو (أبورع) ولو قرأناها ساميا حسب خريطة اللغة حينها قياسا على (أبو مالك) حاكم جرار مثلا زمن إبراهيم وكان ينطق أبى مالك، فيجب نطق (أبو) هنا (أبى) أو (أبى رع). و(أبى رع) أو **(أبيراً) يجب أن ترتبط بفئة الأبيرو أو العابيرو أو الخابيرو، ويصبح معنى الاسم أصحاب أبى رع، وأبى رع أو أبيرا هو آتون، وآتون هو النداء الذى يتوجه به الإسرائيلي حتى اليوم ينادى ربه (آدوناى). فليست كلمة العابيرو إذن من عبـور النهـر كمـا اتفقـت دواوين أصحاب التوراة، إنما من انتمائهم لعقيدةأبيرا. ربما (؟!).**

وإذا كان جبل كاترين فى سيناء المديانية حسبما افترضنا جبلا بركانيا يقذف بالحمم ويتفجر فى هيئة المشروم أو القضيب الذكرى، فقد كان بالإمكان تصور أنه هو الذى يلد النجوم والكواكب التى تخـرج نحـو السماء مع كل دفعة تفجيرية، ويمكن أن يكون والداً للشمس رع، وهو ما يضيف تخريجاً جديداً لتفسير : لماذا كان المصرى يعتبر **بلاد بونت التى تقع فى الشرق أرضا للإله الذى يلد الآلهه أو (أبى را) أو (والـدرع).** وكان البركان أيضا هو (الآتون) فمعنى آتون واحد فى المصرية والسامية فكليهما يعنى مركز النار المشتعلة فهو أتون رع أو إت إن رع / والدرع. وهل من ولد رع سوى الكلمة الخالقة والفعل الخلاق الأول / الـذى

---

(٤١) نفسه ص ٦٣ ، ٦٤ .

(٤٢) Sethe. K, Bitrage Zur Geschichte Amenophis IV in kgl. Ces.d. Wiss Machrichten philist, Klasse ١٩٢١, Heft ٢. p١٢١

رسمه المصريون فى شكل ريش وعصافير إشارة لهواء رع تنفسه لأنه (هو) الذى لااسم له، الخـــالق الأول المعنوى.

أوديب وإخناتون

علاقة إخناتون الفرعون بأوديب الملك

فى عام ١٩٦٠م انتهى إيمانويل فليكوفسكى من تدبيج عمله غير المسبوق " أوديب وإخناتون "، الذى أوجز المسألة كلها فى فقرة تقول: " لم يكن إخناتون موحداً أولاً، ولم يطلق عليه من خلفوه من فراعنة لقب المجرم من جراء محاولاته فى ميدان الإصلاح الدينى، ولكن من جراء خطيئة أخرى تسردها صفحات هذا الكتاب " [١] .

يؤسس فليكوفسكى عمله على أسطورة يونانية عمرها الآن حوالى ٢٧٠٠ سنة، هى أسطورة أوديب الذى قتل أباه وتزوج أمه، التى وصلت إلى المؤلفين اليونان، فسجلوها لنا فى شكل مسرحيات كتبها إيسخوليوس وسوفوكليس ويوربيدس. وقد استند العالم النفسى سيجموند فرويد إلى أسطورة أوديب لتفسير عقدة نفسية أعطاها اسم بطل الأسطورة، فهى عقدة أوديب التى تفسر لنا الرغبة الباطنة عند الإبن الذكر فى الاستحواذ على أمه وقتل أبيه.

وقد ذهب البعض إلى أن شخصية أوديب شخصية تاريخية حقيقية، وحاولوا نبش الأرض وراءها، لكن جميع الحفريات ذهبت هباء دون أى أثر يشير إلى مملكة بيت الملك **لايوس** والد أوديب، وكانت أقدم إشارة لأسطورة أوديب قد وردت فى أوديسة هوميروس حوالى ٩٠٠ ق.م أو قبل ذلك.

وتتلخص الأسطورة كما وردت لدى هؤلاء الكتاب فى أن الملك لايوس ملك طيبة اليونانية ، لم ينجب وريثا للعرش من زوجته يوكاستا، وعندما تحقق حلمه وحملت زوجته، جاءته نبوءة كهنوتية تقول: إن الطفل الذى سيولد سوف يقتل أباه ويتزوج أمه. ولتفادى الكارثة استلم الطفل خادم بالبلاط وحمله إلى أرض صحراوية قاحلة، بعد أن تم ثقب قدمى الطفل. لكن راعيا بتلك الصحراء يعثر على الطفل أو يتسلمه من الخادم، فيربيه فى بيته، ويعجب **ملك كورنثة** بوليبوس Palybus وزوجته ميروبى Merope بالطفل فيتبنياه، ويطلقان عليه اسم أوديب، **أى القدم المتورمة**، وينشأ الطفل معتقداً أن الملك بوليبوس أبيه وأن الملكة ميروبى هى أمه.

ويشب الصبى ويحضر حفلاً بالقصر، لكن أحد المدعوين تندّ عنه ملحوظة تشكك فى صحة نسب أوديب، فيرحل أوديب لاستشارة المعبد، فيعلم أن قدره هو أن يقتل أباه ويتزوج أمه، فيقرر أوديب ألا يخضع لهذا القدر ويهرب من كورنثة جميعاً، حتى لا يقتل بوليبوس الملك، ظانا أنه أبيه.

---

[١] فليكوفسكى: أوديب وإخناتون، ترجمة فاروق فريد، وزارة الثقافة بالمشاركة مع دار الكاتب العربى، القاهرة، د . ت، ص ٦.

ويقترب أوديب من حدود مملكة طيبة وطنه الحقيقى عند تقاطع للطرق، ليلتقى بأبيه الحقيقى (لايـوس) وتحدث مشادة وهو لا يعرفه، فيقتل أوديب أباه (لايوس) ويستمر فى سيره نحو طيبة.

وعند مشارف طيبة كان يكمن الوحش (أبو الهول الأنثى / سفنكس)، المجنح، وكان أبو الهول يستوقف المارة ليلقى عليهم بالألغاز، فإن لم يحل المار اللغز هجم عليه السفنكس وخنقه، ويلقى السفنكس لغزه الجديد على أوديب، فيحله أوديب ببساطة، وهنا يصاب السفنكس بالهزيمة والحسرة، فيلقى بنفسه من فوق الصخور منتحراً، وهنا يهتف سكان طيبة للشاب الذى خلصهم من الوحش، فيتوجونه ملكاً عليهم بعد مقتل ملكهم (لايوس)، الذى هو أبو أوديب الحقيقى، ويزوجونه من ملكتهم يوكاستا التى هى أمه، تعبيراً عن عرفانهم له.

وينجب أوديب من يوكاستا طفلين هما بولينكيس Polynices وأتيوكليس Eteocles وطفلتين هما أنتيجونى Antigone وأسمينى Ismene، لكن فجأة تحدث جائحة أو كارثة فى البلاد فى شكل مجاعة أو وباء، وعند استشارة الوحى أجاب أن بالمدينة شخص أغضب الآلهة فأرسلت بسخطها على طيبة، فهذا الشخص قد قتل أبيه وتزوج أمه، وكى تهدأ الآلهة لابد من عقاب المجرم.

ويقوم الملك أوديب بنفسه يبحث ويدقق ويستجوب الناس، حتى يصل إلى الخادم الذى حمل أوديب صغيراً وإلى الراعى الذى أنقذه، لتتضح الحقيقة بالتدريج ويعلم أوديب بما حدث، فيفقأ عينيه عقاباً لنفسه ويتخلى عن العرش ويترك المدينة طريداً، بينما تشنق أمه يوكاستا نفسها، فى الوقت الذى أدى فيه (كريون) شقيق يوكاستا وخال أوديب، دوراً بارزا فى إدانة أوديب وعقابه.

ثم يأتى القسم الثانى من الأسطورة ليقول لنا أن أنتيجونى إبنة أوديب قد صحبت أباها الأعمى فى منفاه، بينما تربع الإبن الأكبر بولينكيس على العرش بشرط أن يخليه لأخيه الأصغر أتيوكليس بعد عام، ويتناوبان الحكم سنة بعد سنة، وكان (كريون) هو من وضع تلك الصيغة، وعندما يحين الوقت ليتخلى أتيوكليس عن العرش لأخيه الأكبر بولينكيس، يرفض التنازل بتحريض من كريون الذى كان حاكما فعليا من وراء ستار.

وهنا يقوم الابن الأكبر بولينكيس بضرب الحصار حول طيبة بمعونة جيش حميه أدراستوس Adrastus ملك آرجوس. وعند أبواب طيبة السبعة، يلتقى سبعة قادة من كل جانب فى قتال منفرد، ويلتقى بولينكيس بأخيه أتيوكليس ويقتل كل منهما الآخر، لتتحقق عليهم لعنة أبيهم أوديب بعد أن سبق وطردوه من المملكة.

ويحرم كريون دفن الابن الأكبر بولينكيس لأنه استعان بالأجانب ضد وطنه، ويعلن أن من يدفنه سيلقى عقابه موتا بطيئا. وفى الوقت نفسه يأمر بجنازة فاخرة ومقبرة فخيمة للأخ الأصغر أتيوكليس. ويقوم بنفسه بالإشراف على تلك الجنازة، العظيمة، تكريماً لصاحبها، لكن أنتيجونى ترفض الامتثال لأوامر كريون الجائرة وتقوم بدفن أخيها بولينكيس، فيحكم عليها كريون بالحبس فى كهف هو مقبرتها حتى تموت.

وعندما يأتى الجيل التالى، يقوم أبناء القادة السبع من مملكة آرجوس بحصار طيبة مرة أخرى، وهم الذين أطلق عليهم لقب السلالة: Epigoni فينجحوا فى الاستيلاء على طيبة. وهكذا حلت اللعنة على طيبة

وبيت الملك لايوس، لسبب أعلنته الآلهة، لأن **لايوس هو أول من أدخل اللواط إلى بلاد اليونان**، عندما عشق الشاب خريسبوس Chrysippus واغتصبه.

وفى روايات أخرى متناثرة غير المسرحيات الثلاث التى تختلف فى بعض التفاصيل، نجد **أوديب ينجب أولاده ليس من أمه ولكن من زوجة أخرى تدعى أوريكانيا Euryganeia، وفى رواية ثانية أن بعض الأطفال كانوا من يوكاستا وبعضهم من أوريكانيا**، ثم رواية ثالثة تقول بزوجة ثالثة لأوديب باسم استيمدوسا Astymedusa .

وبينما يذهب بعض الباحثين إلى أن هذه القصة هى مخلفات رمزية لحروب تاريخية حدثت بين ملوك طيبة وآرجوس، فإن آخرين مثل (ريجلان) يجدها أسطورة نمطية نموذجية متكررة فى قصص الأبطال لدى شعوب مختلفة، وهو النموذج الذى يشتمل على عدد من العناصر الأساسية هى كالتالى:

١- أم البطل عادة ما تكون عذراء أولا تكون .

٢- تكون من أسرة مالكة وعادة ما يكون الأب من أقرباء الأم.

٣- تحيط بالحمل ظروف غير طبيعية وقد يشاع أنه إله أو ابن إله .

٤- عند ميلاد الطفل تحدث محاولات متعددة للقضاء عليه، وعادة ما يدبرها الأب أو الجد للأم أو الوصى على العرش.

٥- يتم تهريب الطفل ليربيه أبوان بديلان، ولا يُذكر لنا شئ عن تفاصيل طفولته هناك.

٦- يحرز الطفل فى سن الشباب تفوقا ملحوظا، وربما تمثل فى قتل وحش أو عملاق أو ملك ظالم.

٧- يصبح الطفل ملكا محبوبا لكنه يفقد صلته الطيبة بالآلهة.

٨- يتم استبعاده عن المدينة أو يموت موتا غامضا غالبا ما يكون فوق تل مرتفع، ولا يدفن جسده، أو لا يعرف موضع دفنه لكنه يصبح مباركا ويقام له أكثر من ضريح مبارك .

٩- لا يخلفه أبناؤه على العرش.

وقد طبق لورد ريجلان هذا النموذج على عدد من الأساطير فوجده يتطابق مع نماذج متعددة، فهو يطابق أساطير: أوديب، تسيوس، رومولوس، هرقل، برسيوس، جايسون، اسكيبيوس، ديونيسيوس، أبو للون، زيوس، موسى ، سيجوردو آرثر، روبين هود ... إلخ.

ومن هنا يبدأ فليكوفسكى مشواره، ليثبت لنا **أن قصة أوديب التى كانت تترد فى بلاد اليونان القديم، ليست قصة يونانية، وليست أسطورة، إنما هى ترديد لحقائق تاريخية وقعت فى بلاد مصر الفرعونية، وأن بطلها كان الفرعون آمنحتب الرابع المعروف باسم إخناتون.**

ويبدأ بالسفنكس، فهذا الكائن الذى يحرس طيبة فى إقليم بيوتيا لم يكن مألوفا فـى بـلاد اليونـان، لأن أرضه الأصلية هى مصر، وأى صور أو نسخ أخرى له، عثر عليها فى أى مكان، فهى إمـا مصـرية، أو تقليداً للنموذج المصرى. بل أن بيساندر قد قال **أن سفنكس طيبة اليونانية هذا قد جاء وافداً من بلاد أثيوبيا،** ولم تكن طيبة المصرية فى عمـق مصر الجنوبى تحسب عند اليونان من بلاد أثيوبيا. إنما أثيوبيا هنا هـى تيوبيا / طيبة المصرية، والاحتمال الأرجح لدينا أن أثيوبيا الحالية المعروفة هى التى اكتسـبت اسـمها مـن (طيبة) المصرية.

ومعلوم أن سفنكس الجيزة كان خلال الدولة الحديثة الفرعونية بدءاً من الأسرة الثامنة عشر يعد تمثيلا للإلهة حتحور وهى تتأهب للقتل، وهو ما أثبته المصرولوجست (ادوارد نافى)، **أما صيغة أبو الهول الأنثوى فقد ظهرت فجأة زمن حكم آمنحتب الثالث فى الأسرة الثامنة عشر**. ومن اللوحات التى وصلتنا مـن هـذه الأسرة نعلم أنه فى طيبة قد أقيمت تماثيل للسفنكس **كان يقدم لها قرابين بشرية.**

وعلى الجانب الآخر فإن طيبة اليونانية الواقعة فى إقليم بيوتيا، تُحكى عنها أسطورة تقول أن مُنشـئها هو الملك قدموس الذى هاجر إلى طيبة اليونانية من البلاد الفينيقية، وبحذف التصريف الاسمى فـإن الملـك يكون (قدم)، وهى صيغة أخرى من (أدم) أو (آدوم)، ولا ننسى أن الهكسوس قد احتلوا الجـزر اليونانيـة، وأنهم هجّروا الأقوام من مواضعها فى تهجين جنسى متعدد، وقد سميت طيبة اليونانيـة باسـم (طيبـة ذات البوابات السبع)، لأن سورها الخارجى كان له بوابات سبع، أما طيبة المصرية فيقال أنه كان لها مائة بـاب. وغربى طيبة المصرية لم يبق من معبد آمنحوتب الثالث الجنائزى سوى تمثاليه الضخمين اللذين أطلق عليهما اليونان: تمثالا ممنون، لكن زمن آمنحوتب الثالث نفسه كانت طيبة سيدة مدن الدنيا، وعند الغزو الآشورى تم نهب طيبة وتدميرها، ثم أحرقها البابليون ثم الفرس بلا رحمة، وظلت منشآتها محجراً لكل من يريـد البنـاء ولصنع الطواحين طوال السنين، تُنزع حجراً وراء حجر، **ومع ذلك فإن طيبة على حالها هذا اليـوم، تعـد أروع ما تقع عليه العين إطلاقا من أطلال خالدة فى الدنيا جميعا.**

ومن اللوحة التى عثر عليها بين يدى أبى الهول، والتى يصف فيها تحتمس الرابع كيف اختارته نبوءة الإله ليكون ملكا، نفهم أن كهانة السفنكس قد أصبحوا مصدراً للوحى والتنبؤ، وقد استنتج B. Bruyere أن كهنة طيبة قد أقاموا فيها عدداً من السفنكس ليدلوا بنبوءة تنافس نبوءة الجيزة. وفى زمن آمنحتب الثالث أصـبحت عبادة السفنكس من أشيع العبادات.

ويقول (دسّين A. Dessenne) أنه زمن آمنحتب الثالث وزوجته تى حدث بعض التحوير فـى صـورة السفنكس، **فقد تم تصوير الملكة تى فى صورة أبى هول أنثى، وأضيفت له أثداء المرأة وجناحين، وتم نقشه فى صورة امرأة تمزق ضحيتها،** لقد كان سفنكس طيبة اليونانية نموذجا للسفنكس الذى ظهر زمن آمنحتـب الثالث وزوجته تى تحديداً فى طيبة المصرية.

ويلحظ فليكوفسكى كما لحظ باحثون آخرون المكانة التى وصلت إليها الملكة تى زوجة آمنحتب الثالث رغم أنها من غير أصول ملكية، حتى أن الملك أصدر عدداً هائلاً من الجعارين تعلن هذا الزواج، وزعت فى

أرجاء الأرض المعروفة آنذاك، ثم بعد ذلك بدأ إجراء لم يحدث من قبل فى تاريخ مصر، وهو أن القــرارات الملكية كانت تصدر باسم الملك وزوجته معه. بل أن الملكة تى رفعت أبويها إلى مكانة مرموقة بالبلاط، وتم دفنهما فى وادى الملوك مع الملوك، وكان اكتشاف مقبرة والديها يويا وتويا اكتشافا فريداً من نوعه بين مقابر مصر الملكية.

ويقــول فليكوفســكى نصــيا " وقــد حملــت تــى عــدة مــرات، وولــدت إبنــا، ولكننــا لا نعرف عنه شيئاً، فلم ترسم له صورة ولم يرد له ذكر، إلى أن يأتى عند موت أبيه ويطالب بالعرش، ولكن هناك ثلاث بنات لآمنحتب وتى عشن مع أبويهن وظهرن فى صور العائلة ".

ولأن (تى)، أظهرت استياءها من كهنة آمون، لأنهم لم يطلبوا منها القيام بدور الإلهة مــوت زوجــة آمون، فى احتفال تمثيلى يقام على سطح بحيرة المعبد المقدسة، أمر الملك بتشغيل مائة ألف رجل ليل نهــار، فحفروا بحيرة صناعية فى غضون أربعة عشر يوما فقط. تم ملؤها بالماء وزرعوا فيها السوسن ونقلت إليها الأسماك وأحاطوها بالحدائق. وهكذا أصبحت تى تفوق آلهة الكهنة فى مظاهر البذخ والسحر الملكى، حيــث كانــت مصر فى أوج الرخاء، بعد أن تدفقت عليها ثروات العالم المفتوح لمصر آنذاك.

وكلما تقدمت السن بالملك آمنحتب الثالث أصبحت شخصيته أكثر اهتزازاً، ففــى نوبــة مــن نوبــات انغماسه فى الملذات **تزوج إحدى بناته، كما أفصح عن بعض النزعــات الشاذة، فهو الفرعون الوحيد الــذى سمح لنفسه بأن يرسم وهو يرتدى ملابس امرأة.**



صاحب النبوءة أبو هول الجيزة أو بو الهول الأكبر / السفنكس المصرى وخلفه الهرم الأوسط (خفرع)
شكل رقم (٩٤)



واحد من أبى هولات مصر (من معبد بتاح أبو هول آمنحتب الثانى)
شكل رقم (٩٥)

طريق أبى الهول بالأقصر بمصر القديمة ــ شكل رقم (٩٦)

وبالمقارنة فإن ما ارتكبه الملك لايوس فى طيبة اليونانية من جرم اللواط لايبدو غريبا على اليونان، فبينما كانت بلاد الشرق القديم تنظر للواط على أنه عادة قبيحة وممقوتة، لم يكن الحال كذلك عند اليونان، ففى عصر اسخيليوس وسوفوكليس ويوربيدس كُتَّاب تلك الملحمة، فى ق ١٥ ق.م، كان حب الأولاد أمراً شائعا هناك وليس بغيضا، حيث امتلأت الآداب بحب الأولاد المحترم جداً. وكانت العلاقة الجنسية بين رجلين شائعة ولم تكن خزيا أو عاراً، بل أن الحكيم صولون أشار لحب الغلمان على أنه امتياز يتمتع به الرجل الحر؟! بل أن الآلهة نفسها كانت تمارسه. ومن ثم أين الجرم الذى ارتكبه لايوس؟ لقد صورت التراجيديا عمل لايوس على أنه خطيئة جلبت على بيته وعلى بلده اللعنة، وأنه لابد من التكفير بصرامة، وهو ما يشير إلى **أن موطن الأسطورة الأصلى لم يكن بلاد اليونان.**

وفجأة يموت الملك آمنحتب الثالث، ثم نجد الملكة تى هى السيد الحاكم وحدها، وفجأة أيضاً يظهر للملك ابن باسم آمنحتب الرابع، الذى لم يرد اسمه قط فى نقوش أبيه، ولم يذكر كولى للعرش، بل ولم يشر إليه مجرد إشارة، رغم تكرار اللوحات لصور شقيقاته البنات ولأسمائهن، ويتسلم آمنحتب الرابع الذى عرف بعد ذلك باسم إخناتون عرش مصر العظيم.

وفى أرشيف رسائل تل العمارنة توجد رسالة من (رب عدى) أمير بيبلوس وهو أمير فلسطينى منوب من قبل الفرعون، والرسالة توضح أنه كان يعرف إخناتون من مقابلة تمت بينهما من زمن بعيد، فهو يقول فى خطابه:

> ألا تذكر؟ .... فالآلهة والشمس وبعلات جوبلا Baalat Gubla قد قرروا أن تتربع أنت على عرش أبيك وفى أرض وطنك (٢) .

وفى ذات الزمن يكتب **دوشراتا ملك الميتانى** لإخناتون يقول:

> عندما مات أخى نموريا (اسم العرش للملك آمنحتب الثالث)، أعلنوا هم نبأ وفاته، وعندما أعلنوه وصل إلى مسمعى أنا أيضاً، لقد رحل عن الدنيا .. وبكيت أنا فى ذلك اليوم إذ كان الحزن يغمرنى، ولكن عندما كتب لى نافوريا (اسم العرش للملك إخناتون) الابن العظيم لنموريا من زوجته العظيمة تى، يقول: سوف أبدأ فترة حكمى، قلت: إن نموريا لم يمت، فقد احتل الآن نافوريا ابنه العظيم من تى زوجته العظيمة مكانه، ولن يغير من الأوضاع شيئاً عما كانت عليه من قبل، فإن

(٢) Mercer. S. A. B, The tell-El Amarna Tablets, ١٩٣٩, الخطاب رقم ١١٦.

أمه تى التى كانت زوجة لنموريا المحبوب على قيد الحياة، وسوف تخبر هى نافوريا ابن نموريا زوجها، أنه كانت بيننا علاقات طيبة وصداقة حق. (٣)

وقد كتب **(دوشراتا) الملك الميتانى** إلى إخناتون رسالة أخرى تقول:

وكل كلمة تبادلتها مع أبيك تعلمها أمك تى، ولا يعلمها إنسان سواها، ولكن لك أن تسأل أمك تى عنها، دعها تخبرك كيف كان أبوك على علاقة طيبة بى (٤).

وهو ما يعنى أن إخناتون كان يجهل علاقة أبيه مع الحكام الأجانب، كما كان يجهل العلاقة الخاصة مع ملك الميتانيين، بينما كانت الملكة تى تعرفها حق المعرفة، وهو ما يعنى **أن إخناتون لم يكن فى طيبة خلال السنوات التى سبقت موت أبيه. وكذلك أوديب أمضى طفولته وصباه بعيداً عن وطنه، وعندما مات أبوه تولت يوكاستا أمه العرش، حتى أتى أوديب وتولى العرش.**

وفى الأسطورة اليونانية نجد كلمة أوديب تعنى ذو القدم المتورمة، وبالنظر إلى الوسيلة الغريبة التى عالج بها الفنان جسم إخناتون، نجد رأسا مستطيلا عجيبا ورقبة نحيفة وبطن متدلى، أما أكثر التشوهات فكانت فى الفخذين، لقد كانا متورمتين منتفختين، مع ملاحظة **أن رؤوس أطفال إخناتون كانت مستطيلة بدورها، لكن تورم الفخذين كان خاصا بإخناتون وحده .**

وفى عام ١٩٢٠م نشر طبيبان فرنسيان فى مجلة Revue Neurologique هما ام. أميلين وب. كويرس بحثا بعنوان: آمنحتب الرابع وعقليته، وافترضا أنه كان يعانى من نقص المواد الدهنية، أما اليوت سميث أستاذ التشريح بجامعة لندن، والمتخصص فى المومياوات المصرية، فقد علق على البحث الفرنسى بقوله: إن الحالة المفترضة هى نقص مستمر فى المواد الدهنية فى القسم العلوى من الجسم مع تزايد شديد فى أسفل الخصر، وقد قدم باراكوى عام ١٩٠٧م نموذجا حيا لهذا المرض النادر. لكن الملك اعتبر هذا التشوه النادر خاصية نادرة ومميزة وعلاقة قداسة اختارها القدر، ففاخر به، وطلب من الفنانين رسمه كما هو دون أى تجميل. وإذا كانت أفخاذ إخناتون هى المتورمة وليس القدمين، فإن كلمة pous اليونانية القديمة فى أوديبوس تعنى القدم والساق، كذلك الكلمة المصرية (رد) تعنى كليهما. لكنا لم نعثر على مومياء لإخناتون على الإطلاق، وكان التشخيص على التماثيل والنقوش واللوحات.

وكثيراً ما تساءل الباحثون عن السر وراء القسوة التى لحقت بأوديب طفلا، وثقب قدميه دون مبرر، بينما كان جاردنر يتساءل بدوره عن النعت المستديم المفضل فى كل نصوص إخناتون " **ذلك الذى تخلف**

---

(٣) نفسه: الخطاب رقم ٢٩ .

(٤) نفسه: الخطاب رقم ٢٨ .

ليعيش طويلا " ليتعجب قائلاً: " **ألم يكن من المتوقع أن يعيش إخناتون طويلا وهو فى عز الشباب؟** " **والإجابة فى أسطورة أوديب، حيث حكم عليه بالموت وهو طفل.**

ويفترض (فليكوفسكى) أن آمنحتب الثالث قد استشار نبوءة آمون إبان حمل تى بإخناتون، ولا ريب أن تربية إخناتون بعيداً عن وطنه كان لها علاقة بتلك النبوءة، وأنه **ربما تم إيداعه لدى أقرباء آمنحتب الثالث فى بلاد ميتانى**، وربما كل ذلك كان وراء عداء إخناتون لكهنة طيبة، وتدميره لنبوءة طيبة، بينما أحاط نفسه بكهنة نبوءة أون / عين شمس.

ثم أنه قد عُثر على بقايا تماثيل محطمة لأبى الهول عند سفح تل قرب معبد حتشبسوت، تم إلقاءها من على التل، بينما محيت تماثيل أبى الهول بانتظام من على النقوش السالفة لعصر إخناتون، وبقيت خطوط باهتة تشير إليها. كما دمرت صور الملك آمنحتب الثالث نفسه، ولا ريب أن كل هذا قد حدث إبان حكم إخناتون، وإن إلقاء تماثيل السفنكس من على التل، وجد صداه فى إلقاء سفنكس اليونان نفسه من على التل، دون أى مبرر واضح لذلك، فالوحوش لا تنتحر لإصابتها بخيبة أمل من لغز تم حله، ولا تلقى بنفسها من التل عن طيب خاطر.

إن (فليكوفسكى) يريد القول أن أسطورة أوديب ما هى إلا ترديد لقصة حقيقية عرفتها دول الشرق، وأنها حدثت فى مصر، **وأن أوديب هذا لم يكن شخصا آخر سوى الفرعون (إخناتون).**

مشكلة بكتاتن

لقب " ذلك الذى تخلف ليعيش طويلاً "، لم يكن اللقب الوحيد المميز للفرعون إخناتون، فهناك لقب آخر أينما نجده نعرف أنه يخص إخناتون حتى لو لم نجد اسم إخناتون، هو "**ذلك الذى يعيش فى الحقيقة**"، وعلى عكس ما يشاع عن إخناتون فإنه تحول عن عبادة آمون باعتباره تجليا للشمس إلى عبادة قرص الشمس ذاته، فالإله الأوحد الذى عبده إخناتون هو (آتون)، وآتون اسم الشمس المادية ذاتها، لكنه فعلا كان يبدو داعية سلام فلوحات العمارنة صورت فقط الطبيعة الهادئة، وليس بينها لوحة تصور إخناتون وهو يصطاد الحيوانات أو ينفذ حكم الإعدام أو يرمى الأعداء بقوسه. ثم أنه حرر طيبة من الذبائح البشرية التى دخلتها خلال حكم آمنحتب الثانى وتحتمس الرابع وآمنحتب الثالث، وفى الوقت ذاته لم نسمع عنه أنه شن حروبا، بل لم يبال بهجوم الخابيرو على ممتلكات مصر فى آسيا منصرفا إلى نظم شعره ومباهجه العائلية. ويلاحظ أن إخناتون أزال اسم الإله آمون وأبيه آمنحتب الثالث أينما وجدهما، فكان ناقما على أبيه، وعلى رب النبوءة، وقد غير الفرعون اسمه من آمنحتب الرابع إلى إخناتون، نقمة على آمون وعلى اسم آمنحتب. لكنه لم يمح اسم آمون من اسمه بعد أن تحول فى منتصف العام الخامس من حكمه إلى عبادة آتون، إنما محاه من اسم أبيه بالذات. وكان بالإمكان قتل أى إنسان فى هذه الحياة، لكن **القتل الحقيقى والأبدى فهو إزالة اسم شخص متوفى**، فهذا يعنى هيام روحه إلى الأبد، لأن القرين (كا) لن تجد اسم المتوفى لتحل فيه. كما نلحظ أنه لم يعد يذكر أنه ابن آمنحتب الثالث، بل ابن الإله آتون نفسه.

وفى نقش لإخناتون وجد على لوحة تأسيس مدينته الجديدة (أخت آتون)، نجده يقول:

> طالما **أبى حور آتن** يعيش، فما اكثر شـــراً مـــن تلـــك الأخبار التى سمعتها فى السنة الرابعة، وما أكثر شـــراً من هذه الأخبار التى سمعتها هذا العام، وما أكثر شـــراً من هذه الأشياء التى وصلت مسمع الملك.

وهو ما يشير إلى صدام مع كهنة آمون الذين ربما أدلوا بحديث لا يرضـــى الملـــك، وبالفعـــل أعلـــن إخناتون قطعه لكل العلاقات فى العام الرابع من حكمه، وفى هذا العام دمر لوحة أبيـــه التذكاريـــة ومحاهـــا بوحشية سافرة وهو ما يعنى قتلا أبديا، فالميت يسترد حياته فى حدائق النعيم بعد الموت، أما إن قتـــل وهـــو بهذه الحدائق فلن يكون له وجود على الإطلاق، وربما كان هذا التصرف سببا فى احتجاج كهان النبوءة الذين اعتبروه **قاتلاً لأبيه**، وعندما تأزمت الأمور هجر الفرعون طيبة عاصمة مصر الكبرى ليبنى لـــه عاصـــمة جديدة إلى الشمال، ويسميها أخت آتون.

والغريب أن إخناتون **كان يذكر دوما أنه ابن تى، لكنه لم يذكر أبداً أنه ابن آمنحتب الثالث**، ولـــولا رسائل تل العمارنة ما كنا عرفنا أنه ابن آمنحتب الثالث، وكما لقب إخناتون نفسه بأنه ابن آتون الشمس، فإن أوديب بدوره قد عُرف بأنه ابن الشمس.

وقد تم العثور فى تل العمارنة على أكوام من الفخار الميسينى اليونانى، حتى أطلق علماء الآثار على أحد شوارعها اسم الشارع الميسينى لكثره السلع اليونانية به، ومن هنا تم تحديد زمن إخناتون باعتباره كـــان معاصراً للعصر الميسينى فى بلاد الإغريق.

والواضح أن الفرعون كان محبا للفنون بشدة، فلم يعثر فى مكان آخر على هذا العـــدد الهائـــل مـــن النحوت والنقوش، وعادة ما كانت تصويراً له ولعائلته، والوحيد الذى يظهر بهذا الجسد الشاذ وسط بقية البشر الذين تم تصويرهم معه، هو إخناتون وحده، **فقط أبنائه أخذن استطالة الرأس البالغة والرقاب النحيلة.**

وبين مقابر تل العمارنة المهداة للنبلاء، عثر على مقبرة أعدت لرجل يدعى (بارنفر) من أصل غيـــر نبيـــل، وكما تظهر لوحاتها فقد أغدق الملك على هذا الرجل امتنان عظيم، وقد عقب المصرولوجى الألمـــانى علـــى ذلك بقوله:

> يبدو أن الأفضال قد اغدقت عليه لوجود علاقة قديمـــة بينه وبين الملك، فقد **قام هذا الرجل بأداء خدمة للمـــك عندما كان هذا الملك طفلا**، ويتضح جليا أن هذا الرجل كان خادما بسيطا، **وقد رفع هذا الرجل الذى كان خادما بسيطاً**، وقد رفع هذا الخادم ذو الأيدى النظيفـــة إلـــى

مصاف أعرق النبلاء فى بلدة العمارنة [٥] .

وربما كانت هذه الإشارة الوحيدة لطفولة إخناتون، لكنها الإشارة التى تذكرنا بالخادم المخلص الذى حمل الأمير الطفل إلى الموت فى أرض مهجورة فى أسطورة أوديب، لكنه لم ينفذ الأوامر بدقة، فأعطاه لراع وزوجته يرعياه.

وقد حمل (آى) – أقوى رجال الدولة نفوذاً – ألقابا عدة، رغم أنه لم يكن من أصل ملكى، ومن هذه الألقاب التى حملها وهو فى خدمة إخناتون فى بلدته أخت آتون: أبو الإله أو الأب المقدس كما أن زوجته تاى قد حصلت على لقب المربية العظيمة للملكة، **وآى فى رأى فليكوفسكى هو النموذج المصرى الأصلى لشخصية كريون اليونانى**، فقد تمتع كريون بعد موت لايوس بمركز مرموق، وكان هو الذى وهب أخته الملكة يوكاستا إلى أوديب، وهو ما يشير إلى مكانة رفيعة فى البلاط. لكنه كان هو نفسه من أجبر أوديب على التخلى عن العرش، وهو نفسه من حكم البلاد بعد موت وَلَدَىْ أوديب. وهذا ما يجعلنا نستنتج فى الصورة المصرية أن آى كان أخا للملكة تى، وقد برهن كيرل الدريد على أن آى كان ابن يويا وتويا وشقيقا للملكة تى، وكان والداً للملكة نفرتيتى، باعتباره قد حمل لقب أبو الإله أى أبو الفرعون الذى يعنى حمو الملك " [٦] .

ومن داخل مقبرة(حويا)[٧] يبدأ فليكوفسكى فى اكتشاف المأساة التى استغرقت زمنا من حياة الأسرة الملكية، حيث تختلف رسوم تلك المقبرة التى بنيت فى العام الثانى عشر من حكم إخناتون عن مثيلاتها فى مقابر أخرى. فالنحوت هنا تصور الملكة الأم تى وقد رسمت بصورة متكررة وهى تؤدى دور المسيطر الفعلى، وعند ذكر مهام حويا وألقابه نجد بينها دائما: " المشرف على حريم تى أم الملك والزوجة الملكية العظمى ".

والغريب هنا أن تحتفظ تى بحريم لزوجها آمنحتب الثالث، بعد موت هذا الزوج باثنتى عشر عاما (!) ولماذا يمنحه إخناتون لقب المشرف على حريم تى والملكة أرملة (؟) أم أن هذا الحريم كان حريم إخناتون نفسه؟ لأن مركز هذا الحريم كان مع تى فى تل العمارنة والتى مات زوجها آمنحتب الثالث قبل أن تُبنى، ولابد أن إخناتون هو من ألف لها هذا الحريم، وفى نقش بمقبرة حويا نقرأ وصفا للملكة تى ومديحا يقول:

المديح والثناء **لزوجك** ياسيدة الأرضين، يامن جعلت
الأرضين **تتألق بجمالك**، أيتها الأم الملكية والملكة
العظمى تى، ولتحل عليها البركة بالسرور والبهجة كل

---

(٥) Frankfort and pendlebury, The City of Akhnaten, part II, ١٩٣٣, p٤٤.

(٦) Aldred. C, the end of El Amarna Period, Journal of Egyptian Archaeology {J.E.A}, ١٩٥٧, p ٣٠ - ٤١ .

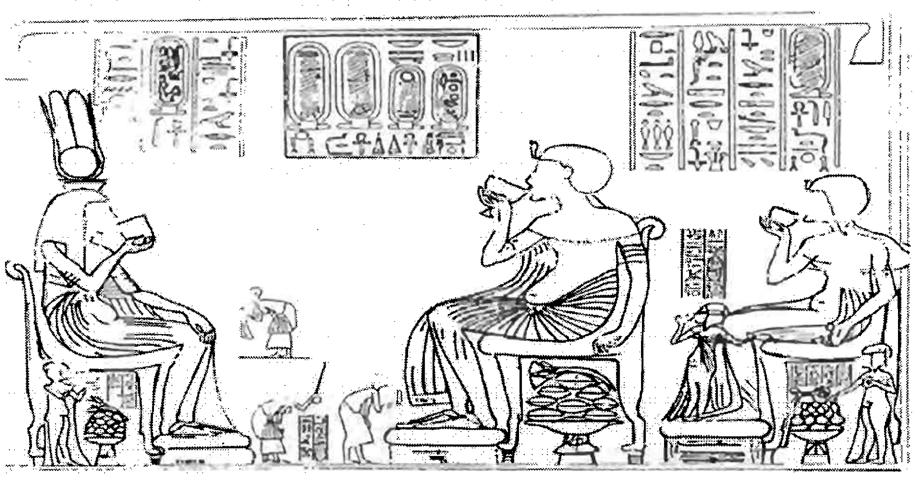
(٧) حويا وربما (حوى) المشرف العام للملكة تى بعد حضورها لمدينة اخت آتون في السنة الثانية عشر من حكم إخناتون ولم تستخدم مقبرته للدفن.

يوم

وهناك رسمان بالمقبرة يصوران وليمة بالقصر، وفى كليهما يجلس إخناتون مواجها للملكة تى بينما تجلس نفرتيتى خلفه، وتجلس أميرتان صغيرتان بجوار نفرتيتى، على حين تجلس أميرة صغيرة هى بكتاتن صغرى بنات إخناتون، بجوار الملكة تى.

وكانت كبرى بنات الملك هى مريت آتن التى تزوجت سمنخ كارع، لكن فى لوحة الوليمة كانت لم تبلغ من العمر أكثر من السابعة، أما شقيقتها التى تظهر إلى جوارها فى اللوحة فقد ماتت صغيرة.

وتظهر ابنتان أخريتان فى لوحات أخرى منهما (عنخ . إس . إن . با . آتن) التى تزوجت فيما بعد توت عنخ آمون، وعداها لا نعرف أسماء. لكن بكتاتن تحديداً لم ترسم إلا فى مقبرة حويا فى لوحة الوليمة ورسوم أخرى، وهو ما أدى إلى استنتاج أنها كانت صغرى بنات إخناتون. وقد عقب فلندر بترى على ذلك بقوله: " عادة ما كان ترتيب الأميرة بكتاتن هو السابعة وأصغر بنات إخناتون، ومع ذلك فهى تظهر فى مقبرة بنيت فى عامه الثانى عشر، أى بعد ميلاد الابنة الثانية بست سنوات، وقد حل بترى المشكلة باستنتاجه أن (بكتاتن) لم تكن صغرى بنات نفرتيتى بل ابنة تى فهى ترتبط بها دائماً وتجلس بجوارها



الحلوى والمشروبات المنعشة بعد تناول الطعام (من جمعية الاستكشافات الأثرية المصرية)
شكل رقم (٩٨)

وهى الوحيدة التى تتبع تى فى موكب دينى لا يظهر فيه أطفال آخرون، وهى الوحيدة التى أطلق عليها **ابنة الملك**، بينما كان يطلق على الأميرات الأخريات: **بنات نفرتيتى** " [٨] .

هذا بينما استنتج آخرون أن بكتاتن أصغر بنات نفرتيتى لأن أول ظهور لها فى اللوحات كان فى العام الثانى عشر من حكم إخناتون، وجسمها أصغر من جسم انخستياتن الإبنة الثالثة للزوجين الملكيين، **والمقطع (آتن) فى اسمها هو اسم الإله آتن الداخل فى تركيب أسماء شقيقاتها**، لكن دى جاريس ديفيز اتفق

(٨) Flinders petrie, A History of Egypt ٧ thed, ١٩٢٤, II, ٢٠٩.

مع بترى على أن بكتاتن لم تكن بنت نفرتيتى بل ابنة تى وزوجها الراحل آمنحتب الثالث، لكن وجه المشكلة هنا أن بكتاتن كانت طفلة لا تتجاوز الأربع سنوات فى العام الثانى عشر لحكم إخناتون، وكان آمنحتب الثالث قد مات منذ اثنتى عشر عاما، والمشكلة الثانية: كيف حملت اسم آتن فى اسمها قبل ظهور ذلك الإله فى الأسماء فى عهد إخناتون، بعد أن غير الملك اسمه من آمنحتب إلى إخناتون وكذلك بقية أفراد أسرته وفى لوحات الوليمة توصف (تى) بأنها:

الأميرة الوريثة، كريمة فى هباتها، **سيدة الرشاقة خلابة برقة حبها، تملأ جوانب القصر بجمالها**، سيدة الشمال والجنوب، **زوجة الملك العظمى التى يحبها ويقدسها**، سيدة الأرضين تى.

وبجوار بكتاتن كتب:

بكتاتن **إبنة الملك من جسده**، المحببة من نفسه.

لهذا جميعه رأى ديفيز أن اللوحة اليمنى بالمقبرة لا تصور إخناتون بل أباه آمنحتب الثالث، أما اليسرى بالمقبرة فتصور إخناتون وزوجته وأطفاله، وكانت اللوحتان وراء بزوغ فكرة تقول : إن الملك آمنحتب الثالث وولده قد قضيا فترة حكم مشترك وأن اللوحتان صدى لفترة الحكم المشترك تلك، وهو ما أصر على إثباته سيرل آلدريد، لكن يبقى الإعتراض. أنه إذا كان إخناتون قد شارك والده الحكم، فهو ما يتناقض مع جهل إخناتون بشئون الدولة، وأن يأتيه نصح ملك أجنبى يحدثه عن العلاقات بين الدولتين إبان حياة أبيه، ولاننسى محو إخناتون لاسم أبيه مما يستبعد فرض الحكم المشترك، إضافة إلى أن بكتاتن تظهر كأصغر البنات فى السنة الثانية عشرة لحكم إخناتون، وبفرض صدق مسألة المشاركة فى الحكم، فإن آمنحتب الثالث ما كان بإمكانه أن يرزق بطفلة بعد وفاته بحوالى ست سنوات.

كما أن اللوحة اليمنى بالمقبرة التى يفترض أنها لآمنحتب الثالث وزوجته تى والطفلة بكتاتن تحمل سمات تؤكد أنها كانت لإخناتون وأمه تى وطفلته بكتاتن، فقد رسم تحت أشعة آتون التى ابتدعها إخناتون، **كذلك التكوين الجسدى هو تكوين إخناتون لا أبيه.**

وفى نقوش اللوحة اليمنى يترجم ماسبيرو :

الأميرة الوريثة، أكثر من يناله المديح، **سيدة رشيقة، عذبة فى حبها، تلك التى تملأ جوانب القصر بجمالها**، الحاكمة، سيدة الشمال والجنوب، **زوجة الملك العظمى التى تحبه**، سيدة الأرضين تى.

وقد عبر (ماسبيرو) عن دهشته للتغزل فى الملكة تى بمثل هذه الأوصاف فقال: " كما لو كان زوجها لايزال على قيد الحياة " [٩] .

وهنا يقول فليكوفسكى: إنه لا مفر لحل اللغز من الانتهاء إلى أن الملك الذى أنجب بكتاتن ابنة الملك من جسده، هو إخناتون نفسه. وعلى الحائط الشرقى بذات المقبرة لوحة لإخناتون يقود (تـــى) إلـــى المعبـــد تتبعهما بكتاتن، مع كتابه تقول: " يقود الملكة العظمى والأم الملكية تى لترى ظلها فى الشمس " .. ويرتـــدى إخناتون ثوبا شفافا يسمح برؤية تفاصيله الداخلية، أما تى فتكاد تكون عارية، وإخناتون يمسك بيدها **كما لـــو كانا عاشقين**، ويقول أوديب عن يوكاستا " أمى التى هى زوجتى "، وعن أنتيجونى " إبنتى التى هى أختى ".

المضاجعة المحرمة

معلوم الآ ن أن العرش المصرى فى الأسرة الثامنة عشر لا يرثه الابن نظريـــا أو مجازيا، بل ترثه الإبنة، أما الإبن فبزواجه من الوريثة، أخته الشقيقة أو غير الشقيقة، يصبح مؤهلا لتولى العرش. وفى اللغـــة المصرية القديمة غالبا ما كانت كلمة أخت تستخدم بدلا من كلمة زوجة، وحتى اليوم تنادى المصرية زوجها بأخى، وكذلك فى بقية بقاع الشرق الأوسط القديم. ومع ذلك كانت العلاقة الجنسية بـــين الأم والابـــن أمـــراً بغيضا فى مصر والعالم القديم والمجتمع البدائى والحديث على السواء، ومثل هذه العلاقات رغم بغضها كانت تحدث، ومنها ما سجلها لنا التاريخ لشهرة أصحابها مثل (نيرون) وأمه (أجريبا) التى أقرّها الإمبراطور نفسه وأكدها (سويتو نيوس)، وهى الحالة التى تشبـــه حالة إخناتون وأمه تى من وجهة نظر فليكوفسكى، فقد كـــان يعرف أنها أمه وتعرف أنه ولدها، وأن العلاقة كانت علنية، فجعل أمه شريكته على العرش والفراش وأنجب منها بكتاتن، وربما بدأت العلاقة سرية ثم انقشعت تلك السرية بسرعة.

ومن تلك الفترة يأتينا خطابا من ملك (كاردونياش / بابل) المعروف باسم (بارنابورياش)، تجرأ فيه على الفرعون كما لو كان يخاطب شخصا أدنى منه ويقول:

> لقد أرسلت عشرين خاتما فقط من حجر اللازاورد إلى
> **سيدة قصرك**، لأنها لم تنفذ مطلبا من مطالبى، ولم ترفع
> معنوياتى عندما كنت حزينا.

وكانت تى هى المذكورة بالخطاب وليس نفرتيتى، وعبارة سيدة قصرك تفصح عن إزدراء واضـــح نتج عن الأخبار التى وصلت الأقطار الأجنبية.

وكانت هناك صلات عائلية بين البلاط المصرى والبلاط الميتانى، وهو ما أفصـــحت عنـــه رســـائل العمارنة، فأم آمنحتب الثالث (موت أم ويا) زوجة تحتمس الرابع كانت أميرة ميتانية. وفى العام العاشر مـــن حكم آمنحتب الثالث جاءت إلى طيبة أميرة ميتانية تدعى (يلوهيبا) بصحبة حاشية كبيرة ودوطة كبيرة لتصبح

(٩) Maspero. G, In the odore Davies. M. The Tombo of Queen Tiyi, ١٩١٠, PXX.

زوجة ثانوية للفرعون، ويذهب بعض المؤرخين إلى أن أحد والدى تى كان ميتانيا. وقبل نهاية حكم آمنحتب الثالث أرسل له ملك الميتانيين أميرة أخرى تسمى (تادوهيبا) لكنها وصلت بعد موته فانضمت لحريم ولده إخناتون. وهى العلاقات التى ترجح أن غياب إخناتون منذ ميلاده حتى توليه العرش، كان عند أخواله الميتانيين، استجابة لتحذير النبوءة المفجعة.

وهنا يقول هاستنج :

> **نحن لا نعرف بصورة إيجابية موقع مملكة الميتانيين**، ولكن فى ضوء الاتصال الوثيق بين عائلات الميتانيين والمصريين المالكة، يحدد المؤرخون عادة موطن الميتانيين فى شمال سورية. وهى الأراضى المتاخمة لبلدة قرقميش التى على نهر الفرات، وعلى الرغم من أن هذا الإقليم كما **نعلم علم اليقين كان ضمن مملكة آشور**، فإن شعوب الأراميين والحوريين والحيثيين، كانت تحتل مساحة واسعة من هذه المنطقة الآهلة، وهناك ما يدفعنا إلى الاعتقاد بأن **هذا التحديد الجغرافى خاطئ**، وأن الميتانيين كانوا يقطنون شمالى العراق، إذ يصف هيرودت فى القرن الخامس قبل الميلاد شعب الماتينى قائلا: **إن هذه المستعمرة الفارسية كانت بالقرب من جبل أرارات. وإذا كان الموقع الجغرافى لشعب الميتانيين موضع جدل وخلاف**، فإن معتقدات هذا الشعب معروفة لدينا بصورة مؤكدة، إذا كان ملوك هذا الشعب يصلون ويقسمون بأسماء ميترا وفارونا وأندرا وآلهة هندو إيرانية أخرى .. والإيرانيون الفرس كانت لهم نظرة تجاه العلاقات الجنسية المحرمة، تختلف تماما عن نظرة شعوب العالم القديم الأخرى، فقد اعتنقوا مذهبا دينيا أخلاقيا وزاولوه، يسمى كسفتوكداس أو كسفاينفاداثا .. يعنى **زواج الآباء بأولادهم والإخوة بأخواتهم فى الرحم**، .. ومن الواضح أن من زاول هذه العلاقات الجنسية لم يكن العائلة المالكة فقط، بل كل الفرس بمختلف درجاتهم ومراتبهم (١٠).

---

(١٠) Article, Marrige Iranian, on Vol VIII of Encyclopaedia of Religion and Ethics, ed. J. Hastings



هذا مابقى من أحد معابد البتراء فى بلاد آدوم المديانية، يحمل اسماً له دلالة لدينا تؤكد علاقة هذه البلاد بما كان يدور من أحداث فى مصر حول نبوءة أبى الهول التى استبعدت الطفل الملكى إلى بلاد مديان، وكان أبو الهول فى قصة أوديب مجنحاً.
إن اسم هذا المعبد هو (معبد أبى الهول المجنح) وهناك تم العثور على تمثال هذا المجنح ـ شكل رقم (١٠٠)

ويذكر لنا فليكوفسكى أمثلة منها خبر كوينتوس رفيوس عن سيسمثريس حاكم بكتريا الذى تزوج أمه، وقد ذكر كل من ديوجنيس اللائرتى وسترابون وبلوتارخ علاقات زواج الأم والابنة والأخت بكل اشمئزاز، كذلك تحدث عن هذه العلاقات التعبدية التى ترقى بممارسها إلى مراتب عليا فى القرب من الآلهة كليمنت السكندرى والقديس هيرونوموس والقديس جيرونوم، وقد كتب فيلون السكندرى يقول: إن الأطفال الذين يولدون من زواج الأم بالابن عند هؤلاء يعدون أكثر الأطفال شرعية، وقال كاتوللوس **أن كاهن مازداً الذى يلقب بالماجوسى لابد أن يكون ثمرة مضاجعة الابن لأمه.**

ويجمع فليكوفسكى من المقدس المجوسى ويكتبه أيضا الهاجوسى ما ورثه عن عقائد إيران القديمة ما نصه:

> أن مراعاة هذه العادة تعتبر أجل علامات التقوى فى أيام الشر المقبلة، فهى تعوض الخطيئة الدنيوية، وتقيم الحاجز الوحيد الذى لايمكن تخطيه أمام هجمات **آشوم** إله الغضب (تكتب آدوم / المؤلف)، كما تقف فى وجه الشياطين وتسلبهم قوتهم، وهى الواجب الثانى من واجبات الدين السبعة، واهمالها هو الخطيئة الرابعة من الخطايا الثلاثين الكريهة، وهى الوسيلة التاسعة من الوسائل الثلاث والثلاثين لاكتساب مملكة السماء، بل وحتى يقال أن زرادشت أوصى بها على انها الوصية الثامنة من وصاياه العشر للإنسان.

وهل الهاجوس شيئاً آخر سوى الساجوسى أو السجاز قاطع الرقاب؟ خاصة إذا علمنا أن الهاء كانت أداة التعريف فى السامية الشمالية. أن الهاجوس بهذا المعنى هم الأراميين الاسكيث.

ويحتوى كتاب (دنكارت) مناظرة تمت بين زراد شتى وبين يهودى حـــول هـــذه العـــادة، فكـــان رد الزرادشتى: " إن هذا الرباط بين الأب والإبنة والإبن وأمه والأخ وأخته، لهو أكثر الزيجـــات اكتمـــالا فـــى اعتبارى (١١) .

وكان ملوك الميتانيين، الذين يأخذون بهذه العادة، والتى أخذها من بعد الزرادشتيون، علـــى صـــلات وثيقة بالملكة تى وآمنحتب الثالث وإخناتون، وكانت بينهما علاقات نسب ومصاهرة، والاحتمـــال القـــوى أن إخناتون عندما استبعد صغيراً، قد ربى فى البلاط الميتانى، **وهو ما يمكن أن يفسر رباط الزوجية بين الملكة تى وولدها إخناتون.**

وقد لاحظ المصرولوجى والاس بدج أن أناشيد إخناتون تطابق أناشيد الفيدا، وأن أذرع آتـــون التـــى تمتد بعلامة الحياة، هى ذات أيدى إله الشمس الفيدى (سوريا) (١٢).

كذلك هـــ. ر. هول الذى أكد أنه **بين الميتانيين كان هناك فرع هندو إيرانـــى يعبـــد الأشـــعة ذات الأيدى**، أما إخناتون فلم يجعل علاقته بأمه سرا، إذ تفاخر بأنه " ذلك الذى يعيش فى الحقيقة "، وهـــو الأمـــر الذى أدى إلى سخط وثورة فى الأفق على وشك الفوران.

فضيحة فى القصر

من المتفق عليه أن الملكة (تى) قد تخلفت فى طيبة بضعة سنوات، قبل أن تلحق بولدها فـــى مدينتـــه الجديدة (أخت آتون)، إلا أن آثار المدينة تؤكد أن مأساة حياة إخناتون العائلية قد اكتملت حلقاتها فـــى العـــام الثانى عشر من حكمه، لقد أصبح له أسرتان، سجلت التفاصيل بشأنهما فـــى نقـــوش الوليمـــة والشـــراعة، وبموجبها طالبت الأم الملكية التى أصبحت زوجة ملكية بمركز رسمى ومكانة ممتازة لها ولابنتها (بكتـــاتن)، **وكان على إحدى الزوجتين أن تترك مكانها للأخرى، وبعد ذلك، ولمدة خمس سنوات يختفى ذكـــر نفرتيتى**، حتى يقول آرثر ويجال فى كتابه The Life and times of Akhnaten : " لا يكشف لنا التاريخ ما آل إليه مصير نفرتيتى، ويبدو أن نهايتها كانت محزنة تماما ".

وعلى لوحة الشراعة، فوق لوحة الوليمة، نطالع موكب نصر يصور تى ذاهبة مع إخنـــاتون وابنتهـــا بكتاتن إلى معبد أخت آتون، حيث أعدت ثلاثة مذابح لهم، واحد للملك وثان للملكة تى وثالث لبكتاتن، **ولاشئ من أجل نفرتيتى وأطفالها**، وهو تقرير واضح عما حققته تى من نصر، فقد اعترف بها ابنها زوجة شـــرعية له، وبالطفلة إبنة ملكية منه.

---

(١١) Dinkart, III, ١٩٥, E.W.Wesk, pp ٣٩٩, ff

(١٢) Budge. E.A.W., Tut ankh amen, Amenism, Atenism and Egyptian monotheism, ١٩٢٣.

ويقول (إريك بيت) فى كتابه Akhnaten, Ty, Nefertete, and Mutneymet : إنه " بعد مرور العام الثانى عشر بفترة قصيرة، سقطت على رأس إخناتون أقوى الضربات وأقساها، **فقد هجرته زوجته نفرتيتى**، هذا إذا لم نكن قد أخطأنا فى تفسير الشواهد "، هذا بينما نجد **(جلانفيل)** فى كتابه Amenophis III and his Succerors, in the XVIII Dynasty يقول: " وأما عن اختفاء نفرتيتى فمن المتفق عليه عامة أنه كان نتيجة **لإلحاق الخزى والعار بها** بعد العام الثانى عشر بقليل " حيث أزيل اسمها من على النقوش فى بعض المبانى التذكارية، على حين ترك اسم إخناتون المنقوش عليها دون مساس. أما (فرانكفورت) فقد اعتقد أن التغيرات الكبرى التى حدثت فى العام الثانى عشر من حكم إخناتون فى تل العمارنة، **كان نتيجة لوصول الملكة تى** إلى مدينة الملك، وما ناله شخصها من تقدير فائق الاحترام، **وأن ذلك كان له علاقة أكيدة باختفاء نفرتيتى**، هذا بينما اعتقد (ج دس بندليبرى) أن نفرتيتى قد رحلت بعيداً عن إخناتون وقصره الملكى، لكى تستقر فى شمال أطراف مدينة الملك.

ويؤكد لنا فليكوفسكى أن كل الدلائل تشير إلى صراع حزبين فى البلاط أخذا فى الصراع على السلطة، الحزب الأول هو حزب إخناتون وتى والحزب الثانى هو حزب نفرتيتى وانضم إليها آى لأنها ابنته حسبما يرى فليكوفسكى. وتزعم هو الصراع ضد أخته وزوج ابنته، وفى إحدى روايات أسطورة أوديب **يطرد أوديب زوجته الشابة أوريكانيا بعد أن ألحق بها العار** وهى أم لأربعة أطفال.

المهم يستمر إخناتون يتربع على العرش طوال أربعة سنوات أو خمس سنوات بعد هجران نفرتيتى له أو إلحاق العار بها، وإبان ذلك يتسع نفوذ آى فقد كان هو وزير خزانة الدولة، ومن المتفق عليه أن تى قد اختفت من الوجود بعد فترة قصيرة، وأن نهايتها غامضة تماما إذ لم تدفن بوصفها ملكة عظمى لإمبراطورية عظيمة.

أما مصير نفرتيتى فيمكن قراءته مع (بند لبرى) فى كتابه تل العمارنة حيث يقول: " لم نعثر فى المقبرة الملكية على أدوات تؤكد انها من مدفن نفرتيتى، وما نمتلكه دليل وحيد، هو أنه فى العقد الثامن من القرن الماضى، شوهد مجموعة رجال يسيرون جنوبى الصحراء ومعهم كفن ذهبى، وخلفهم بمسافة قصيرة ظهرت أدوات ذهبية تحمل اسم نفرتيتى " (١٣).

وهنا يفترض فليكوفسكى أن ما تخلف عن نفرتيتى ليس مومياء بل تماثيلها المنحوتة.

وفى السنوات الأخيرة لحكم إخناتون نجده يحتضن الأمير سمنخ كا رع الذى يظهر كشاب فى الحلقة الثانية من العمر، وأشركه معه فى الحكم حوالى عام، وقد عثر على تمثال لإخناتون وهو يقبل سمنخ كا رع الجالس على ركبتيه ويقول (جلانفيل) بهذا الخصوص: " لقد ثبت نهائيا وجود حكم مشترك بين إخناتون

---

(١٣) Pendlebury, Tell el Amarna, pp. ١٦٩-١٧٠.

وسمنخ كا رع، ولكن تكمن فى تلك اللوحة لمحات لعلاقة أخرى أكثر وثوقا، فهناك لوحة فى متحف برلين كان من المعتقد إلى وقت قريب أنها تمثل إخناتون ونفرتيتى، ولكن وضح أنها دلالة على تعبير الملك عن شعوره تجاه شريكه فى الحكم الصغير السن ".

ويقول فليكوفسكى أن علم التشريح قد أثبتت بعد فحص مومياء سمنخ كا رع وتوت عنخ آمون، أنهما أبناء إخناتون، وهذه الحقيقة تفسر العواطف الأبوية فى اللوحات من إخناتون تجاه سمنخ كا رع، لكن لأنه ملك يعيش فى الحقيقة يصعب تحديد ما يظهره علانية من مشاعر، وهل كانت تلك المشاعر شعوراً أبويا تقليديا أم تعبيراً عن رغبات محرمة.

ويتابع فليكوفسكي موضحاً أن سمنخ كا رع الابن الأكبر كان شابا أنيقاً، تزوج مريتاتن كبرى بنات نفرتيتى وهو فى سن صغيرة، ولما كان سمنخ كا رع قد تزوج الوريثة الشرعية فقد أصبح من حقه وراثة العرش. أما الإبنة الثانية مكتاتن فقد ماتت صغيرة، ودفنت فى مقبرة أخت آتون الملكية، والإبنة الثالثة عنخ إس إن با آتون تزوجت أخاها توت عنخ آمون، لكن لم يتم هذا الزواج إلا بعد أن قام أبوها إخناتون بزيارتها فى غرفة زفافها، وكانت ثمرة هذه الزيارة فتاة ماتت بعد ولادتها مباشرة، وقد أوقف هذا الاكتشاف عن إخناتون سيل المديح الذى تدفق عليه اعتباره الموحد الأول.

وقبل زمن إخناتون بجيل واحد تزوج والده آمنحتب الثالث إحدى بناته عرضا، وقد حذا إخناتون حذوه، وربما كان تأثير عادات الميتانيين فى العلاقات الزوجية، هو المسئول عن هذه النزعات المتحررة، التى لم يعرفها المصريون فى الأجيال السابقة قبل علاقات البلاط المصرى الحميمة بالميتانيين. كذلك نزعة العرى فى رسوم نفرتيتى وبناتها، والتى تكشف دوما عن الفرج، كما لو كان مقصوداً عن عمد، ربما تقديسا للفرج رمز الخصب، وعادة ما اشتملت عقائد عبادة الفرج على طقوس جنسية غير مألوفة، كزواج الابن من أمه أو الأب من بنته فيما يُعرف بالطقس السرى، ويطلق على العقائد التى تمارس ذلك عموماً " الديانات السرية ".

وقد يكون اتصال إخناتون جنسيا بابنته، هو أصل الأسطورة اليونانية القديمة التى تقول أن أوديب تزوج أيضاً عذراء تسمى استيمدوسا بالإضافة إلى يوكاستا أمه وزوجته، إضافة إلى زوجته الشابة أوريكانيا التى رزق منها أطفالا عديدين ثم أبعدها بعد أن ألحق بها العار، لذا يقف دارسو الأساطير مشدوهين أمام كل هذا التشابك والتعقيد الذى بلا معنى واضح فى أسطورة أوديب.

وبمرور الوقت أخذت الإمبراطورية العظمى تترنح زمن إخناتون، وقد أرسل أحد الولاة من فلسطين إلى فرعون يقول: " إصغ إلىّ .. لماذا ركنت إلى الانعزال على حين أنهم يأخذون أرضك؟ **لاتدع مثل هذه الأقاويل تقال عنك فى المستقبل**، وهى أنك لم تكن قادراً على إنقاذ ممتلكاتك "

وضاعت الأقاليم الآسيوية، التى أخضعتها حملات أسلاف إخناتون العظام، وبدأت تظهر دلالات أخرى تكشف عن تفكك الدولة، فُسرت على أنها غضب من الآلهة، وهو ما جعل النبلاء والكهنة وضباط الجيش فى حالة استفزاز ضد الفرعون، لأن ضياع الإمبراطورية كان يعنى جفاف الدخل الذى ملأ مصر ذهباً

وكنوزاً، ولابد أن الكهنة قد أشاعوا بين العامة والنبلاء أن هناك خطيئة قد حدثت تستوجب القصاص قبل دمار البلاد، وربما على ذلك تم تفسير انتشار كارثة من نوع ما **ربما كانت مرضا وبائيا.**

وتحكى لنا أسطورة أوديب **عن طاعون أو مجاعة أو كارثة ما غير محددة** بالضبط حلت بالمملكة، ولذا قرروا سؤال النبوءة عن سبب غضب الآلهة حتى يعالجوا الأمر. وبالمثل فى آخر حكم إخناتون حلت بالأرض كارثة يصفها (توت عنخ آمون) وريث(إخناتون) الملكى بقوله: " **لقد كانت الأرض مريضة** وأدارت الآلهة ظهرها لهذه الأرض ". ويبدو أن آى كان الزعيم وراء تحريك النقمة على بلاط إخناتون. وهو المقابل المصرى لشخصية كرايون فى أسطورة أوديب، فقد تزعم كرايون شقيق الملكة يوكاستا الثورة ضد الملك، طمعا فى الاستيلاء على الملك، وهو ما حدث فى مصر، إذ تحالف آى مع كهنة آمون، وأصبح بالفعل فى النهاية ملكاً، وعمل على دعم آمون وكهنته، وترك مدفنه فى أخت آتون قبل أن يكتمل، ذلك المدفن الذى يزين جدرانه نشيد آتون البديع، لكن صاحب المدفن قرر تركه لينضم إلى جانب آمون.

نهاية الملك الأعمى

لعزل ملك مصر فى زمن كان يحاط بقدسية الآلهة، كان لابد أن يستعين المصريون بشتى القوى السماوية والأرضية، أما فى طيبة اليونانية التى فى إقليم بيوتيا، فقد ساهم العراف الأعمى (تيرياس) فى إسقاط الملك، **فقد كان له دور أساسى،** فى قصة أوديب، وقد قدمته الأسطورة بحسبانه الحكيم والعراف المقدس الذى يعرف الماضى والمستقبل، وعاش زمن الملك لايوس ثم عاش فى بلاط ولده أوديب كهلا، ثم فارق الحياة فى الجيل الذى جاء بعده وهو جيل حرب طروادة.

وعندما حل وباء الطاعون بمدينة طيبة اليونانية، طلب أوديب من العراف الأعمى أن يكشف عن السبب فى غضب الآلهة، وكان العراف (تيرياس) يعرف الحقيقة، فالسبب أن فى المدينة رجل قتل أبيه وتزوج أمه. وفى البداية رفض (تيرياس) الكشف عما يعلم. لكن أوديب اتهمه بالتآمر بالتضامن مع كرايون، فاضطر للكشف عن بعض ما يعلم، وإبان صراع ورثة أوديب على العرش، أدان تيرياس كرايون لرفضه دفن الأمير المقتول، وقد لجأ أهل طيبة أيضاً إلى نبوءة معبد دلفى لتكشف لهم عن سبب الكارثة، وفى طيبة المصرية نجد العراف المقابل لتيرياس هو (**آمنحتب بن حابو) الذى عاش زمن آمنحتب الثالث وزمن ولده إخناتون،** وقد قدسه الناس من بعد موته إلى حد عبادته، ولم يحدث فى تاريخ مصر أن أله المصريون شخصا لا ينتمى لأصل ملكى، سوى هذا العراف (آمنحتب بن حابو)، وسميه الأسبق المهندس (إيمحتب).

وقد كان تيرياس عليما بظروف ميلاد أوديب والتخلص منه طفلا، وبين الجمل الغامضة التى تركها لنا (آمنحتب بن حابو) فى مذكراته، وصف يصف فيه نفسه بأنه " عالم وثيق **بأسرار تربية الأطفال الملكيين** " (١٤).

(١٤) Graves. R, The Greek Myths, ١٩٥٥, II, ii, Apollodorus, III, ٧١ - ٧٢.

وبين اللوحات التى تصور العراف المصرى، لوحة تصوره وهو صغير السن ذو شعر طويل مصفف مثل نساء عصره (أنظر الشكل ٧٦). وهى صورة شديدة الغرابة، لكنها تفسر لنا حدثا جاء بالأسطورة اليونانية، حيث تقول الأسطورة فجأة ودون علاقة ببقية الأحداث التى ترويها، أن تيرياس قتل مرة حية، فتحول إلى امرأة لفترة من الوقت عقابا له، وعندما أصبح رجلا مرة أخرى، واشتبك الإله زيوس مع الإلهة هيرا فى نقاش حول أى منهما أشد تمتعاً بالاتصال الجنسى الذكر أم الأنثى؟ لجأ المتحاوران الإلهيان إلى تيرياس بوصفه صاحب الخبرتين، فأجاب: إن المرأة أشد استمتاعا، فغضبت (هيرا) وأعمته عقابا له، لكن زيوس كافأه بأن قرر منحه عمرا مديداً حتى يرى الجبل السابع من أحفاده، ثم أسبغ عليه نعمة القداسة. أما فى مصر فقد أصبح آمنحتب بن حابو راعيا للعميان لأنه كان أعمى. وقد عاش طويلا حتى أنه فى العام الرابع والثلاثين من عمر الملك آمنحتب الثالث، بلغ من عمره الثمانين، ولكى يعيش هذا العراف حتى نهاية حكم إخناتون، فلابد أنه قد أتم من عمره قرنا من الزمان أو يزيد.

وفى وسط معابد ملوك طيبة الفراعنة، أقيم لهذا العراف معبداً جنازياً، وقد تم العثور على صندوق تابوته بوادى الملوك، وكليهما المعبد والمقبرة كانتا من ميزات الملوك، لكن الملاحظ أنه لم تبن له مقبرة فى تل العمارنة، مما يشير إلى أنه لم يغادر طيبة مع إخناتون، ويبدو أنه انحاز إلى جانب آى وكهنة طيبة ضد إخناتون، كما انحاز تيرياس إلى جانب كرايون فى مسرحية سوفكليس (أوديب ملكا).

وفى مصر نجد عقاب السماء واضحاً فى وصف توت عنخ آمون لزمن إخناتون فى قوله: " عندما كنا نرسل الجنود إلى سواحل فينيقيا كانت الحملات تفشل بسبب غضب الآلهة ". وفى قوله " لقد أدارت الآلهة ظهرها لهذه الأرض "، ويطابق ذلك عبارة لتيرياس حول رفض الآلهة للقرابين بسبب جريمة شنيعة قد حدثت " أن الآلهة قد باتت لا تقبل الصلوات والقرابين من أيدينا "، وهو ما جاء فى مسرحية (أنتيجونى). وفى مصر انضم الأمير الأكبر سمنخ كا رع إلى آى وكهنة طيبة، وسافر إلى طيبة بالفعل إبان حكم والده إخناتون، وبعد فترة نجده يتربع على العرش بعد اختفاء إخناتون، والمعلوم أن إخناتون قد اختفى، وهناك احتمال كبير أنه قد تم عزله ثم نفيه أو تحديد إقامته فى منطقة نائية، بدون ثورة أو انقلاب.

وعند الكشف عن مدينة أخت آتون فى تل العمارنة، كان يعيش هناك جماعات بدوية قبلية تحمل اسم (العمارنة)، تم استئجارهم للعمل فى الحفائر، كان هؤلاء يحكون للمصرولوجيين المشرفين على الحفائر، عن أمير من أسلافهم كان مدفونا هنا، كان حظه تعيسا، وأن أباه أراد إنقاذه من مصير تنبأ به القدر عند ولادته.

وطبقا لرواية (يوربيدس) عن الأسطورة، أنه بعد عزل أوديب عن العرش، عاش أعمى فى سجن بقصر منعزل، أما وفقا لرواية (سوفكليس) فقد اقتلع أوديب عينيه بعدما عرف الحقيقة، وعاش أعمى فى قصره لبعض الوقت حتى نفاه أبناؤه من طيبة، أثناء حكم ولده الأكبر، ومن **ثم تتفق الروايات على عمى الملك.**

وهنا يعتمد فليكوفسكى على ما ورد عند (هيرودت) فى تاريخه عن مصر، أنه كان بين الفراعنة ملك أعمى جلس على العرش يدعى (أنيسيس)، عاش فى مدينة تحمل نفس اسمه، وقد تعرضت البلاد إبان حكمه لهجوم أثيوبى فهرب إلى المستنقعات، لكنه استدعى بعد خمسين عاما من منفاه ليتربع على العرش مرة أخرى، بعد طرد الغزاة، وفى مقبرة (توت عنخ آمون) نراه مرسوما وهو يحارب الآثيوبيين، ومن ثم نجد أن قيام حرب ضد الآثيوبيين أيام خلفاء إخناتون حقيقة تاريخية، كما نذكر أن إخناتون أطلق على مدينته ذات اسمه فأسماها (أخت آتون)، لكن هيرودت دون الاسم (أنيسيس).

وفى الرواية اليونانية كان المكان الذى نفى إليه أوديب جزيرة كلها كثبان رملية، وهو ما لايختلف كثيراً عن أرض المستنقعات التى نفى إليها الملك الأعمى، أما البليغ فهو أن الملك أنيسيس عند هيرودت قد حكم مصر فى نهاية الأسرة الثامنة عشر.

وفى كلمات كتبها أمير فلسطينى موال لمصر إلى إخناتون، نجده يقول: " مع أن الإنسان يرى الحقائق، **فإن عينى الملك مولاى لا تريان** " [١٥] .

وفى نشيد مديح آتون، وهو يصف عجائب الدنيا عن سطوع آتون الشمس، نلمس **احتفاء فياضاً بقدرة الرؤية**، وحمد جليل على نعمة النظر، " فالعيون ترى الجمال حتى تغرب أنت "، وبعد إختفاء إخناتون وعودة الآمونية، كان تلاميذ المدارس يتدربون على نسخ نشيد ظهر زمن توت عنخ آمون وآى يقول:

يا آمون

إن شمس ذلك الذى لم يقدرك قد غابت

لكن الذى يعلم قدرك يتألق

إن فناء الذى هاجمك يسبح فى ظلام دامس

على حين يسبح العالم كله فى ضوء النهار

إن من يضعك فى قلبه

يالبشراه، تشرق شمسه [١٦]

وقد دونت الكلمة التى ترجمها إرمان فى هذا النشيد إلى (فناء) برسم عين وتنطق (ويبا)، ولأن إرمان لم يكن يعلم أن إخناتون قد فقد بصره، فقد ترجمها بكلمة فناء، وعلق عليها بأنها " أبنية الكافر الدينى وخاصة فى العمارنة ". لكن المؤكد أن كلمة الرؤية هى المقصودة عند كتابتها بشكل عين بشرية، أما جرابو فقد ترجم كلمة (ويبا – ما). فى مؤلفه عن الطب المصرى بكلمة (ما = يفتح + ويبا = العين). كما كتب لفيفر فى مقاله

(١٥) El Amara Tablets, ٢٨٨.

(١٦) Erman, The Literatura of The Ancient Egyptions, ١٩٢٧, pp. ٣٠٩ - ٣١٠.

Essai sur La medicine Egyptienne de L'epoque pharaonique, ١٩٥٦ يقول: " هناك مجموعة كاملة لوسائل العلاج، لا يزال يشار إليها بوصفها من أجل فتح العين – ويباما – أو بالأحرى علاج العين ". أما الأستاذ (أبل) فى ترجمته لبردية (إبريس) عام ١٩٣٩ فيترجمها " تحسين حالة النظر ".

لقد ارتقى (إخناتون) عرش مصر وهو مبصر، لكنه فقد بصره بعد ذلك، ربما نتيجة لأعراض المرض وتجمع أعراض تشوهه العضوى، وعندما شيد مدينته (أخت آتون)، قطع على نفسه عهداً ألا يتركها حتى نهاية حياته، وطلب دفنه فيها مع زوجته وأولاده، لكن الشخصية الوحيدة التى نعلم أنها دفنت بالعمارنة هى ابنته الثانية مكتاتن، وباستثنائها لا تحوى المقابر على بقايا جنازية، ولقد تم العثور على تابوت إخناتون الضخم المرمرى وعلى أركانه النسور الحامية، لكن التابوت لم يستعمل على الإطلاق، ويخلو من أى أثر لمواد التحنيط ، **إن إخناتون لم يدفن بالعمارنة إنما ذهب إلى منفاه أعمى،** وحذف اسمه وكل أسماء أسرة العمارنة من التاريخ المصرى كما لو كان نجساً يجب إجتنابه، وقرر المصريون نسيانه تماما، وإذا حتمت الظروف ذكره كان يحل محل اسمه التعبير (مجرم أخت آتون هذا)، ولم يشر إليه من بعد باسمه، أما (أخت آتون) نفسها فتشى بأنها قد هجرت فجأة وبسرعة ورحل عنها الجميع ليتركوها بلقعا، فى لحظة واحدة.

سر المقبرة الغامضة

فى عام ١٩٠٧ اكتشف تيودور ديفز بوادى الملوك بمدينة طيبة المصرية عدداً من المقابر، أهمها كانت مقبرة يويا وتويا والدى الملكة تى، وكانت المقبرة سليمة لم تمتد لها يد إنسان، ولم يعبث بها لصوص المقابر. ثم مقبرة أخرى لها بابين من الخشب ذوا مقابض نحاسية، وعلى الجانب الأعلى من البابين ألواح ذهبية نقش عليها اسم وألقاب الملكة تى. لكن المفاجأة أن نجد مقبرة ملكة عظيمة قد نحتت فى الصخر بلا نظام ولا تنسيق، ومحتوياتها مبعثرة وفى حالة فوضى شاملة، وبين المحتويات كانت أوانى الأحشاء الكانوبية المصنوعة من المرمر، لكن اسم صاحبها أزيل من النقوش بدقة لم تسمح بقراءة الاسم. وكما وجدنا بالمقبرة ألواحا خشبية على الأرض مغطاة بالذهب منقوش عليها اسم الملكة تى، ويبدو أنها كانت جوانب الصندوق الذى وضع به التابوت، وعلى إطار واحد من هذه الألواح حفرت صورة الملكة وهى **ترتدى ثوبا شفافا لا يخفى جسدها، وأمامها إخناتون،** لكن صورته أزيلت بعنف من على اللوح الذهبى، أما التابوت فكان مصنوعا بدوره من الخشب، يبدو أنه قد ألقى فى الحفرة إلقاء، فقد انفصلت جوانبه، وخرجت منه رأس المومياء ورقبتها، وبإخراج المومياء وضح أنها كانت لإنسان صغير برأس صغير ويدان رقيقتان، ملفوفة فى نسيج فاخر، وتحت اللفافات كان الجسد معطى جميعه بألواح الذهب الخالص.

وكان وجود الجواهر والألواح الذهبية برهانا قاطعا على عدم تسلل اللصوص إلى المقبرة، رغم الفوضى الشاملة فى المقبرة، بل أن بعض خدم الملكة تى حصلوا على مقابر أجمل من مقبرتها بزينات ورسوم وتخطيط هندسى، أما قبر (تى) فكان مجرد كهف وعر عار عن الجمال منعزل عن بقية المقابر الملكية، مع العجلة الواضحة فى دفن الجسد وعدم الاحتياط الذى أدى لكسر التابوت، هذا إذا لم يكن قد ألقى

إلقاء عن عمد. وبالفحص الطبى برهنت عظام الحوض أن المومياء كانت لإمرأة، ولا شك أنها كانت الملكة العظمى (تى)، لكن بمراجعة الطبيب إليوت سميث أعلن أنها مومياء ذكر، وأن ما خدع الأطباء السابقين هو أن عظام الحوض كانت غير طبيعية، لكن جاستون ماسبيرو المصرولوجى المعروف أكد أن التابوت كان للملكة تي، خاصة أن الألقاب بجوار إسمها كانت ذات ألقاب تى فى حياتها فى أخت آتون " أم الملك وزوجة الملك العظمى ". أما المفاجأة الأكبر فهى اكتشاف أن التابوت كان مخصصا أصلا للملك إخناتون، حيث أزيل اسمه من على الألواح الذهبية التى تغطى الجسد، لكن ألقابه الملكية لم تمس، خاصة عبارة " ذلك الذى يعيش فى الحقيقة ". وعقب ماسبيرو بقوله:

> علينا أولاً وقبل كل شئ، أن نضع فى أذهاننا، أن القبو الذى اكتشفه ديفز ليس بمقبرة حقيقية، بل هو مجرد كهف وعر حفر فى الحجر، وقد استخدم هذا الكهف كمخبأ سرى لدفن عضو من أعضاء الأسرة المسماة بأسرة الملوك الكفرة، وذلك عندما ارتد الناس إلى عبادة آمون، وقد دبر بعضهم نقل المومياء من مدفنها الأصلى فى طيبة أو العمارنة، هذا لكى ينقذ المومياء من انتقام الطائفة المنتصرة وبطشها.

ورجح (ماسبيرو) أن من رسم خطة الدفن السرى تلك إما توت عنخ آمون أو آى، وأن وجود اسم إخناتون وتى بمحتويات المقبرة يشير إلى أن المومياء هى مومياء الملك المهرطق إخناتون نفسه، وأنه دفن فى تابوت ومقبرة تى سراً حتى لا يتعرض الجسد لإيذاء الغضب الشعبى. لكن المشكلة التى تواجه ترجيح ماسبيرو هى تقرير الطبيب إليوت سميث الذى أكد أن الجثمان لرجل مات وعمره لا يزيد عن ستة وعشرين سنة. نعم لم يكن تكوين الهيكل طبيعيا فالجمجمة مستطيلة بشكل واضح، لكن هذه الاستطالة كانت واضحة أيضاً فى نسل إخناتون، حتى بناته تم تصويرهن حليقى الرؤوس، والرؤوس مستطيلة من الخلف.

وبين محتويات المقبرة عثر على ختم ملكى باسم توت عنخ آمون، وقوالب طوب نقش عليها اسم إخناتون، مع لوح ذهبى وجد عند قدمى المومياء يحمل صلوات ونشيد حب أو كلمات وداع تقول:

انى استنشق الهواء العذب الخارج من فمك

وأتأمل كل يوم فى جمالك

وأمنيتى هى أن أسمع صوتك الحبيب

الذى يشبه حفيف ريح الشمال

إن الحب سيعيد الشباب إلى أطرافى

أعطنى يدك التى تمسك بروحك

وسوف أحتضنها وأعيش

نادنى باسمى مرة أخرى وإلى الأبد

لن يصدر نداؤك أبداً بلا إجابة

وكما هو واضح، فالكلمات أغنية وداع وحب، كتبها شخص حى للشخص الميت، وهو ما زاد فى غموض المقبرة اللغز، التى يمكن أن تلتمس التفسير فى مقبرة أخرى، كانت إلى الجوار منها. هى مقبرة توت عنخ آمون، التى كان لكشفها دوى عالمى لم يحدث لأى كشف تاريخى آخر فى تاريخ العالم، وتساءلت الدنيا: لقد تم الكشف عن مقابر ملكية عديدة لم تمسسها يد، لكنها أبداً لم تكن بفخامة مقبرة الفرعون توت ما معنى كل هذا العرض المذهل للثروة وللفن والجمال؟ ولماذا دفنت كل هذه الثروة الهائلة فى مخبأ بعيداً عن الأنظار فى هذه المقبرة المنعزلة؟ ولماذا توارت أجمل المنتجات الفنية فى العالم فى هذا المدفن الغريب؟

وأُرسلت المومياء إلى الطبيب (د. أ. درى)، وقدر هذا الجراح عمر توت عنخ آمون عند وفاته بما لايزيد عن ثمانية عشر عاما، لكن الجديد أن جمجمة توت تميزت **بذات السمك غير العادى فى عظام مؤخرة الرأس**، مما أدى بالطبيب الجراح إلى نتيجة مفادها أن توت كان ابنا لإخناتون. وهنا تم فحص مومياء المقبرة اللغز المجاورة مرة أخرى على يد الطبيب (انجلباخ) الذى انتهى إلى أنها تشابه إلى حد بعيد مومياء الملك توت، وأنها ليست سوى مومياء سمنخ كا رع شقيق توت، وليست أبداً للملكة تى أو للفرعون إخناتون. وقد أيد وجهة نظر أنجلباخ تكرار عبارة " المحبوب من إخناتون " على الألواح الذهبية التى غطت المومياء، وهى العبارة التى ذكرت فى مواضع أخرى فى الآثار، لتشير إلى سمنخ كا رع تحديداً. وقد قرر الدكتور (درى) أن سمنخ كا رع كان شقيقا للملك توت، وكلاهما كان ابنا للملك إخناتون. وأنه بعد توارى إخناتون تولى العرش لفترة قصيرة ولده الأكبر سمنخ كا رع الذى تولاه بعده أخوه توت، بينما كانت القوة المحركة وراء حكم الصبية هذا كانت الكاهن الأعظم آى، وكان هو المسئول عن احتفال دفن الملك توت، فقد رُسم على حوائط مقبرة توت وهو يشرف على طقوس الجنازة. والغريب أن آى بعد موت توت كان هو الملك، ولم يحدث أن قام ملك مصرى بتنظيم جنازة الملك السابق، فماسر كل هذا الاهتمام؟ ولماذا كل هذا التبجيل والتكريم لسلفه الطفل خاصة وأن توت عنخ آمون كان ملكا لا أهمية له على الإطلاق؟ لكن رسوم مقبرته تصوره يضرب بسهامه صفوفا من الأعداء، كذلك يضرب أسرى الحرب، مما يشير إلى وقائع عسكرية حدثت فى عهده، وأنه ربما مات فى تلك الحرب، ولا شك إذن أنه كان محاربا وطنيا يستحق التكريم بعد أن مات وهو ملك فى ساحة الشرف. لكن علينا أن نلحظ الفرق الهائل بين مقبرتى الأخوين: سمنخ كا رع وتوت، أما الملحوظة الجانبية فى مقبرة سمنخ كا رع، أن ذلك المحب الولهان صاحب نشيد الوداع قد ترك بجوار الجثة نباتات محترقة وبخور خامد وبعض زهور تحولت إلى تراب.

وفى الأسطورة اليونانية، فى مسرحية سبعة ضد طيبة، قصة صراع الأخوين على العرش، يتخلى أوديب عن العرش بضغط من كرايون، ويتفق على تبادل ولديه العرش سنويا، فحكم بولينكيس أكبر الأخوين لمدة عام، وتنازل عن العرش لأخيه أتيوكليس وترك المملكة ثم عاد إلى طيبة اليونانية بعد عام حسب الاتفاق، لكن أخيه الأصغر وبتحريض من كرايون، رفض التنازل عن العرش، وهنا استعان الابن الأكبر بولينكيس بأعداء البلاد ليستعيد عرشه، وهى القصة النموذج للأخوين سمنخ كا رع وتوت، حيث حكم سمنخ كا رع أولاً، ورسم وهو يرتدى الزى الملكى فى حياة أبيه، لكنه بعد موت أبيه لم يحكم سوى سنة واحدة فى طيبة، ثم فجأة يظهر توت ملكا على طيبة، بينما نجد آى الحاكم الفعلى.

أما الحرب المجهولة التى مات فيها توت، فلا شك أنها كانت دفاعا عن البلاد ضد الأجانب الذين استجلبهم أخيه الأكبر، ومن ثم قتل كلاهما فى تلك الحرب. [وهنا بالتحديد يمكنا أن نضع توقيت الهجمة الهكسوسية الثانية التى نقلها يوسفيوس عن مانيتون، وتم كسرها على الحدود بقيادة رئيس الجند حور محب / المؤلف].

وفى الأسطورة اليونانية أصدر كرايون أمراً بدفن الأمير الأصغر بكل تبجيل وقداسة، وحرم دفن الأمير الأكبر الذى استعان على أخيه وبلاده بأعداء البلاد. ولإظهار الفارق أقيمت طقوس جنازية عظمى ببذخ طائل للملك الصغير، بعكس الأمير الكبير التى حكم على جثته بأن تترك فى العراء تأكلها طيور السماء وهوام الأرض، بعد خيانته لبلاده وقومه. وقد أشرف كرايون بنفسه على تجهيز جنازة أتيوكليس الفخيمة، لكن أنتيجونى شقيقة أتيوكليس تجاهلت أمر الملك الجديد كرايون، لأنه يتضارب مع قوانين السماء، وقامت بدفن أخيها بولينكيس وهى تعلم أنها ستدفع حياتها ثمنا لمجازفتها. وبالفعل أصدر كرايون قراراً بدفنها حية فى كهف صخرى ليكون مقبرتها، ومعها زاد يكفى لإمدادها بالحياة، لتحيا ميتة فى مقبرتها، إلى جوار مقبرة أخيها الذى دفنته، أو أمرت بدفنه مع بعض خلصائها.

هنا نلجأ إلى آخر فقرات التقرير الذى كتبه ديفيز عن المقبرة الغامضة التى اكتشف فى النهاية أنها كانت مقبرة سمنخ كا رع، يقول ديفيز أنه بالقرب من تلك المقبرة عثر على كهف صغير هو مقبرة، به أوان بيضاء كثيرة، ومعها أكواب صغيرة حمراء، ولم يحطنا ديفيز علما بوجود جثة من عدمه، لكن لو لم تكن هناك جثة ما أسماها مقبرة، بل اكتفى بكلمة كهف أو مخزن، حيث قيل أن المكان ربما كان مخزنا لرجل فقير.

وعليه يرى فليكوفسكى أن هذا الكهف كان هو مدفن أنتيجونى الأسطورية، لقربه من مدفن الأخ المغضوب عليه، ولوجود أوان وأكواب كانت تحتوى على أطعمة تكفى عدة أشهر.

أن (تيودور ديفيز) يصف باختصار بالغ اكتشاف المقبرة المخزن فى أقل من صفحة أضافها إلى كتابه " مقبرة الملكة تى "، وهو النشر الذى استاء له (جاردنر) بعد مرور أكثر من نصف قرن حيث يقول: " إن تاريخ الحفريات فى مصر – يصور بالإضافة إلى العمل الجليل – حلقات متصلة من الكوارث والمصائب،

وأفدح هذه المصائب تحل عندما تختفى النتائج ولا تنشر إطلاقا، لكن من الفادح أيضـــاً أن يكــــون النشــر ناقصا غير كامل أو غير دقيق، وهذا لسوء الحظ ما حدث فى مجلد تيودور م ديفيز" (١٧) .

وفى عام ١٩٤١ نشر (هـــ. أ.وينلوك) مقالا فى سلسلة أبحاث متحف متروبوليتان بنيويورك، دون فيه ملاحظاته عندما كان موجوداً فى طيبة المصرية عام ١٩٠٨ عند اكتشاف المقبرة المخزن، وقد شرح وينلوك وجهة نظره فى القدور والأوانى والثياب التى اكتشفت هناك، فقال أنها بقايا وجبة اشترك فيها بعض النـــاس، وأن من اشتركوا فى تلك الوجبة هم من قاموا على دفن الملك توت.

والملابس التيلية التى وجدت فى الكهف تحمل ختمان لتاريخ يشير إلى آخر عام فى حكم الملك تـــوت، وهناك قطعة نسيج جذبت انتباه وينلوك طولها ٢,٤٤ م وعرضها ٦١ سم، وقد انتزع من كلا جانبيها شـــريط طويل، والغريب أنها كانت من أفخر أنواع النسيج، لكنها كانت ملطخة ومتآكلـــة، وعليهـــا علامـــة نســـجت تطريزاً باليد ترجمتها " ليحى الملك الطيب نوفر "، ونوفر هو الاسم الذى حمله سمنخ كا رع.

وبين كومة الخرق البالية ثلاثة مناديل من مناديل الرأس النسائية وضح أنها استعملت كثيراً وغســـلت عدة مرات، وعليها بقع بفعل زيوت الجبهة، بينما استعمل أحد هذه المناديل ولونه أزرق كخرقـــة للتنظيـــف حتى أنها تآكلت من كل اتجاه من وسطها.

وكان بالكهف قدور كثيرة وأوان وكئوس للشرب وكلها صغيرة تماما ولا تستخدم إلا لوجبـــة واحـــدة ولشخص واحد كما كان هناك خمسة وستون كوبا متشابهة، وآنية نبيذ وأوراق للشراب توضع بها المياه.

ويبدو أن هذه الأوانى قد رشحت المياه بغزارة فقد تركت المياه شريطاً رفيعا من الطين على كل منها، كما عثر بين الأدوات على أربع شقافات لقنينة ملونة، وستين طبقا مختلفة التصاميم والأحجام، وقـــد تحطـــم كثير من الأطباق، وألقى فى قدر كبير الحجم، ومن هنا رأى وينلوك أنها بقايا مأدبة، خاصة مع ما وجده فى القدر الكبير الذى استخدم كصفيحة قمامة من عظام حيوانات، ووجد بين العظام كتف بقرة مقطوع بســـكين، كذلك وجد أربع ضلوع لغنم أو ماعز، مع هياكل لحوالى تسع بطات وأربع أوزات ولم يعثر على ســـكين أو أى آلة حادة للتقطيع، كما عثر على ست كرونات ورود، فهل كان يرتديها حضور المأدبة؟

وهناك مكنستان استعملتا لكنس الرمل، عثر عليهما داخل الأوانى، وكانتا حـــزم مـــن أفـــرع الشـــجر ربطت من وسطها بحبل، وقد رأى وينلوك أنهما كانتا لإزالة آثار الأقدام الأخيرة لضيوف المأدبة العجيبـــة، لكن الإشكال أنه وضح الاستخدام الكثير والمتتالى للمكنستين حيث عثر عليهما مستهلكتين تماما.

وبين المحتويات كانت هناك أغطية فخارية صغيرة للأكواب بها شريط أحمر، استخدمت كمصـــابيح، فقد كان مجوفها الداخلى مغطى بطبقة سميكة من السناج الأسود، وبقايا جافة لزيت المصابيح، هـــذا إضـــافة

---

(١٧) Gardiner, J.E.A, XLXXX, ١٩٥٨, p ١٠.

لقناع صغير لامرأة صغيرة مصنوع من الجبس الملون، ومعلوم أن هذه الأقنعة كانت تصنع للشخص أثناء حياته، وكانت خاصة بعلية القوم، وتوضع مع صاحبها عند دفنه.

وهنا يدلى فليكوفسكى بتفسيره فيقول:

إن هذا المكان، وهو صومعة مساحتها ٧ × ٧ أقدام، وارتفاعها ست أقدام، منحوتة فى القشرة الصخرية بوادى الملوك، هذا المكان كان يحتله سجين زج به فيه، وكانت المؤن واللوازم الضرورية الأخرى تصله بصفة مستمرة ، وتشهد المناديل على أن السجين كان امرأة تنحدر من أصل نبيل، كما يتضح من نوع التيل، فقد كان أرقى بكثير من ذلك الذى أستخدم فى تحنيط الملك توت، وقد أمضت السجينة فى هذا الكهف عدة اشهر، فقد تآكلت المناديل التى كانت تغطى الشعر والجبهة وغسلت بصفة مستمرة، وقد استخدم أحدها لتنظيف المكان.

كما عثر على زيت النطرون، ويحتمل أن الطعام والمياه اللازمة للشرب والغسيل كانت تتدلى من أعلى بفتحة فى السقف، وعندما كانت الأوانى تخلو من الطعام لم تكن تنقل إلى مكان آخر،بل كان يرد غيرها، بينما ترمى الأطباق المستعملة فى الإناء الكبير. كما أن المكانس استخدمت حتى هلكت تماما، كما استخدمت أغطية الأكواب كمصابيح لتمده بضوء خافت فى ظلمة الليل، هذا ناهيك عن قناع يدل على أصل نبيل لصاحبة المقبرة. أما كرونات الزهور فيحتمل أنها كانت تدلى لها من الخارج بواسطة شخص يحبها ويهمه أمرها. وتحكى الأسطورة اليونانية أن (هايمون) ابن (كرايون) قد أحب (أنتيجونى) حبا جارفا غير أنه لم يقو على إنقاذها. من كانت إذن هذه السجينة التى سجنت على مسيرة دقيقة واحدة من قبر الملك توت، ومسافة نصف دقيقة من قبر الملك سمنخ كا رع؟ من تلك التى طرزت بيدها على النسيج البالى: " ليعيش الملك الجميل نوفر / سمنخ كا رع "؟ **لقد كان نوفر هو المطالب بالعرش، كان الأخ الأكبر الذى قتل فى معركة حاول فيها استرداد عرشه.**

وبعد مرور خمسين سنة على اكتشاف مقبرة (تى) حيث توارى جثمان الملك سمنخ كا رع، كتب السير جاردنر فى ديسمبر ١٩٥٧ يؤكد أن أغنية الحب المتوارية عند قدمى الميت، قد كتبتها أخت هذا الميت أو زوجته التى أشارت إليه بوصفه أخاها، واعتقد (جاردنر) فى البداية أن النشيد كتبته نفرتيتى تناجى حبيبها إخناتون، لكنه غير رأيه بعد ذلك، لقد خوطب سمنقرع بأنشودة حب من امرأة نادته بلفظ أخ، ومع ذلك كان التابوت تابوت إخناتون، والصندوق صندوق الملكة تى والمومياء لسمنخ كا رع.

وحاول (جنثر رويدر) البحث عن تفسير للفوضى والبعثرة فى مقبرة الملك سمنخ كا رع، بشكل لا يجعلها أبداً جديرة بملك، أما (كيرل ألدريد) فركز اهتمامه على شخصية رسمت صورتها على أوانى الأحشاء، الموجودة فى مقبرة سمنخ كا رع، ودرس لذلك أنماط تصفيف الشعر فى مصر القديمة، وتعرف على أن الطريقة المرسومة فى الصورة، هى تصفيف نسائى لبنت من بنات إخناتون، وأنها هى مريت اتن كبرى بنات إخناتون، وزوجة سمنخ كا رع. ومن ثم نستنتج أن كاتبة النشيد الملتاع عن قدمى سمنخ كا رع

هى عينها مريتاتن زوجته، وأنها هى التى وهبته أوانى الأحشاء الخاصة بها والتى صنعت من أجلهـا، وقـد أزيل اسمها من عليها بعناية، ومن ثم تكون هى من أعد هذا المدفن السرى لسمنخ كا رع. **لقد كانت مريتاتن هى أنتيجونى الأسطورية**، التى نظمت أبيات الاشتياق، وغسلت جثة حبيبها وألبسته ثيابه وكرمتـه بسـكب قربان الشراب فى مقبرته، لكن دخلاء عرفوا سر المقبرة وأزالوا النقوش بقسوة وإهمال، وكسروا الصـندوق بإلقائه أرضا. هؤلاء الدخلاء كانوا جنود الملك الجديد آى، فاستخدموا ذات الختم الذى ظهر على مقبرة الملك توت، وعلى الكهف المنحوت فى الصخر ليكون سجناً لشخصية من نساء القصر.

وفى مسرحية أنتيجونى التى كتبها سوفوكليس نجد كرايون يوفد رجاله إلى مقبرة بولينكيس، وعنـدما قبض على أنتيجونى وهى بجوار جثته صرخت صرخة عالية، لقد وقعت عيناها على الجثة وقـد انتزعـوا ملابسها بعد أن كانت ألبستها وكرمتها، وخربوا ما أعدته فى المقبرة، وعندما قبض عليها أصـدر كرايـون حكما عليها بأن تحيا بقية حياتها مدفونة فى كهف هو مقبرتها.

وعندما نقرأ يوربيدس لا نندهش مع المندهشين من شخصية أنتيجونى التى تحمـل بجـوار مشـاعر الأخوة لأخيها القتيل، مشاعر الحب العاشق والفائق " آه يا محبوبى .. دعنى أطبع قبلة واحدة على شفتيك "، ومن هنا اتهمت أنتيجونى فى تعليق قديم على هذا النص اليونانى، أنها كانت تمارس مع أخيها علاقة سـرية قوية لأن اليونان كانوا لا يتزوجون أخواتهم.

وعندما حكم كرايون على أنتيجونى بالموت البطئ، وأصر على تدنيس جثة المتوفى، كـان تصـرفه وحشية استدعت تدخل العراف (تيرياس) ليقول:

> لقد ألقيت بأبناء الشمس والضوء فـى الظـلام وعـالم الأشباح، إذ دفنت بوقاحة روحا حية فى قبرها، علـى حين تلقى على وجه الأرض، جثة تخص آلهة العـالم السفلى، جثة لم تدفن أو تكرم، بل نـال منهـا الـدنس والمهانة.

ثم حذره أن ذلك خرق لقوانين الآلهة، ويجلب الشقاء على الدولة، فيهين كرايـون العـراف العجـوز ويتهمه بالارتشاء للعمل ضده. لكن قول تيرياس أزعج كرايون فعلا، وجعله يخشى غضب الآلهة أو النـاس، فيأمر بدفن الميت وإطلاق سراح الفتاة من غرفتها الصخرية، لكن القرار يأتى متأخراً إذ شنقت الفتاة نفسـها بحبل من التيل الفاخر، وهنا ينبهنا فليكوفسكى لنتذكر شرائط التيل الغالى الطويلة التى مزقت من جانبى قطعة القماش الفاخرة فى المقبرة الكهف فى طيبة المصرية.

نهاية تى وإخناتون

فى العام الثانى عشر من حكم إخناتون، بلغت تى أوج نفوذها وسلطانها، وفجأة تختفى تى ولا نعثر لها على مومياء، ونجد ابنها سمنخ كا رع فى تابوتها، فى قبر قريب من قبر أبويها يويا وتويا، لكنه قبر حقير لا يليق أصلا بملكة، واضح أنه كان يعد لها هى فعلا. فلماذا تلقى ملكة عظيمة مثل تلك المعاملة الخسيسة، وكل ما عثرنا عليه هو خصلة من شعرها، مع ملحوظة تشير إلى أن هذه الخصلة تخصها، وقد وجدت فى مقبرة توت عنخ آمون.

أما الأسطورة الإغريقية فتؤكد أن يوكاستا أنهت حياتها بيدها، والانتحار لدى كل الشعوب يحرم المنتحر من التكريم الذى يستحقه الموتى، عدا الموت فداء لقضية كبرى تخص الأمة، وربما ذلك ما حدث للملكة تى فلم تمنح قبراً بل أخفيت جثتها بعد أن ارتكبت فى نظر المصريين خطيئة لا تغتفر بعد أن انتزعت حياتها بيدها، وبعد أن عاشت فى علاقة جسدية محرمة مع ولدها. **فأزيل اسم ابنها الذى هو زوجها مع صورته عن الألواح الذهبية، وكتب مكانه اسم زوجها الأول بالحبر**، ولم يتم دفنها إلى جوار زوجها آمنحتب الثالث لهذا السبب، إنما دفنت بالفعل فى المقبرة الحقيرة التى أعدت لها، وبعد عودة سيادة آمون انتزعوا تى من الصندوق وحملوه إلى مدفن مجهول.

المفترض أن يكون هذا هو سيناريو الأحداث إذا أخذنا التفسير من الأسطورة اليونانية، لكن يوكاستا انتحرت لأنها فوجئت بمعرفة أن زوجها هو ولدها أوديب، فلماذا تنتحر تى وهى من الأصل تعلم يقينا أن زوجها هو ولدها إخناتون؟ هناك وجهة نظر أخرى جاءت عن يوربيدس فهو يجعل يوكاستا تعيش، حتى تشهد الحرب بين ولديها، ثم تنتحر عندما تقع عيناها على جسديهما القتيلين.

والغريب فى عادات الشعوب أن ما يتخلف عن المنتحر من ممتلكات يعد مجلبة للحظ، وهو ما يفسر لنا وجود خصلة من شعرها فى مقبرة الملك توت، ويوربيدس يجعل يوكاستا تقص شعرها وهى تقول: " إنى أقص خصلات شعرى الفضية، وأتركها تسقط مع الدمع الغزير لأظهر حزنى ومرارتى ".

أما أوديب فقد تم نفيه أعمى، وصحبته لترعاه ابنته أنتيجونى، وفى الأحداث المصرية يمكن أن تكون التى صحبت أبيها إخناتون فى منفاه هى بكتاتن، فشاركته أيضاً مذلته وهوانه، لأنها ثمرة زواجه بأمه، لأنه محال – فى رأى فليكوفسكى – أن تكون نفس الأميرة التى دفنت أخيها فدفنت بعده حية، هى ذات الأميرة التى صاحبت أبيها فى منفاه. إذ لابد أن الدورين اللذين قامت بهما أنتيجونى فى الأسطورة، قد قامت بهما ابنتان مختلفتان لإخناتون **وكان إسناد العملين الجليلين فى مسرحيات سوفكليس إلى أنتيجونى وحدها، سبباً فى تعقيد فكرة المسرحية وصعوبة فهمها**، هذا بينما تحول أوديب بعد توبته العظمى وفقأ عينيه ندماً إلى شخص مبارك، يبارك أى موضع يطأه، لذلك يهب رفاته لشعب بلدة (كولونا) لتحل عليهم البركات الإلهية، **وبذلك بارك كل أراضى إقليم (أتيكا) قرب أثينا.**

وسوفوكليس تحديداً تحدث عن أوديب الذى أصبح كهلاً عجوزاً هائماً على وجهه تبارك خطواته كل أرض يطأها، حتى يلجأ إلى محراب الإلهة ديمتر ليموت هناك. **لكن ليستمر جوالا جوابا حتى بعد مماته فى**

روح هائمة مباركة وقد نسب إلى كل من إخناتون وأوديب مدتى حكم مختلفتين، فهناك **تقدير بحكم استمر ستة عشر عاما، وتقدير آخر بحكم استمر بعد ذلك أربعة أعوام أخرى**، أى حكم عشرين عاما، ويحتمل أن التقدير الثانى أخذ باعتباره المدة التى قضاها إخناتون أو أوديب فى بلاده كملك مخلوع، وإذا كان (كارتر) و (دريدر) والجراح (درى) قد ذهبا إلى أن سمنخ كا رع وتوت عنخ آمون هما ولدى إخناتون وليسا أشقائه من أبيه آمنحتب الثالث، فمحتمل أن يكونا ولدين للملكة تى، وشقيقين للأميرة بكتاتن.

المهم أن (آى) تخلص من الصبيين الملكيين وتربع على عرش مصر، وكى يتربع على هذا العرش كان لابد أن يتزوج أميرة من البيت المالك، فتزوج من أرملة توت ابنة إخناتون (عنخ إس إن با آتون) التى تحول اسمها إلى (عنخ إس إن با آمن). وفى يوربيدس نجد كرايون يجلس على العرش ليس بوصفه شقيقا لزوجة الملك، إنما بوصفه زوجا لبنت أوديب، **وهو ليس تقليداً يونانيا بل مصريا**، ويبدو أن العنف الذى مارسه ضد ميريتاتن كان بهدف الحيلولة دون ظهور أى منافس على العرش.

ويرى فليكوفسكى أن آى هو والد نفرتيتى ، وأنه قد انجب نفرتيتى من زيجة مبكرة، وقد ماتت زوجته الأولى هذه، كما أوضح ألدريد وغيره، ثم تربت نفرتيتى وترعرعت تحت إشراف تاى زوجته الثانية، ومن ثم أغدق على تاى لقب (مربية الملكة) [١٨].

وقد رسمت تاى زوجة آى فى المقبرة الناقصة فى أخت آتون تقف بجوار زوجها آى أمام الزوجين الملكيين، وتصفها النقوش باللقب (مربية الملكة)، وكان اسم تاى زوجة آى الثانية هو نفس اسم تى شقيقته الملكة، ويكتب فى اللغات الحديثة بفارق بسيط للتفرقة بينهما ليس إلا.

ويوربيدس يجعل هايمون ابن كرايون يقول لأبيه: سوف أذهب إلى أختك يوكاستا فقد أرضعتنى من ثدييها عندما حرمت عناية أمي وتركت طفلا يتيما وحيداً، ويخبرنا التاريخ أن الزوجة الأولى لكرايون / آى، قد ماتت صغيرة، فتزوج آى امرأة أخرى تحمل اسم شقيقته الملكة، قامت على تربية أطفاله اليتامى، أما فى الأسطورة اليونانية كانت الملكة نفسها هى من ربت أبناء أخيها اليتامى، والغريب فى الأسطورة أن تقوم ملكة على خدمة أبناء ليسوا أبنائها، غير أن هذه الغرابة تتبدد بظهور الحقيقة التاريخية، وهو أن الملكة تى زوجة آى المعروفة باسم تاى، كانتا تحملان الاسم ذاته. فحدث هذا الخلط بين الشخصيتين فى الرواية اليونانية.

ونحن نعلم أن المقبرة التى دفن فيها توت عنخ آمون، كانت فى الأصل مبنية من أجل آى بأمر آمنحتب الثالث، وانتوى آى أن يجعل هذا المدفن الزاخر بالثراء مثواه الأخير لكنه كان من نصيب الملك توت. إلا أن الملك آى لم يمت فى سلام، بعد أن عمت الفوضى البلاد، وبعد موته استمتع بعضهم بتدمير مقبرة آى التى دفن فيها بالفعل تدميراً عنيفاً، ومحو النقوش واللوحات من على الحوائط بعنف يشير إلى رغبة فى الانتقام. وبذلك تحققت نبوءة العراف الأعمى، ففى مسرحية أنتيجونى يتنبأ تيرياس بأن كرايون سيلحقه العار والتدنيس بعد مماته، بعدما فعله بابن أوديب، ويرى فليكوفسكى أن هؤلاء الذين دمروا مقبرة آى، كانوا غزاة أغراب.

(١٨) Weigall, The Life and times of Akhnaten, Aldred, J.E.A, XLIII, ١٩٥٧.

فالأسطورة اليونانية تقول أنه بعد انهزام الأبطال السبعة أمام أبواب طيبة جاءت سلالتهم الأبيجونى ليزحفوا على طيبة مرة أخرى ليدمروها، وهم من جاء بهم أصلاً سمنخ كا رع ليساعدوه على استرداد عرشه.

إن الأصل المصرى للأسطورة اليونانية يتضح من تركيز الأسطورة على مشكلة دفن الجثة، التى تحتل المكانة الأولى فى فكرة المسرحية، **وهذا الانشغال الدائم بالمثوى الأخير ظاهرة مصرية لايونانية**، فموضوع مسرحية أوديب فى كولونا ومسرحية أنتيجونى ومسرحية سبعة ضد طيبة، كلها تدور حول دفن الموتى. وفى رواية سوفوكليس يصر أوديب على أن تتوارى مقبرته عن الأعين وتظل سرا لا يعرفه سوى ملك **أرض أتيكا**، وهو تصرف الملوك المصريين لإخفاء مقابرهم. كما أن كهف أنتيجونى المحفور فى الصخر ليس يونانيا، لأن اليونان كانوا يحرقون موتاهم فى الغالب، أو يدفنوهم فى الأرض، لكنهم لا يحفرون لهم مقابر صخرية.

كيف انتقلت القصة إلى اليونان؟

قبل نشوب حرب طروادة، كانت هناك حركة نشيطة وتبادل تجارى بين مصر والجزر اليونانية، فقد تم العثور على كميات هائلة من الفخار الميسينى فى طيبة إبان حكم آمنحتب الثالث، كذلك فى تل العمارنة. وفى ميسينا تم الكشف عن بضائع مصرية من زمن آمنحتب الثالث، ومنها جعران باسم الملكة تى، بل وتم تقليد نقوش المقابر المصرية، فى مقابر ميسينا وأوركومينوس. وعثر فى بيوتيا على جعران يحمل صورة أبى هول مجنح، كذلك وجدت آثار مصرية كثيرة فى اثينا فى إقليم أتيكا. ومعلوم **أن اليونان هم من أطلق على واست / الأقصر اسم طيبة** ، ويحتمل أن كادموس مؤسس مدينة سهل بيوتيا (طيبة اليونانية) الذى وفد إليها قادما من فينيقيا، كان معاصراً لتلك الأحداث.

وربما كان هو نكميد ملك أوجاريت الذى عاش زمن مراسلات العمارنة، والأساطير تقول أنه قد أحضر معه إلى البلاد اليونانية زوجة تدعى **سفنكس** كانت أميرة مصرية. وكانت طيبة المصرية أيام نكميد أعظم مدن العالم، ولاشك أن المأساة التى حدثت فى بلاطها لم تكن سراً، ويحتمل أن يكون الذين طردوا مع نكميد وأسسوا طيبة اليونانية، كانوا أول من سرد تلك الأحداث الفاجعة.

ونلحظ أن مسرحية يوربيدس عن العائلة الملكية فى طيبة اليونانية حملت اسم **(الفينيقيات)** لأن الجوقة كانت تتكون من نساء فينيقيات يتكلمن ويبحن بالسر لأبطال المسرحية والمشاهدين، **فلماذا تظهر جوقة فينيقيات فى تراجيديا يونانية؟**

وسوفوكليس تند عنه عبارة تفصح عن معرفته للمكان الأصلى للأحداث، فبينما أوديب يتكلم عن ولديه بولينكيس وأتيوكليس يصرخ قائلاً: " يا إلهى إنهما يظهران صورة صادقة لوسائل **مصر** وطباعها فى روحهما وحياتهما " (عن مسرحية أوديب فى كولونا)، ثم يشير سوفوكليس مرتين إلى طيبة اليونانية باعتبارها " المدينة الزاخرة بالعربات الحربية "، وهى صفة تنطبق أكثر على طيبة المصرية، التى ذكرها

هوميروس على لسان اسخيليوس وهو يقول: أنها ذات مائه باب، أمام كل باب تقف على استعداد مائتا عربة حربية. وفى عالم هو ميروس السفلى فى الكتاب الحادى عشر من الأوديسا، صورة مصرية تماما، فهو عالم تحت أرضى تحتله شعوب شرقية وبعضها من أصول فينيقية. بينما كان الاعتقاد اليونانى أن الأرواح تهيم على وجهها كظلال وأشباح بدون مصير واضح، وهو ما نجده فى موتى الحرب الطروادية مثلاً.

ولا ينسى فليكوفسكى أن يحط من قدر (فرويد) لتجرؤه على شخص موسى وعلى شعب الله المختار وتبجيله إخناتون تبجيلا عظيما، ليقول بالنص عن كتاب فرويد:

> هذا الكتاب ليس سوى إنقاص لقدر موسى والحط من شأنه، فقد حط فرويد من شأن موسى عندما أنكر أصالته وحرمه إياها، كما هاجم شعب اليهود عندما حرمهم زعيماً يقود جنسهم، إذ جعل موسى مصريا. وفى النهاية قلل من شأن إله اليهود، عندما جعل من يهوه معبوداً محليا، أو مجرد روح شريرة تسكن جبل سيناء. لقد كان فرويد وهو على أهبة الرحيل من حياة طال أمدها يريد أن يلعن إله اليهود ويحط من شأن نبيه، على حين يمجد مرتداً مصريا معتبراً إياه مؤسساً لدين عظيم الشأن.

هذا بينما يرى فليكوفسكى وهو يقلب التاريخ رأسا على عقب فى بقية أعماله، أن موسى كان سابقا على إخناتون بزمن طويل، أما إخناتون نفسه فليس بمستحق لكل مالاقاه من احترام، فهو لم يكن سوى الأصل لقصة أوديب الفاجعة، بل كان أسوأ شأنا من أدويب، عندما ارتكب جريمته وهو يعلم ماذا يفعل [١٩].

---

(١٩) هذا موجز لما قدمه إيمانويل فليكوفسكى فى كتابه: إخناتون و أوديب .. سبق ذكره.

موسى وإخناتون

الثلاثة فى واحد

فرويد العالم النفسى الأشهر أقام على أسطورة أوديب سر عقدة نفسية تأسيسية هى عقدة أوديب التى تعد العماد الأول والأعظم للنظرية الفرويدية فى التحليل النفسى، ومن جانب آخر كان فرويد من المهتمين بالفرعون إخناتون وكان إخناتون عمدة كتابه (موسى والتوحيد)، ومع ذلك أبداً – رغم عبقريته الفذة – لم يربط بين الشخصين: أوديب إخناتون. وهو الدرس الذى وعاه فليكوفسكى بقدرة عالية الجودة، ونعاه فى الوقت ذاته على فرويد ووجه له بهذه المناسبة تقريعاً شديداً لعدم إدراكه أن الشخصين إنما كانا شخصاً واحداً. وربما كان سر التقريع هو أن فرويد سلب موسى اكتشافه لعقيدة التوحيد ونسبها لإخناتون، بل جعل من موسى مصريا وليس اسرائيليا، ثم جعله لايرقى أبداً إلى عظمة أستاذه إخناتون. بينما كان هم فليكوفسكى هو العثور على كل مايؤيد العقيدة اليهودية وكتابها المقدس فى وثائق التاريخ القديم على أصنافه وفروعه المتعددة والمعقدة. ويبدو أن لقيته الكبرى كانت فى اكتشافه المذهل والمدعم بشكل كاف أن أوديبوس اليونانى ليس سوى نسخة يونانية صيغت فى تراجيديات مسرحية عن أصل حقيقى فى حقل أحداث واقعى تم فى مصر أيام حكم أسرة الملوك الكفرة فى زمن العمارنة. ويبدو أنه قد قنع من ذلك بأن إخناتون لايستحق المرتبة التى ينزله فيها الباحثون بإجلال وتقديس مفرط، فهو شخص مطعون فى نسبه، وفى نسب أولاده، ابن رجل شاذ ملعون جلب اللعنة على بيته وبلاده، ارتكب أعظم جرم بزواجه من أمه وبناته، وربما كان مجنونا مخرفاً بسبب مرضه. وهكذا قدر الرجل فيما اكتشفه إعادة الاعتبار لموسى التوراتى بتهميش إخناتون المصرى واستبعاده، اعتماداً على أحكام حس خلقى يختلف اليوم عن تلك الأزمان.

لكن هناك كشف آخر ينطلق من ذات فكرة فرويد نجده عند أحمد عثمان وهو أن موسى كان بالجنس والميلاد مصريا، لكنه لا يربط بين أوديب وإخناتون، لكن بين موسى وإخناتون. ويوعز لنا عن بعد أن موسى كان هو ذات شخص إخناتون بعد سقوطه عن عرشه. وحتى يوصل ذلك للقارئ – دون مؤاخذات من رجال الدين المتشددين – يعمد إلى التلميح لا التصريح، فهو مثلا يسرب لنا أخباراً تاريخية عن النبى موسى تلتقى مع ما حدث من أحداث للفرعون إخناتون، وذلك مثل قوله: " وتقول قصة التلمود – وهو كتاب تفسير عند اليهود – أن موسى بعد أن قتل المصرى، وقبل أن يذهب إلى سيناء، أصبح قائداً للجيوش المصرية، وقاد المعارك منتصراً ضد أعداء مصر. ثم أصبح بعد ذلك **ملكاً فى منطقة فى جنوب مصر ووضع التاج على رأسه** وحكم موسى بالعدل والقسطاس لكن **أهل البلد تآمروا عليه** بعد ذلك فاضطر إلى **التنازل عن العرش لابن الملكة** وهرب هو إلى أرض مديان التى فى سيناء. ونحن نعرف أن قبائل مديان كانت تسكن حول خليج العقبة سواء داخل سيناء أو خارجها فى شمال الحجاز ولكن المنطقة المقصودة هنا هى التى تقع

بالقرب من جبل سيناء عند دير سانت كاترين الحالى. وكان المصريون يسمون سكان سيناء شاسو. وعاش موسى سنوات عدة فى منفاه مع أهل مديان الذين صاهرهم قبل أن يحين موعد عودته » [١]

ومعلوم أن قائد الجيوش عادة ما يكون أحد أعضاء الأسر المصرية المالكة وغالبا ما كان هو الفرعون بنفسه إلا فى حالات نادرة، وما يؤكد أنه من الأسرة المصرية المالكة أنه قد أصبح ملكاً فى جنوب مصر، وجنوب مصر حيث مركز الحكم هو طيبة عاصمة الإمبراطورية المصرية. وأوردت القصة التلمودية أنه تزوج ملكة تسمى آدونيت، وعلينا هنا أن نلحظ **أن آدونيت مؤنث آدون فهى مثله البعلة أو السيدة أو الربة،** وهو ما يعنى أن الأدون الذكر كان هو موسى بنفسه – وبفرض عثمان – هو إخناتون أيضاً بنفسه. ونحن نتذكر أن إخناتون كان يطلب التوجه إليه هو شخصيا مباشرة بالعبادة. وما تلى ذلك من تآمر أهل البلد عليه وإجباره على التنازل عن عرشه يلتقى مع ما حدث لإخناتون من تآمر كهنة آمون والعسكر ضده وعزله، أما فكرة إجبار إخناتون للتنازل عن عرشه فهى فكرة أحمد عثمان الذى يرى أنها تلتقى مع خبر التلمود، فخبر التلمود يملأ لنا الفراغ فى القصة التاريخية التى لم نعثر عليها حول مصير إخناتون الذى اختفى من على صفحات التاريخ فجأة دون أى دليل يشير إلى ذلك المصير.

وهكذا يفسر عثمان بالتلمود السبب وراء هروب موسى إلى مديان فى قصة التوراة، وسبق لنا القول بأن إخناتون قد ربى عند أهل ميتانى / مديان أخواله حتى عاد إلى مصر يافعا ليتسلم عرشه.

لكن القول بخروج الإسرائيليين زمن إخناتون وبقيادته باعتباره موسى النبى سيتضارب مع حقيقة أكدتها التوراة وأكدها التاريخ وهى أن الإسرائيليين قد استعبدوا فى بناء مدينة باسم رمسيس، والمؤكد أنها لابد تنتسب إلى أحد الرعامسة، بعد زمن إخناتون بزمن. وقد تم إختيار رمسيس الثانى ليكون سيداً لهذه المدينة وصاحبا لها تحمل اسمه، باعتبار لوح ابنه مر نبتاح الذى يقول أنه دمر بذره إسرائيل، واحتسب رمسيس الثانى هو فرعون الاضطهاد وابنه مرنبتاح فرعون الخروج. لذلك حل عثمان المشكلة بقوله بقدم تلك المدينة وقِدم اسمها رمسيس عن زمن الرعامسة، وأنها لم تكتسب اسم رمسيس من نسبتها للفرعون رمسيس الثانى، إنما لأنها كانت زمن إخناتون تحت إمرة قائد جيش إخناتون الذى يحمل اسم رمسيس أيضاً، وهو الذى أصبح رمسيس الأول مؤسس الأسرة التاسعة عشرة. وقد أنشئ بهذه المدينة زمن آمنحتب الثالث والد إخناتون قصراً صيفياً للعائلة المالكة، وأنها لابد تقع قرب مدينة الحدود المصرية (زارو) أو (شارو) أو (شور)، التى يظن أحمد عثمان أنها مدينة القنطرة الحالية، حسبما وضعها المؤرخون على الخرائط الظنية.

وحتى يستكمل عثمان بناءه الافتراضى يعود إلى مانيتو المصرى ويكتب: « **مانيتو .. جعل أتباع موسى مصريين وليسوا أجانب.** وهو يقول إن الملك المصرى جمع عدداً من المصريين من أتباع أوزرسيف الذى غير اسمه بعد ذلك وجعله موسى ووضعهم في المحاجر حيث أوكل إليهم القيام بأعمال تكسير الحجارة الشاقة عقابا لهم. وبلغ عدد هؤلاء ٨٠ ألفا من بينهم أناس من المتعلمين

---

(١) أحمد عثمان : تاريخ : سبق ذكره، ج١ ، ص٥٣،٥٤.

ومن الكهنة من الذين أسماهم موبوئين، لأنهم ما كانوا يحترمون الحيوانات التى يقدسها باقى المصريين بـل كانوا يذبحونها ويأكلونها ثم جمع كل هؤلاء ووضعهم فى نفس المدينة أواريس التى كانت عاصمة الهكسوس من قبل. وهناك انضم إليهم عدد من الآسيويين وأصبحوا يهددون أمن البلاد إلى أن تم طردوهم"[٢].

هذه فى رأينا اهم إفصاحات أحمد عثمان الحذر فيما وصلنا من أعماله، وفيها يهجس الرجل بأن موسى كان هو إخناتون بعد سقوطه عن العرش ونفيه – حسب نظريته – إلى سرابيط الخادم قرب كاترين بسيناء، حيث سيصبح هو موسى عندما يعود لمواجهة الحاكم الذى لابد أن يكون فى تلك الحال حور محب بعد أن أصبح فرعونا. كما أن إخناتون / موسى هو ذات أوزرسيف الذى تحدث عنه يوسفيوس نقلا عن المصرى مانيتو. وأن الخارجين من مصر بقيادة موسى كان فريق كبير منهم مصريا وفريق آخر إسرائيلياً من بقايا الهكسوس الأسرى. **وأن الخروج لم يحدث زمن مرنبتاح ابن رمسيس الثانى أو زمن والده رمسيس الثانى، إنما حدث زمن حورمحب تحديداً. وكان قائد هذا الخروج هو إخناتون نفسه بعد سقوطه عن العرش.**

الرجل شديد الحصافة يترك لقارئ أريب الوصول إلى ما يريد أن يقول، ربما خوف التحريمات الدينية فى بلادنا بهذا الشأن. ومن جانبنا كنا قد وصلنا إلى أن موسى ربما كان إخناتون نفسه قبل سنوات طويلة من الآن، منذ بدأنا جمع المادة العلمية لبحثنا. وقد أعلنا عن هذا الظن فى أكثر من منتدى ثقافى، لكن ذلك لا يعنى سوى أن عثمان قد وضع يده على الظن ذاته وأقام له السيناريو اللازم والنظرية وأنه سبق إلى إعلانه منشوراً فى كتاب. **هنا فقط نقطة اللقاء، لكن نقطة البداية للوصول إلى هذه الفكرة المركزية تختلف تماما،** ثم عند التفرع من هذه النقطة إلى ما ترتب عليها فكل ما كتبنا حتى الآن كان محطات ممهدة للوصول إلى هذه الفكرة المركزية.

من تلك النقطة المركزية يختلف الأمر اختلافا كليا عن تصورات عثمان بهذا الشأن كما سيرى قارئنا الآن. لكن إذا كان ظننا كذلك، فإنه يعنى أن **أوديب هو إخناتون هو موسى النبى، شخص واحد فى ثلاث روايات مختلفة، شخص مصرى معلوم الشأن هو إخناتون فى رواية مصرية حقيقية، وشخص يونانى هو أوديب فى تراجيديا يونانية، وشخصى إسرائيلى هو موسى فى رواية عبرية مقدسة.**

إن فليكوفسكى الذى نعى على فرويد عدم التقاطه لأوديب باعتباره إخناتون، لم يلتقط بدوره ورغم اهتمامه بالشخصيات الثلاثة أن من الممكن أن يكون إخناتون هو موسى أيضاً، ولم يلتقط أحمد عثمان بدوره أنه من الممكن أن يكون إخناتون هو ذات أوديب، بينما فليكوفسكى نفسه رغم اهتمامه بالشخصيات الثلاثة موسى وأوديب وإخناتون فإنه لم يستطع أن يرى أنهم كانوا شخصاً واحداً.

لقد كان قائد الخروج من مصر هو الفرعون (إخناتون) بذاته وكان هو من عرفت اليونان قصته باسم (أوديب)، وهو ذاته ما دونت التوراة فى قصتها الكبرى اسمه (موسى)، وهذا ما سنحاول أن نقيم عليه الأدلة من الآن وحتى نهاية هذا البحث، ومهدنا له بكل الجهد السالف.

---

[٢] نفسه : ج١ ، ص٧٩، ٨٠.

لكن هنا سيطفر السؤال المستغرب: كيف وصلت قصة الفرعون المارق إلى بلاد اليونان بهذا التـدقيق المدهش؟ لقد قال فليكوفسكى إجابته لكن لنا هنا إجابة أخرى.

للإجابة نبحث وننقب فنعثر على أول العلامات الشاهدة على معرفة بـلاد اليونـان بقصـة الخـروج الإسرائيلى من مصر، بل الشاهدة على علاقات أوثق وأمتن من مجرد السمع بالقصة بـين اليونـان وبـين الخارجين من مصر. هو رسالة الملك اليونانى آريوس ملك لاكيدايمونيا إلى كبير أحبار اليهود فـى زمانـه آريوس أونياس تؤكد **أن هناك أصلا جنسياً مشتركاً لبعض أمم الإغريق والإسرائيليين**، وقـد جـاءت هـذه الرسالة عند المؤرخ اليهودى (يوسفيوس) قال أنها دونت فى صفحة مربعة الشكل وتحمل خاتماً يصور نسر يصارع ثعبانا وهى كما ذكرها بالنص كالآتى:

من ملك الإسبرطيين (أهل لاكيدايمونيا) إلى أريوس إويناس : تحية وسلاما.

> حدث أن وجدت فى بعض النقوش **أن اليهـود وأهـل لاكيدايمونيا ينتمون إلى جنس واحد**، وأن الأخيـرين ليسوا بغرباء على نسل إبراهام (إبراهيم الخليل)، لذلك فمن الأوفق ما دمنا إخوة أن تطلعونا على كـل مـا ترغبـون فيه. ونحن من جانبنا سـنفعل الشـئ ذاتـه ولسوف نعتبر شئونكم مثـل شـئوننا سـواء بسـواء، وبالمثل سوف تكون بيننا وبينكم علاقات مشتركة. وإن ديموتيليس الذى يحمل هذه الرسالة هو الـذى سـيقوم بحمل رسائلنا.

ويزعم العالم الجليل (دى بوا إيميه) رفيق علماء الحملة الفرنسية الأشهر أنه زمن خروج بنى إسرائيل من مصر ظهرت فجأة فى بلاد اليونان مستعمرات جديدة تماما على بلاد الإغريق، ثم يسـتنتج مـن جانبـه استنتاجا تفرد به يقول باحتمال أن يكون **مؤسسى تلك المدن الجديدة فى بلاد اليونان كـانوا مـن الرعـاه القدماء الذين خرجوا من مصر**، وكانت لهؤلاء الجدد باليونان عادات ومعتقدات تتشابه إلى حـد بعيـد مـع **عادات ومعتقدات خليط من المصرية والفينيقية** (٣).

ثم لاشك سنتذكر هنا على الفور عبارة بللينى السريعة الشاردة التى تقول:

> إن المعينيين كما يتضح من اسمهم يرجعون إلى مينوس ملك كريت (٤)

---

(٣) دى بوا يميه : سبق ذكره ، ص٣٣٦ ، ٣٣٧.

(٤) مظفر نادوثى : التاريخ الجغرافى. سبق ذكره ص٢١١.

وهى الإشارة التى سبق واستنتجنا منها أن المينويين الذين أسسوا الحضارة المعروفة باسمهم فى الجزر اليونانية كانوا معينيين نقلوا حضارة منطقتهم إلى بلاد اليونان، وأن ذلك قد حدث ربما زمن الهكسوس الذين كانوا ينقلون نُخب من شعوب تحت ظل حكمهم الإمبراطورى إلى مواضع أخرى بعيدة على التبادل، ونحن نعلم أن المعينيين أو المعانيين كانوا فريقا ضمن الأخلامو فى بلاد آدوم.

وهنا حان موعد الاحتمال الثانى لتفسير علاقة الحضارة المينوية بالمعينية وهو انفصال فريق من الخارجين من مصر اتجه إلى بلاد اليونان ليستقر هناك وينشئ حضارة خاصة هناك.؟ واحتمال الانفصال نتيجة انشقاق بين الخارجين أصبح أمراً مؤكداً، حيث حدث خلاف عقائدى عند جبل الله حوريب بسيناء بين عبدة الأدون أو السيد أو الله ممثلاً فى ثور الخصب وبين عبدته باعتباره الأدون أو السيد الأعلى فوق جميع الأرباب، وهو الانشقاق الذى سيأتى الحديث عنه تفصيلا فى موضعه من هذا البحث، والذى أدى إلى معارك دموية بين فصائل الخارجين انتهت إلى انقسامهم فرقا. منهم من اتجه نحو بلاد الحجاز ومنهم من اتجه نحو بلاد اليونان، ومنهم الذين انتصروا فى الصراع وفرضوا عقيدتهم وهم من استمروا فى اتجاههم نحو فلسطين لفتحها.

ومع أولئك الذين اتجهوا نحو اليونان انتقلت قصة الفرعون المارق الذى تزوج أمه وسقط عن عرشه، لكن باسم أوديب، بينما نقل المنتصرون ذات القصة إلى فلسطين لكن بطلها حمل اسما آخر هو (موسى).

ويعتمد عبقرى الحملة الفرنسية (دى بو إيميه) فى مصادره التاريخية فقط على مصدرين: الكتاب المقدس وتاريخ يوسفيوس، لأن الرجل كان يخوض تلك المناطق الشائكة المعقدة قبل فك رموز الهيروغليفية فلم تتوفر له المصادر التاريخية الأركيولوجية التى توفرت لنا الآن. فيعود إلى قصة يوسفيوس التى نقلها عن المؤرخ المصرى مانيتون التى تتحدث عن فتنة كاهن عين شمس المصرى (أوزرسيف)، وكيف استعان هذا الكاهن وبعض أتباعه الذين يصفهم التاريخ المصرى بالمصريين الفاسدين، بالإسرائيليين الموجودين بمصر، وبفلول الرعاة الهكسوس المطرودين من مصر والذين تمركزوا بعد طردهم حول أورشليم بفلسطين، وكان ذلك زمن فرعون باسم أمنوفيس أى آمنحتب.

وبدلاً من أن يقوم الفرعون وجيشه بصد الهجمة الهكسوسية الثانية وتأديب أوزرسيف، رحل برجاله جنوبا إلى أثيوبيا بعد أن تراءت له بعض المخاوف الأسطورية، لأنه كان لايؤمن بالحروب بين الناس، فسمح لهؤلاء المارقين بالاستقرار فى إقليم جاسان على الحدود بين دلتا مصر وسيناء.

ويقول دى بوا إيميه أن أوزرسيف قد أعطى هذه الألوف من المنشقين المصريين ومن القوم الرعاة ديانة خاصة، كانت خليطاً بين ديانتى الشعبين بالضرورة. وينقل عنه الباحث غطاس الخشبة قوله: "وأمر أوزرسيف هؤلاء ألا يتصاهروا إلا فيما بينهم، ولكى يحول دون أى صلح بين هؤلاء وبين المصريين، أوعز لهم بهدم وتشويه تماثيل الآلهة المصرية. وكانت النتيجة للاضطهادات الدينية والحروب والثورات، أن

عدداً كبيراً من العائلات أخذت تبحث لنفسها ومعها آلهتها عن موطن جديد. ويبدو أن هذا الوقت هو الفترة التى يحتمل فيها أن مستعمرات عديدة نشأت خلالها فى بلاد الإغريق. فإن رأى البعض أن هذه الديانة ليست هى تماما الديانة المصرية القديمة، فإننا نضطر هنا إلى الظن بأن مؤسسيها كانوا من هؤلاء الرعاة القدماء الذين لم يعتنقوا جميعاً معتقدات أوزرسيف، **بل كانت لهم بالضرورة فى عاداتهم أوجه شبه مع الفينيقيين والمصريين**. وإذا لم يكن كتاب آريوس ملك لاكيدا يمونيا إلى أويناس كبير أحبار اليهود مزيفا، فإنه يأتى كى يدعم هذا الرأى الذى يعطى للعبرانيين وبعض أمم الإغريق أصلا مشتركا. وأخيراً فإن علينا أن نجعل مولد موسى يتم فى عهد أمينوفيس (آمنحتب) هذا، وأن نضع فيه أول الإضطهادات التى لحقت بالعبرانيين كما تشير إليها التوراة " (٥)

ويذكرنا هنا (أنتا ديوب) بروايات اليونانيين عن (كادموس) الذى جاء جزر اليونان وافداً، وكيف أدخل الكتابة والأبجدية إلى بلاد اليونان، وأنه ربما كان من أصول فينيقية، وأنه وفقا لذات الروايات اليونانية نجد (كيركروبس) يأتى من الشرق ليستقر فى أتيكه، ويأتى (داناوس) أخو (إيجوبتوس) ليستقر فى أرجوليس حيث علم الإغريق الزراعة والتعدين عموما وتعدين الحديد خصوصا، وغير خاف أن إيجبتوس هنا تعنى المصرى. والذكريات اليونانية فى هذه المرحلة تحدثنا عن ثقافة مصرية فينيقية تصل بلاد اليونان وتقيم هناك أصولها الحضارية. ثم لا ينسى (أنتاديوب) أن يذكرنا أن أصول الأبطال الفينيقيين التاريخية الذين هبطوا على بلاد اليونان كان مهدهم الأصلى يقع " **على الحدود مع مصر** " حسبما قررت نصوص أوغاريت، وبالتحديد فإن هؤلاء " الأبطال الوطنيين والأسلاف كانوا مستقرين **فيما بين البحر الأبيض والبحر الأحمر** " (٦) وهى المساحة التى حددناها لسكنى الحوريين الآدوميين المديانيين. إن مثل تلك الذكريات اليونانية تحفظ فى طياتها أصول الأمر كله موجزاً مكثفا، كما تزيدنا تأكيداً حول تشرذم الخارجين من مصر فى سيناء، وانشقاق مجموعة منهم اتجهت لبلاد اليونان. أو تؤكد الاحتمال الأسبق وهو أنهم عناصر من سكان المنطقة تم نقلهم من مواطنهم زمن الهيمنة الهكسوسية أو أن هذا التشرذم قد حدث بعد طرد الهكسوس من مصر ومطاردة فراعنة التحرير لهم فى مساحة شرقى المتوسط وتشتيت الحلف الأول، ليتجه البعض نحو الحجاز، والبعض يعود إلى مواطنه التاريخية فى يمن سبأ وحمير، ويوجه البعض الآخر نحو بلاد اليونان. هناك هجرة قد تمت بواحد من الأشكال السالفة وإن كنا نرجحها إبان الخروج الإسرائيلى من مصر حاملين معهم قصة اللعنة التى حلت على بيت آمنحتب الثالث أو بيت الملك لايوس حسب الرواية اليونانية. ومن جانبه يحتفظ المأثور العربى بذكريات باهتة عن هجرة مشرقية إلى دول أوروبا الجنوبية الواقعة على سواحل المتوسط، بل ويحدد لنا ذلك المأثور جنس هؤلاء المهاجرين ومواطنهم الأصلية، فيقول ابن قتيبة:

كان **عيصو** (عيسو) رجلا **أحمر** شعر الجسد عليه
خواتيم من شعر، صاحب صيد، **وهو أبو الروم**

---
(٥) الخشبة : رحلة. سبق ذكره ، ص ٢٢٦.
(٦) أنتاديوب : الأصول الزنجية . سبق ذكره ، ص١٣٣، ١٣٤.

(الأوروبيين الجنوبيين)، وكان الروم رجلاً جلداً أحمر.
أصفر فى بياض شديد الصفرة، فمن أجل ذلك سميت
الروم بنى الأصفر.

وتزوج عيصو ابنة عمه إسماعيل بن إبراهيم فولدت
الروم بن عيصو وخمسة آخرين، **فكل من بأرض**
الروم اليوم هم من نسل هؤلاء الرهط، وبعض الناس
يزعمون أن الأسبان من ولده. (٧)

ومن علامات ذلك التشظى الذى حدث للخارجين من مصر نتيجة انقسامهم، أو نتيجة خروجهم ومهاجمتهم البلاد الفلسطينية الذى أدى بدوره إلى هجرات واضحة، ما أوردته صحاف شمبرز بيير Chamber's paperes " إن اسم يشوع بن نون وجد منقوشاً على حجر عند نوميديا بشمال إفريقيا حيث أقام الفينيقيون مستعمرتهم قارة حداشة التى عرفت فيما بعد باسم قرطاجنة، وعلى ذلك الحجر الذى كشف سنة ٥٤٠م كتابة بالفينيقية يقول كاتبوها إننا خرجنا من ديارنا لننجو بأنفسنا من قاطع الطريق يشوع بن نون " (٨). ومعروف أن يشوع بن نون كان هو قائد الخارجين من مصر بعد موت موسى.

الدلائل جميعا تشير إلى حراك مهاجر ومتشظى سبق الخروج وعاصره ونتج عنه، وكلها وسائل يمكن أن تكون قد حملت قصة الفرعون المارق إلى بلاد اليونان ولكن باسم أوديب.

وإذا كان (فليكوفسكى) قد تمكن ببراعة واقتدار إثبات مصرية الأسطورة الأوديبية، فإن الأمر الذى يجب التأكيد عليه كعنصر أساسى لهذه الرؤية. هو أن المصرى وحده وبالذات بين العناصر البشرية للشرق القديم هو الذى كان يعطى عظيم اهتمامه للحياة من بعد الموت. لذلك كان إعلان كرايون النسخة اليونانية من آى فى تل العمارنة أن عقاب بولينكيس ابن أوديب لاستقدامه أعداء البلاد والاستعانة بهم، هو عدم دفنه وعقاب من يدفنه عقابا هائلا. ومع ذلك أصرت أخته أنتيجونى على دفنه وتحمل ذلك العقاب، ثم لابد من الوقوف الدهش مع هايمون ابن كرايون / آى وهو يقول لأبيه " يا أبتاه كفى عناداً إنك لا تعلم ماذا يقول الناس عنك .. إن كل مواطن يستحسن عمل أنتيجونى ويعتبره من أعمال البطولة التى تستحق التمجيد السرمدى " (٩). وفى اليونان كان المستحب حرق الجثمان وليس دفنه دون كل تلك الحفاوة بعالم الموت . هذا بينما أعلن تيرياس النسخة اليونانية للحكيم امنحتب بن حابو أن عدم دفن الجثة مخالف لقوانين السماء وسيجلب على البلاد اللعنة الإلهية، ثم يهتف فى كرايون آى قائلاً : " فأى مجد هناك فى **قتل المقتول** " وهذه العبارة تحديداً تعبر أشد التعبير عن عقيدة المصرى وحده دون العالمين. فقد كان يعتقد أن الميت يمكن أن

(٧) ابن قتيبة : المعارف. سبق ذكره ، ص٣٨، ٣٩.
(٨) العقاد : سبق ذكره، ص١٠٧.
(٩) أمين سلامة فى مقدمته لسوفوكليس فى الملك أوديبوس، أو ديبوس فى كولونوس، أنتيجونى، دار الفكر العربى، القاهرة، د. ت، ص٦١.

يموت موتاً نهائياً دون بعث وحياة أخرى إذا محى اسمه بعد موته، أو إذا لم يتم دفنه حسب الأصول المرعية. ثم لا ينى تيرياس يتفوه بتعابير وأفكار مصرية خالصة، انظره يقول لكرايوان : " إنك ترتكب جريمة مزدوجة بحرمانك العالم السفلى من حقوقه وحرمانك العالم العلوى من الروح التى يجب أن **تحيا فى ضوء النهار** " [١٠]. لقد كان المصرى يعتقد أن الميت يذهب بعد الموت إلى العالم السفلى عالم الموتى حيث يعيش تحت حكم الإله أوزيريس، لكنه فى ذات الوقت كان يؤكد أن ذلك العالم كان نهار ساطعاً بالشمس لأن الإله الشمس رع كان يسلك رحلته بعد الغروب فى العالم السفلى حيث يشرق هناك ويحيل الليل نهاراً، أما التعبير " **تحيا فى ضوء النهار** " تعبير مصرى قح مئة بالمئة يرد أكثر من مرة فى كتاب الموتى نعرفه اليوم باسم كتاب الموتى أما المصرى القديم فكان يسمى كتاب الموتى (بر ت أم هرو) أى **الخروج إلى ضوء النهار**.

وحتى نتيقن مما نقول نعود إلى القصص الثلاث محاولين إلقاء الضوء على المساحات المشتركة بينها.

أبداً لم نعثر على نص واضح صريح يؤكد استبعاد إخناتون إلى بلاط أخواله الميتانيين / المديانيين، وأنه قد تم تهربا من قدر قدرته عليه نبوءة أبو الهول الطيبى. لكن ما جمعناه من قرائن كاف تماما للبرهنة على ما حدث، وأنه قد استُبعد صغيراً من بلاده ومن بيت أبيه ليربو فى بلاط المديانيين حتى يتم استدعاؤه لتسنم عرش أجداده فى طيبة المصرية.

لكن تلك القرائن تتحول إلى سجل حقيقى للنبوءة وتفاصيلها عندما يتم تدوين الأحداث فى بلاد اليونان بعدما حملت القصة أسماء يونانية وأصبح بطلها هو أوديب بديلا للاسم المصرى إخناتون، وإن كان الاسم اليونانى قد حفظ فى ملفوظه اللسانى اسم الملك المصرى، فقد كان الاسم الأصلى للملك المصرى هو (آمن ــــ حُتيب/ الرابع)، وأوديب تلتقى تماما مع (حوتيب) حيث تتبادل الحاء مع الألف والتاء مع الدال. وتقول الصياغة اليونانية أن الآلهة قد قررت عقاب الملك لايوس لأنه أول من أدخل العشق المثلى (اللواط) إلى بلاد اليونان، فقدرت على بيته وأسرته اللعنة والشقاء، وقررت ما أفصحت عنه نبوءة دلفى، أن الولد الذى ستلده الملكة يوكاستا زوجة لايوس، سيقتل أباه ويتزوج أمه. وحتى يحول الملك لايوس دون تحقق النبوءة قرر التخلص من الطفل بتركه فى العراء لتفترسه الوحوش أو يموت جوعا ومرضا، ولهذا قام بتسليمه إلى أحد موظفى البلاط المخلصين سراً لتنفيذ الرغبة الملكية، لكن الموظف المخلص كان أشد إخلاصا لإنسانيته ولم تمكنه رقة قلبه من القضاء على طفل رضيع، فسلمه إلى أحد الرعاه على الحدود بين طيبة وبين كورنثة فى موضع وصف بأنه **صحراء قاحلة**، ويتصادف أن يعجب بالطفل ملك كورنثة بوليبوس Polybus وزوجته ميروبى Merope فيأخذا الطفل ويتبنياه ويطلقا عليه اسم أوديب.

أما التوراة فقد صاغت قصتها بقدر من الاختلاف لكن مع الاحتفاظ بالعنصر التأسيسى وهى فكرة **استبعاد بطل الملحمة ونشأته فى بلاد غير بلاده، ومرباه فى قصر ملكى ثم عودته إلى أهله بعد ذلك كما**

[١٠] نفسه : ص ٦٢.

عاد كل من أوديب وإخناتون، وهكذا تقول التوراة أن مولد موسى قد توافق مع ذروة الاضطهاد المصرى للإسرائيليين المأسورين بمصر والذى وصل إلى حد قتل الأطفال الذكور من بنى إسرائيل، لأسباب تبررها نصوص المقدس بقولها:

> ثم قام ملك جديد على مصر لم يكن يعرف يوسف، فقال لشعبه: هوذا بنو إسرائيل شعب أكثر وأعظم منا، هلم نحتال لهم لئلا ينموا فيكون إذا حدثت حرب **أنهم ينضمون إلى أعدائنا ويحاربوننا ويصعدون من الأرض**. فجعلوا عليهم رؤساء تسخير لكى يذلوهم بأثقالهم، فبنوا لفرعون مدينتى مخازن فيثوم ورعمسيس. ولكن بحسبما أذلوهم هكذا نموا وامتدوا، فاختشوا من بنى إسرائيل. فاستعبد المصريون بنى إسرائيل بعنف ومرروا حياتهم بعبودية قاسية فى الطين واللبن وفى كل عمل الحقل، كل عملهم الذى عملوه بواسطتهم عنفا. وكلم ملك مصر قابلتى العبرانيات اللتين اسم إحداهما شفرة واسم الأخرى فوعة وقال: **حينما تولدان العبرانيات وتنظرانهن على الكراسى** إن كان ابنا فاقتلاه وإن كان بنتا فتحيا. ولكن القابلتين خافتا الله ولم تفعلا كما كلمهما ملك مصر بل استحيتا الأولاد. فدعا ملك مصر القابلتين وقال لهما: لماذا فعلتما هذا الأمر واستحييتما الأولاد؟ فقالت القابلتان لفرعون: إن النساء العبرانيات لسن كالمصريات، فإنهن قويات يلدن قبل أن تأتيهن القابلة، فأحسن الله إلى القابلتين ونما الشعب وكثر جداً وكان إذ خافت القابلتان الله أنه صنع لهما بيوتا. ثم أمر فرعون جميع شعبه قائلا كل ابن يولد **تطرحونه فى النهر** لكن كل بنت تستحيونها.
>
> وذهب رجل من بيت لاوى وأخذ بنت لاوى فحبلت المرأة وولدت إبنا، ولما رأته أنه حسن خبأته ثلاثة أشهر، ولما لم يمكنها أن تخبئه بعد أخذت له سفطا من البردى وطلته بالحمر والزفت ووضعت الولد فيه ووضعته بين الحلفاء على حافة النهر، ووقفت أخته من

بعيد لتعرف ماذا يُفعل به.

فنزلت إبنة فرعون إلى النهر لتغتسل وكانت جواريها ماشيات على جانب النهر فرأت السفط بين الحلفاء، فأرسلت أمتها وأخذته ولما فتحته رأت الولد وإذا هو صبى يبكى فرقت له، وقالت: هذا من أولاد العبرانيين فقالت أخته لابنة فرعون: هل أذهب وأدعو لك امرأة مرضعة من العبرانيات لترضع لك الولد؟ فقالت لها ابنة فرعون: اذهبى، فذهبت الفتاة ودعت أم الولد فقالت لها ابنة فرعون: اذهبى بهذا الولد وارضعيه لى وأنا أعطيك أجرتك، فأخذت المرأة الولد وأرضعته ولما كبر الولد جاءت به إلى ابنة فرعون فصار لها ابنا ودعت اسمه موسى وقالت: إني انتشلته من الماء.

خروج ١ / ٨ - ٢٢ و ٢ / ١ - ١٠

وفى هذا النص أكثر من إشارة تستحق التوقف معها، أولها قوله أن الإسرائيليين فى مصر قد أصبحوا أكثر وأعظم من المصريين وهو كلام يجافى العقل تماما فمن المستحيل أن يعيش سبعين إسرائيليا دخلوا مصر مع يوسف لمدة أربعة أجيال فقط فيصبحوا أكثر وأعظم من المصريين. وكان هذا هو السبب الذى ارتآه المحرر التوراتى لقتل ذكور بنى إسرائيل لأن الفرعون قد تخوف هذا العدد الهائل أن ينضم إلى أعداء مصر ويحاربوا المصريين.

وهكذا يخفى المحرر التوراتى عن عمد الأسباب الحقيقية لاستبعاد موسى فى سفطه السابح بنيل مصر، ويلفق بدلا منها أسبابا لا يمكن لعاقل قبولها، وبعد قليل سنعلم السر فى هذا التلفيق العمدى. أما أن الفرعون خشى أن ينضم الإسرائيليون إلى أعداء مصر فهو تسجيل حقيقى لوقائع حدثت كان المحرر التوراتى يعلمها جيداً، لكنه وهو يعبث بتسجيل الأحداث فلتت منه هذه الواقعة، إلا أنه وضعها قبل موضعها من الزمن الذى حدثت فيه من بعد كما لو كانت مجرد تنبؤ وتخوف من الفرعون مما قد يحدث، ولم تسجل التوراة أن الإسرائيليين قد تحالفوا مع أعداء مصر عند الخروج، لكن وثائق التاريخ – حسب تفسيرنا ونظريتنا – لم تهمل تدوين هذا الحدث كما سيأتى بيانه فى حينه.

ثم شاردة أخرى بالنص تؤكد معرفة الإسرائيليين بالمصريين وعاداتهم معرفة وثيقة، ونقصد بتلك الشاردة قول الفرعون للقابلتين: حينما تولدان العبرانيات وتنظرانهن على الكراسى، فما هو معنى " حينما تولدان العبرانيات وتنظرانهن على الكراسى "؟ لقد أوضحت الكشوف أن المصريين قد تميزوا من بين الشعوب بما يعرف بكرسى الولادة كأسلوب علمى متقدم فى تسهيل عمليات الولادة وقد أخذ العبرانيون بذلك الأسلوب بعد معيشتهم فى مصر كما هو واضح بالنص.

وهكذا تم استبعاد موسى إلى قصر الفرعون، ثم عاد إلى أمه وبيت أبيه لترضعه، لكنه ما أن بلغ فطامه حتى تمت إعادته إلى قصر الفرعون مرة أخرى.

الملحمة والتاريخ

ويقول لنا الباحثون فى الأساطير والملاحم الشعبية أن هناك عناصر مشتركة فى الملاحم الشعبية تتسم بها تلك الملاحم جميعاً على التفاوت فى بعض العناصر أو التبادل بينها، ويرصد لنا (شكرى عياد) أهم تلك السمات فى نقاط أساسية هى العناصر المكونة للملحمة الأسطورية كالتالى:

١) أم البطل ليس شرطاً أن تكون ملكه، لكنها **من أصل ملكى.**

٢) وأبوه ملك.

٣) كثيراً مايكون الأب من الأقارب الأدنيين للأم.

٤) يولد فى ظروف غير عادية.

٥) يقال أنه ابن إله.

٦) عند مولده يُراد قتله وعادة ما يكون صاحب الرغبة فى قتله هو أباه أو جده لأمه .

٧) تتم تربيته فى بلاد غير بلاده بواسطة أبوين بالتبنى.

٨) لا نسمع عنه شيئاً طوال مرحلة طفولته منذ استبعاده حتى عودته إلى الظهور مرة أخرى شابا يافعاً.

٩) حين يبلغ مبلغ الرجال يعود إلى بلاده.

١٠) ينتصر على ملك البلاد أو على عملاق أو وحش.

١١) يتزوج أميرة البلاد التى عادة ما تكون ابنة سلفه أو زوجته ويصبح ملكا.

١٢) يحكم فترة من الزمن بدون أحداث تذكر.

١٣) يسن للبلاد قوانين جديدة وأعراف من نوع خاص.

١٤) نتيجة ذلك يتعرض لسخط الآلهة والرعية.

١٥) يتم إقصاؤه عن العرش ونفيه من مقر حكمه وبلاده.

١٦) يموت بعد ذلك ميتة غامضة.

١٧) لا يخلفه أبناؤه على العرش عادة.

١٨) لايدفن جثمانه ولا يعرف له مكان يقيني.

١٩) ومع ذلك تتعدد القبور والأضرحة التى تصبح مقدسة لهذا البطل [١].

ويكرر (عبد الحميد يونس) ما وجده من عناصر أسطورية مشتركة فى قصص البطل الملحمى فيقول: " إن البطل الملحمى أو بعبارة أدق البطل الشعبى يولد **ويتعرض للأخطار فى طفولته،** لكنه ينجو ويشب عن الطوق ويتفوق على الآخرين فى الطعان ويتحصن ضد الإصابات القاتلة، **ويحارب التنين** أو ما يماثله من وحش خرافى، ويُطلب إليه أن يأتى بالمستحيل، **وينفى عن موطنه، ويصارع أباه،** ويحمى مجتمعه، ويفوز دون غيره من نظرائه بأجمل فتاه فى محيطه وعالمه. وتتحقق بذلك النبوءة.. ثم يعبر إلى العالم الآخر بعد كفاح عنيف " [١١].

هذا بينما يفصل (على زيعور) بوصفه متخصصا فى الدراسة السيكولوجية للمأثور الشعبى والتراث فيقول: " تتميز أيضاً حداثة البطل بجمال خارق وشجاعة .. وعدم لهو، ويفضل الطفل **التأمل والنظر إلى السماء** والعزلة أو الصمت. وقد يكون ذا صفات خارقة **وعلم لدنى .. ويعيش البطل مهدداً بالخطر طيلة السنوات الأولى من العمر، فقد يُخبأ أو يرمى أو يترك فى القفر .. وينقطع متخليا عن المباهج مفضلاً الانعزال ..** [١٢].

ويزيدنا زيعور تفصيلا فيقول: " يتخيل الناس بطلهم إنسانا مولوداً على غير المألوف وأبويه غير مألوفين: **أم غير عادية وأب يأمر بقتل المولود الذى سينجو، ثم فيما بعد يقتل الوحش الذى يخيف الجماعة فينقذها ويحررها، يتصل بالمطلق** ويسبح فى السماوات وفى الأرضين " [١٣].

ثم يقرأ (زيعور) مجموعة أساطير عن البطل المخفق المنفى ليلحظ وجود عناصر أخرى مشتركة هامة تماما أهمها خروج البطل على مألوف العادة **وكسره للتحريمات المقدسة بل ربما تسبب فى إباحية جنسية، وأنه ربما تحول إلى إله معبود** رغم إسقاطه للمحرمات ورفضه للشرائع والتكاليف **والسعى لهدم الدين السائد** واتسامه بالحقد والرغبة فى **الانتقام المروع** الذى يرضى الحس الشعبى الذى يطلب دوما الثأر من ظلم الأوضاع الاجتماعية فهو انتقام نظرى اجتماعى عبر صورة البطل [١٤].

وينبهنا (شكرى عياد) إلى أن تلك السمات والعناصر المشتركة جمعها (راجلان) الذى سبق لنا إيراد رأيه واعتبرها النموذج القياسى لجميع أساطير البطولة. لكن (عياد) من جانبه يرى أن هذا النموذج لا يكاد

---

[١] شكرى عياد : البطل فى الأدب والأساطير، دار المعرفة، القاهرة، ط٢، ١٩٧١، ص ١٢٠، ١٢١.

[١١] عبد الحميد يونس : الفو لكلور والميثولوجيا، عالم الفكر، الكويت، مجلد ٣ عدد ١ ص ٤٦.

[١٢] د. على زيعور : قطاع البطولة والنرجسية فى الذات العربية، دار الطليعة، بيروت ، ١٩٨٢، ص ١٠٥، ١٠٦.

[١٣] نفسه : ص ٣٤.

[١٤] نفسه : ص٤١.

يتحقق كاملا فى غير أوديب، ثم يشرح موقفه موضحا " ولعلنا لو اقتصرنا على عناصر ثلاثة رئيسية وهى: النشأة الغامضة للبطل وإن قيل أنه من أصل ملكى أو إلهى، وتوليه الملك أو الزعامة بعد عمل يدل على أنه محبو بقوة خارقة وقد يكون هذا العمل هو القضاء على الملك الشيخ، وانتهاء ملكه بتخلى هذه النبوءة الخارقة عنه وانقلاب أحبابه عليه بحيث يموت مقتولا بيد أحد هؤلاء الأحباب، أو من جهة لم يكن يتوقع أن يأتيه منها الموت. لعلنا لو اقتصرنا على هذه العناصر الثلاثة لوجدناها .. متحققة فى قصص كثير من أبطال الأساطير كتحققها فى قصة أوديب " (١٥) .

ولدينا هنا نموذج آخر للبطل الملحمى يتعلق بموضوعنا تماما بطلها البطل الأسطورى اليونانى هرقل، حيث قد دارت أحداثها فى طيبة وفى بلاط كرايون نفسه بعد مقتل لايوس، تكرر فى أحداثها الأسطورية عناصر تأسيسية من قصة أوديب / إخناتون / موسى، فتقول الأسطورة أن هرقل قد ولد من أبوين هما أمفتريون وألكمينا، وأن ألكمينا كانت بنت ملك ميسينى، لكنه لم يولد فى ميسينا بل فى طيبة، ثم تفاجئنا الأسطورة باكتشاف أن البطل لم يكن من أب بشرى بل هو ابن كبير الآلهة زيوس نفسه الذى عاشر ألكمينا بنت ملك ميسينى التى تعيش فى طيبة لا فى ميسينى إبان غيبة زوجها. ورباه امفتريون وهو لا يعلم أنه ابن الإله وظنه ولده من صلبه، لكن فجأة تدخل على القصة عناصر غريبة تخل بتناسقها **فيقتل هرقل رجلا فى ساعة غضب** مما يثير ضده أبيه أمفتريون الذى يعاقبه بأن يخرجه من بيت العز **ليرعى الغنم**، ثم لا يكتفى بهذا العقاب بل يأمره **بمواجهة أسد كيثابرين** الذى كان يعيث فساداً فى المنطقة، ويتغلب هرقل على الأسد ويعود إلى طيبة مكللا بالنصر العظيم الذى أحرزه. ثم نفهم أن هرقل كان شديد الألم من خضوع طيبة للمينويين فقام بتسليح أهل طيبة ودربهم على القتال وقادهم إلى الحرية، فكان أن كافأه كرايون ملك طيبة بأن زوجه من ابنته وجعله حاميا للمدينة (١٦).

والآن

إذا كانت تلك النماذج المشتركة للأساطير الملحمية تتطابق تماما مع أسطورة أوديب، فهل بالإمكان أن نعثر فى حياة الملك إخناتون وفى قصة موسى على ذات النماذج؟

الملحمة التقليدية تؤكد أن البطل وريث ملكى حقيقى لأن أباه ملك، بينما أمه من أصل ملكى، وهو ما يعنى **أن الأب ملك بالتأكيد** والقطع لكن أمه ربما تعود إلى أصل ملكى عن قرابة بعيدة أو أنها من أصل ملكى لدولة أخرى، لكنها ليست ملكة وطنية بالقطع. ونحن نعلم أن إخناتون هو ابن الفرعون المصرى الأشهر آمنحتب الثالث الذى حكم على أعظم إمبراطوريات ذلك الزمان، لكنا نعلم فى الوقت نفسه أن زوجته (تى) أم إخناتون يشوب أمرها شك كبير، فهى عند بعض المؤرخين من عامة الشعب، وعند البعض الآخر أنها من البلاط الميتانى / المديانى.

---

(١٥) شكرى عياد : البطل ... سبق ذكره ، ص ١٢٢، ١٢٣.
(١٦) نفسه : ص ١٢٤.

وإن تتابع متغيرات الأحداث السريعة فى المنطقة فى تلك الحقبة يمكنها أن تلقى ببعض الأضواء على ما حدث. كان البلاط الميتانى / المديانى فى زمن الأسرة الثامنة عشرة – التى حكم إبانها الملك آمنحتب الثالث – الصديق الصدوق للبلاط المصرى، لكن فى زمن تحتمس الرابع والد آمنحتب الثالث بدأت هذه العلاقات تتبدل بعد سقوط حليف مصر الملك الميتانى شورتانا / ونظنه كان (ثور – آتون) بعد الانقلاب الذى قاده (توعى) واستولى به على عرش مديان / ميتان. وتحول إلى العداء الشديد للبلاط المصرى، لكن فى عهد آمنحتب الثالث وفى منتصفه تقريباً عاد الود بين الأصدقاء مرة أخرى بثورة قادها حليف مصر الوريث الشرعى للعرش الميتانى(دوشراتا / ذو الشرى) ابن شورتانا ضد (توعى) وتمكن من هزيمته والاستيلاء على الحكم، وقام بالعودة السريعة إلى الحلف مع مصر، ولا نظن مصر كانت بريئة تماما من ثورة دوشراتا ضد توعى، بل ربما شاركت مشاركة مباشرة عسكرية لإعادة العرش لأنصار مصر فى ميتانى. وهذا الفرض من جانبنا تدعمه أخبار المعارك العسكرية المنسوبة لزمن آمنحتب الثالث بالوثائق المصرية، ويكذبها المؤرخون ويرون أنه لم يكن فرعونا مقاتلا. ويفسر لنا أيضا الإشارات المتكررة فى زمن آمنحتب عن غنائم وصلت بلاده من آسيا. كما نعلم أن الملك (آمنحتب الثالث) قد تزوج من الأميرة الميتانية (جيلوخيبا) أو (يلوهيبا)، فهل كانت يلوهيبا هى ذات الملكة (تى). ربما نعم وربما لا لكننا نعلم بالقطع أن الملكة تى كانت ميتانية. ويترتب على ذلك أن يكون والدها يويا هو (شورتانا) الملك الميتانى الذى خلعه (توعى) وتولى مكانه، وهو مايفسر لنا عدة أمور هو سر العداء المفاجئ الذى طبع سياسة ميتانى تجاه مصر بعد اختفاء (شورتانا)، حيث لجأ الملك المخلوع ورجاله وربما حاشية واسعة من بلاطه إلى مصر، كالعادة التى نراها فى حلفاء مصر المخلوعين فى ممالك بلاد آدوم وهو ما حدث بعد ذلك مع الملك هدد / حداد الذى أسلفنا الحديث عنه. بل ونمد الخيط على استقامته فنفترض أن شورتانا أو (ثور – آتن) هو ذات الشخص الذى جاء ذكره بالكتاب المقدس باسم (يثرون) كاهن مديان حمى موسى. وقد سبق لنا فى كتابنا (قصة الخلق) أن ناقشنا هذا الاسم وانتهينا إلى أنه أحد الأسماء القديمة التى تفخر بالانتساب إلى الثور كرمز إلهى وملكى.

وهذا الفرض يفسر لنا ما حازه يويا من ألقاب، فهو الذى " أغناه ملك مصر "، وكان يكفى فى اللقب القول " أغناه الفرعون " أو " أغناه الملك " لكن الإلحاق التشديدى " ملك مصر " يعنى المقابلة بغير المصرى، فهو غير مصرى أغناه ملك مصر. كما حاز هذا الرجل الأجنبى على شرف مركز عسكرى عظيم، فقد كان قائد سلاح الفرسان " وكيل لملك للعجلات ". وهو منصب يليق به بحسبانه من البلاد التى جاءت معها العجلات والخيول فهو الخبير بشئونها. والمعلوم أن العجلات والخيول ظلت فى مصر شيئاً ابتدائيا لا يشكل سلاحا منذ خروج الهكسوس حتى زمن آمنحتب الثالث الذى قرر أن لديه ما يكفى من عربات وخيول لإنشاء سلاح جديد فى قواته المسلحة، **وكان يويا أول قائد عسكرى ومؤسس لسلاح العجلات فى الجيش المصرى.**

ثم يفسر لنا كيف يكون البطل ابن ملك باليقين لكن أمه (من أصل ملكى) حيث نحتسب أن قصة إخناتون كانت النموذج الأصلى لأساطير الأبطال بعد ذلك. ثم يفسر لنا ثالثا كيف أمر آمنحتب الثالث بدفن يويا وتويا فى وادى الملوك فى طيبة والقاصر على المدافن الملكية المصرية فقط. بكل ما لهؤلاء الملوك من

قداسة وكان مدعاة للاستغراب والدهشة من جانب الباحثين المحدثين الذين رأوا فى يويا شخصا من عامة الشعب، ثم رابعا يفسر لنا وجهة نظر الطب التشريحى التى أكدت أن يويا إطلاقا لا ينتمى فى تركيب جمجمته للشعب المصرى، وأنه كان ساميا بالقطع واليقين، بل وبالتحديد من تلك الفئة ذات الأنف الببغائى المقوس.

ثم نعلم أيضاً أن البلاط المصرى قد استقبل أميرة ميتانية أخرى هى (تادوهيبا) أو (تادوخيبا) أو (تادوكيبا) فليس من المؤكد إطلاقا النطق الصحيح تماما ويعتقد جاردنر وجله محترمة من المؤرخين أنها ليست سوى الجميلة نفرتيتى التى تزوجها الفرعون آمنحتب الرابع / إخناتون ابن آمنحتب الثالث (١٧). وربما يعضد هذا اسمها نفسه لأن نفرتيتى اسم له معنى هو الجميلة قد أتت أو أقبلت. وعليه تكون **نفرتيتى شقيقة للملكة تى، ويكون إخناتون قد تزوج بذلك من خالته الصغيرة.**

ثم ننتقل إلى العنصر الثالث من عناصر الملحمة والذى يؤكد أن أب البطل عادة ما يكون من أقارب الأم، ومعلوم أن آمنحتب الثالث كان ابنا لميتانية بدوره هى (موت أم أويا) مما يؤكد قرابة آمنحتب الثالث والد بطل قصتنا إخناتون من زوجته (تى) الميتانية التى لاشك كانت هى و(موت أم أويا) من البلاط الميتانى.

أما العنصر الرابع فهو ولادة البطل فى ظروف غير اعتيادية بالمرة وقد ولد إخناتون فى البيت المالك المصرى فى زمن كانت فيه مصر أعظم إمبراطوريات زمانها، لكنها من الداخل كانت قد بدأت تعانى خللا واضحا فقد انتشرت فى مصر خاصة فى بيوتات النبلاء العادات والثقافات الميتانية نتيجة وجود عنصر نسائى واضح قلد به النبلاء سيدهم الملك، كما كان بلاط العرش نفسه يموج بالأجانب وبخاصة العنصر الميتانى. وعندما ولد إخناتون كان الصراع قد بلغ مداه بين آمنحتب الثالث والكهنة. مما دفعه إلى رشوة القابل للارتشاء من كبراء كهنة آمون لأن الصراع الخلافى كان حول شرعيته ذاته كملك، لأن أمه ليست مصرية وليست من الدم الملكى مما يعنى مخالفة واضحة للقوانين المقدسة. وضمن تلك الرشاوى المعبد العظيم الذى أقامه بطيبة للإله آمون، حتى أمكن تلافى ذلك العيب الشرعى بقول الكهنة أن الإله آمون هو الذى أنجبه من أمه بعد أن تمثل لها بشراً سويا. لكن المشكلة تفاقمت بزواجه من أميرة ميتانية رغم وجود الوريثة الشرعية (سيت آمون)، وجعل من تى الزوجة الرئيسية أو الملكة ولم يجعلها من الزوجات الثانويات أو المحظيات، **لذلك كان ميلاد ولده إخناتون هو المخالفة الصارخة لكل قوانين السماء.**

ورواية مانيتون التى نقلها إلينا يوسفيوس عن فتنة أوزرسيف كانت تتحدث عن ملك مصر حينذاك باسم آمنحتب / آمنوفيس ، فإن ذلك يضيف رصيداً من الظروف غير الاعتيادية التى ولد فيها البطل الملحمى المفترض أنه إخناتون، فقد ولد وبلاده فى أزمة طاحنة.

وعن فتنة أوزرسيف ينقل يوسفيوس عن مانيتون القول: إنه بعد طرد الهكسوس من مصر بقى بعضهم ممن لم يستطع الفرار، فوقعوا أسرى بيد المصريين حيث سيموا العذاب الطويل، وفرضت عليهم السخره

---

(١٧) جاردنر : مصر الفراعنه .. سبق ذكره، ص ٢٣٩.

بالعمل فى المحاجر زمنا طويلاً حتى طلبوا من الملك أن يخصص لهم مدينة حواريس عاصـمة الهكسـوس القديمة بعد أن خوت على عروشها. فاستجاب الملك لرغبتهم فلما أقاموا بها وجدوا المكان حصينا وصـالحا للتمرد، وأقاموا على أنفسهم قائداً من كهنة عين شمس اسمه أوزرسيف سن لهـم شـرائع جديـدة تعـادى العبادات المصرية، وحرم عليهم الانضمام لغير رابطتهم وأمرهم بالاستعداد لقتال الملك آمنحتـب. وأرسـل السفراء إلى الرعاة الهكسوس فى أورشليم وطلب منهم مساعدته مع وعد منه بإعادتهم إلى مدينتهم حواريس، وأنه سيمون جيوشهم بالغذاء الوفير وأن فى ميسوره إخضاع البلاد لسلطانهم مرة أخرى. وقد اسـتجاب لـه الرعاه وخفوا على وجه السرعة إلى مصر فى عدد ٢٠٠,٠٠٠ مقاتل، وهو مـا أمكـن تسـميته **بـالغزوة الهكسوسية الثانية**، ويفسر لنا قول التوراة بلسان الفرعون عن عبيده الإسرائيليين: " فيكون إذا حدثت حرب أنهم ينضمون إلى أعدائنا ويحاربوننا ويصعدون من الأرض "، وقد سبق هذا النص أحداث الخروج ليتضمن فى صيغة مضمرة ماحدث بالفعل من تحالف بين هؤلاء المستعبدين وبين ملوك الهكسوس المطـرودين مـن مصر إلى أورشليم حسب رواية مانيتون.

ومما يؤكد أن آمنحتب المقصود هنا هو آمنحتب الثالث أو الرابـع إخنـاتون، أن القصـة تقـول: إن الفرعون آمنحتب تذكر ما سبق وتنبأ به الحكيم آمنحتب بن حابو. ونحن نعلم أن آمنحتب بن حابو قد عـاش زمن آمنحتب الثالث والرابع. **فأرسل آمنحتب ولده الذى جاءنا له ثلاثة أسماء هـى سـيتوس ورمسـيس ورهامبيس** إلى صديق له فى بلاد مجاورة لتأمينه.

وقد علمنا مما سلف أن المصريين قد أسقطوا أسرة العمارنة تماما من التدوين بحيـث بـدا أن ابـن آمنحتب الثالث المباشر هو حورمحب مؤسس الأسرة التاسعة عشر. الذى دونه اليونان (رهـامبيس) والـذى يليه (رمسيس الأول) ثم (سيتى الأول). وواضح أن هذه المنطقة الزمنية قد أصيبت بالخلـل لـدى المـؤرخ مانيتون، فافترض أن أحد هؤلاء كان ابنا مباشراً لآمنحتب الثالث، ولكن لم يعلم بوجود مسافة تفصلهم عـن زمن آمنحتب الثالث، ولم يعلم أن ابن آمنحتب الثالث كان هو آمنحتب الرابع إخناتون، وليس حور محب ولا رمسيس ولا سيتى. لكنه يسوق لنا معلومة هامة تواترت حتى وصلته وهى أن آمنحتب الثالث أرسـل ابنـه وكان **غلاماً صغيراً فى الخامسة من عمره إلى صديق للبلاط المصرى** وهو ما يفصح عن استبعاد إخنـاتون صغيراً إلى المكان الذى اخترناه لمسرح أحداثنا عند أخواله فى مديان.

ويؤكد لنا ذلك ما قرأناه فى نسخة من خطاب آمنحتب الثاث إلى عبدى خيبا / عبدهفا صديقه وتابعـه المخلص على مدينة (قيله) التى ربما كانت (أيله) أو (قينه) المعلومة فى شرقى سيناء الآن. وحرفـى الـلام والنون من الحروف السقف حلقية سهلة التبادل.

ويقول لنا (ماكلستر): " وقد كان فرعون يثق به فقد تلقى خيبا منه أمراً **لم تكشف لنا الرسائل ماهيته**، ولكنه وعد بتنفيذه بأمانة وإخلاص " [١٨]. وهذا الأمر السرى هو ما نظنه يتعلق بإخناتون. ثـم نتـذكر الآن

---

[١٨] ماكلستر : الأقوام الجدد ... سبق ذكره، ص ١٠١.

لوحة الكرنك التى يقف فيها آمنحتب الثالث على سفينة يودع فيها ابنه الذى تم محو اسمه واستبدل بحور محب. وما يعنينا هو **أن الأحداث الآن قد أمست واضحة وأجابت على سؤالنا الذى سبق وطرحناه وراء السر فى ظهور الأب والإبن على سطح سفينة بحرية، ثم يختفى بعدها ذكر هذا الابن تماما من كل المدونات والنقوش والرسوم، ليظهر فجأة صبيا ملكا بعد موت أبيه.**

ولا ريب أن طريق البحر كان هو الأكثر أمناً إزاء توتر الموقف على الحدود البرية مع سيناء، ومن هنا نعتقد أن السفينة الملكية التى كانت تحمل ولى العهد قد اتخذت ذات خط سير بعثة حتشبسوت إلى بونت / آدوم / مديان، وهو الترجيح الأفضل من تهريبه من القصر الصيفى فى زارو حيث وضعته تى وهربته إلى أهلها خشية عليه عبر صحراء سيناء إبان فتنة كبرى كما ذهب أحمد عثمان. وكان آمنحتب – فى رواية مانيتون ويوسفيوس – فرعونا من نوع خاص، كان يعتقد أن الحرب عمل ضد الآلهة، لذلك ذهب برجاله إلى ملك أثيوبيا حليفه ليحل ضيفا عليه لمدة ثلاثة عشر سنة، يقول: **إن القدر كان قد قضى** بها سنوات منفى لآمنحتب وولده، وهو ما يشير إلى تقدير سماوى يفرغ صداه فى **نبوءة أبى الهول.**

وبعد انقضاء المدة التى حددها القدر عاد آمنحتب بجيوشه لطرد الرعاة من حواريس، وجاء ابنه بجيش آخر، مما يعنى **أن هذا الابن كان لدى دولة أخرى لها جيوشها وقوامها السياسى والعسكرى**، واشتركا فى قتال الرعاة وهزموهم وطاردوهم حتى سوريا [١٩].

وهكذا كان ميلاد بطلنا فى ظروف غير اعتيادية إطلاقا، مما يؤكد العنصر الرابع من عناصر الملحمة الأسطورية. أما العنصر الخامس فهو القول أن البطل ابن إله، وقد علمنا أن آمنحتب الرابع / إخناتون كان ابن إله مرتين، الأولى لأن والده آمنحتب الثالث قد نصب نفسه إلها وعبده الناس باعتباره الابن المباشر للإله آمون، وعندما عاد إخناتون إلى مصر حاقداً على أبيه الذى استبعده مع نبوءة أبى الهول الطيبى الآمونى، وقام بمحو اسم أبيه أينما عثر عليه فى قتل أبدى مُتعمد ، أعلن نفسه ابنا مباشراً للإله الجديد آتون. والعنصر السادس يقول أن الطفل البطل تعرض عند ولادته لمحاولة اغتيال وأن هذا الاغتيال تم بتدبير من أبيه أو جده لأمه، فهو ما يلتقى بمؤامرات الكهنة والعسكر لإقرار القواعد الإلهية بالتخلص من الأطفال الذكور للأسرة الملكية، ويبدو أن الفرعون نفسه كان ضليعا فى الأمر وفضل نفى ولده بدلا من قتله أو أرسله سراً إلى حلفائه وأنسبائه الميتانيين بينما أعلن عن موته. وهكذا يتحقق العنصر السابع الملحمى فتتم تربية البطل فى بلاد غير بلاده بواسطة أبوين بالتبنى. وبالفعل يختفى ذكر أى ابن لآمنحتب الثالث من جميع الآثار تماما، ليتحقق العنصر الثامن وهو أننا لا نسمع عن البطل أى شئ طوال مرحلة طفولته منذ استبعاده حتى عودته. والطريف فى الأمر أننا لو أخذنا بحسابات مانيتو فى أن الطفل استبعد وعمره خمسة أعوام وعاد ليحارب الرعاة بعد ثلاثة عشر عاما بالاتفاق مع أبيه وجيوش مصر، يعطينا لظهور الابن فى مصر ملكاً عمراً هو ثمانية عشر عاما، **وهو عمر إخناتون عندما اعتلى عرش مصر بالتمام والكمال**. ويتحقق بذلك العنصر التاسع فالبطل حين يبلغ مبلغ الرجال يعود إلى بلاده.

---

[١٩] لويس عوض : مقدمه ... سبق ذكره ، ص ١٤، ١٥.

أما العنصر العاشر فهو أنه عند عودته إلى بلاده يتغلب أولاً على ملك البلاد أو على وحش عمـــلاق، وقد تحقق الأمران مع أوديب كما علمنا عندما قدم حلا للغز السفنكس وقتل أباه لايوس وهو لا يعرفه، ثم أنـــه قبل ذلك قد تحقق كلا الأمرين مع إخناتون، فقد بادر عند عودته إلى هدم نبوءة أبى الهول الطيبى الآمـــونى وأمر بإلقاء تماثيل أبى الهول من على الجبل، ثم قام بمحو اسم أبيه ليقتله بذلك قتلا أبدياً لا حياة بعده.

ويحقق أوديب العنصر الحادى عشر فيتزوج أميرة البلاد التى هى أمه يوكاستا بينما يتزوج إخنـــاتون من أمه تى، وهو الأمر الذى يجب الوقوف معه قليلا قبل استمرار المقارنة بين العناصر الملحمية وبين واقع الأحداث فى بلاد النيل .

لعلنا نذكر كيف كانت أهم تجليات الإله السيناوى هى التجلى الخصبى ممثلاً فـــى قضـــيب الـــذكر / المشروم / البركان، وأن البركان عندما يقذف بمصهوراته مع هيئته المرتفعة كالقضيب العظيم ومقذفه القوى، وما يؤدى إليه من خصوبة عالية فى الأرض، أدى إلى تصوره قضيباً إلهياً عظيماً. وهو ما يبرر لى شخصياً أمراً حرت فيه طويلاً حيث كانت كل الديانات الخصبية عند الشعوب القديمة تنظر إلـــى الأرض باعتبارهـــا إلهة أنثى تلد الزرع، وترى السماء إلهاً ذكراً دائم التخصيب لأنثاه الأرض بمنيه المطرى. عـــدا المصـــريين تحديداً الذين تفردوا بجعل الأرض ذكراً هو الإله (جب) يلقح السماء الأنثى نوت لتلد الكون والكائنات. وقـــد وجدت فى مسألة القضيب الإلهى / البركان تفسيراً واضحا للأمر فهو قضيب الأرض الإله المـــذكر الـــذى يقذف بحممه التى تأخذ شكل المشروم المختون ختانا نموذجيا، فيتصوروه قاذفا بالكائنات وبالنجوم ومصـــدراً لخصب الأرض، وتصبح نوت السماء بذلك إلهة أنثى تقبل مقذوفاته لصنع الحياة. وقد علمنا مـــن أســـطورة تيفون أنه كان حبيسا تحت بركان، وأن دمدمات البركان لم تكن سوى صوت هذا الإله الحبيس. والطريف أن اسم الذكر الإلهى جب (الأرض) هو أحد أسماء الإله سيت فهو الجبت والطاغوت وهو الأمر الذى يضـــيف مزيداً من الرصيد لتحديدنا بلاد بونت بأنها شرقى سيناء / أدوم، ووصفها دون غيرها فى نصـــوص مصـــر بأنها أرض الإله،لأن هناك كان البركان العظيم، أعظم ظاهرة يمكن أن تسلب لب الإنسان. وهناك كانت تقع ميتان أو مديان.

والمعلوم إضافة للبركان الذى وصفته التوراة قرب جبل كاترين الحالى، فإن بلاد السراة كانت – كمـــا تدل تربتها الآن – مركزاً لأكثر من بركان نشط فى ذلك الزمان، ونذكر المسمى الإلهى (ود) أحـــد أربـــاب السراة، وأنه كان هو نفسه (هد) (هداد) (حداد)، وقلنا عن أن (يهود) يمكن ردها إلى (هـــ – ود).

كانت العبادة هناك متعددة التجليات نعم، لكن الخصب والجنس كان عمادها وعمودها وعمدتها، ومـــن هنا نفهم السر فى ذلك العرى العجيب فى فنون العمارنة، ولماذا كانت نفرتيتى وتى وبناتهما يظهرن عرايـــا الفروج أمام الناس. لقد كان إفصاحا عن طقس لابد يلازم العبادة الجنسية التى تقدس أعضاء التناسل ولا ترى فى إظهارها عيبا ولا كارثة أخلاقية، بل لونا من الاحترام الواجب واللائق للمقدس والإعلان عن هذه العبادة بسفور، لأن إخناتون كان دوما يؤكد أنه الفرعون الذى يعيش فى الحقيقة.

ولا يفوت عين مدققة أن الذين ذهبوا إلى أن يويا وتويا والدا الملكة تى زوجة أمنحتب الثالث مصريان من بلدة إخميم، قد قالوا بمصريتهما لأن يويا كان كاهنا للإله (مين) فى بلدة إخميم، ويفترض أنه نشأ هنا وربى وتدرج فى مدارج السلك الكهنوتى حتى صار كبير كهنة (مين). ويقول هنا أدولف إرمان: " إن مين هو إله المنطقة بين إخميم وقفط وبين طيبة وأرمنت، وقد صوروه على شكل رجل **بقضيب منتصب وعلى رأسه ريشتان عاليتان وذراعه اليمنى مرفوعة وبيده سوط مثلث فى النهاية**، وعده المصريون القدامى إله خصب يسرق النساء وسيد للعذارى. وتذكر الأساطير كونه قد **أخصب أمه** والتى قام بها حسب أسطورة أخرى إله الشمس وهو إله خصوبة الأرض. واعتبر مين **أيضاً إله البقاع الشرقية والمنطقة بين البحر الأحمر والنيل والذى تسير فيه القوافل ، وهو إله الصحراء الشرقية، كما عبده أهل بونت** وربما **قدس** فى وقت ما بطيبة. وهو مقابل الإله بان عند اليونان " [٢٠].

ولنراجع هنا تلك الصورة التى مثل المصريون بها إله الشبق والجنس والخصب مين، فعلى رأسه ريشتان والريشة سمة الملوكية عند البدو الرعاة وذراعه الأيمن المرفوع هو صورة دائمة متكررة للإله البعل حداد بعل صافون، والسوط المثلث الذى يمسك به هو الصاعقة ذات الثلاث شعب التى يحملها البعل، وهى الأمور كلها التى تؤكد أن مين كان أحد التصورات المصرية للبعل حداد إله الجبل الأقرع عند آدوم وشرقى سيناء حيث مديان/ ميتان وآدوم. ويؤكد ذلك أن المصريين اعتقدوا أنه رب المناطق الواقعة فى صحارى شرقى مصر على طريق القوافل التجارية. أما الأكثر إبهاراً هو القول أنه كان **رب بونت**، التى رأيناها تقع عند العقبة والبتراء حتى البحر الميت. لقد جاء شورتانا أويثرون إلى مصر حسب نظريتنا لاجئاً على زوج ابنته ملك مصر ليحمل اسم (يويا) ، ويكرس كاهنا للإله البعل الذى كان يعبده فى وطنه، لكن باسم مصرى قديم هو (مين) الرب القضيبى الذى تم تصويره هنا فى هيئة رجل بقضيب منتصب . أما أن يتم العثور على تمثال الملكة تى الأشهر فى سيناء تحديداً على مسافة لا تتجاوز العشر كيلو مترات إلى الغرب من جبل كاترين المظنون أنه كان الجبل المقدس حوريب فى التوراة وأنه كان الجبل البركانى فهى دلالات أخرى تؤكد صدق ماذهبنا إليه. ناهيك عن تكوين وجه تى الأسمر السيناوى الواضح الذى لا يمت للجنس المصرى المعروف لدينا آنذاك بصلة.

المهم لدينا هنا أن (مين) كان يخصب أمه (؟!) وهو أمر يستهجنه المصريون تماماً كلون من التقاليد البشرية الاجتماعية لكنهم كانوا لا يرون فيه عيباً على مستوى الآلهة فيجوز لها ما لايجوز للبشر. ولم يقتصر نكاح الأم على الإله المشكوك فى مصريته (مين) بل نجده واضحا معلنا لدى الرب الأعلى والأكبر إله الملوكية والإمبراطورية رب طيبة الأعظم ورب الإمبراطورية المصرية (أمون) أو (آمين). انظر مثلا تلك الترتيلة التى كانت تتلى فى قدس أقداس آمون بالكرنك يوم الصلاة الجامعة :

الحمد لك يا آمون رع يارب الكرنك

المسيطر فى طيبة

---

(٢٠) إدولف إرمان : ٤٢، ٤٤.

ثور أمه وأهم من فى حقله

واسع الخطى وسيد كل من فى الصعيد

رب أرض الماتوى وأميربونت

من تحب الآلهة رائحته الطيبة عندما يأتى من بونت

وتتضوع رائحته عندما يأتى من أرض الماتوى

عندما يأتى من أرض الإله (٢١)

ويشرح هنا (أحمد فخرى) فى حاشية على تلك الترتيلة بقوله إن التعبير " ثور أمه " لقب من ألقاب آمون. وأن الإشارة هنا للأم يقصد بها ربة السماء نوت، لأن هناك نصوصا أخرى تذكرها باعتبارها زوجة آمون " (٢٢) ومعنى النص هنا مع تعقيب فخرى إنما يعنى أن آمون كان يخصب أمه السماء. ولعله يلتقى إلتقاء واضحاً مع تفسيرنا السابق لعلاقة البركان بالسماء. ويتأكد لدينا علاقة هذا الجماع الإلهى بين الإلهة الأم والإله الإبن فى قول الترتيلة أن آمون ثور أمه والثور كان رمز الخصب الأول فى المجتمعات الإنسانية القديمة على التعميم. وقد ربطت الترتيلة بين هذا الجماع التخصيبى وبين كون آمون هو أهم من فى الحقل، أى أنه المخصب الطبيعى الأول الذى بفعله هذا يتكاثر الزرع والخير. أما الأهم هنا فهو ما تؤكده تلك الصلوات المرتلة من صدق نظريتنا التى يصطلب عودها (الخرساني) طوال الوقت، حيث تؤكد الترتيلة أن آمون رب طيبة ليس فقط ربا فى مصر إنما هو أيضاً رب بلاد بونت التى تتكرر مرتين على التبادل مع أرض الماتوى، والماتوى هو الميتان أو ميتانى أو كما ذهبنا نحن، هى مديان بسيناء الشرقية. وقد قام فرضنا التأسيسى على أن بلاد ميتان تقع فى محيط وادى عربة كذلك تقع هناك بلاد بونت حيث عاش تجار العالم القديم، وكانت أهم بضائعه التين والعطور والبخور (اللبان على أنواعه وألوانه)، وهو ما تؤكده الترتيلة بمجيئ آمون من هناك مضوعاً بالروائح الطيبة. وزيادة فى التأكيد فإن الترتيلة تؤكد لنا نظريتنا فتقول : إن هناك كانت تقع (أرض الإله).

وفى نصوص مصرية أخرى نجد الإله حورس يلقب بـــ (ثور السماء) الذى هو " زوج لأمه التى تلده مرة أخرى " لذلك كان لقبه الثانى هو " عجل أمه التى تحمل منه وفيه ". وقد عقب (كونراد) على هذا الشذوذ فى العلاقات الاجتماعية بجماع الأم أو الأخت أو البنت بأنه كان ينعكس فقط فى التقاليد الملكية، وإن لم يشرح لنا (كونراد) كيف كان ذلك وما هى براهينه؟ (٢٣).

ومن جانبه يقول لنا المؤرخ وعالم المصريات (سليم حسن) أن " أعظم الآلهة المحلية التى كانت تعبد فى الدلتا هو الاله آتون الإله المحلى للمقاطعة الثالثة عشرة ومقرها عين شمس ... هناك تمثل الشمس على

---

(٢١) د. أحمد فخرى : تاريخ شبه جزيرة .. سبق ذكره، ص٤١٦.

(٢٢) الموضع نفسه .

(٢٣) الخشاب : تاريخ اليهود ... سبق ذكره ، ص ١٢٩.

هيئة عجل من الذهب ولدته إلهة السماء، وفى خلال النهار يكبر ويصبح ثورا ويسمى كاموتف أى **ثور أمه. لأنه يلقح البقرة** لأجل أن تضع شمسا جديدة لليوم التالى " (٢٤).

والمعلوم أن المصرى القديم كان يتصور السماء فى هيئة بقرة عظيمة هائلة تلد النجوم والكواكب التى ترصع بطنها. ويبدو لنا **أن هذا الخلط الابتدائى الضرورى للخصب بين ابن يلقح أمه ويكون هو أبو نفسه الذى يولد بعد ذلك، كان تأسيسا لذات الخلط بيت ذات الأقانيم فى آخر الديانات الخصبية الفدائية، حيث أصبح يسوع المسيح هو الله وهو ابن الله فى وقت واحد، فكان يسوع أباً لنفسه.**

وما دمنا بصدد المسيح وزمنه نُلمح إلماحا خاطفا إلى أن زمن المسيح كانت فلسطين تحت النير الرومانى، وقد أجهض الرومان عدة ثورات يهودية ضدهم وقاموا بتعيين والى من قبلهم أتوا به من **بلاد آدوم.** كما تم تكوين هيئة حكومية تابعة وموالية جميعاً للرومان، وكلها آدوميين متهودين. وكان الوالى هو (هيرود أنتباتس الآدومى)، ورئيس مجمع السند هارين كان آدومياً بدوره، وحمل اسما شديد التصديق على كشوفنا بشأن بلاد بونت باعتبارها بلاد آدوم، فقد كان رئيس السند هارين القادم من بلاد آدوم يحمل لقباً ينسبه إلى وطنه فهو بيلاطس **البُنطى** نسبة إلى موطنه بنط /بنت/ آدوم.

وإذا كانت المسيحية هى الامتداد الواضح المطابق فى كل تفاصيله لديانات الخصب القديمة عموما، وللأوزيرية المصرية خصوصاً، فإن لكتانيتوس الكاتب المسيحى المخلص، وصف فى القرن الثالث الميلادى تمثيلية آلام وقيام أوزيرمن بين الموتى بعد ثلاثة أيام من موته فى عيد القيامة المجيد، أكد فيها أن المسرحية جعلت من **أوزيريس زوجا لإيزيس وابنا لها فى الوقت نفسه** (٢٥) وقد فسر كلام لكتانيتوس — وحتى الأن — باعتباره لم يفهم المسرحية لأن حور كان هو الإبن وليس أوزير.

وإذا كانت القواعد الاجتماعية فى مصر قد حرمت مبكراً زواج الرجل من أمه أو ابنته، ورسخت تلك القاعدة بمرور الوقت حتى أصبحت جريمة ووزراً يستحق الاستهجان والعقاب الشديد بين بنى البشر، وأنهم لم يرو ذلك نقيصة فى عالم الآلهة لأنها آلهة. فإن عالم الشرق القديم كان جميعه لم يزل ينظر إلى وجوب التخصيب بين الأم الإلهية وولدها كضرورة لتخصيب الأرض والزرع والحيوان والإنسان، ففى الملاحم البابلية نجد الإله القمرى (إنليل ، أو ياليل ، أو ليل) بعد فصله للسماء عن الأرض يجامع أمه (كى) الأرض وباتحادهما (القمر السماوى وكى الأرض) يخصب الكون ويخلق الإنسان على الأرض(٢٦).

والمعلوم أنه فى بابل وبلاد العراق والشام القديم كانت العبادات الجنسية الخصبية تمارس على نطاق واسع، وفى أعياد عشتار وتموز وأدونيس كانت حفلات الجنس الجماعى التى تتم فى العراء على العلن تتفشى تفشياً هائلاً، أى رجل لأى امرأة حضاً للطبيعة وتقليداً للآلهة كى تحرض القوى الإخصابية الكونية.

---

(٢٤) سليم حسن : مصر القديمة .. سبق ذكره ، ج١ ، ص ١٩٨، ١٩٩.
(٢٥) شكرى عياد : البطل ... سبق ذكره ص ١٣٣.
(٢٦) حسنى حداد وسليم مجاعص : بعل هداد ... سبق ذكره، ص ٤٢.

لكن بعض الفرق الدينية كانت تجعل من جماع المحارم أحد الفروض الدينية كما سبق وشرح لنا فليكوفسكى، وأن ذلك كان يتم فى بلاد ميتان التى احتسبها تقع شمال فارس، وبحسبان ذلك التقليد تقليدا فارسياً آرياً. لكنا نقرأ عند المؤرخ (هروشيوش) أن سميراميس الملكة البابلية المشهورة كانت من أتباع تلك العقيدة، فيحكى عن كونها كانت تعلن أنه " لاينبغى أن يكون بين الآباء وأبنائهم حشمة ولا امتناع فى مناكحة بعضهم بعضاً كيفما أرادوا ذلك . ويقال **أن من سببها صار فى العراق إتيان الأمهات والبنات** " (٢٧).

والمعلوم أن المجوسية نحلة فارسية آرية، وعن أصحابها يقول المؤرخ العربى المسعودى : " وقد زعمت المجوس أن **آدم لم يخالف فى النكاح بين البطون** ولم يتحر المخالفة، ولهم فى هذا المعنى سر يدعون فيه الفضل فى صلاح الحال **بتزويج الأخ من أخته والأم من ابنها** " (٢٨). وبشكل هلامى غير واضح **أدرك المؤرخون القدامى أن هناك علاقة ما تربط بين المجوسى واليهودى**، وتلك علاقة علمناها واضحة فى بحثنا هذا حيث نشأت اليهودية وربت مع الجنس الإسرائيلى الأرامى ومع الآريين المجوس فى النقب وآدوم وشرقى سيناء. وتأكيداً لذلك روى المسعودى حواراً حدث فى بلاط أحمد ابن طولون بقاهرة المعز بين مصرى وبين طبيب يهودى إذ **قال المصرى لليهودى: أنت مجوسى** فيعجب اليهودى فيوضح القبطى بأن ذلك لأنهم يشرعون كالمجوس فالرجل يتزوج بنت أخيه، و**إذا مات فعلى أخيه أن يتزوج زوجة أخيه الميت لينجب منها نسلا باسم أخيه الميت، وفى هذه الحال فإن هذه الأرملة ربما كانت بنته.** وتأكد ابن طولون بالبحث أن ذلك الطبيب اليهودى تحديداً كان شهادة دامغة على صدق المصرى إذ ثبت أن هذا اليهودى قد تزوج امرأة أخيه وكانت ابنته. ولما احتدم النقاش بين المصري واليهودى قرر المصرى تقبيحه بشهادة تلمودية فقال له : " إن الابن الأكبر – من كفرهم قولهم فى يوم عيد الكفور وهو يوم الاستغفار { أى كيبور عيد الغفران / المؤلف } وذلك لعشر تخلو من تشرين الأول – أن الرب الصغير ويسمونه ميططرون يقوم فى هذا اليوم قائماً وينتف شعر رأسه ويقول : ويلى إذ خربت بيتى وأيتمت بنتى فأُمتى مُنكسة لا أرفعها **حتى آتى بنتى** " (٢٩).

ويقول (على عبد الواحد وافى) عن أساليب النكاح حسب شرعة يهود : " جاء فى تلمودهم أن الولد الإسرائيلى **لايعاقب إذا زنى بأمه الأرملة**، بل يجب عليه فى هذه الحالة أن يستمر على الزنا معها بعد زواجه، صيانة للحالة التى كانت عليها قبل زواجه، وأن ذلك يعد حقالها عليه. وقد جاء فى تلمودهم كذلك أن الوالد إذا زنى ببنته بعد وفاة أمها لا يقام عليه الحد بل لا يعاقب ولا يزجر، لأنه بذلك يحفظ أمواله أن يبذرها مع العاهرات الأجنبيات، ويدرب ابنته على شئون الزوجية " (٣٠).

---

(٢٧) أورسيوس : تاريخ العالم ... سبق ذكره، ص ٩٣.
(٢٨) المسعودى : مروج الذهب ... سبق ذكره، ج١، ص٣٥.
(٢٩) نفسه : ج١ ، ص٣٥٤، ٣٥٥.
(٣٠) على عبد الواحد وافى : اليهودية ... سبق ذكره، ص٥٥، ٥٦.

وعلى الجانب الآخر نجد فى أساطير الحضارة المينوية بالجزر اليونانية، والتى أرجعناها من جانبنا إلى المعينية فى مديان وآدوم وبلاد الحجر، نجد إلهة أُم عظيمة القدر تشاركها ربات أقل منها شأنا، وكان شريكها فى الفراش ذكر أصغر منهن جميعاً لأنه **ابنها فى نفس الوقت**. ويؤكد لنا (ميرز) أن هذا الاعتقاد كان مألوفاً تماماً بل وشائعا **فى عقائد آسيا الصغرى**، وأن أهم رموز هذه العقيدة كان **الصليب** [٣١].

ونجد الآن ما سبق وساقه فليكوفسكى حول عادات الميتانيين التعبدية يلح على الذاكرة مع ما جاء ذكره بشأن المجوس وسكان سيناء المديانيين كلمنت السكندرى والقديس هيرونوموس والقديس جيروم. وخاصة ماكتبه فيلون السكندرى يقول : " إن الأطفال الذين يولدون من **زواج الأم بالإبن** عند هؤلاء يعدون أكثر الأطفال شرعية. وقد قال كاتوللوس إن كاهن مازدا الذى كان يلقب بالماجوسى لابد أن يكون ثمرة **مضاجعة الابن لأمه** ". كما جاء بالمقدس المجوسى " إن مراعاة هذه العادة تعتبر من أجل علامات التقوى ". وهو الأمر الذى يعنى أن ممارسة تلك العلاقات الشاذة لم يقتصر على الآلهة لكن مارسها البشر عموما دون تمييز فى بعض العقائد ذات الأصول الآرية. فهل عرفت مصر مثل تلك الممارسات بين أفراد شعبها القديم؟ الإجابة فيما وصلنا كانت بالنفى قطعا حيث احتسبت مثل تلك الألوان من جماع المحارم أمراً خاصا بآلهة الخلق وحدها وغير مسموح بها للبشر. لكن هل كان ذات الأمر ساريا على الملوك وهم نسل آلهة؟ الإجابة بحاجة إلى بعض التوضيح اللازم. إن جماع المحارم كحالة طقوسية تعبدية تعود إلى أصول بعيدة فى تاريخ البشرية، وترتبط بصورة الملك عند القبائل البدائية، حيث كان البدائيون يرون فى ملوكهم مستودعا للقوة الكونية الحيوية التى تتغلغل فى شتى مظاهر الحياة. وبذلك اعتقد الإنسان البدائى أن بإمكان الزعيم أن يجعل المطر يسقط والماشية تكثر والزرع ينضج. وقد بقى صدى لذلك الاعتقاد فى تصور المصريين أن الفرعون كان أيضاً سبب حياة الناس، وذلك فى التعبير المصرى القديم المتواتر بكثرة فى كتابات الفراعنه ورسائلهم. وملاحمهم وأساطيرهم " **أن الفرعون يمنح الناس أنفاس الحياة** ".

وكان هؤلاء البدائيون حريصين على ألا يتركوا هذه القوة تخمد أو تضعف، فيجب ألا ينتظروا شيخوخة الملك وضمور قوته الكونية إنما يجب قتله بمجرد أن تطرأ عليه بوادر الضعف، وتنصيب ملك جديد عادة ما يكون كبير أبنائه، بغرض انتقال تلك الطاقة الحيوية للملك الجديد وهى فى أوج قوتها. حتى لا يحل الجفاف والخراب بالمحاصيل وبالماشية بل وبالإنسان. وعادة ما كانت أهم علامات ضعف الملك هى تقصيره فى أداء واجباته الزوجية السريرية مع نسائه العديدات.

ويقول جميس فريزر إن هذه الطقوس قد تطورت مع الزمن فتم تحديد دورة محددة بعدد من السنين لقوة الملك الحيوية. ففى المدن اليونانية القديمة كانت هذه الفترة ثمانى سنوات، وهى أقل مدة تكفى لالتقاء التقويم القمرى بالشمسى، بمعنى أنه لا يحدث أن يتفق اكتمال القمر وبلوغ النهار غاية القصر أو غاية الطول إلا مرة كل ثمانى سنوات. وإذا كان الأقدمون قد تعلموا الربط بين نمو الزرع وبين دورة القمر ودورة

---

[٣١] ج. ل. ميرز : المينويون والميسينيون، ترجمة إبراهيم زكى خورشيد، النهضة المصرية، القاهرة ، د.ت، المجلد الثانى من تاريخ العالم ، ص ٦٠.

الشمس، وجعلوا من الأيام البارزة فى دورتيهما مواسم يتقربون فيها إلى آلهتهم، فلا عجب إن احتسبوا التقاء الدورتين فى السماء علامة على ابتداء دورة آلهتهم على الأرض، وهو المرتبط بهذه القوى الكونيـــة وجـــزء منها. (٣٢).

ويبدو لنا أن بقايا تلك الفكرة قد ظلت قائمة لدى المصرى القديم مع بعض التشذيب والتطوير، حيـــث استبعدت مسألة قتل الملك، مع تحديد الزمن اللازم لبقاء الطاقة الكونية الحيوية فى الملك نشطة وشابة، وأنـــه بالإمكان تجديد تلك الطاقة بطقوس وشعائر يتم تحديدها بدقة لتجديد تلك الطاقة فى الزمن المطلوب بالتحديد، وهو مانتصوره ماثلا فيما أسماه المصريون القدماء عيد (حب / سد / الثلاثينى). وهو العيد الذى ظل أمـــره غامضا وغير مفهوم القصد منه حتى اليوم. وهو ما يوضحه قول المؤرخ والمصر ولوجسيت (ياروســـلاف) بقوله عن هذا العيد : " هو عيد مازالت طبيعته الحقيقية غامضة بالنسبة لنـــا" (٣٣) لكنه بشكل عـــام قـــد تـــم الاتفاق على أنه – كما تقول (جوليا سامسون) – " كان القصد منه **تجديد قوى الفرعون الحاكم** " (٣٤).

ويوضح (آلدريد) ما يعرفه عن عيد حب / سد فى قوله : " وكان احتفال السد يقام بمنف، ولكن بعض شعائره كان يمكن تكرارها فى مراكز العبادة الأخرى ذات الأهمية. فمثلاً نجد أن آمنحتب الثالث قـــد أعـــاد الاحتفال بهذه المناسبة بمدينة طيبة فى قصره هناك. وبنيت بهذه المناسبة قاعة للاحتفالات وجهـــزت ســـاحة واسعة لهذا الغرض. واشتملت الاحتفالات على عرض **مراسم التتويج من جديد،** وقد ارتدى الملك فى هـــذه المناسبة عباءة قصيرة لها ياقة عالية. وقد ظهر كبار الموظفين من مصريين وأجانب فى هذه المناســـبة فـــى أبهى صورة، حيث كان يجرى تجديدهم هم أيضاً. وكان الملك فى ذلك الاحتفال يتقبل الهدايا ويمنحها بسخاء " (٣٥).

ويعيد شرح ذلك بقوله : " ومن الاحتفالات الطقسية التى كان يتمنى الفراعنة شهودها – إلا أنه لم يسعد الحظ بذلك إلا القليل منهم – عيد السد أو اليوبيل ، وهو فى الحقيقة **عيد تجديد نشاط الفرعون**. واحتفال السد حسب النص الإغريقى على حجر رشيد، هو عيد الثلاثين عاماً، ويدفعنا هذا إلى استنتاج أن أول يوبيل يقـــام بعد ثلاثين عاما من اعتلاء الفرعون لعرشه. إلا أنه وجدت حالات كان فيها خروج واضح عن هذه القاعـــدة ... لكن فى حكم المؤكد أن احتفال السد هذا قد اقتصر فى الأسرة الثانية عشرة على الفراعنة الذين أمضـــوا فى الحكم ثلاثين عاماً " (٣٦).

وللوصول إلى ما نريد، نوسط (أنتاديوب) هنا بين (آلدريد) وما سنصل إليه لنستمع إليه يقول : " كـــان يتعين ألا يحكم الملك فى مصر إلا إذا كان **فى أوج قوته،** ويبدو أنه **كان يُقتل** فعلا فى بداية الأمـــر عنـــدما

---

(٣٢) عياد : البطل ... سبق ذكره، ص١١٤ : ١١٧.
(٣٣) ياروسلاف : الديانة ... سبق ذكره ، ص ٨٤.
(٣٤) سامسون : نفرتيتى ... سبق ذكره، ص ٦٩.
(٣٥) آلدريد : إخناتون ... سبق ذكره، ص ٣٨.
(٣٦) الموضع نفسه.

كانت **قوته تضمحل**، غير أن الملكية سرعان مالجـأت إلى مختلف الحيل. كان الملـك يتمسـك بامتيـازات منصبه – وهذا أمر مفهوم – مع الخضوع بأقل قدر لمغباته. ولذا فقد توصل إلى جعل هذا الاختبار رمـزاً، **فلم يعودوا يقتلونه إلا طقوسيا** عندما يتقدم فى السن، وذلك فى الحفل الذى يستعيد فيه الملك شبابه فى نظـر الشعب، ويصبح صالحاً للاضطلاع بمهامه. وهكذا **غدا حفل السد احتفالا لتجديد شباب الملك**، وأصبح موت الملك الطقوسى وتجديد شبابه مترادفين، وكانا يتمان فى مناسبة واحدة ... ووفقا لتلك المعتقدات فإن خصوبة الأرض ووفرة له المحاصيل وصحة الشعب والقطعان وسير الأحداث بشكل طبيعى وكأن مظـاهر الحيـاة مرتبطة ارتباطا حميما بقوة الملك الحيوية الكامنة " [٣٧] لكن أنتا ديوب وبقية المؤرخين لا يقـول لنـا أيـة تفاصيل مفيدة عن تلك الطقوس مما يعنى أنها لم تدون ولم يتم الإفصاح عنهـا مـن جانـب الكهنـة أبـداً لابالتصريح ولا بالتلميح.

لكن على لوحات الفراعنة عن عيد سد/ حب، نجد الملك يوم عيده الثلاثينى **يدخل مع الكاهنة الكبـرى أو زوجته الرئيسية الملكة بعد تنصيبها كاهنة كبرى إلى قدس الأقداس وتغلق عليهم الأبواب**، ولايقال لنـا ماذا كان يحدث داخل قدس الأقداس إبان هذا الاحتفال، لكن بعد خروج الملك تعم الفرحة البلاد ويبدأ فى تلقى الهدايا من أبناء شعبه، كما يهبهم هو هبات وهدايا مع مزيد من القوانين التيسيرية علـى المـواطنين. وهنـا أقترح من جانبى أن يكون هذا الذى كان يحدث فى قدس الأقداس شبيها بما كان يحدث فى بلاد الرافدين يوم الاحتفال بالمنقلب الربيعى وكان لونا من احتفالات الخصب المعروفة فى العالم القديم، حيـث كـان الكـاهن يضاجع الكاهنة الكبرى داخل المعبد، بينما تقوم الجماهير الحاشدة من نساء ورجال حول المعبد بالعربدة فـى حفل نزوى هائل يمارس فيه الجميع الجنس مع الجميع دون أى تمييز، لحض الطبيعة علـى القيـام بـذات الممارسة للإخصاب وإكثار النتاج والخير، اعتماداً على مبدأ السحر التشاكلى الذى بموجبه ينتج الفعل شبيهه.

وربما غامرت قليلا وقلت إن ما كان يحدث كان تقليداً لفعل الخلق الإلهى الأول، **عنـدما كـان الإلـه يلتقى بأمه جسديا**، باعتبار أن الأم تحديداً هى التى سبق وأكدت قدرتها على الإنجاب بإنجاب الملك نفسـه، الذى يجب أن يقوم بذات الدور مع أمه داخل قدس الأقداس لينجب نفسه من جديد. لكن يبدو أنه تم تشـذيب هذه القاعدة واستبدلت الأم بالزوجة الرئيسية التى تنجب ولى العهد لتقوم بدور الأم الإلهية ويقوم الملك بدور الأب الإلهى، ويؤكد لنا ذلك أن قوانين مصر القديمة جعلت حق العرش للأنثى وليس للـذكر، وأن الملـك لا يصبح ملكا إلا عندما يجامعها بالزواج. وإلا لماذا أحيطت احتفالات عيد حب سد الثلاثينى بكل تلك السـرية وأطلق عليها كهان مصر (احتفالات الأسرار)؟ وإذا كان الملك على الأرض من ذات النسـل الإلهـى فمـن الطبيعى أن يمارس الملك سلوك الآلهة. ومادام القصد هو تجديد قواه الحيوية فيجب إذن أن يولد من جديـد، فكان يجامع فى البدء أمه التى ولدته، ثم بعد ذلك بزمان أصبح يجامع زوجته أو الكاهنة الكبرى لتقوم بـدور أمه، فيكون هو الأب والابن فى أقنوم واحد. وبهذه العملية السرية يعود الملك مولوداً من جديد وقد تجـددت طاقاته الحيوية ويخرج من قدس الأقداس إلى جماهير شعبه التى تعلن فرحها العظيم بملكها الجديد فى احتفال

---

[٣٧] أنتاديوب : الأصول الزنجية .. سبق ذكره، ص ١٥٩، ١٦٠.

بهيج ظل حتى الآن مجهول الهوية والغرض والمعنى. لكن بينما كانت مصر قد تخلصت مبكراً بحكم تطورها الثقافى من جماع المحارم، كانت بلاد مديان لم تزل على الدرجة الأقدم فى سلم التطور، كانت لاتزال تمارس جميعا إتيان المحارم كشعيرة تعبدية تعود إلى أصول إيرانية قديمة فى مواطنهم الأولى.

ويؤكد ذلك فهمنا لكلام ملتبس جاء عند دوماس فى فقره تؤكد أن الإلهة " حاتحور وحورس كانا يعتبران فى الأساطير زوجين، ولايستطيع المرء أن يفسر – إلا بفضل وجود جهاز موحد – تطابق صيغ **الأسرار المحجوبة التى تتعلق بالمولد الإلهى** " (٣٨) ونحن نعلم أن حاتحور هى إيزيس أم حورس نفسه الذى تتزوجه من أجل المولد الإلهى، ويضيف للفكرة مزيداً من الدعم أن الملكة الكبرى أو **الأم الملكية فى طيبة كانت عادة ما تكون هى " كاهنة آمون "** (٣٩).

ويقول (أحمد عثمان) : " إن التقاليد المصرية كانت تقضى بأن يكون ميراث العرش عن طريق الابنة الوريثة، فمن يتزوج الابنة البكر للفرعون يصبح صاحب الحق فى الجلوس على العرش من بعده. لذلك فإن ابن الفرعون كان يلجأ للزواج من أخته حتى يبقى العرش من بعده. وسبب هذا التقليد أن قدماء المصريين كانوا **يعتقدون بالميلاد المقدس للملك،** فعند زواجه يذهب الملك الجديد إلى المعبد حيث يمر بمراحل عديدة من الطقوس الدينية مع الكهنة، الذين يطهرون جسده بالمياه المقدسة ثم يدهنونه بالزيوت المقدسة، ويقرأون التراتيل التى كانت – فى اعتقادهم – تحضر روح الإله فى جسد الملك. **ويدخل الملك على زوجته فى ليلة الزفاف وكأنه هو آمون الرب.** وعلى ذلك فإن من يولد لها من الأبناء يعتبر بالنسبة للمصريين ابنا لآمون، **وكان شرط حدوث ذلك أن تكون الملكة هى الوريثة ابنة الملك الراحل فآمون لا يتزوج إلا الوريثة. وعلى ذلك كان من الممكن للملوك أن يتزوجوا ما شاء لهم من النساء، لكن الملكة التى يرث أبناؤها العرش لابد وأن تكون هى الوريثة ابنة الملك السابق** "(٤٠).

وغنى عن الذكر أن ميلاد إخناتون كان مخالفا لكل هذه القوانين، وقد حاول التغلب على ذلك بمحاولة تأويل القانون السماوى، فأقام عيده الثلاثينى فقط بعد خمس سنوات من وصوله إلى طيبة، وقامت فيه بدور الأم الإلهية زوجته نفرتيتى، لكن ذلك كله كان تحايلا مكشوفا مرفوضا. وبعد أن أعلن صراحة عن عقيدته الجديدة، ونصب ربه آتون ربا أعلى وأوحداً وأعلن لقبه الدائم " ذلك الذى يعيش فى الحقيقة " قرر إعلان طقوس الآتونية علنا بالعودة إلى مرحلة تجاوزها المصريون من زمان بعيد. إذ قام بتكرار عيد حب سد فى العام الثانى عشر من حكمه فى تل العمارنة، لكن التى قامت بدور الأم الإلهية والكاهنة العظمى هذه المرة كانت أمه تى – وهو ما تنطق به لنا لوحه الحائط الشرقى بمقبرة يوياً التى يأخذ فيها إخناتون بيد أمه تى يقودها إلى المعبد تتبعهما ابنته بكتاتن فقط وحدها. مع تدوين شارح يقول : " يقود الملكة العظمى والأم

(٣٨) دوماس : آلهة ... سبق ذكره ، ص٧.
(٣٩) نبيلة محمد عبد الحليم: معالم التاريخ الحضارى والسياسى فى مصر الفرعونية منشأة معارف الإسكندرية، د. ت ، ص ٤٧.
(٤٠) أحمد عثمان : غريب فى وادى ... سبق ذكره، ص ٧٠، ٧١.

الملكية تى **لترى ظلها فى الشمس** "، وفى اللوحة يرتدى إخناتون ثوباً شفافا يسمح برؤية تفاصيله الداخلية، أما تى فتكاد تكون **عارية تماماً**. ومن بعدها قرر أن تستمر هذه العلاقة فى زواج صريح معلن دائم وليس فقط فى حفل سرى بالمعبد، مما كان موطئا للأحداث المؤسفة التى ترتبت على ذلك من بعد. وبينما كان (جار ستانج) يعلن أنه : " من الجائز أن تكون قصة الزواج الإلهى البعيدة الصيت **من ابتكار الحيثيين** " (٤١) فإن الإله المصرى حور قد جامع أمه إيزيس/ حتحور، وكان أوزيريس زوج إيزيس ابنا لها فى الوقت نفسه، وكان معلوما جيداً للمصرى آنذاك " أن ملك مصر كان يعتبر تجسيداً للإله حور منذ الأسرة الأولى " (٤٢) لقد أراد إخناتون كشف كل الأستار والتصريح بطقوس عقيدته فقرر أن يكون **إلهاً ابن إله على الأرض قبل رحيله إلى عالم الآلهة بعد الموت**، بالزواج من الأم الإلهية.

والآن بعد هذه الوقفة التفصيلية مع زواج البطل الملحمى من الملكة نتذكر أننا كنا نتابع مساحة التطابق بين العناصر المكونة لملحمة البطل الأسطورية ، وبين حياة الفرعون آمنحتب الرابع إخناتون. وكانت آخر تلك العناصر هى زواج البطل من أميرة البلاد التى عادة ما تكون زوجة سلفه أو ابنته ويصبح ملكا. لتنتقل الآن إلى العنصر الثانى عشر الذى يقول إن البطل بعد أن يصبح ملكا يحكم فترة من الزمن دون أحداث تذكر، وهو ماحدث مع إخناتون فى بداية حكمه فى طيبة، ثم العنصر الثالث عشر. الذى يقول إن البطل الملك يسن للبلاد قوانين جديدة وأعراف من نوع خاص، وهو العنصر الذى يرتبط ببقية العناصر، فالرابع عشر يؤكد أن تلك القوانين والأعراف تعرضه لسخط الآلهة والرعية ليتم فى العنصر الخامس عشر إقصاؤه عن العرش ونفيه من مقر حكمه ومن بلاده، وهى كلها الأحداث التى واكبت إعلان إخناتون عن عقيدته الجديدة الآتونية التى نصب فيها آدون أو البعل أو السيد المديانى ربا جديداً وحيداً فى أفق العقائد المصرية، ومارس العادات المديانية فى العلاقات الزواجية الشاذة علنا، مستثمراً فى ذلك الطقس المصرى السرى ووفقا للعناصر النمطية للملحمة ينتهى مصيره بالنفى بعد إقصائه عن العرش ليموت بعد ذلك ميتة غامضة كما فى العنصر السادس عشر، وهو الأمر الذى ستفسره لنا قصة موسى عندما نبدأ بمقارنتها مع ذات العناصر. أما العنصر السابع عشر الذى يقول إنه لا يخلف الملك البطل أبناؤه على العرش وهو مايخالف ما حدث لإخناتون فإن فترة حكم الصبيين الصغيرين، سمنخ كارع وتوت عنخ آمون لم تدم أكثر من سنة واحدة لسمنخ كارع وسنتين لتوت أو عشر سنوات في تقديرات أخرى، لكن الحاكم الفعلى كان آنذاك هو خالهما آى، وإن كان المقصود بهذا العنصر فى الملاحم هو عدم استمرار أسرة البطل فى الحكم وسقوطها وانقطاع نسله عن الملك، فهو ما حدث مع أسرة العمارنة تماما. أما العنصر الثامن عشر فقد تأكد يقينا لأننا لم نعثر أبداً على جثمان إخناتون ولا نعرف له مكانا يقينيا. ثم العنصر التاسع عشر الذى يؤكد أنه رغم ذلك تتعدد القبور والأصرحة ومواضع كثيرة تصبح مقدسة لهذا البطل وهو ما ليس لدينا عليها أية وثائق من زمن إخناتون

(٤١) جار ستانج : إمبراطورية الحيثيين ... سبق ذكره، ص ٢٩.
(٤٢) نبيلة عبد الحليم : معالم التاريخ ... سبق ذكره، ص ٤٤.

بعـــد أن قرر المصريون نسيانه تماما وإسدال الستار على مأساته، لكنه بالفعل قد تعدد ممثلا فى أوديب وفى موسى متمثلة فى المواضع المقدسة لرحلة الخروج.

فماذا الآن عن موسى التوراتى وما نزعمه؟

كان فرويد أول من نبهنا – فيما نعلم – إلى اختلاف أسطورة البطل الملحمى التوراتية (موســـى) عـــن الأسطورة النمطية التى عددنا عناصرها فى أن الأسطورة النمطية تجعل البطل دوما من أصل نبيـــل ملكـــى ينشأ ويربو فى بلاط مالك بالميلاد، وعادة ما يكون استبعاده إلى أسرة غير نبيلة بل عادة ما يقضى طفولتـــه وصباه فى بيئة شديدة الفقر كما بين الرعاة أو الصيادين، وعندما يشب عن الطوق يعرف حقيقة أصله وأهله ومنبته ويعود ليحارب من أجل استعادة ملكه المسلوب. وفى هذه النقطة تختلف أيضاً قصتا إخناتون وأوديب عن الأسطورة النمطية، لأن الأمر لم يكن مجرد أسطورة إنما كان تسجيلا بالأسلوب الأســـطورى لأحـــداث وقعت بالفعل. فقد استبعد إخناتون مباشرة إلى ملك حليف للأسرة الحاكمة المصرية، أما أوديب فاســـتبعد أولا إلى أسرة فقيرة هى أسرة الراعى ثم تبناه بوليبوس ملك كورنثة وزوجته ميروبى، لكن على أية حـــال فـــإن الأسرة التى استبعد إليها إخناتون كانت رغم ملوكيتها أدنى شأنا بما لايقارن فأهل هذه الأسرة كانوا – حسب نظريتنا – بدورهم بدواً رعاة، وعادة ما أكدت الأسطورة النمطية على الرعاة تحديداً كمحـــل لنشـــأة البطـــل ويفوعه بعد استبعاده.

لكن قصة موسى فى التوراة تقف نافرة على العكس تماما من تلـــك التأسيســـات الأوليـــة للأســـطورة النمطية، فهو بالميلاد وبالجنس ينتمى إلى أسرة وضيعة أسيرة ضمن الأسرى الإسرائيليين فى مصر، وعندما يتم استبعاده يستبعد إلى الأسرة النبيلة الملكية، حيث يصبح رجلا من رجال البلاط وابنا للفرعون وهـــو مـــا يخالف قواعد الأسطورة النمطية بشدة لكن لتتم عناصر الأسطورة يعود موسى إلى أهله الوضعاء ليخرج بهم من مصر فى أكبر حدث دينى فى تاريخ المنطقة قيض له التدوين.

وبناء على قراءته لما حدث، يرى سيجموند فرويد أن ما جرى لموسى بالفعل فى حقل أحداث التاريخ يسير على قوانين الأسطورة النمطية لكن محررى التوراة هم مَن قلب الأوضاع وعكسوها تماما، ليجعلوا من هذا المصرى الذى أسس لهم فى التاريخ عقيدة وقومية، إسرائيليا بالميلاد وبالعنصر اســـتبعاداً لتلـــك السُـــبة التاريخية العظمى، فقاموا بعكس حقائق الواقع الفعلى ليؤكدوا إسرائيليته وليستبعدوا تماما مصـــريته. وهكـــذا كان موسى من أصل ملكى وأبوه ملك وأبوه من أقارب أمه الأدنيين، وهو بذلك يطابق قصة إخناتون مطابقة كاملة. من حيث التطابق مع العناصر الملحمية الثلاثة الأول، بل ونزعـــم أن قصته بهذا الفهم تطابق جميـــع العناصر الملحمية التأسيسية.

وفى ظننا أن أسطورة الإلقاء فى اليم – إن كانت قد حدثت – لم تكن بقصد تهريب الطفـــل المطلـــوب قتله بمغامرة إلقائه فى اليم ليتعرض لموت أكيد، إنما كانت بقصد اختبار نسب وبنوة الطفل الوليد على عـــادة الشعوب القديمة، فعادة ما كان النهر هو القاضى بهذا الشأن. وإن ذلك قد حدث كنتيجة للمعارضـــة الكبـــرى التى قادها كهنة آمون الأمناء على تطبيق الشرائع الإلهية. ولما كان إخناتون بظروف ميلاده يخـــالف تلـــك

الشرائع والقوانين مخالفة حادة، فقد كان الحل هو اختبار صدق نسبته لآمون بالقضاء النهرى، لأنه ما كـان ممكنا التدليس على شرع السماء مرتين، مرة مع أبيه ومرة معه. ويبدو أنه تم إنقـاذ الطفل قبـل أن يبتلعـه اليم، وهو ما حدا بالأم تى إلى استبعاد طفلها بعيداً عن دسائس ومؤامرات الكهنة التى قد تناله بالاغتيال فـى الخفاء.

والمبهر حقا أن نقع فى أسطورة أوديب على رواية نادرة مخفية غير متواترة، تتفق مع أسطورة إلقاء إخناتون / موسى فى اليم ويرويها لنا روبرت جريفز إذ لا يقول أنه تم استبعاد أوديب بعد وثق قدميه مع تابع بالقصر للتخلص منه، وأن هذا التابع سلمه إلى راع، وأن الراعى كان من بلاد أخرى يملـك فيهـا الملـك بوليبوس الذى أخذ أوديب من الراعى وتبناه، وهى القصة المعلومة المتكررة، إنما يقول أمراً آخر تماما فـى رواية نادرة، فبعد أن أوثق الملك لايوس قدمى طفله أوديب، **وضعه فى صندوق مغلق ورمى به فى البحـر**، وحملته الأمواج إلى شاطئ سيكيون حيث كانت الملكة بريبويا تشرف على وصـيفاتها وهـن يغسـلن لهـا ملابسها، فأخرجت الطفل وحلوا وثاقه، وتظاهرت بريبويا أنها ولدته على الشـاطئ، وعنـدما عـادت إلـى قصرها صارحت زوجها بوليبوس بحقيقة ما حدث، وقررا تبنى الطفل. (٤٣)

والمدقق فى رواية التوراة إن أخذها على علاتها سيكتشف خللاً شديداً، فإلقاء موسى فى سـفط بـاليم يحمله التيار لبيت الفرعون تتناقض تناقضا فاضحا مع حقائق الجغرافيا والتاريخ، فحقائق التـاريخ تقـول إن البلاط الملكى خلال الأسرة الثامنة عشرة كان يقع فى طيبة / الأقصر، بينما كان الإسرائيليون يعيشون فـى شرقى الدلتا، وحقائق الجغرافيا تقول إن معنى إلقاء سفط فى فرع نيلى بشرق الدلتا، يعنى أن يسير السفط مع تيار الماء شمالاً نحو البحر المتوسط، وليس جنوبا نحو طيبة، والقصة بذلك تجعل الصندوق يسـافر عكـس التيار حوالى ألف كيلو متر أو يزيد.

وقد يعترضنا هنا معترض بحجة أن قصة النبوءة بمولد بطل للملحمة يقتل أباه ويتزوج أمه هى عنصر تأسيسى فى دراما أوديب والملاحم المشابهة، لكنها أبداً غير موجودة بالتوراة، فالتوراة لم تحدثنا عـن أيـة نبوءة سبقت ميلاد موسى ليستحق الاستبعاد بسببها، لكن القصة حسب التوراة تقول إن الفرعون قـد أصـدر قراراً بقتل جميع المواليد الذكور من بنى إسرائيل لسبب آخر، هو أنهم قد ازدادوا عدداً بشكل خطر ، وأصبح يخشى من تخابرهم أو تعاونهم مع أعداء البلاد. وهذا الكلام إضافة لمجافاته أى منطق، فإنه يخالف ضرورة فرز الأحداث آنذاك، حيث كان الإسرائيليون يعملون فى سخرة البناء، وهو ما يعنى أن الفرعون كان بحاجة ملحة لهذه الأيدى العاملة الرخيصة، وإلا كان سجنهم أو طردهم دون تسخيرهم. ومن هنـا تتنـاقض قصـة التوراة فى أمر الفرعون بقتل الذكور من المواليد الإسرائيليين مع ظروف الأحداث حينذاك.

لكن ما يبدو لنا هو أن محررى التوراة قد استبعدوا قصة النبوءة بكاملها لأنها كانـت تعنـى إبـراز وإيضاح مصرية موسى بالميلاد وبالجنس، لأن النبوءة تستبعد الطفل الملكى لخطره على أبيه الملـك وقتلـه واستيلائه على عرشه حسبما قالت، لكن هذه النبوءة لن يكون لها أى معنى مع أسرة حقيرة غريبة مسـتعبدة

(٤٣) Graves. R, The Greek Myths, Benguin Books, ١٩٥٥, Vol II, p ٩.

فى مصر. لكن الأصل الحقيقى للقصة كان يحوى لاشك قصة النبوءة التى ظهرت فى النسخة اليونانية (أوديب) كما ظل أصيلا فيما تواتر شفاهة وميراثا غير مكتوب حتى وجد طريقه للتدوين بالقرآن بعد ذلك بأزمان، ليبرز قصة النبوءة ويؤكدها.

وهنا نستأنس برواية المؤرخ الإسلامى الحافظ بن كثير الدمشقى وهو يقول:

> وذكر السدى .. عن ابن عباس .. أن فرعون رأى فى منامه كأن ناراً قد أقبلت من نحو بيت المقدس فأحرقت دور مصر **وجميع القبط** ولم تضر بنى إسرائيل. فلما استيقظ هاله ذلك فجمع الكهنة والحزأة والسحرة وسألهم عن ذلك، فقالوا: هذا غلام يولد من بين هؤلاء يكون سبب **هلاك أهل مصر** على يديه، فلهذا أمر بقتل الغلمان وترك النسوان. ولهذا قال تعالى: " ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض " وهم بنى إسرائيل " ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين "، **أى الذين يؤول ملك مصر وبلادها إليهم**." ونمكن لهم فى الأرض ونُرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون " أى سنجعل الضعيف قوياً والمقهور قادراً والذليل عزيزاً. وقد جرى هذا كله لبنى إسرائيل كما قال تعالى: {وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التى باركنا فيها، وتمت كلمة ربك بالحسنى على بنى إسرائيل بما صبروا } / ١٣٧ / الأعراف ". وقال تعالى: { كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين كذلك **أورثناها قوما آخرين }** / ٢٥ / الدخان. وقال السهيلى اسم أم موسى يارخا وقيل أياذخت .. وذكر المفسرون أن الجوارى التقطنه من البحر فى تابوت مغلق عليه فلم يتجاسرن على فتحه حتى وضعنه بين يدى إمرأة فرعون آسية بنت مزاحم بن عسد بن الريان بن الوليد الذى كان فرعون مصر زمن يوسف، وقيل إنها كانت من بنى إسرائيل من سبط موسى، وقيل **كانت**

عمته، حكاه السهيلى. [٤٤]

وبغض النظر عن الخبط والتوليف المعتاد فى كتب التآريخ الإسلامية، فإن قصة النبوءة وصلت عرب الجزيرة لتدون فى القرآن رغم أنها استبعدت من التدوين فى التوراة، لكن ذلك لم يكن يعنى أنها لم تكن معلومة لمحررى التوراة، فنحن نقصد بوضوح إنها كانت معلومة لديهم وتم استبعادها عن عمد مع استبعادهم لكل ما يتعلق بمصرية موسى الجنسية، ويؤكد لنا ذلك إنها كانت معلومة لدى أشهر المؤرخين اليهود خلال القرن الأول الميلادى، المؤرخ يوسفيوس فلافيوس، إذ يحكى أن أحد كهنة مصر القديمة " من أولئك الذين كانوا يتنبأون، أخبر الملك أنه فى ذلك الزمان **سيولد طفل لبنى إسرائيل سوف يعرض مستقبل الأسرة المالكة للخطر، لكنه هو سيصبح عظيما وتعيش ذكراه عبر عصور الزمان** " [٤٥] ويتابع يوسفيوس روايته فيقول: " إن ابنة الفرعون بعد أن تبنت الطفل أرادت أن تجعله **وليا للعهد**، فأخذته ووضعته بين يدى الملك الذى احتضنه **ووضع التاج على رأسه**، لكن موسى الطفل **أوقع التاج على الأرض وداسه بقدمه**. وكان الكاهن المصرى الذى سبق أن أنذر بميلاده حاضراً، فأمسك به وهو يصرخ وهم بقتله، لكن ابنة الفرعون منعته وانتزعت الطفل من بين يديه، كما لم يوافق الفرعون على قتله ". [٤٦]

ولعل الرموز هنا واضحة بما لايقبل لبسا، فما معنى أن بنت فرعون كانت تريد تأهيل طفل من أبناء العبرانيين ليكون وليا لعهد فرعون مصر، خاصة وأن هناك نبوءة يعلمها القصر تتحدث عن كارثة ستقع على يد طفل من هؤلاء. إن الأمر فقط يمكن أن يكون متسقا إذا احتسبنا ذلك ترميزاً للقصة الأصلية ظل محافظا على وجوده فى القصة المعدلة المزورة والمحرفة، ترميزاً واضحاً إلى **أن موسى كان ولى عهد مصر فعلا بحسبانه إخناتون**، مع ترميز آخر تأكيدى فى تفاصيل لا معنى لها إلا لو كانت تحتمل بلاغا ضمنيا مستتراً مثل وضع فرعون التاج على رأس الوليد وهو مالا يتم أو يعقل إلا إذا كان هذا الطفل هو ابن الفرعون بالميلاد وبالجنس، ثم الترميز الثالث فى رمى الطفل للتاج تسجيلا لما فعله إخناتون وانحيازه لمبادئه على حساب استقرار حكمه أو استمراره، وإصراره على ما كان يفعل من مناهضة إرادة الشرائع المصرية المؤسسة لمعانى الملكية فى مصر القديمة مما أدى إلى سقوطه كملك فى نهاية الأمر. وهكذا يجب الإقرار أن موسى كان مصريا من أصل ملكى وهو العنصر الأول فى عناصر الملحمة، وأبوه ملك وهو العنصر الثانى والشك فى إسرائيليته أن أمه الإسرائيلية المزعومة لم تطلق عليه اسما أما العنصر الثالث فهو الذى يؤكد على أن أب البطل يكون من الأقارب الأدنيين للأم. وهو ما يفصح به نص التوراة وهو يقول إن السبط لاوى شقيق يوسف قد أنجب فى مصر ولده قهات، وأنجب قهات عمران، وأنجب عمران موسى، ويفصل أكثر فيقول:

وأما قهات فولد عمرام واسم امرأة عمرام يوكابد بنت
لاوى التى ولدت للاوى فى مصر. فولدت لعمرام

---

[٤٤] ابن كثير البداية والنهاية.
[٤٥] أحمد عثمان تاريخ .. سبق ذكره، ج١ ، ص ٤٣ .
[٤٦] نفسه ج١ ص ٤٤ ، ٤٥ .

هارون وموسى ومريم أختهما.

عدد ٢٦ / ٥٨ ، ٥٩

وهكذا فإن يوكابد زوجة عمران، وهما أبوى موسى، بينهما قرابة واضحة يفصح عنها المحرر التوراتى فيقول:

وأخذ عمرام **يوكابد عمته** زوجة له فولدت له هارون وموسى

خروج ١٦ / ٢٠

ويلفت نظرنا هنا الاسم (يوكابد) أو (يوكابت)، الذى يلتقى بشدة مع اسم بنت الملك الميتانى (جيلوخيبا) أو (يلوخيبات) أو (يلوكيبا) التى افترضناها هى ذات الملكة (تى) أم إخناتون زوجة آمنحتب الثالث، وتتسق عناصر أطروحتنا وتتماسك عندما نجد اسم (يوكابد) يلتقى أيضاً بتطابق واضح مع اسم أم أوديب فى الملحمة اليونانية (يوكاستا) !! والأمر يجرنا هنا إلى تدقيق بقية أسماء أبطال الملاحم الثلاثة وهو ما أفرز تطابقا مدهشاً بين أسماء هؤلاء الأبطال مع نشوز هنا وشذوذ هناك، مما يعنى أن محررى قصتى موسى وأوديب قد حافظوا بعض المحافظة على الأسماء الأصلية لأبطال القصة.

لقد حلّت اللعنة على بيت لايوس اليونانى والد أوديب لأنه أول من أدخل اللواط إلى طيبة بحالة العشق التى مارسها بصحبة الصبى خريسبوس، وقد تم تصوير آمنحتب الثالث فى اللوحات المصرية فى ملابس نسائية، وكانت الحالة الوحيدة الأولى والأخيرة فى تاريخ مصر التى يظهر فيها الفرعون بملابس نسائية. وهنا لابد أن نسترجع فوراً عادات قادة الهكسوس الأسكيث الهند وآريين فى مقرهم العسكرى الأعظم فى بلاد آدوم، وكيف استرجلت النساء بينما تخنث الرجال، ويحيطنا المؤرخ اليونانى هيبوقراط عن عادات الاسكيث مزيداً فيقول : " **بين الاسكيث نجد كثيراً من المخنثين** الذين كانوا يؤدون أعمالا نسائية ويتحدثون كالنساء، وشعبهم ينظر إلى هذه الظاهرة باعتبارها رغبة إلهية، فيوقرون المخنثين ويقدسونهم إلى حد كانوا **يتعبدون لهم** ويسجدون أمامهم، بينما كان عامة الناس يرتعبون منهم ... **وكان هؤلاء المخنثون يلبسون ملابس نسائية** ويمارسون العادات النسائية ويقومون بأعمالهن. وكان هذا التخنث مرضاً يصيب أثرياء الاسكيث ". وقد أرجع هيبوقراط ذلك التحول المرضى الذى كان يصيب بعض رجال الاسكيث مع تقدمهم فى العمر إلى أسباب وراثية سببتها بيئتهم الجغرافية الأصلية التى كانوا يعيشون فيها فى مواطنهم الباردة الأولى " فيكتنزون إلى حد عدم إمكان تمييز أعضاء الجسد عن بعضها، وترتخى العضلات والجزء الأسفل من البطن نتيجة وجود قدر عال من الرطوبة والمائية باللحم، ومع الامتلاء يختفى الشعر عن الجسد " [٤٧]. وهنا يجب أن نعيد تأمل اللوحات والتماثيل التى صنعها فنان العمارنة وبخاصة للفرعون إخناتون لنكتشف مدى تطابق اللوحة التى رسمها هيبوقراط للاسكيث مع لوحات العمارنة .

---

(٤٧) هيبوقراط : ضمن نصوص كوزينتسوف عن الاسكيث بالروسية .. سبق ذكره ، ص ٩٠ ، ٩١ ، ٨٩ .

أما فى بلاد آدوم حيث عاش الاسكيث، بعد هجرتهم إلى هذا المكان من مواطنهم الأصلية الشمالية، انتشر داء اللواط انتشاراً هائلاً فى قصة لوط المعروفة بالكتاب المقدس، لكن الكتاب المقدس زمن تدوينه على يد المحرر كان قد تطور تطوراً شديداً عن أصوله الأولى، لذلك جاء المنطق الجديد بعقاب إلهى دمر تلك المنطقة الخماسية المدن أو بنط بوليس شمالى آدوم، بكارثة تشبه تماماً الكوارث البركانية فى تفاصيلها، ثم بعد ذلك انشغل المحرر التوراتى مع التطور بالتنبيه على وجوب ألا يلبس الرجل زى امرأة، باعتباره سُبة وعاراً، وذلك فى النص " **لايلبس رجل ثوب امرأة،** لأن كل من يعمل ذلك مكروه لدى الرب إلهك / تثنية ٢٢ / ٥ "، وهو تنبيه لن يكون له معنى إن لم يكن ينهى عن عادة قديمة كانت معروفة ومنتشرة، لكنها أصبحت زمن التدوين عادة مرذولة تستحق نفيها واستبعادها.

وإذا كان لايوس هو النسخة اليونانية لآمنحتب الثالث المصرى، فإنه بحذف التصريف الإسمى تصبح لايوس هى **(لايو)** البيت الذى أنجب أوديب، لكن المبهر هنا حسب التوراة أن بيت السبط **(لاوى)** كان هو البيت الذى أنجب موسى؟!

ومعلوم أن إخناتون قد أقام مدينته على تل عرف باسم تل العمارنة وحتى الآن تعيش هناك قبائل تحمل اسم بنى عمران / العمارنة، تزعم أنها من نسل أمير عظيم حُكم عليه بالحبس فى مكان هذا التل حيث مات. ومعلوم لدينا من جانب آخر أن موسى وهارون ومريم يعودون إلى الأب عمران وجمعها عمارنة.

وقد استنتج الباحثون أن آى صديق إخناتون ومؤيده وحامل الألقاب العظمى كان ابنا ليويا وتويا وشقيقا للملكة تى، أى أنه كان خال إخناتون، وقد تحول آى عن التأييد المطلق لإخناتون إلى العداء المطلق، بعدما بدأت كفة الآمونية فى الرجحان والصعود. وقد جاء المعادل اليونانى لشخصية آى متمثلا فى (كـر – آى – ون) يحمل فى اسمه الشق آى أحد الأسماء اليهودية الإلهية. وقد تحول كرايون بدوره من حالة التأييد المطلق لأوديب إلى العداء المطلق له بحسابات المصالح والتآمر الذى انتهى به ملكا على البلاد.

وفى القصة التوراتية ..

نجد مؤيداً شديد الإخلاص لموسى، يتحول عن هذا التأييد إلى العداء الشديد، لكنه جاء فى التوراة باعتباره ابن عم لموسى. ونحن نعلم أن المصرى القديم كان يلقب والد الزوجة بـ (الأب)، وبقية الشعوب وحتى اليوم يلقبونه بالعم، وكان ابن عم موسى هذا فى التوراة يحمل اسم **قارون،** الذى يطابق اسم **كرايون** مطابقة تامة، وهو فى القصة المصرية آى ابن يويا. لكن الاعتراض البدهى هنا هو المعلوم أن موسى فى التوراة قد تزوج من صفورة بنت كاهن مديان (يثرون / رعوئيل) أو(رع – إيل = رع إلـه)، وليس أمه يوكابد. ومن جهة أخرى نعلم أن التوراة لم يكن لديها ملامة فى زواج المحارم (بمنطق اليوم)، فالبطرك إبراهيم تزوج شقيقته سارة، وعمران تزوج من عمته (أو خالته) يوكابد، وكان بالإمكان التجاوز إلى بقية المحارم لكن التطور اللاحق منع المحرر من تسجيل الزيجة الأهم والصارخة. فقد عمد المحرر بعد تطور العلاقات الاجتماعية إلى إخفاء هذه الحقيقة المروعة، لكن لتختلط الأحداث بين يديه وتلتبس فتفلت الحقيقة من بين السطور، فى حكاية فصيحة.

والحكاية فى حديث التوراة عن زواج موسى من صفورة بنت (يثرون) فى سيناء، وكيف أنه لم يكن مختونا بعد، ومعلوم أن موسى قد هرب إلى مديان يافعا بعد قتله المصرى ظلما، وهو الترميز التوراتى لقتله أباه بمحو اسمه، كما يرمز الهرب إلى مديان قصة استبعاد إخناتون طفلا إلى هناك، ولكنه لو كان ذهب يافعا بالفعل لكان مختونا فقد نشأ وربى فى مصر بل فى بلاطها الذى يحافظ على هذه الشرعة كل المحافظة، ولكن عدم ختانه يحمل فى طياته ذكرى استبعاده طفلا. وهناك فى مديان يحدث ما تخبرنا به التوراة قائلة فى نص بليغ يمر عليه الجميع دون فهم واضح لمراميه رغم خطورته الهائلة التى أظهرها عملنا هذا وفسرها لأول مرة، إذ يقول هذا النص عن موسى:

> وحدث فى الطريق إلى المنزل أن الرب التقاه وطلب أن يقتله، فأخذت **صفورة** [زوجة موسى المديانية / المؤلف] صوانة وقطعت **غرلة ابنها** ومست رجليه، فقالت: إنك **عريس دم لى** فانفك عنه، حينئذ قالت: عريس دم لى من أجل الختان
>
> خروج ٤/٢٤ - ٢٦

هنا تتم عملية الختان بسكين من الصوان، وهو تقليد مصرى عريق من العصر الحجرى، تم توارثه بحيث ظلت تجرى تلك الجراحة حتى نهاية العصور الفرعونية بسكين من الصوان رغم اكتشاف سكاكين المعدن مبكراً، وظل سكين الصوان يستخدم طقوسيا فيما يتعلق بشرائع السماء كما فى الختان وكما فى الذبائح المقدسة وكما فى عمليات تحنيط الموتى، ويقول هيرودت واصفاً عملية تنظيف بطن الميت لتحنيطه " يشقون الكشح بحجر **أثيوبى** مسنون ويخرجون الأحشاء كلها " [٤٨] وعقب أحمد بدوى بقوله أنهم " استعملوا **السكين الصوان** وأغلب الظن أن يكون سببه الحرص على التقاليد"[٤٩]

وتروى التوراة أنه عند وصول الخارجين من مصر إلى الضفة الشرقية لنهر الأردن بقيادة يشوع بن نون بعد موت موسى، قرر يشوع عدم عبور النهر إلا بعد اختتان كل من لم يختتن من المواليد الذين ولدوا خلال أربعين عاما قضوها فى سيناء منذ الخروج من مصر. وهنا تقول التوراة أن ذلك كان أمراً إلهيا:

> وفى ذلك الوقت قال الرب ليشوع: اصنع لنفسك **سكاكين صوان** وعد فاختن بنى إسرائيل ثانية. فصنع يشوع سكاكين من صوان وختن بنى إسرائيل فى تل القلف. وهذا هو سبب ختن يشوع إياهم: إن جميع الشعب الخارجين من مصر، الذكور، جميع رجال الحرب. ماتوا فى البرية على الطريق بخروجهم من

---

(٤٨) هيرودت فى مصر .. سبق ذكره ، ص ١٩٥ .

(٤٩) الموضع نفسه .

مصر، **لأن جميع الشعب الذين خرجوا كانوا مختونين،**
وأما جميع الشعب الذين ولدوا فى القفر على الطريق
بخروجهم من مصر فلم يختتنوا. لأن بنى إسرائيل
ساروا أربعين سنة فى القفر.

يشوع ٥ / ٢ - ٦

ونعود للنص الخطر عن ختان صفورة لموسى بالصوان، لنجد النص يقول إن موسى يفع وكبر وتجاوز السن الشرعية للختان ولم يختتن، فأخذت زوجته صفورة بنت رعوئيل / يثرون / سكيناً مصنوعاً من الصوان وقطعت به قلفه أوغرله أى غلفة قضيب موسى. لكن المبهر أن **موسى هنا يوصف بأنه ابن صفورة التى هى زوجته.** وقبل عملنا هذا كان ذلك النص مدعاة لتخريجات وتخريفات ومحاولات تفسير تأويلية فاشلة غير مقنعة، لتفسير كيف كانت صفورة زوجته وأمه فى نفس الوقت، خاصة أن هذه الأم بعد أن ختنته كبيراً أعلنته عريسا لها؟!! كان لابد كى يستقيم الأمر هنا ألا تكون صفورة هى الزوجة والأم لكنها يوكابد أمه التى تزوجها أبيه عمران فى مصر. لكن لإخفاء ما حدث وستره كان لابد من هذا التمويه، فقد علمنا أن إخناتون قد تزوج أولا من نفرتيتى التى افترضنا مع جاردنر أنها الجميلة تادوخيبا الميتانية، وأنها ذات صلة قرابية بأمه تى التى افترضناها الأميرة الميتانية جيلوخيبا التى سبقت تادوخيبا فى الوصول إلى مصر وافترضنا أنهما ربما كانتا شقيقتين، مما يعنى أن إخناتون قد تزوج مرتين: الأولى بزوجته نفرتيتى / تادودخيبا / والثانية بالملكة تى / جيلوخيبا / يوكابد / يوكاستا / التى كانت أمه .

وننقب فى المقدس التوراتى بعيون المباحث والتحرى علنا نجد ما يفيد بزواج موسى من زوجتين تعادلان نفرتيتى ثم تى فى قصة إخناتون ، نجد التوراة تلتوى وتشير بسرعة إلى أن موسى قد أتخذ زوجة ثانية وأن تلك الزوجة الثانية هى صفورة المديانية، أما الأولى فيتركنا المقدس التوراتى بشأنها دون إفادة واضحة. وفى قصة التوراة التى نقصدها نعلم أن هارون شقيق موسى ومريم شقيقته بعد مساندة طويلة لموسى يغضبان عليه غضبا شديداً، ويعلنان على الناس هذا الغضب مع تحريضهم وإثارتهم ضد موسى لسبب يتلخص فى كلمات شاردة سريعة مغطاة لا تتكرر مرة أخرى بالتوراة إلا هذه المرة الوحيدة ، تقول تلك الكلمات الشاردة:

وتكلمت مريم وهارون على موسى **بسبب المرأة**
الكوشية التى أتخذها لأنه كان قد اتخذ امرأة كوشية

عدد ١٢ / ١

أبداً لا يكرر الكتاب المقدس تلك الإشارة ولا يفصح لنا عن هذه المرأة الكوشية ومتى تزوجها موسى ولماذا أغضبت مريم وهارون، وليس مقبولا أن يكون كل هذا النزاع والغضب فقط لأنها كوشية / سوداء / زنجية، ولا ريب أن لذلك الغضب الهائل مبرر آخر أغمض المحرر التوراتى عينيه عنه. أما تمثال تى أم

إخناتون الذى عثر عليه فى سيناء قرب الجبل المقدس كاثرين فكان يفصح بوضوح عن وجهها السيناوى الأسود **الكوشى**.

ويشرح كمال الصليبى قراءته للنص مقارنا بالأصل العبرى بعد أن كشف أن موسى فى بعض المقدس التوراتى كان نبيا، وفى البعض الآخر كان إلها فيقول:

> وحدث فى الطريق فى مليان (ب – ملون) أن يهوه التقاه وطلب أن يقتله، فأخذت صفورة صوانة وقطعت غرلة ابنها ووصلت إلى رجليه (وتجع ل – رجليو) وقالت: أنت عريس دم (حتن ديميم) لى من أجل الختان (ل – مولت) .. صفورة فى الأصل **لم تكن زوجة الإله موسى هذا بل والدته** .. وتدخلت صفورة فختنت ابنها الإله موسى واتخذته لنفسها عريس دم أى عريس عذرتها استرضاء ليهوه (٥٠) .

اذن يبدو أن إخناتون عندما عاد إلى مصر وكى يتزوج أمة تى كان لابد أن يقوم بطقس الختان حيث لم يكن قد اختتن فى مديان، وهو ما جاء فى النص التوراتى المذكور " فأخذت صفورة **صوانة** وقطعت غرلة ابنها ". أما أن يرى الصليبى بعينه الثاقبة أن فى التوراة صورتين لموسى واحده باعتباره نبياً وواحده باعتباره إلها، فهو ما يؤكد نظريتنا لأن إخناتون كان نبى آتون وفى الوقت نفسه ابنه الإلهى، لقد كان إلها ونبيا فى الوقت ذاته.

ومن جانب آخر لاحظ (جيمس فريزر) أن هناك خللا غير واضح المعالم فى نسب موسى أرجعه إلى أن والده عمران تزوج عمته، وليس كما كشفنا نحن عن أسبابه الحقيقية، وفى ذلك يقول إن: " قصة ميلاد موسى .. تحتوى على ملامح يمكننا أن ننسبها .. إلى مجال الفولكلور أكثر مما ننسبها إلى التاريخ إذ يبدو أن القاص لكى يزخرف معجزات حياة البطل، رغب فى أن يحكى كيف تعرض الرجل لخطر عظيم . . ساعة ميلاده طفلا، وكيف أن الطفل لم ينقذ من الموت المحقق إلا من خلال حادثة تبدو للعين العادية أنها حدثت صدفة. وإن تكن قد أثبتت حقا أن يد القدر قد تدخلت لتنقذ الطفل المعجز من أجل المصير الكبير الذى ينتظره " (٥١) .

" وقد افترض بعض الباحثين أن الحكايات الشبيهة بحكاية إبعاد موسى الطفل وطرحه فى الماء، بقايا عادة قديمة كانت تتبع بقصد اختبار بنوة الأطفال الشرعية لآبائهم، فقد كان الأطفال يطرحون فى الماء حيث يتركون لمصيرهم فإما أن يطفوا أو يستقروا فى قاع الماء. والطفل الذى يطفو يعد طفلا شرعيا أما الطفل الذى يستقر فى قاع الماء فإن المجتمع يرفضه بوصفه ابنا غير شرعى .. أما حكاية التوراة فلم تذكر شيئاً

(٥٠) الصليب: خفايا التوراة وأسرار شعب إسرائيل، دار الساقى، لندن ، ١٩٨٨ ، ص ٢١٦ .
(٥١) جيمس فريزر: الفولكلورفى .. سبق ذكره ، ج ٢ ، ص ٥٣٣ ، ٥٣٤ .

عن شرعية بنوة موسى، لكن إذا تذكرنا أن عمران والد موسى كان متزوجاً من عمته، وأن موسى كان ثمرة هذا الزواج، وإذا تذكرنا أن القانون العبرى المتأخر قد أبطل مثل هذا الزواج باعتباره زنى، فربما ساورنا الشك .. **أن أم موسى فى الشكل الأصلى للحكاية كان يدفعها سبب خاص إلى طرح ابنها فى النهر** " .. (٥٢)

وفى الدولة الحديثة التى ظهر فيها إخناتون، وقاد فيها موسى الخروج الإسرائيلى من مصر يبدأ المصريون بالنظر إلى فرس النهر باعتباره أحد رموز الشر سيت رب الصحارى والقفر والجدب والموت، رغم أنه قبل ذلك لم يكن كذلك ويطلقون عليه لقب (**ابن الماء**)، ويتضح السبب فى كراهية فرس النهر ما نسبه له المصريون فى الدولة الحديثة ونفهمه من سرد المؤرخ اليونانى بلوتارك لحكمة مصرية نقشت بالهيروغليفية بمدينة سايس فى معبد إيزيس على جدران البيلون (Pylon/ بوابة ضخمة عند مدخل المعبد)، ونصها أولا طفل ثم رجل عجوز ثم بعده صقر يليه سمكة ثم بعد كل ذلك فرس نهر، ويفسر بلوتارك معنى تلك الرسوم فيقول إنها تعنى : " أيها الناس أطفالا وشيابا إن الله يكره الفسوق، ففى النص الأول الطفل رمز الولادة والعجوز رمز مفارقة الحياة والصقر يرمز للإله والسمكة ترمز للكراهية ثم **فرس النهر الذى يرمز إلى الفسوق وعدم الحياء إذ يقولون إن فرس النهر يقتل أباه ويجبر أمه على معاشرته** " (٥٣)

ويقول لنا (دوماس) إنه بعد ذلك أصبحت تقام احتفالات وأعياد فى مدينة (حفات) تنتهى بمقتل فرس النهر الذى يرمز لعدو البلاد وللشر (٥٤) . ورمز عدو البلاد ورب الشر هو سيت رب الهكسوس العامو البعل الأدون.

وإذا كان إخناتون / موسى / أوديب، يعود بجنسه من جهة الأب إلى مصر، فإنه من جهة الأم يعود إلى شرقى سيناء وآدوم حيث المديانيين والعمالقة والكنعانيين (العموريين)، والسكيث (الأراميين) وضمنهم الإسرائيليين. وهنا نقف نستمع إلى الباحث على الشوك يقول: " وكانت للسفنكس أهمية خاصة عند الهكسوس وهم ساميون أو كنعانيون حكموا مصر ما بين ١٦٧٥ و ١٥٨٠ ق.م، ويعتقد عدد من الباحثين **أن الهكسوس هاجروا إلى اليونان بعد أن أجلوا عن مصر** .. وقد عثر فى بيوتيا / اليونان الشرقية على نقش يرقى إلى القرن الثالث عشر، تظهر فيه صورة ملك أمام سفنكس (أبى هول)، ولابد أنه يرمز إلى أوديب. ويؤكد على **أن قصة أوديب والسفنكس كانت معروفة فى القرن الرابع عشر** [وهو زمن إخناتون / المؤلف] .. ولابد أن أوديب كان يونانيا وهو ما يدل عليه اسمه: القدم المتورمة .. لكن أجداده كانوا كنعانيين على ما يبدو، فلابداكوس جده المباشر يذكرنا اسمه بالحرف الأبجدى الفينيقى لابدا أى حرف اللام .. وجد لابدا كوس هو قدموس الكنعانى بانى طيبه " (٥٥) .

(٥٢) نفسه: ص ٥٤٠ ، ٥٤١ .

(٥٣) الخشاب : سبق ذكره ، ص ٤٦ ، ٤٧ ، أنظر أيضاً
Graves, The Greek My the ....., Vol II, p ١٣ .

(٥٤) دوماس: آلهة .. سبق ذكره ، ص ٤٤ .

(٥٥) على الشوك: مأساة أوديب بين تحليلات فرويد وفرس الماء، صحيفة الحياة اللندنية، بتاريخ ١٧ / ٦ / ٩٣ .

ويلاحظ على الشوك ما جاء عند بلوتارك بخصوص فسوق فرس النهر، لكن ليسوق قول روبرت جريفز الساخر من فرويد واكتشافه لعقدة أوديب فيقول:"وعندما أشار بلوتارك ٤٦ / ١٢٠ ق.م فى كتابه إيزيس وأوزيريس إلى أن **فرس الماء قتل أباه وأجبر أمه على معاشرته**، لم يرد فى حسبانه أن الرجال عندهم عقدة فرس الماء، ولاشك أن روبرت جريفر يسخر بهذا من نظرية فرويد حول عقدة أوديب " (٥٦) .

وهنا نستمع إلى بلوتارك يحدثنا عن الإله الذى عبده اليونان باسم طيفون وعرفناه سيت المصرى: " ومن أجل هذا يخصونه من بين الحيوانات المستأنسة **بالحمار** وهو أغباها. ويخصونه من بين الوحوش بأشرسها وهما التمساح **وفرس النهر** .. ويشيرون فى هرموبوليس (الأشمونين) إلى تمثال **توفون على هيئة فرس النهر** يقف على ظهره **باشقا يصارع ثعبانا** " (٥٧) .

ثم يعود بلوتارك إلى فرس النهر ابن الماء الذى حيكت حوله تلك القصة فى نهاية الأسرة الثامنة عشرة التى ضمتها أسرة العمارنة وبيت إخناتون المارق، فيقول: " إن فرس النهر يعبر عن القحة، إذ يُقال إن هذا الحيوان **كان يجامع أمه بالقوة بعد أن يقتل أباه** " (٥٨)

ولا تفوت العين المدققة رمزية الباشق يصارع الثعبان على ظهر (توفون / سيت / فرس النهر / ابن الماء) لأن الباشق هو الفينيق القادم من بلاد العربة آدوم مديان حيث الثعابين الطائرة فى الأسطورة.

ويقول لنا صاحب كتاب دولة الأنباط إن هناك كان يعبد عددا من الأرباب أهمها ذى الشرى، وإن أهم رموز ذى الشرى كانت هى **الأفعى والنسر / الباشق**، صائد الحيات (٥٩) . وكان الثعبان والنسر هما الرمزين اللذين اتخذهما كل من بولينكيس وآتيوكليس ولدا أوديب، أو الملك سمنخ كا رع وأخيه توت. ولدا إخناتون، أو جرشوم وأليعازر ولدا موسى، عندما عاد سمنخ كا رع، بولينكيس في الأسطورة اليونانية بأهالى تلك البلاد إلى مصر فى غزوة هكسوسية ثانية انتهت بالفشل الذريع وبموت الأخوين الملكين الصغيرين.

وقد أحاطنا دى بو إيميه علما أن رسالة الملك اليونانى آريوس ملك لاكد يمونيا إلى كبير أحبار يهود زمانه، أن بين اليونانيين وبين اليهود قرابة جنسية بالدم فى أزمنة قديمة، وختم رسالته بخاتم يحمل رسما لنسر يصارع ثعبانا (٦٠) .

والغنى عن البيان هنا أن اسم موسى يتركب من شقين أو ملصقين هما (مو = ماء + سا = ابن) = **موسى = ابن الماء**، وهو اللقب الذى أطلقته الأميرة الفرعونية على موسى عندما عثرت عليه وصفاً لحاله حسب الأسطورة التوراتية، **وابن الماء هو لقب فرس النهر الذى قتل أباه وتزوج أمه.**

---

(٥٦) الموضع: نفسه

(٥٧) بلوتارك: إيزيس .. سبق ذكره، ص ٧٨ ، ٧٩ .

(٥٨) نفسه: ص ٥٥ .

(٥٩) إحسان عباس: تاريخ دولة .. سبق ذكره، ص ٢٩ .

(٦٠) دى بوا ايميه: سبق ذكره ، ص ٣٣٦ ، ٣٣٧ .

وبعد سنوات طويلة من التطور الارتقائى الطويل كتب المحرر التوراتى معبراً عن انشغال بال يقف وراء ما كتب " **وعورة أمك لا تكشف** / لا وبين ١٨ / ٧ ". وبقى فرس النهر فى ذاكرة المصريين رمزاً للفسق الأعظم وعدواً وعلما على تيفون سيت رب سيناء والصحارى الجدباء، وذكرى فرعون مهرطق قرر المصريون نسيانه ونسيان اسمه ونسيان أسرته بالكامل (أسرة العمارنة). وقد لاحظ لويس عوض علاقة اسم قرية العمارنة بآل عمران العبران فوقف ينبه قائلا فى كتابه (فقه اللغة) :

> أما اسم عمران هذا الذى انتسب إليه موسى وانتسبت إليه العمارنة / اخيتاتون مدينة إخناتون، فهو بحاجة إلى تحليل لغوى وإثنولوجى بوصفه إبونيم Eponym قبلياً [وهذا ما فعلناه فى كتابنا هذا / المؤلف] . وفى تقديرى أن اسم عمران ومشتقاته له علاقة باسم العمو Ammou أوالعمرو Amrou ، وهى القبائل التى احتلت دلتا مصر أو شرقيها مع الهكسوس وفى زمنهم، فنصوص مصر القديمة تحدثنا دائماً عن كفاح مصر ضد الخازو والعمو بعد الفتح الهكسوسى، والصلة بين الخازو والعمو غير واضحة عند المؤرخين، وعلى كل فالأمر بحاجة إلى مزيد من التحقيق للتثبت من وحدة أسماء الأعلام المذكورة، فهى مجرد اجتهادات تعتمد على قرائن لا على أدلة. [٦١]

وفى كتابه (الفكر المصرى الحديث) سبق للويس عوض أن طرح ذات الأفكار وربطها بالمماليك (الغز / الخازو) وبالأسرة الأباظية التى تعيش على أطراف الدلتا الشرقية فى مصر، وعلينا أن نلاحظ أن تلك الأسرة قد توارثت ضخامة الجسم العملاق عن العموريين واللون الأحمر عن الأراميين حتى الآن، وفى هذا قال عوض:

---

[٦١] لويس عوض: مقدمه .. سبق ذكره ، ص ٢١ .

قبيلة الهوارة .. يسمون أحيانـا فـى الجبرتـى وغيره الهوارة قبلى، مما يوحى بأن هناك هوارة بحرى .. وأنهم مـن فلـول أفـاريس أو أواريـس Avaris عاصمة الهكسوس فى الشرقية، التى تمت تصفيتها فى الدولة الحديثة .. وهـذا يفسـر اشـتغالهم بالزراعـة وتحضرهم، لكن مع رفضهم مخالطة المصـريين فـى الوقت ذاته. وهذا يفسر نسبة الإمارة لزعمـائهم مـن ناحية بل وصفة الملكية التى نسبها الجبرتى إلى كبيرهم الأمير همام بن يوسف صاحب الثـورة الكبـرى فـى القرن الثامن عشر .. بل إن هناك مـا يـوحى بـأن المماليك أنفسهم واسمهم التقليـدى طـوال العصـور الوسطى (الغزو)، هم أيضا طوائف مـن الهكسـوس Hyksos، وهى كلمة يونانية قديمة محرفة عن الاسـم المصرى القديم لهؤلاء الغزاة .. ولا يبعد أنهـم بعـد طردهم من مصر أيام أحمس وتصفية مملكة أفـاريس أيام رمسيس الثانى استقروا فى الحجاز، وسميت هـذه المنطقة من شبه الجزيرة العربية باسمهم .. وقد كـان اسم مكة فى خريطة بطليمـوس (ملكـاى Melchae (قارن: مماليك وعماليق). أما اسم الهكسوس الرسـمى كما ورد فى نقوش الآثار المصرية القديمة . . .، فهو (خزو) chesou ولا يبعد أن (خزو) هذه هـى أصـل كلمة (الغز) بمعنى المماليك. وفى هذه الحالة لا يكـون هناك فرق جوهرى بين هكسوس أو خزو دولة أواريس فى العالم القديم .. وغز العصور الوسطى أو مماليكها. ويكون هؤلاء وأولئك موجات مختلفة مـن الفرسـان الرعاة الوافدة إلى مصر فى عصور انهيار السلطة فيها **من جورجيا وبلاد الأبازة.** (٦٢)

(٦٢) لويس عوض: تاريخ الفكر المصرى الحديث، كتاب الهلال، القاهرة، إبريل ١٩٦٩ ، ص ٣٧، ٣٨ .

إن عوض يلمح إلى أن الغزو هم الخازو هم الهكسوس هم العمو هم بنو إسرائيل وإنهم قدموا من بلاد أرارات وجورجيا (بلاد الأبازة أو الأباظة)، وهى رؤية لماحة، لكنها لم تدقق تفاصيل ماحدث، فقد كان الهكسوس كما علمنا فى بحثنا هذا أكثر من عرق متمايز لكن متحالفين.

وإن نظرة فاحصة للتكوين الاجتماعى لسكان مدينة إخناتون (أخت آتون أو أخيتاتون)، والحاشية التى أحاط بها إخناتون نفسه، يمكنها أن تفسر لنا اسمها الحالى (العمارنة) جمع (عمران) وتؤكد قدم ذلك الاسم التاريخى. وليس فقط لأنه اسم قبائل العمارنة التى تعيش هناك الآن فى قرية التل ومنحوها اسمهم، وربما كانت هذه القبائل المعاصرة من بقايا ذلك الماضى التليد. إن نظرة على سكان اخت آتون توضح انها كانت تغص بعوام الناس الذين لم تدون لهم المصادر أصلاً مصريا نبيلا واضحا. ويقول (جاردنر): " وأما عن الشخصيات التى منحها إخناتون فيما بعد مقابر صخرية فى العمارنة، فلسنا نعرف من بينهم **سوى واحد تبعه من طيبة** هو ساقيه بارننوفه " [٦٣] وان كنا نعلم أنه قد صحبه أيضاً (حويا) صاحب المقبرة الشهيرة بلوحات الوليمة. إلى هذا الحد لم يكن من أتباع إخناتون فى بلاطه الذى انتقل من طيبة إلى العمارنة سوى و احد واضح المصرية أو إثنين، كان من قبل فى بلاط طيبة. أما بقية **الجماهير الذين عجت بهم العمارنة فكانوا مجهولى الأنساب** فى المدونات المصرية، وهو الأمر النافر تماما عن المعتاد المقدس الدائم فى بلاط مصر القديمة. وقد رجح البعض مثل (ألدريد) أن سبب مجهولية تلك الأنساب يرجع إلى أنه " لم يكن رجال بلاط إخناتون من عائلات عريقة، بل كانوا رجالا من عامة الشعب يرجع الفضل كله فى سمو مكانتهم للفرعون نفسه " [٦٤] .

ويبدو أن هؤلاء **(العوام)** المجهولين قد ارتفع شأنهم مع ملكهم الذى اختارهم لنفسه شعبا من دون الناس، ووصل ببعضهم إلى مراتب عليا مثل اللواء (ماى) الذى عين مشرفا على الوحدات العسكرية للوجه البحرى وأميناً لسر القصر، وهو ما يعنيه لقبه " حامل أختام الملك فى الوجه البحرى ". وقد دون ماى فى مقبرته انه ليس من أسرة معلومة الشأن بين الناس، بل غالى فى التأكيد على انتمائه لأسرة وضيعة مجهولة [٦٥] . والغريب أن هذا الوضيع قد ارتقى فى المناصب إلى وظيفة سفير بالخارجية وهو ما كان مستحيلا أن يرتقيه غير مصرى قبل تلك اللحظة، بل كان مستحيلا أن يرتقيه مصرى غير متعلم ومثقف ثقافة عليا لأنه يمثل شخص الفرعون فى البلاد الأجنبية، وكان يجب أن يكون متضلعا فى لغات تلك الشعوب بل وعاداتها وتقاليدها وديانتها، فما بالنا و (ماى) هذا شخص مجهول الأصل ؟! هذا ناهيك عن (عبريا) الذى وصل إلى رتبة رئيس وزراء.

إن (ماى) كى يقوم بهذه المهمة كان عليه أن يلم بلغات وعادات البلاد التى أوفد إليها بسفارته فى بلاد الشام وكى يكون كذلك وهو غير مصرى وليس من الطبقة التى أتيح لها العلم والثقافة، فلا شك أنه كان من أبناء تلك البلاد. ونحن نعلم من كتاب اللآلئ / التوراة الكنعانية أن كاتبها الذى عمل كبيراً للمعلمين فى

(٦٣) جاردنر: مصر الفراعنة .. سبق ذكره ، ص ٢٥ .
(٦٤) آلدريد: إخناتون ... سبق ذكره ، ص ٧٤ .
(٦٥) أحمد قدرى: المؤسسة العسكرية .. سبق ذكره ، ص ١٥٣.

القصر الملكى فى أوغاريت التى دمرها العبيرو ، أن هذا الكاتب كان يعمل فى بلاط العمارنة وأن اسمه كان إيلى ماى ليكو فهل كان ماى هو ماى ليكو؟ وكان هو من نقل قصة أحداث العمارنة ونشرها هناك؟

وتشير نقوش العمارنة إلى أن إخناتون أحاط نفسه وأسرته بفيالق من العسكر تتولى حمايته هو وأسرته بالتحديد، وليس بينها من يفصح تكوينه عن أصول مصرية، والسمات العامة لهذا الحرس سمات آسيوية بدون نقاش (٦٦) .

ثم تحيطنا رسائل العمارنة علما بشخصية أخرى هى وزير الخارجية (دودو) أو (توتو) الذى بلغ من السلطان مراتب عظيمة، وقام بدور المفاوض السياسى والدبلوماسى مع الأقاليم الآسيوية، " ويرى بعض المؤرخين أنه ربما كان ينتمى إلى أصل أجنبى، أو أنه سليل محارب آسيوى كان قد أسر " (٦٧) فيما سجل لنا (أحمد قدرى). وفى مقبرة وزير إخناتون (رمسيس) نجد تصويراً فى لوحة لأتباع هذا الوزير وليس بينهم مصرى واحد (٦٨).

وتبدو علاقة الآسيويين بعبادة آتون علاقة حميمة داخل بلادهم، فلدينا رسالة من الملك الكوشى على بابل بورنا بورياش الثانى موجهة إلى إخناتون، يقول فيها: " إنى باذل الآن جهداً كبيراً فى بناء المعبد وسوف أنجز العمل بدقة، فارسل لى قدراً وافيا من الذهب " (٦٩) . هذا ما دونه المؤرخ العراقى طه باقر، ومن جهة أخرى سجلت جولياسامسون " أنه قد عثر على بقايا معبد أقيم لعبادة آتون فى إحدى المناطق السورية " (٧٠) .

وهكذا نظن إخناتون قد اختار له شعبا يعرف عقيدته ويسهل انقياده لممثلها الملكى وطاعته والولاء له بل وربما الموت فى سبيله، وهو ذلك الفصيل الآسيوى الذى كان أسيراً فى مصر منذ طرد الأحلاف الهكسوس، وهم العبارنة أو العمارنة فالباء تتبادل مع الميم بقانون تبادل الشفويات والأنفيات، نسبة إلى عابر أو عامر أو عمران الذين كانوا يتعبدون للإله هفا أو هوا أو يهوه رب الريح وينعتونه بلقب السيد الذى هو بلغتهم (آدون) الذى سجله اللسان المصرى الأرق (آتون)، الذى كان بالأصل رباً مصرياً مهجناً بالبدوية السامية السينائية هو أتون النار البركانى القضيبى، والذى تعد الشمس أجلى مظاهر قدرته النارية. ولم يكن أحد يذكره إلا لماما حتى جاء إخناتون وأعلنه ربا واحداً.

إن ما حدث فى العمارنة، واختيار إخناتون لأوليائه ومواليه وحاشيته يذكرنا باللمحة العبقرية لسيجموند فرويد وهو يقول: إن جميع شعوب الدنيا كانت تختار آلهتها، إلا الشعب الإسرائيلى وحده هو الذى تم اختياره من قبل إله ليتأله عليه ويتخذه شعبا له.

---

(٦٦) آن زيفي: مقبرة عبريا، دار الفكر للدراسات والنشر، القاهرة ١٩٩٥.
(٦٧) نفسه: ص ١٤٩ .
(٦٨) جاردنر: مصر الفراعنة .. سبق ذكره، ص ٢٤٥ .
(٦٩) طه باقر: الوجيز .. سبق ذكره، ص ٤٦٠ ، ٤٦١ .
(٧٠) سامسون: نفرتيتى .. سبق ذكره، ص ٢٩ .

وقد دونت لوحات العمارنة اسم الإله بالصيغة (آ . ت . ن . ATEN) التى تمثل الشمس ذاتها كفرن وأتون عظيم، ويحيطنا لسان العرب علما تحت مادة أتن قـوله: " **الأتون بالتشديد الموقد** .. قال بن خالويـه .. **ولا أحسبه عربيا** وجمعه أتن ". [٧١] ومعلوم أن رب الشمس فى الأكادية كان هو أوتـو AUTU أيضـاً وتعنى السيد أو راعى رعيته.

وقد صور إخناتون الرب أو السيد آدون أو آتون فى هيئة قرص شمس تخرج منه أذرع رفيعة تنتهـى بكف يمنح العنخ / العنق / الحياة (رمز العنخ) وكف يحمل الـ (واس) رمز السعادة لتضـعها عنـد أنـف إخناتون، وهو ما يعنى أن آتن يمنح الحياة والسعادة، فهل نجد بالديانة الإسرائيلية أى أثر لذلك التصور عـن الإله؟

وكما أوضحنا توصل فرويد إلى أن الإسرائيليين بعد خروجهم من مصر إلى سيناء نكصوا عن التوحيد الإخناتونى فى قادش سيناء، وعادوا إلى صورة الأدون يهوه ممثلة فى العجول وأشباهها من ذوات القـرون، لكن فرويد يقول إن الاعتقاد القديم ظل كامنا حتى جاء زمن أنبياء التجديد فى القرون المتأخرة قبل المـيلاد، ليعيدوا التوحيد إلى صورته الأولى الآتونية الإخناتونية وقد وجدنا من جانبنـا نصوصـاً بـالتوراة تفصـح بوضوح عن أصولها الآتونية فى شمس تركب السماء وتمتد من تحتها **أذرع أبدية رفيعة**، وهى الصورة التى ابتكرها إخناتون لربه، ومن نماذج ما عثرنا عليه فى التوراة يشير إلى تلك اللوحة القديمة:

أنا الرب، وأنا أُخرجكم من تحـت أثقـال المصـريين وأُنقذكم من عبوديتهم وأُخلصكم **بذراع ممدودة**

خروج ٦ / ٦

هل شرع الله أن يأتى **ويأخذ لنفسه شعبا مـن وسـط شعب** بتجارب وعجائب وحـرب ويـد شـديدة **وذراع رفيعة** ومخاوف عظيمة مثل كل ما فعل الرب إلهكم فى مصر؟

تثنية ٤ / ٣٤

هم **شعبك وميراثك** الذى أخرجتـه بقوتـك العظيمـة **وبذراعك الرفيعة**

تثنية ٩ /٢٩

عظمته ويده الشديدة **وذراعه الرفيعة**

تثنية ١١ / ٢

(٧١) فهمى خشيم: آلهة .. سبق ذكره، ج١ ، ص ٢٨٧ .

وهنا قد يقال إن الذراع الرفيعة فى وصف يهوه مسألة مجازية تشير إلى قدرته وليس إلى يـد بالفعـل كما فى لوحات إخناتون، لذلك نسوق من التوراة تلك اللوحة التى تصور رب إخناتون كما تخيله الفرعـون وكما تم نقشه ورسمه فى مصر، يقول الكتاب المقدس كما لو كان يصف لوحات الإله آتون،

ليس مثل الإله يايشورون. **يركب السماء** فى معونتـك،
والغمام فى عظمته، الإله القديم ملجأ **والأذرع الأبديـة**
من تحت.

تثنية ٣٣ / ٢٦ ، ٢٧

هكذا إذن تتفق القصص الثلاث (إخناتون) و (أوديب) و (موسى) على عناصـر تأسيسـية متطابقـة، نبوءة، طفل يولد يشكل خطراً على الملك. استبعاد الطفل صغيراً بعيداً عن أهله. الطفل ابـن ملكـى سـواء بالتبنى أو بالميلاد. وغنى عن التنويه أن موسى إضافة لتبنيه من قبل ملك حسب الرواية التوراتية، فهو فـى نظر بنى إسرائيل من بيت ملكى هو بيت آل عمران. وتتفق الروايات الثلاث أيضاً على عودة الطفل يافعا فى أول مراحل الصبى إلى بيت أهله حيث يقتل أبيه فى الطريق كما حدث مع أوديب عندما قتل لايوس، أو يقتله بعد عودته كما فعل إخناتون باسم أبيه، أو كما حدث مع موسى فى رمزية قتل المصرى (لاسـتبعاد شُـبهه الأصل المصرى) ثم هربه إلى مديان ثم عودته إلى مصر بتوجيه إلهى " وقال الرب لموسى فـى مـديان، اذهب ارجع إلى مصر لأنه **قد مات جميع القوم الذين يطلبون نفسك** / خروج ٤/١٩ ، ٢٠ " وهو ما يعنى لنا خبر موت آمنحتب الثالث وعودة إخناتون إلى مصر لتولى العرش.

ثم تتفق الروايات الثلاثة إن تصريحا أو تلميحا على زواج البطل بأكثر من زوجة يظهر مـن بيـنهن زوجة أولى تختفى فى الظل عندما تظهر الزوجة الثانية، كما تتفـق جميعا على أن الزواج الثانى قد أغضب الآلهة فضربت البلاد بالوباء، وهو ما عبر عنه الملك توت عنخ آتون الذى ارتد بعد اختفاء إخنـاتون إلـى عبادة آمون، وأصبح اسمه توت عنخ آمون، إذ يقول: " إن الأرض كانت **مريضة** وأغلقت معابـد الآلهـة، وهجرت **الآلهة** هذه الأرض، لأن البلاد كانت فى مأزق **أثيم** " [٧٢] أما الأسطورة اليونانية فتقول إن الآلهـة أرسلت الطاعون على طيبة اليونانية بعدما تزوج أوديب من أمه يوكاستا [٧٣] .

أما الكتاب المقدس فقد أسهب فى شرح الوباء فى سفر الخروج (٢٣ / ٢٥) وفى سفر اللاويين بـدءاً من الإصحاح الثالث عشر، كذلك فى سفر العدد ١٦ / ٤٩ وسفر التثنية ٢٨ /٢٧ ، ٣٥ .

ويبدو أن هناك وباء قد حدث حقا، ربطه الناس بقصة الملك الخاطئ لأن أحمد قدرى يحيطنا علمـاً أن هناك كتابات حيثية تؤكد أن وباء الطاعون قد انتشر فى منطقة الشرق الأدنى فى تلك الفترة مـن الزمـان، وبالتحديد المبين زمن العمارنة ؟! وقد حجّم هذا الوباء من الخطر الحيثى ضد مصر، وأعطـى الفرعـون

---

(٧٢) سليم حسن: الأدب المصرى .. سبق ذكره ، ج ٢، ص ١٢٩ ، ١٣٠ .
(٧٣) Graves, The Greek Myths ...., Vol II pp ١١-١٢ .

حور محب حرية الحركة العسكرية فى المنطقة بعد سقوط أسرة العمارنة، وقام بتطهير مصر من آخر العناصر الأجنبية [٧٤] .



جلسة عائلية تحت أيدى الرب الرفيعة نفرتيتى إلى اليمين بثوب مفتوح من أسفل تحمل طفلتين من أطفالها، وإخناتون إلى اليسار يداعب واحدة من بناته، لاحظ رؤوس الصغيرات وتيجان الوالدين العالية
شكل رقم (٨٤)



الإله القديم يركب السماء والأذرع الأبدية الرفيعة من تحت تمتد إلى توت عنخ آتون وزوجته
شكل رقم (٨٣)

كذلك أنجب الأبطال الثلاثة كل منهم ولدين، فقد أنجب إخناتون سمنخ كارع وتوت عنخ آمون، وقد أكد لنا آلدريد أنه " قد أصبح من المسلم به أن سمنخ كارع وتوت عنخ آمون كانا أخوين، والواقع أن رفاتهما المتبقية تظهر تشابها غير عادى وخصوصا **بين قياسات جمجميتهما المفرطحتين الشاذتين** .. وقد ثبت فى دراسة حديثة اعتمدت على تحليل الدم أن فصيلة دمائهما كانت واحدة (A٢MN) .. وتطابق شكل الملكين الصغيرين يدل على أنهما شقيقان لأب وأم [٧٥]". كذلك تقول الأسطورة اليونانية أن أوديب قد أنجب ولدين هما بولينكيس وأيتوكليس، ويحيطنا الكتاب المقدس علما أن موسى قد أنجب ولدين هما أليعازر وجرشوم.

لكن إذا كان أوديب قد تزوج أمه يوكاستا، وإذا كان إخناتون قد تزوج أمه تى، وإذا كان موسى قد تزوج أمه يوكابد، فماذا عن الزوجة الأولى؟ وهى فى حالة إخناتون تحمل اسم نفرتيتى، وفى حالة أوديب تحمل اسم يوريكانيا [٧٦]، وفى حالة موسى تحمل اسم صفورة؟ لدينا هنا مشكلة فيما يتعلق بالزوجة فى القصة الأصلية (نفرتيتى) إذ يقول (جاردنر): " إن الملكة نفرتيتى مستها فضيحة ما فى العام الثانى عشر أو بعده بقليل، مالم تكن قد ماتت، وقد محى اسمها دوما من مبنى خاص بها يدعى مارو آتون يقع إلى جنوبى المدينة، وأحل محله اسم ابنتها الكبرى مريت آمون " [٧٧] لكنا نفهم من آلدريد أن إخناتون كانت له زوجة ثالثة تسمى كيا وجد اسمها محفوراً على إناء من الكالسيت محفوظ الآن بمتحف نيويورك، [٧٨] وبهذا يشذ عن

(٧٤) أحمد قدرى المؤسسة .. سبق ذكره ، ص ١٧٤ .
(٧٥) آلدريد إخناتون .. سبق ذكره، ص ٩٣ .
(٧٦) عبد المعطى الشعراوى أساطير إغريقية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٣ ، ج١، ص ٢٤٩ .
(٧٧) جاردنر مصر الفراعنة .. سبق ذكره ، ص ٢٥٩ .
(٧٨) آلدريد: إخناتون .. سبق ذكره ، ص ٩٣ .

قاعدة الزوجتين (بالطبع هذا عدا الحريم الملكى) رغم أنه الأصل فى النماذج التى صيغت فيما بعد على قصته فى العبرية واليونانية؟ فهل ترانا قد أخطأنا هنا خطأ واضحا؟

نقف الآن مع هذه المشكلة نحاول الفهم، لنقرأ عن نفرتيتى: " إن اسمها ينطق حسب كتابته بالخط الهيروغليفى: نفرت إيتى أى الجميلة آتية أو مقبلة، أو كما سميت فى السنة السادسة من حكم زوجها: نفر نفرو آتون أى الجميلة جمال آتون .. ولا يزال موضوع أصل نفرتيتى موضوع نقاش بين المتخصصين إذ لم يذكر أى نص اسم والديها. ويعتقد البعض أنها **تنتسب إلى إحدى الأسرات الأجنبية** التى كان يعج بها البلاط الملكى فى عهد آمنحتب الثالث، وقد اختلف أصحاب ذلك الرأى فمنهم من رأى أنها ميتانية الأصل أى من شمال سوريا، ومنهم من رأى غير ذلك " (٧٩) .

ويكرر عبد المنعم أبو بكر فيقول: " يغلب على الظن أن نفرتيتى تنتسب إلى إحدى الأسرات الأجنبية التى كان يعج بها البلاط الملكى، وكثر الحديث عن الانبعاج الغريب الذى تميزت به مؤخرة الرأس للأميرات، وخاصة فى التماثيل والرسوم التى تمثلهن إبان الطفولة المبكرة. وواضح من التماثيل **أن هذا الانبعاج الغريب لم يكن نتيجة طريقة تصفيف الشعر، بل هو نتيجة لمحاولة مقصودة "** (٨٠) .

وثمة اجتهاد آخر فى تفسير اسم نفرتيتى أو على الأدق الشق الثانى فى اسمها (تى) فالشق الأول (نفر) يعنى الجميلة، أما الثانى (تى) – وهو اسم الملكة الأم – فهو طى فى العربية من الأصل السريانى Tayyaya . واللغة العربية تُسمى فى السريانية لسان طى / لشانا طايايا Lessana Tayyaya وقد ترجم صاحب الاجتهاد اسم نفرتيتى وفق ذلك بأنه (جميلة طى) (٨١). والأصوب (الجميلة العربية). ونحن نعلم أن منطقة عرابة عند سعير وحتى حدود الدلتا الشرقية كانت تعرف بالمنطقة العربية.

بينما آلدريد يرى **أن نفرتيتى هى ذات الأميرة الميتانية تادوخيبا** بدليل أن اسمها يعنى " آتت الجميلة " باعتبار (تى = أتت) (٨٢) وهو ما يشير إلى قدومها من خارج البلاد.

وتظهر لنا نقوش العمارنة أن إخناتون حذا حذو أبيه، فمجد زوجته التى لا شك كانت تعانى من عداء الكهنة، عندما رفعها زوجها لمرتبة الزوجة الملكية العظمى / الرسمية / الرئيسية / التى تنجب ولى العهد، وهى غير مصرية. وقبل ذلك كان يتم تصوير الملكات الرئيسيات فى أوضاع لا يتجاوز فيها طول الملكة الواقفة ركبتى الملك الجالس، لكن آمنحتب الثالث وإخناتون خرجا على هذا المألوف المعتاد، وفعل إخناتون فعل أبيه عندما صور تى بذات حجمه، فصور إخناتون نفرتيتى فى صورتها المتكاملة التى لا تقل عنه بحال لتأكيد أنها ملكة كاملة الأهلية، بل إنه أطلق على نفرتيتى لقبا كان قاصراً على أميرات القصر المصرى فقط

(٧٩) جمال مختار: مقدمته لكتاب نفرتيتى .. سبق ذكره، ص ١٢ ، ١٣ .
(٨٠) أبو بكر: إخناتون .. سبق ذكره، ص ٨٦ .
(٨١) فهمى خشيم: آلهة .. سبق ذكره، ج١، ص ٥٢٧ .
(٨٢) آلدريد: إخناتون .. سبق ذكره ، ص ٧٦ .

هو لقب الوريثة، بل تشير كل النقوش إلى حرص واضح من جانب إخناتون لإعلان نفرتيتى ليس فقط مجرد ملكة بل شريكة فى الحكم مثله سواء بسواء(٨٣).

وعلى اللوحات الضخمة التى أقامها إخناتون على حدود مدينته وصف لنفرتيتى يصفها فيه الفرعـــون بقوله: " مليحة الوجه المبتهجة بالريشتين، ربة السعادة، فريدة الحسن، رخيمـــة الصـــوت، ســيدة الكياســـة والرشاقة، عظيمة فى الحب، بهيجة فى الطبع، مصدر سعادة سيد القطرين " (٨٤).

لكن ماذا يقصد جاردنر بقوله إن هناك فضيحة لحقت بنفرتيتى فى آخر أيام تل العمارنة؟ لقــد لـــوحظ اختفاء اسم نفرتيتى بل محوه بعد وصول الملكة الأم إلى العمارنة، كما وجدت شواهد على أنها انتقلت إلـــى أطراف مدينة أخت آتون لتعيش هناك فى عزلة غير مبررة أو واضحة السبب (٨٥).

ويشرح لنا عبد المنعم أبو بكر الأحداث التى تتابعت بعد ذلك، وما حدث لنفرتيتى باختفـــاء إخنـــاتون المفاجئ والملغز فيقول: " فى هذا الجو المشحون بكل عوامل الكراهية والحقد والفســـاد تأتينـــا الأخبـــار أن نفرتيتى تحاول الثأر لنفسها فترسل خطابا إلى الملك الحيثى شوبيلوليما وتطلب منه أن يرســـل أحـــد أبنائـــه ليتزوجها ويتولى عرش مصر. كان هذا التصرف من نفرتيتى بمثابة صـــفعة دنيئـــة علـــى وجـــه مصـــر والمصريين. يحدث هـــذا فى العصر الذى حاول فيه أكثر من ملك آسيوى أن يخطب لنفسه أو لابـــن مـــن أبنائه إحدى بنات البيت المالك المصرى، فكان يأتيه الرد دائماً بالرفض، واستجاب الملك الحيثى لهذه الدعوة وأرسل بالفعل أحد أبنائه الذى لم يكد يصل على مقربة من الحدود المصرية، حتى داهمه بعض المصـــريين وقتلوه وقضوا بذلك على هذه المؤامرة، أوحسب رأى مصريى مصر فى ذلك الوقت، إنهم قضوا على هـــذه الخيانة العظمى . وقد صمتت الآثـــار المصرية عن هذا الحادث ولم تذكره وثيقة ما، إلا أن إحدى الوثـــائق الحيثية التى عثر عليها فى أطلال بوغازكوى العاصمة القديمة لدولة الحيثيين ذكرت هـــذا الحـــادث، وقـــام بتسجيله الملك مورسيل الثاني ابن شوبيلوليما " (٨٦) .

وقد ترجم لنا جوتر بوك الأستاذ بمعهد الدراسات الشرقية بجامعة شيكاغو ذلك الـــنص وفقـــا لروايـــة مورشيليش الثانى Mursilis II ابن شوبيليوليوماش Suppiluiumas كالآتى: " بعثت ملكة مصر إلـــى أبـــى رسولا وكتبت فى رسالتها تقول: مات زوجى **وليس لى ابن**، فلو منحتنى أحد أبنائك لصار لى زوجا، ولـــن أختار قط واحداً من خدمى ليكون لى زوجا. وأنا خائفة. وعندما سمع أبى هذا دعا إليه العظماء للتشاور وقال لهم: **إن شيئا مثل هذا لم يحدث لى** فى حياتى قط " (٨٧)

(٨٣) سامسون: نفرتيتـــى .. سبق ذكره ، ص ٥٧ ، ٤٥، ٤٦ .
(٨٤) آلدريد: إخناتون .. سبق ذكره ، ص ١٧ .
(٨٥) أبو بكر: إخناتون .. سبق ذكره ، ص ١١٦ .
(٨٦) نفسه: ص ١١٨ ، ١١٩ .
(٨٧) ايفارلسنر: الماضى الحى .. سبق ذكره، ص ٨٧ .

وكانت عبارة " ليس لى ابن " مدعاة للتشكك فى شخصية الملكة التى أرسلت الخطاب، فاتجه رأى البعض إلى أن صاحبته ربما تكون نفرتيتى وأن عبارة ليس لى ابن من باب التجاوز، بينما رأى البعض أن الرسالة كانت موجهة فى تاريخ لاحق من أرملة توت عنخ آمون (عنخ اسن ان باتون) [٨٨] .

حتى الآن ليس هناك بالقطع فضيحة واضحة إذا لم تكن نفرتيتى هى من أرسل هذا الخطاب، ومع ذلك يصر المؤرخون على تلك الفضيحة غير الواضحة، فيقول – مثلا – شتيندورف وسيل" إنه فى حوالى العام السادس عشر من حكمه وقع اضطراب خطير فى العاصمة الجديدة، فقد سقطت الملكة نفرتيتى فى فضيحة وانعزلت فى الطرف الشمالى من المدينة، حيث أقامت لنفسها قصراً جديداً. والأشياء التى عثر عليها فى خرائب هذا القصر تشير إلى احتمال أن تكون قد أخذت معها فى المقر الجديد الأمير الطفل توت عنخ آمون"[٨٩] .

ويرى شتيندورف وسيل من جانبهما أن صاحبة تلك الرسالة كانت بالقطع الملكة نفرتيتى التى كانت تدبر مؤامرة واضحة وكبرى لتتفرد بالسيادة ويرى " أنه ليس من المستبعد أن تكون قد لقيت حتفها مع عريسها المنتظر إذ أنها تختفى عند هذه النقطة من مسرح التاريخ ولا يسمع عنها شئ بعد ذلك " [٩٠] .

أما الباحثة والمصرولوجست الأمريكية (جوليا سامسون) فتتخذ موقف الدفاع الحاد عن نفرتيتى، وتؤكد أنه لم تصبها فضيحة ولا يحزنون، وأنه إذا كانت تلك الفضيحة قد افترضت افتراضا بناء على انعزالها فى قصر شمال المدينة وابتعادها عن القصر الملكى الإدارى، فإنها من جانبها قد توصلت إلى أن من قالوا ذلك قد أخطأوا خطأ فاحشا، حيث التبست عليهم قراءة الإسم الممحو من آثار ذلك القصر، الذى لايجب قراءته نفرتيتى إنما يجب قراءته (كيا)، وافترضت أن (كيا) هذه إحدى الزوجات الثانويات لإخناتون، وقد كتب اسمها بشكل يمكن أن يؤدى منطوقه بالخطأ إلى اسم نفرتيتى، خاصة مع عمليات المحو التى لحقت بذلك الاسم.

وتشرح (جوليا سامسون) نظريتها تحت عنوان: (تصحيح خطأ تاريخى) فتقول: " النظرية .. التى تقول بمحو اسم نفرتيتى وإبداله باسم ابنتها مريت آتون قد ثبت خطؤها بعد دراسة متأنية لبقايا الاسم الذى تم محوه والتى قرئت خطأ على أنها بقايا اسم نفرتيتى. فقد ثبت الآن أن الاسم الممحو كان اسما لامرأة أخرى هى كيا. وفى عام ١٩٧٤ نشر البروفيسور جون هاريس John Harris تقريراً علمياً مفاده أنه .. تبين له بصفة مؤكدة أن الاسم الممحو لم يكن اسم نفرتيتى بل كان اسما لامرأة تدعى كيا .. وتدل الشواهد الأثرية التى اكتشفت أو عثر عليها مؤخراً أن كيا كانت زوجة ثانوية لإخناتون، مجرد زوجة من الحريم لكنها أبداً لم تكن زوجته الملكية العظمى فلم يكتب اسمها اطلاقا داخل الخرطوش الملكى ولم تضع على رأسها تاجا ... وقد عثر على منظر لها منقوش على أحد الأحجار التى نقلت من العمارنة بعد تدميرها إلى مدينة

---

[٨٨] نبيلة عبد الحليم: معالم التاريخ .. سبق ذكره، ص ٧٥ .

[٨٩] شتيندورف وسيل: عندما حكمت .. سبق ذكره، ص ٢١٧.

[٩٠] نفسه: ٢٢٢ .

هرموبوليس / الأشمونين حاليا. تظهر فيه كامرأة عادية من النبيلات تزين رأسها بباروكة مميزة ذات طراز خاص " [٩١].

ووقفت دون هذا الكشف الجديد عقبة، إذ ثبت أن الأميرة التى سكنت هذا القصر البعيد محددة الإقامة قد أخذت معها الأمير توت عنخ آمون المفترض إنه ابن نفرتيتى، وحتى يتم تجاوز هذه العقبة قال (هاريس) إن الأمير توت إذن لم يكن ابن نفرتيتى لكنه كان ابن كيا [٩٢] .

تقف عدة عقبات ضد هذا الكشف أولها شكل رأس الأمير المستطيل الذى يطابق رؤوس بقية بنات نفرتيتى كما يطابق رأس شقيقه سمنخ كارع، ويشير إلى عادة كانت تمارسها نفرتيتى عند ميلاد الطفل عن عمد بربط رأس الرضع بقصد استطالته. إضافة إلى أن هذا الأمير (توت) قد ارتقى عرش مصر بعد الثورة الآمونية وتغير اسمه من توت عنخ آتون إلى توت عنخ آمون، مما يشكك تماما فى أن والدته كانت زوجة ثانوية أى مجرد محظية. من هنا نظن أن نفرتيتى قد لحقتها فضيحة كبرى، وأنها بالفعل كانت صاحبة القصر النائى الذى عاشت فيه بقية حياتها مع ولدها الأصغر توت، وأن ذلك قد صحبته لعنة سيد القصر فأمر بمحو اسمها المصرى الذى منحها إياه (الجميلة آتية أو نفرتيتى) ليعيدها إلى اسمها الأصلى الميتانى المجرد، وإذا كان جاردنر قد افترض – ونحن معه – أن نفرتيتى كانت هى الميتانية **تادوخيبا** أو **تادوكيبا**، وهو اسم ملصق من شقين، فإن الكاتب المصرى ربما اكتفى بكتابة الشق الأخير المميز **(كيبا)** استهانة وامتهانا، الذى قرأه بعد ذلك – حديثا ـــ البروفيسور جون هاريس باللفظ (كيا). وهكذا ووفق هذا التخريج لا يكون لإخناتون أكثر من زوجتين كلاهما كانت زوجة رئيسية، تمت تنحية إحداهما لتفسح المكان للأخرى، فذهبت نفرتيتى أو كيا الفرعونية / يوريكانيا اليونانية / صفورة التوراتية / لتظهر مكانها زوجة ملكية عظمى تى / يوكاستا / يوكابد أم الملك وزوجته فى الوقت نفسه.

لكن مع استمرار مطابقة الروايات الثلاث سنجدنا بحاجة إلى العثور فى الملاحم الأخرى على نماذج متشابهة لذات الشخصيات الأساسية مثل العراف الحكيم العجوز الأعمى **تيرياس** فى أسطورة أوديب، فمن كان تيرياس فى واقع أحداث العمارنة ثم من كان فى الملحمة التوراتية عن موسى؟ و**(أدراستوس)** ملك آرجوس حمو (بولينكيس ابن أوديب الأكبر) من كان فى ملحمتى إخناتون وموسى؟ بل سنجد فى الملحمة التوراتية شخوصا غاية فى الأهمية مثل **هارون ومريم** شقيقا موسى دون تواجد واضح لشخصيات مقابلة في الأصل المصرى أو فى الملحمة الأوديبية فمن كانا فى تلك الملاحم ولو بالاستنتاج؟

ثم الأهم من كل هذا تبقى ثغرات واضحة فى نظريتنا لاتحتاج جهداً لكشفها وتتمثل فى السؤال: **كيف كان الفرعون إخناتون هو ذات شخص موسى بينما المفترض أن موسى ثائر ضد الفرعون ودخل معه صراعا جدليا استخدمت فيه أدوات مختلفة لإدارة الصراع دمرت البلاد والعباد.** ناهيك عن كون أوديب قد مات أعمى وهو مالم يحدث بالنسبة لموسى بل على العكس تماما **كانت التوراة تؤكد طوال الوقت أن موسى**

---

[٩١] سامسون: نفرتيتى .. سبق ذكره، ص ١١٦ ، ١١٨ .
[٩٢] نفسه: ١٦٨ .

عاش ثاقب البصر صحيح العينين طوال عمره الذى وصل إلى مئة وعشرين عاما. ومعنى ذلك أيضاً أن إخناتون بدوره لابد كان أعمى وهو أمر بحاجة إلى تيقن أو على الأقل ترجيح أكثر تماسكا مما قدم فليكوفسكى. وعلميا من المستحيل على باحث أن يجد جميع العناصر والتفاصيل الصغيرة بدقائقها ومنمنماتها متطابقة تمام التطابق بين أصل واقعى فى حقل أحداث حدثت فى مصر، ونسخة مروية من تلك الأحداث فى كتاب موصوف بأنه مقدس عمد محرروه إلى أكثر من استبعاد وأكثر من تزوير لاستبعاد فكرة واستبقاء أخرى تتفق مع رؤيتهم القدسية. وفى عدد من ملاحم التراجيديا اليونانية على تنوعها وطبعها بجغرافية اليونان وعقائدها وأسماء أعلامها .. إلخ، ومع ذلك سنحاول قدر الجهد على ألا نرتكب فى سبيل ذلك شططا لأنه سيظل هناك دوما عناصر غير متطابقة بين الملاحم الثلاث وهو أمر يجب الاعتراف به بهدوء تحاشيا للى عنق بعض الحقائق فى تفاسير متكلفة من أجل إثبات فروضنا، وهو الأمر الأبعد ما يكون عن مبتغانا وغايتنا.

بخصوص العراف الأعمى تيرياس فى الملحمة الأوديبية – كمثال – والذى كان يعلم ملابسات استبعاد أوديب طفلا وجد فليكوفسكى أن نموذجه الواقعى فى تل العمارنة كان هو العراف الحكيم العجوز الأعمى وراعى العميان (آمنحتب بن حابو) الذى وصف فى نصوص العمارنة بأنه: " عالم وثيق بأسرار تربية الأطفال الملكيين ". لكنا لا نجد له نموذجا مطابقا فى رواية التوراة عن موسى التى قررت استبعاد كل ما يشير إلى أصول موسى المصرية وضمنها ولاشك كان هذا العراف، لكن ربما تسد لنا الرواية الإسلامية تلك الثغرة، فلدى المؤرخين الإسلاميين خبراً متواتراً عن شخص حكيم من حاشية البلاط الفرعونى زمن موسى كان ناصحه الأمين والمدافع عنه فى القصر، هو الذى جاء ذكره باسم (حزقيل مؤمن آل فرعون). ورغم الواضح فى الاسم أنه عبرانى بلا جدال إلا أن المؤرخين المسلمين ما كانوا ليدققوا هذا الأمر، ونفترض أنه مجرد تسمية موضوعة لتحديد شخصية كانوا متأكدين من وجودها أعطوها هذا الاسم على الاتفاق. وهو الرجل الذى جاءت بشأنه آيات القرآن تقول: " وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى قال يا موسى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج إنى لك من الناصحين ٢٠/ الشعراء "[٩٣] وبهذه النصيحة هرب موسى إلى مديان وهى رمزية استبعاد البطل الملكى الطفل صغيراً إلى مديان، ثم أن (مؤمن آل فرعون) هذا هو من واجه الفرعون وملئه مدافعا عن موسى.

أما (أدراستوس) حمو (بولينكيس) فى الملحمة الأوديبية، فلا نشك أنه كان (دوشراتا) بحذف السين الأخيرة من (ادراستوس) فيتطابق الاسمان تطابقا تاما (دوشراتا = أدراستو)، ونحن نذكر أن دوشراتا حسب نظريتنا كان ملكا ميتانيا ضمن الأحلاف الآدومية وكان حليفا لمصر يحكم فى بلاد آدوم زمن العمارنة. وهكذا نفهم أن بولينكيس ومقابله المصرى سمنخ كا رع بن إخناتون قد لجأ إلى بلاط أخواله يستمد منهم المدد ضد أخيه توت عندما انفرد دونه بالعرش. وهو فى القصة التوراتية جرشوم ابن موسى الأكبر.

---

[٩٣] انظر مثلا : الثعلبى عرائس المجالس .. سبق ذكره، ص ١٧٣ .

والطريف أن الاسم جرشوم يحمل دلالة ما حدث لصاحبه، ويبدو أن المحرر التوراتى وهو يؤرخ للأحداث بعد قرون من حدوثها، قد رأى أن يختار لابن موسى الأكبر اسما يليق بما حدث له، وهو دأب توراتى معلوم، فالاسم **(جرشوم)** فى العبرية يعنى غريب، وهو من الفعل العبرى جرش أى طرد ونفى فهو **المطرود أو المنفى** (أنظر قاموس الكتاب المقدس).

وتقول الأسطورة اليونانية أن (أدراستوس) هذا كان حاكما على مملكة ضمن ممالك متجاورة متحالفة، وأن مملكته كانت تدعى (آرجوس) ومن جانبنا نرجح أن آرجوس باسمها هذا أو بتلوين مقارب كانت ضمن ممالك آدوم الخمسة. وبالإمكان مطابقتها مع آخر تلك الممالك شمالا على البحر الميت مباشرة، وتحمل حتى اليوم اسمها القديم صوجر أو سوغر. لكن الأهم أننا عندما بحثنا عن معنى الكلمة ومشتقاتها وجدناها تحيلنا إلى بلاد العمالقة والماعز والطبقات الاجتماعية المشردة والمأجورة التى تمارس النهب اللصوصية، إلى بلاد آدوم مديان، فكلمة آرجوس Argus اليونانية تعنى **(عملاق)** ومنها Argali وتعنى **(ماعز)** ومنها أيضاً Argot وتعنى اللغة التي تستخدمها فئة أو **طبقة اجتماعية من المشردين والمأجورين واللصوص وشذاذ الآفاق وهى المعانى التى اجتمعت فى التاريخ لأخلامو آدوم.**

لكن الإشكال الأكبر أمامنا هنا هو فى شخصيتين هامتين تماما فى القصة التوراتية هما الشقيقان هارون ومريم وقد لازما موسى فى رحلة الخروج عبر سيناء. فمن كانا فى الأصل المصرى وفى النسخة اليونانية؟ إن هارون بالذات يعد مشكلة فاسمه اسم سامى واضح العبرية لكنه منسوب إلى مصر، فهو يتركب من ملصقين هما (هار) أى ربوة أو قبيلة أو رأس أو جبل + (أون) وهو اسم مدينة عين شمس المصرية المعروفة، فاسمه يعنى ربوة أون أو رأس أو سيد عين شمس، وهو ما يذكرنا بكاهن عين شمس أوزرسيف الذى حدثنا عنه مانيتو ومن بعده يوسفيوس، كما أن اسم أوزرسيف نفسه يحيل إلى عين شمس فهو اسم يعنى لسان أوزيريس أو شفة أوزير فهو (أوزر = أوزير + سيف وهى شفة بالعبرية وبالمصرية سب أو سف). [٩٤] وأوزير كان أهم المعبودات الرئيسية فى عين شمس كما هو معلوم. فربما كان هارون رفيقاً لأوزرسيف، وربما كان هو الوسيط العبرى بين إخناتون وبين أسرى مدينة حواريس سواء كان حقيقة أم اختراعا اخترعته التوراة كمترجم، وهو الوسيط الذى لم يأتنا ذكره فى الأصل المصرى لأن الأصل المصرى عنى بالأسرة الملكية وحدها، خاصة أن ظهور هارون كوسيط يبدأ دوره بعد خروج إخناتون منفيا من مدينته، ومن ثم إذا لم نجد أى ذكر فى المدونات المصرية له فهو أمر طبيعى لأنه لم يكن قد ظهر بعد. وبالتالى لم يظهر أيضاً فى ملحمة أوديب لأنها قد استمدت وقائعها من مصر مباشرة وليس عبر التوراة، لذلك كان طبيعيا أن يظهر فى التوراة وحدها. ولتأكيد إسرائيلية موسى ونفى أصله المصرى ابتدع لهما أصل واحد فهو شقيق موسى وكليهما إسرائيليان من بنى عمران العبران. فإذا كان هارون وهماً توراتيا – وهو المرجح لدينا – فماذا عن مريم بنت عمران؟

---

[٩٤] فى معنى كلمة (سب) انظر: أنطون ذكرى، مفتاح اللغة المصرية .. سبق ذكره، ص ٧١، وفى معنى كلمة (هار) انظر أى معجم عبرى.

مريم وماريه وميرها وماري ومير ومريت وماريا كلها تنويعات على كلمة واحدة تعنى فى مصر القديمة ومختلف لغات الشرق الأوسط القديم: البقرة والبحر، وقد غلب عليها معنى البقرة الجميلة وساد وتأسس. ولدينا فى العمارنة (مريت – آتون) تطابقها اسما لكن تخالفها كيفا، **فمريم** كانت شقيقة موسى لكن **مريت آتون** كانت ابنة إخناتون وليست شقيقته، ومقابلها اليونانى هى **أنتيجونى** ابنة أوديب وليست شقيقته فالحالة الوحيدة النشاز بين الحالات الثلاث هى حالة التوراة التى قالت إن مريم شقيقة موسى وليست ابنته .

وتقول الرواية اليونانية إن أنتيجونى عندما دفنت أخيها بولينكيس تم دفنها هى بدورها حية فى كهف صخرى عاشت فيه حبيسة حتى ماتت، وقد طابق فليكوفسكى تلك القصة مع أحداث العمارنة، واعتبر انتيجونى هى مريتاتن زوجة أخيها سمنخ كا رع الابن الأكبر لإخناتون ويقابل بولينكيس الابن الأكبر لأوديب. ونعلم أن سمنخ كا رع لم يحكم سوى عام واحد بعد خلع أبيه إخناتون تنازل بعده عن العرش لأخيه حسبما وصل إليه فليكوفسكى. لكن أخيه أتيوكليس / توت رفض التنازل عن العرش لأخيه حسب الاتفاق فلجأ بولينكيس / سمنخ كا رع إلى أدراستوس (دوشراتا / ذو الشرى) ملك آرجوس فى مديان واستمد منه المدد العسكرى ضد أخيه وضد جيش بلاده فاستحق اللعنة بعد الموت. وحكم عليه خالهما آى الذى أمسك بزمام الأمور بعدم الدفن ، لكن زوجته التى هى شقيقته أنتيجونى / مريتاتن دفنته فاستحقت بدورها اللعنة والدفن حية. والرواية اليونانية تؤكد أن بولينكيس قد ذهب من طيبة إلى البلاد التى نفى إليها والده، وبهذا المعنى يكون الأب المخلوع والابن المخدوع قد التقيا فى مديان، ومن الطبيعى أن تلازم أنتيجونى / مريت / آتن زوجها فتذهب بدورها إلى مديان، لنجدها هناك بصحبة أبيها أوديب / إخناتون. وهو ما يطابق وجود شخصية مريم بجوار موسى فى مديان، التى ربما عادت إلى مصر مع زوجها المطالب بعرشه حيث يموت فى المعركة ثم تحبس هى حية فى كهفها الصخرى وهو الذى رمزت له التوراة بغضب موسى عليها بعد أن عيرته بزواجه من المرأة الكوشية فضربها الرب بالبرص فتم عزلها وحدها (سفر العدد إصحاح ١٢/من١٥:١) تعبيراً عما حدث لها فى طيبة بعزلها فى كهف هو مقبرتها. كذلك أقرت الأسطورة اليونانية بذلك عندما أكدت أن انتيجونى قد عادت إلى طيبة وحضرت المعركة بين أخويها وجيوشهما. [٩٥] ويبقى السؤال: كيف كان الفرعون إخناتون هو ذاته موسى رغم أحداث الصراع الطويل الذى أوردت التوراة تفاصيله بين الفرعون المتأله وبين موسى الثائر؟

يتفق فليكوفسكى وأحمد عثمان ونحن معهما على أن المصريين قد استعانوا بشتى القوى السماوية والأرضية لعزل الفرعون بكل ماله من قدسية ولأنه ما كان بالإمكان اتخاذ قرارات أكثر صرامة مع مثل ذلك الرمز المقدس، فقد تم نفيه إلى منطقة منعزلة رآها أحمد عثمان عند قلعة (شور / زارو / سيله) على مختلف التنغيمات حيث كان يعيش بقايا الهكسوس الأسرى وبنى إسرائيل. ونذهب من جانبنا إلى أن هذا النفى قد تم تحديداً إلى القصر الفرعونى الصيفى الواقع فى مدينة الهكسوس القديمة حواريس على حدود الدلتا الشرقية مع سيناء، وسنقوم بتدقيق هذه المواضع جغرافيا فى الجزء الأخير من هذا العمل.

---

[٩٥] عبد المعطى الشعراوى: أساطير .. سبق ذكره ص ٢٦١ .

وفى حواريس عاش المصريون المنفيون بحكم القانون من نهابين وقطاع طرق وموظفين مرتشين وعسكر عصاه إضافة للإسرائيليين المأسورين هناك، ليذهب إليهم الفرعون وحاشيته وأتباعه المؤمنين بدعوته، لكن بالطبع ليسكن الفرعون القصر فهو قيمة قدسية حتى لو تم عزله ونفيه، ووصول إخناتون وحاشيته إلى حواريس يطابق وصول أوزرسيف عند مانيتو ومن نقل عنه من المؤرخين الكلاسيك إلى حواريس.

وبالطبع لم يعلم مانيتو إطلاقا بأسرة العمارنة التى محاها المصريون من تاريخهم، لذلك كان ينتقل فوراً من آمنحتب الثالث إلى حور محب باحتسابه ابنه المباشر، لذلك لم يربط مانيتو بين إخناتون وبين أوزرسيف. وإذا كان أوزرسيف عند مانيتو كاهنا للشمس من عين شمس، فإننا نعلم أن إخناتون قد قضى ردحا من عمره فى مدينة أون / عين شمس لينال من ثقافتها الرفيعة وربما قد منح لقب أوزرسيف هناك كرتبة كهنوتيه عالية الشأن، ثم أن مدينته نفسها أخت آتون التى بناها شرقى النيل بين المنيا وأسيوط، فإنها أيضاً تعنى ضمن ما تعنى مدينة الشمس لأن ربها آتون كان هو الشمس ذاتها.

ولو سلمنا بكلام مانيتو دون مناقشة فسيفرز نتائج لاتتسق مع المقدمات لأن كهنة عين شمس بالذات كانوا أشد الكهنة حرصا على التقاليد المقدسة بينما كان أوزرسيف ثائراً على كل التقاليد خاصة تلك التى أرستها مدرسة أون / عين شمس، ولاتنطبق تلك العقائد الجديدة التى يرويها مانيتو منسوبة إلى أوزرسيف إلا على شخص واحد هو الفرعون المارق إخناتون. ثم إنه وحده وليس أى كاهن آخر صاحب المبرر فى اختيار حواريس كمنفى لأن هناك سيجد من يمكنهم الالتقاء ثقافيا بما يدعو إليه.

ونستعيد هنا ما دونه يوسفيوس نقلا عن مانيتو بشأن فتنة أوزرسيف إذ يقول: " إن الهكسوس تركوا منهم بقايا لم يستطيعوا الفرار فوقعوا أسرى بيد المصريين حيث سيموا العذاب الطويل. وفرضت عليهم السخرة انتقاما منهم. وبعد أن قضى أولئك الذين أرسلوا للعمل فى المحاجر زمنا طويلا على تلك الحالة البائسة، طلبوا من الملك أن يخصص لهم أفاريس AVARIS – وكانت قد خوت على عروشها بعد أن تركها الرعاة الهكسوس – لتكون لهم مسكنا ووقاء، فاستجاب للرغبة وحققها لهم. والواقع أن هذه المدينة كانت مدينة الإله تيفون TYPHON سيت وفقا للديانة القديمة، لكن لما دخلوها ووجدوا المكان صالحاً لإشعال الثورة، أقاموا على أنفسهم من بين كهنة هليوبوليس / أون / عين شمس / حاكما عليهم. وأعطوه العهد أن يطيعوه فى كل شئ، وكان أول ما فعله أن سن لهم هذه الشريعة التى بموجبها حرم عليهم أن يعبدوا آلهة المصريين، وأن يمسكوا عن عبادة أى حيوان من تلك الحيوانات المقدسة التى يعظمها المصريون أيما تعظيم. بل أمرهم أن يقتلوها ويدمروها جميعا، كذلك نهاهم أن ينضموا لغير رابطتهم. وبعد أن وضع لهم أمثال هذه الشرائع المعادية فى أغلبها لعادات المصريين، أمرهم أن يستخدموا ما يملكون من سواعد كثيرة لبناء سور حول المدينة، وأن يعدوا أنفسهم لقتال الملك أمنوفيس / آمنحتب AMENHOTEP أما هو نفسه فأنشأ صداقات مع الكهنة الآخرين ومن كانوا قد أفسدوهم. وأرسل السفراء إلى الرعاة الهكسوس الذين كان تثموزيس قد طردهم من البلاد إلى أورشليم. وعن طريق السفراء أبلغهم بأحواله وأحوال أولئك الذين عوملوا

بكل تلك الشناعة. وطلب إليهم أن تجتمع كلمتهم على أن يخفوا لمساعدته فى حربه ضد مصر. كذلك وعدهم أنه سيبادر إلى إعادتهم إلى مدينتهم ودولتهم القديمة أفاريس، وأنه سيمّون جموعهم **بالغـذاء الـوفير وبأنـه سيحميهم** ويقاتل من أجلهم كلما دعت الحاجة إلى ذلك. **وأن فى ميسوره أن يخضع البلاد لسـلطانهم**. وقـد اغتبط هؤلاء الرعاة بهذه الرسالة أيما اغتباط وخفوا جميعا على وجه السرعة وكان عددهم ٢٠٠,٠٠٠ رجل، وبلغوا أفاريس فى وقت قصير " [٩٦] وكان هذا ما أمكن تسميته الغزوة الهكسوسية الثانية الفاشلة التى نرجح

وقوعها إبان حكم الفرعون آى منذ وصايته على العرش حتى ولايته الرسمية، وهو ما سنعرج عليه بالشرح فيما بعد.

وكان رهامبيس أو حور محب هو القائد العسكرى للجيوش المصرية التى تصدت للغزوة الهكسوسـية الثانية، وهو القائد العسكرى الذى قضى نهائيا على أسرة العمارنة بعد اختفاء آخر فراعنتها (آى) الـذى لـم نعثر له على مومياء حتى الآن. وأسس الأسرة التاسعة عشرة الحاكمة.

ويكون حور محب هو قائد الجند الذى طرد هؤلاء، ذلك الطرد الذى أسمتـه التوراة خروجا، ثم بعـد ذلك صار فرعونا عرف برقته الشديدة وبعدله مع المصريين وبقسوته الشديدة إزاء الأجانب. وإذا كـان آى كما نزعم هو فرعون الخروج، فإن ذلك يفسر لنا ما جاء فى المأثور الإسلامى والقـرآن عـن شخصـيتين أساسيتين فى قصة موسى والخروج، الأولى هى الفرعون والثانية شخصية تلى الفرعون أهمية هى شخصية هامان. وقد طابقنا شخصية كرايون مع شخصية آى مع شخصية الفرعون المقصود، فإذا كان ذلك صـحيحا فلا شك إذن أن هامان كان هو هايمون ابن كرايون / آى ومساعده الأول، ويبدو أنه كانت تتم تهيئته لتسـلم العرش، لكن هايمون مات مبكراً عندما انتحر على أسوار طيبة إبان المعركة، فقدم نفسه قربانا لنصر بـلاده – ضد الغزاة الذين جاءوا ينصرون بولينكيس ضـد أخيه أتيوكليس[٩٧].

وقد علمنا أن ذلك الأثاث الجنازى الفاخر الهائل بمدفن توت عنخ آمون كان مخصصـا للفرعـون آى ويبدو أنه قد قرر تخصيصه لولده هامان أو هايمون لما أقدم عليه. ولأسباب لانعلمها ثم منح هـذا الجهـاز الجنازى للملك توت عنخ آمون الذى قدم بدوره نفسه فداء لبلاده عندما مات وهو يحارب أخاه والغزاة.

[ملحوظة: إبان تبييض هذا الجزء من العمل طالعتنا صحيفة روز اليوسف القاهريـة بتـاريخ ٢٨ أبريـل ٩٧ ص ٢٩ بالخبر التالى: "عالم المصريات بوب براير الـذى يـزور القاهرة حاليا اكتشف خلال الأبحاث التى أجريت على جثـة توت عنخ آمون باستخدام أشعة إكس أنه مـات مقتـولا " وبعدها بأيام طالعتنا صحيفة الأخبار القاهرية يوم ١١ مايو

(٩٦) لويس عوض: مقدمة .. سبق ذكره ، ص ١٤ ، ١٥ .
(٩٧) للمزيد عن هايمون انظر الشعراوى : أساطير .. سبق ذكره، ص ٢٦٧ : ٢٧١.

٩٧ تحت عنوان: سكوتلانديارد تحقق فى مقتل توت عنخ آمون، في موضوع يقول فى مقدمته: " عادت الوفاة الغامضة لفرعون مصر الشهير توت عنخ آمون لتثير من جديد اهتمام العالم، ليس باعتبارها حادثة تاريخية وقعت من ثلاثة آلاف عام، ولكن باعتبارها جريمة قتل يتعين مشاركة رجال الشرطة وخبراء علم الإجرام لكشف ملابساتها .. وصرح الدكتور إيان إيشروود عالم الأشعة البريطانى بأن تحليلات الأشعة على جمجمة الفرعون كشفت عن وجود جرح عميق غير ظاهر فى الخلف، مرجحا أن سببه هو ضربة على الرأس أدت إلى الوفاة، فى حين توصل ضابط سكوتلانديارد السابق إلى أن الذى نفذ الجريمة هو إما آى وزير توت عنخ آمون أوحور محب قائد الجيش أو كلاهما معاً ".

هذا ما كان الخبر والاحتمالات والتساؤل عن القاتل وما يشغلنا اكتشاف أنه مات مقتولاً وتبقى اجتهاداتنا بشأن القاتل].

ويؤكد لنا أن الهجمة الهكسوسية الثانية الحليفة لإخناتون وولده المنفيان قد حدثت زمن آى، وأن آى هو فرعون الخروج، أننا أبداً لم نعثر على مومياء آى حتى الآن، كما أن هناك صفة لحقت بآى لا مبرر لها فى وثائقه على الإطلاق غير ما نقوله نحن هنا وهى فيما يقول قدرى " الشئ الملفت للنظر هو وصف الملك آى بأنه **المنتصر على آسيا**".[٩٨] ثم نص مصرى آخر لشاعر كان يكتب قصائده فى حقبة العمارنة، ويلخص عبد المنعم أبو بكر قصة هذا النص بقوله أنه " كتبه أحد كهنة معبده الذى شيد لآمون فى طيبة، ويحوى النص ابتهالات لآمون، ثم يسرح الشاعر ببصره إلى مستعمرات مصر فى آسيا القريبة فيجدها قد تضاءلت وذهب معظمها إلى **حد محاولة الاعتداء على مصر نفسها**".[٩٩] وهو ما يؤكد الغزوة الهكسوسية الثانية التى نشير إليها.

وتتواتر الأخبار الغامضة عن هذا الاعتداء على مصر فى نهاية فترة العمارنة، فيشير جاردنر إلى هجوم يصفه بأنه **ربما كان حيثيا**، وذلك استنتاجا يربط بين قتل المصريين للأمير الحيثى القادم للزواج من الأرملة الملكية المصرية بناء على طلبها، وبين الأخبار الغامضة عن الهجوم الأجنبى على مصر. ويقول

(٩٨) قدرى المؤسسة .. سبق ذكره ، ص ١٧٤ .
(٩٩) أبو بكر إخناتون .. سبق ذكره ، ص ٧٧ .

جاردنر فى ذلك " وأخيراً أرسل الأمير الحثى الصغير لكنه قُتل فى الطريق، وقد كان من أثر ذلـك **إشـهار الحرب على مصر**، وإن كنا لا نعرف شيئا من هذا عن طريق المصادر المصرية " .[١٠٠]

ويقصد جاردنر أن مصدر تلك المعلومة هو آثار بوغاز كوى الحيثية.

ويزيدنا تأكيداً على تأكيد بشأن الغزوة الثانية أن حور محب قائد الجيش المصرى إبان حكم العمارنة قد جاء عنه نص فى نقش يرجع إلى زمن توت عنخ آمون يقول فيه: " إنه كان يحرس قدمى سيده فـى ميـدان القتال **يوم ذبح الآسيويين**"، بل نعلم أن الملك توت قد حارب الآسيويين وذلك فى نقش على جدار صـندوقه الملون، ثم نشاهد نائبه حوى يتلقى جزية من أشخاص " **ذوى سمات آسيوية وسمات زنجية** ". [١٠١]

كذلك يقول أحمد عثمان: " ونحن نعلم أن حور محب هو الذى حول منطقة جاسان إلى سـجن كبيـر، وهو الذى قضى على الثورة الدينية فى مصر " [١٠٢] .

وعلى ظهر تمثال حور محب المعروض حاليا بمتحف Turin مرسوم تتويجه فرعونا ويتضمن فقـرة تقول:

> .. لقد أخذ الملك يبحث عن مرابض الآلهة ومعابـدها التى أصبحت خرابا، وقام بإصلاحها وترميمها حتـى أصبحت فى نفس الشكل الذى كانت عليه فى العصور القديمة. وأوقف عليها القرابين المنتظمة كل يوم، كمـا زين هياكلها بالذهب والفضة وعين لها الكهان العاديين والكهان المرتلين الذين اختارهم من الصفوة الممتـازة **من رجال الجيش.**

كما جاء بنص هذا المرسوم القول:

> إن كل المعابد من طرف الأرض حتى طرفها الآخر قد هجرت وسقطت محاريبها وهياكلهـا وتحولـت إلـى خرائب، ولم يحدث لها مثل هذا من قبل أبداً. [١٠٣]

لكن جاردنر يلفت النظر إلى إشارة هامة رغم عجالتها فى ذلك النص فيقول: " وهناك إشـارة عـابرة إلى استدعائه للقصر الملكى **حين حلّ الغضب بالقصر** "، ويوضـح أن ذلك قد حدث **إبان حكم العمارنة**، وأنه زمن إخناتون وأخلافه كان نائبا للملك يدير الحكومة فى شمال البلاد . [١٠٤]

---

[١٠٠] جاردنر: مصر الفراعنة .. سبق ذكره، ص ٢٦٧.
[١٠١] سليم حسن: مصر القديمة .. سبق ذكره ، ج ٦ ، ص ٣١ ، ٣٢ .
[١٠٢] أحمد عثمان: تاريخ .. سبق ذكره، ج١، ص ٩٥ .
[١٠٣] قدرى: المؤسسة .. سبق ذكره ، ص ١٨٧ ، ١٨٨.
[١٠٤] جاردنر: مصر الفراعنة .. سبق ذكره ص ٢٦٩ .

ولعل العبارة " حين حل الغضب بالقصر " تفصح عن حدث إسقاط الفرعون. ويحيطنا (شـتيندورف) علما أن " حور محب استطاع أثناء حكمى إخناتون وتوت عنخ آمون أن يرتقى أعلى المناصب فأصبح القائد العام للجيش. وبصفته نائبا للملك كان يحتل المركز الثانى فى الإمبراطورية بعد الملك نفسه .. **ولم يتحـول حور محب مطلقا إلى ديانة آتون بل ظل فى منف حيث يقيم مواليا للآلهة القديمـة** .. ومـن المحتمـل أن الفضل الرئيسى يعود إلى حور محب فى المحافظة على سلامة البلاد ومنعها من التمزق كلية خلال الأزمـة العاصفة. ومن المحتمل أيضاً أن حور محب هو الذى أحبط الخطة الجسورة التى دبرتهـا الأرملـة الملكـة نفرتيتى للزواج من أمير حيثى " (١٠٥)

ويبدو أن حور محب بالإضافة إلى أنه كان رجل العسكرتاريا المصرية الأول حينذاك، فإنه قـد تمتـع بقدر من المرونة السياسية الماكرة، وانتظر الدور والوقت المناسب ليقفز على العرش، فرغم عدائه لفرعـون العمارنة ولدعوته فإنه لم يسفر عن هذه العداوة مطلقا، بل كان يحاول الظهور بمظهر المنفذ الأمين لأوامـر الفرعون. وترك العرش يخرج من يده إلى يد العجوز الداهية آى بعد أن فرض وصايته على الطفلين سـمنخ كا رع وتوت، ثم استولى بموتهما المبكر على العرش. وفى ذلك يقول (شتيندورف): " بينمـا اسـتطاع آى بزواجه من أرملة توت عنخ آمون أن يظهر باعتباره المرشح الممكن الوحيد، فعلى أية حال سواء بانتفاء حق آى فى العرش بعد وفاتها أو بالقضاء على الملك العجوز نفسه نتيجة لثورة، أحس حور محـب أن اللحظـة الحاسمة قد وصلت لارتقائه العرش، فقام بمشيئته الخاصة أو ربما بمشيئة كهنة آمون أيضاً، بالزحف علـى رأس جيشه إلى طيبة وهو يتلقى استقبالا حماسيا من الجماهير المبتهجة فى كل مدينة يتوقف بها فى طريقه. وكان أعظم استقبال بالطبع فى العاصمة لأن الإله حورس رافقه شخصيا إلى طيبـة ليقدمه فى حضرة آمون ويسبغ عليه المنصب الملكى .... وبعد انتهاء حفلات التتويج فى طيبة عاد الملك إلى الشمال وبدأ فى القضاء على آخر ذكريات الثورة الدينية وإزالة كل ما يذكر بإخناتون وخلفائه المباشرين تـوت عـنخ آمـون وآى. فطمس أسماءهم بلا رحمه من على الآثار واستبدل بها اسمه حور محب، وواصل هذا الاضطهاد إلى نهايته لدرجة أنه لم يعد للهراطقة الأربعة: إخناتون، وسمنخ كارع، وتوت عنخ آمون، وآى ذكر كما لو لم يوجـدوا .. ومحيت مدد حكمهم من وفاة أمنحتب الثالث لحور محب، وتم تدمير معبد آتون تدميراً تاما وتمت تسـويته بالأرض (بالكرنك/ المؤلف) .. وبعد حكم استمر نحو ٣٥ سنة مات حور محب ودفن فى مقبرة لم تتم بوادى الملوك وخلفه على العرش رمسيس الأول " (١٠٦) .

ويعقب آلدريد قائلاً: " إن ما قام به حور محب لم يزد كثيراً عما كان يقوم به سـلفاه، فإنـه للأسـف اغتصب آثارهما التى صنعاها أصلا لتمجيد عبادة آتون ومحا اسميهما من قائمة الملوك الرسمية **بحيث يظهر حور محب كما لو كان هو الفرعون الذى خلف أمنحتب الثالث مباشرة** .. وقد بذلت كل الجهود لاقتلاع أى ذكرى لإخناتون من أذهان الناس. وعندما كان الأمر يستدعى الإشارة إليه كان ينعت بأنه: مجرم أخت آتون،

(١٠٥) شتيندورف وسيل: عندما حكمت .. سبق ذكره ص ٢٣١ ، ٢٣٢ .
(١٠٦) نفسه: ص ٢٣٣ ، ٢٣٥ .

أو ببساطة: المجرم " [١٠٧] وهكذا أكد لنا المؤرخون أن **حور محب قد " أرخ بداية حكمه ابتداء مـن وفـاة آمنحتب الثالث كما لو كان آمنحتب الرابع وسمنخ كارع وتوت عنخ آمون وآى لم يكـن لهـم أى دور أو وجود فى التاريخ المصرى القديم** " [١٠٨] ومن جانبنا نرى أن أحداث الخروج الإسرائيلى من مصر ليس لها أثر في الآثار المصرية لهذا السبب تحديداً، لأنها وقعت آخر زمن حكم العمارنة الذى قرر المصريون نسيانه بكل أحداثه وتفاصيله كأنه لم يكن. ودمروا كل المدونات التـى كـان من الممكن أن تشـير إليـه أو إلـى الأحداث التى تمت إبانه.

لهذا يقول لنا جاردنر إننا لانجد مثلا فى تاريخ مانيتو أى ذكر لأى ملك من ملوك العمارنة، بل يبـدو هذا المؤرخ الجليل جاهلا تماما بهذا الأمر وبهذه الأسرة الحاكمة بعد عمليات المحو المنتظم لها من التاريخ، وعادة ما كان المصريون لايمحون من تاريخهم سوى الأسرات الحاكمة غير المصـرية كمـا فعلـوا مـع الهكسوس، ويبدو أن الدم الميتانى / المديانى الذى كان يجرى فى عـروق العمارنـة كـان مبـرراً كافيـاً لاستبعادهم من التاريخ المصرى المدون بحسبانهم أجانب وبحسبان هذا الدم ذاته كان معلوماً بحسـبانه دمـاً هكسوسياً.

وقد ذكر المؤرخ الفلسطينى الكلاسيكى (يوسابيوس) حور محب مرتين فى ترتيبه لملوك مصر، المرة الأولى باسم (أورس) وواضح لنا أن (يوسابيوس) ذكر هنا الشق الأول من اسم حور محب وهو (حور) بعد أن أعطاه التصريف اليونانى فأصبح (حورس أو أورس)، وقد وضعه (يوسابيوس) مباشرة بعد آمنحتب الذى وصفه بأنه " آمنحتب المشهور المعروف بعلاقته بالتمثال الذى عرفه اليونان باسم ممنون الصوتى ". ثم ذكر يوسابيوس حور محب مرة ثانية. باسم (أرمايس) مختصراً فيما يبدو لنا اسم حور محب فى (حور إم) بـدلاً من اسمه المصرى الأصلى الكامل (حور – إم – حب) ثـم أضـاف إليـه التصـريف اليونـانى فأصـبح (حورمايس) أو (أرمايس). ويؤكد لنا جاردنر أن قائمتى الملوك فى أبيدوس وسقارة قد تجاهلت تماماً إخناتون وخلفاءه الثلاثة الذين وصموا بالآتونية الكافرة، وأن القائمتين قد وضعتا حور محب مباشـرة بعـد آمنحتـب الثالث " [١٠٩].

وشأن يوسابيوس هنا بحاجة لتوضيح، فهو يضع حور محب مباشرة بعد فرعون معروف مشهور اسمه آمنحتب، وأن هذا الفرعون له علاقة بتمثال ممنون الصوتي.فإذا علمنا أن ممنون هو الاسـم الـذي أطلقـه اليونان على تمثالين أقامهما آمنحتب الثالث لنفسه عند مدخل معبده الجنـائزي المنـدثر، فيكـون آمنحتـب المقصود عند يوسابيوس هو آمنحتب الثالث تحديداً وبالقطع اليقيني.

وحول تمثالي مننون نستمع إلى شتيندورف يقول: "والتمثال الشمالي منهما كان من المعتقد في أزمنـة الرومان أنه تمثال ممنون بن أيوس EOS، أورورا ربة الفجر. . . والآن كما تمضي الأسطورة قائلة يجلس

---

[١٠٧] آلدريد: إخناتون .. سبق ذكره، ص ٧٨ .
[١٠٨] رمضان السيد: تاريخ .. سبق ذكره، ص ١٢٩ .
[١٠٩] جاردنر: مصر الفراعنة .. سبق ذكره، ص ٢٦٨ .

ممنون الراحل كتمثال حجري على سهل طيبة ويحيي أمه أيوس كل صباح عندما تظهر في الفجر. وعندما تسمع الربة نحب ابنها تذرف دموعها ندى الصباح على تمثال ابنها المحبوب، وقد شهد كثير من زوار الرومان فى مخربشات تركوها على قاعدة التمثال الكبير أنهم سمعوا صوت نحيب ممنون. وقد قيل لتفسير هذا الصوت إنه كان يحدث نتيجة للسخونة المفاجئة للتمثال – الذى تشقق بفعل الزلازل – بسبب أشعة الشمس الحارقة. وهى عملية تحدث سريعا فى جو مصر الصحراوى الجاف فتتمدد جزيئات الصخر داخل التمثال فتخرج هذه النغمات الموسيقية التى فسرها الأقدمون هذا التفسير الشاعرى. وعلى أية حال فعندما رمم التمثال فى زمن الإمبراطور سبتيموس سيفيروس صمت صوت ممنون ولم يعد يسمع بعد ذلك " [١١٠] .

وربة **الفجر** فى المصرية القديمة أو الفجر بالأحرى هو بالمصرية القديمة **آمو AMU أو عامو**، وهى الكلمة التى تعنى أيضاً الشرق كما تعنى العامو الآسيويين، وكلها معان تحيل إلى شرقى مصر حيث العامو الآسيويين، وهو ما يفصح عن معرفة الأقدمين **أن أم ممنون / آمنحتب الثالث كانت من العامو**، كانت ميتانية أو مديانية، وهى التى عرفناها باسم (موت أم أويا) أو (موتا ميا) وحرفى الميم والنون يتبادلان فهل كان اسمها هو (مديانية)؟! ربما ... لكن الأسطورة اليونانية اختارت لأم ممنون اسما آخر شديد الدلالة هو (أيو) الذى يحيلنا إلى أنثى الإله ياهو.

السؤال الأهم الذى يعترض نظريتنا مرة أخرى هو: كيف يمكن احتساب الفرعون إخناتون هو بعينه النبى موسى؟ بينما نعلم من قصة التوراة أن موسى كان الإسرائيلى الثائر على الفرعون، وأنه دخل معه فى جدل طويل عريض مما يعنى أنهما لابد كانا شخصين متمايزين عن بعضهما تماما.

القرآن هنا يضيف أمراً جديداً أبداً لم تذكره التوراة ولا حتى ألمحت له، وهو أن فرعون موسى كان قد ألّه ذاته وأمر الناس بعبادته من دون رب السماوات، وهى معلومة لابد قد تواترت حتى وصلت عرب الجزيرة وعرفوها وفهموها. وهنا نستمع إلى (شتيندورف) يقول: " بالرغم من أن الملك كان يعد إلها إلا أنه نادراً ما كانت هذه الفكرة تصل إلى نهايتها المنطقية **أى عبادة الفرعون كإله** فى معابد أقيمت بهدف مزاولة عبادته المقدسة "، ومن بين الفراعين الذين نعلم أنهم قد ألهوا ذواتهم وطلبوا من رعاياهم عبادتهم وأقاموا المعابد لذلك الغرض، الفرعون رمسيس الثانى المظنون أنه فرعون الاضطهاد الإسرائيلى، لكن هناك حالة أخرى واضحة يشير إليها شتيندورف بقوله: " وهناك استثناءات جديرة بالذكر مثلما كان يجرى فى معبد صولبا SOLEB بالنوبة حيث **كان آمنحتب الثالث يُعبد باعتباره الصورة الحية لرع على الأرض**. كذلك فى مدينة سيدنجا SEDEINGA النوبية، حيث كانت الملكة تى تلقى تكريما مشابها فى محراب بنى خصيصا لعبادتها " [١١١] .

وهكذا يكون آمنحتب الثالث والد إخناتون أحد الحالات النادرة التى أله فيها الفرعون نفسه وأنشأ معابد لعبادته بالفعل وطلب من رعاياه عبادته باعتباره إلها.

---

[١١٠] شتيندورف وسيل: عندما حكمت .. سبق ذكره ، ص ١٨٧ .
[١١١] نفسه: ص ١٠٤ ، ١٠٥ .

والكتاب المقدس كان يشير إلى ملك مصر زمن موسى باللفظ فرعون خلواً مــن أى تمييز كما لو كان (فرعون) هذا ليس لقبا ملكيا كما نفهم إنما كان اسما لشخص، والمؤرخ هيرودت يذكر لنا أن ملكا على مصر قد حمل اللفظ فرعون كاسم له وليس لقبا، ويقول إنه فيروس أو فيرون ابن الملك سيزوستريس الشهير. لكنــا للأسف الشديد ليس لدينا أية إشارات إلى من يكون سيزوستريس بين ملوك مصر، حيث لم يرد هــذا الاســم إطلاقا فى قوائم الملوك المصرية. ونص هيرودت بهذا الخصوص يقول عن سيزوستريس: " ... بعد ذلــك عاد الملك إلى بلده وانتقم من أخيه ثم شرع يستخدم الجموع الذين أحضرهم معه من البلاد التى غزاها **فــى نقل كتل الصخر الضخمة** التى نقلها إبان حكمة إلى معبد فولكان (آمون) .. ولم يكــن سيزوســتريس ملــك مصر فحسب بل وملك أثيوبيا أيضاً، وكان هو الملك المصرى الوحيد الذى حكم ذلك القطر الأخيــر، ومــن الآثار التى تركها تخليداً لذكرى حكمه تلك **التماثيل القائمة أمام معبد فولكان، إثنــان منهــا يمثلانــه هــو وزوجته وارتفاع كل منهما ثلاثون ذراعا** .. وقال الكهنة أنه بعد موت سيزوستريس اعتلــى العــرش **ابنــه فرعون** ولم يقم هذا الملك بأية حملات حربية، إذ **أصابه العمى** بسبب هذه الظروف: فــى إحــدى الســنوات ارتفع ماء النيل ارتفاعا غير عادى حتى وصل إلى ثمانية عشر ذراعا وأغرق الحقول، وتصادف أن هبــت الريح فجأة فارتفعت المياة فى موجات عظيمة، عندئذ استبدت بالملك نزوة إلحاد فأمسك رمحه وقذفــه فــى وسط اللجج العاتية، وفى الحال أصابه مرض فى عينيه انتهى إلى إصابته بالعمى بعد فترة وجيزة " [١١٢] .

وقد ذهب الباحثون إلى أن شخصية سيزوستريس تطابق شخصية الفرعون رمســيس الثــانى الــذى افترضوه فرعون الاضطهاد اعتماداً على تشابه بين أحد ألقاب رمسيــس الثــانى (سيســى) وبــين الاســم سيزوستريس، ولأنه سخر الأجانب فى حمل الأحجار وهو ما يطابق قصة الاضطهاد الإسرائيلى، ولأن ابنــه حمل لقب فرعون كاسم، وهو ما يطابق رواية التوراة عن ملك الخروج المصرى باســم (فرعــون). وقــد احتسب تيار كبير من المؤرخين أن فرعون هذا هو مرنبتاح بن رمسيس الثانى صاحب لوح إسرائيل. وبهذه الدلائل تم التسليم بأن سيزوستريس هو ذاته رمسيس الثانى المفترض أنه فرعــون الاضــطهاد، وأن ولــده (فرعون) هو مرنبتاح المفترض أنه فرعون الخروج. لكن لأننا أبدا لم نقتنع بذلك، فقد رجعنا ندقق فوجــدنا استرابون يرفض أن يكون سيزوستريس هو حرمسيس ميامون (ميامون لقب خاص برمسيس الثانى)، لأنــه حكم ٦٦ سنة بينما سيزوستريس حكم ٤٨ سنة، لذلك وضعه بعد فرعون باســم (أمــانمس). ولأن آخــرين رفضوا مع استرابون أن يكون سيزوستريس هو رمسيس الثانى، فقد وضعوا افتراضات منها أنه ربما كــان سنوسرت الأول أو ربما سنوسرت الثالث [١١٣].

ومع التضارب حول شخص الفرعون سيزوستريس رجعنا إلى رواية هيــرودت نتفحصــها: الملــك سيزوستريس عند هيرودت أقام تماثيل أمام معبد آمون له ولزوجته، **وكان ارتفاع كلا التمثالين واحداً** حوالى ثلاثين ذراعاً، ونحن نعلم أن رمسيس الثانى قد سار على السُنة التقليدية فصور زوجته بحجم ضئيل تقف بين

---

(١١٢) إيفانز: هيرودت .. سبق ذكره، ص ٩٦ ، ٩٧ .

(١١٣) سترابون فى مصر .. سبق ذكره، ملاحظة للمــترجم ص ٥١ ، انظر كذلك : محمد رمزى: المعجم الجغرافى .. ســبق ذكره، البلدان المندرسة، ص ٣٣٩ .

رجلى تمثاله ولا تصل قمة رأس تمثالها إلى ما أسفل ركبتيه. بينما هناك حالة واحدة نادرة بين تلك التماثيل الكبيرة تم فيها تصوير زوجة الملك بذات حجم الملك، وكان ذلك أول خروج على المألوف في التقاليد المصرية القديمة. وتلك الحالة هى تمثالا الفرعون آمنحتب الثالث وزوجته تى الموجودان الآن بالمتحف المصرى.

وحسبما وصل استرابون من معلومات عن تمثالى ممنون قال " أحدهما لآمنحتب الثالث والآخر **لزوجته الليبية تى** " [١١٤]. لقد كان استرابون يعرف أن تى غير مصرية، وأنها أيضاً بدوية، لكنه لم يتمكن من نسبتها لبدوها الحقيقيين فى سيناء، فنسبها لبدو الساحل المعروفين باللوبيين آنذاك باعتبار ساحل المتوسط الأفريقى كان يسمى عند اليونان بالساحل الليبى.

ويقول هيرودت " وحين مات سيزوستريس خلفه ابنه فيرون وهو أمير لم تكن له مغامرات عسكرية، وقد خلف فرعون أحد مواطنى ممفيس " [١١٥] ونحن نعلم أن مرنبتاح قضى أيامه الملكية فى معارك عظيمة لا تطابق تلك القصة إطلاقا، بينما يمكن للقصة أن تطابق إخناتون وشخصه الحالم الكاره للحروب. ثم إن الذى خلف مرنبتاح الملك ستى الثانى وهو بالطبع ليس من مواطنى ممفيس، أما الذى خلف إخناتون (بإسقاط أسرة العمارنة) هو حور محب الذى قضى حياته على رأس كتائبه فى ممفيس بعيداً عن الصراع الدائر فى العمارنة. هذا ناهيك عن أمر مقطوع به وهو أن أقدم نص موثوق يشار فيه إلى ملك مصرى تم تدوين اسمه فقط بالصيغة فرعون هو النص الذى يشير إلى إخناتون فى دعاء يقول: " **بر – ع . و** ع ن خ. و د أ . س ن . ن ب " أى " **فرعون** له الحياة والدعة والسلامة .الرب " [١١٦]

ثم لا نجد ذلك مثل ذلك ولا بعد ذلك أبداً إلا مرة واحدة حدثت فى عهد الشناشقة من الأسرة الثانية والعشرين يذكر فيه لقب فرعون مقرونا باسم الملك الشخصى حوالى أوائل الألف الأولى قبل الميلاد [١١٧].

فإذا كان فرعون المقصود هو إخناتون، فلابد أن يكون سيزوستريس هو آمنحتب الثالث، ووفقا لسترابون أن الملك ممنون (الاسم اليونانى المقابل لآمنحتب الثالث) كان ابن (سيزيا) وأنها كانت من مدينة بذات الاسم فهى من (سوز). ويبدو لنا أن استرابون قد خلط بين آرية / إيرانية العنصر الآدومى وبين أصوله العائدة للمدينة الإيرانية القديمة (سوز) وهو ما يشير عموما إلى أصول تجتمع عند الاسم سيس، وسيسى هو اسم الحصان، الذى جاء مع الغزو الهكسوسى وهو ما يحيل إلى آدوم مديان حيث أخوال أسرة العمارنة فهم السيسيين، وسيزوستريس اسم منسوب إلى سيسيا، فاسترابون يقول " إن قلعة سوز كانت تسمى **ممنونيوم نسبة لممنون الاسم اليونانى لآمنحتب الثالث** ويسمى السوزيون أيضا السيسيين " [١١٨] .

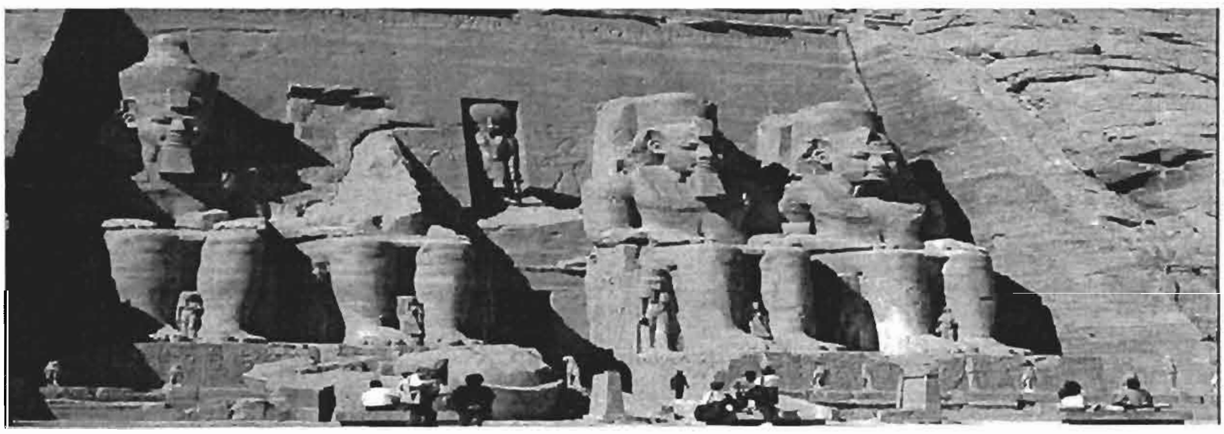
---

[١١٤] سترابون فى مصر ..سبق ذكره ، ص ١١٣
[١١٥] خشيم: آلهة .. سبق ذكره، ج١، ص ١٠٦ .
[١١٦] الموضع نفسه
[١١٧] الموضع نفسه .
[١١٨] سترابون: سبق ذكره، الكتاب الخامس الفصل الثالث، انظر أيضاً: أنتاديوب: الأصول الزنجية ... سبق ذكره ، ص ١٣٠ .

ومن الجدير بالذكر أن هيرودت نفسه كان يفرق بين سيزوستريس وبين رمسيس الثانى صاحب التماثيل المعبودة عند معبد أبي سمبل، فهو يقول إنه بعد موت فرعون جاء ملك اسمه (راميسينيتوس Rhompsinitus) أى رمسيس وترك آثاره فى المدخل الغربى لمعبد فولكان / آمون، والتمثالان القائمان أمام هذا المدخل يطلق المصريون على أحدهما الصيف وعلى الآخر الشتاء وأن السكان الوطنيين يعبدون تلك التماثيل (١١٩).

ويقول هيرودت إن سيزوستريس أقام أعمدة فى البلاد والمواطن التى كانت تخضع له نقش عليها أمجاده، ونحن نذكر أن القرآن ينعت فرعون موسى بأنه ذى الأوتاد أى صاحب الأعمدة (١٢٠) .

ثم **هل من الصدفة البحتة أن يستخدم مرنبتاح بن رمسيس الثانى لوحا يخص الفرعون آمنحتب الثالث** (١٢١) **لينقش عليه الانتصارات والذى سمى بلوح إسرائيل** وهل من الممكن أن يكون مرنبتاح قد اغتصب لوح آمنحتب الثالث كعادة الفراعنة ونسب أمجاد اللوح لنفسه؟ . أم كان يكرر معلومة تواترت عن زمن آمنحتب الثالث وأولاده فنسبها لنفسه ليشتهر بعد ذلك بأنه هو الذى طرد بنى إسرائيل من مصر؟ إن ما قدمناه حتى الآن يستبعد دور مرنبتاح ووالده رمسيس الثانى، ويثبت دعائم إخناتون ووالده آمنحتب الثالث. أما الأشد دلالة فى صدق ما نقول هو ما جاء على لسان الكهنة المصريين من ذكريات مروية لهيرودت عن تلك الأيام التى **أصيب فيها الملك المعروف باسم (فرعون) بالذات – وبالتخصيص من بين كل ملوك مصر – بالعمى، إثر موجة إلحاد أصابته ضد إوزيريس النيل، ونحن نعلم أن الملحد الأكبر بآلهة مصر وخاصة أوزيريس كان هو الفرعون إخناتون** الذى نسخه اليونان فى صورة الملك أوديب الذى أصابه العمى بدوره فى نهاية حياته. وهكذا نكون قد وصلنا إلى أن إخناتون قد أصيب بالعمى فى نهاية حياته رغم أن الآثار لم تفدنا بذلك. بشكل مباشر وفصيح.



الطريقة المصرية التقليديه فى تصوير الملكة بالنسبة للملك بحجم ضئيل عند سيقانه ولا تصل قامتها إلى ركبتى الملك. والمشهد لرمسيس الثانى. قارن مع تمثالى آمنحتب الثالث وزوجته الملكة تى شكل رقم (١٠١)

(١١٩) ايفانز : هيرودت سبق ذكره، ص ٩٩ .
(١٢٠) نفسه: ص ٩٥ .
(١٢١) أحمد عثمان: تاريخ .. سبق ذكره ، ج١، ص ٨٢ ، ٨٣ .



آمنحتب الثالث ومليكته تى وبينهما واحدة من بناتهما وهذه التماثيل هى التى أشار إليها هيرودوت أمام معبد فولكان أو آمون، وقد نقلت من مكانها وتوجد الآن بالمتحف المصرى
شكل رقم (١٠٢)



لوحة الراقصات هذه تعود إلى زمن إخناتون تحديدا وتدقيقا، وقبل هذا ومن بعده لم تظهر هذه الرقصة فى نقوش مصر، فقط هذه اللوحة وفى العمارنة، وكما هو واضح فالرقصة عربية لم تزل تؤدى بنفس الأسلوب والطريقة لدى بدو الجزيرة وبدو الأردن والشام حتى اليوم/ قارن بين تلك الرقصة الغريبه تماما على مصر وبين الرقص المصرى فى لوحات انتقيناها من بين عشرات اللوحات متعمدين إيجاد أوجه شبه لكن الفرق كان شاسعا.
شكل رقم (١٠٣)



تدريب على لون من رقص الرجال الإيقاعى، لاحظ ربط الساقين لضبط الحركة والمغنى يضع يده على أذنه وصدغه بنفس الأسلوب الشرقى الحالى

شكل رقم (١٠٥)



رقص أكروباتى وهو رقص الرجال فى مصر القديمة ويختلف عن رقص النساء اللاتى كن يرقصن رقصا إيقاعيا وشبه عاريات

شكل رقم (١٠٤)



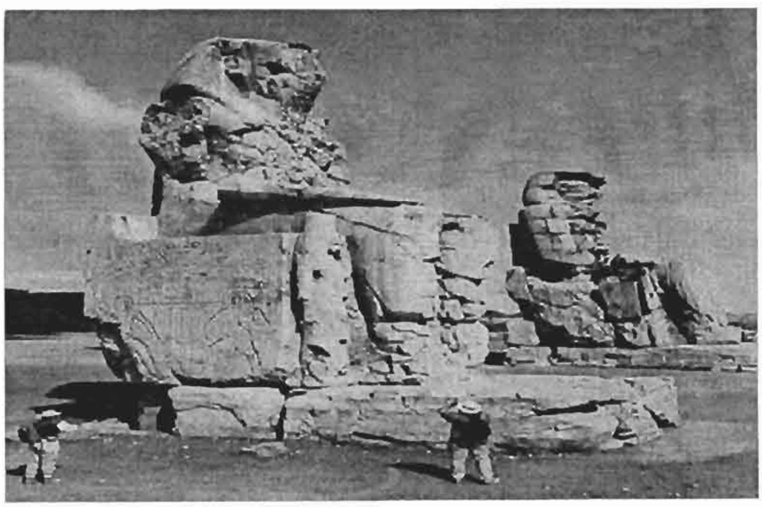
ألوان أخرى من الرقص المصرى مع عازفه ومصفقات

شكل رقم (١٠٧)



العازف ورقص مصرى إكروباتى للنساء من عهد حتشبسوت بمتحف الأقصر

شكل رقم (١٠٦)



تمثالا ممنون آمنحتب الثالث

شكل رقم (١٠٨)

فرعون أعمى وأعرج

لكن هل نجد فى التوراة أية إشارات إلى عمى أصاب النبى موسى؟ إن المعتاد على التعامل مع ذلك الكتاب المقدس سيتأكد يقينا أنه عندما كان يريد أن ينفى أمراً قد حدث فإنه كان يؤكد عكسه تماما، أو يخترع له قصة تنفيه، فعندما شابت قصة يوسف علاقة شاذة بحكم جماله المبالغ فيه مع صاحب البيت رئيس الجند فوطى فارع، ظل المقدس يؤكد على أن فوطى فارع كان خصيا، ونحن نعلم أن المصرى القديم إطلاقا لم يعرف الخصاء خاصة إذا تعلق برجولة وفحولة قائد الجيش الذى كانت قوته العسكرية تقترن وتقارن بفحولته الجنسية والجسدية. ثم أبداً لا يتفق ذلك مع زواج القائد من امرأة فاتنة كما جاء برواية التوراة، ومن هنا صاغ المحرر التوراتى قصة رغبة الزوجة فى يوسف وامتناعه عنها وذلك لأن زوجها كان خصيا لاستبعاد أى شبهة تلحق بيوسف الذى كان محبوبا من سيد القصر حبا جما حتى أنه سلمه كل أمواله وأملاكه.

" فوجد يوسف نعمة فى عينيه وخدمه فوكله على بيته ودفع إلى يده كل ما كان له .. فترك كل ما كان له فى يد يوسف ولم يكن معه يعرف شيئاً إلا الخبز الذى يأكله **وكان يوسف حسن الصورة وحسن المنظر** / تكوين ٣٩ / ٣ - ٦ ".

وهو أمر يتكرر بعد ذلك فى قصة لوط الذى عاش بين الشواذ وعاشرهم وكان لابد أن تنفى التوراة عنه تلك التهمة رغم أن أهل القرية اتهموه بأنه جاء بالملكين السماويين ليعاشرهما. ثم يتكرر ذات المنهج فى إصرار التوراة على أن الإسرائيليين بمصر كانوا لا يعيشون بين المصريين إطلاقا حتى تتحقق لعنة الرب على المصريين فتصيب ضرباته مواضع المصريين ولا تصيب مواضع سكنى الإسرائيليين، رغم أن هناك نصوصا بالتوراة تؤكد أنهم كانوا يعيشون بين المصريين كما فى نصيحة يهوه لشعبه باستعارة الحلى الذهبية من المصريين وسلبها منهم ليلة الخروج وهو ما يعنى أن كليهما كان يعيش فى ذات المواضع بل أن تعبير التوراة يشير إلى اختلاط مساكنهم " تطلب كل امرأة من **جارتها ومن نزيلة بيتها** أمتعة فضة وأمتعة ذهبا .. فتسلبون المصريين / خروج ٣ / ٢٢ ".

وعلى ذات الوتيرة يأتى تأكيد التوراة بلا مقدمات وبلا أسباب واضحة وبلا معنى" وكان موسى ابن مئة وعشرين سنة حين مات ولم تكل عينه ولا ذهبت نضارته / تثنية ٣٤ / ٧ ". ولا ننسى عصاته التى كان يتوكأ عليها وتضيف رصيداً لفكرة العمى الذى أصابه، وقامت التوراة تصر على نفيه، لنفى أى إشارات يمكن أن تكشف الأصل المصرى لأعظم أنبيائها.

وقد صادفنى نص غريب لامعنى له إلا إذا كان يشير إلى حدث حقيقى قد حدث عن قلع عيون أحد الفراعين أو لعقاب كان يمارس فى بلاد الحيثيين تحديداً وأنه ربما حدث أيضاً فى مصر، والنص يأمل ألا يتكرر ذلك وقد جاء ذلك فى نص معاهدة السلام التى عقدت بين الملك المصرى رمسيس الثانى وبين الملك الحيثى حاتوشيليش، ويقول هذا البند من الاتفاقية: " إن رعمسيس وحاتوشيليش حقا أخوان، ولذلك عليهما ألا يفرضا عقوبات على ذنوبهم **وألا يقتلعا عيونهم** وألا ينتقما من أهلهما " (١)

كما أفادتنا المصادر المصرية أن (حور محب) تحديداً قد أمر بعقوبات التشويه الجسدى والنفى معا، وجعل منفاه فى مدينة تقع شرقى الدلتا على الحدود السينائية أسماها الرومان (رونيو كولورا – يضعها المؤرخون عند العريش وهذا خطأ كما سنرى) والكلمة رونيو كولورا تعنى بالضبط (مجدوعى الأنوف). لكننا نفهم من نصوص حور محب أنه كان يمارس ألوانا أخرى من التشويه الجسدى خاصة مع أعداء البلاد أو من يعتدون بالسرقة على أوقاف المعبد. ومن ثم لن يكون هناك مانع من سمل العيون كطريقة مسموعة فى عقوبات العالم القديم، وهى الحالة التى ربما تعرض لها إخناتون عندما تم إسقاطه عن عرشه ثم نفيه بعد ذلك. وفى الكتاب المقدس **إفراط فى الحديث عن حاسة الشم بدلاً من حاسة البصر**، ودوما كان هذا الكتاب يتحدث عن المحروقات المقربة إلى يهوه باعتبارها " **رائحة** سرور للرب ".

وبعد مراحل تطورية فى الديانة اليهودية تم فيها التخلى عن آتون أو الأدون السيد الذى اصطبغ برقة شخصية إخناتون لصالح يهوه السفاح الجبلى بانتصار أتباع يهوه البركانى الذى سيأتى شرحه مع استبعاد كل ما يمت للأصل المصرى بصلة. نصادف نصا أكثر غرابة بالكتاب المقدس، وهو نص يتحدث عن انتقال الملك الإسرائيلى داود من مدينة حبرون إلى أورشليم حيث يعيش اليبوسيون ليتخذها عاصمة لملكه، وهنا يعترض اليبوسيون بطلب من أعجب المطالب ناهيك عن كونه كان حتى كتابة هذه السطور غير مفهوم على الإطلاق، يقول النص :

> وذهب الملك (أى داود) ورجاله إلى أورشليم إلى اليبوسيين سكان الأرض فكلموا داود قائلين: **لاتدخل هنا مالم تنزع العميان والعرج**، أى لا يدخل داود إلى هنا. وأخذ داود حصن صهيون، هى مدينة داود. وقال داود فى ذلك اليوم إن الذى يضرب اليبوسيين ويبلغ إلى القناة و**العرج والعمى** المبغضين من نفس داود لذلك

(١) سامى سعيد: الرعامسة .. سبق ذكره، ص ٥٩ .

يقولون **لا يدخل البيت أعمى أو أعرج**، وأقام داود فـــي الحصن وسماه مدينة داود .

صموئيل ثانى ٥ / ٦ - ٩

النص شديد التناقض وغير مفهوم على الإطلاق، لكن لنحاول، يقول النص أن داود ورجاله ذهبوا إلى أورشليم يريدون دخولها فواجهه أهلها اليبوسيون بطلب هو: ألا يدخل مدينتهم إلا بعد أن **يتخلص من العميان والعرج**، ويفسر المقدس ذلك بجمله إلحاقيـــة: أى لا يدخل داود إلى هنا. ونحن نعلم أن داود لم يكن أعرجـــا ولا أعمى. نظن المقصود هو أن يتخلى داود عما يحمل من عقائد وهنا قرر داود أن يأخذ أورشـــليم بـــالقوة وضرب اليبوسيين لكن يبدو أنه قد اضطر للتنازل عن ذلك التمسك بالأعرج الأعمـــى حيـــث نجـــد العـــرج والعميان فجأة مبغضين من نفس داود، بل وبات من المحرم على الأعرج والأعمى من دخول البيت وربمـــا المقصود بعد ذلك الهيكل.

إن المحرر التوراتى والحقائق تفلت من بين يديه يحاول طمسها وتزويرها لكن لتفصح فى اضـــطراب واضح عن نفسها **فعقيدة داود تعود إلى فرعون كان أعمى كمـــا كان أعرجا لتورم سيقانه وقدميه ..**

هذا بينما المصرى الآن لازال يحتفظ بذكريات باهتة فى وصفه للشخص الأعمى البصر إذا كان أعمى البصيرة فى الوقت نفسه بـــالقول أن عماه **(عمى حيثى)** وهو ما يذكرنا بأن أصول إخناتون من جهة خئولته تعود إلى آدوم حيث كان يعيش الاسكيث الحيثيون مع أحلافهم.

أما الصراع الجدلى الذى نشب بين موسى وبين الفرعون حسب حكاية التوراة فتفسره لنـــا أســـطورة أوديب فى قول يوربيدس أنه بعد نفى أوديب وتحديد إقامته فى قصر بذلك المنفى يعيش فيه أعمـــى، راودت أوديب نفسه بالعودة واستعادة ملكه مرة أخرى، فوقف ضده كرايون وولداه بولينكيس وأتيوكليس حتى تحقق نفيه نهائيا. وهو ما يساعد على إعادة تصور السيناريو المصرى لأحداثه عندما تـــم نفـــى الملـــك إخنـــاتون وجماعته إلى حواريس حيث عاش هناك وسط شعبه الجديد الذى تحالف معه وسلم بعقيدته، ثم كـــان هنـــاك على مقربة من أنسبائه وأخواله المديانيين مما شجعه فيما يبدو على محاولة العودة للتفكير فى استعادة عرشه مرة أخرى مستعينا بأنسبائه، وهو ما يلتقى مع رواية مانيتو عن أوزرسيف الذى اســـتعان بالهكســـوس فـــى غزوة هكسوسية تالية .

ومن جانبه كان كمال الصليبى شديد العجب من عبد عبرانى يمتلك كـــل تلـــك الجـــرأة، ولا ينـــزعج الفرعون بل يسمح بها، ويبرر ذلك فى قوله: " ويبدو أن موسى التاريخى بعد رجوعـــه مـــن مـــديان إلـــى

مصرايم استعاد على الأقل **بعض من نفوذه الذى كان له هنــاك من قبل، فكان يدخل على فرعون .. كلمـا شاء ويتكلم أمامه بكامل حريته وبقدر كبير من الجرأة** " [٢]. ومنطق الأحداث يجعلنا نفترض أنه كان مــع إخناتون آنذاك ولده المخلوع سمنخ كا رع على رأس تلك الجيوش لاستعادة عرشه. وأنه قد تمــت مواجهــة عسكرية مع الجيوش المصرية انتهت بصد تلك الهجمة على الحدود. ويدعم لنا فكــرة الغــزوة الهكسوســية الثانية التى نتمسك بها، نص عثر عليه بمكتبة العمارنة من الملك البابلى بورنا بورياش الثانى يقول فيه للملك المصرى

> فى عهد أبى كوريكالزو أرسل إليه الكنعانيون يقــول: لنذهب إلى مصر ولنغزوها جميعا، وسوف نعقد معــك حلفا، أما أبى فقد أجاب على رســالتهم قــائلاً: لــيكن **الحلف** ما بينكم، لكن لتحذروا جانبى إذا لما كان ملــك مصر حليفى فمن ذا الذى يصدنى عن غزوكم، وهكذا من أجل أبيك لم يسمع ابى قولهم [٣]

ونعود إلى رسم سيناريو الأحداث فى مصر، حيث نفهم أن الملك توت عنخ آمون قد قتل فى المعركة، كما أنه لاريب قد استعان كل منهما بما فى إمكانه لإثبات هذه الشرعية أمام الناس، وفى هــذا يقــول أحمــد عثمان " والكلمة العبرية التى استخدمت فى التوراة للدلالة على عصى موسى هى نحش وتُقرأ أحيانا حــنش، والكلمة نفسها لها معنيان آخران كذلك فى اللغة العبرية فهى تعنى **ثعبان** كما تعنى أيضاً **النحــاس الأصــفر**. وتخبرنا أحد قصص الهجادا – وهى الجزء الأسطورى من التلمود – أن العصا التى استعملها موسى كانــت مصنوعة ومحفورة على **شكل صولجان**، ومن الطبيعى إذا أراد موسى إقناع المصريين بصدق قوله استخدام أدلة يكون لها أثرها الفعال فى مشاهديه من الكهنة والحكماء. والثعبان عند المصريين القــدماء يرمــز إلــى سلطة العرش، وهو يوضع داخل التاج الملكى فوق جبهة الملوك، وكانت عصا الصولجان الملكى المصــرى تصنع أيضاً على شكل ثعبان مخطط وملتو، وهو إما يكون مصنوعاً من النحاس أو مغطى بطبقة منه. وهذا أيضاً يتضح من موضوع الرسالة التى نال بها الدكتور على حسن وكيل الوزارة لشئون الآثــار المصــرية درجة الدكتوراة التى حصل عليها من ألمانيا، والعرض الذى قام به موسى أمام فرعون وقومه يشبه العرض الذى كان الملوك المصريون يقومون به فى أهم احتفالاتهم الشعبية وهو احتفال السد . . وكان علــى الملــك

---

(٢) الصليبى: خفايا .. سبق ذكره، ص ٢٢٨ .

(٣) باقر: الوجيز .. سبق ذكره ، ص ٤٦١ .

نفسه أن يقوم بعدد من الطقوس فى قاعة العرش بقصره أمام حكماء ونبلاء البلاد. ومن بين هذه الطقوس كما يتبين من الرسوم الموجودة على جدران مقبرة خيروف أحد وزراء آمنحتب الثالث، كان الملك يضع يده فـــى عبه ثم يخرجها ليريها للناظرين، ثم كان الملك يقدم عرضا وهو يمسك صولجانا وضع عنـــد نهايتـــه رأس ثعبـــــان، وهكذا فـــــإن المصريين أدركوا مغـــزى الآيـــات التـــى عرضها موسى أمامهم " [٤] .

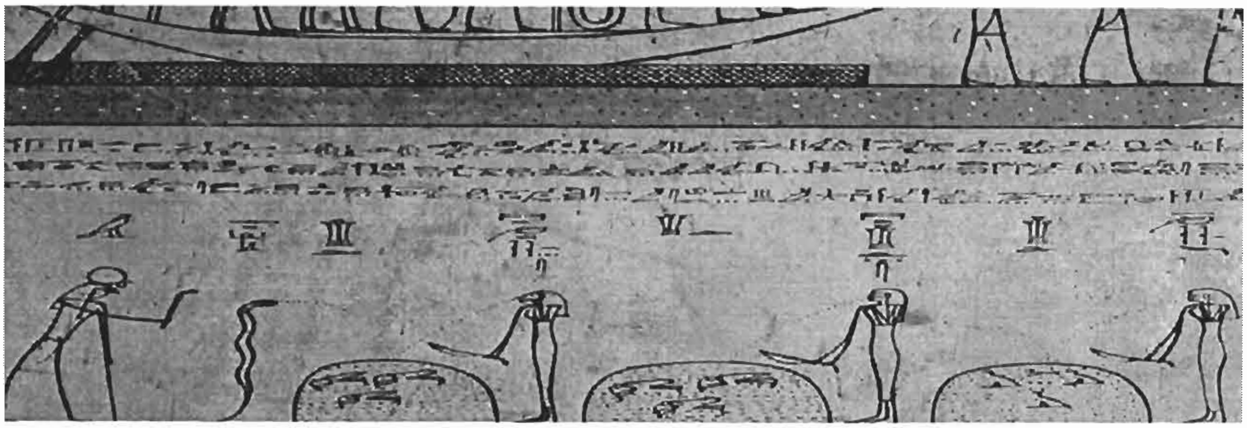
هذا فرض، ولدينا فرض آخر لهذا الاستعراض الذى يؤكد شرعية الملك وهو أن الملك كان يتم تدريبه من قبل الكهنة على التعامل مع الحية الدفانة فى حال تصلبها وبياتها والتى كان يتم إيقاظها بالضغط على غدة خلف الرأس كعلامة شاهدة على تمكن المـــلك من منح أنفاس الحياة للبشر وحتى للجمادات، وهو دأب معلوم ومتكرر فى عبارة دائمة الورود فى النصوص المصرية عن الفرعون الذى " يمنح أنفاس الحياة ".

ويبدو أن مسألة العصا تلك كانت شديدة الأهمية، بل اعتقد المصرى القديم أن العصا / صولجان الملك هو منحة معطاه من الله نفسه، إذ نجد عند بلوتارك: " وفـــى اليوم الثالث والعشرين من شهر بابه (ويوافـــق اليوم العشرين من شهر أكتوبر) يحتفلون **بعيد ميلاد عصا الإله** " [٥]. العصا كانت عصا الإله، وهـــو الـــذى يعطيها للفرعون، وكان لها يوم ميلاد، لقد كانت العصا كائناً حيا أو (حية).

أما وضع الملك يده فى فتحة ملابسه فى صدره وإخراجها ليريها للناظرين، مع ماجـــاء فـــى التـــوراة والقرآن أنها تظهر فى تلك الحال بيضاء مضيئة، فنعتقد ذلك يرتبط بما سبق وفعلته حتشبسوت لتأكيد شرعية ملوكيتها المشكوك فيها وأرسلت لهذا السبب خصيصا بعثتها إلى بونت لإحضار تلك المادة المضـــيئة التـــى أســـــــــــــــمتها النصـــــــــــــــــــوص مـــــــــــــــــــــــــــادة

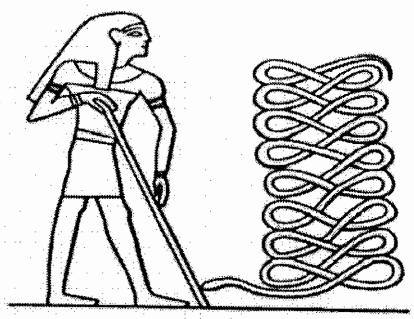
(٤) عثمان: تـــــاريخ .. سبـــــق ذكره، ج١ ، ص ٦٩، ٧٠ .

(٥) بلوتارك: إيزيس .. سبق ذكره ، ص ٨١ .

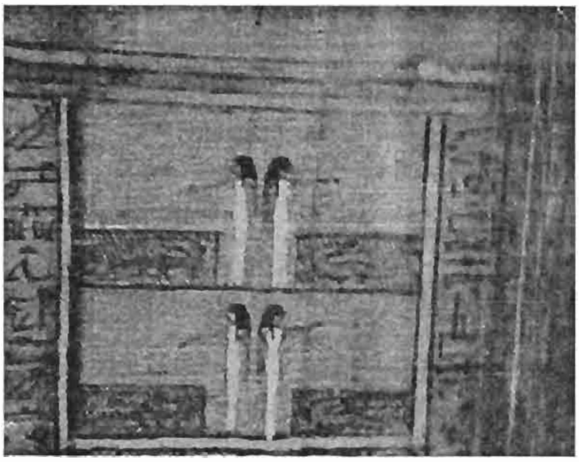


العصى / الحيات الدفانة فى مصر القديمة وكيفية استخراجها من مكامنها، تحولت إلى أسطورة عصا حية تفعل المعجزات

شكل رقم (١٠٩)



لوحة أخرى دعمت أسطورة العصا الحية / الإله آتوم رع رب الشمس والضياء والخير يواجه الإله الأفعى أبوفيس الافعوان

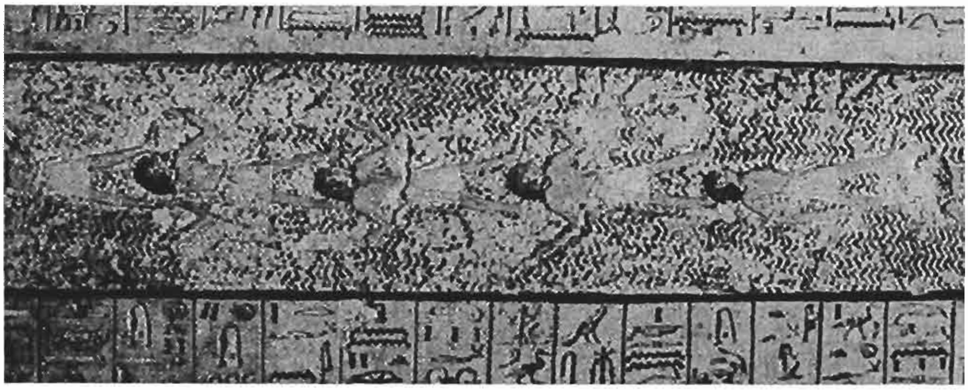


الطقس السحرى لشق الماء، وكان طقسا منتشرا واعتياديا فى مصر القديمة كفكرة أسطورية متواترة، لاحظ التماسيح بالمياه التى تشير إلى أنه شق لنهر النيل

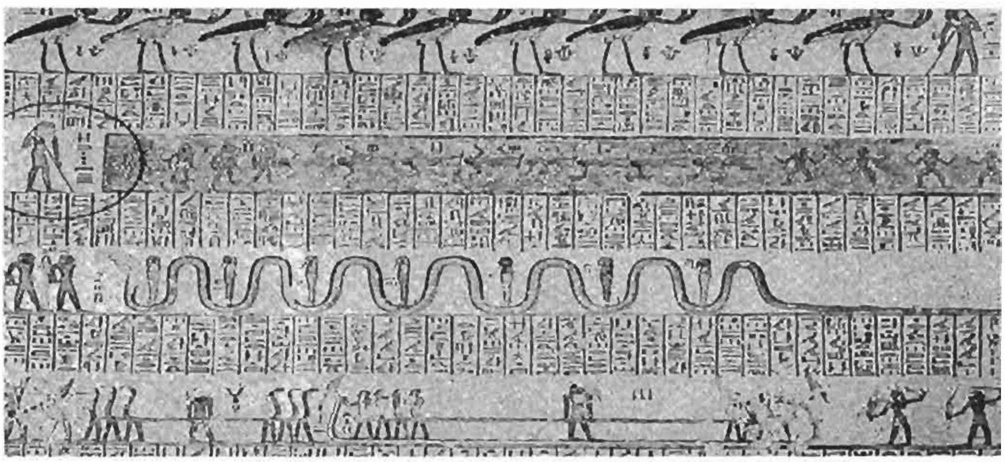
شكل رقم (١١١)



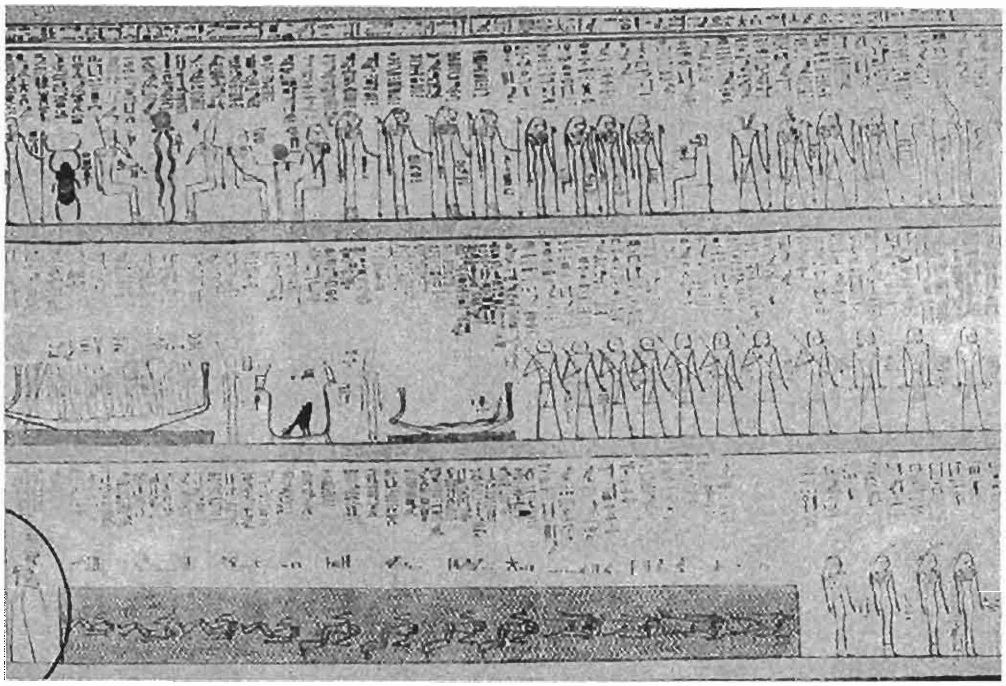
لوحة أخرى لشق اليم بالأفعى فى التصورات الشعبية، بينما هى فى الحقيقة لوحة الساعة
الرابعة من كتاب البوابات فى مقبرة رمسيس الأول مع ربات يمثلن ساعات الليل
شكل رقم (١١٢)



الغرقى فى الساعة التاسعة من كتاب البوابات بمقبرة رمسيس السادس
شكل رقم (١١٣)



فى السطر الثالث من اللوحة شخص يمسك بعصا وأمامه موتى غرقى يسبقهم أربعة أشخاص أحياء.
هذه اللوحة من اللوحات التى تصور عملية البعث وأن الغرقى سيقومون من الموت للحساب، لكن لوحة
كهذه مع صورة الحية المتكررة كانت كفيلة بانتشار أساطير شق البحر والغرقى فى اليم. اللوحة من
مقبرة رمسيس الثالث وتعرف بلوحة الساعة التاسعة من كتاب البوابات
شكل رقم (١١٣)



هذه لوحة وضعها الكهنة ويفهمها الكهنة والمثقفون، وتصور إحياء الإله الموتى الذين ماتوا غرقا كالموتى فى أى مكان آخر، من أل بعثهم وحسابهم، لكنها تحولت فى الفهم الشعبى وقراءته للوحة إلى شخص معجزة يشق الماء بعصاته، وغرقى فى بحر مفلوق، استعارها المحرر التوراتى من المفاهيم المصرية الشعبية

شكل رقم (١١٤)

السام. ويذكر أنها دهنت جسدها كله من باب التأكيد المبالغ فيه فأضاءت لشعبها فى الليل كنجوم السماوات. ويبدو أنها كانت العادة التأكيدية لشرعية الملك فى أعياد سد فكان الملك يخفى يده فى جيب صديريته ويغمس يده فى مادة السام المخفية فى ملابسه ليخرجها مضيئة للناظرين، وهو بالضبط ما فعله إخناتون أمام آى وجماهير شعبه كآيات لملكه، وذكرته بعد ذلك التوراة كمعجزات قام بها النبى موسى أمام الفرعون. أما بقية المعجزات كضرب مصر بالبعوض والضفادع والجراد والذباب والقمل فهى كلها أمور اعتيادية فى أرض مصر التى تضج بالحياة، وهى فى ذات الوقت أمور غريبة على محرر توراتى يعيش فى صحراوات جافة ضنينة بالحياة وشحيحة. ويبدو أن الأمر لم يحسم لصالح الدلائل السحرية للشرعية إنما حسم بقوة السلاح وتم طرد إخناتون وجماعته من مصر، ورغم أن التوراة حاولت القول أن الخروج تم رغما عن إرادة الفرعون وأنه طاردهم لهذا السبب حتى غرق فى البحر المفلوق، فإنها أفصحت فى أكثر من موضع آخر عن صدق ما حدث حقيقة، وكون هذا الخروج قد حدث بإرادة الفرعون، وأنه كان طرداً لهم من البلاد، كما فى النصوص:

فقال الرب لموسى: الآن تنظر ما أنا فاعـل بفرعـون
فإنه بيد قوية يطلقهم وبيد قوية **يطردهم** من أرضه
خروج ٦ / ١

وخبزوا العجين الذى أخرجوه من مصـر خبـز كلـه
فطـيراً إذا كان لم يختمر لأنهم **طُردوا** من مصر ولـم
يقدروا أن يتأخروا

خروج ١٢/ ٣٩

وهو الطرد الذى ينفى تماماً فكرة مطاردة الفرعون لهم وغرقه هو وجيوشه فى البحر، ذلـك الحـدث الذى لم تذكره لا نصوص مصر ولا أى نصوص أخرى لأى دولة من دول الشرق القديم إزاء حدث هائـل كهذا مفترض أنه قد لحق بجيوش الدولـة الإمبراطورية لذلك الزمان.

ثم نقرأ فى حروب سيتى الأول الذى حكم ١٣٠٩ قبل الميلاد أنه خرج من مصر إلى فلسـطين لصـد هجمات جديدة للعابيرو تحاول عبور نهر الأردن من الشرق إلـى الغرب داخل فلسطين. (٦) وبحساب بسيط سنجد الفارق بين زمن سقوط إخناتون ١٣٥٠ ق.م وبين زمن تلك الغزوة العابيرية على فلسطين التى صدها ستى الأول ١٣٠٩ ق.م، يعطينا فارق أربعين عاما هى المدة التى انقضت ما بين سـقوط إخنـاتون وبـين وصول الخارجين إلى فلسطين وسميت فى التاريخ الدينى بسنوات التيه الأربعين.

ومع حملة سيتى الأول تلك على شاسو سيناء الشرقية نقف قليلاً نقرأ نصوص الملك المظفر تروى لنا الحدث:

السنة الأولى من حكم ملك الوجه القبلى والبحرى مـن
ماعت رع. التخريب الذى ألحقه سيف الفرعون البتار
له الحياة والفلاح والصحة **بالشاسو الخاسئين من قلعة
ثارو حتى باكنعان** عندما سار جلالته نحوهم مثل الأسد
المفترس وصيرهم أشلاء.

وكالعادة كانت الانتصارات تنسب لرب الدولة، ومع هذا الانتصار يقول الإلـه آمـون فـى الفقـرات الختامية لنصوص حملة سيتى الأول على الشاسو :

(٦) السواح: الحدث .. سبق ذكره، ص ٢٦٤ .

وإني أولي وجهي **قبل المشرق** وآتي بأعجوبة لك فأغلبهم لك، **جميعا مجتمعين** في قبضتك، إني أجمع **كل ممالك بونت سويا** وكل جزيتهم من بلسم وقرفة وكل الأخشاب الزكية الرائحة **من أرض الإله**، ناشراً شذاها أمامك (٧)

إن الشاسو كانوا يعيشون في مجموعة ممالك متحدة سويا يعرفها هذا النص بأنها ممالك بلاد بونت أرض الإله التي تقع في الشرق وليس في الجنوب، وهكذا تتأكد نظريتنا طوال الوقت. أن بلاد بونت هي مجموعة الممالك التجارية المتحالفة شرقي مصر، حيث توجه سيتي الأول بحملته التي انطلقت من قلعة ثارو على الحدود الدلتاوية الشرقية لتصل إلي بي كنعان حيث تغلب الفرعون على **كل ممالك بونت جميعاً مجتمعين**. لقد كانوا دوما أحلافا أو أخلامو.

وبين الأسماء المتطابقة التي تقفز بين أيدينا لتستكمل تضفير النسيج بين إخناتون وأوديب وموسى، إقليم **أتيكا** الذي تم نفي أوديب إليه أعمى حيث يعيش وقتا على جبل كيثابرون ثم يموت هناك. وبالعودة إلى النصوص المصرية نجد الفرعون رمسيس الثالث كما سبق وأسلفنا يرسل رجاله إلي الإقليم الآدومي لإحضار النحاس من منطقة **أتيكا** (٨)، وهو ما يؤكد أن في شرقي سيناء حيث البلاد المديانية كان يقع إقليم قرب مناجم النحاس يحمل الاسم الذي ورد بالنطق الدقيق Atike وترجمناه **عتيقة**. أما جبل **(كيثابرون)** الواقع في إقليم أتيكا في أسطورة أوديب فيطابق اسم الجبل المقدس المعروف حتى الآن في سيناء باسم جبل **(كاثرين)**، والذي صيغت حول اسمه بعد ذلك قصة أسطورية عن مؤمنة مسيحية بهذا الاسم حملتها الملائكة لتدفنها هناك. ويعود الاسم في رأينا إلي اسم حمي موسى (يثرون) الذي ينطق بكل سلامة (جثرون) و (كاثرون) و (كاثرين) دون أية مشاكل لغوية. ونحن نعلم من قصة التوراة أن يثرون أو كاثرين كان كاهن بلاد مديان. وأطلقت التوراة على ذلك الجبل اسما آخر هو جبل الله حوريب، أو الجبل المقدس حوريب، فالنص يقول :

وأما موسى فكان يرعى غنم **يثرون حميه كاهن مديان**، فساق الغنم إلي وراء البرية وجاء إلى **جبل الله حوريب**، وظهر له ملاك الرب بلهيب نار من وسط عليقة، وإذا العليقة تتوقد بالنار والعليقة لم تكن تحترق،

---

(٧) سليم حسن: مصر القديمة .. سبق ذكره، ج٦، ص٤٦ .

(٨) سامي سعيد: الرعامسة .. سبق ذكره، ص ١٦١ .

فقال موسى: أميل الآن لأنظر هذا المنظر العظيم لماذا لا تحترق العليقة، فلما رأى الرب أنه مال لينظر نـــاداه الله من وسط العليقة وقال: موسى موسى، فقال: ها أنذا فقال: لا تقترب إلى هنا. إخلع حذاءك من رجليــك لأن الموضع الذى أنت واقــف عليه أرض مقدسة.

خروج ٣ / ١ – ٥

ونتذكر أن أرض الإله بونت كانت عند المصرى القديم أرضا مقدسة وسميت (أرض الإله)، رأيناهــا تقع فى شبه جزيرة سيناء، لا سيما قسمها الجنوبى والشرقى الملتحم مع وادى عربة وجبال السراة / ســعير. ولأنها مقدسة فقد جاء أمر الإله لموسى التوراتى عندما دخلها يقول له: " اخلع حــذاءك مــن رجليــك لأن الموضع الذى أنت واقف عليه أرض مقدسة / خروج ٣ / ٥ " وهو ما تكرر فى آيات القرآن حيث نجد ذات الأمر الإلهى يوجه إلى موسى القرآنى يحمل ذات المعانى " اخلع نعليك إنك بالوادى المقدس طوى ".

والغريب أن هناك لفته لم يتم الالتفات إليها فى ملحمة أوديب بصياغة سوفوكليس لكنها تعنينــا بشــدة، فالملحمة تصف المكان الذى وصل إليه أوديب منفيا، بعد رحلة طويلة فى صحارى جرداء، بحســبانه قريــة جميلة كثيرة الأشجار تجرى فيها القنوات المتدفقــة من الينابيع والعيون، مليئة بأشجار عطرية ذات روائــح زكية (بخور) تغرد فيها الطيور على أشجار الكروم والزيتون والتين، وصخورها رائعة الألوان. وهذا شرح سوفوكليس للمكان الذى يلتقى مع الصورة التى رسمناها لبلاد آدوم، وكاثرين، لكــن ســوفوكليس يقــول إن أوديب لم ير هذه الصورة لأنه كان أعمى، إنما أدركها بحسه الداخلى. لكنه الحس الذى ما كــان ممكنــا أن يدرك لون الصخور مثلا، فهذا ما وصل عن مواصفات المكان إلى سوفوكليس نفسه، المهم أن ســوفوكليس يقول إن أوديب أدرك من هذا كله أنه يقف فى أرض مقدسة، رغم أن هذه الصورة تتكرر فى بلاد كثيرة غير مقدسة. لقد كانت معلومات سوفوكليس أن الحدث وقع فى أرض مقدسة. ثم يضيف سوفوكليس إضافة مضيئة إذ يقول إن أحد أهالى تلك البلاد رأى أوديب يجلس على صخرة مع ابنته أنتيجونى فأمره بالانصــراف مــن المكان فوراً لأنه **لا يصح تدنيس أرض الآلهة المقدسة بأقدام البشر؟!** [٩] .

ثم بعد ذلك بقرون طويلة تنصت للرحالة المحدث ريتشى يصف لنا رحلته فى صحراء سيناء القاحلــة حتى وصل إلى دير كاثرين، يقول: " وبالرغم من موقع الدير فى الوهاد المحاطة بالجبال العالية .. تجــرى

(٩) سوفوكليس: الملك أوديبوس، أوديبوس فى كولونى، انتيجونى، ترجمة أمين سلامة، دار الفكر العربى، القاهرة ، د.ت، ص ٣٣.

فى خلال واديه غدائر من الماء العذب .. مع أجمات شجر الزيتون والكروم والبساتين النامية فى الوادى، تسقى من مياه الينابيع المنحدرة من فوق الجبال. والحدائق الملاصقة للدير نفسه محاطة بسياج من شجر السرو الزيتون، وتنتج مقادير وافرة من البرتقال والخضر .. تسد أود ٢٠,٠٠٠ نسمة من البدو القانعين بالعيش فى ظل الدير .. ومن الخطأ الفاحش أن يظن إنسان أن شبه جزيرة سيناء أرض قاحلة عديمة الماء والنبات "(١٠) .

وهو الأمر ذاته الذى قرأناه فى ترجمتنا لرسم وليس لكلام ورد منقوشا على صلاية الملك نعرمر التى سجلت له حروبا فسرها علماء التاريخ بأنها حروب التوحيد للإقليمين المصريين البحرى والقبلى. بينما فسرناها نحن بأنها تسجيل لانتصاراته فى بلاد سيناء وإخضاعها للسلطان المصرى حتى بلاد آدوم، ولم يكن مفهوماً على الإطلاق **لماذا يسير الملك حافى القدمين فى معركة بينما يحمل أحد أتباعه نعله خلفه؟** لقد كان الملك يخضع للطقس المقدس فى الموضع المقدس. وكان الفنان يقصد فى تقريره إبراز هذا المعنى تحديداً، وحتى لا تفسر اللوحة بأن الحفا كان أمراً اعتياديا فى تلك الأيام بالنظر إلى أن بقية الأشخاص فى اللوحة كانوا حفاة، فإنه رسم خلف الملك تابعه يحمل نعال الملك بشكل بارز واضح لتبليغ المراد. وخلف رأس هذا التابع نجمة سباعية الإشعاعات، ونحن نعلم قدسية الرقم سبعة فى البلاد السامية، كما لو كان الفنان يريد تبليغنا بقدسية ذلك الموضع الذى يقف فيه الملك حافيا يمسك بأسير يضربه بدبوس القتال، وأسفله تم تمثيل سكان تلك البلاد فى شخصين يركضان بسرعة تعبيراً عن الهرب من مواطنهم أمام الفرعون. أما موطنهم فقد تمت الإشارة إليه بصورة تعبر عن ذلك الموطن فى شكل كهف غائر فى الصخور خلف الهارب الثانى. أما رأس الصلاية الأعلى فقد حمل على الجانبين رأس الإلهة حتحور ربة سيناء المعروفة الشأن .

وعلى الوجه الآخر للصلاية يسير الملك وخلفه تابعه يحمل نعليه وأمامه حملة الأعلام وعلى اليمين يمكنك أن ترى أسرى موثقين قد ألقيت رؤوسهم تحت أقدامهم وفوقهم طائر الزقزاق للإشارة إلى جنسهم وبلادهم. وإلى يمين طائر الزقزاق رسما لسفينة محيطية تشير إلى أن الوصول إلى تلك البلاد قد تم عبر البحر، وأنه لا شك قد سلك ذات الطريق الذى سلكته بعد ذلك بقرون طويلة بعثة حتشبسوت، تحاشيا لقسوة العبور البرى فى الصحراء السينائية الهائلة.

---

(١٠) رتشى كالدر: رجال ذللوا الصحراء، ترجمة محمد معوض ومحمود الشواربى، دار الفكر العربى، القاهرة، د.ت، ص ١٦٨، ١٦٩ .

وفـــى الملحمـــة الأوديبيـــة يصـــعد أوديـــب إلـــى جبـــل يتبـــع نـــداء الآلهـــة ليختفـــى ولا يعود وسط أصوات الرعد والصاعقة والعواصف [١١]، وهى الصورة التى نعرفهـا للإله حـداد تيفـون، وفى التوراة تصوير لمشهدية بركانية عظيمة عند جبال كاثرين، وقد صعد موسى مع يشوع إلى جبل نبو ولم يعد مرة أخرى وعاد يشوع وحده. ليقول لشعبه أن موسى قد مات. ثم لا نندهش عندما نعلـم أن السـفنكس اليونانى صاحب الألغاز كان يتعلم تلك الأحاجى من ربات الفنون أسمتهم الملحمـة **(الموسـيات)** [١٢]، أمـا يوربيد فقد أسماهن **الفينيقيات** [١٣]، فهل ثمة تبليغ أوضح من ذلك؟! أما الذى تأكد موجزاً بعد اكتشاف بقايـا فخار نبطى فى موقع جبل كاثرين وجبل موسى إلى الشمال منه مباشرة، أن هذا الموقع كـان مقدسـا عنـد النبطيين، وأن الأنباط لم يكونوا زواراً لهذا المكان بل مقيمين[١٤] .

ثم نقرأ فى ملحمة أوديب ما يشير إلى نبوة أوديب وقدسيته

فيقول سوفوكليس أن أوديب بعد أن كفر عن ذنبه الذى اقترفه وفقأ عينيه لم يكن هناك أى مبرر للقدر والآلهة فى استمرار بلائه، وهنا تنبأ له الوحى أنه عندما يصـل إلـى كـولونوس وسـط إقليم أتيكـا .. سيغفـر له ذنبه، [١٥] وقالت نبوءة بوللون: " إن أوديب قد كفر عن خطاياه وأصبح طاهراً بعد أن كان مدنسا وعفيفا بعد أن كان زانيا وروحا محلقة فى سماء الفضيلة بعد أن كان منغمسا فى الرذيلـة .. مباركـة تلك الأرض التى تحوى رفات أوديب ".[١٦]

لقد تحول أوديب إذن من ملك إلى نبى .. مقدس عندما وصل إلى عتيقة وجبال كـاثرين. ولا نظننـا نجانب الصواب فى افتراض أن موسى أبداً لم يصل إلى جبل (نبو) شرقى الأردن مباشـرة مقابـل أريحـا ليموت هناك إنما مات تحديداً فوق جبل يقع شمالى جبل كاثرين مباشرة، وأن ذلك كان السبب فـى أن ذلـك الجبل قد حمل من يومها اسم جبل موسى. وأن قاتله كان يشوع تلميذه المخلص تحديداً، وعند تلـك اللحظـة المفصلية تتغير أمور كثيرة كانت سببا فى كثير من الالتباسات التى أدت إلى كثير من الألغاز التى استغرقت عمرنا ونحن نحاول فك طلاسمها، وتلك اللحظة المفصلية فى التاريخ بحاجة إلى بعض الشرح لرسم لوحـة تصورية لما حدث.

---

(١١) سوفوكليس: سبق ذكره، ص ٤٢ .

(١٢) الشعراوى: أساطير .. سبق ذكره، ص ٢٤٨ .

(١٣) على نور: ملامح مصرية فى المسرح الإغريقى، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، د.ت، ص ٥٢ .

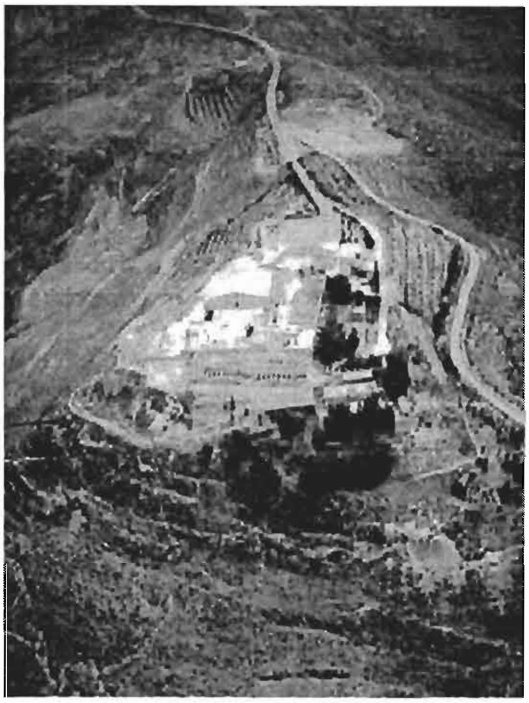
(١٤) أحمد عثمان: فى الشعر .. سبق ذكره، ص ١١٧ .

(١٥) سوفوكليس: سبق ذكره، ص ٣٣ .

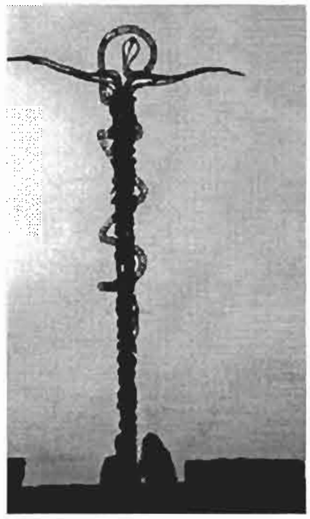
(١٦) الشعراوى: أساطير .. سبق ذكره، ص ٢٥٨ .



بين آثار الاسكيث وجد هذا النقش الذى يصور عدد من الـــ (سفنكس) المجنح



صورة من الجو لجبل نبو شرقى أريحا المفترض أن النبى موسى قد دفن فيه حسب رواية التوراة
شكل رقم (١١٦)



عند جبل نبو المطل على ساحل البحر الميت الشرقى حيث يفترض أن هناك مدفن النبى موسى، قام فنان مسيحى بإقامة هذا العمل الرائع الذى يصور حية موسى المعبودة وكيف أنها رمز إلهى، قام الفنان بدمجه مع شخص المسيح المصلوب. (من تصوير المؤلف إبان سعيه وراء المواقع القديمة وتدقيقها) ــ
شكل رقم (١١٧)



المؤلف فوق جبل نبو عند مدخل قبر النبى موسى المفترض حسب التوراة
شكل رقم (١١٨)



المؤلف على الجانب الغربى من جبال الجلجال المذكورة بالتوراة وخلفه جبال أريحا غربى الأردن
شكل رقم (١١٩)

لقد تم نفى الفرعون المارق إلى أقصى الحدود الشمالية الشرقية للبلاد المصرية، وتم تحديد إقامته فـي القصر الصيفى فى مدينة حواريس التى كانت منفى لكل المارقين والآبقين والخارجين على القانون. فقد خلع الفرعون إخناتون من على عرشه، وحددت إقامته دون السماح له بالخروج من تلك المدينة المتطرفـة علـى الحدود السينائية مع أتباعه ومريديه من مصريين وغير مصريين. وهناك كان لقـاؤه مـع أسـرى مدينـة حواريس من بقايا هكسوس وإسرائيليين. وهناك ارتبط الجميع بالعقيدة الجديدة التى جمعتهم على قلب واحـد. ويقول مانيتون :

إن الفرعون قد سمح للأسرى باستيطان مدينة حواريس، وأن هؤلاء وصل إلـيهم الكـاهن المصـرى أوزرسيف الذى قادهم لإشعال ثورة عاتية، وأن ذلك الكاهن قد استنجد بالهكسوس المطرودين من مصر إلى برارى سيناء وفلسطين، والذين تمركزوا فى مدينة رئيسية لهم هى أورشليم. وأن أوزرسيف أحاطهم علمـا بأن فى إمكانه أن يفتح لهم البلاد. وهو أمر كان غير ممكن إلا إذا كان أوزرسيف يظن أن لديه هذه القـدرة، وذلك لايفسره إلا أن يكون شخصاً ذا قدرات عالية وإمكانات السيطرة على البلاد، وتفسره قصـتنا تحديـداً حيث أن أوزرسيف هذا كان فرعونا مخلوعا يمكنه باستخدام القوة العسكرية استعادة عرشه ومجـده بعـون هؤلاء الحلفاء. وهنا تصدت له الجيوش المصرية زمن حكم الصبى توت عنخ آمون ووصاية آى الذى كـان يستثمر كل تلك الأحداث لصالحه للوثوب على العرش. ولا شك أن قائد الجيوش المصرية آنذاك كـان هـو حور محب. وكان ذلك ما أسميناه بالغزوة الهكسوسية الثانية، أو مادونته الملحمـة اليونانيـة عـن اسـتعانة بولينكيس بجيوش الأجانب ضد بلاده لاستعادة عرشه المغتصب من أخيه أتيوكليس أو سمنخ كا رع ضد توت عنخ آمون فى ملحمة سبعة ضد طيبة، ويبدو أن سمنخ كا رع / بولينكيس وجد مزيداً من تأييد شرعية مطلبه فى وقوف أبيه إخناتون إلى جواره الذى كان يطمع بدوره فى استعادة عرشه. لكن ينتهى الأمر بكارثة للحلفاء من متمردى حواريس والغزاة الهكسوس يضطرون معها إلى الفرار جميعا من مصر فـى رحلـة دونتهـا المقدسات تحت عنوان خروج الإسرائيليين من مصر بقيادة موسى، وتم تصـويرها مصـحوبة بعـدد مـن الخوارق والأحداث الطبيعية الهائلة.

ويؤيد ذلك ما وجده الأثريون فى مقبرة حوى نائب الملك الصبى توت عنخ آمون فى النوبة، حيث تدل سلسلة اللوحات المصورة على جدران مقبرته على حصول الملك توت على غنائم من مـن شـعب هجـين فالملامح **آسيوية وزنجية**، ضمنها خيول وعربات ثمينة وأوان ذهبية وفضية، أما الأشد غرابـة لكنـه مـع

نظريتنا يصبح اعتياديا، فهو أن ضمن تلك الغنائم " **زرافة حية** " [١٧]، وقد سبق ورأينا الزرافة ضمن واردات بونت فى لوحات حتشبسوت.

ويورد شيتندورف وصفا للصور التى تزين جانبى غطاء أحد صناديق الملك توت، وضمنها مشاهد لمعارك عنيفة خاضها الملك ضد شعوب صورت فى سمات سامية وزنجية معا. وزمن الملك توت تحيطنا السجلات الحيثية بحملة مصرية على مدينة باسم قادش [١٨]، التى فسرت كالعادة بأنها قادش نهر العاصى، وهو تفسير يجافى تماما وضع مصر المتمزق حينذاك، لكن الخبر يمكن قبوله إذا احتسبنا قادش المقصودة هى قادش سيناء / عين قديس .

كما نعلم من المصادر الحيثية إبان تلك الأحداث المتسارعة أن الحيثيين قد أرسلوا حملة جديدة نحو الأراضى المصرية، لكن كل معلوماتنا عنها أنها كانت فاشلة، وأن الجنود الحيثيين قد عادوا منها يحملون وباء تفشى فى المملكة الحيثية، بل ومات به الملك الحيثى نفسه شوبيلوليوماس عام ١٣٤٦ ق.م. [١٩] وهو لا شك الوباء الذى تفشى فى بدو حواريس وكان عاملا من عوامل طردهم فى رواية آبيون النحوى التى رد عليها يوسفيوس. وقد أوضح يوسفيوس معتمداً على تاريخ مانيتون أن هذا الوباء كان وراء الخروج أو الطرد، وهو ما يلتقى مع وصف توت عنخ آمون لمصر زمن أبيه " وكانت الأرض مريضة "، وقد أشارت التوراة كما رأينا للوباء بالتفصيل الممل، وهو أيضاً ما دونته ملحمة أوديب عن وباء أرسلته الآلهة على طيبة نتيجة زواج أوديب بأمه.

ولمزيد من تأكيد مسألة الطردوليس الخروج نقرأ عند رمضان على عهدته، إذ لم نجد ذلك إلا عنده، يقول عن إخناتون " وفيما بعد أعلن كهنة آمون أنهم **طردوه** هو وبلاطه ومعاونيه، وكانوا حوالى ثمانين ألف شخص .. وأطلق عليه أعداؤه هو وأعوانه صفة الملحدين " [٢٠] .

ونحن نعلم أن آى نفسه لم يكن مصريا حسب تقرير عالم التشريح إليوت سميث، [٢١] وأنه كان ابنا ليويا وتويا الآسيويين، وهو ما يوضح لنا لماذا أسقطه المصريون بدوره من قوائم الملوك رغم دفاعه عن مصر وتمصره، لأنه كان فى النهاية سليل عمارنة.

---

(١٧) شتيندورف وسيل: عندما حكمت .. سبق ذكره، ص ٢٢٥.

(١٨) السواح: أرام .. سبق ذكره، ص ١٩٦ .

(١٩) الموضع نفسه .

(٢٠) رمضان السيد: تاريخ .. سبق ذكره، ١١١ .

(٢١) آلدريد: إخناتون ... سبق ذكره، ص ٩٥ .

وقد كان أصل آى هذا غير المصرى مدعاة لوضعه موضع المشكوك فى شرعيته، وقد استثمر إخناتون الذى يعود من جهة الأب إلى مصرية أصيله هذا الوضع، فخاض مباراة إثبات الشرعية بعد مقتل ولده توت، وتمثلت هذه المباريات فى مجموعة آيات أو معجزات قدمها موسى التوراتى أمام الشعب لإثبات تلك الشرعية كلمعان اليد وإضاءتها، وتحويل العصا إلى حية، وهو الأمر نفسه الذى قدمه الفرعون برجاله وسحرته أيضاً أمام الجماهير.

والمنطق يقول إن موسى كان يحمل تلك الآيات كمعجزة خاصة به لنبوته، وكى تكون معجزة يجب أن تكون فريدة تماما وخاصة به، لكن التوراة تقول أن كل فعل إعجازى قدمه موسى تم الرد عليه بذات الفعل من قبل الفرعون ورجاله وهو ما يعنى أن الأمر كان كما نقول : **مباراة** لها غرض ومكسب يتحقق للفائز وهو برأينا عرش مصر، ويبدو أنها انتهت بهزيمة موسى ورجاله، تلك الهزيمة التى انتهت بخروجهم من البلاد نحو سيناء باتجاه فلسطين.

ونقرأ الآن الصورة التى رسمها لنا فليكوفسكى لآخر أيام تل العمارنة إذ يقول: " لقد كانت نهاية أخت آتون نهاية مفاجئة، إذ انتقل سمنكارع إلى طيبة [حسب رأيه] وهجر السكان منازلهم ورحلوا عن طريق النهر أو البر إلى طيبة أو إلى أى مكان آخر اختاروه، أما الأبنية فلم تكن قد اكتملت، فقد تركت على حالها، فأمام أحد المنازل التى كانت على وشك الا كتمال نهائيا وضعت قطعة من الحجر فوق المدخل وتركت بجواره ورحل البناءون. لقد كانت هجرة طابعها السرعة تركت المنازل خاوية من الأثاث ليكون مصيرها التآكل " (٢٢).

أما سوفوكليس فقد سجل فى ملحمة أوديب ملكا أن أوديب هو من طلب بنفسه النفى، وأنه بعد أن تم نفيه تذكر رغبة والديه عند ميلاده فى موته على جبل كيثابرون ومن ثم أراد تحقيق تلك الرغبة لهما وقرر الخروج من مدينة منفاه التى احتسبناها حواريس متجها نحو جبل كيثابرون الذى احتسبناه جبل كاثرين ليموت هناك. وهو ما نعتبره إشارة على صدق تقديرنا بمقتل موسى فى وسط جنوبى سيناء عند كاثرين وجبل موسى. لكنه قبل ذلك حاول التراجع لكنه قوبل بالرفض وذهب ليموت فى كيثابرون (٢٣) .

وتصور لنا ملحمة سوفوكليس ذلك الجبل بأنه قرية صغيرة جميلة تجرى فيها القنوات وتغرد فيها البلابل وتمتلئ بأشجار الكروم وروائح المزروعات العطرية والزيتون والغار والصخور الملونة الجميلة،

---

(٢٢) فليكوفسكى : أوديب .. وإخناتون سبق ذكره ، ص ١٢٨ .

(٢٣) سوفوكليس سبق ذكره، ص ٣٢ ، ٣٣ .

فهى كالجنة أرض مقدسة، لكنها تقع بكل هذا الجمال وسط تيه واسع من الفيافى الجرداء [٢٤] . وهو الأمـــر الذى ينطبق على منطقة كاثرين انطباقا تاما.

وربما بدا لنا أن هناك تناقضا ظاهريا بين الصفات التى نعلمها على إخناتون كفرعــون حــالم كــاره للحروب بين البشر، وبين الصورة التى ترسمها لنا التوراة عن موسى كشخص دمـــوى وأن أتباعـــه كـــانوا بالعبرية (صبأوت) أى ضباط أو جنود مقاتلين، وتم وصف يهوه الرب بأنه رب الجنود تعبيراً عــن حـــالتهم القتالية. لكن هذا التعارض يجب أن يسقط الآن بعد ما رأيناه حول تل العمارنة إبان حكم إخناتون والتى كانت تبدو ثكنة عسكرية متكاملة، وهو ذات التناقض المتضافر والمتفق – إن جاز التعبير – فى رواية التوراة عن الخروج التى علق عليها كمال الصليبى يقول: " فى الخروج ٦ / ٢٦ بالترجمة العادية نقرأ ما يلى : هــذان هما هارون وموسى اللذان قال يهوه لهما: أخرجا بنى إسرائيل من أرض مصرايم بحسب أجنـــادهم / علـــى صبء تم. وعل بالعبرية تعنى على أو فوق أو إلى أو نحو ولا تعنى بحسب، أما لفظة صبء تم فقد تعنـــى أجنادهم صبء ت، أو صبءوت، أى أجناد مضافة إلى ضمير الغائب. لكن سفر الخروج لا يتحدث فـــى أى مكان عن تنظيم عسكرى كان لبنى إسرائيل وهم الشعب المسكين العامل بالسخرة فى أرض مصرايم " [٢٥] .

ثم يقول الصليبى: " فى الخروج ١٧/١٣ بالترجمة العادية نقرأ ما يلى: وكان لما أطلق فرعون الشعب أن الله لم يهدهم فى طريق أرض الفلسطينيين، عرص فلشيتم ــ مع أنها قريبة لأن الله قال لئلا يندم الشـــعب إذا رأوا حربا ويرجعوا إلى مصرايم، فأدار الله الشعب فى طريق برية بحر سوف – بدرك مدبريم سوف – وصعد بنو إسرائيل متجهزين من أرض مصرايم – وحمشيم علو بنى يسرءل م. عرس مصـــريم – وهنـــاك تناقض فى المفهوم الذى تقوم عليه هذه الترجمة التى تفيد من ناحية **أن بنى إسرائيل كـــانوا شـــعبا يخشـــى الحرب، ومن ناحية أخرى أنهم خرجوا من أرض مصرايم متجهزين أى مستعدين للحرب** .. حمشـــيم مـــن حمش يقابلها بالعربية حمس بمعنى الحماس " [٢٦] .

وهذا التناقض فى رواية التوراة لايفسره إلا أن الخارجين مع إخناتون من مصـــريين كـــانوا عســـكر مدربين من حرسه الخاص وحرس مدينته، إضافة إلى ما تبقى من أسرى الهكسوس وكـــانوا بـــدورهم مـــن المقاتلين. أما القول بكراهة إخناتون المطلقة للقتال فيشوبها شك كبير بعد أن علمنا أن العمارنة فـــى زمنـــه كانت أكبر ثكنة مسلحة فى مصر، ناهيك عن كونه ارتكب ما هو أبشع من القتل بإفناء أبيه نفسه بمحو اسمه

---

(٢٤) نفسه ص ٣٢ ، ٣٤ .

(٢٥) كمال الصليبى: خفايا .. سبق ذكره، ص ٢٢٩ .

(٢٦) الموضع نفسه .

من الآثار فى قتل أبدى. ناهيك عن تعصبه الأعمى الذى ملك عليه عقله وقلبه ضد كل أديان مصر وكهنتها، وانتهى بإغلاق جميع المعابد ومصادرة أموالها، وهو أمر لاشك – وإن لم يدونه لنا التاريخ أو فقدنا مدوناتـــه – لم يتم بهدوء ودون عنف قد صحب تلك الحملة المخيفة على مأثور مصر التليد الذى عاشت عليه طـــوال تاريخها وسكن قلوب المصريين وعقولهم ومشاعرهم عبر قرون طويلة.

وتقول التوراة أن الخارجين من مصر بقيادة موسى قد خرجوا بأملاكهم وسوائمهم، بل كانـــت لـــديهم كميات كثيرة وهائلة من الذهب، ومن هذا الذهب صنع لهم هارون العجل الذهبى ليعبدوه إبان غياب موســـى فوق جبل الشريعة أربعين يوما. وحتى تبرر التوراة وجود هذه الكميات الهائلة من الذهب ساقت تبريراً غريباً وغير مقبول لاعقلا ولا منطقا ولا يتفق وواقع بنى إسرائيل فى مصر، فتقول بلسان الـــرب وهـــو يخاطـــب موسى:

> ولكنى اعلم أن ملك مصر لا يدعكم تمضـــون ولابيـــد قوية، فأمد يدى وأضرب مصر بكـــل عجـــائبى التـــى أصنع فيها. وبعد ذلك يطلقكم. وأعطـــى نعمـــة لهـــذا الشعب فى عيون المصريين. فيكون حينمـــا تمضـــون أنكم لا تمضون فارغين. بل تطلب كـــل امـــرأة مـــن جارتها ومن نزيلة بيتها أمتعة فضة وأمتعة **ذهبا** وثيابا، وتضعونها على بنيكم وبناتكم. فتسلبون المصريين
>
> خروج ٣ / ١٩ – ٢٢

وهكذا، ورغم تأكيد التوراة أن الإسرائيليين كانوا يسكنون فى منطقة خاصة لايسكنها المصريون، وهو ما يؤكد لنا فكرة مدينة المنفى التى جاء ذكرها فى نصوص حور محب، وأن ذلك المكان الخاص البعيد عـــن المصريين أعطى رب اليهود فرصة لإنزال ضرباته بالشعب المصرى دون أن يصيب الإسرائيليين، فإننا فى هذا النص نجدهم يسكنون بين المصريين ويستعيرون حليهم الذهبية ليسلبوها ويخرجوا بها من مصر، وتعود التوراة ليلة الخروج تؤكد أن ذلك ما حدث فتقول:

> وفعل بنو إسرائيل بحسب قول موســـى. طلبـــوا مـــن المصريين أمتعة فضة وأمتعة **ذهب** وثيابـــا. وأعطـــى الرب نعمة للشعب فى عيون المصريين حتى أعاروهم

فسلبوا المصريين. فارتحل بنو إسرائيل من رعمسيس إلى سكوت، نحو ستمائة ألف ماشى من الرجال عدا الأولاد. وصعد معهم لفيف كثير أيضاً مع غنم وبقر ومواش وافرة جداً. وخبزوا العجين الذى أخرجوه من مصر خبز كله فطيراً إذ كان لم يختمر. **لأنهم طردوا** من مصر ولم يقدروا أن يتأخروا .

خروج ١٢/ ٣٥ - ٣٩

وهكذا نفذ بنو إسرائيل الخطة فسلبوا المصريين – الذين لم يكونوا بينهم أصلا – ذهبهم، وخبزوا عجينا للطعام لكنهم طردوا فى تلك الليلة من مصر ولم يخرجوا مطاردين، فصنعوا عجينهم فطيراً لأنه لم يكن قد اختمر حتى يمكنهم تنفيذ أمر الطرد فى موعده.

المهم أن هذا هو تبرير المحرر التوراتى لوجود كميات الذهب الهائل مع عبيد معدمين خارجين من مصر، أما تبريرنا فهو أنه **كان ذهبا ملكيا**، وما كان يمكن مصادرة ذهب ملك حتى لو كان ملكا مخلوعا. هو الذهب الذى كان بحوزة إخناتون وخرج به من مصر زعيما للخارجين والمهزومين المطرودين.

أما المبهر حقا فهو أننا قد وقعنا على لوحة من أوغاريت بسوريا لم يجد لها الباحثون تفسيراً، وعقب بعضهم عليها بالقول: " رسم ملك يتعبد أمام الإله إيل من رأس شمرا أوغاريت، يظهر الملك بلباس مصرى وقد يمثل الرسم فرعون مصرى أو ملك أوغاريت فى زى مصرى " [٢٧]. لكن اللوحة أمامنا واضحة تماما وفق نظريتنا فالتاج العالى هنا على رأس الملك ليس تاج الوجه البحرى ولا القبلى لكنه غطاء رأس عال وبارز جداً ولا يميزه فرعونيا سوى الحية البارزة منه إلى الأمام وصورة رع منشور الجناحين بأعلى اللوحة ويتلقى هذا الفرعون ألواحا من الإله (ألواح موسى)، ويمسك بذات اليد عصا رأسها رأس حية، وهى لوحه تمزج بين موسى الذى تلقى الألواح وبين فرعون مصرى، لن يكون سوى إخناتون حسب نظريتنا. أليس هذا بدليل شديد البهرة على صدق ما قلنا حتى الآن؟

ثم يصف لنا ابن قتيبة شخص النبى موسى وأخيه هارون وصفا يذكرنا بالعماليق فيقول: " قال وهب بن منبه: موسى بن عمران بن قاهت بن لاوى بن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم .. وكان موسى عليه السلام

(٢٧) اللوحة نقلاً عن كتاب بعل هداد سبق ذكر تفاصيل النشر. إرجع إلى قائمة المصادر.

آدم جعداً **طوالاً** كأنه من رجال شنوءة، وكان هارون **أطول من موسى وأكنز لحما وأبيض جسـما** وأغلظ ألواحاً [٢٨] ".

وبنظرة فى فنون مصر لن تجد فرعونا أطول من الفرعون إخناتون، ثم الفرعون آى وهو بدوره من أسرة العمارنة.



ضمن اللوحات التى ضمها كتاب (بعل هداد) جاءت هذه اللوحة فى صدفة عبقرية لتؤكد نظريتنا تأكيداً تاماً. وقد عقب المؤلفان على اللوحة بالكلمات التالية: " رسم لملك يتعبد أمام أب ألآلهة إيل من رأس شمرا / أوغاريت . يظهر الملك بلباس مصرى وقد يمثل الرسم فرعون مصر أو ملك أوغاريت فى زي مصرى ".هذا بينما اللوحة تسجل ذكريات كانت معلومة للفنان التى رسمها، تلك الذكريات التى كشف عنها كتابنا هذا :الجالس على العرش هو الإله يهوه ذو القرون وأعلى اللوحة رسما لرع الشمس المصرية المجنحة. والواقف أمام الإله بالفعل فرعون مصرى لكنه يلبس تاجا بذؤابه تتدلى على ظهر الفرعون. وهو التاج الخاص بإخناتون وحده . ولا يبدو الفرعون فى هيئة تعبدية إنما هو يتسلم ألواحاً من يهوه هى عندنا ألواح الشريعة التى تلقاها موسى ، بينما يمسك فى اليد الأخرى العصا الحية الموسوية. إن تلك اللوحة العبقرية إنما تحكى بإيجاز كل ما أردنا إثباته حتى الآن.

شكل رقم (١٢٠)

---

(٢٨) ابن قتيبة المعارف، .. سبق ذكره، ص ٤٣.

نـــهـــايـــة البـــطـــل

فرويد فى كتابه موسى والتوحيد يسجل سيناريو الأحداث الذى تصوره لنهاية ذلك الشـــخص العظـــيم (موسى)، وفى رسم ذلك السيناريو استند إلى ما وصل إليه (سيللين) فى كتابه (موسى وأهميته فـــى التـــاريخ اليهودى لبنى إسرائيل). وكان (سيللين) قد كشف عن نهاية فاجعة لهذا القائد الفذ، وذلك من خـــلال قراءتـــه لسفر يشوع، إذ قال إن الشعب البدوى المشاكس العنيد الإسرائيلى، لم يتمكن من الالتزام بالقوانين الصـــارمة والراقية للعقيدة الآتونية التى فرضها عليهم الأمير المصرى موسى تلميذ إخناتون، فثاروا عليه فـــى تمـــرد عظيم، وتم قتله إبان ذلك التمرد. وعلى الفور نكص الخارجون من مصر عن الدين الذى أعطاه لهـــم تلميـــذ إخناتون، وقد ساعد على هذه الثورة ونجاحها فى شبه جزيرة سيناء، المديانيون أنسباء الإســـرائيليين حيـــث اعتنق الخارجون جميعاً ديانة يهوه المصبوغة بالبداوة القاسية التى تمثلت ربها فى صورة الوحش الســـينائى الدموى البركانى، وتم هجر ديانة آتون الراقية والعظيمة. ويرى فرويد أنه عند هذه اللحظة المفصـــلية مـــن التاريخ يختفى موسى المصرى سليل أسرة الملوك المصريين بالموت قتلا، لكن التـــوراة تســـتأنف قصـــتها بموسى آخر وهمى تزعم أنه كان طفل بنى إسرائيل الذى ربى بقصر الفرعون بالتبنى، وقامت تنســـب إلـــى موسى المصرى كل الخرافات التوراتية وقسوة البدو وربهم الشيطانى المارد البركانى. وهنا تحديداً وعند هذه النقطة الفاصلة يبدأ الحديث عن الأسرة الوهمية لموسى، ويتم لأول مرة نسبة موسى المصـــرى إلـــى بيـــت إسرائيل.

ويتمسك فرويد بل يصر على هذا التمسك بأن الفريق الذى بقى مؤمنا بموسى المصرى وبعقيدة آتـــون الواحد هم أولئك الذين وصفوا بعد ذلك باعتبارهم سبطا من بيت إسرائيل ووضعوا فى سلسا لهـــم بوصـــفهم كذلك، وكانوا أهم الأسباط من بعد، وهو سبط (لاوى) المنطوق عبريا (ليفى). والاسم (ليفى) يشـــترك فـــى الجذر مع (ليفان) أولبان، كما يحمل فيما يحمل من معانى معنى (الأبيض) فاللبان أبيض اللون، كذلك يشترك معه فى الجذر (إلفانت) أى الفيل، وسن الفيل الأبيض (عاج) أو (شن هـــ بين) وكلها تلقى بنا فى بلاد الأُيكة مديان.

وكان اللاويون فى رأى سيجموند فرويد هم الحاشية الملكية المصرية التى فضلت الخروج مع النبيـــل المصرى موسى بعد سقوط إخناتون وموته (كما يظن فرويد)، لذلك أصروا بعد مقتل موسى فى سيناء علـــى التمسك بذكرى مصر وركزوا على قصة الخروج لهذا السبب تحديداً حتى أمست لحظـــة الخـــروج عصـــب الديانة اليهودية وبداية التاريخ الإسرائيلى. كما أصر هؤلاء الخارجون على استمرار عادة الختان المصـــرية، لأنه مـــا كان بإمكانهم وهم مصريين أن يتخلوا عن عادة باتت طقسا مقدسا بطول تاريخ مصـــر، وأصـــبح الختان عند هؤلاء الخارجين شرطاً أساسيا للمؤمن كى يكون يهوديا من أتباع موسى. كذلك أصـــروا علـــى التمسك بموسى وبمصريته بينما كان الفريق البدوى يخترع موسى آخر، موسى إسرائيلى مـــديانى منســـوبا

للبطاركة الأوائل ونسلهم، ثم نسبوا عادة الختان للبطاركة هؤلاء باعتبارها سُنة إسرائيلية من البدء، والحقيقة غير ذلك بالمرة فقد كانت من فجرها مصرية.

وهكذا كانت فتنة عبادة العجل الذهبى رمزاً لنهاية ديانة آتون والعودة إلى عبادة العجول البعول، كما كانت قصة تحطيم موسى لألواح الشريعة رمزاً لانتهاء ديانته وشريعته التى أسسها إخناتون ثم مقتله فى الخلاف المذهبى العظيم الذى أدى إلى ارتداد هؤلاء عن ديانة آتون.

وسبق وأثبتنا أن هناك التقاء قد حدث فى أحد تلك المراحل بين الحمار (سيت) وبين (آتون) حيث نجد الاسم آتون بعد ذلك لقبا ليهوه فى الديانة اليهودية بمعنى السيد الرب، من الجذر (تون) أو (دون) ومنها **دون كى** Donkey،و **(أتـان)** فى العربية، كذلك يلتقى مع تقديس الفُرس الأقدمين واليهود لجذوة نار مشتعلة داخل المعبد لا ينبغى أن تنطفئ أبداً هى **الأتون النارى**، وتحمل فى طياتها الأتون الأعظم الشمسى، وكذلك **البركان** الذى يقذف بالحمم المشتعلة.

وفى قادش حيث استقر الخارجون من مصر حوالى ثمانية وثلاثين عاما، ثم عقد اجتماع مصالحة بين كافة الفرقاء تحزب فيه اللاويون لسيدهم القتيل، ومن هنا ظل اسم موسى وقصة تربيته بالبلاط المصرى بديلا عن نبله الوراثى المنسوب لإسرائيل. كما تم الاحتفاظ باسم الإله آتون كلقب ليهوه فأصبح هو الأدون السيد. كما تمت الإشارة فى هذا الاجتماع إلى اختيار إخناتون/ موسى للإسرائيلين، فى رمزية اختيار الرب يهوه لهذا الشعب بعكس كل الشعوب التى تختار آلهتها. لذلك لم يفتأ الكتاب المقدس يردد نفيه الشديد أن يكون يهوه إلها أجنبيا على إسرائيل، بينما نعلم أن إله إسرائيل كان إيل السامى، وأن **يهوه كان إلها من أصول كنعانية سيناوية، مدمجا فى سيت تيفون وبعل حداد صافون.**

كما حافظ اللاويون فى هذا الاجتماع على مجموعة التفاصيل التى استخدمها بعد ذلك أنبياء اليهود للعودة إلى مفهوم الرب الجلالى الواحد الذى أسسه موسى المصرى، لكن بعد موته بقرون طوال.

ومن جانبنا نذكر هنا أن سبط أو بيت لاوى يرتبط عندنا بالاسم فى صيغته اليونانية (لايوس)، وهو بيت آمنحتب الثالث أو بيت العمارنة فى أخت آتون حسب نظريتنا.

ثم نقرأ بالمقدس التوراتى قصة اللحظة الأولى لتحرك ركب الخارجين من مصر بقيادة موسى فنجده يقول:

> فارتحل بنو إسرائيل من رعمسيس إلى سكوت (سكوت أول محطة فى طريق الخروج بعد رعمسيس باتجاه سيناء وقد سبق وحددناها بالقنطرة غرب اليوم/المؤلف) نحو ستمائة ألف ماش من الرجال عدا الأولادوصعد معهم **لفيف** كثير أيضاً مع **غنم وبقر، ومواش** وافرة جداً.وخبزوا العجين الذى أخرجوه من

مصر خبز مله فطيراً، إذ كان لم يختمر. لأنهم طردوا من مصر ولم يقدروا أن يتأخروا، فلم يصنعوا لأنفسهم زاداً. وأما إقامة بنى إسرائيل التى أقاموها فى مصر فكانت أربعمائة وثلاثين سنة. وكان عند نهاية أربعمائة وثلاثين سنة، فى ذلك اليوم عينه، **أن جميع أجناد الرب** خرجت من أرض مصر.

خروج ١٢/٣٧ - ٤١

وأبداً لا يمكن أن يعقل - كما أسلفنا القول - أن ينجب أربعة أجيال هذا العدد الهائل من الخارجين ٦٠٠,٠٠٠ رجل عدا الأولاد، ويلاحظ هنا أنه لم يذكر نساء، مما يشير إلى ندرة النساء مع الخارجين إلى حد إسقاطهم من تعداد الخارجين، وهو الأمر الذى لا يفسره سوى الغزوة الهكسوسية الثانية التى جاءت مصر حلفا مع ملكها المخلوع وولده، ومن الطبيعى أن يكونوا من الرجال، مع القلة الإسرائيلية وبيوتهم وأولادهم، مع تلك الإشارة غير المفهومة إلى آخرين خرجوا مع الإسرائيليين مر علهيم المحرر التوراتى سريعا فى فلاش خاطف فى جملة واحدة غامضة لم تتكرر ابداً بعد ذلك تقول: " وصعد معهم لفيف كثير أيضاً " !!

فمن كان هؤلاء اللفيف؟ وهى الكلمة التى تحمل ذات المعنى بذات التصويت فى العربية والعبرية معا.

نزعم هنا ونتفرد بالقول **إن هذا اللفيف كان إخناتون وأتباعه** من كهنة وحاشية مصرية وأنهم هم من صاروا بعد ذلك كهنة إسرائيل اللاويين حسبما نبهنا فرويد. وقد عمد المحرر التوراتى هنا إلى وضع الحقيقة الساطعة فى لغة بلاغية تقلل من شأن هؤلاء فهم مجرد لفيف انتهز الفرصة فخرج مع الخارجين، لكن الصيغة البلاغية هنا تضئ الموقف فى حملها لأكثر من معنى، لأن (لفيف) هى من (ليفى) أو (لاوى)، فى العبرية كما هى فى العربية.

وننقب بالكتاب المقدس عن أى إشارات أخرى تدعم هذه الرؤية، عن أى إشارات ولو ضمنية لوجود مصرى مع الخارجين من البدو الآسيويين الهكسوس، فنقف مع تلك الوفرة فى الأغنام والبقر والمواشى مع الخارجين، التى تتناقض تناقضا صارخا مع الجوع الذى عاناه هؤلاء إبان رحلة الخروج حتى أكلوا المن والسلوى. وهو الأمر الذى لا يفسره إلا قائد قد حرّم على أتباعه أكل الأغنام والبقر أو أمرهم بصيام عن اللحوم طويل الأمد، وهو أمر كان معلوما فى ديانات المصريين الذين كانوا لا يأكلونها إلا فى مناسبات طقسية بعينها وكانوا يفضلون الطيور على لحوم السوائم فى صيام طقسى طويل. ويبدو أنه كان أحد الجوانب الطقسية المصرية التى أخذها إخناتون ودمجها بعقيدته الجديدة المزيج بين عقائد مصر القحة وبين عقائد مديان بسيناء المصرية. وهو ما وصل إلى علم محررى المقدس التوراتى عندما كان المحرر يروى مناظرات موسى مع الفرعون، حيث كان موسى يوهم الفرعون أنهم سيخرجون فقط لمدة ثلاثة أيام ليذبحوا ذبائح لعيد دينى لهم بعيداً عن المصريين الذين يقدسون تلك الحيوانات، أو بالنّص :

فدعا فرعون موسى وهارون وقال: اذهبوا اذبحوا لإلهكم فى هذه الأرض، فقال موسى: لا يصلح أن نفعل هكذا، لأننا إنما نذبح رجس المصريين للرب إلهنا. **إن ذبحنا رجس المصريين أمام عيونهم أفلا يرجموننا؟** نذهب سفر ثلاثة أيام فى البرية ونذبح للرب إلهنا كما يقول لنا .

خروج ٨ / ٢٥ - ٢٧

ونستمر فى التنقيب نبحث عن إشارات أشد إفصاحا حتى نجد نصا واضحا فصيحا يقول الرب فيه لشعبه :

لا تكره مصريا لأنك كنت نزيلا فى أرضه، الأولاد الذين يولدون لهم **فى الجيل الثالث يدخلون منهم فى جماعة الرب.**

تثنية ٢٣ / ٧ ، ٨

إنها الإشارة الصريحة الوحيدة واليتيمة التى تشير إلى وجود مصريين مع الخارجين، رغم أنهم كانوا القادة وأصحاب الفكر والكهنة بل وأصحاب الديانة، وتتأكد بذلك رؤية فرويد النفاذة التى ألقاها على عجل دون مؤيدات يقول فيها إن أتباع ديانة آتون كانوا هم مؤسسى ديانة إسرائيل وكهنتها الذين عرفوا باسم اللاويين أو الليفيين وتم إدراجهم بين أسباط إسرائيل باعتبارهم البيت الذى أنجب عمران / العمارنة ومنهم كان موسى قائد الخروج.

ويزداد الفرض رسوخا عندما نقرأ المقدس فنعلم أن هؤلاء اللفيف الذين أشار إليهم المقدس تلك الإشارة العابرة كانوا كثرة عددية أكثر من مجرد تعبير " لفيف كثير ". لأن اللاويين كما قرر المقدس نفسه كانوا اثنين وعشرين ألفا (أنظر سفر العدد ٣ / ٣٩). وقد تم هذا التحديد بعد عملية التعداد التى أمر بها موسى للخارجين فى سيناء، لكنه عدّهم وحدهم دون بنى إسرائيل بناء على ما زعمه المحرر التوراتى أمراً إلهيا يقول:

أما سبط لاوى فلا تحسبه ولا تعده بين بنى إسرائيل

عدد ١ / ٤٩

وهو ما يعنى أن اللاويين الكهنة وأصحاب الفكرة والديانة لم يكونوا أبداً إسـرائيليين. وبكـل الـدأب تملكتنا الرغبة فى الحصول على مزيد، فوجدنا أن المحرر التوراتى كان يعلم أصل هؤلاء يقينا، فكان يحـذر دوما قائلاً:

والـــلاوى الذى **فى أبوابكم** ليس له قسم ولا نصيب معكم .

تثنية ١٢ / ١٢

وتعبير [الذى فى أبوابكم] يفصح عن أكثر من معنى، فهو يشير إلى تماس اللاوى مع الإسرائيليين من خارج، كما يحمل أيضاً معنى القيادة فباب المنزل هو سيده وعتبة المنزل هى سيدته. ثم نتابعه فنسمع الـرب يحذر شعبه من كهنته (؟!!)، نعم يحذر شعبه من اللاويين ويقول لشعبه المختار:

احـترز من أن تترك اللاوى كـــل أيامـك علـى أرضك

تثنية ١٢ / ١٩

لا يكون للكهنة اللاويين – كل سبط لاوى – قسم ولا نصيب مع إسرائيل، يأكلون وقائد الـرب ونصـيبه [يعنى الكهانة فقط/المؤلف] فلا يكون له نصـيب فـى وسط إخوته، **الرب هو نصيبه كما قال له.**

تثنية ١٨ / ١ ، ٢

ويبدو لنا أن وجود هذا العدد من المصريين الذين كانوا لا شك حاشية إخنـاتون المصـرية ورجـال عسكره، وسبق وعلمنا أنه كان قد جعل من مدينته أخت آتون ثكنة عسكرية كبرى، وأنهـم خرجـوا معـه مؤمنين به وبدعوته، إن هؤلاء مع قائدهم كانوا وراء تحريم ذبح البقر. وهو مالم يحتمله أهل البداوة والرعى ومعتمدهم فى الطعام على اللحم، وهو ما يفسر لنا فتنة العجل الذهبى بسيناء التى كانت فى رأينا ترميزاً دالا على انتهاء الآتونية والعودة إلى عبادة العجول وأكلها بذبحها طقسيا، بل على موت صاحب الدعوة ذاته قتيلاً كما ذهب سيللين وفرويد. ويبدو أن ذبح البقرة كان ترميزاً لكيان قدسى، ترميزاً لقتل موسى. وتبدأ الفتنة مع غياب موسى عن شعبه على جبل الشريعة حيث صعد ليأتى لهم بألـواح الشريعة من الله الذى

أعطى موسى عند فراغه من الكلام معه فى جبل سيناء..

لوحى حجر مكتوبين بإصبع الله .

خروج ٣١ / ١٨

وقد بدأت الفتنة فيما تروى التوراة عند تلك اللحظة عند الجبل المقدس فهى تقول بعد غياب موسى أربعين يوما ومعه يشوع فوق الجبل :

ولما رأى الشعب أن موسى أبطأ فى النزول من الجبل اجتمع الشعب على هارون وقالوا له: قم اصنع لنا آلهة تسير أمامنا لأن هذا موسى الرجل الذى أصعدنا من أرض مصر لا نعلم ماذا أصابه. فقال لهم هارون: انزعوا أقراط الذهب التى فى آذان نسائكم وبنيكم وبناتكم وأتونى بها، فنزع كل الشعب أقراط الذهب التى فى آذانهم وأتوا بها إلى هارون. فأخذ ذلك من أيديهم وصوره بالأزميل وصنعه عجلا مسبوكا، فقالوا: هذه آلهتك يا إسرائيل التى أصعدتك من أرض مصر .. **وجلس الشعب للأكل والشرب ثم قاموا للعب** .. فانصرف موسى ونزل من الجبل .. وسمع يشوع صوت الشعب فى هتافه فقال لموسى: صوت قتال فى المحلة، فقال .. بل صوت غناء أنا سامع، وكان عندما اقترب إلى المحلة أنه أبصر العجل **والرقص** فحمى غضب موسى وطرح اللوحين من يديه وكسرهما أسفل الجبل .. ولما رأى موسى الشعب **أنه معرى** .. وقف موسى فى باب المحلة وقال : **من للرب فإلىّ فاجتمع إليه جميع بنى لاوى**، فقال لهم: هكذا قال الرب إله إسرائيل: ضعوا كل واحد سيفه على فخذه ومروا وارجعوا من باب إلى باب فى المحلة، **واقتلوا كل واحد أخاه** وكل واحد صاحبه وكل واحد قريبه .. وقع من الشعب فى ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف رجل .. **فضرب الرب الشعب لأنهم نعوا العجل** الذى صنعه هارون .

خروج ٣٢ من ١:٣٥

والتوراة تؤكد أن موسى ظل على قيادة بنى إسرائيل إلى أن وصلوا إلى شرقى الأردن، وصعدوا إلى جبل نبو ومن هناك رأى أريحا فى غربى الأردن وبقية الأرض الموعودة، وأنه قد مات هناك.

وفى موت موسى تــروى التوراة أنه عندما وصل بالخارجين إلى شرقى الأردن:

> كلم الرب موسى فى نفس ذلك اليوم قائلاً: اصعد إلى جبل عباريم هذا جبل نبو الذى فى أرض موآب الــذى قبالــة أريحا. وانظر أرض كنعان التى أنا أعطيها لبنى إسرائيل ملكا ومت فى الجبل الذى تصعد إليه وانضم إلــى قومــك كما مات هارون أخوك فى جبل هور وضم إلــى قومــه. **لأنكما خنتمانى فى وسط بنى إسرائيل** عند مــاء مريبــة قادش فى برية صين إذ لم تقدسانى فى وسط بنى إسرائيل، فإنك تنظر الأرض من قبالتها ولكنك لا تدخل إلى هنــاك إلى الأرض التى أنا أعطيها إلى بنى إسرائيل .

تثنية ٣٢ / ٤٨ – ٥٢

وخلف موسى علــــى قيادة بنى إسرائيل تلميذه يشوع بأمر من موسى ومن ربه:

> ويشوع بن نون كان قد امتلأ روح حكمة إذ وضع موسى عليه يديه فسمع له بنو إسرائيل وعملــوا كمــا أوصــى الرب موسى .

تثنية ٣٤ / ٩

ومــن ثم أصبح يشوع هو قائد الخروج والعبور من الأردن إلى أريحا وأرض الميعاد .

> وكان بعد موت موسى عبد الرب أن الرب كلم يشوع بــن نون خادم موسى قائلاً: موسى عبدى قد مات، فالآن قــم اعبر هذا الأردن أنت وكل هذا الشعب إلى الأرض التــى أنا معطيها لهم أى لبنى إسرائيل. كل موضع تدوسه بطون أقدامكم لكم أعطيته كما كلمت موسى .

يشوع ١ / ١ – ٣

هذا ما روته التوراة عن موت موسى لكننا من جانبنا قد جمعنا من القرائن ما يكفى للتــدليل علــى أن موسى المصرى أبداً لم يغادر سيناء وأنه قتل عند جبل الإله حور المقدس (حوريب / جبل ســيناء / جبــل الشريعة) إبان فتنة العجل الذهبى، وأنه بموته هناك انتهى إخناتون وانتهت ديانته الآتونيــة، وبــدأت قصــة موسى الوهمى التوراتى كمرحلة جديدة هى التى شكلت فيما بعد الديانة اليهودية، وهو الأمر الذى سندلل عليه الآن.

لايغيب على فطن كقرينة أولى تحطم ألواح الشريعة عند سفح جبل الإله حور كرمز لنهاية العقيدة الآتونية ونهاية صاحبها. وعبثا نحاول البحث عن تلك الخيانة التى قام بها موسى وهارون لربهما والتى أدت إلى اتخاذ قرار قتلهما. والطريف أن التوراة تؤكد أن الله هو الذى أمات موسى بنفسه وقام بدفنه فى جبل نبو بنفسه، والموت الطبيعى لا حاجة أبداً لتبريره، لكن التوراة أصرت على التبرير، وأخفت اسم القاتل الحقيقى ونسبته إلى الله .

> وصعد موسى من عربات موآب إلى جبل نبو إلى رأس الفسجة الذى قبالة أريحا، فأراه الرب جميع الأرض من جلعاد إلى دان، وجميع نفتالى وأرض إفرايم ومنسى وجميع أرض يهوذا إلى البحر الغربى، والجنوب والدائرة بقعة أريحا مدينة النخل إلى صوغر. وقال له الرب هذه هى الأرض التى أقسمت لإبراهيم وإسحق ويعقوب قائلا لنسلك أعطيها، قد أريتك إياها بعينيك ولكنك إلى هناك لا تعبر. فمات هناك موسى عبد الرب فى أرض موآب حسب قول الرب، **ودفنه فى الجواء** فى أرض موآب .
>
> تثنية ٣٤ / ١ - ٦

والحالة الوحيدة التى غاب فيها موسى عن بنى إسرائيل برفقه شخص يحتمل أنه كان القاتل هى حالة جبل حوريب عندما صعد بزعم إحضار ألواح الشريعة، وكان رفيقه يشوع ابن نون وهو شخصية دموية تفصح بدمويتها كل أسفار التوراة أينما ذكرته.

وأبداً لم يكن إخناتون رجل حروب ودماء رغم ترسانته العسكرية ومادخلها مرة إلا مكرها، المرة الأولى لاستعادة عرشه له ولا بنه سمنخ كا رع أو بولينيكس، واستعان فيها بأحلاف الهكسوس وكانت عاصمتهم حينذاك أورشليم حسبما أخبرنا يوسفيوس، والمرة الثانية عند خروج موسى مع رجاله إلى سيناء عندما هاجمه فرع عماليقى فى رفيديم فلم يشترك فى القتال حسب رواية التوراة، إنما صعد إلى تل عال يشرف على المعركة يطلب معونة ربه برفع يده نحو السماء. لذلك كان غريبا أن يأمر اللاويين بقتال أصحاب فتنة العجل الذهبى. لقد حدثت الفتنة عبر شخصين، الأول هارون الذى صنع العجل، والثانى يشوع الذى صعد مع موسى إلى الجبل، وبينما هارون يعلن خلع موسى وآتون بين الاتباع أسفل الجبل كان يشوع يقتل موسى فوق الجبل، وكان محالا أن يقوم اللاويون المنبوذون حسب نصوص المقدس بعملية قتل للشق الهكسوسى العظيم العدد، بل يبدو أن ما حدث كان على العكس تماما، فما أن عاد يشوع من الجبل حتى تمت إبادة أكبر عدد ممكن من المصريين على يد الهكسوس اليهوذيين عند سفوح جبل حور المقدس .

والمعلوم أن عادة الختان عادة مصرية أصيلة قديمة أخذها عنهم الإسرائيليون والساميون عموما، ونسبها الإسرائيليون إلى آبائهم الأوائل زمن إبراهيم ١٧٠٠ ق.م تقريباً، بينما مصر تعرفها من فجر تاريخها قبل ثلاثة آلاف عام أو أكثر قبل الميلاد. وتشير التوراة إلى أن الخارجين من مصر كانوا مختونين جميعا، لكن التوراة تفاجئنا عند استلام يشوع القيادة بعد موت موسى أن من معه جميعا كانوا غلفا غير مختونين، ووجد يشوع أن ذلك قد يؤدى إلى هزيمتهم عند الهجوم على أرض فلسطين، فأمر جميع أتباعه بالختان على الطريقة المصرية بالصوان، أو بالنص " فى ذلك الوقت قال الرب ليشوع اصنع لنفسك سكاكين من صوان وعد فاختن بنى إسرائيل ثانية، فصنع يشوع سكاكين صوان وختن بنى إسرائيل فى تل القلف. وهذا هو سبب ختن يشوع إياهم: إن جميع الشعب الخارجين من مصر الذكور **جميع رجال الحرب ماتوا فى البرية على الطريق بخروجهم من مصر** لأن جميع الشعب الذين خرجوا كانوا مختونين، وأما جميع الشعب الذين ولدوا فى القفر على الطريق بخروجهم من مصر فلم يختنوا. لأن بنى إسرائيل ساروا أربعين سنة فى القفر حتى فنى جميع الشعب رجال الحرب الخارجين من مصر الذين لم يسمعوا لقول الرب الذين حلف الرب لهم أنه لا يريهم الأرض التى حلف الرب لآبائهم أن يعطينا إياها، الأرض التى تفيض لبنا وعسلا، أما بنوهم فأقامهم مكانهم فإياهم ختن يشوع لأنهم كانوا قلفا اذ لم يختنوهم فى الطريق / يشوع ٥ / ٢ : ٧ ".

ولا معنى لهذا الكلام سوى إبادة جماعية تمت للمصريين مع زعيمهم فى فتنة العجل الذهبى للتخلص من تلك السيادة المصرية وهو ما يؤكده استكمال قراءة ذلك الاصحاح فى سفر يشوع إذ يقول:

وقال الرب ليشوع : **اليوم قد دحرجت عنكم عار مصر**

يشوع ٥ / ٩

ألا يعنى ذلك التخلص من كل ما أمكن من أثر فكرى مصرى ومن الأشخاص أصحاب هذا الفكر؟

وعند هذه النقطة يظهر دون سبب واضح ولا هدف ، الأمر بصناعة تابوت يحمله الخارجون معهم، بزعم أن الرب سيستلقى بداخله ليحملوه معهم فى ترحالهم (؟!!) فلماذا اختيار تابوت بالذات ونحن نعلم أنه خاص بالموتى لا بالأحياء، فما بالك بإله؟ ثم لماذا يطلب الإله فى هذه اللحظة تابوتا بينما كان يسير أمام شعبه وخلفهم يحرسهم فى شكل أعمدة من سحاب وأعمدة من نار وينزل سخطه على أعدائهم فى شكل كلى القدرة هائل الرغبة فى سفك الدماء. لماذا فجأة وفى تلك اللحظة تحديداً وفى ذلك المكان تحديداً يطلب هذا الإله صناعة تابوت له ينام فيه ليحملوه معهم فيكون معهم حيثما حلو أو ارتحلوا؟ وبطول الإصحاح الخامس والعشرين من سفر الخروج توضع مواصفات هذا التابوت التى تفاجئك بصيغتها المصرية الكاملة لتوابيت الملوك الفراعنة تحديداً وبالذات، مع ملاحظة أنه ليس كتوابيت أفراد الشعب المصرى بل تابوتا ملكيا بشكل عنصر الذهب فيه الجانب الأعظم:

فيصنعون تابوتا من خشب السنط طوله ذراعان
ونصف وعرضه ذراع ونصف وارتفاعه ذراع

ونصف، وتغشيه **بذهب** نقى، من داخل ومـــن خـــارج تغشيه، وتضع عليه إكليلا من **ذهب** حواليه. وتسبك له أربع حلقات من **ذهب** وتجعلها على قوائمه الأربعـــة .. وتصنع عصوين من خشب السنط وتغشـــيهما **بـــذهب** وتدخل العصوين فى الحلقات علـــى جـــانبى التـــابوت ليحمل التابوت بهما .. وتصنع غطاء من **ذهـــب** نقـــى طوله ذراعان ونصف وعرضه ذراع ونصف، وتصنع كروبين من **ذهب** صنعة خراطة، تصنعهما على طرفى الغطاء، فاصنع كروبا واحداً على الطـــرف مـــن هنـــا وكروبا آخر على الطرف من هناك .. ويكون الكروبان **باسطين أجنحتهما** إلى فوق مظللين بأجنحتهمـــا علـــى الغطاء ..

خروج ٢٥ / ١ – ٢٠

وفى أسطورة أوديب، يتحول الملك أوديب من ملك خاطئ مخلوع إلى رجل مبارك (نبيـــا)، ويتســـابق الملوك لدعوته إلى ممالكهم لكنه يصر على البقاء فى كولونس فى جبل كيثابرون الذى طابقناه بجبل كـــاترين وهو الاسم الحديث لجبل الله حور أو حوريب. وتجمع الروايات على أنه كان يجلس يوما فى هذا الجبل فسمع صوتا يناديه من السماء ارتفع على إثره نحو السماء واختفى على الأنظار، وقيل أن ربات الرحمة رفعته إلى السمـــاء لتعوضه عما لاقاه من عذاب فى الأرض، وكانت تلك هى رواية سوفوكليس فى أوديب ملكا. لكـــن هوميرس يذكر من جانبه نهاية مختلفة لحياته وهى " أنه **قتل فى معركة وانتهت حياته بالعنف**، ودفن **جثمانه** بعد أن وسد **فى تابوت** وتليت عليه المراسم الجنازية " [(١)] .

ومن جانبه يطرح أحمد عثمان [(٢)] ذات التساؤلات المستربية فيقول: " وليس من الواضح لماذا غضب الرب على موسى وكانت النتيجة أن الرب منع موسى من دخول أرض كنعان مع بنى إســـرائيل وأماتـــه .. وبعد أن أعطى موسى بركته إلى بنى إسرائيل صعد الجبل ونظر عبر الأردن إلى كنعان ثم مات هناك ودفنه الرب فى قبر ليس له علامة .. ويحتوى التلمود على رواية تختلف عن ذلك بخصوص الطريقة التى مات بها موسى، فهى تقول **إن موسى تصارع مع خصمه فوق الجبل قبل أن يموت**، وهى تسمى هذا الخصم مـــلاك الموت، وهذا هو الذى جعل باحث التوراة الألمانى إرنست سيللين يقول إن موسى مات مقتولا ".

وفى الرواية الإسلامية تقول الآيات

واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلاً جسداً لـــه

(١) الشعراوى: أساطير .. سبق ذكره ، ص ٢٦ .

(٢) أحمد عثمان: تاريخ .. سبق ذكره ، ج١ .

خوار ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا اتخـذوه وكانوا ظالمين، ولما سقط فى أيديهم ورأوا أنهـم قـد ضلوا قالـوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين. ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسـفا قال بئسما خلفتمونى من بعدى أعجلتم أمر ربكم **وألقى الألواح وأخذ برأس أخيه يجره إليه** قال يا ابـن أم إن القوم استضعفونى وكادوا يقتلوننى فـلا تشـمت بـى الأعداء ولا تجعلنى مع القوم الظالمين .

الأعراف ١٤٨

ويعقـب ابـن كثيـر فـى شـروحه: " لكـن لـم يقبـل الله توبـة عابـدى العجـل إلا بالقتل كما قال تعالى: **{ فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم }** [٣] ولم ينف القرآن الكريم موضوع التابوت بـل أكده قائلاً: **{ إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم}** / ٢٤٨ البقرة ". كذلك وافقت الروايات الإسلامية قصة صراع موسى مع خصمه قبل قتله لكنها كالتلمود قالت أن القاتل كان الملاك عزرائيل ملـك الموت. ويحكى ابن كثير رواية عن ذكرى باهتة لقلع العيون، لكنه قال إن العيون المقلوعة كانت لعزرائيـل ملاك الموت وأن من قلعها كان موسى إبان صراعه معه قبل موته [٤] بل ويشير إلى اتهام يشوع بذلك القتل بشكل سافر ومباشر وذلك فى قوله: " ثم أن موسى عليه السلام بينما هو يمشى ويوشع فتاه، إذ أقبلت ريـح سوداء فلما نظر إليها يوشع ظن أنها الساعة فالتزم موسى وقال تقوم الساعة وأنا ملتـزم موسـى نبـى الله. فاستل موسى عليه السلام من تحت القميص وترك القميص فى يدى يوشع، فلما جاء يوشع بالقميص آخذتـه بنى إسرائيل وقالوا: **قتلت نبى الله**، فقال لا والله ما قتلته لكنه استُل منى " [٥] .

وفى روايات يونانية أخرى نجدها تشير إلى أن أوديب ظل بعد موته روحا هائمة **تنتقل مرتحلة مـن مكان إلى مكان**، وهو ما نظنه قد حدث بتوسيد موسى / أوديب / إخناتون فى التابوت بعد مقتله وحمله معهم فى شكل قيادة رمزية عبر ارتحالات طويلة انتهت بالوصول إلى جبل نبو على مشارف كنعان الشرقية.

لقد كانت فتنة العجل الذهبى النهاية المنطقية والعاجلة لتحالف مؤقت بين فريقين متناقضين، إخنـاتون وعقيدته الآتونية وأتباعه من مصريين والبدو الأسرى فى حواريس وهم من عرفوا باسم بنى إسرائيل، وعلى الطرف الآخر يهوذيين هكسوس طردوا من مصر وسكنوا أورشليم وعادوا إليها فى غزوة ثانية تحالفـا مـع ملكها المخلوع، كان الطرفان شديدا التناقض بين فرعون يمجد ربا واحداً هو الشمس آتون، وبين مجموعات بدوية دموية همجية تعبد عدداً من الآلهة تتمثل فى تجليات مختلفة أظهرها كان دوما العجل أو الثـور، أمـا

(٣) ابن كثير: البداية .. سبق ذكره، ج١، ص ٢٦٩ .

(٤) نفسه: ص ٢٩٥ ، ٢٩٦ .

(٥) نفسه: ص ٢٩٧ .

رمزه فهو القرون أو الهلال فكانوا قمريين لا شمسيين. ولا مفر من الاعتراف بردة بعض المصريين من الخارجين فى قسوة الصحراء وحاجتهم إلى البروتين الحيوانى أو استسلاما لسيادة العدد الغفير والقوى. وربما كان ذلك العجل قد اتفق عليه من قبل البدو عُبّاد البعل العجل، وبين هؤلاء المصريين الذين كانوا يعبدون قبل آتون تجليات إلهية أبرزها عجل أبيس، ولكن عجل أبيس كان يضع بين قرنيه الشمس، إلا أن إيريك هورنونج يعيد الأمر إلى نصابه ويقول عن هذا القرص أنه " قد فسر مؤخراً على أنه **قرص قمرى**" (٦)

ثم يؤكد أن العجل الذهبى كان بدوره طقسا مصريا، ما وجدناه عند سليم حسن وهو يقول إن الإله أتوم كان يتم تمثيله فى هيئة عجل من الذهب الخالص (٧)

ولم يبق من تأثيرات الآتونية فى صلب العقائد اليهودية إلا ما كان لهم فى بلاد مديان من عقائد متمثله فى إنكار البعث والخلود، حيث أبداً لم يقل إخناتون بعالم خالد فيه بعث وحساب وعقاب وخالف جميع المصريين، وقد قلنا أنه جاء بها من مديان المصرية، وجل ما كان يدعو به العابد ربه آتون.

فلتضمن لى حياة طويلة وسعيدة (٨) .

وهو ذات المبدأ التوراتى نصا ومعنى، الذى ظل سائداً حتى العهود المتأخرة لتظهر تدريجيا مع أنبياء العهد الأخير قبل الميلاد بقرن أو قرنين من الزمان فكرة عالم آخر هو عالم الخلود.

ويؤكد لنا عبد المنعم أبو بكر أن إخناتون نجح فى تحريم ديانة أوزيريس التى تقول بالبعث والحساب والخلود " وهكذا نجح إخناتون فى تحريم ديانة أوزيريس، بل لم يحدث أن ذكر اسمه فى نقش من النقوش التى وردت على جدران مقابر العمارنة، بل لم تعد الصلوات الجنازية توجه إلى آلهة العالم السفلى .. لكنها كانت ترفع إلى إخناتون رأسا " (٩) .

" ويستفاد مما ذكره استرابو عن الأنباط أنهم كانوا لا يحفلون شيئاً بأمر الموتى إذ يقول فى هذا الصدد: ونظرتهم إلى الموتى كنظرتهم إلى الروث لهذا فإنهم يدفنون الموتى حتى الملوك منهم إلى جانب أكوام القمامة " (١٠) .

ثم أبداً لا نجد تفسيراً لذلك العداء الهائل والعظيم الذى تموج به التوراة ضد العماليق سوى أنه أثر مصرى بقى صداه ذكرى تردد كراهية المصريين للهكسوس، وليس كراهية الإسرائيليين للعمالقة. وقد ظل أمر التشدد التوراتى فى كراهية العماليق مثار دهشة شديدة لدى الباحثين حتى الآن، لعدم وجود مبرر واضح له، **لكنه لو كان كراهية مصرية للمحتلين البرابرة، فإن الأمر يصبح واضحا ومنطقيا.**

---

(٦) إريك هورنونج: ديانة .. سبق ذكره ، ص ٢٧٥ .

(٧) سليم حسن: مصر القديمة .. سبق ذكره ، ج١، ص ١٩٨ ، ١٩٩.

(٨) أبو بكر: اخناتون .. سبق ذكره ، ص ٩١ .

(٩) نفسه: ص ٩٠ ، ٩١ .

(١٠) إحسان عباس: تاريخ .. سبق ذكره، ص ١٢٣ .

ولا نجد تفسيراً للقول بخيانة موسى للرب سوى أنها وجهة نظر المنتصر فى الصراع الذى نشب عند جبل حور المقدس التى أرادت أن تجد تبريراً لقتل موسى / إخناتون ونهاية المصرية وبداية اليهودية المستترة. وفيما بعد سنجد الإسرائيليون ينسون تماماً جبل حور المقدس فى سيناء حيث كان الأتون المصرى، ويبدأون فى تقديس موضع آخر هو عاصمة الهكسوس / الخابيرو / يهوذا (أورشليم) وعلى جبل صهيون يقيمون هيكلهم ويضعون فيه تابوت لاشك أنه كان يحمل رفات الفرعون إخناتون وحيث يعتقد أنه المكمن الأزلى ليهوه .

نحن إذن نقول بوضوح إن الكامن فى التابوت بوصفه الرب يهوه (الكائن، الذى لا اسم له) كان هو إخناتون بذاته بعد موته، وفى حياته كان إخناتون فى نظر أتباعه إلها ونبيا فى آن معا. وإذا كان ليهوه اسما خفيا لا يمكن معرفته فكذلك كان إخناتون، فبعد سقوطه عن العرش أصبح لا اسم له، أصبح كائنا دون اسم حسب الشرعة المصرية [١١]، أصبح فعل كينونه To Be فقط، وهو ذات اسم يهوه. وعلينا أن نلاحظ أن أم موسى فى التوراة عندما ولدته لم تعطه اسما، واسمه فقط هو وصف لحالته التى وجدته عليها ابنة الفرعون (ابن الماء). أما كمال الصليبى فقد اكتشف من جانبه أن موسى كان مرة نبيا ومرة إلها.

وانتصر سيت / يهوه، واختفى آتون ولم يبق له من ظل سوى لقب يطلق على يهوه يخاطبه به اليهودى العابد (آدوناى)، ياربى أو ياسيدى.

ويخبرنا أحمد عثمان عن وجود دلالات واضحة فى منطقة سرابيط الخادم بسيناء تؤكد استمرار عبادة الإله آتون زمنا بعد انتهائها فى وادى النيل [١٢]، وغنى عن التذكير أن إخناتون وأوديب نسبت لهما مدتى حكم مختلفة ١٦ سنة و ٢٠ سنة وبينهما فارق ٤ سنوات أضافته الأسطورة اليونانية لمدة حكم إخناتون وهو ١٦ سنة، وهى عندنا السنوات الأربع التى قضاها إخناتون ملكا مخلوعا منفيا فى حواريس حتى وقت الخروج النهائى من مصر، بعد المعركة التى قتل فيها الصبيان سمنخ كا رع وتوت عنخ آمون وهزمت الغزوة الهكسوسية الثانية. ونلحظ بالكتاب المقدس **اختفاء ذكر ألعازر وجرشوم ابنا موسى** تماما بعد عبور جبل سيناء، دون أى توضيح من جانب التوراة لسر هذا الاختفاء الذى أوضحته لنا أسطورة أوديب فيما حفظته من ذكريات عما وقع من أحداث. حيث أكدت مقتل الملكين الصبيين.

ومن جانبه يحيطنا المصرولوجيست هنرى بر وغش أن جماعات كانت تعيش فى شرقى دلتا مصر زمن الخروج، واحتسبهم جماعات فينيقية قرأ الاسم الدال عليهم (الخالو) [١٣]، والتى نراها بالقراءة السليمة (أخلامو) أى الأحلاف، وأن هؤلاء الخالوا فى رأى بروغش خرجوا مع الخارجين تحت عنوان (اللفيف) الوارد بالتوراة. وهم برأينا كانوا الهجمة الهكسوسية الثانية. أما اللفيف فكان إخناتون وحاشيته المصرية والمديانية.

---

(١١) جريفث: الانقلاب الدينى .. سبق ذكره، ص ٤٢ .

(١٢) أحمد عثمان: تاريخ .. سبق ذكره، ج٢، ص ٦٠ .

(١٣) الخشبة رحلة .. سبق ذكره، ص ٢٢٨ ، ٢٤٨ .

ويقول سيجموند فرويد أن دخول بنى إسرائيل إلى مصر لم يشملهم جميعاً، فهناك قسم مـن الأسـباط دخل مصر، وقسم منهم لم يدخلها وبقى فى مواضعه التاريخية بفلسطين، ويرى أن من بقى مقيما بفلسـطين ولم يدخل مصر أولئك الذين استقروا شمالى فلسطين، وهم من استقلوا بعد ذلك عن المملكة الموحدة بعد موت سليمان وأقاموا هناك دولة إسرائيل الشمالية. أما الذين دخلوا مصر وخرجوا منهـا فقـد اسـتقروا جنـوبى فلسطين، وهم من شكلوا عند انقسام دولة سليمان، دولة يهوذا الجنوبية. والمعنى أن الذين لم يدخلوا مصر أبدا هم من شكلوا دولة إسرائيل الشمالية، بينما شكل الخارجون من مصر دولة يهوذا الجنوبية.

وهنا نختلف مع فرويد اختلافا تاما وعلى العكس تماما مما قال، وذلك فى ضوء سيناريو الأحداث الذى رسمناه حتى الآن لأسباب عديدة ستقودنا إلى محاولة رسم طريق الخروج من مصر إلى فلسطين.

السبب الأول والأوضح أن النصف الشمالى أو مملكة إسرائيل كانت تمـوج بعبادات خصـبية عديـدة تلتقى تماما مع العبادات المصرية مما يشير إلى تأثر شديد بمصر خاصة عبادة العجل أبيس ومراكب الشمس وغيرها من ظواهر العبادة الخصبية التى استمرت حتى أيام المسيح وكان تأثيرهـا فـى المسـيحية شـديد الوضوح حتى كادت المسيحية تكون نسخة أخرى معدلة تعديلاً طفيفا لعقائد الخصـب المصـرية المرتبطـة بالإله أو وزير رب الخضرة والخصب. بينما كان النصف الجنوبى (مملكة يهوذا) أقرب إلى البداوة وقامـت به عدة حركات إصلاحية للتخلص من الآثار المصرية على التوالى. والسبب الثانى أننا نعرف من مـانيتون ويوسفيوس أن الهكسوس عندما طردوا من مصر أمام جيوش أحمس قائد التحرير قد اتخذوا طريق حـورس الحربى الشمالى المحاذى للبحر المتوسط حتى وصلوا شاروهين، وحاصر أحمس شاروهين ثـلاث سـنوات وانتهى الأمر بخروجهم من شاروهين إلى جنوبى فلسطين أو ما يشكل المملكة الجنوبية التى عرفت بعد ذلك باسم يهوذا، وأنهم هم من أقام هناك مدينة أورشليم. بينما يشير الكتاب المقدس إلى أن الخروج الإسـرائيلى قـد اتخذ طريقا آخر اندفع نحو جنوب سيناء نحو الجبل المقدس حوريب / كاثرين، ثم اتخذ سـاحل العقبـة الغربى وعبر من شماله عند إيلات وعصيون جابر جنوبى آدوم ليقوم بالتـفافة كبـرى عبر البادية الأردنية الآن لينتهى عند رأس البحر الميت شرقى نهر الأردن ومن هناك تم غزو الشمال الفلسـطينى بعـد عبـور الأردن عند أريحا.

وهكذا نجد أن الذين خرجوا من مصر متأثرين بثقافتها هم من استقروا شمالا، أما يهوذا أو العبيرو أو الهكسوس هم من استقروا جنوبا، وبعد موت سليمان أقام الشماليون مملكة إسرائيل وعاصمتها السامرة، وأقام الجنوبيون مملكة يهوذا وعاصمتها أورشليم.

وقد لاحظ الباحثون اضطراب خط الخروج الإسرائيلى عبر سيناء ما بين طريق حورس الحربى ومـا بين الطريق الجنوبى، فقالوا بخروجين لبنى إسرائيل، واحد من عند صان الحجر عبـوراً جنـوبى بحيـرة المنزلة يلتزم ساحل المتوسط حتى يدخل فلسطين من جنوبها، وخروج عبر وادى طميلات ثم نـزول خـط السير جنوبا نحو الجبل المقدس ثم عبور شمالى العقبة عبر آدوم وموآب وعمون وعبور الأردن من شـرقيه إلى غربيه. بينما تتضح المسائل وفق نظريتنا فيكون الهكسوس اليهوذيون العبيرو هم مـن اتخـذوا طريـق

الشمال عند طردهم، بينما اتخذ الخارجون تحت ما يسمى خروج بنى إسرائيل طريق وادى طميلات وجنوبى سيناء حتى شرقى الأردن والعبور إلى أريحا. ويكون هذا خروج وذاك آخر. وهو موضوع بحث الأبواب التالية من هذا العمل. أما الآن فسنعرض لخط سير بنى إسرائيل الخارجين من مصر عبر سيناء، بعد عبورهم البحر المفلوق (سوف) بالعصا المعجزة، لتدقيق المواضع التى مروا بها فى محطات حل وترحال .

وعلى الترتيب سار خط السير كالآتى :

- الخروج من بحر سوف مباشرة إلى صحراء برية شور (خروج ١٥ / ٢٢)، وهو اسم الساحل الشرقى للبحر المفلوق ويؤدى إلى بداية الطريق السينائى. ومعلوم أن (إيل) أو كبير الأرباب السامى الذى حل محله يهوه السينائى، كان يلقب باللقب (هـ – شور) أى الثور، وهو مايفسر لنا القرنين فى اللوحة التى قدمناها لفرعون يتلقى الشريعة من الإله يهوه، وكيف صورت اللوحة هذا الإله يلبس قرنين أو ذى قرنين. وتقابل هذه الكلمة فى الأرامية Tor وفى الأكادية والعبرية Shor وفى الأوغاريتية الحورية وت ر وفى الحبشية سور وفى اللاتينية Taurus وفى اليونانية Touros وفى اللتوانية Tauras . المهم فى كل هذا ما يقوله على الشوك: " والعلاقة واضحة بين كلمة ثور والفعل ثار .. وتقابل **ثار** العربية شاور العبرية وتعنى: يثب، قفز، يقوى، وهناك كلمة سار العربية بمعنى مشى وتقابلها شور العبرية وتعنى: يدور، يسافر، ويمكن ذكر كلمة **السور** أيضاً ومثلها شور العبرية وتفيد المعنى نفسه " [١٤] . وهنا نتذكر أن آخر مدينة شرقية فى مصر كانت تحمل اسم (ثارو) فى المدونات المصرية، وأنها كانت مخرج جميع حملات مصر على آسيا، وأنها كانت أول الطريق نحو سيناء، وأنها كانت قلعة ذات أسوار عظيمة، وأنها والأهم تنطق فى العبرية (شور). لقد كانت ثارو أوسيلة هى أول مدائن الخروج بعد عبور البحر المفلوق، مما يعنى وجوب البحث عن هذا البحر المفلوق عند مدينة شور أو ثارو، وهو ما يعنى أيضاً أن هذا البحر يجب أن يكون فى عمق الدلتا المصرية، وليس على حدودها الشرقية تماما، وهو ما سنجِّد فى البحث بشأنه فى الأبواب المقبلة.
- تحرك الركب بعد ذلك فى مسيرة استغرقت ثلاثة أيام بلغوا بعدها موضعا باسم مارة " فجاءوا إلى مارة، ولم يقدروا أن يشربوا ماء من مارة لأنه مر لذلك دعى اسمها مارة، فتذمر الشعب على موسى قائلين: ماذا نشرب؟ فصرخ إلى الرب، فأراه شجرة فطرحها فى الماء فصار عذبا / خروج ١٥ / ٢٢ – ٢٤". وبعد رحلتنا المعذبة الشاقة وراء مواضع الخروج أمكننا افتراض أن الموضع مارة هو موضع البير المرة الآن أو جبل مر وتقع داخل سيناء إلى الشرق من مدينة السويس الحالية.

ومن المناسب هنا أن نعلم أن تلك المعجزة التوراتية أمر اعتيادى تماماً يمارسه الأهلون هناك حتى الآن، فمعلوم أن بعض الآبار في الصحراء تحتوى على كبريتات الكالسيوم التى تجعل الماء مر المذاق، وأنه إذا أضيف لتلك المياه حمض الاكساليك تعادل التركيب واختفت المرارة، ولم يزل بدو

---

(١٤) على الشوك: جوله .. سبق ذكره، ص ١٠١ .

سيناء حتى اليوم يستخدمون أغصان شجرة اسمها (ألواح) تحتوى على حمض الاكساليك لإزالة مرارة الآبار، بحكم التجربة المكتسبة خلال الأجيال.

- ارتحلوا من ماره إلى منطقة اسمها إيليم وصفتها التوراة بأنها غنية بالنخل وبالعيون (خروج ١٥ / ٢٧)، وهو الأمر الذى يمكن احتسابه منطقة عيون موسى الحالية جنوب شرقى السويس.
- ارتحلوا من إيليم ونزلوا على ساحل بحر سوف، وهو ما يعنى أنهم كانوا يلتزمون الطريق المحاذى لشرقى خليج العرب / السويس.
- عادوا من ساحل بحر سوف إلى الصحارى مرة أخرى ليعمقوا بالداخل إلى منطقة باسم برية **سين** (خروج ١٦ / ١)، المحتمل أنها المعروفة الآن باسم جبل **سن** البشر. وهناك يعانى الخارجون من الجوع رغم ما نعلمه من وجود السوائم معهم، وفسرناه بأوامر بعدم أكل اللحم، لذلك كان اعتراض الخارجين على موسى وهارون يقول: " ليتنا متنا بيد الرب فى مصر، إذ كنا جالسين عند قدور اللحم نأكل خبزاً للشبع، فإنكما أخرجتمانا إلى هذا القفر لكى تميتا كل هذا الجمهور بالجوع / خروج ١٦ / ٣ ". وهنا تأتى معجزة جديدة تستمر مدة طويلة تتمثل فى طعام المن وطيور السلوى التى قدمنا بشأنها التفسير، ونضيف هنا ما اكتشفه بودينسها يمر عام ١٩٢٧م فى سيناء لصنف من الإثل يفرز فى الربيع سائلا حلو المذاق، سرعان ما يجف ويتحول إلى كرات بيضاء تشبه حبات البرد فور تعرضه للهواء، **وإذا حرق يعطى تبخيراً طيب الرائحة**. وحتى اليوم ينطلق بدو سيناء مع بداية الربيع فى جماعات كبيرة لجمع تلك الكرات، وبإمكان الشخص الواحد أن يجمع حوالى كيلو ونصف جرام فى اليوم، وهى كمية كافية لتغذية فرد ليوم واحد أو يومين. ويبدو أن موسى كان يعرف القيمة الغذائية لهذا المن (١٥) . أما السلوى فقد عرفناه طائر السمان / الزقزاق / المهاجر .
- ارتحلوا من برية سين إلى موضع باسم دفقه (عدد ٣٣ / ١٢) والتى نحققها بموضع (عين الفوقية) الآن إلى الجنوب من جبل سين البشر، ومن هناك ارتحلوا إلى موضع باسم الوش (عدد ٣٣ /١٣) لم نتمكن من تحقيقه. وإن كنا نظنه موقع سرابيط الخادم الآن.
- ارتحلوا من الوش إلى رفيديم (عدد ٣٣ / ١٤)، وقد عثرنا إبان رحلتنا التنقيبية على ثلاثة مواضع باسم رفيه، فهناك على التجاور وادى رفية وجبل رفية وبئر رفية وجمعها العبرى (رفيديم)، وتقع هذه الرفيات أو رفيديم فى صحراء الطور إلى الجنوب الشرقى من وادى مكتب ووادى فيران. وهناك تحدث مشكلة عدم وجود الماء مرة أخرى، فنجد أعجوبة أخرى لم تزل إلى الآن من الأمور الاعتيادية، فيضرب موسى الأرض بعصاه فتنبجس بالمياه عيونا (خروج ١/١٧)، وبدو اليوم يمارسون ذلك ايضاً لأنهم يعلمون أن مياه الأمطار تتجمع عند سفوح الجبال تحت شريط رملى متماسك، وهو التماسك الذى ينشأ من رطوبة الماء تحت الرمل، ويكفى فى هذه الحال طرقه بأداه صلبة لتنبجس المياه من تحته.

---

(١٥) كاسيدوفسكى الواقع والأسطورة .. سبق ذكره، ص ١١١ ، ١١٢.

وعند رفيديم تأتي جماعات العمالقة لتدخل معركة مع الخارجين ينسحب العمالقة بعدها.

- يرتحلون من رفيديم إلى برية سيناء (خروج ١٩ / ١) ليجدوا جبل سيناء يرتجف بالزلزلة والـدخان والنار (خروج ١٩ / ١٨)، ويبدو أن المصريين كانوا قد أقاموا هناك تمثالا عظيمـا مـن الفيـروز (الحجر الأزرق الصافى وهو من أحجار سيناء المشهورة)، ربما كان للإله حور أو للإله سـيت، لأن نص التوراة يحدثنا عـن كون موسى أخذ معه سبعين من شيوخ إسرائيل وصعد بهم الجبل ليشاهدوا رب البركان، ربهم، لأن جبل سيناء هو جبل الله حوريب المقدس، وتقول التوراة: " ثم صعد موسـى وهارون وناداب وأبيهو وسبعون من شيوخ إسرائيل ورأوا إله إسرائيل، تحت رجليه شبه **صنعه** من العقيق الأزرق الشفاف وكذات السماء فى النقاوة، ولكنه لم يمد يده إلى أشراف بنى إسرائيل، فـرأوا الله /خروج ٢٤/٩-١١".

وفى موقع برية سيناء / جبل الله حوريب / كاترين وموسى الآن / يصعد موسى الجبل وسـط ضباب البركان ليأتى بألواح الشريعة المكتوبة بإصبع الله، ويغيب هناك أربعين ليله يـزوغ أثناءهـا الخارجون عن ربهم ويعبدون العجل الذهبى الذى صنعه هارون ويرقصون حوله عـراه، فيغضـب موسى ويكسر الألواح، ويضربهم يهوه بالموت فى تبعيرة ومسه وقبروت هتأوت، على مسيرة ثلاثة أيام من الجبل (عدد ١٠ / ٣٣). وفى ذات المواقع يأتى الأمر الإلهى بصناعة تابوت العهـد الـذى سينزل الرب ليسكن فيه ويحملونه معهم فى ارتحالاتهم. ونظننا قد تمكننا من تحقيق موضع قبـروت هتأوت أى المقابر بموقع بئر الرقبة وجبل البرقة الآن إلى الشمال الشرقى من جبل كـاترين علـى الجانب الأيسر لخليج العقبة.

- بعد ذلك يصل المرتحلون إلى محطة باسم حضيروت (عدد ١١ / ٣٥) وهناك تذمر مـريم وتحمـل حملتها هى وهارون على موسى اعتراضا على زواجه من امرأة كوشيه زنجية، وهو ما أغضب يهوه على مريم فأصابها بعدوى البرص (عدد ١٢ / ١ – ٩). وقد أمكننا تحقيـق حضـيروت بموضـع الحضيرة الآن شمالى جبل البرقة وجنوبى وادى وتير الحالى .
- يمرون بعد ذلك بعدد من المواقع أمكننا تدقيق بعضها ولم نتمكن من تحقيق أغلبها وهى على الترتيب: رثمه (عدد ٣٣ / ١٨)، ثم رمون فارص (عدد ١٩/٣٣)، ثم لبنه (عدد ٣٣ / ٢٠)، ثم رسه (عـدد ٣٣ / ٢١)، ثم قهيلاتة (عدد ٣٣ / ٢٢) وربما كانت هى وادى القهلت أو القلت الآ ن بـين إيـلات والثمد. ثم جبل شافر (عدد ٣٣ / ٢٣) ثم حراده (عدد ٣٣ / ٢٤) ثم مقهيلوت (عدد ٣٣ /٢٥) ثـم تاحت (عدد ٣٣ / ٢٦) ثم تارح (عدد ٣٣ / ٢٧) ثم متقه (عدد ٣٣ / ٢٨) ثم حشمونه (عـدد ٣٣ / ٢٩) ثم مسيروت (عدد ٣٣ / ٣٠) ثم بنى يعقان: ثم حور الجد جاد (عدد ٣٣ / ٣٢).

والواضح أن كل تلك المراحل من خط السير كانت تقع على الساحل الغربى لخليج العقبة لأنها تنتهى عند قمة خليج العقبة فى موضع باسم يطبات (عدد ٣٣ / ٣٣) ويوجد بهذا الا سم عـدد مـن المواقع هناك مثل طوبيه وطابا ويطبات، والأغلب أن المقصود بها طوبيه إلى الجنـوب مـن قمـة الخليج ببضعة أميال، لأنهم بعد ذلك يمرون بموقع عبرونه (عدد ٣٣ / ٣٤) ثم ميناء عصيون جابر

الذى تذكره التوراة باعتباره يقع على بحر سوف بجوار أيله (إيلات) الميناء المعروف علـــى خلـــيج العقبة (عدد ٣٣ / ٣٥ وتثنية ٢ / ١).

- ويبدو أنهم كانوا فى مبدأ الأمر يريدون الوصول إلى نقطة حصينة تسمح بإيواء هذا العدد الغفير جنوبى فلسطين حتى يقروا قراراهم بدخول فلسطين من جنوبها أم من شرقها، وكانت تلك المنطقة المختارة هى قادش برنيع / عين مشفاط عدد ٣٣ / ٣٦ التى تم تحقيقها بعين قديس الحالية عند برية صـــين وبريـــه فاران اللتان حققناهما ببرية تسين وبرية باران الحاليتين. ومن قادش بعد ثمان وثلاثين عامـــا تخللتهـــا صراعات واتفاقات بين أهل مديان وبين الخارجين، تقرر عبور بلاد آدوم من عند العقبـــة وعصـــيون جابر دون أية صراعات أو معارك، مما يشير إلى التحالف القرابى بين الجميع، ومن هناك يعبرون بلاد موآب ثم عمون إلى جبل نبو شرقى الأردن مقابل أريحا، حيث تزعم التوراة موت موسى هناك (عـــدد ٣٣ / ٤٧)، وكان هارون قد مات قبله ودفن فى جبل هور (عدد ١٤ / ٢٢) الذى يحمل أيضاً اسم جبل موسير (تثنية ١٠ / ٦). وبعدها يقودهم يشوع عابراً نهر الأردن من شرقيه إلى غربه لفتح فلسطين بادئاً بأريحا.

وهنا تحكى لنا التوراة عن معجزة جديدة بطلها هذه المرة يشوع بن نون خليفة موسى، فقد كانت أريحا قلعة حصينة يحيط بها سور قوى منيع يقف عقبة كؤد إزاء أى طامع، وهنا تروى التـــوراة أن يشـــوع قـــام بعملين معجزين الأول عند عبور نهر الأردن والثانى عند اقتحام أريحا.

والمعجزة الأولى هى تكرار لمعجزة فلق البحر الموسوية، فقد أمر يشوع باختيار اثنى عشـــر رجـــلاً يمثلون الأسباط ليحملوا تابوت العهد على أكتافهم ويخوضوا به فى ماء الأردن، وعندما فعلوا ذلك " وقفـــت المياه المنحدرة من فوق، وقامت نداً واحداً بعيداً جداً عن آدام المدينة التى إلى جانب صرتان، والمنحدرة إلى بحر العربة (البحر الميت/ المؤلف) بحر الملح، انقطعت تماما وعبر الشعب مقابل أريحا / يشوع ٣ / ١٦ ، ١٧ ".

ولو افترضنا أن ذلك قد حدث فإن تفسيره شديد السهولة واليسر وقائم حتى الآن، لأن مدينة آدام التـــى يشير إليها النص هى داميح الحالية على بعد خمسة وعشرين كيلو مترا إلى الشمال من أريحا. وهـــى التـــى تضع بيدنا مفتاح التفسير، لأن معنى ذلـــك أن يشوع لم يعبر مباشرة برجاله من أمام أريحا إنما اختار هـــذه النقطة البعيدة بمسافة خمسة وعشرين كيلو متراً إلى الشمال ليعبر منها النهر. والسبب أنه عند داميح / آدام يضيق مجرى الأردن بين جدارين من الأرض، ويغلب على تركيب الجدارين الجير مع الطين الهش. وهناك ودوما تحدث انهيارات مفاجئة مع أى قلقلة أو اهتزازات أرضية، وكان آخر الأحداث من هذا النـــوع عـــام ١٩٢٧م عندما توقف ماء الأردن وانقطع عند هذه النقطة لمدة أربع وعشرين ساعة كاملـــة نتيجـــة انهيـــارا جرف داميح [١٦]، وكثيراً ما عجبنا لماذا أمر يشوع رجاله جميعا. حسب رواية التوراة – بالاصطفاف فـــى

(١٦) نفسه: ١٥٨ .

هذه النقطة مع دق الأرض بالأقدام دقات عسكرية شديدة، كانت كافيه لزلزلة الجرف وانقطـاع مـاء النهـر وحدوث المعجزة.

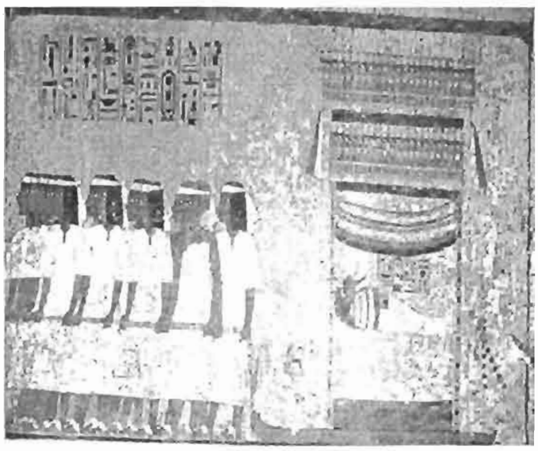
أما المعجزة الثانية فكانت حول حصون أريحا عندما أمر يشوع رجاله قائلاً: " تدورون دائرة المدينـة سبع مرات والكهنة يضربون بالأبواق، ويكون عند امتداد قرن الهتاف عند استماعكم صوت البوق، أن جميع الشعب يهتف هتافا عظيما فيسقط سور المدينة في مكانه / يشوع ٦ / ٤ ، ٥ ".

وإن المرء ليسأل نفسه فى دهشة عن الحكمة فى دوران جيش هائل حول مدينة محصنة مطمئنة سـبع مرات، والكهنة ينفخون الأبواق، والجيش يهتف بصوت عال قوى، وعلاقة هذا كله بسقوط السور المفـاجئ، اللهم إلا إذا كان هذا كله لإلهاء حراس الأسوار وإلقاء الرعب والذعر بين سكان أريحا، مع التغطيـة علـى عمل عسكرى حقيقى يتم تحت ستار من الهرج والمرج والأصوات المفزعة فى خفاء الغبـار الـذى يثيـره دوران المهاجمين حول القلعة.

ونحن نعلم من نقوش الرافدين القديم أن الآشوريين قد ابتدعوا أسلوباً فريداً لتفجير الأسوار الحصـينة قبل اكتشاف النار اليونانية / البارود، فكان المهاجمون يشغلون المدافعين بالأصوات والحركات التى لا تعنى شيئاً بينما يتسلل بعض الفدائيين ويحفرون حفراً طويلة عميقة تحت الأسوار، يضعون فيها جـذوع أشـجار سريعة الاشتعال، تتفسخ وتفرقع عند إضرام النيران فيها فتنهار الأسوار [١٧]. وهكذا فتح الخارجون أريحا.



الإلهات الحامية للتوابيت المصرية حولوا إلى كروبيين
شكل رقم (١١١)



الموكب الجنائزى فى قاعة دفن توت عنخ آمون (الكهنة يسحبون التابوت)
شكل رقم (١١٠)

(١٧) نفسه: ١٥٩ .

الجزء الرابع

جغرافية الخروج

مدينة رعمسيس

ذلك اللغز الكبير!؟

كان آخر ملوك الهكسوس على مصر هو الملك أسيس الملقب بلقب أبو فيس الثانى، وذلك حسبما ورد عند يوسفيوس نقلا عن المصرى مانيتو، وهو ما طابق قائمة الملوك المعروفة باسم بردية تورين. وهو الملك الأخير من الحكام الأجانب وقلنا أنه قد بدأت الثورة ضده من طيبة بقيادة الملك سقننرع وولديه كامس ثم أحمس، كما زعمنا أن الفصيل الإسرائيلى ضمن التحالف الآدومى الكبير، قد دخل مصر زمن الملك أسيس تحديداً. وأن قصة يوسف والسبع سنوات العجاف قد وجدت ترديد صداها لدينا فى تحويل فراعنة طيبة لمجرى نهر النيل عند التفافه منحنى قنا الحالية. وحسب القصة التوراتية تمكن يوسف ببراعة إسرائيلية من الوصول إلى الحظوة الملكية فصار وزيراً لخزانة الهكسوس فى مصر. ثم تمكنت الثورة المصرية من الإطاحة بالاحتلال، ليقلب الزمان لبنى إسرائيل وجهاً آخر، تمثله بصدق – وتطابق على صدقنا آيات – التوراة إذ تقول:

> ثم **قام ملك جديد على مصر لم يكن يعرف يوسف** ..
> فجعلوا عليهم رؤساء تسخير لكى يذلوهم بأثقالهم، فبنوا
> لفرعون مدينتى مخازن: **فيثوم ، ورعمسيس** .
>
> خروج ١ / ٨ ، ١١

النص يقول إن ملكاً جديداً قد قام على حكم مصر، وهو أمر طبيعى، وربما يعنى موت الملك السابق أسيس ومجيئ ملك جديد، لكن النص هنا يحمل دلالات أخرى، لأنه لو كان الأمر قد سار على الوتيرة المنطقية للأحداث لكان ضروريا أن يعرف الملك الجديد الذى نشأ بالبلاط وعاينه وارتقى فيه المناصب، من هو يوسف ومن هم أهله؟ خاصة أن يوسف كان يشغل أحد أهم المناصب الكبرى فى الدولة. لكن النص يقول إن هذا الملك الجديد ليس فقط لم يكن صاحب علاقة مباشرة بيوسف، أى أنه جاء من خارج البلاط الحاكم المعروف ليوسف حينذاك، بل جاء وهو يحمل ليوسف وأهله ضغينة شديدة فاستعبدهم وسخرهم فى بناء مدينتين للمخازن الأولى باسم فيثوم والثانية باسم رعمسيس.

لقد قالت التوراة ذلك قبل اكتشاف حجر رشيد وفك رموز اللغة الهيروغليفية بقرون بعيدة، لكننا قد أصبحنا نعرف الآن من علوم المصريات الحديثة مصداقية تلك التسميات، لأن فيثوم هى (بر – آتوم) أو بالنطق الملتبس بالسامى (بى – توم) بإسقاط حرف الراء المعترض والثقيل، و(بر) أو (بى) أو (فى) تعنى المقر أو البيت أو المعبد أو المسكن أو الفم أو المصب أو أول الطريق أو نهايته فهى دلالة مكانية على الإطلاق، فهى بهذا المعنى تصبح (مقر آتوم) وآتوم هو الإله المصرى المعلوم الشأن، هكذا أخبرنا أصحاب

علم المصريات عن مدينة (فيثوم) أو (بى توم). أما (رعمسيس) فهى لاشك تلك التى كشف عنها علم المصريات الحديث فى المدونات المصرية التى تذكرها باسم (بررعمسيس) أو (بى رعمسيس) أو (بى رعمسه) بحذف (ى س) وهو التصريف اليونانى المعلوم للأسماء، و (رع مس يس) هو اسم لسلسلة من الفراعين حكموا مصر بدءاً من الأسرة التاسعة عشرة باسم سلالة الرعامسة، وبإسقاط حرف (ع) بالتخفيف يصبح الاسم هو (رمسيس) المتداول حتى الآن كمسمى بين المصريين الأقباط بالذات. وإن أكد لنا المصرولوجيون أن مدينة رعمسيس يجب أن تنتسب تحديداً للفرعون العظيم المحارب وعاشق المعمار الذى لم يترك مقاطعة فى مصر إلا وترك فيهما أثاراً باسمه والمعروف باسم (رمسيس الثانى) وهو والد الفرعون مرنبتاح صاحب لوح إسرائيل المشهور. وبسبب ذلك اللوح تم استنتاج أن رمسيس الثانى كان هو فرعون الاضطهاد الذى سخر الإسرائيليين الأسرى بمصر فى أعماله الإنشائية الكبرى، أما ولده مرنبتاح فكان هو فرعون الخروج الإسرائيلى من مصر زمن النبى موسى.

لكن من جانبنا قد وضعنا فرضا دعمناه بالقرائن والبراهين أن هذا الخروج قد حدث تحديداً مع لحظة سقوط الفرعون آمنحتب الرابع المعروف باسم إخناتون، قبل أول أيام حكم رمسيس الثانى بما يزيد على ستين عاما من الزمان وبما يزيد على بدء حكم مرنبتاح بحوالى ١٢٦ عاما، وتصبح تسمية مدينة الاضطهاد باسم رعمسيس مشكلة حاول أن يحلها أحمد عثمان بنسبة المدينة إلى الضابط رعمسيس بعد أن رفض النظرية التى تربط بين الاستعباد وبين رمسيس الثانى، والضابط رمسيس الذى يقصده هو رمسيس الأول الذى تولى مناصبه زمن العمارنة ثم حكم بعد سقوط أسرة العمارنة وانتهاء حكم حور محب مؤسس الأسرة ١٩. لكنه فى رأينا كان حلا شديد العسف والتكلف، لأنه من الصعب تصور مدينة مصرية كبرى تنسب فى نشأتها واسمها إلى ضابط صغير لم يكن متوقعاً ماذا سيكون مستقبله حين نشأتها. ومن ثم نتصور من جانبنا أن ما حدث هو أن المحرر التوراتى قد ذكر المدينة بالاسم الذى كان قد استقر وأصبح مشاعا معلوما حتى زمن تدوينه ذلك النص، وهو ما ذهب إليه باحث رصين مثل فراس السواح إذ يقول: " فى الحقيقة إن أرض رعمسيس ومدينة رعمسيس مما ورد ذكره فى سفر الخروج مسألة لايمكن الاعتماد عليها فى تحديد زمن الخروج، لأن المحرر التوراتى قد استخدم اسم أرض رعمسيس فى الإشارة إلى منطقة الدلتا منذ أيام يوسف أى قبل بناء مدينة رعمسيس بحوالى خمسمائة سنة [أى قبل زمن رمسيس الثانى بفرض أنه هو بانى المدينة / المؤلف]. وهذا يعنى أن المحرر التوراتى الذى كان يكتب سفر الخروج فى فترة متأخرة من الألف الأول قبل الميلاد، قد **استخدم الاسم الذى يعرفه لمنطقة الدلتا بصرف النظر عن ارتباط هذا الاسم بفترة تاريخية معينة** ". (١)

وبهذا المعنى أجرى (روبنسون) أبحاثه وانتهى إلى القول: " لعل ذكر بيثوم Pithom ورعمسيس **تفسير متأخر من كتاب القصة، وأن القصة فى صورتها الأصلية لم تسم هذه المدن** " (٢) .

(١) السواح: أرام .. سبق ذكره ، ص ٧٥ .

(٢) روبنسون: إسرائيل فى ضوء .. سبق ذكره، ص ١٠٧ .

وبالفعل فإنك تجد تسمية رعمسيس لموضع سكنى الإسرائيليين بمصر يبدأ مبكراً جداً وليس متأخراً مع الاضطهاد وظهور موسى، فقد كانت المدينة موجودة زمن يوسف، وزمن الدخول إلى مصر. وإذا كنا قد أكدنا أنه دخل زمن الهكسوس فهو ما يعنى أنه دخل عاصمة الهكسوس المصرية حواريس قبل أن يحكم مصر أى فرعون باسم رمسيس، لكن المحرر المتأخر عندما كتب القصة كتب اسم المدينة المتداول (رعمسيس) وهو الاسم الذى كان متداولاً حتى عهده، وهو ما يعنى أن **رعمسيس هى ذات عين حواريس الهكسوسية**، والنص المقصود هو الذى يقول:

فأسكن يوسف أباه وإخوته وأعطاهم ملكا فى أرض
مصر، فى أفضل أرض مصر، فى أرض **رعمسيس،**
كما أمر فرعون.

تكوين ٤٧ / ١١

هذا عن الترجمة العربية عن النص العبرى المازورى، أما النص السبعونى اليونانى فيورد ذات الكلام مطابقا مع اختلاف وحيد لكنه تأسيسى فى كلمة واحدة هى اسم المدينة التى سكنها الإسرائيليون فى مصر، فبدلا من رعمسيس تأتى التسمية اليونانية (هيروبوليس) والتى تترجم عادة ترجمة اعتباطية بمعنى (مدينة الأبطال). فهل كانت مدينة حواريس الهكسوسية هى بالتحديد التى حملت بعد ذلك اسم مدينة رعمسيس وأطلق عليها اليونانيون اسم هيروبوليس؟ أم أن هذه غير تلك غير الأخرى؟ هذا لغز أول حول التسمية، ناهيك بعد ذلك عن تحديد الموضع الجغرافى التدقيقى، وفيه من الفروض والأقوال مالم يلتق أبداً مع بعضه البعض.

والتوراة تضع مدينة رعمسيس وجارتها مدينة فيثوم أوبى توم كمدن رئيسية ضمن مقاطعة كبيرة تسميها جاسان فتقول:

وسكن إسرائيل فى أرض مصر فى أرض **جاسان،**
وتملكوا فيها وأثمروا وكثروا جداً

تكوين ٤٧ / ٢٧

ثم لتزيدنا التوراة التباسا تعطينا اسما آخر للمدينة التى سكنها الإسرائيليون بمصر هو كما فى النصوص:

قدام آبائهم صنع أعجوبة فى أرض مصر، بلاد
صوعن. شق البحر فعبرهم ونصب المياة كند .. جعل

في مصر آياته وعجائبه فى بلاد **صوعن** .

مزامير ٧٨ / ١٢ ، ١٣ ، ٤٣

وهنا لا ندرى هل تقصد التوراة بصوعن مدينة رعمسيس أم مدينة فيثوم، والمشكلة أن اسم صـــوعن هذا كان فيما يبدو اسما قديما لإحدى المدينتين، فقد ورد فى قصة التوراة زمن إبراهيم، وهو زمـــن تواجـــد الهكسوس على سدة العرش المصرى، فيقول النص:

وأما حبرون فبنيت قبل **صوعن مصر** بسبع سنين .

عدد ١٣ / ٢٢

ونحن قد علمنا فيما أسلفنا أن حبرون هى الخليل اليوم، وأنها كانت أحد المقار الرئيسية للعمالقة، ذلك الفرع الأعظم فى حلف الهكسوس، وهو ما يمكن أن يستنتج منه أن الهكسوس قد غزوا مصر وأنشأوا مدينة صوعن بعد تأسيسهم مدينة حبرون بسبع سنين، بعد أن استقرت لهم الدولة الكبرى فى بلاد شرقى المتوسط.

وعليه فقد **استُعبد الإسرائيليون فى بناء مدينتين الأولى باسم رعمسيـــس والثانية باسم فيثوم، وأن أحدهما كانت تحمل اسم صوعن، والترجمة السبعونية تستبدل مدينة رعمسيس باسم هيروبـــوليس، وأن كلا المدينتين كانتا تقعان ضمن مقاطعة كبيرة باسم جاسان.**

ولتضييق مساحة البحث عن مقاطعة أو إقليم جاسان نقول إنها لابد تقع فى أطراف الدلتا الشرقية على البوادى المتصلة مع سيناء، وأنها لا تبعد عن حدود مصر مع سيناء أكثر من سفر يوم واحد وهو الزمن الذى استغرقه يوسف ليغادر القصر الحاكم ليستقبل والده وأهله على الحدود.

والآن نبدأ بعرض ما وقعنا عليه من أهم المحاولات العلمية لتحديد تلك المواقـــع الجغرافيـــة علـــى خريطة دلتا مصر الشرقية، لنرى إلى أى حد تضاربت الآراء حول تحديد مواطن سكنى الإسرائيليين بمصر، وحول أشهر مدينتين مصريتين فى التاريخ التوراتى .

أهم نظريات الخروج

نظرية عالم الحملة الفرنسية (دى بوا – إيميه)

لم يكن لدى ذلك العبقرى الفذ سوى شذرات متناثرة مما ورد فى تآريخ المؤرخين الكلاسيك وبخاصة يوسفيوس الذى نقل عن مانيتو المصرى، إضافة إلى رواية التوراة، ولم يكن هناك أدنى معرفة علمية بمصر القديمة سوى الذكريات الباهتة التى اكتسبت كثيرا من الإضافات والحذف، ولم يكن حتى حجر رشيد مفتاح اللغة المصرية قد اكتشف بعد حين سجل الرجل نظريته الفريدة والرائعة حقا.

ولأن رواية مانيتو تقول بفتنة شخص اسمه أوزرسيف زمن فرعون باسم أمنوفيس / آمنحتب فقد قام (دى بوا إيميه) بمزج ما وصله من تآريخ الكلاسيك القدماء برواية التوراة ليضع سيناريو للأحداث مصدقا بالتوراة، وأن موسى قد ولد بين الإسرائيليين المستعبدين فى مصر، وألقت به أمه فى اليم زمن الفرعون آمنحتب ليجرفه التيار إلى قصر الفرعون، فتنقذه ابنة الفرعون وتحسن إليه وتتبناه وتأمر بتعليمه كل حكمة المصريين وعلومهم. فنشأ موسى نشأة مصرية كاملة، لكن يبدو أن تلك التى تبنته قد ماتت ففقد الحماية، ثم فى لحظة غضب قتل مصريا فطارده القصاص القانونى المصرى، فهرب إلى عرب مديان عند خليج العقبة. وهناك عند جبل حوريب المقدس جبل الإله حسب نص التوراة، واصل التأمل ليضع خطة كبرى لمشروع عظيم، وعندما علم بموت الفرعون آمنحتب قرر العودة إلى مصر، وذهب يدعو بنى جلدته المستعبدين هناك للهروب من تلك العبودية إلى آفاق الحرية. وبسبيل ذلك ابتدع للفرعون قصة مختلقة وهى أنه مع شعبه لديهم مناسبة مقدسة سنوية، يذبحون فيها حيواناً مقدسا لدى المصريين، لذلك يحتاجون إلى مغادرة المدينة إلى الصحراء لمدة ثلاثة أيام يقيمون فيها احتفاليتهم ثم يعودون، بينما كان موسى يضمر الهروب بشعبه. كان يريد مجرد الخروج الآمن من المطاردة بتلك الحجة، وأن الأيام الثلاثة كفيلة بقطع مسافة تجعل اللحاق بهم صعبا عندما يكتشف المصريون الخدعة. لكن الفرعون (فيرون ابن سيزوستريس) رفض ذلك، فى الوقت الذى تصادف فيه حدوث بعض الكوارث الطبيعية فى مصر، فتطيّر الفرعون شراً وتصوره غضبا إلهيا بسبب عدم إطلاقه الإسرائيليين فدعا موسى وهارون وأعطاهما تصريحا بالخروج [1]، أو بحسب النص التوراتى :

---

(١) دى بوا إيميه: الدراسة السادسة والسابعة من كتاب وصف مصر ترجمة زهير الشايب، مكتبة الخانجى، القاهرة، ١٩٨٤ ، ج٣، ص ٣٢٧ : ٣٦٧ .

فدعا (أى فيرون ابن سيزوستريس/ ولاحظ أن آمنحتب هنا اسمه سيزوستريس كما سبق واستنتجنا) " فدعا موسى وهارون ليلا وقال: قوموا **اخرجوا** من بين شعبى أنتما وبنى إسرائيل جميعا، اذهبوا واعبدوا

الرب كما تكلمتم، خذوا غنمكم أيضاً وبقركم كما تكلمتم واذهبوا / خروج ١٢ / ٣١ ، ٣٢ ".

ومن (رعمسيس) مدينة الاستعباد قادهم موسى فى رحلة طويلة نحو فلسطين عبر البوادى السينائية الكبرى، وكانت أول محطة استراحة بعد الخروج من رعمسيس باتجاه فلسطين تلك تذكرها التوراة باسم (سكوت)، أو بنص التوراة :

فاتحل بنو إسرائيل **من رعمسيس إلى سكوت** نحو ستمائة ألف ماش من الرجال عدا الأولاد، وصعد معهم لفيف كثير أيضاً، **مع غنم وبقر ومواشى وافرة جداً.**

خروج ١٢ / ٣٧ ، ٣٨

وبعد ذلك ارتحلوا عبر عدة محطات حتى لحظة العبور الإعجازى من البحر فيما ترويه التوراة قائلة:

وارتحلوا من **سكوت** ونزلوا فى طرف البرية .. وكلم الرب موسى قائلا: كلم بنى إسرائيل **أن يرجعوا وينزلوا أمام فم الحيروث بين مجدل والبحر أمام بعل صفون** .. ومد موسى يده على البحر فأجرى الرب البحر بريح شرقية شديدة كل الليل، وجعل الرب البحر يابسة، وانشق الماء، فدخل بنو إسرائيل وسط البحر .. وتبعهم المصريون فقال الرب لموسى/ مد يدك على البحر ليرجع الماء على المصريين .. فدفع الرب المصريين فى وسط البحر .. **ثم ارتحل موسى بإسرائيل من بحر سوف وخرجوا إلى برية شور**

خروج ٢/١٣ و١٢/١٤،١، ٢٢ ، ٢٦ ، ٢٧ و ١٥ / ٢٢

ويرى دى بوا إيميه أن أرض جاسان بمدينتيها فيثوم ورعمسيس تقع فى النهاية الشرقية لوادى طميلات الممتد من الدلتا نحو الشرق حتى بحيرة التمساح ثم البحيرات المرة. وأن المدينة التى خرجوا منها تقع قرب السبع أبيار على رأس بحيرة التمساح فى موقع تل المسخوطة الحالى، وأنهم ساروا من هناك عدة محطات حتى عبروا البحر من عند منطقة تقع إلى الجنوب من المسخوطة بجوار مدينة السويس الآن على رأس خليج السويس الذى كان يعرف بالخليج العربى حتى زمن دى بوا إيميه. ويرسم لنا سيناريو الأحداث فيقول أن الركب كان متجها فى البداية نحو الطريق المباشر إلى فلسطين، وهو الطريق الذى نعلم اليوم أنه

كان باسم طريق حورس الحربى، لكنه خشى المرور بهذا الطريق فيقترب من فلسطين ويتعــرض لهجــوم مباشر من سكانها، لذلك سار برجاله جنوباً ليخفى – أيضاً – عن المصريين نيتهم فى الهرب وليوهمهم أنــه يبحث فى الصحارى عن مكان بعيد للاحتفال الدينى، فقام يقودهم بالتفافة طويلة نحو بلاد أنسبائه سكان مديان بشرقى سيناء.

ويضع دى بوا إيميه تصوراً لجغرافية المنطقة زمن الخروج، فيرى أن الخليج العربــى / الســويس الآن، كان يمتد زمن الخروج ليلتحم بالبحيرات المرة وبحيرة التمساح حيث السبع أبيار، مدللا على ذلك بعدد وافر من القرائن المفترضة، وأهمها ما جاء فى عرضه التالى:

" يقع الطرف الشمالى للبحر الأحمر (يقصد خليج السويس) على بعد ستة أو سبعة آلاف متــر إلــى الشمال من مدينة السويس. وفيما وراء ذلك ثمة حوض ينتهى بعد حوالى ستين ألف متر إلى الشمال من هذه المدينة، ويبلغ أقصى اتساع لهذا الحوض ١٢ : ١٥ ألف متر، ويضيق كثيراً عند الجنوب .. هذا الحوض .. يدل على أن البحر كان يغمره فيما مضى فهناك يعثر المرء على طبقات الملح البحرى، تتخــذ فــى بعــض المناطق شكل القباب .. وعلى عمق أربعة أو خمسة أمتار مياها نتعرف فيها على نفس مذاق ميــاه البحــر. وفى مناطق أخرى نجد الأرض موحلة، ونعثر هنا وهناك على مستنقعات مــن مياه مالحة .. والأرض فــى هذا الحوض تغطيها القواقع وتنخفض عن سطح البحر إلى حد كبير (بالحاشية: يبلغ الفرق فى أماكن عديــدة من ١٢ : ١٥ **متراً**). وعلى الرغم من ذلك لا يفصلها عن البحر سوى كتلة من الرمال يبلغ عرضــها مــن أربعة إلى خمسة آلاف متر .. ونلمح فوق التلال المحيطة به (أى بالحوض) خطا يتكون من مخلفات نباتات بحرية تشبه تمام الشبه ذلك الأثر الذى تتركه البحار فوق الشواطئ. لكن ما يلفت النظر بشكل كبير هــو أن هذا الخط يوجد على نفس مستوى المد العالى للخليج العربى [٢] .. بوضوح نحن هنا بصــدد أرض كانــت تغطيها فيما مضى مياه البحر .. وأن ترعة القدماء تلك التى يتحدث عنها هيرودت وبلين واسترابون .. إلــخ [يقصد القناة المعروفة باسم قناة سيزوستريــس التى كانت تصل النيل بخليج السويس/ المؤلف] كانت تنتهــى عند الطرف الشمالى للحوض الذى انتهيت لتوى من تحديده [٣] [أى أن ترعة سيزوستريس كانــت لا تصــل لقمة خليج السويس الحالى عند مدينة السويس / القلزم قديما / المؤلف].

إنما كانت تأتى بماء النيل من شرقى الدلتا لتصل حتى تل المسخوطة قُرب الإسماعيلية الآن، حيــث كانت نهاية رأس خليج السويس / الخليج العربى فى ذلك الزمان قبل أن ينسحب بالتدريج جنوبا عبر السنوات ليتوقف عند السويس الآن.

وكى يزيد دى بوا إيميه فى تدعيم نظريته العبقرية، يعمد إلى ما جاء عند بلينى بالفصــل ٢٧ مــن الكتاب السادس إذ يقول عن القناة التى نهض بإتمامها سيزوستريس لتربط النيل بالخليج العربى على البحر

(٢) لاحظ أن خليج السويس ظل يحمل اسم الخليج العربى حتى زمن الحملة الفرنسية.
(٣) دى بوا إيميه: الحدود القديمة للبحر الأحمر، الدراسة الأولى من وصف مصــر، ص ١٣٧ ، ١٣٨ .

الأحمر كانت تبلغ حوالى ٦٢ ميل / ٩٣ كم، وفى تاريخ هيرودت الكتاب الثانى الفصل ٥٨ أن هـذه القنـاة كانت تتفرع من الفرع البوبابسطى للنيل جنوب بوباسطه بقليل (بوباسطة من أحياء الزقازيق الآن)، وذلك فى المنطقة التى يصنع فهيا ذلك الفرع كوعا يتجه نحو الشرق متفرعاً من فرع دمياط الحالى، لكنا لو قسنا الآن المسافة من هذه النقطة حتى رأس خليج السويس الحالى سنجدها ١٣٥ كم وليس ٩٣، بينما المسافة مـا بـين بوبسطة عبر وادى طميلات حتى مدينة السبع أبيار على بحيرة التمساح تساوى ٩٠ كم كما ذكر بلينى (٤) .

وفى الجزء الشرقى من وادى طميلات نجد أنقاضا عظيمة تخلفت عن الأزمان الفرعونية عند موقـع بلدة أبو كيشيد، [وهى الآن أبو خشب أو الخشبى أو تل المسخوطة إلى الشرق من أبى صوير بثلاثـة كيلـو مترات / المؤلف]. ويعتقد دى بوا إيميه أن رعمسيس أوبيتوم التى ذكرتها التورة المازورية هى هيروبوليس التى ذكرتها التوراة السبعونية، هى ذاتها مدينة المسخوطة الحالية التى لاشك عنده كانت تقع عند رأس الخليج العربى / السويس عندما كان يملأ حوض البحيرات الحالى، وأن تلك القمة هى بحيرة التمساح الآن مع قرينة أخرى يضيفها لرصيده وهو أن اليونان كانوا يطلقون على البحر الأحمر اسم البحر الأرتيرى، وعلى خلـيج السويس الخليج العربى مرة، والخليج الهيروبوليتى مرة نسبة إلى هيروبوليس (٥) .

ويتأرجح دى بوا إيميه حول كون هيروبوليس كانت هى رعمسيس أو بيتوم، ويذكرنا أن المـؤرخين والجغرافيين الكلاسيكيين ذكروا مدينة باسم Patumos وهى لاشك عند دى بـوا إيميـه هـى بيتـوم هـى هيروبوليس هى المسخوطة، حيث ذكر هيـرودت أن القناة التى كانت تحمل مياه النيل للخليج العربى كانـت تقع عليها مدينة باسم باتوموس.

ولمزيد من التدقيق يقول دى بوا إيميه " ولقد قمنا بتنقيبات عديدة فى حوض القلزم [يقصد المسـاحة الممتدة من خليج السويس الآن حتى بحيرة التمساح شمالا]، دون أن نعثر على أقل شقفة طمى، فـى حـين وجدنا هذا الطمى فى شكل طبقات أفقية فى وادى السبع أبيار " (٦) . وإذا كان موطن القلـزم الممتـد مـن السويس حتى البحيرات المرة ليس به سوى آثار مياه البحر المالح، وأن وادى السبع أبيار / طميلات يمتلـئ بطمى النيل، فمعنى ذلك أن خليج السويس كان يمتد حتى بحيرة التمساح، وأن قناة سيزوسـتريس كانـت لاتصل إلى السويس الحالية إنما إلى المسخوطة هيروبوليس التى قد تكون بيثوم أو رمسـيس عنـد بحيـرة التمساح الحالية.

---

(٤) نفسه: ص ١٤٠ .

(٥) نفسه: ص ١٤٢ .

(٦) نفسه الدراسة الثانية، ص ١٦١ .

ويؤكد ذلك رفيقه من علماء الحملة الفرنسية المسيوى دى فيليه Divilliers الذى أكدت دراساته أن الماء كان يصل حتى وقت قريب منحدراً من النيل بشكل طبيعى زمن الفيضان حتى يصل ألسنة كراش عند بحيرة التمساح وعند البلاح إلى الشمال منها (٧) .

ولاحظ دى بو إيميه أن مد البحر الأحمر فى الخليج العربى يعلو فى منسوبه عن منسوب مياه النيل التى كانت تصل هناك كما جمع من معلومات (٨)، لهذا رجع إلى بلينى يستعيد نصه الذى يشرح الجغرافيا قادما من عند خليج العقبة متجها نحو مصر قائلاً :

> بعد خليج إيلانيتيك AELANITIQUE [أى خليج إيلات / العقبة الآن / المؤلف] نجد خليجاً آخر يطلق عليه العرب اسم إيوانت EAANT هناك توجد مدينة الأبطال [يقصد هيروبوليس / المؤلف]، كما توجد هناك .. مدينة قمبيز [كبريت حاليا] التى كان ينقل إليها مرضى الجيش. تأتى بعد ذلك أمة العمالقة Tyres ثم ميناء دانيون Daneon التى أُريد أن تبدأ منها حتى الدلتا ترعة ملاحية يبلغ طولها ٦٢ ألف قدم هى المسافة بين النيل والبحر الأحمر. وكان أول من فكر فى هذا المشروع سيزوستريس ملك مصر ثم داريوس ملك الفرس وبعد ذلك بطلميوس الثانى الذى أمر بحفر ترعة تصل إلى البحيرات المرة يبلغ عرضها ١٠٠ قدم وعمقها ٣٠ قدم فى حين يبلغ طولها ٣٧٥٠٠ قدم، لكن بطلميوس لم يتم مشروعه، خشية غرق المنطقة، **إذ وجد أن مستوى البحر الأحمر يعلو بمقدار ثلاثة أذرع عن مستوى سطح أرض مصر.**
>
> وإن كان ثمة تفسيرات مخالفة عند الآخرين، حيث يرى هؤلاء أن بطلميوس قد خشى أن يتلف البحر مياه النهر إذا صب الأول مياهه فى النيل وهى المياه الوحيدة القابلة للشرب .... وتؤدى هذه الطرق المختلفة إلى مدينة أرسينويه والتى أطلق عليها اسم أخته، وهذا الحاكم هو أول من أخضع Troglodiytiques أى **سكان الكهوف**(٩) (يبدو لنا أن بطلميوس هذا قام بحملة على بلاد الأنباط / بنط / آدوم / المؤلف) .

ويلخص دى بوا إيميه تلك النتائج التأسيسية فى قوله:

> أما عن مدينة هيروبوليس ولعلها هى نفسها مدينة أفاريس (حواريس عاصمة الهكسوس بمصر / المؤلف)، فإننى مُصّر على أن أضعها فى نفس المكان الذى تشغله اليوم أبو كيشيد (المسخوطة) .

---

(٧) نفسه: ص ١٦١ : ١٦٣ .

(٨) نفسه: ص ١٦٩ .

(٩) نفسه: ص ١٧٣ ، ١٧٤ .

ثم يعقب فى الحاشية قائلاً :

> أوضحت فى مذكراتى عن الحدود القديمة للبحر الأحمر رأى البعض ممن يرجحون أن تكون هيروبوليس هــى التى تشير إليها التوراة باسم بيثوم Pithom ، والراجح أن المدينة التى أسماها العبرانيون باسم بيتوم كانت هى تلك التى أطلــق عليهــا الإغريــق اســم بــاتوموس Patoumos وأطلق عليها الرومان اسم توم Thoum .. وهذه الاعتبارات المختلفة تفسر بطريقة بالغــة اليســر لماذا كانت تلتمس هيروبوليس فى روايــات الأقــدمين على الدوام فى المنطقة التى كان ينتهى إليهــا الخلــيج العربى باتجاه مصر (يقصــد عنــد الســويس الآن / المؤلف) (١٠) .

ويسير دى بوا إيميه مع الخارجين، حيث يتجهون شمالا بعد تجاوز رأس الخليج العربى القديم عنــد بحيرة التمساح، حيث أول محطة ذكرتها التوراة باسم (سكوت)، وسكوت عنده هى الكلمة العبرية ســيخوت أى المخيمات أو العشش. ومن هناك يعود موسى خشية الحرب مع الفلسطينين فيتجه برجاله جنوبــا بحــذاء الشاطئ الغربى للخليج العربى حيث يستريحون فى محطة إيتام ويرى أنها حاليا بير الســويس. ومــن بيــر السويس يرتدون غربا حيث كانت تمتد مياه الخليج نحو المنطقة التى أسمتها التوراة فم الحيروث. ويرى أنها تبعد عن بير السويس غربا بثلاثة فراسخ وأنها حصن عجرود الحالى بجبل عجرود، ويطابق فم الحيروث أو بالعبرية هــ حيروث وبين ع – جروت أو عجرود ليراهما موضعا واحداً.

ويرسم لنا دى بوا إيميه جغرافية منطقة العجرود بدقة العالم الحصيف، فيرى هناك كتلة رمال جنوب شرقى العجرود، يسعى وراءها فيجدها تتصل بشكل متقطــع بخليج السويس، مع وجود خواص عنــد تلــك التقطعات يشير إلى وجود ماء قديم كثيف، ثم أنها منخفضة عن مستوى الماء بالخيلج، وهنا يرى أنها كانــت بحيرة تقع فى طرف لسان الخليج من شماله الغربى.

ولما كان موسى قد تربى بحكمة المصريين وعلومهم، فلاشك أنه كان يعرف ممكنات العبور من هذه النقطة سيراً على الأقدام إلى الضفة الأخرى. وكان المد يأتى فيغطى البحيرة فيصلها بالخليج، ثــم ينحســر فتصبح بحيرة منفصلة عن الخليج. ووقت وصول الفرعون وجيشه كان المد يغطى البحيرة مما جعل الجيش المصرى ينشد الراحة بعد المطاردة المجهدة وهو يجد الخارجين أمامه مرتعبين محاصرين وراءهــم البحــر وأمامهم الجيش. ولم يخطر ببالهم أى خشية لافتلات الخارجين، بينما كان موسى يستفيد من دوامات الرمــال

---

(١٠) نفسه: ص ١٧٩ ، ١٨٢ .

والغبار والضباب ليبدأ التحرك مستغلاً أول ساعات الجذر فيتبعه خائضاً برجاله فى البحيرة الجافة، وعندما لاحظ المصريون متأخرين، مؤخرة الإسرائيليين وهى تنسحب نحو الشرق، كان المد التالى قد بدأ فى العودة. ووسط حماس المطاردة دخل المصريون فى المد بسرعة يريدون مسابقة ارتفاعة بالوصول إلى الشاطئ وراء الإسرائيليين، مما قلل من إمكانية بلوغ الشاطئ فى الوقت المناسب وأدى لتراجع الجيش وغرق بعضه وانفلات الخارجين. ويطابق دى بوا إيميه نظريته المتماسكة بالآية التوراتية: " فدخل بنوإسرائيل فى وسط

البحر على اليابسة، والماء سور لهم عن يمينهم وعن يسارهم / خروج ١٤ / ٢٢ ". ويراها مجازاً صيغ فى

رواية إعجازية تعبر عن حالة جغرافية طبيعية لاعلاقة لها بالمعجزات، فقد عبروا عند مخاضه جانبها بحيرة وجانبها الآخر خليج السويس / العربى وقت الجذر فكانوا يبدون محصورين فى مساحة ضيقة كما لو كانوا بين بحرين أو داخل بحر مفلوق.

لكن علينا أن نلاحظ أن نيبور Niebuhr الرحالة، ولوكلير Leclerc قد سبقا دى بوا إيميه إلى تحديد رأس خليج السويس بالتحديد موقعا للعبور.

المهم يستكمل دى بوا إيميه مشهديه الخروج، ويعرج على بعض الظواهر الإعجازية ليجد لها تفسيراً عقليا مقبولا، ومنها ما جاء فى رواية التوراة يقول:

> وكان الرب يسير أمامهم نهاراً فى عمود سحاب ليهديهم
> فى الطريق، وليلاً فى عمود نار ليضيئ لهم، لكى يمشوا
> نهاراً وليلاً .

خروج ١٣ / ٢١

وقدم تفسيره بأنه لابد كان هناك بركان يقع فى جبل الله حوريب المقدس بسيناء (كاترين وموسى الآن). وقرأ هذا التفسير على المجمع العلمى الفرنسى الذى انعقد بالقاهرة فى ١٦ من برمبير من العام التاسع للحملة الفرنسية، ودلل على وجهة نظره بما يستخدمه البحارة الآن فى مدينة الطور بالخليج العربى من أحجار لحفظ التوازن، وأن هذه الأحجار بركانية، ولاشك مجلوبة من الجبل المقدس. لكن الرجل تراجع عن هذا الرأى بعد التقرير الذى قدمه عالمان آخران بالحملة، قاما بدراسة جبلى كاترين وموسى هما السيدان كوتل Coutelle وروزيير Roziere وأكدا أنه لا وجود هناك لأى أحجار بركانية وأن الجبال هناك جميعا جرانيتية تماما.

وأسقط فى يد عالمنا الجليل لكنه كان يصر على العقلنة، فقام يقدم للآية تفسيراً جديداً بعد سقوط نظرية البركان، فقال إن هذا الإله السحابى النارى ليس سوى الشعلة النارية الضخمة التى يحملها البدو إبان سيرهم جماعات فى الصحارى ليلا ونهاراً حتى لا يفقد المرتحلون بعضهم، بدليل أن التوراة تؤكد أن دليلهم

فى الصحراء كان شخصـــا يعرف دروب المنطقة ومن أهلها هو حباب المديانى شقيق صفورة زوجة موسى نظير جعل من المال جعله له موسى، والآية تقول: " وقال موسى لحو باب ابن رعوئيـــل المـــديانى حمـــو

موسى : إننا راحلون إلى المكان الذى قال الرب أعطيكم إياه ، اذهب معنا فـــنحن نحســـن إليـــك .. بـــنفس الإحسان الذى يحسن الرب إلينا نحسن نحن إليك / عدد ١٠ / ٢٩ : ٣٢ ". ولو كان الرب هو الذى يســـير

أمامهم فما حاجته لرشوه نسيبه ليدله على الطريق فى دروب البوادى السينائية؟

ويعرج دى بوا إيميه على قصة المن والسلوى ويفسر بقوله: إن السلوى هو طـــائر الســـمان الـــذى يتساقط بكثرة فى سيناء نتيجة الإنهاك فى رحلته الفصلية. وقد حدثنا ديودور الصقلى عن مصريين منفيين فى عهد اكتيزانيس فى صحراء برزخ السويس كانوا يغتذون من الطيور المهاجرة التى يسهل اصـــطيادها بعـــد سقوطها مجهدة. أما المن فما برح يجمع من شجر وفير فى المناطق المحيطة بجبل سيناء. أما النـــار التـــى كانت تزحف على خيام الإسرائيليين فى ذلك الجبل وتحرقهم فكان ممكنا تفسيرها بالبركان الذى نفاه السيدان كوتل وروزبير، لكن نتيجة بحثهما دفعت دى بوا إيميه لتفسير آخر قال فيه أن تلك النار كانت ناراً انفجارية مصنعة هى التى عرفها اليونان بعد ذلك باسم النار اليونانية، وبالتأكيد عرفها المصـــريون قـــبلهم كأســـلوب حربى متطور، ولا شك أن موسى تعلمها من وجوده بالقصر حين كان يتعلم كل حكمة المصريين.

وتبقى من تلك الخوارق الأصوات الهائلة التى كانت تصدر من الجبل المقدس التى لن تكون بركانـــا بل أصوات رعد ملأت الإسرائيليين البدائيين رعبا وهم يعيشون طفولة عقلية اسمها الإيمان. (١١)

نظرية هنرى بروجش

يعد هنرى بروجش Henirich Brugsch من أبرز المصرولوجيين الذين أولوا اهتماما خاصا لمسألة علاقة الإسرائيليين بمصر. وهو من أنصار المدرسة التى توقت الاستعباد بزمن رمسيس الثـــانى والخـــروج بزمن ولده مرنبتاح. وقد قدم بروجش ما وصل إليه من محاولات تدقيق لموضع مدينة الاستعباد رعمســـيس ونقطة عبور البحر وما هو هذا البحر؟ فى شكل محاضرة ألقاها بحفل المدارس المجانية بالقاهرة عام ١٨٧٩ م. قدم فيها نتائج بحوثه فى نقوش وبرديات مصر القديمة وفى التوراة، ورسم فيها تصوره لخريطة الخروج.

يشرح بروجش أن مدينة رعمسيس كانت فى المصرية القديمة (بى رعمسيس) و (فيثوم) هـــى (بـــى آتوم) أى بيت آتوم ومدينته. ثم يعمد إلى إيراد موجز سريع لقصيدة ألقاها شاعر مصرى قديم أمـــام جلالـــة الفرعون فى حفل افتتاح مدينة رعمسيس. ومن جانبنـــا قمنا بمقارنة ذلك الموجز مع الأصول فاكتشـــفنا أن

(١١) نفسه: الدراسة ٦ ، ٧ ، بالجزء الثالث، ص ٣٢٧ : ٣٦٧ .

بروجش قدم مزيجا مختصراً من برديات ثلاث، ورأينا من جانبنا العودة للنصوص الثلاثة الأصلية، بـــادئين بالقصيدة الأولى المعروفة بالقصيدة الصغرى فى مديح رعمسيس :

يابنرع محبوب آمون

أنت السفينة الرئيسية

والعصا التى تهشم

والسيف الذى يذبح الشعوب الأجنبية

وحربة اليد.

إنه نزل من السماء وولد فى عين شمس

وكتب له النصر فى كل أرض

ما كان أجمل يوم حضورك

وما كان أجمل صوتك عندما تكلمت

حينما بنيت مدينة رعمسيس محبوب آمون

فهى بداية كل أرض أجنبية ونهاية مصر

هى المدينة ذات الشرفات الجميلة

والقاعات التى تخطف الأبصار

باللازورد والزمرد

والمكان الذى تستعرض فيه فرسانك

وتجند رجالك

وحيث ترسو سفينتك حينما يحضرون لك الجزية

الثناء عليك حينما يأتى عبيدك المختارين من بدو آسيا

وهم رجال وجوههم كاسرة

وأصابعهم محرقة

يتقدمون حينما يرون الأمير واقفا ومقاتلا

لاقدرة للجبال على الوقوف أمامه

وهى تخاف بطشه

يا بنرع محبوب آمون

ستبقى ما بقيت الأبدية

وستبقى الأبدية ما بقيت

وستمكث على عرش والدك رع حور أختى [١٢]

والبردية الثانية ليست قصيدة، إنما تقرير فى شكل رسالة مرسلة من كاتب من كتاب البلاط هو (بينبس) إلى رئيس قلم كُتاب القصر (آمنموبى) يقول له فيها:

أن الكاتب بينبس

يرحب بسيده الكاتب آمنموبى

فى حياة وفلاح وصحة

وقد حُرر هذا ليكون سيدى على علم به

ترحيب ثان بسيدى

لقد وصلت إلى **مدينة بيت رعمسيس** محبوب آمون

ووجدتها فى غاية الإزدهار

هى عرش جميل منقطع النظير على طراز طيبة

وإن رع هو الذى أسسها بنفسه

فهى مقام تلذ فيه الحياة

حقولها مملوءة بكل ما طاب

ولديها مؤن وذخيرة كل يوم

بركها تزخر بالسمك

وبحيراتها بالطيور

حقولها يانعة بالبقل

وشواطئها محملة بالبلح

ومخازنها مفعمة بالشعير والقمح

فيها الثوم والكرات للطعام

(١٢) سليم حسن: الأدب .. سبق ذكره، ج٢، ص ٢١٧ ، ٢١٨ .

وخس الـــ (ثقب) جنينة

وفيها الرمان والتفاح والزيتون والتين من البساتين

وخمر كنكمة اللذيذ الذى يفوق الشهد حلاوة

وفيها **سمك وز الأحمر من قناة** (ثقب)

وسمك بتن **من بحيرة** (ثقب)

وسيهور تنتج الملح

ويستخرج من **بحيرة هر** النطرون

وسفنها تروح وتجيئ إلى الميناء

وفيها المؤن والذخيرة كل يوم

وينشرح الإنسان بالمقام فيها

ولا أحد يقول: ليت كذا

والصغير فيها مثل العظيم

تعال، وتعالى تحتفل بأعيادها السماوية

وأوائل فصولها السنوية

إن مستنقعات زوف تنتج لها البردى

وسيهور تمدها باليراع،

وغرائس العنب تأتى إليها من البساتين

وتيجان الأزهار من الكروم

وتجلب إليها الطيور من الماء البارد

والبحر فيه سمك بج وسمك أد

والمستنقعات تهدى إليها (ثقب)

وشباب عظيمة الانتصارات يلبسون حلل العيد كل يوم

ورؤوسهم مضخمة بزيت زكى الرائحة

فى الشعر المرجل حديثا

ويقفون بجوار أبوابهم وأيديهم مثقلة بالزهور

وبالنبات الأخضر من **بيت حتحور**

وبالكتان من **بحيرة حر** ،

فى اليوم الذى يدخل فيه رعمسيس

هو منتو فى كلتا الأرضيين صبيحة عيد كيهك

وعندئذ يدلى كل إنسان بملتمسه

ونسيم عظيمة الانتصارات حلو

وشرابها تبى مثل الفاكهة شاو

وشرابها خيو طعمه كطعم الفاكهة إنو

فهو يفوق الشهد حلاوة

وجعه كدى **ترد من الميناء** (بلاد كدى بالشام / المؤلف)

والنبيذ والكروم والروائح العطرة

يؤتى بها من مياه سيجبين

وتيجان الأزهار من (ثقب) جنينة

أما مغنيات عظيمة الانتصارات ذوات الصوت العذب

فقد تعلمن الغناء فى منف

اسكن هناك سعيداً وامشى مرحا ولا تغادرها

ياوسر مارع المختار من آمون

يامنتو فى الأرض

يا رعمسيس محبوب آمون

أنت أيها الإله (١٣)

ثم نأتى إلى النص الثالث وهو قصيدة فى مديح رعمسيس تعرف بالقصيدة الكبرى، لنستمع إلى الشاعر يقول:

لقد بنى جلالته لنفسه **قلعة** تسمى :

عظيمة الانتصارات.

وهى **واقعة بين فلسطين ومصر**

(١٣) نفسه: ج١، ص ٣٨٤ ، ٣٨٥ .

وهى ملأى بالذخيرة والأرزاق

وهى مثل أرمنت وخلودها كخلود منف

فالشمس تشرق فى أفقها وتغرب فيها

وجميع الناس يهجرون مدنهم ويسكنون فى ربوعها

حيها الغربى معبد آمون

والجنوبى معبد الإله سوتخ

والإلهة عشتار فى شرقها

والإله بوتو فى الجهة الشمالية منها

والحصن الذى فى وسطها مثل أفق السماء

ورعمسيس محبوب آمون إله

ومنتو فى الأرضين رسول

وشمس الأمراء وزير له وفرح لمصر

ومحبوب آتوم محافظ تذهب الدنيا إلى سكنه

ورئيس بلاد الخيتا الأعظم يكتب إلى ملك بلاد كدى:

تجهز لنسرع إلى مصر حتى يمكننا القول: إرادة الإله تنفذ

وحتى يمكننا أن نتكلم كلاماً جميلاً أمام رعمسيس

إنه يعطى نفس الحياة من يريد

وكل بلد يحيا حسب رغبته

وبلاد الخيتا تعيش حسب إرادته فقط

وإذا لم يتسلم الإله (يقصد رمسيس / المؤلف) قربانه منها

فإنها لا ترى مطر السماء

وذلك فى استطاعة وسر مارع

الثور الذى يحب الشجاعة

الإله الطيب مثل منتو المظفر

الذى ولد من رع

طفل ثور هليوبوليس

الذى يقف فى ساحة القتال ويحارب بشجاعة

مثل الواحد القوى فى سفينة السماء حاكم الأبدية

وهو الذى كان ملكا وهو فى البيضة

مثل جلالة الإله حور

وقد استولى على الأرض بانتصاره

وأخضع الأرض بخططه

والشعوب التسعة وطأها بأقدامه

وكل الشعوب الأجنبية تساق بهداياها

وجميع الممالك تسعى إليه على الطريق الوحيد

ليس له خصم

وأمراء البلاد الأجنبية لاقوة لهم

يصيحون كالماعز الوحشية ذعراً منه

إنه يدخل بينهم كابن نوت

وعلى ذلك

يسقطون أمامه خوفا من نفسه النارى

اللوبيون يتساقطون لذبحه إياهم

والناس يسقطون بنصل سيفه

وقد منح قوته إلى الأبد

وإرادته تحيط بالجبال

آه يارعمسيس محبوب آمون رب القوة

يامن يحمى جنوده

أنت يابن آمون أيها الجسور

أيها الثور القوى الذى يثنى المتحالفين ضده

ويقف ثابتا على عربته الحربية مثل رب طيبة

قوته تقهر كل الممالك الأجنبية

ويخترق الأراضى باحثا عن مهاجميه

ونداؤه الحربى للموقعة يؤثر فى قلوب من يخافون وجهه

هو الحاكم الطيب اليقظ الممتاز النصيحة

هو الذى **يضع اسمه فى كل الأراضى**

بوصفه الفرد الشجاع

نعم ياملك الأرضين وربهما مثل جلالة الإله حور

إن أمراء الأرض قد أصبحوا فى وجل منك

. . . . .

. . . . .

وجنود الشردانا الذين حملتهم إلى بلادك بقوتك

يأسرون لك رجال الصحارى

ما أجمل ذهابك إلى طيبة

وعربتك الحربية مثقلة بالأيدى

ورؤساء القبائل يمشون أمامك مكبلين

وستقودهم إلى والدك المبجل **آمون ثور أمه**

ياقصر سيسى الذى تكرر فيه الأعياد

يا عرش تتن إنك تضئ مثل (تقب)

كآتوم

كمصباح والدك رع [١٤] .

هذه نصوص البرديات الثلاث التى دمجها بروجش موجزة، ليأخذ عناصرها الأساسية لبحثه، وأهمها أن مدينة رعمسيس **كانت ميناء عظيما على بحر**، وكانت مقر عليه القوم وضيافة الملوك الأجانب، ومليئة بالخيرات، **وتقع بين مصر وفلسطين** وهو ما يعنى وقوعها على أطراف الدلتا الشرقية، **وأنها تتصل بقناة تمدها بالمياه العذبة**، وفى محيطها مجموعة بحيرات ومستنقعات.

---

(١٤) نفسه: ج٢ ، ص ٢١٥ : ٢١٧ .

ويتطابق وصف التوراة للمدينة بحسبانها ميناء يقع على بحر سوف مع النصوص المصرية التى أكدت من جانبها أنها كانت ميناء دوليا، وهى النتائج التى وصل لها المؤرخون من دراسة النصوص المصرية التى تتعلق برمسيس وتم إيجازها فى القول: " من خلال وصف مدينة بر رمسيس يمكننا أن نستنتج أن تلك العاصمة كانت تقع على أحد فروع النيل وأن **ثغرها كان يستقبل أسطول البلاد التجارى والحربى**، يرسو فيه ويبحر منه عند قيامه بالغزوات الحربية أو البعثات التجارية " (١٥)

ويرى بروجش أن بناء مدينة بهذه المواصفات لا شك قد احتاج إلى عمالة ضخمة، وهو ما يراه بروجش شرحا يوافق ما ذكرته التوراة عن استعباد بنى إسرائيل فى بناء مدينتى فيثوم ورعمسيس.

ثم ينتقل بروجش إلى نتائج حفائر المصرولوجيست ماريبت فى خرائب مدينة صان الحجر، فى أقصى شمال شرقى الدلتا قرب بحيرة المنزلة، حيث عثر ماريبت على تمثالين للملك رعمسيس الثانى عليهما نقوش تؤكد أنه قد بنى مدينة باسمه، ويرى أن تلك المدينة هى صان الحجر، وأنها هى المعروفة لدى اليونانيين باسم تانيس.

وقد حظيت صان الحجر بعدة حفائر على يد المصرولوجيست الشهير بيير مونتييه، ومن بعده على يد البعثة الفرنسية برئاسة جان بويوت من معهد آثار جامعة باريس. وقد تمكن مونتييه من اكتشاف مجموعة مقابر مشيدة فى صان الحجر من أحجار الجرانيت. كما تم التعرف على مقبرتين ملكيتين للملك بشنس الأول والملك شيشنق من الأسرة الليبية التى حكمت مصر، وهى الأسرة الثانية والعشرين .

ويرى بروجش أن صان الحجر هى تانيس هى مدينة صوعن المذكورة بالتوراة، ثم يلجأ إلى نقش على جدار هيكل الكرنك عن مدينة رعمسيس يرجع إلى زمن ستى الأول أبو رعمسيس الثانى، حيث يمكن رؤية جانبى المدينة مرفوعتين على شاطئ ومتصلتان بقنطرة، مع رسوم توضيحية زيادة فى الشرح، حيث نرى على جهة من القنطرة تمساح ونباتات نيلية نهرية ليعرفنا الفنان أن المدينة تقع على أحد فروع النيل، وعلى الجهة الأخرى رسم الفنان أسماكاً بحرية ليعلمنا أنها تقع من الجانب الآخر على بحر مالح ويرى بروغش أن تلك المدينة قد اكتسبت أهميتها الخاصة لوقوعها على طرف بداية الطريق الكبير الموصل لفلسطين. ويقول إنه بجوار هذا الطريق كانت توجد بئر ذكرها الرومان باسم مجدولان، ويراه بروغش هو مجدل المذكور بالتوراة عند موقع الخروج من البحر " أمام فم الحيروث بين **مجدل** والبحر أمام بعل صفون / خروج١٤/١".

---

(١٥) كامل: ١٠١ .

ويعتقد بروجش جازما أن مدينة رعمسيس هى صوعن هى صان الحجر هى تانيس الشهيرة فى التاريخ، وأنها كانت عاصمة مديرية من مديريات شرقى الدلتا أو عاصمتها جميعا، وأن اليونان أطلقوا عليها اسم (تراموس تانيسيس). ويرى أن جغرافيتها تجعل جزءاً كبيراً منها يقع على الشاطئ الشرقى لفرع نيلى، وغربها يقع على بحيرة المنزلة، بينما تتماس حدودها الجنوبية مع إقليم آخر من مديريات شرقى الدلتا هو المعروف باسم (توكو) أو (توكوت)، وهو الذى أشارت إليه التوراة باسم (سكوت)، وأن المؤرخين اليونان أسموا هذا الإقليم باسم (سيتوزيدس)، ويؤكد أن الآثار المكتشفة أسمت هذا الإقليم باسم بى توم وهو المذكور فى التوراة باسم فيثوم.

ثم يدعم نظريته برسالة محررة على بردية بمتحف ليدن من كاتب حكومى يدعى كويسرا / كويس رع إلى رئيسه بيكوبتاح زمن رمسيس الثانى يقول فيها محررها كويسرا :

> وقد أطعت الأمر الذى أصدره سيدى فأعطيت قمحا للعسكر **والإسر ائيليين** الذين ينقلون الأحجار إلى حصن رمسيس العظيم، تحت ملاحظة إفمان رئيس الضباط، وأعطيتهم القمح كل شهر طبقا للأمر الصادر إلىّ .

ومن هنا، وإزاء هذا النص الخطير الحاسم، يستنتج بروجش أن عاصمتى الإقليمين: إقليم صان الحجر وعاصمته رعمسيس أو تانيس، وإقليم سكوت وعاصمته بى توم أو فيثوم، كانا يتصلان ببعضهما عند جنوبى بحيرة المنزلة، وأن هناك أقيمت حصون ظل بعضها موجوداً حتى بعد مرور عشرة قرون إلى زمن اليونان بمصر، حيث نسب المؤرخون اليونان بناء حصن مجدولان للفرعون الشهير سيزوستريس الذى يرى بروغش أنه رمسيس الثانى تحديداً. وقد تأكد من وجود ذلك الحصن (مجدل) من وثيقة تعود لزمن مرنبتاح ابن رمسيس الثانى وكان يحمل اسم حصن مرنبتاح، والرسالة محررة على بردية بالمتحف البريطانى ويقول نصها:

> كن مسرور الخاطر ياسيدى، فإن **قبائل بدو آدوم** قد مروا بحرية تامة من **حصن الفرعون مرنبتاح** الذى فى **إقليم سوكوت** بالقرب من برك **مدينة بيثوم** التابعة للملك مرنبتاح الموجودة فى أرض سوكوت. وقد صرف لهم ولدوا بهم الزاد، الذى هو أرزاق فرعون شمس العالم .

ويعود بروجش إلى اسم المقاطعة التى سكنها الإسرائيليون بمصر وجاءت باسم جاسان فى التوراة محاولا العثور عليه على خريطة الدلتا الحالية، فيقول إنه الإقليم الذى أطلق عليه اليونان اسم الإقليم العربى ويسمى اليوم الصهرجية (بحثنا من جانبنا فلم نجد أية صهرجية، لكن ربما كان بروجش يقصد صهرجت

الكبرى وصهرجت الصغرى إلى الجنوب من الموضع الذى يتحدث عنه وليس عند صان / المؤلف). وكانت عاصمة هذا الإقليم تلك المدينة التى أسماها اليونان (فاقوسة) وهى الآن صفط الحنة بجوار الزقازيق وبسطة. وقد تم العثور على آثار فى صفط الحنة تشير إلى أنها كانت فى إقليم ترجم اسمه (جوسيم)، ويرى أن المؤرخين قد خلطوا بين اسم (جوسيم) أو فاقوسة الموجودة فى صهرجت وبين اسم مدينة رعمسيس التى هى عنده صان الحجر. أما جوسيم فقد صارت فاقوسة بعد ذلك بإضافة حرف (فا) أو (با) أو (بى) المصرية المعتادة لأسماء البلدان مثل (بى رعمسيس) ومثل (بى) التى أضيفت إلى توم فأصبحت (فيثوم)، وعليه أصبحت جوسيم (فاجوسيم) التى نطقت (فاقوسه) التى هى جاسان التوراتية .

ويرى بروغش أن القوم الذين ذكرتهم المدونات المصرية باسم الخالو وكانوا يستقرون هناك، هم بعض الساميين الفينيقيين الذين سكنوا جاسان كجالية أجنبية، وأنهم وراء إطلاق التسميات السامية على مواضع تلك المناطق المصرية، لأن مجدل كلمة عبرية تعنى حصن أو قلعة، وسكوت كلمة عبرية تعنى المخيم أو العشش أو المظلات، وصان هى التى كتبتها التوراة صوعن.

ويسير بروجش مع الخارجين من رعمسيس، فيتبع الطريق الفرعونى الكبير (طريق حورس الحربى)، وأنه قد خرج معهم لفيف كثير حسب التوراة هم عنده الفينيقيين / الخالوا، وأنهم استراحوا فى أول محطة هى سكوت فى إقليم بى توم، ومن هناك اتجهوا شرقا نحو صحراء أسمتها التوراة إيتام، لكنهم عادوا لتجنب الطريق الكبير المعروف، ليس لأنهم كانوا يخشون حربا كما قالت التوراة، إنما لأن موسى كان يعلم بمعاهدة السلام التاريخية التى ربطت مصر بمملكة الحيثيين زمن رمسيس الثانى، والتى تنص على إعادة الرعايا الهاربين من أحد المملكتين إلى الأخرى، ومن جانبنا رأينا إيراد ذلك البند من بنود الاتفاقية.

المعروف أن حربا طاحنة قد جرت بين مصر وتركيا، قادها رمسيس الثانى ضد حاتوشيليش الثالث ملك خيتا (بلاد الحيثيين) لوقف اعتدائه على أملاك مصر فى آسيا، وكان ذلك فى السنة الحادية والعشرين من حكم رمسيس الثانى. وانتهت المعارك بمعاهدة سلام هى الأولى من نوعها، دونت بنودها على لوح فضى وضع عند قدمى الإله رع وتم العثور عليه بمصر، بينما حمل الوفد الحيثى النسخة المدونة بالحيثية على لوح فضى وتم وضعها عند قدمى إله العاصفة الحيثى تيشوب، وقد عُثر عليها بدورها.

وتقول فقرة بالمعاهدة فى نصها الحيثى

> هذه كلمات رعمسيس الثانى ملك أرض مصر العظيم قاهر جميع البلدان، ابن منمورا (اسم العرش لأبيه ستى الأول) الملك العظيم، ملك مصر القاهر .. قالها إلى حاتوشيليش الملك العظيم، ملك بلاد الحيثيين الشجاع ابن مورشيليش الملك العظيم ملك بلاد حاتى .. بالنسبة لنا فإننا إخوة والسلام بيننا قد عقد وسيكون خيراً من الأخوة

أما البند الذى يقصده (بروجش) فقد جاء مدونا بالوثيقة المصرية يقول :

> إذا هرب نبيل من بلاد الحيثيين وجاء إلى رعمسيس العظيم إلى بلاد مصر كى يدخل فى خدماته، سواء كان رجلاً أم مدينة، فإن ملك مصر سيلقى القبض عليهم ويرجعهم إلى ملك الحيثيين. وإذا هرب نبيل من رعمسيس ملك أرض مصر وأتى إلى بلاد الحيثيين فإن حاتوشيليش ملك بلاد الحيثيين سيلقى القبض عليه، ويرجعه إلى رعمسيس الملك العظيم ملك مصر، أخيه [١٦].

وعليه فإن بروجش يرى أن موسى كان على علم ببنود تبادل المارقين الواردة بتلك المعاهدة الدولية، لذلك فضل سلوك السبل غير المطروقة فى سيناء، فعاد برجاله إلى مجدولان، ويرى أنها كانت تقع بين (الفرما / بيلوز) وبين سيله قرب القنطرة، أما بحر سوف الذى عبروه فلابد أن يكون سهل الطينة جنوبى خليج الطينة وشرقى بحيرة المنزلة، فتبعهم المصريون لكن ليغرقهم مد البحيرة العالى.

ويستشهد بروجش على صدق نظريته بخطورة المد فى تلك المنطقة ومفاجآته الكارثية لأكثر من مرة معلومة بالتاريخ، منها المرة التى ذكرها سترابون عندما ساح فى مصر خلال القرن الأول قبل الميلاد، وقال فيها:

> وقد حدث فى مدة إقامتى بالإسكندرية مد وجذر عظيمين فى مدينة بى لوز قرب جبل كاسيوس، فأغرق الماء تلك الجبال حتى صار الجبل كأنه جزيرة، وكانت السفن تجرى على الطريق المجاور الذى كان يمتد إلى فلسطين حيثغطاه الماء .

ويستشهد بشهادة أخرى من ديودور الصقلى فى معرض حديثه عن حملة ارتكزكثيس ملك الفرس على مصر، عندما وقع فى شراك تلك المنطقة الجهنمية مع رجاله، عندما وصل زحفه إلى البركة التى تجاور سهل الطينة حيث منطقة المهالك، وهناك فقد جانبا كبيراً من جيشه فى هذا المكان بالتحديد. [١٧]

نظرية بيير مونتييه :

---

(١٦) سامى سعيد: الرعامسة .. سبق ذكره، ص ٥٦ ، ٥٩ .

(١٧) اقتبسها الخشبة: رحلة .. سبق ذكره، ص ٢٢٨ : ٢٤٨ .

ومن بين النظريات الهامة التى اهتمت بحدث الخروج الإسرائيلى وعلاقة التوراة بمصر القديمة نظرية المصرولوجيست بيير مونتييه التى طرحها فى كتابه مصر والتوراة، وتعد بدورها من النظريات المشهورة والمعتبرة بين الباحثين ولم تزل صامدة حتى الآن، ونوجز لها هنا ملخصا سريعاً يبدأ مع دخول يعقوب وأبنائه إلى مصر زمن ولاية يوسف الخزانة المصرية، حسب رواية التوراة، وأنهم سكنوا أرض جاسان التى يجب أن تتموضع شرقى الدلتا لاعتبارات ساقها مونتييه، أبرزها **أن يوسف حسب التوراة قد عاش فى عاصمة البلاد قرب الفرعون**. وأن يوسف عندما علم بوصول أبيه حدود مصر أسرع فركب عربته العسكرية وتوجه للقاء أهله، ثم عاد ليخبر الفرعون. وأن ذلك حسب التوراة السبعونية **قد استغرق يوماً واحداً**.ثم نعلم أن يوسف استسمح الفرعون لإسكان أهله بأرض جاسان ومن المحال أن تكون جاسان فى طيبة جنوبا أو حتى فى منف لأن الراكب منها إلى حدود الدلتا الشرقية يحتاج أياما للوصول وليس يوما واحداً.

هذا بالإضافة إلى إفادات ماسبيرو عن المواصلات فى مصر القديمة التى كانت تعتمد على الإبحار فى النيل وقنواته العديدة، لذلك كان لابد أن تستخدم العجلات فى مناطق تسمح بها على الأطراف بعيداً عن الأنهار والقنوات، وهو شرقى الدلتا حيث الصحارى الممتدة المتصلة بسيناء، وعليه لابد أن تقع جاسان هناك

.

ويرى مونتييه أن جاسان كانت المقاطعة الهكسوسية التى كانت تقع فيها عاصمتهم المصرية حواريس، ولا يشك مونتييه أنها هى مدينة صان الحجر الحالية. ويؤكد لمونتييه أن يعقوب وأولاده دخلوا مصر زمن الهكسوس، أنها كانت الفترة الزمنية الوحيدة التى تسمح بذلك حيث كانت عاصمة الهكسوس تقع شمال البلاد المصرية قرب الحدود السينائية، ولأن عاصمة مصر قد عادت بعد التحرير إلى مقرها القديم العريق فى طيبة الأقصر بأقصى الجنوب.

ثم يسير مونتييه مع الخارجين ليدقق موقع العبور البحرى الإعجازى ويعقلنه، فيراهم ينطلقون من حواريس أو رعمسيس اللتين هما عنده مدينة واحدة هى حاليا صان الحجر، ليسيروا بمحاذاة شاطئ بحيرة المنزلة يريدون الطريق الحربى الكبير المعروف بطريق حورس، لكنهم يخشون الاصطدام بالتحصينات المصرية القوية على الحدود وهو الذى أطلقت عليه التوراة خطأ " خشية حرب مع الفلسطينيين " لأن

فلسطين كانت بعيدة تماما، وهو ما اضطر موسى ورجاله إلى تغيير خط سيرهم من الاتجاه شرقا إلى الاتجاه جنوبا.

وللعثور على النقطة المفصلية وهى عبور البحر يقف مع المحطة التى ذكرتها التوراة باسم بعل صافون، حيث عبروا عند إحداثيات حددتها التوراة بأنها " أمام فم الحيروث بين مجدل والبحر أمام **بعل**

صفون ". فيرى أن (بعل صافون) كانت فيما يبدو معبداً للإله الكنعانى الذى يحمل ذلك الاسم، وتعنـــى (رب الشمال). ويعلمنا أن اليونان كانوا يدمجون **بين بعل صفون وبين الرب اليونانى زيوس كاسيوس**، وقد لاحظ أن اليونان قد أطلقوا اسم زيوس كاسيوس فى زمنهم بأرض مصر على منطقة الكســارون الحاليــة بجــوار الفرما / بى لوز على شاطئ البحر المتوسط بسيناء، وبذلك تكون هذه النقطة هى بعــل صــافون المــذكور بالتوراة وأن المعبد لاشك كان يقوم هناك، على الشريط الساحلى الممتد أقصى شمال سيناء.

ويصر مونتييه على متابعة التوراة ويصدق قصة غرق أكبر جيش فى العالم آنــذاك إبــان مطــاردة الخارجين، ويجد لها تبريرات جغرافية حيث تقع بحيرة البردويل / سيربونيس على الشاطئ الســينائى علــى البحر المتوسط فى بقعة منخفضة عن سطــح البحر بعدة أمتار، وعادة ما تجف مياهها ويمكن عبورها دون خطر، لكن ذلك لم يمنع أحيانا من مفاجآت مهلكة للعابرين نتيجة الهبوب المفاجئ وغير المتوقــع لعواصــف شمالية قادمة من البحر المتوسط، وعادة ما ذكر المؤرخون أحداثا مأساوية حدثت للعــابرين علــى الشــريط الضيق بين البحر والبحيرة، أو خلال البحيرة إبان جفافها.

ويرسم مونتييه صورة تأملية للحدث الأكبرفنشاهد معه الإسرائيليين يسيرون فى طابور طويل علــى الشريط الضيق بين البحر والبحيرة متجهين إلى الطرف الآخر نحو العريش، فى الوقت الــذى بــدأت فيــه مطاردة الجيش المصرى للإسرائيليين، وفضل المصريون عبور البحيرة إبان جفافها ليقطعوا الطريق علــى الخارجين، لكنهم ما أن وصلوا وسط وعمق هذا الدن الهائل حتى هبت الأعاصير العاتية قادمة من المتوســط بأمــواج هائلة ملأت البحيرة الفارغة وأغرقت من فيها. وكان عرض البحيرة حوالى عشرين كيلــو متــرا وطولها سبعين كيلوا متراً مما لم يعط الفرصة لمن فى وسطها بالوصول إلى أحد شواطئها فلاقى المصريون جميعاً حتفهم. (١٨)

ويذهب مونتييه مع النظرية التى تقول بالاستعباد زمن رمسيس الثانى والخــروج زمــن مرنبتــاح. وإزاء إشكالية وجوب وجود بركان فى طريق الخروج يفسر أحداث سيناء، مع عدم وجود أثر لأية بــراكين بسيناء حسب تقرير علما الحملة الفرنسية كوتل وروزيير، ومع إصرار مونتييه على تفسير الأحــداث التــى روتها التوراة بضرورة وجود بركان، فقد ذهب بالخارجين بعد خروجهم من مضيق الشريط الساحلى شــمال البردويل نحو العقبة داخل الأراضى الشمالية للسعودية الآن، ليتمكن من العثور على بركــان حيــث كانــت المنطقة هناك بركانية بالفعل حتى زمن قريب.

نظرية على شافعى

وتعد هذه النظرية من النظريات المحترمة الجديرة بالاهتمام وبالاعتبار فى محاولة رسم سيناريو لخط سير الخروج من رعمسيس إلى سيناء بعبور البحر الإعجازى، مع عقلنة ذلك العبور بعيداً عــن أســطورة

(١٨) كاسيدوفسكى: الواقع والأسطورة .. سبق ذكره، ص ٨٠ ، ١١٥ ، ١١٦ .

العصا الثعبانية. ومبدئيا يأخذ شافعى بدوره بنظرية الخروج زمن مرنبتاح، ثم يسلم بكشوف محمود حمزة فى حفائر مدينة قنتير الواقعة شمالى فاقوس، ويعتبر قنتير هى رعمسيس بشكل قاطع.

ويستند إلى ما وصل إليه جوتييه حول مدينة رعمسيس باعتبارها كانت المقر الصيفى لملوك الأسرتين التاسعة عشرة والعشرين، تحاشيا لرده بأن مقر الملك كان طيبة فى الجنوب. ويروى لنا قصة عن راهبة تدعى (إيثيريا) تركت لنا حكاية أدائها لفريضة الحج بالأماكن المقدسة، وأن رحلتها بدأت من جاليا نربونيس Gallia Narbunis ودونت خط سيرها حوالى عام ٥٣٣ / ٥٤٠ ميلادية، وهى مودعة الآن فى مكتبة أرزو. ومن خط سير تلك الرحلة يحاول شافعى أن يتعرف على مواقع الإسرائيليين بمصر ومن أين خرجوا؟

تقول الراهبة إيثيريا إن بلدة **رعمسيس تقع على مبعدة أربعة أميال من مدينة كانت تعرف فى زمنها باسم أرابيا**. ويرجع شافعى إلى المصور الجغرافى الذى وضعه الأمير عمر طوسون نقلا عن وصف جورج القبرصى الذى عاش فى القرن السابع الميلادى، فيكتشف أن رعمسيس كما جاءت فى قائمة المقاطعات المحفوظة بأكسفورد هى فاقوسة، لكنه لا يرى فاقوسة هى صفط الحنة كما هو متفق عليه لدى المؤرخين الكلاسيك، بل فاقوس الآن جنوبى قنتير بحوالى عشرة كيلو مترات، وهى ما تطابق الاسم فاقوسة تماما. وعلى نفس البعد من فاقوس توجد آثار تل الضبعة ومعبد أمنمحات الأول على يمين ويسار ترعة الديدمون، ويرى أن تلك الخرائب هى امتداد للخرائب الشاسعة التى حدثتنا عنها الراهبة إيثيريا فى قصة حجها.

تقول إيثيريا إنها عبرت **من بلدة أرابيا إلى مدينة رعمسيس لمسافة أربعة أميال** خلال حقول حتى وصلت رعمسيس وكانت بدورها حقول دون أية مبان، لكن المنطقة كانت مفروشة بأحجار وآثار مبان متهدمة، فقط شاهدت أثراً كان باقيا حتى زمانها لتمثالين ضخمين ربما كان لأحد الفراعين، لكن الناس كانوا يزعمون زمن إيثريا من سكان المنطقة أنهما للأخوين موسى وهارون، مما يعبر عن ذكريات قديمة تواترت حتى وصلتهم، وتؤكد صلة الإسرائيليين بهذه المنطقة من مصر، وعليه فلابد – عند شافعى – أن تكون رعمسيس هى قنتير التى كشف آثارها محمود حمزة.

ومع رحلة الخروج يسير شافعى باحثا عن موضع يمكن أن يكون هو استراحة المحطة الأولى للخارجين المذكور فى التوراة باسم (سكوت)، فيبحث فى المناطق المجاورة لقنتير ويرى أن الموضع المناسب لمدينة سكوت هو الصالحية الحالية التى تبعد حوالى عشرين كيلو مترا إلى الشرق من قنتير. وهى مسافة مناسبة للرحلة تستوجب الراحة بعدها. لكن معنى ذلك أن يعبر الخارجون عدداً من قنوات النيل بين قنتير والصالحية وهو مالم تذكره التوراة، ولتبرير ذلك يقول إن وقت خروجهم كان النيل فى أدنى منسوب له حيث تتحول كثير من القنوات إلى حياض جافة، ومن ثم لم يكن هناك داع لكى تذكر التوراة عبور مناطق جافة. ومن جانب آخر عمد شافعى إلى الصالحية بحسبانها سكوت المذكورة بالتوراة اعتماداً على ورقة أنستاسى التى تعود إلى الأسرة التاسعة عشر وتصف سكوت بأنها متاخمة للحدود ويسكنها أجانب وبها قلعة

باسم (ختم) سكوت يحتمل أنها مجدل التوراة، بينما كان الرعامسة يسكنون على بعد خمسة وعشرين كيلو متراً شمال غربى سكوت / الصالحية بمدينة قنتير / رعمسيس .

ومع شافعى نسير على خط السير بحذاء الشاطئ الأيمن لفرع النيل الشرقى، لنجده يعتمد وثيقة أخرى من أوراق أنستاسى، وهى وثيقة تتحدث عن مطاردة عبيد هاربين تقول الوثيقة:

> وبعد، فقد أُرسلت من بلاط القصر الملكى وراء هذين العبدين، فى اليوم التاسع عشر من الشهر الثالث من فصل الصيف وقت المساء. ولما وصلت حصن سكوت فى اليوم العشرين من الشهر الثالث، علمت أن أخبار الجنوب تقول: فرا ذاهبين .. اليوم .. من الشهر الثالث من فصل الصيف. ولما وصلت القلعة أُخبرت أن السائس قد حضر من الصحراء وأعلن أنهما تخطيا الحدود شمالى حصن **مجدول** سيتى.

ولما لم يكن هناك قصوراً ملكية – برأى شافعى – فى هذه المنطقة سوى فى قنتير، فإن سكوت يجب ألا تبعد سوى مسيرة يوم و احد حسب الوثيقة المذكورة (من اليوم التاسع عشر إلى اليوم العشرين من الشهر الثالث) عن قنتير باتجاه سيناء .

أما الطريق الذى سلكوه على وجه التدقيق، فهو الممتد وراء دفنة (تل دفنه الآن) ثم الفرما (بى لوز)، وكان هناك فرع نيلى يأخذ ماءه من عند دفنه ليصل إلى تل أبو سيفا، ويفترض شافعى أن هذا التل هو محل القلعة التى حدثتنا عنها النصوص المصرية كثيراً وحددت مكانها أقصى الحدود الشرقية للدلتا، وأسمتها سيلة أو ثارو أو زالو أو شور .. وفى هذه الحال يجب أن تقع مجدل شرقى سيله على أول الطريق نحو فلسطين. وكان فرع النيل الذى ينتهى إلى سيله / أبو سيفا هو ما ذكرته النصوص المصرية باسم ماء حور أو بالمصرية القديمة سى حور، أما الفرع الأصلى الذى يتفرع منه سى حور فكان يسمى ماء رع أو سى رع .

ولتفسير العبور من عند (فم الحيروث) يقول على شافعى: إن حور كان الإله المحلى لمدينة سيلة / ثارو / أبو سيفا الواقعة بين بحيرة البلاح وبحيرة المنزلة، وكان الملح يستخرج من جنوب شرقى بحيرة المنزلة حيث كان يصب الفرع النيل دون منفذ على البحر فملح الماء فى هذه المنطقة، وهذا هو الملح الذى كان يتحدث عنه الكاتب بينبس فى تقريره لسيده آمنموبى – وهو الموضع الذى رسمه على شافعى على خريطته مع التعقيب: " يمكن ملؤه بالماء إذا احتاج الأمر ". وهو المكان أو المصب لماء حور وتترجمه اليونانية (فم حور)، وهو بالضبط يساوى فم الحيروث المذكور بالتوراة كموضع لعبور البحر الإعجازى.

والبحر الذى عبروه ذكرته التوراة باسم بحر سوف، وكلمة سوف كلمة عبرية تعنى البوص وهو نبات لا ينمو إلا بالماء الضحل ومصبات الترع والمصارف العذبة فى ماء مالح، وقد ذكر الكاتب بينبس أن رعمسيس كانت تأخذ حاجتها من البوص من ماء حور الذى لابد أن يكون هو بحيرة ماء حور، وأن تلك المنطقة بالتحديد هى بحر سوف.

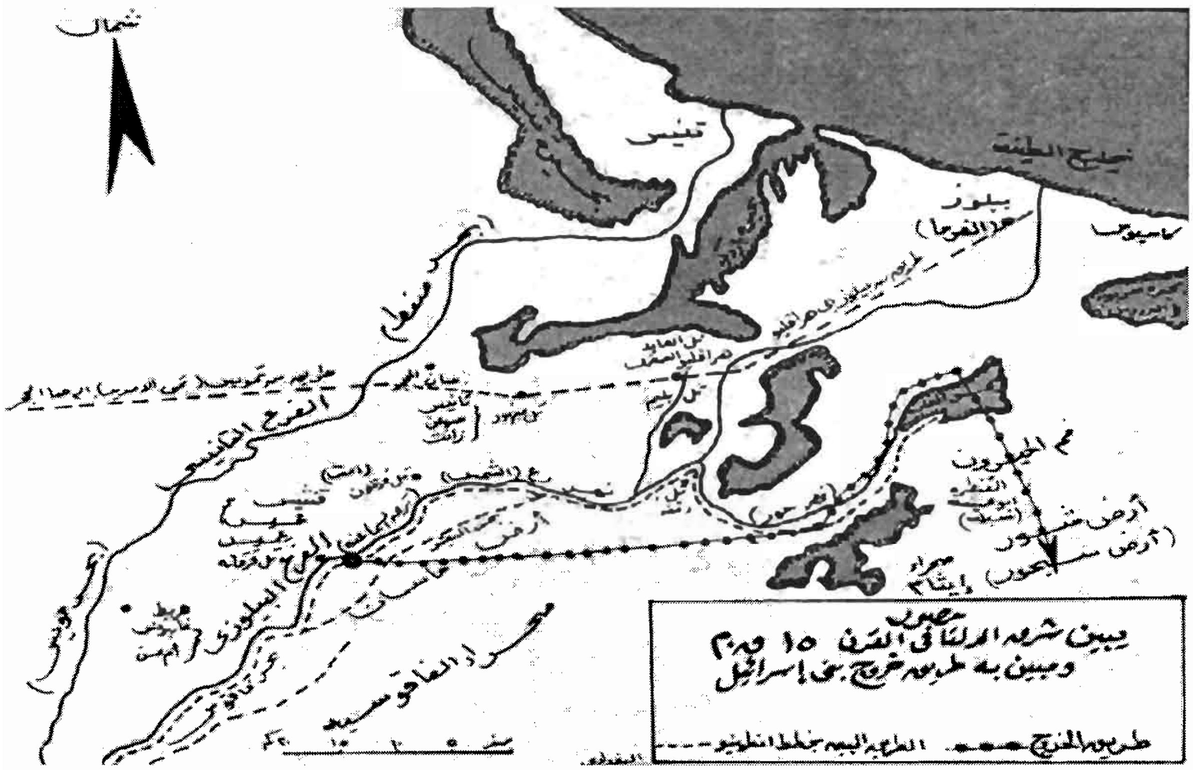
ويبحث عن موقع مجدل، ويستند إلى وثيقة مذكرات أنتونين التى وضعته فى مكان ما بين سيرابيوم عند رأس البحيرات المرة وبين الفرما / بيلوز، وإلى المصرولوجيست بترى الذى احتسب تل الحير الحالى جنوبى الفرما هو مجدل التوراة، كما أن العرب قد بنوا فى تل الحير قلعة لا شك أنها كانت تجديداً لمجدل التوراتية .

ويبقى موضع بعل صافون المقابل لموقع العبور من فم الحيروث على شاطئ بحر سوف، فيستعين على شافعى بما كتبه الأثرى نويل جيرون عن ورقتين اكتشفتا فى سقارة عام ١٩٤٠، واحدة ديموطيقية والأخرى فينيقية. وأكدت إشارات الورقة الديموطيقية أنها معاصرة للفينيقية، وأنهما كتبتا خلال القرن الخامس قبل الميلاد. ومضمون الورقة الديموطيقية تضرعات من شخص للإله " بعل صافون وكل آلهة دافنى " أى تل دفنه، مما يعنى أن بعل صافون كان الإله الرئيسى فى تل دفنه، وقد عقب جيرون بالقول: إذا قبلنا اعتبار مجدل هى تل الحير، فإن بعل صافون يجب أن يكون هو إله هذه المنطقة الرئيسى.

ويخلص على شافى بالفعل فى وضع خريطة لتفاصيل مواضع الخروج، فموسى يجد نفسه هو وأتباعه فى مأزق شديد الوعورة، فبحيرة البوص عن يمينه (بحر سوف) وحصن مجدل أمامه بالحامية المصرية القوية تسد عليه الطريق إلى فلسطين، بينما تحصره من اليسار مستنقعات نهاية الفرع البيلوزى للنيل، وخلفه الفرعون على رأس الجيش المصرى. وفى هذه اللحظة الحاسمة تقول التوراة إن الله أرسل ريحا شرقية قوية جففت بحر سوف. ويقول شافعى إن تلك الظاهرة تتكرر هناك حتى الآن، حيث لم يزل منسوب ماء بحيرتى المنزلة والبرلس وهما من البحيرات الكبرى يتأثر تماما بالرياح، حتى أن الماء يغطى الطريق من بلطيم حتى برج البرلس عندما تهب الرياح الغربية، بينما يجف تماما عندما تهب الرياح الشرقية. لكن الذى لاريب فيه عند شافعى أنه لم يغرق أحد لا الفرعون ولا جنوده، لأنه لا يمكن تصور الغرق فى ماء ضحضاح لا يزيد ارتفاعه مهما ارتفع عن قدمين. (١٩)

(١٩) Balltin,de la Societe royale de geographie d'Egypte, Tom xx١, ٣٣١, ff, Historical notes on the pelusiac branch, The Red Sea Conal and the Reteeif The Exodus

انظر أيضاً سليم حسن: مصر القديمة .. سبق ذكره، ج٧، ص ١١٧ .



الخروج عند على شافعى
خريطة رقم (٢٠)

الأخطاء الكبرى فى النظريات المطروحة

أولاً : فى عام ١٩٨٩م تم اكتشاف مجموعة مقابر تضم أربعة عشر مومياء مصرية، كان من بينها لحسن الحظ مومياء الملك مرنبتاح بن رمسيس الثانى. وكان العثور عليها شاهداً ودليلاً على أن الرجل لم يختف فى لجج البحر المفلوق غرقا. وزيادة فى الاحتياط تم افتراض أنه غرق بالفعل لكن البحر قذف بجثته إلى الشاطئ، أو أن أتباعه قد حملوه ميتا إلى الشاطئ نظراً لقدسيته، حيث حنطوه بعد ذلك ودفنوه. ولهذا الاحتمال تحديداً تمت إحالة المومياء إلى الأطباء المتخصصين وخضعت لبحوث طبية دقيقة، إلا أن كل البحوث أسفرت عن نتيجة واحدة، وهى أن الفرعون مرنبتاح قد مات ميته طبيعية بعد أن عمر طويلا ولم يعثر إطلاقا على أثر لمياه البحر أو أملاحه أو أيا من خواصه بالمومياء، كما لم يعثر على أى إشارة بالمومياء يمكن تأويلها لصالح فكرة الغرق بأى ماء عذب أو مالح.

ثانيا: بالنسبة لنظريه دى بوا إيميه ومطابقته لبحر سوف التوراتى بخليج السويس، وأن العبور تم من عند العجرود قرب السويس الآن، يعتورها بعض الخلل الواضح، لأن كلمة سوف تعنى القصب، وهو مايشير إلى ماء تنمو فيه نباتات القصب (البوص وليس قصب السكر)، وهو أمر لا يتحقق إلا إذا كان هذا الماء مالحا ويستقبل ماء عذبا من مصدر نهرى دائم أو متقطع بما فيه من طمى، أى أن يكون ماء مالحا يصب فيه مصرف يحمل مياها عذبة. وحسب نظرية دى بوا إيميه فإن حوض القلزم الممتد من السويس إلى بحيرة التمساح لم تظهر فيه أية آثار نيلية مما لا يسمح بتسمية منطقة العبور عند العجرود والسويس ببحر سوف، فهو إطلاقا فى هذه الحال لايعرف القصب.

وعلى المستوى الجيولوجى فقد مد دى إيميه خليج السويس / العربى، ليتصل بالبحيرات المرة وبحيرة التمساح، ليضع عند رأسه هيروبوليس علما على مدينة المسخوطة، لكن جيولوجيا الأرض المصرية رغم أنها تعترف بأن ذلك كان واقعا حقيقياً، فإنها تردف أن الانفصال بين الخليج والبحيرات قد تم فى أقرب التقديرات فيما قبل بدايات عصر البلايستوسين الأول، قبل زمن الخروج بأزمان، وقبل أن تعرف الأرض دولا وحضارات وممالك.

ثم إنه إذا كانت هيروبوليس هى تل المسخوطة / أبوكيشيد قرب الإسماعيلية الآن، مع شبه إجماع الآن على أن تلك المسخوطة هى سيخوت التوراتية التى تعنى المخيم أو العشش أو الحظائر بالعبرية والمدونة بالنسخة العربية سكوت، فسيكون هناك تضاربا واضحاً يتم التعامى عنه بين هذا المعنى وبين النص التوراتى:

فارتحل بنو إسرائيل من رعمسيس إلى سكوت نحو
ستمائة ألف ماش من الرجال عدا الأولاد.

خروج ١٢ / ٣٧

وهو ما يعنى أن رعمسيس مدينة وسكوت مدينة أخرى، وسكوت تبدو طوال الوقت محطة أولى على طريق الخروج مما يعنى أنها لابد تقع فى طريق الخارج من الدلتا إلى الصحراء السينائية، أى يجب أن تقع إلى الشرق أو إلى الشمال الشرقي من رعمسيس وبيتوم معا. ناهيك عن كون الاسم : تل المسخوطة اسم حديث لايشير إلى سكوت القديمة، قد أطلقه الأهالى على المدينة لما بها من تماثيل يعتقد العامة أنها كانت لأشخاص حقيقيين سخطهم الله أحجاراً، ويسقط بهذا التخريج القائل أن محطة الخارجين الأولى سكوت هى المسخوطة للتطابق اللفظى.

هذا إضافة إلى إشكالية أخرى تواجه تلك النظرية بشدة، فلو افترضنا أن هناك هبوطاً قد حدث فى مستوى المياه منذ زمن الخروج مع ارتفاع فى اليابس أدى الآن إلى وجود بحيرة التمساح والبحيرات المرة وانفصالهما عن خليج السويس، وهو هبوط شديد بدليل تلك المساحة الكبرى التى تركها الخليج انسحابه جنوبا. فلابد أن يكون هناك هبوطا آخر قد حدث على التوازى فى مناطق بحرية مجاورة، حسب نظرية الأوانى المستطرقة، لكن ما نعلمه يقينا أن العكس هو ما قد حدث. والدليل يستمد من سواحل البحر الأبيض المتوسط القريبة حيث ارتفع الماء وغطى مساحات كانت يابسة بل وعامرة بالمبانى وبالبشر، وهو ما نقرأه فى جغرافية جمال حمدان حيث كان يشرح جغرافية الساحل الشمالى لمصر بعيداً عن مشاغل موضوعنا، فيقول:

"تعرض النطاق الساحلى الشمالى من الدلتا خلال العصور التاريخية إلى حركة هبوط وانخفاض بالنسبة لسطح البحر المتوسط، أدت إلى غرق وضياع مناطق كثيرة منه، والحركة لاشك فيها علميا، والأدلة المادية والوثائقية والشهادات والشواهد وفيرة، مثلما هى يقينية ودامغة. لكن أسبابها وتفسيرها هى موضع الخلاف .. فهل البحر هو الذى ارتفع؟ أم اليابس هو الذى انخفض؟ **المهم فى الأمر أن البحر نفسه لم ينخفض إطلاقا**، إنما احتمال ارتفاعه هو الوارد، والثبات فى مستواه هو المقبول، حيث يجمع الأكثرية على هبوط الساحل الشمالى مما أدى إلى غرقة تحت البحر. وتحت البحر ترقد الآن المقابر الرومانية الشهيرة بكوم الشقافة Catacombs ، وكذلك المقابر البطلمية الغارقة بالشاطبى، وأيضاً أرصفة ميناء الإسكندرية القديم وما تناثر بينها تحت الماء من تماثيل مهشمة. والطبقة الرومانية عموما تقع تحت سطح المدينة الحالى بنحو سبعة أمتار، هذا إضافة إلى غرق جزيرة أنتيرودس Antirhodes التى كانت تتوسط الميناء الشرقى القديم. إضافة إلى ثلاث مدن كلاسيكية غارقة تحت الخليج هى: هيرا كليوم ومنوتيس Menuthis وكانوب. وفى قاع بحيرة البرلس بقايا وآثار متناثرة تمثل أرضا هابطة تشير لغزو البحر للبحيرة. وبحيرة المنزلة تعتبر أكبر متحف مائى لبقايا وأطلال القرى والمدن القديمة الغارقة تحت البحر، والتى طغى عليها البحر وأغرقها بحسابات المؤرخ المقريزى سنة ٥٣٥م. وعلى أساس رواية المخزومى عن نشأة بحيرات الدلتا فى ٩٦١ ميلادية بواسطة طغيان مياه البحر. وينتهى بوتزر إلى أن هذه العملية كانت جزءاً من ارتفاع مستوى سطح البحر منذ القرن الثانى الميلادى" [1] .

---

[1] جمال حمدان: شخصية مصر، عالم الكتاب، دار نافع للطباعة، القاهرة، ج١، ص ٢٠٧ : ٢١٧ .

ومثل هذه الشواهد تدحض للأسف الشديد إحدى النظريات العبقرية بشأن الخروج ألا وهى نظرية دى بوا إيميه، كما أنها من جانب آخر تدحض النظريات التى وضعت مدينة رعمسيس كميناء عظيم تصله سفن العالم القديم عند موضع صان الحجر اليوم. لأن صان الآن تقع على مسافة من بحيرة المنزلة، ومعنى أن المنزلة ازداد اتساعها ازدياداً عظيما هو أن صان الحجر كانت على مسافة أكثر بعداً من بحيرة المنزلة بحيث لا يمكن احتسابها ميناء على الإطلاق. ناهيك عن أمر آخر يجب أن نعلمه يستبعد أى إمكانية لوضع ميناء دولى على بحيرة المنزلة، ونستقيه مرة أخرى من جغرافية جمال حمدان فهو يحدثنا عن بحيرات مصر شمالى الدلتا وشرقها فيقول: " إن الضحالة البالغة قاسم مشترك أعظم، فعمقها جميعاً يتراوح حول المتر أو أقل .. وبها مساحات شاسعة يزيد عمقها عن عدة سنتيمترات إلى درجة أن الرياح القوية كثيراً ما تدفع مياهها وترفعها رفعا، بل وأحيانا ترفع مستوى المصارف التى تفرغ فيها. وأن الرياح القوية هذه إذا استمرت تجفف مئات الأفدنة فيها أحيانا لبضعة أيام، وتهلك أثناءها بالطبع ملايين الأسماك " [٢] .

ثالثاً : لاحظنا عند بروجش أنه قد عمد لدعم نظريته إلى تلفيقات لا تليق بعالم جليل مثله، فإذا لم نعتبر إيجازه للنصوص المصرية الثلاثة بشأن رمسيس فى نص واحد موجز تلفيقا، فإن التلفيق الأكيد كان فى النص الذى ساقه فى شكل رسالة محررة من الكاتب كويسراً إلى رئيسه بيكونبتاح حيث أوردها كالآتى " وقد أطعت الأمر الذى أصدره سيدى فأعطيت قمحا للعسكر **والإسرائيليين** الذين ينقلون الأحجار .. إلخ ". وقد تم هنا إبدال كلمة خطيرة عن النص الأصلى حيث أبدل كلمة(**والعابيرو**) بكلمة (**والإسرائيليين**) محتسبا ببساطة أن هؤلاء هم أولئك، (وهو الأمر الذي سنفصل الحديث بشأنه في موضعه من بحثنا هذا) كما أن النص الذى أورده عن رسالة بردية المتحف البريطانى

كن مسرور الخاطر ياسيدى فإن قبائل بدو آدوم قد
مروا بحرية تامة من حصن الفرعون مرنبتاح

تم فيه إبدال الكلمة الأصلية (شاسو آدوم) بـ (بدو آدوم) فالنص الأصلى حسب جاردنر هو :

إنتهينا من السماح لقبائل الشاسو الآدومية بتخطى قلعة
مرنبتاح التى فى زيكو حتى بحيرات بيتوم مرنبتاح
التى فى زيكو، ليظلوا هم وقطعانهم أحياء بفضل
إحسان فرعون[٣] .

(عقب هنا جاردنر بالقول إن بى توم هنا ربما كانت فيثوم التوراة، لكنه فضل وضعها فى وادى طميلات).

---

(٢) نفسه: ج١ ، ص ٨٢٠ .

(٣) جاردنر: مصر الفراعنة : سبق ذكره، ص ٣٠٢ ، ٣٠٣ .

ومما يدحض نظرية بروجش أيضا أنه اعتمد نصوصا بالتوراة وأغفل أخرى عامداً لأنها ضد نظريته، فحدد بحر سوف التوراتى بموضع خليج الطينة الآن بين الفرما وبين بحيرة المنزلة على شاطئ المتوسط. لكن ذلك يتضارب تضاربا صارخا مع بقية قصة التوراة لأن التوراة تستمر فتقول إنه بعد عبور البحر من عند فم الحيروث **خرجوا من بحر سوف** إلى بادية / برية باسم (شور). ومن شور ساروا لمدة ثلاثة أيام حتى وصلوا إلى موضع باسم مارة / الخروج ١٥ / ٢٢ ، ٢٣، ثم ارتحلوا من محطة مارة إلى موضع باسم إيليم (خروج ١٥ / ٢٧)، ومن إيليم ارتحلوا **لينزلوا مرة أخرى على بحر سوف،** (عدد ٣٣ / ١٠). وهنا تظهر المفارقة الكبرى، فلو كان المقصود ببحر سوف خليج الطينة عند المنزلة، فمعنى ذلك أن الخارجين من مصر قد داروا بقسم كبير فى عمق سيناء عبر خمسة مواضع استغرقت أكثر من ثلاثة أشهر، ثم قفزوا فجأة من إيليم دون المرور بأية مواقع ليعودوا فجأة إلى خليج الطينة عند بحيرة المنزلة باحتسابه بحر سوف. هذا إضافة إلى موضع تكرر التوراة ذكره يقع عند المواقع الأخيرة على أطراف سيناء الشرقية على خليج العقبة باسم (عصيون جابر)، وذلك بعد رحيل استغرق من الزمن سنتين عبر سيناء، وتصف هذا الموضع بأنه ميناء يقع بجوار أيله (إيلات الآن على العقبة)، ثم تصفه فى مواضع أخرى بأنه يقع على بحر سوف. انظر مثلا المراحل الأخيرة فى رحلة الخروج تحكى:

> ثم ارتحلوا من عبرونه ونزلوا فى عصيون جابر، ثم ارتحلو من عصيون جابر ونزلوا فى برية صين وهى قادش
>
> عدد ٣٣ / ٣٥ ، ٣٦
>
> فعبرنا عن إخوتنا بنى عيسو الساكنين فى **سعير** على طريق **العربة** على **أيلة** وعلى **عصيون جابر**، ثم تحولنا ومررنا فى طريق برية موآب.
>
> تثنية ٢ / ٨

وبعد قيام مملكة إسرائيل الموحدة وزمن حكم الملك سليمان يحكى الكتاب المقدس :

> وعمل الملك سليمان سفنا فى **عصيون جابر التى بجانب أيلة على شاطئ بحر سوف فى أرض آدوم**
>
> ملوك أول ٩ / ٢٦

وهكذا تكشف لنا رواية التوراة فى مجملها دون انتقاءات حسب رغبة الباحث أن الخارجين كانوا دوما بالقرب من ساحل بحر سوف، مما ينفى بالقطع أن يكون بحر سوف هو خليج الطينة أو بحيرة المنزلة، لذلك

نجد تقليداً إنجيليا قديمالا نعرف صاحبه أو كيف وصل إلينا يقول: إن بحر سوف هو البحر الأحمر بذراعيه خليج السويس وخليج العقبة، فكان البحر الأحمر بحسبانه بحر سوف موروثا يتواتر في فلسطين زمن المسيح. وكان المحرر التوراتى لديه وثائق جغرافية تؤكد أنهم داروا بحذاء سواحل البحر الأحمر السينائية من ضلعه الأيسر (خليج السويس) مع الاتجاه جنوبا نحو رأس المثلث السينائى ثم صعوداً إلى الشمال مع ضلعه الأيمن (خليج العقبة) حتى عصيون جابر بجوار إيلات. **إن ذلك المأثور التوراتى يدحض تماما أية نظرية تبتعد ببحر سوف عن البحر الأحمر بذراعية: السويس والعقبة.**

وقد لاحظ (غطاس الخشبة) تلك المشكلة، لكنه تابع الرأى القائل بأن مدينة الاضطهاد رعمسيس كانت هى صان الحجر مرة، ثم ناقض ذلك وقال إنها كانت الفرما الحالية، لكن ما يشغلنا فى أمره أنه اتفق مع بروغش وغيره ممن قالوا إن بحر سوف ليس البحر الأحمر إنما بحيرة المنزلة. وما لاحظه الخشبة هو أن خط سير الخروج كما هو بالتوراة كان يعود بين كل عدة مواقع بالرحلة إلى شاطئ بحر سوف مرة أخرى. ومن هنا قام الباحث بوضع عدد من الخرائط تبين أن الخروج تم على مراحل، كان يقوم فيها كل مرة بالقفز بالخارجين فجأة من أقصى جنوب سيناء إلى بحيرة المنزلة مرة أخرى بحسبانها بحر سوف، دون المرور بأية مواقع كما لو كانوا قد طاروا ليقفوا عند المنزلة ، فى كل مرة يعودون فيها إلى موضع على شاطئ بحر سوف، ودون أية مبررات عقلية أو موضوعية واضحة لهذا الطيران غير المقبول أبداً ناهيك عن كونه يعود بالخارجين فى كل دورة إلى قبضة الجيش المصرى دون مبررات.

ومن الجدير بالذكر أنه رغم أن الباحث الخشبة قد اعتمد نظرية بروجش فى كون بحر سوف هو بحيرة المنزلة، فقد استبعد رأيه فى تزمين الخروج ورفض القول بالخروج زمن مرنبتاح بن رعمسيس الثانى، وأخذ بدلاً منه برأى آخر بعيد هو رأى (جارستانج) رغم أنه لم يشر إلى هذا العالم كمصدر لرأيه. ورأى جارستانج يقول أن الخروج قد حدث زمن الفرعونة حتشبسوت. والرد السهل والبسيط على ذلك، خاصة أن الخشبة يقر فكرة مطاردة الفرعونة للخارجين وغرقها فى خليج الطينة عند المنزلة، هو أن خروج الإسرائيليين سواء من صان الحجر أو من الفرما كان بأقصى الشمال الشرقى فى زمن حتشبسوت، بينما كان مقر حكمها وإقامتها فى طيبة بأقصى الجنوب على مبعدة حوالى ١٠٠٠ كم. وهو ما يعنى أن الفرعونة قد تحركت فوراً للحاق بالخارجين لتلحق بهم بعد خروجهم من رعمسيس إلى خليج الطينة كالبرق، بينما كانت تحتاج للوصول من العاصمة طيبة حتى خليج الطينة إلى أسبوع على الأقل. بينما التوراة تؤكد لنا أنهم بعد الخروج كانوا داخل سيناء عند إيليم بعد ثلاثة أيام من خروجهم، حيث لحقت بهم جيوش الفرعونة عند فم الحيروث. الأمر هنا شديد الاضطراب ومفكك إلى حد بعيد ولا يصمد للنقد وإعمال المنطق ، لكننا لا ننكر على الرجل جهده لهذا كان محل اهتمامنا.

أما بيير مونتيه فقد أخطأ مرتين: الأولى باحتساب صان الحجر هى رعمسيس التوراتية، والثانية عندما أخذ من التوراة المقدمات حول مواضع سكنى الإسرائيليين بمصر ومواضع الخروج ثم قرر بعد ذلك

مخالفة التوراة تماما فى بقية تفاصيل مواضع خط سير الخروج فأسقطها جميعاً ليصل من المنفذ الشرقى لبحيرة البردويل إلى أقرب موضع بركانى شرقى خليج العقبة.

هذا ناهيك عن أن كل من ذهب ببحر سوف شمالا إلى البحيرات المتصلة بالبحر الأبيض المتوسط سواء بحيرة المنزلة كما عند بروغش أو بحيرة البردويل كما عند مونتييه، قد أغفلوا أمراً هاماً هو أن **المحرر التوراتى كان يعلم جيداً أن هناك فرقا بين بحر سوف وبين البحر المتوسط وبحيراته،** لأنه كان دوما يتحدث عن بحر سوف البعيد عن أرض فلسطين، وعن بحر آخر يتكرر ذكره ملاصقا لفلسطين ويقع غربها تماماً يطلق عليه فى أكثر من موضع البحر الكبير، وهو البحر المتوسط الآن.

وقد تم تحديد حدود الأرض الموعودة بفلسطين فى عدة مواضع بالكتاب المقدس كان حدها الغربى دوما هو البحر الكبير، ولم يخلط المحررون ولا مرة واحدة بين البحر الكبير (المتوسط) وبين بحر سوف.

رابعا : إن الاعتماد على الحفائر المصرية وحدها فى البحث عن مدينة رعمسيس غالبا ما أدى إلى نتائج مضللة، فكلما عثر أحدهم على آثار باسم رمسيس الثانى وقف ينادى: هنا رعمسيس مدينة الاضطهاد. وهو الأمر الذى من أجله حدث أول إجماع حول صان الحجر بحسبانها رعمسيس، حيث عثر هناك على نقش يقول: " آمون صاحب بر رعمسيس مرى آمون ذو الانتصارات العظيمة "، وقد احتسب ذلك دليلا كافيا على أن صان كانت هى رعمسيس التوراتية. وذهب هذا المذهب مع الإجماع رجل فى ثقل جاردنر الذى انتهى إلى أن صان هى التى ذكرتها النصوص باسم حواريس كعاصمة للهكسوس، وأن رعمسيس الثانى جاء بعد زمن فجددها وأطلق عليها اسمه، ثم حملت بعد ذلك ولمدة طويلة اسم تانيس، وأنها هى التى أطلقت عليها التوراة اسم صوعن، ثم عرفت مؤخراً باسم صان الحجر. وقد وافقه على ذلك مصرولوجست آخر محترم هو يونكر، لكن ما لايفوتنا هو أن ذلك النص الذى عثر عليه فى صان الحجر " آمون صاحب بر رمسيس " و " مرى آمون ذو الانتصارات العظيمة " قد أصبح الآن غير ذى موضوع بعد اكتشاف أنه نص متكرر على آثار رمسيس الثانى فى أكثر من موضع بمصر [٤] .وما يجب الانتباه إليه هنا وجود خطأ آخر شديد الوضوح، هو احتساب مدينة صان الحجر هى تانيس المذكورة فى المصادر التاريخية، لأن تانيس هذه بدورها اختُلف بشأن موضعها أشد الاختلاف، وليس من المقبول علميا إلقاء القول هكذا سهلا : تنيس هى صان الحجر، مع إغفال احتمالات أخرى لموقع تنيس لعل أشهرها ما جمعه محمد رمزى فى معجمه عن تاريخ تنيس، حتى أمكنه القول:

> تنيس Tinnis من المدن المصرية القديمة التى اندثرت، تكلم عنها ياقوت فى معجمه فقال إن تنيس **جزيرة فى بر مصر** قريبة من البر **ما بين الفرما ودمياط،** وبها تعمل

(٤) إبراهيم محمد كامل: إقليم شرقى الدلتا فى عصوره التاريخية القديمة، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٩٨٥ ، ج٢ ، ص ٩١ .

الثياب الملونة والفرش الأبوقلمون، وبحيراتها التى هـى عليها مقدار إقلاع يوم فى عرض نصف يوم ، ويكـون ماؤها أكثـر أيام السنـة

ملحا لدخول ماء بحر الروم إليه عند هبوب ريح الشمال، فإذا انصرف نيل مصر فى دخول الشتاء وكثر هبـوب الريح الغربية خلت البحيرة وخلا سيف البحـر المـالح مقدار بريدين حتى يجاوز مدينة الفرما، فحينئذ يخزنـون الماء فى حباحب أى صهاريج لهم ويعدونه لشربهم مـدة السنة. ولما فتحت مصر سنة ٢٠ هـ كانت تنيس حينئذ أخصاصا من قصب وكانت تعرف بذات الأخصاص إلى صدر بنى أمية، ثم إن أهلها بنو بها قصوراً، ولم تـزل كذلك إلى أيام بنى العباس فبنى سورها ودخلها أحمد ابن طولون فى سنة ٢٦٩ هـ فبنى بهـا عـدة صـهاريج وحوانيت فى السوق كثيرة تعرف بصهاريج الأمير. وأما صفتها **فهى جزيرة فى وسط بحيرة مفردة عـن البحـر الأعظم**، يحيط البحر بهذه البحيرة من كـل جهـة فـإذا تكاملت زيادة النيل غلبت حلاوتـه علـى مـاء البحـر فصارت البحيرة حلوة، فحينئذ يدخر أهل تنيس المياه فى صهاريجهم ومصانعهم لسنتهم. وكان لأهل الفرما قنوات تحت الأرض تسوق إلـيهم المـاء إذا خلـت البحيـرة. وبعضهم سمى تنيس باسم تونة فى حين أن تونـة مـن أعمالها. وبالبحث تبين لى أن الجزيرة التى كانـت بهـا مدينة تنيس لا تزال موجودة إلى اليوم ببحيـرة المنزلـة ومعروفة بجزيرة تنيس، وبها بقايا من الطوب الأحمـر المتخلف من مبانيها القديمة [٥].

---

(٥) محمد رمزى: القاموس الجغرافى للبلدان المصرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،١٩٩٣، القسـم الأول، الـبلاد المندرسة، ص ١٩٧ .

ومن جانبنا قمنا بالبحث وراء تنيس ووجدناها جزيرة صغيرة عبارة عن تلال من مدينة مدمرة وتقع بين الفرما ودمياط شمالى البحيرة ويعرفها الصيادون هناك باسم كوم تنيس، ثم وقعنا عند جمال حمدان على حديث فاصل فى مسألة تنيس يقول:

> إن تنيس وحدها بحجمها الضخم وثرائها المعمارى وصناعاتها العظيمة من أفخر المنسوجات والأسلحة والصلب، وتجارتها الواسعة مع العراق بالذات، هى التى كانت تقارن بدمياط وشطا. ولقد كانت تنيس تقوم على **جزيرة كبيرة المساحة** ويتم الوصول إليها عن طريق قناة تسمى بحر الروم تنتهى إلى الصالحية، وربما كانت جزءاً من الفرع التانيسى. ولكن حتى وقت متأخر كالقرن العاشر الميلادى ظلت تنيس عامرة بالآثار العظيمة من المساجد والكنائس والحمامات بالمئات والعشرات، وحتى بعد قرن آخر فى القرن ١١م ذهل الرحالة ناصرى خسرو لضخامتها ورخائها حيث وجد بها كما ذكر ١٠,٠٠٠ محل تجارى و ١٠٠٠ سفينة فى مينائها، بينما بلغ عدد سكانها الذكور وحدهم نحو ٥٠,٠٠٠ تقريباً، وعلى الجملة كانت من أجمل مدائن مصر. والأكثر إثارة أن هذه الجزيرة لم تكن تزرع شيئاً واعتمدت فى كل غذائها وتموينها على التجارة. كانت تعيش على الصهاريج فى مياه الشرب فأثناء الفيضان كانت مياه النيل تكتسح المياه المالحة المحيطة بها فتملأ الصهاريج الباطنية الشاسعة، حيث تخزن العام كله. ولقد ظلت جزيرة تنيس تقاوم غزو مياه البحر لكنها عجزت عن أن تواجه منفردة غزاة البحر إذ أصبحت معرضة لخطر غارات القراصنة والصليبيين من صقلية وفلسطين، فأمر صلاح الدين الأيوبى بإخلائها فى نهاية القرن ١٢م وفى أوائل القرن ١٣م هدم الكامل حصونها وسورها وسواها بالأرض وتركها مجرد كومة من الحطام. لتظل بعدها جزيرة مهجورة خربة تعرف الآن بكوم تنيس أو تل

تنيس [٦] .

وهو ذات ما انتهى إليه (إبراهيم محمد كامل) إذ يقول: " تل تنيس يقع حاليا فى بحيرة المنزلة **التى لم تكن قائمة خلال العصر الفرعونى** إذ تكونت البحيرة تدريجياً على أثر عوامل طبيعية سببت هبوط الأرض فى تلك الجهة وبقايا التل تشكل جزيرة وسط المياه ذات معالم أثرية واضحة للعين المجردة .. والتل هو بقايا مدينة تنيس المشهورة التى لم يحاول الأثريون إزاحة الستار عن ماضيها المجيد .. ولاشك أن المدينة القديمة تنيس كانت قائمة فى العصور الفرعونية، وأنها كانت تقع على مصب الفرع التنيسى" [٧].

وهذا بحد ذاته رد كاف على من يزعمون أن بحيرة المنزلة كانت هى بحر سوف التوراتى، لأن البحيرة لم تكن قد وجدت بعد حينذاك.

ثم نجد عالم مصريات حجة هو نافيل يرفض تماما أن تكون صان الحجر هى حواريس الهكسوسية وقدم على ذلك برهانا قاطعا بعد أن وجد كلا من البلدين مذكوراً بمفرده فى قائمة آمنموبى، وهو ما لايقبل معه احتسابهما مدينةواحدة [٨] .

ثم اشتد نافيل فى المخالفة وذهب إلى أن رعمسيس التوراتية هى التى كان يطلق عليها اليونان اسم فاقوسة، التى هى برأيه سفط الحنة الآن، والسبب أيضاً آثار لرمسيس، حيث تم العثور هناك على قطعتين من الجرانيت الأسود باسم رمسيس الثانى مع قطعتين أخريين من البازلت باسمه، ومن هنا رأى نافيل أن سفط الحنة هى رعمسيس التوراة، وأنها كانت عاصمة المقاطعة العشرين من مقاطعات الدلتا التى عرفها اليونان باسم المقاطعة العربية (أرابيا).

هذا علما أن جاردنر قبل أن يذهب برعمسيس إلى صان الحجر كان يؤكد أن رعمسيس هى بيلوز / الفرما [٩] .

أما بترى وهو حجة مصريات معلوم فقد خالف هؤلاء وأولئك معتمداً أيضاً على آثار لرمسيس الثانى تم العثور عليها فى موضع مخالف تماما، فقال إن رعمسيس هى تل رطابة حاليا فى النصف الشرقى من وادى طميلات غربى تل المسخوطة. حيث عثر هناك على معبد لرعمسيس الثانى ثم على أثر يصوره وهو يضرب أسيراً آسيويا أمام الإله آتوم، وأثر ثالث على هيئة تمثال جرانيتى أحمر لرمسيس الثانى والإله آتوم، عليه عبارة تقول: " عظيم الاحترام عظيم الروعة فى البلدان وعلى البلدان الأجنبية البعيدة، ملك مصر العليا والسفلى رعمسيس ابن الشمس معطى الحياة، الذى أوقع مذبحة فى أرض الشاسو ونهب تلالهم وقتلهم، **قد**

---

(٦) جمال حمدان: شخصية .. سبق ذكره، ج١ ص٢١٧ .

(٧) إبراهيم محمد كامل: إقليم شرقى .. سبق ذكره، ج٢ ، ص ٣٨٦ .

(٨) سليم حسن: مصر القديمة .. سبق ذكره، ج٦ ، ص ٣٨٤ .

(٩) Gardiner, J.E.A acl XIX P١٢٢ ff.

بنى مدينة باسمه للأبد " ؟ وقد اعتبر فلندر بترى العبارة الأخيرة دليلاً قاطعا على وقوع رعمسيس فى موقع **تل رطابة** الحالية، خاصة أنه قد عثر بها على غرف عديدة استخدمت كمخازن، والتوراة تشير إلى أن الإسرائيليين قد استعبدوا فى بناء مدينتى مخازن هما فيثوم ورعمسيس (١٠) .

وكلما زادت مساحة الكشوف الأركيولوجية زادت الخلافات وازداد الالتباس، فقد عثر المنقب محمود حمزة على دور سكنية فى حفائر قام بها فى قنتير شمالى الزقازيق، وتبعد حوالى ١٧ كم إلى الجنوب من صان، وتقع فوق تل أثرى تآكل بمرور الزمن وأصبح فى مستوى الأرض الزراعية. ووجد فى حفائره آثاراً من الأسرة الثانية عشرة والأسرة التاسعة والعشرين، كما عثر على أطلال لقصر يخص الملك ستى الأول، أما الأهم فكان عثوره على لوحة دون عليها " الإله الطيب الأسد ضد السوريين الإله الطيب حبيب سوتخ ". وهى إشارة واضحة للإله سيت الذى كان يعبده الهكسوس فى حواريس وعبده رعمسيس الثانى فى مدينته رعمسيس.

وبين الدور السكنية عثر محمود حمزة على آثار كثيرة باسم رعمسيس الثانى وموظفى عهده، دونت بكتابات هيراطيقية على كسرات فخار كثير تتضمن أيضاً اسم رعمسيس (١١) .

ونظراً لأهمية هذا الكشف تحديداً، نستمع إلى محمود حمزة نفسه يعقب على حفرياته فى قنتير فيقول:

" إن سيتى الأول كان أول من أقام فيها قصراً ليجعله مكانا لراحته بعد عودته من حروبه في آسيا، ولما جاء عهد رعمسيس الثانى رأى أنه تسهيلا للقبض بيد من حديد على ممتلكاته فى آسيا وتخليص البلاد من غارات الساميين المتتالية، أن يترك مقره فى طيبة ويجعله فى الدلتا على مقربة من فلسطين ليقمع أى ثورة فى مهدها. لذلك يعد من الأمور الهامة فى حكم رعمسيس الثانى انتخاب موضع قنتير ليكون مقره الملكى فى الدلتا. والواقع أننا وجدنا فى الحقول والبيوت عوارض أبواب وعتب نقش عليها اسمه، هذا بالإضافة إلى مئات القراميد والزهريات المصنوعة من الخزف، والأشكال التى كانت تؤلف جزءاً هاما فى تزيين القصر وزخرفته. على أن وجود مئات القوالب من الفخار المطلى باسم سيتى الأول ورعمسيس الثانى ومرنبتاح الأول وسيتى الثانى ورعمسيس الثالث ورعمسيس السابع ورعمسيس العاشر، لبرهان على أن هؤلاء الفراعنة كانوا يقطنون هذا القصر، الذى كان يحلى بمنتجات مصنع خاص به، وذلك ليكونوا على اتصال بأملاكهم الآسيوية .. كذلك كان فى قنتير معابد للآلهة آمون وبتاح وست .. وتحمل كثير من قوالب الفخار المطلى الذى عثر عليه فى قنتير اسم رعمسيس الثانى، مصحوبا باللقب (با نتر) أى روح الإله، وأخرى تحمل طغراء الملك مصحوبا بالنعتين: شمس الأمراء وحاكم الحكام .. **فإذا كانت قنتير هى رعمسيس فإنه لابد من البحث عن حواريس فى مكان آخر** " (١٢) .

---

(١٠) سامى سعيد: الرعامسة .. سبق ذكره ، ص ٩٩ .

(١١) نفسه: ص ٩٩ ، ١٠٠ ، ٢١٣ .

(١٢) سليم حسن: مصر القديمة، ج٦، ص ٣٨٨ .

ومن ثم اعتمد المهندس على بك شافعى اكتشافات محمود حمزة وسلم بأن قنتير هــى رعمســيس وأن فاقوس الحالية (وليس فاقوسة / سفط الحنة) هى فيثوم ويرسم خريطة الخروج اعتماداً على دليل ســفر حــج الراهبة ايثيريا، لكنه يتغافل تماما عن المسافة التى ذكرتها تلك الراهبة بين فيثوم ورعمسيس، **لأن المســافة بين فاقوس وقنتير تصل إلى حوالى ضعف المسافة التى ذكرتها ايثيريا بين فيثوم ورعمسيس .**

وحتى لا نغمط دى بوا إيميه حقه، فإن الكشوف الأركيولوجية الحديثة يمكنها دعم وجهة نظــره بعــد رحيله بزمن. فى أن موقع تل المسخوطة كان هو مدينة رعمسيس، فقد جاء من بعده فرديناند دليسبس ليعثر أثناء حفر قناة السويس فى موقع المسخوطة على عدد من التماثيل والنصب وأشكال لأبى هول صغير تعــود إلى عهد رمسيس الثانى، وهى محفوظة الآن فى متحف الإسماعيلية. كذلك تم العثــور علــى ثــالوث مــن الجرانيت الوردى لرعمسيس الثانى جالسا بين الإلهين حوراختى وخبرى، ولوحة أخــرى مــن ذات المــادة لرعمسيس الثانى يقدم تمثال ماعت للإله حور أختى. ثم محراب من الجرانيت الأحمر لرعمسيس الثانى وهو يحتفل بعيده الثلاثينى (حب سد)، وتمثالاً لأبى الهول من الجرانيت الأسود من الدولة الوسطى سبق واغتصبه لنفسه أحد ملوك الهكسوس ثم جاء رعمسيس الثانى فاغتصبه لنفسه ثانية ودون عليه اسمه، كما عثــر علــى صقر يحمل طغراء الملك رعمسيس الثانى من الجرانيت الأسود.

والأخطر أنه تم العثور على آثار واضحة لسور ضخم من **اللبن** حول معبد كبير، وقد جاء فى روايــة التوراة: " فاستعبد المصريون بنى إسرائيل بعنف ومرروا حياتهم بعبودية قاسية فى الطين و**اللبن** / خروج ١ / ١٣ ، ١٤ ". وحديث الطوب اللبن متكرر فى سفر الخروج كما فى الإصحاح خمسة مثلا. وهو ما يــرجح بدوره أن تكون المسخوطة هى رعمسيس التوراتية.

وهكذا كانت شخصية رعمسيس الثانى النرجسية المتضخمة، وعشقه للمعمار وانتشار هذا المعمار فــى مناطق واسعة، مدعاة لتعدد الاحتمالات حول موضع مدينة رعمسيس التوراتية، كلما وجــد المنقبــون اســم رعمسيس فى موضع من المواضع. ومن ثم **نؤكد مرة أخرى أن الآثار وحدها ليست بالقطع كافية وحــدها للفصل فى مسألة أين رعمسيس التوراتية؟!**، وهو ما فعلته النظريات السوالف جميعا، وكان نقطة ضــعفها الأساسية، حيث اعتمدت على آثار الحفائر وحدها.

ومن أجل وضع تصور واضح أقرب إلى القبول حول تلك المواضع التوراتية والاتفاق مع ما لدينا من مصادر ومادة علمية هائلة رغم تنافرها وتضاربها، علينا أن نعيد ترتيب مابيدنا الآن من أوارق .

أولاً : أقام الهكسوس فى مصر عاصمة لهم هناك على الحدود الشرقية للدلتا باسم يمكن نطقــه متعــدداً دون خلاف هو (حوت وعرت، حوارة، هواره، حواريس، أواريس ـــ أفاريس، حويرة، حويلة). وإن تلــك المدينة كانت مقراً عسكرياً ودينيا وكان الإله المعتبر فيها هو إله الشر المصرى سيت أو كمــا نطقــه الهكسوس (سوتخ) بتصريفه إسمياً. وإنها بالتأكيد تقع إلى الشرق من الفرع البوباستى للنيــل حســبما جاءنا فى مقبرة الضابط المصرى أحمس بن ابانا الذى حكى لنا قصة معارك التحريــر التــى قادهــا الفرعون أحمس بن سقننرع.

• شيد الفرعون رعمسيس الثانى مدينة باسمه أو أعاد بناءها حيث كانت قائمة قبله، ويحتمل أن تكون هى ذات مدينة الهكسوس أولا تكون، وإلى القرب منها حسب خط سير رحلة الراهبة ايثيريا بحوالى ٤ أميال أى أقل من ستة كيلو مترات ونصف تقـــع مدينة أخرى باسم فيثوم أو بى توم أو باتوموس.

• إلى الشرق من هاتين المدينتين تقع محطة أولى على طريق الخروج باسم سكوت المظنون أنها الآن الخشبى أو أبوكيشيد المعروفة باسم تل المسخوطة، وأن المسخوطة كانت تلك التى جاءنا ذكرها عنـــد اليونان باسم هيروبوليس.

ثانيا: اختلفت آرء الباحثين فى تحديد موقع مدينة رعمسيس وجارتها فيثوم كالآتى:

• افترض دى بوا إيميه أن رمسيس أو بيتوم هى التى ذكرها اليونان باسم هيروبـــوليس وأنهـــا تـــل المسخوطة الآن وأنها كانت ميناءً دوليا على قمة الخليج العربى المعروف الآن بخليج السويس، الخليج كان يمتد فى ذلك الزمن ليملأ كل حوض القلزم ويلتحم بالبحيرات المرة وببحيرة التمساح.

• افترض آخرون مثل بروجش وجاردنر أن مدينة رعمسيس هى ذات عين المدينة المذكورة بالوثائق التاريخية باسم تانيس وأنها هى هى صان الحجر حالياً، وذهب معهما ذات المذهب بيير مونتييه، إلا أن يونكر رفض توحيد حواريس ــ الهكسوسية ــ بتانيس بعد أن وجد كل منهما مذكوراً بمفرده فى قائمة آمنموبى .

• رأى بترى أن رعمسيس هى تل رطابة الحالية بوادى طميلات.

• رأى محمود حمزة أن رعمسيس هى قنتير الحالية مع رفضه أن تكون هى حواريس الهكسوســـية، وقد تابعه على ذلك على بك شافعى الذى رسم وفقا لأكتشـــاف حمزة خط سير الخروج الإسرائيلى من مصر.

• اعتمد نافيل على كشوف أثرية بدوره ليقول إن رعمسيس هى سفط الحنة الحاليـــة وكـــان اليونـــان يسمونها فقوسه وكانت عاصمة المقاطعة التى عرفها اليونان بالمقاطعة العربية لغلبة العنصر الســـامى بين سكانها. ورفض بدوره أن تكون هى حواريس الهكسوسية.

ثالثا : إن لمدينة رعمسيس عدة مواصفات أمكن تحديدها من التوراة ومن اللوحة المنقوشـــة علـــى جـــدار الكرنك، ومن رسالة أحد الكتبة إلى سيده كاتب البلاط، ومن قصيدتين فى مديح رمسيس تعرفان باســـم

القصيدة الصغرى والقصيدة الكبرى، ومن هذه المصادر يمكن تجميع أهم الصفات والشروط للمدينة التى نبحث عنها فى موقع يجمع مواصفات من الصعب أن تجتمع لمدينة على خريطة مصر، وهذه المواصفات كالتالى:

- نحن بحاجة إلى **موضع تتوفر فيه آثار تشير إلى المدينة باسم رعمسيس بشكل واضح** وهذا شرط أول، وقد أخذ به الباحثون المصرولوجيون كشرط وحيد وليس أولا مما أدى إلى تضارب شديد فى تحديد موضعها مع تعدد المواضع التى عثر فيها على اسم رعمسيس فى آثاره الهائلة عدداً وتفرقاً.

- **يجب أن يقع هذا الموضع فى أقصى شرقى الدلتا على الحدود مع البرارى المتصلة بسيناء** بحيث يكون حسب قصائد مديح رعمسيس آخر كل أرض مصرية وبداية كل أرض أجنبية أو فلسطينية.

- إن تلك المدنية **عند طرف الطريق الوحيد المؤدى إلى خارج مصر شرقا** رغم تعدد الطرق إلى الشرق؟!

- أن يسمح الموضع بقيام **ميناء دولى** يستقبل سفنا بحرية تفد إليه بجزية بلدان العالم المعروف آنذاك.

- أن يكون فى الجوار موضعا أو **قناة ماء بالتحديد تحمل اسم شيحور** حسبما جاء بالتوراة أو سيهور حسبما جاء بقصائد مديح رعمسيس المصرية.

- **أن تطل كميناء على الساحل الغربى لبحر يحمل اسم سوف** وأن يتناسب هذا البحر فى ظروفه مع اسم سوف أى **بحر البوص**، فيجب أن يكون ضحلا، وأن يستقبل ماء عذبا من قناة نيلية، وتلك الضحالة

ستتضارب مع القول بميناء يستقبل سفنا كبرى، وهى بذاتها مشكلة مستعصية.

- **ربما كانت رعمسيس هى حواريس الهكسوسية،** وإذا لم تكن فيجب البحث عن موضع مناسب لمدينة حواريس لقطع الشك باليقين.

- فى جوار رعمسيس وعلى بعد أربعة أميال منها حسب الراهبة إريثيريا يجب أن تقع **مدينة أخرى باسم فيثوم** أو بيتوم، ويجب أن نعثر فيه على آثار مصرية تؤكد ذلك سواء بشكل مباشر أو غير مباشر.

- أن تقع رعمسيس وفيثوم فى محيط إقليم واحد يعرف عند اليونان باسم **الإقليم العربى**، وفى التوراة باسم **جاسان**.

- أن نجد ما يشير إلى أن إحدى المدينتين رعمسيس أو فيثوم كانت **تحمل اسم صوعن** الوارد بالتوراة.

- أن يقع **إلى الشرق** من موقعنا هذا موضعا يحمل اسم **سكوت يبعد بمسافة سفر يوم واحد بالعربة التى تجرها الجياد** حسبما علمنا من سفر يوسف من القصر الملكى إلى الحدود لاستقبال أهله. كما كانت سكوت محطة الراحة الأولى فى طريق الخارجين، كذلك من خبر الموظف المطالب بمطاردة عبدين هاربين من القصر الملكى واستغرق سفر يوم واحد. أى يجب وقوع سكوت قرب طرف الطريق للخارج من رعمسيس نحو الحدود، وأنها أول ما يقابل الداخل من سيناء إلى مصر نحو رعمسيس ، **مع وجوب وجود آثار مصرية** تشهد بذلك.

- أن يقع موضعنا الذى نبحث عنه غربى بحر ســوف بينما **يقع شرقه موضــعا باســم شــور** حيــث إن الخارجين قد خرجوا من البحر إلى برية باسم شور، حسب الأسطورة التوراتية.

- إلى الشرق من موضعنا هذا بمسافة سفر يوم كامــل تقع مجموعة إحداثيات جغرافية على الساحل الغربى لبحر سوف هى **مجدل وبعل صافون وفم الحيروث،** بينما يقع إلى شرق هذا البحر الموضع شور.

. . . . وهكذا فنحن نبحث تقريباً عن المستحيل.

نظرية المؤلف لضبط جغرافية الخروج

بين رعمسيس وحواريس

كان آخر ملوك الهكسوس على مصر هو الملك أسيس الملقب بلقب أبو فيس الثانى، وذلك حسبما ورد عند يوسفيوس نقلا عن المصرى مانيتو، وهو ما طابق قائمة الملوك المعروفة باسم بردية تورين. وهو الملك الأخير من الحكام الأجانب وقلنا أنه قد بدأت الثورة ضده من طيبة بقيادة الملك سقننرع وولديه كامس ثم أحمس، وحسب القصة التوراتية تمكن يوسف ببراعة إسرائيلية من الوصول إلى الحظوة الملكية فصار وزيراً لخزانة الهكسوس فى مصر. ثم تمكنت الثورة المصرية من الإطاحة بالاحتلال، ليقلب الزمان لبنى إسرائيل وجهاً آخر، تمثله بصدق – وتطابق على صدقنا آيات – التوراة إذ تقول:

> **ثم قام ملك جديد على مصر لم يكن يعرف يوسف ..**
> فجعلوا عليهم رؤساء تسخير لكى يذلوهم بأثقالهم، فبنوا
> لفرعون مدينتى مخازن: **فيثوم ، ورعمسيس.**
>
> خروج ١ / ٨ ، ١١

النص يقول إن ملكاً جديداً قد قام على حكم مصر، وهو أمر طبيعى، وربما يعنى موت الملك السابق أسيس ومجيئ ملك جديد، لكن النص هنا يحمل دلالات أخرى، لأنه لو كان الأمر قد سار على الوتيرة المنطقية للأحداث لكان ضروريا أن يعرف الملك الجديد الذى نشأ بالبلاط وعاينه وارتقى فيه المناصب، من هو يوسف ومن هم أهله؟ خاصة أن يوسف كان يشغل أحد أهم المناصب الكبرى فى الدولة. لكن النص يقول إن هذا الملك الجديد ليس فقط لم يكن صاحب علاقة مباشرة بيوسف، أى أنه جاء من خارج البلاط الحاكم المعروف ليوسف حينذاك، بل جاء وهو يحمل ليوسف وأهله ضغينة شديدة فاستعبدهم وسخرهم فى بناء مدينتين للمخازن الأولى باسم فيثوم والثانية باسم رعمسيس.

لقد قالت التوراة ذلك قبل اكتشاف حجر رشيد وفك رموز اللغة الهيروغليفية بقرون بعيدة، لكننا قد أصبحنا نعرف الآن من علوم المصريات الحديثة مصداقية تلك التسميات، لأن فيثوم هى (بر – آتوم) أو بالنطق الملتبس بالسامى (بى – توم) بإسقاط حرف الراء المعترض والثقيل، و(بر) أو (بى) أو (فى) تعنى المقر أو البيت أو المعبد أو المسكن أو الفم أو المصب أو أول الطريق أو نهايته فهى دلالة مكانية على الإطلاق، فهى بهذا المعنى تصبح (مقر آتوم) وآتوم هو الإله المصرى المعلوم الشأن، هكذا أخبرنا أصحاب علم المصريات عن مدينة (فيثوم) أو (بى توم). أما (رعمسيس) فهى لاشك تلك التى كشف عنها علم المصريات الحديث فى المدونات المصرية التى تذكرها باسم (بررعمسيس) أو (بى رعمسيس) أو (بى رعمسه) بحذف (ى س) وهو التصريف اليونانى المعلوم للأسماء، و (رع مس يس) هو اسم لسلسلة من الفراعين حكموا مصر بدءاً من الأسرة التاسعة عشرة باسم سلالة الرعامسة، وبإسقاط حرف (ع) بالتخفيف يصبح الاسم هو (رمسيس) المتداول حتى الآن كمسمى بين المصريين الأقباط بالذات. وإن أكد لنا

المصرولوجيون أن مدينة رعمسيس يجب أن تنتسب تحديداً للفرعون العظيم المحارب وعاشق المعمار الـذى لم يترك مقاطعة فى مصر إلا وترك فيهما أثاراً باسمه والمعروف باسم (رمسيس الثانى) وهو والد الفرعون مرنبتاح صاحب لوح إسرائيل المشهور. وبسبب ذلك اللوح تم استنتاج أن رمسيس الثانى كان هـو فرعـون الاضطهاد الذى سخر الإسرائيليين الأسرى بمصر فى أعماله الإنشائية الكبرى، أما ولده مرنبتاح فكان هـو فرعون الخروج الإسرائيلى من مصر زمن النبى موسى.

لكن إذا كان باني المدينة ومنشئها لأول مرة هو رعمسيس الثاني، فإن ذلك سيتضـارب مـع روايـة التوراة حول استقرار يوسف واخوته في مدينة رعمسيس قبل زمن رعمسيس الثاني بزمان، وهي المشـكلة التي واجهت أحمد عثمان فحاول حلها بالقول: أن تسمية المدينة باسم رعمسيس لا تعود إلى رعمسيس الثاني إنما إلى رعمسيس آخر، خاصة أن عثمان يرفض النظرية التي تربط بين الإستعباد الإسرائيلي وبين رمسيس الثاني، لذلك يلجأ إلى الضابط رعمسيس الذي أصبح فيما بعد رعمسيس الأول وكان قد تولى مناصبه زمـن العمارنة ثم حكم بعد سقوط أسرة العمارنة وانتهاء حكم حور محب مؤسس الأسرة ١٩. لكنه فى رأينا كـان حلا شديد العسف والتكلف، لأنه من الصعب تصور مدينة مصرية كبرى تنسب فى نشأتها واسمها إلى ضابط صغير لم يكن متوقعاً ماذا سيكون مستقبله حين نشأتها. ومن ثم نتصور من جانبنا أن ما حدث هو أن المحرر التوراتى قد ذكر المدينة بالاسم الذى كان قد استقر وأصبح مشاعا معلوما حتى زمن تدوينه ذلك النص، وهو ما ذهب إليه باحث رصين مثل فراس السواح إذ يقول: " فى الحقيقة إن أرض رعمسيس ومدينة رعمسـيس مما ورد ذكره فى سفر الخروج مسألة لايمكن الاعتماد عليها فى تحديد زمن الخروج، لأن المحرر التوراتى قد استخدم اسم أرض رعمسيس فى الإشارة إلى منطقة الدلتا منذ أيام يوسف أى قبل بناء مدينـة رعمسـيس بحوالى خمسمائة سنة [أى قبل زمن رمسيس الثانى بفرض أنه هو بانى المدينة / المؤلف]. وهـذا يعنـى أن المحرر التوراتى الذى كان يكتب سفر الخروج فى فترة متأخرة من الألف الأول قبل الميلاد، قـد اسـتخدم الاسم الذى يعرفه لمنطقة الدلتا بصرف النظر عن ارتباط هذا الاسم بفترة تاريخية معينة ". (١٣)

وبهذا المعنى أجرى (روبنسون) أبحاثه وانتهى إلى القول: " لعل ذكر بيثوم Pithom ورعمسيس تفسير متأخر من كتاب القصة، وأن القصة فى صورتها الأصلية لم تسم هذه المدن " (١٤) .

وبالفعل فإنك تجد تسمية رعمسيس لموضع سكنى الإسرائيليين بمصر يبدأ مبكراً جداً وليس متأخراً مع الاضطهاد وظهور موسى، فقد كانت المدينة موجودة زمن يوسف، وزمن الدخول إلى مصر. وإذا كنـا قـد أكدنا أنه دخل زمن الهكسوس فهو ما يعنى أنه دخل عاصمة الهكسوس المصرية حواريس قبـل أن يحكـم مصر أى فرعون باسم رمسيـس، لكن المحرر المتأخر عندما كتب القصة كتـب اسـم المدينـة المتـداول (رعمسيس) وهو الاسم الذى كان متداولاً حتى عهده، وهو ما يعنى أن رعمسيس هى ذات عـين حـواريس الهكسوسية، والنص المقصود هو الذى يقول:

---

(١٣) السواح: أرام .. سبق ذكره ، ص ٧٥ .

(١٤) روبنسون: إسرائيل فى ضوء .. سبق ذكره، ص ١٠٧ .

فأسكن يوسف أباه وإخوته وأعطاهم ملكا في أرض
مصر، في أفضل أرض مصر، في أرض رعمسيس،
كما أمر فرعون.

تكوين ٤٧ / ١١

هذا عن الترجمة العربية عن النص العبرى المازورى، أما النص السبعونى اليونانى فيورد ذات الكلام مطابقا مع اختلاف وحيد لكنه تأسيسى فى كلمة واحدة هى اسم المدينة التى سكنها الإسرائيليون فى مصر، فبدلا من رعمسيس تأتى التسمية اليونانية (هيروبوليس) والتى تترجم عادة ترجمة اعتباطية بمعنى (مدينة الأبطال). فهل كانت مدينة حواريس الهكسوسية هى بالتحديد التى حملت بعد ذلك اسم مدينة رعمسيس وأطلق عليها اليونانيون اسم هيروبوليس؟ أم أن هذه غير تلك غير الأخرى؟ هذا لغز أول حول التسمية، ناهيك بعد ذلك عن تحديد الموضع الجغرافى التدقيقى، وفيه من الفروض والأقوال مالم يلتق أبداً مع بعضه البعض.

والتوراة تضع مدينة رعمسيس وجارتها مدينة فيثوم أوبى توم كمدن رئيسية ضمن مقاطعة كبيرة تسميها جاسان فتقول:

وسكن إسرائيل فى أرض مصر فى أرض **جاسان،**
وتملكوا فيها وأثمروا وكثروا جداً

تكوين ٤٧ / ٢٧

ثم لتزيدنا التوراة التباسا تعطينا اسما آخر للمدينة التى سكنها الإسرائيليون بمصر هو كما فى النصوص:

قدام آبائهم صنع أعجوبة فى أرض مصر، بلاد
صوعن. شق البحر فعبرهم ونصب المياة كند .. جعل
فى مصر آياته وعجائبه فى بلاد صوعن .

مزامير ٧٨ / ١٢ ، ١٣ ، ٤٣

ونبدأ بالسؤال الملحاح الذى لم يجد حتى الآن إجابة قاطعة بين مبعثرات التاريخ القديم وشظاياه: أين تقع المدينة التى اتخذها الهكسوس مركزا عسكريا وإداريا فى مصر، وجاءنا ذكرها عبر المؤرخ المصرى (مانيتون ق ٣ ق.م) باسم (حواريس) أو (أواريس)، أو (حواعرة) أو (هوارة) بالنطق المصرى، وأنها كانت

تقع فى مقاطعة مصرية باسم (ستروريت)؟ وهو ما نقله عن (مانيتو) مؤرخو العصر الكلاسيكى أمثال يوسفيوس ويوليوس الأفريقى وغيرهم.

إن البحث عن مقاطعة الإله سيت التى تمركز فيها الهكسوس (ستروريت) فى جدول المقاطعات المصرية التى دونها المصريون القدامى بأنفسهم، وعلى تغير اسمائها عبر الزمن، أمر غير مجد، فقد سعينا وراء تلك الجداول ولم نجد أى ذكر لمقاطعة باسم (ستروريت).

وللحل افترضنا احتمالين: الأول أن تكون جداول المقاطعات المصرية قد ذكرتها باسم آخر، والاحتمال الثانى يرتبط بالأول، إذ يحيل الاسم (ستروريت) فورا إلى الإله (سيت) ، ومن ثم يحتمل أن يكون (مانيتو) قد نحت لها اسما منسوبا الى ربها المعبود (سيت) فأسماها (سيتروريت) نسبة إليه، بمعنى المقاطعة (الستية).

وحتى الآن، ورغم ما بذل من جهود، لم يوفق علماء المصريات إلى اتفاق واضح حول موضع (حواريس) وهو فى أصله المصرى (حواره) مع إضافة التصريف الإسمى (يس)، وهو التلوين اليونانى الذى لحق إله المقاطعة (سيت)، فحمل الاسم اليونانى (تيفون)، لما يجمع بين الإلهين: المصرى واليونانى من صفات الشر والجدب والأفعال الرديئة الحمراء. ويتضح ذلك الدأب اليونانى فى إطلاق أسماء يونانية على جميع المدن والآلهة المصرية الأخرى.

وتعتقد جلة محترمة من الباحثين أن مدينة الهكسوس (حواريس) أو (حاوعرة) هى ذات المدينة التى عرفت بعد ذلك باسم (تانيس)، إلا أن المشكل يظل قائما إذ لم يتم إتفاق الرأى حول موقع (تانيس)، ذاتها؟ ولم يتم الاتفاق حول موضعها بشكل قاطع، وإن كان من المتفق عليه وجوب البحث عنها على حدود الدلتا الشرقية مع سيناء، استناداً إلى كون الإسرائيليون وهم ساميون، قد عاشوا فى تلك المناطق، وربما كانوا على علاقة بالهكسوس قد رجحنا أن تكون هي القابعة تحت تل تنيس شمالي بحيرة المنزلة استناداً إلى جمال حمدان. وقد أطلقت التوراة على المدينة التى عاش فيها الإسرائيليون اسم (صوعن / سفر العدد ٢٢/١٣)، ولأن (صوعن) تعتبر عند بعض الباحثين هى ذات عين (تانيس) فقد انتهوا بالقياس إلى أنها هى ذات (حواعرة/ حواريس)، وإن كان هذا التأكيد برمته فيما يرى (جاردنر) (١٥) لم يزل موضع جدل شديد حول مصداقيته التى لم تزل قائمة على افتراضات وتخمينات وأنها تتوقف أساساً على اليقين بأن بنى إسرائيل عاشوا فى (حاوعره) الهكسوسية. وأن (حاوعره) هى (تانيس) حقا، وأنها المدينة المعروفة فى التاريخ والمذكورة فى التوراة باسم (رعمسيس). ومعنى (حاوعره) فى المصرية القديمة هو المدينة المتطرفة أو الواقعة على الحدود، وأسماها اليونانيون (أفاريس)، الذى حُرف إلى (أوراس) و (أواريس) و (هواريس) و (هوارة) و(حواريس)، وعادة ما تسمى بها مدن البدو المتطرفة فى مصر حتى اليوم كما لو كانت بقية من مأثور قديم، فيطلق المصريون على مدن الحواف الصحراوية اسم (الهوارة).

---

(١٥) جاردنر مصر الفراعنة ..، سبق ذكره، ص ١٨٧.

وسبق وأفادنا (مانيتو) أن حواريس كانت **تقع على الضفة الشرقية للفرع النيلى الدلتاوى المعـروف باسم البوباسـطى،** نسبة لوقوع مدينة (بوباسطة) على ساحله الغربى، والتى تعرف اليوم باسم (تل بسـطة)، وكانت مقراً لتقديس الإلهة القطة (باستت). (علمـا بأن هذا الفرع قـد ضـمر الآن، وحلـت محلـه تـرع ومصارف، مثله مثل الكثير من الفروع الكبرى الأخرى للنيل، والتى بلغ عددها أيام هيرودت سـبع فـروع كبرى فى الدلتا، وحدثنا عنها فى تاريخه ولم يبق منها سوى فرعين رئيسيين هما دمياط ورشـيد). ونفـس القول حول وقوع حواريس على الفرع البوباسطى للنيل، يأتى فى قصة (أحمس ابن أبانا) لتؤكـده ولا تـدع مجالا للشك فى ذلك. وهناك تيار قوى بين العلماء يذهب إلى أن مدينة (حواريس) هى بالضبط مدينة (صان الحجر) الحالية، استنادا إلى شواهد أهمها الشاهد الأركيولوجى المعروف بلوح الأربعمائة سنة، الـذى عثـر عليه بين مجموعة كبيرة من الأنقاض التى تشير إلى مدينة مصرية كبرى كانت تقوم فى هذا المكان.

ويذكر نص اللوح الأربعمائى أميراً باسم (رعمسيس) يقـوم علـى احتفـال كبيـر سـمى الاحتفـال الاربعمائى، فتم الربط بين (رعمسيس) هذا و(رعمسيس الثانى) من ناحية، وبينه وبين اللوح الأربعمائى من ناحية أخرى، وأخيراً بين للوح الأربعمائى وبين عبادة الإله (ست) فـى تلـك المدينـة. حيـث معلـوم أن (رعمسيس) وفراعنة الأسرة التاسعة عشرة قد قدسوا (ست) الإله الذى سبق وقدسه الهكسوس فى مـدينتهم، حتى أن والد الفرعون (رعمسيس الثانى) انتسب باسمه إلى الإله (ست) وتسمى باسم (ستى) أى (السـتّى). ومن ثم كان الإستنتاج أن (رعمسيس الثانى) قد أقام مدينة باسمه فى ذلك الموضع الذى كان يعبد فيه (ست)، وأن عبادة (ست) قد تكرست ـــ حسبما جاء باللوح الأربعمائى ـــ فى ذلك المكان منذ أربعمائة عام سبقت (رعمسيس). وعلى تلك الارتباطات تم الافتراض التزميينى عند جاردنر لمدة حكم الهكسوس لمصر ب ١٠٨ سنة، مع إضافة سنى الملوك الذين حكموا مصر بعد الهكسوس حتى زمن (رمسيس الثانى) لتكمل الأربعمائة سنة. ومسألة بداية تكريس (ست) فى مدينة باسم حواريس لدى الهكسوس وارادة فى تاريخ (مانيتو)، وأكدته (قصة الملك أبوفيس وسقننرع) وقد برهن المصرولوجست (يونكر) على أن (ست) كان الإله المحلى لبلـدة باسم (سترت STRT) وأنها سميت (سيترويت Sethroite) فى العهد الإغريقى والتى ذكرها (مانيتو) كمقاطعـة مصرية سكنها الهكسوس، وأكد (يونكر) أنها لابد تقع فى شمال شرقى الدلتا (١٦). لكن أين بالتحديد؟ لا يجيبنـا (يـونكر). المهم أن علماء المصريات وضعوا استنتاجاً يقول: إن مدينة الهكسوس (حواريس) هى ذاتهـا التـى أعـاد (رعمسيس الثانى) بناءها بعد ذلك بأربعمائة سنة، وأنها حملت اسم (رعمسيس) وبعد ذلك أطلق عليها اليونان اسمها المشهور تانيس، وهى ذاتها التى أطلقت عليها التوراة اسم (صوعن) واسم (رعمسيس) ، وقالت: إنها المدينة التى اضطُهد الإسرائيليون فى بنائها، وهى التى تحمل اليوم اسم (صان الحجر) (١٧)، حيـث عثـر هناك على اللوح الأربعمائى، الذى يقول فيه (رعمسيس) عندما كان أميراً.

---

(١٦) سليم حسن: مصر القديمة .. سبق ذكره، ج٤، ص ٦٥٠

(١٧) Montet, Le Novelles Fouilles des Tanis, P. ١٥ - ٣٢ .

انظر أيضاً:

Will, The problem of situation of Avaris, J.E.A, V. XX١, ١٩٣٥ p. ١١ ff.

السنة الأربعمائة من الشهر الرابع فى فصل الصيف، فى اليوم الرابع من حكم ملك الوجهين البحرى والقبلى ست Sotch ، عظيم القوة ابن الشمس نبتى المحبوب من رع حور أختى، الذى سيبقى مخلداً. حضر الأمير الوراثى المشرف على العاصمة، والوزير، والمشرف على البلاد الأجنبية، والمشرف على حصن شارو، ورئيس المازوى، والكاتب الملكى، والمشرف على الخيالة، ومدير عيد كبش منديس، والكاهن الأول للإله ست، والمرتل للإلهة بوتو فاتحة الأرضين، والمشرف على كهنة الإلهة ستير.

لقد حضر الأمير الوراثى رعمسيس المرحوم، الذى وضعته ربة البيت المغنية تيا المرحومة، ليقول : الحمد لك ياست بن نوت، ياصاحب القوة العظيمة فى سفينة الملايين، الذى طرح الثعبان المعادى لرع أرضنا، والذى على رأس سفينة رع، ومن صوته العظيم فى الحرب، ليتك تمنحنى حياة جميلة، لأجل أن أخدمك، ولأجل أن أبقى فى حظوتك[١٨].

ولنلحظ أن ذلك اللوح الاربعمائى، وحتى تدوينه ونصبه فى مكانه، لم يكن يتحدث عن (رعمسيس الثانى) بوصفة فرعونا، إنما بوصفه أميراً وارثا يحمل تلك الألقاب العديدة. لذلك ذهب الاستاذ (زيته) إلى الظن أن ذلك العيد الأربعمائى قد حدث فى عهد الملك (حور محب) حوالى عام ١٣٣٥ - ١٣٠٨ ق.م، والذى يفصله عن الملك (رعمسيس الثانى) ملكين هما: (رعمسيس الأول) و(ستى)، وأنه ربما كان (رعمسيس الثانى) إبان حكم حور محب أميراً وقائداً عسكريا مهما، قبل أن يتولى سدة الحكم بعد ذلك[١٩].

أما أول ذكر لمدينة (رعمسيس) باسم (بررعمسيس)، فقد ورد فى السنة الثانية لحكم (رعمسيس الثانى) حوالى عام ١٣٠٠ ق. م، فى نصب (أبيدوس)، الذى تعرض لأعمال (رعمسيس الثانى)، وإكماله معبد والده (سيتى الأول) فى معبد (أوزيريس) بمدينته المقدسة (أبيدوس). وقد وصف نصب أبيدوس رحلة بحرية قام بها (رعمسيس الثانى) حتى وصل إلى مدينة (بررعمسيس) [٢٠]، وقد استنتج الباحثون من ذلك ما يؤيد رأى

(١٨) غطاس الخشبة: سبق ذكره، ص ١٦٣.

(١٩) سليم حسن: مصر الفراعنة، سبق ذكره، ج٤، ص ٨٠.

(٢٠) سامى سعيد: الرعامسة .. سبق ذكره، ص ٩٨.

(زيته)، وهو **أن المدينة كانت موجودة وقتذاك، وأنها شيدت فى عهد سابق، وأن (رعمسيس الثانى) أضاف إليها وجددها.**

ويبدو أن أصحاب هذا الاتجاه الذى يرى أن (رعمسيس الثانى) قد استكمل تشييد المدينة وأطلق عليها اسمه، وكانت تقوم على انقاض (حواريس) الهكسوسية القديمة، وأنها هى ذات (تانيس) المذكورة بعد ذلك فى المدونات، وأنها ذات المدينة المذكورة باسم (صوعن) فى التوراة (انظر: متكررات منها مثلا ما جاء فى الأعداد ١٢،١٣ من المزمور ٧٨، فى قوله : "قدام آبائهم صنع أعجوبة، فى أرض مصر بلاد صوعن، شق البحر، فعبرهم، ونصب المياه كند" وأنها هى ذات (صان الحجر) الحالية. إضافة لما تشير إليه تلك الأسماء من علاقة لسانية تجيز ذلك الاستنتاج.

وعليه فإن المعلومة التى أوردها (مانيتو) حول اسم مدينة الهكسوس (حواريس) صحيحة مئة بالمئة، دعمتها نصوص التحرير المكتشفة، وإن كان مكانها غير محدد باليقين حتى الآن. كذلك المعلومة الثانية حول المعبود الأول للهكسوس (ست) أيضاً صادقة مئة بالمئة، وهو ما يضيف باستمرار رصيداً مستمراً لمصداقية (مانيتو) المصرى السمنودى. المهم الآن أن حواريس لم يزل مُختلفا عليها وعلى موقعها أشد الاختلاف. وقد ذهبت جلة محترمة من علماء المصريات إلى أن (حواريس) هذه هى ذات المدينة التى حولها الملك رمسيس الثانى فيما بعد إلى مدينة عامرة، وأعاد بنائها حتى كانت أزهى مدن الزمان، وأطلق عليها اسمه (رعمسيس).. إلا أن ما يحبط أى باحث هنا، أن مدينة (رعمسيس) نفسها، والتى ذكرتها التوراة باعتبارها مدينة الاضطهاد الإسرائيلى فى مصر، لم يتم الإتفاق على موقعها حتى اليوم بشكل قاطع، وإن كان مجمل الاتجاهات يذهب بها إلى شرقى الدلتا، على الحدود السينائية. وتناثرت الاقتراحات على خريطة محافظة الشرقية الحالية أو حدودها الشرقية مع سيناء، فقد ذهب (دى بوا إيميه) العالم المصاحب للحملة الفرنسية إلى أن مدينة (رعمسيس) كانت تقع قرب مدينة (السبع أبيار) الواقعة على الساحل الغربى لبحيرة التمساح، وموضعها الآن تل المسخوطة قرب مدينة الإسماعيلية. أما (جاردنر) فقد ذهب إلى أنها (بى لوز) أو (بيلوزيوم) المعروفة الآن بالفرما أو بالوظة إلى الشرق من بور سعيد، لكنه تراجع عن (بى لوز) واقترح مدينة (صان الحجر) الحالية على شاطئ بحيرة المنزلة الجنوبى، وذلك بعد أن ذهبت مجموعة متميزة من المصرولوجيين إلى موضعتها هناك، ومن هؤلاء (يونكر) و (بروغش) و(ببير مونيتيه). هذا بينما ذهب آخرون إلى وضعها على الخط الواصل بين شرقى الدلتا وبين البحيرات المرة وبحيرة التمساح، فى الوادى المعروف الآن بوادى طميلات، ومن هؤلاء (نافيل) الذى اقترح (صفط الحنة) غرب هذا الوادى موقعا لرعمسيس لكن بعضهم ذهب بها شرقا على ذات الخط فاقترح (تل رطابة) مثل (بترى)، وأوغل آخرون شرقاً فاقترحوا (تل المسخوطة) كما عند دى بوا – إيميه. أما آخر الإقتراحات وهو السائد الآن، فهو ماجاء بعد كشف أثرى كبير قام به (محمود حمزة) واقترح معه أن تكون رعمسيس هى (قنتير) الحالية إلى الشمال من فاقوس شرقى الدلتا.

والمعنى أننا لو أخذنا بأن (حواريس) هى ذات مدينة (رعمسيس)، فإن علينا الاتفاق على موضع (رعمسيس) أولاً . وحول الاسم (حواريس) من الأصل (حوارة، أو هوارة) يفيدنا (جاردنر) بأن معناه الإدارة المدنية للدولة. وإذا أخذنا بالنظرية القائلة أن الهكسوس قد كونوا إمبراطورية فلنا أن نفترض وجود أكثر من مركز إدارى لهم فى المنطقة ، وهو ما يقود إلى افتراض وجود أكثر من (حوارة)، وهو المفتاح الذى سيدلنا الآن على الموضع الذى تكرر كثيراً فى التوراة باسم (حويلة) . وما نقصده أنه لاخلاف على أن حواريس التى ذكرتها النصوص المصرية القديمة كانت مركزاً للإدارة الهكسوسية فى مصر وأنها كانت على الطرف الشرقى للدلتا الذى هو الطرف الغربى لسيناء، وإن لم يتمكن الباحثون من تدقيق موضعها هناك.

وكثيرا ما ربطت التوراة بين مدينة فى جنوبى فلسطين. (حبرون/ الخليل)، وبين حواريس المصرية. والتوراة تذكر حواريس باسمين يردا على التبادل، الأول والقديم هو (صوعن)، والثانى الأحدث هو مدينة (رعمسيس)، وتشير فى تواتر متعدد فى مناطق متفرقة بالتوراة إلى أن (صوعن) قد بُنيت بعد (حبرون) بسبع سنين، يبدو لنا كما سيأتي التفصيل بشأنه فيما بعد، أنها الفارق الزمنى بين استيلاء الهكسوس تماما على حبرون / الخليل / جنوبى فلسطين عند تحولهم من دولة تجارية إلى دولة توسعية إمبراطورية وبين دخولهم مصر وإقامتهم فى صوعن /رعمسيس/ حواريس.

الواضح لدينا على المستوى اللسانى وحده (الآن) أن (حويلة) التى تكررت فى الكتاب المقدس، أنها بالتبادل بين حرف اللام والراء باعتبارها حروف سقف حلقية، فإن (حويلة) ستكون (حويرة). وهى المسمى الذى يلتقى تماما مع اسم عاصمة الهكسوس (حواريس) بعد حذف التصريف الاسمى فتصبح (حوار) وهى التى أطلق عليها المصريون (حواعرة). وفى المعركة التى قادها أول ملك إسرائيلى، الملك (شاول) ضد العماليق العناقين، يؤكد لنا الكتاب المقدس نتيجة المعركة بقوله: " وضرب شاول عماليق من حويلة حتى مجيئك إلى شور التى مقابل مصر / صموئيل أول ١٥/٧ " . وهذه النتيجة تعنى أن شاول بضربه مدينة العماليق امتد تأثير تلك الضربة على العمالقة بطول المنطقة الممتدة من (حويلة) إلى (شور) التى أمام مصر. وحتى الأن لم يتم تحديد أين تقع (حَويلة) التوراتية على الإطلاق، إنما ذهب الجميع إلى تحديد (شور) بأنها على حدود الدلتا الشرقية مباشرة، حتى تكون أمام مصر. استنادا إلى مجموعة إحداثيات أعطتها لنا التوراة، حيث يتكرر ذكر (شور) مرات متعددة. وأول الإحداثيات وأوضحها تأتى فى حدث عبور البحر بالعصا المعجزة، حديث نجد أول موضع ينزل به الإسرائيليون بعد عبور البحر من الدلتا المصرية إلى سيناء هو برية باسم شور " ثم ارتحل موسى بإسرائيل من بحر سوف، وخرجوا إلى برية شور/ خروج ١٥ / ٢٢ "، مما يعنى أنها على الحدود مباشرة مع المدن المصرية العامرة فى شرق الدلتا، والتى كان أهمها (صوعن) أو (رعمسيس) مدينة الفرعون التى يزعم الإسرائيليون أنهم أضطهدوا فى بنائها، وعبروا من جوارها البحر فى قصة العصا الحية. ويبدو أن هناك طريقاً كان يبدأ من الموضع شور حتى يصل إلى شرقى سيناء نحو فلسطين، أطلقت عليه العبرية (درك شور)، وجاء فى الترجمة العربية " طريق شور/ تكوين ١٦/١٧" **ولازلنا نرتب أوراقنا فمهلاً**

قناة سيزوستريس

هناك معلومات مؤكدة أن الفراعنة قد وصلوا النيل بخليج السويس علـى البحـر الأحمـر، وينسب المؤرخون اليونان تلك القناة للفرعون الشهير سيزوستريس، لكن يبدو لنا مما جمعنا من الأخبار غير الكاملة التى وصلتنا. أن شأن القناة أقدم من ذلك بكثير، وأنها ربما تعود إلى زمن ما يسمى بالفترة الوسطى الأولـى الواقعة بين نهاية الأسرة السادسة فى الدولة القديمة وبين قيام الأسرة الثانية عشرة فى الدولة الوسطى. حيث استغرقت تلك الفترة خمس أسرات كان من بينها أسرة قوية اتخذت من مدينة إهناسـيا بمصـر الوسـطى عاصمة لها، وقد تلقب ملوكها باللقب (خيتى) أو (أخيتوى). وهنا نستمع إلى (جون ويلسن) يحدثنا عن أسـرة الملوك الإهناسيين (هيرا كوبوليس) فيقول: لقد كان العدو الذى يخشاه الإهناسيون هم الآسيويون حملة القوس ــ رغم رنة الاحتقار فى حديث الملك الإهناسى ــ ذلك لأن طبيعة بلادهم القاسية وما يلاقونـه فيهـا مـن متاعب تدفعهم إلى السطو على الدلتا. ويصفهم خيتى بقوله: " انظر إلى الآسيوى اللعين، إن الأمور سيئة فى البلاد التى يعيش فيها، فهم فى حزن من أجل المياه، وبلادهم من الصعب الوصـول إليهـا **بسـبب كثـرة الأشجار، والطرق هناك وعرة بسبب الجبال،** ومن ثم فإن الآسيوى لا يقطن فى مكان واحد، وسـاقاه خلقتـا **للتجول** " [٢١] .

ثم ينبه ولده فى مجموعة نصوص عرفت بالعنوان (نصائح خيتى إلى ولده مـرى كـارع) أن يكـون مستعداً لكل الاحتمالات إزاء هؤلاء الآسيويين الذي يربضون على حدود الدلتا الشرقية ينتهزون أى فرصـة ضعف تبدو هناك. ومن هنا يقول (أحمد فخرى) إن خيتى قام ينبه ولده إلى أن يكون مستعداً لكل الاحتمالات، فمن خاف الحرب استعد لها، ولذلك يوجه اهتمامه إلى **منطقة البحيرات المرة** لحماية مصر من خطر البدو، وينصحه بتحصين جزء منها ثم تعمير الجزء الآخر وإمداده بالماء [٢٢] . ويعود ليؤكد على ولده "إذا قامـت بلادك فى الجنوب بثورة فإن الأجانب فى الشمال سيحاربونك: **فعليك أن تقيم مدنا فى الشمال** " .[٢٣]

ويقول (ابراهيم كامل) إن ملوك إهناسيا الملقبين باللقب أخيتوى أو خيتى " قد قاموا بتحصين الحـدود الشرقية **وإغلاق الوديان الصغيرة، إما بغمرها بالمياة عن طريـق تحويل قنوات النيل إليهـا**، أو بتأسـيس المدن المحصنة عليها " [٢٤]

وإذا كان ذلك صحيحاً، فإنه يفسر لنا الإشارات القديمة الغامضة عن وجود قناة النيل ــ البحر الأحمر زمن الدولة الوسطى بعد زمن إهناسيا وأخيتوى، وتلك ملاحظة (إبراهيم كامـل) إذ يقـول: " إن البحـوث الجيولوجية وما كتبه المؤرخون القدامى من الإغريق والرومان نقلاً عن المصريين أنفسهم تدل كلها على أن

---

(٢١) Wilson. J.A, ANET, P ٤١٦ .

(٢٢) أحمد فخرى مصر الفرعونية .. سبق ذكره، ص ١٧٤ .

(٢٣) Erman, The Literature of the ancient Egyption, London, ١٩٢٧ , P ٨١ .

(٢٤) إبراهيم محمد كامل إقليم شرقى .. سبق ذكره، ص ٢٣٧ .

تلك **القناة كانت موجودة. خلال عصر الدولة الوسطى** " [(٢٥)]،كذلك نجد (مانيتو) قد وضع في قائمته للملوك ملكاً باسم (سيزوستريس) في الترتيب رقم (٣) لحكام الأسرة الثانية عشر أول أسر الدولة الوسطى[٢٦] ويمد (إبراهيم كامل) الخيط على استقامته **فيرى أن وجود القناة فى هذا الزمن القديم يفسر لنا عودة رحلة حتشبسوت من بونت عبر النيل مباشرة بالسفن التى أقلعت بها من القصير على البحر الأحمر**، ويقول " يبدو واضحاً من واقع دراستنا لمناظر ونصوص رحلة بونت التى أرسلتها الملكة حتشبسوت إلى تلك البلاد .. أن السفن المصرية لدى عودتها من الرحلة محملة بمحاصيل بلاد بونت كانت تصل إلى قرب مدينة منف حيث بدء القناة، ثم تبحر فى النيل مصعدة حتى مدينة طيبة عاصمة البلاد فى ذلك الوقت " [(٢٧)] .

ويؤكد المعنى الذى نذهب إليه، أنه قد تم العثور فى تل رطابة بوادى طميلات إلى الغرب من تل المسخوطة على **أثر يرجع إلى الملك خيتى** من الأسرة الحادية عشرة من الفترة الوسطى الأولى، وهنا يتساءل المؤرخون: " ولكننا لا ندرى إن كان هذا الأثر مؤكد قد نقل إلى البلد أم أن **تاريخها يرجع لعصر سابق لعصر رعمسيس الثانى**، وإن كان هذا غير مؤكد " [(٢٨)].

وفى أكثر من موضع في كتاب الموتى نستمع إلى إشارات حول ما يسمى **بالبحيرة المزدوجة** المقدسة فى أكثر من موضع [(٢٩)] . وفى اللوحة الرابعة من الفصل السابع عشر نشاهد **معجزة فلق بحيرة ما**، ربما تلك البحيرة المزدوجة تحديداً، والتى نعتقد من جانبنا أنها بحيرة التمساح تحديداً حيث كانت تتصل بها قناة سيزوستريس المشهورة.

ونعثر على خبر من زمن آمنحتب الثالث آخر يفيدنا علما أن كهنة آمون عندما رفضوا أن تقوم الملكة تى بجولتها الطقوسية كملكة أولى رئيسية بالبحيرة المقدسة لأنها غير مصرية الأصل، قرر آمنحتب الثالث الذى توله بزوجته حبا الاستمرار فى سلسلة صداماته مع الكهنة بإنشاء بحيرة كبرى وصلتنا أطوالها، فعرضها يصل إلى ١٢٠٠ قدم أى حوالى ثلاثة كيلو مترات ونصف الكيلو متر، ويصل طولها إلى ٦٤٠٠ قدم أى حوالى تسعة عشر كيلو مترا وربع الكيلو متر [(٣٠)] .

وبالبحث فى مصر عن بحيرة موجودة الآن تحمل هذه المواصفات لم نعثر سوى على بحيرة التمساح، وسنرى أن البحيرة بالفعل بحيرة مزدوجة يصل بين شقيها الشرقى والغربى مضيق ضحل صغير فلم تزل حدودها الحالية شاهدة على وضعها قبل حفر قنال السويس، ويبدو أن القسم الشرقى الذى يطابق مواصفات بحيرة آمنحتب الثالث أو على الأصح بحيرة تى، كان موجوداً منذ الدولة الوسطى زمن خيتي عن طريق

---

(٢٥) نفسه: ص ٢٣٩ .

(٢٦) جاردنر: مصر الفراعنة ..سبق ذكره، ص٤٨١

(٢٧) إبراهيم كامل: المصدر السابق، ص٢٤٢.

(٢٨) بوابة مصر الشرقية: سبق ذكره، ص ١١١ .

(٢٩) كتاب الموتى: الفصول ١٢/١٥ و ١٣ و ٦/٥٨ و ٢١/١٧ .

(٣٠) شتيندورف وسيل: عندما حكمت مصر الشرق، ترجمة محمد العزب موسى، مكتبة مدبولي، القاهرة ،١٩٩٠ ، ص ٩٧ .

وصله بالقناه النيلية بعد أن طمت هذه القناة بعد زمن خيتى، وكانت المنطقة بحكم طبيعتها الجيولوجية المرئية منخفضاً طبيعياً أزيلت من أمامه السدود الملحية المتراكمة لتترك مياة النيل تنساب لتملأ منخفض التمساح. وأنه سرعان ما تسربت المياه عبر هذا المضيق إلى المناطق الواطئة إلى اليسار منها مع فيضانات متتالية لتشكل بحيرة أخرى توازيها طولا، لتظهر لنا بحيرة التمساح بحيرة مزدوجة قولا وفعلا. ويبدو لنا أن وضع بحيرة تى فى ذلك المكان يتفق تماما مع منطق أن تى من تلك المناطق البدوية الشرقية ــ كما سنثبت ذلك في أبواب لاحقة ــ أنها كانت مديانية سيناوية ويدعم ذلك أن النص الخاص بإنشاء البحيرة يقول: " إن جلالته قد أمر بعمل بحيرة للملكة تى **عند مسقط رأسها** جاروخا Djarkha " و " إن جلالته أقام احتفال **هـدم السـدود** فى السادس عشر من الشهر المذكور ثم أبحر فى رعاية الله فى مركبه الرسمى آتون المتألق " [٣١] والقول بهدم السدود يعنى إنه قد تم توسيع القناة القديمة والقناة المؤدية لها، وعند الوصول إلى نقطة الالتقاء بينهما أقيم سد يمنع المياه عن السقوط فى حفائر البحيرة، وأنه قد تم هدم هذا السد يوم افتتاح البحيرة بحضور الفرعون ومليكته العظمى. ونستمع من عبد المنعم أبو بكر للحدث كما دونه المصرى القديم يقول:

> العام الحادى عشر الشهر الثالث من الفصل الأول اليوم الأول من حكم الملك آمنحوتب لـه الحياة وزوجته الكبرى تى لها الحياة.
>
> إن جلالة الملك قد أمر بحفر بركة لزوجته الملكة الكبرى تى فى مدينة **زارو خع** على أن يكون طولها ٣٧٠٠ ذراع وعرضها ٧٠٠ ذراع. وقد احتفل الملك بافتتاح البركة فى الشهر الثالث من الفصل الأول. وفى اليوم السادس عشر أبحر فوق سطحها على الزورق الملكى بهاء آتون. [٣٢]

ولدى المؤرخين العرب تختلط الحقائق بالأخيلة، وتختلط الأماكن ببعضها على حد تعقيب جمال حمدان وهو يحدثنا عن ياقوت فى حديثه عن مدينة تنيس يقول " إن التى أسستها وسمتها باسمها هى دلوكة ملكة مصر الفرعونية القديمة بعد حادثة خروج موسى وكانت هى التى **قادت إليها مياه النيل**، بينما كانت منطقة المدينة أرضا صلبة كلها "[٣٣].

وقد علمنا أن تنيس كانت داخل بحيرة المنزلة وبالتالى لم تكن أرضاً صلبة، إنما الأرض الصلبة كانت عند بحيرة التمساح، والمهم فى الخبر أنه يتحدث عن **قناة تخص فرعونة** وهو ما يلتقى مع خبر بحيرة تى، ناهيك عن كون اسم دلوكة لا يلتقى مع اسم تنيس بينما ياقوت يؤكد أنها دلوكة هى التى أسست المدينة

(٣١) سيريل آلدريد: إخناتون، ترجمة د أحمد زهير الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة١٩٩٢ .. سبق ذكره ، ص ٥٤ .
(٣٢) عبد المنعم أبو بكر: إخناتون، المكتبة الثقافية، القاهرة، عدد٥٢، ص ٢٥ ، ٢٦ .
(٣٣) جمال حمدان: شخصية .. سبق ذكره، ج١ ، ص ٢١٦ .

وأسمتها باسمها، وعلى الفور نلاحظ التطابق الفونيطيقى بين اسم **دلوكة** أو **تاروكا**، وبين الاسم الذى أعطانا إياه نص آمنحتب الثالث لمكان البحيرة (**زارو خع**) أو (زارو كا) أما المدهش حقا أن ياقوت يقول إن مدينة دلوكة أو زاروكة فى زمنه كانت تسمى **ذات الأخصاص** أى العشش أو الحظائر أو المظلات، وهو اسم لا تجده إطلاقا فى سيرة مدينة تنيس، إنما هو المعنى العبرى لكلمة سكوت المحطة الأخيرة للخارجين من مصر قبل شق البحر، ثم إننا نعلم أن جميع الحملات المصرية تتحدث عن خروجها من آخر مدينة مصرية نحو سيناء والشام تقع على الحدود المصرية الشرقية، وجاء اسم هذه المدينة على مختلف القراءات (سيلة ــ زل ــ ثارو ــ زارو ــ شارو)، والواضح أن الشق الأول من اسم مدينة بحيرة التمساح (**زارو** ــ **خع**) يلتقى تماما مع اسم (زارو) أو (سيلا) المشهور للقلعة الحدودية الكبرى منطلق الحملات المصرية على آسيا.

وقد ترك هذا الوادى بمدنه (**وادى طميلات**) ذكريات عظمى فى مخزون الذكريات العربى عن المدائن القديمة الكبرى بالمنطقة، مأثور يتحدث عن قصور عظيمة عرفها العرب فى ترحالهم لقربهم منها، ومعلوم أن وادى طميلات عرف بهذا الاسم حديثاً لكنه كان يعرف قديما باسم وادى **الساتير أو السدير**، والساتير عرفه اليونان باعتباره وحشا إلهيا يلقى بنا اسمه مع الإله المصرى سيت، **فهو وادى سيت أو سيترويت تلك المقاطعة المتصلة بالبوادى السينائية دون بقية البلاد المصرية**، وقد ذكره باسم السدير معجم البلدان ومعجم محمد رمزى. (٣٤)

وفى السدير قامت مدائن فيثوم ورعمسيس، وفيها قصر الفرعون الذى عرفه العرب باسم قصر السدير وتغنوا به شعراً كما جاء عند عدى بن زيد يقول:

وتبين رب **الخورنق** إذ	أشرف يوما وللهدى تفكير
سره حاله وكثرة ما يملك	**والبحر معرضا والسدير** (٣٥)

ولا يحتاج إلى تنبيه ربطه بين **بحر مستعرض** الذى نراه قناة سيزوستريس (الذي يسير عرضاً بين الغرب والشرق بعكس كل مجاري الدلتا التي تسير من الجنوب إلى الشمال) وبين الوادى المسمى بالسدير، أما الخورنق فلا شك لدينا أنه الكرنك، وقد اشتهرت قصر الكرنك الشتوى وقصر السدير الصيفى لفراعنة مصر حتى صارا مضرب الأمثال كما فى الأبيات القائلة :

ولقد دخلت على الفتـ	ـاة الخدر فى اليوم المطير
الكاعب الحسناء ترفل	فى الدمقس وفى الحرير
وأحبها وتحبنى و	يحب ناقتها بعيرى
وإذا شربت فإننى	رب **الخورنق والسدير**
وإذا صحوت فإننى	رب الشهوية والبعير

(٣٤) محمد رمزى: القاموس الجغرافى، القسم الثانى، ج١، ص٧٧.

(٣٥) ابن قتيبة: المعارف، دار المعارف، القاهرة، ط٤، ص ٦٤٧ .

نعم نحن نقول إن تلك القناة التى كانت بعكس كل فروع الدلتا تسير عرضا هى المقصودة فى شعر عدى بن زيد **بالبحر المعرض، وسنعلم بعد قليل لماذا اعتبرت بحراً رغم أنها قناة.**

ومع الاتفاق بين المؤرخين الذين قلما يتفقون على كون المسخوطة هى التى عرفها اليونان باسم هيروبوليس فإننا ـــ وفق كل ما بيدنا الآن ـــ من معطيات يمكننا أن نجازف ونقول إن مدينة الهكسوس الكبرى بمصر والتى حملت اسم حواريس وأواريس وهواره قد قامت فى تل المسخوطة تحديداً، وأنها هى التى حملت بعد ذلك اسم رعمسيس. فالكلمة بوليس اليونانية تعنى مدينة، أما الشق الأول من اسم المدينة وهو (هيرو) أو (إيرو) فهو ليس (الأبطال) إنما هو مدينة الهكسوس (حيرو). ومع تصريفها اسميا تصبح حيرويس أو حواريس، وبكتابتها يونانيا تصبح حيروبوليس، أو هيروبوليس. ويحدثنا (غلاب) عن مدينة هيروبوليس فيقول: إن هذه المدينة قد "نمت إلى مدينة تجارية فى عهد بطلميوس الثانى كما كانت مدينة دينية إلى جانب مكانتها كمدينة تجارية ومركز دفاعى وميناء نهرى وبحرى، **فقد كانت منطلق السفن الملكية الحربية** والتجارية نحو البحر الأحمر .. وقد **عرفت فى عهد الرومان باسم مدينة إيروبوليس** Eropolis **أو إيرو، وكانت مركزاً تجارياً وحربيا** شيد على قناة النيل / البحر الأحمر .. وقد ظلت قناة النيل / البحر الأحمر هذه مهملة بعد ذلك حتى ولى الملك نيخاو من ملوك الأسرة السادسة والعشرين ٦٠٩ ـــ ٥٩٤ ق.م وحاول إعادة حفر القناة ولكنه لم يتم مشروعه هذا رغم اهتمامه بقوة مصر البحرية. ثم حفر دارا بن قمبيز الفارسى الذى فتح مصر فى القرن الخامس ق.م ترعة على غرار ترعة الفراعنة القديمة .. وكانت هذه القناة تخترق وادى الطميلات وتتبع مجرى ترعة الإسماعيلية الحالية. وقد أمكن تتبع مجرى هذه القناة بما وضعه داراً من شواخص حجرية تخليداً لذكرى هذا المشروع الذى كان يرمى من ورائه إلى تنشيط تجارة مصر مع بلاد فارس عبر البحر الأحمر"[٣٦].

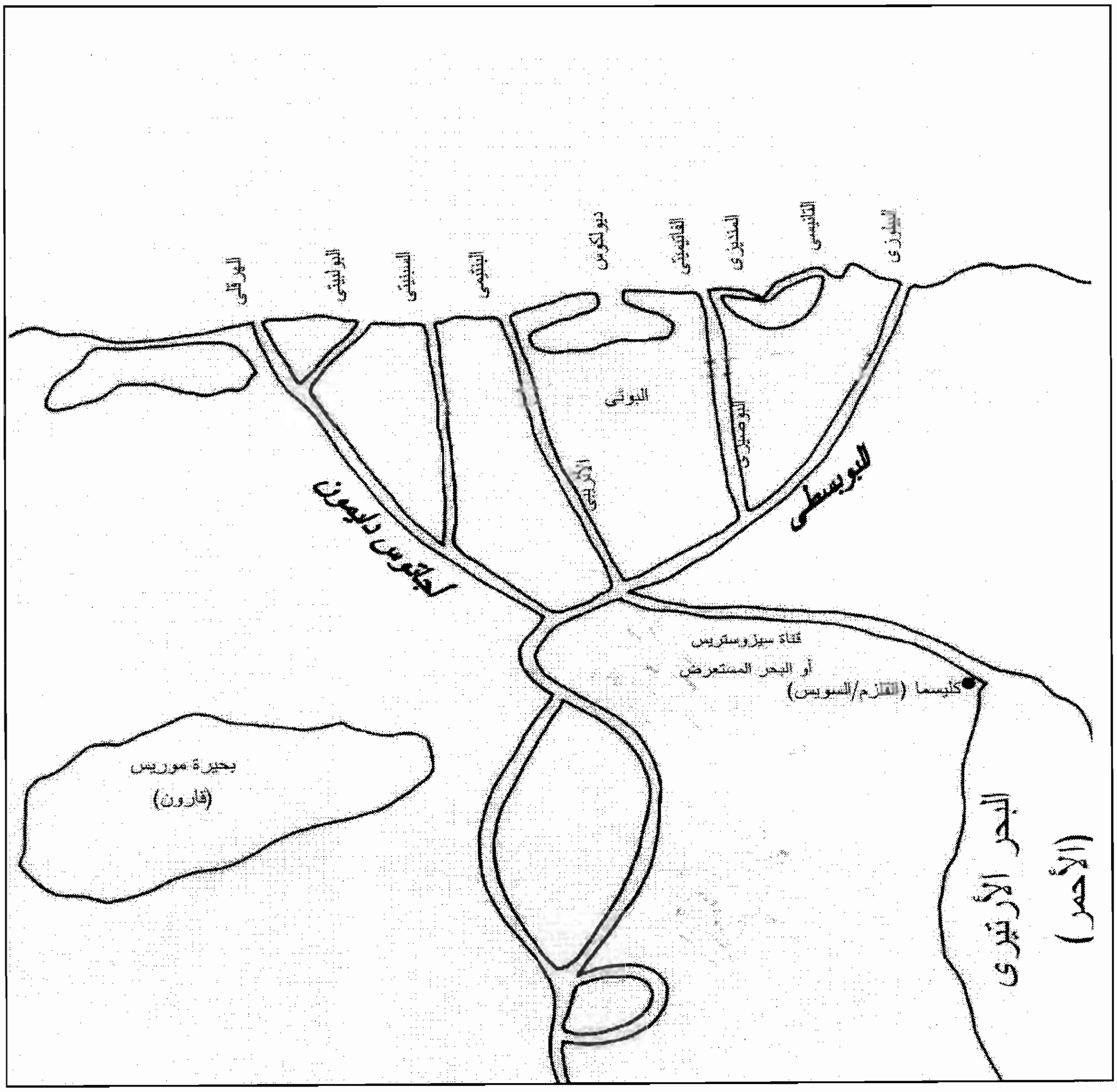
ويقول إبراهيم نصحى: " إذا كان من الجائز أن يكون قد سبق دارا إلى حفر قناة وادى الطميلات **أحد ملوك الأسرة الثانية عشرة أو حتشبسوت** فإن النصوص التى تتحدث صراحة عن هذه القناة مدونة على اللوحات الفارسية ولوحة بطلميوس الثانى. فقد أقام دارا على مجرى القناة ثلاث لوحات فى تل المسخوطة وسيرابيوم وكبريته وأقام أجزركيس لوحة رابعة عند الكوبرى شمالى مدينة السويس بستة كيلو مترات، وقد لوحظ أن كل لوحة تبعد عن الأخرى بحوالى ٢٥ كيلو متراً، وأن المسافة بين تل المسخوطة ومخرج القناة من النيل عند تل بسطة تبلغ ضعف هذه المسافة، ولذلك إما أن تكون قد أقيمت لوحة خامسة بمنطقة التل الكبير على الحافة الجنوبية للهضبة الصحراوية، لكن هذه اللوحة لم تكتشف بعد، وإما أن يكون نخاو هو الذى أعاد حفر القناة من تل بسطة حتى تل المسخوطة، ويكون داراً واجزركسيس قد أعاد حفر الباقى من تل المسخوطة حتى رأس خليج السويس " [٣٧].

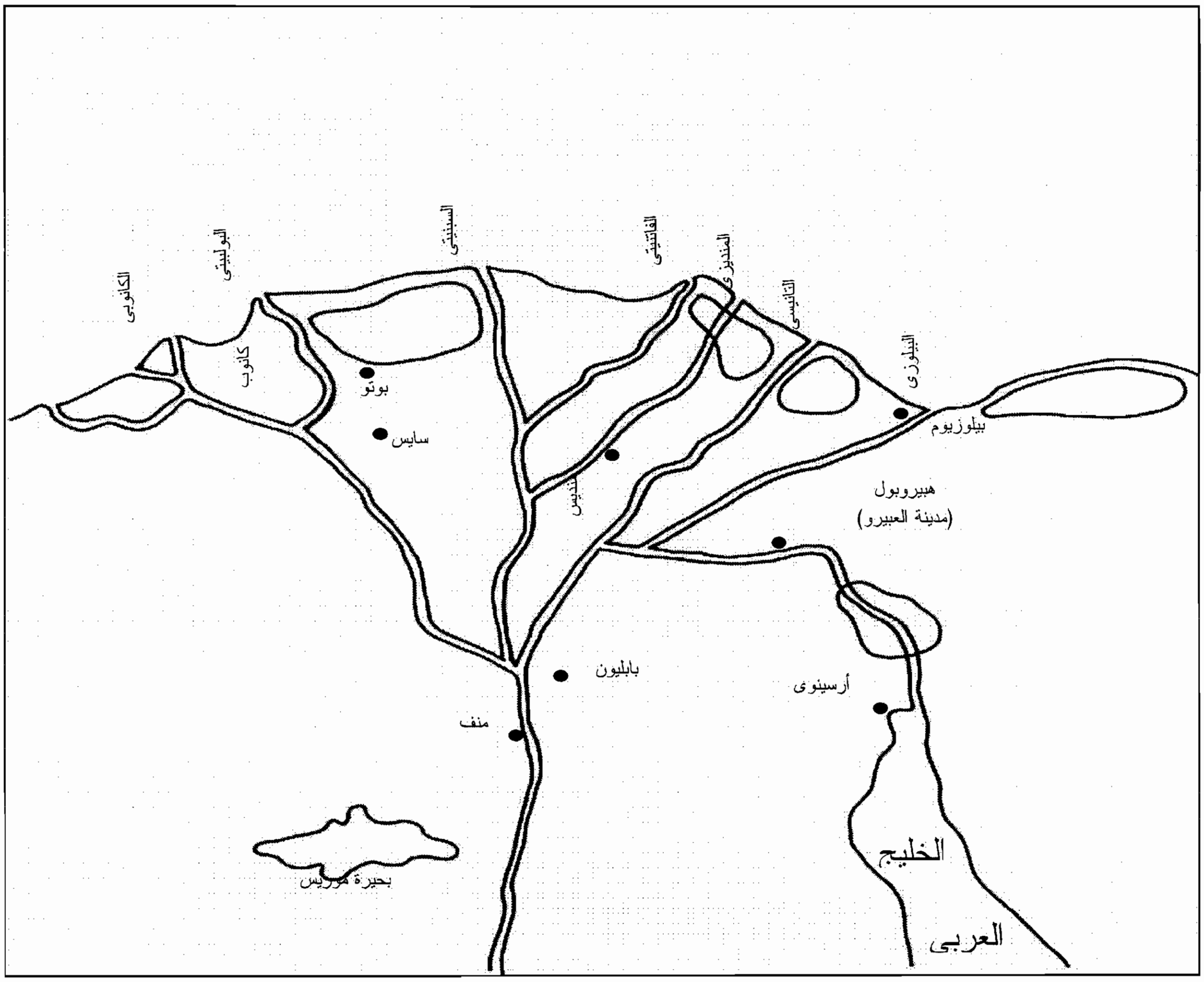
---

(٣٦) غلاب سبق ذكره، ص ٢٦ .

(٣٧) نصحى: سبق ذكره، ص ٤٣ ، ٤٨ .

ويضيف (محمد سيد غلاب) القول: " ويتحدث مؤلف كتاب تـــاريخ الفرنجـــة Histoire des frances ٥٧٦م عن **طريق مائى يصل بين ذراع البحر الأحمر والمستنقعات والبحيرات المرة والتمساح، وقناة تصل هذا كله بالنيل**، فهل معنى هذا أن القناة كانت موجودة حتى القرن السادس الميلادى؟ على كل حال فقد كانت مدينة **إيرو** (يقصد هيروبوليس) موجودة فى القرن الرابع، كما كانت كليزما قائمة أيضاً حتى الفتح العربـــى لمصر، وكان البحر الأحمر معروفا عند العرب باسم القلزم .. وهو تحريف لكليزما اليونانية. ويبدو أن قنـــاة النيل / البحر الأحمر ضئول شأنها بعد القرن الثانى الميلادى، وكانت تتعرض لسفى الرمال، ولم يكن خلـــيج وادى طميلات يمتلئ بالمـــاء إلا





أوقات الفيضان. ولكن بعض البرك والمستنقعات تخلفت عنها فكانت تطهر من الرمال حينا وتترك حيناً آخر، وقد استطاع العرب بعد فتح مصر مباشرة الاستدلال على مكانها بسهولة، فأعيد حفرها باسم خليج أمير المؤمنين وتم حفرها عام ٣٤ للهجرة. ولم ينقطع سيل ماء النيل عند البحر الأحمر إلا سنة ١٥٠هـ ٧٦٧م في عهد الخليفة أبى جعفر المنصور ".(٣٨)

وهذا يعنى **أن القناة قديمة العهد بدأ ذكرها منذ عهد خيتي في زمن الفترة الأولى وحتى الزمن العربي وأنها قد ربطت بحيرة التمساح بالبحيرات المرة بالخليج العربى (خليج السويس / البحر الأحمر)، وهو ما يعنى أنها جميعاً قد شكلت امتداداً للبحر الأحمر، وأصبحت جديرة جميعاً باسم (بحر سوف).**

ولقد ذهب (دى بوا إيميه) إلى حل لغز مدينة رعمسيس، عندما جعلها المدينة التى عرفها اليونان باسم (هيروبوليس) ووضعها على رأس الخليج العربى / السويس، الذى أسموه حينا الخليج العربى وحينا الخليج الهيروبوليتى، مما أدى إلى استنتاجه أن (هيروبوليس) تقع عند قمته وأعطته اسمها. لذلك مد الخليج وعبر به

(٣٨) غلاب: سبق ذكره، ص ٢٧ ، ٢٨ .

الحوض جميعه ليعبر به البحيرات المرة ويصله ببحيرة التمساح، وهناك عند منطقة السبع أبيار (الإسماعيلية الحالية) أو إلى الغرب منها حيث تقع تل المسخوطة وضع دى بوا إيميه مدينة رعمسيس. وقد استند دى بوا إيميه فى وصلة خليج السويس ببحيرة التمساح عبوراً على البحيرات المرة إلى عدة شواهد هامة فعلا، فقد عثر فى الحوض الرملى ما بين خليج السويس والبحيرات المرة على طبقات من الملح البحرى تصل فى كثافتها إلى درجة أنها أخذت شكل قباب من الملح. وبالحفر فى مواضع مختلفة من ذلك الحوض الطويل، كان الماء يوجد دوما على عمق ما بين أربعة وخمسة أمتار فقط، وله ذات مذاق مياه البحر. وإنك فى ارتحالك بطول ذلك الحوض المستطيل ستصادفك مناطق كثيرة موحلة مع مستنقعات ملحية متناثرة، ناهيك عن كون **الحوض نفسه ينخفض عن سطح البحر بحوالى خمسة عشر متراً**. وقد عثر (دى بوا إيميه) إبان بحثه الميدانى فى هذا الحوض على قواقع بحرية ومخلفات لنباتات بحرية تنتشر على خط طولى يسير على مستوى واحد من خليج السويس إلى البحيرات المرة، ثم من البحيرات المرة إلى بحيرة التمساح، حيث يتوقف هناك ومن هناك أقدم (دى بوا إيميه) على فرضيته فقام بوصل أو يمد أو يدمج الخليج العربى / الهيروبوليتى / السويس / بالبحيرات حتى التمساح حيث احتسبه كان يتسع هناك . لتقع تل المسخوطة على قمة ضفته الغربية [٣٩]، والاتساع بهذا المعنى كان يجب أن يغطى عرضا ستة عشر كيلو مترا كاملة هى المسافة بين الشاطئ الغربى لبحيرة التمساح وبين تل المسخوطة إلى الغرب منها بستة عشر كيلومتراً.

ولتأكيد وجهة نظره يذهب دى بوا إيميه فى وصلة الخليج ببحيرة التمساح إلى القصص القديم المتواتر عن قناة كانت تربط النيل بالخليج وعرفناها باسم قناة سيزوستريس. ويقول إن مدينة القلزم القديمة المظنون أنها السويس القديمة لو كانت كذلك فعلاً، أى لو كانت تقع قديما محل السويس الحالية، فكان لابد أن تمر القناة منطلقة من النيل عبر وادى طميلات إلى بحيرة التمساح لتخرج منها جنوبا لتعبر البحيرات المرة حتى تصل رأس الخليج عند السويس الحالية، لتصب فى الخليج، لكن ذلك ليس صحيحا بالمرة لأن دى بوا إيميه لم يجد أى اثر لطمى النيل فى حوض القلزم جميعه أو حتى أية بقعة قريبة منه، ولم يسفر البحث عن وجود أى طمى، وكل ما وجده آثاراً للبحر وليس للنهر. ويستنتج دى بوا إيميه من ذلك أن البحر كان يمتد بخليجه العريض حتى بحيرة التمساح، وأن القناة القادمة من النيل من الغرب كانت تصب فى بحيرة التمساح، وعليه فقد كانت ميناء القلزم تقع على بحيرة التمساح التى كانت بهذا الشكل هى قمة الخليج، ولم تكن القناة تصب عند السويس الحالية إنما في بحيرة التمساح التي هي في رأيه جزء من خليج السويس انفصل عنه بعد ذلك بعوامل جيولوجية.

وقد استشهد (دى بوا إيميه) على مذهبه بوصف (لوبير Le pepere) لمياه الفيضان وهى تندفع نحو الشرق قادمة من الغرب خارجة بشكل طبيعى من النيل، لتجرى بكميات كبرى واندفاع مما يشير إلى انحدار سريع للأرض على خط المجرى. وقد أكد شيوخ البدو فى تلك المنطقة (عند السبع أبيار) للمسيو (ديفيليه) أن الماء كان يستمر فى تدفقه حتى يصل إلى موضع يتجمع عنده أطلق عليه البدو إسما على مسمى هو (رأس

(٣٩) دى بوا إيميه: سبق ذكره، الدراسة السادسة، ج٣ من وصف مصر، ص ١٣٧ : ١٣٩ .

المية) قرب بحيرة التمساح. وهذا يعنى أن مياه النيل وقت الفيضان كانت تندفع بشكل تلقائى طبيعى فى منحدر يخترق وادى طميلات لتصب فى نقطة قرب بحيرة التمساح. وهو الأمر الذى يؤكد أخبار القدماء عن وجود قناة تربط خليج السويس بالنيل، وربما كانت المسافة من النيل حتى هذه النقطة التى تقف عندها مياه النيل هى التى أشار من هنيهة إلى أن من حفره هو الفرعون نخاو أو على الأصح أعاد حفره، ثم جاء (دارا) الفارسى وأعاد حفر الجزء الباقى حتى السويس. وبخصوص تلك القناة يقول (هيرودت): "وأنجب بسماتيك ولداً هو نيخوس (نخاو) حكم مصر، وهو أول من شرع فى حفر القناة التى تؤدى إلى بحر أروترى [بحر أروترى هو الاريترى أى الأحمر، وقوله أن أول من حفرها هو نخاو يعنى أن هذا ما وصله وليس بالضرورة صادقا / المؤلف]، والتى حفرها من بعده دارا الفارسى. وطول القناة يساوى مدى إبحار أربعة أيام، وقد حفرت عريضة حتى أن سفينتين من ذوات الثلاث صفوف من المجاديف تعبر انها جنبا إلى جنب [لاحظ هذه صفات سفن بحرية ضخمة / المؤلف]. ويؤتى إليها بالماء من النيل منصرفا **من مكان فوق مدينة بوباسطيس بقليل، بالقرب من المدينة العربية باتوموس** وتنتهى إلى بحر أروترى، ثم تسير فى منحدرات متجهة من الجبل نحو الجنوب .. حتى تبلغ الخليج العربى.. وقد هلك من المصريين أثناء عملهم فيها فى عهد نيخوس مئة وعشرين ألف عامل " [٤٠] .

وهنا يقف دى بوا إيميه مستنداً إلى هيرودت ليقول إن تلك القناة الكبرى كانت تخرج من جنوب تل بسطة، وهذا يعنى خروجها من الفرع المعروف بالفرع البوباستى الذى يعرف أيضاً بالفرع التانيسى لتصل مباشرة إلى الخليج العربى الذى يمتد حتى بحيرة التمساح، لذلك رفض دى بوا إيميه الطول الذى أعطاه لنا هيرودت للقناة وهو تسعين ميلاً لأنه يصل بها للسويس الحالية، ويأخذ برأى بللينى Pelline الذى قال أن طولها كان ٦٢ ميلا فقط، لأن ٦٢ ميلا كانت أقرب للمسافة بين بسطة وبحيرة التمساح [٤١] .

المشكلة هنا كما سبق وأشرنا أن مد الخليج حتى بحيرة التمساح إن كان حقيقة فقد كان أمراً قديماً قدم عصره الجيولوجى، ويؤكد لنا رفضنا لاحتساب الخليج كان يمتد بحجمه الهائل هذا حتى التمساح، أن الدراسات الحديثة بعد دى بوا إيميه بزمان أعادت دراسة حوض القلزم، فوجدت تحت آثار البحر بأعماق أبعد طبقات طمى نيلى وافرة، لا تشير إلى قناة صناعية كانت تربط النيل بالخليج، إنما إلى فرع نيلى حقيقى قديم كان يعبر الحوض جميعه ليصب عند السويس الحالية، وفى ذلك يقول جمال حمدان أنه كان ضمن أفرع النيل " فرع ناقص أو متدهور نوعا كان يخرج قبل الفرع البيلوزى ويتجه شرقا ليتصل بالبحيرات، ليخترقها جنوبا نحو البحر الأحمر عند كليسما / السويس، ويبدو أن هذا الفرع القلزمى كان يسير بوضوح فى وادى طميلات الحالى [٤٢] " ثم يزيدنا إيضاحا بشأن هذا الفرع النيلى القلزمى ضمن حديثه عن انقراض فروع الدلتا القديمة، حتى لم يبق منها سوى فرعى دمياط ورشيد فيقول حمدان: " يبدو أن الإنقراض قد بدأ من

---

(٤٠) هيرودت فى مصر :٢٩٠ : ٢٩٢ .

(٤١) دى بوا إيميه: سبق ذكره، الدراسة السادسة ، ج٣، ص ١٤٠ .

(٤٢) جمال حمدان: شخصية مصر.. .

الشرق حيث الفرع الواهى الضعيف الطميلاتى القلزمى .. وبعده أتى دور البيلوزى أقصاهم شرقا الذى ذكره الجميع إلا جورج القبرصى، مما يوحى أنه كان قد اختفى قبل القرن السابع الميلادى على الأقل، ويلى بعد هذا غربا التانيسى فالمنديسى ".(٤٣)

لكن العمق الذى تم فيه العثور على طمى ذلك الفرع القلزمى القديم يشير إلى أنه كان فى عصور قديمة، لكن آثاره هى التى أوعزت للفراعنة بشق القناة على ذات خطه القديم.

هنا تواجه نظرية دى بوا إيميه مشكلة كبيرة تسقطها تماما رغم عبقريتها، لأن وجود فرع نيلى قديم يعنى أن حوض القلزم كان كما هو لأزمان بعيدة، وأن انفصال البحيرات أقدم من زمن ذلك الفرع النيلى المنقرض ويعود إلى حقب موغلة فى القدم. بدليل أن النيل هو الذى كان يسير فى حوض القلزم وترك آثاره هناك، **ولم يكن الخليج ممتداً حتى التمساح لكن هنا يبقى اللغز الكبير، فمن أين جاءت آثار البحر المالح لتترك آثارها فى الطبقات العليا الحديثة لحوض القلزم؟**

ثم يأتى هيرودت ليزيد الأمر اضطرابا بقوله إن فى المنطقة مناط الحديث كان يوجد أقصر طريق بين البحر الأحمر وبين البحر الأبيض، وأن هذا الطريق (موضع قناة السويس حاليا) هو الحد الفاصل بين البلاد المصرية والبلاد الفلسطينية (كانت سيناء تعد عند المؤرخين اليونان فلسطينية لسكناها بالبدو) فيقول نصا: " وهناك يوجد أقصر طريق وأصغر للذهاب من البحر الشمالى إلى البحر الجنوبى وهذا نفسه يسمى بحر أروترى. من جبل كاسيوس والحد الفاصل بين مصر وسوريا ". لكن المثير للبلبلة فى كلام هيرودت وهو يتحدث عن خط جبل كاسيوس (الكسارون الآن عند الفرما) يقول: "إن القناة هناك تصبح أكثر تعرجا"؟ وهكذا فالقناة هنا تتجه شمالا نحو الفرما وليس جنوبا نحو السويس، وهى عند الفرما أو قربها تصبح أكثر تعرجا(؟!).

ولمزيد من الاضطراب بشأن قناة سيزوستريس ما جاء عند دى بوا إيميه وهو يتحدث عن الفراعنة فى آخر عهودهم زمن البطالمة عندما أراد أحد البطالمة إعادة حفر القناة، بعد أن عدت عليها الأيام والإهمال وسفى الرمال فطمرتها فيقول: " بطلميوس حاول إعادة المشروع لكن مهندسيه أكدوا **أن مستوى سطح البحر الأحمر يرتفع بمقدار ثلاثة أذرع عن سطح مصر**، فخشى غرق المنطقة، أو أن يتلف ماء البحر مياه النهر، فأمر بإيقاف العمل بعد أن وصل إلى العيون المرة " (٤٤)

والآن لنتوقف نلتقط الأنفاس وسط هذا الرتل المختل نحاول أن نحدد ما لدينا من معلومات عن قناة سيزوستريس .

١ ــ أن هناك **قناة عرضية** كانت تربط فرعا شرقيا لدلتا النيل بخليج السويس عبوراً على البحيرات الواقعة بينهما، لكن المشكلة هنا انعدام دليل وجود تلك القناة لعدم وجود أى أثر حديث لطمى النيل فى

---

(٤٣) نفسه: ج١، ص ٢٠٦.

(٤٤) دي بوا إيميه: سبق ذكره، ص ١٧٣ ، ١٧٤ .

حوض القلزم جميعه. والأثر القديم للطمى يشير إلى أن النيل كان له فى العصور الجيولوجية القديمة، فرع قديم متدهور يسير فى حوض القلزم حتى السويس، وهو ما يعنى تراجع البحر قبل ذلك بأزمان ليسمح للنهر وطميه بالتواجد، وتبقى مشكلة من أين أتت الآثار الباقية لمياة البحر المالح (الأحدث) بحوض القلزم .

٢ ــ زمن الحملة الفرنسية على مصر لم تكن قناة سيزوستريس موجودة عمليا، لكن زمن الفيضان كانت مياه النيل تجرى شرقا بشكل طبيعى تماما مندفعة عبر وادى طميلات حتى تصب عند رأس المية عند مما يشير إلى وجود قناة قديمة تجرى محلها تلك المياه.

٣ ــ أن إشارة هيرودت لاتساع القناة بحيث تستوعب **عابرتين متجاورتين** من السفن البحرية ذوات الثلاثة صفوف من المجاديف، تشير إلى أن القناة لم تكن مجرد ترعة صغيرة، إنما جهزت لاستقبال السفن العابرة للبحار.

٤ ــ أن أحد البطالمة أراد إعادة حفر القناة فأكد له مهندسوه أن مستوى البحر الأحمر أعلى بمقدار ثلاثة أذرع، وهو ما وجدناه حقيقة إذ ينخفض هذا الحوض حوالى خمسة عشرة متراً عن سطح البحر. وأمر بطلميوس بإيقاف المشروع بعدما تبين له الخطر عندما وصل بالحفر إلى البحيرات المرة، مما يشكك فى كل ما سبق.

والآن ما قيمة تلك المعلومات؟ وماذا لدينا لينتج جديداً بعد النماذج التى طرحناها لعلماء أجلاء من أجل تحديد موقع مدينتى رعمسيس وفيثوم الواقعتان فى مقاطعة جاسان؟

لقد تأكد لنا من المؤرخين والجغرافيين الكلاسيك، وجود فرعين شرقيين للنيل ينطلق الأول وهو البيلوزى من جنوبى تل بسطة أى من الفرع البوباستى، ويتجه نحو الشمال الشرقى ليصب عند بيلوزيوم / الفرما. والثانى ينطلق من موضع ما بالقرب من بسطة بدوره ليتجه شرقا عبر وادى طميلات ليلتقى ببحيرة التمساح ويتصل بعد ذلك بالبحيرات المرة ثم رأس خليج السويس، وعرفه المؤرخون الكلاسيك باسم قناة سيزوستريس. وقد وصلتنا خرائط أولية رفعت عليها القناتان كما فى خريطة استرابون وخريطة هيرودت [حسب تفسير بول]، فى زمن كان فيه النيل لم يزل يحتفظ بسبعة أفرع بالدلتا، وقبل أن تنقرض جميعا وتتحول إلى ترع ومصارف، بحيث لم يبق منها الآن سوى فرعى دمياط ورشيد.

وحتى زمن الحملة الفرنسية، نسمع لوبير أحد علماء الحملة يؤكد أنه حتى زمانه ــ فقط منذ قرنين من الزمان ــ كان الفيضان يدفع بكميات هائلة من الماء شرقا، حتى قرب المسخوطة غربى بحيرة التمساح على حدود سيناء الغربية، وذلك يعنى أنه مع انقراض فروع الدلتا القديمة، **فإن الماء كان يعرف طريقه الشرقى حتى زمن الحملة الفرنسية**، ويتفق ذلك مع تقرير عالم الحملة المسيو ديفليه عن رأس المية عند ألسنة كراش قرب بحيرة التمساح كمصب للمياه المتدفقة من النيل نحو الشرق.

كما أن ذات الخرائط القديمة تؤكد وجود قناة تربط بين الفرع البوبسطى وبين خليج السويس، وقال هيرودت حسبما وصله أنها حفرت زمن نخاو، ولكنا ذهبنا إلى أنها حفرت قبل ذلك بزمان، ربما من أيام خيتى فى العصر المتوسط الأول، لكن بالتأكيد منذ زمن آمنحتب الثالث وزوجته تي. لكن هيرودت يقول أن بطلميوس لما حاول حفرها من جديد حذره مهندسوه لانخفاض سطح مصر هناك عن مستوى سطح البحر، ويكون السؤال البدهي: **إذا كانت الأرض هناك منخفضة عن سطح البحر وهو الثابت فعلا، فكيف أمكن حفر القناة زمن نخاو ومن قبله آمنحتب الثالث ومن قبله زمن سيزوستريس ومن قبله زمن خيتي أوأخيتوي قبل الدولة الوسطى وقبل الجميع؟** لم نجد حلا سوى افتراض أن قناة سيزوستريس لم يكن الغرض منها إيصال الماء العذب إلى منطقة القلزم والبحيرات، بدليل أنها بالفعل لم تصل بمائها العذب إلى هناك، حيث لم يعثر على طمى النيل فى حوض القلزم. وعليه **كان الغرض تجارى عسكرى فى المقام الأول**، فلم يشغل الفرعون الماء العذب أو المالح إنما شغله إقامة الخط التجارى البحرى، وخط حماية خندقي بالمياه هو ما نعتقد أنه المعروف في التاريخ المصري القديم باسم سور الأمير الذى يصد الآسيويين. لقد تم حفر القناة ليس لتحمل مياه النيل إلى الخليج بل العكس أى **لتحمل مياه البحر الأحمر المنحدرة فى القناة**، بعد إزالة الحاجز الرملى الكبير، لتندفع باتجاه البحيرات عبر حوض القلزم، ثم نحو الوادى المنخفض طميلات حتى تتوقف عند أكثر المناطق موازنة على اليابس مع سطح البحر، وهناك ــ عند منطقة التوازن ــ تلتقى بالمياه الحلوة القادمة من القناة من الغرب من مخرجها عند الفرع البوبسطى.

ولأن الماء المالح كان لابد سيختلط بالحلو ويغلب أحدهما الآخر حسب قوته وتدفقه، فقد لاحظ (نصحى) ذلك وقال استنتاجا لماحاً سريعاً في جملة واحدة: إن " حوض البحيرات المرة كان بمثابة حوض موازنة بين المياه القادمة من النيل، وبين المياه القادمة من البحر الأحمر " [٤٥] . وإن كان تحديده لمكان الموازنة برأينا غير دقيق.

ولما كان اليابس حسب جميع التقارير أدنى ارتفاعا من سطح البحر، خاصة إذا ما اخترقت القناة أوطأ مناطق الدلتا الشرقية فى وادى طميلات العميق. لذلك **نفضل افتراض حوض الموازنة فى وادى طميلات أو بالأحرى فى نقطة ما شرقيه تقع فى مكان ما يحتاج إلى تحديد. عند وصلة القناة ما بين الفرع النيلى وبين بحيرة التمساح، لأن الطرف الشرقي من وادى طميلات أكثر انخفاضا من حوض القلزم نفسه وهو بدوره كان منخفضا عن سطح البحر أصلا.**

ومن ثم نتصور أن فرع القناة الجارى عبر وادى طميلات كان هو منطقة التوازن بين لحظات مدّ تندفع معها المياه المالحة، ثم تعود مع الجذر ليندفع ماء النيل العذب يطاردها مرة أخرى. ويترك لنا آثاره طميا واضحا بطول وادى طميلات. **ويحول سواحل القناة إلى مناطق غنية بأحراش البوص**، حيث تتوفر الماء العذب مع المالح، ومن هنا نعتقد سبب إطلاق التوراة اسم بحر البوص على البحر الأحمر جميعه باعتبار هذا الفرع أو تلك القناة كانت تحتسب جزءاً من خليج السويس، وهو مالمحه (إبراهيم نصحى) إذ

(٤٥) د. إبراهيم نصحي: السويس من العصور القديمة حتى الفتح العربي، دراسة ضمن كتاب السويس، صادر بالسويس، مصر ، د. ت ، ص ٤٧ .

يقول : " **إن القدماء كانوا يعتبرون البحيرات المرة امتداداً للبحر الأحمر** .. ولهذ فإن بلينوس .. كان يدعو خليج السويس بأجمعه الخليج الهيروبولينى نسبة إلى هيروبوليس"[٤٦] بينما هيروبوليس كانت تقع في شرقي وادي طميلات.

إذن، ويهذا المعنى لدينا هنا قناتان وليس قناة واحدة، قناة ماء عذب مخرجها من الفرع البيلوزى تنحدر بمائها طبيعيا عبر وادى طميلات حتى تصل إلى نقطة قرب بحيرة التمساح ربما تكون المسخوطة، وأن اسم التمساح يشير إلى أن هذه القناة كانت تحوى ماء عذبا لا مالحا، فالتماسيح لا تعيش إلا فى الماء العذب النيلى فى مصر. هذا علما أن دى بوا إيميه لم يشر لا من بعيد ولا من قريب إلى نتائج بحثه عن آثار البحر المالح ما بين البحيرات المرة وبحيرة التمساح، مما يعنى أن المسافة بين البحيرات المرة وبحيرة التمساح كانت تخلو من آثار البحر التى أشار إلى انتشارها بطول حوض القلزم. وهذا أيضاً يعنى أن القناة التى تم شقها من السويس الحالية تم وصلها بالبحيرات المرة، لتنحرف بعدها غربا نحو النقطة التى يتوقف عندها صعود الماء المالح فى منطقة توازن تلتقى فيه المياه المالحة بالمياه العذبة القادمة من النيل. [ويبدو أنه قد تم مد قناة الماء العذب من بحيرة التمساح لتلتقى بالفرع البيلوزى مرة أخرى قرب شرقى مدينة القنطرة لتصبح القنطرة غربها وتل أبو سيفا بشرقها، وكان لابد هناك من إنشاء قناطر للعبور نحو أبو سيفا وسيناء تركت أثرها فى اسم البلدة (القنطرة)، وهى فيما نعتقد تلك القناة الضائعة التى كانت تعرف تاريخياً باسم قناة الجفار]. ومعنى هذا **أن الفرعون ومهندسيه قد قاموا بحفر القناة من السويس إلى البحيرات المرة، ثم انحرفوا بها نحو الغرب لتلتقى بفرع الماء النيلى الطبيعى عند نقطة بعينها، وهى تلك النقطة التى أصبحت مركز التوازن أو ملتقى البحرين أو مجمع البحرين، وأن عند هذه النقطة أنشأ الفرعون مدينته العبقرية، لتكون ميناء عالميا تلتقى عنده السفن القادمة ببضائع أفريقيا والجنوب الآسيوي عبر البحر الأحمر، بالسفن القادمة من عالم البحر المتوسط عبر الفرما فقناة الجفار حتى التمساح فمدينة الفرعون التي حملت بعد ذلك اسم رعمسيس والتى وصفت بأنها بوابة مصر الوحيدة، وهو التعبير الذى يجد صداه فى تخريجنا هنا إذ تصبح جميع الطرق إلى مصر بهذا الشكل محاطة بخندق مائى عظيم، ولا يبقى سوى منفذ واحد برى يصل إلى تلك المدينة هو المسافة بين البحيرات المرة وبحيرات التمساح، وإن هذا المنفذ لابد ينتهى نحو المدينة التى يلتقى عندها طرف الماء فى زاوية منفرجة تجعل مدينة رعمسيس بوابة مصر الوحيدة.**

وهذا التخريج الذى نسوقه يلتقى بشدة مع خرائط جغرافيى ومؤرخى العصر الكلاسيكى، وخاصة مع أخبار هيرودت وخريطة بطليموس واسترابون وتفسير بول لخريطة استرابون، الذى يأخذ من الفرع البوبسطى / التانيسى **فرعين** يتجه أحدهما نحو الشمال الشرقى حتى يصب عند بيلوز / الفرما، ويتجه الآخر نحو البحيرات المرة والتمساح فالبحر الأحمر.

(٤٦) نفسه ص ٥٢ .

وهيرودت من جانبه يخرج الفرعان جنوبى تل بسطة / الزقازيق بقليل، ويضع المدينة الثانية من مدن الاضطهاد (فيثوم / بى توم / باتوموس) عند نقطة مقوسة فى انحناءة قناة سيزوستريس من الشرق نحو الجنوب.

وذلك يفسر لنا أيضا التضارب بين هيرودت وبلينى حول طول قناة كان مظنونا أنها واحدة، فقال هيرودت أنها كانت تسعين ميلا، وقال بلينى أن طولها كان ستين ميلا، **لقد كان أحدهما يتحدث عن قناة، والثانى يتحدث عن قناة أخرى .**

لقد حفر الفرعون أخيتوي ثم آمنحتب الثالث، قناته البحرية وهو يعلم ماذا يفعل بالضبط. لقد كان يعرف انخفاض حوض القلزم وبعض سطح وادى طميلات عن سطح البحر، ومع ذلك أمر بإزاحة أكوام الرمال العظيمة من أمام خليج السويس، لينحدر الماء فى الحوض المنخفض حاملا معه الماء المالح دافعا البحر خارج حدوده، ليظل فى طريقه حتى يتوقف عن الصعود عند نقطة يلتقى فيها بالفرع العذب القادم من النيل، ليبنى الفرعون فى نقطة اللقاء مدينته العبقرية وزهرة مدائن العالم القديم. التى أصبحت بهذا الشكل مركزاً وسطيا رئيسيا بين فرعين يشكلان سوراً حامياً لمصر، ثم أنها بذلك أصبحت ميناءً فريداً من نوعه فى تاريخ الدنيا، فهى بذلك ميناء للبحرين الأبيض والأحمر فى عمق الأراضى المصرية، تصلها السفن القادمة ببضائع الهند و إفريقيا من البحر الأحمر عبر القناة المالحة، وتصلها السفن القادمة من بلاد الشام وتركيا وجزر المتوسط عبر الفرع البيلوزى العذب، ويشرف الفرعون منها على ممتلكاته فى آسيا من أقرب نقطة ممكنة لتتحول المنطقة إلى منطقة جذب تجاري عظيم وعالمي.

وفى الوقت نفسه تقع المدينة العبقرية عند منطلق الخطوط الرئيسية للمواصلات مع آسيا، فعندها يبدأ الخط المتجه شمالا فشرقاً المعروف بطريق حورس الحربى الكبير، ثم طريق متلا وطريق الجدى اللذان يخترقان وسط سيناء نحو الشرق ونحو الجنوب، بينما المنطلق من عند نقطة انطلاق واحدة، عند المدينة الميناء، وتصدق قصيدة مدح رعمسيس الكبرى ثم الصغرى وهى تصف المدينة بأنها واقعة على بداية **الطريق الوحيد.**

ثم أن الفرعون قد ضمن بذلك سيطرته التامة أيضاً على بلاده من الداخل فمدينته العبقرية تقع على المجرى النهرى الرئيسى، لقد كان الموقع فريداً يليق بمن هندسه .

وحسب هذا التصور، فإن ذلك التخطيط الاستراتيجى العسكرى الإدارى الفنى الفذ قد حجز مصر تماما عن سيناء بقناة سيزوستريس والفرع البيلوزى، ولم يترك مكان مفتوحا للقادم من سيناء إلى مصر سوى تلك المساحة الصغيرة، ولابد فى هذه الحال للداخل إلى مصر من المرور على قلاعها الواقفة بين القناتين عند مدينة رعمسيس. كى يتمكن من دخول مصر، وأصبح الماء حائلا دون الدخول أو الهروب إلا عبر تلك المساحة الضيقة الواقعة تحت رقابة الجيش الكاملة والأكثر يُسراً.

وأصبحت مساحة وادى طميلات المحصورة بين بحيرة التمساح والبحيرة المرة شرقا، وحتى نقطة التقاء الماءين عند رعمسيس غربا مساحة خاصة جداً كادت تكون سينائية تماما وخارج مصر، لذلك يصبح مفهوما لماذا أسماها اليونان المقاطعة العربية لاتصالها المباشر ببوادى سيناء السامية.

وتحكى لنا التوراة حكاية خروج بنى إسرائيل من مصر تحت قيادة (موسى) وتفصل أسماء المواضع بتفصيل يقول:

فارتحل بنو إسرائيل من **رعمسيس** إلى **سكوت** نحو ستمائة ألف ماشى من الرجال عدا الأولاد، وصعد معهم لفيف كثير أيضا مع غنم وبقر **ومواش وافرة جداً** .. وكان لما أطلق فرعون الشعب **أن الله لم يهدهم فى طريق أرض الفلسطينيين مع أنها قريبة،** لأن الله قال: **لئلا يندم الشعب إذا رأوا حربا** ويرجعوا إلى مصر، **فأدار الله الشعب فى طريق برية بحر سوف** .. وارتحلوا من **سُكّوت** ونزلوا فى **إيثام** فى طرف البرية .. وكلم الرب موسى قائلاً: كلم بنى إسرائيل **أن يرجعوا** وينزلوا أمام **فم الحيروث بين مجدل والبحر أمام بعل صفون،** مقابلة تنزلون عند البحر .. فلما أُخبر ملك مصر أن الشعب قد هرب تغير قلب فرعون وعبيده على الشعب، فقالوا ماذا فعلنا حتى أطلقنا إسرائيل من خدمتنا، فشد مركبته وأخذ قومه معه، وأخذ ستمائة مركبة منتخبة وسائر مركبات مصر وجنوداً مركبية على جميعها وشدد الرب قلب فرعون ملك مصر حتى سعى وراء بنى إسرائيل .. وأدركوهم جميع خيل مركبات فرعون وفرسانه وجيشه وهم **نازلون عند البحر عند فم الحيروث أمام بعل صفون** .. ومد موسى يده على البحر فأجرى الرب البحر بريح شرقية شديدة كل الليل وجعل البحر يابسة وانشق الماء، فدخل بنو إسرائيل فى وسط البحر على اليابسة، والماء سور لهم عن يمينهم وعن يسارهم، وتبعهم المصريون .. فمد موسى يده على البحر فرجع البحر عند إقبال الصبح إلى حاله الدائمة والمصريون هاربون إلى لقائه،

فدفع الرب المصريين فى وسط البحر .. ثم ارتحل موسى بإسرائيل **من بحر سوف وخرجوا إلى برية شور .**

خروج ١٣ : ١٦

فماذا لدينا هنا من مواضع جغرافية على خط السير الهلامى هذا؟

الفرض التأسيسى أن مدينة رعمسيس تقع على حدود الدلتا الشرقية مع البرارى السينائية، بين البحر المتوسط شمالا وخليج السويس من البحر الأحمر جنوبا.

والنص يقول إنهم ارتحلوا من رعمسيس إلى موضع آخر يحمل اسم سكوت، وأن الموقع سكوت كان أول محطة على طريق يحمل اسم طريق أرض الفلسطينيين، وأن طريق أرض الفلسطينيين كان قريبا من الموقع سكوت، أى أنهم اتجهوا نحو بداية طريق معلوم يعبر سيناء ليفضى إلى أرض فلسطين. لكن النص يقول أن الرب بعد أن تركهم يمضون هذه المسافة إلى سكوت نحو الطريق الدولى خشى من تعرض شعبه لمعركة وحرب، مما يعنى أن هذا الطريق يقف عليه قوم مسلحون يمكنهم أن يجعلوا الشعب يندم على خروجه من مصر أو بالأحرى أن موسى قد شاهد علامات وجود تلك القوة العسكرية الحدودية، فأمر رجاله بالعودة مرة أخرى. وهو ما يفهم من التعبير " فأدار الله الشعب فى طريق برية بحر سوف "، وكانت تلك العودة نحو صحراء تحمل اسم برية بحر سوف، وهو ما يفيد أن تلك البادية تحمل اسم بحر داخل محيطها الجغرافى هو بحر سوف. وهكذا عادوا من سكوت أول محطات الطريق الدولى نحو فلسطين، ونزلوا إلى موضع باسم إيثام في هذه البادية (برية بحر سوف)، ومن هناك رجعوا مرة أخرى ونزلوا فى موضع تتعدد إحداثياته الجغرافية حتى تكاد لتوراة تضع له حدوده الأربعة، فالحد الأول الواضح هو **البحر**، وفى المقابل الآخر للبحر **مجدل** أى القلعة، فهم بين القلعة والبحر، وأمامهم يقع موضع باسم **بعل صفون** وهو اسم إله مما يشير إلى معبد أو تمثال لهذا الإله فى ذلك الموضع، أما الموضع الذى نزلوا فيه على بحر سوف فكان يحمل اسم **فم الحيروث،** التى هى فى أصلها العبرى بى هـ حيروت. من بى هـ حيروت عبروا البحر المفلوق بالعصا الثعبانية ليخرجوا إلى صحراء باسم برية شور تقع إلى الشرق من بحر سوف.

نحن إذن بحاجة إلى تحديد عدد من المواضع الجغرافية هى:

* فيثوم رفيقة رعمسيس حيث استعبد بنى إسرائيل.
* سكوت الواقعة على أول الطريق الدولى وإيثام الموجود فى برية بحر سوف.
* فم الحيروث بين مجدل والبحر أمام بعل صفون.
* بحر سوف الذى تقع على شاطئه الغربى الإحداثيات السابقة.

* برية شور على الطرف الشرقى من بحر سوف.

عبقرية المكان :

المفترض حسب رواية التوراة أن تقع مدينة الاضطهاد (رعمسيس) قرب بحر سوف، وعلى جانب هذا البحر من جهة الغرب، وعليه يتم الاستنتاج أن الخارجيــن خرجوا من رعمسيس ولم يتجهوا شــرقا نحــو البحر مباشرة الذى لا نجد مقابلاً له فى تلك المنطقة سوى بحيرة التمساح، إنما اتجهوا شمالا نحــو الطريــق الدولى، ونزلوا محطة سكوت. ثم عادوا منها جنوبا مرة أخرى نحو بحيرة التمساح ليحدث العبور إلى الشرق من مدينة رعمسيس التى خرجوا منها فى البداية، وهو ما يعنى افتراض وجــود رعمســيس قــرب بحيــرة التمساح، وهو ما سبق وذهب إليه دى بوا إيميه عبقرى الحملة الفرنسية الفذ، عندما اعتبر تل المسخوطة هى مدينة رعمسيس. وهو الأمر الذى عثرنا له على كثير من القرائن والشواهد والمؤيدات، فقد عثر ليبسيوس فى موقع تل المسخوطة عام ١٨٦٠ على تماثيل لرمسيس الثانى مع الإلهين رع وآتوم، كما عثر على آثار سور عظيم يحيط بالبلدة، كما عثر على تماثيل لأبى الهول من الجرانيت الأسود تحمل اسم رمسيس الثانى، كــذلك عثر نافيل هناك عام ١٨٨٤ على حجرات مخازن مصنوعة من اللبن، لذلك ذهب كلاهما إلى موضعة مدينة رعمسيس فى موضع المسخوطة / الخشبى الآن بوادى طميلات غربى بحيرة التمساح (٤٧) .

وهنا نعثر بعد لأي على واحدة من أخطر الشوارد لكنها الشواهد، المتمثلة في الإله الذى أفصحت عنه آثار المسخوطة الذى ورد مكتوبا (وع نب **هوو**) الذى يعنى (**الرب الوحيد هوو**) (٤٨)، وهو ما يصادق علــى كل ما قلنا حتى الآن لأن (هوو) ببساطة هو (**يهوه**). هذا ناهيك عن دليل قــاطع حيــث لا يكتــب الــنص السبعونى للتوراة اسم مدينة الاضطهاد بالاسم رعمسيس إنمــا بالاســم هيروبــوليس، والمعلــوم أن اســم (هيروبوليس) فى العصر اليونانى كان الاسم الذى أطلقه الإغريق على تل المسخوطة الحاليــة. فقــد ذكــر استرابون أن هيروبوليس تقع قرب ميناء أرسينوى على خليج العرب، وقد أكد أميلينــو فــى جغرافيتــه أن هيروبوليس هى المسخوطة (٤٩) .

لكن يبقى المأخذ على هذا الفرض لأن تل المسخوطة لا تقع على بحيرة التمساح إذا افترضنا أن بحيرة التمساح هى بحر سوف، إنما تبعد عنها إلى الغــرب بمسافة تصل إلى ستة عشر كيلو متراً.

خاصة أننا سبق ورفضنا نظريات تجعل بحر سوف مجرد بحيرة مثل بحيرة المنزلة عند بروغش أو بحيرة البلاح عند على شافعى أو بحيرة البردويل عند بيير مونتييه وأصررنا على خليج الســويس بــالبحر الأحمر، فهل ثمة حل؟

---

(٤٧) بوابه: سبق ذكره، ص ٩٧ ، ٩٨ .

(٤٨) سليم حسن: أقسام .. سبق ذكره، ص ٧٦ ، ٧٧ .

(٤٩) رمزى: قاموس البلدان المندرسة، ص ١٩٣ .

لقد حللنا ذلك عندما قلنا أن الماء العذب كان يتدفق تلقائيا حتى يصل المسخوطة، وأن ما فعله آمنحتب الثالث أنه أعاد الحفر الذى سبقه إليه أخيتوى للمسافة بين المسخوطة وبين بحيرة التمساح (١٦كم) لإقامة بحيرة لمليكته تى ثم أوصل التمساح بالبحيرات المرة بخليج السويس فقط بإزالة التلال الملحية من أمام مياة البحر الأحمر لتندفع حتى منطقة التوازن.

ويظل علينا مع كل تلك المجازفات أن نحدد: أين تقع رفيقة رعمسيس التى دونت التوراة اسمها فيثوم؟

وهنا نقف مع أميلينو الذى اعتمد على خط سير أنطونين الرومانى، وقد وضع أنطونين مدينة فيثوم (بى توم أو باتوموس بالنطق اليونانى) على بعد ٢٤ ميلا غربى هيروبوليس / المسخوطة غربا، ومن ثم استند أميلينو إلى ذلك وانتهى إلى أن بى توم هى التل الكبير الآن، فحدد موقع فيثوم بأنه التل الكبير [٥٠]، وهو ما نخالفه فيه بشدة، كما سيأتى بيانه.

وفى رسالة الكاتب بينبس لسيده آمنموبى يقول عن مدينة رعمسيس:

لقد وصلت إلى مدينة بيت رعمسيس

محبوب آمون ...

لديها مؤن وذخيرة كل يوم

بركها تزخر بالسمك وبحيراتها بالطيور

. . . .

وشواطئها محملة بالبلح

. . . .

وهى تناطح السماء فى ارتفاعها

. . . .

وفيها سمك **وز الأحمر** من **قناة** (تلف بالوثيقة)

. . . .

وسمك بتن من بحيرة (تلف بالوثيقة)

. . . .

ويستخرج من بحيرة حور النطرون

. . . .

---

(٥٠) رمزى: قاموس البلدان المندرسة: ص ١٩٣ .

وسفنها تروح وتجئ إلى الميناء

. . . .

إن **مستنقعات زوف** تنبت لها البردى

وسيحور تمدها باليراع

والبحر فيه سمك بج وسمك أد.

وإشارة الكاتب بينبس إلى سمك وز الأحمر من عند مدينة رعمسيس إشارة لسمك ليس نيليا على الإطلاق، لأن النيل فى مصر لا يعرف أى لون للأسماك سوى الرما دى التى تغلب عليه أحيانا الخضرة القاتمة والصفرة فيما ندر، وعليه لابد أن يكون سمك وز المستخرج من مياه مدينة رعمسيس سمكا بحريا. والأكثر التقاء معنا إشارة التقرير أن **هذا السمك الأحمر البحرى لا يعيش فى بحر إنما فى قناة** فقدنا اسمها بتلف الوثيقة. ومعنى ذلك أنه يتحدث عن سمك يعيش في القناة القادمة بمياة البحر الأحمر حتى المسخوطة حيث منطقة التوازن أما **سيحور** فهى الفرع البيلوزى أوالشيحور بالتوراة الذى وصفته التوراة بأنه " **الشيحور** الذى هو أمام مصر / يشوع ١٣ / ٢ "،وعن ماء حور أو سى حور أو الشيحور حدثنا النبى الإسرائيلى إرميا وهو يندد بشعبه الذى يلجأ بسوائمه إلى مياه مصر يناديه قائلا: " والآن مالك وطريق مصر لشرب مياه **الشيحور** / إرميا ٢ / ١٨ ".

ولا ريب أن بحيرة حور هى التى نعرفها اليوم باسم بحيرة البلاح، أما مستنقعات زوف التى كانت تمد مدينة رعمسيس بالبردى فيمكن أن تكون هى بحيرة التمساح أو البحيرات المرة.

ثم بهذا التصور الذى طرحناه وحدة تنطبق لوحة الكرنك وتتطابق بالكامل مع الموضع الذى حددناه، حيث وضعت مدينة رعمسيس على مائين أحدهما مالح بتصوير الأسماك البحرية والآخر عذب بتصوير بيئة نهرية نيلية.

وفى التوراة يتكرر ذكر مدينة مصرية باسم (نو آمون)، كما فى سفر (ناحوم ٣/٨ – ١٠)، وتذكر فى مواضع أخرى باسم (آمون نو) كما فى (إرميا /٤٦)، وأحيانا تذكر فقط باسم (نو) كما فى (حزقيال /٣٠). وقد ذهب الباحثون إلى أن المقصود بها طيبة (الأقصر الحالية) لورود اسم آمون وهو سيد طيبة ورب الدولة.

لكننا نعلم أن أحد الألقاب المتكررة لرعمسيس ــ الذي منح المدينة اسمه ــ الذى عادة ما يلازم اسمه هو (رعمسيس ميامون)، ونظن مدينة (نو آمون) هى (ميامون) لاختلاط النون بالميم، إشارة لمدينة رعمسيس العبقرية كما حددنا موضعها. ويدعمنا فى ذلك المواصفات التى قدمتها التوراة لمدينة (نو آمون) أو كما نظن (ميامون)، حيث تطابق المواصفات التوراتية خريطتنا لرعمسيس تطابقا تاما، انظر معى التوراة تقول مخاطبة أورشليم تصغيراً إزاء مدينة عظيمة آخرى تقع في مصر:

هل أنت أفضل من نو آمون؟ **الجالسة بين**

الأنهار، حولها المياه حصن ومن البحر ســور لهـــا /

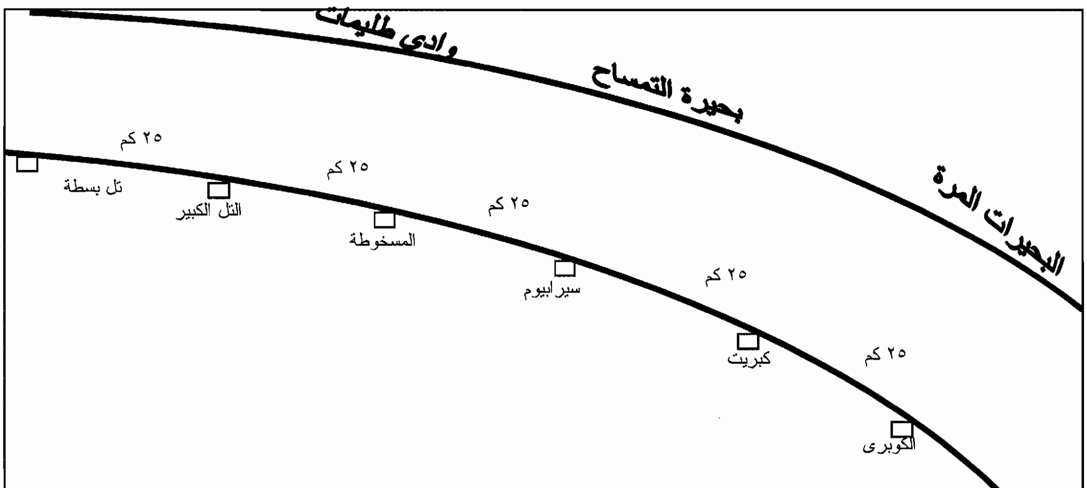
ناحوم ٣/٨، ٩ .

ومثل هذا الوصف إطلاقا لا يطابق الأقصر، فالبحر ليس سوراً لها فهي بعيدة تماماً عــن أي بحــر، وليس هناك أنهار بل نهر واحد هو شريان النيل القادم من أفريقيا، أما تلك الجالسة بين الأنهار والبحر سور لها والمياه حصون، فلاشك لدينا أنها مدينة رعمسيس / المسخوطة حسب جغرافيتنا.

فيثـــــوم :

فيثوم العبرية هى فى المصرية القديمة بى – توم أى مقر الإله آتــوم، ورد ذكرها عند المــؤرخين الكلاسيك مصرفة اسميا بالاسم باتوموس، وقد وضعها هيرودت على القناة الواصلة بين الفــرع البوبســطى للنيل وبين بحيرة التمساح، والتى تمتد حتى الخليج، وأطلق المؤرخون الكلاسيك على مدينة بيتوم (أرابيا) أى المدينة العربية. نسبة إلى غلبة العنصر الأسيوى البدوى على سكانها حتى العصر اليونانى.

ولدينا الآن وثيقتين شديدتا التنافر كل منهما تعطى تقريراً عن موضع فيثــوم بالنســبة لرعمســيس: الأولى هى خط سير الحاجة إيثريا التى تقول إن المدينة العربية (أرابيا) تبعد عن رعمسيس مســافة أربعــة أميال فقط. والثانية خط السير الرومانى (أنطونين) ويعطينا مسافة أربعة وعشرين ميلا كاملة، وعليه ســنقوم



الخريطة رقم (١٣)
لوحات دارا

بتحقيق كلا المسافتين لنرى إلى أين تلقى بنا تقديراتهما. ونبدأ بخط السير الرومانى (أنطونين).

وباعتماد لوحات دارا التى وضعت على مسافات متساوية كل منها ٢٥ كــم، يمكننا أن نقوم بــبعض الحسابات مع أنطونين (وليس مع أميلينو الذى ذهب إلى أن بيتوم حسب أنطونين هى التل الكبيــر ولا نعلــم كيف؟) .

إن المسافة إذن بين تل المسخوطة وبين تل بسطة / الزقازيق خمسين كيلو متراً، لو طرحنا منها ٢٤ ميل أى ٣٧ كيلو متراً ستكون المسافة بين الموضع الذى نبحث عنه (فيثوم) وبين تـل بسـطة / الزقـازيق حوالى ١٣ كيلو مترا. ولو بحثنا شرقى الزقازيق على خط وادى طميلات بعد ثلاثة عشر كيلو متراً سـنجد قريتين متجاورتين يفصل بينهما كيلو متر واحد، إحدهما باسم **سفط الحنة** والأخرى باسم **الصـوة** وعنـدما وصلنا إلى ذلك، ومضينا ننقب وراء سفط الحنة والصوة كانت النتائج مبهرة حقا.

وخط السير الرومانى للإمبراطور أنطونين إذ يشرح يقول إن المسافة ٢٤ ميلا بين هيروبوليس وبين بى توم، ثم يحدد أكثر فيقول إن نقطة انتهاء الـ ٢٤ ميلا تقع عند بيتوم أو باتوموس التى تسمى (ثـو) [٥١]، ذلك الاسم الغريب الذى لم يزل موضع خلاف حاد بين المؤرخين دون تحديد جغرافى واضح. و (ثو) برأينا تؤدى إلى (ثوم) أو بى توم، وقد أكد سليم حسن أن بلدة (ثو) أو (سو) أو (صو) موضع مجهول تماما حتـى الآن، وكل ما نعلمه عنه أنه كان عاصمة لمقاطعة باسم (حقا عنز) [٥٢]، ولو ترجمنـا حقـا عنـز عـن الهيروغليفية فسيكون حُكم السمكة باعتبار السمكة هى عنز، وحقا هى الحكم. ولو ترجمناها بافتراض الأثـر السامى من البدو وهى منطقة سامية تسمى العربية، فإن الترجمة ستكون: مقر حكم العنـزيين أو أصـحاب العنز وهو المرجح لدينا وسيتأكد في الأبواب المقبلة عندما نعلم أن العنزيين هم الهكسوس. أما معنـى كلمـة (صو) نفسها فهو المكان المحصور أو المضيق [٥٣]، وسنرى عندما تكتمل فرضياتنا ونرسم خريطتنـا كـم يصدق اسم (صو) على موقعها الجغرافى.

ثم أن (سو) أو (صو) أو (ثو) تحمل معنى آخر يلائمنا تماما ويدعم أطروحاتنا، لأنها كمـا تعنـى المضيق فهى أيضاً تعنى فى المصرية القديمة اسم الإشارة للغائب المذكر (هو)، وهو ما يحيل مبنى ومعنـى إلى رب التوراة (يهو) الذى لا يلفظ اسمه ويكنى عنه باسم الإشارة (هو)[٥٤] وبفعـل الكينونـة (يكـون أو الكائن).

ثم معنى ثالثا يشير إلى ترافق وتجاور وتلاصق بين مدينتين هما (صـو) و(بيتوم) لأن كلمة (صو) تعنى أيضا " يمشى بقربه، رفقة، تجاور " فهى المجاورة أو الرفيقة [٥٥]، ولازال المصرى يستخدم كلمة (سوا) تعبيراً عن الرفقة والتلازم .

وقديما جازف جوتييه – فيما يبدو تخمينا – مجازفة نراها صادقة حقا، فقال فى قاموسه أن (صـو) هو الاسم الدينى لمدينة Per Atoum (بر آتوم) المذكورة فى الوثائق المصرية، وأن اسمها المدنى كان فيثوم Phithom المدون بالتوراة، وأن اسمها الرومى هو Patoumos، لكنه حدد موضعها عند التل الكبير. ولكـن

(٥١) رمزى: القاموس، سبق ذكره، ج١، ص ٢ / ١ / ٦٦

(٥٢) سليم حسن: أقسام .. سبق ذكره، ص ٨٥ .

(٥٣) رمزى: القاموس، البلدان المندرسة، ج١، ص ١٨٤ .

(٥٤) أنطون ذكرى: مفتاح اللغة المصرية .. سبق ذكره، ص ٦١ .

(٥٥) نفسه ص ٧٩ .

لدينا الآن وبيدنا مع التدقيق قرية (الصوة) [٥٦] الملاصقة لسفط الحنة، ثم نتذكر أن هناك اسما لمدينة ورد بالتوراة هو (صوعن)، لم نكن نعلم بالقطع هل كان يطلق على قسم من مدينة رعمسيس، أم على قسم من مدينة فيثوم، والآن لا شك قد أصبحنا نعلم، **فالصوة هى صوعن أما فيثوم فيجب أن تكون سفط الحنة.** ونتذكر هنا نافيل عندما ألقاها إلقاءً وقال إن مدينة رعمسيس هى سفط الحنة، لكن على أية حال لم تكن سفط الحنة هى رعمسيس حسبما وصلنا إليه إنما هى بيتوم / فيثوم / باتوموس / أرابيا / المدينة العربية المعروفة عند اليونان باسم فاكوسة (وليس فاقوس الحالية). وهناك تم العثور على قطعتان من الجرانيت الأسود باسم رعمسيس الثانى، إضافة إلى قطعتان أخريان باسمه من البازلت. أما المدهش فهو أن يحتفظ اللسان المصرى حتى الآن بذكريات الماضى فلم يزل المصرف القائم محل الترعة القديمة من النيل إلى بسطة يحمل اسم مصرف (الفيوم)؟ ولا علاقة له بالفيوم الحالية ولا ريب أنه من البقايا اللغوية الحاملة لمدينة (فيثوم).

ويرى جوتييه أن اسم كلمة (سفط) فى سفط الحنة مشتقة من اسم الإله (سوبد) – بقلب الباء فاءً – رب الشرق المصرى القديم [٥٧]، ويرجح أن اسمها المصرى القديم كان (برسوبد) ويبدو أن هذا التخريج لدى جوتييه وآخرين قد اعتمد على نقوش وجدت على ناووس فى سفط الحنة وضمنها (بيت سب)، رغم أن ترجمة (بيت سب) بأنها (بيت سوبت) فيه تكلف شديد لأن ترجمتها المباشرة كما هى (بيت سب) تعنى (بيت الجميزة). هكذا فسروا (سفط)! وبقيت (الحنة)؟، هنا قيل أنه كان للبلده اسما آخر هو (سختيو حنو) أى حقل الحنا، وهكذا تكون سفط الحنا قد أخذت اسمها من اسمين قديمين، سفط من (سوبد) فى كلمة (بيت سب) والحنا من (حنو) فى كلمة (سختيو حنو) [٥٨] ؟!

وما دمنا غير موافقين على هذا التخريج فماذا لدينا؟ سنعيد كلمة سفط مباشرة إلى (سبيت) أو (سبت) التى تعنى إقليم أو فرع أو مقاطعة وليس إلى الإله سوبد، مع ملاحظة أن قرى تملأ كل بر مصر الآن يبدأ اسمها بكلمة سفط، ولا يمكنا بحال أن نتصور أن مئات القرى فى عمق مصر كانت تعد الإله سوبد رب المشرق إلها رئيسياً لها تأخذ منه اسمها، وهو إله مغمور الشأن بين آلهة مصر. لكن الأرجح أن تكون كل تلك القرى تحمل اسم سفط شقا فى اسمها، بمعنى إقليم كذا، وعليه فاسم سفط الحنة هو إقليم الحنة، لكن الحنة لدينا ليست نبات الحنة أو غيط الحنة أبداً إنما هى (حنت) الكلمة المصرية القديمة التى تعنى: **الفاصلة،** وكانت تطلق علىالمواضع المفصلية، مثلا كما فى مقاطعة شرقى النيل / حلوان الآن كان اسمها حنت أى الفاصلة بين القطرين القبلى والبحرى [٥٩] وجاء ذكرها فى قائمة سنوسرت بهذا المعنى [٦٠]. وعليه يصبح أصل **سفط الحنة هو سبت حنت أى المقاطعة الفاصلة،** وهو ما يصادق تماما على موقعها كما نرى على خريطتنا.

---

(٥٦) رمزى ٦٦/١/٢.

(٥٧) رمزى: القاموس .. سبق ذكره، القسم الثانى، الجزء الأول، ص ٧٣ .

(٥٨) محمد إبراهيم كامل: اقليم شرق الدلتا فى عصوره التاريخية القديمة ج٢، الهيئة المصرية العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٩٨٥، ص ٥٣ ، ٥٥ .

(٥٩) سليم حسن: أقسام .. سبق ذكره، ص ٢٣ .

(٦٠) نفسه: ص ٦٦ .

ويصادق على كلامنا هنا أن ستى الأول عندما قام بحملته على الشاسو (بدو سيناء)، بدأها من المدينة الواقعة على القناة الفاصلة [٦١]، وهى القناة التى عرفناها باسم قناة سيزوستريس، التى كانت ذلك الزمان تبدأ من جنوبى تل بسطه على هيئة كوع ينحنى خارج من الفرع البوبسطى، ثم تضرب شرقا مخترقة وادى طميلات حتى تصل بحيرة التمساح.

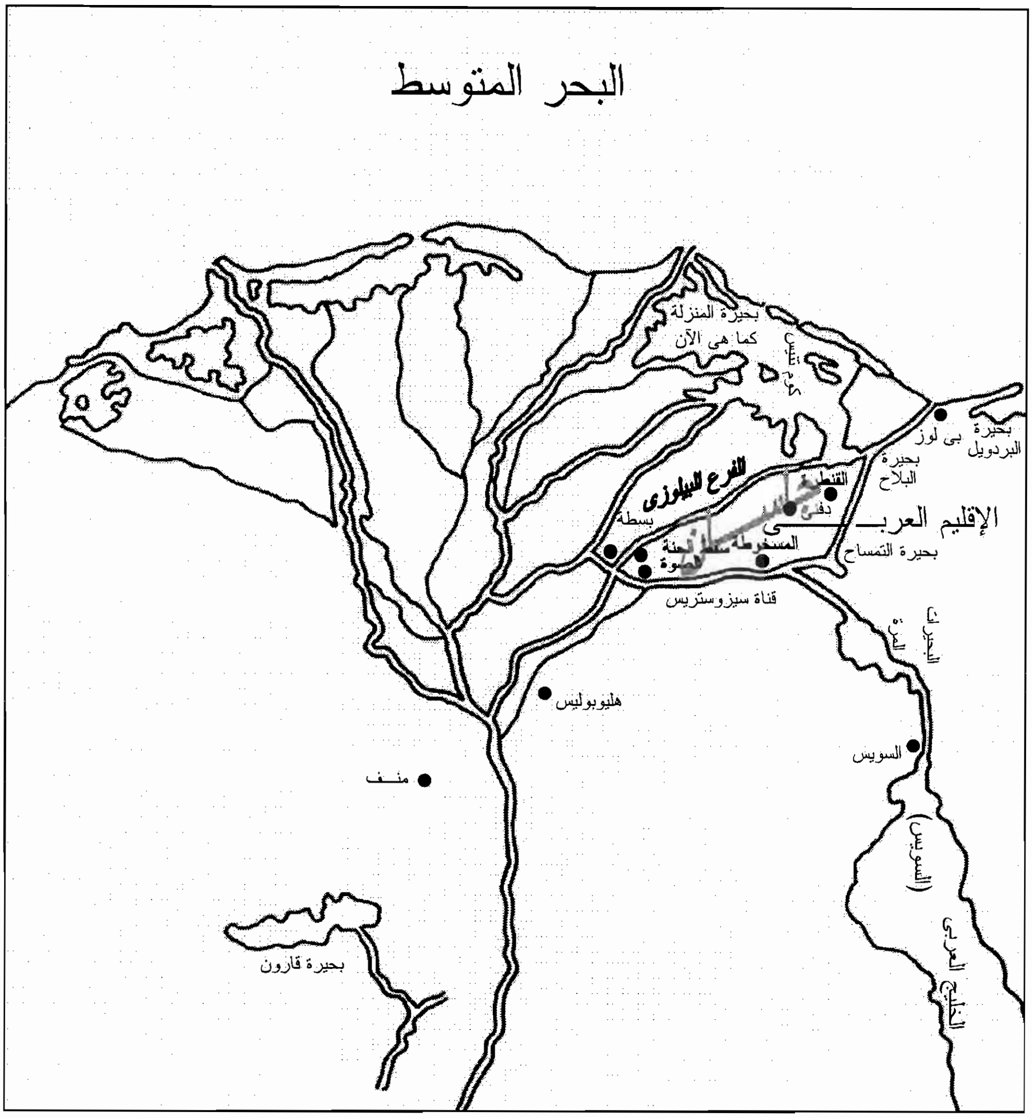
وتتدافع الدلائل بين أيدينا عندما يطالعنا معجم البلدان بأن سفط الحنة قرية فى جوف مصر قرب بلبيس ويفيدنا المشترك لياقوت بأنها هى سفط **ترابية أو طرابية أو طرابيته**[٦٢] . وهكذا يمسى أمر سفط الحنة شديد الوضوح، لقد أطلق اليونان على مدينة فيثوم القديمة (باتوموس) اسم (أرابيا / العربية)، وأضاف لها اللسان المصرى كلمة (أرض) المصرية (ت / طـأ) فأصبحت أرابيا هى ترابية أو طرابية فى معاجم البلدان العربية، أما اسم (فاكوسه) فلا شك أنه كان اسم المقاطعة، وكانت المقاطعة التى عاش الإسرائيليون فى مدنها باسم جاسان، ولو أضفنا إليها (بى) أى (موضع) كالعادة المصرية فستصبح بى جاسان أو بالأحرى فاقوسان أو فاكوسة.

هذا ما كان عن مطابقتنا لخط السير الرومانى (أنطونين) ٢٤ ميلا بين هيروبوليس / المسخوطة وبين باتوموس / فيثوم، وأدى بنا إلى **الصوة وسفط الحنة كموقع لفيثوم**، أما لو أخذنا بما جاء عند الحاجة ايثيريا بأن المسافة بين رعمسيس وأرابيا فيثوم أربعة أميال فقط، وإذ كنا قد سلمنا بأن رعمسيس هى المسخوطة، فإن على مسافة(٤) ميل إلى الغرب منها تقع تل رطابة بكل آثارها الفنية بدورها بالمخازن والتماثيل الرعمسية، ناهيك عن كون (تل رطابة) يمكن أن يكون تحريفا لسانيا للاسم (طرابيته) الذى أطلقه العرب على أرابيا فيثوم، لكنا نميل بشده إلى خط سير أنطونين كإمبراطور يحوز الثقة بما لديه من جهاز هندسى عسكرى متكامل، وربما سقط من مدون إيثريا رقم المدونات اليونانية التي تشير إلى الرقم (٢) اللاحق برقم (٢٤ ميلا) فأدى إلى فوضى هائلة فى تحديد موقع المدينة العربية، وإذا أردنا الفرض الذى يذهب إلى تل رطابة، فالمسافة بين المسخوطة ورطابه تزيد عن أربعة أميال بقليل وفى هذه الحالة ربما كان رقم أنطونين الأصلى ٤ وأضيفت إليه (٢) بالخطأ أو لوجود حرف لغوى يليه فسر على أنه (٢) فأصبحت ٢٤ ، إذا احتسبنا فيثوم هى رطابة الحالية.

---

(٦١) مصر قديمة ٦ / ٣٥ .

(٦٢) رمزى ٢ / ١ / ٧٣ .



خريطة رقم (١٤)
تصورنا لموضع رعمسيس فى إقليم جاسان حيث استعبد الإسرائيليون (المسخوطة = رعمسيس)

وبهذا التصور احتسبنا أن مدينة بيثوم التوراتية هى باتوموس عند هيرودت، ويدعم ذلك قوله العابر: " ويوجد فى **بلاد العرب** مكاناً يقع باتجاه مدينة **بوتو**، وقد ذهبت إلى هذا المكان أثناء بحثى عن الحيات ذات الأجنحة" [٦٣] ولأن علم المصريات لا يعرف سوى مدينة مصرية واحدة باسم بوتو تقع شرقى فــرع رشــيد الحالى عند مدينة سايس غربى الدلتا بعيداً عن موقعنا هنا شرقى الدلتا، فقد عقب (أحمد بدوى) علــى قــول (هيرودت): " الغالب أن **بوتو هنا مدينة أخرى، ربما كان مكانها بالقرب من البحيرات المرة** " [٦٤] .

(٦٣) هيرودت فى مصر ١٣ .

(٦٤) هيرودت فى مصر ٢٢٤ .

وإذا صدقت تصوراتنا جميعا أو بعضها، فلابد أن منطقة محيط الزقازيق الحالية ووادى طليمات بمدائنه الرائدة فيثوم ورعمسيس، قد تحولت تقريبا إلى جزيرة بين فرعى المياه، وهى الرواية التى يصادق عليها خبراً من هيرودت يقول عن تل بسطة: " ويقع نطاق معبدها المقدس هكذا كله **ماعدا المدخل:** عبارة عن **جزيرة** إذ تمتد **قناتان** .. لا تتصلان ببعضهما إذ تصل كل منهما إلى مدخل المعبد، ثم تتدفع إحداهما حوله من جانب والثانية من جانب آخر، ويبلغ عرض كل من القناتين ثلاثين متراً" (٦٥).(خريطة رقم٣٤و٣٥).

وقد لفت نظرنا مأثور كان معلوما لدى تجار عرب الحجاز عشية الإسلام، وكانوا قد أصبحوا تجار العالم فى القرن السادس الميلادى، وورثوا البتراء بكل صنوف تجارتها العالمية، وتاجروا مع مصر وعرفوا مدينتها العبقرية، وعايشوا الإسرائيليين وعرفوا مأثورهم عن مدينة الاضطهاد المصرية. وسار بينهم حديث عن بحرين يلتقيان بينهما برزخ، وأن أحدهما ماء مالح والآخر ماء عذب، لا يطغى أحدهما على الآخر، ليسجل القرآن الكريم ذلك المأثور العربى بقوله:

مرج **البحرين يلتقيان**

بينهما برزخ **لا يبغيان**

٢٩ ، ٣٠ / الرحمن

وفى موضع آخر يصف ذات المكان بإشارته لفعل إلهي معجز عبقري بقوله:

وهو الذى مرج البحرين: هذا **عذب** فرات، وهذا
ملح أجاج، وجعل **بينهما برزخا** وحجراً محجوراً .

٥٣ / ١ لفرقان

وقد ذهب المفسرون فى تفسير هذه الآيات مذاهب شتى، فمنهم من قال أن البحرين هما خليج السويس وخليج العقبة، أما البرزخ فهو مثلث شبه جزيرة سيناء، لكن ذلك التفسير لا يطابق القول بلونين متمايزين من الماء. ومنهم من قال أن البرزخ هو مصب نهرى دجلة والفرات وهما المقصودان بالبحرين، حيث يسير الماء العذب فى البحر مسافة يمكن شرب الماء العذب منها داخل البحر. وقد استند هؤلاء لكلمة فرات رغم أنها فى اللغة تعنى الماء العذب على إطلاقه ولا تخص نهر الفرات العراقى بالتخصيص وبالذات.

أما نحن فنعتقد أننا قد عثرنا على الموقع الصحيح لبحرين متمايزين بينهما برزخ. وقد اقترب من موقعنا ابن الكندى الذى قال عن مدينة الفرما / بيلوز:" وبها مجمع البحرين وهو البرزخ الذى ذكره الله عز

(٦٥) مجموعة مؤرخين: الإسماعيلية بوابة مصر الشرقية، لجنة صياغة التاريخ بالحزب الوطنى الديمقراطى بالإسماعيلية، مطبعة الفجر الاسماعيلية، ١٩٦٠ ، ص ١٠٤ ، ١٠٥ .

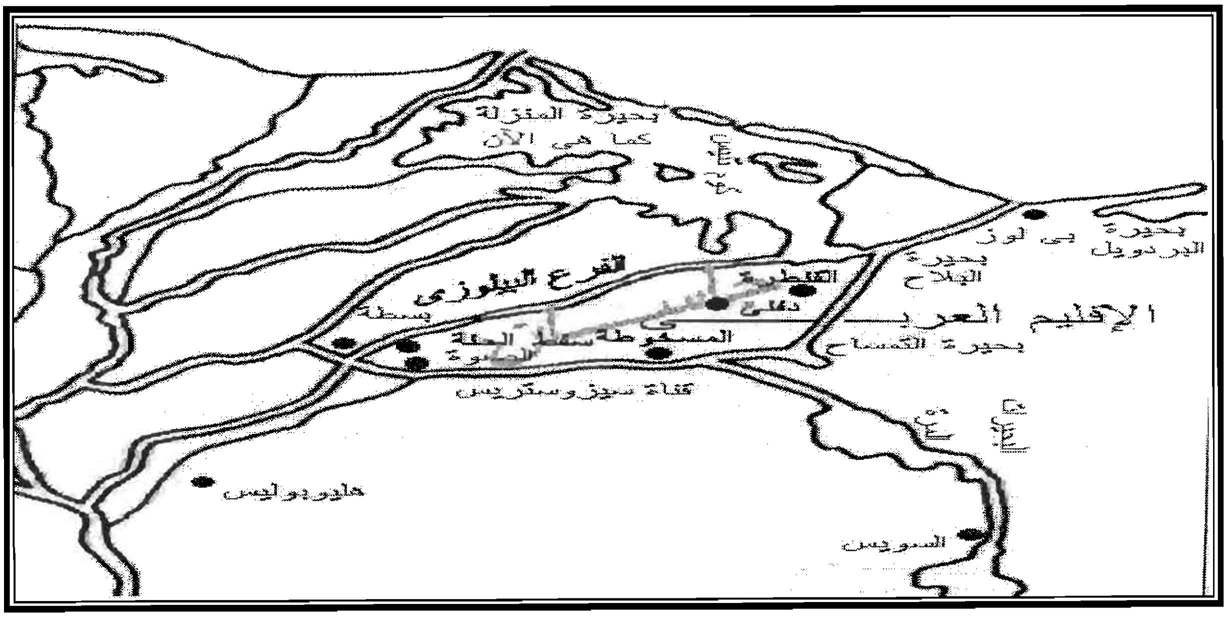
وجل، فقال: مرج البحرين يلتقيان " (٦٦) كذلك كان ابن إياس يعلم أن البحرين المتمايزين عذبا وملحا يصلان البحر الأحمر أو كما كان يعرف زمنه ببحر الصين، والبحر الأبيض الذى كان يعرف باسم بحر الروم، استمع إليه يقول فى الجزء الأول من كتاب النجوم الزاهرة وكلماته الباهرة التي تؤكد كل ما قلنا:

> أن مجمع البحرين يقع فى مصر فى **منطقة وسطى** بين بحر الروم [البحر الأبيض/ المؤلف] وبحر الصين [البحر الأحمر/ المؤلف] ، والحاجز بينهما مسيرة **ليلة واحدة** (٦٧).

ومن جانبه احتفظ المأثور الإسلامى بذكريات تربط بين ملتقى البحرين عند مدينة رعمسيس وبين النبى موسى الذى ذهب عند ملتقى البحرين ولا نعرف لموسى أية علاقة بالعراق والفرات لكن علاقته بمصر هي الفصل، ليلتقي هناك بالحى الغائب المعروف باسم الخضر عند مجمع البحرين.

ثم يجب فهم " سور الأمير الذى يصد الآسيويين " فى ضوء ما طرحناه فهو لم يكن سوراً حجريا بطول المسافة بين البحر الأبيض والبحر الأحمر، إنما كان فقط مجموعة قلاع بين بحيرة التمساح وبحيرة البلاح، بينما شكلت القناتان عائقاً مائياً ضد أى محاولة دخول، وكان يكفى نثر بعض القلاع وهنا وهناك للمراقبة كى تكون حدود مصر آمنة بما يكفى. ومن ثم كان لابد على الداخل إلى مصر أن ينتهى اضطراريا إلى مدينة رعمسيس أولا.

أما عند السور بين بحيرة التمساح والبحيرة المرة فلابد أنه قد تواجد أكبر معقل عسكرى مصرى .



الخريطة رقم (١٥) ــ قطاع أوضح لموضع الأحداث حسب رؤيتنا وتخريجنا

(٦٦) نعوم بك شقير ، تاريخ سيناء القديم والحديث وجغرافيتها، دار الجيل بيروت، ١٩٩١ ، ص ١٨٥.

(٦٧) رمزى: القاموس .. سبق ذكره، البلدان المندرسة، ص ٤٠٣ .

ونلتفت هنا بعناية إلى الخبر الذى وردنا من زمن الفرعون مرنبتاح عن قلعة باسم (خـتم سـكوت). وورد فى معجم جوتييه ذكر لقلعة كبرى حملت فى زمانه اسم قمور Kemour كانت تقع شرقى القصاصين أى فى مكان المسخوطة الآن التى تقع على بعد ٣ كم من القصاصين ولدينا تسـجيلا كـاملا لخـط رحلـة عسكرية، تلك التى قام بها سيتى الأول لتأديب حلف بلاد بونت، ولأننا سنستقى خطوات سير الحملـة مـن جاردنر، فسنهمل تفسيراته ونستبقى الأصل. يقول النقش أن سيتى خرج بحملته من عند موقع تـم تصـويره محصنا له ضفتين على قناتين اسمه **الفاصلة** (لأنه يفصل مصر عن الصحراء)، ويتألف هذا الموقع من مبان فى الشمال والجنوب وله **بابان أحدهما فى الشرق وآخر فى الغرب**. ويؤدى الباب الشرقى إلى قنطرة فـوق قناة.

وكان أول محط نزل به ستى للاستراحة عند قلعة مستطيلة تقـع علـى بركـة مسـتطيلة الشـكل، والاستطالة من الشمال إلى الجنوب. وهى فى رأينا قلعة المسخوطة / هيروبوليس، أما البحيرة التى تجاورها فى اللوحة فهى بحيرة التمساح المستطيلة من الشمال إلى الجنوب. وقد دون اسم تلك القلعة (عـرين الأسـد) كناية عن الفرعون.

ثم بعد ذلك وعلى الترتيب مع المسير شرقا نجد قلعة أخرى تقع على ذات البحيرة التى تقـع عليهـا قلعة عرين الأسد، أى حسب تفسيرنا على بحيرة التمساح، أى أنها تجاور المسخوطة وهو ما يعنى فى رأينـا وقوعها إلى الشرق من المسخوطة مباشرة، وحملت هذه القلعة فى النقش اسم (مجدل ماعت) أى قلعة العـدل [٦٨].

ويدعم ذلك التفسير أن رعمسيس الأول كان يحمل وهو وزير فى عهد الفرعون حور محـب عـدة ألقاب تحيل إلى الموضع الذى نقف عنده الآن، فهو:

- حارس الحدود الشرقية ومقره قلعة ثارو .
- رئيس قلعة **مصبات النيل** .
- رسول الملك إلى البلاد الأجنبية .
- المشرف على **قلعة العدل** . [٦٩]

وللمزيد نقرأ فى أدب الدولة الوسطى لنقف مع القصة الشهيرة باسم (سنوحى)، ويتحدث فيها بطلهـا (سنوحى) عن هربه من مصر إثر مؤامرة دبرت فى القصر تم اغتيال الملك (أمنمحات الأول) بموجبها، قرر سنوحى الهرب فوراً خارج البلاد مما يشير إلى أنه ربما كان متواطئاً، يقول سنوحى:

(٦٨) Cardiner, The Militatry Road Between Egypt and palestine, J.E.A, Vol VII. ١٩٢٠, pp ٩٩, ff.

(٦٩) سامى سعيد: الرعامسة ١٢ ، ١٣ .

ثم أسلمت الطريق إلى قدمى متجها نحو الشمال
ووصلت أخيراً جدار الأمير الذى كان قد أقـيم لصـد
الآسيويين والقضاء على سكان الصحراء. وقد أخبـأت
نفسى فـى خميلة خوفا من أن يرانى الحـارس الـذى
كان رابضا فوق الجدار ليل نهار (٧٠)

فهل لم يجد سنوحى سوى مكان الحراسة ليهرب منه أمام كل بوادى سيناء المفتوحـة علـى الـدلتا الشرقية؟ طرحنا يجيب على السؤال: لم يكن هناك سوى طريق واحد ومدينة واحدة يمكن الخـروج منهـا، وتقول القصيدة الكبرى فى مدح رعمسيس " وجميع الممالك تسعى إليك على **الطريق الوحيد** ".

وهنا أقول لأهل الأركيولوجيا وعلوم المصريات، احفروا المسخوطة وستجدوا هناك ـ آثار مدينـة رعمسيس كاملة، وتحتها ستجدون مدينة الهكسوس (حواريس)، واحفروا الصوة وسفط الحنة أو تل رطابة وستجدوا هناك مدينة (فيثوم)،أو هكذا أرجو حسبما وصلت إليه نتـائج هـذا البحـث، وتكـون جهـودكم مشكورة.

سكوت

هى أول محطة للخارجين من مدينة رعمسيس، وتقع على بداية الطريق الدولى المذكور فى التـوراة باسـم طريق أرض الفلسطينيين، ونحن نعلم من الوثائق المصرية أن الطريق الدولى الحربى الكبير إلـى فلسـطين كان يعرف باسم طريق حور الكبير، وكان يبدأ من عند مدينة محصنة بالقلاع الضخمة كانت تعـرف باسـم زارو أو ثاروا أو سيلا أو شور. وقد تم تحديد سيلا إلى الشرق من مدينة القنطرة الحالية بثلاثة كيلو مترات عند موضع يعرف الآن باسم تل أبو سيفا أو أبو صيفا (٧١). فإذا افترضنا أن هذا الطريق هو ذات الطريـق الذى قرر الخارجون اتخاذه فى البداية للاتجاه نحو فلسطين، فلابد فى هذه الحالة أن تكون القنطرة غربى أبو صيفا مباشرة هى التى أشارت إليها التوراة بالاسم سكوت، وهو خط السير المنطقى نحو فلسطين. لكن عنـد وصولهم واكتشافهم الاستعدادات العسكرية على بعد ثلاثة كيلو مترات إلى الشرق فى قلعة سيلة قرروا العودة مرة أخرى جنوبا باتجاه ما أسمته التوراة بحر سوف، وفى هذه الحالة سيكونون باتجاه بحيـرة التمسـاح، أو على التدقيق مقابل الخانق اليابس الممتد بطولها. وأنهم نزلوا بعد عودتهم من سكوت جنوبا فى موضع يدعى إيثام، وفى النصوص المصرية نقرأ عن قلعة زمن الفرعون مرنبتاح تحمل اسم (ختم **سكوت**)، وأنهـا تقـع قرب بحيرة تحمل اسم (بى توم مرنبتاح)، وأن فى محيطها تقع مدينة اسمها **(أتوما)** حيث يسكن البدو (٧٢) . التى لا شك هى إيثام الواردة بالتوراة.

(٧٠) سليم حسن الأدب ج١ ص ٤٥ .

(٧١) كامل: إقليم شرقى الدلتا .. سبق ذكره، ص ٢٢٠ .

(٧٢) بوابه: سبق ذكره، ص ٩٧ ، ٩٨ .

وقد وردت بالقوائم المصرية مدينة تحمل اسم يطابق الاسم التوراتى سكوت، بالصياغة تيكوت وتكو بحسبانها مدينة لمقاطعة من مقاطعات الوجه البحرى، وورد ذكرها فى بردية أنستاسى من الأسرة ١٩ **بحسبانها تقع على الحدود ويسكنها أقوام من الأجانب**(٧٣).

وفى تل المسخوطة الواقع فى وادى طميلات غربى بحيرة التمساح تم العثور على لوحة لبطليموس الثانى محفوظة الآن بالمتحف المصرى عليها النص التالى :

... وفى الشهر الثالث من العام السادس من حكم
جلالته (أى حوالى ٢٨٠ ق.م) **حفروا قناة** لإدخال
السرور على قلب أبيهم آتوم الإله العظيم، **والإله الحى**
سكوت، وبقصد إحضار إلهة مديرية خنت يابت (٧٤) .

ويلتقى هنا اسم الإله سكوت بالموضع سكوت، والنص يفيد بوقوع معبد الإله سكوت فى مديرية خنت يابت. وبالبحث نجد ما يؤيد وضعنا لسكوت التوراتية عند القنطرة غربى قلعة سيلا / أبو صيفا، إذ نعلم أن عاصمة مقاطعة خنت يابت كانت هى قلعة سيلا ذاتها (٧٥) ، وقد أوضح العالم روجيه من جانبه أن ثارو / سيلا كانت عاصمة لمقاطعة خنت يابت، وأنها كانت من أكبر القلاع التى تحمى المدخل الشرقى الرئيسى لمصر (٧٦) .

كما وجدنا عند جوتييه أن سكوت (بالعبرية سوخيت وتعنى مظلات أو عشش) هى بالمصرية تيكو أو تكوت، وأن لها فى المصرية القديمة معنيين الأول هو مدينة الحقل أما الثانى وهو ما يطابق حال المدينة حسب رؤيتنا، لأنه يعنى(**باب الشرق**)(٧٧).

وكان الباحثون الذين اهتموا بذات موضوعنا قد ذهبوا إلى أن سكوت هى الخشبى الآن وتعرف أيضا بتل المسخوطة غربى بحيرة التمساح بوادى طميلات اعتماداً على التشابه بين الاسمين (سكوت) و (مسخوط)، لكن الحقيقة أن هذا الاستنتاج عار عن الصحة تماما، لأن المسخوطة اسم حديث تماما أطلقه الأهالى هناك تأثراً بالعقائد الإسلامية، حيث لاحظوا وجود تماثيل الفراعين فاحتسبوها أشخاصا حقيقيين سخطهم الله أحجاراً لآثامهم. ناهيك عن كوننا سنكشف الآن أن تل المسخوطة كان يحمل اسما آخر يستبعد معه أن يكون هو سكوت .

فم الحيروت

(٧٣) بوابه: سبق ذكره، ص ٩٧ .

(٧٤) نصحى: سبق ذكره، ص ٤٨ .

(٧٥) كامل: سبق ذكره، ص ٢٢٠ .

(٧٦) كامل: سبق ذكره، ص ٢٢١ .

(٧٧) رمزى: القاموس، سبق ذكره، البلدان المندرسة ص٢٨٧ . وبوابه: سبق ذكره، ص ٩٨ .

لحل تلك الإشكاليات جميعا حلا سهلا، ولاحتمالات سكنى الإسرائيليين بمصر فى أقصى الشمال عند صان الحجر أو قنتير، واحتمالات أخرى بسكنهم فى وادى طميلات، والاحتمالان يستتبعان خروجا على طريق حورس الحربى المنطلق من صان الحجر، أو الخروج عبر وادى طميلات إلى ممر متلا أو ممر الجدى، فقد تم طرح حل سريع وسهل أصبح اليوم كما لو كان ليس له بديل يقول بدفعتين للخروج. أى أن الإسرائيليين خرجوا على مرتين الأولى من صان الحجر أو ربما قنتير، والدفعة الثانية من وادى طميلات عند المسخوطة، لكن نظريتنا لم تبق مساحة للطروحات المجازفة المستسهلة، فالإسرائيليون حسب خريطتنا قد خرجوا من فيثوم / الصوة / سفط الحنة، ليمروا بعد ذلك على رعمسيس (المسخوطة / الآن: الخشبى) ليأخذوا بقيتهم من هناك نحو الشمال إلى القنطرة غرب (سكوت)، لينيخوا هناك يتدبرون أمرهم، فيقررون التوجه نحو بداية خط الطرق الدولية المؤدية إلى فلسطين، لكن ليكتشف الخارجون أنهم قد أعيوا بما فيه الكفاية، ويبدو أن قلاع مصر فى سيله / شور (القنطرة شرق) كانت قد أخذت عدتها كاملة، وتحاشيا للحرب حسب نص التوراة:

> إن الله لم يهدهم فى **طريق أرض الفلسطينيين** مع أنها قريبة، لأن الله قال: لئلا يندم الشعب إذا **رأوا حربا** ويرجعوا إلى مصر، فأدارهم الله فى طريق برية بحر سوف.
>
> خروج ١٣/١٧ ، ١٨

وإذا أخذنا باحتمالات الطرد بعد الهزيمة، وأنهم لم يخرجوا عنوة وعتوا رغم إرادة المصريين كما تحب التوراة أن تصور الحدث لإبراز قدرات يهوه، إنما خرجوا مطرودين حسبما فلتت منها الحقائق فى مواضع أخرى، فقد عادوا وهبطوا جنوبا نحو بحيرة التمساح يتسللون تسلل الهاربين من المنطقة المعتادة لفرار العبيد والآبقين والمحكومين بالأحكام بين شقى البحيرة الضحله إبان قدوم الرياح التى ترفع الماء الضحضاح، فيتحولون عن الطريق الرئيسى بتبرير التدخل الإلهى، فأدارهم الله فى طريق بحر سوف أى جنوبا نحو بحيرة التمساح لأنه كان طبيعياً أن تعتبر بحيرة التمساح إمتداداً لبحر سوف لاتصالها به عبر قناة سيزوستريس. ونستمع التوراة تحكى تلك اللحظة التاريخية التى قام عليها كل تاريخ إسرائيل فتقول:

> وكلم الرب موسى قائلا: كلم بنى إسرائيل أن **يرجعوا** وينزلوا أمام **فم الحيروت** بين **مجدل والبحر** أمام **بعل صافون**، مقابلة تنزلون عند البحر
>
> خروج ١/١٤

وعند فم الحيروت أو بى هـ حيروت بالعبرية تتم المعجزة الكبرى فيقول المقدس التوراتى أن الحية اللاعبة بسحرها قد فلقت بحر سوف وعبر الخارجون بعيداً عن الطرق المطروقة المعروفة.

والآن هل بيدنا ما يمكنا من تحقيق إحداثيات هذه المواضع الأربعة :

فم الحيروث أو بى هـ حيروت

مجـــدل أى القلعة

البحـــر وهو بحر القصب سوف

بعل صافون وهو معبد للإله بعل السامي الأصل

لقد سبق وعلمنا أن هذه المنطقة كانت مركزاً كبيراً لعبادة الإله بعل صافون / سيت وكل آلهة دافيناى (إرجع إلى نظرية على بك شافعى) ومعلوم أن التمساح كان من أبرز الرموز المصرية للإله (سيت بعل). فقد عرفنا أنه القنطرة غرب حيث قلعة سكوت حيث كانت تقع قلعة العدل (مجدل ماعت) التى هى فى رأينا مجدل التوراة. أما فم الحيروت فهو ما ترجمته (مدخل الحيروت)، وإذا كنا قد اتفقنا على أن مدينة رعمسيس هى هيروبوليس، وأن هيروبوليس هى مدينة الهكسوس التى عرفها اليونان باسم (حواريس)، فإن اسمها المصرى كان (**حوت وعرت**) وهو ما يتطابق تطابقا مدهشا مع الكلمة التوراتية (**حيروت**)، فقد عبروا تماما وبكل دقة من المنطقة التى يمكن للآبقين والخارجين على القانون استخدامها وأعطوها اسما يدل على معناها الجغرافى، فهى المدخل غير المطروق المؤدى إلى (حيروت) أو (حوت وعرت) أو (حواريس)، عبر بحيرة التمساح.

وبحيرة التمساح كان يمكن عبورها يبسا فتصبح كبحر عن يمين وعن يسار حتى يتم العبور من الخانق الواقع فى أقصى جنوبها الشرقى مع أول بادرة ريح شديد وهو ما قالته التوراة كسبب لجفاف البحر المفلوق. أما ما أضافته التوراة عن المطاردة وغرق جيش أكبر دولة معروفة آنذاك فهو الأمر الذى ليس عليه دليل واحد فى أى وثيقة من وثائق دول المنطقة، بل ولا أي إشارة يمكن تأويلها أو حتى وضعها موضع الاحتمال الظنى.

لقد خرج موسى التوراتى مخرج المجرمين والعبيد الفارين مطرودين لا مُطاردين.

وهناك احتمال آخر يعطينا تخريجا ثانياً يعضدنا لتسميه بى هـ حيروت فأمام بحيرة التمساح كان يقع جبل يحمل اسم جبل الخير وهو بالمصرية القديمة **حينوتا خيرتا**(٧٨).وهو ما يلتقى مع بى هـ حيروت التوراتية ناهيك عن كوننا قد دققنا القول أن المسخوطة هى هيروبوليس أى هيرو / إيرو / حيرو / وكلها تُحيل إلى أواريس أو حواريس الهكسوسية التى دونتها التوراة حويلة المصرية، ويدعم ذلك التفسير ما جاء عند بلينى يصف خريطة المنطقة فيقول إن الخليج العربى / السويس كان العرب يسمونه خليج EAANT

(٧٨) سليم حسن: أقسام ص ٧٧ .

إيان . وهو ما نظنه قد حمل اسم الملك الهكسوسى خيان الوارد فى الكتابات العربية بحسبانه فرعون من العماليق باسم الريان. ويقول ابن كثير عن هذا الفرعون العماليقى: " هو **الريان** بن الوليد بن ثروان بن أراشة بن **فاران بن** عمرو بن **عملاق** بن لاوذ ين بن سام بن نوح " [٧٩]، ويستمر بلينى ليقول: وهناك توجد مدينتين هامتين الأولى هى مدينة **هيروبوليس** ومدينة قمبيز (كبريت حاليا)، ثم يقول ما نصه وهو يتجه غربا "وتأتى بعد ذلك أمة **العمالقة Tyres** " [٨٠].

وغنى عن الذكر أنه فى تلك المنطقة التى عرفها اليونان باسم المقاطعة العربية تم اكتشاف [دونته هنا أثناء كتابة هذا الفصل/ المؤلف]، وردت أخباره بصحيفة الأخبار القاهرية بتاريخ ٩٤/١١/١٠ بالصفحة الأولى تحت عنوان: "العثور على ٥٠ مقبرة من عصر الهكسوس، حقائق علمية عن الخروج الأول لليهود" وتحت هذا العنوان يأتى الخبر يقول: " تم اكتشاف جبانه أثرية ترجع إلى عصر الهكسوس فى منطقة تل الكوع بوادى الطميلات بالإسماعيلية، تم العثور على ٥٠ مقبرة حتى الآن بحالتها كاملة وتضم الأثاث الجنائزى وعدداً كبيراً من الأوانى الفخارية والأدوات والجعارين، كما عثر على دفنات لحيوانات يرجح أنها الحصان الذى أدخله الهكسوس لمصر لأول مرة، يستكمل الاكتشاف الجديد حلقة مهمة فى التاريخ لوقوعه فى وادى طميلات والمشهور بخط سير الخروج الأول لليهود من مصر .. صرح الدكتور عبد الحليم نور الدين الأمين العام للمجلس الأعلى للآثار **أن هذا الاكتشاف يثير تساؤلات علمية مهمة لوجوده فى موقع لم يكن معروفا من قبل أى علاقة بوجود الهكسوس فى مصر** ". لكن حسب بحثنا هذا نكون قد سبقنا هذا الكشف إلى معرفة ذلك الموقع واتصاله عبر سيناء بمواقع الهكسوس الكبرى. ووضعنا للكشف أسسه التاريخية والجغرافية وهو ما ستتضح تفاصيله في الجزء الثاني من هذا العمل.

وبهذا التصور لخريطة الخروج لابد أن تكون هناك قلعة قرب موقع التسلل عبر بحيرة التمساح تستحق الاسم العبرى مجدل، وفى هذه المساحة التى حددناها تؤكد الورقتان الديموطيقية والفينيقية اللتان اكتشفهما نويل جيرون أن فى هذا المحيط الجغرافى الضيق كان يوجد معبد للإله بعل صافون / سيت رب الهكسوس المقدم، فالورقة تحوى تضرعات للإله " بعل صفون وكل آلهة دافنى " ودافنى هى دفنة الحالية التى أسمتها التوراة تحفنح، أو بالتصريف الإسمى تحفنحيس، المنشأة على اسم ملكة مصرية، ودافنى تقع فى مركز وسط بين القنطرة وبين بحيرة التمساح إلى الغرب قليلا .

والتوراة تردد أن عبور البحر الاعجازى قد تم " أمام فم الحيروت بين مجدل والبحر أمام بعل صفون / خروج ١٤/١ ".

أما المنطقة التى خرجوا إليها فتقع إلى الشرق من جنوبى بحيرة التمساح ليتجهوا نحو جنوبى سيناء، ولا شك أن اسم تلك المنطقة (برية شور) يعود إلى اسم القلعة المصرية الكبرى سيلا / زارو / شارو / شور

---

(٧٩) ابن كثير: البداية والنهاية، سبق ذكره، ج١، ص ١٩٤.

(٨٠) دى بوا ايميه: الحدود القديمة للبحر الأحمر، الدراسة الثانية من وصف مصر، ص ١٧٣.

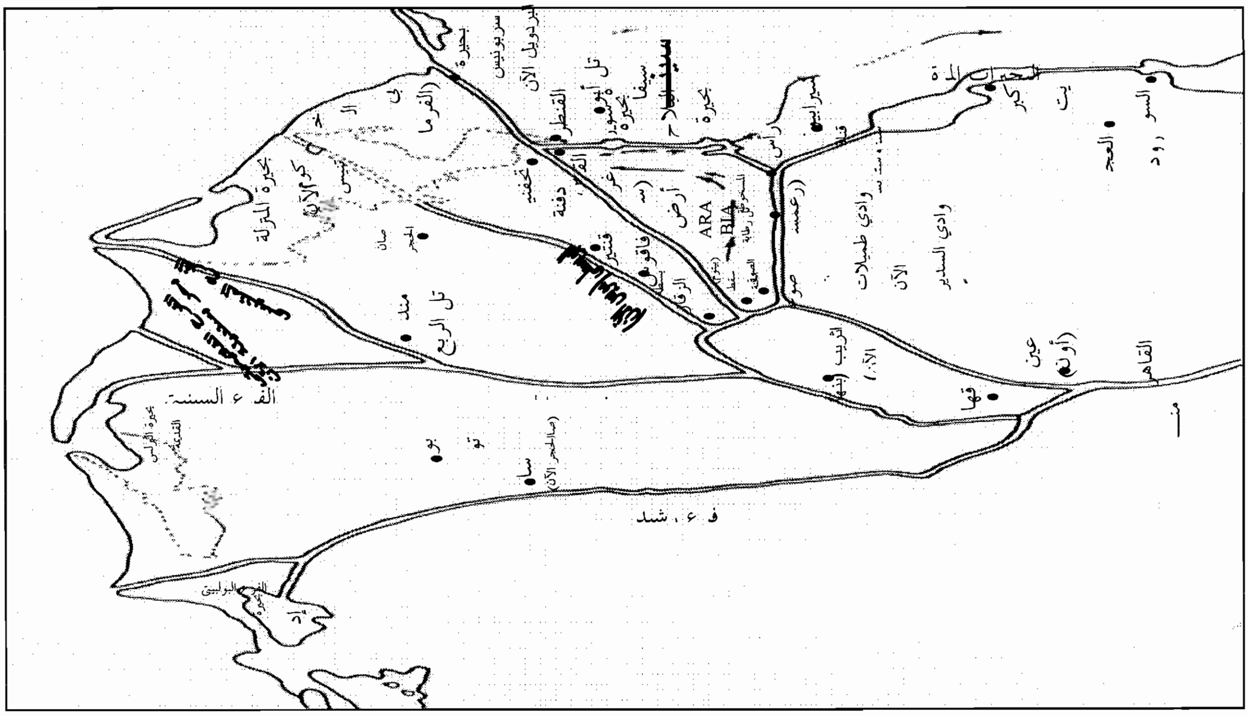
التى منحت اسمها بشهرتها للبوادى الممتدة من البحر المتوسط شمالا إلى خليج السويس جنوباً، إلى الشـرق من سور الأمير العظيم الذى يصد الآسيويين وعابرى الرمال.

أما الآن فسنعرض لخط سير بنى إسرائيل الخارجين من مصر عبر سيناء، بعد عبورهم البحر المفلوق (سوف) بالعصا المعجزة، لتدقيق المواضع التى مروا بها فى محطات حل وترحال .

وعلى الترتيب سار خط السير كالآتى :

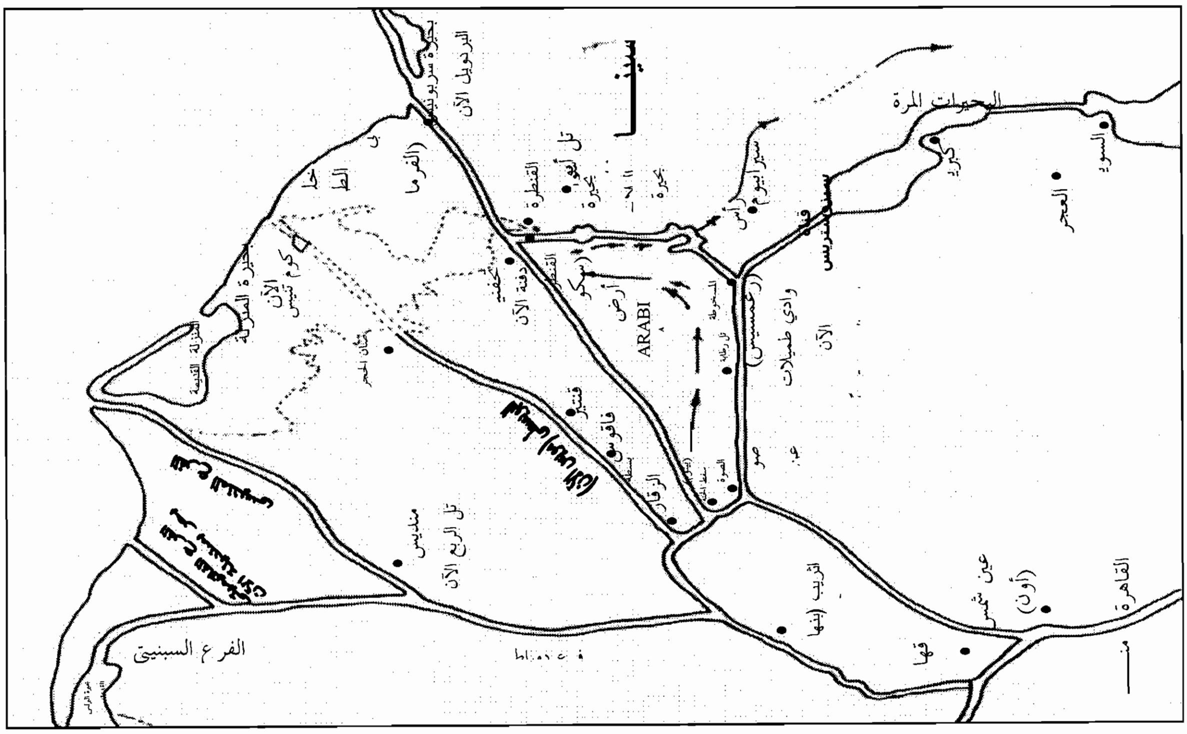
- الخروج من بحر سوف مباشرة إلى صحراء برية شور (خروج ١٥ / ٢٢)، وهـو اسـم السـاحل الشرقى للبحر المفلوق ويؤدى إلى بداية الطريق السينائى. ومعلوم أن (إيل) أو كبير الأربـاب السـامى الذى حل محله يهوه السينائى، كان يلقب باللقب (هـ – شور) أى الثور، وهو مايفسر لنا القـرنين فـى اللوحة التى قدمناها لفرعون يتلقى الشريعة من الإله، وكيف صورت اللوحة هذا الإله يلبس قرنين أو ذى قرنين. وتقابل هذه الكلمة فى الأرامية Tor وفى الأكادية والعبرية Shor وفى الأوغاريتية الحوريـة وت ر وفى الحبشية سور وفى اللاتينية Taurus وفى اليونانية Touros وفى اللتوانية Tauras . المهم فـى كل هذا ما يقوله عـل الشوك: " والعلاقة واضحة بين كلمة ثور والفعل ثار .. وتقابل ثار العربية شاور العبرية وتعنى: يثب، قفز، يقوى، وهناك كلمة سار العربية بمعنى مشى وتقابلها شور العبريـة وتعنـى: يدور، يسافر، ويمكن ذكر كلمة السـور أيضاً ومثلها شور العبرية وتفيد المعنى نفسه " (٨١) . وهنـا نتذكر أن آخر مدينة شرقية فى مصر كانت تحمل اسم (ثارو) فى المدونات المصرية، وأنها كانت مخرج جميع حملات مصر على آسيا، وأنها كانت أول الطريق نحو سيناء، وأنهـا كانـت قلعـة ذات أسـوار عظيمة، وأنها والأهم تنطق فى العبرية (شور). لقد كانت ثارو أوسيلة هى أول مدائن الخـروج بعـد عبور البحر المفلوق، مما يعنى وجوب البحث عن هـذا البحر المفلوق عند مدينة شور أو ثارو، وهو ما يعنى أيضاً أن هذا البحر يجب أن يكون فى عمق الدلتا المصرية، وليس على حدودها الشـرقية تمامـا، وهو ما سنجِّد فى البحث بشأنه فى الأبواب المقبلة.
- تحرك الركب بعد ذلك فى مسيرة استغرقت ثلاثة أيام بلغوا بعدها موضعا باسم مارة " فجـاءوا إلـى مارة، ولم يقدروا أن يشربوا ماء من مارة لأنه مر لذلك دعى اسمها مارة، فتذمر الشعب علـى موسـى قائلين: ماذا نشرب؟ فصرخ إلى الرب، فأراه .

(٨١) على الشوك: جوله .. سبق ذكره، ص ١٠١ .



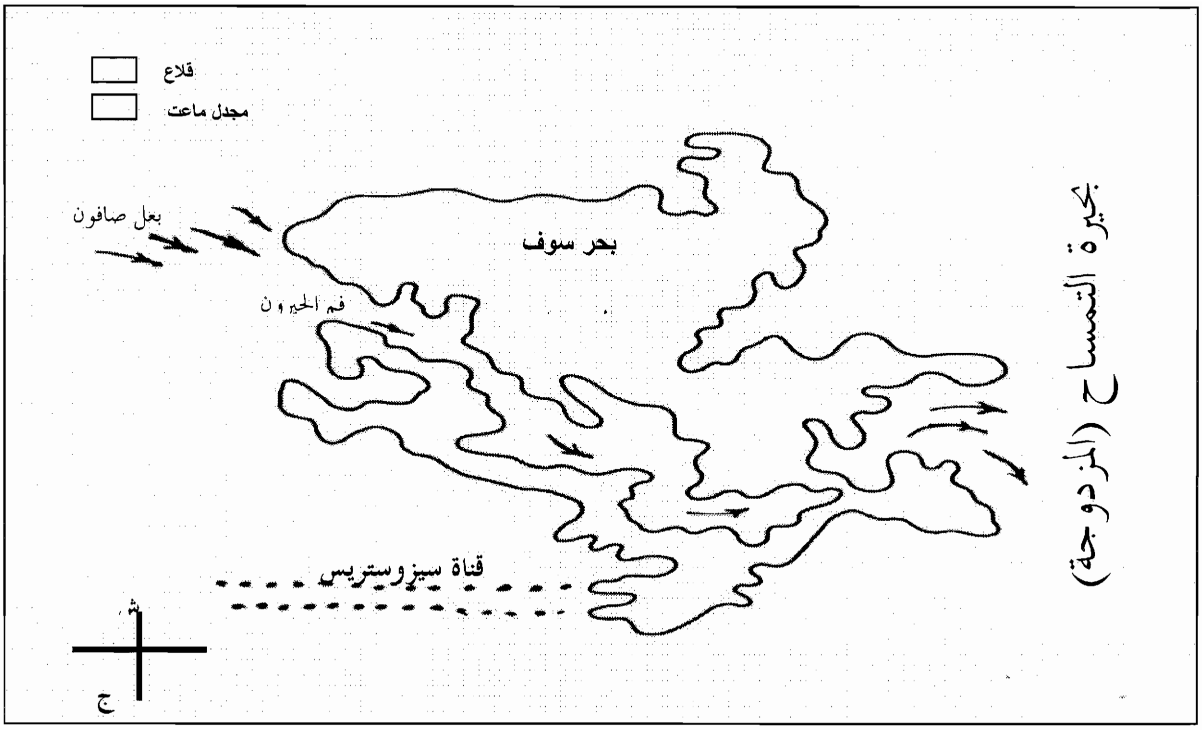
الخريطة رقم (١٦)

خروج بني اسرائيل من مصر حسب نظريتنا



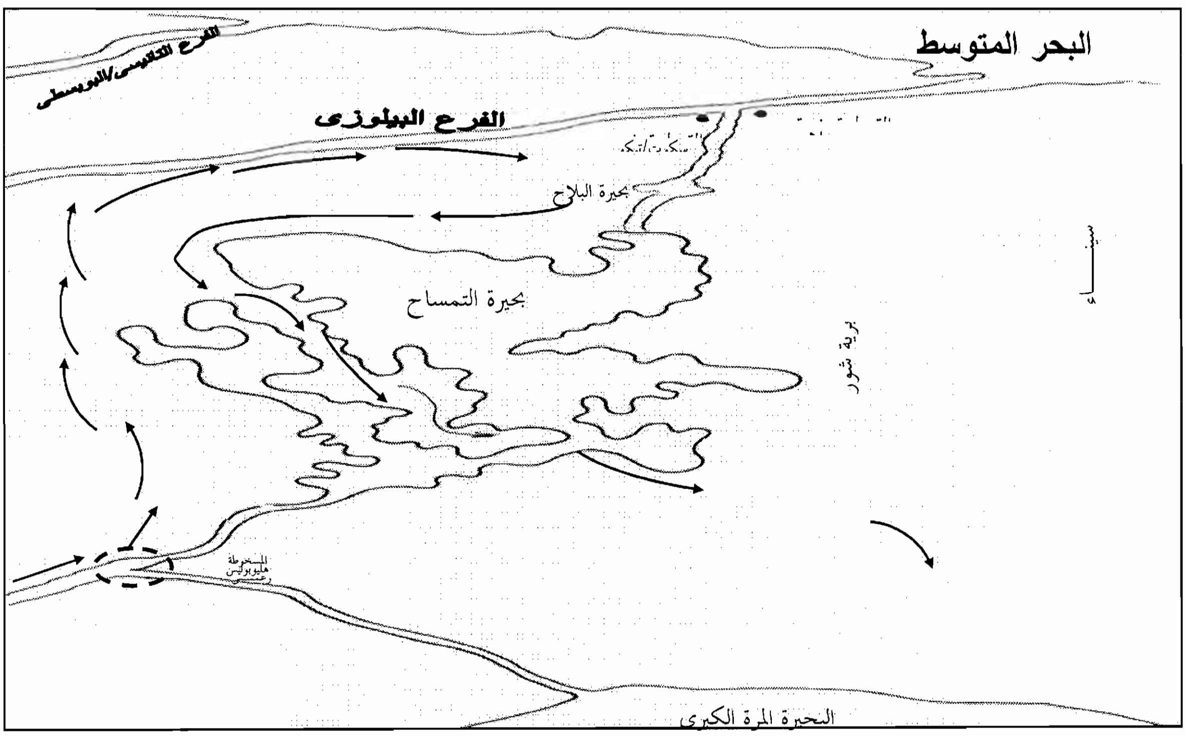
قطاع تفصيلي لموضع الخروج من مصر حسب نظريتنا

خريطة رقم (١٧)



خريطة رقم (١٨)

موضع الخروج عبر بحيرة التمساح مع استبعاد قناة السويس ومد الحدود على استقامتها عبر القناة، مع الاستعانة بالخرائط والأوصاف القديمة



قطاع تفصيلي لموضع الخروج حسب نظريتنا
خريطة رقم (١٩)

- شجرة فطرحها فى الماء فصار عذبا / خروج ١٥ / ٢٢ - ٢٤". وبعد رحلتنا المعذبة الشاقة وراء مواضع الخروج أمكننا افتراض أن الموضع مارة هو موضع البير المرة الآن أو جبل مر وتقع داخل سيناء إلى الشرق من مدينة السويس الحالية.

ومن المناسب هنا أن نعلم أن تلك المعجزة التوراتية أمر اعتيادى تماماً يمارسه الأهلون هناك حتى الآن، فمعلوم أن بعض الآبار في الصحراء تحتوى على كبريتات الكالسيوم التى تجعل الماء مر المذاق، وأنه إذا أضيف لتلك المياه حمض الاكساليك تعادل التركيب واختفت المرارة، ولم يزل بدو سيناء حتى اليوم يستخدمون أغصان شجرة اسمها (ألواح) تحتوى على حمض الاكساليك لإزالة مرارة الآبار، بحكم التجربة المكتسبة خلال الأجيال.

- ارتحلوا من ماره إلى منطقة اسمها إيليم وصفتها التوراة بأنها غنية بالنخل وبالعيون (خروج ١٥ / ٢٧)، وهو الأمر الذى يمكن احتسابه منطقة عيون موسى الحالية جنوب شرقى السويس.
- ارتحلوا من إيليم ونزلوا على ساحل بحر سوف، وهو ما يعنى أنهم كانوا يلتزمون الطريق المحاذى لشرقى خليج العرب / السويس.
- عادوا من ساحل بحر سوف إلى الصحارى مرة أخرى ليعمقوا بالداخل إلى منطقة باسم برية سين (خروج ١٦ / ١)، المحتمل أنها المعروفة الآن باسم جبل سن البشر. وهناك يعانى الخارجون من الجوع رغم ما نعلمه من وجود السوائم معهم، وفسرناه بأوامر بعدم أكل اللحم، لذلك كان اعتراض الخارجين على موسى وهارون يقول: " ليتنا متنا بيد الرب فى مصر، إذ كنا جالسين عند قدور اللحم نأكل خبزاً للشبع، فإنكما آخر جتمانا إلى هذا القفر لكى تميتا كل هذا الجمهور بالجوع / خروج ١٦ / ٣ ". وهنا تأتى معجزة جديدة تستمر مدة طويلة تتمثل فى طعام المن وطيور السلوى التى قدمنا بشأنها التفسير، ونضيف هنا ما اكتشفه بودينسها يمر عام ١٩٢٧م فى سيناء لصنف من الإثل يفرز فى الربيع سائلا حلو المذاق، سرعان ما يجف ويتحول إلى كرات بيضاء تشبه حبات البرد فور تعرضه للهواء، وإذا حرق يعطى تبخيراً طيب الرائحة. وحتى اليوم ينطلق بدو سيناء مع بداية الربيع فى جماعات كبيرة لجمع تلك الكرات، وبإمكان الشخص الواحد أن يجمع حوالى كيلو ونصف جرام فى اليوم، وهى كمية كافية لتغذية فرد ليوم واحد أو يومين. ويبدو أن موسى كان يعرف القيمة الغذائية لهذا المن (١) . أما السلوى فقد عرفناه طائر السمان / الزقزاق / المهاجر .
- ارتحلوا من برية سين إلى موضع باسم دفقه (عدد ٣١ / ١٢) والتى نحققها بموضع (عين الفوقية) الآن إلى الجنوب من جبل سين البشر، ومن هناك ارتحلوا إلى موضع باسم الوش (عدد ٣١ /١٣) لم نتمكن من تحقيقه. وإن كنا نظنه موقع سرابيط الخادم الآن.
- ارتحلوا من الوش إلى رفيديم (عدد ٣١ / ١٤)، وقد عثرنا إبان رحلتنا التنقيبية على ثلاثة مواضع باسم رفيه، فهناك على التجاور وادى رفية وجبل رفية وبئر رفية وجمعها العبرى (رفيديم)، وتقع هذه الرفيات أو رفيديم فى صحراء الطور إلى الجنوب الشرقى من وادى مكتب ووادى فيران. وهناك تحدث مشكلة عدم وجود الماء مرة أخرى، فنجد أعجوبة أخرى لم تزل إلى الآن من الأمور الاعتيادية، فيضرب موسى الأرض بعصاه فتنبجس بالمياه عيونا (خروج ١/١٧)، وبدو اليوم يمارسون ذلك ايضاً لأنهم يعلمون أن مياه الأمطار تتجمع عند سفوح الجبال تحت شريط رملى متماسك، وهو التماسك الذى ينشأ من رطوبة الماء تحت الرمل، ويكفى فى هذه الحال طرقه بأداه صلبة لتنبجس المياه من تحته.

وعند رفيديم تأتى جماعات العمالقة لتدخل معركة مع الخارجين ينسحب العمالقة بعدها.

- يرتحلون من رفيديم إلى برية سيناء (خروج ١٩ / ١) ليجدوا جبل سيناء يرتجف بالزلزلة والدخان والنار (خروج ١٩ / ١٨)، ويبدو أن المصريين كانوا قد أقاموا هناك تمثالا عظيما من الفيروز (الحجر الأزرق الصافى وهو من أحجار سيناء المشهورة)، ربما كان للإله حور أو للإله سيت، لأن نص التوراة يحدثنا عن كون موسى أخذ معه سبعين من شيوخ إسرائيل وصعد بهم الجبل ليشاهدوا رب البركان، ربهم، لأن جبل سيناء هو جبل الله حوريب المقدس، وتقول التوراة: " ثم صعد موسى وهارون وناداب وأبيهو وسبعون من شيوخ إسرائيل ورأوا إله إسرائيل، تحت رجليه شبه صنعه من العقيق الأزرق

---

(١) كاسيدوفسكى الواقع والأسطورة .. سبق ذكره، ص ١١١ ، ١١٢.

الشفاف وكذات السماء فى النقاوة، ولكنه لم يمد يده إلى أشراف بنى إسرائيل، فرأوا الله /خروج ٢٤/٩-١٩".

وفى موقع برية سيناء / جبل الله حوريب / كاترين وموسى الآن / يصعد موسى الجبل وسط ضباب البركان ليأتى بألواح الشريعة المكتوبة بإصبع الله، ويغيب هناك أربعين ليله يزوغ أثناءها الخارجون عن ربهم ويعبدون العجل الذهبى الذى صنعه هارون ويرقصون حوله عراه، فيغضب موسى ويكسر الألواح، ويضربهم يهوه بالموت فى تبعيرة ومسه وقبروت هتأوت، على مسيرة ثلاثة أيام من الجبل (عدد ١٠ / ٣٣). وفى ذات المواقع يأتى الأمر الإلهى بصناعة تابوت العهد الذى سينزل الرب ليسكن فيه ويحملونه معهم فى ارتحالاتهم. ونظننا قد تمكننا من تحقيق موضع قبروت هتأوت أى المقابر بموقع بئر الرقبة وجبل البرقة الآن إلى الشمال الشرقى من جبل كاترين على الجانب الأيسر لخليج العقبة.

- بعد ذلك يصل المرتحلون إلى محطة باسم حضيروت (عدد ١١ / ٣٥) وهناك تتذمر مريم وتحمل حملتها هى وهارون على موسى اعتراضا على زواجه من امرأة كوشيه زنجية، وهو ما أغضب يهوه على مريم فأصابها بعدوى البرص (عدد ١٢ / ١ - ٩). وقد أمكننا تحقيق حضيروت بموضع الحضيرة الآن شمالى جبل البرقة وجنوبى وادى وتير الحالى .
- يمرون بعد ذلك بعدد من المواقع أمكننا تدقيق بعضها ولم نتمكن من تحقيق أغلبها وهى على الترتيب: رثمه (عدد ٣٣ / ١٨)، ثم رمون فارص (عدد ١٩/٣٣)، ثم لبنه (عدد ٣٣ / ٢٠)، ثم رسه (عدد ٣٣ / ٢٤)، ثم قهيلاتة (عدد ٣٣ / ٢٢) وربما كانت هى وادى القهلت أو القلت الآ ن بين إيلات والثمد. ثم جبل شافر (عدد ٣٣ / ٢٣) ثم حراده (عدد ٣٣ / ٢٤) ثم مقهيلوت (عدد ٣٣ / ٥) ثم تاحت (عدد ٣٣ / ٢٦) ثم تارح (عدد ٣٣ / ٢٧) ثم مثقه (عدد ٣٣ / ٢٨) ثم حشمونه (عدد ٣٣ / ٢٩) ثم مسيروت (عدد ٣٣ / ٣٠) ثم بنى يعقان: ثم حور الجد جاد (عدد ٣٣ / ٣٢).

والواضح أن كل تلك المراحل من خط السير كانت تقع على الساحل الغربى لخليج العقبة لأنها تنتهى عند قمة خليج العقبة فى موضع باسم يطبات (عدد ٣٣ / ٣٣) ويوجد بهذا الا سم عدد من المواقع هناك مثل طوبيه وطابا ويطبات، والأغلب أن المقصود بها طوبيه إلى الجنوب من قمة الخليج ببضعة أميال، لأنهم بعد ذلك يمرون بموقع عبرونه (عدد ٣٣ / ٣٤) ثم ميناء عصيون جابر الذى تذكره التوراة باعتباره يقع على بحر سوف بجوار أيله (إيلات) الميناء المعروف على خليج العقبة (عدد ٣٣ / ٣٥ وتثنية ٢ / ١).

- ويبدو أنهم كانوا فى مبدأ الأمر يريدون الوصول إلى نقطة حصينة تسمح بإيواء هذا العدد الغفير جنوبى فلسطين حتى يقروا قراراهم بدخول فلسطين من جنوبها أم من شرقها، وكانت تلك المنطقة المختارة هى قادش برنيع / عين مشفاط عدد ٣٣ / ٣٦ التى تم تحقيقها بعين قديس الحالية عند برية صين وبريه فاران اللتان حققناهما ببرية تسين وبرية باران الحاليتين. ومن قادش بعد ثمان وثلاثين عاما تخللتها صراعات واتفاقات بين أهل مديان وبين الخارجين، تقرر عبور بلاد آدوم من عند العقبة وعصيون جابر دون أية صراعات أو معارك، مما يشير إلى التحالف القرابى بين الجميع، ومن هناك يعبرون بلاد موآب ثم عمون إلى جبل نبو شرقى الأردن مقابل أريحا، حيث تزعم التوراة موت موسى هناك (عدد ٣٣ / ٤٧)، وكان هارون قد مات قبله ودفن فى جبل هور (عدد ١٤ / ٢٢) الذى يحمل أيضاً اسم جبل موسير (تثنية ١٠ / ٦). وبعدها يقودهم يشوع عابراً نهر الأردن من شرقيه إلى غربه لفتح فلسطين بادئاً بأريحا.

وهنا تحكى لنا التوراة عن معجزة جديدة بطلها هذه المرة يشوع بن نون خليفة موسى، فقد كانت أريحا قلعة حصينة يحيط بها سور قوى منيع يقف عقبة كؤد إزاء أى طامع، وهنا تروى التوراة أن يشوع قام بعملين معجزين الأول عند عبور نهر الأردن والثانى عند اقتحام أريحا.

والمعجزة الأولى هى تكرار لمعجزة فلق البحر الموسوية، فقد أمر يشوع باختيار اثنى عشر رجلاً يمثلون الأسباط ليحملوا تابوت العهد على أكتافهم ويخوضوا به فى ماء الأردن، وعندما فعلوا ذلك " توقفت

المياه المنحدرة من فوق، وقامت نداً واحداً بعيداً جداً عن آدام المدينة التى إلى جانب صرتان، والمنحدرة إلى بحر العربة (البحر الميت) بحر الملح، انقطعت تماما وعبر الشعب مقابل أريحا / يشوع ٣ / ١٦ ، ١٧ ".



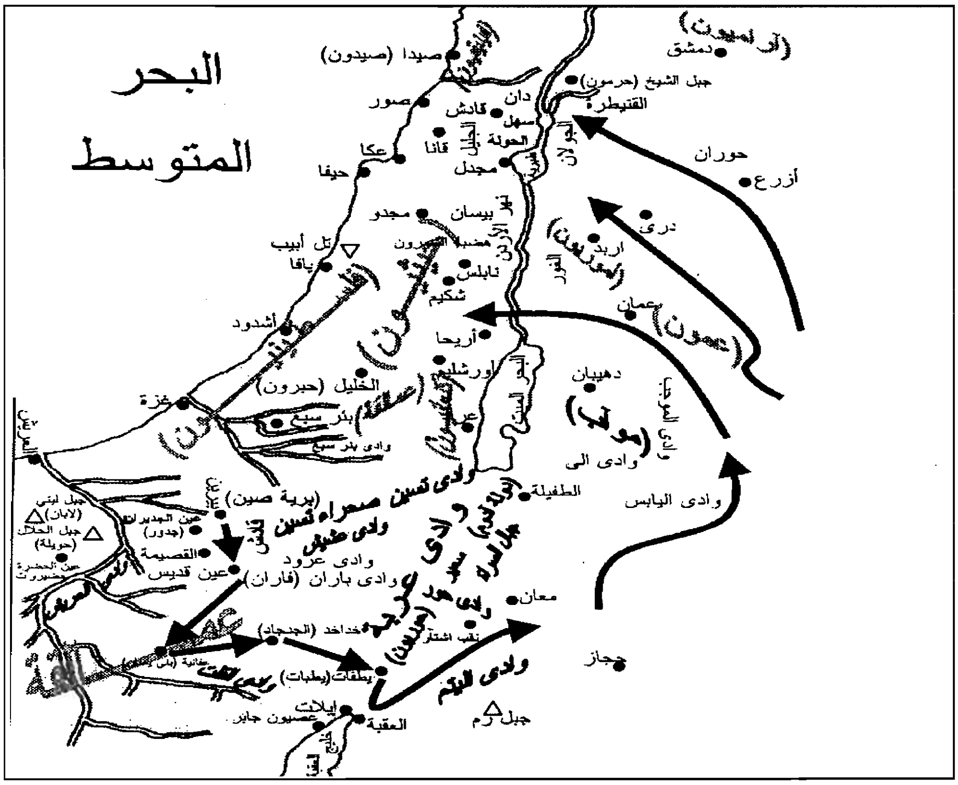
ولو افترضنا أن ذلك قد حدث فإن تفسيره شديد السهولة واليسر وقائم حتى الآن، لأن مدينة آدام التـــى يشير إليها النص هى داميح الحالية على بعد خمسة وعشرين كيلو مترا إلى الشمال من أريحا. وهـــى التـــى تضع بيدنا مفتاح التفسير، لأن معنى ذلـــك أن يشوع لم يعبر مباشرة برجاله من أمام أريحا إنما اختار هـــذه النقطة البعيدة بمسافة خمسة وعشرين كيلو متراً إلى الشمال ليعبر منها النهر. والسبب أنه عند داميح / آدام يضيق مجرى الأردن بين جدارين من الأرض، ويغلب على تركيب الجدارين الجير مع الطين الهش. وهناك ودوما تحدث انهيارات مفاجئة مع أى قلقلة أو اهتزازات أرضية، وكان آخر الأحداث من هذا النـــوع عـــام ١٩٢٧م عندما توقف ماء الأردن وانقطع عند هذه النقطة لمدة أربع وعشرين ساعة كاملـــة نتيجـــة انهيـــارا جرف داميح (٢)، وكثيراً ما عجبنا لماذا أمر يشوع رجاله جميعا. حسب رواية التوراة - بالاصطفاف فـــى هذه النقطة مع دق الأرض بالأقدام دقات عسكرية شديدة، كانت كافيه لزلزلة الجرف وانقطـــاع مـــاء النهـــر وحدوث المعجزة.

أما المعجزة الثانية فكانت حول حصون أريحا عندما أمر يشوع رجاله قائلاً: " تدورون دائرة المدينـــة سبع مرات والكهنة يضربون بالأبواق، ويكون عند امتداد قرن الهتاف عند استماعكم صوت البوق، أن جميع الشعب يهتف هتافا عظيما فيسقط سور المدينة مكانه / يشوع ٦ / ٤ ، ٥ ".

(٢) نفسه: ١٥٨ .

وإن المرء ليسأل نفسه فى دهشة عن الحكمة فى دوران جيش هائل حول مدينة محصنة مطمئنة سبع مرات، والكهنة ينفخون الأبواق، والجيش يهتف بصوت عال قوى، وعلاقة هذا كله بسقوط السور المفاجئ، اللهم إلا إذا كان هذا كله لإلهاء حراس الأسوار وإلقاء الرعب والذعر بين سكان أريحا، مع التغطية على عمل عسكرى حقيقى يتم تحت ستار من الهرج والمرج والأصوات المفزعة فى خفاء الغبار الذى يثيره دوران المهاجمين حول القلعة.

ونحن نعلم من نقوش الرافدين القديم أن الآشوريين قد ابتدعوا أسلوباً فريداً لتفجير الأسوار الحصينة قبل اكتشاف النار اليونانية / البارود، فكان المهاجمون يشغلون المدافعين بالأصوات والحركات التى لا تعنى شيئاً بينما يتسلل بعض الفدائيين ويحفرون حفراً طويلة عميقة تحت الأسوار، يضعون فيها جذوع أشجار سريعة الاشتعال، تتفسخ وتتفرقع عند إضرام النيران فيها فتنهار الأسوار (٣). وهكذا فتح الخارجون أريحا.



الخريطة رقم (٢١)

الغزو ــ العبور من جنوبي دولة آدوم إلى ما بين دولتي موآب وعمون لغزو غربي النهر، مع حملات مكثفة على طول الساحل الشرقي لنهر الأردن حتى جبل الشيخ (حرمون بالتوراة)

(٣) نفسه: ١٥٩ .

المصـــــــادر

الكتب الموسوعية

١ ــــ القرآن الكريم

٢ ــــ الكتاب المقدس بشقيه العهد القديم والعهد الجديد الترجمة العربية الصادرة عن الكنيسة الأرثوذكسية المصرية.

٣ ــــ قاموس الكتاب المقدس .

٤ ــــ الموسوعة العربية الميسرة .

٥ ــــ الموسوعة البريطانية .

٦ ــــ معجم فولكنر .

٧ ــــ معجم أوكسفورد .

٨ ــــ معجم بدج .

٩ ــــ موسوعة تاريخ العالم : وليم لانجر رئيسا للجنة علماء متخصصين، أشرف على مجموعة المترجمين العرب د. مصطفى زيادة، مكتبة النهضة المصرية، د . ت .

١٠ ــــ الموسوعة الأثرية العالمية.

لم تتم الإشارة فى الهوامش إلى تلك المصادر وأرقام الصفحات حيث يتم الرجوع إليها حسب الأصول المرعية للبحث فى الموسوعات والمعاجم حسب مادة المعلومة.

المصادر العربية والمترجمة إلى العربية

ــــ أ ــــ

١ ــ الأثير (ابن) : أسد الغابة فى معرفة الصحابة د . ت . مطبعة دار الشعب. القاهرة .

٢ ــــ إرمان (أدولف) : ديانة مصر القديمة، ترجمة د. محمد عبد المنعم أبو بكر، ومحمد أنور شكرى، نشر مصطفى البابى الحلبى، القاهرة، د.ت.

٣ ــــ آلدريد (سيرل) : إخناتون، ترجمة د. أحمد زهير الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٢ .

٤ ــ أنتاديوب (شيخ) : الأصول الزنجية للحضارة المصرية، ترجمة حليم طوسون، دار العالم الثالث، القاهرة، ١٩٩٥ .

٥ ــــ أورسيوس : تاريخ العالم، الترجمة العربية التى تمت فى منتصف القرن الرابع الهجرى، تحقيق وتقديم د. عبد الرحمن بدوى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ط ١، ١٩٨٢ .

٦ ــــ إيفانز (أ . ج): هيرودت، ترجمة أمين سلامة، الدار القومية القاهرة، د . ت

ب

٧ ــــ بافقيه (محمد عبد القادر) : تاريخ اليمن القديم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ، ١٩٨٩ .

٨ ــــ باقر (د. طه) : الوجيز فى تاريخ حضارة وادى الرافدين، دار الشئون الثقافية العامة بوزارة الثقافة

والإعلام، بغداد، ١٩٨٦.

٩ ــــ برستد (جيمس هنرى) : فجر الضمير ، ترجمة سليم حسن مكتبة مصر ــــ القاهرة .

١٠ــــ أبو بكر (د. عبد المنعم) : إخناتون، المكتبة الثقافية، القاهرة عدد ٢٥ .

١١ــــ بكر (د. محمد إبراهيم): صفحات مشرقة من تاريخ مصر القديمة دار المعارف ، القاهرة ، ط٢ .

١٢ــــ بلوتارك : إيزيس وأوزيريس، ترجمة حسن بكرى ومحمد خفاجى، دار القلم، القاهرة د. ت .

١٣ــــ البهبيتى (محمد نجيب) : المعلقة العربية الأولى عند جذور التاريخ، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٨١ .

١٤ــــ بهنسى(د. عفيف) : إيبلا والتوراة ، مجلة المعرفة، وزارة الثقافة، دمشق، عدد ١٩٧ ، تموز ١٩٧٨ .

١٥ــــ بوابة مصر الشرقية (الإسماعيلية) مجموعة من الباحثين، لجنة صياغة التاريخ بالحزب الوطنى الديمقراطى بالإسماعيلية مطبعة الفجر، الإسماعيلية ١٩٩٠ .

ت

١٦ــــ تشيرنى (ياروسلاف) : الديانة المصرية القديمة، ترجمة (د / أحمد قدرى)، هيئة الآثار المصرية، القاهرة ، ١٩٨٧ .

١٧ــــ توفيق (د. سيد) : إخناتون أول الموحدين، فكر للدراسات والأبحاث ، العدد ٩ القاهرة ، ١٩٨٦ .

ث

١٨ــــ ثابت (سعيد محمد) : فرعون موسى، دار المدينة المنورة؛ القاهرة ١٩٩٢

١٩ــــ الثقافة العالمية (مجلة) : الكويت ، عدد ٥٥ نوفمبر ١٩٩٢ .

ج

٢٠ــــ جاردنر (آلن) : مصر الفراعنة، ترجمة د / نجيب ميخائيل، بيروت ، ط١، ١٩٨٢ .

٢١ــــ جارستانج : إمبراطورية الحيثيين، ترجمة درينى خشبة، المجلد الثانى، ضمن العمل الموسوعى: تاريخ العالم، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة د . ت .

٢٢ــــ جارودى (روجيه) فلسطين أرض الرسالات الإلهية .

٢٣ــــ جرنى (أ . ر): الحيثيون، ترجمة د. محمد عبد القادر مطبوعات البلاغ، القاهرة، ١٩٦٣ .

٢٤ــــ جريفث (ليوولين): الإنقلاب الدينى فى مصر، ترجمة عبد الرحمن صدقى ودرينى خشبة، النهضة المصرية القاهرة ، المجلد الثانى من تاريخ العالم، د . ت .

ح

٢٥ــــ حتى (فيليب) : تاريخ العرب ، دار الكشاف بيروت، ١٩٦٥ .

٢٦ــــ حداد ومجاعص (د. حسنى وسليم) : بعل هداد، دار أمواج، ١٩٦٥ .

٢٧ــــ حسن (د / سليم) : أقسام مصر الجغرافية فى العهد الفرعونى، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ، ١٩٤٤ .

٢٨ــــ حسن (د / سليم) : مصر القديمة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٢ .

٢٩ــــ الحلبى (برهان الدين) : السيرة الحلبية فى سيرة الأمين والمأمون إنسان العيون، دار المعرفة ، بيروت، د .

ت .
٣٠ــــ حماد (د / محمد) : كامس، دار الجيل للطباعة مع دار المطبوعات العصرية، القاهرة ، ١٩٧٠ .
٣١ــــ حمدان (جمال) : شخصية مصر، دراسة فى عبقرية المكان، الناشر عالم الكتب، دار نافع للطباعة .

خ

٣٢ــــ الخشاب (د / عبد المحسن) : تاريخ اليهود القديم فى مصر، مكتبة مدبولى، القاهرة ، ١٩٨٩ .
٣٣ــــ الخشبة (غطاس عبد الملك): رحلة بنى إسرائيل إلى مصر الفرعونية والخروج ، دار الهــلال ، القــاهرة ، ١٩٩٠ .
٣٤ــــ خشيم (د / على فهمى) : آلهة مصر العربية ، دار الآفاق الجديدة، الدار البيضاء ، ١٩٩٠ .
٣٥ــــ الخير (عز الدين) : أضواء عربية فى الأسطورة الإغريقية مجلة المعرفة، بوزارة الثقافة والإرشاد القومى، دمشق عدد ١٩٧ ، تموز ١٩٧٨ .

د

٣٦ــــ دوماس (فرانسوا) : آلهة مصر ، ترجمة زكى سوس، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٦ .
٣٧ــــ ديب (سهيل): التوراة بين الوثنية والتوحيد، دار النفائس، بيروت، ط٢ ، ١٩٨٢ .
٣٨ــــ دى بوا إيميه كل دراساته ومعلوماتها .
٣٩ــــ ديسو (رينيه): العرب فى سوريا قبل الإسلام ترجمة عبد الحميد الدواخلى، الدار القومية للطباعة والنشــر، القاهرة .

ذ

٤٠ــــ ذكرى (أنطون) مفتاح اللغة المصرية القديمة وأنواعها وخطوطها وأهم إشاراتها، القاهرة د. ت.

ر

٤١ــــ روبنسون (تيودور) : إسرائيل فى ضوء التاريخ، ترجمة عبد الحميد يونس، المجلد الثانى فى تاريخ العالم، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ، د . ت .
٤٢ــــ رمزى (محمد) : القاموس الجغرافى للبلدان المصرية الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، ١٩٩٣ .
٤٣ــــ ريجيسكى (م) : أنبياء التوراة والنبوءات التوراتية ترجمة د. آحو يوسف، دار الينابيع ، دمشق ١٣٩٣ .

ز

٤٤ــــ زايد (د / عبد الحميد) : أسماء مصر، مجلة كلية التربية، جامعة الكويت، العدد ٢ ، ١٩٧٢ .
٤٥ــــ زايد (د/ عبد الحميد) : الشرق الخالد، دار النهضة العربية، القاهرة ، د . ت .
٤٦ــــ زغلول (د/ سعد) : الأنبياء والمتنبئون قبل ظهور الإسلام، مجلة عالم الفكر، الكويت مجلة ١٢ ، عــدد ٤ ، ١٩٨٢ .
٤٧ــــ زيعو (د/ على): قطاع البطولة والنرجسية فى الذات العربية، دار الطليعة، بيروت ١٩٨٢ .

س

٤٨ــــ سامسون (جوليا): نفرتيتى، ترجمة مختار السويفى، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٩٩٢ .
٤٩ــــ سترابون فى مصر: ترجمة وهيب كامل، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٥٣ .

٥٠ــــ سعيد (د. سامى) : الرعامسة الثلاثة الأوائل، دار الشئون الثقافية، بغداد، ١٩٨٨ .
٥١ــــ السهيلى : الروض الأنف فى تفسير السيرة النبوية لابن هشام، دار المعرفة، بيروت، ٨ .
٥٢ــــ سوسه (د/ أحمد): العرب واليهود فى التاريخ، العربى للإعلان والطباعة والنشر، دمشق، د. ت .
٥٣ــــ السواح (فراس): أرام دمشق وإسرائيل فى التاريخ والتاريخ التوراتى، دار علاء الدين، دمشق، ١٩٩٥ .
٥٤ــــ السواح (فراس): الحدث التوراتى والشرق الأدنى القديم. دار علاء الدين، دمشق، ط٢، ١٩٩٣.
٥٥ــــ السواح (فراس): مغامرة العقل الأولى، دار الكلمة، بيروت.
٥٦ــــ سوفوكليس: الملك أوديبوس، أوديبوس فى كولونس، آنتيجونى، ترجمة أمين سلامة، دار الفكر العربى، القاهرة، د . ت .
٥٧ــــ السيد (رمضان): تاريخ مصر القديمة، هيئة الآثار المصرية، القاهرة ، ١٩٩٣ .

ش

٥٨ــــ شبهات وهمية حول العهد القديم، نشر كنيسة قصر الدوبارة، القاهرة، ١٩٩١.
٥٩ــــ شتيندورف وسيل: عندما حكمت مصر الشرق ترجمة محمد العزب موسى، مكتبة مدبولى، القاهرة ، ١٩٩٠ .
٦٠ــــ شطا (د/ عبده): جيولوجية شبه جزيرة سيناء، ضمن موسوعة جزيرة سيناء، الهيئة العامة للكتاب القاهرة ١٩٨٢ .
٦١ــــ الشعراوى (د/ عبد المعطى): أساطير إغريقية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، ١٩٨٣ .
٦٢ــــ شقير (نعوم بك): تاريخ سيناء القديم والحديث وجغرافيتها، دار الجيل، بيروت، ١٩٩١ .
٦٣ــــ الشوك (على): بين الخطاب الموسيقى والخطاب اللغوى مجلة النهج، دمشق، عدد ٤ ، ١٩٩٥ .
٦٤ــــ الشوك (على): جولة فى أقاليم اللغة والأسطورة، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق، ١٩٩٤.
٦٥ــــ الشوك (على) : مأساة أوديب بين تحليلات فرويد وفرس الماء، صحيفة الحياة اللندنية العدد الصادر فى ١٩٣٦/١٧ .
٦٦ــــ شيفمان (أ. تين): ثقافة أوغاريت، ترجمة د/ حسان ميخائيل اسحق، الأبجدية للنشر دمشق ١٩٨٨ .

ص

٦٧ــــ الصليبى (كمال): التوراة جاءت من جزيرة العرب، ترجمة عفيف الرزاز، مؤسسة الأبحاث العلمية، بيروت ط٢ .
٦٨ــــ الصليبى (كمال) : خفايا التوراة وأسرار شعب إسرائيل، دار الساقى، لندن، ١٩٨٨ .
٦٩ــــ الصليبى (كمال): حروب داود، دار الشروق، بيروت، ط٢، ١٩٩١.

ع

٧٠ــــ عابدين (عبد المجيد): لمحات من تاريخ الحياة الفكرية المصرية قبل الفتح العربى وبعده، مطبعة الشبكشى بالأزهر القاهرة، ١٩٦٤ .
٧١ــــ عباس (إحسان): تاريخ دولة الأنباط، دار الشروق عمان، الأردن، ١٩٨٧
٧٢ــــ عبد البر (ابن): الاستيعاب فى معرفة الأصحاب .

٧٣ــــ عبد الجواد (عصام): الوحش الذى يهدد الصعايدة، مجلة روز اليوسف، القاهرة، عدد السابع من أكتوبر ١٩٩٦ .

٧٤ــــ عبد الحليم (د/ عبد المنعم): محاولة لتحديد موقع بونت، مطبوعات جمعية الآثار بالأسكندرية، دراسات أثرية وتاريخية، العدد الخامس، ١٩٧٤ .

٧٥ــــ عبد الحليم (د/ عبد المنعم): موجز رسالتيه للماجيستير والدكتوراه فى مذكرة مطبوعة بجامعة الاسكندرية .

٧٦ــــ عبد الحليم (د/ نبيلة محمد): معالم التاريخ الحضارى والسياسى فى مصر الفرعونية، منشأة المعارف، الأسكندرية د . ت .

٧٧ــــ عبد الرحمن (مرعى) : الإمبريالية اليهودية، المطابع الموحدة ١٩٨٧ .

٧٨ــــ العبرى (ابن) تاريخ مختصر الدول .

٧٩ــــ عثمان (أحمد) : تاريخ اليهود، الشروق، القاهرة ١٩٩٤ .

٨٠ــــ عثمان (أحمد): غريب فى وادى الملوك، مكتبة مدبولى، القاهرة، ط١، ١٩٨٩ .

٨١ــــ عثمان (أحمد): صحيفة الحياة، عدد ١٨ / ١٠ / ١٩٩٦.

٨٢ــــ عثمان (أحمد): فى الشعر الجاهلى واللغة العربية، مكتبة الشروق، القاهرة، ١٩٩٦ .

٨٣ــــ على (أبو عساف) : الأراميون، دار أمانى، طرطوس، سوريا، ١٩٨٨ .

٨٤ــــ العقاد (عباس محمود): الله، كتاب الهلال، عدد ٤٢ ، القاهرة، سبتمبر ١٩٥٤

٨٥ــــ العقاد (عباس محمود): إبليس، كتاب الهلال، عدد ١٩٢، القاهرة.

٨٦ــــ العلو (إبراهيم): كائنات وضاءة، مجلة العربى الكويتية، عدد يناير ١٩٩٥

٨٧ــــ على (د. جواد): المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام، مطبوعات المجمع العلمى العراقى، بغداد، د . ت.

٨٨ــــ عمار (د. عباس مصطفى): المدخل الشرقى لمصر، مطبعة المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٤٦ .

٨٩ــــ عوض (د. لويس): مقدمة فى فقه اللغة العربية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٠.

٩٠ــــ عوض الله (د. عاطف): بلاد بونت، محاولة لتحديد موقعها، مجلة نزوى العمانية، عمان، العدد السادس، إبريل ١٩٩٦ .

٩١ــــ عياد (د. شكرى) : البطل فى الأدب والأساطير، دار المعرفة، القاهرة، ط٢، ١٩٧١ .

ف

٩٢ــــ الفردوس: الشاهنامة، ترجمة الفتح بن على البندارى، تحقيق د. عبد الوهاب عزام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط٢، ١٩٩٣ .

٩٣ــــ فرويد (سيجموند): موسى والتوحيد، ترجمة جورج طرابيشى، دار الكشاف، بيروت، ط٤، ١٩٨٢ .

٩٤ــــ فريحة (د. أنيس): دراسات فى التاريخ، دار النهار، بيروت، ١٩٨٠.

٩٥ــــ فريحة (د. أنيس) : ملاحم وأساطير من الأدب السامى، دار النهار، بيروت، ط٢، ١٩٧٩ .

٩٦ــــ فريزر (جيمس): الفولكلور فى العهد القديم، ترجمة د. نبيلة إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط٢ ، ١٩٨٢ .

٩٧ــــ الفقى (محمد): قصص الأنبياء والمرسلين: أحداثها وعبرها، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٧٩ .

٩٨ــــ فليكوفسكى (إيمانويل): أوديب وإخناتون، ترجمة فاروق فريد، وزارة الثقافة بالمشاركة مع دار الكتاب العربى، القاهرة، د. ت.

٩٩ــــ فليكوفسكى (إيمانويل) : عصور فى فوضى، ترجمة رفعت السيد، دار سيناء، القاهرة، ١٩٩٥ .

١٠٠ــــ فيللور: نشيد عليان بعل، مجلة سوريا، ١٩٣٢ .

١٠١ــــ فيللور: موت، مجلة سوريا، ١٩٣٤ .

ق

١٠٢ــــ ابن قتيبة: المعارف، تحقيق د. ثروت عكاشة، دار المعارف، القاهرة، ط٤ ، ١٩٨١ .

١٠٣ــــ قدرى (د. أحمد): المؤسسة العسكرية المصرية فى عصر الإمبراطورية، ترجمة مختار السويفى، هيئة الآثار المصرية، القاهرة، ١٩٨٥ .

١٠٤ــــ القمنى (سيد محمود): الأسطورة والتراث، دار سينا، القاهرة، ط٢ ، ١٩٩٣.

١٠٥ــــ القمنى (سيد محمود): النبى إبراهيم والتاريخ المجهول.

١٠٦ــــ القيم (د. على): المرأة فى حضارات بلاد الشام القديمة، الأهالى، دمشق، ١٩٨٧ .

ك

١٠٧ــــ كاسيدوفسكى (زينون): الواقع والأسطورة فى التوراة، ترجمة حسان ميخائيل، أبجدية للنشر، دمشق، ١٩٩٠ .

١٠٨ــــ كالدر (رتشى): رجال ذللوا الصحراء، ترجمة محمد معوض، محمود الشواربى، دار الفكر العربى، القاهرة، د . ت .

١٠٩ــــ كامل (إبراهيم محمد كامل): إقليم شرق الدلتا فى عصوره التاريخية القديمة: ج٢، الهيئة المصرية لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٩٨٥

١١٠ــــ كامل ومحمد (مراد والبكرى): تاريخ الأدب السريانى، القاهرة، ١٩٤٩، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٤، ١٩٨٨.

١١١ــــ ابن كثير: البداية والنهاية .

١١٢ــــ كوزنيتسوفا (د. ت . م): الاسكيفيون، مجموعة نصوص المؤرخين الكلاسيك يونان ورومان حول شعب الاسكيث (بالروسية سكيف)، دار نشر المدارس العليا، موسكو، ١٩٩٢، ترجمها خصيصا لهذا البحث الفنان (ميديالور ونحات) ألكسندر مولسطوف والدكتورة عزة الخميسى.

١١٣ــــ كون (كارلتون): القافلة، قصة الشرق الأوسط، ترجمة برهان دجانى، دار الثقافة، بيروت، د . ت.

١١٤ــــ كون (كارلتون): قصة الإنسان، ترجمة محمد توفيق وعبد المطلب الأمين، المكتبة الأهلية، بغداد، ١٩٦٥ .

١١٥ــــ كينون (كاثلين): الكتاب المقدس والمكتشفات الآثارية الحديثة، ترجمة د. شوقى شعث وسليم زيد، دار الجيل، ١٩٩٠ .

ل

١١٦ــــ لسنر(إيفار) : الماضى الحى، ترجمة إبراهيم سعيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨١ .

م

١١٧ــــ ماكلستر : الأقوام الجدد، ترجمة عبد الحميد يونس، المجلد الثانى من تاريخ العالم، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د . ت.

١١٨ــــ المتنبى (ديوانه): تحقيق عبد الوهاب عزام، الهيئة المصرية العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ١٩٩٥ .
١١٩ــــ محمد (د. محمد عبد القادر): آثار الأقصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٢ .
١٢٠ــــ المسعودى : التنبيه والإشراف، دار مكتبة الهلال، بيروت.
١٢١ــــ المسعودى: مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد عبد الحميد، المكتبة الإسلامية، بيروت، د . ت.
١٢٢ــــ بهجة المعرفة: الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، ليبيا، طبعة إيطاليا، ١٩٨٢ .
١٢٣ــــ مقار (شفيق): قراءة سياسية للتوراة، رياض الريس للكتب والنشر، قبرص ولندن.
١٢٤ــــ ابن منبه (وهب): التيجان فى ملوك حمير، حيدر إباد، الدكن، ١٣٤٧ هـ
١٢٥ــــ منى (زياد): بنو إسرائيل، جغرافية الجذور، الأهالى، دمشق، ١٩٩٥ .
١٢٦ــــ مهران (د. محمد بيومى): دراسات فى الشرق الأدنى القديم، حركات التحرير فى مصر القديمة، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٦ .
١٢٧ــــ موسكاتى (سبتينو): الحضارات السامية القديمة، ترجمة د. السيد يعقوب بكر، دار الكاتب العربى للطباعة، القاهرة، ١٩٥٧.
١٢٨ــــ موسى (محمد العزب) : حضارات مفقودة ، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٩٩٢ .
١٢٩ــــ ميرز (ج . ل): المينويون والميسينيون، ترجمة إبراهيم زكى خورشيد، النهضة المصرية، مجلدات تاريخ العالم، المجلد الثانى، القاهرة، د . ت.
١٣٠ــــ ميلكو (إيلى) اللآلئ، ترجمة عن اللغة الحورية الأوغاريتية ديل ميديكو، ترجمها إلى العربية مفيد عرنوق، دار أمواج، بيروت، ط٢ ، ١٩٨٩ .

ن

١٣١ــــ نادوتى (سيد مظفر): التاريخ الجغرافى للقرآن، ترجمة د. عبد الشافى غنيم، لجنة البيان العربى، القاهرة، ١٩٥٦.
١٣٢ــــ ناصف (عصام الدين حفنى): اليهودية بين الأسطورة والحقيقة، دار المروج، بيروت، ١٩٨٥ .
١٣٣ــــ نصحى (د. إبراهيم): السويس فى العصور القديمة حتى الفتح العربى، ضمن دراسات بكتاب بعنوان السويس، صادر بالسويس، مصر، د. ت.
١٣٤ــــ نور (د. على) : ملامح مصرية فى المسرح الإغريقى، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، د . ت .
١٣٥ــــ نولدكه (تيودور): اللغات السامية، ترجمة د. رمضان عبد التواب، دار النهضة العربية، القاهرة ، ١٩٦٣ .
١٣٦ــــ النيسابورى (الثعلبى): عرائس المجالس، المكتبة الثقافية، بيروت، د . ت
١٣٧ــــ نيلسن (ديتلف): تاريخ العلم، دراسة منشورة فى كتاب التاريخ العربى القديم، ترجمة د. فؤاد حسنين على، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٨ .
١٣٨ــــ نيلسن (ديتلف): الديانة العربية القديمة، ضمن كتاب التاريخ العربى القديم، ترجمة د. فؤاد حسنين على، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٨ .

هـ

١٣٩ــــ هورنونج (إريك): ديانة مصر الفرعونية، الوحدانية والتعدد، ترجمة

د. محمود طه ومصطفى أبو الخير، مكتبة مدبولى، القاهرة، ١٩٩٥ .

١٤٠ــــ هومل (فرتز): التاريخ العام لبلاد العرب الجنوبية، ضمن كتاب التاريخ العربى القديم، ترجمة د. فؤاد حسنين على، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٨ .

١٤١ــــ الهمدانى : مختصر كتاب البلدان.

١٤٢ــــ هيرودت : (هيرودت يتحدث عن مصر): ترجمة محمد صقر خفاجى، تهمشيات وشروح د. أحمد بدوى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٧ .

و

١٤٣ــــ وافى (د. على عبد الواحد): اليهودية واليهود، دار مصر، القاهرة، د. ت.

١٤٤ــــ ولفنستون (إسرائيل): تاريخ اللغات السامية، دار القلم، بيروت، ١٩٨٠ .

١٤٥ــــ الويسى (حسين بن على): اليمن الكبرى، النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٣ .

ى

١٤٦ــــ يحيى (د. لطفى عبد الوهاب): العرب فى العصور القديمة، دار النهضة العربية، بيروت ، ١٩٧٩ .

١٤٧ــــ اليوسف (يوسف سامى): تاريخ فلسطين عبر العصور، الأهالى ، دمشق، ١٩٨٩ .

١٤٨ــــ يونس (د. عبد الحميد): الفولكلور والميثولوجيا، عالم الفكر، الكويت، المجلد الثالث، العدد الأول.

المصادر الأجنبية

A

١ - Albtight.w,Akkadian Letters, The Amaran Letters, J.E.A, T.

٢ - Alderd. c. The end of El-Amarna period, J.E.A, ١٩٥٧.

B

٣ - Breasted, Ancient Records.

٤ - Brugsch. H, History of Egypt under the pharaohs.

٥ - Budge. A.W, Tut-Ankh- Amen, Amenism, Atenism, and Egyption mootheism, ١٩٢٣.

C

٦ - Childe, The Aryans, New York, ١٩٢٦.

٧ - Conteneau. G, Civiliastion d'Assur et de Babylone, Paris, Payot, ١٩٥١.

E

٨ - Epicurea, ED. II. Usener Lipsial, ١٩٨٧.

٩ - Erman, The Literature of the Anicent Egyptians, ١٩٢٧.

١٠ -Evans. A, The palace of Minos at konssos, ١٩٢١.

F

١١ - Frankfort and pendlebury, the city of Akhanten, ١٩٣٣.

G

١٢ - Gardiner, Egypt of the pharaohs, ١٩٦٤.

١٣ - Gardiner, the Military Road Bet ween Egypt and palastine, J.E.A, Vol VI, ١٩٢٠.

H

١٤ - Hayes. w.c, Egypt from the death of Ammenemes II.

١٥ - Herzog, pynt in Abhand lungen in stitutes kairo, ٦, ١٩٦٨.

J

١٦ - James. T.S, Egypt from the Explution of the Hyksos to Amenophis I.C.A.H.

K

١٧ - Karll, Studien zur Gesehichte des Alten Aegypten IV, Das Land punit wien, ١٨٩٠.

١٨ - Kenyon (Kathleen), Digging up Jerusalem, Ernest Ben, London, ١٩٧٤.

١٩ - Kitchen, punt and how to therein orientalia, ١٩٧١.

٢٠ - Kupper, Les nomades enrois de mori, ١٩٥٧.

L

٢١ - Lods. A, Israel from it's beginnings to the middle of eight century, London, ١٩٦٣.

M

٢٢ - Mariette. A, Deir el Bhi, Leipaig. ١٩٧٧.

٢٣ - Maspero. G, in the odore Davies. M, The Tombe of Queen Tiyi, ١٩١٠.

٢٤ - Mercer. S.A.B. The Tell-Elamarna Tablets, ١٩٣٩.

٢٥ - Montgomery, Arabia and the Bible, philadelphia, ١٩٤٣.

N

٢٦ - Navil, Archeology of the old Testament, ١٩١٣.

٢٧ - Naville. E, Le Comnerce de l'ancienne Egypte avec les nations voisnne, Geneve, ١٩١١.

٢٨ - Noldeke, The semitic Languages, Encyclopaedia Britannica, II.

P

٢٩ - Petrie. F., A History of Egypt ٧thed, ١٩٢٤.

٣٠ - Petrie. F, Ancient Gaza, London, ١٩٢١.

S

٣١ - Save. S.T, J.E.A, ٣٧.

٣٢ - Sayce. A.H, Menes and Naram sin, J. E. A. ٦, ١٩٢٠.

٣٣ - Se the . k, Bitrage zur Geschichte Amenophis IV, Kgl. Ges. d. wiss Machrichten philhist klasse, ١٩٢١.

٣٤ - Stade. B, Lehrbuch der hebraischen grammatik, Libzig, ١٩٤٩.

W

٣٥ - Wallhausen. J, Die Bibllischen atertu mer, calw and stuttgart.

٣٦ - Weigall, The Life and times of Akhnaten, J. E. A, ١٩٥٧.

٣٧ - Wilson. J.A, Egyptian Historical textes, in Janes pritchard, Ancien Near Eastern Texresa.

Z

٣٨ - Zallig. S. H, A grammar of phoenician Language, New Haven, Comn, ١٩٣٦.

من أعمال المؤلف

١ ـــ الموجز الفلسفى .

٢ ـــ مشكلات فلسفية (بمشاركة) .

٣ ـــ رب الثورة : أوزيريس وعقيدة الخلود فى مصر القديمة.

٤ ـــ الحزب الهاشمى وتأسيس الدولة الإسلامية.

٥ ـــ النبى إبراهيم والتاريخ المجهول .

٦ ـــ الأسطورة والتراث .

٧ ـــ حروب دولة الرسول. جزءان .

٨ ـــ قصة الخلق : منابع سفر التكوين .

٩ ـــ إسرائيل : التوراة والتاريخ والتضليل .

١٠ ـــ رب الزمان ودراسات أخرى .

١١ ـــ السؤال الآخر.

١٢ ـــ النبى موسى وآخر أيام تل العمارنة.

وأعمال أخرى منشورة بالدوريات العربية والعالمية

فهرس الخرائط

فهرس اللوحات

فهرس موضوعات الكتاب

الموضوع	الصفحة
الجزء الأول:	
هذا العمل على سبيل التقديم	٧
مدخل	١٧
التوراة شعبها وكتابها وربها	٢٥
كل إسرائيل	٥٢
التاريخ النبوى	٧٢
مصر والتوراة	١٣٣
نظريات الخروج	١٤١
فهرس الجزء الأول	١٩٦
الجزء الثانى:	
لغز بلاد بونت	٢٠٣
ولغز بلاد الحور	٢١٥
بلاد آدم وبلاد آدوم	٢٢١
سالع / البتراء /.... ونظرية جديدة	٢٣٨
حملة تحتمس الثالث على بلاد الفينيق	٢٥٧
لغز بلاد موصرى	٢٧٥
ميتانى وميديانى	٢٨٥
المديانيون والاسماعيليون والعماليق	٣٠١
سر الملكة السوداء	٣٢٤
الرب الأحمر	٣٥٣
معان المصرية	٣٧٦